سلسلة الرسائل الجامعية ١٠

دراسات في الأدب السعودي المعاصر (١)

الشعر في منطقة جازان

من ١٣٥١هـ - ١٤١٨هـ

١٩٣٢م - ١٩٩٨م

دراسة موضوعية وفنية

تأليف

الدكتور/ حسن بن أحمد إبراهيم النعمي

شبكة الألوكة
www.alukah.net

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الشعر في منطقة جازان

من ١٣٥١هـ - ١٤١٨هـ

١٩٣٢م – ١٩٩٨م

دراسة موضوعية وفنية

تأليف

الدكتور / حسن بن أحمد إبراهيم النعمي

الطبعة الأولى

١٤٣٠هـ / ٢٠٠٩م

من إصدارات نادي جازان الأدبي

سلسلة الرسائل العلمية

شبكة الألوكة - قسم الكتب

ح نادي جازان الأدبي ، ١٤٣٠هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

النعمي ، حسن بن أحمد
الشعر في منطقة جازان من ١٣٥١هـ - ١٤١٨هـ / ١٩٣٢م – ١٩٩٨م
دراسة موضوعية وفنية . / حسن بن أحمد النعمي . – جازان ، ١٤٣٠هـ
١٤٦٤ ص ، ١٧ × ٢٤ سم

ردمك : ٦ - ٩٩ – ٦٢٢ - ٩٩٦٠ - ٩٧٨

١- الشعر العربي – نقد – جازان السعودية أ - العنوان

ديوي ٨١١،٩٥٣١٥٢٠٠٩ ١٤٣٠/٧٣٦٥

رقم الإيداع : ١٤٣٠/٧٣٦٥
ردمك : ٦ - ٩٩ – ٦٢٢ - ٩٩٦٠ - ٩٧٨

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى
١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م

تنويه وشكر

هذا الكتاب في الأصل رسالة علمية ، حصلت بها على درجة الدكتوراه في الأدب العربي الحديث بتقدير ممتاز مع مرتبة الشرف الأولى من كلية اللغة العربية بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض .

وقد تفضل بالإشراف على هذه الرسالة الأستاذ الدكتور / محمد بن سعد بن حسين ، وناقشها الأستاذان الكريمان : الأستاذ الدكتور / أحمد بن حافظ الحكمي ، والأستاذ الدكتور / مسعد بن عيد العطوي ، فشكراً لأساتذتي الكرام على الآراء السديدة التي أمدوني بها ، وأفدت منها في هذا الكتاب .

وشكراً لنادي جازان الأدبي الذي أتاح لهذه الدراسة رؤية النور عبر سلسلته " سلسلة الرسائل الجامعية " التي قدمت إضاءات مهمة للثقافة السعودية المعاصرة .

الباحث
Alnami000@hotmail.com

بسم الله الرحمن الرحيم

www.alukah.net
شبكة الألوكة

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمـة :

الحمدلله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء وسيد المرسلين ، نبينا محمد عليه وعلى آله وصحبه أفضل صلاة وأتم تسليم ، أما بعد :

فإنَّ أيّ متابع منصفٍ لحركة الأدب المعاصر في المملكة العربية السعودية يلحظ تناميها وتطورها بصورة سريعة ومتفاعلة ، بعد توحيد أركانها على يد الملك عبدالعزيز – رحمه الله – في تجربة ناجحة ومتميزة ، أتاحت للأدباء بيئة مهيأة ومواتية للإبداع الأدبي؛ لينطلقوا في مناحي الإبداع الشعري والقصصي والروائي والمسرحي ، فأخذت أعدادهم في تزايد ملحوظ، وأعمالهم المطبوعة تتبوأ مساحة من أرفف المكتبات المحلية والعربية .

وأضحى من اللائق بالدارسين والباحثين – إزاء ذلك – أن يشاركوا زملاءهم الأدباء في إبراز الصورة الأدبية في المملكة ، بدراسة الملامح والسمات العامة دراسة علمية منهجية منصفة ، وإذا كان من العسير على باحثٍ واحد – في السنوات الأخيرة – أن يحيط إحاطة كاملة بدراسة أدبها وأدبائها ؛ لاتساع رقعتها ، وكثرة مبدعيها ، وتنوع أجناس أدبها ، فلا أقلّ من أن يركز جهده على علم من أعلام أدبها ، أو على اتجاه أو ظاهرة محددة ، أو على إقليم من أقاليمها ، ضمن منظومة بحثية موجهة ؛ لنصل بعد حين إلى إكمال دراسته دراسة علمية وافية .

ومن هذا المنطلق اخترت دراسة الشعر في منطقة جازان في المدة من عام ١٣٥١هـ إلى عام ١٤١٨هـ دراسة موضوعية وفنية ، وقد دفعني إلى اختيار دراسة الشعر في منطقة جازان في تلك المدة عدّةُ أمور منها :

١ – لم أجد – بعد البحث والتتبع – أي دراسة مستقلة تعرّف بالشعر في منطقة جازان ، أو

شبكة الألوكة - قسم الكتب

تتحدث عن موضوعاته ، وتعرّف بأعلامه ، وتضعهم في المكانة الأدبية اللائقة .

٢- كثرة شعراء منطقة جازان ، وغزارة إنتاجهم ، وتنوّعه ، وتعدد تياراتهم الفنية ومناهجهم الأدبية ، ووجود أجيال عديدة من الشعراء ، يختلف بعضها عن بعض. وكل ما صدر من أحكام عامة سابقة كانت في مجملها لا تفرّق بين تلك الأجيال ، ولا تضع الفوارق الجوهرية بين تلك التيارات الفنية المتعددة .

٣- إنَّ الدراسات التي رصدت الحركة الأدبية في المملكة العربية السعودية لم تبرز شعر منطقة جازان إلا في مواطن يسيرة ، وأغلب تلك الدراسات اهتمت بشعراء كبار مشهورين مثل علي السنوسي ، وابنه محمد ، ومحمد العقيلي ، وعلي النعمي ، وأحمد البهكلي ، وأغفلت تلك الدراسات شعراء آخرين ليسوا بأقل منزلة من أولئك المشار إليهم . في حين أنَّ كثيراً من الدراسات المسحية ذات العناوين البرّاقة مثل (الحركة الأدبية في المملكة) ، و (الشعر الحديث في المملكة) ، و(التيارات الفنية في الشعر السعودي) وما شابهها من عنوانات لدراسات امتلأت بها الساحة لم يكن شعر جازان فيها سوى ديوان ، أو ديوانين ، أو مجموعة شعرية لشاعر مشهور .

٤- محاولة الباحث في خدمة وطنه ، وسدّ ثغرة ما زالت بحاجة إلى أن تسدّ ، إذ قد تم رصد نتاج عددٍ من أقاليم المملكة العربية السعودية في العصر الحديث ، فدرس الشعر في(نجدٍ) عدد من الدارسين منهم الأستاذ الدكتورمحمد بن سعد بن حسين، وعبدالله بن إدريس، والدكتورحسن الهويمل ، ودرس الشعر في (الحجاز) الأستاذ الدكتور إبراهيم الفوزان، والأستاذ عبدالرحيم أبو بكر ، ودرس الشعر في (الأحساء) الدكتور خالد الحليبي ، وعبدالرحمن العبيّد . فكان الشعر في جازان بحاجة إلى درسٍ لنتاجه ، وتعريف بأدبائه ؛ لكي تكتمل منظومة الشعر السعودي من خلال تتبع شعراء الأقاليم وحصر نتاجهم .

هذه الأسباب وغيرها شجعتني على محاولة سبر أغوار الشعر في جازان وتقديمه

www.alukah.net
شبكة الألوكة

بصورة علمية ومنهجية وفق مخططٍ يتكون من تمهيد وأربعة أبواب وخاتمة وفهارس ، وذلك على النحو الآتي :

التمهيد : تحدثت فيه عن بيئة الشعر في جازان ، وقسمته إلى البيئة الجغرافية والبيئة السياسية والبيئة الاجتماعية والبيئة الثقافية وحاولت وصلها بالشعر وبيان أثرها فيه .

أما أبواب الرسالة فهي :

الباب الأول : (الدراسة الموضوعية) ، وفيه ثلاثة فصول :

الفصل الأول : وتحدثت فيه عن (مصادر الشعر) ، وهي :

أ – الدواوين المطبوعة .

ب– الصحف والمجلات .

ج– الدواوين المخطوطة .

د – مصادر أخرى شملت كتب التاريخ ، والتراجم ، والدراسات الأدبية ، والمقالات النقدية ، والإذاعة وغيرها .

الفصل الثاني : وخصص للحديث عن (أغراض الشعر) ، وتناولت فيه أغراض الشعر في جازان ، ورتُبت بناء على أكثريتها في الشعر ، وهي : الوصف ، والغزل ، والمديح، والرثاء ، والحنين ، إضافة إلى أغراض أخرى وردت في الشعر لكن بصورة أقل من سابقتها منها : الإخوانيات المتمثلة في التهاني والمطارحات والمساجلات والمراسلات والفكاهة والمداعبة والعتاب ، ومنها غرض الهجاء .

الفصل الثالث : (الاتجاهات الشعرية) ، وفيه درس الباحث أبرز اتجاهات الشعر في جازان ، وهي : الاتجاه الإسلامي ، والاتجاه الوطني ، وقضايا العرب والمسلمين ، والاتجاه الاجتماعي ، والاتجاه الوجداني ، والاتجاه التأملي .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

أما الباب الثاني : (الدراسة الفنية) فقد جاء في تمهيدٍ وفصلين :

التمهيد وفيه عرضت للاتجاهات الفنية والأجيال الأدبية في جازان وهم :

أ- المقلدون .

ب- المحافظون .

ج- المزاوجون بين المحافظة والتجديد (شعراء التفعيلة) .

د- شعراء الحداثة .

والفصل الأول : (المضمون الشعري) ، وفيه مبحثان :

المبحث الأول : المعاني والأفكار : وفيه درست مصادرها ومستمداتها ، وهي القرآن الكريم ، والحديث الشريف ، وأمثال العرب ، والشعر قديمه وحديثه ، العربي منه والأجنبي ، ودرس الباحث في هذا المبحث استدعاء التراث بمختلف أشكاله الدينية والتاريخية والشعبية والأسطورية .

ثم درست أيضاً المعاني بين الأصالة والمعاصرة ، وقضية المبالغات والسلامة والانزلاق، والمعاني بين السطحية والعمق .

المبحث الثاني : التجربة الشعرية : وفيه عرضت حديث شعراء جازان عن تجاربهم الشعرية ، وقيمتها لديهم ، وأهم مثيراتها ، ثم تحدثت عن أهم تلك التجارب وعوالمها ، وهي:

أ - التجارب المنبثقة من ذات الشاعر وعالمه النفسي .

ب - التجربة الشعرية من خلال الواقع الاجتماعي .

ج - التجربة الشعرية من خلال عالم الطبيعة .

د - التجربة من خلال المرأة وعاطفة الحب .

هـ- التجربة من خلال المناسبة .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

أما الفصل الثاني : (الشكل الشعري) ففيه أربعة مباحث :

المبحث الأول : بناء القصيدة وتحدثت فيه عن المطلع ، ومقدمة القصيدة ، ووحدة النص بمختلف أشكالها ، وطول النص وقصـــره وما يتصل به من مطولات ومقطوعات وشعر مقطعي ، ثم تحدث عن خواتيم القصائد المختلفة ودلالاتها .

المبحث الثاني : اللغة : ويتناول هذا المبحث عدداً من معالم التشكيل اللغوي في شعر جازان ، وهي : الألفاظ من حيث سهولتها وثقلها ، أو الهمس والفخامة ، والدلالة والإيحاء، والتأثير الصوتي ، والمعجم اللفظي بمستوياته المختلفة ، والازدواجية بين الفصحى والعامية ، والغرابة والندرة ، والدخيل والأجنبي ، والابتذال . ودُرست التراكيب التي شاعت لدى الشعراء ، إضافة إلى عددٍ من الظواهر اللغوية منها : الرمز ، والتكرار ، كما يتناول هذا المبحث الوقوف على أهم العيوب الأسلوبية .

المبحث الثالث : الصورة الفنية : وعرضت فيها أهم مصادر الصورة الشعرية في جازان ، وأهم وسائل تشكيل الصورة ، وهي : التصوير البياني ، والصورة الحسية ، والمحسنات البديعية ، والتشخيص والتجسيم ، والصور الكلية ، وتوقفت عند أهم أدوات التصوير الجديدة كالتراسل والمعادل الموضوعي والتوسع المجازي .

المبحث الرابع : الموسيقى : وتحدثت فيه عن عنصـــريها الرئيسين : الموسيقى الخارجية والموسيقى الداخلية ، وفي الموسيقى الخارجية تحدثت عن أهم سمات القصيدة الموزونة والمقفاة من حيث الوزن الشعري وما يتصل به من ظواهر ، والقافية ومظاهر التجديد التي طرأت عليها في القصيدة المقطعية والموشحات ومجمع البحور . ثم تحدثت عن أهم سمات قصيدة التفعيلة في شعر جازان. وبعد الحديث عن الموسيقى الداخلية عرضت أهم الملحوظات الموسيقية والهنات العروضية ، ثم توقفت وقفة يسيرة مع ما يسمى بـ (قصيدة النثر) .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

أما الباب الثالث : (من أعلام الشعر) فجاء في فصلين هما :

الفصل الأول : (من الأعلام المحافظين) ، وفيه عرّفتُ بثلاثة من أهم الشعراء المحافظين في جازان ، وهم : محمد بن علي السنوسي ، ومحمد بن أحمد العقيلي ، وعلي بن أحمد النعمي .

الفصل الثاني : (من الأعلام المجددين) ، وهو يلقي الضوء على ثلاثة من أبرز الشعراء المجددين في جازان ، وهم : إبراهيم بن عبدالله مفتاح ، وإبراهيم بن عمر صعابي ، وأحمد بن يحيى بهكلي .

وفي الباب الرابع : التقويم (آراء النقاد في شعر جازان) :

ويتناول هذا الباب عرض آراء النقاد في شعر جازان ، ومقارنتها بما توصلت إليه الأطروحة من آراء نقدية .

ثم ختم البحث بخاتمة تضمنت أهم ملامح وسمات الشعر في جازان في الفترة المدروسة، وأبرز النتائج التي توصّلتُ إليها . وتلاها ثبتٌ للمصادر والمراجع، وفهرس لموضوعات البحث .

بقي أن أشير إلى أنّي عمدت إلى تحديد الفترة المدروسة في هذا البحث ، إذ تبدأ من سنة ١٣٥١هـ ، وهي السنة التي أُعلن فيها توحيد أجزاء المملكة العربية السعودية تحت كيان واحد ، وقيادة واحدة ، وبدأ بهذا العام عهد البناء والنماء ، وتنتهي مدة الفترة المدروسة بسنة ١٤١٨هـ ، وهي سنة تسجيل البحث في الكلية ، فيكون الإطار الزمني لهذا العمل من توحيد المملكة العربية السعودية إلى مئويّتها .

ولأنَّ المنهجين التاريخي والفني هما من أصلح المناهج لدراسة مثل هذه الموضوعات المسحية ، فقد اخترتهما منهجاً ، ومع ذلك حاولت الإفادة من بعض ما تقدمه المناهج الحديثة في الدرس الأدبي ، ولم أغفل بعض جوانبها الإيجابية .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

واقتصرتُ في تعريف الأعلام في هذه الدراسة على شعراء جازان الذين تحدثتُ عنهم، وأوردت لهم نماذج شعرية فقط ، ولم أترجم لغيرهم خوفاً من إثقال الحواشي بما يمكن أن يُستغنى عنه ؛ ولأن كتب تراجم الرجال والأدباء وغيرهم لم تعد بعيدة المنال في زماننا هذا. وقد ترجمت للعلم عند أول ذكرٍ له ، ما عدا الشعراء الستة الذين خصص لهم باب مستقل هو الباب الثالث ، فأُخّرت تراجِمُهم ، وهم السنوسي والعقيلي والنعمي ومفتاح وصعابي والبهكلي ،ولم أترجم لأيّ من الشعراء في فصل (مصادر الشعر) ؛ لئلا يتضخم ؛ إذ كل الشعراء قد وردوا فيه ، بل جعلت التراجم مرافقة للإبداع الشعري في الغالب .

وإذا قلت في هذا البحث : (السنوسي) ، فهو محمد بن علي ، وإذا قلت : (العقيلي) فهو محمد بن أحمد ، وإذا قلت : (النعمي) فهو علي بن أحمد ، وإذا قلت : (البهكلي) فهو أحمد بن يحيى ، وإذا قلت : (الفيفي) فهو علي بن حسين .

والدواوين المدروسة هي تلك التي صدرت قبل سنة ١٤١٨هـ وما صدر بعد ذلك لم يلتفت إليه الباحث ، إلا إذا كان الديوان المطبوع قد حصل عليه الباحث من الشاعر قبل طبعه وبقي بعد ذلك بالعنوان نفسه ، والقصائد ذاتها مثل (وطني سيد البقاع) لإبراهيم صعابي ، (ويوم كُنَّا) لأحمد الحربي و (لا تسلني عن جراحي) لمهدي الحكمي و (لا تقولي وداعاً) لعيسى جرابا ، ومثل ذلك اعتمدت في الدراسات الأدبية والنقدية وكتب التراجم والموسوعات .

وقد حرصت كل الحرص على تنويع الشواهد ؛ لوفرتها من جهة ؛ ولإبراز مشاركة أكثر عدد ممكن من شعراء جازان في هذه الفترة ، وقليلاً ما كررت أنموذجاً لشاعر ، ولم أفعل ذلك إلا عندما لم أجد غيره ، أو ما يماثله في الجودة أو الدلالة على القضية التي أنا بصدد الحديث عنها .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

أما أهم الصعوبات التي واجهتني في بحثي هذا ، فأهمها كثرة وغـزارة نتـاج الـشعراء وتفرقه في كثير من المصادر والمظانّ ، ووجود كثير منه لدى أصحابه ، وقد لقيت مـن المـشاق الشيء الكثير في سبيل الحصول على مادة البحث ، بل إنني ما زلت إلى الآن أنتظر نتاج بعض الشعراء الذين وعدوا بإرسال أشعارهم إليّ ، ولكنها إلى الآن لم تصل .

ومـن الـصعوبات مـا يتعلـق بتـصنيف الـشعراء والتوفيـق بـين نتـاجهم المتنـوع ، والحكم عليهم من خلال تلك الأعمال وذلك النتاج ، وهم ما زالوا أحياء .

وأمر آخر أشق وأقسى ، وهو الكتابة في موضوع معـاصر ، ومـن يكتـب في مثـل هذا يستهدف ، والساخط عليه أكثر من الراضي ، والراضي ساكت كما يقال .

ولكنني حاولت أن أكون صادقاً وأميناً وحيادياً ، ومعتمداً المنهج الفنـي حكـماً ، ولست معصوماً .

وبعد : فإنّي أتوجه بالشكر الجزيل بعد شكر الله – عز وجـل – إلى أسـتاذي الفاضـل الأستاذ الدكتور محمد بن سعد بن حسين المشرف على الرسالة ، الذي شجعني على تـسجيل هذا البحث بدءاً ، ثم لما أحيل إليه الإشراف عليَّ وجدتُ منه كل عـونٍ وتـسديد ، وكـان لـه فضل المراقبة والتوجيه المستمر ، والنقد البناء ، واللمسات الواضحة على عملي ، ولقد قبست من أسلوبه العلمي ومنهجيته في البحث وجديته في الحيـاة ودقتـه في كـل شيء مـا أرجـو أن يكون له بالغ الأثر في مستقبل حياتي ، فجزاه الله خير ما جزى أستاذاً عن تلميذه .

كما أتقدّم بالـشكر الجزيـل لكليـة اللغـة العربيـة بالريـاض ممثلـة بقـسم الأدب لما أتاحته لي من فرصة مواصلة البحث والدراسة ، وما هيأته لي من جو علمي متميز يزخر بالأساتذة الفضلاء ، وأخصّ منهم بالذكر الأستاذ الفاضـل الـدكتور حـسين عـلي محمـد الذي تفضّل بالإشراف على رسالتي عند بداية تسجيلي لها ، فكان خير موجـهٍ وناصـح ،

www.alukah.net
شبكة الألوكة

والشكر موصول للأستاذين الجليلين عضوي لجنة المناقشة الأستاذ الدكتور أحمد بن حافظ الحكمي ، والأستاذ الدكتور مسعد بن عيد العطوي اللذين قاما بقراءة هذه الرسالة وتقويمها ، وقدّما لي ملحوظات مهمة أَثْـرَتْ العمل وارتقت به .

ولوالديَّ الكريمين ، وزوجتي الفاضلة أوفى الشكر وأجزله على عونهم لي ، ودعائهم المتواصل ، وتشجيعهم الدائم لإنجاز دراساتي العليا ، وأعتذر لهم جميعاً عن تقصيري في حقوقهم طيلة انشغالي بهذا العمل عنهم .

وأخيراً أرجو أن أكون في بحثي هذا قد قدَّمتُ عملاً ذا قيمة ، فلقد بذلت جهدا، وحاولت ما استطعت أن أكون موضوعياً ، فإن كنت حققت فائدة فالفضل لله ، وإن لم أوفق فهي محاولة قابلة للصواب والخطأ ، وكل إنسان يؤخذ من قوله ويرد عليه . علماً أني الآن بصدد إكمال هذا العمل من سنة ١٤١٩هـ إلى عام ١٤٣٠هـ في دراسة مستقلة سترى النور قريباً بإذن الله لتستكمل ما فات هذه الدراسة ، أو ماجدّ عليها من تغييرات سواء في ذلك الشعراء الذين نشروا دواوين أكثر من تلك التي توقفت عندها هذه الدراسة –وهم كثر– أو الشعراء الذين كانت دواوينهم معدة للطبع ، وأشير إليها هنا على أنها مخطوطة مثل إبراهيم الشعبي وحسن أبو طالب ومحمد أبو عقيل وعلي بهكلي وغيرهم . أو شعراء لم يتوافر نتاجهم الشعري إلا متأخراً ، لا سيما كثير من الشباب أمثال محمد إبراهيم يعقوب وملهي عقدي وحمد علا الله حكمي وغيرهم ، والإفادة من دراسات ظهرت للوجود مطبوعة بعد أن كانت مخطوطة لا سيما الرسائل العلمية الأكاديمية من أمثال شعر محمد أحمد العقيلي للدكتور خالد ربيع الشافعي ، والحسن بن أحمد عاكش حياته وشعره وتحقيق ديوانه ، لحسن بن أحمد النعمي ، وغيرهما.

وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب .

***

شبكة الألوكة - قسم الكتب

التمهيـــــد

بيئة الشعر في جازان

أولاً - البيئة الجغرافية .

ثانياً - البيئة السياسية .

ثالثاً - البيئة الاجتماعية .

رابعاً - البيئة الثقافية .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

التمهيد

أولاً- البيئة الجغرافية :

جازان هي إحدى المناطق الثلاث عشرة التي تتكون منها المملكة العربية السعودية ، وهي جزء من منطقة تهامة الساحلية الموازية لامتداد البحر الأحمر ، وتقع في الجزء الجنوبي الغربي من المملكة العربية السعودية ، بين خطي العرض (١٥ , ١٦ و ٤٥ , ١٧) شمالاً ، وخطي الطول (٤٢ و ٤٠ , ٤٣) شرقاً ، فهي بذلك تشغل ما يقارب ٢٤٠٠ كم٢[١]، ويحدها البحر الأحمر من الغرب ، حيث تطلّ على جبهة بحرية تمتدّ حوالي ٢٧٠ كم ، كما تشرف الحواف الغربية لجبال عسير على منطقة جازان من جهة الشرق . ويحدها جنوباً خط الحدود الفاصل بين المملكة العربية السعودية والجمهورية اليمنية ، وتمتد جازان شمالاً إلى النجود الفاصلة بين وادي عتود [٢] ووادي حلي [٣] شمالاً حيث الحدود الإدارية لمنطقة مكة المكرمة .

ومنطقة جازان الحالية هي جزء من المخلاف السليماني [٤] الذي كان يمتد من الشرجة[٥] جنوباً إلى حلي بن يعقوب شمالاً . وقد كان موقع منطقة المخلاف المتميز جغرافياً ومكانياً واستراتيجياً يجعل الطريق التجاري عبر سهوله الخصبة وشواطئه الرطبة الهواء الكثيرة القرى ، الوفيرة المياه من أصلح الطرق الواضحة المسالك المتصلة

(١) انظر : المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية (مقاطعة جازان) ، لمحمد أحمد العقيلي : ١٧ ، وجدائل الفل ، إصدار بمناسبة الذكرى المئوية لتأسيس المملكة ، بحث جغرافي ، د. علي عريشي : ٧ – ٨ .

(٢) عتود : وادٍ أوله في جبال عسير ، ومصبُّه في تهامة ، ويصل إلى بيشة . وكان في صدر الإسلام وقبله لكنانة وخزاعة. انظر : المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية ، للعقيلي : ٢٨٤ – ٢٨٥ .

(٣) وادي حلي : هو وادٍ قريب من القنفذة ، يصب في البحر الأحمر ، يسمى قديماً (حلي بن يعقوب) . انظر : معجم البلدان ، لياقوت الحموي : ٢ / ٣٤٢ .

(٤) نسبة إلى سليمان بن طرف الحكمي الذي وحّد مخلافي(حكم) و (عثّر) تحت حُكمٍ واحد سنة ٣٧٣هـ . انظر: تاريخ المخلاف السليماني ، لمحمد أحمد العقيلي : ١ / ٧١ وما بعدها .

(٥) الشرجة : مدينة أثرية قديمة ، ذكرها كثير من المؤرخين ، وهي اليوم أطلال قرب الموسَّم . انظر : صفة جزيرة العرب ، للهمداني ، تحقيق : محمد الأكوع : ٦٨ ، والمعجم الجغرافي ، للعقيلي : ٢٢٧ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

بالبلدان والقرى العامرة ، وقد أثر ذلك بشكل إيجابي على الحياة التجارية والثقافية ، والتأثر بالحضارات الأخرى[1] .

وكانت عاصمة المخلاف السليماني على امتداد التاريخ ، لا سيما في القرون الأخيرة التي حكم فيها آل خيرات هي مدينة أبي عريش ، وكانت مدينة جازان في تلك الحقب التاريخية لا تمثل سوى مرفأ صغير على البحر ، وفي أوائل القرن الرابع عشر انتقلت عاصمة المنطقة إلى صبيا إبّان حكم الأدارسة ، ولما جاء العهد السعودي انتقلت عاصمة المنطقة إلى مدينة جازان ؛ لموقعها الساحلي الاستراتيجي ، ومن ثم سمّيت المنطقة باسمها ، وقد ورد ذكر جازان في كثير من مصادر التاريخ والجغرافية والأدب ، وأشار إليها عدد من الشعراء في أشعارهم ، ومنهم أبو دهبل الجمحي الذي يقول :

سقى الله جازاناً ومن حلَّ وليه فكل فسيل من سهامٍ وسردد [2]

وفي الأشعار القديمة والمصادر التاريخية والجغرافية ورد اسمها هكذا (جازان) [3]، ولم يرد أي ذكر للتسمية الأخرى المرادفة حالياً ، وهي (جيزان) ، وعلى هذا جاء الرأي القائل بأنّ الصواب أن يقال : جازان لا جيزان ، يقول عبدالقدوس الأنصاري – بعد كلام له طويل – حول خطأ كسر جيم جدة : ((**ومثل ذلك تماماً التعبير بـ (جيزان) مراداً بها البلد الثاني في هذه المنطقة الذي يقع على شاطئ البحر الأحمر جنوب جدة . إن هذا التعبير خطأ عامي محض ، ومن مخلفات عصور الجمود . والصحة الواحدة التي لا صحة غيرها في التعبير عن تلك المدينة أن نقول : جازان – بفتح الجيم وبعدها ألف – ولا صحة في التعبير عنها بغير هذا** ...))[4] . وهذا الرأي قد ذهب إليه

(١) انظر : جدائل الفل : ٦ .

(٢) ديوان أبي دهبل الجمحي ، رواية أبي عمرو الشيباني ، تحقيق : عبدالعظيم عبدالمحسن : ١١٤ .

(٣) انظر : صفة جزيرة العرب ، للهمداني ، تحقيق : محمد الأكوع : ٦٨ ، ١٢٦ ، ٢٥٩ ، ومعجم البلدان ، لياقوت الحموي ، تحقيق : فريد الجندي : ٢ / ١٠٩ ، والشاعر الجراح بن شاجر الذروي (شاعر المخلاف السليماني في القرن العاشر) ، دراسة وتحليل محمد بن أحمد العقيلي : ٨٨ ، والحسن بن أحمد عاكش الضمدي : حياته وشعره، وتحقيق ديوانه : للدكتور حسن بن أحمد النعمي : ٤٤٦ .

(٤) التحقيقات المعدة بحتمية ضم جيم جدة ، لعبدالقدوس الأنصاري ، كتاب المنهل : ١٨ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وأيده أغلب المؤرخين والكتاب المعاصرين[1].

وتتميز منطقة جازان بأنها منطقة متنوعة التضاريس، حيث يوجد السهل المنبسط والممتد بمحاذاة ساحل البحر الأحمر، الذي يكون ما يقارب ٤٧ ٪ من جملة مساحة المنطقة، ويقع هذا السهل في الجزء الجنوبي للمنطقة، حيث يتراوح ما بين ٤٠ – ٤٥ كم، بينما في الشمال لا يزيد عن ٢٥ كم، ويتميز هذا السهل بارتفاعه التدريجي نحو الداخل. كما تنتشر به مجموعة من الأودية التي تنحدر من الشرق إلى الغرب، حيث تأتي أودية بيش وجازان وضمد في مقدمة هذه الأودية من حيث التصريف المائي، إضافة إلى مجموعة من الأودية التي تتوزع من الجنوب إلى الشمال، مثل وادي تَعْشَر وليَّة وخُلَب والخُمس ومَقَاب وصبيا وعتود، وهذه الأودية استطاعت جذب التجمعات السكانية لما تحويه من أراضٍ خصبة استخدمت في الزراعة منذ زمن بعيد[2]، وتنتشر حول تلك الأودية المراعي والمروج، ولعل من أشهر تلك الأودية وادي (جورا) الذي يتفرع عنه واديا جازان وضمد، فهو من أكثرها مروجاً، وفيه يقول الشاعر علي بن حسين الفيفي[3]:

وما رأيتُ كجورا وادٍ فسيح الرحاب

(١) منهم العقيلي في: المعجم الجغرافي لمقاطعة جازان: ٩٥، ولم يخالف فيه سوى عبدالرحمن رفاعي الذي يرى أن كلمة جيزان صحيحة اعتماداً على رأي المحبي في كتابه (خلاصة الأثر): ١/ ٣٢٧ في مقالة له بمجلة الفيصل بعنوان: (جيزان وجازان بين الحقيقة والتحقيق)، ع ٦١، رجب ١٤٠٢هـ، والمحبي كما هو معلوم كاتب متأخر في القرن الثاني عشر، ورأى السابقين أرجح وأصوب.

(٢) انظر: دراسات في جغرافية المملكة العربية السعودية، د. عمر الفاروق: ٥٧.

(٣) هو علي بن حسين بن محمد الفيفي الهاشمي، ولد بمدينة فيفا في جازان سنة ١٣٣٤هـ، عمل ضابطاً في الجيش السعودي، وهو شاعر كبير، وافر النتاج، وشارك بشعره في الصحف والمجلات السعودية، وهو عضو مؤسس لنادي الطائف الأدبي، له خمسة دواوين هي: (أصداء الذكريات)، و(أجراس)، و(رحلة العمر)، و(أزهار)، و(زائر الأمس). انظر ترجمته في: التاريخ الأدبي لمنطقة جازان، لمحمد العقيلي: ٣/ ١٣٧٤، وموسوعة الأدباء والكتاب السعوديين، لأحمد بن سلم: ٣/ ٧٤، وشعراء العصر الحديث، لعبدالكريم الحقيل: ٢٣٤، وفرجة النظر في تراجم رجال من بعد القرن الثالث عشر بمنطقة جازان، لأحمد الشفعي: ٢/ ٦٨، ومعجم الأدباء والكتاب: ٢٨٦.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

مروجـــه الخـــضر كانـــت مراتـــــع الأحبـــــاب [1]

وتضم تلك السهول أيضاً مساحات شاسعة من الخبوت ، وهي نطاق موازٍ للأودية، وتعد أراضي الخبوت من مظاهر التربة المفتّتة التي تغلب عليها الرمال بأشكالها المختلفة ، ومنها تثار الغبار الموسمية ، وفيها يقول أحمد البهكلي :

هـــذا الـــتراب سفقتُـــه زمنـــاً بـالله كيـف نسيت ، مـا أجنى

هذي الخبوت حويتها وحوَتْ فكري فهل من أفقه تفنى [2]

كما تشمل تلك السهول الواسعة عدداً من السباخ وهي مساحات مالحة محاذية للشواطئ تمتد لمسافة أكيال وبعرض يصل إلى أربعة أكيال ، وأحياناً أكثر من ذلك ، وتنتشر بها بعض الأشجار التي تتميز بالملوحة [3] .

والجزء الثاني من تضاريس منطقة جازان ، هي المرتفعات الساحلية (الأصدار)، وهي سلسلة ممتدة وبموازاة السهل الساحلي – وهي غير سلسلة جبال السروات – ويبلغ متوسط ارتفاعها حوالي ٥٣٠م ، وتشغل ما نسبته ٣٧٪ من مساحة المنطقة ، وقد غطيت أجزاء منها بطبقة رسوبية ، وفيها بعض الأراضي الصالحة للزراعة ، وبعض الجبال المتقطعة من أهمها جبال (صَنَادِل) و(عُقَاد) و(أم القَحْم) و(العَكْوَتَان) [4] .

ويلي المرتفعات الساحلية باتجاه الشرق المنطقة الجبلية ، وهي سلسلة المرتفعات العالية المتصلة بجبال السروات ، وهي تتميز بالوعورة والمنحدرات وكثرة التعرجات ، وتمثل حوالي ١٦٪ من مساحة منطقة جازان ، ويتراوح ارتفاع تلك الجبال بين ٢٠٠٠ إلى ٦٠٠٠ قدم فوق مستوى سطح البحر ، وأهمها جبال بني مالك وفيفا وقيس وهروب والرّيث ، وكثير من تلك الجبال بها مدرجات زراعية ، وقمم من الحجر

(١) أصداء الذكريات : ٦٢ .

(٢) الأرض والحب : ٢٨ .

(٣) انظر : جغرافية المملكة العربية السعودية ، د. عبدالرحمن الشريف : ٢ / ١٤١ ، وجدائل الفل : ٩ .

(٤) انظر : المعجم الجغرافي للبلاد السعودية (مقاطعة جازان) ، للعقيلي : ١٩ – ٢١ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الرملي غاية في الجمال لا سيما في جبال الريث التي وصفها محمد الشنقيطي [1] بقوله :

للريث سحر مداه الشمس والقمرُ وفـوق قمتـه للنفـس مختـصرُ
وفي ربـاه تـرى الأوراق حانية على الغصون فيبكي منهما المطرُ
هنـاك في قمـة بيضاء شاهقـة رأيت منتزهاً يحلو بـه السَّمرُ
وحولـه قمـم تبـدو لناظرهـا المنزل الأول المقضى به الوطرُ[2]

ويتبع جازان عدد كبير من الجزر المتناثرة في البحر الأحمر ، ولعل أكبرها وأهمها جزيرة فَرَسَان وما يتبعها من جزر صغيرة كالسُّقيد وزفاف وقُماح ، وقرى المحرَّق والقِصَار التي تعد مصيف الفرسانيين ، إذ بها آبار عذبة وأكثر من ٩٠٠٠ نخلة [3] ، وفي هذه الجزر يقول الشاعر محمد الشنقيطي :

إلى مـوجٍ يعانقهـا سعيـد إلى شطـآن يحـضنها السَّقيدُ
جزائـر كالبكـارى قانعـات وخاطبهـا علـى سفـرٍ بعيـدُ[4]

ويقول شاعر فرسان إبراهيم مفتاح :

إذا جئت أرض النخل بلِّغ تحيّتي وأغلى الأماني أن يطيب لك المقرْ[5]

أمامناخ جازان فهو – أيضاً – متنوع بتنوّع التضاريس ، ففي سهول تهامة ترتفع الحرارة ،وتشتد الرطوبة ، وتخف الحرارة في المرتفعات الساحلية (الأصدار) لا سيما في

(١) هو محمد بن أحمد الشنقيطي ، ولد بمكة سنة ١٣٧٨هـ ، ودرس بها ، وحصل بعد ذلك على البكالوريوس والماجستير من جامعة شيفلد بانجلترا في الهندسة المدنية والإنشائية عام ١٣٩٧هـ ، ثم عمل رئيساً لبلدية جازان إلى عام ١٤٠٨هـ ، يعمل حالياً وكيلاً لمدير عام وزارة الشؤون البلدية والقروية بالمنطقة الغربية ، له دواوين شعرية منها : (دموع المعاناة) و (المنتخب) و (قلب يتنفس) و(خلف أسراب البجع) . انظر ترجمته في : التاريخ الأدبي لمنطقة جازان ، للعقيلي : ٣/ ١٦٠٣ .
(٢) قلب يتنفس : ٥٧ – ٥٨ .
(٣) انظر : المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية (مقاطعة جازان) ، للعقيلي : ١٢٥ – ١٢٦ .
(٤) قلب يتنفس : ٥١ .
(٥) احمرار الصمت : ٧١ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

موسم هبوب الرياح الموسمية الغربية ، فيصل الجوّ في هذا الموسم إلى الاعتدال ، وفي ذلك يقول حجاب الحازمي [1] :

لا الصيف تلفحك السمو مُ بهـــا فتنـــذرُ بالحتـــوف

كـــلا وليـــس شتاؤهـــا قـــراً يهـــددُ بالـــصروف [2]

وهذه المناطق الساحلية والسهلية أصبحت تجتذب السكان من جازان وخارجها لقضاء أوقات الشتاء ، حيث الجو الدافئ والشواطئ الممتدة والجميلة ، يقول الشنقيطي في قصيدة (جازان تخاطب أمير عسير) :

جـــازان تدعـــوك مـــشتى وفـــي عـــسير المـــصيف [3]

أما المناطق الجبلية العالية فمعتدلة صيفاً ، وباردة شتاءً . وتتميز منطقة جازان بأنها تستقبل كميات من الأمطار لا تشهدها أي منطقة أخرى بالمملكة ، وخاصة المنطقة الجبلية ، حيث يصل المعدل ما يقارب ٦١٠ ملم في محافظة فيفا ، وتعد الأمطار الصيفية أهم هذه الأمطار وأكثرها [4] .

***

(١) هو حجاب بن يحيى بن موسى الحازمي ، ولد بضمد سنة ١٣٦٤هـ ، تخرج في كلية اللغة العربية بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية سنة ١٣٨٩هـ ، عمل في التدريس والإدارة المدرسية ، عَمِلَ رئيساً لنادي جازان الأدبي ، وله أعمال أدبية كثيرة ومشاركات واسعة ، من مؤلفاته : (وجوه من الريف) ، و(أبجديات في النقد الأدبي) ، و (ابن هتيمل الضمدي حياته من شعره) وغيرها . انظر ترجمته في : التاريخ الأدبي لمنطقة جازان ، للعقيلي : ٢ / ١٠٧١ ، وفرجة النظر ، لأحمد الشعفي : ١ / ٢٦٦ ، وموسوعة الأدباء والكتاب السعوديين ، لأحمد بن سلم : ١ / ١٨٨ .

(٢) انظر : الهمس الخافت ، لعلي الفيفي : ٧٤ .

(٣) قلب يتنفس : ٤٤ .

(٤) انظر : المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية (مقاطعة جازان) ، للعقيلي : ٢٠ – ٢٣ ، وجدائل الفل : ٩ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ثانياً- البيئة السياسية :

كانت الحدود الإدارية لما يطلق عليه الآن (منطقة جازان) قبل الإسلام وإلى ما بعد النصف الأول من القرن الرابع الهجري تنقسم قسمين :

الأول – مخلاف (حكم) ، ويحكمه آل عبدالجد الحكمي ، وحدوده من الشرجة جنوباً إلى صبيا شمالاً ، وجدّ آل الحكمي هو الذي وفد على رسول الله – ﷺ – عام الوفود معلناً إسلامه وإسلام قومه .

والقسم الثاني – هو مخلاف (عثّر) [1] ، ويحكمه بنو مخزوم ، وحدوده من صبيا جنوباً إلى قرية حمضة [2] من قرى القحمة [3] شمالاً .

وبعد عام الوفود ظلت المنطقة تابعة للدولة الإسلامية في المدينة المنورة ، ثم الكوفة ثم دمشق ، ثم بغداد . وفي عهد الدولة العباسية استطاعت الأسرة الزيادية أن تستولي على حكم المنطقة ، فحكمتها من سنة ٢٠٣هـ إلى سنة ٤٠٧هـ [4] .

وفي سنة ٣٧٣هـ استغلّ سليمان بن طرف الحكمي رئيس قبيلة حَكَم ضعف سلطة الدولة الزيادية ، فضمّ مخلاف (عثّر) إلى موطنه مخلاف (حكم) ، فجعلهما مخلافاً واحداً ، أطلق عليه (المخلاف السليماني) الذي اتسع بعد ذلك ليصل إلى بلاد حلي بن يعقوب شمالاً [5] . وظلت المنطقة بعد ذلك خاضعة لحكم أسر محلية تدير شؤونها باسم الحكومات القوية المسيطرة على جنوب الجزيرة العربية ، ومن تلك الأسر

(١) عثّر : مدينة تاريخية اندثرت وطغت الرمال على آثارها ، وموقعها معروف الآن بالقرب من ساحل الجعافرة شمال غرب مدينة صبيا ، وقد ذكرها كثر من المؤرخين . انظر : صفة جزيرة العرب ، للهمداني : ٥٢ – ٥٤ . والمعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية (مقاطعة جازان) ، للعقيلي : ٢٨٥ – ٢٩١ .

(٢) حمضة : بفتح الحاء المهملة وسكون الميم ، وادٍ وقرية تنسب إلى الوادي جنوب بلدة القحمة . انظر : المعجم الجغرافي ، لمقاطعة جازان ، للعقيلي : ١٥٥ .

(٣) القحمة : مؤنث قحم ، بلدة في شمال منطقة جازان ، وهي قاعدة بلاد قبيلة المنجحة ،وميناء معروف . انظر : المصدر السابق : ٣٤٢ .

(٤) انظر : تاريخ المخلاف السليماني ، للعقيلي : ١ / ٩١ – ١٠٠ .

(٥) انظر : المصدر السابق : ١ / ١٢ – ١٣ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

الأشراف السليمانيون ، وهم أولاد سليمان بن عبدالله بن موسى الجون ، تلاهم أبناء يحيى بن حمزة المشهورون بالأشراف الغوانم [١] .

وفي أوائل القرن التاسع الهجري آلت إمارة المنطقة من الأمراء الغوانم إلى أبناء عمهم آل قطب الدين [٢] ، وكان في عهدهم يحكم صبيا أمراء مستقلون كآل الذروي وآل الخواجي [٣] .

وفي سنة ١١٥٤هـ آل أمر الحكم في بلاد المخلاف السليماني إلى آل خيرات [٤] ، الذين كوّنوا إمارة صغيرة في بادئ الأمر ما لبثت أن توسعت بعد ذلك في عهد علي بن حيدر الخيراتي سنة ١٢٠٤هـ [٥] ، وفي عهده دخلت المنطقة في دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب – رحمه الله – بعد صراع مرير بين مؤيدي الدعوة ومعارضيها ، ومن ثم دخلت المنطقة في طاعة عبدالعزيز بن محمد بن سعود [٦] .

وجاء بعد علي بن حيدر ، حمود بن محمد أبو مسمار الذي بدأ عهده بمعاداة السعوديين ، ولكن في نهاية المطاف أذعن للأمر الواقع ، والتزم بمبادئ الدعوة

(١) انظر : المصدر السابق : ١ / ٢٠١ – ٢١٦ .

(٢) هم المنسوبون إلى قطب الدين أبو بكر بن محمد بن هاشم بن وهّاس الحسني ، ويطلق على نسله أيضاً آل القطبي . انظر : الديباج الخسرواني في أخبار أعيان المخلاف السليماني ، للحسن عاكش ، تحقيق : إسماعيل البشري – رسالة دكتوراه غير منشورة – : ٢٤٧ ، ونشر العرف لنبلاء اليمن بعد الألف ، لزبارة الصنعاني : ١/ ٢٣٢ .

(٣) انظر : تاريخ المخلاف السليماني ، للعقيلي :١ / ٣٠٠ – ٣١٤ ،وكشف النقاب عن نبذة حجاب ، لأحمد عبدالله الحازمي : ٩٢ .

(٤) آل خيرات هم المتصلون بخيرات بن شبير بن بشير بن أبي نميّ الصغير ، جاء من مكة ، فاستقر في أبي عريش ، وأسس أبناؤه إمارة لهم فيها بعد وفاته . انظر ترجمته : الديباج الخسرواني ، لعاكش : ١٦ ، وتاريخ المخلاف السليماني : ١/ ٣٨٨ .

(٥) انظر: الديباج الخسرواني ، لعاكش : ١٤٦ – ٢٢٥ ، ونيل الوطر ، لمحمد زبارة الصنعاني : ٢/ ١٣٤ ، والأعلام ، للزركلي : ٤/ ٢٨٤ .

(٦) انظر تفصيل ذلك في : تاريخ المخلاف السليماني ، للعقيلي : ١/ ٤٤٥ ، والمقدمة الإنجليزية للديباج الخسرواني ، لإسماعيل البشري : ٥٠ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الإصلاحية ، وحكم المخلاف السليماني نيابة عن إمام الدرعية [1] .

وبعد ذلك تولى أمر المنطقة أبناء خيرات ، وبعد سقوط الدرعية على يد الأتراك تحوّل ولاء آل خيرات إليهم ، ودارت في المنطقة كثير من صراعات النفوذ بين الأشراف الخيراتيين والأتراك وأهل عسير ، ولم تتوقف هذه الفتن والصراعات إلاّ بثورة محمد بن علي الإدريسي في أواخر سنة ١٣٢٦هـ ، وتوليه زعامة المنطقة ، وانتهاء النفوذ التركي عليها[2].

وقد أسس محمد بن علي الإدريسي دولة قوية ، وكان سياسياً محنكاً ، إذ إنه عندما أحسّ بالأخطار المحدقة به وبدولته الناشئة وما ينتظرها من مكائد جيرانه الأقوياء الشريف الحسين بن علي في الحجاز ، والإمام يحيى في اليمن ، وكذا أطماع الاستعمار وإغراءاته ومكائده فكّر في البحث عن ملاذ آمن ، فوجد في الملك عبدالعزيز آل سعود الملاذ الآمن لنفسه ولأسرته ولدولته ، فبدأت اتصالاته بالملك عبدالعزيز منذ عام ١٣٢٨هـ حتى عام ١٣٣٧هـ، حيث أسفرت تلك الاتصالات عن معاهدة أبرمت بينهما في عام ١٣٣٨هـ ، نصّت على أن يكون الملك عبدالعزيز والإدريسي يداً واحدة على العدو [3] .

وبعد أن توفي الإدريسي سنة ١٣٤١هـ خلفه ابنه علي [4] ، ثم أخوه الحسن [5] . وفي عهد الحسن الإدريسي ازدادت القلاقل في المنطقة ، واشتدت الأطماع الخارجية فيها، مما اضطر الحسن إلى عقد معاهدة مع الملك عبدالعزيز آل سعود ، تم توقيعها في مكة المكرمة سنة ١٣٤٥هـ ، وتضمنت أحد عشر بنداً تعطي في مجملها الملك

(١) انظر : الديباج الخسرواني ، لعاكش ، تحقيق : البشري : ٣٨ – ٣٩ .
(٢) انظر : تاريخ المخلاف السليماني ، للعقيلي : ١/ ٥٢٤ – ٥٢٥ .
(٣) انظر: المصدر السابق : ٢/ ٩٠٣ ، وأضواء على تاريخ الجزيرة العربية ، للعقيلي : ٢٩ .
(٤) خلف علي بن محمد الإدريسي والده ، لكنه لم يدم طويلاً ؛ إذ خلع لضعفه . انظر : تاريخ المخلاف السليماني : ٢/ ٨٥٠ – ٨٥١ .
(٥) انظر : المصدر السابق : ٢/ ٩١٥ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

عبدالعزيز حق حماية الأراضي الإدريسية ، وحق التفاوض بشأنها مع أي طرف أجنبي مع بقاء الشؤون الداخلية فقط للحسن الإدريسي [1] .

وقد سدّت هذه المعاهدة المنافذ على الطامعين ، وفي مقدمتهم إمام اليمن والإيطاليين الذين بثّوا جواسيسهم على هيئة أطباء أو وكلاء للتجار .

ومضى كل واحد من المتعاهدين (الملك عبدالعزيز والحسن الإدريسي) في تنفيذ ما يخصّه من بنود المعاهدة ، ولكنّ القلاقل الداخلية ، وتناحر القبائل لم تتح للحسن الإدريسي أن ينجح في إدارة شؤون البلاد الداخلية ، مما اضطره إلى أن يبرق للملك عبدالعزيز في ١٧ من جمادى الثانية سنة ١٣٤٩هـ متنازلاً عن البلاد الإدريسية للملك عبدالعزيز بجميع شؤونها الداخلية والخارجية ، وفيها يقول : ((**كتب جلالتكم برفقة العبد لي وصلت ، وتذاكرنا مع وفدكم ، وتقرر بموافقتنا ورضانا إسناد إدارة البلاد ، ومواليتها إلى عهد جلالتكم**))[2] . ومنذ ذلك التاريخ أصبحت جازان جزءاً من المملكة العربية السعودية .

وبعد مضي أشهر معدودة على انضمامها إلى البلاد السعودية ، نقض الحسن الإدريسي العهد ، بعد أن عاوده الحنين إلى السلطة إثر تلقّي وعود المرجفين بالمساعدة والتحريض والتحريش ، فعبثت به الأيادي الخفية ممثلة في جواسيس الإيطاليين وإغراءاتهم ، وأراجيف إمام اليمن ، وتزيين بطانات السوء ، وإجلاب (حزب الأحرار) الذي اتخذ من اليمن مقراً له [3] . ولما لم تجد مساعي الملك عبدالعزيز السلمية

(١) انظر : الأدارسة في تهامة من عام ١٣٤١ – ١٣٤٧هـ للشيخ عبدالله العمودي ، تحقيق : عبدالله أبو داهش : ١٢٠ ، وأضواء على تاريخ الجزيرة العربية ، للعقيلي : ١٣٩ – ١٤٠ .

(٢) السماط الممدود في رباط المحبة والعهود ما بين الأدارسة وآل سعود ، لعلي السنوسي ، مجلة المنهل ، ح ٣ ، س : ٤٢ ، مج ٣٨ ربيع الأول ١٣٩٦هـ : ص ٢٠٩ وما بعدها ،ونشأة الأدب السعودي المعاصر ، د. عبدالله أبو داهش : ٢٨ .

(٣) جدائل الفل ، لمحات عن الشعر والشعراء في منطقة جازان ، لحجاب الحازمي : ٣٤ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

مع الحسن الإدريسي أرسل إليه الملك عبدالعزيز حملات تأديبية كبيرة للقضاء على ثورته ، وبالفعل فقد تمّ ذلك في آخر شهر شوال سنة ١٣٥١هـ[1] .

ومنذ ذلك التاريخ ومنطقة جازان تنعم بالأمن الوارف ، والرخاء العميم ، والتطور المتواصل ، وتسهم مع أخواتها المناطق الأخرى في تحقيق بناءٍ وحدوي كبير أعاد للجزيرة العربية شموخها وعزها وريادتها الحقيقية .

وقد تأثر الأدب بهذا الواقع الجديد ، وأعجب الأدباء بواقع السياسة السعودية التي انبسطت على بلادهم وغشيت أرجاء وطنهم ، حيث شهدوا مظاهر الأمن الوارف بعد الخوف والفتن والقلاقل ، وشهدوا الثقافة الجديدة الواعية بدلاً من مظاهر الانحراف الناشئ عن ملامح التصوف في العهد الإدريسي ، ناهيك عما ناله الأدباء من التشجيع والرعاية ، وكل ذلك أظهر الاستعداد الأدبي الفاعل لدى الأدباء ، فصدروا عن مشاركات فاعلة ، وإسهامات متميزة ، وحملوا واجب المواطنة الحقّة ، وشاركوا في البناء الاجتماعي والثقافي ، بإنتاجٍ فكري وافرٍ وثريٍّ كما سيأتي .

* *

(١) انظر تفصيل تلك الأحداث وما رافقها في تاريخ المخلاف السليماني ، للعقيلي : ٢/ ٩٦٢ – ١٠٣٤ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

ثالثاً- البيئة الاجتماعية :

كما تتميز منطقة جازان بإمكاناتها الطبيعية نجدها كذلك ذات إمكانات بشرية، فهي تتميز بكثافة سكانية عالية بالنسبة إلى مساحتها ، فقد بلغ عدد سكانها عام ١٣٩٤هـ حوالي ٤٠٨٣٣٤ نسمة ، وقد شهدت المنطقة خلال السنوات الماضية حركة هجرة سكانية إلى بقية مناطق المملكة ؛ وذلك بسبب البحث عن فرص العمل المتوافرة بالمراكز الحضرية الكبرى كالرياض وجدة والدمام ، ولكن لسبب توافر مشاريع التنمية التي تمّ توفيرها بالمنطقة سواء في البنية الأساسية أم في المجالات الأخرى ، فقد هبط معدل الهجرة من ٥ , ١ إلى أقل من ٨ , ٠ خلال السنوات الأخيرة ، مما أدى إلى ارتفاع عدد سكان المنطقة إلى ٥٧٨٠٠٠ عام ١٤١٣هـ ، وإلى مليون نسمة عام ١٤٢٠هـ [١].

فمنطقة جازان بهذا تستوعب نحو ٧٤ , ٥٪ من جملة سكان المملكة العربية السعودية، بينما تصل نسبة مسميات التجمعات السكانية بها إلى ٦٥ , ٢١ ٪ من جملتها بالمملكة ، وهو دليل على وفرة قراها ومراكز سكانها ، ويعد التجمع القبلي هو الأساس في التوزيع السكاني والتركيبة الاجتماعية [٢] . وتتركز أغلب القرى التي تتفاوت أحجامها حول الأودية الكبيرة ، ونشأت لذلك منها مدنٌ كبيرة مثل صبيا الواقعة على وادي صبيا ، وأبو عريش التي يمرّ بها وادي جازان ، وضمد الواقعة على وادي ضمد ، وبيش الواقعة على ضفاف وادي بيش الكبير ، وصامطة الواقعة على وادي ليّة .

وفي النصف الأول من القرن الرابع عشر الهجري كان الناس في منطقة جازان – كغيرهم من بيئات الجزيرة العربية الأخرى – يرون أن القبيلة هي المحضن الذي يأوي إليه الفرد ، ويحتمي بظله ، ومن ثمّ صارت القبيلة كالأسرة الواحدة ، ينشأ في وسطها الترابط والتراحم ، وقوة العلاقة بين أفرادها ، وما زال هذا الارتباط القبلي مستمراً ، إلا أنه زاد عليه ارتباط آخر أعلى منه ، وهو الارتباط بالكيان الكبير الذي

(١) انظر : جدائل الفل : ١١ .

(٢) انظر : دراسات في جغرافية المملكة العربية السعودية ، للدكتور عمر الفاروق السيد : ٦٧ – ٦٨ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

يجمع سائر القبائل ، وهو الوطن.

وكانت الأسرة في تلك الفترة تعمل في شكل من التكاتف ، وتوزيع العمل حتى كأنها خلية نحل ، كلٌّ يقوم بعمله على الوجه المطلوب ؛ إذ كان الرجل يعمل في حقله مزارعاً ، أو في البحر صياداً وغواصاً ، يتعامل مع البحر يبتغي منه رزقاً حلالاً ، أو تجده تاجراً قد وجد في الأسواق الكبيرة فرصة لتسويق سلعه ، ومنتجاته الريفية البدائية ، أو الزراعية . وكانت المرأة في الجانب الآخر خير مساعد له ، فلم يقتصر عملها على المنزل وشؤونه ، بل تجاوزه إلى المشاركة في زراعة الحقول ، فتراها نشطة تجلب الماء تارة ، وتحتطب تارة أخرى ، تقوم برعي الأغنام حيناً ، وحيناً آخر تحلب الأبقار ، وتصنع من حليبها السمن والزبد .

وقد صور كثير من الشعراء حال الرجل والمرأة في منطقة جازان في السنوات الأولى التي تلت توحيد المملكة إلى التسعينات الهجرية ، فالشاعر أحمد العطاس [1] صور في كثير من قصائده المعاناة التي كانت تلاقيها الأسرة في سبيل توفير الحياة الكريمة رغم الظروف القاسية، فيقول :

وكنتُ ببدوٍ لا حضارة عندنا ... وكان شظاف العيش ثاو بقريتي

وكان كفافاً في المعاش وأهلنا ... سعاة بكل الجهد من أجل لقمةِ

جزى الله آباءً كراماً رأيتهم ... يكدّون في كل الأمور بقوةِ

فللماء جلاّبٌ وللأرض حارثٌ ... وللزرع حصاد وحذاق حرفة [2]

(١) هو أحمد بن عبدالله باهادون العطاس من مواليد أبي عريش سنة ١٣٤٩هـ ، عمل في التدريس ، ثم بوزارة الصحة، وهو حالياً (١٤٢٠هـ) يعمل بوزارة الحج، وله إسهامات في كتابة القصة والمقالات الاجتماعية والشعر، ومن مؤلفاته : ديوانا شعر هما : من وحي التأملات ، وتغريد النُّهى ، ومجموعة قصصية بعنوان : (الحصاد) . انظر ترجمته في : التاريخ الأدبي لمنطقة جازان ، للعقيلي : ٢/ ١٢٩٩ ، وفرجة النظر ، للشعفي : ١/ ١٣٥ .

(٢) من وحي التأملات : ٣٥ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

والشاعر علي النعمي يصف مشاركة المرأة في عملية الحصاد بشكل مفصّل ، ومن ذلك قوله في قصيدة (فصل في كفاح فتاة) :

مـــلأت زنبيلهـــا بالعـــذَقِ في نهـــار مـــشبعٍ بـــالرهقِ
ومـــضت تحملـــه في نـــسوةٍ بـــين عـــذقٍ أحمـــرٍ أو يقـــقِ
لتؤديـــه إلى (المجـــران) يـــا حُـــسنها في لفتـــات العنـــقِ
ثـــم ودّتـــه وألقـــت مـــا بـــه مـــن عـــذوقٍ وانـــزوت في قلـــقِ (١)

ومثله قول حسين الكريري (٢) واصفاً مشاركة المرأة في أعمال الزراعة :

وارسل الطيف للحقـول وفيهـا قـد تـدلّت عـذوق شـهلا وحمـرا
والحـصاد ومـا بـه مـن جمـالٍ والـسطورُ تُمـدُّ سطـراً فـسطرا
والصـريبُ ، وقد خرجن حسانٌ للصـريب عضين حُسناً وظِفـرا (٣)

أمـا الأبنـاء فكـانوا يعملـون في الرعـي ، ويـساعدون – أيـضاً – في الزراعـة والحرث، وبعض شؤون المنزل ، إضافة إلى التحاقهم بحلقات العلم والتعليم ، وهـذه المشاركة كان ينشأ عنها بعض المعاناة ، إذ كانـت بعـض الأسر ترغـب في إلحـاق أبنائهـا بالتعليم في بدايات النهضة، وفي الوقت ذاته لا تستغني عن خدماتهم في شؤون الحـرث والرعي ، وأحياناً تضحي الأسرة بإحدى الرغبتين مـن أجـل تحقيـق الأخـرى ، بـل زاد الصـراع الأسري في هـذا الجانـب شـدة وحـدّة بعـد أن بـدأت الوظـائف الرسـمية التـي

(١) الأرض والعشق : ١٢٦ .

(٢) هـو حسين بـن جبران الكريـري مـن مواليـد قريـة قـزع عـام ١٣٦٦هـ ، نـشأ في قريتـه ، ثـم درس في مدارس الشيخ عبدالله القرعاوي ، ثم التحق بالعمل العسكري ، ويمتـاز بـشاعرية متدفقـة ، غـير أنّ إكثاره من الـشعر الـشعبي قـد أضرّ بـشعره الفـصيح ، ولـه دواويـن عـدّة ، منهـا : (مجـالس الأنـس) ، و (نفحات مـن عبـير الـذكريات) ، و (عـزف عـلى أوتـار الحـب) ، و (دمـوع لا يمـسحها الـزمن) ، و (زورق الشوق) ،وله بعض المسرحيات والأوبريتات الوطنيـة . انظر ترجمته في : شـعراء العصـر الحديث في جزيرة العرب ، لعبدالكريم الحقيل : ١/ ٢٤٧ ، وفرجة النظر، للشعفي : ١/ ٢٥٢ .

(٣) عزف على أوتار الحب : ٨١ . والـحُسنُ والظفر نوعان من الطّيب تزين به النساء رؤوسهن .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وفّرتها الدولة السعودية للمواطنين تغري بمميزاتها وما فيها من تطور وتقدم ؛ إذ حلّ صراع بين التعليم والوظيفة ، وقد صوّره الشاعر محمد بن علي السنوسي بقوله على لسان طالب يخاطب والده :

دعني أواصل تعليمي وتثقيفي يا والدي أنا لا أرضى بتوظيفي
ما زال عودي طريًّاً يا أبي وأنا في ميعة العمر لا أعني بتكليفِ[1]

ومن أهم الحرف التي يزاولها أبناء جازان حرفة الزراعة ، إذ تعدّ منطقة جازان من أخصب المناطق الزراعية ليس فقط في المملكة العربية السعودية ، بل في الوطن العربي ، فتقدر الأراضي الصالحة للزراعة ما يقارب ١٩٧٠٠٠ هكتار ، منها حوالي ١١٠٠٠٠ هكتار تستخدم للفلاحة الجافة ، و ٨٧٠٠٠ هكتار أراضي مروية ، تغذيها وديان المنطقة ذات المياه الوفيرة [2] ، ولذا فالتربة فيها أخصب حيث تزيد نسبة الطمي والطين قرب سفوح الجبال ، ومن أجل المحافظة عليها قام الأهالي في القديم والحديث بإنشاء السدود الترابية المؤقتة ، التي تعمل على تحويل جزء من مياه الأودية ، بحيث تغمر مساحات معينة من الأراضي الزراعية ، ثم تحول المياه إلى أرضٍ أخرى ، وهكذا . وساعد على قيام زراعة واسعة في المنطقة وجود الأيدي البشرية العاملة ذات المهارة الزراعية الفائقة . وكان سكان المنطقة يهتمون بالزراعة ومعرفة مواسم الزرع ، وأوقات هطول الأمطار وما يرافقها من بدايات جادة لموسمٍ مثمر ، وممن صوروا هذا الاهتمام الشاعر علي النعمي في إحدى لوحاته الريفية المتكاملة ، إذ يقول راسماً مشهداً اجتماعياً مألوفاً في بيئته المحلية :

وإذا ما أتى الخريف بالطُرّة الخضـ ـرا تعيش الحقول في مهرجانِ
تتباهى بثوبها الأخضر الزا هي بكل الكثبان والوديانِ

(١) الأعمال الكاملة : ٣٦٦ .
(٢) جدائل الفل : ١١ – ١٢ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

وتجيـئ الـسيول في إثـر الأمـ ـطار دفاقـة بحلـو الأمـاني
يحمـل (المسحة) الحبيبـة فـلا ح، ويجري نحو (الرداح)[1] وثان
أقبـل الـسيل يـا صحـاب فهيَّـا لـ(نساقي)[2] البلاد قبل (الروان)[3]
عينـوا (الشباق) [4] كي يحرسوه مـن أذى معتـدٍ ، وفتكـة جـانِ
بعـض فتيانكـم فـإن بلـغ المـا ء مـداه فكّـوه للجـيران
وسـرت قريـتي وقد عسعس الـ ـليل تحيـي مواكـب الفتيـان
الأمـاني مزروعـة فـي حنايـا هـم وبالـشكر بـاح كـل جنـان
رفعـوا للسما الأكف ابتهاجـاً وثنـاءً للمنعـم الرحمـن
أقبلـوا فالثيـاب مـاءٌ وطـينٌ وخطـوط الإعيـا عـلى الأبـدان
يتلقاهـمُ نـساء وأطفـا ل لإهدائهـم أحـرّ التهانـي
(غرقت روسكم)[6] وجاء الصبايا قـائلات : (العـزم يـا شبّـاني)[5]
والنقيق الموصول من ضفدع الما ء يهـزّ الدجـى بكـل افتنـان [7]

وعـلى الـرغم مـن سيادة الأسـلوب الزراعـي التقليـدي لـدى معظـم مزارعـي المنطقة، وبخاصة الذين يعتمدون على مياه السيول ، فإنّ هناك جهوداً زراعية من أجـل تنميـة العمـل الزراعـي في الوقـت الحـاضر وتطـويره ، لا سـيما بعـد فـترة الثمانينـات

(١) الرداح : جمع ردحة ، قطعة الأرض الزراعية المسورة من جميع الجهات .
(٢) نساقي : المساقاة هي جلب الماء من منافذه لري الأرض .
(٣) الرُّوان : واحدتها رونة ، وهي أقل زراعة من الأرض الطينية .
(٤) الشباق : سدٌّ ترابي يضعه المزارع في مجرى الماء لري أرضه ، فإذا ما ارتوت فتحه الآخرون لري أرضهم، وهكذا .
(٥) العزم يا شبّاني : تركيب يستعمل لحفز الهمم تماماً كقولنا : (القوة يا ر جال) .
(٦) غرقت روسكم : جملة يطلقها الأهالي عادة على من ارتوت أرضه بالماء .
(٧) الأرض والعشق : ١١٢ – ١١٣ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

والتسعينات الهجرية التي هجر فيها كثير من المزارعين مزارعهم ، وانصرفوا نحو الأعمال التجارية والوظائف الحكومية، وعندها تحرّك بعض الغيورين منادين بالعودة إلى الاهتمام بأهم المصادر الاقتصادية وعدم التفريط فيه ، ودعا أولئك الغيورون أيضاً إلى زيادة الاهتمام بالمنطقة كمصدر للأمن الغذائي الوطني ؛ لما فيها من مقومات زراعية هائلة ، ومن هؤلاء الشاعر محمد السنوسي الذي يقول في قصيدة (نايف في جازان) :

رفعت نحوك البلاد مناها ... واشرأبت هاماتها والسوالف
إن جازان سلة الخبز مازا ... لت تعاني عوائقاً وصوارف
قيدت خطوها وشلت قواها ... فهي ظمأى وأنت كالغيث واكف
فلماذا جازان يبدو محيا ... ها كئيباً وثغرها الحلو كاسف؟
وهي أم الحقول والزرع والضر ... ع وبنت السيول طامٍ وجارف [1]

وبالفعل فقد أثمرت تلك النداءات ، فبدأت المشروعات الحكومية الضخمة ، ولقي المزارعون كل عونٍ ودعم للعودة على مزارعهم ، فأنشئ (مشروع التنمية الزراعية بوادي جازان) ، وقد بدأ الاهتمام بموضوع تنمية وادي جازان عام ١٣٧٤هـ / ١٩٥٣م عندما قام فريق من الخبراء بإعداد التقارير والدراسات التي أكدت أنَّه من أفضل الأماكن الزراعية في المملكة ، وتمخضت تلك الدراسات عن إقامة سدّ على وادي جازان ، ومحطة أبحاث زراعية . ويعد سدّ وادي جازان الذي بني على ذلك الوادي الواسع من أكبر السدود في المملكة ، إذ تبلغ سعته التخزينية حوالي ٧١ مليون متر مكعب ، وتستخدم مياهه في ري ما يقارب ٦٠٠٠ هكتار ، وتوصلت الأبحاث الزراعية إلى صلاحية تلك المناطق الزراعية التي يرويها السد لزراعة الفول السوداني والقطن والذرة والأرز ، وكذلك أشجار الفاكهة مثل الباباي والمانجو والجوافة والتين

(١) الأعمال الكاملة : ٧١٢ – ٧١٣ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

والأناناس والموز والقشطة وسائر الحمضيات والخضروات[1] ، ومنه تؤخذ الشتلات لتزرع في كثير من أرجاء منطقة جازان ، وفي ذلك يقول الشاعر إبراهيم الشعبي[2]:

وسدّ جازان مرصوص بلا تعب مشاتلاً كل شبر من أراضيه

يا فيصل الخير ضاعف بذل مؤنته فسلة الخبز قالوا عن روابيه[3]

وأنشئت في المنطقة مشاريع زراعية أخرى ، مثل محطة التجارب بمنطقة فيفا ضمن الهيئة الملكية التي أنشئت سنة ١٣٩٨هـ / ١٩٧٨م لتطوير فيفا وتنميتها ، وأنشئ البنك الزراعي لتقديم القروض والإرشادات الزراعية والإعانات المختلفة ، وقد بلغت القروض التي قدمها البنك للمزارعين في جازان (٧٨٨٥) قرضاً ، وأنشئت مديرية للزراعة والمياه سنة ١٣٩٧ هـ ، وكانت قبل ذلك تعرف بالوحدة الزراعية التي أنشئت سنة ١٣٧٣ هـ، وأنشئت مؤخراً شركة زراعية كبيرة سميت بـ (شركة جازان للتنمية الزراعية (جازادكو)) الهدف منها استصلاح الأراضي الزراعية ، وتسويق المنتجات الزراعية والحيوانية [4].

وبعد أن أقيمت هذه المشاريع العملاقة ولقي المزارعون كل تكريم وعون ودعم لم تعد الأراضي عبئاً ثقيلاً ، ولم تلبس ثياب الهوان ، ذلك الذي لقيته من قبل ، كما قال علي النعمي :

حسبي الله مالهذي الأراضي لبست بالأسى ثياب الهوان

---

(١) انظر : دراسات في جغرافية المملكة العربية السعودية ،للدكتور : عمر الفاروق السيد رجب : ٦٨ .

(٢) هو إبراهيم بن حسن الشعبي ، ولد بصامطة سنة ١٣٥٧هـ ، تخرج في كلية الشريعة بالرياض سنة ١٣٨٣هـ، وعمل في التعليم ، ثم في وزارة الشؤون البلدية والقروية رئيساً لبلدية صامطة ، شاعر متميز ، لكنه مقلٌّ ، وشعره – إلى الآن ١٤٠٨هـ – مخطوط لم يطبع ، وهو جدير بالطبع . انظر ترجمته في: التاريخ الأدبي لمنطقة جازان ، للعقيلي ، ٣/ ١٣٨٩ ، وفرجة النظر ، ١/ ٤٢ ، والشيخ حافظ بن أحمد الحكمي حياته ومنهجه في تقرير العقيدة ونشرها في منطقة الجنوب ، لأحمد بن علي علوش مدخلي : ٨٩ – ٩١ .

(٣) التاريخ الأدبي لمنطقة جازان ، للعقيلي : ٣/ ١٧٧٣ .

(٤) جدائل الفل : ١٤ – ١٥ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

حين عادت عبئاً ثقيلاً تلقتـ ـها نفوس بالصدّ والنكران
وجدت من بدائل العيش أنوا عاً سواها قليلة الخسران [1]

ويلي الزراعة في الأهمية الرعي وتربية المواشي كالأغنام والماعز والبقر والإبل التي تجد من مراعي تهامة الخضراء الكثيفة ، وسهولها الخصبة خير مرتع لها ترتع فيه ، ويهتم بعض المزارعين بتربية النحل وبناء المناحل التي يستخرج منها العسل الجيد ، لاسيما عسل السدر ، ويشتغل كثير من أهالي فرسان بصيد الأسماك واستخراج اللؤلؤ [2].

وكانت الحياة القاسية تلقي بظلالها على أهالي منطقة جازان في الماضي كغيرهم من أبناء الجزيرة العربية في مصادر أقواتهم ، حيث كان قوتُهم في جازان الذرة والدخن، واللّبن، وقليل من الخضروات ، ويكفي الشخص ليوصف بسعة العيش ورغده أن يملك مطعماً يتكون من دخن وسمسمٍ وسمنٍ ولبن وشيء من لحمٍ يسير . ويلحظ أن كل تلك الأصناف هي من إنتاج مزارعهم ، ومن نتاج دوابهم ، ولهذا نجد أحد شعراء جازان في القرن الثالث عشر يشير إلى طعام بعض علية القوم الذي يأكلونه في مناسباتهم ، وهو محمد بن ناصر الحازمي في قوله :

ما شئت من لطف فيها ومن تحف ومن لطائف علمٍ يانع الثمر
ومن خضير[4] ومن سمنٍ ومن لبنٍ واللحم سيدها في البدو والحضر [3]

وأما في العصر الحاضر فقد تشابهت الوجبات في الجزيرة العربية من حيث مادتها وطرق إعدادها ، وأصبح الأرز واللحم والخبز غذاء رئيساً في وجبات الأغلبية من سكان الجزيرة العربية .

(١) الأرض والعشق : ١١٩ .
(٢) انظر : احمرار الصمت ، لإبراهيم مفتاح : ٧٦ – ٧٩ ، حيث وصف أعمال الصيد لدى الفرسانيين وطقوسه .
(٣) انظر : مجموع العمودي – مخطوط – ق ٧ ، نقلاً عن حياة الأدب التهامي في ظلال المتنزهات الريفية ، للدكتور : عبدالله أبو داهش ، الدارة ، ع ٤ ، السنة الخامسة عشرة : ١٢٤ .
(٤) الخضير : هو حبُّ الذّرة قبل أن ييبس ويصلب ، فإنه يعدُّ من أشهى المأكولات الريفية .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

أما المساكن التي كانت تتكون منها مدن منطقة جازان في الماضي وإلى عهدٍ قريب ، فقد كانت متكيفة مع بيئة المنطقة المناخية ، والإمكانات البدائية المتاحة والمتواضعة ، سواء في شكل المبنى ، أم مواده وأثاثه .

فكانوا يبنون مساكنهم بخشب الأراك ، وأغصان الأثل ، ثم يغطونها بعد ذلك بحزم الحشيش تغطية جيدة ، وبعد ذلك يطلونها من الداخل بروث البقر والإبل المخلوط بالطين ، حتى إذا صارت من الداخل ملتبدة وضعوا لها الكلس ، فتصبح من الداخل قاسية كالحجارة، وبعد أن تجف يتفنّن بعض القوم في تزيينها من الداخل ؛ فبعضهم يكسوها بأصداف اللؤلؤ ، والبعض يزخرفها بشتى أنواع الزخارف والألوان ثم ينصب على ذلك البناء (العشة) عمود صغير ، بعضهم يجلّله بهلال صغير ، ويخصص أكثر الناس عشتين ، إحداهما للرجال وأخرى للنساء [1] . وبعض الأغنياء يبنون بيوتهم من الحجارة ، وتحيط بتلك المنازل أسوار من القصب والحشائش تسمى (زروباً) أو (سُجفاً) ، كما جاء في وصف الشاعر أحمد العطاس لتلك الدور بقوله :

يقيمون أكواخاً ويبنون عشة لسكناهم والقادرون لحجرةِ
محوطة بالقش سجفاً سميكة ومن حجرٍ إن كان من أهل قدرةِ [2]

أما في الوقت الحاضر ولاسيما بعد السبعينات من القرن الرابع عشر الهجري ، فقد تغيّرت معالم المساكن ، وانتقل الناس من ذلك الحال إلى البنايات الاسمنتية ، والعمارات المتوازية ذات الأدوار المتعددة ، والفلل ذات الأشكال البديعة والمنسقة .

وكذا الحال في اللباس الذي كان يلبسه الناس ، فإنَّه في الماضي كان يلبس أبناء منطقة جازان ملابس ملائمة للأجواء المناخية ذات الرطوبة العالية ، فيلبس عامة

(١) انظر : اكتشاف جزيرة العرب ، خمسة قرون من المغامرة والعلم ، لجاكلين بيرين ، ترجمة : قدري قلعجي : ٢٦٨ – ٢٦٩ .
(٢) من وحي التأملات : ٣٥ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الناس ((**مئزراً من الخام المثلوث ، محظي أو مكتّل في المدن والقرى ، ومصبوغاً في البادية ، وهو المسمى (مُصلَّب)، ومن كان ذا سعةٍ في الحال فإنه يلبس عليه صداراً من الدبيت الأسود أو البفتة ، وكذلك كان يصنع كبار السن . أما الشباب فإنهم كانوا يسدلون شعورهم إلى مناكبهم ، ويلبس الشيوخ – أحياناً – كوفية من الخيزران تلفُّ بعمامة سوداء ، والغالب على الجميع أن يتمنطقوا بخنجرٍ طويل مُحلَّى بالجواهر يُسمّى (جنبيه)** ...))[1] ، ويلبس كبار السن – أيضاً ورؤساء العشائر والأثرياء قميصاً طويلاً تحته مئزر من البفتة ، وعمامة على الرأس ، ورداء ثخيناً يسمى (اللحاف)[2] . أما النساء فإنهنّ يرتدين ثياباً لا أكمام لها ، ولكنها واسعة الأردان ، وبعضها مصبوغ بالنيل[3] .

وفي منتصف القرن الرابع عشر الهجري – بعد توحيد المملكة العربية السعودية – أصبح الزي في المملكة متماثلاً ، إذ يلبس الناس ثوباً طويلاً وغترة وشماغاً ، وبعضهم يضع فوقهما عقالاً ، ومنهم من يلبس العباءة (المشلح) ، وأغلبهم لا يستخدمها إلاّ في المناسبات[4] .

ولما كانت منطقة جازان منذ قرون ممراً لقوافل الحجاج عبر طرقها البرية ، وموانئها الساحلية ؛ ولوجود الاتصال التجاري مع البلاد المجاورة ، وخاصة بلاد اليمن وإفريقيا والهند وعُمان ؛ ولوجود عددٍ كبير من الهنود يستوطنون بلاد المخلاف السليماني في شكل تجار ، وهم من كانوا يسمّون قديماً بـ(البانيان) ، كل ذلك وغيره جعل المنطقة عرضة لوجود مؤثرات غير عربية أصابت اللغة بشيء من التحريف ، وإلاّ فهي عربية في أصولها ، سليمة في مبانيها وجذورها ، حتى عُدّت اللهجة الممتدة من

(١) الأدب الشعبي في الجنوب ، للعقيلي : ١/ ٣٧ .
(٢) انظر : المصدر السابق : ١/ ٣٨ ، واكتشاف جزيرة العرب ، لجاكلين بيرين : ٢٦٩ .
(٣) انظر : الأدب الشعبي في الجنوب : ١/ ٣٨ ، والحياة الفكرية والأدبية في جنوبي البلاد السعودية ، د. عبدالله أبو داهش : ٢٧ .
(٤) انظر : والدي السيد علي السنوسي ، لمحمد بن علي السنوسي ، مجلة المنهل ، ح ١٢ ، مج ٢٩ ، ذو الحجة ١٣٨٨هـ ، ص ١٧٠٦ ، ومحمد بن علي السنوسي حياته وشعره ، لمحمد القسومي – رسالة ماجستير غير منشورة – : ٢٢ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

اليمن في الجنوب حتى الحجاز في الشمال من أفصح اللهجات ، بل إنّه إلى عهد قريب وبعض أبناء المنطقة لا يتكلمون سوى اللغة العربية الفصحى في كل أحوالهم [1]، ومنهم الشاعر علي السنوسي[2]، الذي كان يتكلم الفصحى في حديثه العادي والجاد ، وفي مجالسه الخاصة والرسمية[3].

فمن مظاهر ذلك التأثر اللغوي بالبيئات المجاورة شيوع لهجات في حديث العامة من أشهرها (طمطمانية حمير) التي يستخدم فيها لفظ (أم) بدلاً من (أل) التعريف ، وبعضهم يقلبون النون راءً في ابن ، فيقولون : (ابرمحمد) أي ابن محمد ، وقد تقلب الجيم ياءً في كلمات عديدة مثل المسجد ، يقال له : (المسيد) ، والفعل المضارع يُبدأ بحرف الشين ، فيقال : (شفعل) و (شنام) بدلاً من سأفعل وسأنام [4].

أما أهل المناطق الجبلية فإنهم يستخدمون لهجة خاصة بهم ، يتحدثونها فيما بينهم، وإذا تكلّموا لا تكاد تفهم منها شيئا ، بينما لو تحدثّوا معك – وأنت غريب عنهم

(١) انظر : قلب جزيرة العرب ، لفؤاد حمزة : ١٠٧ ، ومعجم اللهجة المحلية لمنطقة جازان ، لمحمد أحمد العقيلي: ٩ – ١٠ ، وفيه شواهد تاريخية على سلامة تلك اللهجات ، وتمسك أهل منطقة جازان باللغة الأم .

(٢) هو علي بن محمد بن يوسف السنوسي ، يتصل بالأسرة السنوسية في المغرب ، ولد بمكة سنة ١٣١٥هـ، رحل إلى جازان بعد ثورة الإدريسي ، وتولى القضاء بجازان في العهد الإدريسي ، ثم في العهد السعودي ، توفي سنة ١٣٦٣هـ ، كان صاحب مواهب متعددة ، فهو خطيب مفوه ، وشاعر متميز في زمانه ، ضاهى فحول الشعراء آنذاك ، أكثر مدائحه في الملك عبدالعزيز آل سعود ، وله أثر كبير في شاعرية ولده محمد السنوسي ، ترجم له أكثر مؤرخي الأدب السعودي الحديث . انظر تفصيل حياته في: المفقود من شعر علي بن محمد السنوسي ، للدكتور عبدالله أبو داهش ، والتاريخ الأدبي لمنطقة جازان، للعقيلي : ٢ / ١٠٠٤ ، ومن شعراء الجنوب (علي بن محمد السنوسي) ، للدكتور : محمد بن سعد بن حسين ، مجلة الحرس الوطني ، ع ٥٠ ، ربيع الآخر ، ١٤٠٧هـ .

(٣) انظر : والدي السيد على السنوسي ، لمحمد السنوسي ، مجلة المنهل ، ح١٢ ، مح٢٩ ، ذو الحجة ١٣٨٨هـ : ١٧٠٦ .

(٤) انظر : في ربوع عسير ، لمحمد عمر رفيع : ١٣٥ – ١٣٦ ، ومعجم اللهجة المحلية لمنطقة جازان ، لمحمد بن أحمد العقيلي : ٩١ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

– فإنك تجدهم من أفصح الناس لهجة ، وأبينهم لغة ومنطقا .

وعندما تتحدث مع أي شخصٍ في منطقة جازان ، فإنك ستعرف مباشرة عن طريق لهجته من أي جهة هو ، أهو تهامي أم جبلي ، أهو شمالي أم جنوبي ، وأتاح ذلك للسامع في معظم الأحوال معرفة القبيلة التي ينتمي إليها المتكلم[1].

أما الجانب الاقتصادي في منطقة جازان قبل العهد السعودي ، فقد كان من أهم روافده الأسواق الأسبوعية الكبيرة ، إذ كانت مكاناً للتداول التجاري ، ومنطلقاً للتجارة مع البلدان المجاورة .

وكان لكل جهة من بلاد المنطقة سوق يخصّها ، ومن ثم توزعت أيام الأسبوع على أسواق مختلفة اشتهرت بيومها الذي تعقد فيه ، وقد عُدَّ سوق (الثلاثاء) بصبيا من أكبر الأسواق في منطقة جازان ، يليه سوق (الأربعاء) في أبي عريش ، وسوق (الأحد) في أحد المسارحة [2] . وعند ما يقترب موعد السوق تجد الأهالي يتجهون إليه بقوافلهم ومعروضاتهم طلباً للسبق إلى المكان المناسب الذي يهيء لهم فرصة بيع وشراء أفضل ، إذ تجلب إلى السوق البضائع المحلية والمستوردة ، ويظلّ السوق منتظماً في حركة وضجيج وأخذٍ وعطاء من شروق الشمس إلى غروبها . أضف إلى ذلك ماكان يمثله السوق من مكان لإعلان الثارات ، وفيه تعلن أوامر الحكومة ، وتنفذ الأحكام الشرعية ، وتعقد المنافسات الأدبية والمطارحات الشعرية المختلفة [3] .

وكان السكان – بدواً وحضراً – يعرضون منتوجاتهم وصناعاتهم في تلك الأسواق ، فيجلب البدو إلى تلك الأسواق الإبل والبقر والغنم ، وما تنتجه تلك الحيوانات من سمنٍ ولبنٍ، بالإضافة إلى الجلود التي كانوا يدبغونها .

(١) انظر : الحياة الفكرية والأدبية في جنوبي البلاد السعودية ، د. عبدالله أبوداهش : ٣٦ .

(٢) أحد المسارحة : على اسم اليوم المعروف من أيام الأسبوع ، سوق معروف في بلاد المسارحة غرب قرية الميزاب، والآن مع اتساع العمران أصبح ذلك السوق داخل البلدة ، التي لم تعد قرية ، وإنما أصبحت محافظة كبيرة .

(٣) انظر : الأدب الشعبي في الجنوب ، لمحمد العقيلي : ١/ ٢٠٥ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

أمّا أهل الحواضر فإنهم يجلبون إلى تلك الأسواق ما يصنعونه من أدوات فخارية ، وأوانٍ حجرية ، وآلات حرثٍ وريّ وزيت سمسم وبسطٍ وحصرٍ وسلالٍ ومقاعد وكراسي مصنوعة من سعف أشجار الدوم ، وغيرها .

وتعد الموانئ الرافد الثاني من روافد الاقتصاد في حياة سكان منطقة جازان ، فقد شهرت موانيء جازان والبرك[1] والشقيق[2] والجعافرة[3] والمضايا[4] والموسم[5] حركة تجارية واقتصادية واسعة النطاق في نقل واستيراد البضائع والمنتجات .

أما في العهد السعودي فقد انتعش الاقتصاد ، فكبرت الأسواق ، وتطورت تلك الموانئ ، وكان لوصول السرايا والقوات السعودية إلى المنطقة أثر كبير في ذلك الانتعاش ؛ لأن عائدات رواتبهم ومصاريف إعاشتهم كانت تتحول إلى سيولة في السوق تُطلب بها البضائع ، وتعود على خزينة الدولة برسومات تغذي الاقتصاد ، وتنمّي الحركة التجارية .

وفي ذلك الوقت – وقبله – كان لجنوب الجزيرة علاقاته التجارية والاقتصادية بميناء (عدن) الكبير إبّان الاستعمار البريطاني لعدن ، إذ كانت تصدر منتوجات المنطقة إلى ذلك الميناء ومنه تنطلق إلى بلاد الهند والموانئ الإفريقية . وبانضمام المنطقة إلى الدولة السعودية أصبحت البضائع تستورد من عدن ،وتصدر إلى عسير وجهاتها انطلاقاً من

(١) البرك : بلدة على ساحل البحر الأحمر ، ناحية بلاد رجال ألمع ، وفيها مرسى للسفن . انظر : صفة جزيرة العرب، للهمداني : ٣٢٩ – ٣٦٧ .

(٢) الشقيق : بلدة تقع على ساحل البحر الأحمر في شمال جازان ، تبعد عنها حوالي ١٥٠ كيلاً . انظر : المعجم الجغرافي لمقاطعة جازان ، للعقيلي : ٢٣١ .

(٣) الجعافرة : ساحل سمّي باسم القبائل الساكنة حوله ، ويقع الساحل غرب صبيا . انظر : نفح العود ، للبهكلي ، تحقيق العقيلي : ١٢٧ – ١٢٨ .

(٤) المضايا : بلدة على ساحل البحر الأحمر جنوب جازان ، تتمركز بها قبيلة آل الحكمي . انظر : المعجم الجغرافي لمقاطعة جازان ، للعقيلي : ٣٩١ .

(٥) الموسّم : بلدة تقع على ساحل البحر الأحمر جنوب جازان ، بها مركز حدودي مهم بين المملكة واليمن . انظر : المصدر السابق : ٤٠٢ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

جازان وموانئها وممراتها البرية ، مما أنعش الاقتصاد وقوّاه ، وجعل للمنطقة عمقاً أمنياً واقتصادياً كبيراً ، وبعداً استراتيجياً مهماً في الوصل بين الجنوب والشمال .

يضاف إلى ذلك الروافد الاقتصادية الجديدة ، كالأمن الوارف ، والاستقرار ، والتنظيم الإداري الجيد ، وفتح الطرق البرية وتعبيدها ، وإنشاء المطار الإقليمي ، وتخصيص الإعانات الحكومية ، ورصد الميزانيات الضخمة للبناء والتعمير والتحديث في المجالات الحياتية كافة .

وكان لافتتاح المؤسسات والإمارات والدوائر الحكومية والمحاكم والمستشفيات والمدارس وغيرها الأثر الكبير في إحداث الوظائف الكثيرة ذات المقررات والمخصصات المالية التي شغّلت كثيراً من الأيدي العاملة العاطلة [1] .

إنّ تلك الحركة الاقتصادية كانت رافداً للرخاء المعيشي والمادي الذي أثر في الحركة الأدبية الناشئة ، وأتاح لها الاطلاع على أخبار الأدب في الحجاز والشام ومصر عن طريق ما يصل من صحفٍ ومجلات وكتب ، وهيأ ذلك الرخاء الاقتصادي – أيضاً– شيئاً من الفراغ لدى بعض الشباب شغلوه بالمطالعة والإنتاج الأدبي الوافر فيما بعد .

***

(١) انظر : التاريخ الأدبي لمنطقة جازان ، للعقيلي : ٢/ ٩٧٥ – ٩٧٧ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

رابعاً – البيئة الثقافية :

شهدت منطقة جازان حركة ثقافية نشطة في القرون الماضية ، لا سيما في القرن الثالث عشر الهجري ، الذي يعد من أحفل القرون وأزخرها نشاطاً فكرياً في منطقة ما كان يسمى بـ(المخلاف السليماني) . وقد هيأ لذلك أمور عديدة ، منها قرب المنطقة من بعض مراكز الفكر في تلك الفترة كالحجاز واليمن ، فقد جعل ذلك القرب الصلات تتعدد بين علماء المنطقة وعلماء تلك المراكز الفكرية ، إضافة إلى ذلك تشجيع (آل خيرات) حكّام المنطقة في تلك الفترة العلماء والكتاب والشعراء ، فكان دافعاً لهم على الحركة الدائبة والتجديد والإبداع .

وكان من جراء ذلك أن نشأت حواضر علمية في المنطقة مليئة بالعلماء والأدباء كأبي عريش وصبيا وضمد ، نبغ فيها علماء ، بل أسرٌ كانت تخرّج تباعاً العلماء تلو العلماء، كآل السبعي، وآل البهكلي ، وآل النعمي ، وآل الحكمي ، وآل شافع ، وآل الحازمي ، وآل ابن عمر (آل عاكش) ، وآل المعافا ، وآل الأسدي ، وغيرها من الأسر المشهورة [1] التي يوجد لها الآن تراثٌ علمي مخطوط ينبي عن يقظة في التأليف ، وعمق في التفكير في شتى الفنون وسائر العلوم [2] .

ولما ظهرت الدعوة السلفية التي نهض بها الإمام المجدد الشيخ محمد بن عبدالوهاب – رحمه الله – كان لها الأثر الكبير في انتعاش الفكر ، واتساع ميادين الثقافة، لا سيما في مجال التأليف والتعليم والحسبة والقضاء .

(١) انظر تراجم هذه الأسر وشيئاً من تاريخها وسير علمائها في : أضواء على الأدب والأدباء في منطقة جازان ، لمحمد أحمد العقيلي : ١/ ٨٥ – ١٤٠ ، ونبذة تاريخية عن التعليم في تهامة وعسير ، لحجاب الحازمي : مواضع متفرقة ، وكشف النقاب عن نبذة حجاب ، لأحمد بن عبدالله الحازمي ، مواضع متفرقة ، والحسن بن أحمد عاكش الضمدي حياته وشعره ، وتحقيق ديوانه ، لحسن بن أحمد النعمي : ٤٩ – ٥٠ .

(٢) توجد تلك المؤلفات في مكتبات كثيرة منها : مكتبة الجامع الكبير بصنعاء ، ومكتبة محمد بن أحمد العقيلي المهداة إلى جامعة الملك سعود بالرياض ، ومكتبة آل عاكش بضمد ، ومكتبة عبدالكريم بن مساعد بقرية الزرقاء شمال ضمد ، ومكتبة علي أبي زيد الحازمي ، بضمد ، وتوجد بعض المؤلفات بحوزة أفراد من تلك الأسر في صبيا وأبي عريش وضمد والعالية وغيرها .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

فقد ظهر كثير من المؤلفين ينافحون عن الدعوة ، وينشرون مبادئها كالحسن بن خالد الحازمي [1] ، ومن بعده جاء محمد بن ناصر الحازمي (١٢٨٨هـ) [2] ، والحسن بن أحمد عاكش (١٢٩٠هـ) [3] ، وغيرهم .

وعرضوا أيضاً لأخبار الدعوة من خلال رصد أحداث العصر في مؤلفاتهم التاريخية ، وكان حديثهم عنها وعن رجالها يتضمن العدل والإنصاف . كما كان للدعوة أثر كبير في التعليم والتلاقح الفكري بين أبناء المخلاف السليماني وأبناء نجد ، إذ رحل عدد من طلبة العلم من المنطقة إلى الدرعية للأخذ عن علمائها ، ومن هؤلاء الراحلين عرار بن شار وأحمد الفلقي [4] .

وكان علماء المنطقة في تلك الفترة على اتصال دائم بعلماء مصر والهند والحرمين الشريفين واليمن وعسير والعراق ، وكانوا يستقبلون العلماء الوافدين عليهم من مختلف المراكز الفكرية سالفة الذكر ، وكثيراً ما كانوا يراسلونهم ، ومن هؤلاء العلماء الذين أكثروا من المراسلة أحمد بن عبدالله الضمدي ، والوزير الحسن بن خالد الحازمي ، والحسن عاكش ، وعبدالرحمن البهكلي ، وغيرهم [5] .

---

(١) من مؤلفات الحسن بن خالد الحازمي في مبادئ الدعوة السلفية : (قوت القلوب في توحيد علاّم الغيوب) ، و(رسالة في وجوب هدم المشاهد والأضرحة والقباب) ، وغيرهما . انظر : عقود الدرر ، للحسن عاكش – مخطوط – (ع) ق ٣٦ ، وحدائق الزهر ، للحسن عاكش ، تحقيق الدكتور : إسماعيل البشري : ٦٣ .

(٢) من مؤلفات محمد بن ناصر الحازمي في التوحيد : (كتاب الصفات) ، و (إيقاظ الوسنان) ، وغيرهما . انظر : عقود الدرر ، للحسن عاكش – مخطوط – (ص) ق ١٨٢ / أ – ١٨٣ / ب ، وهدية العارفين ، للبغدادي ، ٢/ ٣٧٨ ، ومعجم المؤلفين ، لكحالة : ١٢/ ٧٢ .

(٣) من مؤلفات عاكش في هذا الجانب : (إيضاح الدلائل بجواب الست المسائل) ، و(جواهر القلائد في العقائد)، و (حكم تكفير المعين) ، و(الفوائد الجليلة في حكم الوسيلة) . انظر : الحسن بن عاكش الضمدي ، حياته وشعره وتحقيق ديوانه ، لحسن النعمي .

(٤) انظر : أثر دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب في الفكر والأدب ، للدكتور : عبدالله أبو داهش : ١٤٢ – ١٥٢ .

(٥) انظر مراسلات هؤلاء العلماء في : عقود الدرر ، لعاكش – مخطوط – (ص) ق ٦٣/ أ ، وحدائق الزهر ، لعاكش ، تحقيق الدكتور : إسماعيل البشري : ٦٩ ، والديباج الخسرواني ، لعاكش ، القسم المحقق – رسالة دكتوراه – : ٢٤ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

ولعل من أهم أسباب النهضة العلمية والفكرية في تلك الفترة هوما ظفرت به منطقة جازان (بلاد المخلاف) من أمراء ساعدوا على نشر العلم ، وتنشيط الفكر ، ومن أبرزهم الشريف حمود بن محمد أبو مسمار ، والحسين بن علي بن حيدر ، ومحمد بن عائض بن مرعي ، حيث جمعوا حولهم عدداً كبيراً من العلماء ، فكانوا هم وزراءهم ومستشاريهم . فأحد هؤلاء الوزراء الحسن بن خالد الحازمي العالم المشهور ، وكان هو الدافع الرئيس إلى تكريم أبي مسمار للعلماء والأدباء ، فقد جاء في سيرة أبي مسمار أنه أمدَّ العلماء بالمال والعطاء ، وأوقف المزارع والنُّزل للعلماء الوافدين إلى أبي عريش ، ولذا قصده العلماء من كل صوب ، فأجلسهم في أعلى منازل الرفعة والتعظيم ، وأسكنهم في بعض قلاعه ، وأجرى عليهم الجرايات [1] .

فلما جثمت الفتن والقلاقل على بلاد المخلاف السليماني في آخر القرن الثالث عشر إثر مقتل محمد بن عائض بن مرعي على يد الأتراك ، ساد الجهل والظلام ، وتحول ذلك الانفتاح الثقافي إلى انغلاقٍ وتقوقع ، ولم يبق من تلك المدارس الكثيرة المتناثرة في المنطقة لا سيما في الحواضر العلمية سوى قليل من الحلق الصغيرة ، تزدهر حيناً وتخفت في أحايين كثيرة[2] . واستمر الوضع كذلك إلى أن جاء العهد الإدريسي ، حيث نشطت الحركة الفكرية والثقافية من جديد ، لولا ما أصابها من مظاهر الغلو الصوفي ، وقد ذكر العقيلي في معرض حديثه عن محمد بن علي الإدريسي : ((**أنه كان لمقاماته المعروفة من مواقف الوعظ والإرشاد مدرسة عامة أرشدت العامة ، وحضت الخاصة إلى شعائر الدين والسير في هديه القويم ، ثم انتدب غير واحد من علماء ذلك العهد للتفرغ للتعليم على طريقة تعليم المتون حسب ما كان عليه السلف . أما فتح مدارس على المنهج الحديث فلم يكن منه شيء في عهده، وقد كان بحكم نشأته وتوسعه في المعارف محبّاً للعلماء والأدباء**

(١) انظر : نبذة تاريخية عن التعليم في تهامة وعسير ، لحجاب الحازمي : ٣٨ .

(٢) منها حلقة إسماعيل بن الحسن عاكش في أبي عريش . انظر : نزهة النظر في رجال القرن الرابع عشر ، لمحمد زباره الصنعاني : ٢/ ٥٢٦ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

والشعراء ، مشجعاً لهم ، حدباً عليهم ، باراً بهم ، فاجتمع لديه عدد منهم ، من أهل المخلاف السليماني ، ومن تهامة اليمن ، ومن القسم الجبلي ومن الشناقطة ، فكان له مجالس خاصة للإفادة والاستفادة والمناقشة والمحاورة ، بل وحلقات التعليم ...))[1].

ولكن بعد رحيل محمد بن علي الإدريسي سنة ١٣٤١هـ حلّت الفوضى من جديد ، وران فصلٌ من الظلام والجهل في شتى المجالات ؛ بسبب التنازع والتناقضات السياسية ، بل كان من صور ذلك الجهل أنّه كان يبحث في القرية الكبيرة عن شخصٍ يقرأ الكتاب أو الرسالة ، فلا يوجد ، وذلك نجده في كثير من ذكريات المعمّرين ، وفي بعض أحاديث الشعراء ، ومنه قول عبدالواسع سعيد عبده [2] :

ألسنا نعيش حياة مثيرة

بقايا الوليد بقايا المغيرة .. بذاك الزمن ..

فلا حرف يقرا بكل بلادي

ولا شيءَ يُدرَّس بكل البوادي [3]

وفي سنة ١٣٤٩هـ دخلت منطقة جازان عهداً جديداً، وفصلاً رائعاً من فصول البناء الفكري والثقافي ، يعد من أرقى فصولها ، وذلك بدخولها في الدولة الناشئة ، التي ما لبثت أن أُعلنت بعد سنتين دولة كبيرة تغطّي أكثر بلدان الجزيرة العربية ، وسميت باسم المملكة العربية السعودية .

وبعد توحيد المملكة شهدت منطقة جازان كثيراً من معالم الرقي الثقافي في أغلب

(١) تاريخ المخلاف السليماني ، للعقيلي : ٢/ ٨٣١ .

(٢) هو عبدالواسع سعيد عبده ، ولد بصبيا سنة ١٣٧٠هـ ، يعمل في المجال الصحّي ، وله مشاركات في الصحف والمجلات السعودية ، كذلك في الندوات والأمسيات المختلفة ، له ديوان شعر مطبوع بعنوان (دوائر الصمت) ، ودواوين أخرى مخطوطة ، كما أن له مسرحية شعرية بعنوان : (الحجّاج) ، ومجموعة قصصية لم تطبع . انظر ترجمته في : التاريخ الأدبي لمنطقة جازان ، للعقيلي : ١/ ١٦٣٢ .

(٣) دوائر الصمت : ٤١ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

المجالات ، ولعل من أهم تلك المعالم الثقافية التعليم والتربية ، والتعليم في المنطقة شهد مراحل متنوعة ، ومتدرجة في الوقت ذاته ، متجهة صوب التطور المستمر والمتواصل .

فقد كان التعليم في بدايات العهد السعودي مقتصراً على قليلٍ من الكتاتيب ، ويُطلق على الكتاب في ذلك الوقت اسم (المعلامة) ، وكان في جازان عدد من الكتاتيب ، منها : كُتَّاب الشيخ علي بن أحمد عيسى الفقيه ، وكتَّاب الفقيه محمد بن عبدالله الشماخي ، وكتَّاب الفقيه أحمد الصعدي ، وكان قبل الصعدي يسمى كتَّاب الفقيه مصطفى هندي ، وهذه الكتاتيب يدرس فيها القرآن الكريم فقط ، عدا كتَّاب الشيخ علي بن أحمد عيسى ، فكان يدرس فيه إلى جانب القرآن الكريم القراءة والكتابة ومبادئ الحساب وتحسين الخط ، ومن هذا الكتَّاب تخرّج شبابٌ كوّنوا أنفسهم ، واجتهدوا في التحصيل ، والتحقوا بوظائف الدولة الناشئة ، ومن هؤلاء : السنوسي ، وناصر مصطفى ، وعلي أبو غزالة ، وحسن ناصر ، وسالم بريك ، ومحمد أحمد العقيلي ، ويحيى أحمد عمر وغيرهم ، وكان في صبيا عدد من الكتاتيب ، وكذلك الحال في ضمد وأبي عريش وفيفا وغيرها [1] .

وكان يطلق على المعلّم في الكُتَّاب لقب (الفقيه) ، ولم يكن هذا الفقيه موظفاً حكومياً يتقاضى الأجر من الجهات الرسمية ، بل يتقاضى إزاء عمله أجراً زهيداً يحصل عليه كل خميس ، وهي دريهمات يدفعها التلاميذ تسمى (الخميس) ، وطريقة التعليم بدائية تقوم على إعطاء كل تلميذ لوحاً خشبياً ، وقلماً مداده من سواد (الفانوس) يكتب به الحروف على ذلك اللوح ، وعندما ينهي الطالب جزءاً من القرآن الكريم، أو جزأين يسمى (المفصل)، وإذا ختم القرآن تكتب له ورقة مزخرفة يتسلمها ، ثم يطوف بها على بيوت القرية ، وتسمى (البشارة) ، وهي منظومة تتناول ما للعلم من أثر وما للمعلم

(١) محاضرة عن التعليم في جازان ، لمحمد عايش منتصر ، موجودة في ملف المحاضرات بنادي جازان الأدبي ، وتوجد منها صورة لدى الباحث ، ص : ٦ ، كما أنها موجودة في التاريخ الأدبي ، للعقيلي : ٢/ ١١٦٩ – ١١٨٥ ، وفرجة النظر ، للشعفي : ٢/ ٢٥٦ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

من جهدٍ ، وتلك الصورة الرائعة رسمها أحد الطلاب الذين تتلمذوا في تلك الكتاتيب، وهو الشاعر علي بن أحمد النعمي ، إذ يقول :

لـــي أمٌّ يهمهـــا أن ترانـــي في معـاشٍ يرفـو الهنـاء وشاحـه
أدخلتني (الكتّاب) بالأجـر في كـل (خميسٍ) وكـانت المرتاحـه
أصلحت لي لوحي، وسوّت دواتي من سواد (الفانـوس) والقداحـه
هـا أنـا أكتـب الحـروف بخـطٍّ عاثـر مائـل رديء الوضاحـه
أتهجى (أبجد) و(هـوز) وأصغي لكـلام فيـه الهـدى والسماحه
ومضت بي الأيـام بـين رفاقـي في غبـاءٍ حـرص الفقيـه أزاحـه
حين أختمـتُ قال بشـّر وحيّـا ني ، فأسرعـتُ شاكـراً إصلاحـه
ولبستُ (الكوت المقلّم) و (الشا ل) ، ونفـسي في نـشوة سبّاحـه
ومع الصحب رحت أخطو الهوينى وكـأني الغـضنفـر الجحجاحـه
ودخلنـا البيـوت بيتـاً فبيتـاً كالعـصافير هازجـات صداحـه
بالزغـاريد والهدايـا تلقـو ني وصحـبي فـي أول الطّراحـه [1]
يا لها فرحة وقد ضمت الدو ر صبيـاً يذيـع فيهـا نجاحـه
مـن أبٍ ينـشد الـسعادة لابـنٍ ومـن أم مزهـوة مرتاحـه
مـن أخٍ معجـبٍ ، وعـم وخـالٍ طوقـوه . . وعايـشوا أفراحـه
بـرزوا كلهـم بحـب وصفـوٍ لاحتـضان الـشبيبة الطماحـه
كـل دارٍ يهـتز أنـساً وسعـداً وابتهاجـاً مـساءه وصباحـه
بـارك الله في (الفقيـه) وأعلـى قـدره دائمـاً .. وحيَّـا كفاحـه [2]

(١) الطُّراحة : مكان في مقدمة العشة ؛ للمبيت فيه ليلاً ، ويختلف طولاً وعرضاً .
(٢) الأرض والعشق : ٩٤ – ٩٥ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

وإذا اجتاز التلميذ الكتّاب بجدارة فإنّه – في الأكثر – ينتقل إلى إحدى الحلقات العلمية المنتشرة في المساجد أو في الزوايا أو في منازل العلماء الذين يفرغون جزءاً من أوقاتهم لتعليم المتميزين في شتى الفنون .

ومن أشهر الحلقات حلقة الشيخ علي بن عبدالله بن طاهر الأسدي في (الواصلي) ، وحلقة علي بن أحمد أبو الخير في (الظبية) [1] ، ثم تلاها في الناحية الزمنية حلقة الشيخ عقيل ابن أحمد حنين في جازان ، وكذلك علي بن محمد السنوسي كانت له حلقة مشهورة . أما أشهر حلقات أبي عريش في فترة بدايات النهضة التعليمية ، فهي حلقة عبدالله بن علي العمودي ، وكانت هناك حلقات أخرى في ضمد وصبيا وبيش وغيرها [2] .

ولما كانت تلك الحلقات لا تفي بحاجة أغلب التلاميذ ، إذ يبقى لدى عددٍ منهم نهمٌ إلى الاستزادة من العلوم ، فإنهم كانوا يولون وجوههم شطر المراكز الفكرية الأخرى المجاورة ، متبعين في ذلك السنة القديمة التي كان يسير على هديها آباؤهم الأولون ، وأكثرهم كان يتجه نحو اليمن ؛ للتتلمذ على علمائها ، ومن ثم العودة للإسهام في حمل مشعل العلم والمعرفة، والمشاركة في تعليم الآخرين ، وكان أول فوجٍ وصل إلى المنطقة من طلبة العلم المهاجرين لطلب العلم إلى اليمن في العهد السعودي يحيى بن موسى الحازمي ، وحسن أبو شريفة الحازمي ، وإدريس الحازمي ، تلاهم فوج آخر وصل سنة ١٣٥٥هـ ، وكان على رأسه أحمد بن عبدالفتاح الحازمي ، ومحمد عثمان جوحلي . أما آخر الأفواج المهاجرة وصولاً ، فكان منهم أحمد بن عبدالله الحازمي ، ويحيى بن أحمد عاكش ، وإسماعيل الحازمي[3].

وهذه الهجرات قد توقفت بعد سنة ١٣٧٠هـ ؛ وذلك بعد أن ظهرت المدارس السلفية والمعاهد العلمية التي أنشأها وأشرف عليها الداعية الشيخ عبدالله القرعاوي ،

(١) انظر : كشف النقاب عن نبذة حجاب ، لأحمد بن عبدالله الحازمي : ٢٢١ .
(٢) انظر : محاضرة عن التعليم في جازان ، لمحمد عايش منتصر : ٧ ، وفرجة النظر ، للشعفي : ٢/ ٢٥٦ – ٢٥٧ .
(٣) انظر : التاريخ الأدبي لمنطقة جازان ، للعقيلي : ٢/ ٩٩٣ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وساعده في الإشراف عليها والتدريس بها تلميذه الشيخ حافظ بن أحمد الحكمي [1] ، إذ عند ذلك فضّل الطلاب البقاء والتوقف عن الهجرة .

وقد توسعت مدارس الشيخ عبدالله القرعاوي بعد سنة ١٣٧٥هـ ، إذ وصلت أكثر من ألف مدرسة في منطقة جازان وغيرها من مناطق جنوبي المملكة العربية السعودية . وهذه المدارس قد ضمّت فيما بعد إلى وزارة المعارف التي أنشئت سنة ١٣٧٣هـ ، ما عدا المعاهد العلمية التي ضمّت إلى الإدارة العامة للمعاهد العلمية ، وهي نواة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية التي أنشئت سنة ١٣٧٠هـ [2] .

أما التعليم النظامي فقد جاء إلى المنطقة متزامناً مع بدايات مدارس الشيخ عبدالله القرعاوي في صامطة ؛ وذلك أنّه في الفترة التي تولى فيها ابن ماضي إمارة منطقة جازان وصلت إلى مدينة جازان بعثة حكومية لتأسيس أول مدرسة ابتدائية في المنطقة يرافقهم جماعة من المدرسين ؛ تنفيذاً للأمر السامي رقم ١٩٨٨ في ١٣/ ٥/ ١٣٥٥هـ ، وعلى رأسهم محمد الهادي بن عقيل – من أهل مكة – ، وضمّت إليهم البعثة عدداً من رجال العلم ، ومنهم محمد بن عقيل بن أحمد ، وعلي بن أحمد عيسى الفقيه وغيرهم [3] . وفي سنة ١٣٥٦هـ افتتحت مدرستان واحدة في صبيا ، والأخرى في أبي عريش [4] ، ثم توالى بعد ذلك فتح المدارس حتى أصبح عدد المدارس الابتدائية سنة ١٤١٨هـ حوالي

(١) هو حافظ بن أحمد الحكمي ، ولد سنة ١٣٤٢هـ في قرية السلام بمدينة المضايا جنوب شرق جازان ، كان آية في الحفظ والذكاء ، تلقى أكثر علومه على يد الداعية الشيخ عبدالله القرعاوي ، وبرّز في سنوات معدودة ، وكان مساعداً لشيخه في التدريس والدعوة ، تولى إدارة أول ثانوية بجازان سنة ١٣٧٣هـ ، ثم أوّل مدير لمعهد صامطة العلمي سنة ١٣٧٤هـ ، توفي سنة ١٣٧٧هـ بعد أدائه لمناسك الحج ، ودفن بمكة . له مؤلفات كثيرة مطبوعة وأشعار جيدة لا زالت مخطوطة . انظر مؤلفاته وبعض أشعاره في : الشيخ حافظ الحكمي ، بقلم الدكتور أحمد بن حافظ الحكمي ، مجلة العرب ، س٧ ، ج٣ ، رمضان ١٣٩٢هـ ، والشيخ حافظ بن أحمد الحكمي حياته وآثاره، لسعود السيف ، والشيخ حافظ بن أحمد الحكمي ، حياته ومنهجه في تقرير العقيدة ونشرها في منطقة الجنوب ، لأحمد بن علي علوش مدخلي ، وفرجة النظر ، للشعفي : ١/ ١٩٦ .

(٢) انظر : تاريخ الحركة التعليمية في المملكة العربية السعودية ، للدكتور حمد السلوم : ٢/ ٦٤٧ – ٦٥٤ .

(٣) انظر : التاريخ الأدبي لمنطقة جازان ، للعقيلي : ٢/ ٩٧٧ .

(٤) انظر : مقالة عن التعليم في جازان ، لمحمد الهادي بن عقيل ، صوت الحجاز ع٢٧٥ ، ١ رجب ١٣٥٦هـ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

(٤٨٥) مدرسة موزعة على المناطق المختلفة ، كما بلغ عدد المدارس المتوسطة حوالي (٢٣٩) مدرسة ، وبلغ عدد المدارس الثانوية (٩٩) مدرسة ، كما توجد كلية للمعلمين ، وأخرى للعلوم الصحية ، وثالثة لخدمة المجتمع ، ورابعة للطب .

وقد حظيت الفتاة بالاهتمام ذاته ، فبعد أن أُسست الرئاسة العامة لتعليم البنات سنة ١٣٨٠ هـ نجحت ممثلة في الإدارة العامة لتعليم البنات في جازان في افتتاح الكثير من المدارس ، حيث تجاوزت عام ١٤١٨ هـ (٨٢٠) مدرسة ما بين ابتدائية ومتوسطة وثانوية ومعاهد معلمات وروضات أطفال ، ومدارس تحفيظ للقرآن الكريم ، وأخرى لمحو الأمية . يضاف إليها كليات للبنات في جازان وصبيا وصامطة ، مما أتاح للبنات قدراً كبيراً من التعليم العالي والمطور [1] .

ومن جراء هذه النهضة العلمية برز العلماء الذين أخذوا ينهضون بجانب التعليم والتأليف والحسبة والقضاء ، وساعدهم على ذلك عدد من إخوانهم العلماء والدعاة والمصلحين الذين وفدوا إلى جازان من أقاليم المملكة الأخرى ، وأخذوا يؤثرون بقدر في فكرها ، ويسهمون في كثير من النقاش الفكري .

ولم يكن أثر هذه اليقظة ببعيدٍ من انتعاش الأدب وازدهاره ،وإنما نشأ في ميدانه اتجاه أدبي نشط وفاعل حمل لواءه عدد من الشعراء الرواد من أمثال علي بن محمد السنوسي ، وابنه محمد ، ومحمد بن أحمد العقيلي ، وأحمد بن عبدالفتاح الحازمي [2] ،

(١) انظر : جدائل الفل : ١٦ .

(٢) هو أحمد بن علي بن عبدالفتاح الحازمي ، الملقب بـ (السيّد أحمد) ، ولد بالعريش شمال غرب ضمد سنة ١٣٣٣هـ ، وحفظ القرآن في صغره ، ثم هاجر إلى صنعاء ؛ لطلب العلم ، ولما عاد تولى القضاء في بدايات العهد السعودي في فيفا وبني الغازي وفرسان ، ثم تولى بعد ذلك مهاماً إدارية كمستشار في إمارة جازان ، ثم إمارة نجران ، وكلف بانتدابات كثيرة إلى اليمن ممثلاً للمملكة ، توفي سنة ١٤١٠هـ ، له مشاركات شعرية كثيرة ، لم ينشر منها في ديوان سوى مجموعة قليلة في (شعراء الجنوب) بالاشتراك مع العقيلي والسنوسي ووالده . انظر ترجمته وأخباره وبعض أشعاره في : نزهة النظر ، لأحمد محمد زبارة : ١/ ١١٦ ، وكشف النقاب عن نبذة حجاب، لأحمد الحازمي : ١٨٤ ، والتاريخ الأدبي لمنطقة جازان ، للعقيلي : ٣ / ١٥٠٨ ، وفرجة النظر ، للشعفي : ١/ ١٢٥.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وحافظ الحكمي ، وعلي بن حسين الفيفي ، وغيرهم من شعراء جازان الذين رافقوا مرحلة بدايات النهضة الفكرية المعاصرة ، ونشأ – أيضاً – بجهود هؤلاء وغيرهم انفتاحٌ فكري واطّلاع نهم على أسباب الثقافة الجديدة في الحجاز وبقية البلدان العربية مثل مصر والشام ، كما زاد في يقظة الأدب وسموه شيوع الدوريات والصحف ، وبخاصة مجلة المنهل التي بدأت تنتشر في وقت مبكر من النصف الثاني من القرن الرابع عشر الهجري ، إذ كان لتوجيه صاحبها ، ورعايته للناشئة من أدباء جازان الأثر المحمود في انتعاش الأدب ويقظته ، وشاركها في ذلك صحف أخرى ، لعل أبرزها صوت الحجاز وأم القرى وغيرهما كما سيأتي [1] .

ولا يمكن لنا ونحن نتتبع أسباب الانتعاش الفكري أن نهمل الأثر الذي اضطلع به الأمراء السعوديون الذين تولّوا الإمارة في جازان – من رعاية للأدب ، وتشجيع له ((**فلقد اعتادوا في العقد السادس وما بعده بقليل عقد المناظرات والاحتفالات في محيط إمارتهم ، وسنوا فتح باب الخطابة ،وإلقاء القصائد الشعرية في مواسم الأعياد**))[2] . فقدجاء في سيرة الأمير خالد بن أحمد السديري الذي تولى الإمارة في جازان أواخر سنة ١٣٥٨هـ أنه كان على جانب من الثقافة والأدب ، وكان وصوله للمنطقة نقلة ثقافية وإدارية ، وكان من أوائل أعماله إنشاؤه مجلساً أدبياً خاصاً يعقده في الصباح الباكر يحضره العابد الإدريسي ، والشيخ عقيل بن أحمد رئيس المحكمة ، ومساعده علي محمد صالح عبدالحق ، وبعض الشخصيات ، تدار فيه المذاكرة والمحاورة والمناقشات العلمية والأدبية ... وكان ذواقاً للشعر ، حافظاً للكثير منه ، حتى أن الشيخ علي السنوسي كان يزوره آخر الليل ليعرض عليه قصيدته العيدية التي سيلقيها ، يقول محمد أحمد العقيلي: ((**كل ذلك أو بعضه حفز الشباب على الشغف العلمي والتطلع الأدبي ، وقد مرَّ ليلة بسيارته من عند مجلس عبدالقادر علاقي ، وقد بلغه مسبقاً ما يدور في ذلك المجلس من**

(١) في الفصل الأول (مصادر الشعر) .

(٢) المفقود من شعر علي بن محمد السنوسي ، جمع وتحقيق : د. عبدالله أبو داهش : ٧ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

الحوار والمناقشة ، فأوقف سيارته خمس دقائق وهو يستمع وينصت لما يدور))[1].

وكان الشباب هم الأكثر تفاعلاً وانجذاباً نحو تلك المجالس ، وفي هذا يقول العقيلي متحدثاً عن تلك البدايات : ((**ولا أغالي إذا قلت : إن من أكثر الناس تأثراً وفعالية في ذلك المجلس عبدالقادر علاقي ومحمد العقيلي ومحمد السنوسي ، والأخيران .. لم يكن لقاؤهما يقتصر على مجلس العلاقي ، بل يجتمعان بعد صلاة المغرب مباشرة في منزل العقيلي إلى وقت صلاة العشاء .. ثم يستأنفان السهر حول كتاب جديد ، أو حديث يتعلق بالأدب ، أو التاريخ ، أو مجلة من المجلات الراقية مثل الهلال أو المقتطف، أو ديوان شعر لشعراء المهجر أو الملاح التائه أو قصيدة لشكري أو العقاد ، فنحن أشبه بالنحل الذي يرتشف رحيق الأزهار وورود الرياض ...))**[2].

ومن أهم المجالس التي شجعت الناشئة الأدبية آنذاك مجالس الأعياد ، فقد كانت المجالس في المجتمع الجازاني ، ربما تكون الوسيلة الإعلامية الوحيدة ، وظلّ الشاعر علي السنوسي هو الشاعر الوحيد الذي استأثر بإلقاء القصيدة في مجالس الأعياد[3] ، ولما جاءت سنة ١٣٦٠هـ شاركه في إلقاء الشعر في تلك المجالس ولده محمد ، وصديقه العقيلي[4] .

ومن تلك المجالس الأدبية المؤثرة في الحركة الفكرية مجلس أحمد بن عبدالرحمن البهكلي في جازان ، ومجلس الشيخ عقيل بن أحمد ، ومجلس الشيخ عيسى فتح الدين عقيلي، وغيرها[5].

وفي هذه الأثناء التي انتشرت فيها المجالس الأدبية تعرَّف الشباب على الصحف

(١) التاريخ الأدبي لمنطقة جازان ، للعقيلي : ٢/ ٩٧٩ .

(٢) المصدر السابق : الصفحة نفسها .

(٣) انظر : والدي السيد علي السنوسي ، لمحمد علي السنوسي ، مجلة المنهل ، ح١٢ ، مج٢٩، ذو الحجة ١٣٨٨هـ، ص : ١٧٠٥ .

(٤) انظر : قصة مشاركة السنوسي والعقيلي في إلقاء الشعر في مجالس الأعياد في التاريخ الأدبي، للعقيلي : ٢/ ٩٨١ .

(٥) انظر : المصدر السابق : ٢/ ٩٩٢ – ٩٩٣ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

والمجلات والكتب المطبوعة ، مما كان خير مشجع لهم على الإسهام بنتاجهم الأدبي فيهاعن طريق مراسلة تلك الصحف والمجلات ، ومحاولة المشاركة بفاعلية وتميّز .

على أنَّ هذه المجالس الأدبية لم تكن مصاحبة فقط لفترة النشأة والبدايات ، فهي ما زالت مستمرة ، ولم تنقطع ، بل إنّ هذه المجالس كانت هي النواة الأولى لنشوء النادي الأدبي في جازان ، فقد كانت الإرهاصات الأولى للنادي تمثلت في (نادي ضمد الأدبي) ، وهذا النادي أسسه عددٌ من الأدباء منهم : علي النعمي ، وحجاب الحازمي ، والعابد الحازمي ، وغيرهم مع عدد من رفاقهم ، وذلك عام ١٣٩١هـ ، أي قبل إنشاء الأندية الأدبية ، وكانت تعقد كثير من جلسات ذلك النادي ولقاءاته في وادي (قصي) [١] شمال ضمد ، وعن هذا النادي وبداياته يقول علي النعمي في قصيدته (في وادي قصي) :

وادي (قصي) أنت للنزهات ذكراها ... وأنت للنفس مجلاها ونجواها
نعم المكان وشمل الصحب مجتمع ... ونعمت الأرض ترعانا فنرعاها
هنا هنا كان للنادي برامجه ... من السنا أو أريج الزهر صغناها
تتابعت تربط الماضي بحاضره ... وفي لقاء بروح الفن قد تاها
في ندوة بالشباب الزهر عامرة ... وشارة الفكر تعلو في محيّاها
تكاتفت تبعث الآداب في ضمدٍ ... فضمّها المنتدى الناشي وحيَّاها
كانت مع الدهر أفكاراً مبعثرة ... ولا فتىً من بني قومي تولاّها
تحاول السير لكن أين مرشدها ... وتخدم الفكر لكن من تبنّاها [٢]

ثم تحدث بعد ذلك عن أهم أهداف النادي ومراميه ، وموطن لقاءاته قائلاً :

ناشدتكم فيه أن تسمو مداركنا ... عن الجمود وأن نعلي لنا جاها

(١) وادي قصي : بكسر أوله وثانيه ، وادٍ يأتي من جبال بلاد بني الغازي وجبال هروب ، وهو أحد فروع وادي صبيا. انظر : المعجم الجغرافي لمنطقة جازان ، للعقيلي : ٢٥٣ ، ٣٤٧ .
(٢) الأرض والعشق : ٢٣ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

وفي بلادي من الأعلام أمثلة كالعاكشي فهل نعشو وننساها
فكرموهم بذكراهم وبعثهمُ إن كرمت أمة بالذكر موتاها
هيا بنا ندعم النادي ونوجده وباسم ربي (مجراها ومرساها)
وليق وادي (قصي) داراً لندوتنا والشعر يحدو بمجلاه مطاياها [1]

ولم تكن المحاولات لإيجاد نوادٍ أدبية خاصة بضمد وحدها ، بل كانت هناك محاولة أخرى في أبي عريش على يد الشاعر أحمد العطاس ورفاقه ، وقد سجل الشاعر العطاس تلك المحاولة في قوله :

أبو عريش بلاد قد ربيت بها وكنت أحسن فيها النطق والكلما
وكنت أعقد نادٍ فيه رغبتنا إلى المعارف والآداب ملتزما
وربّ من عاصر المشروع يذكره إذ كان رمزاً تبنّى العلم والقلما
وحقق الشعر في منحاه حينئذٍ فبيّن اللفظ والمقصود والحكما [2]

وفي سنة ١٣٩٥هـ أسس نادي جازان الأدبي ، فحيّاه الشعراء ، وباركوا قيامه ، إذ كان حُلماً قد تحقق ، وموئلاً يلتقون في ظلاله قد هيّئ ، وفي ذلك يقول علي النعمي في حفل افتتاحه :

هذا هو النادي وذي لبناته وشموعه رفافة الأضواء
قد كان حلماً عايشت أطيافه أنفاسنا . . ويفوت كالعنقاء
ومضت أيادي الخير تعمل جهدها وتجدّ في تحقيقه بإباء
وتضافرت أعضاؤها وتكاتفت والنجح رهن تضافر الأعضاء
فدنا الحلم البعيد وحققت همم الرجال مطامح الأدباء
وغدا لهم دار يلم شتاتهم ويجلّ فيهم نافع الآراء [3]

(١) المصدر السابق : ٢٤ .
(٢) تغريد النهى : ٦٦ .
(٣) الأرض والعشق : ٩١ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ويكفي أن نعلم أثر النادي في التعريف بأدباء المنطقة ونتاجهم أن نعرض بالأرقام عدد المؤلفات والأعمال الأدبية التي اضطلع بنشرها ، فقد تمّ طبع (١٢٢) كتاباً منذ افتتاح النادي إلى الآن (١٤٢٢هـ) ، منها تسعة وعشرون ديواناً ، وسبع عشرة مجموعة قصصية ، وسبع وعشرون دراسة نقدية ورسائل أكاديمية في الأدب والنقد ، وأربعة عشر كتاباً في التاريخ والجغرافيا والآثار ، واثنا عشر كتاباً في فنون الشريعة الإسلامية ، وثلاثة وعشرون إصداراً في موضوعات متفرقة شملت الكشّافات والدراسات الإعلامية والمحاضرات التي يعقدها النادي والملفات الدورية التي تصدر تباعاً . وأكثر هذه الإصدرات هي من نتاج أبناء المنطقة الفكري، ولم يكن لأكثرها أن ترى النور دون دعم النادي وتشجيعه ومؤازرته لها .

وكان من أثر هذه الحركة الأدبية النشطة – التي يعد النادي أحد أبرز مظاهرها – التواصل الفكري والثقافي بين أبناء جازان وإخوانهم من أبناء المناطق السعودية الأخرى، وظهورُ عدد كبير من الأدباء في شتى فنون الأدب أجناسه .

ففي مجال القصة نجد أنَّ محمد بن زارع عقيل هو أول من كتبها في منطقة جازان، وأولى قصصه ، قصة قصيرة بعنوان (قلب الأسد) ، نشرت في مجلة المنهل في ربيع الأول سنة ١٣٧٥ هـ ، ثم نشرت له المنهل عدداً من القصص القصيرة مثل : (الفارس الملثم)، و(عائشة بنت المعلم) ، و(مناجاة هدهد) وغيرها .

أما أول روايات محمد زارع عقيل فكانت رواية (ليلة في الظلام) التي نشرها سنة ١٣٨٠هـ ، وبعد خمس سنوات نشر روايته الثانية (أمير الحب) ، ويذكر الدكتور منصور الحازمي أن هذه الرواية هي أول تجربة للرواية التاريخية في المملكة العربية السعودية ، وأنه متأثر فيها بالأديب جرجي زيدان [1] . وله رواية أخرى اجتماعية تتحدث عن التغير الحضاري في الريف الجازاني بعنوان (بين جيلين) .

(١) انظر : فنّ القصة في الأدب السعودي الحديث ، للدكتور منصور الحازمي : ٤٦ – ٤٩ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

ومن كتّاب الرواية في جازان طاهر بن عوض سلاّم ، وأول رواية صدرت له هي رواية (الصندوق المدفون) سنة ١٤٠١هـ ، ثم أصدر بعدها على التوالي روايات (فلتشرق من جديد) ، و (قبو الأفاعي) ، و (عواطف محترقة) [١] ، كما أنَّ له مجموعات قصصية منها (السفن المحطمة) ، و (الندم) وغيرها .

ومن كتاب الرواية في جازان – أيضاً – عمر طاهر زيلع الذي أصدر روايته (القشور) سنة ١٤٠٣هـ ، وحسن بن ناصر المجرشي الذي أصدر روايته في السنة نفسها بعنوان (الحب الكبير) ، وأحمد بن علي حمود حبيبي [٢] الذي أصدر سنة ١٤٠٦ هـ روايته (دموع الندم)[٣] .

ومن كتاب القصة في جازان علوي طه الصافي الذي نشر أولى مجموعاته القصصية (مطلات على الداخل) سنة ١٤٠٠هـ ، ومجموعته الثانية (أرزاق يا دنيا أرزاق) نشرت سنة ١٤٠٩هـ ، وبعدها بسنة نشر مجموعته الثالثة (كنت في الطائرة المخطوفة) [٤] . ومن الكتاب – أيضاً – حجاب الحازمي الذي نشر مجموعته القصصية الوحيدة (وجوه من الريف) سنة ١٤٠١هـ ، أي بعد سنة من نشر علوي الصافي

(١) انظر : قراءات نقدية تحليلية لنماذج من القصة السعودية في جازان ، محمد يوسف : ٣٧ – ٣٩ .

(٢) هو أحمد بن علي حمود حبيبي المطهري ، ولد بضمد ١٣٥٦هـ ، وتعلّم القراءة والكتابة في ضمد على يد الفقيه محمد بن إبراهيم الأقصم ، ثم التحق بإحدى مدارس القرعاوي في ضمد (المدرسة السلفية) ، ثم واصل بعد ذلك دراساته إلى أن حصل على الشهادة الجامعية في الشريعة عام ١٣٨٨هـ من جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض ، ثم عمل في التعليم بمعاهد الجامعة العلمية في جازان وضمد إلى أن أحيل إلى التقاعد سنة ١٤١٨هـ ، له أشعار كثيرة مخطوطة ، وهو شاعر متميز في شعر الأناشيد ، وله قصة مطبوعة هي : (دموع الندم) ، وله منظومة في العقيدة بعنوان : (نظم رياض الجنة في عقيدة أهل السنة) . انظر ترجمته في : التاريخ الأدبي لمنطقة جازان ، للعقيلي : ٢/ ١٢٨٦ ، وفرجة النظر ، للشعفي : ١/ ١٠٠ – ١٠٣ ، ورسالة وردت من المترجم له إلى الباحث تتضمن نبذة عن حياته وأعماله وبعض أشعاره ، توجد لدى الباحث ، بدون رقم .

(٣) انظر : فن الرواية في الأدب السعودي المعاصر ، د. محمد صالح الشنطي ، وفيه حديث مفصل عن تلك الروايات المذكورة .

(٤) انظر : القصة القصيرة المعاصرة في المملكة العربية السعودية ، د. محمد صالح الشنطي : ٥٠ – ٦١ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

مجموعته الأولى [1] .

وظهر بعد ذلك عدد كبير من كتاب القصة القصيرة في جازان ، إذ نشر عبده خال مجموعته القصصية (حوار على بوابة الأرض) سنة ١٤٠٨هـ ، وعمرو العامري الذي ظهرت مجموعته (طائر الليل) سنة ١٤٠٩هـ ، ثم أحمد إبراهيم يوسف الذي أصدر مجموعته القصصية الأولى (ألسنة البحر) سنة ١٤١٠هـ ، ومحمد منصور مدخلي صاحب مجموعة (عرس القرية) ، التي صدرت سنة ١٤١١هـ ، وهذه المجموعات الأربع الأخيرة جميعها من منشورات نادي جازان الأدبي .

تلاهم بعد ذلك عدد من كتاب القصة ، لعل من أكثرهم نضجاً حسن حجاب الحازمي [2] بمجموعتيه (ذاكرة الدقائق الأخيرة) ثم (تلك التفاصيل) ، وجبريل أبودية بمجموعته (تداعيات الرجل الرمادي) ، وإبراهيم مغفوري بمجموعته (عبدالكريم والسلطان) وغيرهم .

وإذا كان محمد بن زارع عقيل أول من كتب القصة في جازان ، فهو أيضاً أول من كتب المقالة الصحفية فيها ، إذ نشرت أولى مقالاته في المنهل سنة ١٣٧٣هـ [3] ، أما المقالات الأدبية والنقدية فأول من كتبها في جازان الشاعران محمد بن علي السنوسي ، ومحمد بن أحمد العقيلي ، وأول مقالاتهما النقدية كانت سنة ١٣٧٦هـ ، وذلك بتشجيع

(١) انظر تحليلاً لهذه القصة في : وقفات مع بعض القاصّين ، أ .د . محمد بن سعد بن حسين : ٢٨ – ٣٠ .

(٢) هو حسن بن حجاب الحازمي ، ولد في ضمد سنة ١٣٨٥هـ ، تخرّج في كلية اللغة العربية بالرياض سنة ١٤٠٩هـ ، ثم حصل على الماجستير ، وهو يعد رسالة أخرى في الدكتوراه بعنوان : (البناء الفني في الأدب السعودي) ، كاتب متميز في الشعر والقصة . له في الشعر ديوان (وردة في فم الحزن) ، وفي القصة (ذاكرة الدقائق الأخيرة) ، و (تلك التفاصيل) ، وله في الدراسات النقدية كتاب (البطل في الرواية السعودية) ، وهي أطروحته للحصول على الماجستير ، وهي من منشورات نادي جازان الأدبي . انظر ترجمته في : فرجة النظر ، للشعفي : ١ / ٢٤٧ ، ومعجم الأدباء والكتاب ، إعداد الدائرة للإعلام ، ومعجم البابطين للشعراء العرب المعاصرين : ٢/ ٦٦ .

(٣) انظر : مجلة المنهل : ١ مج ، ١٤ ، ج ٥ ، جمادى الآخرة ١٣٧٣هـ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

من مجلة المنهل [1] .

وتلاهما بعد ذلك عدد من الكتاب المتميزين ، مثل علي بن محمد العمير ، وهاشم عبده هاشم ، وعلوي بن طه الصافي ، وعلي بن أحمد رفاعي ، وناصر بن قاسم ، وغيرهم .

فقد تميّز علي العمير بكتابة المقالة الاجتماعية [2] ، أما هاشم عبده هاشم فغلبت على كتاباته المقالة السياسية ، لا سيما بعد توليه رئاسة تحرير جريدة عكاظ .

واهتم علوي الصافي بكتابة المقالة النقدية في بداياته الصحيفة ، لا سيما في رسائله إلى الأدباء التي كان ينشرها في مجلة اليمامة [3] .

وإذا كان علي بن أحمد رفاعي قد غلبت على مقالاته الرصانة والروح الفلسفية والعمق العلمي ، فإنَّ زميله ناصر قاسم كان يميل إلى الكتابة التاريخية ، لا سيما ما كان متعلقاً بتاريخ جازان وآثارها [4] .

أما الشعر في جازان : مصادره ، وموضوعاته ، وقيمه الفنية ، وأعلامه وآراء النقاد فيه، فتفصيله في الأبواب والفصول والمباحث التالية .

(١) انظر : مجلة المنهل ، ربيع الأول ١٣٧٦هـ ، وجمادى الأولى في السنة نفسها .
(٢) انظر : المقالة في الأدب السعودي الحديث ، للدكتور : محمد العوين : ٢/ ٦٦١ .
(٣) انظر : المصدر السابق : ١/ ٥٤٣ – ٥٥٠ .
(٤) انظر : نشأة الأدب السعودي المعاصر في جنوبي المملكة العربية السعودية ، للدكتور : عبدالله أبو داهش: ١٠٧ – ١٠٩ .

الباب الأول

الدراسة الموضوعية

الفصل الأول

مصادر الشعر في جازان

١- الدواوين المطبوعة .

٢- الصحف والمجلات .

٣- الدواوين المخطوطة .

٤- مصادر أخرى :

أ - كتب التاريخ والتراجم .

ب- الدراسات الأدبية .

ج- المقالات النقدية .

د- الإذاعة .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الباب الأول
[الدراسة الموضوعية]
الفصل الأول
مصادر الشعر

المصادر هي تلك المظان التي يستمد منها الباحث مادة بحثه ، سواء أكان بحثاً أم إبداعاً منشوراً أم غير منشور ، مدوناً أم غير مدون . وبناءً على هذا المفهوم تتنوع المصادر تنوعاً واسعاً ، فمنها ما هو أصيل ، ومنها ما هو فرعي ثانوي ، فمن النوع الأول مثلاً عند دراسة شاعر ، فإن مصادر هذه الدراسة هي ديوانه الأول ورواية معاصريه لأخباره وكل ما يتصل به، وبذلك تصبح المصادر الأصيلة موزعة على مدونات مكتوبة ، وروايات مسموعة .

وتدخل في المصادر الأصيلة سجلات الدواوين الحكومية ، وما نشر في الصحف والمجلات من قصائد ومقالات . وكذلك المذكرات والسير الشخصية واليوميات والأغاني الشعبية حين نتحدث عن أدب أمة من الأمم ، ومثلها القصة والحكايات الشعبية ؛ لأنها جميعاً تصور لنا طباع الأمة وعاداتها .

وتعد الدواوين الشعرية مصادر أصيلة ، أما ما يروى منها في كتاب فيعدّ فرعياً ، وتعد في المصادر الثانوية كل المصادر المتأخرة عن المصادر الأصيلة ، وأهميتها تأتي من أنها قد تحمل اقتباسات من مصادر أصيلة ، وقد تدلنا على مصادر مهمة مفقودة ، وتزودنا ببعض نقول عنها ، ويدخل في المصادر الثانوية بالقياس إلى دراسة الشعراء كل ما يساعد على فهمهم وفهم أشعارهم ، وبذلك تدخل شروح دواوينهم ، وتدخل الكتابات التاريخية والاجتماعية والثقافية التي تصور لنا روح العصر الذي عاشوا فيه[1] .

(١) انظر تفصيل الحديث عن المصادر في : البحث الأدبي ، للدكتور : شوقي ضيف : ٢١٢ - ٢١٥ ، ومناهج البحث والمصادر في الدراسات الإسلامية والعربية للدكتور : محمد السعيد جمال الدين : ٤٠-٤١ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

فالمصادر إذن تشمل كل ما يمكن أن يزود الباحث بجزئية مهمة في بحثه ، وفي بحثي هذا عن الشعر في منطقة جازان تنوّعت المصادر التي حوت ذلك الشعر ، فمنها دواوين مطبوعة ، وهناك صحف ومجلات نشرت كثيراً من القصائد ، وهناك – أيضاً – دواوين مخطوطة لا زالت لدى أصحابها ، بعضها مات أصحابها قبل نشرها ، وهناك مصادر أخرى تشمل كتب التراجم وملفات النوادي الأدبية وأضابيرها ، والدراسات التي تناولت الشعر في المملكة العربية السعودية ، وتحدثت عرضاً عن شعر جازان كإقليم من أقاليم المملكة ، وتخصيص دراسات مستقلة عن بعض شعرائه لا سيما الرواد والبارزين ، وغير ذلك مما يمكن أن يدخل في هذا الباب من المصادر الثانوية كالمشافهة والمهاتفة والمراسلة ونحوها . وتفصيل ذلك على النحو الآتي :

أولاً- الدواوين المطبوعة :

إنَّ الناظر في حال الفكر والأدب في منطقة جازان يجد أنّ هناك أسباباً أدّت إلى تأخر ظهور الطباعة لنتاج الشعراء والكتّاب مقارنة بإخوانهم من الأدباء الآخرين في الحجاز ونجد ، ومن أهمها بُعدُهم عن مراكز الفكر النشطة ، وأيضاً قلة عدد الشعراء الذين يملكون نتاجاً أدبياً وافراً يمكن أن يكوّن مادة تصدر في ديوان مستقل في البدايات الأولى للنهضة السعودية. ومع هذا فقد أخذ أربعة من الشعراء الرواد في جازان على عاتقهم نشر شيء من أشعارهم ، وهم علي بن محمد السنوسي ، وابنه محمد ، ومحمد بن أحمد العقيلي ، وأحمد بن علي عبدالفتاح الحازمي ، فقد صدر لهؤلاء الأربعة مجموع شعري سمّوه (شعراء الجنوب) ، وذلك سنة ١٣٧٠هـ ، وطبعوه في مطبعة الكمال بعدن.

وبعد عشر سنوات من هذه البداية ، أي في سنة ١٣٨٠هـ نُشر أول ديوان شعري مستقل لشاعر من شعراء جازان ، وهو ديوان (القلائد) لمحمد علي السنوسي ، وفي عام ١٣٨٤هـ ، أي بعد أربع سنوات صدر ثاني الدواوين المستقلة ، وهو ديوان (أصداء الذكريات) لعلي بن حسين الفيفي ، وفي سنة ١٣٨٥هـ صدر الديوان الثالث ، وهو ثاني دواوين محمد بن علي السنوسي بعنوان (الأغاريد) ، وفي سنة ١٣٨٨هـ صدر ديوان

www.alukah.net
شبكة الألوكة

(أجراس) وهو ثاني دواوين علي بن حسين الفيفي ، ورابع الدواوين الشعرية المستقلة .

وفي سنة ١٣٩١هـ صدر لمحمد بن أحمد العقيلي ديوان (الأنغام المضيئة) [١] ، وهذا الديوان – مع تأخره عن شهرة العقيلي شاعراً – يعدُّ خامس ما نشر من الدواوين الشعرية المستقلة لشعراء جازان ، ثم بعد ذلك توالى صدور الدواوين ، ولا سيما بعد إنشاء الأندية الأدبية ، وخاصة نادي جازان الذي أسس سنة ١٣٩٥هـ ، حيث أخذ على عاتقه نشر الدواوين الشعرية ، والتعريف بنتاج أبناء منطقة جازان .

وقبل أن أتحدث عن هذه الدواوين أودّ أن أشير إلى أنّ هناك طرقاً عديدة تسلك عادة في عرض الدواوين الشعرية وترتيبها كمصادر أدبية ، فمنها مثلاً ترتيبها بناءً على تواريخ صدورها ، أو ترتيبها حسب عناوينها ، أو ترتيبها بناءً على أسماء الشعراء الذين أبدعوها ، ويبدو أن الطريقة الأخيرة أسلم ؛ لما فيها من استبعاد للتكرار في ذكر أسماء الشعراء ؛ وأيضاً لما فيها من تماسك الصورة التي يأخذها القارئ عن الشاعر الذي له أكثر من ديوان . فعلى هذه الطريقة يذكر العلم مرة واحدة ، ويذكر بعده أسماء دواوينه المطبوعة واحداً تلو الآخر ، مرتبة حسب تأريخ صدورها ، إن كان له أكثر من ديوان ، بينما على الطريقتين الأوليين سيتكرر اسم الشاعر عند كل مرة يرد فيها أحد دواوينه ، والاختصار أولى وأحرى .

وبهذه الطريقة – أعني الترتيب بناءً على أسماء الشعراء – يمكن التعرف على التدرج الفني الذي طرأ على شعر بعض الشعراء ، وأثره في تجاربهم الفنية في مختلف مناحيها .

وسأعرض الدواوين المطبوعة بناءً على هذه الطريقة ، مرتباً الشعراء وفق تواريخ ميلادهم ، مبتدئاً بالأقدم مولداً ، واعتماد تاريخ الميلاد هنا ؛ احتراماً لريادة الرواد ، وتقديراً لسبقهم في الميدان .

---

(١) ذكر الأستاذ محمد بن سليمان القسومي أن ثاني الدواوين الشعرية المستقلة الصادرة في جازان هو ديوان العقيلي (الأنغام المضيئة) الصادر سنة ١٣٩١هـ ، وهذ ليس بصحيح ، بل سبق هذا الديوان أربعة دواوين شعرية كما تقدّم . انظر : محمد بن علي السنوسي حياته وشعره ، للقسومي ، رسالة ماجستير مقدمة إلى قسم الأدب بكلية اللغة العربية بالرياض عام ١٤١٤هـ ، غير منشور : ٥٦ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

وعند عرض الدواوين الشعرية سأبيّن في كلّ ديوان اسمه وطبعته ، وطبعاته إن كان له طبعات ، وتاريخ صدوره ، ومكان طباعته ، وعدد القصائد الواردة فيه وموضوعها إن كان لها موضوع واحد يضمها ، وتأريخها أو عدمه ، وطريقة ترتيب الشاعر له أو عدم ترتيبه ، ونوعية التجربة الموسيقية ، ومقدمة الشاعر لديوانه إن كان قد قدّم له ، أو تقديم أحد النقاد ، أو الأدباء للشاعر وشعره إن وجد.

* *

الدواوين المطبوعة :

١- علي بن محمد السنوسي : (١٣١٥ - ١٣٦٣هـ)

صدرت ثلاثة مصادر مطبوعة جُمع فيها بعض أشعاره ، وهي :

أولاً- ((مجموع شعراء الجنوب)) :

شارك الشاعر بشيء من شعره في هذا المجموع الذي طبع سنة ١٣٧٠هـ بمطبعة الكمال بعدن، إضافة إلى ابنه محمد السنوسي، ومحمد العقيلي،وأحمد علي عبدالفتاح الحازمي.

وقد بلغ عدد قصائد علي السنوسي في هذا المجموع سبع قصائد، الأولى بعنوان: (عبدالعزيز أدام الله دولته) ، ومطلعها :

هـذا المقام وهذا المحفـل النضر يزهـو برونقه الباهي ويزدهـرُ [١]

والثانية بعنوان : (فأهلاً بوضاح الجبين محمد) ، ومطلعها :

قد ازدهت يوم اللقاء الكواكـب على ملكٍ سامي الذرى والمواكب[٢]

والثالثة بعنوان : (يا ملكاً يطل في الآفاق) ، وهي مخمسة ، مطلعها :

من منكم الصنديـد والسميدع والبطـل القـرم الكمي الأشجع

(١) مجموع شعراء الجنوب : ٤ .

(٢) المصدر السابق : ٩ . وهذه القصيدة من نتاج العهد الإدريسي .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ومـــن عصـــاه كل عاصٍ تقرع يـــذود عـــن دين الهدى ويدفع
ما ليس فيه من ضلال يبدع [١]

والرابعة بعنوان : (جلالة الملك السامي مراتبه) ، ومطلعها :

حبِّر إذا كنت منـــسوبـــاً إلى الأدب مدحاً لسامي العلا والمجد والرتب[٢]

والخامسة بعنوان : (أجل مساعيه) ، ومطلعها :

أجـــلّ مساعيـــه العنايـــة بالهـــدى وغايـــة مرمـــاه النكايـــة بالعـــدا[٣]

والسادسة بعنوان : (بين المتنبي والسنوسي) ، ومطلعها :

لك مـــن خالـــص الفؤاد وداده ومن الطـــرف ما حواه سواده[٤]

والسابعة بعنوان : (كيف السبيل) ، ومطلعها :

يـــا خـــير آنسةٍ بليـــلٍ حالك حـــالي أرقُّ صبابـــة مـــن حالـــكِ[٥]

وعدد الأبيات الواردة لعلي السنوسي في هذا المجموع ٣٣٢ بيتاً [٦] .

ثانياً- المفقود من شعر علي بن محمد السنوسي :

صدر هذا الكتاب في طبعته الأولى سنة ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م بتحقيق الدكتور عبدالله بن محمد أبو داهش ، وطبع في مطابع الجنوب بأبها .

---

(١) المصدر السابق : ١٣ .

(٢) المصدر السابق : ١٨ .

(٣) المصدر السابق : ٢١ ، وقد أعاد أبو داهش تحقيق هذه القصيدة مرة أخرى على أصلها المكتوب بخط الشاعر ، وفيها أبيات لم تنشر في مجموع شعراء الجنوب . (انظر : المفقود من شعر علي بن محمد السنوسي ، للدكتور عبدالله أبو داهش : ١٢١) .

(٤) مجموع شعراء الجنوب : ٢٤ .

(٥) المصدر السابق : ٢٦ .

(٦) انظر الحديث عن هذه القصائد بتفصيل في : (المفقود من شعر علي بن محمد السنوسي) ، لأبي داهش : ٥٥ - ٥٧ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

وقد ضمّ هذا الكتاب أربع قصائد ومقطوعة وبيتاً يتيماً . وعدد الأبيات الواردة لعلي بن محمد السنوسي في هذا الكتاب : مائة وثلاثة وستون بيتاً . وقد أرّخ المحقق لهذه القصائد والأبيات عند ذكر مناسباتها ، ويتبيّن من ذلك أنها قيلت بين عامي ١٣٤٨ - ١٣٥٤هـ ، منها ما له علاقة بالعهد الإدريسي ، ومنها مدائح في الملك عبدالعزيز وعمّاله .

ثالثاً - من شعر علي بن محمد السنوسي :

صدر هذا الكتاب في طبعته الأولى سنة ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م ، وهو من منشورات نادي جازان الأدبي ، وطبع في دار العلم للطباعة والنشر بجدة . جمعه ودرسه وحققه الدكتور عبدالله بن محمد أبو داهش .

وقد ورد في هذا الكتاب من أشعار علي السنوسي أربع قصائد ومقطوعة واحدة، وجميعها لم ينشر من قبل ، وعدد أبياتها مائة وعشرة أبيات ، اثنتان منها في مديح الملك عبدالعزيز ، وواحدة في مدح محمد بن علي الإدريسي ، وواحدة في تهنئة علي بن محمد صالح عبدالحق بزواج ، والمقطوعة من شعر الإخوانيات بينه وبين عبدالرحمن المعلمي .

والقصائد كلها مؤرخة ، قيلت بين عامي ١٣٣٧ - ١٣٥٩هـ .

وجميعها موزونة ومقفاة . والقصيدة الرابعة التي هنأ بها علي بن محمد صالح عبدالحق رباعية الأبيات ، تنتهي في كل بيت من أبياتها بقافية واحدة موحدة ، وهي من سبعة مقاطع ثنائية الأبيات .

٢- أحمد بن علي عبدالفتاح الحازمي : (١٣٣٣- ١٤١٠هـ)

أسهم هذا الشاعر مع نفرٍ من جيل الرواد ، هم : علي بن محمد السنوسي ، وابنه محمد بن علي السنوسي ، ومحمد بن أحمد العقيلي في إصدار ديوان (شعراء الجنوب) ، سنة ١٣٧٠هـ [1] ، وشارك الشاعر في هذا المجموع بقصيدتين فقط ، مطلع الأولى :

(١) سبق الحديث عن هذا المجموع الشعري الذي طبع في دار الكمال بعدن .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ما للكرى لم يصاحب منك أجفانا وما سباك فما تنفك ولهانا[1]

ومطلع الثانية :

ليالي الأنس هذا الأنس جودي بما تهوي على رغم الحسود[2]

ولم يحاول الشاعر بعد صدور هذا المجموع ، أن ينشر قصائده الأخرى الكثيرة التي لو جمعت لجاءت في أكثر من ديوان .

٣- علي بن حسين الفيفي : (١٣٣٤هـ - ...)

صدرت له ستة دواوين هي :

أولاً- (أصداء الذكريات) :

صدر في طبعته الأولى سنة ١٣٨٤هـ ، وطبع في مكة المكرمة ، ولم يُشر في الديوان إلى اسم المطبعة التي طبعته . وهو يمثل بدايات علي الفيفي الشعرية .

وعدد قصائد هذا الديوان (٢٧) قصيدة ، وهي غير مؤرخة ، ولم يرتب الشاعر ديوانه هذا ، وجلّه في الاتجاه الوجداني والإخوانيات . وهو من الشعر الموزون المقفى.

وقد قدم لهذا الديوان شاعر الجيش علي بن زين العابدين الذي تحدث عن تجارب الفيفي الشعرية وعصاميته ، وتعجب من جمعه بين شعر الغزل المتميز وبين طبيعته العسكرية التي لم تظهر مطلقاً في شعره . وحلل بعد ذلك مواقف الشاعر وتجاربه الغزلية ، وتمنّى من الشاعر أن ينوع تجاربه المستقبلية بين الغزل وغيره من الموضوعات ، كما تمنّى من القراء وخاصة العسكريين أن يستمعوا لهذا الشاعر ويشجعوه ، ويقرأوا شعره ، وبشّر بأن لهذا الشاعر مستقبلاً زاهراً إذا والى الاطلاع والقراءة والتعرف على كل جديد ومفيد .

(١) مجموع شعراء الجنوب : ١٠٨ .
(٢) المصدر السابق : ١١٠ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

ثانياً- (أجراس) :

صدر هذا الديوان في طبعته الأولى سنة ١٣٨٨هـ / ١٩٦٨م ، وطبع في مطابع الجيش ، الرياض .

ثالثاً- (رحلة العمر) :

صدر هذا الديوان في طبعته الأولى سنة ١٣٩٧هـ ، وهو من منشورات نادي الطائف الأدبي ، وطبع بمطابع الزايدي للأوفست بالطائف. وعدد قصائده (٣٠) قصيدة، لم تؤرخ ، ولم ترتب وفق نسق معيّن . وجميع القصائد موزونة ومقفاة .

رابعاً- (أزهار) :

صدر هذا الديوان في طبعته الأولى سنة ١٤٠٢هـ ، وهو من منشورات نادي الطائف الأدبي .

وعدد قصائده (٤٤) قصيدة ، لم تؤرخ ، ولم ترتب ، وجميعها في الاتجاه الوجداني والإخوانيات ، وهي من الشعر الموزون المقفى .

خامساً- (زائر الأمس) :

صدر هذا الديوان في طبعته الأولى سنة ١٤٠٦هـ ، وهو من منشورات نادي الطائف الأدبي ، وطبع بمطابع الجنوب بالطائف .

وعدد قصائده (٤٥) قصيدة ، لم يؤرخها الشاعر ، ولم يرتّبها وفق نسق معين . وقصائد الديوان لم تخرج عن الوطنيات والاجتماعيات والإخوانيات ، وجميعها موزونة ومقفاة .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

سادساً- (الهمس الخافت) :

صدر هذا الديوان في طبعته الأولى سنة ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م ، وهو من منشورات نادي الطائف الأدبي ، وطبع في دار الحارثي للطباعة والنشر بالطائف .

وعدد قصائده (٤٨) قصيدة ، لم تؤرخ ولم ترتب .

وجميعها موزونة ومقفاة .

٤- محمد بن أحمد العقيلي : (١٣٣٦ - ١٤٢٣هـ)

صدر للشاعر قصائد ضمن مجموع ، وثلاثة دواوين مستقلة ، هي :

أولاً- (مجموع شعراء الجنوب) :

شارك العقيلي بأشعاره في هذا المجموع الذي طبع سنة ١٣٧٠هـ بمطبعة الكمال بعدن، وضمّ نتاج نفرٍ من شعراء جازان – سبق ذكرهم – .

وبلغت قصائد العقيلي في هذا المجموع (١٣) قصيدة ، وجميعها مؤرخة ، وحين نشر الشاعر مجموعته الكاملة أضاف إلى ما نشر في (شعراء الجنوب) ست عشرة قصيدة، وسمّى هذا المجموع الجديد (شعراء الجنوب) ، مع كون هذا الديوان لا يشتمل إلا على شعره دون شركائه الثلاثة في الأصل ، وفيها بداياته الشعرية ، كقصيدة (الغرام الأول) [١]، وهي أول قصيدة قالها الشاعر كما صرح هو بنفسه في تعليقه عليها [٢]. وكقصيدة (بين جمال الطبيعة وجلال البحر)، فقد ذكر الشاعر في مقدمتها : ((**القصيدة من أوائل شعر الشاعر بله ثاني قصيدة أنشأها**)) [٣] ، وإن كانتا هاتان القصيدتان قد نشرتا في ديوانه (الأنغام المضيئة) [٤] ، ولكنه في المجموعة الكاملة حذفهما

(١) المجموعة الكاملة ، للعقيلي : ١٨١ .

(٢) المصدر السابق : ١٩٢ . وانظر : محمد العقيلي ، العالم الموسوعي ، للدكتور محمد الصادق العفيفي : ٢٠ – ٢١.

(٣) المجموعة الشعرية الكاملة ، للعقيلي : ١٤٧ .

(٤) ديوان الأنغام المضيئة ، للعقيلي : ٧١ ، ١٠٩ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

من (الأنغام المضيئة) ، وأثبتهما مع (أشعار الجنوب) ليحوي كل بداياته الشعرية .

وقد قسم الشاعر قصائده الواردة في هذا المجموع إلى خمسة أقسام ، جعل لكل قسم منها عنواناً يكشف عن التجارب الشعرية التي ينتظمها هذا القسم ، وعنوانات هذه الأقسام هي على التريب :

أولاً – (السعوديات) ، وفيه خمس قصائد .

ثانياً – (عربيات) ، وفيه قصدتان .

ثالثاً – (تحايا وتهاني) ، وفيه تسع قصائد .

رابعاً– (الوصف) ، وفيه أربع قصائد .

خامساً– (الغزل) ، وفيه تسع قصائد .

وقصائد العقيلي الثلاث عشرة الواردة في ديوان (شعراء الجنوب) هي : (عاهل الجزيرة مليكي المفدى) ، و(الوحدة العربية) ، و(جبل فيفا) ، و(تحية الملك) ، و(تألقت في سماء الشرق ساطعة) ، و (زهرة) ، و (هنا قلم) ، و (هزوا اللواء) ، و (جازان) ، و(إلغاء رسم الحج) ، و(مهرجان اليوبيل الذهبي) ، و(بيرس شيلي) ، و(قبس من أشعة الحق) .

ثانياً - (الأنغام المضيئة) :

صدر هذا الديوان في طبعته الأولى سنة ١٣٩١هـ / ١٩٧١م عن دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر بالرياض .

وعدد قصائده (٤٦) قصيدة ، ولما أعاد الشاعر طباعة هذا الديوان ضمن المجموعة الكاملة، حذف منه القصائد الثلاث التي سبقت الإشارة إليها ، وهي بداياته الشعرية ، وضمّها إلى ديوان (شعراء الجنوب) – كما مرّ آنفاً – . وأغلب القصائد مؤرخة ، وكثير منها مما نشر في الصحف والمجلات ، لا سيما المنهل واليمامة والبلاد .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وقد رتب الشاعر ديوانه ترتيباً موضوعياً ، وجعله في سبعة أقسام وعنوانات هذه الأقسام ، هي :

أولاً – (السعوديات) ، وفيه ثلاث عشرة قصيدة .

ثانياً – (في ربوع الوطن) ، وفيه سبع قصائد .

ثالثاً – (عربيات) ، وفيه أربع قصائد .

رابعاً– (شرقيات وغربيات) ، وفيه ست قصائد .

خامساً– (غزليات) وفيه خمس قصائد .

سادساً– (تحيّات) ، وفيه تسع قصائد .

سابعاً – (أناشيد) ، وفيه قصيدتان .

وقد قدم لهذا الديوان الأستاذ حمد الجاسر ، فعرّف بالعقيلي ، وتحدث عن قدراته التاريخية وجهوده في خدمة تاريخ جنوب المملكة ، ثم تحدث بعد ذلك عن شاعرية العقيلي – باختصار – ، واعتذر لنفسه بأنه ليس شاعراً ، ولا يفهم الشعر إلا شاعر – كما قال – ، ودعا النقاد إلى تناول ديوان العقيلي بالدرس والتحليل للوقوف على جوانب الإبداع فيه ، وسامي معانيه .

ثالثا- (أفاويق الغمام) :

صدر في طبعته الأولى سنة ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م ، عن دار البلاد للطباعة والنشر ، بجدة وعدد القصائد الواردة فيه (٢٥) قصيدة ، لم يؤرخها الشاعر ، ولم يرتبها وفق نسقٍ معين .

رابعاً- (رأد الضحى) :

صدر هذا الديوان في طبعته الأولى سنة ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م ، ولم يصدر منفرداً ، بل ضمنه الشاعر مجموعته الشعرية الكاملة .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

وعدد القصائد الواردة في هذا الديوان : سبع عشرة قصيدة ، أغلبها مؤرخة . وافتتح الشاعر ديوانه هذا بقصيدة عامية عنوانها : (أفديك يا وطني) [1] أنشأها الشاعر في ٢٣/ ٥/ ١٣٨٤هـ . وقصائد الديوان لم ترتب .

وقد نشر الشاعر جميع أشعاره الواردة في الدواوين السابقة في مجموعة واحدة سماها (المجموعة الشعرية الكاملة لأشعار العقيلي)، صدرت سنة ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م ، عن شركة مطابع جازان ، بجازان ، وعدد القصائد الواردة في هذه المجموعة الشعرية (١١٢) قصيدة ومقطوعة . وعدد أبياتها (٣٤٥٤) بيتاً .

وصدر للشاعر بعد نشر هذه المجموعة حوالي ستّ عشرة قصيدة فقط ، وهي لا تضيف جديداً إلى أشعار العقيلي [2] .

وجميع أشعار العقيلي موزونة ومقفاة ، ما عدا القصيدة العامية التي افتتح بها ديوانه (رأد الضحى) [3] ، وقد سبقت الإشارة إليها .

٥- محمد بن علي السنوسي : (١٣٤٣هـ - ١٤٠٧هـ)

صدر للشاعر عدد من القصائد ضمن مجموعٍ ، وخمسة دواوين شعرية مستقلة ، وذلك على النحو الآتي :

أولاً- (شعراء الجنوب) :

شارك السنوسي بأشعاره في هذا المجموع الذي طبع سنة ١٣٧٠هـ بمطبعة الكمال بعدن ، وضمّ نتاج شعراء آخرين سبق ذكرهم .

ونصيبه من هذا المجموع (١٢) قصيدة ، ومجموع أبياتها (٤٦١) بيتاً ، وهي تمثل بداياته الشعرية ، ومحاولاته الأولى . وهي مؤرخة ، وأكثرها مما نشر في الصحف والمجلات ، لا سيما المنهل وأم القرى .

(١) المجموعة الشعرية الكاملة ، للعقيلي : ٥٩٩ .
(٢) انظر : شعر محمد بن أحمد العقيلي ، دراسة تحليلية ، خالد ربيع الشافعي (رسالة ماجستير غير منشورة) : ٥ .
(٣) انظر : المجوعة الشعرية الكاملة ، للعقيلي : ٥٩٩ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وقصائد محمد السنوسي الواردة في ديوان (شعراء الجنوب) هي : (لألأ الفجر) ، و(المدرسة) ، و(شهداء فلسطين) ، و(تاج يضيء) ، و(ذكرى الحج) ، و(تحية الإذاعة السعودية) ، و(ديوان شاعر) ، و(مشروع باخرة) ، و(أبي) ، و(أغنية البلبل)، و(في ظلال المشاعر المقدسة) ، و(أيها العرب) .

وكان أشعر أصحابه في هذا المجموع ، وأطوعهم على قول الشعر كما سيأتي .

ثانياً - (القلائد) :

صدر هذا الديوان في طبعته الأولى سنة ١٣٨٠هـ ، وطبع في مطابع دار الكتاب العربي بالقاهرة .

وعدد قصائده (٣٦) قصيدة ، وأغلبها مؤرخة ، ولم يرتبها الشاعر وفق ترتيب معين .

وهذا الديوان هو أول ديوان شعري مستقل لشاعر من شعراء جنوبي المملكة العربية السعودية عموماً ، وفي جازان خصوصاً .

ثالثاً- الأغاريد :

صدر هذا الديوان في طبعته الأولى سنة ١٣٨٥هـ ، وطبع في مطابع دار الأصفهاني، بجدة .

وعدد قصائده (٣١) قصيدة ، وجميعها غير مؤرخة ، ولم تُرتّب وفق نسقٍ معين .

وقدّم لهذا الديوان الأستاذ محمد سعيد العامودي ، وتحدث في مقدمته عن الأمة وثقافتها، وكيف يمكن لها أن ترقى وتعي ، وتطرق إلى نصيب بلادنا من هذا الوعي . وأشار بعد ذلك إلى السنوسي ومكانته في الساحة الأدبية ، وركّز على أنّ الميزة التي رفعت السنوسي وشعره هي كثرة القراءة والاطلاع .

رابعاً- (الأزاهير) :

صدر هذا الديوان في طبعته الأولى سنة ١٣٩٧هـ / ١٩٧٢م ، ولم يذكر اسم الناشر أو المطبعة التي طبع فيها .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

وعدد قصائد الديوان (٢١) قصيدة ، لم تؤرخ ، ولم ترتب وفق ترتيب معيّن .

خامساً- (الينابيع) :

صدر هذا الديوان في طبعته الأولى سنة ١٣٩٩هـ ، وهو من منشورات نادي جازان الأدبي ، وطبع في شركة المدينة للطباعة والنشر ، بجدة .

وعدد قصائده (٣٦) قصيدة ، بعضها أرّخ ، وبعضها الآخر لم يؤرخ ، وقد قسم الشاعر ديوانه هذا إلى أربعة موضوعات هي :

أولاً – (إسلاميات) ، وفيه ست قصائد .

ثانياً – (تأملات) ، وفيه أربع قصائد .

ثالثاً – (قوميات) ، وفيه إحدى عشرة قصيدة .

رابعاً– (متفرقات) ، وفيه خمس عشرة قصيدة .

ولم يفعل هذا التقسيم في غير هذا الديون .

سادساً- (نفحات الجنوب) :

صدر هذا الديوان في طبعته الأولى ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م ، وهو من منشورات نادي جازان الأدبي ، وطبع بمطابع الروضة بجدة .

وعدد قصائده تسع وعشرون قصيدة ، لم تؤرخ ، ولم ترتب .

وقد جمع السنوسي أشعاره الواردة في دواوينه الخمسة المستقلة ، وهي : (القلائد، والأغاريد ، والأزاهير ، والينابيع ، ونفحات الجنوب) في مجموعة شعرية واحدة سمّاها: (الأعمال الكاملة) ، وهي من منشورات نادي جازان الأدبي ، وطبعت بمطابع الروضة، بجدة، سنة ١٤٠٣هـ .

وعدد القصائد والمقطوعات الواردة في الأعمال الكاملة (١٥١) قصيدة ومقطوعة، وبيتاً يتيماً أهداه إلى المتنبي ، وعدد أبياتها (٣٥٥٦) بيتاً .

والأعمال الكاملة – كما هو واضح – لم تضمّ قصائد السنوسي الواردة في ديوان (شعراء الجنوب) المشترك ، وعددها اثنتا عشرة قصيدة كما مرّ ، وقصائد أخرى عديدة

www.alukah.net
شبكة الألوكة

نشرت في الصحف والمجلات ، وكذلك قصائد مخطوطة هنا وهناك .

وقد بذل الأستاذ محمد بن سليمان القسومي جهداً كبيراً في جمع شعر السنوسي الذي لم يرد في الأعمال الكاملة ، وقد بلغت القصائد الواردة في الصحف والمجلات والقصائد المخطوطة (٣٩) ما بين قصيدة ومقطوعة وأنشودة ، وعدد أبياتها (٦٤١) بيتاً . وهي معدّة للطباعة بنادي جازان الأدبي ، بعنوان : ((**من ديوان شاعر الجنوب محمد بن علي السنوسي فائت الأعمال الكاملة**)) .

وقد ضمّ القسومي إلى هذا المجموع أشعار السنوسي الواردة في ديوان (شعراء الجنوب) بعد إعادة ترتيبها ، وذلك بإشارة وإيعاز من الأستاذ الدكتور محمد بن سعد بن حسين الذي قدّم هذا المجموع . وأشار القسومي إلى سبب إلحاقه لأشعار السنوسي الواردة في ذلك الديوان المشترك إلى ما جمعه من الصحف والمجلات بقوله : ((**وقد رأيت إلحاق هذه القصائد المنشورة في ديوان شعراء الجنوب بهذه المجموعة ؛ لتكون مشتملة على جميع ما عثر عليه من شعره الذي لم يحوه ديوان الأعمال الكاملة ؛ وذلك لأنه قد مضى سبعة وأربعون عاماً على نشر ديوان شعراء الجنوب ، وقد ندرت نسخه حتى في المكتبات المركزية ، فكان من المناسب أن تضمّ إلى هذه المجموعة**)) [1] .

ويلحظ هنا أني لم أشر إلى قضية الوزن والقافية عند عرض دواوين السنوسي ؛ لأنه لم يخرج عن هذين الضابطين في جميع شعره ، بل كان يعرّض بالخارجين على الضوابط الشعرية الموروثة .

٦- أحمد عبدالله باهادون العطاس : (١٣٤٩هـ - ...)

صدر له ديوانان شعريان هما :

أولاً- (من وحي التأملات) :

صدر سنة ١٤٠٦هـ من غير ذكر لمكان طباعته . وعدد قصائده (ثلاث وأربعون

(١) من ديوان شاعر الجنوب محمد بن علي السنوسي (فائت الأعمال الكاملة) جمع وترتيب محمد بن سليمان القسومي : ٦ – ٧ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

قصيدة) ، مرتبة على حروف الهجاء ، وتناولت كثيراً من أغراض الشعر ، لا سيما المدائح والإخوانيات .

وجميع القصائد موزونة ومقفاة .

وقد قدّم هذا الديوان الأستاذ أحمد محمد الحسّاني ، فتحدث عن أنَّ هذا الديوان يعد من شعر المناسبات ، وأنَّ العطاس شاعر مناسبة ، وفصّل القول في شعر المناسبات بين الرافضين له والمؤيدين ، وقال : إنه ينبغي التوسط في هذه القضية . وركّز على أنّ أهمّ شيء هو انفعال الشاعر بالحدث ، ولا يهم بعد ذلك إن كان الشعر في مناسبة أو في غيرها ، وذكر الحساني في تقديمه أننا إذا رفضنا شعر المناسبات بالكلية معناه أننا نرفض تسعة أعشار الشعر العربي ، منذ العصر الجاهلي وحتى يومنا هذا ، مع ما تضمّنه من الكنوز الفكرية والروائع التي كثير منها لا زلنا نقف أمامها مشدوهين ومعجبين .

ثانياً- (تغريد النّهى) :

صدر سنة ١٤٠٨هـ ، وطبع في مطابع الصفا بمكة المكرمة ، وعدد قصائده (سبع وخمسون قصيدة) ، رتّبها الشاعر في أبواب خمسة :

أ – في رحاب الهدى والإيمان ، وفيه إحدى وعشرون قصيدة .

ب– مع الشعراء ، وفيه سبع قصائد .

ج– اجتماعيات ، وفيه ثلاث عشرة قصيدة .

د – شعر المناسبات ، وفيه أربع عشرة قصيدة .

هـ– المراثي ، وهي قصيدتان .

وجميع قصائد الديوان من الشعر الموزون المقفى .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

٧- علي بن قاسم الفيضي : (١٣٥٠هـ - ...)

صدر له ديوانان ، هما :

أولاً- (الطيف العابر) :

صدر في طبعته الأولى سنة ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م في بيروت ، ولم يشر في الديوان إلى اسم المطبعة أو الدار التي نشرته .

وعدد قصائده (٣٦) قصيدة ، وأغلبها مؤرخة ، وتمثل بدايات الشاعر ، وقيلت بين عامي ١٣٨٢هـ - ١٤٠٠هـ ، وكثير منها مما نشر في الصحف والمجلات .

وقد قسم الشاعر ديوانه إلى ستة أقسام ، هي :

الأول - (أحداث وخواطر) ، وفيه أربع قصائد .

الثاني - (مناسبات) ، وفيه تسع قصائد .

الثالث- (محاورات) ، وفيه ثلاث قصائد .

الرابع - (إخوانيات) ، وفيه تسع قصائد .

الخامس- (مراثٍ) ، وفيه خمس قصائد .

السادس- (منوعات) ، وفيه ست قصائد .

وجميع قصائد الديوان موزونة ومقفاة .

وقد قدّم الشاعر لديوانه هذا بمقدمة تحدث فيها عن التجربة الشعرية ومصادرها ومطاوعتها حيناً ، وامتناعها أحياناً أخرى ، وأشار إلى اللحظات التي تأتي فيها الفكرة الشعرية .

ثانياً- (ومضُ الخاطر) :

صدر في طبعته الأولى سنة ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م ، بدون تاريخ طبع ، ولا ذكر للناشر ، أو دار الطبع التي طبعته .

وعدد قصائده خمس وخمسون قصيدة ، أرّخ الشاعر كثيراً منها ، وقسم ديوانه إلى

شبكة الألوكة - قسم الكتب

تسعة أقسام ، هي :

الأول – (إسلاميات) ، وفيه ثلاث قصائد .

الثاني – (قضايا وتطورات) ، وفيه ثلاث قصائد .

الثالث– (محاورات)، وفيه أربع قصائد ، منها قصيدتان عاميتان ، هما : (سلمان للغادي) [1]، و(مؤسسات الحقائب) [2].

الرابع – (أحداث ومناسبات) ، وفيه اثنتا عشرة قصيدة .

الخامس– (مسائل ومناقشات) ، وفيه أربع قصائد .

السادس– (مداعبات ومفاكهات) ، وفيه ست قصائد ، منها أربع قصائد ليست للشاعر ، هي: (دعابة)[3]، و(ردّ على إجابة)[4] ، و(فمالك والتعرض لأهل تعشر)[5]، و(ذؤابة على هامش الدعابة) [6] .

السابع – (منوعات) ، وفيه خمس قصائد .

الثامن – (مراثي وتأوهات) ، وفيه ثلاث قصائد .

التاسع – (إخوانيات وذكريات) ، وفيه ثلاث عشرة قصيدة ، منها قصيدتان فقط للشاعر، والقصائد الأخرى للشعراء الذين شاركوا في المحاورات الشعرية التي أثارها معالي الشيخ راشد بن خنين في بيته الذي أرسله للشاعر حينما ضمهما لقاء في الديوان الملكي بقصر السلام بجدة ، وهو قوله :

عليٌّ بلا فيفا وفيفا بدونه فكيف استطاعا العيش بعد التفرق

(١) انظر : ومض الخاطر : ٧٣ .

(٢) المصدر السابق : ٧٥ .

(٣) انظر : المصدر السابق : ١٤١ ، وهي قصيدة لعلي بن مديش بجوي .

(٤) انظر : المصدر السابق : ١٤٢ ، وهي قصيدة لعلي بن مديش بجوي – أيضاً – .

(٥) انظر : المصدر السابق : ١٤٥ ، وهي قصيدة للشاعر حسن بن علي القاضي .

(٦) انظر : المصدر السابق : ١٤٧ ، وهي قصيدة للشاعر جبران بن محمد قُحل .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وردّ عليه الشاعر بقوله :

مقادير ربي في اجتماعٍ وفرقةٍ ومكة أولى يا أخي بالتعلّق [1]

فحرك هذان البيتان الشعراء ، وأثبت الشاعر من القصائد التي دارت في هذه الحلبة الأدبية إحدى عشرة قصيدة [2] .

وجميع القصائد موزونة ومقفاة ، ما عدا القصيدتين العاميتين اللتين سبقت الإشارة إليهما.

وقد قدّم لهذا الديوان الشاعر الكبير حسين عرب ، وتحدث في تقديمه عن إمامة علي بن قاسم الفيفي في الصناعتين ، صناعة الفقه والقضاء ، وصناعة الأدب والإنشاء، ثم توقف طويلاً أمام العنوان ، وبيّن المعاني التي أوحى بها إليه ، ودلالات ذلك على اتصال الفيفي بتراث الأمة .

٨- علي بن أحمد النعمي : (١٣٥٦هـ - ...)

صدر له خمسة دواوين ، هي :

أولاً- (الأرض والعشق) :

صدر في طبعته الأولى سنة ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م ، وهو من منشورات دار الفيصل الثقافية بالرياض . وطبع مرة ثانية طبعة مصورة سنة ١٤٠٦هـ .

وعدد قصائد هذا الديوان (٣٢) قصيدة ، وقد أرّخ الشاعر قصائده ، لكنه لم يرتبها، والديوان يمثل بدايات علي النعمي الشعرية .

وجميع القصائد موزونة ومقفاة .

ثانياً- (عن الحب ومُنى الحلم) :

صدر في طبعته الأولى سنة ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م ، وهو من منشورات نادي جازان الأدبي ، وطبع في دار العلم للطباعة والنشر بجدة .

---

(١) انظر البيتين في : المصدر السابق : ١٩١ .

(٢) انظر بيان هذه القصائد وقائليها في ومض الخاطر : ١٩١ - ٢٢٠ . وسيأتي الحديث عنها في مبحث الإخوانيات في الفصل الثاني من هذا الباب .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

وعدد قصائد هذا الديوان (٢٥) قصيدة ، وجميع هذه القصائد غير مؤرخة ، ولم يرتبها الشاعر وفق نسق معين ، ولكنها تدور في اتجاه شعري واحد هو الاتجاه الوجداني، وجميعها موزونة ومقفاة .

ثالثاً- (الرحيل إلى الأعماق) :

صدر في طبعته الأولى سنة ١٤٠٦هـ، وهو من منشورات نادي جازان الأدبي ، وطبع في دار العلم للطباعة والنشر بجدة .

وعدد قصائد هذا الديوان (٢١) قصيدة ، وقد أرّخ الشاعر جميع هذه القصائد ، ولكنه لم يضع لها ترتيباً معيناً .

وتدور قصائد هذا الديوان حول موضوع محدد ، واتجاه واحد هو نصرة قضايا الحق ، ومساندة الخير كما قال الشاعر في مقدمته التي قدّم بها ديوانه [١] ، والديوان كله مرتبط بهذا المحور الذي حدّده الشاعر من قبل ، وجميع قصائد هذا الديوان مما نشر في الصحافة ، وفيه بعض القصائد التي تمثل بدايات الشاعر المنشورة ، مثل قصيدة (أنَّة شريد) [٢] التي نشرت في البلاد في ١٧/ ١١/ ١٣٨٧هـ .

وجميع هذه القصائد موزونة ومقفاة .

وقد قدّم الشاعر لديوانه بمقدمة تحدث فيها عن الصراع بين الحق والباطل ، وأنه شاعر يثق بأمانة الكلمة ، وعليه واجب في نصرة الحق ، ودحر الباطل ، وهذا الديوان سهم من كنانته ، وجزء من واجبه في سبيل ذلك .

رابعاً- (جراح قلب) :

صدر في طبعته الأولى سنة ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م ، وهو من منشورات نادي جازان الأدبي ، وطبع بمطابع دار العلم للطباعة والنشر ، بجدة .

وعدد قصائد هذا الديوان (٢٨) قصيدة ، وأغلبها مؤرخة ، ولكن الشاعر لم

(١) الرحيل إلى الأعماق : ٩ .

(٢) المصدر السابق : ١٠٤ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

يرتب قصائده ، وجميع القصائد قد نشرت في الصحف والمجلات ، وأقدمها تأريخاً قصيدة (نغمات كئيبة) [1] التي نشرت في مجلة العرب سنة ١٣٨٨هـ [2] .

وجميع هذه القصائد موزونة ومقفاة .

قدم الشاعر لديوانه جراح قلب بمقدمة عنوانها (من الكلمة لا بد) تحدث فيها عن الحياة مبتداها ومنتهاها ، ودوائرها الثلاث التي تتشكل فيها حياة الإنسان ، وهي الأمس واليوم والغد ، وتحدث عن التجارب الحياتية والإنسانية من خلال هذه الدوائر الثلاث .

خامساً- (لعيني لؤلؤة الخليج ، كويت الملحمة) :

صدر في طبعته الأولى سنة ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م ، وهو من منشورات نادي جازان الأدبي ، وطبع بمطابع دار العلم للطباعة والنشر ، بجدة .

وعدد قصائد هذا الديوان (٨) قصائد ، جميعها مؤرخة ، وأغلبها مما نشر في الصحف والمجلات . وتدور هذه القصائد حول موضوع واحد هو غزو العراق للكويت ، وأثر ذلك على الأمتين العربية والإسلامية ، وموقف الشاعر من ذلك .

وجميع القصائد موزونة ومقفاة ، ما عدا القصيدة الأخيرة التي عنوانها : (كويت الملحمة) [3] ، فهي من الشعر التفعيلي ، ولها من اسمها نصيب ، فهي ملحمة شعرية شاركت بها إدارة تعليم صبيا في مهرجان الجنادرية للتراث والثقافة السابع ، في شهر شعبان سنة ١٤١٢هـ . وقد جاءت في مائة صفحة من صفحات الديوان البالغة (١٩٤) صفحة ، أي أكثر من نصف الديوان [4] .

---

(١) جراح القلب : ١٤٦ .

(٢) مجلة العرب ، ج١ ، س ٣ ، رجب عام ١٣٨٨هـ ، ص : ١٠٨ .

(٣) لعيني لؤلؤة الخليج : ٩٣ .

(٤) للشاعر غير هذه الدواوين الخمسة المطبوعة ، أربعة دواوين تحت الإعداد والطبع هي :
أولاً- النغم الحزين .
ثانياً- قسمات وملامح .
ثالثاً- قصة حب .
رابعاً- الأرضُ الوطنُ الحبُّ الكبير .
وجميعها موجودة لدى الباحث .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

٩- إبراهيم بن عبدالله عمر مفتاح : (١٣٥٩هـ - ...)

صدرت له ثلاثة دواوين شعرية :

أولها - (عتاب إلى البحر) :

وهو باكورة إنتاجه الشعري ، وهو غير مؤرخ ، ولكن الشاعر يقول : إنه طبع سنه ١٤٠١هـ[1] ، وقد طبعته مطابع الجامعة ، بجدة في طبعته الأولى . وعدد قصائده (٣٤) قصيدة ، وليس للشاعر منهج واضح في ترتيبه لقصائده ، وبعض تلك القصائد مؤرخة ، وأقدم تأريخ هو ما قدم به لقصيدة (نداء العصر) ، وكان ٢٧/ ١٠/ ١٣٩٤هـ . وقدّم له الشاعر بمقدمة تشرح عنوان الديوان ، وتبيّن الصلة بين الشاعر والبحر .

ثانياً- (احمرار الصمت) :

طبع سنة ١٤٠٩هـ / ١٩٨٩م ، في دار الصافي للثقافة والنشر بالرياض . وعدد قصائده (٢٨) قصيدة ، وقد قسّم الشاعر ديوانه إلى ثلاث مجموعات:

المجموعة الأولى : بعنوان (قصائد) ، وهي متفرقات في مواضع شتى وطنية واجتماعية وتأملية .

والمجموعة الثانية : من قصائد الديوان عنوانها (وجدانيات) .

والمجموعة الثالثة : بعنوان (مواسم وذكريات) ، وهي ثلاث قصائد تتحدث عن فرسان وذكرياتها وعاداتها وانطباعات ذلك في نفسية الشاعر .

وقصائد هذا الديوان مزيج من الشعر ذي الشطرين المقفى والشعر التفعيلي الذي يمثل بداية اتجاه الشاعر مفتاح إلى قصيدة التفعيلة .

ثالثاً- رائحة التراب :

صدر في طبعته الأولى ١٤١٦هـ ، وهو من منشورات نادي جازان الأدبي ، وتمت طباعته في مؤسسة المدينة للصحافة بجدة . وعدد قصائد الديوان (٢٦) قصيدة، لم يؤرخ أكثرها ، وليس للشاعر منهج واضح في ترتيبها ، وقصائد الديوان آخر إنتاج الشاعر ، وهي خليط – أيضاً – من القصائد ذات الشطرين ، والقصائد التفعيلية .

---

(١) في مقابلة مع الشاعر في جازان بتاريخ ١٢/ ٤/ ١٤١٩هـ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

١٠- علي بن مديّش بجوي (١٣٥٩هـ - ...)

صدر له ديوان واحد ، هو (نبض القوافي) :

نشر في طبعته الأولى سنة ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م ، وطبع بمطابع مؤسسة المدينة للصحافة (دار العلم) بجدة .

وعدد القصائد الواردة في الديوان (٤٦) قصيدة ، منها ثلاث ليست للشاعر ، وإنما هي إخوانيات مرسلة إليه ، إحداها من علي قاسم الفيفي [١] ، والثانية من حسن أبو علّة [٢]، والثالثة من علي النعمي [٣] .

وقصائد الديوان غير مؤرخة ، وقد رتّب الشاعر قصائده بناءً على موضوعاتها ، فجاءت في أربعة موضوعات هي :

أولاً- (المناسبات) ، وفيه خمس عشرة قصيدة .

ثانياً- (الإخوانيات) ، وفيه ست عشرة قصيدة .

ثالثاً- (الاجتماعيات) ، وفيه سبع قصائد .

رابعاً- (المراثي) ، وفيه ثمان قصائد .

وقصائد الديوان كلها من الشعر ذي الشطرين الموزون المقفى .

وقد قدّم الشاعر لديوانه بمقدمة تتحدث عن التجربة الشعرية كيف تأتي وكيف تتأبى أحياناً ، وعرّج على موضوع رأي الإسلام في الشعر ، واستشهد بحوادث من سيرة الرسول -ﷺ- وأمثلة من تشجيعه للشعر وإقراره له ، والشاعر في ذلك يريد أن يقرر أن الشعر لا يتعارض مع مكانته الاجتماعية والعلمية كقاضي تمييز .

(١) انظر : نبض القوافي ، لعلي مديش : ٨٤ .
(٢) انظر : المصدر السابق : ٨٨ .
(٣) انظر : المصدر السابق : ٩٢ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

١١- علي بن محمد صيقل (١٣٦٢هـ - ...)

صدر له ديوانان ، هما :

أولاً- (ترانيم على الشاطئ) :

صدر في طبعته الأولى سنة ١٤٠٦هـ ، وهو من منشورات نادي جازان الأدبي ، وطبع بمطابع دار العلم للطباعة والنشر بجدة .

وعدد قصائد الديوان (٣١) قصيدة ، لم يؤرخ الشاعر قصائده ، ولكنه رتبها على الموضوعات ، حيث جاءت في ثلاثة أقسام :

القسم الأول – (قصائد وطنية) ، وفيه إحدى عشرة قصيدة .

القسم الثاني – (قصائد عامية) شملت الرثاء والتأمل والشكوى ، وفيه أربع قصائد .

القسم الثالث – (قصائد غزلية) ، وفيه ست عشرة قصيدة .

وهذه القصائد منها تسع عشرة قصيدة موزونة ومقفاة ، وبقية قصائد الديوان الاثنتا عشرة ، هي من الشعر التفعيلي .

وقد قدّم لهذا الديوان الشاعر إبراهيم مفتاح ، فتحدث عن تجربة صيقل الجيدة ، وحلل بعض المواقف الشعرية ، ثم أشار إلى استئثار البحر بكثير من أشعار صيقل ، وأنّه يجد البحر في كل زاوية من زواياه ، يمنحه أخيلة رقيقة في تأملاته ونظراته وحبه ، واستشهد بقوله:

وعيناك بحر عميق عميق
طويل المدى
ورغم اقتناعي
بأن طريقي كثير المخاطر سأبقى مسافر وأمنيتي أن يطول السفر

ثانياً- (أغنية للوطن) :

صدر هذا الديوان في طبعته الأولى سنة ١٤٠٩هـ / ١٩٨٩م ، وهو من منشورات نادي جازان الأدبي ، وطبع بدار العلم للطباعة والنشر ، بجدة .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وعدد القصائد الواردة فيه (١٦) قصيدة ، لم يؤرخها الشاعر ، ولم يرتبها أيضاً.
وأغلب القصائد تمثل الاتجاه الوطني وقضايا العرب والمسلمين .
والقصائد نصفها موزون مقفى ، والنصف الآخر من شعر التفعيلة .

١٢- حسين بن جبران الكريري : (١٣٦٦هـ - ...)

صدر للشاعر خمسة دواوين شعرية ، منها ديوانان عاميّان ، هما : (مجالس الأنس في صور من حياة الأمس) ، و(نفحات من عبير الذكريات) ، وليست من باب ما نحن فيه .
وأما الدواوين الثلاثة الفصيحة فهي :

أولاً- (دموع لا يمسحها الزّمن) :

صدر هذا الديوان في طبعته الأولى سنة ١٤٠٩هـ، وطبعته الثانية بدون تاريخ، بمطابع الشرق الأوسط ، بالرياض .
وعدد قصائد الديوان في طبعته الأولى (٣١) قصيدة ، وفي طبعته الثانية (٥٥) قصيدة، أي بزيادة (٢٤) قصيدة في الطبعة الثانية ، منها ثلاث قصائد عامية .
والديوان لم يُرتب ، وقصائده غير مؤرخة ، وهي من الشعر الموزون المقفّى .
وقد قدّم لهذا الديوان الدكتور صبري محمد حسن ، فتحدث عن تجربة الكريري الرومانسية – في زعمه – ومضامين أشعاره الواردة في الديوان ، خاصة أشعاره الغزلية ، ووقف عند سمةٍ واضحة من سمات الديوان ، وهي الحوار الدرامي الواضح في كثير من قصائد الشاعر .
وبيّن الدكتور صبري أنَّ هذا الديوان عندما يقارن بديواني الشاعر اللذين سبقاه يجعل القارئ يقف على بعض مظاهر نضجه ، وتطور شعره ، في اتجاه الشخصية الشعرية المميزة .

ثانياً- (زورق الشوق) :

صدر في طبعته الأولى سنة ١٤١٢هـ، عن مطابع الشرق الأوسط ، بالرياض.
وعدد قصائد الديوان (٤٥) قصيدة ، منها ثلاث قصائد من الشعر العامي ، وقصائد الديوان لم تؤرخ ولم تُرتّب ، وهي موزونه ومقفاة .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

وجميع القصائد جاءت في أغراض الوصف والغزل والإخوانيات والوصايا .

ثالثاً- (عزفٌ على أوتار الحب) :

صدر هذا الديوان سنة ١٤١٨هـ في طبعته الأولى ، بمطابع الشرق الأوسط بالرياض.

وعدد قصائد هذا الديوان (٩١) قصيدة ، وقد قسم الشاعر ديوانه إلى أربعة أقسام، هي :

أ – قصائد فصحى وطنية ، وفيه (٣٢) قصيدة .

ب– قصائد فصحى عاطفية ، وفيه (٢٨) قصيدة .

ج– قصائد نبطية ، وفيه (٩) قصائد ، وهي شعر عامي .

د – أناشيد وطنية وأغاني ، وفيه (٢٢) قصيدة .

والقسم الأخير فيه شعر فصيح وكثير منه من الشعر العامي المعدّ للغناء ، ولو أنّ الشاعر لملم العامي في ديوان خاص ، مثلما فعل في ديوانيه الأولين لأحسن وأجاد .

وقدم الشاعر لديوانه بمقدمة أبان فيها عن اسم الديوان ، وما يشتمل عليه من موضوعات ، إلى جانب الحديث عن قيمة هذا الديوان بالنسبة إلى دواوينه الأربعة التي سبقته .

١٣- عبدالواسع سعيد عبده : (١٣٧٠هـ - ...)

صدر له ديوان واحد ، بعنوان : (دوائر الصمت) ، وذلك سنة ١٤٠٠هـ ، وهو من منشورات نادي جدة الأدبي ، وطبع في مطابع الروضة بجدة .

وجعل الشاعر ديوانه حلقات متصلة لها من اسمه (دوائر) نصيب ، ولم يجعله في شكل قصائد ، ولذا فإن الناظر فيه يظنه قصيدة واحدة ، ولكنه في الحقيقة مواقف متفرقة ترتبط برباط واحد ، هو حياة القرية في الماضي وتحولاتها الحضارية المعاصرة ، غير أنّ الشاعر لم يعنون لكل موقف أو حدث بعنوان محدد كغيره من الشعراء .

والديوان كله من شعر التفعيلة .

وقدّم لهذا الديوان الشاعر محمد حسن عواد ، فتحدث عن أثر النقد على نفسية

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الشباب وانخفاض معنوياتهم إذا عنّف بهم ناقد أكاديمي ، شارحاً المقولة الشهيرة : ((**شمّ الوردة ولا تفركها ؛ لأن فركها يقتلها**)) ، ولكنه استدرك أنّ الشعراء الشباب الآن أخذت نفوسهم مناعة تحول بينهم وبين التقهقر ، وبينها وبين انخفاض المعنويات ، وبيّن أن على النقاد ألا يتعاملوا مع شعر الشباب معاملة تفتيشية قوامها الحساب الدقيق، ثم المؤاخذة الصارمة ، فهذا في نظره أسلوب هدم ، ويحول دون الشفافية والرشاقة والجمال . وأشار بعد ذلك إلى دلالات عنوان الديوان (دوائر الصمت) ، موضحاً المراد بهذه الدوائر .

١٤- منصور بن محمد دمّاس مباركي : (١٣٧٣هـ - ...)

صدر للشاعر ثلاثة دواين ، هي :

أولاً- (جرأة قلب) :

صدر هذا الديوان في طبعته الأولى سنة ١٤٠٧هـ / ١٩٨٦م بدون ذكر اسم الناشر ولا مكان طباعته .

وعدد قصائد هذا الديوان (٢٩) قصيدة ، غير مؤرخة ، ولم تُرتّب وفق نسق معين .

وقصائد الديوان كلها من الشعر ذي الشطرين .

ثانياً - (شعور مغترب) :

صدر هذا الديوان في طبعته الأولى عن دار العلم للطباعة والنشر ، بجدة ، ولم تذكر سنة النشر . وقد ذكر الشاعر على صفحة الغلاف لديوانه أنّ هذا الديوان هو ثاني دواوينه الشعرية [1] .

وعدد قصائده (٢٤) قصيدة ، لم تؤرخ ، ولم ترتب ، وجميعها موزونة ومقفاة .

ثالثاً- (همسة مجد) :

صدر هذا الديوان في طبعته الأولى عن دار العلم للطباعة النشر بجدة ، ولم يُشر فيه إلى سنة الطبع ، وقال الشاعر : ((**ديواني هذا (همسة مجد) ثالث اثنين ، هما (جرأة**

(١) انظر : شعور مغترب ، لدماس : الصفحة الأخيرة .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

قلب) ، و(شعور مغترب) ...)) [1] .

وعدد قصائد هذا الديوان (٢٤) قصيدة ، لم تؤرخ ، ولم يرتبها قائلها ، وكلّها موزونة مقفاة .

١٥- إبراهيم بن عمر صعابي : (١٣٧٤هـ - ...)

صدرت له أربعة دواوين ، هي :

أولاً - (حبيبتي والبحر) :

وهو أول دواوينه الشعرية ، صدر سنة ١٤٠٣هـ في طبعته الأولى ، وهو من منشورات نادي جازان الأدبي ، وطبع في الدار السعودية للنشر والتوزيع بجدة ، وطبع مرة ثانية في الدار السعودية - أيضاً - سنة ١٤٠٥هـ ، عدد قصائد هذا الديوان (٢٦) قصيدة، وجميعها مؤرخة ، وأقدمها تاريخاً هي قصيدة (هذه استقالتي أيها الحب) كتب عليها سنة ١٣٩٦هـ .

ولكن الشاعر لم يرتب ديوانه هذا على أساس هذه التواريخ ، وليس له منهج في ترتيب قصائده . وجميع قصائد الديوان تمثل اتجاهاً وجدانياً خالصاً ، ومبنية على الوزن والقافية .

ثانياً- (زورق في القلب) :

وهو ديوانه الثاني ، صدر في طبعته الأولى سنة ١٤٠٦هـ، عن الدار السعودية للنشر والتوزيع بجدة ، وعدد قصائده (٢٨) قصيدة ، وهذا الديوان - كسابقه - جميع قصائده مؤرخة ، ولكن الشاعر لم يرتبه على هذا الأساس ، فقدّم وأخّر ، ولم يتضح له منهج معين في ترتيبه . وقصائد الديوان قيلت بين ١٤٠٣ - ١٤٠٥هـ ، وفي الديوان بدايات الشاعر صعابي المبنية على قصيدة التفعيلة ، إضافة إلى عدد من القصائد المقفاة والموزونة .

ثالثاً- (وقفاتٌ على الماء) :

صدر في طبعته الأولى سنة ١٤١٢هـ - ١٩٩١م ، وهو من إصدارات نادي المدينة المنورة الأدبي ، وتمّت طباعته بمطابع دار البلاد ، في جدة .

---

(١) همسة مجد ، لمنصور دماس : ظهر الغلاف الخارجي للديوان .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وعدد قصائده (١٨) قصيدة ، وقصائد الديوان مؤرخة، وقيلت بين عامي ١٤٠٥ - ١٤١٠هـ، ولكن الشاعر لم يرتب ديوانه على التواريخ، أو على نمطٍ معين. وقصائد الديوان بعضها جاءت موزونة مقفاه ، وبعضها الآخر من شعر التفعيلة.

رابعاً- (وطني سيد البقاع) :

صدر في طبعته الأولى سنة ١٤١٩هـ ، وهو من إصدارات نادي أبها الأدبي ، وطبع في دار البلاد للطباعة والنشر بجدة ، وعدد قصائد الديوان (١١) قصيدة ، وجميعها مؤرخة ، قيلت بين عامي ١٤١١ - ١٤١٥هـ ، ما عدا قصيدة واحدة فقط ، هي (عشق يتكلم) قيلت سنة ١٤٠٤هـ، ولكنها لم ترتب على تلك التواريخ ، وتدور جميع قصائد هذا الديوان في الاتجاه الوطني ، وكلها من القصائد الموزونة المقفاة . وقد فازت هذه المجموعة بالمركز الأول في جائزة أبها الثقافية لعام ١٤١٨هـ[1] .

١٦- أحمد بن يحيى بهكلي : (١٣٧٤هـ - ...)

صدرت له ثلاثة دواوين ، هي :

أولاً- (الأرض والحب) :

صدر في طبعته الأولى سنة ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م ، وهو من منشورات نادي جازان الأدبي ، وعدد قصائد هذا الديوان (٢٤) قصيدة ، وقد قسم الشاعر ديوانه إلى قسمين :

القسم الأول : عنوانه (حبيبتي الأرض) ، وفيه ثمان قصائد في وصف الطبيعة والحنين إلى الوطن .

القسم الثاني : عنوانه (حبيبتي حبيبتي) ، وفيه ستّ عشرة قصيدة في الغزل والحنين إلى المحبوب والشكوى من الغربة .

(١) وله مجموعة شعرية عنوانها (من شظايا الماء) ، صدرت سنة ١٤٢٢هـ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

وجميع القصائد الواردة مؤرخة زمنياً داخل كل قسم ، ومرتبة على هذا الأساس، وجميعها قيلت بين عامي ١٣٩٢ - ١٣٩٧هـ .

وتعد هي بدايات البهكلي الشعرية ، وفيها تأثر بالاتجاه الرومانسي ، ومع ذلك فهي جميعاً موزونة ومقفاة .

ثانياً- (طيفان على نقطة الصفر) :

صدر في طبعته الأولى سنة ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م ، وهو - أيضاً - من منشورات نادي جازان الأدبي ، وطبع طبعة ثانية في مطابع دار الهلال للأوفست ، بالرياض ، سنة ١٤٠١هـ / ١٩٨١م . وعدد قصائد هذا الديوان (٢٦) قصيدة ، وقد قسم الشاعر ديوانه إلى سبعة أقسام ، وذلك على النحو الآتي :

الأول : (أبيات لأبي) ، وفيه قصيدة واحدة .

الثاني : (أناشيد لليالي الوضاء) ، وفيه أربع قصائد .

الثالث : (منّي وإلى) ، وفيه ست قصائد .

الرابع : (ثلاث وداعيات) ، وفيه ثلاث قصائد .

الخامس: (رسالتان) ، وفيه قصيدتان .

السادس: (قصائد إليها) ، وفيه خمس قصائد .

السابع : (أشتات) ، وفيه خمس قصائد أيضاً .

وقصائد الديوان مؤرخة، وهي مرتبة على هذا الأساس داخل كل قسم . وتواريخ القصائد تشير إلى أنها قيلت بين عامي ١٣٩٢ - ١٣٩٨هـ .

وجميع القصائد مبنية على الوزن والقافية .

وقدّم الشاعر لديوانه هذا بمقدمة تحدث فيها عن تجاربه الشعرية السابقة على هذا الديوان ، وأشار إلى أنه طُلب منه طبع هذا الديوان على عجل ، فأرسل قصائده إلى الناشر دون تهذيب ولا تنقيح ، ولم يندم في يوم من الأيام على ذلك أبداً ، فهو مقتنع بأنّ التجربة

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الشعرية لا يجوز فيها تهذيبُها في اللحظات العادية ، ثم تحدث عن تنويعه لموضوعات هذه المجموعة لتناسب كافة الأذواق المختلفة ، وتحدث عن سبب طول بعض قصائده ، وأنه مع حداثة سنه لم يكن أحد دافعي زورق الحداثة الشعرية المتطرفة ، ورضي لنفسه أن يكون راكباً سفينة الأصالة المعتدلة ، وأنه لا يخال النجاة إلا لتلك السفينة .

ثالثاً- (أول الغيث) :

صدر هذا الديوان في طبعته الأولى سنة ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م ، وهو من منشورات النادي الأدبي بالرياض ، وعدد قصائده (٢٠) قصيدة .

وقصائد الديوان لم تخضع لأي ترتيب، على الرغم من أن جميع القصائد مؤرخة زمنياً، وهي تمثل نتاج الشاعر بين عامي ١٤٠٣ - ١٤١١هـ . وجميع القصائد موزونة مقفاة ، ما عدا قصيدة واحدة تمثل محاولات البهكلي التفعيلية ، هي قصيدة (ندى) [1] .

وقد قدّم لهذا الديوان الأستاذ عبدالله بن إدريس ، فتحدث عن سبب اختيار النادي الأدبي بالرياض لهذه المجموعة الشعرية ، مبيناً أنها بلغت مستوى كبيراً من الجودة الإبداعية ، ثم استدرك أن الجودة - هنا - هي الجودة النسبية التي تقاس بما هو متوافر على الساحة الأدبية .

ثم تحدث عن عنوان الديوان التقليدي ، وفرّق بين التقليد والمحافظة ، وبيّن أن البهكلي ليس تقليدياً كما يعبر الحداثيون ، بل هو محافظ على سمات الشعر العربي الأصيل، ثم توقف عند بعض القصائد ، واختار أفضلها في نظره .

١٧- أحمد بن إبراهيم الحربي : (١٣٧٦هـ - ...)

صدر له ديوانان ، هما :

أولاً- (رحلة الأمس) :

وهو يمثل بداياته الأولى ، صدر سنة ١٤١٦هـ في طبعته الأولى ، وهو من منشورات نادي جازان الأدبي ، وطبع بمطابع مؤسسة المدينة للصحافة (دار العلم)

(١) أول الغيث ، للبهكلي : ٤٥ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

بجدة ، وعدد قصائد هذا الديوان (٢٧) قصيدة . وقصائد الديوان لا تسير وفق ترتيب معين ، ولم تؤرخ . وفي الديوان بعض القصائد التي تمثل بدايات الشاعر التفعيلية ، وأكثر القصائد موزونة مقفاة .

ثانياً- (تقاسيم على جذع نخلة الوادي) :

صدر سنة ١٤١٩هـ في طبعته الأولى ، وهو من إصدارات نادي أبها الأدبي ، وعدد قصائد الديوان (١٤) قصيدة ، وهي غير مؤرخة ، وليس لها ترتيب معين ، كما أن جميع قصائد هذا الديوان من الشعر التفعيلي .

وللشاعر مجموعتان شعريتان ، هما (الصوت والصدى) ، و(وردٌ وردّ) ، وهما مخطوطتان ، ولكن بعض الدارسين يذكر عند حديثه عن الحربي أنهما مطبوعان [1] . والصواب أنهما ما زالا مُعدّين للطبع .

١٨- محمد بن أحمد الشنقيطي : (١٣٧٨هـ - ...)

صدرت له أربعة دواوين شعرية ، هي :

أولاً- (دموع المعاناة) :

صدر في طبعته الأولى سنة ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م .

ثانياً- (المنتخب) :

صدر في طبعته الأولى سنة١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م .

ثالثاً- (قلب يتنفّس)

صدر في طبعته الأولى سنة ١٤١١هـ / ١٩٩١م ، بدون ذكر اسم الناشر ، أو الدار التي طبعته ، إلا أنه ذكر بجوار سنة الطبع أنه مطبوع بالمملكة العربية السعودية.

---

(١) انظر : جدائل الفل (إصدار خاص بمناسبة مرور مائة عام على تأسيس المملكة) : ١٠٦ ، حيث ذكر حجاب الحازمي الديوان الأول (الصوت والصدى) على أنه مطبوع . وانظر الصفحة الأخيرة من ديوان (رحلة الأمس) للحربي نفسه ، حيث ذكر في ترجمته أنّ (الصوت والصدى) ، و(وردٌ وردّ) ما زالا مخطوطين : ٦٤ . وقد صدر للشاعر ديوان (يوم كنا) وبعض قصائد هذا الديوان داخلة في هذه الدراسة .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وعدد قصائد هذا الديوان (٤٦) قصيدة ، وهي غير مؤرخة ، وقد رتبها الشاعر على الموضوعات ، وجعلها ستة أقسام :

القسم الأول : (الكويت) فيه ستُّ قصائد .

القسم الثاني : (ما قبل الكويت) ، وفيه ثلاث قصائد .

القسم الثالث: (قصائد خاصة) ، وفيه ست قصائد .

القسم الرابع : (ذكريات من جازان) ، وفيه خمس قصائد .

القسم الخامس: (مراثي) ، فيه ثلاث قصائد .

القسم السادس: (أنّات قلب) وفيه ثلاث وعشرون قصيدة .

وقصائد الديوان من الشعر الموزون المقفى .

رابعاً - (خلف أسراب البجع) :

صدر هذا الديوان في طبعته الأولى سنة ١٤١٣هـ / ١٩٩٢م ، ولم يُشر فيه إلى اسم ناشره أو مكان طباعته . وقد عنون له بأنه قصائد من الشعر الرمزي .

وعدد قصائده (٢٨) قصيدة ، غير مؤرخة ، ولم ترتّب وفق نسق معين ، وجميعها من الشعر الموزون المقفى .

١٩- حسين بن محمد سهيل : (١٣٨٠هـ - ...)

صدر له ديوان واحد ، هو (أشرعة الصمت) :

صدرت طبعته الأولى سنة ١٤١١هـ / ١٩٩٠م ، وهو من منشورات نادي جازان الأدبي ، وطبع في دار العلم بجدة .

وعدد قصائد الديوان (٣٤) قصيدة ، وأغلبها مؤرخة ، ولكنها غير مرتبة .

وقصائد الديوان مثّلت ثلاثة أشكال فنية ، منها الموزون المقفى ، ومنها ما جاء على شعر التفعيلة ، ومنها نثريات [١] .

(١) صدر له ديوان آخر ، نشره النادي الأدبي بجازان ، بعنوان : (وللأقمار باب) ، وذلك سنة ١٤١٩هـ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

وفي ختام هذا الديوان علّق عليه وقرأه الأستاذ عمر طاهر زيلع بعنوان : (قراءة أولى)، تحدث فيها عن صعوبة قراءة مجموعة أشعار بخلاف قراءة القصيدة الواحدة ، ومع هذا إذا كان الشاعر قادراً على التميز والتطور والنمو ، فإنه يساعدك على معرفة التطور الذي حصل له عند تعدد التجارب . ثم تحدث بعد ذلك عن محاولات حسين سهيل المزج بين الشعر التفعيلي والنثرية في محاولة لاستيعاب الشعر الجديد ، والإجادة فيه – على حدّ قوله – .

٢٠- حسين بن أحمد النجمي (١٣٨١هـ - ...)

صدرت له أربعة دواوين شعرية ، هي :

أولاً- (ألم وأمل) :

صدر في طبعته الأولى سنة ١٤٠٥هـ ، وطبع في دار مازن للطباعة بأبها .

وعدد قصائد هذا الديوان (٢٧) قصيدة ، وفي آخر الديوان قصيدة ليست للشاعر، وإنما لوالده بعنوان (القات) ، قال حسين النجمي عن تقديمه لهذه القصيدة : ((**هذه قصيدة لوالدي الشيخ أحمد النجمي قالها في (القات) ، وفي أهله الذين يبيعون الغالي والرخيص من أجله ، فقال** ...))[1] .

وقصائد الديوان مؤرخة ، وقد رتب الشاعر ديوانه بناءً على الموضوعات ، فجاء في أربعة موضوعات هي :

أ – وجدانيات : وفيه عشر قصائد .

ب – على درب الجهاد : وفيه إحدى عشرة قصيدة .

ج– إلى شباب الأمة : وفيه خمس قصائد .

د – مشاكل معاصرة : وفيه قصيدتان ، واحدة للشاعر ، وأخرى لوالده .

وجميع قصائد هذا الديوان موزونة ومقفاة .

وقدم لهذا الديوان الدكتور السيد مرسي أبو ذكري ، فتحدث عن مزج الشاعر

(١) ألم وأمل ، لحسين النجمي : ٨ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

بين متضادات الألم والأمل ، أمل باسم وطموح يطاول عنان السماء ، في حين يكشف ألمه الدفين، وجرحه النازف من حاضر المسلمين المؤسف .

وبيّن أن هذه المجموعة من الأدب الوجداني الذي يقوم على رؤيا ذاتية للأشخاص والأحداث وأشياء الكون والوجود ، ثم يبلورها الشاعر بخياله ومشاعره وأبعاده وألوانه واتجاهاته . وفي الختام أشار إلى أن هذه المجموعة تبشر بميلاد شاعر متميز .

ثانياً - (خفقات قلب) :

صدر هذا الديوان في طبعته الأولى سنة ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م ، وطبع في الدار السعودية للنشر والتوزيع بجدة .

وعدد قصائد هذا الديوان (٤١) قصيدة ، ولم يرتب الشاعر قصائد ديوانه ، ولم يؤرخ لها . وجميع قصائد الديوان تمثل الأدب الوجداني ، حيث استأثر الغزل بالنصيب الأوفر. والقصائد كلها مبنية على الوزن والقافية ، ما عدا القصيدة الأخيرة التي هي بعنوان (عودي أيتها الأيام) [1] ، فإنها تمثل قفزة لدى الشاعر من الشعر الموزون والمقفى إلى ما يسمونه قصيدة النثر . فهذه ليست مقفاة ، ولا مبنية على شعر التفعيلة، والشاعر يقول : ((**إن هذه خفقات قلب ، لم يكن له أن يضبطها ، أو يخفف منها بوزن أو قافية ، فجاءت الخفقات هكذا** ...)) [2] .

ثالثاً- (عيناك في وقت الرحيل) :

صدر هذا الديوان في طبعته الأولى سنة ١٤١٠هـ / ١٩٨٩م ، وطبع مرة ثانية سنة ١٤١٤هـ / ١٩٩٣م في دار البلاد للطباعة والنشر ، بجدة .

وعدد قصائد هذا الديوان (٣٧) قصيدة ، وجميعها مؤرخة ، وبالنظر إلى تواريخها يتبيّن أنها قيلت بين عامي ١٤٠٦ - ١٤٠٩هـ ، والشاعر لم يرتب ديوانه .

(١) خفقات قلب ، للنجمي : ٩٠ - ٩٢ .

(٢) اتصال هاتفي مع الشاعر بتاريخ ١٢/ ٤/ ١٤٢٠هـ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

وقصائد الديوان عدد منها موزون مقفى ، وأكثرها من شعر التفعيلة .

قدّم النجمي لديوانه هذا بمقدمة قصيرة تحدث فيها عن الحزن والألم ، وتوقف أمام فسحة الأمل المقابلة لذلك .

رابعاً- (تأملات على مرافئ الغربة) :

صدر هذا الديوان في طبعته الأولى سنة ١٤١٧هـ / ١٩٩٦م ، وهو من منشورات نادي أبها الأدبي ، طبع بمطابع مؤسسة المدينة للصحافة (دار العلم) بجدة .

وعدد قصائد هذا الديوان (٣١) قصيدة ، وليس لها منهج معين في الترتيب ، وغير مؤرخة أيضاً . منها ثمان قصائد من شعر التفعيلة ، وثلاث وعشرون قصيدة موزونة ومقفاة[1].

٢١- عبدالله بن أحمد بن علي الفيفي (١٣٨٢هـ - ...)

صدر له ديوان واحد ، هو (إذا ما الليل أغرقني) ، طبع سنة ١٤١١هـ/ ١٩٩٠م في مطابع الشريف بالرياض .

وعدد قصائد هذا الديوان (١٢) قصيدة ، وقد أرّخ الشاعر قصائده ، لكنه لم يرتبها .

وجاءت القصائد موزونة ومقفاة ، ما عدا قصيدتين ، هما : (حجر) [2] ، و(في محفل العمر) [3] ، فقد بناهما على شعر التفعيلة .

٢٢- جلوي بن يحيى الحكمي (١٣٨٣هـ - ...)

صدرت له مجموعة شعرية واحدة عنوانها : (قبل أن ينضب الأمل) ، في طبعتها الأولى سنة ١٤١٧هـ / ١٩٩٦م ، وهي من منشورات نادي جازان الأدبي ،

---

(١) للشاعر ديوان معد للطباعة ، بعنوان : (قبلة على جبين الوطن) ، فيه (١٦) قصيدة ، جلّها في الاتجاه الوطني والمدائح . وله مجموعة أخرى غير معنونة تمثل أحدث ما أنشأه الشاعر من قصائد (موجود لدى الباحث).

(٢) إذا ما الليل أغرقني : ٤٥ .

(٣) المصدر السابق : ٥٩ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وطبعت في دار العلم بجدة .

وعدد قصائد هذه المجموعة (٢٩) قصيدة، وقد رتبها الشاعر على الموضوعات، وجعلها في ثلاثة أقسام ، هي :

أولاً- (نفحات) ، وفيه أربع قصائد .

ثانياً- (تباريح نوى) وفيه إحدى وعشرون قصيدة .

ثالثاً- (تباريح هوى) ، وفيه أربع قصائد .

وجميع القصائد موزونة مقفاة .

٢٣- علي بن محمد الأمير (١٣٨٤هـ - ...)

صدر له ديوان واحد : (بوصلة واحدة لا تكفي) ، وذلك في طبعته الأولى سنة ١٤١٦هـ / ١٩٩٥ ، وهو من منشورات نادي جازان الأدبي ، وطبع بمطابع مؤسسة المدينة للصحافة (دار العلم) ، بجدة .

وعدد قصائده (١٦) قصيدة ، وجميعها مؤرخة ، وقد رتّب الشاعر قصائده وفق تدرّج زمني ، مثّل الفترة من ١٤٠٧ - ١٤١١هـ .

وقصائد الديوان منها قصيدتان بُنيتا على الوزن والقافية ، واثنتا عشرة قصيدة بنيت على التفعيلة ، وقصيدتان أخريتان ذات بناء منوع :

الأولى- بعنوان (برتقالية في يد تتشكل) [١] ، جمعت بين الشعرالموزون المقفى وشعر التفعيلة.

والثانية- بعنوان (من وحي القرى) [٢] جمعت بين شعر التفعيلة والشعر العامي .

وبعض قصائد الديوان تمثل معالم الاتجاه الحداثي الواضح في شعر بعض شعراء جازان[٣] .

(١) انظر : بوصلة واحدة لا تكفي ، للأمير : ٢٣ .

(٢) انظر : المصدر السابق : ٥٩ .

(٣) سيأتي الحديث عنها - إن شاء الله - في باب الدراسة الفنية .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

٢٤- حسن بن حجاب الحازمي (١٣٨٥هـ - ...)

صدر له ديوان واحد ، عنوانه (وردة في فم الحزن) في طبعته الأولى سنة ١٤١٦هـ، وهو من منشورات نادي جازان الأدبي ، وطبع في دار المعراج الدولية للنشر ، بالرياض .

وعدد قصائد هذا الديوان (١٨) قصيدة ، وجميعها مؤرخة ، ولكن الشاعر لم يرتبها على هذه التواريخ ، وليس لها منهج واضح في الترتيب .

وتمثل القصائد الواردة في الديوان تجارب الشاعر وبداياته الأولى بين عامي ١٤٠٥ – ١٤١٢هـ .

وقصائد الديوان بعضها موزون مقفى ، وبعضها الآخر من شعر التفعيلة .

٢٥- محمد بن حمود حبيبي (١٣٨٧هـ - ...)

صدر له ديوان واحد ، هو : (انكسرت وحيداً) ، نشر في طبعته الأولى سنة ١٤١٦هـ / ١٩٩٦م عن دار الجديد ، ببيروت .

وعدد قصائده (٣١) قصيدة، وكلها لم تؤرخ، وقد قسّمها الشاعر إلى ستة أقسام :

أولاً – (وحيداً) ، وفيه قصيدة واحدة .

ثانياً – (شقراء قصيّة كروحي) ، وفيه ثلاث قصائد .

ثالثاً – (قصائد المخاض) ، وفيه تسع قصائد .

رابعاً – (قصائد المتعبين) ، وفيه قصيدة واحدة .

خامساً– (انكسرت) ، وفيه قصيدة واحدة .

سادساً– (نصوص رديئة) ، فيه ستّ عشرة قصيدة .

وقصائد الديوان بعضها من الشعر التفعيلي ، وبعضها الآخر نثريات ، وجميعها تمثل الاتجاه الحداثي في الشعر .

وللشاعر قصائد أخرى كثيرة ، ولكنه لم ينشرها في الديوان ، وهي أجود بكثير مما

www.alukah.net
شبكة الألوكة

نشر فيه ، وخاصة ما كان فيها موزوناً مقفىً . وله ديوان معدّ للطباعة بعنوان (أطفيء فانوس قلبي) .

٢٦- مهدي بن أحمد الحكمي (١٣٨٧هـ - ...)

صدر له ديوان واحد هو : (لا تسلني عن جراحي) :

نشر في طبعته الأولى سنة ١٤١٩هـ / ١٩٩٨م ، وهو من منشورات نادي جازان الأدبي ، وطبع بمؤسسة المدينة للصحافة (دار العلم) ، بجدة .

وعدد قصائد الديوان (١٦) قصيدة ، كلّها مؤرخة ، وقيلت بين عامي ١٤٠٨ - ١٤١٧هـ ، ولم يرتب الشاعر قصائده .

وقصائد الديوان أربع منها شعر تفعيلي ، والبقية من الشعر الموزون المقفى .

٢٧- إبراهيم بن حسين زولي (١٣٨٨هـ - ...)

صدر لـه ديوان واحد ، هو : (رويداً باتجاه الأرض) نشر سنة ١٤١٦هـ ، وطبع طبعته الأولى في مركز الحضارة العربية للإعلام والنشر ، بالقاهرة .

وعدد قصائد هذا الديوان (٢٣) قصيدة ، أغلبها مؤرخة ، ولكنها غير مرتبة على تلك التواريخ ، وليس هناك منهج معين في ترتيبها .

والديوان يمثل الشعر الجديد ذا الاتجاه الحداثي .

وللشاعر ديوان آخر يصدر قريباً في نادي جازان الأدبي ، عنوانه : (أول الرؤيا)[1].

٢٨- أحمد بن علي قاسم الفيفي (١٣٨٩هـ - ...)

صدر لـه ديوان واحد ، عنوانه : (السحابة) ، وذلك سنة ١٤١٦هـ ، في طبعته الأولى ، بمطابع الصفا بمكة المكرمة .

وعدد قصائد الديوان (٣٣) قصيدة ، وجميعها مؤرخة ، وقد رتب الشاعر ديوانه على الموضوعات ، وجعله في خمسة موضوعات تلمّ شتاته ، وهي:

أولاً – للوطن ، وفيه ثلاث قصائد .

(١) توجد لدى الباحث نسخة من هذا الديوان ، وفيه تسع عشرة قصيدة ، في ٩٦ صفحة .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

ثانياً – في الرياضة ، وفيه أربع قصائد .
ثالثاً – نبض الحروف ، وفيه ست عشرة قصيدة تدور حول المراثي والغزل والحنين.
رابعاً– إخوانيات ، وفيه قصيدة واحدة .
خامساً– هموم مشتركة ، وفيه تسع قصائد في موضوعات متفرقة .

وجميع قصائد الديوان موزونة مقفاة ، ما عدا خمس قصائد جاءت من شعر التفعيلة ، هي : (ليلة في الغرفة السوداء) ، و(لقاء الوداع) ، و(لا ترقبوا) ، و(درب الندامة) ، و(غصن السلام) .

وقدّم الشاعر لديوانه بمقدمة موجزة علل فيها سبب حديثه عن الرياضة في بعض قصائده ، ونشرها في هذا الديوان ؛ بسبب رغبته في أن يكون له انتشار بين الشباب ، خاصة الذين تستهويهم الرياضة وقضاياها .

٢٩- محمد بن مسير مباركي (١٣٨٩هـ - ...)

صدرت له ثلاثة دواوين ، هي :

أولاً - (تماهي مُنْبَتّ) :

صدر هذا الديوان في طبعته الأولى سنة ١٤١٦هـ / ١٩٩٦م عن دار الفرسان للنشر والتوزيع بالقاهرة ، وطبع بمطبعة الأشراف بالقاهرة .

وعدد قصائد الديوان (٢٢) قصيدة ، وجميعها مؤرخة ، قيلت بين عامي ١٤١٠ – ١٤١٦هـ . ولم ترتب وفق نسق معين .

وجميع قصائد الديوان من الشعر التفعيلي ، وبعضها فيها بيت أو بيتان من الشعر الموزون المقفى ، ولكن شعر التفعيلة طغى عليها ، والديوان يمثل الشعر الحداثي بكل وضوح.

ثانياً - (منسك للسريرة في حرم الرمل) :

صدر هذا الديوان في طبعته الأولى سنة ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م ، عن دار الفرسان للنشر والتوزيع بالقاهرة ، وطبع بمطبعة الأشراف بالقاهرة .

وعدد قصائد هذا الديوان (١٥) قصيدة ، كلّها مؤرخة ، قيلت بين عامي ١٤١١

www.alukah.net
شبكة الألوكة

- ١٤١٦هـ ، ولم ترتب وفق منهج معين .

وجميع قصائد الديوان من الشعر التفعيلي ، وبعض القصائد جاءت افتتاحياتها بمقدمات موزونة ومقفاة ، وسائر القصيدة شعر تفعيلي، مثل قصيدة : (احتمالات وطن في عينيها)[١]. وقصيدة (منسك للسريرة في حرم الرمل) [٢] ففيها خمسة عشر بيتاً موزوناً ، وقصيدة (حاشية الوحدة) [٣] ، وخاتمة قصيدة (كفارة) [٤] . والديوان يمثل الاتجاه الحداثي .

ثالثاً- (الغيدُ الصناديد والرجال الحائضون) :

صدر هذا الديوان في طبعته الأولى سنة ١٤١٩هـ / ١٩٩٩م ، ولم يذكر على الديوان اسم ناشره ، ولا مكان نشره وطباعته .

وعدد قصائد هذا الديوان (٢٢) قصيدة ، كلها مؤرخة ، قيلت بين عامي ١٤٠٩ - ١٤١٩هـ . لم يرتبها قائلها وفق منهج معين .

وجميع قصائد الديوان موزونة ومقفاة ، ماعدا قصيدتين اثنتين ، هما : (الفلك الشنفريّ) [٥]. و(غيابةُ الحزن) [٦] ، فهما من الشعر التفعيلي ، وأغلب قصائد الديوان ذات اتجاه حداثي .

٣٠- علي بن محمد الحازمي (١٣٩٠هـ - ...)

صدر له ديوان واحد ، هو : (بوابة للجسد) ، وذلك في طبعته الأولى سنة ١٤١٣هـ / ١٩٩٣م ، وطبع بمطابع مؤسسة المدينة للصحافة (دار العلم) بجدة .

(١) منسك للسريرة في حرم الرمل ، لمباركي : ٢٤ .
(٢) المصدر السابق : ٢٨ .
(٣) المصدر السابق : ٦٠ .
(٤) المصدر السابق : ٦٨ .
(٥) الغيد الصناديد والرجال الحائضون : ٤٥ .
(٦) المصدر السابق : ٧١ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

وعدد قصائد هذا الديوان (١٧) قصيدة ، وهي مؤرخة ، ولكن الشاعر ذكر في صفحة الغلاف الداخلية أنّ : ((**القصائد كتبت بين عامي ١٩٩٠ - ١٩٩٢م**)) [١] الموافق لعامي ١٤١٠ - ١٤١٢هـ ، ولم يرتب الشاعر ديوانه وفق منهج معين .

وجميع قصائد الديوان من شعر التفعيلة ، وبعضها يمثل شعر الحداثة .

٣١- عيسى بن علي جرابا (١٣٩٠هـ - ...)

صدر له ديوان واحد ، هو (لا تقولي وداعاً) :

نشر في طبعته الأولى سنة ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م ، نشر مكتبة الأديب بالرياض ، وطبع في مطبعة النرجس بالرياض .

وعدد قصائد الديوان (٣١) قصيدة ، وجميعها مؤرخة ، حيث قيلت بين عامي ١٤١٢ - ١٤١٨هـ ، وأقدمها تأريخاً قصيدة (وجه الحياة) [٢] . والشاعر لم يرتب قصائده وفق نسق معين .

وجميع قصائد الديوان موزونة مقفاة .

* * *

وقبل أن أتجاوز الحديث عن الدواوين الشعرية المطبوعة ، أود أن أقف مع بعض القضايا المتعلقة بعناوين الدواوين آنفة الذكر ، وذلك على النحو الآتي :

أولاً - إنّ المتأمل في دلالات عناوين الدواوين المطبوعة ، يجد أنها تسير في اتجاهات عدة، وملامح مختلفة ، وذات أبعاد متفاوتة ، وذلك على النحو الآتي:

أ- عناوين ذات علاقة بالبيئة ، ومستوحاة من الطبيعة :

عمد كثير من الشعراء إلى إيجاد روابط بين قصائدهم وعلاقاتهم بالبيئة المحيطة

(١) بوابة للجسد ، لعلي الحازمي : ٢ .

(٢) انظر : لا تقولي وداعاً ، لعيسى جرابا : ٦٢ ، وتأريخ القصيدة ٥/ ٤/ ١٤١٢هـ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

بهم ، تعبر بصدق عن تفاعلهم العاطفي مع هذه الطبيعة التي تشكلت منها قصائدهم ، فجاءت العناوين رابطاً لتلك الإضمامات الزهرية المتشكلة من القصائد ، فرأينا في ملامح الدواوين الليل والنهار ، وما بينهما من فواصل زمنية ، ووجدنا أشكالاً أرضية وأخرى سماوية واضحة، تدل على تعلق الشعراء ببيئتهم ، وتجاوبهم مع زقزقة العصافير فيها ، وخرير الماء على جنباتها ، ومن تلك العناوين : (أفاويق الغمام ، الينابيع ، السحابة ، أول الغيث) ، فإنها تمثل خطاً معجمياً واحداً ، ومثل : (رأد الضحى ، إذا ما الليل أغرقني ، الطيف العابر)، فإنها تعبر عن معنى بيئي متشابه ، وكذلك : (الأغاريد ، خلف أسراب البجع ، تغريد النهى) .

وعناوين أخرى مثل : (الأزاهير وأزهار وتقاسيم على جذع نخلة الوادي ، ورائحة التراب) ، فكل العناوين السابقة ذات دلالات بيئية متقاربة ، للطبيعة بكل أشكالها أثر واضح فيها .

وبنظرة أخرى للعناوين نجد أن (البحر) وهو جزء مهم من الطبيعة المحيطة بشعراء جازان قد استأثر بنصيب واضح منها ، لا سيما دواوين شعراء جزيرة فرسان، إذ يبصر الناظر فيها الحياة البحرية بشتى أجزائها ومتعلقاتها وصورها من شاطئ ومرفأ، وزورق وشراع، ومن تلك العناوين : (حبيبتي والبحر ، زورق في القلب ، وقفات على الماء) وكلها للشاعر إبراهيم صعابي ، و(عتاب إلى البحر) لمفتاح ، و(ترانيم على الشاطئ) لصيقل ، و(أشرعة الصمت) لحسين سهيل، و(زورق الشوق) لحسين كريري، و(تأملات على مرافئ الغربة) لحسين النجمي.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

ب- عناوين وجدانية :

يظهر هذا الاتجاه بكل وضوح بعد تأمل كثير من العناوين ، فتجد أمامك القلب وآهاته ، والجراح والنبض والخفقان ، والهمس والذكريات ، والآلام والآمال ، والحزن والانكسار والذكرى والوداع والغربة واللقاء ، ومن العناوين التي مثلت هذا الاتجاه : (جرأة قلب) لدماس ، و(قلب يتنفس) للشنقيطي ، و(جراح قلب) للنعمي ، و(خفقات قلب) للنجمي .

ونجد معاني الرحلة والغربة في : (شعور مغترب) لدماس ، و(لا تقولي وداعاً) لجرابا، و(الرحيل إلى الأعماق) للنعمي ، و(رحلة العمر) لعلي بن حسين الفيفي ، و(عيناك في وقت الرحيل) للنجمي ، و(رحلة الأمس) لأحمد الحربي .

ونجد معاني وجدانية أخرى ماثلة في عناوين الأمل والألم والذكرى والأمنيات ، مثل: (لا تسلني عن جراحي) لمهدي حكمي ، و(نبض القوافي) لعلي مديش ، و(ومض الخاطر) لعلي بن قاسم الفيفي ، و(عن الحب ومنى الحلم) لعلي النعمي ، و(الهمس الخافت) و(أصداء الذكريات) لعلي بن حسين الفيفي ، و(عزف على أوتار الحب) لحسين كريري ، و(ألم وأمل) لحسين النجمي ، و(قبل أن ينضب الأمل) لجلوي الحكمي ، و(وردة في فم الحزن) لحسن حجاب الحازمي ، و(انكسرت وحيداً) لمحمد حبيبي .

جـ- عناوين وطنية :

فقد جاءت بعض العناوين ممثلة للاتجاه الوطني في تظافر بين العنوان ومضمون الديوان، ومن تلك العناوين :

(نفحات الجنوب) للسنوسي ، و(لعيني لؤلؤة الخليج كويت الملحمة) للنعمي، و(همسة مجد) لمنصور دماس ، و(أغنية للوطن) لصيقل ، و(قبلة على جبين الوطن) لحسين النجمي ، و(وطني سيد البقاع) لإبراهيم صعابي ، و(الأرض والحب) للبهكلي، و(الأرض والعشق) للنعمي .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

د- عناوين ذات دلالات غامضة :

تمثل بعض هذه العناوين اتجاهاً حداثياً بني على الغموض في كل شيء ، بدءاً من العنوان إلى الخاتمة ، مثل : (منسك للسريرة في حرم الرمل) ، و(تماهي منبت) لمحمد مباركي ، و(بوابة للجسد) لعلي الحازمي ، و(بوصلة واحدة لا تكفي) لعلي الأمير ، و(دوائر الصمت) لعبدالواسع سعيد عبده ، و(رويداً باتجاه الأرض) لإبراهيم زولي .

ومن هذا النوع جاءت دواوين متناقضة التراكيب ، إما للفارق الواضح بين المسند والمسند إليه ، مثل : (الغيد الصناديد) ، و(الرجال الحائضون) لمحمد مباركي. أو التراسل الصوري مثل : (احمرار الصمت) لمفتاح ، و(الأنغام المضيئة) للعقيلي . أو مما يحتاج إلى شرح لمعرفة المدلول مثل: (طيفان على نقطة الصفر) للبهكلي، فقد شرح الشاعر أن المراد بالطيفين، هما طيفا جبريل ومحمد -عليهما السلام- لحظة لقائهما في حراء وبداية نزول الوحي [1] .

وفي كثير من عناوين هذه الدواوين ذات الدلالات الغامضة ، نفتقد الصلة بين دلالات هذه العنوانات ومحتويات الدواوين ومضامينها ، وهذا الأمر كما يقول الدكتور بدوي طبانة : ((**ضربٌ من ضروب التجديد التي كثرت وطغت على سطح الحياة في هذا العصر**)) [2] .

ثانياً- إذا تأملنا دواوين بعض الشعراء نجد أنهم يحاولون الربط بين عنوانات دواوينهم المختلفة ، وجعلها في نسقٍ واحد ، إما مضموناً أو شكلاً. فمثلاً لو تأملنا عنوانات دواوين الشاعر محمد بن علي السنوسي الخمسة : (القلائد ، والأزاهير، والأغاريد ، والينابيع ، ونفحات الجنوب) فنجد أن هناك رابطاً موضوعياً يصل بينها ، وهو ما أشار إليه أحد النقاد بقوله : ((**وإذا كان لتلك الأسماء التي**

(١) طيفان على نقطة الصفر ، للبهكلي : ٦٢.

(٢) من أعلام الشعر السعودي ، د. بدوي طبانة : ١٤٠ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

اختارها الشاعر عناوين على مجموعات شعره شيء من الدلالة ، فإنها تدل على نفسٍ رضيّة مشرقة بنور الأمل مشبعة بروح التفاؤل ، وفي اعتقادي أنّ الرضاء والأمل والتفاؤل ، إنما تنبعث كلها عن الإيمان الراسخ في قلب صاحبه ، وتصدر عن اليقين الذي يعمر حياته)) [1] . ويربط تلك الدواوين الخمسة إطار شكلي هو كونها جموعاً ، مما يدل على حرصٍ واضح على التأنق في صياغة العناوين ؛ لما لذلك من أثر على نفسية القارئ .

ومن الأمثلة على هذا التأنق في العناوين صنيع علي بن قاسم الفيفي في ديوانيه، حيث اختار لهما اسمين متوازنين ، هما : (الطيف العابر) ، و(ومض الخاطر) . وكذلك صنيع منصور دماس في عنوانات دواوينه ، حيث سماها : (جرأة قلب) ، و(همسة مجد)، واقترب منهما الديوان الثالث : (شعور مغترب) .

على أننا نجد أن هناك كثيراً من الشعراء لم ينظروا لهذا الجانب ، وتعاملوا مع العناوين على أنها دلالات خاصة لمضامين ، لا يمكن المساس بخصوصيتها ، أو التأثير على تكونها الفني، سواء أكان من ناحية المضمون أم الشكل ، فنجح كثير منهم، وأخفق آخرون، فالبهكلي مثلاً في عناوينه بدأ نتاجه الشعري بديوان (الأرض والحب)، فديوان (طيفان على نقطة الصفر)، وختم نتاجه الشعري المطبوع بديوان (أول الغيث) ، فالمفترض من الناحية الشكلية أن يكون أول الغيث للبدايات ، إلا إذا كان الشاعر قد بدأ حياته الشعرية الناضجة بهذا الديوان ، وهذا إن كان فإنه يملي عليه أن يكون أول ما يصدر ، فقصائد الشاعر الأولى لا سيما في (الأرض والحب) فيها ملامح النضوج والتكامل في سائر الأدوات الفنية . ومع هذا فللشاعر أن يختار العنوان الذي يراه ملائماً لمضمون قصائده ، والبهكلي هنا اختار هذا العنوان الذي هو في الأصل عنوان لإحدى القصائد ، يقول الأديب عبدالله بن إدريس في تقديمه لديوان (أول الغيث) للبهكلي :

(١) المرجع السابق : ٣٤٠ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

((وعلى قارئ هذا الديوان أن لا تأخذه النظرة إلى العنوان ، فيجعله مقياساً على محتواه تقليدياً، فالعنوان -حقاً- تقليدي معرق في تقليديته، إذ هو جزء من مثل عربي سائر هو قول العرب (أول الغيث قطر ثم ينهمر)، وليس الشاعر تقليدياً -كما يعبر الحداثيون - بل هو محافظ على سمات الشعر العربي الأصيل ... والمحافظة شيء غير التقليد...)) [1] .

وفي وصف ابن إدريس للبهكلي بأنه محافظ ؛ انطلاقاً مما اشتمل عليه هذا الديوان فيه شيء من تجوز لاشتمال (أول الغيث) على قصيدة تفعيلية هي ندى [2] .

ثالثاً- وبتأمل عناوين دواوين بعض الشعراء نجد ما يمكن أن يكون تأثراً واضحاً بزملائهم شعراء المملكة العربية السعودية في صياغة أسماء دواوينهم على نمطها وتقليدهم في ذلك، ومن الأمثلة على ذلك ديوان (الأغاريد) لمحمد بن علي السنوسي الذي صدر سنة ١٣٨٥هـ نلمح فيه التأثر الواضح في العنوان بديوان (أغاريد الصحراء) لطاهر زمخشري ، وقد صدر ديوان الزمخشري في طبعته الأولى سنة ١٣٧٨هـ ، وقد اطلع عليه السنوسي ولا بدَّ .

وفي الوقت نفسه نجد أن هناك شاعراً قد سار على منوال الزمخشري والسنوسي، فجاء ديوانه بعنوان (أغاريد) وهو الشاعر أحمد قنديل .

ونجد أيضاً أن الشاعر علي بن حسين الفيفي صدر له ديوان بعنوان (أجراس)، وذلك سنة ١٣٨٨هـ ، وربما كان متأثراً بديوان (أجراس المجتمع) لسعد البواردي الذي صدر في طبعته الأولى سنة ١٣٨٣هـ ، وربما كان من هذا الباب تأثر الشاعر أحمد باهادون العطاس في ديوانه (تغريد النُّهى) الذي صدر سنة ١٤٠٨هـ بالشاعر علي زيد العابدين في ديوانه (تغريد) الذي صدر في طبعته الأولى سنة ١٤٠٤هـ ، وبين الشاعرين تواصل وعلاقات معروفة ، والتأثر قد حصل ولا بدّ .

---

(١) ديوان : أول الغيث ، لأحمد بهكلي ، التقديم : ٨ .

(٢) المصدر السابق : ٤٥ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

رابعاً- وبالنظر إلى عناوين دواوين الشعراء نجد أنّ جميع الدواوين [1] أخذت عناوينها من عناوين إحدى القصائد التي تضمنها ذلك الديوان ، حيث نجد أن الشاعر يعمد إلى عنوان إحدى قصائده القريبة من نفسه ، أو التي مثلت تجربة شعرية أثيرة لديه، ويطلق ذلك العنوان على ديوانه كله ، سواء أكان هناك رابط بين عنوان تلك القصيدة وسائر قصائد الديوان الأخرى ، أم لم يكن هناك أي رابط وصلة ، وهو الأعم الأغلب في العناوين [2] .

**

ثانياً - الصحف والمجلات :

إن المصادر الصحفية في بداية النهضة الحديثة في المملكة العربية السعودية مثلت قيمة كبيرة في الحياة بصفة عامة ، وفي النهضة الأدبية بصفة خاصة ، ولها سهم مهم في نشر نتاج أدباء النشأة ، والرواد الأوائل ، وهي وحدها التي تعرف بتاريخ الحركة الأدبية، وتاريخ نشر المصادر الأدبية ، كما كانت مصدراً مهماً للغاية في التعريف بالأدب السعودي عموماً، وبالأدب في جازان خصوصاً .

وقد أسهم عدد من رواد الأدب في جازان بشيء من نتاجهم الأدبي في الدوريات السعودية الصادرة بعد توحيد المملكة ، وكان دافع هذا الإسهام مشتركاً بين أدباء جازان والمشرفين على تلك الدوريات ، فبفضل تشجيعهم وريادتهم الأدبية التي أشعلت جذوة الحركة الأدبية في كل مكان ، بدأ شعراء جازان في مراسلة الصحف الأدبية الرائدة في تلك الفترة من الستينات الهجرية ، كأمّ القرى ، وصوت الحجاز ، والمنهل ، وغيرها ((**ولعلَّ من أسباب إقبال أولئك الأدباء على الكتابة في تلك المصادر الأولى الرغبة الصادقة في المشاركة الأدبية ، وإشباع الميول الذاتية عند كثير منهم ، فضلاً عن تشجيع القائمين على تلك الصحف**

(١) ما عدا ديوان (دوائر الصمت) وقد سبق وصفه ، ص : ٦٧ .
(٢) وقد أخذ بهذا كثير من أرباب المجموعات القصصية والمقالية .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

والمجلات ، إذ كانوا فيما يبدو حريصين على استقطاب أقلام إخوانهم الأدباء في هذه الأجزاء من بلادهم الواسعة ، ولعل خير مثال لهذا الواقع ما كان يفعله عبدالقدوس الأنصاري صاحب مجلة المنهل ورئيس تحريرها الذي قال عنه محمد زارع عقيل : ((إن أدباء جازان عقدوا معه صداقه من أجل استمرارية تعاونه معهم في إيصال مجلته إليهم ، ولا شك أنَّ ذلك سيؤدي إلى مشاركتهم الفعلية بأقلامهم في مجلته)) (١) . وقد أدّى ذلك فعلاً .

وبتتبع الصحف والمجلات الصادرة في بداية العهد السعودي ، وما تلا ذلك من تطور وتوسع للصحافة ، يتبيّن أنَّ لشعراء جازان حضوراً واضحاً ، ومشاركة فاعلة فيها ، فالشعراء الرواد لم يعرفوا إلا من خلال هذه الصحف والمجلات ، فمنهم علي بن محمد السنوسي الذي نشر كثيراً من شعره في أم القرى والمنهل ، وابنه محمد الذي نشر أكثر من ثلثي شعره في المنهل وحدها – كما سيأتي – ، وله مشاركات في صحف كثيرة ، ومجلات محلية ، وأخرى غير محلية ، ومحمد بن أحمد العقيلي –كذلك – أغلب بداياته الشعرية ومحاولاته الأولى بشّرت بها أم القرى والمنهل وصوت الحجاز ، ومثلهم علي بن حسين الفيفي ، وعلي بن قاسم الفيفي ، وأحمد باهادون العطاس ، وعلي بن أحمد النعمي ، الذي يقول عن نفسه : **((راسلتُ اليمامة ونشرتُ بها أولى محاولاتي ، كما نشرت بالرائد المحتجبة ، وفي الرياض التحقت بالصحافة ، فعملت في الدعوة واليمامة والرياض والبلاد ، ونشرت فيها وفي جميع الصحف اليومية الكثير من شعري ، كما نشرت في مجلات العرب والفيصل والمجلة العربية ، والحرس الوطني والمنهل ...))** (٢) .

وفيما يلي بيان بهذه الصحف والمجلات التي شارك شعراء جازان بأشعارهم فيها، مرتباً إياها حسب تاريخ صدورها ، وموضحاً مشاركات بعض الشعراء فيها حسب أولوية النشر لكل شاعر منهم ، وقد ألحقت الصحف بالمجلات ، ولم أفصل هذه عن تلك ، إذ إنَّ ذلك لا يعنيني هنا ، بقدر ما يعنيني كونهما مصدراً للشعر موضوع الدراسة ، واعتمدت

(١) نشأة الأدب في جنوبي المملكة العربية السعودية ، د. عبدالله أبو داهش : ٤٠ – ٤١ .
(٢) عن الحب ومنى الحلم ، لعلي النعمي : ١٠٩ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

التسلسل التاريخي لصدور تلك الصحف والمجلات في عرضها هنا، إذ إنَّ ذلك أوضح لبيان مشاركات الشعراء فيها ، وأسلم في تتبع بدايات الرواد منهم ، والهدف هنا ليس رصد جميع المشاركات ، وإنما إعطاء أمثلة ونماذج فقط ، لاسيما للرواد الأوائل ، تبرز قيمة الصحيفة أو المجلة كمصدر أدبي مهم في رصد هذا الشعر ، والقليل إلى الكثير يشير كما يقال .

١- أمّ القرى :

هي أول صحيفة صدرت في العهد السعودي ، وصدر أول عدد منها في ١٥/ ٥/ ١٣٤٣هـ ، وأول من تولى تحريرها يوسف ياسين ، وهي صحيفة أسبوعية تعنى إذ ذاك عناية بالغة بالأدب والأدباء ، واتصلت هذه العناية إلى أن كثرت الصحف والمجلات ، فقصرت جهودها في العقد الثامن وما بعده على البيانات الرسمية وما يتصل بها . وتعد مصدراً أصيلاً ومهماً لشعر المناسبات خاصة ، وقد جاءها ذلك من منطلق أنها جريدة رسمية، وهي الجريدة الوحيدة التي لم تتوقف أثناء الحرب العالمية بسبب ندرة الورق ، في حين أنَّ جميع الصحف والمجلات السعودية قد توقفت . واستمرت في الصدور إلى يومنا هذا ، وهي الجريدة الرسمية للدولة ، وقد تخلت هذه الجريدة عن الجانب الأدبي ، وقصرت اهتمامها – الآن – على نشر أنظمة الدولة ، ونشر بعض الاعلانات الخاصة [1] .

وتعد هذه الصحيفة أول صحيفة تصل إلى الناس في جازان ؛ ولذا يقول محمد الهادي عقيل في حديث له عن جازان : ((**أما الصحف الحجازية فلم تكن معروفة لديهم سوى جريدة أم القرى**)) [2] ، ويقول الدكتور عبدالله أبو داهش : ((**وتعدّ صحيفة أم**

(١) انظر : إقليم الحجاز وعوامل نهضته الحديثة ، د. إبراهيم الفوزان : ٣٥٢ ، والصحافة السعودية تاريخها وتطورها ، لخالد بن أحمد اليوسف : ٢٥ ، والصحافة الأدبية في المملكة العربية السعودية ، د . غازي زين عوض الله : ٢٧ – ٢٨ ، والتيارات الفنية في الشعر السعودي الحديث ، د. طلعت صبح : ٧٩ وما بعدها .

(٢) جيزان ومركزها الاجتماعي ، تجارتها ، مدى عمرانها ، سير التعليم فيها ، حركتها الفكرية ، لمحمد الهادي عقيل، صوت الحجاز ، العدد : ٢٧٥ ، السنة السادسة ، الثلاثاء ١ رجب ، ١٣٥٦هـ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

القرى من أهم الصحف انتشاراً بين الكتاب في تهامة ..)) [1] .

وفيما يلي بيان ببعض مشاركات الشعراء في أم القرى :

م	عنوان القصيدة	اسم الشاعر	التوصيف وسنة النشر	الديوان أو المصدر الذي نشرت فيما بعد
١	إلى حضرة صاحب الجلالة ملك المملكة العربية السعودية المعظم	علي بن محمد السنوسي	ع ٦٤٣، س ١٣ ، الجمعة ٢٠ محرم١٣٥٦هـ ص ٣	من شعر علي بن محمد السنوسي :٥٥
٢	تألقت في سماء الشرق	محمد بن أحمد العقيلي	ع ١١٤١ ، س ٢٣ ، ١٧ صفر ١٣٦٦هـ	شعراء الجنوب:٥٠-٥٤ والأنغام المضيئة: ١٨
٣	المدرسة	محمد بن علي السنوسي	ذكر السنوسي أن هذه القصيدة هي أول قصيدة نشرت له ، نشرتها أم القرى[2]، وجاء في ديوان (شعراء الجنوب) عند إيراد هذه القصيدة بيان بأنها نشرت في أم القرى[3].	شعراء الجنوب:٧٧

٢- صوت الحجاز(البلاد) :

صدرت هذه الصحيفة في ٢٧/ ١١/ ١٣٥٠هـ في مكة المكرمة ، أسسها الشيخ محمد صالح نصيف ، (ومن أشهر رؤساء تحريرها عبدالوهاب آشي ، وأحمد الغزاوي ، ومحمد حسن فقي ، ومحمد حسن عواد ، وأحمد السباعي ، ومحمد سعيد العامودي) .

---

(١) نشأة الأدب في جنوب المملكة العربية السعودية ، د. عبدالله أبو داهش : ٤١ .

(٢) في مقابلة معه أجراها ناصر قاسم في مجلة المنهل ج ٦ ، س ٢٣ ، مج ١٩ جمادى الأولى والآخرة ، ١٣٧٨هـ، ص : ٣٠٢ ، وقد اطلعت على أم القرى – كما اطلع من قبلي عدد من الباحثين في شعر محمد السنوسي – منذ بداية سنة ١٣٦٦هـ إلى ١٣٧٠هـ ، لعلي أجد هذه القصيدة ، ولكني لم أجدها ، ولعله قد التبس على السنوسي الأمر ، فإنه في العام نفسه ١٣٦٦هـ في شهر رمضان قد نشر قصيدة (أغنية البلبل) في المنهل ، وليس في أم القرى ، فقد تكون هي المقصودة .

(٣) ديوان : شعراء الجنوب – مشترك – : ٧٧ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

وقد استمرت هذه الجريدة في الصدور طوال تسع سنوات ، ثم احتجبت لتصدر بعد ذلك باسم (البلاد السعودية) سنة ١٣٦٦هـ ، ثم بعد ذلك في سنة ١٣٧٨ هـ صدرت باسم (البلاد) .

وهي مصدر مهم من مصادر الأدب في المملكة العربية السعودية ؛ لما فيها من مساجلات أدبية ، ودراسات قيمة[١] . وكانت تقف إلى جانب الكتاب الناشئين ، وتشجعهم بنشر إنتاجهم [٢] .

وقد اندمجت مع هذه الصحيفة (صحيفة عرفات) في ١٦ رجب سنة ١٣٧٨هـ ، ولما صدر نظام المؤسسات الصحيفة سنة ١٣٨٣هـ تحوّلت إلى مؤسسة البلاد للصحافة ، وما زالت مستمرة في الصدور إلى يومنا هذا [٣] .

وكان لهذه الصحيفة دور بارز في حركة الأدب في جازان ، حيث وصلت إلى القراء في وقت مبكر ، يقول وكيلها في جازان محمد الهادي بن عقيل: ((**أما صوت الحجاز فلي أن أفتخر بأني أول مذيع لها في تلك الأصقاع ، وقد وصلت إليها ، ولم يكن بها مشترك واحد ، كما تشهد بذلك إدارة الجريدة ، وبحمد الله أصبح بجازان نحو عشرين مشتركاً ، وأصبحت (صوت الحجاز) حولها يدور محور الحديث عند شبابهم في المجتمعات**)) [٤] .

(١) انظر : إقليم الحجاز وعوامل نهضته الحديثة ، د. إبراهيم الفوزان : ٣٥٢ ، والتيارات الفنية في الشعر السعودي الحديث ، د. طلعت صبح : ٧٩ – ٨٠ .

(٢) انظر : الصحافة الأدبية في المملكة العربية السعودية ، د. غازي عوض الله : ٣٠ ، ٤٦ (البلاد) .

(٣) انظر : الصحافة السعودية تاريخها وتطورها ، لخالد اليوسف : ١٠ .

(٤) وكيل الجريدة ، صوت الحجاز في جيزان ، للمحرر ، صوت الحجاز ، ع ٤٨٦ ، س ٩ ، الأربعاء ٢٧ جمادى الأولى ١٣٥٩هـ . وانظر : نشأة الأدب في جنوب المملكة العربية السعودية ، د. عبدالله أبو داهش : ٤٢ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ومن مشاركات شعراء جازان في هذه الصحيفة في مراحلها المختلفة :

م	عنوان القصيدة	الشاعر	التوصيف وسنة النشر	الديوان أو المصدر الذي نشرت فيه
١	زهرة	محمد أحمد العقيلي	البلاد السعودية ١٦/ ٧/ ١٣٦٨هـ	شعراء الجنوب :٥٥ والأنغام المضيئة :١٣٨
٢	تلفتت العروبة نحو ليث	يحيى بن عبدالله المعلمي	البلاد السعودية ، ع ١٧٠٦ ، س١٨ ، الجمعة ٣٠ ربيع الأول١٣٧٤هـ	
٣	موكب التاج	محمد أحمد العقيلي	ذو القعدة ١٣٧٤هـ	الأنغام المضيئة : ٣٥
٤	أحداث حرب اليمن	علي بن قاسم الفيفي	البلاد٣٠/ ٥/ ١٣٨٣هـ	الطيف العابر : ٢١
٥	أنشودة الجيل الصاعد	=	البلاد١٧/ ٦/ ١٣٨٤هـ	الطيف العابر : ١٤٣
٦	طلعة الهدى	إبراهيم بن حسن شعبي	البلاد ١١/ ٣/ ١٣٨٧هـ	التاريخ الأدبي ، للعقيلي ٣/ ١٥٤٤
٧	أنّة شريد	علي بن أحمد النعمي	البلاد ع٢٧٣١ في ٧/ ١١/ ١٣٨٧هـ	الرحيل إلى الأعماق:١٠٤
٨	البحر الأخضر	محمد بن علي السنوسي [1]	البلاد ١٠/ ١١/ ١٣٩٤هـ	الينابيع : ٦٧
٩	ضياء الدين رجب	=	البلاد ع٥١٧٣ ، ٣/ ٣/ ١٣٩٦هـ	نفحات الجنوب:٨٠
١٠	نايف في جازان	=	البلاد ٥٨٩٢ ، ١٢/ ٨/ ١٣٩٨هـ	نفحات الجنوب :٤٤
١١	كان نجماً	=	البلاد ٦١٨٧ ،	نفحات الجنوب :١٢٤

(١) لم ينشر محمد بن علي السنوسي أشعاره في هذه الصحيفة إلا متأخراً ، وقبل ذلك استأثرت صحف ومجلات أخرى غيرها بالكثير من أشعاره ، كما سيأتي .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

م	عنوان القصيدة	الشاعر	التوصيف وسنة النشر	الديوان أو المصدر الذي نشرت فيه
			١٨/ ٨/ ١٣٩٩هـ	
١٢	الأديب المصارع	=	البلاد ع٦٤٢٣ ، ١١/ ٦/ ١٤٠٠	فائت الأعمال : ٣٠
١٣	الجمال الحزين	=	البلاد ع٦٥٤٢ ، ١١/ ١١/ ١٤٠٠هـ	فائت الأعمال : ٣٢
١٤	عناء وغناء	=	البلاد ع٦٥٨٤ ، ١٧/ ١/ ١٤٠١هـ	فائت الأعمال : ٣٤
١٥	أم القرى	=	البلاد ع ٦٦٤٧، ٢٠/ ٣/ ١٤٠١هـ[1]	القلائد (ع ك) ١٥

٣- المنهل :

صدرت بالمدينة المنورة في شهر ذي الحجة عام ١٣٥٥هـ ، أنشأها الأديب عبدالقدوس الأنصاري ، وهي أوسع مصادر الأدب الصحفية انتشاراً [2] ، وقد انتقلت من المدينة إلى مكة سنة ١٣٦٥هـ ثم إلى جدة ، وقد استمرت هذه المجلة في الظهور إلى يومنا هذا ، عدا فترة يسيرة توقفت فيها عام ١٣٦٠هـ ؛ بسبب غلاء الورق أثناء الحرب العالمية الثانية .

((**وهذه المجلة تعتبر مصدراً مهماً من مصادر الأدب في المملكة**)) [3] ، وتعد – أيضاً– سجلاً لكل الحركات الأدبية التي قامت في الحجاز وغيره في مدة صدورها [4].

(١) نشر السنوسي بعد هذا التاريخ عدداً كثيراً من قصائده ، ومن تلك القصائد : (الحق المهان) ، (جامعة سعود)، (المال والأعمال) ، (عزف منفرد على أوتار باكية) ، (لم يمت خالد) ، (يا نصير الحضارة) ، (كيف أصبحت) ، (العام الجديد) ، (الرغائب الزائفة) وغيرها .

(٢) انظر : الصحافة الأدبية في المملكة العربية السعودية ، د. غازي عوض الله : ٥٤ .

(٣) انظر : مجلة المنهل وأثرها في النهضة السعودية ، د. السيد تقي الدين : ١ / ٦ – ١٩ .

(٤) انظر : إقليم الحجاز وعوامل نهضته الحديثة ، د. إبراهيم الفوزان : ٣٥٧ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وحرص مؤسسها الأنصاري على مكاتبة شعراء جازان ومراسلتهم : ((**وحث مندوبي مجلته بجازان على المتابعة الأدبية المستمرة ، وكان ذلك ظاهراً في نشر قصائد الشعراء الأوائل، وما كانت تصل إليه القصائد حتى يبادر بنشرها ، والتقديم لها ، مما يزيد في قيمتها وذيوعها**))[1].

ووكيل المجلة في جازان عند بداية وصولها إلى تلك الأنحاء الأستاذ محمد الهادي ابن عقيل ، وهو نفسه وكيل جريدة (صوت الحجاز) في جازان ، وكان يملك مواهب متميزة في تشجيع الأدباء على النشر والمراسلة والمتابعة لما يصدر في المنهل وغيرها .

وقد اعتبرت المنهل ديواناً لشعراء الجنوب ، فقد كتب الأستاذ حسن عبدالمقصود مقالة عن شعراء الجنوب بعنوان : (الشعر ديوان العرب ، وشعراء الجنوب من ديوانهم ومن المنهل)[2] ؛ فشعراء الجنوب هو الديوان المعروف للشعراء الأربعة ، والمنهل المجلة المعروفة التي عدها الكاتب مصدراً لشعراء جازان ، وديواناً لهم ؛ لكثرة ما نشروا فيها من قصائد . فالشاعر محمد بن علي السنوسي مثلاً لو تتبعنا شعره المنشور في الصحف والمجلات ، لوجدنا أنَّ النصيب الأكبر منه قد نشر في مجلة المنهل ، إذ نشر فيها ما يقارب ثلاثة أرباعه ؛ وسبب ذلك هو أنَّه قد هيء له الاطلاع على هذه المجلة منذ سنواتها الأولى ؛ حيث كانت تصل إلى والده ، فيطلع عليها ، وكان يرغب في أن يكون من روادها وأعلامها ، فلما تيسرت له سبل الاتصال بها عن طريق رئيس تحريرها عبدالقدوس الأنصاري لم يشأ أن ينشر شعره في غيرها ، إذ كان يراها رائدة الصحف والمجلات في المملكة ، وأكثرها انتشاراً وتميزاً ، واهتماماً بالأدب والأدباء ، وقد تحقق للشاعر عن طريق هذه المجلة ما يصبو إليه من شهرة وذيوع .

---

(١) من شعر علي السنوسي ، د. عبدالله أبو داهش : ٣٤ – ٣٥ بتصرف ، وانظر : المفقود من شعر علي السنوسي ، لأبي داهش : ٦ – ٧ .

(٢) انظر : (الشعر ديوان العرب وشعراء الجنوب من ديوانهم ومن المنهل) لحسن عبدالمقصود ، المنهل ح٧ ، س ٢٠ ، مج ١٦ ، رجب ١٣٧٥هـ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

ويتلوه في الرتبة من حيث كثرة النشر في هذه المجلة الشاعر محمد بن أحمد العقيلي الذي نشر ما يقارب عشرين قصيدة من شعره ، وفي البيان التالي ذكرٌ لبعض القصائد التي نشرها هذان الشاعران وغيرهما من شعراء جازان في مجلة المنهل :

م	عنوان القصيدة	الشاعر	سنة النشر والتوصيف	الديوان أو المصدر الذي نشرت فيه
١	وجودك جودٌ يشحن السفن بعضه	علي السنوسي	ج٢مج٤ س٤ محرم١٣٥٩هـ ٢-٤	من شعر علي بن محمد السنوسي :٦٢
٢	فأهلاً بوضاح الجبين محمد	=	ج٦ مج٤ س٤ جمادى الأولى١٣٥٩هـ ٢-٤	شعراء الجنوب : ٩
٣	عبدالعزيز أدام الله دولته	=	ج١ مج٥ ذو الحجة ١٣٥٩هـ ١٤- ١٧	شعراء الجنوب : ٤
٤	جبل فيفا	محمد العقيلي	ج٦ مج٧ جمادى الآخرة ١٣٦٦هـ، ٢٧٦- ٢٧٧	شعراء الجنوب : ٤٥
٥	أغنية البلبل	محمد السنوسي	ج٩ مج٧ س٧ رمضان ١٣٦٦هـ : ٤١٨	شعراء الجنوب : ٩٩
٦	جازان	محمد العقيلي	-	شعراء الجنوب : ٦٠ الأنغام المضيئة : ٦١
٧	هنا قلم	=	ج٤مج٩ ربيع الآخرة ١٣٦٨هـ ١٧٣ – ١٧٤	شعراء الجنوب : ٥٦ الأنغام المضيئة : ١٤٠
٨	شهداء فلسطين	محمد السنوسي	ج٤ مج٩ س٩ صفر ١٣٦٨هـ : ٧٨	شعراء الجنوب : ٧٨
٩	تحية المنهل	=	ج٦ مج٨ جمادى الآخرة ١٣٦٨هـ ٢٥٤-٢٥٥	فائت الأعمال : ٩
١٠	تحية الإذاعة السعودية	=	ج٥ و ٦ مج ١٠ جمادى الأولى والآخرة ١٣٦٩هـ	شعراء الجنوب : ٨٧
١١	تاج يضيء ودولة	=	ج٩و١٠مج١١ ذو القعدة	شعراء الجنوب : ٨٠

www.alukah.net
شبكة الألوكة

م	عنوان القصيدة	الشاعر	سنة النشر والتوصيف	الديوان أو المصدر الذي نشرت فيه
	تتألق		والحجة ١٣٧٠هـ ٤١٩-٤٢٠	
١٢	ديوان شاعر	=	ج٦و٧ مج١٢ جمادى الآخرة ورجب ١٣٧١هـ ٣٠٩ – ٣١١	شعراء الجنوب : ٩٠
١٣	موكب السحاب	=	ج٥ مج١٣ جمادى الأولى ١٣٧٢هـ	القلائد: (ع ك) ١٢٥[1]
١٤	الجزيرة العربية	محمد العقيلي	ج٩ مج١٣ ذو القعدة ١٣٧٢هـ ٥٩٥-٥٩٧	الأنغام المضيئة : ٥٨
١٥	قطوف وأصداء	محمد السنوسي	ج١٠ مج١٣ ذو الحجة ١٣٧٢هـ	القلائد : (ع ك) ٣٢
١٦	رثاء الملك عبدالعزيز	عبدالرحمن المعلمي	ج٣ مج١٤ س١٤ ربيع الأول١٣٧٣هـ: ٢٠٠	
١٧	الملك العصامي	محمد السنوسي	ج٣ مج١٤ ربيع الأول ١٣٧٣ هـ	فائت الأعمال : ١٠
١٨	باقة شعر	محمد العقيلي	ج٣ ربيع الأول ١٣٧٣ هـ	الأنغام المضيئة : ٣٠
١٩	فرحة الجنوب	محمد السنوسي	ج٣ مج١٥ ربيع الأول ١٣٧٤هـ	فائت الأعمال : ١٤
٢٠	أحمد أمين	محمد السنوسي	ج٦ مج١٥ ربيع الآخرة ١٣٧٤هـ	القلائد : (ع ك) ١١٣
٢١	فارس الأحلام	محمد السنوسي	ج٧ مج١٥ رجب وشعبان ١٣٧٤هـ	القلائد: (ع ك) ١٣٣
٢٢	من وحي الحج	محمد العقيلي	ج ١ مج ١٥ س ١٥ ذو الحجة ١٣٧٤هـ	-
٢٣	أم القرى	محمد السنوسي	ج١ و٢ مج١٦ محرم وصفر ١٣٧٥هـ	القلائد (ع ك) ١٥

(١) الرمز بـ(ع ك) يعني الأعمال الكاملة للسنوسي .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

م	عنوان القصيدة	الشاعر	سنة النشر والتوصيف	الديوان أو المصدر الذي نشرت فيه
٢٤	حطم المارد القيود	محمد السنوسي	ج٧مج ١٦رجب١٣٧٥هـ	القلائد : (ع ك) ٢٦
٢٥	تحية التاج	محمد العقيلي	ج٧ مج ١٦ س٢٠ رجب ١٣٧٥هـ	الأنغام المضيئة : ٣٨
٢٦	العالم العربي	محمد السنوسي	ج٩ مج١٧ ذو القعدة ١٣٧٥هـ	القلائد (ع ك) ٨١
٢٧	تحية الأقطاب الكبار	محمد العقيلي	ج١٠ مج١٦ س٢٠ ذو الحجة ١٣٧٥هـ	الأنغام المضيئة : ٣٥٧
٢٨	عودة الماضي	محمد السنوسي	ج٧و٨ مج١٧ رجب وشعبان ١٣٧٦هـ	القلائد: (ع ك) ٤٧
٢٩	غروب الشمس	محمد السنوسي	ج٧مج ١٨رجب١٣٧٧هـ	القلائد : (ع ك) ١٢١
٣٠	بطولة الجزائر	محمد السنوسي	ج٩ مج١٨ ذو القعدة ١٣٧٧هـ	القلائد:(ع ك) ١٨٨
٣١	الربيع	أحمد السنوسي	ج٨ مج٢٠ س٢٣ شعبان ١٣٧٨هـ	-
٣٢	بلبل الأيك	عبد الوهاب السنوسي	ج ١٠ مج ٢٠ س ٢٣ ذو الحجة ١٣٧٨هـ	-
٣٣	مولد النور	محمد السنوسي	ج١٠ مج٢٠ ذو الحجة ١٣٧٨هـ	القلائد:(ع ك) ٢٦٨
٣٤	أفراح الشعب	أحمد السنوسي	ج٤ مج٢٠ س٢٤ ربيع الآخر ١٣٧٩هـ	
٣٥	أبطال الجزائر	أحمد السنوسي	ج٧ مج٢٠ س٢٤ رجب ١٣٧٩هـ	
٣٦	اليقظة العربية	محمد السنوسي	ج٩ مج٢٠ ذو القعدة ١٣٧٩هـ	القلائد : (ع ك) ٢١٩
٣٧	سن الفطام	علي بن أحمد الرفاعي	ج١ ،٢ مج٢١ محرم وصفر١٣٨٠هـ ٩٩ - ١٠٠	-
٣٨	الجنوب الخصيب	محمد السنوسي	ج١ ،٢ ج٢١ محرم وصفر ١٣٨٠هـ	القلائد (ع ك) ٢٣٤

www.alukah.net
شبكة الألوكة

م	عنوان القصيدة	الشاعر	سنة النشر والتوصيف	الديوان أو المصدر الذي نشرت فيه
٣٩	ليلة الرابية	محمد السنوسي	ج٦ ،مج٢١ جمادي الآخرة ١٣٨٠هـ	القلائد : (ع ك) ٢٣٠
٤٠	اللحن السجين	محمد السنوسي	ج٨مج٢١شعبان ١٣٨٠هـ	القلائد (ع ك) ٩٥
٤١	من وحي البحر	أحمد العطاس	ج١٠مج ٢١ ذو الحجة ١٣٨٠ هـ	
٤٢	المنهل	محمد السنوسي	الكتاب الفضي بمناسبة مرور ربع قرن على إنشائها – القسم الأول – ١٣٨٠هـ	القلائد (ع ك) ٢٤٢
٤٣	انتصار الحرية	محمد السنوسي	ج١١ مج٢٢ ذو الحجة ١٣٨١هـ	الأغاريد : ١٨
٤٤	إلى غزاة الفضاء	محمد السنوسي	ج ٢ مج ٢٣ صفر ١٣٨٢هـ	الأغاريد : ٧٣
٤٥	أنشودة العيد	محمد السنوسي	ج٨مج٢٣شعبان ١٣٨٢هـ	الأغاريد : ٤١
٤٦	ليلة الرابية (٢)	محمد السنوسي	ج١١ مج٢٣ ذو القعدة ١٣٨٢هـ	القلائد : (ع ك) ٢٤٢
٤٧	هي الجزيرة	محمد السنوسي	ج١٢ مج٢٣ ذو الحجة ١٣٨٢هـ	الأغاريد : ١
٤٨	يا قلمي	محمد السنوسي	ج٧ مج٢٤ جمادي الآخرة ١٣٨٣هـ	الأغاريد : ٣٣
٤٩	مع الشعر	عبد الوهاب السنوسي	ج٨مج٢٤شعبان ١٣٨٣هـ	
٥٠	عودة إلى الطبيعة	محمد السنوسي	ج٣ مج٢٧ ربيع الأول ١٣٨٦هـ	الأغاريد : ٢٢
٥١	أم القرى (٢)	محمد السنوسي	ج٧ مج٢٧رجب١٣٨٦هـ	القلائد : (ع ك) ١٥
٥٢	أتمنى	محمد السنوسي	ج٣ مج٢٨ ربيع الأول١٣٨٧هـ	الأزاهير : ٩
٥٣	يا فتح	محمد السنوسي	ج ٥ مج ٢٩ جمادي الأولى	الأزاهير : ٦٤

شبكة الألوكة - قسم الكتب

م	عنوان القصيدة	الشاعر	سنة النشر والتوصيف	الديوان أو المصدر الذي نشرت فيه
			١٣٨٨هـ	
٥٤	في الملك فيصل	محمد السنوسي	ج١١ مج٢٩ ذو القعدة ١٣٨٨هـ	فائت الأعمال : ١٦
٥٥	بطولة ديجول	محمد العقيلي	ذي الحجة ١٣٨٨هـ	الأنغام ١٠١
٥٦	تحية الشعر	محمد العقيلي	ذي الحجة ١٣٨٨هـ	الأنغام : ١٣٦
٥٧	فيفا ترحب	علي بن قاسم الفيفي	١٣٨٨هـ	الطيف العابر : ٤
٥٨	الباكستان	محمد العقيلي	١٣٨٨هـ	الأنغام : ٩٨
٥٩	خلق المسلم	محمد السنوسي	ج٢مج٣٠ صفر ١٣٨٩هـ	الأغاريد :٩
٦٠	باقة شعر (٢)	محمد العقيلي	ج٣ مج٣٠ ربيع الأول ١٣٨٩هـ ٤٠٨- ٤١٠	الأنغام المضيئة : ٣٠
٦١	النونية (رثاء القرعاوي)	علي بن قاسم الفيفي	ج٨ ، مج٣٠ ، شعبان ١٣٨٩ : ١١٤٨ - ١١٤٩	الطيف العابر : ١٢٣
٦٢	شمعة على الطريق	محمد السنوسي	ج٥ مج٣١ جمادي الأولى ١٣٩٠هـ : ٦٩٨	الأزاهير : ٣٢
٦٣	ألحان من الحياة	علي بن أحمد الرفاعي	ج٧مج٣١رجب١٣٩٠هـ ٩٤٩-٩٥٠	-
٦٤	تحية المنهل الأغر	محسن بن أحمد أبو طالب	ج١٢ مج ٣١ ذو الحجة ١٣٩٠هـ ص ١٣٨٤	-
٦٥	تحية للمنهل العامر	محسن بن أحمد أبو طالب	ج١ مج٣٢ محرم ١٣٩٢هـ : ١٢٨	-
٦٦	الرسالة والرسول	محمد السنوسي	ج٣ و ج ٤ مج٣٥ ربيع الأول والآخر ١٣٩٤هـ	الينابيع : ٣
٦٧	المغرب الأقصى	محمد السنوسي	ج٨مج٣٥شعبان ١٣٩٤هـ	الينابيع : ٧٩
٦٨	المنهل في عامه الثاني	محمد السنوسي	ج١و٢ مج٣٨محرم وصفر	نفحات الجنوب : ٧٧

www.alukah.net
شبكة الألوكة

م	عنوان القصيدة	الشاعر	سنة النشر والتوصيف	الديوان أو المصدر الذي نشرت فيه
	والأربعين		١٣٩٦هـ	
٦٩	رشة عطر	محمد السنوسي	ج٨و٩ مج٣٨ شعبان ورمضان ١٣٩٦هـ	نفحات الجنوب : ٧٥
٧٠	وجه الجنوب	علي جبران صميلي	ج١ ،٢ مج٣٨ ، محرم وصفر ١٣٩٧هـ	لم تنشر في ديوان (مخطوطة)
٧١	نفحة الياسمين	محمد السنوسي	ج١و٢ مج٣٨ محرم وصفر ١٣٩٧هـ	نفحات الجنوب : ٦٢
٧٢	فرحة اللقاء	محمد السنوسي	ج ٣ و ٤ مج ٣٨ ربيع الأول والآخر ١٣٩٧هـ	-
٧٣	طبيب العيون	محمد السنوسي	ج١ مج٣٩ محرم ١٣٩٨هـ : ٤٩	نفحات الجنوب :٥٥
٧٤	أرتيريا الباسلة	محمد السنوسي	مج٣٩ جمادي الأولى ١٣٩٨هـ : ٤٩	نفحات الجنوب : ٨٩
٧٥	تحيات في مواكب الملك العائد	حجاب بن يحي الحازمي	ج١ مج٤٠ محرم ١٣٩٩هـ : ٥٩	-
٧٦	على ضفاف دجلة	محمد السنوسي	ج٧مج٤٠ رجب١٣٩٩هـ ٥١١-٥١٢	نفحات الجنوب : ١٠٤
٧٧	الشعر الأصيل	محمد السنوسي	مج٤١ شوال ١٤٠٠هـ	فائت الأعمال : ٣١
٧٨	همسة وفاء وتقدير	علي النعمي	محرم وصفر ١٤٠١هـ	الأرض والعشق : ٨٢
٧٩	تحية لشيخ المجلات	محمد السنوسي	مج ٤٢ محرم وصفر ١٤٠١هـ	فائت الأعمال : ٣٣
٨٠	من وحي مهرجان بغداد	علي النعمي	ربيع الأول ١٤٠١هـ	الأرض والعشق : ٧٩
٨١	ماذا جرى	علي النعمي	مج٤٢ربيع الثاني ١٤٠١هـ	جراح قلب : ٧٥
٨٢	الأرض والحب	علي النعمي	محرم ١٤٠٢هـ	الأرض والعشق : ٨٣
٨٣	الراعي والراعية	علي النعمي	رمضان وشوال ١٤٠٢هـ	الأرض والعشق : ١٠٤

شبكة الألوكة - قسم الكتب

م	عنوان القصيدة	الشاعر	سنة النشر والتوصيف	الديوان أو المصدر الذي نشرت فيه
	والحلقة المفقودة			
٨٤	الإقصاء أم القنبلة	علي النعمي	جمادى الأول ١٤٠٣هـ	الرحيل إلى الأعماق: ٨٥
٨٥	أوراق مريض	علي النعمي	مج ٤٥ شعبان ورمضان ١٤٠٣هـ	جراح قلب : ٢٠٣
٨٦	نزيف قلب	علي النعمي	مج٤٥ ذي القعدة والحجة ١٤٠٣هـ	جراح قلب :١٢١
٨٧	الوجه المتعدد	علي النعمي	ذي القعدة والحجة١٤٠٦هـ	-
٨٨	شلال نياجرا	محمد العقيلي	ذي الحجة ١٤٠٩هـ	رأد الضحى : ٦٥٩

٤- (المدينة المنورة) :

ظهرت صحيفة المدينة المنورة في ٢٦/ ١/ ١٣٥٦هـ ، أنشأها عثمان وعلي حافظ ، ورأس تحريرها أمين مدني ، وقد بدأت في الظهور مرة كل أسبوع ، ثم مرتين في الأسبوع، وهي أول جريدة صدرت في العهد السعودي في المدينة [١] .

وبعد توقفها اثناء أزمة الورق في الحرب العالمية عادت إلى الظهور بعد ذلك جريدة يومية ، ومن العدد (١١٤٦) في ٢٧/ ٧/ ١٣٨٢هـ تولى تحريرها محمد علي حافظ ، وصدرت من جدة بدلاً من المدينة [٢] .

ولهذه الصحيفة اهتمامات واضحة بقضايا الأدب والتاريخ ، وصدرت بها ملاحق متنوعة على مدى سنوات صدورها ، ومن أهمها ملحق الأربعاء الذي يعنى بشؤون الثقافة والأدب ، صدر سنة ١٤٠٣هـ ، وهو محضن للناشئة والرواد على حد سواء ، وميدان لعرض كثير من القضايا الأدبية الساخنة ، ومجال للنقاش المتزن الواعي، وما زال مستمراً في الصدور .

(١) انظر : إقليم الحجاز وعوامل نهضته الحديثة ، د. إبراهيم الفوزان : ٣٥٧ .
(٢) انظر : الصحافة الأدبية في المملكة العربية السعودية ، د. غازي عوض الله : ٣٥ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ومن مشاركات شعراء جازان في هذه الصحيفة ما يلي :

م	عنوان القصيدة	اسم الشاعر	التوصيف وتاريخ النشر	الديوان الذي نشرت فيه
١	(الباخرة العربية كليوبترا)	محمد أحمد العقيلي	٤/ ٣/ ١٣٨٠هـ	الأنغام المضيئة : ١١٨
٢	لمع السراب	محمد بن علي السنوسي	ع ٢٧٧٦ ، ١٧ / ٤ / ١٣٩٣هـ	الينابيع : ٣٦
٣	أبا نبيه لك الغفران	=	ع ٥٨٦٩ ، ٥ / ٧ / ١٤٠٣هـ	فائت الأعمال : ٥١
٤	نبضات حارة	علي بن أحمد النعمي	١٨/ ٩/ ١٤٠٣هـ	الأرض والعشق : ١٢١
٥	نزيف الكلمات	حسين النجمي	ع ١٧٨ ، ملحق الأربعاء ٥ / ٤ / ١٤٠٧هـ	تغريد النهى : ٣٤
٦	رثاء حسن الحازمي	أحمد بن علي عبدالفتاح الحازمي	ملحق الأربعاء ٢٦/ ٣/ ١٤١٠هـ	التاريخ الأدبي ٣/ ١٨٢٥
٧	أتيت إليك	إبراهيم علي الحدادي	ملحق الأربعاء ٧/ ٤/ ١٤١٧هـ	-

٥- مجلة الحج :

صدرت سنة ١٣٥٦هـ ، بمكة المكرمة ، ورأس تحريرها هاشم الزواوي ، وبعده محمد سعيد العامودي ، وكانت تصدر شهرياً عن المديرية العامة للحج ، ولها اهتمام ملحوظ بالأدب إضافة إلى اهتمامهابالشؤون الإسلامية ، لاسيما قضايا الحج والحجاج .

ومن القصائد التي نشرت فيها :

الرقم	عنوان القصيدة	اسم الشاعر	التوصيف وتاريخ النشر	الديوان الذي نشرت فيه
١	جنكيز خان	محمد بن علي السنوسي	مجلة الحج، ج ٥ ، ١٦، ذو القعدة ، ١٣٧٩هـ	الأعمال الكاملة : ٢٧٩

شبكة الألوكة - قسم الكتب

٦- اليمامة :

صدرت عام ١٣٧٢هـ ، وهي أول صحيفة تصدر في الرياض ، أنشأها حمد الجاسر، ولها اهتمامات واسعة بالأدب والثقافة ، ورعاية الأدباء الناشئين ، وغيرهم [١] . وما زالت مستمرة في الصدور إلى يومنا هذا .

وممن نشر فيها من شعراء جازان :

الرقم	عنوان القصيدة	اسم الشاعر	التوصيف وتاريخ النشر	الديوان الذي نشرت فيه
١	قمة افرست	محمد أحمد العقيلي	٤/ ٨/ ١٣٧٤هـ	الأنغام المضيئة : ٩٢
٢	قصر الإمارة في جازان	=	١٣/ ٧/ ١٣٧٧هـ	الأنغام المضيئة : ١٣١
٣	أشتات	علي بن أحمد النعمي	١٢/ ١/ ١٣٩١هـ	الأرض والعشق : ١١
٤	في وادي قصي	=	٢٤/ ٥/ ١٣٩١هـ	الأرض والعشق : ١٧
٥	فيفاء	=	١٦/ ٤/ ١٣٩٧هـ	الأرض والعشق : ٤٧
٦	أوراق من دفتر الحزن	أحمد عائل فقيه	ع ٥٩٧ ، ٣ / ٦/ ١٤٠٠هـ	التاريخ الأدبي ٣/ ١٦٤١
٧	ذكرى تأسيس بلادي	علي جبران صميلي	٦/ ٦/ ١٤٠١هـ	ديوان (شموع النصر) مخطوط : ٣١

٧- قافلة الزيت :

صدرت سنة ١٣٧٣هـ في الظهران ، أصدرتها شركة الزيت العربية الأمريكية (أرامكو) ، ومن سنة ١٩٨٤م تغير اسمها من (قافلة الزيت) إلى (القافلة) [٢] .

(١) وفي اليمامة نشرت بعض قصائد الشيخ حافظ بن أحمد الحكمي في مقال بعنوان : (من أعلام الجزيرة العربية الشيخ حافظ الحكمي ، لابنه أحمد حافظ الحكمي في الأعداد :
ع٢٤١ س٦ ، الجمعة ٢٠ محرم ١٣٩٣هـ
ع ٢٤٢ س٦ الجمعة ٢٧ محرم ١٣٩٣هـ .
ع ٢٤٣ س٦ ، الجمعة ٤ صفر ١٣٩٣هـ .

(٢) الصحافة الأدبية في المملكة ، د. غازي عوض الله : ٥٨ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وللمجلة اهتمامات ملحوظة بالأدب ، وهي مصدر من مصادر شعر كثير من الشعراء البارزين ، ومنهم محمد بن علي السنوسي [1] .

ومما نشر في هذه المجلة لشعراء جازان :

الرقم	عنوان القصيدة	اسم الشاعر	التوصيف وتاريخ النشر	الديوان الذي نشرت فيه
١	حسناء الريف	محمد بن علي السنوسي	مج ٢٠ ، ع ٤ ، ربيع الآخر سنة ١٣٩٢هـ.	الأزاهير : ٣٨
٢	الرسالة والرسول	=	مج٢٩،ع١،محرم١٤٠١هـ	الينابيع :٣

٨- الأضواء :

صدرت في ٦ / ١١ / ١٣٧٦هـ ، وهي أول صحيفة صدرت في جدة في العهد السعودي ، أصدرها ثلاثة من الأدباء ،هم : محمد سعيد باعشن ، وعبدالفتاح أبو مدين، ومحمد أمين يحيى ، ولها اهتمام ملحوظ بالأدب ورعاية الأدباء [2] ، وقد احتجبت بعد صدور العدد ٧٧ في ٢٠/ ٦/ ١٣٧٨هـ [3] .

ومما نشر في هذه الصحيفة :

الرقم	عنوان القصيدة	اسم الشاعر	التوصيف وتاريخ النشر	الديوان الذي نشرت فيه
١	ذكرى الجلوس	محمد بن علي السنوسي	الأضواء الثلاثاء ٢٠/ ٤/ ١٣٧٧هـ	فائت الأعمال : ١٦

(١) انظر : المصدر السابق : ٥٨ ، والصحافة مصدراً أدبياً ، د. عبدالله الحامد ، الرياض ، ع ٧٠٩٠ ، س ٢٤ ، السبت ٣ ربيع الأول ، ١٤٠٨هـ .

(٢) انظر : إقليم الحجاز وعوامل نهضته الأدبية ، د. إبراهيم الفوزان : ٣٥٥ .

(٣) انظر : الضبط الببليوجرافي لمحتويات الدوريات السعودية ، شكري العناني ، نشر الإدارة العامة للبحوث بمعهد الإدارة العامة : ٣٨٦ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

٩- (الندوة)

صدرت بمكة المكرمة سنة ١٣٧٧هـ ، ورأس تحريرها الأستاذ أحمد السباعي ، صدرت في بادئ الأمر أسبوعية ، ثم تحولت إلى الصدور كل ثلاثة أيام ، وبعد ذلك اندمجت مع جريدة (حراء) في ١٧/ ٧/ ١٣٧٨هـ.

وفتحت هذه الصحيفة صفحاتها لنشر أدب الشباب ، وفي سنة ١٣٨٣هـ بعد صدور نظام المؤسسات الصحفية ، انتقل امتيازها إلى مؤسسة الندوة للصحافة بمكة المكرمة، ورأس تحريرها محمد حسين زيدان [١] .

ولهذه الصحيفة اهتمام واضح بشعراء جازان ؛ حيث خصصت صفحة فيها لهم بعنوان: (صفحة الجنوب) ، يقوم على تحريرها عدد من أدباء جازان نفسها ، وقد حيَّا الشاعر أحمد باهادون العطاس هذه الصفحة بقوله :

صفحة الوعي والذكاء الخصيب وانطلاق الشباب أهل الجنوب
هدفت في سطورها تحقق إسـ عاداً لجازان والقطاع الخصيب
تستمد الضياء من عصرنا الزا هي، وتجلو عن خافيات القلوب
يا لها صفحة بها النبل خفا ق ومنها مجال كل أديب [٢]

ومن القصائد التي نشرتها الندوة لشعراء جازان :

الرقم	عنوان القصيدة	اسم الشاعر	التوصيف وتاريخ النشر	الديوان الذي نشرت فيه
١	تحية صفحة الجنوب	أحمد باهادون العطاس	ع ٨١٢ ، س٣ ، ١/ ٤/ ١٣٨١هـ	
٢	ليلة الهجرة	محمد بن علي السنوسي	ع ١١٠٤ شهر ربيع الآخر ١٣٨٢هـ	القلائد : (ع ك) ٢٦١
٣	أصداء	علي بن قاسم	٢٠/ ٣/ ١٣٨٥هـ	الطيف العابر : ٨١

(١) انظر إقليم الحجاز وعوامل نهضته الأدبية ، د. الفوزان ، ٣٥٣ – ٣٥٤ .

(٢) جريدة الندوة ، ع ٨١٢ ، س٣ ، الاثنين ١ / ٤ / ١٣٨١هـ ، ص ٥ ، وانظر : نشأة الأدب ، د. عبدالله أبو داهش: ٦٤.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الرقم	عنوان القصيدة	اسم الشاعر	التوصيف وتاريخ النشر	الديوان الذي نشرت فيه
	الذكريات	الفيفي		
٤	ترادفت المكارم والعطاء	أحمد باهادون العطاس	ع٦١٧٤ ، ٢٢ / ٥ / ١٤٠٦هـ	
٥	صعّد جهادك	حسن أبو عامرية (أبو علَّة)	ع ٩٩٧٠ ، ١٣/ ٤/ ١٤١٢	التاريخ الأدبي : ٣/ ١٣٩٩
٦	رثاء محمد حسين زيدان	محمد أحمد العقيلي	ع ١٠١٤٢ ، ٨/ ١١/ ١٤١٢هـ	رأد الضحى : ٦٩٣

١٠- الرائد :

صدرت في غرة ربيع الأول سنة ١٣٧٩هـ في جدة ، أسسها عبد الفتاح أبو مدين، وقد حفلت هذه الجريدة بالدراسات الأدبية من مقالات ومناقشات ومساجلات ودراسات. وتوقفت بعد صدور نظام المؤسسات الصحفية سنة ١٣٨٣هـ [(١)].

وخصصت هذه الصحيفة صفحة لأدباء جازان ،على غرار تلك التي خصصتها صحيفة الندوة ؛ عنوانها (صفحة الجنوب ((جازان)) ، يقول عبد الفتاح أبو مدين : **((أما في الرائد فقد توسّع اشتراك الشباب فيها بما يكتبون ويعبرون عن آرائهم ، وهؤلاء الشباب لا أعرفهم إلا من خلال ما يكتبون به إليّ ، بعضهم في جازان مثل ...))** [(٢)].

ومن القصائد المنشورة فيها :

م	عنوان القصيدة	اسم الشاعر	التوصيف وتاريخ النشر	الديوان الذي نشرت فيه
١	ليلة الهجرة	محمد بن علي السنوسي	الرائد ع ١٤ ، ١٥ ، رمضان ١٣٧٩هـ	الأعمال الكاملة : ٢٦١
٢	في ظلال المشاعر المقدسة	=	الرائد ع ١٩ ، ١ ، ذي الحجة ١٣٧٩هـ	شعراء الجنوب : ١٠٠

(١) انظر : الصحافة الأدبية في المملكة ، د. غازي عوض الله : ٦٠ .

(٢) تلك الأيام ، عبدالفتاح أبو مدين : ٣٥ ، نقلاً عن نشأة الأدب في جنوب المملكة العربية السعودية ، د. عبدالله أبو داهش : ٦٥ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

١١- عكاظ :

صدر العدد الأول منها في الطائف بتاريخ ٣/ ١٢/ ١٣٧٩هـ ، ومؤسسها هو الأستاذ أحمد عبدالغفور عطار ، و أراد لها أن تحمل اسم سوق عكاظ المعروف بالطائف ، وقد خلفه على رئاسة تحريرها الأديب عزيز ضياء .

واستمرت في الصدور بعد إعلان نظام المؤسسات الصحفية بالاسم نفسه ، وفي ١٢/ ٦/ ١٣٨٤هـ ، انتقلت إلى جدة بعد أن صارت جريدة يومية .

ولها اهتمام متميز بالأدب والأدباء ، وقد خصصت صفحات وملاحق أدبية ترعى الناشئة في مختلف مراحل صدورها[1] .

ومن مشاركات شعراء جازان فيها :

م	عنوان القصيدة	اسم الشاعر	التوصيف وتاريخ النشر	الديوان الذي نشرت فيه
١	لن تضيع الديار	علي النعمي	ع ١٠٢١ ، ٢٢/ ١٢/ ١٣٨٧هـ	الرحيل إلى الأعماق : ١٠٥
٢	يا ومضة الفكر	محمد العقيلي	ع ، ٢٤ / ٧ / ١٣٩٠هـ	الأنغام المضيئة : ١٣٣
٣	من أمام بوابة البلاغ نبدأ الخُطا	علي النعمي	ع٢٤،٥٣٥٨/ ٢/ ١٤٠١هـ	الرحيل إلى الأعماق:٢٤
٤	عطر وعطار	محمد السنوسي	ع٢٥،٥٧٤٣/ ٤/ ١٤٠٢هـ	فائت الأعمال : ٣٩
٥	يا خالق الأرض	محمد السنوسي	ع٥٨٤٨، ١٢/ ٨/ ١٤٠٢هـ	فائت الأعمال : ٤٣
٦	قصة شاعر	علي النعمي	ع٥٨٧٦ ، ١١/ ٩/ ١٤٠٢هـ	جراح قلب : ٤٠
٧	سناء الشهيدة	علي النعمي	ع٦٩٠١ ، ١٥/ ٨/ ١٤٠٥هـ	جراح قلب : ١٤٥
٨	ضياء الهدى	علي صميلي	١٧/ ٤/ ١٤٠٦هـ	-
٩	هذا التعب المتآكل في الأضلاع	أحمد عائل فقيه	٢٠/ ١٢/ ١٤٠٦هـ	التاريخ الأدبي:٣/ ١٤١٦
١٠	أخي	محمد السنوسي	ع ٧٦٥٠، ١٨/ ١٠/ ١٤٠٧هـ	فائت الأعمال : ٢٧
١١	بين براثن البؤس	عبدالصمد الحكمي	ع ١١٤٩١ ، ٩/ ١٠/ ١٤١٨هـ	-

(١) انظر : الصحافة الأدبية في المملكة العربية السعودية ، د. غازي عوض الله : ٤٠ – ٤٤ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

١٢- الجزيرة :

صدرت في الرياض سنة ١٣٧٩هـ باسم مجلة الجزيرة ، أنشأها عبدالله بن خميس ، وكانت في بداياتها شهرية ، ثم أسبوعية ، وفي عام ١٣٨٤هـ تحولت إلى صحيفة يومية ، ولها اهتمام بالأدب ، لا سيما في بداية صدورها ، ومن كتابها المشهورين من جازان محمد ابن علي السنوسي ، وعلي بن محمد العمير ، وعلوي طه الصافي [1].

ومن مشاركات شعراء جازان فيها :

الرقم	عنوان القصيدة	اسم الشاعر	التوصيف وتاريخ النشر	الديوان الذي نشرت فيه
١	جامعة سعود	محمد بن علي السنوسي	ع١ ، ذو القعدة ١٣٨٢هـ (مجلة الجزيرة)	القلائد : (ع ك)٢٩٠
٢	الشعر في رحاب المليك	علي بن قاسم الفيفي	ع٢٣ربيع الثاني١٣٨٤هـ (مجلة الجزيرة)	الطيف العابر : ١٤
٣	تحية ووفاء	علي بن أحمد النعمي	ع ٩٣٨ ، ٤/ ٥/ ١٣٩١هـ	الأرض والعشق : ٥٦
٤	جرح الرحاب الطاهرة	علي بن أحمد النعمي	ع٢٧٠٤، ٦/ ٢/ ١٤٠٠هـ	الرحيل إلى الأعماق:٦٣

١٣- مجلة الجيش :

صدرت في الرياض سنة ١٣٨٣هـ باسم مجلة الجيش العربي السعودي ، ثم تحولت بعد ذلك إلى مجلة الدفاع ، وهي نصف سنوية تصدر عن وزارة الدفاع والطيران والمفتشية العامة .

ومن القصائد المنشورة فيها لبعض شعراء جازان :

الرقم	عنوان القصيدة	اسم الشاعر	التوصيف وتاريخ النشر	الديوان الذي نشرت فيه
١	تحية الجيش	محمد أحمد العقيلي	١ شوال ،١٣٨٦هـ	الأنغام المضيئة ١٢٥
٢	الشجعان البواسل	أحمد باهادون العطاس	١ ربيع الثاني ١٣٨٧هـ	غير منشورة في ديوان

(١) انظر: الصحافة مصدراً أدبياً ، د. عبدالله الحامد ، جريدة الرياض ، ع ٧٠٩٠ ، س ٢٤ ، السبت ٣ ربيع الأول، ١٤٠٨هـ : ٩ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

١٤- الرياض :

صدر العدد الأول منها في غرة المحرم سنة ١٣٨٥هـ في مدينة الرياض ، وهي جريدة يومية تصدر عن مؤسسة اليمامة للطباعة والنشر ، ولها اهتمامات ملحوظة بالأدب على مدى السنوات التي مرت بها ، وأصدرت عدداً من الملاحق ، وخصصت بعض صفحاتها الأسبوعية أو اليومية للأدب والأدباء ، ((**ولها اهتمام بقضية الحداثة في الشعر ، وهي من الصحف التي تعصبت لها ، ونشرت للشعراء الحداثيين**))[1] .

ومن مشاركات شعراء جازان فيها :

م	عنوان القصيدة	اسم الشاعر	التوصيف وتاريخ النشر	الديوان الذي نشرت فيه
١	إليك يا نجد	علي النعمي	١٢/ ٧/ ١٣٨٩هـ	الأرض والعشق : ٨٤
٢	من وادي المحالة	=	٢٤/ ٨/ ١٣٨٩هـ	الأرض والعشق : ٣٠
٣	نجد الهوى	=	٢٤/ ٨/ ١٣٨٩هـ	الأرض والعشق : ٣٣
٤	ميلاد النور	=	٦/ ٤/ ١٣٩١هـ	الأرض والعشق : ٥٠
٥	حصاد الغربة	=	٨/ ٥/ ١٣٩١هـ	الأرض والعشق : ٦٣
٧	تحية العلم والعلماء	=	٤/ ٣/ ١٣٩٢هـ	الأرض والعشق : ٨٦
٨	نفثات شاعر	=	١٦/ ٦/ ١٣٩٢هـ	جراح قلب : ١١
	الصفحة المجهولة	=	٤/ ٨/ ١٣٩٧هـ	جراح قلب : ١٩
٩	بطاقة إعجاب	محمد بن علي السنوسي	٨/ ٨/ ١٤٠٢هـ	فائت الأعمال : ٤٢
١٠	فيتو وماذا بعد	علي النعمي	٢٢/ ٧/ ١٤٠٢هـ	الرحيل إلى الأعماق :٨٢
١١	مرحى بسلطان	عبدالصمد الحكمي	٨/ ١١/ ١٤١٨هـ	لم تنشر في ديوان
١٢	رسالة إلى بلد الألف شهيد	البراق بن أحمد الحازمي	٨/ ١٢/ ١٤١٨هـ	لم تنشر في ديوان

(١) الصحافة الأدبية في المملكة العربية السعودية ، د. غازي عوض الله : ٥٠ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

١٥- الدعوة :

صدرت مجلة الدعوة بعد صدور نظام المؤسسات الصحفية ، وأول عدد صدر منها سنة ١٣٨٥هـ ، وقد بدأت جريدة يومية ثم تحولت إلى مجلة ، أنشأها الشيخ محمد ابن إبراهيم آل الشيخ ، وأول رئيس تحرير لها الأستاذ : عبدالله بن إدريس ، وليس يخفى الدور الذي تقوم به مجلة الدعوة ، فهي من جانب مصدر للاتجاه الإسلامي ، وهي من جانب آخر مصدر مهم للأدب .

ومن القصائد التي نشرت فيها لبعض شعراء جازان :

الرقم	عنوان القصيدة	اسم الشاعر	التوصيف وتاريخ النشر	الديوان الذي نشرت فيه
١	خلق المسلم	محمد بن علي السنوسي	ع ١٠ ، ١٤/ ٢/ ١٣٨٥هـ	الأغاريد : ٩
٢	في وادي قصي	علي بن أحمد النعمي	ع٣٣٨ ، ٧/ ١/ ١٣٩٢هـ	الأرض والعشق : ٢٣
٣	فراشة	=	ع٣٤٧، ٢٥/ ٣/ ١٣٩٢هـ	الأرض والعشق : ٧٠
٤	تحية لسلمان الإحسان	=	ع٣٥٣، ١٦/ ٤ / ١٣٩٢هـ	الرحيل إلى الأعماق : ٥٩
٥	ملحمة الشرق الحزين	=	ع ٣٦٦ - ٣٦٩ ، ١٩/ ٧/ ١٣٩٢ - ١ / ٨ / ١٣٩٢	الرحيل إلى الأعماق : ٤٠
٦	نجاوى ضارعة	=	ع٣٧٧ ، ١٤/ ١٠/ ١٣٩٢	الرحيل إلى الأعماق : ٨٧
٧	إذا عبدت فاعبد الله	=	ع٣٩١، ٣٠/ ١/ ١٣٩٣هـ	الرحيل إلى الأعماق : ٣٠
٨	حسبُنا الله	=	ع٧٥٧، ٢٤/ ٨/ ١٤٠٠هـ	الرحيل إلى الأعماق : ٥٥
٩	من نافذة الذكريات	=	ع ١٤/ ٧/ ١٤٠١هـ	الأرض والعشق : ٩٩
١٠	بيروت الحدث والموقف	=	ع٨٦٦ ، ١٥/ ١/ ١٤٠٣هـ	الرحيل إلى الأعماق : ٦٦

١٦- العرب :

صدرت سنة ١٣٨٦هـ عن دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر ، أسسها ورعاها حمد الجاسر ، وتصدر شهرياً ، وهي مجلة جادة ، وبحوثها ذات صبغة علمية معتبرة .

ومن القصائد المنشورة فيها لبعض شعراء جازان :

شبكة الألوكة - قسم الكتب

م	عنوان القصيدة	اسم الشاعر	التوصيف وتاريخ النشر	الديوان الذي نشرت فيه
١	صبيا	محمد أحمد العقيلي	رجب ١٣٨٧هـ	الأنغام المضيئة : ٦٤
٢	برسي شيلي	=	شوال ١٣٨٧هـ	الأنغام المضيئة : ٨٩
٣	نغمات كئيبة	علي أحمد النعمي	رجب ١٣٨٨هـ	جراح قلب : ١٤٦
٤	يوم الكرامة	محمد علي السنوسي	رمضان ١٣٨٨هـ	الأزاهير : ٥١
٥	الحية	محمد احمد العقيلي	ذو القعدة ١٣٨٨هـ	الأنغام المضيئة : ١٠٤
٦	على ضفاف فوار انطلياس	=	صفر ١٣٨٩هـ	الأنغام المضيئة : ١١٥
٧	شهداء فلسطين	محمد علي السنوسي	جمادى الآخرة ١٣٩٠هـ	شعراء الجنوب : ٧٨
٨	المعري	=	جماد الأولى والآخرة ١٣٩٥هـ	فائت الأعمال : ٢٠
٩	من وحي الطفولة	علي النعمي	جمادى الثانية ١٤٠٨هـ	جراح قلب : ٢٢٠

١٧- مجلة التضامن الإسلامي :

صدرت في مكة سنة ١٣٩١هـ، عن وزارة الحج والأوقاف، وهي تابعة لمجلة الحج[1].

ومن القصائد المنشورة فيها لبعض شعراء جازان :

م	عنوان القصيدة	اسم الشاعر	التوصيف وتاريخ النشر	الديوان الذي نشرت فيه
١	في ظلال المشاعر المقدسة	محمد بن علي السنوسي	ج٥ ، ٦ ، ذو القعدة والحجة ١٣٩٣هـ	شعراء الجنوب :١٠٠
٢	ثاني اثنين	=	ج ٤ ، ٥ ، شوال وذو القعدة ١٣٩٤هـ	الينابيع : ١٤
٣	أخي المسلم	=	ج ٣، رمضان ١٣٩٩هـ	نغمات الجنوب : ٩٧

١٨- المجلة العربية :

صدر العدد الأول منها في غرة شعبان سنة ١٣٩٥هـ، وهي مجلة شهرية ثقافية تصدر في الرياض، وأول رئيس تحريرلها منير العجلاني .

وقد نشرت هذه المجلة كثيراً من القصائد لعدد من الشعراء السعوديين وغيرهم،

(١) انظر : الضبط الببليوجرافي لمحتويات الدوريات السعودية، شكري العناني : ٣١٨ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وكان كل عدد من أعدادها يتضمن باباً للشعر ، كما كان الباب الواحد يتضمن نحو عشر قصائد تقريباً[1] .

ومن القصائد المنشورة لشعراء جازان في هذه المجلة :

م	عنوان القصيدة	اسم الشاعر	التوصيف وتاريخ النشر	الديوان الذي نشرت فيه
١	أذان الفجر	محمد السنوسي	ع ٢، رجب١٣٩٦هـ	الينابيع : ٢٣
٢	العالم العربي	=	ع ٤ ،١٣٩٧هـ	القلائد : (ع ك) ٨١
٣	إلى غزاة الفضاء	=	ع ٥ ، جمادى الآخرة ١٣٩٩هـ	الأغاريد : ٧٣
٤	المنهل	=	ع ٧ ، ذو الحجة ١٤٠٠هـ	القلائد : (ع ك) ٢٤٢
٥	إلى أمي الجنوب	أحمدعلي حمودحسيبي	ع ذو الحجة١٤٠٠هـ	مخطوطة
٦	الحب الكاذب	محمد السنوسي	ع ١٠ ، ربيع الأول ١٤٠١هـ	الينابيع : ٧٥
٧	تأملات	علي النعمي	ع١١،ربيع الثاني ١٤٠١هـ	جراح قلب : ٨٤
٨	الشك المريب	=	ع ٥ ، شوال ١٤٠١هـ	جراح قلب : ١٦٢
٩	الغدير والينبوع	=	ع٥١ ربيع الأول ١٤٠٢هـ	الأرض والعشق :٣٨
١٠	إفاقة	محمد السنوسي	ع٥٣ ،جمادى الآخرة١٤٠٢هـ	الأغاريد : ٤٧
١١	عريس سارة	علي النعمي	ع٦٠ محرم ١٤٠٣هـ	الأرض والعشق ٣٥
١٢	الغني والفقير	=	ع ٦٨ رمضان ١٤٠٣هـ	الأرض والعشق : ١٠٢
١٣	طبيب العيون	محمد السنوسي	ع ٨١ شوال ١٤٠٤هـ	نفحات الجنوب : ٥٥
١٤	على جانب الشرف الرفيع	أحمد عطيف	ع١٦٤ذو القعدة ١٤١٠هـ	التاريخ الأدبي:٣/ ١٤٧١

١٩- الفيصل :

صدرت في شهر رجب سنة ١٣٩٧هـ ، وهي مجلة ثقافية شهرية تصدر عن دار الفيصل الثقافية بالرياض ، وأول رئيس تحرير لها هو علوي بن طه الصافي .

(١) انظر : الصحافة الأدبية في المملكة العربية السعودية ، د. غازي عوض الله : ٦٥ – ٦٦ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

وخصصت هذه المجلة أبواباً عدة للأدب وقضاياه ، ومن أهم تلك الأبواب (باب الشعر) الذي حوى كثيراً من القصائد ، وعدّ مصدراً من أهم مصادر الشعر السعودي[1].

ومن القصائد التي نشرت فيها لبعض شعراء جازان :

م	عنوان القصيدة	اسم الشاعر	التوصيف وتاريخ النشر	الديوان الذي نشرت فيه
١	عصفور شبابي	محمد السنوسي	ع١ ، رجب ١٣٩٧هـ	نفحات الجنوب : ٢٤
٢	أنشودة الصقر	=	ع٢٢،ربيع الآخر١٣٩٩هـ	القلائد : (ع ك) ١٧٢
٣	ليلة الرابية	=	ع ٤٠ ، شوال ١٤٠٠هـ	القلائد : (ع ك) ٢٣٠
٤	الجمال الحزين	=	ع٤٦ ، ربيع الآخر ١٤٠١هـ	فائت الأعمال : ٣٢
٥	لوحة من عسير	=	ع٥٣ ذو القعدة ١٤٠١هـ	فائت الأعمال : ٣٥
٦	الأرض والعشق	علي النعمي	ع٥٤ ذو الحجة ١٤٠١هـ	الأرض والعشق : ٤١
٧	فصل من كفاح فتاة	=	ع٥٧ ربيع الأول١٤٠٢هـ	الأرض والعشق : ١٢٦
٨	زورق وشاعر	=	ع ٦١ ، رجب ١٤٠٢هـ	جراح قلب : ٢٥
٩	ماء ونار	محمد السنوسي	ع ٦١ ، رجب ١٤٠٢هـ	الأغاريد : ٣٨
١٠	ملحمة الجنوب الزراعية	علي النعمي	ع٨٠ صفر ١٤٠٤هـ	الأرض والعشق : ٤١
١١	ورقة من شجرة الحياة العائلية	=	ع ٨٨ ،شوال ، ١٤٠٤هـ	جراح قلب : ١٦٥
١٢	عظة المتقين في طريق المهتدين	محمد عقيل أحمد	ع١٧١ ، شوال ١٤١٢هـ	التاريخ الأدبي ٣ / ١٦٥٧

(١) لمزيد التفصيل عن هذا الباب والمجلة ، انظر : الصحافة الأدبية في المملكة ، د. غازي عوض الله : ٦٧ – ٧١ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

٢٠- مجلة الحرس الوطني :

صدرت سنة ١٤٠٠هـ في الرياض عن إدارة العلاقات العامة بالحرس الوطني، وكانت في بداية صدورها فصلية، ثم تحولت إلى الصدور شهرياً، وذلك من رجب ١٤٠٤هـ.

ومن القصائد المنشورة فيها لبعض شعراء جازان :

الرقم	عنوان القصيدة	اسم الشاعر	التوصيف وتاريخ النشر	الديوان الذي نشرت فيه
١	اليتيم السعيد	محمد السنوسي	ع ٦، س٢شوال ١٤٠١هـ	الأغاريد : ٨٦
٢	جراح قلب	علي النعمي	ع ٩ س٣ رجب ١٤٠٢هـ	جراح قلب : ١٤٨
٣	قصة قصيرة	=	ع ٩ س٣ رجب ١٤٠٢هـ	الأرض والعشق : ٦٤
٤	انكسار حلم	=	ع ١٠ ، س ٣ ، شوال ١٤٠٢هـ	جراح قلب : ٦٥

***

هذه أهم الصحف والمجلات السعودية التي نشرت لشعراء جازان ، ولا يعني هذا حصرها جميعاً ، وإلا فهناك كثير من الصحف والمجلات ، نشر فيها شعر لبعض الشعراء، ولكنه نشر قليل ، وفي بعضها قصائد يتيمة ، ومن تلك الصحف والمجلات مثلاً : (مجلة الإذاعة السعودية) ، فقد نشرت قصيدة محمد بن علي السنوسي (ساعة في الريف) سنة ١٣٧٨هـ [١] ، و(مجلة رابطة العالم الإسلامي) التي نشرت قصيدة (في ظلال المشاعر المقدسة) للسنوسي أيضاً سنة ١٣٨٤هـ[٢] ، وجريدة (المسلمون) نشرت لمحمد السنوسي قصيدة (ملك الشهور) في سنة ١٤٠٢هـ [٣] ، وهي السنة نفسها التي صدرت فيها الصحيفة . ومجلة الشبل نشر فيها العقيلي قصيدتين ، هما: (نشيد لطفلات

(١) مجلة الإذاعة السعودية ، ع ٤٥ ، ذو الحجة ١٣٧٨هـ .
(٢) مجلة رابطة العالم الإسلامي ، ع ١٠ ، ذو الحجة ١٣٨٤هـ .
(٣) المسلمون ، ع ٣٨ ، ٢٥/ ٩/ ١٤٠٢هـ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

الروضة)[1] ، و(نشيد لأطفال الروضة)[2] بناءً على طلب المجلة . ومجلة (أهلاً وسهلاً) نشر فيها بعض الشعراء ، ومنهم علي بن قاسم الفيفي نشر في سنة ١٤١٠هـ قصيدته (يا خادم الحرمين)[3]. ومجلة (الجيل) نشرت لبعض الشباب ، كمهدي الحكمي[4] وعلي الحازمي[5] .

أما الصحف والمجلات غير السعودية ، فلم تكن لشعراء جازان مشاركات واسعة فيها، إذا استثنينا مجلتي الأديب والثقافة اللبنانيتين ، ومجلة المجتمع الكويتية . ففي الأديب نشر اثنان من الرواد بعضاً من قصائدهما ، وهما محمد بن علي السنوسي ، ومحمد بن أحمد العقيلي، وفي (المجتمع) نشر بعض الشعراء الشباب قصائدهم ذات الاتجاه الإسلامي .

وفيما يلي بيان ببعض تلك المشاركات :

١- مجلة الأديب :

الرقم	عنوان القصيدة	اسم الشاعر	التوصيف وتاريخ النشر	الديوان الذي نشرت فيه
١	إفاقة	محمد السنوسي	مجلة الأديب ، ج٨ ، س ٢٩ جمادى الآخرة ١٣٩٠هـ (أغسطس ١٩٧٠م).	الأغاريد : ٤٧
٢	يا ومضة الفكر	محمد أحمد العقيلي	مجلة الأديب ج٨، س ٢٩،رجب١٣٩٠هـ (سبتمبر ١٩٧٠م)	الأنغام المضيئة : ١٣٣
٣	عودة الماضي	محمد السنوسي	مجلة الأديب ، ج٥ ربيع الآخر ١٣٩٢هـ (مايو ١٩٧٢م)	القلائد:(ع ك) ٤٧
٤	إلى غزاة الفضاء	=	مجلة الأديب ج١١ ، س٣٥ ، شوال ١٣٩٣هـ (نوفمبر ١٩٧٣)	الأغاريد : ٧٣

(١) المجموعة الكاملة (رأد الضحى) ، للعقيلي : ٦٨٥ .
(٢) المصدر السابق : ٦٨٧ .
(٣) أهلاً وسهلاً ، شوال ١٤١٠هـ ، ص ٤٢ ، وانظر : التاريخ الأدبي ، للعقيلي : ٣/ ١٥٤٣ .
(٤) الجيل ، ع ٥٩ ، رجب ١٤٠٩هـ .
(٥) الجيل ، ع ٦٤ ، ذو الحجة ١٤١٠هـ ، وانظر : التاريخ الأدبي ، للعقيلي : ٣/ ١٤٩٤ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الرقم	عنوان القصيدة	اسم الشاعر	التوصيف وتاريخ النشر	الديوان الذي نشرت فيه
٥	الكلمات والشاعر	=	مجلة الأديب ج٦،جمادى الآخرة ١٣٩٤هـ (يونيو ١٩٧٤م)	الينابيع : ٧٧
٦	أنشودة الصقر	=	مجلة الأديب ، ج ١٠ ، شوال ١٣٩٥هـ (أكتوبر ١٩٧٥م)	القلائد : (ع ك) ١٧٢
٧	حديثُها	=	مجلة الأديب ج٥، س٤٠، جماديالأولى والآخرة ١٤٠٠هـ(مارس وإبريل١٩٨٠م)	فائت الأعمال : ٢٩

٢- مجلة الثقافة :

نشر فيها فقط الشاعر محمد بن علي السنوسي عدداً من قصائده ، ومنها :

الرقم	عنوان القصيدة	التوصيف وتاريخ النشر	الديوان الذي نشرت فيه
١	إغراء الحب	مجلة الثقافة ع٣٠،رجب١٣٩٦هـ (تموز ١٩٧٦م)	الأغاريد : ٣١
٢	دارة جلجل	مجلة الثقافة (عدد من الأدب في المملكة ، ذو القعدة ١٣٩٧هـ (تشرين الأول١٩٧٧م)	(ع ك) ١٤٣
٣	القلب الكبير	مجلة الثقافة ، ع ٥٤، ربيع الآخر ١٣٩٨هـ (مارس ١٩٧٨)	نفحات الجنوب : ٥٢

**

وبعد هذا العرض السريع لبعض ما نشر في الصحافة من قصائد لشعراء من جازان ، أودّ أن أشير إلى أنَّ عدد ما قمت بجمعه من قصائد مبثوثة في الصحف والمجلات بلغ : (١٨٠٢) قصيدة ، منها (١٠٨٤) قصيدة نشرت في الصحافة قبل نشرها في الدواوين ، و(١٣٢) قصيدة أعيد نشرها في الصحافة بعد نشرها في الدواوين الشعرية ، و (٥٨٦) قصيدة نشرت في الصحف والمجلات ، ولم تنشر في دواوين شعرية بعد ذلك ، وأنَّ هناك (٢١٢) قصيدة تكرر نشرها في أكثر من

شبكة الألوكة - قسم الكتب

صحيفة أو مجلة ، بعضها تكرر لمرتين ، وبعضها لثلاث مرات ، وبعضها لأكثر من ذلك .

وهذه القصائد المجموعة من الصحافة لا تمثل كل الشعر المنشور في الصحف والمجلات لشعراء جازان ، وإنما هي عينات وجزء قليل منه ، وأتوقع أن ما لم يجمع أو يعثر عليه يتجاوز أضعاف هذا العدد المذكور آنفا . وأيضاً فإنَّ أغلب القصائد التي جمعها الباحث هي مما نشر بعد سنة ١٤٠٠هـ ، وأما قبل هذا التاريخ فإن ما نشر في الصحف والمجلات لم يكن كثيراً ؛ إذ لم يكن يهتم بنشر الشعر سوى الشعراء الرواد الأوائل ، كمحمد بن علي السنوسي ، ومحمد بن أحمد العقيلي ، وعلي بن قاسم الفيفي ، وعلي بن أحمد النعمي ، وأحمد باهادون العطاس ، وعلي بن حسين الفيفي ، وغيرهم.

ومجموع ما نشره هؤلاء الشعراء المذكورون لا يمثل سوى ثلث الشعر المجموع، وعدده (٥٩١) قصيدة .

وغني عن القول أن أشير إلى أنَّ الفائدة من الرجوع إلى الصحف والمجلات واعتبارها مصدراً أدبياً مهماً في الوقوف على الشعر ، مع أنَّ كثيراً من هذا الشعر قد نشر في الدواوين الشعرية للشعراء أنفسهم ، هي أنَّ الصحافة كانت المنطلق الأول لهؤلاء الشعراء ، فهي التي نشرت أسماءهم ، وعرّفت بهم ، وأحاطتهم بالرعاية والاهتمام ، وكذلك فإنَّ الوقوف على الشعر المنشور في الصحافة أعطى الباحث معلومات مهمة عن بدايات الشعراء الرواد ، والبداية الحقيقية لأول ما نشروه في الصحافة من قصائد ، وفائدة أخرى مهمة تتصل بشعر الشاعر المنشور في الصحف والمجلات ، وبالشعر نفسه حين ينشر في ديوان ، وملاحظة ما بين القصيدة في الصحيفة أو في الديوان من فروق ، أو تغييرات وتعديلات ، والوقوف على هذه الظاهرة ودراستها ، وبروزها عند شعراء ، واختفائها عند شعراء آخرين .

وبالوقوف على الشعر المنشور في الصحف والمجلات ، يتبين ما كان يعمد إليه

www.alukah.net
شبكة الألوكة

بعض الشعراء من إعادة نشر القصائد في أكثر من صحيفة أو مجلة ، وبعض مراحل هذه الإعادة للنشر قد يكون بينها فاصل زمني طويل ، ومن الأمثلة على ذلك أن الشاعر محمد بن علي السنوسي نشر قصيدة بعنوان (المنهل) في مجلة المنهل سنة ١٣٨٠هـ[١] ، وأعاد نشرها بعد عشرين سنة في عام ١٤٠٠هـ بالمجلة العربية[٢] .

وأيضاً بالرجوع إلى الصحف والمجلات ، يقف الباحث على قصائد قد تكررت لأكثر من مرة ، وأعاد الشاعر نشرها في مجلات مختلفة ، وفي سنواتٍ متباعدة ، ومن ذلك صنيع محمد بن علي السنوسي في قصيدته (إلى غزاة الفضاء)، حيث نشرها أول مرة سنة١٣٨٢هـ في مجلة المنهل[٣] ، ونشرها مرة ثانية في مجلة الأديب عام ١٣٩٣هـ[٤] ، أي بعد عشر سنوات تقريباً ، ثم نشرها مرة ثالثة في المجلة العربية سنة ١٣٩٩هـ[٥] ، وبالطبع في كل إعادة نشر يقوم الشاعر بعددٍ من التعديلات والتغييرات في أبيات القصيدة .

ولولا وقوف الباحث على الصحف والمجلات ، وعدّها مصدراً أدبياً مهماً للشعر، ما تبيّن له صنيع بعض الشعراء عند بعض المناسبات المتكررة ، والمواقف المتشابهة ، فإنهم يعيدون القصائد نفسها ، وينشرونها مرة ثانية ، ويحدث ذلك في مواطن التهنئة ، ومواقف التعزية وغير ذلك ، ومن ذلك أنَّ محمد بن عليّ السنوسي مدح الملك سعوداً ، وهنأه بقصيدته (ذكرى الجلوس) سنة ١٣٧٧هـ ، التي نشرها في جريدة (الأضواء)[٦] ، ومطلعها :

(١) المنهل (الكتاب الفضي) بمناسبة مرور ربع قرن على نشأتها (القسم الأول) سنة ١٣٨٠هـ .
(٢) المجلة العربية ع ٧ ، ذو الحجة ١٤٠٠هـ : ٣٢ .
(٣) المنهل ، مج ٢٣ ، ج٢ ، صفر ١٣٨٢هـ .
(٤) مجلة الأديب ، ج ١١ ، س ٣٢ ، شوال ١٣٩٣هـ ، نوفمبر ١٩٧٣م .
(٥) المجلة العربية ع ٥ ، جمادى الآخرة ١٣٩٩هـ : ٥٦ .
(٦) الأضواء ، الثلاثاء ، ٢٠ / ٤ / ١٣٧٧هـ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

العـــلى مـــلء أرضـــه وســـمائه والهـــدى سّر تاجـــه وضـــيائه

ولما تولى الملك فيصل الحكم هنأه ومدحه بالقصيدة نفسها ، ونشرها في المنهل[1]، ولم يغير فيها شيئا ذا بال .

وبالنظر إلى الشعر المنشور في الصحف والمجلات ، نلحظ أنَّ هناك شعراء اهتموا بنشر أشعارهم في الصحافة ، وشعراء آخرين لم ينشروا شيئاً من أشعارهم في الصحافة ، وبعضهم نشر قصائد محدودة في بداياته الشعرية ، ثم توقف عن النشر في الصحافة ، ورضي بإخراج ديوان شعره مطبوعاً ، دون أن يعرضه منجّماً في الصحف والمجلات .

والشعراء الذين نشروا أشعارهم في الصحف والمجلات في بادئ الأمر ، ثم أخرجوا بعد ذلك دواوينهم الشعرية ، حازوا نصيباً كبيراً من الشهرة والذيوع ، لم يتحقق شيء منه لأولئك الذين نشروا شعرهم مباشرة في دواوين مطبوعة . فالصحافة هيأت الأدباء والنقاد لاستقبال دواوين الرواد وغيرهم ممن اهتموا بالنشر في الصحافة ، وكانت ميداناً لإعطاء شيء من الانطباع والأرضية الممهدة ، وبعض المعلومات عن اتجاهات هؤلاء الشعراء، ومستوياتهم الفنية .

* * *

(١) المنهل ، مج ٢٩ ، ج١١ ، ذو القعدة ١٣٨٨هـ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ثالثا - الدواوين المخطوطة :

على الرغم من أنَّ كثيراً من الشعراء قد نشروا أشعارهم في دواوين مستقلة أو في الصحف والمجلات ، إلاّ أنَّ هناك عدداً من الشعراء - بعضهم - نشر من شعره ما نشر، وظل عنده منه أشياء في حكم المخطوطات ، وبعض منهم لم يحاولوا إخراج ما أبدعوه من نتاج ، وظل حبيس الأدراج ، ولهذا أسباب عدة ، من أهمها :

أولاً- أنَّ عدداً من الشعراء الذين شهدوا العصر الإدريسي ، وأدركوا العهد السعودي ، ويعدّون من الرواد الأوائل - وممن يمكن أن يطلق عليهم شعراء النشأة والبدايات الأولى لهذه المرحلة الأدبية التي يُعنى بها البحث - لم تتيسر لهم سبل الطباعة لإنتاجهم، وحتى الذين جاءوا من بعدهم لما لم يجدوا سبل الطباعة متيسرة في بلادهم ، لم يقفوا مكتوفي الأيدي ، بل تحركوا صوب البلاد المجاورة التي ظهرت فيها المطابع مبكراً ، فالشعراء الأربعة الذين أصدروا ديوان (شعراء الجنوب)، توجهوا صوب مطبعة الكمال بعدن[1] ، وأظهروا شعرهم للناس ، فكانوا بذلك رواداً ، وسابقين في هذا الميدان .

ثانياً- أنّ هناك عدداً من الشعراء الذين شهدوا العصرين السياسيين : عصر الأدارسة ومذاهبه وآراءه السياسية ، وأدركوا العصر الذي تلاه ، وهو عصر الدولة السعودية ، وهي تمثل اتجاهاً مغايراً للعصر الأول (عصر الأدارسة) بشتى أشكاله ، ورؤاه وأفكاره . وكانت لهؤلاء الشعراء مشاركات واسعة في ذلك العهد ، وإنتاج وافر في العهد الثاني ، ولما كان التناقض واضحاً بين بدايات الشاعر ونهاياته ، رأى أنه من الأفضل له والأولى أن يخفي الإنتاج الأول ويواريه عن الأنظار ؛ إما لاعتقاده بعدم جدوى نشره ، أو أنه تراجع عن بعض ما فيه ، أو لأسباب سياسية أو اجتماعية أخرى . وبعض الشعراء الذين قضوا

(١) انظر : نشأة الأدب في جنوب المملكة ، د. أبو داهش : ٣٤ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

نحبهم لم يشأ ورثتهم والمحيطون بهم أن يكلفوا أنفسهم العناء في نشر ذلك الشعر ، وكانوا يرون أنه لا يناسب هذا العصر ، أو قد يجرُّ متاعب هم في غنى عنها ، فلذلك بقي كثير من نتاج هؤلاء المخضرمين متوارٍ عن الأنظار ، وحبيس الأرفف الخاصة .

ثالثاً- إضافة إلى ذلك ، فهناك عدد من الشعراء أدركوا عهد الطباعة ، ولكن لم ينشروا أشعارهم ، بعض منهم ممن يرون أنَّ الشعر بالعلماء يزري ، وبعض كانوا يرون أن أشعارهم لم تصل بعد إلى مستوى النضج الذي يغري بالنشر ، وقسم ثالث ينتظر أن تأتي الفرصة السانحة لينشر شعره في يوم ما ، وقد يحين الأجل ولَّما تحن هذه الفرصة ، ويبقى شعره قيد الأسر .

لهذه الأسباب وغيرها لم يكن من الغريب أن يبقى كثير من الشعر غير منشور ، وهذا الشعر المخطوط منه دواوين معنونة ، وأخرى لم يعنون لها ، إضافة إلى قصائد كثيرة مخطوطة لا تمثل دواوين مستقلة ، وهناك أيضاً دواوين شعرية ذكرتها كتب التراجم وتاريخ الأدب ، ولكنها مفقودة ولا أثر لها ، وتفصيل ذلك فيما يلي :

أ - الدواوين المخطوطة :

١- مجموعة أشعار محمد بن حيدر القبي النعمي (١٢٩٠-١٣٥١هـ) :

توجد له مجموعة شعرية مخطوطة لدى أحفاده في قرية (الملحا)[١]، في (٣٧) ورقة، فيها (٣٢) قصيدة ، بعضها أورده محمد محمد زبارة في نزهة النظر[٢] ، وأشار إلى بعضها الآخر محمد العقيلي[٣] ، وأحمد الشعفي[٤] .

(١) توجد من هذه المجموعة نسخة غير كاملة في مكتبة الباحث ، والأصل لدى السيد أحمد حيدر القبي في الملحا .

(٢) انظر : نزهة النظر ، لمحمد زبارة : ٢ / ٥٢٥ – ٥٢٧ .

(٣) انظر : التاريخ الأدبي لمنطقة جازان للعقيلي : ٢ / ٩١٨ – ٩٢٢ ، ٩٣٤ .

(٤) انظر : فرجة النظر في تراجم رجال من بعد القرن الثالث عشر بمنطقة جيزان ، أحمد الشعفي : ٢/ ١٨٠ – ١٨١ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وكثير من تلك القصائد مدائح لرجال العهد الإدريسي ، وإخوانيات ومراثي .

وقد أشار الدكتور عبدالله أبو داهش إلى هذه المجموعة الشعرية ، وتوقع وجودها ، حيث يقول : ((**ولعل من أشهر شعراء تهامة المحليين الذين عرفوا في مطلع هذه النشأة الذين حفظت المجاميع المخطوطة ، والآثار المتفرقة شيئاً من نتاجهم الشعري: السيد محمد حيدر القُبيّ...**))[1] .

٢- ديوان أشعار عبدالله العمودي (١٢٩٩- ١٣٩٨هـ) :

توجد منه نسخة بخط العمودي نفسه في مكتبة الشيخ عبدالكريم بن مساعد بقرية الزرقاء في ضمد . بدون عنوان ، وبغير ترقيم .

ويقع في (٦٢ صفحة) ، وعدد قصائده (٣٦ قصيدة) ، جلُّها في مدائح الملك عبدالعزيز وأمرائه في تهامة وعسير ، وإخوانيات ومطارحات بينه وبين شعراء جازان المعاصرين له[2] .

وقد أشار كثير من الباحثين من قبل إلى هذا الديوان ، ومن هؤلاء محمد أحمد العقيلي الذي أشار إلى أنَّ اسم الديوان هو : (غلة الصادي في الشعر العادي)[3] ، وهذه التسمية لم يشر إليها أحد غيره ، وليس في نسخة الديوان الذي بين يديّ ما يثبت هذا .

وتحدث الدكتور عبدالله أبو داهش عن هذا الديوان في أكثر من موطن ، فمرة قال : ((**إنه توجد لديه نسخة منه ، بدون رقم**))[4] ، وقال مرة أخرى في حديث له عن مجاميع العمودي: ((**فضلاً عن ديوانه الشعري الذي يعتقد أنَّ منه نماذج موجودة في تلك المجاميع**))[5]، وهذا الكلام يعارض كلامه السابق ، على الرغم من أنَّ القولين وردا في

(١) نشأة الأدب في جنوب المملكة ، د. أبو داهش : ٨٢ .
(٢) انظر : تفصيل وبيان موضوعات هذا الديوان في : نشأة الأدب في جنوب المملكة ، د. أبو داهش : ٨٣– ٨٤، والتاريخ الأدبي للعقيلي : ٣/ ١٥٠٣ وغيرها .
(٣) التاريخ الأدبي للعقيلي : ٢ / ١٠٠٢ .
(٤) نشأة الأدب في جنوب المملكة ، د. أبو داهش : ٢٠٦ .
(٥) المصدر السابق : ٣٥ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

كتاب واحدٍ من كتب أبي داهش .

وذكر أحمد الشعفي هذا الديوان عند تعداد مؤلفات العمودي بقوله : ((**ديوان رسائل وقصائد شعرية في كثير من المناسبات تشتمل على أخبار مهمة ومفيدة**))[1] .

وفيه الرسالة التي وجهها الملك عبدالعزيز إلى العمودي ،عندما أرسل إليه بقصيدة تهنئة بعيد الأضحى عام ١٣٤٩هـ ، حيث يقول الملك عبدالعزيز : ((**القصيدة أعجبنا بها ، وتدل على إخلاصكم وتقديركم نحونا ، فثقوا أنكم منّا ، ومن المحسوبين علينا**))[2] .

٣- ديوان أشعار عبدالرحمن بن يحيى المعلمي (١٣١٣-١٣٨٦هـ) :

توجد مجموعة شعرية للمعلمي في مكتبة عبدالله بن محمد الحكمي بمكة المكرمة. وهي التي أشار إليها الزركلي بقوله عند تعداد مؤلفات المعلمي : ((... **ورسائل في تحقيق المسائل ، ما زالت مخطوطة ، بينها (ديوان شعره)**...))[3] .

وتحدث عن هذا الديوان عبدالله أبو داهش في معرض حديث له عن بعض أشعار علي بن محمد السنوسي : ((**ويضاف إلى هذا الشعر تلك الأبيات الثلاثة التي وجدت في ديوان عبدالرحمن بن يحيى المعلمي ، وهي فيما يبدو من شعر الإخوانيات ... وقد تم العثور عليها في الثاني والعشرين من رمضان عام ١٤١١هـ ، حينما كنت مقيما في مكة المكرمة ، وذلك عن طريق الأستاذ عبدالله بن محمد الحكمي أحد موظفي المكتبة العامة بمكة المكرمة ، إذ وجدت بقلم المعلمي نفسه في ديوانه المخطوط الموجود عند الحكمي** ...))[4] .

---

(١) فرجة النظر ، للشعفي : ١ / ٣٤٨ .

(٢) المصدر السابق ، ١/ ٣٤٨ . ومن الرسالة نسخة خطية في قسم الوثائق بدارة الملك عبدالعزيز بالرياض .

(٣) الأعلام ، للزركلي ، ٣/ ٣٤٢ .

(٤) من شعر علي السنوسي ، لأبي داهش : ١٦ بتصرف . وانظر : نشأة الأدب في جنوبي المملكة العربية السعودية، لأبي داهش : ٣٧ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وعدد قصائد هذه المجموعة الشعرية (٢٩ قصيدة) ، وفي الديوان مراسلات بين المعلمي ومعاصريه ، وعدد صفحات المجموع الذي يضم الشعر والمراسلات (٩١ صفحة) .

٤- من وهج الحياة :

للشاعر : أحمد بن علي حمود حبيبي : (١٣٥٦هـ - ...) :

فيه ٢٢ قصيدة ، وعدد صفحاته (٥٦) صفحة . وأغلبه في شعر المناسبات والمراثي والإخوانيات ، والأناشيد .

وقد ذكر أحمد الشعفي عند ترجمته للشاعر الحبيبي أنَّ هذا الديوان قد صدر[١] ، وهذا غير صحيح ، فهو لا زال مخطوطاً[٢] .

٥- ديوان هموم :

للشاعر : حسن بن علي أبو طالب القاضي : (١٣٥٨هـ -...) :

لا يمثل هذا الديوان سوى جزءٍ قليل من شعر حسن القاضي ، الذي بدأ حياته الشعرية سنة ١٣٨٢هـ ، وهو ذو الشاعرية المتدفقة ، والانتاج الغزير ، فلم يضمّ هذا الديوان سوى (١٠) قصائد فقط من إنتاج الشاعر ، قيلت بين عامي ١٣٨٤ - ١٣٩٠هـ .

والقصائد الواردة في هذا الديوان المخطوط أغلبها في الاتجاه الوجداني ، إضافة إلى بعض القصائد التي تمثل الاتجاه الاجتماعي الذي يجيده الشاعر[٣] .

وذكر الشاعر أنَّه عازم على إخراج باقي أشعاره التي لم ترد في الديوان المخطوط، وأشار إلى أن كثيراً من أشعاره الأولى قد فُقدت ، ولم يبق منها إلا القليل[٤] .

---

(١) انظر : فرجة النظر ، لأحمد الشفعي : ١ / ١٠٠ .

(٢) توجد نسخة غير كاملة من هذا الديوان لدى الباحث أرسلها إليه الشاعر .

(٣) في مكتبة الباحث نسخة من ديوان (هموم) لحسن القاضي ، بدون ترقيم .

(٤) كان ذلك في اتصال هاتفي مع الشاعر المقيم في جدة بتاريخ ١١/ ٣/ ١٤٢١هـ وكان وسيط المكالمة والمنسق لها أحمد حسن القاضي – أحد أبناء الشاعر – وهو شاعر أيضاً مثل والده .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

٦- مجموعة أشعار جبران بن محمد قحل (١٣٥٩-١٤١٥هـ) :

للشاعر مجموعة شعرية مخطوطة بدون عنوان ، عدد القصائد فيها (٢١ قصيدة) ، وصفحاتها (٤٦) صفحة[١] .

وأغلب القصائد في المناسبات والإخوانيات . وبعض منها قد نشر من قبل في بعض المصادر الأدبية[٢] .

وممن أشار إلى هذا المجموع الشعري عبدالكريم الحقيل عند ترجمته للشاعر ، حيث قال عنه : ((**له ديوان شعر مخطوط**))[٣] .

٧- (درر حفيد الأنصار في مدح خيار الأخيار) :

للشاعر : حسن بن أحمد بن محسن السبعي (١٣٥٩هـ- ...)

عدد قصائد هذا الديوان المخطوط (١٩) قصيدة ، في (٣٧) ورقة . يوجد لدى أقاربه في قرية العالية[٤] .

وقصائد الديوان جلّها مدائح وإخوانيات ومرثية واحدة .

وقد أشار إلى هذا الديوان أحمد الشعفي في فرجة النظر[٥] .

٨- الديوان الحزين :

للشاعر إبراهيم بن حسين ضيف الله الفيفي : (١٣٦٠هـ - ...) :

يقع هذا الديوان في (٥١) صفحة ، وفيه (٤٣) قصيدة ، في موضوعات شتى، وأغراض متنوعة ، وأكثرها من شعر المناسبات[٦] .

---

(١) منه نسخة موجودة لدى الباحث ، بدون ترقيم .

(٢) انظر : التاريخ الأدبي لمنطقة جازان ، للعقيلي : ٣ / ١٣٩٦ ، وفرجة النظر لأحمد الشفعي : ١ / ١٨٧ .

(٣) شعراء العصر الحديث ، عبدالكريم الحقيل : ١ / ٢٣٧ .

(٤) توجد منه نسخة في مكتبة الباحث .

(٥) انظر : فرجة النظر ، للشفعي : ١ / ٢٣٨ .

(٦) توجد نسخة منه لدى الباحث ، بدون ترقيم .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وقد أشار الشعفي إلى هذا الديوان ، وأورد منه بعض القصائد[1] .

٩- أشعار علي بن محمد الأخرش النعمي (١٣٦٠-١٤١٢هـ) :

توجد له مجموعة شعرية مخطوطة بدون عنوان ، وكان ينوي – رحمه الله – طباعتها وإخراجها ، ولكن وافته المنية قبل ذلك ، وقد أشار إلى هذا الشعفي بقوله : **((له تجارب شعرية مخطوطة ، كان يزمع تنقيحها وإخراجها ، ولعل في ذريته من يقوم بذلك ...))**[2].

وعدد قصائد هذه المجموعة (٢٣) قصيدة ، في (٤٧) صفحة . وهي في موضوعات متنوعة ، وأكثرها مدائح وإخوانيات[3] .

١٠- أشعار محمد بن علي بهكلي (١٣٦٤هـ - ...) :

له ديوان شعر مخطوط يقع في (٧٧) صفحة ، وعدد قصائده (٣٦) قصيدة ، كثير منها نشر في الصحف والمجلات ، وتدور حول عددٍ من الموضوعات الشعرية[4].

وقد أشار إلى أشعاره عدد من الكتاب ، كالعقيلي الذي ذكر مشاركاته الشعرية الواسعة في الصحف[5]، وكذلك الشعفي الذي ذكر أنَّ له مشاركات شعرية كثيرة ، وأنه يقول الشعر دون تكلف[6] . وجاءت في معجم الأدباء والكتاب إشارة إلى أنَّ له ديواناً مخطوطاً [7] .

(١) انظر : فرجة النظر للشفعي : ١ / ٦٥ .
(٢) المصدر السابق : ٢ / ٣٤ .
(٣) توجد من هذه المجموعة غير المرتبة نسخة في مكتبة الباحث حصل عليها من أقارب الشاعر في العالية .
(٤) توجد من ديوان البهكلي نسخة غير كاملة لدى الباحث .
(٥) انظر : التاريخ الأدبي : ٣ / ١٤٥٩ .
(٦) انظر : فرجة النظر : ٢ / ١٨٤ .
(٧) انظر : معجم الأدباء والكتاب : ٤٥ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

١١- أشعار محمد بن هادي درويش (١٣٦٥ - ...)

له ديوان شعر مخطوط يقع في (٦١) صفحة ، يشمل جزءاً من إنتاج هذا الشاعر صاحب الإنتاج الغزير ، ففي هذا المجموع الشعري (٤٣) قصيدة ، تمثل البدايات الأولى للشاعر ، وأغلبها في المناسبات والإخوانيات [١] .

وقد أشار عدد من الكتاب إلى هذا الديوان ، فبعضهم ذكر أنَّ له أكثر من ديوان مخطوط ، وهذا ليس بصحيح ؛ حيث أورد معجم الأدباء والكتاب عند ترجمته والحديث عن شاعريته ((**أنَّ له دواوين شعرية مخطوطة**))[٢] .

وقد تنبأ الشعفي بناء على غزارة إنتاج الشاعر أنَه يمكن أن يكون له أكثر من ديوان، فقال : ((**له مشاركات عديدة في كثير من المناسبات ، ولو جمع شعره لبلغ أكثر من ديوان...**))[٣] . بينما اقتصر عبدالكريم الحقيل على الإشارة إلى أنَّ ((**له ديوان شعرٍ مخطوطاً**))[٤] .

وهذا هو الواقع فعلاً ، إذ لم يجمع الشاعر من شعره إلا قصائد قليلة ، وباقي أشعاره إلى الآن لم ترتب ، ولم يضم بعضها إلى بعض .

١٢- شموع النَّصر :

للشاعر علي بن جبران صميلي (١٣٧٤هـ -...) :

له مجموعة شعرية ضمّ بعضها إلى بعض ، وعنون لها بشموع النصر ، نظمها بين سنتي ١٣٩٣ - ١٤٠٣هـ . وعدد قصائدها (٣٠) قصيدة ، في (٣٣) صفحة ، تناولت موضوعات عدة ، وغلب عليها الاتجاهان الإسلامي والوطني ، والقصائد الأربع

(١) توجد مجموعة قصائد من أشعار محمد درويش في مكتبة الباحث ، بدون رقم .
(٢) معجم الأدباء والكتاب في المملكة : ١٧١ .
(٣) فرجة النظر ، للشعفي : ٢ / ٢٣٦ .
(٤) شعراء العصر الحديث ، لعبدالكريم الحقيل : ١ / ٩٤ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الأخيرة أناشيد إسلامية ووطنية[1] .

وقد أشار إلى هذا الديوان الشعفي عند ترجمته للشاعر[2] .

١٣- ديوان هادي بن محسن خُرْمي (١٣٧٥هـ - ...)

توجد لـه مجموعة شعرية في (٢٧) صفحة ، شملت (١٩) قصيدة ، وهـي تمثل جزءاً من إنتاج الشاعر ، وأغلب القصائد إخوانيات ووطنيات[3] .

وقد تحدث الشاعر عن ديوانه هذا فقال : ((**يوجد لدي ديوان شعر مخطوط ، وقد طبعت أكثره طباعة خاصة بالكمبيوتر ، وفيه من القصائد عدد لابأس به ؛ منوعة الأغراض ما بين مدح ، ووصف ، ورثاء ، وغزل ، وهجاء ، وموضوعات اجتماعية أخرى...**))[4] .

١٤- ديوان حسن بن علي بن يحيى السهلي : (١٣٨٤هـ - ...) :

توجد لـه مجموعة شعرية – بدون عنوان – فيها (١٦) قصيدة ، في (٣٧) صفحة شملت موضوعاتٍ عدة ، وأغراضاً شعرية كثيرة[5] .

وقد تحدث الشاعر عن شاعريته وديوان أشعاره قائلاً : ((**بدأ حياته الشعرية في المرحلة المتوسطة ، حيث كانت أول قصيدة لـه بعنوان (شباب اليوم) ، ثم واصل مسيرته الشعرية ، وورد تعريف لـه مع بعض النماذج الشعرية في معجم البابطين للشعراء**

(١) توجد نسخة من هذا الديوان في مكتبة الباحث بخط الشاعر نفسه ، وهي معدّة للطبع من ١٤٠٣هـ ، ولكنها لم تطبع .
(٢) انظر : فرجة النظر ، للشعفي : ٢ / ٨ .
(٣) توجد من هذه المجموعة الشعرية نسخة لدى الباحث .
(٤) عن رسالة وردت من الشاعر إلى الباحث بتاريخ ١٨/ ٨/ ١٤٢٠هـ .
(٥) توجد نسخة من هذا الديوان المخطوط لدى الباحث .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

العرب المعاصرين . له كثير من المنظومات والقصائد الشعرية يجمعها ديوان مخطوط))[1] .

١٥- ديوان علي بن محمد هادي خُرمي : (١٣٨٤هـ -...)

لـه مجموعـة شـعرية تـشمل (٢٠) قـصيدة ، في (٣٣) صـفحة ، ولم يحـدد للمجموعة عنواناً خاصاً ، والقصائد في أغراض متنوعة .

وقد تحدث الشاعر عن ديوانـه هـذا في نبـذة لـه عـن حياتـه وشـعره ، أرسـلها إلى الباحث. وجعلها مقدمة لديوان أشعاره[2] .

١٦- ديوان أشعار علي بن يحيى بهكلي (١٣٨٨هـ - ...) :

للـشاعر مجموعـة شـعرية فيهـا (٣٧) قـصيدة ، في (٥٧) صـفحة ، تـدور في موضوعات شتى ، وغلب عليها طابع الاتجاه الإسلامي ، والاتجاه الوجداني[3] .

والقصائد من الشعر العمـودي ، ماعـدا أربـع قـصائد تفعيليـة ، هـي : (صـمت يـسكن أوردة الـشعر)[4] ، و (تمـت يـا قـومي العمليـة)[5] ، و (صـحوة الأزهـار)[6] ، و(نشرة الأخبار)[7] .

وقد قدّم الشاعر لديوانه بقصيدة شعرية هي (أنت القلب)[8] .

* * *

هـذه هـي أهـم الـدواوين الـشعرية المخطوطـة التـي تمكنـت مـن العثـور عليهـا والتوصـل إليهـا – ولا أزعـم أنهـا تـشمل كـل الـدواوين الـشعرية المخطوطـة للـشعراء

(١) مقدمة ديوان حسن السهلي المخطوط ، ص : ١ .
(٢) توجد نسخة من هذا الديوان في مكتبة الباحث ، وملحق به نبذة عن حياة الشاعر علي الخرمي .
(٣) توجد نسخة من ديوان أشعار علي بهكلي في مكتبة الباحث ، بدون رقم .
(٤) ديوان علي بهكلي ، مخطوط : ٦ .
(٥) المصدر السابق : ١٧ .
(٦) المصدر السابق : ٢٥ .
(٧) المصدر السابق : ٤٤ .
(٨) المصدر السابق : ١ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الجازانيين ، فلربما كان هناك غيرها ، مما هو حبيس لدى أصحابه أو القائمين عليه ، فبعض الدواوين تغيب في صمتٍ رهيب ، ويخيم عليها السكون لدى أصحابها ، أو ورثتهم ، وبعضها أشارت إليها كتب التراجم والتاريخ ، ولكن لم أعثر عليها حتى الآن، ولعل الأيام المقبلة تكشف عن هذه الدواوين المخبوءة ، ليتمكن الناس من قراءتها ، والحديث عنها ودراستها ، وهذه الدواوين يمكن أن تسمّى (الدواوين المفقودة) ، ومنها على سبيل المثال :

١٧ - ديوان أشعار علي بن محمد السنوسي : (١٣١٥- ١٣٦٣هـ) :

على الرغم من أنَّ عليّ بن محمد السنوسي قد نشر شيئًا من أشعاره في ديوان (شعراء الجنوب) ، وبذل الدكتور عبدالله أبو داهش جهداً واضحاً في جمع ما تناثر من شعر علي السنوسي في كتابيه (المفقود من شعر علي بن محمد السنوسي) و (من شعر علي بن محمد السنوسي) . على الرغم من ذلك كله إلا أنَّ هناك اعتقاداً بأنَّ شعر علي السنوسي أكثر من ذلك بكثير .

ومن الدلالات المشيرة إلى هذه الأشعار المفقودة ما قاله ابنه محمد بن علي السنوسي في إحدى المقابلات الصحفية التي أجريت معه : ((**حدثني محمد زارع عقيل أنَّ مجموعة كبيرة من شعر السيد علي السنوسي كانت لدى الشيخ علي بن محمد صالح، وقد أخذها منه إعارة شخص سماه لا أعرفه ... وقد ذهب بها إلى غير رجعة**))[1] .

والناظر في شعر علي السنوسي ، وبداياته المبكرة ، والفترة التي قضاها ، والأحداث السياسية التي عاصرها ، يكاد يجزم أنَّ لهذا الشاعر ديواناً شعرياً ؛ فالرجل له ملكة جيدة ، وشاعرية متدفقة ، وهذا هو ما دعا الدكتور محمد بن سعد بن حسين إلى تأكيد هذا الاعتقاد بوجود أشعار له لم تُنشر بقوله : ((**ولعلي في ذلك أذكر ابنه محمد**

(١) مع رجال الفكر في جازان، ناصر قاسم ، مجلة المنهل ، ع٢٦ ، مج١٩ ، س ٢٣ ، جمادى الآخرة ١٣٧٨هـ: ص ٢٣١ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

بن عليَّ السنوسي بواجبه في لملمة أشعار والده ، ونشرها مجتمعة ؛ قضاء لحقّه عليه ، وعلى المجتمع الأدبي والفكري))[1] .

ويعقّب الدكتور أبو داهش بعد ذكر كثيرٍ من الأدلة والقرائن على وجود ذلك الديوان ، فيقول : ((**ومع ذلك يمكن القول في هذا المقام بوجود شعر وافر لهذا الشاعر، وأنه ربما يشكّل ديوان شعر**))[2] .

ولعل الداعي إلى اختفاء أشعار علي السنوسي ، يعود إلى كثير من الظروف السياسية والاجتماعية ، حيث فقد كغيره من التراث الذي لم يحظ بالعناية من قبل أهله ، وأيضاً بسبب أنَّ صاحبه قد عاش عصرين سياسيين مختلفين – كما تقدم – ، وشعره المفقود أغلبه مما يمكن أن يكون قد قيل في العصر الأول من حياته[3]، فهو أحد رجالات الدولة الإدريسية وقضاتها ، فلعله أو لعل ابنه محمد رغب في عدم إظهار شعر والده ؛ لأنه يرى أنَّه يمثل عصراً قد انقضى، وأنه لا فائدة منه الآن ؛ أو لأن والده قد غير كثيراً من آرائه في العصر السعودي ؛ إذ هو أيضاً أحد رجالات الدولة السعودية المشهورين في جازان ، ومن أبرز قضاتها .

ب- القصائد المخطوطة :

إضافة إلى الدواوين المخطوطة الموجود منها والمفقود ، فهناك قصائد كثيرة مخطوطة توجد في المجاميع المخطوطة ، وفي وثائق بعض العلماء ، ومحفوظات الأسر العلمية ، وبعضها مما هو حديث أرسل إلى الباحث مكتوباً بأقلام الشعراء أنفسهم، ومن أهم هذه القصائد المخطوطة :

(١) من شعراء الجنوب علي بن محمد السنوسي ، د. محمد بن سعد بن حسين ، مجلة الحرس الوطني ، س ٧، ع ٥٠، ربيع الثاني ١٤٠٧هـ : ص ١١٨ .

(٢) المفقود من شعر علي بن محمد السنوسي ، د. عبدالله أبو داهش : ٣٦ .

(٣) انظر : المصدر السابق : ١١ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

١- القصيدة النونية التي عارض بها عليٌّ بن حسن الضمدي محمد بن حيدر القبي :

يوجد منها نسخة عند الشيخ محمد زغلول في العالية ، وأخرى عند الشيخ علي أبي زيد الحازمي في ضمد ، وثالثة ذكر الدكتور أبو داهش أنها توجد لديه في مكتبته[١] .

٢- محاورة لغوية بين عبدالرحمن المعلمي وعلي بن محمد السنوسي :

توجد منها نسخة بمكتبة الحرم المكي الشريف ، قسم المخطوطات ، بدون رقم . ونسخة أخرى في مكتبة الشيخ عبدالكريم بن مساعد – بالزرقاء – بضمد ، وفيها زيادات، وخطها الخارجي يختلف عن الخط الداخلي ، وكتب عليها أنها بخط المعلمي نفسه .

٣- مسرحية شعرية بعنوان (غلاء المهور) للشاعر أبكر عمر سالم المشرعي(١٣٥٩هـ- ...):

وهي عمل أدبي قدّم إلى المهرجان الوطني للتراث والثقافة الحادي عشر بالجنادرية عام ١٤١٠هـ ، وتوجد منها نسخة في إدارة التعليم بجازان – قسم النشاط الثقافي[٢] .

هذه بعض القصائد المخطوطة ، وهناك مئات من القصائد الحديثة المخطوطة التي لم تنشر ، وفي البيان التالي إشارة إلى بعض هذه القصائد كأمثلة فقط :

الرقم	اسم الشاعر	عنوان القصيدة
١	إبراهيم عبدالله مفتاح	١- يسألونك عن الغزاة
٢	إبراهيم عمر صعابي	١- على هامش الحدث
٣	أحمد علي حمود حبيبي	١- ياأيها الطيف ٢- دمعة حب ووفاء في محراب الدعاء ٣- سلوا هاوي الحزام ٤- أنا مؤمنة ٥- نبهتني ٦- يا عمر ٧- طرب المجد

(١) انظر : نشأة الأدب في جنوب المملكة العربية السعودية ، د. عبدالله أبو داهش : ٢٠٥ .

(٢) لدى الباحث نسخة من هذه المسرحية الشعرية . وانظر : فرجة النظر ، الشعفي : ١ / ٦٩ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

الرقم	اسم الشاعر	عنوان القصيدة
٤	أحمد علي عكور	١ – عناقيد الغضب ٢ – الشاطئ المسحور ٣– نقوش على حقيبة السّفر
٥	أحمد علي علوش مدخلي	١ – رويدك أياماً ٢ – ماذا أقول
٦	أحمد السيد عطيف	١ – مساء الخير
٧	أحمد يحيى عواجي	١ – صوت اليراع ٢ – أفق يا بدر
٨	حسن علي سهلي	١ – موت الآمال
٩	حسن منصور صميلي	١ – لحظات
١٠	حسن يحيى دغريري	١ – نداء مزارع
١١	حمد بن محمد قيسي	١ – ألم وأمل ٢ – أسامر النجم
١٢	د. حمود الصميلي	١ – مسافر في سياج دائري ٢ – رحيل المشاعل ٣– أنين الشعر ٤ – كوسوفو وضمير الحج
١٣	صالح الديواني	١ – حديث مع القلب ٢ – هوى الناعسة ٣– ذات تصخب – ذات تموت
١٤	عبدالرحمن موكلي	١ – الصوت والترداد
١٥	عبدالرحمن جبران البهكلي	١ – لوعة مشتاق ٢ – من ذاكرة التاريخ ٣– وردية الخدين ٤ – زورق النجاة ٥ – نداء المسجد الأقصى ٦ – لحن الإباء
١٦	عبدالصمد الحكمي	١ – لا ترحلي

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الرقم	اسم الشاعر	عنوان القصيدة
		٢- على مشارف الخريف ٣- الليالي القاتمة ٤- إلى ابنتي التي لم أرها بعد
١٧	عبدالله الحميدي	١- بعد فوات الأوان
١٨	عبدالله علي عكور	١- لماذا كل هذا الحزن ٢- اربأ بنفسك ٣- تحية للمسجد الأقصى ٤- هنيئا للأحبة ٥- يا قريتي
١٩	علي أحمد النعمي	١- مساء الفرسان ٢- من عمان أغنيّ
٢٠	علي أحمد رديش	١- قرن من العطاء
٢١	علي محمد الأمير	١- حلفت للشعر
٢٢	علي محمد جبيع مدخلي	١- ما قبل الرحيل ٢- براءة الشعر ٣- أناتّ مغترب ٤- كفانا من التاريخ ٥- هام البيان ٦- ملك مسيرة أمة
٢٣	على محمد خرمي	١- عتاب الزميل ٢- وآخرون اعترفوا
٢٤	عيسى جرابا	١- مَنْ سوى الله ٢- حنانيك ٣- خذيني ٤- سحائب الرحمة ٥- ويحيا شاعر كذاب ٦- وارحمتاه ٧- يا وزير الأوقاف

شبكة الألوكة - قسم الكتب

الرقم	اسم الشاعر	عنوان القصيدة
٢٥	محمد إبراهيم يعقوب	١ – جموح الانكسار
٢٦	محمد حسن أبو عقيل	١ – عقوق ٢ – في بلادي يتنعم المصطاف ٣–شوق وحنين ٤ – كارثة الروايا ٥ – أشجان العيد ٦ – شكوى مدينة
٢٧	محمد حمود حبيبي	١ – هنا الكويت
٢٨	محمد عبده شبيلي	١ – فيض الوداع ٢ – شموس لا تغيب
٢٩	مكي علي حداد	١ – الأمل المفقود ٢ – وقفة مع الليل
٣٠	منصور عطيف	١ – معهد الخيرات ٢ – حب وولاء ٣– اسطنبول ٤ – بوح القصيد
٣١	يحيى علي مساوى حدادي	١ – تعجب
٣٢	يحيى هبلول	١ – الصهيل

***

رابعاً - مصادر أخرى :

هناك مصادر كثيرة إضافة إلى ما سبق من الدواوين المطبوعة ، وما ورد في الصحف والمجلات من أشعار ، وما وجد من دواوين مخطوطة ، إضافة إلى ذلك فهناك مصادر حوت شيئاً من شعر جازان ، منها كتب التاريخ والتراجم والموسوعات، وكذلك الدراسات الأدبية بشتى أنواعها ، والمقالات النقدية ، وملفات النوادي الأدبية، والرواية الشفوية ، والتسجيل الإذاعي ، وغير ذلك ، وفيما يلي إلقاء الضوء على بعض

www.alukah.net
شبكة الألوكة

هذه المصادر المذكورة .

أ- كتب التاريخ والتراجم :

هناك كتب تاريخية ، وأخرى خصصت للتراجم ، سواء لأدباء المنطقة خصوصاً، أم لتراجم الأدباء السعوديين ، أم العرب عموما ، ورد في هذه المظان تراجم عدد كبير من الشعراء الذين كوّن شعرهم مادة هذا البحث ، ومن هذه الكتب :

١- التاريخ الأدبي لمنطقة جازان ، لمحمد بن أحمد العقيلي :

وقد ورد في هذا المصدر تراجم لتسعةٍ وأربعين شاعراً من شعراء جازان ، فيهم شعراء لم يترجم لهم إلا في هذا المصدر ، وعددهم سبعة شعراء[1] .

٢- شعراء العصر الحديث في الجزيرة العربية ، لعبدالكريم الحقيل :

وفي هذا الكتاب ترجم الحقيل لثمانية عشر شاعراً من جازان ، وأورد نماذج من أشعارهم ، وبيان مظانها ، وفيه إشارات إلى دواوين مخطوطة كثيرة . وإن كان قد نسب لبعض الشعراء دواوين شعرية ، وهم لم يخرجوها ، أو مخطوطة لم يجمعوها ، ومن ذلك أنّه نسب لأحمد عائل فقيه ديواناً بعنوان (سنابل عشق)[2] ، وفي الواقع هذا ليس ديواناً، وإنما هو عنوان قصيدة فقط . على أنَّ مما تميز به هذا الكتاب أنَّه قد وردت فيه بعض القصائد التي لم ترد في مصدر آخر سواه ، مثل قصيدة جبران بن محمد قحل في رثاء الملك فيصل ، التي مطلعها :

ما زال هذا الشعب يدرك أنَّه أعيا العدا طُراً صلابةُ عودهِ[3]

(١) لم أذكر أسماء كل الشعراء الذين ترجم لهم العقيلي ، إذ ذاك موجود في فهرس كتاب العقيلي نفسه ، ولا حاجة إلى إعادته ، ولكن الشعراء السبعة الذين تفرد بترجمتهم ، هم : إبراهيم صيداوي ، وأحمد بن محمد عطيف ، وعبدالرحمن موكلي ، وعبدالواسع سعيد عبده ، وعلي محمد صالح عبدالحق ، ومحمد أحمد الشنقيطي ، ومحمد محسن مشاري .

(٢) انظر : شعراء العصر الحديث ، عبدالكريم الحقيل : ٢٢٩ .

(٣) المصدر السابق : ١ / ٢٣٧ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

٣- عقود الجمان شعر وشعراء ، ليحيى بن عبدالله المعلمي :

وقد ترجم المؤلف في كتابه هذا لشاعرين فقط من شعراء جازان ، وهما أحمد بن يحيى بهكلي ، وحسين بن أحمد النجمي ، وأورد شيئاً من نتاجهما الشعري .

٤- فرجة النظر في تراجم رجال من بعد القرن الثالث عشر بمنطقة جيزان ، لأحمد ابن محمد الشعفي المعافا :

هذا الكتاب هو أكبر مصدر أورد شعراء من جازان ، فقد ورد فيه حديث عن ثمانين شاعراً من جازان في تراجم مختصرة ، مع إيراد نماذج شعرية لكل مترجم له ، ومع هذا فقد فاته ذكر عددٍ كبير من شعراء جازان ؛ وسبب ذلك أنَّ المؤلف اعتمد على مراسلات الشعراء المترجم لهم ، والذين لم يرسلوا إليه بنبذٍ عن حياتهم وأشعارهم لم يرد لهم أي ذكر . ومع هذا فهو مصدر مهم ، يعطي نبذة أولية مهمة عن كثير من الشعراء الذين انفرد بذكرهم والترجمة لهم ، وفي هذا الكتاب أربع وسبعون قصيدة لم ترد في أي مصدر آخر غيره .

٥- كشف النقاب عن نبذة حجاب[1] ، لأحمد بن عبدالله الحازمي :

وردت في هذا الكتاب تراجم لـ(٢٢) شاعراً من جازان ، وأورد نماذج من أشعار أكثرهم ، وأشار إلى بعض أعمالهم الأدبية باختصار .

٦- معجم الأدباء والكتاب في المملكة العربية السعودية ، إعداد شركة الدائرة للإعلام :

ورد في هذا المعجم تراجم لسبعة عشر شاعراً من شعراء جازان ، واعتمد في

(١) هذا الكتاب ردّ به مؤلفه على الأستاذ حجاب الحازمي في كتابه (نبذة عن التعليم في تهامة وعسير) ، وسبب الرد هو أن حجاباً لم يشر إلى العلماء المعاصرين من بعض الأسر ، لاسيما آل المعافا ، فردّ المؤلف الاعتبار لهم، ولكنه وقع في أخطاء فادحة حين ذكر عشرات الشباب المعاصرين على أنهم علماء ، وبعضهم لم يكمل الدراسة الجامعية بعد .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ذلك على (شعراء العصر الحديث) للحقيل ، فالمعلومات الواردة في المعجم تكرار واضح لما ورد في ذلك ، وليس فيه شيء جديد . اللهم إلا أنَّ كتاب الحقيل تُرجم فيه لعلي صيقل ، وأحمد بن علي عبدالفتاح الحازمي ، وعبدالله الفيفي . واختلف عنه معجم الأدباء بإسقاط هذه الشخصيات الثلاث ، وهي ذات إبداع شعري متميز ، وتفرد بترجمة حسن حجاب الحازمي الذي لم يرد في كتاب (شعراء العصر الحديث) للحقيل . وأما بقية التراجم والمعلومات الواردة ، فهي نقول واضحة .

٧- معجم الشعراء العرب المعاصرين (معجم البابطين) :

ترجم في هذا المعجم لخمسة وعشرين شاعراً من شعراء جازان ، وهم الشعراء المشهورون الذين لهم إنتاج مطبوع ومتداول ، ولم يندّ عن هذا إلا القليل . وهي تراجم جيدة، وعُرض في دراستهم مع زملائهم من الشعراء السعودين بعضُ نماذج شعرية لهم، وهي لا تعطي التصور الواضح عنهم ، سواء في ذلك المبرزين ، أم من هم أدنى في المستوى الفني ، كعلي مظفر ، وعيسى جرابا ، وعلي بهكلي ، وعلي الحازمي ، وعلي الأمير، وغيرهم .

٨- موسوعة الأدباء والكتاب السعوديين ، لأحمد بن سلم :

ورد في هذه الموسوعة أربعة عشر شاعراً من شعراء جازان فقط ، وتراجمهم متفاوتة في حجمها واستيعابها للمترجم لهم . وفي التراجم تعجلٌ ، وعدم توثيق أو تدقيق ، حيث ينسب المؤلف بعض الدواوين لغير أصحابها ، ويورد قصائد بعض الشعراء في تراجم شعراء آخرين ، ومن الأمثلة على مثل هذه الهنات ، أنه عند ترجمة الشاعر علي بن حسين الفيفي ذكر أنَّ له ديواناً بعنوان (في غيابة الجب) ، وأشار إلى أنّه نشر في نادي الطائف الأدبي سنة ١٤٠٢هـ[1] ، وهذا غير صحيح ، فليس للشاعر أي

(١) موسوعة الأدباء والكتاب السعوديين ، لأحمد بن سلم ٣/ ٧٤ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

ديوان بهذا الاسم .

وذكر أحمد بن سلم في موسوعته عند حديثه عن الشاعر أحمد عائل فقيه ، أنَّ له ديواناً عنوانه (مملكة الحلم)[1] ، وفي الواقع فإن العنوان المذكور هو عنوان قصيدة ، وليس ديواناً شعرياً .

٩- نزهة النظر في رجال القرن الرابع عشر ، لمحمد بن محمد زبارة :

ترجم في هذا الكتاب لشاعرين فقط من شعراء جازان هما : أحمد بن علي عبدالفتاح الحازمي ، ومحمد بن حيدر القبي النعمي ، وأورد لهما بعض أشعارهما ، وعلى هذا المصدر اعتمد كلّ من ترجم لهما من المؤلفين اللاحقين ، وخاصة في الترجمة للأخير منهما .

* *

هذه هي أهم كتب التاريخ والمعاجم الأدبية التي وقفت عليها ، وتضمنت شيئاً من شعر شعراء جازان .

* * *

ب- الدراسات الأدبية :

صدرت كثير من الدراسات التي أشارت إلى الأدب في جازان ، وأوردت بعضاً من نتاج أدبائه ، وهذه الدراسات يمكن أن تصنف إلى الأقسام الآتية :

أولاً- دراسات في شعر جنوب المملكة العربية السعودية عموماً وجازان خصوصاً .

ثانياً- دراسات في الأدب السعودي الحديث درست الشعر في جازان ضمن دراستها لشعر المملكة .

ثالثاً - دراسات للأدب العربي عموماً ، وفيها حديث عن الشعر في جازان ، أو

(١) المرجع السابق ٣/ ٤٣ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

إشارات إلى بعض شعرائه والوقوف عند نتاجهم .

وهي على النحو الآتي :

أولاً : دراسات في شعر جنوب المملكة عموماً وجازان خصوصاً :

ومن هذه الدراسات :

١- **الاتجاه الإسلامي في شعر محمد بن علي السنوسي** ، لمفرح إدريس أحمد سيد ، والكتاب رسالة ماجستير قدمت إلى كلية اللغة العربية بجامعة أم القرى ، وطبع الكتاب سنة ١٤١٨هـ ، وهو دراسة علمية جيدة مخصصة للاتجاه الإسلامي في شعر السنوسي فقط.

٢- **أثر دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب في الفكر والأدب بجنوبي المملكة العربية السعودية** للدكتور عبدالله بن محمد أبو داهش . وهو أطروحة دكتوراه في قسم الأدب بكلية اللغة العربية بالرياض ، وفي الكتاب حديث عن شعراء البدايات والنشأة الذين عاصروا العهد الإدريسي ؛ لأن البحث توقف عند حدود سنة ١٣٥١هـ .

٣- **جازان في عيون الشعراء** ، لمحمد بن منصور ربيع المدخلي ، وهو كتاب يعرض ما قاله شعراء جازان في طبيعة جازان ومدنها وقراها في القديم والحديث ، والكتاب مختارات من نتاج الشعراء وما قالوه في تخليد الأماكن التي عاشوا فيها . وترعرعوا بين جنباتها ، والذين استشهد الشاعر بأشعارهم هم عينة قليلة من الشعراء ، وطريقته في عرض الشعر أنَّه يذكر المدينة أو الموقع الجغرافي ، ثم يذكر ما قيل فيه من الشعر ، وهو في ذلك لا يستقصي كل الشعر الوارد في ذلك الموضع ، وإنما يأتي بأمثلة مختارة . ومما امتاز به هذا الكتاب أنَّه قد وردت فيه قصائد لشعراء من جازان لم ترد في كتاب آخر غيره ، كبعض أشعار محمد حسن أبو عقيل ، ومحمد بن منصور المدخلي مؤلف الكتاب .

٤- **الحياة الفكرية والأدبية في جنوبي البلاد السعودية** ، للدكتور عبدالله بن محمد أبو

شبكة الألوكة - قسم الكتب

داهش، والكتاب يتحدث عن فترة سابقة على هذا البحث الذي أنا بصدده ، ولكنه تعرض لبعض الشعراء المخضرمين الذين عاشوا في النصف الأول من القرن الرابع عشر، وشهدوا بعد ذلك توحيد المملكة ، مثل : علي السنوسي ، وعبدالله العمودي ، وعبدالرحمن المعلمي وغيرهم . وهذه الدراسة تتوقف عند عام ١٣٥١هـ .

٥- **دراسات في شعر محمد بن علي السنوسي** ، لمجموعة من الباحثين هم ربيع محمد عبدالعزيز الذي درس عناصر التشكيل الجمالي في شعر السنوسي ، وخالد محمود دياب الذي تحدث عن المحور الروحي في شعر السنوسي ، وثالثهم هو محمود دياب محمود الذي توقف عند لغة الشعر عند السنوسي ، ورابع هذه المجموعة هو أحمد مختار مكي الذي درس العروبة في شعر السنوسي .

٦- **الزمخشري والسنوسي وموقعهما من حركة الشعر العربي المعاصر** ، محاضرة للدكتور محمد صالح الشنطي ، ألقيت في الهفوف سنة ١٤٠٧هـ ، تحدث فيها عن بعض الجوانب الفنية في شعر السنوسي ، وقيمة شعر محمد السنوسي بالنسبة إلى الشعر في المملكة خصوصاً والشعر العربي عموماً . وهي دراسة مختصرة ومقتضبة .

٧- **شعر محمد بن أحمد العقيلي دراسة تحليلية** ، لخالد بن ربيع الشافعي ، وهي أطروحة جامعية لنيل درجة الماجستير في قسم الأدب من كلية اللغة العربية بجامعة أم القرى . وهي دراسة جادة ، بل تعد أفضل ما كتب عن العقيلي وأشعاره ، وفيه ذكر لبعض قصائد العقيلي التي لم تنشر من قبل سواء في دواوينه أو في الصحف والمجلات .

٨- **محمد بن أحمد العقيلي العالم الموسوعي والأديب والباحث الموضوعي** ، للدكتور محمد الصادق عفيفي ، والكتاب بحث فائز بمسابقة نادي جازان الأدبي لعام ١٤١٥هـ ، وهو يتحدث عن العقيلي في جوانب شتى منها بالإضافة إلى التعريف

www.alukah.net
شبكة الألوكة

به : العقيلي المؤرخ ، والعقيلي الشاعر ، والعقيلي المحقق ، والعقيلي المؤرخ الأدبي ، ثم العقيلي دارساً للتصوف ، وبعد ذلك تحدث عن اهتمامات العقيلي المعجمية ، وبالأدب الشعبي، والنقد، وكتب التراجم .

٩- **محمد بن علي السنوسي حياته وشعره** ، لمحمد بن سليمان القسومي ، والكتاب رسالة علمية لم تنشر ، قدمت للحصول على درجة الماجستير في قسم الأدب بكلية اللغة العربية بالرياض . والقسومي أفضل من درس شعر السنوسي ، وشمل حديثه شتى الجوانب الفنية في شعره ، إضافة إلى ذلك ففي هذه الأطروحة العلمية عدد من القصائد المخطوطة للسنوسي لم تنشر من قبل ، بذل الباحث جهداً كبيراً في جمعها وترتيبها ودراستها ، إضافة إلى درس الشعر الوارد في المجموعة الكاملة ، أو في الصحف والمجلات.

١٠- **محمد بن علي السنوسي شاعراً** ، للدكتور محمود شاكر سعيد ، والكتاب دراسة جيدة لشعر السنوسي ، جاءت في ثلاثة أبواب : الأول عن حياته ، والثاني عن أغراض الشعر واتجاهاته وموضوعاته ، والثالث دراسة للخصائص الفنية في شعر السنوسي .

١١- **المذاهب الأدبية في الشعر الحديث لجنوب المملكة العربية السعودية** ، للدكتور علي علي مصطفى صُبح ، والكتاب لم يقتصر على الشعر الحديث فقط ، بل أدخل في الحديث شعراء عاشوا في القرنين الثاني عشر والثالث عشر الهجريين كالحسن بن خالد الحازمي، والحسن بن أحمد عاكش الضمدي ، وبعض شعراء آل الحفظي . وعند حديث علي صبح عن الشعراء المقلدين في جنوب المملكة استشهد لبعض الشعراء المعروفين بنماذج من متونٍ علمية ومؤلفات فقهية ، بينما كان هناك نتاج كثير لهم من الشعر لم يحاول الوصول إليه والبحث عنه . والكتاب يُظن من أول وهلة أنّه دراسة للشعر في جنوب المملكة ، ولكن عند النظر يتبين أنه دراسة

شبكة الألوكة - قسم الكتب

لشعراء معدودين مختارين، وهم الشعراء المشهورون الذين دُرسوا من قبل ، ولذا فعدد الدواوين الشعرية التي رجع إليها علي صبح هي أربعة عشر ديواناً فقط من شعر جنوب المملكة الذي يتجاوز مائة وخمسين ديواناً على أقل تقدير . ومع ذلك فالكتاب محاولة للوقوف عند بعض الشعر وتحليله ، وإن كان غلب عليه التعميم ، والأحكام التي لا تؤيدها الأدلة، وبعض الأخطاء المنهجية [1] .

١٢- **نشأة الأدب السعودي المعاصر في جنوب المملكة العربية السعودية من ١٣٥٢- ١٣٨٠هـ**، للدكتور عبدالله أبو داهش. وهذه الدراسة حديث عن النشأة والبدايات، ولم تتعرض لرصد الحركة الإبداعية ولا للشعراء الذين جاءوا بعد سنة ١٣٨٠هـ ، واعتمدت على الآثار المخطوطة وما نشر في الدوريات ، هذا فضلاً عن أنَّ هذه الدراسة كانت شاملة لكل الفنون الأدبية من شعر ومقالة وقصة ، وأيضاً شاملة لجنوب المملكة عموماً ، فجاءت مقتضبة وغير مستوعبة. والسنة التي انتهت إليها الدراسة هي السنة التي صدر فيها أول ديوان مطبوع لشاعر مستقل من شعراء جازان خصوصاً والجنوب عموماً . ومع هذا ، فهذه الدراسة تمثل رصداً تاريخياً مهماً لفترة البدايات والنشأة ، وتعد مصدراً مهماً لأي باحث في شعر جنوب المملكة لا يمكنه الاستغناء عنه .

ثانياً - دراسات وتراجم الشعر السعودي وتعرضت للشعر في جازان :

الدراسات التي تحدثت عن الشعر السعودي كثيرة جداً ، ومنها ما تعرض للشعر في جازان كإقليم من أقاليم المملكة ، أو درس شاعراً من شعراء جازان ، وفيما يلي إشارة إلى أهم هذه الدراسات (ذكراً فقط) :

(١) انظر : أدبنا في آثار الدارسين ، للدكاترة : منصور الحازمي ، ومحمد الخطراوي ، وعبدالله المعطاني : ١٥٢ – ١٥٥ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

١- أبجديات في النقد والأدب ، لحجاب بن يحيى الحازمي .
٢- الاتجاه الابتداعي في الشعر السعودي الحديث ، لمحمد حمود حبيبي .
٣- الاتجاه الإسلامي في الشعر السعودي الحديث – الجزء الثالث – لخليف بن سعد الخليف.
٤- الاتجاه الإسلامي في الشعر السعودي الحديث ، قيمه الفنية في موازين النقد ، لمحمد بن عبده الشبيلي .
٥- أدباء سعوديون ، لمصطفى إبراهيم حسين .
٦- أدباء من السعودية ، للدكتور يوسف حسن نوفل .
٧- إطلالة على الشعر السعودي المعاصر ، لفوزي خضر .
٨- التيارات الأدبية الحديثة في قلب الجزيرة العربية ، لعبدالله عبدالجبار .
٩- التيارات الفنية في الشعر السعودي الحديث ، للأستاذ الدكتور طلعت السيد صبح .
١٠- حركات التجديد في الشعر السعودي المعاصر ، للدكتور عثمان الصوينع .
١١- الحركة الأدبية في المملكة العربية السعودية ، للدكتور بكري شيخ أمين .
١٢- دراسات في الأدب السعودي للدكتور عباس بيومي عجلان والدكتورعبدالله سرور .
١٣- دراسات في الأدب السعودي للدكتور محمد الصادق عفيفي .
١٤- الرمز في الشعر السعودي للأستاذ الدكتور مسعد بن عيد العطوي .
١٥- شعراء السعودية المعاصرون ، للدكتور أحمد كمال زكي .
١٦- شعراء الغزل في المملكة العربية السعودية للدكتور علي المصري .
١٧- شعراء من أرض عبقر ، للدكتور محمد العيد الخطراوي .
١٨- شعراء من الجزيرة العربية ، لعبدالله الحميد .
١٩- الشعر الحديث في المملكة العربية السعودية ، للأستاذ الدكتور عبدالله الحامد .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

٢٠- الشعر السعودي بين التجديد والتقليد للأستاذ الدكتور محمد بن سعد بن حسين .
٢١- الشعر في المملكة العربية السعودية خلال النصف الثاني من القرن الرابع عشر الهجري، لعبدالله بن إدريس .
٢٢- في رحاب الله يا فيصل ، جمع علي الحمد الصفراني .
٢٣- قراءة في ديوان الشعر السعودي للدكتور يوسف حسن نوفل .
٢٤- القصّ في الشعر السعودي ، للدكتورة لطيفة المخضوب .
٢٥- لمحات من أدبنا السعودي المعاصر ، للأستاذ الدكتور منصور الحازمي .
٢٦- ملامح الأدب السعودي ، دراسة ونماذج للدكتور صلاح عدس .
٢٧- الملك عبدالعزيز في مرآة الشعر ، لعبدالقدوس الأنصاري .
٢٨- من أعلام الشعر السعودي ، للأستاذ الدكتور بدوي طبانة .
٢٩- نبت الصمت (دراسة في الشعر السعودي المعاصر) ، للدكتور شاكر النابلسي .
٣٠- النزعة الإسلامية في الشعر السعودي المعاصر ، للدكتور حسن بن فهد الهويمل.
٣١- نظرات في الشعر السعودي المعاصر ، للدكتور عوضي الوكيل .
٣٢- نقد على نقد للأستاذ الدكتور عبدالله الحامد .

ثالثاً- دراسات في الأدب العربي الحديث وفيها إشارات إلى الشعر في جازان ، ومنها :

١- أثر التحولات الاقتصادية في الشعر العربي الحديث بمنطقة الخليج العربي – رسالة علمية في الجامعة الأردنية – لإلهام بدر علي السادة .
٢- الأدب الحديث تاريخ ودراسات ، للأستاذ الدكتور محمد بن سعد بن حسين .
٣- دراسات في الأدب العربي الحديث ، للأستاذ الدكتور محمد مصطفى هدارة .
٤- دراسات في الأدب العربي على مر العصور مع بحث خاص بالأدب السعودي للدكتور عمر الطيب الساسي .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

٥- شعراء معاصرون من الخليج والجزيرة العربية ، لأحمد الجدع .

٦- الشعر والشعراء في الخليج العربي والجزيرة العربية ، لعبدالجبار حمد حسين – رسالة علمية في جامعة البصرة – منها نسخة في مكتبة الجامعة الأردنية – عمّان .

هذه أهم الدراسات التي ورد فيها شيء من شعر جازان ، أو إشارة إلى رواده وأعلامه.

**

جـ- المقالات النقدية :

حفلت الصحافة بكثير من المقالات النقدية للشعر في منطقة جازان ، وتعد هذه المقالات مصدراً من المصادر التي يحتاجها الباحث في شعر جازان ، ومن أهم هذه المقالات التي تناولت الشعر وأعلامه :

١- اتجاهات النعمي الشعرية بين ذاتية الحدث وانطباعيته ، لأحمد بن محمد هندي منشور بالملحق الأدبي بصحيفة الندوة ١٤١٧هـ .

٢- الأدب الصاعد في ديوان القلائد ، لأحمد إبراهيم الغزاوي، مجلة المنهل ١٣٨٠هـ

٣- أضواء على الشعر السعودي ، لعلي أحمد الشحات . مقال منشور في المجلة العربية ١٤٠٧هـ .

٤- الحركة الأدبية في جازان ، لمحمد بن أحمد العقيلي ، منشور في صحيفة الرائد ، سنة ١٣٨٢هـ .

٥- الحركة الأدبية في السعودية ، لعبد القدوس الأنصاري ، مقال منشور في مجلة المنهل سنة ١٣٨٣هـ .

٦- شعراء الجنوب، لمحمد سعيد العمودي . منشور في مجلة المنهل سنة ١٣٧٤هـ .

٧- الشعر ديوان العرب ، وشعراء الجنوب من ديوانهم ومن المنهل ، لحسن عبدالمقصود ، منشور في المنهل سنة ١٣٧٥هـ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

٨- قبل لقائي الشخصي بالسنوسي ، لعمر طاهر زيلع، منشور في عكاظ سنة ١٤٠٧هـ .
٩- القلائد ، لمحمد بن أحمد العقيلي ، منشور في المنهل سنة ١٣٨٠هـ .
١٠- معالم التجديد في الأدب السعودي بين الحربين العالميتين ، للدكتور منصور الحازمي ، منشور في مجلة الدارة سنة ١٣٩٥هـ .
١١- مع رجال الفكر في جازان ، لناصر قاسم ، نشر في مجلة المنهل سنة ١٣٧٨هـ.
١٢- مع شاعر الجنوب، للدكتور حسن بن فهد الهويمل، نشر في الرائد سنة١٣٨٢هـ.
١٣- مقابلة مع الأستاذ محمد أحمد عيسى العقيلي ، لناصر قاسم ، نشر في الرائد سنة ١٣٨٢هـ .
١٤- ملامح التجديد في الأدب السعودي ، للدكتورمحمد بن عبدالرحمن الشامخ ، نشر في مجلة الدارة سنة ١٣٩٩هـ .
١٥- الملك عبدالعزيز في مرآة الشعر (عرض وتحليل) للدكتور حمد بن ناصر الدخيل ، منشور في مجلة المنهل سنة ١٤٠٦هـ .
١٦- من شعراء الجنوب علي بن محمد السنوسي ، للأستاذ الدكتور محمد بن سعد بن حسين منشور في مجلة الحرس الوطني ، سنة ١٤٠٧هـ .
١٧- من شعراء جنوبي الجزيرة العربية أحمد بن علي عبدالفتاح الحازمي ، لأحمد بن محمد هندي ، منشور في ملحق التراث الأسبوعي بجريدة المدينة عام ١٤١٢هـ .
١٨- من شعراء جنوبي الجزيرة العربية عبدالله بن علي العمودي ، لأحمد بن محمد هندي ، منشور في جريدة المدينة ، عام ١٤١٢هـ .
١٩- والدي السيد علي السنوسي ، لمحمد بن علي السنوسي ، نشر في مجلة المنهل عام ١٣٨٨هـ .
٢٠- الينابيع – ديوان شعر السنوسي – (عرض وتحليل) لأحمد بن حافظ الحكمي ، نشر في صحيفة الجزيرة ، العدد : ١٧٧٩ في ٢٩/ ٤/ ١٣٩٧هـ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

د- الإذاعة :

هناك كثير من الشعراء كان لهم نصيبٌ من اللقاءات الإذاعية ، ومن خلالها أتحفوا المستمعين ببعض قصائدهم ، وبعض من هذه القصائد لم تنشر فيما بعد – ومن هنا عُدّت الإذاعة مصدراً مهماً ، وكثير من تلك القصائد المذاعة عبر الأثير قد نشرت في الدواوين الشعرية وحصل فيها بعض التغيير أو التعديل ، ومن الشعراء الذين تكررت لقاءاتهم بالإذاعة، بل يعد أول شاعر من جازان تذاع له قصيدة في الإذاعة هو محمد بن أحمد العقيلي، فأول قصيدة أذيعت للعقيلي كانت سنة ١٣٦٩هـ ، وهي قصيدة (تحية الإذاعة السعودية) ، وقد قيل تعليقاً على هذه القصيدة عندما نشرت في مجلة المنهل : ((**ألقيت بالإذاعة السعودية ، فكان أول أديب جازاني يذاع شعره في العالم على أمواج الأثير**))[1].

ومطلع تلك القصيدة :

أصاخت من الأفلاك والشهب آذان ورنح عطف الدهر من فيك ألحان[2]

وفي سنة ١٣٧١هـ أذيعت له قصيدة (عهد الخلفاء الراشدين) ، وهي بمناسبة إلغاء رسم الحج في العام نفسه ، وكانت إذاعتها في آخر شهر ذي الحجة ، ومطلعها :

عاد عهد الخلفاء الراشدين ملك أروع وضّاح الجبين[3]

وفي عام ١٣٧٣هـ أذيعت له قصيدة (باقة شعر) في برنامج (ندوة المستمعين)، في إذاعة لندن ، وهي في رثاء الملك عبدالعزيز ، وقد جاء في مجلة المنهل عند تقديم هذه القصيدة بعد ستة عشر عاماً من إذاعتها : ((**القصيدة العصماء التي سبق أن نظم عقدها الشاعر المجيد ، والأديب الكبير والمؤرخ المعروف الأستاذ محمد أحمد بن عيسى العقيلي رثاءً للمغفور له مؤسس هذه المملكة ، وموحّد شملها ، وواضع أول لبنة في صرح**

(١) مجلة المنهل ، ج ٥ ، ٦ ، س ١٠ ، مج ١٠ ، جمادى الأولى والثانية ١٣٦٩هـ ، ص : ١٩٧ ، وانظر : نشأة الأدب السعودي ، د. أبو داهش : ٩٣ .

(٢) شعراء الجنوب : ٨٧ .

(٣) الأنغام المضيئة : ٢٣ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

الوحدة العربية الحقّة في العصر الحديث ، نظمها سيادته إبان وفاة المغفور له في ربيع الأول سنة ١٣٧٣هـ، وقد مضى عليها ١٦ عاماً ، وكانت إذاعة لندن قد أذاعتها بإعجاب وتقدير حافل في برنامجها (ندوة المستمعين) وقد أشارت محطة الإذاعة إلى أن شاعرنا القدير قد عارض بعصمائه المشرقة قصيدة أمير الشعراء أحمد شوقي التي مطلعها :

لك في الأرض والسماء مآتم قام فيها أبو الملائك هاشم

والواقع أن شاعرنا قد أمتع وأبدع .. وها نحن أولاء نزفها إلى قرائنا الأماثل تسجيلاً وتقديراً ...)) [1] ، ومطلع قصيدة العقيلي هذه هو :

نيّر قد هوى فرجَّ العوالم وأحال الشموس والكون قاتم [2]

وفي مقابلة مع الشيخ علي أبي زيد الحازمي ذكر لي أنّ العقيلي كان بارعاً في إلقاء الشعر في شبابه ، وأنّه كان ينتظر بعض البرامج الإذاعية والأدبية ؛ ليستمع للعقيلي وهو يلقي إبداعه ، وقال لي ذات مرة : إنه إذا قرأ شعر العقيلي وجده بارداً ، وإذ استمع إليه طَرِب أيما طَرَب [3] .

وفي سنة ١٣٨٩هـ أذاعت إذاعة (صوت العرب) من القاهرة قصيدة للعقيلي: وكان في مصر آنذاك صديق العقيلي علي بن محمد صالح عبدالحق ، فلما استمع إلى القصيدة أعجب بها ، وأرسل من مصر قصيدة إلى العقيلي ، يقول فيها :

صديقي العقيلي حميد الخصال قوي القريحة والذاكرة
أفيدك أني على ما يُرام من الأنس والراحة الوافرة
وقد كنت في ليلة جالساً بإحدى المنازل في القاهرة

(١) المصدر السابق : ٣٠ .
(٢) المصدر السابق ، الصفحة نفسها .
(٣) في مقابلة معه في ضمد بتاريخ ٢٢/ ٤/ ١٤١٩هـ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وحولي نجلي وبعض الرفاق نعالج حالتنا الحاضرة
سمعتك في جولة الميكرفون تردد أشعارك الفاخرة
فأعجبني كل ما صغته لأيامك الغرر الزاهرة
وأهدي السلام إلى شخصكم وأزكى تحياتنا العاطرة [1]

ومن الشعراء الذين أذيعت لهم قصائد عبر الإذاعة الشاعر أحمد باهادون العطاس ، ومن تلك القصائد قصيدة ألقاها عبر الإذاعة سنة ١٣٧٣هـ ، ووجهها إلى الأمير فهد بن عبدالعزيز – خادم الحرمين الشريفين – وزير المعارف – آنذاك – بمناسبة توليه الوزارة ، ويطلب منه سلفة مقدارها راتبين – والشاعر كان وقتها مدرساً في أبي عريش ، يقول الشاعر في مقدمة هذه القصيدة : ((**هذه القصيدة وجدتها في أوراق قديمة ، وقد كانت مسجلة في محاولاتي الشعرية المخطوط الذي فُقِد منّي ... وليس عليها تاريخ ، ولكن واقعها يسجّل تولي صاحب الجلالة الملك فهد بن عبدالعزيز المفدى آنذاك وزارة المعارف في عام ١٣٧٣هـ ، والقصيدة هي :**

حيِّ الوزارة والوزير فهد المعارف والخبير
ربان في التخطيط والتد بير للعلم الوفير
جاء المعارف مصطفى لتحمل العبء الكبير
فازدان صرح العلم بالتَّـ (م) ـاج المضيء وبالأمير
وتعددت دور العلو م كما تضاعفت الأجور
وارتاح كل معلمٍ يصبو إلى البذل الكبير
يا فهد رمز طموحنا بشبابه الغضّ النضير
إياك نأمل أن يكو ن لمجدنا الشأن الخطير

(١) التاريخ الأدبي ، للعقيلي : ٣ / ١٥٨٥ ، وفرجة النظر ، للشعفي : ٢ / ٣٨ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

فهنـــا الـــشباب تحفـــزوا ليحققـــوا الأمـــل المنـــير
بمناهـــل يـــروى بهـــا الظمـــآ (م) ن بالمـــــــاء النمـــــــير

ثم يقول بعد ذلك محدداً الطلب :

يا سيدي إني عزمت على الـزوا ج وأرتجـــي منـــك اليـــسير
هـــــي راتبـــــان أريدهـــــا تُعطـــى بأمـــرك يـــا وزيـــر
قرضـــاً علـــيَّ أعيـدهـــا أقـــساط تدفـــع في شهـــور
وتحيتـــــي لـــــك مخلـــصاً أشـــدو بهـــا عبـــر الأثيـــر [1]

ثم يعلق الشاعر بعد ذلك ، ويقول :

((وفعلاً فقد امر سموه بصرف الراتبين كسلفة وتسلمتها من مالية جيزان – آنذاك – إذ كنت أعمل في مدرسة أبي عريش في ذلك التاريخ ...)) [2] .

وممن لهم مشاركات إذاعية بقصائدهم ، وحفلت الإذاعة بقسط منها ، وحفظت بعض أشعارهم الشاعر علي بن جبران صميلي ، فقد أذيعت له أكثر من قصيدة في برنامج (رحلة الحرف والميكرفون) الذي كان يذاع من إذاعة المملكة العربية السعودية البرنامج الثاني من جدة ، ومن تلك القصائد قصيدته التي أذيعت مساء ١٤/ ٧/ ١٤٠٠هـ ، وهي الأنشودة الرائعة التي مطلعها :

ديننا الإسلام بـاقٍ كالصباح يملأ الأرض بأضـواء الفـلاح
يغمر النفس سروراً وانشراح إنـــه ديـــنٌ ودنيـــا وصـــلاح

ولهذا سوف يبقى ، سوف يبقى ، سوف يبقى [3]

(١) انظر : من وحي التأملات ، لأحمد العطاس : ٥١ بتصرف .
(٢) المصدر السابق ، ٥١ .
(٣) شموع النصر ، لعلي بن جبران صميلي ، مخطوط : ٣٢ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

هذه أهم مصادر الشعر الجازاني ، وهناك مصادر أخرى يجدر بالباحث الرجوع إليها، والنظر فيها ، مثل ملفات النوادي الأدبية وخزائنها ، والتسجيل الصوتي والمرئي لكثير من الأمسيات والندوات الأدبية ، وكذلك المجلات المتخصصة التي تصدرها النوادي الأدبية الحافلة بإبداعات الشعراء ونشاطاتهم ، مثل ملف النادي الأدبي بأبها (بيادر) ، وملف نادي جازان الأدبي (مرافئ) وغيرهما .

* * *

شبكة الألوكة - قسم الكتب

الفصل الثاني

أغـراض الشعـر

١- الوصف .
٢- الغزل .
٣- المديح .
٤- الرثاء .
٥- الحنين .
٦- أغراض أخرى :
أ - الإخوانيات .
ب- الهجاء .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

أولاً- الوصف :

يعدُّ الوصف أكثر الأغراض الشعرية التي تطرق لها شعراء جازان ، كما هو الحال عند شعراء العصر الحديث ، الذين اهتموا بهذا الغرض ، وأفسحوا له مجالاً رحباً في تجاربهم الشعرية ، ((**وما تم له ذلك إلا لأنه صورة انطبعات النفوس الشاعرة حيال مدركاتها من أحوال الكون والناس ... ؛ ولأن الدافع إلى الوصف رغبة ملحة في النفس لم تدفعها رهبة ، ولم تجتذبها منفعة ، وإنما قادها شعور ذاتي بالقبح أو الجمال ، أو الضعف أو القوة ، أو نحو ذلك**))[1] .

وقد اقترن الوصف بالطبيعة عند كثيرٍ من شعراء العصر الحديث ونقّاده ، يقول الأستاذ الدكتور محمد بن سعد بن حسين : ((**ولقد أقبل شعراء هذا العصر على الوصف إقبالاً منقطع النظير ، وكان إقبال شعراء العصر الحديث على وصف الطبيعة أكثر من غيرها ، وإن اختلفوا في وصفهم**))[2] .

وهذه حقيقة مُدركة ، فالوصف – في غالبه – لا يتعدى الطبيعة بما فيها من متحرك حيّ ، أو ساكن صامت ، ولو أسقطنا هذا المفهوم في دوائر الشعر لوجدنا أنّ الشعر كلّه لن يكون إلا وصفاً للمشاهدات والمتصور ذهنياً مغيباً وغير مغيب ، ولذا فقد سادت منذ القدم النظرية التي تقول : إن جمال الفن مشتق من جمال الطبيعة ، وأن الفن تقليد لها[3] .

وقال بعضهم : إن الشعر يدور في غرض واحد هو الوصف ، فوصف الطبيعة هو من أثر الإعجاب بها أو المديح وصف للرجال والرثاء وصف للميت ...

ومع هذا فهناك أشياء أخرى تطرق لها الشعراء الوصّافون خارج إطار الطبيعة، كوصفهم لرحلاتهم ومشاهدات العصر الحديث من مخترعات ووسائل محدثة أسرت

(١) الأدب الحديث تاريخ ودراسات ، أ.د. محمد بن سعد بن حسين : ١ / ٩٦ .
(٢) المرجع السابق ، الصفحة نفسها .
(٣) انظر : النقد الجمالي وأثره في النقد العربي ، روز غريب : ١٣ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

ألبابهم، وحركت مشاعرهم ، واستأثرت بأقلامهم الشاعرة ، ونصيب من تجاربهم .

وعند النظر إلى الشعر في جازان ، نجد أن هناك اموراً كثيرة أسهمت في دفع الشعراء إلى الإكثار من شعر الوصف ، وكثرة التطرق له ، وهيمنته على تجاربهم ، ولعل من أهم تلك الدوافع : ما تكونت منه الطبيعة من ملهمات للشعر ومعينات عليه: رياض وأشجار، وسهول وجبال ، وسواحل وألوان مختلفة ، وأجواء متنوعة ، تلك الطبيعة التي ألفها الشعراء، وأولعوا بها ، يقول محمد بن علي السنوسي :

وأنا الشاعر الذي هام بالحسن وغنَّى له غناء الطيور
في الذرا في السفوح في النهر لدى المنحنى وعند الغدير
في الشذا عاطراً وفي النور لّاحاً وفي الرّوض في الضحى في البكور (١)

وهذه البيئة الخصبة هي ملهمة الشعر بكل ما فيها من جمال وروعة لم تتدخل فيها يد الإنسان ، فهي طبيعة بكر ، يقول محمد بن علي السنوسي أيضاً :

ويا وطني وأنت ولا أغالي　　نجي الشعر شطآناً وغابا
قرأت على شواطئك القوافي　　محبرة تفيض بها عبابا
خضما تعزف الأمواج منه　　صدى حلواً وأنغاماً عذابا
تنام على جوانبه الروابي　　معطرة مخدَّرة كعابا
وتغفو فوق ضفته الرواسي　　نواهد عز خاطبها وغابا (٢)

ونجد الشاعر محمد أحمد العقيلي يبرز هذه الدوافع التي تدعوه إلى شعر الوصف ، وتحرك قريحته الشعرية ، ومن أهمها رؤية (المطلّع) ، وهو مكان في جازان

(١) قصيدة (لوحة من عسير) مجلة الفيصل ، ع ٥٣ ، ذو القعدة ١٤٠١هـ ، نقلاً عن : محمد بن علي السنوسي ، حياته وشعره ، محمد القسومي ، وانظر القصيدة في : من أعلام الشعر السعودي ، د. بدوي طبانة : ١ / ٣٤٨ .

(٢) الأعمال الكاملة : ٢٣٦ – ٢٣٧ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

معروف ، يقول فيه :

هنا (المطلّع) تُستجلى به الفِكـرُ والشعـرُ ينهـلُّ والإلهـام ينهمـرُ
في طلعة الشمس والآفـاق ساطعة أو الأصيل وقرص الشمس ينحدرُ
والشمس ترسل من علياء مطلعها شعـاع نـور على الأمواج ينكسرُ
والشطّ يطفح منساباً على دعةٍ مجعّد الوجه يستدني ويندحـرُ
يداعب الرمـل في أثنـاء وثبتـه وينكفي راجعاً قد مسَّه حَصَرُ
والأرض نادية هفّت نسائمها والآل مضطربُ الأرجـاء يتشرُ
يلوح للعين بحراً مـاج آذيـه طامٍ على جنبات الأرض ينفجـرُ
والعيـس راسيـة طـوراً وآونـة تطفـو رويـداً وتبـدو ثـم تستترُ
وللروابي على حاف السباخ حُلىً عقدٌ تنظّـم فـي أسماطـه درُ [1]

فذلك الحي المرتفع المطل على البحر المعروف بـ(المطلّع) هو من ملهمات الشاعر وبواعث الشعر في نفسه في الصباح وقت طلوع الشمس وفي الأصيل عند مغيبها .

إنّ هيام شعراء جازان بالطبيعة ومفاتنها وتأليف صورهم الرائعة في ذلك وكأنها تفيض من نبع مستفيض ، ومن مورد لا ينضب ، وخيال خصب خلع الحياة على الموات ، ووهب الحركة للجماد ، فترى العبير يرفّ ، والطلّ يوشح الشجر ، وريح الصبا ترشّ بالعطر وجوه البطاح ، والشذى يطوف هيماناً على خدود الورد .. إن هذه الظاهرة ، ظاهرة الهيام بالطبيعة ومفاتنها هو ارتباط عند الشعر ببيئته ، وصدقٌ من نفسه وشاعريته ، ولم يكن هذا بدافع الهرب من الحياة والهيام الذي عرف عند الرومانسيين ، بل بدافع البحث عن الجمال ، ورصد مناظره .

وحتى الشعراء الجازانيون الذين أطلق عليهم أنهم شعراء رومانسيون لا يمكن

(١) المجموعة الشعرية : ١٤٧ – ١٥٣ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

أن يمثلوا الجانب السلبي في الهروب الرومانسي ، بل هو هروب إيجابي في نظر الكثيرين، فلجوءهم إلى الطبيعة هو موقف من الحياة والناس واحتجاج على ما يرونه من تصرفات تخالف القيم والمثل العليا ، وليس موقفاً سلبياً بالمعنى الذي أراد الدارسون ، إلا في بعض حالات يبلغ فيها النفور والهرب والاعتزال مداه ، بل يصل إلى حد المرض عند الشعراء الرومانسيين ، وهذا غير موجود عند شعراء جازان ، بل عند الشعراء السعوديين عموماً[1] . وأحسب أنّ إقبال الجازانيين على الطبيعة ما هو إلا لون من ألوان حبهم لها ، وتمجيدهم إياها ، ونشر صورتها في الناس .

وقد اختلفت طرائق الشعراء في وصفهم ما يرون ، وانطباعاتهم بما يشاهدون، فكثير منهم أفردوا قصائد خاصة للوصف ، وآخرون اتخذوه مقدماتٍ يهيئون بها المتلقي للانتقال إلى الغرض الأصلي الذي جاءت القصيدة من أجله .

واللافت للنظر أن كثيراً من شعراء منطقة جازان لتعلقهم بالطبيعة نجدهم يربطونها بكثير من تجاربهم الحياتية الأخرى ، وإسقاطهم للطبيعة على شتى المواقف ، فالسنوسي عندما يصف فتاة ريفية حسناء نجده قبل أن يصفها يصف تلك الطبيعة البكر التي ترعرعت هذه الفتاة بين أحضانها ، وشربت من مائها ، يقول :

تحيـــة منـــي إلـــى غـــادةٍ هيفـــاء لفّـــاء كعـــاب رداح
ريفيـــــة تهتـــز أعطافهـــا خـصوبة مـن مـرح وارتيـاح
ترعرعـت بـين ظـلال الرُّبـا ونسمة الوادي وعزف الرياح[2]

يقول الدكتور بدوي طبانة معقباً على أبيات السنوسي هذه : ((**العواطف المشبوبة التي تنبعث من قلب شاعر يحسّ بالإبداع في الكائنات ، ويقدّر الجمال في المخلوقات ، ولا يمر بتلك المشاهد مرّاً ، ولا تكفيه منها متعة النظر ، ولكنه يتوقف**

(١) انظر : الاتجاه الوجداني في الشعر المعاصر ، د. عبدالقادر القط : ٢٨٢ ، والاتجاه الابتداعي في الشعر السعودي الحديث ، محمد حبيبي : ١ / ١٣٨ .
(٢) الأعمال الكاملة : ٤٧٠ – ٤٧٢ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

عندها ويتأملها طويلاً، حتى تتصل بمشاعره ، وتتفاعل هي وعواطفه ، حتى تصبح تجربة من تجاربه ، يجليها للناس في مثل ذلك الثوب القشيب الأنيق)) [1] .

وللطبيعة وجود واضح في تجاربهم الوجدانية ، فتغيرها إنما هو بفعل الرياح ، وارتفاعها وانخفاضها بسبب الأمواج العاتية أو الساكنة ، والحبيب لم يعد لأنّ الليل طال ، والتقاء النظرات إنما هو إبحار في زوارق العيون الحالمة ، فالشاعر إبراهيم صعابي لم يستطع أن يتنصَّل من الطبيعة المسيطرة على عاطفته في طرقه لموضوع وجداني صرف، إذ يقول :

الريح تعبث بالشراع ...
والزورق المُضنى أشاح بوجهه ..
وأضاع منّي مرفأ الدنيا .. وضاع ..
الريح ما زالت تلاحقُ زورقي
والريح ما زالت تهدّد مشرقي
والريح صوتٌ للنهاية والشراعُ مضى ..
وصوتُ الموج .. يحمل للقتيل هديتين
صخبٌ وإبحارٌ وأشواقٌ تضيع
و(منار) تبقى فوق هذا الصَّخْبِ .. كالعُمر الربيع .. [2]

ومثله حسين النجمي [3] كثيراً ما تهيمن الطبيعة بشتى أشكالها على غرامياته

(١) من أعلام الشعر السعودي ، د. بدوي طبانة : ١ / ٣٥١ .

(٢) زورق في القلب : ٨٢ – ٨٣ .

(٣) هو حسين بن أحمد بن يحيى النجمي ،ولد بقرية النجامية التابعة لمحافظة صامطة سنة ١٣٨١هـ ، ودرس الابتدائية بصامطة ، ثم التحق فيها بمعهدها العلمي ، وفي سنة ١٤٠٥هـ حصل على شهادة البكالوريوس من كلية أصول الدين بفرع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بأبها ، ثم عمل بعد ذلك في التدريس ، له مشاركات في الصحف والأمسيات والندوات والملتقيات الثقافية ، له مجموعة من الدواوين المطبوع منها : (ألم وأمل) ، و(خفقات قلب) ، و (عيناك في وقت الرحيل) ، و (تأملات على مرافئ الغربة) . انظر ترجمته في : التاريخ الأدبي لمنطقة جازان ٣/ ١٤٢٨ ، وفرجة النظر ، للشعفي ١/ ٢٤٨ ، وعقود الجمان ، للمعلمي ٣/ ٧٤ ، وموسوعة الأدباء والكتاب السعوديين ، لأحمد بن سلم ٣/ ٦٠ وغيرها .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

وسواها من المواقف الشعورية ، فالطبيعة جزء من تلك الشاعرية لا يمكن له أن يتخلى عنها ، أو أن تنفصل عنه ، يقول في إحدى وجدانياته :

يـا حُلـماً في الغيـب أسراره ترفّقـي بالفـارس الأعـزلِ
وأشرقـي نـوراً عـلى دربـه أو قمـراً في ليلـه الأليـلِ
ورفرفـي روحـاً بآفاقـه وقـوةً في خطـوه المثقـلِ
وجنـةً يفـوح مـن وردهـا رائحـةٌ مـن عطـرك الأجمـلِ
نديـة الأزهـار لكنهـا مـن قطـرات الطـلّ لم تغـسلِ
يا حلوة العينين روحي غدت هائمـة فيـك فـلا تـرحلي
أبحـر في أحداقهـا زورقـاً شراعـه مـن حلـمٍ مخملـي
ونلتقـي في شـاطئ حالـمٍ ترسمهـا في دربـه الأطـولِ
سنابـل العـشق بأطيافهـا يحصدها الحزن بلا منجلِ[1]

والموضوعات التي شملها الوصف عند شعراء جازان يمكن تصنيفها إلى الأمور الآتية:

أولاً – وصف الطبيعة بنوعيها الصامتة والمتحركة .

ثانياً- وصف البيئة المحلية .

ثالثاً- وصف الرحلة .

رابعاً- وصف المخترعات .

أولاً- وصف الطبيعة :

أ- الطبيعة الصّامتة أو الساكنة :

في حياة الصَّخب والضجيج تمنّى كثير من الشعراء حياة البساطة والرحلة بعيداً إلى عالمٍ آخر ، عالم الفطرة والنقاء ، عالم الهدوء والصفاء ، إلى عالم الطبيعة البكر في

(١) عيناك في وقت الرحيل : ٤٠ – ٤١ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

أحضان الطبيعة الأولى في الريف المعمور وغير المعمور والقرية النائمة على الهدوء ، حيث كل شيء جميل ، والشاعر وحده هناك ، له عالم خاص ، وشعور مختلف ، فهذا علي النعمي يتحدث عن ريفه وقريته ، فيقول :

في الريف بين نداوة النسمات وتناغم الزهرات للزهرات
ونقاوة الأفق المضمخ بالسنا يحكي جلال الفن بالومضات
وحلاوة الأنغام تبعث سحرها قمرية مشبوبة النغمات
ولذيذ سقسقة العصافير الذي ينساب عبر الأيك كالهمسات
وهدوء ليلٍ دثرت نجماتِه سحبٌ تمرّ بطيئة الحركات
إلا نباحٌ مفزعٌ، وصدى لغى لقوافل الأحمال في الطرقات
وخوار أبقارٍ تريد عجولها ومواء قط خافت النبرات
وصراخ طفل هدهدته أمه كي لا يثير الحي بالصرخات
وحدي وأوراقي أعيش وغربتي وجمود قومي واعتلال حياتي[1]

والحياة في القرية هي حياة الانطلاق الحق ، وفيها راحة من فضول الحياة الخانقة يتمناها الشاعر دوماً ، ويشدو بها ، يقول محمد علي السنوسي :

ساعة في الريف في حضن السهول والرمال السمر والأفق الكحيل
والفضاء الرحب مبسوط المدى والهواء الطلق رفاف الذيول
بين أرض وسماء وربى وزهور وغدير وخميل
حيث لا سور ولا دور ولا حائط يمنع سيري في سبيل
تلك دنيا سرحٌ آفاقها حرة من كل قيدٍ وكبول

(١) الأرض والعشق : ٦٠ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

أنـــا أشتـــاق إليهـــا كلمـــا　　سئمت نفسي أحاديث الفضول[1]

وهذه الحياة الريفية هي منطلق الشاعر نحو آفاقٍ أرحب ، وهي البلسم من أمراض الحياة المعاصرة ، يحياها الشاعر ، فتجدد حياته ، يقول السنوسي :

ساعة في الريف في ظلّ الرُبى　　بلسم الهم وترياق العليل
وانطلاق شاعري خالص　　للنهى والفكر من قالٍ وقيل[2]

ورغبة الشاعر في هذه الساعة الريفية ليس هروبًا من الحياة نفسها – كما قدمت – وإنما هو تعانق بين روح الشاعر والطبيعة البكر التي هي منهل الشعراء ، وفيها تأملاتهم ، فهي أمهم التي تحنو عليهم ، فينداحون في أحضانها ، في عناق طويل ، لا يفلته منهم إلا صوت العقل ، وقلما يوقظهم هذا الصوت[3] ، والحياة الساكنة الصامتة في كل ذلك هي مبتغاهم ، يعبر محمد السنوسي عن هذه الغاية ، فيقول :

يا رُبى الوادي ويا كثبانه　　رددي صوتي وغنّي بهديلي
وامنحيني ساعة هادئة　　من حياة الروح والصمت الجليل
واغسلي قلبي بفيضٍ غامر　　هامرٍ من كل ينبوعٍ ونيلِ
إن في صمتك معنى رائعاً　　من تهاويمي وبحران ذهولي[4]

بل ويتمنى كثير من الشعراء الحياة الوادعة في القرية والريف ، ويفضلونها على حياة المدن ، ولهذا كثيراً ما يصفون حياة الفلاح المتواضعة الزهيدة على أنها هي الحياة الحقة ، والحيوان الجميل ، فعلي النعمي يكثر من طرق هذا الموضوع ، ويطلب من حبيبته وهي القرية طبعاً أن تعيد على مسمعه الأحاديث التي يعشقها ، والصور التي

(١) الأعمال الكاملة : ٢١٢ – ٢١٣ .
(٢) المصدر السابق : ٢١٤ .
(٣) انظر : الشعر الحديث في المملكة العربية السعودية ، د. عبدالله الحامد : ٣٢٨ .
(٤) الأعمال الكاملة : ٢١٥ – ٢١٦ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

يأنس بها ، ويهفو إلى رؤيتها ، فيقول :

حدثيني عن عيشة الفلاح وهو يمضي في غدوة ورواح
بيد يمسك البذور وأخرى تردع الثور عن طريق الجماح
يتغنّى وملء أعطافه الحبّ ويصغي لوشوشات الرياح
داعياً ربَّه بأن ينبت الزر ع ليجني منه ثمار الكفاح[1]

والشاعر محمد السنوسي هو أستاذ النعمي في حب الريف ، والتغني به ، والفرار إليه من حياة الصخب والضوضاء ، بل هما شاعرا الريف والطبيعة في شعر جازان ، فالسنوسي تحدث عن قريته ورحلته إليها لينعم بالصفاء ، ولتصح نفسه من الأسى والأمراض ، فيقول مخاطباً لها :

كلما ضمني دجاك ورقّت نفحات الصبا على الأرواح
وانتشى الكون بالعبير وراح السيـ ـل يختال في السهول البطاح
يغمر الأرض بالنعيم غزيرا ويهزّ القلوب بالأفراح
نعمت روحي الكئيبة بالصفوِ (م) وصحّت من الأسى والجراح[2]

ثم يتمنى بعد ذلك أن يعيش في هذه القرية الريفية ، فالحياة فيها أروع وأحلى من الحياة في المدينة ، ولو كانت المدينة مليئة بمباهجها ومفاتنها وقصورها وتسهيلاتها ، فالكوخ الصغير الذي يعيش فيه زوجان فلاحان سعيدان يتمناه غنيٌّ يعيش في القصور المنيفة ، والأبراج العالية ، ولكنها قفر من السعادة ، فيقول :

رُبّ كوخٍ يضمُّ زوجين كالطّـ (م) ـفلين طهراً ورقة كالأقاح
يملآن الحياة شدواً ويختا لان زهواً في غبطة وارتياح
ويعيشان في هدوء بريء من فضول الغنى وكدّ الشّحاح

(١) الأرض والعشق : ١٢ .
(٢) الأعمال الكاملة : ٣٣٨ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

نعمـا بالحيـاة في ظـل عـيشٍ أخـضرٍ مـن قناعـة وانـشراح
فيلسوفـان ينظـران إلى الـدنيا (م) كمـا تنظـر الـذرى للريـاح
يتمنى عيشيهما صاحب القصر (م) المعلى وذو الظُّبى والرمـاح[1]

ومن هذه النظرة في بحث عن السعادة انطلق كثير مـن شعراء جـازان إلى آفـاق رحبة من الطبيعة الصامتة أو الساكنة التي عشقوها ، ووصفوها ، ومـن هـذه الأشـكال الطبيعيـة التـي وقفـوا أمامهـا وقفـة الرسـام أمـام لوحتـه ، والعبقـريّ أمـام فكرتـه ، والفيلسوف المتأمل في فلسفته:

١- البحـر :

وقف الشاعر محمد العقيلي أمام البحر يرسم لوحة متكاملة القسمات بإعجابٍ، وتفاعل مع الجمال الـذي وهبـه الله لهـذا البحـر المليء بـالأسرار ، فهـو يقـول في قـصيدة (جازان):

ولقـد نظرتُ إليك نظرة شـاعر سـامي الخيـال مدلّهٍ بهـواك
يرعـى شـواطئك الجميلـة هاتفـاً ومغـــرداً بجمـــالك ورؤاك
يجلو المسـاء علـى بحـارك فتنـة رقصت لها الأمواج فـوق ربـاك
وهجاًمن الشفق المذهّب قد جرى تـبراً يـشعّ عـلى سـماء فـضاك
فزهت رمـال الـشطّ وهـي نديـةٌ برشاش رغو الموج فـوق ربـاك
وكأنمـا الأمواج حـين تـدافعت قُبـلٌ طبعـن عـلى أغـرّ لمـاك [2]

وقف الشاعر يراقب بدقة متناهية حركات الموج واقتراب المد ، وانحسار الجزر بنظرة متأمل عاشق ، بل شاعر سما خياله ، فراح يفصل عناصر تلك الطبيعـة البحريـة ، ويكسوها بحلل التشبيهات ، فوهج الشفق عنـد الأصـيل تـبرٌ مـشعٌ هـبط مـن السماء ،

(١) المصدر السابق : ٣٣٨ – ٣٣٩ .
(٢) الأنغام المضيئة : ٦٢ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

فازدهت به رمال الشط ، وزاد من زهوها وفرحها دغدغة رغو الموج لها ، فكان أن أعجب النسيم بما رأى ، فجاء متعثراً يريد أن يلثم تلك الشواطئ ، لكن الأمواج المتدافعة سبقته ، فقبلت الشاطئ قبلات طبعت على (أغر لماه) [1] .

ومن المشاهد المألوفة عند الشعراء رسمهم للبحر في صورة نفسية تقابل نفسية الشاعر، فتارة نراه بشوشاً ، ومرة نجده غضباناً ، وغير ذلك من العواطف الإنسانية في إسقاط واضح وتفاعل بيّن ، ومن ذلك قول إبراهيم صعابي :

هذه جازان عادت روضة من رياض الحسن في عطرٍ وطيب
فترى البحر بشوشاً ضاحكاً يمزج الفرحة بالموج القريب
وعلى الشاطئ روح هائمٌ تمنحُ الشطآن رملاً من طيوب
وترى اللحن على شاطئه فرحاً يلهو لعشاق الجنوب
أن أفيقوا من دموعٍ ثملت فجمال الشمس في حزن الغروب [2]

وإن كان البحر الذي جلس إليه صعابي بشوشاً ضاحكاً ، فإنه عند علي صيقل [3] منفعلٌ غضبان ، ولكن الشمس التي جعلت الغروب جميلاً عند الشط ، هي نفسها التي هدأت من روع هذا البحر المتلاطم ، ودخلت معه في عناق عاطفي ولقاء حبيب بحبيبه في صورة رائعة ، ولوحة متكاملة يرسمها صيقل ، حيث يقول :

جلستُ على الشطِّ قبل الغروب بنفسٍ تفيض أسىً واكتئابا

(١) انظر : شعر محمد أحمد العقيلي ، دراسة تحليلية ، خالد ربيع الشافعي : ١٤٧ .

(٢) زورق في القلب : ٧٤ – ٧٥ .

(٣) هو علي بن محمد صيقل ، ولد في جزيرة فرسان سنة ١٣٦٢هـ ، ودرس الابتدائية والمتوسطة بها ، ثم التحق بمعهد المعلمين بجازان ، وتخرج منه سنة ١٣٨٢/ ٨١هـ ، وفي سنة ١٣٩٤هـ حصل على شهادة الدراسات التكميلية بالطائف ، له مشاركات صحفية وثقافية ، وهو سكرتير نادي جازان الأدبي وعضو فاعل فيه ، من دواوينه الشعرية :(ترانيم على الشاطئ) ، و (أغنية للوطن) . انظر : ترجمته في : التاريخ الأدبي ، للعقيلي ٣/ ١٤٠٢ ، وفرجة النظر ، للشعفي ٢/ ٦٦، وشعراء الجزيرة العربية في العصر الحديث ، للحقيل ١/ ١٥٧ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

ورحـتُ أسرّح في البحـر طـرفي لكـي أسـتحمّ وأنـسى العذابـا
وصرت أفتـش عـن ذكريـاتٍ وساءلت عنهـا الهـوى والحُبابا
وأرهفـت سمعـي لعلـي أفـوز لعلّـي ألاقـي لهـنَّ الجوابـا
فمـا كـان منـه سـوى زمجـراتٍ كـأنّ الـسؤال أثـار العُبابـا
ومالت إلى الأفق شمسُ الأصيل فأضفت عـلى الـشطّ تـبراً مُذابـا
وألقـت عـلى البحـر منهـا خيوطـاً رقصن وغنّين حتى استطابـا
وسـارت تهـيم وترنـو التياعـاً إلى البحـر تبغـي إليـه اقترابـا
ومـالت عليـه رويـداً رويـداً لـتهمس فـي أذنـه فاستجابـا
ومـدَّ لهـا كفـه فـي هيـام وهـلَّ لهـا في حنـانٍ وذابـا
فألقـت بجسمٍ عـلاه الـشحوب لكـي تـستحم وتطفـي التهابـا
فعانقهـا فـي اشتيـاق المحـبّ وعاتبهـا فاستـساغت عتابـا
وقبلهـا فـي الجبيـن فكانـت تبادلـه أخريـاتٍ عذابـا
نـسيتُ الأسـى حينهـا والهمـوم نسيت العـذاب نسيت الصعابا[1]

فمع أنّ هذه القصيدة تصف منظراً طبيعياً للبحر والـشمس تغـرب فيـه ، إلا أن حالة الشاعر قد أثرت عليه، فأحالت الشاطئ تبراً مذاباً ، وخيوطاً كـأنما مـدّت لـتروي ألحان الغناء، والغناء المستطاب ، والشمس الهامسة ، والحنان المذاب ، كلها كان الشاعر الحـزين يفتقـر إليهـا ، ويتمنـى أن يجـدها ، فيتخيلهـا أمامـه عـلى هـذا الـشط ، وكـما أن الشمس قد استراحت من عناءِ التسيار ، وألقـت بجسمها الـشاحب في البحـر لتطفـئ لهيبها ، ولتعانق حبيبها البحر في لقاء غرامي عاصف ، فهو أيضاً ينتظر لقاءه ، ويرنو إلى إطفاء لهيبه .

(١) ترانيم على الشاطئ : ٦٤ – ٦٥ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ولم يقف الشعراء عند البحر في صورته المتكاملة ، بل تجاوزوه إلى المعاني والأشياء المتصلة به ، التي استنبطوها منه ، كحديثهم عن الشواطئ والأمواج ، والوقوف عند ظاهرة الماء وما يتفرغ منها من معاني المطر والأودية والسيول والأنهار والزوارق ، وغير ذلك [1] .

فهذا محمد بن علي السنوسي لا يقف عند الشكل الظاهر للبحر ، بل يعبر من خلاله عن رؤاه وفلسفته للطبيعة ، ويتحدث عن البحر بأسلوب تأملي ، فيطرح أسئلته الكثيرة التي تبحث عن إجابات مقنعة لم يهتد إليها في هذه الحياة ، أملاها عليه واقعه الذي يعيشه ، وحياة الناس ومواقفهم الكثيرة المتنوعة ، فيقول مخاطباً البحر في قصيدته (الموج والشاطئ):

ماذا يقول الموجُ للشاطيء في مدّه الهادر والهادئ
ومن ترى يعرف أسراره من كاتبٍ منا ومن قارئ
هيهات ذاك السّر سرّ عميق

ثم يقول :

يثرثر الإنسان منذ الأزل ثرثرة الموج بحضن الجبل
لكنه في غيّه لم يزل وكلما ازداد صعوداً نزل
لا يرعوي عن غيه أو يفيق [2]

يقول محمد حبيبي : ((**إنَّ السنوسي هنا يوظف المشهد الطبيعي توظيفاً موفقاً، يدل على دقة متابعته للأشياء من حوله ، فالموج يروم الارتقاء إلى أعالي الصخور ، لكن سرعان ما تنحسر مياهه معلنة خيبة الأمل . مثل الإنسان المتجاوز بطموحه قدراته ، حيث تتحول كل أفعاله إلى ثرثرة لا طائل من ورائها ؛ لأنها ستلاقي مصير الموج نفسه**

(١) انظر : الاتجاه الابتداعي في الشعر السعودي الحديث ، محمد حبيبي ، ١ / ١٤٤ .
(٢) الأعمال الكاملة : ٥٦١ – ٥٦٢ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

الذي يناطح الصخر . وهكذا استطاع السنوسي الوصول إلى ذروة الابتداع حينما تمكن من التوفيق بين حركة المشهد الطبيعي وتأثيرها على سلوك الإنسان)) [1] ، وخاصة في قوله :

تمـوج بالإنسـان أحلامـه وتـستثير القلـب آلامُـه
تمـضي لياليـه وأيامُـه والـشاطئ الجبـار قدّامـه
وهو بأمواج الأماني غريق
ما حيلتي يا نفس ما حيلتي والحمـأ المسنون مـن طينتـي
إذا تمـردت عـلى فطرتـي وخالفـت أهـواءهَا نزعـتي
شبّ لظاها واستطار الحريق [2]

وقد نجح السنوسي هنا في التمازج العاطفي بينه وبين البحر ، وفي التعبير عن فلسفته ورؤاه من خلال الرؤية اليومية والمتكررة للبحر ، تلك الرؤية التي لم تمر عليه مروراً ظاهرياً، بل دخلت في نفسه ، واتصلت بمشاعره .

ويبصرُ محمد العقيلي زورقاً من مكتبه المطل على البحر ، ويرى راكبه ينطلق إليه ليركبه مبتدئاً رحلة صيد ، هذا المنظر لم يكن ليمر عليه دون أن يستوحي منه معانٍ كثيرة تفاعلت في نفسه ، وجاءت الفرصة ليبرزها من خلال الزورق والصياد ، فيقول في قصيدته (زورق) :

يـا زورقاً من فـوق متن العبـاب ينساب رهواً كانسياب السحاب
يحيطـه جـوٌّ بديـعُ الـرؤى يوحي إلى روح الصبا والشباب
يداعـب الأمـواج فـي ميعـةٍ فتحتضنه كاحتضان الكعـاب
يعلـو علـى أثباجهـا تـارةً وتـارة يهبطهـا فـي غـلاب

(١) الاتجاه الابتداعي في الشعر السعودي الحديث ، محمد حبيبي ، ١ / ١٤٦ – ١٤٧ .
(٢) الأعمال الكاملة : ٥٦٢ – ٥٦٣ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

يعانــق البحــر اشتياقــاً ولــم يبــرح مــع تيــاره في عتــاب
شــقَّ سكــون اليــمّ يختــال فــي رشاقــةٍ ورقــةٍ وانــسياب
والموج سطرٌ إثر سطر جرى لا ينثني إلا من الشط قاب [1]

إنَّ روح الصبا والشباب التي يتوق إليها الشاعر وذكرياتها السالفة ، جزء من تلك الدوافع التي أوحت إلى الشاعر بتملي منظرٍ مألوف ، قد لا يأبه به الإنسان غير الشاعر ، وكذلك صراع الزورق وصاحبه مع البحر في صعودٍ وانحدار ، ومغالبةٍ وعناق ، إنما هو صراع الحياة وما فيها من صعودٍ ورقي ، وهبوط وانحدار ، ولقاء وفراق ، وهو أيضاً تسجيل للصراع المرير بين الطبيعة الحية التي أحسن الله خلقها ، وبين الإنسان وما يصنعه بيده ليخدمه ، أوما سخّر له من آلات . وكما هو البحر الكبير لا يستقر على حال ، ومن فوقه الزورق الصغير يتمايل ويترنح يمنة ويسرة ، كذلك الحياة الكبيرة وعلى متنها الشاعر، بل الإنسان لا يستقر ، ولا تتوقف به الحركة الموارة ، بل تسير مع أمانيه وأحلامه إلى آخر يوم في حياته ، وذلك هو الشاطئ الذي تقف عنده حركة الزورق بعد مدٍّ وجزر .

واتخاذ البحر وما يتصل به من مظاهر وسيلة للتعبير عن المعاني النفسية والعاطفية والرؤى الفنية ، كثير لدى شعراء جازان ، وخاصة في دلالات الحزن والرحلة المضنية في هذه الحياة ، فالزورق يطبق عليه البحر فيغرق ، والمجداف يسقط من يد الملاح ، والبعد بين هذا الصياد الغريق وبين الشط بعد ساحق ، فكيف السبيل إلى النجاة ، وهو تصوير للحياة وصراعها أصلاً ، وهو صراع مأخوذ من البحر ورحلة الإنسان معه ، فممن صوروا هذه المشاهد علي النعمي في قوله :

أيّ عيــشٍ ، أي حــزنٍ أوقفــا زورق الشاعر –غمطاً– وأضاعا؟
إنــه في اليــم حــيران وكــم أطبــق المــوج عليــه وتــداعى

(١) مجلة اليمامة ، ع ١٣٢٦ ، الأربعاء ٧ جمادى الأولى ، ١٤١٥هـ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

من يديه سقط المجداف في　　لحظة كان بها يهوى اندفاعا
بينه والشطّ بعدٌ ساحقٌ　　وهو لا يقدُمُ باعاً أو ذراعا [1]

وإبراهيم مفتاح يحذو حذو النعمي في التعبير عن أحزانه من خلال وصفه البحر، وتحطيمه للزورق تحطيم الحياة للأمال ، ومثلما يغرق الزورق تغرق الأحلام، فيقول :

هزّنا الشوق واستبدَّ الأوار　　للقاء أمضَّه الانتظارُ
إذ نشرنا الشراع ، واليمُّ يغفو　　في سكون يجلّه الإكبارُ
غير أنَّا والشط غير بعيدٍ　　سخرت من شراعنا الأقدارُ
حطّم الزورق الذي يتهادى　　وانتهى فجأة بنا المشوارُ [2]

ولم يكن الشعراء يتناسون في حديثهم عن البحر أنَّه مع كونه من أروع مظاهر الطبيعة ، ومن أجمل مخلوقات الله ، أنّه أيضاً مع هذا حين يقسو فإنّه ماردٌ لا يرحم ، وجبارٌ عنيد ، فإبراهيم صعابي يخاف على حبيبته من غدر البحار وقسوتها ، فيقول في قصيدة عنوانها (أخاف على حبيبتي من البحر) :

أخاف عليك من غدر البحار　　أخاف عليك من هذا الدوار
أخاف عليك من موت الأماني　　على عينيك أو موت النهار [3]

والبحر ليس بصديق له ؛ لأنه لا يعرف الصدق ولا الوفاء ، فالبحر غدار يفتك بكل من جاء إليه ، ومع هذا فهو معشوق على ما فيه من شقاء ، فيقول :

أعشقُ البحر وفي البحر شقاء　　ورؤى الزورق إن جاء المساء
ربما تبسمُ في ثغر الدجى　　قصة الأمس بألوان الضياء

(١) الرحيل إلى الأعماق : ٩٤ – ٩٥ .
(٢) عتاب إلى البحر : ٧٢ .
(٣) حبيبتي والبحر : ١٠٧ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ويغنـي المـوج لـي أغنيـة تسحر النفس بصوت الكبرياء
لا.. فما البحر صديقي إنني ما لمستُ الصدق فيه والوفاء[1]

وإبراهيم مفتاح كان يظن البحر وديعاً وصديقاً ، ولكنه يكتشفُ مع مرور الأيام أنَّه قاسٍ وجبار ، فيقول :

كم حسبناك يا خضمّ وديعاً وحسبنا الآمال فيك تدارُ
فغدونا نشق فيك عُباباً فيه تلهو النجوم والأقمار

ثم يتابع الشاعر حديثه إلى أن يقول مخاطباً البحر :

فتنةُ أنت للعيون ولكن حين تقسو فكافرٌ جبّار[2]

وإن كان الشاعر يعانق البحر في اشتياق ، فإنه في عتابٍ دائم معه وصراع مرير في رحلة طويلة ، البقاء فيها للأقوى ، يقول العقيلي في قصيدته السابقة (زورق) :

يعانق البحر اشتياقاً ولم يبرح مع تياره في عتاب[3]

يقول خالد الشافعي : ((**وإذا كانت هذه الصورة غير مناسبة لما هو معروف من الصراع من أجل البقاء بين البحر والبحار ، لكن العقيلي المحب للبحر يرتقي بهذا الصراع ليجعله مداعبة بين متحابين عاشقين ، وهذا ارتقاء بفنية الموضوع**)) [4] .

ولكن في نظري أنَّ تصوير العقيلي هذه العلاقات المختلفة ، هو تصوير شبه واقعي لعلاقة غير منفصلة بين البحر والبحار ، فالبحار لا يمكن أن يتخلى عن حبه للبحر مهما قسا البحر عليه ، وأنه وإن لقي المتاعب فيه ، فهو لا بدّ في يوم من الأيام عائد إليه ، وماخرٌ عبابه. وما أشار إليه العقيلي إنما هو جزء من ذلك الصراع ، ومن الصراع العناق والعتاب ، وإذا كان عناقاً فقط ، أو عتابٌ فقط ، لم يكن هناك صراع أصلاً .

(١) المصدر السابق : ١٢٣ .
(٢) عتاب إلى البحر : ٧٢ – ٧٣ .
(٣) مجلة اليمامة ، ع ١٣٢٦ ، ٧/ ٥/ ١٤١٥هـ .
(٤) شعر محمد أحمد العقيلي ، دراسة تحليلية : ١٩٣ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

وفي النصّ الآخر للعقيلي عن البحر نجده يجمع بين جبروت البحر ووداعته ، وبين طغيانه ورقته ، في إبراز لما هو من طبيعته ، ولا يمكن أن ينفك عنه ، فيقول:

والشط يطفح منساباً على دعةٍ　　مجعّد الوجه يستدني وينـدحر
يداعب الرمل في أثناء وثبته　　وينكفي راجعاً قد مسَّه حَصَرُ
والأرض نادية هفت نسائمها　　والآل مضطرب الأرجاء ينتشرُ
والعيسُ راسية طوراً وآونة　　تطفو رويداً وتبدو ثم تستترُ[1]

فالبحرعلى شدته وجبروته يأتي على دعةٍ إلى الشط ، فيجعله مجعّد الوجه ومنهكا ، ويداعب الرمل وينكسر ، إنه حشد لمجموعة من المظاهر في لوحة واحدة . والأبيات تقدم رسما متحركاً للبحر وأمواجه واضطرابها واصطدامها بالشاطئ ، والأرض كم هي ندية، والسفن التي قد استسلمت لهذا البحر العملاق ، فطوراً يعلو بها الموج ، فتبدو من بعيد ، ويخفضها الموج فتختفي .

بمثل هذا المنظور عالج العقيلي وغيره من شعراء جازان الطبيعة البحرية المحيطة بهم ، ولم يتجاوزوا الطبيعة الساكنة إلى المتحركة ، مع أنَّ طيور البحر وأسماكه لا تكاد تنفك من البحر لمن أراد وصفه ، ولكنهم يحصرون البحر في صورة أو زاوية واحدة للطبيعة الساكنة والصامتة دون إضافات ، وربما كان قصد الشعراء – كما تقدم – هو إبراز انعكاس البحر على الذات الإنسانية ، حين يجعل الشاعر البحر والحديث عنه إنما هو حديث عن النفس وما يختلج فيها من مشاعر آلامٍ أو آمال ، وليس الأمر كما يراه الأستاذ علي المصري في حديثه عن أبيات العقيلي السابقة ، حيث يقول : ((**وأما وصفه للبحر فيشدك جمال تصويره وبديع سبكه ، وتذهلك هذه الثروة اللغوية الرائعة من المفردات الغزيرة التي ينام عليها الشاعر ، وما هي إلا دليل على عمق ذلك المخزون الثقافي**

(١) المجموعة الشعرية : ١٤٧ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الذي تشكل في عالم الشاعر عبر السنين الطويلة من الدراسة في كتب التراث ...)) [1] .

فالحقيقة أنَّ المسألة ليست مخزوناً لغوياً أو ثراءً لفظياً حوته ذهنية الشاعر وطرحها في هذا الشكل ، فنحن نحسُّ مع هذه الألفاظ والعبارات تجربة صادقة عاشها الشاعر ، وتأثر بها، فتمكنت منه ، تلك هي تجربة الحياة وما فيها من ظروف وعقبات ؛ يتقلب في أجوائها الإنسان ، فما أن يرى البحر بأمواجه وسكونه وسعته وشطّه وزوارقه وبحّارته ، ما أن يرى ذلك حتى يبدأ في التنفيس عن مشاعره من خلال ذلك المرأى ، أو تلك المشاهد .

فهو حين يتحدث عن البحر وعن الشط وصراع البحر مع الشطّ ، أو صراعه مع راكب الزورق الصغير الذي فقد مجدافه ، إنما يتحدث عن الحياة وأحوالها ، وصراع بني البشر داخلها ، ذلك الصراع الذي لا يتوقف [2] .

٢- الجبل :

لقد حظي الجبل بنصيب كبير من اهتمام شعراء جازان ، لا سيما جبل فيفا ، إذ قلما تجد شاعراً منهم لم يتحد ث عن هذا الجبل ، واصفاً روعته ، وجلاله وشموخه ، أو قمته الساحقة ، ولكن أغلب الذين تحدثوا عن هذا الجبل كان حديثهم وصفاً لمظاهره ، ونقلاً لمعالمه كما هي ، دون تدخل منهم في تصويرٍ فني أعمق يخرج بالقصيدة من مجرد الوصف ، إلى آفاقٍ إنسانية أرحب ، إلا ما ندر عند بعض الشعراء ، وهم قلة .

محمد بن أحمد العقيلي يعد أول الشعراء الذين فتنوا بجبل (فيفا) ، فقصيدته المشهورة (جبل فيفا أو لبنان تهامة) التي نشرها سنة ١٣٦٦هـ ، فيها انتشاء بهذا المعلم الخلاّب ، والمنظر الساحر للعيون ، فخاطب العقيلي فيفا وجبلها خطاب العاشق المدلّه، خطاب أدب واستحياء ، يستأذنها في أن يصف معالمها ، ويرسم لوحة لها ، فقال :

(١) مع الأنغام المضيئة : ٥٥ .

(٢) انظر : شعر محمد أحمد العقيلي ، دراسة تحليلية : ١٩٧ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

فيفـاء هـل لي بـأن أجلـوك للفكـر　　في معرض الفن كالرسام للصور[1]

وحديث العقيلي عن الجبل كان حديثاً مليئاً بالتفاصيل الخارجية للجبل وما يحتويه، وما حوله من مظاهر ، وما اجتمع لـه من مؤثرات من غمام في النهار وشهب في الليل ، والجداول والغصون ، وسطوع الشمس في الصباح ، وما إلى ذلك، فيقول عن هذا الجبل :

طودٌ يناغي النجوم الزهر قد كسيت　　أرجاؤه بوريف الظل والشجر
يجلّل الغيم أدنى هامها وبها　　تبدو الطبيعة في شيء من الخفر
وروضة من رياض الخلد قد برزت　　إلى الوجود بأبهى الحسن والصور
قد نسقوها جنانا من مسافحها　　إلى أعالي الذرا من طودها النضر
يغدو الغمام عليها كل آونةٍ　　يسحّ منهمراً عن ريّق المطر[2]

وقد حشد العقيلي في تلك القصيدة كثيراً من الصور المتنوعة ، هادفاً إلى تقريب ذلك الجبل ووضعه أمام القارئ ، ومحاولاً إضفاء مسحة فنية من الجمال البكر الذي حفل به ذلك الجبل ، وإن ظلت القصيدة تصف مظاهر الطبيعة في فيفا ، كما هي دون تدخل الشاعر بتصوير فني أعمق يخرج بالقصيدة عن مجرد الوصف ، وليس هناك مزية للشاعر غير الوصف؛ لذلك فإنَّ (علي المصري) قد بالغ في وصفه لقدرة الشاعر الفنية في هذه القصيدة، حين قال : ((**ويتفنن الشاعر في وصف هذا الجبل بقدرة ساحر يخلب اللبّ ، ويستبي العقول ... وهو في كل ذلك رائع الأسلوب ، فصيح العبارة ، شامخ الخيال ، متدفق العاطفة ، وتحار بأي الأبيات تستشهد**))[3] .

وعلى المنوال نفسه سار علي النعمي في حديثه عن فيفا وجبلها ، فبعد أن عانى

(١) المجموعة الشعرية : ٣٣٥ .
(٢) المصدر السابق : ٣٣٥ – ٣٣٦ .
(٣) مع الأنغام المضيئة ، ٤٨ – ٤٩ ، وانظر : شعر محمد أحمد العقيلي ، دراسة تحليلية ، خالد الشافعي: ١٤٥ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

رحلة شاقة في الوصول إليها – قبل أن تصلها يد التطوير – كان أول ما لفت انتباهه هو تلك القمة الشامخة ، وأن رؤية تلك المغاني خففت آلامه وأتعابه ، وبما أن وصوله كان عند الغروب ، فما أجمل غروب الشمس ومرآه من على تلك القمة ، يقول :

من يطلب الحسن لم يظفر بغايته بلا عناءٍ وآلامٍ يقاسيها
وهكذا حسن فيفا لا تلذ به إلا بأشيا من الضرَّا تعانيها
وبانت القمة الشماء باذخة فازددت شوقاً وعزماً كي آلاقيها
ومالت الشمس نحو الغرب راحلة فأتلعت جيدها فيفا تواريها[1]

ووصف علي النعمي لفيفا لم يخرج عن الوصف الظاهري ، مثله مثل محمد العقيلي، فهي جنةٌ من نعيم لا يمكن للفكر أن يحيط بها ، بل هي لحن من الألحان ، أو سحر فتان لا يمكن للعين أن تملّ أو تقنع من رؤيتها ، وللخيال أن يرتد من تقريها، فيقول :

فيفاء لحن من الألحان موسقها تماوج البنّ في أكناف واديها
فيفاء صوت ندي صيغ من ألقٍ يبثه العطر من مخضلّ كاذيها
وجنة من نعيم ما ألمّ بها فكر . . وهيهات للأفكار تحويها
أزهارها والضباب الحلو يلثمها أشجارها وارتخاء الطل يرويها
عرارها والسحاب الجون يغمره زخاته في وشاح زادها تيها
دنيا من السحر بالأشذاء هامسة وروضة والرؤى الجذلى تفاديها
مدرجاتٌ كما اللبّاتِ هائمةٌ على صدور العذارى في تساويها
لا تشبع العين من مرأى تسلسلها ولا يمل خيال من تقرّيها[2]

أما علي بن حسين الفيفي فإنه يسلك مسلكا آخر في حديثه عن فيفا ، فيبهره

(١) الأرض والعشق : ٤٨ .
(٢) المصدر السابق : ٤٨ – ٤٩ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

دائماً قمتها السامقة ، فالسحاب مظللٌ لتلك الجبال ، وبينهما عشق خاص ، فيقول في قصيدة عنوانها (فيفا) :

هذا السحاب مظللٌ لجبالها　　كالعاشق المُضنى بسحر جمالها

ولربما حجب النجوم لأنه　　قد غار من لمعانها وجلالها (١)

ويكفى تلك القمة علواً وشموخاً ، أنَّ البدر إذا مرَّ من على هذه الجبال العالية يكاد يلامسها ، وأنَّه يُري جبال الألب العالية ، ويخبرها بما عليه هذه الجبال من الجمال والجلال، فيكون البدر هو المذيع لذلك السحر والكمال ، فيقول في لوحة جميلة ساعد على فنيتها الصورة الجديدة ، والاستعارات المتلاحقة :

والبدر يشرق في بهاء جماله　　ويكاد يدنو سائلاً عن حالها

ويكاد حين يمرُّ من أجوائها　　يشدو بسحر جمالها وكمالها

ويرى الدُّنا تزهو بفيفاها على　　ما فوقها من شامخات جبالها

ويري جبال الألب في عليائها　　قمما تهاب النفس من أهوالها (٢)

وقد سلك هذا المسلك كثير من الشعراء (٣) في وصفهم الظاهري لفيفا ، دون الولوج إلى العالم الآخر لذلك الجبل ، والتأمل في مجاله وأحواله ، كما صنع كثير من الشعراء المحدثين الذين استوقفهم الجبل ، واسترعى انتباهم إلى قضايا غير شكلية وعالم أرحب ، ومن شعراء جازان الذين تجاوزوا الوصف التقليدي للجبل إلى الولوج في أسراره والتأمل فيه ، محمد بن علي السنوسي ، فقد تحدث عن (جبل فيفا) في قصيدة بهذا العنوان، وتميز حديثه عن الجبل بأمرين : أولهما : تركيز الحديث على الجبل نفسه

---

(١) أزهار : ١٠٥ .

(٢) المصدر السابق : الصفحة نفسها .

(٣) انظر مثلاً : الطيف العابر ، علي بن قاسم الفيفي : ١٠٧ ، وومض الخاطر ، علي بن قاسم الفيفي : ١٦٠ ، ونبض القوافي ، علي مديش بجوي : ١٠٩ ، وأصداء الذكريات ، علي بن حسين الفيفي : ٣٧ ، وفرجة النظر ، الشعفي : ١ / ١١٤ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

والاستغراق في التأمل فيه ، وثانيهما : الحديث عن النفس من خلال الحديث عن الجبل وإبراز الرؤى الفكرية ، والمشاعر الذاتية التي برزت أو أذكاها مرأى هذا الجبل العملاق . يقول السنوسي متحدثاً عن الإبداع الإلهي لهذا الجبل ، والصنعة الباهرة فيه :

متحف من أشعة وظلال ... في إطار من نضرةٍ واخضلال
سابحٍ في الفضاء يغمره النور ... بفيضٍ من السنا والجلال
يتحدى الذرى ويخترق السحـ ... ـب ويزهو في عزة واختيال
صنعة المبدع المصور جل اللـ ... ـه ربي رب العلى والكمال
جبل تعشق النجوم مجاليه ... وتصبو إلى ذراه العوالي
يزحم النيرات منكبه الضخم ... ويحتكُّ بالسهى والهلال
مشرئب إلى السماء برأسٍ ... صلف في شموخه متعالي[1]

وقد حرص السنوسي على إبراز معاني الشموخ والتعالي والسمو في هذا الجبل من خلال التكثيف اللغوي للدلالات والكلمات في سياق واحد ، وباختيار دقيق ، فكلمات (يتحدى ، يزهو ، عزة ، اختيال ، العوالي ، يزحم ، الضخم ، مشرئب ، صلف، شموخه، متعالي) كلها تصب في طريق واحد ، وهو الحرص على إشعار القارئ بذلك السمو وتلك الرفعة لهذا الجبل ، والشاعر في هذا ينطلق من منطلق ذاتي، وشعور نفسي ، فطموحه هو الذي قاده إلى هذا الجبل ، وشبيه الشيء منجذب إليه ، وأنَّه من قومٍ دأبهم صراع المحال ، وقهر الردى ، وتحدي العوالي ، وعدم الانهزام أمام الصعاب ، فصعوده هذا الجبل قاده إلى عدد من الرؤى والتأملات الذاتية في نفسه والنفس الإنسانية عموماً ، تلك النفس السامية التي يعشقها الشاعر أنّى كانت ، مثلما يعشق هذا الجبل في شموخه ، فهو يحب كلَّ سامٍ ، ويهفو إلى الانتصار على الأهوال ، فيقول :

(١) الأعمال الكاملة : ٣٤٠ – ٣٤١ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

شاقنـي ذلـك الـسمو ولي قلـ ـب ولـوع بكـل سـام وعـال
كلـف بالـسمو أنَّـى تجلّـى شـامخاً في الجبـال أو في الرجـال
فتـصعدته ويممـتُ وجهـي شطـره فـي تقـدمٍ ونـضال
وركبت الصعاب وانتصر الشـ ـوق بقلبـي عـلى الـونى والكـلال
ذاك دأبي ودأب قومي مدى الد هـر صراع الردى وقهر المحال [1]

ولم يكن جبل فيفا هو الجبل الوحيد الذي استأثر باهتمام الشعراء، فهناك جبال أخرى ، لعل من أبرزها (جبل القهر) ، ذلك الجبل الفريد في شكله وتكوينه ، الذي تنام تحته السحب ، وهو مع ذلك ممتنع على بني البشر ، إذ كان يظنُّ في القديم أنَّ الوصول إلى أعلاه غير ممكن ، بل لقد سُميت قمُته بـ(جلة الموت) دلالة على مدى ارتفاعه ، وصعوبة الوصول إلى منتهاه ، ولكن مع تقدم الحياة وتطورها ، استطاع الإنسان أن يقهر تلك القمة الشامخة على جبل القهر ، وعندما وصل إليها تحدث عنها ، فهذا الشاعر محمد العقيلي ، يقول:

ومعقلٍ ظلَّ مهد الجـور ممتنعاً عـن كـل خاطـب ودٍّ بابـه غلـق
طودٌ أشـمُّ تفـوت السحبَ قنتّه ولـيس للطـرف في عليـاه مخـترقُ
يلوذ بالنجم أعلاه وقـد رسخت منه شماريخ فيها النمل ينـزلق [2]

فهـذا الجبـل المنيـع ينفـرد عـن غـيره مـن الجبـال ، إذ ينحـدر انحـداراً شـديداً ، وصخوره حادة مدببة ، كأنها السيوف رهافة ، وقمته ترهق الطير أن يصل إليها ، بل إن النجم في السماء يخشى أن تلامسه قمة ذلك الجبل ، يقول العقيلي متحدثاً عن ذلك حديثاً عابراً ضمن وصفه لمعركة (الريث) التي وقعت سنة ١٣٧٥هـ :

رقـوا في أصيـدٍ فـردٍ منيـفٍ كحدِّ السيف قد عزَّ اقتحامه

(١) المصدر السابق : ٣٤٤ .
(٢) المجموعة الشعرية : ١٩٤ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

تفـوت الطـير قمّتـه علـواً ويخشى النجم أن يلمس سنامه[1]

وتحدث محمد بن علي السنوسي عن هذا الجبل حديثاً تقليدياً كزميله العقيلي ، واصفاً شموخه وارتفاعه ، وانبهار الرياح به ، وأنَّ الرياح قد عقدت إزاراً عليه ، وهو في حديثه عن جبل القهر يستوحي حديث ابن خفاجه عن الجبل ، وخاصة في إشارته إلى الأمم التي مرت به ، والأساطير التي نسجت حوله ، فيقول :

جبلٌ شامخ الشموخ يرى الأرض بعـ ـين يـزور عنهـا ازورارا
قـام بـين الـسماء والأرض منـه حائط يمنع السحاب انتشارا
يتشظى على جوانبه البرق شـوا ظـاً ونيزكـاً وشـرارا
قمـم تفحـم الريـاح فتعلـو نفساً في صعودها وانبهارا
وذرى يعقـد الـضباب بـروداً فـوق هاماتها ويضفي إزارا
درجـت حولـه الأحـاديث أطفـا لاً ، ومرت به الدهور صغارا[2]

وممن تحدثوا عن هذا الجبل الشاعر محمد بن أحمد الشنقيطي ، الذي يقول :

للريث سحر مداه الشمس والقمر وفوق قمته للنفس مُختصر
هنـاك فـي قمـة بيـضاء شـاهقة رأيت منتزها يحلو به السَّمر[3]

وتحدث الشاعر إبراهيم الرفاعي[4] عن هذا الجبل ، وأورد معنى جميلاً في وصفه لجبال الريث ، ومنها جبل القهر ، تحدث عن العلاقة العاطفية بين جبل القهر والبحر ، فهما وإن كانت بينهما مسافة شاسعة ، فالجبل في أقصى الشرق من جازان ، والبحر في منتهى الغرب منها ، ومع ذلك فالغرام بينهما موصول ، يقول :

(١) المصدر السابق : ٢٧٤ .
(٢) الأعمال الكاملة : ٢٠٤ – ٢٠٥ .
(٣) قلب يتنفس : ٥٧ .
(٤) لم أعثر له على ترجمة .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

يدغدغ النفس لحنٌ صاغه وترٌ　　سحر حلال وعقد نظمه درُ
أنغامه من أريج الريث قد عزفت　　وفنه من نسيم القهر مبتكرُ
جبالها تيّمت في الحب عاشقها　　وقبلّت سُحباً فاسترسل المطرُ
تشاطر البحر ألوان الغرام هوى　　فالماء منها إلى جازان ينحدرُ[1]

فهذه الجبال المشهورة بكثرة أمطارها ، دائماً تُقّبل السحب فينهمر منها المطر ، هذا المطر ترسله عبر منحدراتها إلى الأودية الواسعة التي تصب في البحر ، هناك عند جازان عنوان هوى ومحبة ، ودليل غرام ووله .

ولم يكتف الشعراء في وصفهم للجبل ، بالاقتصار على الجبل المشاهد في بيئتهم المحلية، بل تجاوزوه إلى الجبل في بقاع شتى، إعجاباً بروعة الإبداع الإلهي، والاتقان العجيب، فتلك القمة السامقة ، أعلى قمة في الأرض (قمة أفرست) أثارت اهتمام الشعراء، وخاصة عندما امتطى صهوتها الإنسان ، وبلغ ذروتها وهي تجاوز ثمانية آلاف متر فوق سطح البحر ، ذلك المشهد أغرى الشاعر محمد بن أحمد العقيلي بتسجيل إعجابه قائلاً :

أقمة فوق سطح الأرض أم دارُ　　أم فرقدٌ للدراري فيه أوكارُ
تناط بالقبة الزرقاء شامخةً　　نافت لها فوق هام السحب أوكارُ
ترنو إلى الفلك الدوار في عظم　　كأنها كوكبٌ في الأفق سيّارُ
تحني الرياح لها الهامات صاغرة　　ويقرع البرق من أحجارها نارُ
طوى الليالي وجاز الدهر أحجية　　حوته بين ثنايا الغيب أسرارُ
تحوطها روعة التقديس في ملأ　　للهند فيه أحاديث وأخبارُ

(١) قلب يتنفس : ٥٩ . وقصيدة الرفاعي أوردها الشنقيطي ؛ لأنها معارضة لقصيدته السابقة التي منها البيتان المذكوران .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

خلت من الإنس إلا كل شاهقةٍ نمت بها كرؤوس الجنّ أشجارُ [1]

وهو في وصفه لهذه القمة لم يخرج بجديد أو يبحر في عالم أوسع من التأمل والبحث عن الأسرار والآفاق الإنسانية التي برزت عند بعض الشعراء المعاصرين الذين تحدثوا عن الجبل ، فحديثه هنا لم يتجاوز الاشارات الظاهرية ، والرسم المباشر، والمعاني المكررة ، فالرياح لا تستطيع الوصول إلى تلك القمة ، فليس أمامها إلا أن تحني هامتها صاغرة ، بل حتى البرق أضحى لشدة قربه وملامسته لها يذكي النيران من أحجارها ، وظلت تلك القمة لغزاً حار فيه العلماء ، فاكتسبت هالة من العظمة ، وكونت سفراً من الأساطير والخرافات لدى الهنود ، ولكنها تكتشف بعد ذلك، وتفصح عن أسرارها .

٣- الليل :

لقد نال الليل حظاً وافرا من النسيب والهيام ، وأبحر الشعراء في فضائه الحالم، فهو وسادة لكل متعب ، ووشاح لكل عاشق ، تضجّر منه امرؤ القيس لما طال عليه، فتمنّى رحيله ، وجثمت ليلة ثقيلة وكئيبة على النابغة الذبياني ، فبات يتململ تململ السليم ، حتى قيل بعد ذلك : (ليلة نابغية) ، بالليل يبدأ أهل المواويل مواويلهم ، وفي الليل السكن والهدوء ، واختلاء المرء بنفسه وبربه ، وكما يقول عبدالله الفيفي [2] :

والليل سلطان القلوب إذا يشاء يبيحُ صرحه
أو يهصرُ المهج البريئة بالعذاب يضمُّ جُنْحه [3]

(١) المجموعة الشعرية الكاملة : ٣٨٣ – ٣٨٦ .

(٢) هو عبدالله بن أحمد بن علي الفيفي ، ولد بفيفا سنة ١٣٨٢هـ ، ودرس بها ، ثم التحق بجامعة الملك سعود ، وحصل على شهادة البكالوريوس منها ، ثم بعد ذلك الماجستير والدكتوراه ، له ديوان شعر هو (إذا ما الليل أغرقني) ، ومن مؤلفاته : (شعر ابن مقبل بين الإسلامي وقلق الخضرمة) ، وهو من إصدارات نادي جازان الأدبي . انظر ترجمته في : ديوان : ومض الخاطر ، لعلي بن قاسم الفيفي : ٢١٧ ، وشعراء الجزيرة العربية في العصر الحديث ، للحقيل ١/ ٢٣٤ وغيرهما .

(٣) إذا ما الليل أغرقني : ٢٧ – ٢٨ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

كان حديث شعراء جازان عن الليل هو الحديث المألوف عند الشعراء ، إذ لم يكن يتجاوز الشكوى والتداعيات الحزينة ، والضجر والتبرم من طول الليل ، وتمنّي رحيله بسرعة ليحل الفجر والفرج .

فعلي السنوسي تحدث عن الليل في مقدمة قصيدته حديثاً تقليدياً ، مصوراً الأرق والسهر وظلام الليل الكئيب ، مستعيناً بالاستعارات المتضافرة على رسم المشهد القاتم لذلك الليل ، فهو كالحية الخبيثة التي تمجّ لعابها ، ولم يتجاوز الشاعر الرسم الظاهري إلى غيره ، فيقول :

طار نومي وكوكبُ الليل غابا والدُّجى أرقمٌ يمجُّ لُعَابا (١)

والليل قرين الحزن عند علي النعمي في قوله :

الليل والقلم الحزين هما معي في وحدتي وبقية من أدمعي

والآه يا لآه زاد لهيبها فكأنها نار تشب بأضلعي (٢)

فالشاعر ينظر لليل من خلال زاوية واحدة ، هي الزاوية المألوفة الحزينة ، حيث يجلس الشاعر في وحدته لا يوجد معه سوى قلمه ، وبقايا دموعه ، وآهات مترددة .

ومثل النعمي ، نجد حسين النجمي يعيش الليل هو وقنديله وقيثارته وحزنه وسهره وتعبه والآمه ، ومع أنه قد حاول الولوج إلى عالم الليل وأسراره ، إلا إنها محاولة لم تكتمل، إذ بقيت الصورة التقليدية المألوفة مهيمنة على السياق ، وإن سيق في شكل جديد ، حيث يقول :

الليل والقنديل ..

والقيثارة الحزينة ..

وسهر الشوق بأهداب العيون المتعبة

(١) المفقود من شعر علي بن محمد السنوسي : ١٥١ .

(٢) الأرض والعشق : ٨٤ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

والأمل المرسوم
في لألأة النجوم
وثورة المشاعر الدفينة (١)

ويظل الحزن قرين الليل عند حسين سهيل (٢) مثله مثل الشعراء السابقين ، وتهيمن لغة الصمت على رؤيته لليل ، وحديثه كلّه شكوى وبث للآلام ، فهو تحت هذا الليل لم يعد سوى قلب فقط وحطام متناثر ، وبقايا هيكل لشخص ، والأغنيات ماتت في نفسه ، في هوّة سوداء ، وظلمه خرساء ، وحزنٍ لا يبرحُ ولا يغادر ، فيقول :

لا تسلني أيها الليل إذا جَنَّ الظلامُ
فأنا تحت الدجى قلبٌ ، وروحٌ ، وحطام
وبقايا هيكلٍ مضنى تغشاه السقام
أترى يا ليل يلقاني – إذا سرتُ – الختام

. . .

في ظلام الهوّة السوداء أخفيتَ لحوني
في كهوف الظلمة الخرساء أنبت أنيني
وعلى صمت القبور الدائرات من السنين
نحت يا قلبي بأنَّات الحزين

(١) عيناك في وقت الرحيل : ٣١ .

(٢) هو حسين بن محمد أحمد علي سهيل ، ولد بجزيرة فرسان سنة ١٣٨٠هـ ، درس الابتدائية والمتوسطة بها ، ثم التحق بمعهد المعلمين بجازان ، وحصل على شهادته سنة ١٣٩٨هـ / ١٣٩٩هـ ، وبعد تخرجه عين مدرساً في فرسان ، وفي سنة ١٤٠٥هـ / ١٤٠٦هـ ، حصل على دبلوم الكلية المتوسطة بجازان ، وهو عضو بنادي جازان الأدبي ونادي الصواري بفرسان ، له مشاركات ثقافية واسعة ،من أعماله الشعرية (أشرعة الصمت) ، و (للأقمار باب) . انظر ترجمته في : التاريخ الأدبي لمنطقة جازان ٣/ ١٤٢٢، وفرجة النظر ، للشعفي ١/ ٢٦١ ، وشعراء الجزيرة العربية في العصر الحديث ، للحقيل ١/ ١٣١ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

أيهـا الليـل لقـد ماتـت بنفـسي الأغنيـات
حـين ناحـت لغـةُ الحـزنِ بقلبـي والـشكاة[1]

وتظل أسطورة الليل الطويل الملقي بكلكله ، والجاثم على النفس مادة كبيرة ومنهلاً واسعاً للشعراء ، منذ أن قال الشاعر :

ألا أيها الليل الطويل ألا انجلي بصبح وما الإصباح منك بأمثل

إلى يومنا هذا ، فالشاعر إبراهيم مفتاح لطول ليله وما فيه من قلق ، لم يعد له سحر يؤذن بالفجر ونهاية الظلام المر ، فيقول :

نجـومُ الليـل تـصحبُه مـع الأشـجان في سـمره
وطـول الوقـت يقلقُلـه وكـم قـد ضـاق مـن قـصره
فيعـصر مهجـة حـرّى ويـسكبها عـلى وتـره
كـأنَّ بـساطه وهـجٌ يقلبّـه علـى شـرره
فتـصدر عنـه أنـاتٌ تترجـم منتهـى كـوره
بـلا طعـم مـشاعره ولا معـنى رؤى صـوره
وأيـام الهـوى ذهبـت بليـل لم يعـد سحُـره[2]

وحديث الشاعر عن الليل الطويل ، ليس مقصوداً لذاته ، وإنما لما في ذلك الليل من قلق وهموم ، وأحزان وغموم ، لذلك يطول مع أنه قد يكون قصيراً على أهل السعادة والهناء؛ فلذا يتمنى الشاعر أن يرى الصبح ليرى الأمل ؛ لأن الصبح مقرون به دائماً ، ولكن همه أن ينجلي من كآبة الوحدة ، ليشرق فجر جديد ، فيسمع صياح ديك ،

(١) أشرعة الصمت : ٤٣ .
(٢) عتاب إلى البحر : ٨٦ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

أو زقزقة عصفور ، فيحس بالخروج من سجن الظلام ، فلذا قال مفتاح : إن ليله لم يعد سحرُه ، ومثله عبدالله الفيفي الذي صوّر ليله الطويل المليء بالأرق حتى لكأنه قد أضاع صبحه ، ولم يجد إليه سبيلا ، فهو يقول :

أرقٌ يطـــول كأنّمـــا ضـلّت دروبُ الليـل صُـبْحَه
سـطّر سـمير الليـل همّـي لا تـدع في الليـل صفحـه
فـإذا غفـوتُ .. إليـك عنّـي كُلَّمـا سـطّرتَ فامْحَـه [1]

وقد حاول عدد من الشعراء الخروج عن هذا الخط المألوف والنمط المطروق في الحديث عن الليل إلى إبراز جوانب خفية غير مألوفة ، ثم ربطها بتجاربهم النفسية، ومزجها بخصوصياتهم الشعرية ، مما جعل طرقهم لليل يأتي في شكل آخر ثري بالحياة والعمق ، وبعيد عن رتابة التقليد ، وحرارة الشكوى منه .

فالليل عند السنوسي له طعم آخر ، وشكل آخر ، فهو ليل الريف الذي لا يشبه ليل المدن الصاخب، المليء بالضوضاء . ذلك الليل الذي صوّره لنا في هيئة ملك ضافي الجناحين، أو فيلسوف حكيم ، أو شاعر عبقري ؛ لأن السنوسي بحسّه الريفي – كما تقدم – لا يودّ تصوير ليله تصويراً مألوفاً ، بل كان يهدف إلى رسم صورة أخرى عن ليل بريء هادئ ، مطرّز بالنجوم ، ليلٌ غير ذاك الذي افتقد طبيعته في المدن بسبب كثرة الثريات والكهارب . يقول السنوسي في قصيدته (الليل في الريف):

الليل في الريف غير الليل في المدن فافتح ذراعيك للأرياف واحتضنِ
واستقبـل الليـل فيهـا إنـه ملَـك ضافي الجناحين يغري العين بالوسنِ
كأنـه فيلـسوف مطـرقٌ عجبـا مما يـرى في حياة الناس من درنِ
أو شـاعر عبقـريٌّ الفكـر منغمـرٌ في لجة الوحي لا يدري عن الزمنِ
أو خاطرٌ في ضميرٍ بـات منفصلاً بطهـره ومزايـاه عـن الإحـنِ

(١) إذا ما الليل أغرقني : ٣٠ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

أو عاشــق غــارقٌ في حــب فاتنــةٍ　　فليس يعنيه شيء كان أو يكنِ [1]

حيث استطاع السنوسي توظيف روحه الريفية في الخروج بليل مغاير، لـه نكهـة القرى التي يحل فيها ، مقدماً رؤية جديدة ، وصورة أخرى لليل [2] .

وفي رؤية تأملية لعلي النعمي في عالم الليل ، حيث الخلـوة والإحساس بالرحلـة في عالم النفس ، والقرب من الله ، فإنَّ الليل هو الموعد لـذلك اللقـاء الروحـاني المغمـور بالبشرى والسنا وراحة النفس ، إنها بحبوحة مـن العـيش ، وسـاعة تجلي لا تقاربهـا أي ساعة ، فيقول :

في الليــل يالليــل لمــا اعتكــر　　وليس من نجـمٍ يُرى أو قمـر
كم هاتفٍ يسري ؟! وكـم عالـمٍ　　يجري ؟! وكم ما بينها من صور؟
في الليـل ، والليـل صديـقٌ لمـن　　أحــبَّ في الله ضروب الــسهر
خـلا عـن النـاس، وخلَّـى لهـم　　دُينَاهُمُ ، واعتـاضَ عنهـا الـذِّكر
وبــات في بحبوحــةٍ مــن سنىً　　يغمُــرهُ بالبُـشريـات الــسَّحر
يظـلُّ يُرخـي الـسمعَ في لهفـةٍ　　لهــاتفٍ في العالــم المُحتَـضَر
يدعوه ما أحلى ، وأشهى السّرُى　　للنفسِ إن ليلٌ سجـى واعتكـر [3]

هذا هو عالم النعمي ، وصوره من نفسيته ، عـلي النعمـي الـذي أحـبَّ الخلـوة ، الذي عشق البساطة والانزواء ، والرحلة في عالم الذات الخاص ، هـذا هـو الليـل عنـده فرصة للخلوة والوحدة واعتزال الناس ، وهروب من عالمهم إلى عالم آخر ، هروب من البشر إلى ربّ البشر ، إذن فالليل هو صديق حميم له ولأمثاله .

وإن كان إبراهيم مفتاح قد اشتكى إبان حزنه وقلقه ، وفي لحظات محاولـة حـب

(١) الأعمال الكاملة : ٦٤٠ .
(٢) انظر : الاتجاه الابتداعي في الشعر السعودي الحديث ، محمد حمود حبيبي : ١ / ١٥٤ – ١٥٥ .
(٣) جراح قلب : ٨٤ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

فاشلة مرت به من الليل وقسوته ، وطوله ومرارته ، إلا أنه في لحظات أخرى مرَّ بها ، وهي لحظات وصل وغرام ، وتجليات إحساس بالسعادة الغامرة ، كان له مع الليل موقف آخر مغاير لذلك الموقف السابق ، فالليل لم يعد طويلاً ، بل إنَّه ليرحل والعيون خلفه حسيرة ، تتمنى أن لو يقف ولو للحظات ، وأصبح للسهر طعمٌ خاص ، ومذاق مختلف ، ولليل صورة جميلة كفاتنة أسدلت شعرها على كتفها ، فخيم سواد بهيج يحمل معه المسرات ، يقول في قصيدته (ولم يدرك صباح شهرزاد) :

في ليالي الوصل كانت
ترتمي شمس النهار
تلد الأنجم والهمس
وأحياناً تبوح
...
كان شعر الليل
مجدولاً على كتف المساء
وشفاه الأعين كانت
تحتسي طعم السهر (١)

وكان رحيل هذا الليل هو الحزن نفسه ؛ إذ قصة الحب لم تقف عند خاتمة معينة أو مقطع يصلح للوقوف ، كما حصل في أسطورة ألف ليلة وليلة ، إذ كان هناك ديك يصيح، وصباح يحين لتتوقف الحكاية ، وهنا ما زالت الحكاية في ذروتها ، ولحظات البوح في أوج حرارتها ، ولكنه رحل ، فيقول :

لا تدعني أغمد النظرات
في جوف الخيالات وعمق المستحيل

(١) احمرار الصمت : ٦٢ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

رحل الليل ولم ينصت لشيء شهريار
لم يصح ديك
ولم يدرك صباح شهرزاد [1]

ومن أصدقاء الليل إبراهيم صعابي ، فهو يرى أن الليل هو الخل الوفي ، ففيه مسرح كبير للحياة السعيدة . وفي مخالفة لكثير من الشعراء نزع صعابي منزعاً مختلفاً ، وسلك طريقاً جديداً ، إذ يرى أنَّ الفجر تحلّ ببزوغه ألوان العذاب ، بل إنه مؤذن بالغربة الشعورية [2] ، فيقول :

قد يعيش المرء في ليل طويل يرفض الفجر متى جلّى لثامه
يتسلّى بأنين الحزن حينا ليلاقي في رؤى المجد غرامه
كم أرى في الليل من خلٍّ وفيٍّ ملأ الدنيا نفوساً مستهامه
وأرى في الفجر ألوان عذابٍ واغترابٍ أجهد النفس ملامه [3]

والشاعر في ذلك ينطلق من نفسية حزينة ، ورؤية خيّم عليها اليأس والإحباط ، ولذا فإن إحساس الشاعر بها كان واضحاً في قوله في آخر القصيدة :

كيف ترجو أملاً منّي ودوماً ينصب اليأس على دربي خيامه
كيف ترجو بسمة منّي وجرحي علّق البؤسُ على صدري وسامه[4]

ومع هذا فيظل الليل هو راحة المتعبين ، وملتقى العاشقين ، كما يقول الشاعر أحمد

(١) المصدر السابق : ٦٣ .

(٢) كثير من الشعراء يرون أن الفجر هو عنوان الأمل ، ومعه تتحقق الأحلام ، كما يقول الشاعر محمد عبده شبيلي:

والفجر مولد مركب خرجت فيه فلول السعد والبشر

انظر : التاريخ الأدبي : ٣ / ١٧٨٤ ، وانظر : حديث الشعراء عن ذلك في : أول الغيث ، للبهكلي : ١١٠ ، وتأملات على مرافئ الغربة ، للنجمي : ٩٣ وغيرها .

(٣) حبيبتي والبحر : ٧٠ .

(٤) المصدر السابق : ٧١ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الحربي [1] :

والليل أغنية الحياري التائهين

أنشودة للمتعبين

وراحة للهاربين من الشقاء المرّ

من مكر دفين [2]

ومهما قسا هذا الليل ، أو تطاول ، أو عبسَ بوجهه ، أو فتّت ما تبقى من أهازيج الحنين ، فإنه ما زال يسقى رحيقه كل طالب ، ويمدّ يده لكل عاشق ، إذ يقول الحربي:

ما زال وجه الليل

ينسج من عباءته

دثار الراحة الجذلى لكل المتعبين

ما زال يسقي اللحظة الوجلى

دماء الشاحبين [3]

هذا هو الليل شكل آخر مختلف عما هو عليه عند الشعراء المقلدين في عرضهم المألوف، لقد تحول إلى رؤى جديدة ، لكل شاعر رؤيته ، وعالمه الذي ينطلق منه .

٤- القمر :

لم يكن الحديث عن القمر أو البدر بالشيء الجديد ، فالشعراء منذ العصر الجاهلي ما فتئوا يتغنون بالقمر ، فهو خدينُ العشاق ، ومحط عيون الباحثين عن الجمال ، وكان

(١) هو أحمد بن إبراهيم الحربي ، ولد في قرية القرفي بمنطقة جازان سنة ١٣٧٦هـ / ١٩٥٧م ، حصل على دبلوم كلية المعلمين في أبها سنة ١٤٠٠هـ ، يعمل في مهنة التدريس بجازان ، وهو عضو بنادي جازان الأدبي ونادي أبها الأدبي ، له عدد من الدواوين الشعرية ، طبع منها رحلة الأمس ، وتقاسيم على جذع نخلة الوادي ، وكتب عن شعره عدد من الدارسين . انظر ترجمته في : معجم البابطين للشعراء العرب المعاصرين : ١/ ١٧٤ .

(٢) تقاسيم على جذع نخلة الوادي : ٢٨ .

(٣) المصدر السابق : ٢٩ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

هو المثال المتناهي في الجمال والصفاء ، والوضاءة والسناء ، به يشبَّه وجه الحبيبة ، وإن رقّت في الحُسن فهي أجمل منه ، وقد يشبه به جمالها بوجه عام .

وانطلاقاً من هذا المفهوم ، تحدث الشعراء في جازان عن القمر ذاك الحديث المألوف، فالمحبوبة تستمد جمالها من نور القمر الوضيء ، كما يقول محمد أحمد العقيلي في قصيدته (على ضفاف فوار انطلياس) :

جمالكِ من نفحات السماء　　وضوء الدراري ونور القمر [1]

ويرتقي الشاعر محمد أحمد الشنقيطي بمحبوبته إلى أن تكون هي القمر نفسه ، فيقول مخاطبها لها :

أيا حسناء يا سَحَرُ　　أيا حوراء يا قمرُ

وهبتك صفو أحلامي　　وها أنا بعد أنتظرُ [2]

وأحياناً يزداد توهج هذه المحبوبة جمالاً وألقاً ، ويشع وضاءةً ونوراً حتى يصل إلى حد الإحراق ، فأين النجم في تلألئه ، بل أين القمر في نوره وتوهجه من هذه المحبوبة المثالية ، هذا هو وصف العقيلي لها ، حيث يقول :

الماسة السوداء[3] يا للهوى　　تشعُّ إشعاعاً يروق البصر

منيرة في وهج ساطعٍ　　ما النجم في لئلائه والقمر ؟[4]

ويقول أحمد يحي البهلكي في حديثه عن تذكره لصورة محبوبته ، بأنه اتخذ من القمر صورة عاكسة لها :

سائلى مُشَبهكِ البدرَ فكم طاردتُ نَورَه

(١) المجموعة الشعرية : ٤١٠ .
(٢) قلب يتنفس : ٧٨ .
(٣) هي حسناء أمريكية سوداء .
(٤) المجموعة الشعرية : ٦٨٩ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

إنـني استلهمتُ منه لك يا حُبيّ صورَه [1]

وهذا كله في دائرة الوصف التقليدي للقمر ، وجعله في زاوية ضيقة متصله بمعاني جمال المرأة وصورتها ، وهو حديث مكرور ، بل مليء بالمبالغات ، فإذا علمنا أنَّ العقيلي في البيتين السابقين إنما يصف امرأة سوداء أمريكية رآها عند بوابة البيت الأبيض، فقادته مبالغاته إلى أن يجعلها تفوق القمر بمراحل في البهاء والسطوع ، وهذا جنوح خيال غير موفق .

وعلى نقيض هذا الاتجاه في الحديث عن القمر ، فقد سلك شعراء آخرون في حديثهم عن القمر طرقاً وجوانب لم تطرق من قبل ، وراحوا يصورونها في قصائدهم، حيث اتضح من خلالها إصرارهم على ارتياد الرؤى البكر فيه .

فتناول الشعراء الفجيعة التي أحدثها الإنسان المعاصر ، حينما حوّل باكتشافاته العلمية المذهلة الحديث عن القمر – مثال الجمال في تصور الشعراء – إلى مجموعة من الأحجار والأتربة والنتوءات ، حتى لكأنما هؤلاء المكتشفون يأتمرون على العواطف والمشاعر البشرية حينما جاسوا خلال القمر ، وهو الأمر الذي لم يكن يدر بخلد أي شاعر تغنَّى بالقمر من قبل[2] .

فالشاعر محمد بن علي السنوسي بعدما نزل الإنسان على القمر ، ومشى فوقه لم يجد ما يشبه به وجه محبوبته ، وكيف له أن يشبه وجه محبوبته بأحجار وأتربة أهان الإنسان كرامتها بالصعود فوقها ، وكانت في يوم من الأيام مرتقى الإحساس الرفيع ، والذوق العالي، يقول في قصيدته (رحلة إلى القمر) :

لم يعد حسنُ وجهها أبداً يشبه القمر
بعدما ديس وجهه ومشى فوقه البشر [3]

(١) الأرض والحب : ٤٥ .
(٢) انظر : الاتجاه الابتداعي في الشعر السعودي الحديث ، محمد حبيبي : ١ / ١٦٠ .
(٣) الأعمال الكاملة : ٤٥٦ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

غير أنَّ قلب السنوسي الشاعر الملهم المحب للجمال ، المفعم بالأمل ، وبالنظرة المغايرة للحياة والناس ستجعله ينظر إلى هذا الموضوع من منظار خاص ، فمهما قال المكتشفون ، ومهما وصفوا ذلك المخلوق الجميل بأنه ما هو إلا أحجار وأتربة ، فإنه ستبقى له صورته الرائعة في نفسه ، وستظل محفورة في ذاكرته ، ولا يمكن له أن يقتنع بما يقولون أو يصفون ، يقول شاعرنا :

غـــير أنّـــي ولـــم أزلْ بـــشعور الهـــوى الأغـــرْ
يـــستبي قلبـــي الجمـــا ل ويستحـــسن الـــصورْ
إنَّ للـــشعر مقلـــة طفلـــة كلمـــا نظـــرْ
وهـــو فـــنّ يـــرى الحيـــا ة بعـــينٍ مـــن البهَـــرْ
لا يـــرى مـــا تـــرى العلـــو م ولا يهتـــك الـــسُتُر
يعـــشق النـــور والـــضيا ء وإن كانتـــا خطـــر
ويـــرى في لظـــى الحريـــ ـــق جمـــالاً وفي الـــشرر
ويـــشمّ الـــشذى المطيـــ ـــر وإن لم يـــرَ المطـــر
ويـــرى نظـــرة الزهـــو ر وإن صـــوَّح البـــشر
ويـــرى قلبُـــه الحبيـــ ب وإن غـــاب واستتـــر
ســـوف تبقـــى حبيبتـــي أبـــداً تـــشبه القمـــر [1]

فالشعر له ميدانه ورؤيته ، ولا علاقة له بالعلوم ومكتشفاتها في نظر السنوسي . فحبيبته في النهاية ستشبه القمر وستشبّه به رضي من رضي ، وأبى من أبى .

بينما يوجه الشاعر محمد الشنقيطي أسئلته إلى رائد الفضاء يستنبئه أحقٌ هو ما يقولون، هل حقاً به حفر ، وهل صحيح أنه أحجار ، ولاماء فيه ولا ظل ولا شجر ،

(١) المصدر السابق ، الصفحة نفسها .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وليس فيه مظاهر الجمال المعهودة التي صبغها به الشعراء ، وأضفوها عليه ، يقول مخاطباً رائد الفضاء:

فهـــلاّ قلـــت أوصافـــاً للـــون الـــصبح والـــسَّحَرِ؟
وكيف وجدت وجه البدر؟ هـــل أمعنـــت في النظـــر ؟
فهـــل حقـــاً بـــه حفـــر وهـــل حقـــا مـــن الحجـــر؟
وهـــل حقـــاً بـــلا مـــاءٍ ؟ ولا ظـــل ؟ ولا شجـــر ؟
ولا كـــادٍ ؟ ولا فـــلٍ؟ ولا وردٍ ولا زهـــــــرِ؟ (١)

فالشاعر حزين ، يظهر حزنه في هذه الأسئلة الحارة التي وجهها الشاعر لرائد الفضاء، تدل على ما كان يعتمل في نفسه من مشاعر الأسى على رحيل المثال الجميل المستقر في أذهان الشعراء الذين أبدعوا فيه القصائد الرائعة ، والأوصاف البديعة ، إذ هو سميرهم في الليالي الحزينة ، وصورة محبوباتهم إن عز اللقاء ، فهل يعني هذا أنَّ كل تلك القصائد قد ماتت، وأن كل تلك الأوصاف قد تبخرت ، وأنه لم يعد هناك قمر وإنما هي أحجار ملقاة في صحراء جرداء من كل معاني الحياة ، فضلاً عن معاني الجمال ، يقول الشاعر الحزين محمد الشنقيطي في نهاية قصيدته :

فكـــم للـــشعرِ أوصـــافٍ لـــــه في غمـــــرة الـــسَّمَرِ
فهـــل ماتـــت قـــصائدنا عـــلى صـــحراء مـــن مـــدرِ ؟ (٢)

هذه هي أهم معالم الطبيعة الصامتة أو الساكنة التي وقف أمامها شعراء جازان ، وكما هو واضح فكثير من هؤلاء الشعراء حاولوا تجاوز صمت الطبيعة ، بإلباسها شيئاً من ذواتهم وبنصيب ليس باليسير من التفاعل والمشاركة الشعورية ، دون الوصف المجرد المعهود.

(١) قلب يتنفس : ٤٦ – ٤٧ .
(٢) المصدر السابق : ٤٧ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

ب- الطبيعة المتحركة :

استأثر الجانب المتحرك من الطبيعة بنصيب كبير من الشعر العربي القديم ، فتحدثوا عن إبلهم وخيولهم ، وطرائدهم التي وصفوا فيها الصيد من غزلان وبقرٍ وحشية ، وما يتبع ذلك من كلابٍ معلَّمة ، وذئاب تعرضوا لها في ظلام الليالي ، فصارعها الشجعان منهم ، وفرَّ منها الرعاديد . وغير ذلك من حيوانات كان لها اتصال وثيق بحياتهم وظروفهم .

وعلى النقيض من هؤلاء نجد الشعراء المعاصرين – ومنهم شعراء جازان – قد أعرضوا عن وصف تلك الحيوانات ، لتعطل منافعها الكبيرة ذات الأهمية في هذا العصر بوجود الوسائل الحديثة ، واعتاضوا عنها بوصف بعض الأحياء الصغيرة المشاهدة ، حيث أولوا الطيور بمختلف أنواعها جل اهتمامهم ، ووصفوا الفراش والنمل والنحل وغير ذلك من حشرات ، ولم يكن الوصف الظاهري مرادهم ، بل هدفوا إلى شيء آخر وهو استنباط فلسفة حياتية من مرأى ذلك الموصوف ، أو رؤيةٍ اجتماعية محدّدة ، وعند النظر في شعر جازان نجد أنَّ أكثر هذه الأحياء المتحركة ظهوراً في شعرهم هي الطيور وما يمكن أن يسمى بالأحياء الصغيرة من فراشٍ ونحلٍ ، وذلك كما يلي :

١- الطيور:

أصبحت الطيور في الشعر المعاصر رمز السعادة والهناء ، أو التعاسة والشقاء، ونفسية الشاعر هي المحددة لذلك ، وهو الأمر الذي حمّل الطير معانٍ جديدة أخرجته من أفق التشاؤم والتفاؤل والتطير الجاهلي إلى دلالات أشمل وأكثر عصرية وحيوية .

وقد اختلف شعراء جازان في تناولهم لموضوع الطير ، فإبراهيم صعابي يجد أن صداح الطير هو الذي يبعث السعادة في النفوس ، وهو الذي يحول الحياة إلى بهجة ورضى ، ويستغرب من الطير الذي تذوب لتغريداته وزقزقاته المهج وتنتشي ، كيف لا يذوب هو من نفسه ، ذلك المخلوق الصغير يؤثر ذلك التأثير الكبير في نفوس الآخرين ،

www.alukah.net
شبكة الألوكة

هل يتأثر هو من صوته ، يقول صعابي :

يـا طائـر الفـنن البعيـد أمـا أنت الذي منح النفوسَ هنا ؟
فالنفس بعـد سماعهـا نغمـاً لا هجعـة ذاقـت ولا وسـنا
أحببتُـه صوتـاً يحدثنـي ويحـوّل الدنيـا لـه فننـا
لا تسقني فالكأس في سفرٍ متواصـلٍ ، والمـاء قـد أَسـنا
مـاذا تقـول لعـاشقٍ دنِـفٍ أعطاك صفو الروح والبَدَنا ؟
يـا أطـرب الأطيـار معـذرة قل لي : لماذا لا تذوب غنا؟ (١)

ويسير شاعر آخر في ركب صعابي ، فيقف عند حدود فلسفة غناء الطير وصداحه ، ولا يتوغل في الطير ذاته ، فحسين النجمي يتساءل هل البلابل التي تغنّي تناجي أحبابها أم أنها قد فارقتهم ، فتتمنّى الوصال . ثم توصل بعد ذلك إلى أنَّ هذه البلابل التي نسمعها لا تناجي وتزقزق لنفسها فقط ، وإنما هي بريدنا إلى الأحباب ودليلنا إليهم ، فهي تتحدث بمشاعرنا ، وتتكلم بألسنتنا ، ولكن لا يعي ذلك الناس ، فيقول :

صـدح البلبـلُ الجميـل وغنَّـى وبكـى مـنكمُ الفـراق ومنَـا
أينـاجي مـن الطيـور حبيبـاً أم كمثلـي وصالكـم يتمنّـى
كيف نلقى من الحبيب صدوداً وسوانـا بقربـه يتهنَّـى
قد تناجي صوادح الطير حيناً في مجال الغـرام عنهـم وعنَّـا (٢)

أما السنوسي فيتناول الطير على أنه ذلك الكائن المرفرف الصادح ، الذي يطرب بألحانه ، ويذيب الأفئدة بأسجاعه ، صوره السنوسي ناعم الخطوة ، متهادي يرقص بفرح ، ويثب برشاقة تشد الأنفاس وتأسر الناس ، مشاعر صورها السنوسى تعبر عن نفسيته السعيدة، فأراد أن يعكسها على ذلك العصفور الصغير ، فيقول في قصيدته

(١) زورق في القلب : ٧٨ .
(٢) خفقات قلب : ٥٧ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

(عصفور قلبي):

رفــرف العــصفور جنبــي وزقـــا يطلـــب قربـــي
وتهـــادى ناعـــم الخطـــ وة فـــي رقـــص ووثـــب
وأراق اللحـــن في سمـــ عـــي فهـــزَّ اللحـــن قلبـــي
فتلفَّـــتُّ إلـــى صـــوتٍ نـــديِّ النبـــر عـــذبِ
شـــدَّ إحـــساسي وأنفـــا سي وأعـــصابي ولُبِّـــي
وسقانـــي مـــن رحيـــقٍ يـــسكر الـــروح ويـــصبي
حَبَبـــاً مـــن صبواتـــي ونـــدىً مـــن ذوب حبّـــي
وعـــصيراً مـــن رؤى نفـــ سي ومـــن أحـــلام هـــدبي
يـــا لهـــا مـــن زقزقـــات غمـرت بالخصب جـدبي [1]

أما الشاعر الحزين ، فإنه لا يرى إلا بعين حزينة ، ولا يسمع إلا بمثلها ، ولذا فإن كان مأسوراً ومقيداً في أسره الذاتي أو الاجتماعي أو النفسي والعاطفي ، فإنه يرى ذلك الطير مثله حزيناً ، يعيش في جو مشبع بالقلق والضيق ، أغانيه نَوْحٌ ، وأسجاعه بكاء ، وترديد وشكوى، يقول أحمد الحربي معبراً عن نفسيته الحزينة التي أنطقها طائر رفرف حوله، وزقزق بجواره في قصيدة عنوانها (إلى الطائر الحزين) :

أيهـــا الطـــائر تـــشدو فـــوق أغـــصان الحيـــاةْ
مـــا لأرجائـــك ســـود في ليـــالٍ حالكـــاتْ
وأغانيـــك حزانـــى بحـــروفٍ باكيـــاتْ
مـــا لأنغـــامِكَ . . لا تعـــزف إلا شاكيـــاتْ
فاملأ الدنيا غناء [2]

(١) الأعمال الكاملة : ٣٦٩ – ٣٧٠ .
(٢) رحلة الأمس : ٢٢ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

إنَّ الشاعر يتمنى من الطائر أن لا يقع أسيراً لأحزانه ، ويطلب منه أن يعود إلى غنائه وحبوره ، وأن يتغلب على مشاعره ، إذ هو زهر الحياة وربيعها ، وإذا سكت فمن ينثر الزهور من حولنا ، ويحمل الآمال إلى نفوسنا ، يقول أحمد الحربي :

أيهـا الـصدّاح قـل لي أيـن أيـام الحبـور؟
أنـت لا زلـت ربيعـاً فـاملأ الأرضَ سرور
أنـت زهـرٌ وعبيـرٌ فـاملأ الـدنيا عطـور
واحمـل الآمـال وانثـر بجناحيـك الزهـور

واملأ الدنيا غناء [1]

فمع أنَّ الشاعر لم يطلعنا على مصدر شقاء صديقه الطائر ، ولكنه أشار إلى رجائه وأمله في أن يغيّر طائره من حاله ، وأن تعود إليه السعادة ، بدل أن يكون أخرس الشدو متأثراً بحزن صديقه ، فيكون مرآة حزنه وألمه ، بعد أن كان يضمّدُ بعذب اللحون جراحه وآلامه ، فيقول :

أيهـا الطـائر حـسبي منـك أنغـام المـساء
فلأوتـارك عـزف راقـصٌ حتـى البكـاء
ولأصـدائك رجـع في قلـوب الأشـقياء
فتجـدَّد يـا صديقـي إنَّ لي فيـك رجـاء

تملأ الدنيا غناء [2]

ومثلما يقول أحمد الحربي :

أنـت حـرٌّ أيهـا البلـ بـل في الكـون طليـق
فلـك البحـرُ خليـل ولـك المـوجُ رفيـق [3]

(١) المصدر السابق ، الصفحة نفسها .
(٢) المصدر السابق : ٢٢ – ٢٣ .
(٣) المصدر السابق : ٢٣ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

نجد جلوي الحكمي [1] يتحدث كثيراً عن حرّية الطيور ، وطلاقة البلابل من القيود معبراً عن نفسية حزينة ، ومشاعر يائسة ، فيقول :

أقلـــع طـــائر وطـــار　　خـــارج آفـــاق المطـــار

كـــل الفـــضاء ملكـــه　　غـــير مقيّـــد المـــسار [2]

وانطلاقاً من هذه النفسية يطلق الشاعر تساؤلاته – وهو يرى الطير الحُرّ يتنقل من مكان إلى آخر – يا ترى هل هناك هموم تعتلج في نفس ذلك الطائر ؟ هل عالم الطيور مثلنا أم أننا نتوهم أشياءً لا واقع لها ؟ ، يقول :

الطـــير مـــرَّ بالغيـــوم　　ومـــن حواليهـــا يحـــوم

يـــا ليـــت شـــعري هـــل لـــه　　كمثـــل مـــالي مـــن همـــوم [3]

فالقضية عند الشاعر هنا هي ليس طيران الطائر عالياً ، ولا اختراقه لحواجز الغيوم ، ولا تحوياته المبهجة ، إنما القضية هنا هي نفسية ذلك الطائر ، ولولا حزن الشاعر وهمومه الملازمة لما تطرق لها .

أما بلبلُ منصور دمَّاس [4] فإنه يتجاوب مع شاعره ، فعندما شكى دماس أحزانه إلى ذلك الطائر ، حزن لحزنه ، وتحرك لمشاركة الشاعر أحزانه ، بل وتخفيفها ، وهذا

---

(١) هو جلوي بن يحيى بن حسين الحكمي ، ولد في مزهرة بمنطقة جازان سنة ١٣٨٣هـ ، وحصل على دبلوم الكلية المتوسطة سنة ١٤٠٣هـ وبكالوريوس كلية المعلمين بجازان ١٤١٢هـ ، عضو نادي جازان الأدبي . له ديوان (قبل أن ينضب الأمل) ، وديوان آخر مخطوط معدّ للطبع . انظر ترجمته في : الصفحة الأخيرة من ديوان (قبل أن ينضب الأمل) .

(٢) قبل أن ينضب الأمل : ٤٤ .

(٣) المصدر السابق : الصفحة نفسها .

(٤) هو منصور بن محمد دمّاس مباركي ، ولد بصامطة سنة ١٣٧٣هـ ، وتلقى تعليمه الابتدائي والمتوسط والثانوي بها ، ثم التحق سنة ١٣٨٩هـ بكلية الشريعة بالرياض ، وحصل على شهادة البكالوريوس في الشريعة ، ثم عمل مدرساً في جدة ، ثم موجهاً في إدارة تعليم جدة ، ثم نقل إلى إدارة التعليم بجازان ،وله مشاركات صحفية وأدبية، من دواوينه (جرأة قلب) ، و (همسة مجد) ، و(شعور مغترب) . انظر ترجمته في : التاريخ الأدبي ، للعقيلي ٣/ ١٤٦٦ ، وفرجة النظر ، للشعفي ٢/ ٣٢٦.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

يدعو الشاعر للعجب من صنيع هذا الطائر في حين أن بني البشر لا ينصتون لشكاوى بعضهم ، ولا يتفاعلون معها كهذا الطائر ، فيقول :

أناجي النسيم وشدو الطيو ر ، وأَطْرَب إن غَرِدَّت .. لاهيه
ولكن إذا أمعنت في الغنا ء أغارُ ، وأشكيَ أحزانيه
فكم قلتُ : يا بلبلاً ، إنني حزين فشارك أشجانيه
فأضحى كئيباً كمثلي وحنَّ (م) لحالي وخفَّف آلاميه
عجبتُ أيألفني طائرٌ ويصغي فتعنيه أحواليه
وكم سادرٍ تاركٍ جنسه مضاماً ، وأحوالُه شاكيه
وشاكٍ على أهله كَرْبَه جفوه ، فتسعفه نائيه [1]

ونختم حديثا عن الطير برغبة حسين الكريري الجارفة في الهروب من عالمه المليء بالمنغصات إلى عالم الصفاء والنقاء ، حيث لا كذب ولا نفاق ، فتمنى لو بنت له قمرية الوادي عُشًّا إلى جوارها ، فبعد مقدمة عن الغناء الرائع للقمرية خاطبها قائلاً:

قمريةَ الوادي ألا تبنين لي عُشًّا جوارك نائياً عن مخدعي
علِّي أُلاقي في جوارك مورداً يشفي لهيباً في حنايا أضلعي
علّي أُلاقي في جوارك صفوةً ما منهمُ كذباً لحبي يدّعي
أهوى جوارك يا يمامةُ بعدما ضاقت رحابُ الأرضِ بالمتصنّع
أهوى نشيدك يا يمامة بعدما سَدَّتْ عباراتُ المنافقِ مسمعي [2]

فالحياة السعيدة ، والعيشة الهنيئة لن تكون إلا بجوار تلك اليمامة المتربّعة على عشها ، في عالم سعيد . وعلى أي حال فصوت الطائر حمامة كانت أو غير حمامة ليس بمصدر واقعي للترح أو الفرح ، وإنما مصدر ذلك هو قلب الشاعر الذي أومأ إليه

(١) شعور مغترب : ١٣٢ – ١٣٣ .
(٢) زورق الشوق : ٥٥ – ٥٦ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

المعري في قوله :

أبكـت تلكـم الحمامـة أم غنَّـت　(م)　عـــلى فـــرع غـــصنها الميـــاد

٢- الأحياء الصغيرة :

عمد بعض شعراء جازان إلى الوقوف عند بعض المخلوقات الصغيرة واصفين لها ، ومتخذين من وصفهم منطلقاً للتفاعل الشعوري معها ، أو إيجاد نظرة اجتماعية أو فكرية معينة ، وهم في ذلك يترسمون خطا كثير من الشعراء المعاصرين ، وخاصة الرومانسيين منهم، ومثل هذا لم يلتفت إليه العرب إلا نادراً .

فالشاعر علي النعمي يتوقف عند فراشة يصفها ، ويخص نوعاً يعرف في منطقة جازان باسم (المحمّطة) ، فيتحدث الشاعر في مقدمة قصيدته عن هذه الفراشة ورقتها وهدوئها ووداعتها ، وما لها من براءة ، لكأنها هي براءة الأطفال ، فيقول في قصيدته (فراشة) :

فراشة الحقل طيري في مغانيك　ورفرفي فالفضاء الطلق ناديك
ضمّي الزهور وعبّي من عصارتها　ووشوشيها لكي تحلو أماسيك
كنّا نحييك في شوقٍ وفي شغفٍ　لما ترفّين بالأرواح نفديك
فيك البراءة كالأطفال نحمدها　وفي التألق معنى من تبدّيك (١)

غير أنَّ هذه الفراشة الصغيرة المعروفة بالمحمطة ، تكون في أول أمرها دودةً صغيرة شعرية الشكل ، لها خيوط بيضاء تتدلى بها ، ولكنها في هذه المرحلة من عمرها تكون شرّاً على كل من يلامسها ، إذ يوجد في هذه الخيوط نسبة كبيرة من الحساسية ، فما يلامسها جسم إنسان حتى يبدأ بالحكّ ، وكلما زاد الحك زادت نسبة الحساسية ، والغريب في الأمر أنه لم يكن يجدي مع هذه الحساسية أي نوع من أنواع الأدوية في

(١) الأرض والعشق : ٧١ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

التسعينات الهجرية ، فوقف الشاعر يصف تلك الفراشة المؤذية ، بقوله :

فراشة الحقل هل تدرين أي أذى ألحقت بالناس من شرٍّ وتفتيك
صغيرة كنت شبه الدود يمسكها خيط رقيق من التطويح يحميك
لو لامسَ الجسم بعض من تطايره غدا به بين تهريشٍ وتدليك
ولا دواء ولا طب بموقفه عن التهيج إلا لطف باريكِ
فكم عجوزٍ وكم طفلٍ وكم أُسَرٍ سيموا العذاب شواظاً من تدلّيك
في السدر في الأثل في مرخ وفي عشرٍ في كل شبرٍ من الدنيا نلاقيك
بئس اللقاء لقاءً لا سرور به إلا التوجع مما في حفافيك[1]

وبعد هذا التوصيف لهذه الفراشة المؤذية ينتقل الشاعر للحديث عن أذى هذه الفراشة الذي مسّه ومسّ أهله ، ولم يكن هناك ملجأ للخلاص منها إلا التوجه إلى الله لينقذ الناس منها ، ومن شرّها ، فيقول :

إنيّ لأذكر ما ألقيتِ من شررٍ من الخيوط على أهلي ومن فيكِ
بمن نلوذ وذي الأجسام لاهبة ومن ننادي لننجو من بلاويك
يا رحمة الله غادينا فليس لنا من قوةٍ . . فانفحينا من أياديك[2]

ثم بعد ذلك يخلص الشاعر إلى إظهار قوة تلك الفراشة التي لم يستطع أن يقف لها أحد – على ضعفها وقلة أسلحتها – ولم يقدر الإنسان المتجبّر أن يخضعها لسلطته ، وأنَّ الموكل بهم الحفاظ على صحة الناس لم يلقوا بالاً لعلاج هذه الحشرة الضارة ، ودائماً من يكون بعيداً عن الحراس فإنَّه لا ينظر إليه ، والشاعر في ذلك يستحث وزارة الصحة، ويعرّض بها ، فيقول:

أردى الضعيف بلا سيفٍ أخا عددٍ يمشي بجسمٍ من التخميش منهوك

(١) المصدر السابق : ٧١ – ٧٢ .
(٢) المصدر السابق : ٧٢ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

وحارسو صحة الإنسان ما علموا　　أنَّ الفراريج تستجدي من الديك
حمايـة مـن عـدوٍ حـلَّ سـاحتها　　وربّ ناءٍ – عن الحراسِ – متروك (١)

والشاعر أراد من عرضه لموضوع الفراشة ووصفه لضررها هنا ، أن ينبه إلى قضية اجتماعية مهمة، وهي ضعف أداء الخدمات الصحية وعدم جدواها في الثمانينات والتسعينات الهجرية ، حتى تتمكن فراشة صغيرة من إيذاء الناس وإقلاقهم ولا تجد من يحمي منها ، أو يتصدى لها .

وإن كان علي النعمي قد استوقفته فراشة ، فأحمد الحربي تستهويه نحلة بحركتها ودأبها في قصيدة له في الأصل عن اللاجئ الفلسطيني في مخيمه ، حيث لم يعد له وطن ، سريره طينة من الأرض ، ومخداته تضاريس من الأحجار ، وغطاؤه غيمة في الجو ، وكل سحابة تمرّ تدثره. ثم اتخذ الشاعر من النحلة التي تعيش في بستانٍ مهجور رمزاً لذلك الفلسطيني ، كان يعدها من ممتلكاته ، بل تصل إلى أن تكون من أولاده ، لحبّه لكل جزء، بل لكل حي في أرضه . اتخذ الشاعر من تلك النحلة قناعاً ليتوصل إلى مايريد ، فتلك النحلة لها مملكتها الخاصة وحياتها الخاصة ، فيقول :

مها بنتٌ على الأزهار
تلهو فوق بستاني
وتعبث تارة بالورد
وتمتصُّ الرحيق المُرّ
وتأتي تارة أخرى أعاتبها
مها لا تعبثي بالورد كل الورد يعنيني
فهذا الصامت الشاكي
وتلك الزهرة الخرساء تعنيني

(١) المصدر السابق : الصفحة نفسها .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

فتصرخ إنه قوتي ، وهذا الحقل مملكتي
سأرضع من رحيق الورد
وأجني الشهد [1]

إن تلك النحلة لم تذعن لرغبات ساكن البستان ، بل صرخت بأعلى صوتها مدافعة عن قوتها ومملكتها ، وستصنع ما تشاء ، ولم يقف الشاعر عند هذا الحد ، بل أورد أنموذجاً على كيفية مدافعة النحلة عن بستانها وحقلها وعالمها الخاص ، فقال :

وأذكـــر مـــرة أنـــي مـــددتُ يـــديَّ للـــورد
فثـــارت وهـــي غاضبـــة وردّتْ أبلـــغَ الـــردِّ
وأدمـــت ســـاعدي لـــسعًا مـــن الإبهـــام للزنـــدِ
وقالـــت : إن منطقتـــي بهـــا جمـــع مـــن الجنـــدِ
فلـــو حاولـــت ثانيـــة تمـــدّ يـــديك عـــن عمـــدِ
لجـــاءت كلهُّـــا غَـــضْبى وأبـــدتْ منـــك مـــا تبـــدي [2]

إنَّ تلك المخلوقة الصغيرة لم تمنع الإنسان في يوم من الأيام باللَّسع القارس إلا لتحمي أرضها ، وتمنع مملكتها من أن تستباح ، ولم يكن لها في يوم من الأيام عداوة لهذا الإنسان ، وهذا قناع اتخذه الشاعر ستاراً ليصل إلى أنَّ العربيَّ قد ضيّع حماه ، وتركه للأعداء يرتعون فيه دون أن يصمد أمامهم في فلسطين ، كما صمدت هذه النحلة في حماية منطقتها ، وتهديدها لذلك الإنسان إن هو دخل بستانها مرة أخرى فسوف تستدعي جندها من النحل الغاضب ، وعندها سيحل به العقاب الشديد .

(١) رحلة الأمس : ٤٨ .
(٢) المصدر السابق : ٤٩ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

ثانياً - وصف البيئة المحلية :

تكونت البيئة المحلية من أودية وغدران كثيرة ، ومياه جوفية وفيرة ، وجبالٍ شامخة منيفة، ومروج رعوية أينما سرحّت طرفك رأيت خضرتها وبهاءها ، ونفحتك أزهارها ورياحينُها ، وكاذيها وفُلُّها ، تلك المناظر المحلية أسرت مشاعر شعراء جازان فوصفوها ، ووصفوا كل مدينة وكل قرية من قراهم ، وأظهروا ميزاتها وملامحها ، وسجلوا معالم الحياة، ورصدوا حركة الإنسان في كل اتجاه ، وصوروا مشاعره ونفسيته تجاه أرضه وبيئته المحلية ، وما فيها من خصوصية . تلك المظاهر التي أشار إليها إبراهيم مفتاح في قوله :

وبفكـري تـصورات حـسانٌ　　للينـابيع والـسنا الدفـاق
للغدير الطروف يرقـص تيهاً　　لترانيـم مائـه الرقـراق
للـذرا الـشامخات وشّـحها الـ　　غـيم فتاهـت مزهـوة الأعنـاق
للظبا الفاتنات في المرج ترعى　　للماهـا وسحرهـا في المـآقي
أينما سرت تحتويني المراعي　　واخضرار الحياة في الأوراقِ (١)

والشاعر محمد العقيلي يكثر من الحديث عن أودية جازان وزهورها ومعالمها ، وطغى على كثير من قصائده الوصفية ، فهو كثيراً ما يسجل النباتات العطرية التي تتميز بها البيئة الجازانية ، مما لم يعد معروفاً بين أهالي المنطقة في وقتنا الحاضر ، أو التي لا يعرف كثير من الجيل المعاصر أسماءها ، وهم ربما يرونها صباح مساء ، لذلك تعد كثير من قصائده وثائق تسجل للأجيال أسماء تلك النباتات الفوّاحة ، وربطها بالأودية التي تتواجد فيها ، ومن ذلك قوله :

شـذىً يتعـالى بالتجلّـة أو شـدوا　　تضوّع من فيفا عبيراً ومن (عكوى)
كـأنَّ نسيم السَّلب يسحب ردْنـه　　زكيًّا على الدوح المهدّل مـن (قوَّا)

(١) عتاب إلى البحر : ٤٠ – ٤١ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ويذكيه مرج الدحن من صيمرانه الـ معطّـر في سهلـي خميعـة (والجـوَّا)
جـلا تعـشرٍ منهـا شعـاع وميضه علـى خُلـبٍ يحثـو للألائـه حثـوا
ومن ضمـدٍ يسري وصبيا رفيقـه يـشعُّ علـى بيـشٍ ومخلافـه زهـوا
بمعتنق الحـوذان والـشيح دوشـه يميس على الوزاب قد ظلَّل الفغـوا[1]

وعنـد هيـام الـشعراء بقـراهم وهـم بعيـدون عنهـا ، أو يـصفون سـاعات العـودة وملامح اللقيا ، فإنهم يتذكرون ما تميزت به تلك القرى من ملامح محلية ارتسمت في نفوسهم تمثل الحياة الفطرية البريئة ، الحياة الوادعة المليئة بالشذى ، شذى الفل وأزكى الروائح ، فالشاعر أحمد الحربي عندما يعود إلى قريته (القرفي) تلك القرية النائمة على العدوة الشرقية لوادي جازان ، يحن إلى تلك المرابع الشذية المليئة بالمسرّات ، فيقول :

تـرى مـاذا أكـون أنـا؟ وقـد يممّـتُ للقـرفي
أنـا شـدو لطـائره أنـا صـوتٌ لكـل وفي
وأنغـامٌ وآهـاتُ لـصبٍّ مغـرمٍ دنـفِ
وفُـلٌّ مـن ردائمـه تـدلّى مـن عـلى الـسُّجف
سأسـمو فـوق أشـعاري سـمو العاشـق الكلـف[2]

ولذا فقد غدا الفل وأشجاره المعروفة بـ(الردائم) قرينا للحظات الممتعة ، والمعاني المحبوبة في النفوس ، فتارة يكون (الفل البلدي) هو ذاكرة مختزلة لصوت المحبوبة ، كما يقول أحمد الحربي :

فـلّ الردائـم لحـن فـاتنتي فـوق الـسقيفة ذاب مبتـسما

(١) المجموعة الشعرية ، للعقيلي : ٢٨٨ – ٢٨٩ . وعكوى وقوّا وخميعة والجوا مواضع . وتعشر وخلب وضمد وصبيا وبيش أكبر أودية جازان . والصيمران والحوذان والشيح والدوش والوزاب والفغو صنوف من الرياحين زكية الرائحة تكثر في جازان .
(٢) رحلة الأمس : ٣٨ – ٣٩ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

فـلُّ الـردائم ذاب واعجـبي!　　من سهمها المسموم وانعدما [1]

فالفل في كامل نضوجه وتفتّحه مصدر السعادة ، كما هو صوت المحبوبة القريبة، وذوبانُه مرتبطٌ بذوبان المعاني العاطفية وانطفاء جذوتها .

وتارة أخرى يرى الحبيب محبوبته في كل جزء من أجزاء تلك الرياحين ، بل هي جزء من ذكراها ، ولها نصيب كبير من ذاكرته الوجدانية ، يقول في هذا المعنى الحربي نفسه :

عودي إليَّ فأنت كل خواطـري　　فكـري رسـوم خطُّهـا ذكـراك
في الريح في الأمطار في الآفاق في　　كـل الـدروب إشـارة لخطـاك
في الفلّ في الريحان في الكاذي وفي　　كل العطور أرى نـداك الزاكي [2]

ولم يقتصر حديث الشعراء في وصف الزهور والرياحين على ذكرها المجرد ، أو ربطها بالمعاني الوجدانية ، وجعلها معادلاً موضوعياً للمحبوب ، ورائحته وشذاه ، أو ذكراه إن حضر، أو تذكر مرآه إن غاب . بل تجاوزوا ذلك إلى الوقوف عند تلك الأزاهير والرياحين وقفات متأملة ، وجلسات هادئة ، في وصف دقيق لغامض معانيها ، وخافي أسرارها ومدى تأثيرها في نفوسنا ، وعجيب صنع الله فيها ، ومن ذلك حديث الشاعر إبراهيم مفتاح عن الزهرة في قصيدة ربط فيها بين هذه الزهرة الشذية وبين أرضها وتعلقها بالتراب الذي استقت منه ماءها ، وتحصلت منه على غذائها ، فيقول على لسان الزهرة المتعجبة من أسرها لنفوس البشر في قصيدة (الزهرة والتعلق بالتراب) :

لأي الفـصول أنـا أنتمـي　　ومن صبَّ هذا الشذى في فمي ؟
ومن ذاسقاني كـؤوس الضياء　　تذوب احمراراً علـى مبسمي ؟
ولملَـم في وجنتـيَّ الـضُّحى　　وعتَّق طعـم اللظـى في دمـي ؟

(١) المصدر السابق : ٢٧ .
(٢) المصدر السابق : ٣٥ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وفي معطف الليل إذ ضمّني سقاني الندى فتنة الأنجم
يعانقني في الدجى طائر وفي ناظري إن غفا يحتمي
ويسألني نبت أي الحقو ل فقلت لأرضي : أنا أنتمي[1]

* * *

وبتأمل إنتاج شعراء جازان الوصَّافين ، يجد أنهم قد رسموا خريطة كبيرة لمنطقتهم ، بمدنها وقراها ، ووديانها وجبالها ، وبحرها ووهادها ، وحددوا ما تتميز به كل مدينة عن غيرها، وما يفرق بين قرية وأختها ، وعرض ذلك كله يطيل زمن الوقوف عندما يغني عنه بعضه ، فمدينة صبيا – مثلاً – تميزت بغاباتها الكثيفة من أشجار السدر، وما حولها من مروج خضراء تسقى من ماءِ وادي صبيا المشهور ، فإذا ذكر الشعراء صبيا ، فإنهم لا يمكنهم أن يمروا بتلك الغابات مرور المدلجين ، فالشاعر محمد بن محسن مشاري [2] له قصيدة بعنوان (صبيا) ، يعرض لوحة فنية لتلك الأشجار الكثيفة المحيطة بصبيا ، فيقول :

فلا أهوى الظبا يغريك منها وورود خدودها كالرمح قامه
ولكنّي أهيم بحبّ صبيا وهل بلد كصبيا في تهامه
عروس السدر ألبسها وشاحاً يليق بها وقلّدها وسامه
تبدّت والمروج لها حزام كخصر ناحل وضعوا حزامه
عليه فزادت الحسنا جمالاً على تلك الملاحة والوسامه [3]

(١) احمرار الصمت : ٥٨ – ٥٩ .

(٢) هو محمد بن محسن مشاري ، ولد بصبيا سنة ١٣٤٨هـ ، حصل على الابتدائية ، ولم يستطع إكمال تعليمه لظروفه الخاصة ، له مشاركات أدبية ، وكثير من الإنتاج الشعري الجيد ، وهو حريٌ بأن يُجمع ويخرج للناس في ديوانٍ متكامل . انظر ترجمته في : التاريخ الأدبي لمنطقة جازان ، للعقيلي ٣/ ١٣٨٠.

(٣) التاريخ الأدبي لمنطقة جازان : ٣ / ١٣٨١ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

ويقول عبدالواسع سعيد عبده متحدثاً عن تلك المروج الخضراء المحيطة بغابات السدر الكثيفة، حتى كأنها هي الشاطئ لتلك البحار المتلاطمة من الأشجار، ولكنها شواطئ خضراء:

غداً للشاطئ الأخضر
يزغرد بحُرنا الأحمر
يصفق موجه فرحاً
يغردّ طيره الأصفر
فيطرب سدرنا النشوان
حكاية زرعنا الأكثر (١)

وفي تلك الرياض ينعم الشاعر بالجلوس بين أحضان الطبيعة في سعادة غامرة ، حتى كأنَّ تلك الرياض الكثيفة من أشجار السدر حللاً قشيبة على غادة فاتنة عذراء هي صبيا ، يقول حسين الكريري في قصيدته (صبيا) :

عـرّج بـصبيا واستـشفّ هواهـا واسعد بخضرتها وطيب هواها
وانعم بروضة سدرها مستمتعاً بجمـال رونقها وسحر بهاها
عـذراء قـد أضفت عليها حُلَّةً تزهـو جمالاً عـن بنـات حماها
إن أسـدل الليـل البهـيم سدولـه فاحت ردائمها بطيب شذاها (٢)

بينما تميّزت أبو عريش بخصوبة أراضيها التي يرويها سدّ وادي جازان الضخم ، وقد تغنى الشعراء عند حديثهم عن أبي عريش بهذه المزارع المتكاثرة حول أبي عريش ، ومنهم أحمد العطاس ، حيث يقول في قصيدته (أبو عريش) :

في جوهـا عبـق في ليلهـا ألـق في فُلّهـا أرج حتى وإن نظمـا

(١) دوائر الصمت : ٣٨ – ٣٩ .
(٢) زورق الشوق : ٤٣ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ووفرة الماء فيها رحمة سكنت تسدي العطاء وتسدي الفضل والنعما
خصوبة الأرض قد فاقت تصورنا تنمي الزروع بمزنٍ ظل منسجما [1]

وفي إشارة إلى السهول الممتدة حول أبي عريش والسدّ الذي يرويها ، يقول عبدالواسع عبده :

بين السدّ والمحمل
وفوق الفأس والمنجل
فقصة سهلنا الممدود تحكي روعة الأمثل
شجاعة عمرنا الماضي تروم الأفضل الأفضل
كثيراً ما تغنّى العشب في فلاّحه البارع
كثيراً ما يُثار السهل من تلوينه الرائع [2]

وأما فرسان فقد حظيت جزائرها النائمة بين أحضان البحر بكثير من قصائد الشعراء الذين أعجبوا بجمال طبيعتها البحرية الرائعة ، ونخيلها الكثيف ، وملامح الطبيعة البكر ، حيث الغزلان والأرانب البرية وأسراب القطا في كل مكان ، والشواطئ البيضاء الشبيهة بالثلوج في بياضها ، وقد كللت الهضاب المطلة على الشواطئ في كل مكان ، فهي بنت البحر كما وصفها محمد بن عبده شبيلي [3] في قوله :

فرسان بنت الليل والبحر أو لم تخافي الليل إذ يسري

(١) تغريد النهى : ٦٦ .
(٢) دوائر الصمت : ٣٩ – ٤٠ .
(٣) هو محمد بن عبده شبيلي ، ولد بقرية الشقيري سنة ١٣٧٤هـ ، درس بالمعهد العلمي في جازان ، ثم التحق بكلية اللغة العربية بالرياض ، وحصل على البكالوريوس سنة ١٣٩٨هـ ، ثم حصل على الماجستير في البلاغة والنقد ومنهج الأدب الإسلامي عن أطروحة بعنوان (الاتجاه الإسلامي في الشعر السعودي الحديث ،قيمه الفنية في موازين النقد) بإشراف الأستاذ الدكتور بدوي طبانة سنة ١٤٠٦هـ، وطبع بحثه هذا المهرجان الوطني للتراث والثقافة بالجنادرية ، يعمل الشبيلي – الآن – بالمعهد العلمي بضمد ،وله مشاركات واسعة في النشاط الثقافي والأدبي بجازان . انظر ترجمته في : التاريخ الأدبي لمنطقة جازان ٣/ ١٧٨٣ ، وفرجة النظر ، للشعفي ٢/ ٢٦٤ ، ومعجم الأدباء الإسلاميين المعاصرين ، لأحمد الجدع ٣/ ١٠٣٩ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

وتثـــاؤب الـــشطآن تهجرهـــا كـــل الوجـوه البـيض والـسمر
وعـرائس الأمـواج قـد نـصبت تيجانهـــا تـــسبيحة العـــصر
تُـــرَب وأمـــواه تـــرى بهمـــا أزل الجدال على مدى الدهر [1]

وكثيراً ما أشار شعراء جازان إلى اتخاذهم لفرسان منتجعاً يغدون إليها لقضاء إجازاتهم وأوقاتهم لا سيما في الشتاء والربيع ، ويصف محمد الشنقيطي لحظات عاشها في فرسان تمنى لو أنها طالت ، فيقول :

جزائر كالبكـاري قانعـاتٍ وخاطبهـا علـى سـفرٍ بعيـد
إذا ما جئتهـا ومكـثت فيهـا كأنك ما عشقت وما تريـدُ
يمرُّ الوقت لا نكـداً وحزنـاً كـأنَّ الدهـر أعـراس وعيـدُ [2]

وقد أغرم أبناء فرسان بجزائرهم المتناثرة في البحر ، ولذا لم أجد شاعراً فرسانياً إلا وله أكثر من قصيدة فيها ، بل تحول هذا الغرام إلى عشقٍ صاخب ، ومن هؤلاء الشعراء علي بن محمد صيقل ، حيث يقول في قصيدته (جزيرتي) :

لؤلؤة ولا تُضاهى بثمن
جزيرتي أنشودة على فمي
مدى الزمن
أحبُّها
أحبُّ ليلها
إخالها في ناظري
ممشوقة القوام
سمراء

(١) التاريخ الأدبي لمنطقة جازان ، للعقيلي : ٣/ ١٧٨٣ .
(٢) قلب يتنفس : ٥١ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

خصرها نحيل .. وطرفها كحيل
إخالها .. كغادةٍ تمشي على
مَهَلْ
إذا تحدثت
حديثها ..منغمٌ كأنةَّ الغزل
إذا تنفّست .. يفوح عطرها مع النسيم
وعندما تهل في جزيرتي مواسم القمر
تبسم الرمال .. ترقص الأمواج .. [1]

ولرمال فرسان البيضاء الناعمة مكان في قلب علي محمد صيقل ، لا يفوقه إلا مرأى نخيلها الباسقات عندما تداعبها الرياح ، فيقول :

هذي الرمال نبت في القلب بهجتها لبهجة الرمل عشق طعمه عذبُ
والباسقات إذا هزّت ضفائرها تبسّمتْ للحفيف العين والهُدْبُ
محمولة أنتِ في الأضلاع أحصنةٌ لها اشتعالٌ يداجينا ولا يخبو [2]

* * *

وإذا تجاوزنا الحديث عن المظاهر الخاصة بكل مدينة والميزة التي ميزتها ، فإننا نلمح أنَّ شعراء جازان قد تحدثوا عن بعض المظاهر البيئية العامة التي عايشوها ، ومن ذلك أنَّه في فصل الصيف اعتاد الناس هبوبَ الرياح الموسمية القادمة من القرن الإفريقي ، تلك الرياح التي عرفها أبناء المنطقة ، ولطالما تكحلت عيونهم من ذرّات ما تحمل ، ولم يسلم منها سوى أهل مدينة جازان ، حيث يحتضنهم البحر بمياهه ، أو أهل فيفا ومن حولهم إذ يحميهم الجبل ، أما أهل تهامة فلهم حديث خاص معها ، ولقاءات

(١) ترانيم على الشاطئ : ٣٣ .
(٢) أغنية للوطن : ٣١ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

موسمية ، ترُجمت شعراً ، ومن الذين وقفوا عند تلك الرياح المسماة عند أهل جازان (الغبرة) الشاعر علي بن حسين الفيفي ، وهو إن يكن من أهل فيفا الذين لم يعرفوها ، ولكنه تحدث عنها في معرض مداعبة إخوانية بينه وبين حجاب الحازمي ، الذي افتخر بتهامة ، فردّ عليه الفيفي مفتخراً بفيفا وذامًّا لتهامة عندما يحل بها الصيف أو تخنقها الرياح الموسمية (الغبرة) ، فيقول :

فتهامة الخضراء تزهو في الربيع وفي الخريف
لكنها في الصيف تفتك بالقوي وبالضعيف
وغبارها يخفي الطريق فلا يُرى غير الرصيف
من سار في موج الغبار تراه يمشي كالكفيفِ
والشمس إن ثار الغبار بدت بدائرة الكسوفِ
والفلُّ لو يسطيعُ أنَّ أنين منهوكٍ نحيفِ (١)

أما شعراء تهامة فلم يكونوا جزعين من تلك الغبرة أو متشائمين منها ، بل على العكس لقد عرفوها ، وتأقلموا معها ، وأصبحوا على موعدٍ معها كلما حَلَّ صيف ، ولقد توارثوا الحكايات عن أجدادهم الذين كانوا يحدثونهم عن أهميتها بالنسبة لمزارعهم وأشجارهم ومناحلهم ، وأنها مبشرة بقدوم الأمطار الغزيرة ، والسنة التي تشتد فيها هذه الرياح يكون موسم الزرع الخريفي وفيراً ، والثمار أنضج ما تكون ، ومن الشعراء الذين عشقوا تلك الرياح، وأصبحت جزءاً من تركيبهم ولها موقع في نفوسهم أحمد بن يحيى بهكلي، فهو يقول في قصيدة أنشأها بعد عودة من سفرٍ طويل ، وكان على موعدٍ ولقاء مع تلك الرياح :

أنا جئتُ في ريحٍ مخرّفةٍ　　شطّت بقلبي بُرْهَةً رَعْنَا
هذا الترابُ سفقتُه زمَناً　　بالله كيف نسيتُ ؟ ما أجْنَى!

(١) الهمس الخافت : ٦٨ – ٦٩ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

هذي الخبوت حويُتها وحوتْ فكـري .. فهـل مـن أفقـه تَفْنَـى
تـالله مـا عـشتُ الهـدوء عـلى نـأيي البـديع وعيـشتي الوسـنى
عشرٌ من السنوات مـا انطلقـت نفـسي إليـكِ فعـشتُها سجنـا[1]

إنَّ لتلك الخبوت التي أشار إليها البهكلي قصةً مع كثير من أبناء جازان ، حيث كـان الأطفـال يخرجـون في موسـم هبـوب الريـاح الموسـمية (الغـبرة) إلى الخبـوت والساحات العامة – قبل أن يحل بها الأسفلت – للبحث عن قطع النقـود الـضائعة التي سقطت من جيوب أصحابها يوماً ما ، تلك القطع التي تكشف الريـاحُ الأتربـةَ عنهـا ، وتخرجها من مخابئها ، وكان يصاحب ذلك البحث فرح ونـشوة عارمـة ، لـدى كـل مـن يجد نقوداً ، وأصبحت هذه الأشياء – الآن – ذكرى رائعة في نفوس كثير ممن عاصروها، أو مارسوها ، ومن هـؤلاء أحمـد الحـربي الـذي يقـارن بـين المـاضي والحـاضر في قـصيدته (عجـاج الحـضارة) مقارنـاً بـين عجـاج الحـضارة الـذي غـير الحيـاة المعـاصرة ، والعجـاج الموسمية التي كانت تهب – وما زالت – وتهب معها الخيرات ، يقول في مقدمة قصيدته :

كان ميراث أبي (صبلاً) و (عشة)
وفتافيت (مقشة)
و (عريشاً) سكنت عرصته شمس الظهيرة
هبّت العاصفة الهوجاء يوماً
لاكت (المرخ) وفرت (بالثمام)
بعد أن عرّتْ جذوره
وبنينا قصر عالي
وعلى السطح أضفنا
ملحقاً أجمل من (إيوان كسرى)

(١) الأرض والحب : ٢٨ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

هربت فيه الفصول الأربعة

لم نعد نخشى تراب الزوبعة [1]

ثم يتحدث بعد ذلك عن الذكرى الجميلة التي بقيت في الذاكرة من لقاء الأطفال بموسم هبوب الرياح ، فيقول :

كلما ثارت رياح الموسم الآتي

نقشنا راحة الأرض

وفتشنا المخدات الوثيرة

وانطلقنا كالعصافير الصغيرة

نزرع القاع عيوناً

نكنس الرمل ونزداد جنوناً

كل قرشٍ فرَّ من مخبأ جدّي

قد لقيناه على قارعة الدرب دفينا [2]

وقد أكثر الشعراء من وصف معالم منطقة جازان وطرقها ، وبعض الآثار فيها كصنيع محمد العقيلي في قصيدته (رحلة في السيارة إلى صبيا) [3] ، ووصفوا الألعاب الشعبية[4]، والأكلات المحلية [5] وطريقة صنعها ، وغير ذلك مما يغني عنه ما سلف .

(١) قصيدة (عجاج الحضارة) ، جريدة الرياض ، ع ١٠٩٥١ ، الخميس ٢٤ صفر ١٤١٩هـ : ٣٥.

(٢) المصدر السابق ، الصفحة نفسها .

(٣) انظر : المجموعة الشعرية : ١٥٤ – ١٥٧ .

(٤) أشهر الشعراء الذين تحدثوا عنها : علي النعمي في أكثر من قصيدة في ديونه (الأرض والعشق) وحسين كريري في ديوانه (عزف على أوتار الحب) ، ص ٨٦ – ٨٧ وغيرهما .

(٥) من الشعراء الذين أكثروا من وصف الأكلات الشعبية حسن بن يحيى ضائحي في قصيدته (الثريثية) و (بين الفتاة المتعلمة والريفية) ، ومحمد أحمد العقيلي في المجموعة الشعرية ، له إشارات إلى بعض هذه الأكلات ، وغيرهما .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ثالثاً- وصف الرحلة :

وصف كثير من الشعراء رحلاتهم سواء الداخلية أم الخارجية ، فشعراء فرسان أكثروا من وصف رحلاتهم البحرية من أجل الوصول إلى مدينة جازان ، وصفوا في قصائدهم معاناتهم والصعوبات التي كانوا يلاقونها سواء في قصائد مستقلة أو على شكل مقدمات لقصائد المديح تشابه المقدمة التقليدية التي يقدم بها الشاعر العربي لقصيدته بوصف ناقته أو مايلاقيه من أهوال ومخاطر وهو في طريقه إلى ممدوحه . فالشاعر إبراهيم مفتاح يصف رحلته البحرية من أجل الوصول إلى جازان للمشاركة في الحفل الذي أقيم بمناسبة تعيين الأمير محمد بن تركي السديري أميراً لجازان سنة ١٣٩٨هـ في قصيدته (تهنئة واعتذار) حيث يقول :

من حفيف النخيل خلف البحار صغتُ لحني وأورقت أشعاري
وعلى معزفي شدوت بلحني وأذبت الشجون في أوتاري
وتجشّمتُ في سبيل وصولي ما نعاني من قسوة التّيار
واقتحمتُ الرياح والبحر طاغٍ فتحدى هياجه إعصاري
لم أبال الظلام والليل داجٍ وعلى البحر قد فرضتُ انتصاري
ودليلي إليكمُ كان نجماً لاح في الأفق فاستبنتُ نهاري (١)

ووصف شعراء فرسان رحلات الصيد البحري ، والبحث عن اللؤلؤ ، تلك الرحلات التي تشابه الطرديات عند الشعراء الجاهليين ومن بعدهم ، ومن القصائد التي خصصت للحديث عن صيد اللؤلؤ والرحلة الشاقة في سبيل ذلك قصيدة (تأوهات في أحشاء الزمن) للشاعر إبراهيم مفتاح ، وهي ترسم مشهداً متكاملاً لتلك الرحلة بدءاً من الاستعداد لها ، والأدوات التي تعدّ ، والمتطلبات التي تجهّز ، ورصد المشاعر النفسية ، ووداع الأهل ، فأول مشهد من تلك الرحلة هو إشفاق الأم على

(١) عتاب إلى البحر : ٢٨ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

ولدها وهي تراه يتأهب لتلك الرحلة الشاقة التي قد يعود منها وقد لا يعود ، وزوجة تودع زوجها بمشاعر حزينة ، ودعوات صادقة ، فيقول الشاعر :

فرسان كم أهواك يا فرساني عشت الزمان ترنّماً وأغاني
لتري بنيك إلى (المغاص)[1] تأهبوا والأم من ألم الفراق تعاني
ابناً يرتّب جالساً (ملُّوجَه)[2] ويداه في (الدنجيل)[3] ابناً ثانِ
وهناك ثالث ودّعته زوجُه ودموعها فوق الخدود قوانِ
يا فالق الإصباح ذاك وداعتي ترعاه يا ربي لكي يرعاني
من للبنين إذا اشتكوا من أنَّةٍ من للبناتِ إذا الضَّنى أضناني[4]

ثم بعد ذلك يعرض الشاعر مشهداً آخر يصف فيه كبير الصيادين وهو ينظم العمل ويوزع المهام على أصحابها ، ويطلب من البحّارة أن يؤمنوا لأهليهم المواد الاستهلاكية التي يحتاجونها في فترة غيابهم التي قد تطول ، ثم بعد ذلك يعرض الشاعر جشع ذلك الربّان وتعسفه وجبروته ، حيث احتكر ما سيجلبونه من البحر من لؤلؤ ، وأنّه شرط على كل مشارك في هذه الرحلة أن لا يبيع المحصول إلا له ، ولم يكن أمام البحارة أي خيار آخر سوى الموافقة، والإذعان لهذا الشرط القاسي ، فيقول :

ناداهم صوتٌ مريرٌ لفظه في العصر يدعوهم إلى الرّبان
اليوم (للوسطي)[5] نشكُّ فتوقه وغداً على (القلمي)[6] و(للثرمانِ)[7]

(١) المغاص : الغوص .
(٢) الملّوج : حقيبة من الخزف يحمل فيها التاجر أمتعته الشخصية الخفيفة .
(٣) الدنجيل : السلة التي يجمع فيها البحّار المحار .
(٤) احمرار الصمت : ٧٦ – ٧٧ .
(٥) الوسطي : الشراع الأكبر .
(٦) الشراع الأصغر .
(٧) الثرمان : عود مجوّف يمتد على الحافة العليا للشراع .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

مرُّوا علي خذوا (السِّلاك)[1] تجهزوا لا وقـت بعـد الآن للمتـواني
هذي (الوسيّة)[2] سلموها أهلكـم شهـران قـد بقيـا عـلى رمضانِ
والشـرط منذ الآن كل حصيلكم [3] أنا أشتريه وليس شخص ثانِ[4]

ويحـاول الـشاعر أن يظهـر عجـز هـؤلاء البحـارة وحـاجتهم لتلـك الرحلـة ، ولجوءهم إلى الله، وفي الوقت نفسه مقتهم لذلك الربان ، ولكـن لم يكـن هنـاك مـن حلٍّ سوى الصمت والإذعان ، فيقول مصوراً بشاعة قسوة الإنسان على أخيه الإنسان :

وتلفت الجمعُ المطيع لبعضهم لله مـا أقـساه مـن إنـسان
ربـاه حاجتنـا إليـه تذلّنـا وتحيلـه طمعـاً وروح أنـاني
لا يرحم الكهل العجوز وضعفه أو طفـل سبـعٍ عـابرٍ لـثمانِ
وبدا السؤال على العيون تردُّ كتـساؤل الحـيران للحـيرانِ
وتنفّس الصمتُ الحزينُ لقادمٍ شـفتاه بـالكلمات ترتعـشان[5]

ومثلما وصف شعراء فرسان رحلتهم البحرية إلى جازان ، فقد وصف شعراء جازان رحلاتهم البحرية إلى فرسان ، إما للنزهة والسياحة أو للصيد ، ومن ذلك وصف الشاعر أحمد العطاس لرحلة له إلى فرسان مع بعض أقاربه وأصدقائه ، حيث بدأ القصيدة بالحديث عن الأنس والسرور الذي حفّه عند خروجه لهذه الرحلة ، ووصفه للبحر لما ركبه ولحظات الأنس التي أحاطت بهم قائلاً :

يـا لهـا رحلـة تجلّـت بـأنسٍ وأشاعت رضاً يحفُّ بنفسي

(١) السِّلاك : المواد الاستهلاكية الضرورية التي يعطيها البحار لأهله قبل سفره .
(٢) الوسيّة : النقود التي يعطيها البحار لأهله قبل سفره .
(٣) حصيلكم : محصولكم من اللؤلؤ .
(٤) احمرار الصمت : ٧٧ – ٧٨ .
(٥) المصدر السابق : ٧٨ – ٧٩ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

جمعتنـي بخـيرةٍ مـن رفـاقٍ　　وحـديثٍ جـرى بجهـر وهمـسِ
ومخرنـا العبـاب يلفـظ موجـاً　　هادئـاً ساكنـاً لطيفـاً بغُلـسِ
والهواء العليل يسري ويعطي　　نغمة الحبّ في القلوب ويُرْسي [1]

وعلى ضعف القصيدة من الناحية الفنية ، إلا أنها تعطي بعض مظاهر الرحلة إلى الصيد أو النزهة في تلك الجزر الجميلة ، فها هو يصور بعض محاولات الصيد الفاشلة لأحد رفاقهم في تلك الرحلة اسمه مصطفى رضوان ، فيقول عنه :

فهناك الرضوان يرمي شباكاً　　وهو في الحظ قد أصيب بتعسِ
يسحب الحبل خالياً من لعافٍ　　وببعض الأحيان من غير تُرسِ
فيصيح الجميع نشوان يبدي　　ضحكه في السفين من غير همسِ [2]

ولم يقف الشعراء عند حدود بلادهم ، بل تجاوزوها إلى آفاق أوسع في رحلات سياحية أو علاجية ، وقد أذكت تلك الرحلات نفوس الشعراء ، وحركت مشاعرهم ، فوصفوا تلك الرحلات في قصائد كثيرة ، ويعد الشاعر محمد أحمد العقيلي أكثر الشعراء الذين سلكوا هذا الاتجاه ، فله قصائد عديدة في وصف رحلاته الخارجية ، حيث وصف رحلاته إلى لندن وباريس وأمريكا وأسبانيا وغيرها .

فمن تلك القصائد قصيدة (من شذا رحلة لندن) وهي قصيدة طويلة تبلغ أبياتها سبعة وسبعين بيتاً ، وهي قصيدة متعددة المقاطع والقوافي .

ففي المقطع الأول يسرد لنا مقدمات هذه الرحلة ، ويصف وصوله إلى الطائرة ، وصعوده إليها ، وهبوطه في (لندن) ، ويردُّ دافع الزيارة إلى الشوق لرؤية عاصمة الضباب ، ويجعل الشاعر من وصفه للمطار والمسافرين داخله مدخلاً إلى وصف (لندن) ، فيقول :

(١) تغريد النُّهى : ٩٠ .
(٢) المصدر السابق : ٩١ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

أنا في لنـدن في المغنى الرهيـب ومجالي الحسن والفن العجيـب
هـفَّ بي الـشوق إلى أرجائهـا فامتطيت الجـوّ في زهـو النجيـب
وهبطنـا في مطـار أفيـحٍ رحب الأرجاء هفّاف الجيوب
فانتظمنـا مثـل سـلك الـدّرّ في صـف سـيرٍ يتخطّـى في دبيـب
وانطلقنـا ننهـب الأرض إلى لـدة الأدهـارأو لغـز الغيـوب[1]

وفي المطار يبصر فتاة جميلة أشغلته عن تملي معالم المطار (هيثرو) الضخم ، فظل يسترق النظرات إليها ، ولكنه تذكر عند ذلك ، فصرفه التُّقى واعتزازه بدينه عن مواصلة تلك النظرات والخطرات ، فيقول واصفاً تلك الفتاة :

ذات لـونٍ كالحليب المحض أو ألق الشمس على وجه السحاب
والعيـون الـزرق في آماقهـا زاخر الأمواج في طامي العباب
فتذكـرت اعـتزازي والتُّقـى وصرفت النفس عن غيٍّ مريب[2]

وقد أفسد الشاعر لون تلك الفتاة حينما جعله كالحليب المحض ، وهو أسلوب فيه سذاجة وماخوذ من الأساليب العامية ، إذ يقال في بعض البلدان عند وصف الفتاة البيضاء (حليب صافي) ، وعند وصف الأقل درجة (شاي بالحليب) ، والشاعر متأثر بهذه الأساليب ، وكان بإمكانه أن يشبه جمالها بوصف أرقى من ذلك ، وأن يصف شدة بياضها بوصفٍ آخر مقبول .

وفي مقطع آخر يصف الشاعر مظاهر البيئة اللندنية الرائعة ، ويصف الميادين وما فيها من معالم ، كما يصف الأنهار وما فيها من فُلكٍ ماخرة ، وجسورٍ معلقة ، وقصورٍ منتظمة على ضفافها ، ثم يصف بعد ذلك في مقطع آخر الريف الإنجليزي بكل ما فيه من طبيعة ساحرة ، فيقول عن ذلك الريف :

(١) المجموعة الشعرية : ٤٨٣ – ٤٩٣ .
(٢) المصدر السابق : ٤٩٤ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

وعلـى الـريف خطرنـا خطـرة　　يـسبح النـاظر في مـرج وهـوب
سنـدسٌ يفـترش الأرض علـى　　روضـــة غنـــاء أو دوح رغيـــب
وقــرى قــد نُــسّقت في روعــة　　في السفوح الخضر أو هضبٍ وبيد[1]

ثم يختم الشاعر قصيدته ببيان الدافع لهذه الرحلة ، والفوائد التي جناها منها ، فيقول :

رحلـة للفـن والعلـم انقـضت　　ولدرس العصر في مثوى الحضاره
عـشتها أدرس آثـار النُّهـى　　ومجـالي الفـن في أعلـى منـاره
وأريح النفس مـن مضِّ العنـا　　في فنون البحث أو دور التجاره
يـا لهـا مـن رحلـة قـد غـسلت　　صدأ الفكر ، وأربت في مساره[2]

والقصيدة تسجيل تقريري لمحطات رحلة الشاعر إلى (لندن) خلت من الرؤية الفنية العميقة والصور الحسية الموحية التي وجدناها عند وصف الطبيعة – كما مر – وكان تركيز الشاعر على الطبيعة الصامتة في هذه القصيدة واضحاً[3].

وللعقيلي قصائد كثيرة في وصف الرحلة ، مثل قصيدة (من إلهام رحلة باريس)[4]، وصف فيها باريس ومباهجها ، وقصورها وأنهارها ، وتوقف عند غاباتها ، ودهش كثيراً من إتقان صنعة (برج إيفل) الشهير .

وله قصيدة (من إلهام مدينة قرطبة)[5] ، تحدث فيها عن رحلته إلى أسبانية ، وبكى في هذه القصيدة مجد المسلمين الضائع هناك ، ورثى قرطبة وأخواتها في قصيدة طويلة ، بلغت ثلاثة وتسعين بيتاً .

(١) المصدر السابق : ٤٩٥ .
(٢) المصدر السابق : ٤٩٦ .
(٣) انظر : شعر محمد أحمد العقيلي ، دراسة تحليلية ، خالد الشافعي : ١٦٦ .
(٤) المجموعة الشعرية : ٥١٥ – ٥٢٧ .
(٥) المصدر السابق : ٦٣٣ – ٦٤٦ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ومن قصائده في وصف الرحلة قصيدة (سان فرانسيسكو) [1] ، تحدث فيها عن رحلته إلى أمريكا ، وما رأى هناك من مظاهر الحضارة والتقدم ، ولم يكن ليغفل الطبيعة الساحرة ، خاصة ما اشتهرت به مدينة (سان فرانسيسكو) من جزر وشواطئ رائعة .

والعقيلي في كل قصائده السابقة يتحدث بأسلوب المؤرخ الحريص على رصد كل التفاصيل ودقائق الأمور .

ومن الشعراء الذين صوروا رحلاتهم ، ووصفوا المعالم التي زاروها الشاعر علي ابن حسين الفيفي ، فمن قصائده في هذا الباب قصيدة (ترمال) ، وترمال هو منتجع في تركيا ، يعد من أروع بلاد الدنيا ، ووصف الفيفي كان وصفاً ظاهرياً ، اهتم بالحديث عن مظاهر الطبيعة الساكنة ، وأحوال الناس وحركتهم ، فمن ذلك قوله :

نفحات العبير من ترمال　　من رياضٍ أزهارها كاللآلي
جنة تبهر العيون بما فيـ　　ـها من الورد في الربا والتلال

إلى أن يقول واصفاً ينابيع المياه الحارة التي يأتي الناس إليها من كل مكان :

وبوديانها ينابيع ماءٍ　　ساخنٍ ما لنبعه من مثالِ
شيدوا فوقه القباب وقالوا　　فيه نفع من كل داءٍ عضالِ
وترى السائحين من كل لونٍ　　وقبيلٍ كأنهم في احتفالِ [2]

(١) المصدر السابق : ٦٤٩ – ٦٥٦ .
(٢) الهمس الخافت : ١٤٦ – ١٤٧ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

رابعاً – وصف المخترعات :

لقد مكّن الله للإنسان في هذه الأرض ، ودعاه لإعمال عقله ، والإفادة من الطبيعة التي بين يديه ، والإنسان المعاصر، استطاع أن يوظف ما حوله من كنوز في سبيل خدمته ورقي حياته ، فبلغ شأواً عظيماً في ذلك ، فاخترع السيارة والطائرة والكهرباء والهاتف ، والمذياع والتلفاز ، وغير ذلك من وسائل قرّبت البعيد ، واختصرت المسافات، وغيرت مجرى الحياة ، وقد فتح الشعراء أعينهم على هذه المخترعات ، ووقفوا أمام هذه الاكتشافات وقفة المتأمل ، المستغرق في التفكير في قدرة الإنسان العجيبة على استغلال عقله الذي وهبه الله ، ومن هؤلاء الشعراء محمد بن أحمد العقيلي ، ومن المخترعات التي وصفها الشاعر العقيلي (الطائرة) ، حيث وصفها وهي تسير على أرض المطار ، ثم تقلع وتطير في السماء أشبه ما تكون بطائر ضخم ، وتعجب الشاعر من هذا الحديد الذي ركب بعضه على بعض ، ثم هو يسابق الريح ، ولم يفته أن يشير إلى تعجب الناس وهم يشاهدون الطائرة لأول مرة ، فيقول :

حرّكوها فدوتْ صاخبةً وسمت ترقى إلى أفق السماء
خطرت تختال في الأفق ضحىً كوكباً يسبح في وضح النهار
يبهر الأبصار منها منظرٌ فيه عقل المرء والفكر يحار
يتحاشى الطير منها جانباً ويلذ خوفاً بأذيال الفرار
بعدما كان على الجوِّ له منعة عزّتْ على الملتمس
ومكان قطّ لم يُطمع به زمن القوسِ وعهد الفرس

* *

واستدارت فوق أرجاء البلاد تتهادى في بهاء وجلالْ
فاشرأبّ الشعب يرنو ناظراً نظرة الصادي إلى الماء الزلالْ

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ورنـــوا للأفـــق في آثارهـــا مثلما يُطلـبُ للفطـر الهـلالْ[1]

وللعقيلي مقطوعة يصف فيها أداة تقطير الماء (الكنداسة) عندما ركبت في مدينة (جازان) سنة ١٣٦٦هـ ، وأثرها على الناس الذين استبشروا بها ، حيث كفتهم مؤونة جلب الماء من الآبار والأودية ومجاري السيول ، فيقول :

مـــن حديـــدٍ ركبوهـــا آلـــةً تنقـع الغلَّـة أو تـشفي الأوامـا
ترشـف البحـــر أجاجـاً فـــإذا قطّرتـه حالـت البحـر غمامـــا
مـــن زلالٍ كعـصير المـزن أو قطـع البلّـور لونـاً وانـسجاما
في صفـــاء الدمـــع إلا أنّـــه كمجـاج النحـل طعـماً ومرامـا
نـــشهد الدقـــة في تركيبهـــا وأيادي العلـم والفـنَّ جساما[2]

وللشاعر علي بن قاسم الفيفي [3] قصيدة يصف فيها جهاز الهاتف ، والخدمات التي قدمها للإنسان ، وتقريبه للبعيد ، وتجاوزه البحار ، وغير ذلك من حلولٍ كثيرة وتسهيلات وفيرة أسداها للإنسان ، فيقول في قصيدته (ألو نعم) بعد أن وقف طويلاً أما باب أحد المسؤولين ، فلما طال به المقام دخل إلى مكتب آخر واتصل به ، وقضيت معاملته فوراً ، ومن ثم كانت القصيدة :

ألـــو نعـــم ألـــو نعـــم كـــم خدمـــةٍ أسـدى وكـــم
يـــــسعى إلى حاجاتنـــــا في دأبٍ بـــــلا ســـــأم

(١) المجموعة الشعرية : ٢١٦ – ٢١٨ .
(٢) المصدر السابق : ٤٤٣ .
(٣) هو : علي بن قاسم بن سلمان بن جابر الفيفي ، ولد بفيفا سنة ١٣٥٠هـ ، ودرس على بعض مشائخ فيفا مبادئ العلوم ، ثم التحق بمدرسة الشيخ عبدالله القرعاوي ، ولازم الشيخ حافظ الحكمي ، وعين مدرساً ثم قاضياً ، وهو الآن قاضٍ بمحكمة التمييز بمكة المكرمة ، له ديوانا شعرٍ هما (ومض الخاطر) ، و (الطيف العابر) ، وله خطب ومحاضرات ومؤلفات متعددة . انظر ترجمته في : التاريخ الأدبي لمنطقة جازان ، للعقيلي ٣/ ١٥٤٢ ، وفرجة النظر ، للشعفي ١/ ٣٨٣ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

نلتقـــط الأرقـــام في　　يُـسرٍ بهـــا ونـــستلم
سماعـــةً تـــرنُّ بـــالأ　　ذن لهـــا أحلـــى نغـــم
نرفعُهـــــا لمـــــسمعٍ　　ولاقـــط الـــصوتِ نعـــم
تطـــلُّ عـــن طريقـــه　　وتلتقـــي كـــل الأمـــم
وتنقـــضي الحاجـــات في　　يـــسرٍ بـــه بـــين النَّـــسَم
يـــأتي بمـــن نطلبُـــه　　فـــوراً ولم تـــسعَ قـــدم
نطـــوي بـــه الـــدنيا ولم　　نَجِـــدْ مـــع البُعـــد ألـــم
ونختطـــي حواجـــزاً　　ونمتطـــي شبـــه العـــدم
ونلتقـــي بمـــن نـــشا　　عـــن كثـــبٍ فمـــا بفـــم
فـــذا يناجـــي خلّـــه　　همـــساً ويـــشكو مـــا نقـــم
وذا يـــداري عاتبـــاً　　وذا مـــن العتبـــى ابتـــسم

والشاعر ركز في حديثه على أثر هذه الآلة على الناس ، وفي حياتهم ، ولم يتوقف عند العقلية التي صنعتها ، أو التقنية التي احتوتها ، ولا ينسى أن يشير إلى أهم خدمة قدمتها هذه الآلة ، فيقول :

وخدمـــة أخـــرى لـــه　　في نظـــري مـــن ذا أهـــم
إذا دعتـــك حاجـــة　　إلى المديـــر المحتـــرم
تـــروم طـــرق بابـــه　　مـــن بعـــد شـــق المـــزدحم
والنـــاس خلـــف بابـــه　　سيـــل وبحـــر ملتطـــم [1]

إلى آخر القصيدة التي يصف فيها قدرة هذا الجهاز على تجاوز المسافات ، وحل الأمور من دون أدنى عناء ، وهي على ضعفها إلا أنها تصف إعجاب الشاعر بالخدمة

(١) ومض الخاطر : ٧٠ – ٧١ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

التي قدمها الهاتف للناس ، وأثره في تسيير أمور الحياة .

والشعراء في وصفهم لهذه المخترعات يقفون عند حد التناول الوصفي ، ولا يتجاوزونها إلى صبغ أحاسيسهم ومشاعرهم ورؤاهم الفكرية والتأملية فيها ، فغدت قصائدهم تقريرية معتمدة على السرد والأسلوب الخطابي ، وعدم إشعاعها بالحياة وخصوبة المشاعر مثلما كان في وصفهم للطبيعة من حولهم ، سواء الساكنة الصامتة أم المتحركة .

***

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ثانياً- الغزل :

اجتذبت المرأة – منذ أن خلقها الله – عين الرجل وحسّه وقلبه ، بل يمتدّ هذا الاجتذاب ليأخذ بمجامع جوارحه ، والأدب هو إحدى وسائل التعبير عن ذلك الأثر النفسي، فهو المعني بتصوير الحب الذي يمثل هذه العلاقة بين الرجل والمرأة .

وقد سما الإسلام بهذه العاطفة ، وطامن من كبريائها وإسرافها في الجاهلية .. واشترط أن تظل هذه العاطفة في نطاقها الفردي ، وأن يظل شرها أو خيرها ، انفعالها أو هدوءها ، ثورتها أو حركتها في نطاق هذه الحياة الفردية ، فلا تتجاوز ذلك إلى المساس بحياة الآخرين من مثل حياة الأسرة وحياة المجتمع [1] .

وعند النظر في شعر جازان ،نجد مادة ضخمة من الشعر اهتمت بتصوير هذه العلاقات العاطفية بين الرجل والمرأة ، وقبل أن أفصل الحديث عن علاقاتهم الغرامية وطريقة عرضها ، أود أن أشير إلى أن كثيراً من الشعراء قد عمدوا إلى بث آرائهم في هذه العلاقة ، وفلسفة الحب ، وتحديد بعض مصطلحاته ، وطريقة فهمه ، فالشاعر إبراهيم مفتاح يعرف الحب شعراً ، فيقول :

هو نار على القلوب ونور وعناء وبهجة في العيون
هو معنى يذوب بين الحنايا واحمرار يورد الوجنتين
وحديث على الشفاه لطيف يسكب العين تارة دمعتين [2]

والحب عند محمد الشنقيطي مشاعر هامسة ، ورعشات غير محسوسة ، وحياة راقية للنفوس ، يجمع بين قلبين عاشقين ، فيقول :

ما أنت يا حب عندي إلا شعور وهمس

(١) انظر : تطور الغزل في الجاهلية والإسلام من امرئ القيس إلى ابن أبي ربيعة ، د. شكري فيصل : ٢١٢ – ٢١٤ .

(٢) عتاب إلى البحر : ٧٨ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

مـــا أنـــت إلا انبهـــار　　ورعـــــشة لا تحـــــس
مـــا أنـــت إلا وجـــود　　تحيـــاه نفـــس ونفـــس [1]

والشاعر إبراهيم صعابي يرى أنه من الصعوبة تعريف الحب ؛ لأنه علاقة خفية يعجز الإنسان عن أن يحيط بها ، وإن لم يكن هناك بد من ذلك ، فهناك بعض الملامح يمكن أن تقرب صورته ، وذلك في قوله :

الحـبُّ أكـبر أن نحـيط بـه　　الحـب تـضحية مـدى الأمـدِ
بـذل بـلا مـن ولا ملـل　　لا وصف للعناب والبَرَدِ [2]

فالحب عنده عاطفة ناضجة ، عاطفة روحية ، لا أوصاف مجردة لمظاهر الحسن الخارجي للمرأة ، الحب هو بذل وعطاء ، وتبادلٌ للحب ، وتضحية بكل غالي .

وهذا علي بن حسين الفيفي ينكر على الذين يعيشون بلا حب ، ويرى أن تجربة الحب هي المنهل العذب ، وأن من لم يذق من هذا المنهل ، فهو كالصخر لا يحس ، وأنه لا يعجب من الشخص الذي يشكو الهوى وآلامه ، ولكنه يعجب من الشخص الذي لم يحب يوماً ما ، وهذه نظرة إيجابية نحو علاقات الحب وتجارب الغرام ، فيقول :

وليس عجيباً أن يعذبك الهوى　　ولكن عجيباً أن تعيش بلا حب
وأن تمضي الأيام وهي كئيبة　　ولا ترتوي يوماً من المنهل العذب
وأن تنظر الأشياء نظرة عابس　　وتمقت كل الناس في الشرق والغرب
تعيش كصخر لا يحس بلوعة　　كأن الهوى شيء حرام على القلب [3]

(١) قلب يتنفس : ٨٩ .
(٢) زورق في القلب : ٩٩ .
(٣) أزهار : ٩٢ – ٩٣ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ويركز على هذا المعنى ويرى أن القلب الخلي من الحب كالقلب الذي قدَّ من الصخر، وأن من دلائل معرفة الحب ، ومن أهم وسائل نقل العواطف هي العيون ، لا سيما إذا ترقرقت عبراتها ، فيقول :

أليست دموع العين أكبر شاهد وأصدق تعبير من الشعر والنثر
وليس لصب حين يفقد حبه وينسى الهوى عند المحبين من عذر
إذا ما خلا قلب امرىء من عواطف وحبٍّ فذاك القلب قد من الصخر (١)

ولغة العيون تفصح دائماً عما في القلوب من مشاعر ، تلك المشاعر هي التي ينقلها لنا الشعراء بحذافيرها شعراً معبراً ، ويعجز عنها غير الشاعر ، فالتقاء النظرات وتبادلها هو همس لا يفهم معانيه إلا العاشقون ، وينبي عما في النفوس من معانٍ ، يشير إلى هذا المعنى علي بن حسين الفيفي في قوله :

لولا عيون الغيد ما عرف الهوى قلب وما في نبضه تجديدُ
لا تلتقي النظرات إلا هيجت مُهجاً وما بين اللحاظ حدودُ
وتبادل النظرات همس خافت بين القلوب بما تريد الغيدُ
في كل لحظ للقلوب رسالة فيها اشتياق عارم وقصيدُ (٢)

ويقول إذا نفى العاشقون غرامياتهم ، وكتموا أهواءهم ، فإن عيونهم تفضح تلك المزاعم ، بل النظرات والزفرات والآهات كلها حجج وأدلة وشهود على الحب ، لا يمكن للمحب أمامها إلا الإذعان :

وإذا نفى العشاق أن قلوبهم تهوى ففي نظراتهم تفنيدُ
نظراتهم زفراتهم ، آهاتهم حجج على عمق الهوى وشهودُ (٣)

(١) زائر الأمس : ٤٠ .
(٢) الهمس الخافت : ٢٢ – ٢٣ .
(٣) المصدر السابق : ٢٣ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

بل تحوّلت تجارب المحبين إلى قوانين يعمل بها ، وشرع يحتكم إليه ، وآداب مرعية لا يسمح لأحد أن يتجاوزها إذا أراد أن يكون من أهل الهوى الحقيقي ، فلا مكان في الهوى للكذب أو التعالي أو عدم الإحساس بنفسية الحبيب ، عن هذه المواثيق والقوانين يتحدث حسين النجمي ، فيقول :

ليس يبقى بالهوى إلا الهوى　　تتلاشى بالهوى كل الفروق
ليس في شرع الهوى [1] أن تكذبي　　وعلى العاشق أن يبقى صدوق
كيف ترضين حياة رغدة　　وأنا هجرك والبعدَ أذوق
عند أهل الحب هذا منكر　　ولميثاق الهوى هذا عقوق [2]

ويأتي شعر الغزل في المرتبة الثانية بعد شعر الوصف ، من حيث الكثرة في شعر جازان، بل إن هناك عدداً من الشعراء قد غلب عليهم الغزل ، فخصصوا دواوين كاملة للغزل وما يتعلق به من وجدانيات وآلام ، ربما كثير منها ناشيء عن الحب وغصصه ، كعلي ابن حسين الفيفي ، ومحمد بن أحمد الشنقيطي ، وإبراهيم صعابي .

وهناك شعراء آخرون أكثروا من الغزل ، ولكنه لم يستأثر بالنصيب الأكبر من أشعارهم ، ومنهم حسين النجمي في دواوينه : (ألم وأمل) ، و (خفقات قلب) ، و(عيناك في وقت الرحيل) . وعلي النعمي في ديوانه (عن الحب ومُنى الحلم) ، وحسين الكريري في ديوانيه : (زورق الشوق) ، و (وعزف على أوتار الحب) . فهؤلاء الشعراء الثلاثة تكاد تنحصر أشعارهم في هذه الدواوين حول الغزل ، ومع هذا ففيها أشعار أخرى في أغراض متنوعة .

غير أن هناك شعراء لهم دواوين مطبوعة وقصائد كثيرة أخرى منشورة ، ومع هذا لم نجد عندهم شيئاً من الغزل ، كالشاعرين علي بن قاسم الفيفي ، وعلي بن مديش

(١) ليس للهوى شرع ، وإنما هذا من مبالغات الشعراء المألوفة .
(٢) خفقات قلب : ٤٠ – ٤١ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

بجوي[1] ، ولعل عزوفهما عن شعر الغزل أو عدم نشرهما له – إن كان لهما غزل ، وهو ما أتوقعه – أنهما يسيران على منوال كثير من الشعراء الذين منعهم الوقار وسمت أهل العلم من إظهار شعرهم الغزلي ، كابن عثيمين ، وعبدالله بن خميس وغيرهما .

ويعلل بعض النقاد عزوف كثير من الشعراء عن الغزل أصلاً ، أنهم لا يقولون الشعر استجابة لعاطفة الوجدان الذاتية ، إنما الشعر عندهم للمناسبات العامة ونحوها[2] .

والشعراء الذين طرقوا الغزل ، بل حتى بعض الذين أكثروا منه ، لم يكن حديثهم فيه حديثاً نابعاً من تجارب صادقة ، أو عواطف حقيقية ، وإنما هو تقليد نزعوا عنه ، وركبوا موجته ، فكثير من الشعراء إنما غزلهم هو غزل مقدمات للأغراض الأخرى مما هو معروف ومألوف في البناء الشعري العربي القديم ، فالشاعر حسين كريري كثيراً ما يقدم لقصائده بمقدمات غزلية ، ومن تلك القصائد قصيدة (المؤنسة) ، حيث يقول في مطلعها :

يا با رق الليل رفقاً لا تثر لهباً فمن وميضك ثار الشوق والتهبا

أنت الرسول لأشواقي تدفقها كوابل المزن ذي من مزنك انسكبا[3]

وطالت هذه المقدمة ، فتجاوزت سبعة عشر بيتاً ، والقصيدة موضوعها الأصلي هو النصح والتوجيه وذم بعض التصرفات الخاطئة ، ولا علاقة لها بالغزل .

ومن مظاهر التقليد في الغزل ، لجوء بعض الشعراء الى تشطير قصائد الغزل المشهورة التي كتب لها الخلود ، والإجماع من قبل النقاد والقراء على جمالها وروعتها ،

(١) هو علي بن مديش بجوي ، ولد بقرية الجاضع سنة ١٣٥٨هـ ، تخرّج من كلية الشريعة بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية سنة ١٣٧٨هـ ، وعمل بسلك القضاء ، وهو الآن قاض بمحكمة التمييز بمكة المكرمة ، وعين عضواً بمجلس الشورى ، له مشاركات أدبية وثقافية ، وهو أحد أعيان منطقة جازان البارزين ، من أعماله الشعرية ديوان (نبض القوافي) . انظر ترجمته في : التاريخ الأدبي لمنطقة جازان ، للعقيلي ٣/ ١٥٥١ ، وفرجة النظر ، للشعفي ٢/ ٥١ ، وفيه أنه ولد سنة ١٣٥٩هـ .

(٢) انظر : الشعر الحديث في المملكة العربية السعودية ، د. عبدالله الحامد : ٣٣٧ .

(٣) عزف على أوتار الحب : ٧٨ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

فمثلاً الشاعر محمد بن أحمد الشنقيطي عارض وشطّر كثيراً من القصائد ، مثل قصيدة ابن زريق البغدادي التي مطلعها :

لا تعذليه فإن العذل يولعه　　قد قلت حقاً ولكن ليس يسمعه

شطرها بقصيدته التي مطلعها (تبا لك من وداع) ، ومطلعها :

لا تعذليه فإن العذل يوجعه　　جفاه منك على التأنيب مضجعه[1]

وشطر أيضاً قصيدة الشريف الرضي المعروفة بـ (يا ظبية البان)[2] ، وقصيدة (ثورة الشك)[3] لعبد الله الفيصل .

وتارة يعمد الشاعر إلى الإكثار من تضمين أشعار السابقين في ميدان الغزل في أشعاره، وهو مظهر تقليد ساقه الإعجاب بتلك الروائع الخالدة ، فمحمد الشنقيطي يختم إحدى قصائده ببيتين من الشعر ، هما :

فقلت له : وقد جافى بلطف　　كسهم في الفؤاد له اقتحام

أمن خديك يصنع ؟ قال : كلا　　متى صنعت من الورد السهام[4]

وهذان البيتان ليسا له ، وإنما هما للشاعر الحصري القيرواني[5] .

وقد وقع كثير من الشعراء في أسر المضامين القديمة في ميدان الغزل ، ولم يقدروا على الفرار من مضامين الغزل الجاهزة ، والقوالب المجترة من العصر الجاهلي ، فهذا السنوسي وهو من أكبر الشعراء في جازان وأقدرهم على التجويد – وقد فعل – والمعاني المستحدثة في مقام الرومنسية ، نجده في حديثه في قصيدة (حسناء الريف) ، يعرض جمال تلك الريفية عرضاً تقليدياً ، فالجمال هو في عينيها والروعة في طولها ، يقول في مطلع القصيدة:

---

(١) خلف أسراب البجع : ٣٧ .
(٢) المصدر السابق : ٤٣ .
(٣) المصدر السابق : ٤١ .
(٤) المصدر السابق : ٥٢ .
(٥) انظر : تاريخ الأدب العربي ،للدكتور عمر فروخ ٤/ ٣٧٦ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

تحيـــة منـــي إلى غـــادة هيفـــاء لفـــاء كعـــاب رداح
ريفيـــة تهتـــز أعطافهـــا خـــصوبة في مـــرح وارتيـــاح
عينـان مـا عـين المهـا والـضبا وقامة ما البان ماذا الرماح [1]

فما هو هذا الطول الذي يتجاوز البان والرماح ، إنه طول ممقوت ، بل هي صورة غير متخيلة عند القارىء العربي المعاصر ، الذي لم يعد يمتلك الرماح ، ولم يعد ترقه خمائل البان التي ربما لم يرها أصلاً .

والشاعر حسين كريري كثيراً ما يسير على نمط الأقدمين في استيحاء مطالعهم والموضوعات التي طرقوها ، ففي قصيدته (أثل سلمى) ، بدأها بمطلع شبيه بمطلع لابن زيدون [2] ، ثم أتى بعد ذلك بحديث عن تقبيل الغصون التي كانت تلامسها خدود محبوبته ، سيراً على منوال الأقدمين في حديثهم عن رغبتهم في تقبيل السواك ؛ لأنه كان يلامس فم المحبوبة ، يقول الشاعر الكريري :

ولقد ذكرتُك يا سُليمى حينما أبصرت أثلاً في ضفاف الوادي
فـذكرت أيامـاً لنـا بظلالـه وكأنـه أثـل نمـا بفـؤادي
ووددت تقبيـل الغـصون لأنهـا كـانت تلامس خدك الوقّادي [3]

وشاع عند بعض الشعراء الغزلين إيراد الحكايات ، ورواية اللقاءات الوهمية بينهم وبين محبوبابتهم سيراً على منوال عمر بن أبي ربيعة ، وممن ظهر عنده هذا اللون من الغزل علي بن محمد السنوسي ، ففي إحدى قصائده يتحدث عن ليلة جميلة أبصر فيها مجموعة من الغواني كأنهن النجوم ، قد لبسن من اللباس أجمله ، وزيّن رؤوسهن بأذكى الروائح العطرية التي يعرفها نساء جازان ، والمعروفة لديهن باسم (الخطور) [4] التي هي أذكى من المسك الأذفر ، وقد ملأت روائحها الطريق ، وملأ عبقها المكان ، فتبع

(١) الأعمال الكاملة : ٤٦٩ – ٤٧٢ .
(٢) في قوله :
ولقد ذكرتك بالزهراء مشتاقا والروض طلق ووجه الأرض قد راقا
(٣) دموع لا يمسحها الزمن : ٩٨ . ويظهر أيضاً تأثره بشعر عنترة الوارد في معلقه .
(٤) مجموعة من الرياحين تضعها المرأة على رأسها مع شيء من الأطياب يزيدها جمالاً وأنوثة .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

الشاعر خطا أولئك النسوة ، وجلس قريباً منهن يسمع غناءهن، ولما شعرن به ، وعرفن أنه حول خبائهن غطين وجوههن، واتهمنه بالفسق والسرقة ، ولكنه دافع عن نفسه ، وردّ تلك التهمة ، يقول في تلك المغامرة الليلية :

في ليلة هب النسيم مداعباً	فيها شماريخ النخيل المثمر
في محفل ملأ العيون جماله	ببديع رونقه وحسن المنظر
جمع الملاح من المدائن والقرى	ما بين بدو سراتها والحضر
من كل غانية تدير لحاظها	بتلفت الظبي الأغن الأحور
عجباً لهن إذا طلعن عشية	بربا المُطَلَّع كالنجوم الزهر
يملأن أفواج الطريق روائحاً	أذكى من المسك السحيق الأذفر
وسريت أنظر لعبهن ومسمعي	يصغي إلى لحن الغنا بتستر
فوقفت بين تعجب وتفرج	ودهشت بين تفكر وتحير
حتى إذا أشعرن أني واقف	حول الخبا في صورة المتنكر
فضربن من خجل وهن نوافر	نهداً وغطين الوجوه بأخمر
وهتفن هذا سارق أم فاسق	متطلع في أمرنا لم نشعر
حاشا فما بي ما زعمن وإنما	لي بينهن حبيبة لم تظهر
علق الفؤاد بها ولم يك مثلها	بقرى العراق ولا مدائن قيصر [1]

والقصيدة محاولة للدخول في فلك الفن الدرامي للحكايات الغرامية التي تميز بها بعض الشعراء القدامى ، وفي البيت الأخير شيء من مبالغة ، ربما لا تكون مقبولة .

وممن أكثر من هذا الشعر علي بن حسين الفيفي ، ومن قصائده التي مَثلث هذا الجانب التقليدي قصيدة (لقاء) ، حيث عرض حواره الغزلي مع أكثر من فتاة ، فواحدة منهن سألته عن تعريف للحب وعن رأيه فيه ، فأجابها بقوله :

(١) المفقود من شعر علي بن محمد السنوسي ، د. عبدالله أبوداهش : ١٤٠ – ١٤٤ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

هــو همــسة أو غمــزة أووردة قطفت لتهدى للحبيب الأوحد
هو أسطر ساعي البريد يزفها كتبت بدمع صيبٍ متجدد

وبعد تعريف طويل في ثمانية أبيات ردت عليه المحبوبة بقولها :

قالت سلمت من الردى فأجبتها سلمت خدودك من عيون الحُسّد
فاستأذنت في الانصراف فقلت: لا قالت بلى ، وسألتقي بك في الغد

وأخرى تظاهر لها بأنه قد ظل الطريق ، وأنه لا يرى الليل إلا بصعوبة ، وطلب منها أن تدله على الطريق ، وأن تهديه إلى منزله ، ولكن تلك الفتاة أدركت مقصده ، وتفطنت إلى مراده ، فيقول عارضاً ذلك الحوار التقليدي :

وصبيــة أخــرى وددت بأنهــا أوفت بمــا قــالت ولم تــتردد
تلك التي في الجانب الغربي من فيفا التقيت بها بقرب المورد
أوهمتهــا أن الطريــق ضللتــه والدرب يا أختاه غير ممهد
أختاه إن جاء الظلام فلا أرى شيئاً ولست كما ترين بأرمد
قالت فهل عالجت نفسك عاجلاً أو تكتحل يوماً بعود الإثمد
حتى إذا غادرت بيتك ليلة لم تعش في جنح الظلام الأسود
فلقد رأيتك في الظلام متيماً وأراك في رأد الضحى في المسجد [1]

وكثرت لديهم الأوصاف المألوفة من مثل وصف المحبوبة بالبدر في جمالها ، وتصوير مسامرة العاشق لليل ، وطول الانتظار لمجيء المحبوب ، ومن ذلك قول أحمد يحيى بهكلي :

فــؤاد هائــم في بيد صبوته والبدر إما بدا في الأفق يفزعه
لأنــه مــشبه حقــاً معذبــه ومثــل مطلعــه الفتــان مطلعــه

(١) أصداء الذكريات : ٢١ – ٢٢ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

يسامر الليل والأفلاك مكتئباً　　لعلها من عذاب السهد تنزعه [1]

والإكثار في مقام الغزل من طرق التصبّر وكتم الأشواق والدموع ، واستيحاء بعض معاني الشعراء في هذا المعنى ، فعلي بن حسين الفيفي يكتم أشواقه ، ويحبس دموعه من أن تراق ، ولم يمنعه من ذلك إلا الرجولة ، ولولاها لسالت دموعه بغزارة ، يقول :

أخفيت إعجابي وحبي عنكم　　فإذا به يختال في أشعاري
لولا الرجولة ما بخلت بأدمعي　　حتى تسيل كصيب مدرار [2]

وهو في ذلك يستوحي قول جرير : (لولا الحياء لعادني استعبار ...) .

وطرق الشعراء لموضوع الشيب في مقام الغزل ، إنما هو تقليد ، ولكن بعض الشعراء قد حاول أن يضفي مسحة أو صبغة على الموضوع ، محاولاً إخراجه من ربقة التقليد إلى أن يكون موضوعاً مقبولاً بما ألبسه عليه من فلسفة له ، فالشاعر علي بن حسين الفيفي يشير إلى أن الغانيات إذا نظرن إلى ذي الشيب ، فإنما نظرتهن نظرة إشفاق ورحمة ، لا نظرة إعجاب ، ويدعو إلى الإعراض عمن هذه صفاتهن ، وعدم التعلق بهن؛ حتى لا يأكل قلبه الهجر والصدود ، يقول :

وبداية الشيب النهاية للهوى　　فاقصر خطاك عن الهوى وتراجع
فالآنساتُ قلوبهن مع الذى　　يزهو بريعان الشباب اليافع
وإذا نظرن إليك ليس مودة　　لكنه أسف لعمر ضائع
إشفاقهن عليك في طياته الـ　　ـتوديع ، والتوديع ليس بنافع
فاعرض كما يعرضن حتى لا ترى　　ما في الصدود من الجفاء الشائع [3]

(١) الأرض والحب : ٤٠ .
(٢) رحلة العمر : ٦٣ .
(٣) الهمس الخافت : ١٢٢ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

والوقوف على الأطلال ، وزيارتها ، والإشادة بدورها في إذكاء أوار الغرام ، والإكثار من ذلك ، إنما هو تقليد في مقام الغزل ، فحسين النجمي يكثر من طرق هذا الموضوع في غزلياته ، ومن ذلك قوله في قصيدة (الأطلال) :

زرت أطلالنا فزاد لهيبي وندبت الهوى وسوء نصيبي
قتلتني بلحظها وتولت بعناد ولم تلن لنحيبي

ثم يقول في آخر قصيدته :

سوف تبقى الأطلال مهد صبانا من شذاها يفوح أجمل طيب
حيث لقيا الغرام تحت غصون قد توارى وراءها محبوبي[1]

وحسين الكريري قلّما يورد قصيدة غزلية إلا ويقدم لها بالوقوف على الأطلال ، والبكاء على مرابع الأحباب ، ومواطن اللقاءات الغرامية .

وطرق شعراء جازان لموضوع طيف الحبيب ، ورؤيته في المنام ، وإيراد الأحاديث الحالمة ، إنما هو تقليد أيضاً ساروا عليه ، ولم يكن يُمَثِّلُ لمسات مبتكرة ، أو إضافات تخرجه عن إطاره المألوف ، فحسين النجمي لقدرته على الوصول إلى محبوبته في المنام وفي الخيال ، حتى كأنما يحمل جهاز (ريموت) ، متى ما أراد أن يرى محبوبته رآها ، فيقول لو حجبوا هذه المحبوبة عنه ، أو منعوها فى أن تبرز له ، فإنه لا يمكن لهم أن يحجبوها عن زيارته في منامه :

أسائل عنك أحلام الليالي وأبحث عنك في صور الجمال
وأقرأ في رؤى الماضي سطوراً تذكرني بأيامي الخوالي
وألمح في عيون الليل شوقاً إلى وهج الحقيقة في سؤالي
فإن حجبوك عن بصري فإني أزورك في المنام وفي الخيال[2]

(١) خفقات قلب : ٧٤ – ٧٥ .
(٢) تأملات على مرافئ الغربة : ٩٠ – ٩١ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

ومن المعاني المطروقة عند الشعراء في مقام الغزل ، هو ما سار عليه ذلك الشاعر العاشق حين تمنى أن يكون هو وحبيبته بعيرين يرعيان في الفلاة ، وهما أجربان حتى لا يقربهما أحد ، أو لا يأبه بشأنهما بشر ، طرق هذا المعنى أكثر من شاعر ، ومنهم حسن حجاب الحازمي ، حيث يقول :

أحبيني
وهذا البحر فارميني
وهيا ... فارتمي خلفي
ولا تقفي
فلن نغرق
سنبني ها هنا من هدبنا زورق
لعل الموج يحملنا
إلى أرض بلا أحقاد
إلى وطنٍ بلا حُسَّاد
هناك .. هناك موطننا
سنغرس فيه بذرتنا
سنغرس أرضه دمنا
وماء الحب
ولن يجتاح زهرتنا
زمان جائرٌ أفّاق (١)

* * *

(١) وردة في فم الحزن : ٨٨ – ٨٩ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

من أكثر ألوان الغزل شيوعاً في شعر جازان الغزل الحسي ، وتمثله القصائد التي تصدر عن مؤثرات إحدى الحواس الخمس وما يدرك بها ، والقصائد التى تصدر عن إعجاب حسي بامرأة ما ، وهذا الإعجاب لا يصل إلى درجة اشتعال الحنين والوله والوجد ، وإنما يظل الشاعر فيه محتفظاً بهدوء حالته النفسية التي تجعله ينظر إلى من يختارها نظرة خارجية يكون بموجبها منبهراً بالمنظر وتصويره ، فهو ليس متهالكاً في الصبابة ، وإنما هو شاعر يقتفي أثر الجمال . فالشاعر محمد بن أحمد العقيلي ذهب إلى بيروت للعلاج ، فخرج في يوم من الأيام للنزهة مع رفيقه حمد الجاسر إلى (فوار انطلياس) ، وهناك أبصر فتاة جميلة خرجت في كامل زينتها ، فأدهشته بحسنها ، ونسي حينها آلامه وجراحاته ، ومضى يسطر في أبياته صفات ذلك الجمال الآسر الذي أسره ساعة مرآها ، وكأنها هي علاج ألمه ، وبلسم جرحه الذي التقاه صدفة [1] ، فهالته بضياء وجهها وكأنها الشمس :

وهيفاء كالشمس إطلالة ... على منكبيها اسبطرَّ الشَّعر
نظرت إليها وقد شفني ... هواها لساعته واختمر
تناسيت آلامي المبرحات ... وهل لوعة في الحشا أم حجر

وتعجب من حسنها ودلالها الأخاذ ، لذلك التفت يخاطبها الشاعر متعجباً من تكامل الجمال فيها ، فيقول :

جمالك من نفحات السماء ... وضوء الدراري ونور القمر
وأنفاسك العطرات الشذى ... كنشر الأزاهير غبّ المطر
تكحلت يا فتنتي ما عسى ... يزيد فتونك بعد الحور؟!
وحليت طوقك يا للغرام ... لجيد تسمر فيه النظر
إذا ما خطرت أثرت الفتون ... وهجت الشجون وثرت الفكر

(١) انظر : شعر محمد أحمد العقيلي دراسة تحليلية ، للشافعي : ٢٣٣ – ٢٣٤ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

بخطـو كإيقـاع نقـر الـدفوف وقـرع الكؤوس وجـسّ الـوتر
وقـدٍّ كغـصن نـضـير القـوام ترنحـــه نـــسمـات الـــسحـر
تجاذبـك الـريح فـضل الـرداء كـــأن بـــه شغفـــاً كالبـــشـر
يـضمّـك مرتعـشاً في حنـان وينساب بـين أثيـث الشَّعـر [1]

وقد ركز العقيلي نظره في تلك المرأة ، وأحصى ملامح زينتها الحسية ، ولم يبق من الحواس التي يعبر عنها غير حاسة اللمس ، وهـذه لم يـتمكن منهـا حتـى يـصفها في هـذه القصيدة التي غلبت عليها التقريرية ، كما هو الشأن في غالب قصائد هذا النوع من شـعر الغزل . ولعل في إدراج الـشاعر للأصـوات المطربـة (نقـر الـدفوف ، جـسّ الـوتر) ، مـا يشير إلى نفسيته المرحة التي تأثرت سريعاً بما رأت ، فتناست آلامها .

ومثله محمد بن علي السنوسي ، فهو ممن يعجبـون بـالنظرة الأولى ، ففـي قـصيدته (شد الحزام) يتحـدث عـن مـضيفة الطـائرة التـي طلبـت منـه أن يـشد حزامـه ، ولكنهـا شدت مع ذلك قلبه ، وأسرت شاعريته ، فرسم لها صورة حسية متكاملة ، توافرت فيها عناصر الحس ، ولم تتجاوزها إلى المعاني النفسية الواقعية أو الحقيقية ، فيقول :

رسمـت عـلى الـشفتين بـسمة جذابـــة كـــشعـاع نجمـــه
ورنـــت رنـــو الظبـــي أبـــ ـــصر في يـد القنـاص سـهمه
تتزاحـــم الألفـــاظ حـــو ل لحاظهـا والحـسن زحمـه
ومـشت فـما مـشي القطـا ة ومـا الحـمام يهـز جـسمه
تنـــداح أعطافـــاً وتغـــ ـــري لفتـةً وتـرق خدمـه
وتكلمـــت فـــسمعت أر خـــم نـــبرة وأرق نغمـــه
تتـــساقـط الألفـــاظ تحـــ ـــت لـسانها كعـصير كرمـه
شـــد الحـــزام تقولهـــا وأقـول: لـست أجيـد حزمـه

(١) المجموعة الشعرية : ٤٠٦ – ٤١١ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

أنـا خـصـم كـل يـد سـوا ك تـشـده وتفـض ختمـه
مـــدت أناملهـــا تزيـــ ـح خـصائلاً كالليـل ظلمـه
فبـدا ضيـاء الفجـر فـو ق جبينهـا نـوراً ونـسمه[1]

وبالأسلوب الحسي السابق نفسه ، يتحدث السنوسي عن المرأة في قصيدته (باقة إلى عابرة) ، حيث تحدث عن أناقتها ورشاقتها في مشيها وخطوها وخفتها ، فيقول :

خطـرت في أناقـة ورشاقـة وتهـادت في خفـة ومـشاقة
خطو عصفورة على المرمر المصـ ـقول وثباً وهـزة وانزلاقـه
كل عضو يهتـز فيهـا ويـرتج وينـداح رقـة واندفاقـه
خطـوات مموسقـات وجـسم في تقاسيمـه لحـون مراقـه
غيـدٌ آسـر ودلٌ فتـون وجمـال ملائكـي الطلاقـه
غـادة في جبينهـا طلعـة الـشـ ـمس ففي كـل لفتـة إشراقه[2]

وهـذه القـصيدة عـلى روعتهـا ، إلا أنهـا لا تكـاد تتجـاوز الأوصـاف الظاهريـة المحسوسة لتلك الفتاة التي عبرت أمامه ، ولا نطلب من الشاعر أن يتجاوز هذا إلى غيره من المعاني النفسية ، والعواطف الحقيقية ، فليست هناك تجربة صادقة ، وإنما نظرة سريعة ، ووصف لشيء جميل رآه كأي مخلوق آخر ، أو مظهر من المظاهر الآسرة في هذا الكون .

والشاعر أبكر عمر سالم المشرعي [3] في قصيدته (الفستان الأحمر) ، يطلب من غادته أن تهجر فستانها الأحمر ؛ لأنه فطر قلبه ، وألهب مشاعره ، بما حواه من قد ممشوق

(١) الأعمال الكاملة : ٦٤٤ .
(٢) المصدر السابق : ٣٥٠ .
(٣) هو أبكر عمر سالم المشرعي ، ولد بفرسان سنة ١٣٤٩هـ ، عمل في التدريس بمعهد المعلمين بجازان ، ثم مديراً لمتوسطة وثانوية فرسان ، بعد ذلك موجهاً للتربية الفنية بإدارة تعليم جازان ، له اهتمام بالفنون والمسرح ، ونشر شعره في كثير من الصحف . انظر ترجمته في : التاريخ الأدبي، للعقيلي ٣/ ١٣٨٥ ، وفرجة النظر، للشعفي ١/ ٦٩ ، ومعجم البابطين للشعراء العرب المعاصرين : ١/ ١٥٠ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

وصدر ممرمر ، وثغر براق ، وحسن بديع ، فلو بقيت لابسة ذاك الفستان الأحمر لزادته وجداً على وجد ، فالحب نفسه هو أحمر ، فكيف لو اجتمع معه اللون نفسه ، يقول :

اهجـري الأحمـر إن القلـ ـب كالفـستان أحمـر
بفـؤادي يـضرم النـار (م) ولا قلـب لفعـل النـار أنكـر
أيـن مـن زارع التفـاح (م) في الـصدر الممرمـر
طلـسمي الثغـر فتـان (م) بديـع الحـسن أشقـر
شـف إحـساس هـوى والحـب أمـسى يتـأور
اهجـري الأحمـر يـا قمـ ـراء إن الأمـر أخطـر
زاده التيـه دلالاً غزليـاً شاعريـاً فتبلـور
اهجـري الأحمـر يـا حـسنا ء يكفـي الوجـد أحمـر (١)

وقد مضى الشعراء يصورون مظاهر الحسن في هذا المخلوق الجميل والرقيق ، ويضعون المواصفات والمقايس لجمال باهر ، فالفتاة الجميلة عند محمد الشنقيطي هذه هي مواصفاتها :

صفاؤهـا البحر والأرياح باريس والقـدُّ بارعـة فيـه التـضاريسُ
والمشي سحر تحدى من ينافسني حتى الظباء سرت فيها الأهاجيسُ
والزهر جاء للون الخـد منكسراً إغراؤهـا قـدر حيـاه إبليـسُ
والـصوت باقـة ألحـان منغمـة لطيف جرس خفيف الوقع هميسُ
فيها الجمال أصيل لا مساس به وغيرهـا حسنه زيف وتدليسُ (٢)

ويزيد حسين النجمي في رسم تلك الفتاة المتكاملة الجمال على معاني الشنقيطي الحديث عن شعرها الجميل ، فيقول :

(١) التاريخ الأدبي لمنطقة جازان ، العقيلي : ٣ / ١٦٢٦ ، وفي النص السابق بعض الهنات الموسيقية .
(٢) قلب يتنفس : ٨٨ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وشعـــر جميـــل كليـــلٍ بهيـــم توارى به النجم خلف السدود [1]

ونعومة الجلد ، وتكور النهدين وبروزهما مما يزيد في جمال تلك الفتاة المثال التي تغنى بها الشعراء ، ورسموها ، يقول النجمي :

وسلبـــت العقـــل يـــا فـــاتنتي بضة الجلد وسوداء الجديلة

لـــك نهـــدان أثـــارا فتنتـــي وعيون تذهب العقل كحيله [2]

والعقيلي يخالف أكثر الشعراء الذين رسموا ملامح الجمال ، وركزوه على الفتاة البيضاء المتلالئة التي هي كالبدر في وضاءتها ، فيرى أن الجمال هو في لمحات وقسمات وهبها الله كلَّ لون ولكل جنس ، وكل شيء في هذه الحياة فيه جمال خفي ، يراه كل إنسان من زاوية معينة ، جاء ذلك في قصيدته (الماسة السوداء) ، حين تحدث عن تلك الفتاة الزنجية السمراء التي بهرته بجمالها ، فقال معقباً على وصفه لها ، وتغنيه بمواطن الجمال فيها من در نضيد وشعر أثيث ، وعفة في أخلاقها وسلوكها :

لا لـون للحسـن ولا مـوطن أو أمـة خـص بهـا أو ديـار

دنيـا الجمـال عـالم حافـل بكـل مـا يـبهج في كـل قـار

في البيض والسود في كل لو نٍ وجنسٍ في الثرى والبحار [3]

وكأن الشاعر العقيلي أدرك ضعف حجته ومبالغته في وصف تلك المرأة السمراء التي رآها في أمريكا ، فأخبر أن الحسن لا لون له ولا وطن ، ولا تختص به أمة دون أخرى ، بل هو مشاع بين الناس ، وقد خففت هذه النظرة الإنسانية من المبالغات الواضحة والتصوير الحسي المجرد الذي اتكأ على السرد والبرود الشاعري بسبب قلة المشاعر الحقيقية إن لم يكن انعدامها .

* * *

(١) خفقات قلب : ٤٩ .
(٢) المصدر السابق : ٥٣ .
(٣) المجموعة الشعرية : ٦٩٢ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

ولصوت المحبوبة مساحة واسعة من شعر الغزل لدى شعراء جازان ، فكثير من الشعراء ركزوا حديثهم عليه ، واتخذوه منطلقاً إلى المعاني الغزلية ، وبينوا أثر صوت المحبوبة على نفوسهم ، فالسنوسي يشبه صوت محبوبته بالنغم ، وأنه من دواعي سروره وانشراح قلبه :

اللفـــظ مـــن فيهـــا نعـــم　　لا إن تقلهـــــا أو نعـــــم
تجلـــو بمنطقهـــا عـــن الـــ　　ـــــقلب الكآبـــة والـــسأم
وتعيـــد أحـــــلام الـــشبا　　ب رؤى وتـــــشعلها ضرم (١)

وأسلوب الحوار (قالت وقلت) ، أو (وأجبتها) ظاهرة واضحة عند كثير من الشعراء ، كعلي بن حسين الفيفي ، ومحمد الشنقيطي ، وعلي النعمي ، فالشاعر علي بن حسين الفيفي أكثرهم محاورة ، ومن ذلك قوله :

قالت أظنك قد نويت خديعتي　　أو تعتـدي فحلفت أن لا أعتدي
قالت فهل لي في الوداد شريكـة　　غيري وقل لي ما اسمها يا سيدي
فأجبتها كـلا فليس بمهجتي　　أخرى سواك فراقبي وترصّدي
فلقد عرفت الحب أول مـرة　　لما التقينا فوق أرض المشهد (٢)

وكثيراً ما يعرض الشنقيطي رسائل محبوبته إليه وردوده على تلك الرسائل ، فمن ذلك أن محبوبته أرسلت إليه مجموعة من القصائد التي أعجبت بها ، وطلبت منه معارضتها ، وقالت:

ولقد سمعت قصائداً لك في العواطف جيدة　　في روحها الغزل الرقيق وفي مشاعرها جدة
وقصائد أخرى لغيرك صنتها　　في المقلتين من التراث معسجدة
أهديتها يوم اللقا ء بدون أية موجدة

(١) قصيدة (حديثها) ، مجلة الأديب : ٣٤ ، ٢٤ ، جمادى الأولى والآخرة ١٤٠٠هـ ، نقلاً عن محمد بن علي السنوسي حياته وشعره ، للقسومي : ١٤٤ .
(٢) أصداء الذكريات : ٢١ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

فلـذاك أهديـك القـصائد والرَّجـا منـي إليـك بأن تعـارض واحـدة [1]

فرد على رسالتها بعدد من القصائد ، وقدم لها بقوله :

هـــا هـــي القـــصائد ممـــا شـــئت في طلبـــك
مؤمـــــلات نجاحـــــاً في قـــــضا وطـــــرك
شطـــــرت ثنتـــــين واســـــتلهمت باقيهـــــا
هـــلا قـــرأت وبـــان الفـــيض في كرمـــك ؟
ســـــقيتها مـــــن شغـــــافي فهـــــي باسقـــــة
للـــشاعر اللحـــن والإلهـــام مـــن فننـــك [2]

* * *

والـشعراء الـذين مثلـوا الغـزل الحـسي ، مـال كثـير مـنهم إلى تـصوير اللقـاءت الغرامية تصويراً فاضحاً أو مكشوفاً ، وهـو مـا يعـرف بالحـسية الجنسية ، حيـث يعتمـد الشاعر في عرضه لعلاقات الحب عرضاً صريحاً ، والشعراء في هذا ليسوا سواء ، فمـنهم مقل ، ومنهم مكثر ، ومنهم مفرط ، ومـنهم مـن يمـس الموضـوع مـساً خفيفـاً غـير مـؤذٍ للذوق السليم ، والغلاة في العرض المكشوف للعناق والغـرام ، والمطارحـات ولحظـات البوح يترسمون منهج نزار وعلي محمـود طـه والعـريض ، ويتلقفـون مـا تلقفـه إخـوانهم السعوديون كالقرشي والقصيبي وغيرهما، ولا يهتمون بالعفة ولا بالخلق إلا قليلاً .

فممن صوروا اللقاءت الغرامية الساخنة الشاعر علي النعمي ، وذلك في مثل قوله :

حدثيـني عـن تمتمـات الليـالي عـن خريـر الميـاه عـبر الـدوالي
وانكـسار الجفـون في لحظـه البـو ح ، وهمـس الـشفاه حـين الوصـال
وانسكاب الآهات في فرحة اللقـ ـيا، ورجـع التنهيـد والانفعـال [3]

(١) خلف أسراب البجع : ٣٤ – ٣٥ .
(٢) المصدر السابق : ٣٦ .
(٣) الأرض والعشق : ١٦ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

وفي هـذا الجانـب يقـف بعـض الـشعراء عنـد القبلـة ، ويكتفـون بهـا ، فالـشاعر إبراهيم مفتاح يطلب من محبوبته أن تطفئ حرارته برشفة من رحيقها بعد أن التقى بها في طريق ، وحيته بحياء ، حيث يقول مصوراً ذلك المشهد :

دون قـصـد وفي التـواء الطريــق كـان لقيـا المـشوق نحـو المـشوق
أسقطــت كفــه اللثــام وحيــا باضـطراب بـين الحيـا والنـزوق
لا تلمنــي فمــا الطريــق بخــال وافـتراس العيـون مـلء الطريـق
أشرقــي أشرقــي فــإن عيــوني ظمئـات إلى النـدى والـشروق
وامتصاص الأزهار في غسق الفجـ ـر وذوب الأسحار بين الرحيق
إيــه يـا روعــة القـصيـد أمــالي رشفة من دمـاء هـذا العقيـق ؟
رشفـة تطفـيء الجفـاف مـن النفـ ـس ويسـري لهيبهـا في عروقي [1]

ويحرص الشاعر علي صيقل على الحصول على رشفة مماثلة لتلك التي أرادها إبراهيم مفتاح ، فهو يطلب من غادته بشوق وشغف الحصول على هذه الهبة في قوله :

فدعيــني يــا غـادتي في اشـتياق أرشف السحر من لمى شفتيك
وأغــني يــا غـادتي في ارتيـاح للـورود الـتي علـى وجنتيـك
للعبــير الــذي يــضـوع رواءً مـن ثناياك من شذا عطفيك [2]

ويتجـاوز بعـض الـشعراء الحـديث عـن القـبلات ، والعنـاق ، ورشـف الرحيـق العسلي أو السحري إلى تصوير النهدين وما فيهما من فتنة ، فالعقيلي يصور فاتنة أسبانية سحرته بجمالها، فيبرز في تـصويره لهـا نهـديها عـلى أنهـما يكـادان أن يخرجـا مـن مكـانهما ، ويقفزا منه في صورة مضحكة وساذجة ، لا تتصور إلا في الأفلام الكرتونية العابثة ، فهو يقول :

تتيــه جمــالاً وتزهــو اختيــالاً وتــأرن كــالمهرة الخائفــة

(١) احمرار الصمت : ٥٥ .
(٢) ترانيم على الشاطئ : ٦٧ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

بنهديـــن كـــادا بـــأن يقفـــزا كطـيرين في زخـم العاصـفة [1]

وكان بإمكاننا أن نتصور هذين النهدين وهما يقفزان ، ولكن الذي أبعد الصورة من أذهاننا ، وجعلها غير متخيلة ، هو ما شبهت به الطائران اللذان داهمتهما العاصفة ، فلم أستطع بعد طول تفكر وتدبر للعلاقة بين المشبه والمشبه به أن أتوصل إلى وجه الشبه بينهما، أو أي خيط يصل بين أبعادهما ، فالمشبه في واد ، والمشبه به في واد آخر ، ولو ربط النهدين بالطائرين عند أول لحظة ينفلتان منها من الوكر ؛ لأمكن التعرف على الصورة.

وإن كان العقيلي يتحدث عن شيء شاهده ، فعلي بن حسين الفيفي يتحدث عن مشاعره نحو نهد لامسه بيده ، وجعله هو مقياس الحب ، وأساس من أساساته ، ولا يمكن أن يخرج عن محيط العلاقات الغرامية ، فهو أحد أركان الحب ، وبه تتصل المشاعر سواء أكان باللمس أم النظر ، فهو يقول في وصفه للحب :

هـــو همـــسة أو غمـــزة أو وردة قطفت لتهدى للحبيب الأوحد

هـو قبلـة مـن فـوق خـد نـاعم ومـــع ابتـسامات ووعـد للغـد

هـــو لمـسة النهـدين ذات عـشية وكلمسة النسمات للزهر الندي [2]

والشاعر علي بن حسين الفيفي من أكثر الشعراء الحسِّيين تصريحاً لما لا يمكن أن يصرح به ، ولا يفوقه في ذلك إلا الشاعر محمد مسير مباركي [3] في أكثر أشعاره [4] ، ومما يمكن أن يورد للفيفي هنا :

---

(١) المجموعة الشعرية : ٢٠٢ .

(٢) أصداء الذكريات : ٢١ .

(٣) محمد بن مسير مباركي ولد بمنطقة جازان سنة ١٣٨٩هـ ، نشر أشعاره في عدد من الصحف المحلية والعربية ، ويعمل الآن –١٤٢٠هـ– محرراً لغوياً بجريدة الوطن السعودية ، من دواوينه الشعرية : (تماهي منبت) ، و (منسك للسريرة في حرم الرمل) ، و (للصعاليك فقط) ، و (الغيد الصناديد والرجال الحائضون) ، وله أشعار كثيرة مخطوطة .

(٤) انظر : ديوان الغيد الصناديد : ١١ وما بعدها . قصيدة (جنيتي الأنثى) ولا يمكن إيرادها هنا ، ولا القصائد الأخرى المشابهة لها لعدد من الشعراء الذين غلوا في نشر الأدب الجنسي ؛ احتراماً لذوق القارئ ، وإسهاماً في كبت مثل هذه المحاولات التي لا تجوز روايتها ، ولا يصلح نشرها .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

ولما جلسنا في الحديقة حسبما أردت . ولي قصد وليس لها قصدُ
مددت يدي عمداً لأقطف وردةً وقلت لها هل هكذا يقطف الوردُ
فقالت هنا لا يقطف الورد عنوة ولا نرتضي أن يلمس الخد والنهدُ [1]

ويتجاوز الشاعر هذا النمط من التورية إلى تصريح أشد ، وتشف واضح لا مجال بعده إلى تأويل ، فيقول في إحدى قصائده :

وغازلتها حتى إذا ما تبسّمت مددت يدي للخد والنهد والخصر
أعانقها حيناً وحيناً أضمُّها وأشرح حبي بالقصيد وبالنثر
أخفف من شوق تلظى بمهجتي وأنشق عرف المسك والورد والعطر
تحيط بنا الأشجار من كل جانب ويطربنا صوت العصافير والقمري [2]

وممن يميلون أحياناً إلى التصريح المكشوف ، ووصف العلاقات الغرامية ، واللقاءت المستورة الشاعر علي النعمي ، ومن ذلك قوله واصفاً ليلة كثرت فيها المسرات :

يا حلوة العينين أين الهوى أين ابتسامات الليالي العذاب
والنجم قد مال كليل السنا إلا بقايا ضوئه ثم غاب
والنسمة العذراء رفت كما رف بعينيك دلال الشباب
الله ! ! من دفء الشذا فاذكري كيف وعى الليل اندلاق الرضاب
وكيف عشنا الحب في فرحة ما بين همس مرة وانجذاب [3]

ومن الغزل الحسي الذي ظهر شيء من ملامحه عند بعض شعراء جازان ، وصف طلب المرأة للرجل ، وإن كان مس شعراء جازان لهذا الموضوع وتناولهم له ليس بالمقدار

(١) أصداء الذكريات : ٢٨ .
(٢) المصدر السابق : ٣ .
(٣) عن الحب ومنى الحلم : ٢٧ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الذي تناوله به الشعراء الآخرون ، كنـزار قباني ، وغازي القصيبي ، وهذا اللون من الشعر أثر من روح العصر الماجن ، تبرز فيه المرأة قد أباحت فتنتها للناظرين ، تطلب الرجل وتلاحقه ، في ظمأ وحنين عارم ، فالشاعر محمد الشنقيطي يصور محبوبته العاشقة تطارده في يقظتها وأحلامها ، فلما لم تجده في اليقظة ابتدعت حلماً لتراه فيه وهو يضم جوانبها ، فقالت متحدثة عن قصائد أهديت إليها :

هي متعتي مُذ كنت يافعة وفي ... أجوائها عاشت رؤاي منضدة
ويطل فارسي الجميل خلالها ... فوق الكميت من الخيول الماجدة
طوراً وطوراً في ملابس عرسنا ... أبداً نعيش على مباهج خالدة
فأراه في نومي يضم جوانبي ... فأحسُّ ناراً في الجوانح موقدة[1]

وهذه المحبوبة التي أهداها الشنقيطي جلّ قصائده لما تبيّن له أنها لا تحب إلا نفسها ، وعشقها إنما هو عشق نرجسي نبذها إلى غير رجعة ، فقال في قصيدته (النرجسية) :

هويت هواك ، مذ سلمت قلبي ... إليك بالأمانيِّ الرقاقِ
وأنت هواك يزهو نرجسياً ... فلم يبق لغيرك أي باقِ[2]

ومطاردة المرأة للرجل ، وحرصها على ملاحقته ، ودعوته لزيارتها ، وسعيها لذلك مظهر من مظاهر هذا النمط من الشعر ، ومن ذلك قول علي بن حسين الفيفي :

ويوماً دعتني للغداء بدارها ... وخفت إذا مانعتُ يقتلني الصدُ
فلما طرقت الباب في الموعد الذي ... تحدد ، قالت : مرحباً أقبل السعدُ
جلسنا سوياً والقلوب لبعضها ... تدق ، وفي أحشائنا يقدح الزندُ[3]

(١) خلف أسراب البجع : ٣٤ – ٣٥ .
(٢) المصدر السابق : ٥٦ .
(٣) أصداء الذكريات : ٢٦ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

ويقابل ذاك الشعر الحسي في مقام الغزل ، نوع آخر من الشعر ، وهو الشعر الذي يصور العواطف والنفسيات والمعاني المتعلقة باللوعة والحنين والألم والظمأ ، ويطلق عليه الغزل المعنوي كمقابل لذاك الحسي ، وهو ما سماه بعض النقاد القدامى بـ (النسيب) ، فحين تحدث قدامة بن جعفر عن الغزل ذكر منه النسيب ، وعرفه بقوله : ((هو ما تكاثرت فيه الأدلة على التهالك في الصبابة ، وتظاهرت فيه الشواهد على إفراط الوجد واللوعة))[1] .

وبمعنى آخر هو : ذلك الغناء العاطفي اللهيف الذي يصدر عن العاشق ، ويعبر عن مشاعر مشتعلة ، وحنين معذب لا يهدأ ، بحيث يكون ذلك الغناء طاقة تنفيس من اصطخاب العواطف وتأزمها [2] .

إن الشعراء الذين تحدثوا عن المرأة حديثاً حسياً ، لم يكونوا معنيين برصد مشاعرهم الحقيقية سواء في مقام الحزن أو السعادة إلا نادراً ، وتارة كنا نراهم يصفون أي امرأة تقع عليها أعينهم ، فأحدهم يصف (عابرة للطريق) ، وآخر يصف فاتنة في منتزه ، أو حسناء رآها في مكان مزدحم ، وما إلى ذلك .

أما هنا في الشعر المعنوي ، فالغزل الذي نعرضه هو العشق الصادق القائم على معاناة حقيقية رصد الشعراء جوانبها المتعددة ، وأبانوا عن نوازعها ولهيبها وهجيرها اللافح، إن الإنسان العاشق لا يحب أياً كان ، أو كيفما اتفق ، بل يصطفي المحبوب عن بقية الأشخاص ، يركز عليه أحاسيسه وعواطفه وغرامه ، كما لو كان هو الشخص الوحيد في الكون الذي بإمكانه أن يفي بمتطلبات هواه وحبه دون غيره من بقية الكائنات.

ولا يهم الشاعر هنا الوقوف أمام الشكل الخارجي لهذا المحبوب ، ولا الجمال الآسر المحسوس ، لا يهمه هذا بقدر ما يهمه تلك المضغة في صدره التي تدق عندما

(١) نقد الشعر : ١٤٠ .

(٢) انظر : الصومعة والشرفة الحمراء ، نازك الملائكة : ٥٧ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

يذكر هذا المحبوب ، وتهتز عند سماع خبره ، أو تفجع عندما يرحل ، بل قد تضعف هذه المضغة وتموت إذا لم تُسق من معين الحب ونبعه الصافي الزلال .

وهذا الشعر على كثرته لا يوازي حجم شعر الحس ، فالشاعر علي بن حسين الفيفي الذي أكثر من الشعر الحسي له نصيب آخر من هذا الشعر ، فها هو يصور أثر الحب على نفسية العاشق ، وأن المحبّين لم يتعظوا من العشاق السابقين ، ولم يتحاشوا مصيرهم ، وكل من وقع في أسر الهوى لاقى المصرع نفسه ، وليس للعشاق من قدوة يحتذونها ، حتى يسلموا من هلاك العشق ، يقول متحدثاً عن نفسه على طريقة التجريد :

يسير ولا يدري إلى أي وجهةٍ وتبتعد الآمالُ عند اقترابه
يحس بأن الصدر فيه عواطفٌ وفي القلب يأس موجب لا ضطرابه
كمجنون ليلى جن والحب داؤه ولم نتعظ من دائه واكتآبه
وكم لامه العشاق ظلماً وبينهم وبين هوى المجنون بعض التشابه
وفي الناس من هم قدوةٌ يُقتدى بهم وليس من العشاق من يُقتدى به[1]

والشاعر إبراهيم صعابي أكثر غزله غزل نسيب ، لا وصف حس ، ولا ثورة جنس، إنما هو انصهار في بوتقة الهجر ، واقتيات من أعواد الذكرى الحارقة ، والرؤى والأحلام ، وبلغ به اليأس بسبب الهجر والصد من محبوبته أنه إذا زاره خيال محبوبته في الليل يهرب منه، على عكس غيره من الشعراء الذين يتمنون ، ويتشوفون لتلك الزيارة المنامية ، يقول :

ينعمُ الناس بالرؤى بالأمان وهو يشكو بدمعتيه الليالي
ولكم زارني خيال حبيبي فترانـي أشد عنه رحالي
لا تلمني لو كنت تحسن لومي ففؤادي بلومه لا يبالي
كيف يشدو العصفور وهو قتيل كيف يلهو من حاله مثل حالي[2]

(١) الهمس الخافت : ٨٨ .
(٢) حبيبتي والبحر : ٨٤ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

وعلى عكس ذلك الشاعر محمد الشنقيطي ، وهو – كما مر سابقاً – من أكثر الشعراء طرقاً للشعر الحسي ، فقد خالف الشاعر إبراهيم صعابي ، فرأى أنه على المحب أن يكون أكثر تضحية في مقام الحب ، وإذا كان صادقاً في حبه ، فإن صدود الحبيب ما هو إلا سحاب عابر وغيمة صيف ، وعندها يتحول الجحيم برداً وسلاماً ، ومع ذلك فيرجو الشاعر من محبوبته أن تكون رقيقه في صدها ، رفيقة في هجرها :

جحيم صدودك يا زهرتي سلام وبردٌ على خاطري
دلال يذيب صليب الحديد ولطف يبزّ أذى الساحر
حنانك قلبي عليك رهيف كقشرة بيض ! فلا تكسري (١)

وشاع لدى هؤلاء الشعراء الإكثار من التمني والتخيل والتوهم ، وهو مظهر من مظاهر الفرار من الواقع الحزين ، أو اليائس ، في جو يفتقد فيه الشاعر الأمل في الحصول على رغابه ، فالشاعر الشنقيطي عندما يئس من محبوبته المتمنّعة ، التي لم تمل إليه بقلبها ، وصدّت عنه ، تمنّى أن يكون له ماردٌ عنده علمٌ وقوة يأتي له بهذه المحبوبة ، كما صنع ذلك العفريت لسليمان عندما أحضر بلقيس وعرشها ، يقول :

يا ليت لي ماردا في الحال يحضرها بعرشها إنها في الحسن بلقيس (٢)

وهذه أمنية مستحيلة ، ومعاني ساذجة ، ومع هذا فقد أحسن الشاعر توظيف الصورة، حين قال : (إنها في الحسن بلقيس) ، حيث أفاد من ثقافته المتجلية هنا في المارد وفي بلقيس وعرشها ، وإن اختلف الموقف ، إلا أن أسلوب الشاعر في الإفادة من الثقافة واضح الإحسان .

وتحدث عدد من الشعراء عن مرارة ما لاقوه من عناء في طريق الحب ، فشكو آلامهم، ونعوا حظوظهم ، وبكوا أيامهم التي قضوها في السير وراء السراب ، واللهث

(١) خلف أسراب البجع : ١٩ .
(٢) قلب يتنفس : ٨٨ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

خلف المستحيل ، فإبراهيم صعابي يشكو محبوبته ، ويحملها كل ما جرى له في حياته من فشل ، وأنها لم تحفل بكل شيء قدمه لها مهما كان غالياً :

قد كدت من شوق أذوب لصدى أحاديث القلوب
أنت التي بجهالةٍ ضيعت من قدمي الدروب
رحلت إليك بلا بلي في نشوة قبل الغروب
فاغتلتِ أجملها وقد غنت لك اللحن الطروب[1]

وإبراهيم صعابي لم يكن في حبه عابثاً ، ولم يكن من الذين يدعون في ذلك الحب، أو من الذين يزيفون مشاعرهم ، ويبحثون عن متع عابرة ، ومع هذا فلم ينجح في حبه ، مع أن مقومات النجاح كانت متوافرة حسب ما صوره في مثل قوله :

حب تعثر في صباه وتعثرت فيه الحياه
ما كان قلبي عابثاً فيجيء في كذب هواه
بل كان قلبي طائراً يدعو الطيور إلى سماه
فأتى إليك منادياً فرفضت من صمم نداه[2]

وقد شكا الشعراء كثيراً من البعد المضني والفراق القاتل ، فكيف للإنسان أن يعيش ونصف قلبه عنه بعيد ، فتتحول الحياة عندما تنأى المحبوبة إلى غربة قاتمة ، ووحشة تحول المحيط المألوف إلى أشباح وأطياف مخيفة ، عن مثل هذه المعاني ، عبّر الشاعر عبدالله الفيفي عن بعض ما لقيه من فراق :

وحد الروح بدنيا ك فكنت كل ذاتي
أي أرض أنت فيها هي جزء من حشاتي
كيف يحيا المرء جزئيـ ـن ؟ ! فأعجب بحياتي

(١) زورق في القلب : ١٢٦ .
(٢) المصدر السابق : ١٢٧ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

كـــل شيء حـــين تنأيـــ ـــن غريـــب القـــسمات
حجـــرتي والـــصبح والمـــصـ ـــباح مـــن بـــسماتي
والـــشذى واللـــون واللـــ ـــحن ومعنـــى الكلـــمات [1]

وإن كان الشعراء قد شكوا من البعد والفراق ، فإن هناك شاعراً آخر يتمنى ما لا يتمنون ، ويشكو ما لا يشكون ، فهو يشكو من التداني ، ويذكر أن ما عاناه من القرب أشد مما كان يعانيه من البعد ، وهذا من المفارقات في دنيا الغزل ، يقول علي بن حسين الفيفي في معرض شكواه من محبوبته :

كنـت تُدنينـني فأشعـر أني قاب قوس من اللقاء فأعدو
ثـم تقصينني فأسـأل نفسي أي ذنـب جنيتـه فأصـد
لا تظني أن العواطف إن جفَّت (م) ينابيعهـا – غـداً – تـسترد

إلى أن يقول :

كنت أشكو من التنائي ولكن مـا أعـاني مـن التـداني أشـد [2]

***

وشاع عند الشعراء الشكوى من الحيرة الضائعة التي لا مخرج منها ، ولا مفر ، وأحياناً يذهب المحب بعيداً بعيداً ، ثم يأتي إلى محبه وآسره بعد رحلة حفظ كرامة ، فالشاعر علي صيقل أكثر في شعره من الحيرة والخوف من المرأة ، وعدم الثقة بها أحياناً ، يقول في قصيدته (امنحيني ابتسامة) :

أنـا يـا غـادتي نـشرت شراعـي إنـــني راحـــل إلى عينيـــك
فـامنحيني ابتـسامة في طريقـي وهبيـــني الحنـان مـن مقلتيـك

(١) إذا ما الليل أغرقني : ١٦ – ١٧ .
(٢) زائر الأمس : ٦٦ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

فلكم عشت في حياتي غريباً حائراً مدنفاً وأرنو إليك
كنت أخشى إذا أبحت بسري أن تميلي تكبراً عطفيك
وتشيحي بوجهك الغض عني وتدوسي كرامتي في يديك
هكذا خلت يا ملاكي ولكن قل صبري فطرتُ شوقاً إليك [1]

وممن ارتموا في أحضان هذه الحيرة الضائعة في الحب ، والإحساس بالوهم يداهمهم ، والرجوع إلى الشك ، وعدم الثقة في تجربة الحب ، الشاعر إبراهيم مفتاح ، الذي وصل به الشك إلى ذروته ومنتهاه ، يقول :

وتغدين أنت الزمان الشهي إذا ما ارتمى الوعد في ناظريكِ
ويرفض بعضي فضول السؤال وبعضي ينم ببعضي إليكِ
تسامى بي الشك حتى اليقين وألقى بي الوهمُ في قبضتيكِ [2]

وإذا كان من المألوف عند شعراء الغزل أن يطلب الشاعر من محبوبته أن تطفىء نيران قلبه بقربها ، وأن لا تجعله يتعذب بسبب هجرها ، فليس من المألوف أو المعروف عند الشعراء أن يطلب الشاعر من محبوبته أن تزيد نيرانه اشتعالاً ، وأن تزيد جراحه جراحا ، ويطلب منها إذا اشتعل به الحنين ، وآلمه البعد أن لا تطفىء ناره ، يقول إبراهيم مفتاح :

عذبيني بلوعتي عذبيني وخذيني فالشك أوهى يقيني
واسكبي الصد والعناد سياطاً وإذا ما استغثتُ لا ترحميني
جرحي الجرح كي تسيل دماه فأنا بالعذاب يسمو حنيني
وإذا ما خبا لهيب غرامي فرجائي إليك أن تشعليني
أججي شعلة الهيام إذا ما قدم العهد بيننا واتركيني

(١) ترانيم على الشاطئ : ٦٦ .
(٢) رائحة التراب : ٦٨ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

أتلظـى عـلى مراجـل شـوقي وإذا مـا اشتعلـت لا تطفيئني[1]

ولعـل الـذي دعـا الـشاعر إلى هـذه المعـاني هـو مـا زرعـه الـشك في نفـسه ، ومـا تعشعش بداخله من يأس من هذه المحبوبة ، لذا فإن هذا الشك من محبوبته ومواعيدها ، ومدى صدقها في حبها ، وصدق غرامها لا يقضي عليه ، ولا يمكـن أن يحسـه بالأمـان أو يجعله يعيش حلاوة الحب الحقيقي في ظل غياب الثقـة ، إلا إذا رشـفته هـذه المحبوبـة وشربته بعد أن تعصره في الكأس عندها سيمتزج بروحها ، ويكون جزءاً لا يتجزأ منها ، وعندها لا يمكن أن تهرب منه، أو تنأى عنه ، وهذا معنى جميل ، يقول مفتاح :

لا تخـافي إذا انـصهرت وذابـت فيك روحي وراح يخبـو أنيني
فاعـصريني إذا وجـدت بقايـا واملىء الكأس عندها واشربيني
عل روحي تحس طعم وجودي ولعلـي أفيـق إن ترشفيـني[2]

**

إن هذه الرقة العاطفيـة ، والأحـلام الجميلـة ، والمناجـاة القلبيـة الهادئـة ، واللغـة الهامسة إذا لم تجدِ في مقام الغزل أو يلقى المحب من محبوبه رداً مماثلاً ، أو معاملة مشابهة، فإنهـا تتحـول إلى ثـورة عنيفـة عـلى الهيـام والوجـد ، وحربـاً شـعواء عـلى تلـك التجربـة الفاشلة، وعندها يكتشف الشاعر أنه كان يعيش في أحلام وردية لن تتحقق يومـاً ، وأنـه لن تجديه شكواه ، أو ينفعه حنينه .

لقد ثار شعراء جازان على تجارب الحب الفاشلة ، ذلك الحب الذي يحول القوي ضعيفاً ، إنه الشيء الجميل في هذه الحياة لولا ما يلحقه بالنفس من مذلة لمن لا يستحـق ، يقول حسين النجمي :

كم قـويٍّ بـالهوى صـار ضـعيفاً ورأى ممـن يحـب القلـب ويلـه
ورأى الصد من المحبوب حتى ذاق مـا ذاق وهـدَّ الهجـر حيلـه

(١) عتاب إلى البحر : ٧٥ .
(٢) المصدر السابق : ٧٦ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

مـــا ألـــذّ الحـــبَّ لـــولا أنـــه يجعل النفس لمن تهوى ذليله[1]

ومن هذا الضعف انطلق كثير من العشاق بقوة كبيرة ، وكما يقال : إن الضعف يولد القوة ، فتحول ذلك الضعيف الصب الوله إلى مارد جبار يغير على المرأة بعنف ، ويصف قسوتها وتسلطها ، ويصمها بالخيانة وعدم الوفاء ، يقول أبكر المشرعي :

تسحريني بعد ماذا ؟ بعد ما القلب تفطر
أنت من حطم قلبي وتجنى وتجبر
ومزجت الورد بالأشواك في الدرب ومرر
بعدما كنت تراني نور عينيك وأكثر
بعدما خنت ودادي جئت تبكي تتعذر
أنا لن أرحم دمعاً كان بالأمس مبعثر
لم يعد حسنك يغريني ولا الثغر المعطر
فعلى أنقاض حبك قد بنيت الحب أكبر[2]

أما الشاعر محمد الشنقيطي ، فيتخذ موقفاً أكثر شراسة ، وأشد قسوة تجاه محبوبته التي بذل من أجلها كل شيء ، ولكن لم يفلح هذا العطاء ، فتحول إلى هجوم عنيف مليء بالاتهامات ، وسيل جارف من الكلمات المعبرة عن الإحساس بالمرارة من التجربة الفاشلة في الحب ، معتمداً على ما في ذاكراته من معان تراثيه ، فيقول :

وفاض الكيل وانتحرت قصيدي فما بد هنالك من فراق
إذا وقع الذباب على طعام أموت ولا أمد إلى البواقي
وتجتنب السباع ورود ماء إذا سبق الكلاب إلى المذاق
سأترك حبكم ولدي بعض من الشرف المنكس والنفاق
وتأبى لي الكرامة عن نقيص فلن أجثو على قدمي وساقي

(١) خفقات قلب : ٥٤ .
(٢) التاريخ الأدبي لمنطقة جازان ، للعقيلي ٣/ ١٦٢٦ – ١٦٢٧ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

فهـات قـصائدي ورفـات قلـبي فـإني قـد نفيتـك مـن نطـاقي [1]

ولا يفوقه في الهجوم على المرأة ، والنيل منها بعد اليأس من الوصول الى قلبها إثر تجارب الحب الفاشلة والمتكررة إلا الشاعر إبراهيم صعابي ، ففي إحدى قصائده الثائرة على المرأة التي يترسم فيها خطى الشاعر حمزة شحاته أشد الناقمين على المرأة في الشعر السعودي، يقول صعابي في بداية هذه القصيدة : إن النساء يغرهن الثناء ، كما قال شوقي من قبل ، وأنهن يتحدثن عن الوفاء ، ولكنهن يجهلن معانيه ، فمات عندهن :

تستشف الغرور في جفن عينيها (م) إذا قيـل : غـادة حـسناء
عبثت بالقلوب جهـلا وضـنت أن حـب المسافريـن ازدراء
حدثتـني بقولهـا وتولـت تتثـنى بخطوهـا شقـراء
حـدثتني عـن الوفـاء ولكـن جهلت كنههه فمات الوفاء
حـدثتني وفي لغاهـا ارتعـاش داعبتـني وفي يديهـا ريـاء
نبض إحساسها يجيء ذبيحاً وهي تبكي فيزدريها البكـاء
لست حواء أنـت صـورة حقـد أنـت حب مزيـف وعـداء[2]

بل إنه في موقف آخر يحمل عليها ، ويرميها باتهاماته ، وينصب حولها دائرة كبيرة من التعجب والمرارة والصفات القاسية ، كالكذب ، والغدر ، والأوهام ، يقول :

ما أكذب هذا الدمع
ما أصعب أن أقرأ تاريخي بوجه امرأة ثكلى
وأنت المرأة الثكلى تسومين رجوعي ضجرا
فاحترقي كوني شظايا
واستردي قسوة النار فإني

(١) خلف أسراب البجع : ٥٦ – ٥٧ .
(٢) زورق في القلب : ١٨ – ١٩ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

لا أرى فيك سوى بعض بقايا
أنت بين البحر والقاع تعدين الضحايا
وأنا بين جنون الغدر والأوهام أقتات
حنيني وأغني (١)

وممن شاع لديهم هذا الشموخ والإحساس بالمرارة في مقام الغزل بعد مرارة التجربه، والخروج منها بدون فائدة الشاعر أحمد بهكلي ، الذي كان يظن من نفسه أنه لن يؤثر فيه الصد أو الهجر ، وأنه سيان عنده وصلته محبوته أو هجرته ، فهو رغم كل ذلك محب، يقول:

أمغرقتـي في بحـر سحـر جمالهـا رضيت بما قد حل من قسمة عندي
صلي أو فصدّي إنني رغـم كـل ذا (محب) ومالي والوصال أو الصدِّ (٢)

ولكنه لم يستطع أن يثبت على هذا ، ولم يقدر على تحدي مشاعره وعواطفه في الوقت الذي ازدادت فيه محبوبته صداً وغروراً ، فلم يكن منه إلا أن يعلن أنه لن يبكي كما بكى الشعراء الآخرون ، يقول :

رغم أنّ الصد قد طال فطرفي غير باكي (٣)

فالذي يبكي على فشل حبه ، أو صد محبوبه هو الضعيف حقاً ، فمهما كان حبه صادقاً ، فإنه لا يستحق البكاء والعويل على رحيله ، جاء ذلك في قوله :

وأنـا إن رحـت أشكـو أو أبـث الوجـد حُبّـا
فلقـد آليـت أني لـن أصـب الدمـع صبّـا
ولـو أني صرت في حبيـك يـا حـسناء صـبا
فالضعيف الفدم من عاش الهوى دمعاً وندبا (٤)

(١) وقفات على الماء : ٨٥ .
(٢) الأرض والحب : ٦٢ .
(٣) المصدر السابق : ٤٥ .
(٤) المصدر السابق : ٤٦ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

والشاعر علي بن حسين الفيفي تودد لمحبوبته حيناً من الدهر ، ولكنها أذلته ، وكوت فؤاده ، وتجاهلت نداءاته ، فلم يكن منه إلا الشموخ وحفظ ماء وجهه ، والإعراض عنها يقول :

لقد أخلصتها من قبل حبى　　فكان فؤادها كالهندوان
وكم أهديتها شعراً رقيقاً　　به وصف لها حلو المعاني
ولي قصد نبيل وهي تدري　　به مهما نظرت إلى الحسان
فلما أعرضت عني وصدت　　وأسعدها عذابي وافتتاني
قتلت الحب في صدري جنيناً　　ودست على المودة والأماني[1]

ولم يقف الشاعر عند هذا الحد ، بل تجاوزه إلى عدم الرجعة ، ومواصلة هذا العقاب، ونفي ذلك الحب نفياً تاماً ، وإخراجه من قلبه إلى غير رجعة ، حتى بعد أن جاءت إليه محبوبته مادة يدها ، نادمة على فعلتها ، وهذا هو رد فعل لاقاه من معاناةٍ وهوان في مقام الحب ، يقول :

فلما أن رأت ما كان منّي　　بعيني لم تكد يوماً تراني
بكتْ وأتت تمدُّ الكفَّ نحوي　　ولكن ما مددت لها بناني
أتبكي بعد أن أبكتْ فؤادي　　سأبكيها على مر الزمان
وقلتُ لها قفي عني بعيداً　　فما لكِ في فؤادي من مكان[2]

وقد تكرر هذا المعنى كثيراً في شعر علي بن حسين الفيفي[3] ، وشعر علي بن محمد صيقل[4] .

وهناك نوع ثالث من الغزل ، وهو مزيج من الحسية والمعنوية ، ولكنه قليل في الشعر، ومع هذا فهو من أجمل أنواع شعر الغزل في نظري ؛ لأن الإنسان شاعراً أو غير

(١) رحلة العمر : ٨١ – ٨٢ .
(٢) المصدر السابق : ٨٢ – ٨٣ .
(٣) انظر ديوانه : أصداء الذكريات : ٤٢ – ٤٣ ، قصيدة (التلاعب بالوعود) ، وديوانه : (أزهار) ١٢١ – ١٢٢، قصيدة (كما تدين تدان) ، وغيرهما .
(٤) انظر ديوانه : (ترانيم على الشاطئ) : ٥٤ – ٥٥ ، قصيدة (لست منّي) ، و : ٦١ ، قصيدة (لن أعود) وغيرهما .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

شاعر لا يمكن أن يفصل حبه وإعجابه بالجمال المحسوس أو ينفي ارتباطه بالمعاني النفسية ، إذ النظر والحواس الأخرى هي وسائل الاتصالات القلبية ، فالعين ترى ، والأذن تسمع ، والأنف يشم، والقلب يعشق ويهوى . ولو تأملنا شعر محمد بن علي السنوسي في مقام الغزل لوجدنا هذا النوع من الغزل فيه واضحاً ، حيث نلمح فيه عدداً من القصائد صدرت عن وجدان شاعر استغرق في تأملاته العاطفيه ، بلا جنوح في وصف المحسوس ، ولا هيام مغرق في المعاني النفسية ، بل جمع بينهما في اتزان ووضوح ، ومن الأمثلة على ذلك قصيدته (أخت القمر) التي يقول فيها :

يا فتنة القلب ومهوى البصر جاوزت مقياس جمال البشر
كأنما خيرت أن تخلقي فاخترت أحلى وأرق الصور
سبحان من أبدع هذا الصبا وجل من نسق هذا الحور
أسهب في شعرك حتى انتهى إلى الربا مسترسلاً وانحدر
ورق في خصرك حتى استوى إيجازه في قدك المختصر
والغيد النشوان في سالف ريان يستهوي شفاه الزهر
والخفر النعسان في مقلة تكاد تستصبي فؤاد الحجر
حلوت حتى كدت أن ترشفي رشفا وأن يحسو صباك النظر [1]

ولكن هل يكتفي السنوسي بهذه الأوصاف الحسية لهذه الفاتنة ؟ كلا ، إنه ينطلق منها للحديث عن أثر ذلك الجمال على نفسه ، ويكشف بعد ذلك ما في قلبه من لواعج ومعانٍ جميلة ، وذكريات حب رائعة أيام الصبا ، والزمان الغابر ، يقول واصفاً لحظات تأملية جميلة :

أطبقت جفنيِّ على نظرة رفت على قلبي رفيف المطر

(١) الأعمال الكاملة : ٤٦٦ – ٤٦٧ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

أحيت بأحشائي موات الهوى وجددت ذكرى زمان غبر
أيام أيامي كقطر الندى صفواً وأحلامي كلحن الوتر [1]

ومن هذا النوع من الشعر قصيدة أحمد يحيى بهكلي (أحبك) ، فهي - أيضاً - مزيج من الحسية والمعنوية ، وإن كانت تميل إلى الغزل المعنوي أكثر ، والشاعر البهكلي في كثير من غزله لا يمكن أن يُفصل بين هذين اللونين من الغزل لديه ، فهو كثيراً ما يمزج بينهما ، يقول في هذه القصيدة :

أين وجهت فقلبي لك مغدى ومراح
أنت فيه النور كالنور يغذيه الصباح
أنت فيه النفح كالنفح تزجيه الأقاح
يا جمالاً ملهب التكوين معدوم السماح

*

آه كم أهفو ؟ وكم أحنو لذكراك الحبيبة
تتمطى بي أوهامي خيالات عجيبة
فأرى أبعادك القصـ ـوى بتحناني قريبة
حيث أحياك بدنيا فوق دنيانا الرتيبة [2]

والقصيدة أبرزت التفاعلات النفسية لدى الشاعر ، والتوهج العاطفي الجامع بين محاسن المحبوبة وجمالها الملهب للأحاسيس ، وما يدور في ذهنه عن هذه المحبوبة من ذكريات وخيالات عجيبة ، ومما زاد هذا التنويع والمزج بين الغزلين الحسي والمعنوي جمالاً التنويع الموسيقي بين مقاطع القصيدة وقفزاتها في بناء القافية ، وهو دليل على القفزات النفسية والتنوع الوجداني بين جذب الشكل المحسوس للمحبوبة والجذب الوجداني اللافح .

(١) المصدر السابق : ٤٦٧ – ٤٦٨ .
(٢) الأرض والحب : ٤٣ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ومن الأمثلة التي تتضح فيها معالم هذا اللون من الغزل ، قول حسن حجاب الحازمي مخاطباً محبوبته :

صوتُك الهامسُ نارٌ مضرمة
أشعلت قلبي وأذكت ألمه
هذه الهمسة لا أجهلُها
من سنين في فؤادي مبهمة
هذه الضحكة لا أنكرها
كركرات بالأماني مُفْعَمة
آه يا حلوة هل يذكرني
قلبك القاسي الذي ما أظلمه (١)

وهكذا ، فكثير من الشعراء مزجوا بين الغزل الحسي والمعنوي في تشكيل جميل يحقق مطالب الجسد والحس ، ومطالب القلب والروح ، وهو أرقى مطالب الغزل والحياة العاطفية الجميلة .

ومثلما شاع لدى الشعراء الحسيين الحب المكشوف والجنسية الواضحة ، شاع لدى الشعراء الذين مالوا إلى الغزل المعنوي الأسلوب العفيف الموسوم بالغزل العذري ، الذي يصور مستكنه القلب ، ووجيب النفس ، كما يصور جمال الحبيب الآسر ، ويتمنى الوصول إليه ، ولكن أوصافه لا تثير نوازع غريزية ، فالشاعر محمد بن علي السنوسي عندما تحدث عن المضيفة التي أعجب بها في الطائرة في قصيدته (شد الحزام) ، قال في آخرها :

قلـــبي يحـــبُّ وإنمـــا في حبـــه خلـــق وحـــشمه
ويهـــيم بالغيـــد الحـــسا ن ولا يبـــيح لهـــنَّ حُرْمـــه (٢)

(١) وردة في فم الحزن : ١٠٣ .
(٢) الأعمال الكاملة : ٦٤٤ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

((فهو يعترف بأنه يحب ، ولكن طابع الخلق والحشمة اللذان يمنعان من التبذل ، وأنه يهيم بالغيد الحسان ، ولكنه لا يجرؤ على حرماتهن ، والابتعاد عن التبذل - في الحب - وعدم إباحة حرمات الآخرين ، سمة من سمات الشاعر المسلم المدرك لحقيقة إسلامه)) [1] .

والشاعر إبرهيم مفتاح يؤكد هذه السمة ، ويتساءل عن كيفية بقاء الحب طاهراً من كل لوثه ، نقياً من كل شائبة ، وذلك في قوله :

كم رشفنا من الهوى قطرات　　وملأنا الكؤوس منه مرارا
ونسجنا من حبنا ألف معنى　　وفرشنا طريقنا أزهارا
ليس عاراً بأن نحب ولكن　　كيف نغدو بحبنا أطهارا [2]

والحب الحقيقي هو الذي لا سبيل فيه إلى الزلل، وهو حديث هامس وتناجي بالعيون، مليء بالطهر والعفة ، كما يقول حسن حجاب الحازمي في قصيدته (رحيل الشيطان) :

إنما الحبُّ حديث هامس　　وعيون تتناجى بالمقل
أنا يا قلبي قلب خافق　　لا يرى الحب سبيلاً للزلل [3]

وحرص كثير من الشعراء على الابتعاد عن مواطن الريب ، ودرء التهمة عن أنفسهم، ومحاولة إيجاد المعاذير ، والإكثار من الاحتراسات ، وتنبيه القارىء إلى أنّ دلوفهم إلى هذا الباب - الغزل - لم يكن لسوء أو نية فاسدة ، بل كان حباً شريفاً في عرض واضح، ودعوة صريحة إلى العفة وكراهية للشجرة المحرمة ، فالشاعر جبران بن

(١) الاتجاه الإسلامي في الشعر السعودي الحديث ، قيمه الفنية في موازين النقد ، محمد بن عبده شبيلي : ٥٢ – ٥٣.
(٢) عتاب إلى البحر : ٦٩ .
(٣) وردة في فم الحزن : ٣٣ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

محمد قحل [1] في معرض قصيدة غزلية عنوانها (همسة وذكرى) يشير إلى أن هذا الحب الذي ألهب فؤاده ، وسيجمع بينه وبين محبوبته شريكين في حياة مستقيمة ، يقول :

تـورّد خـديك النديـن آيـة من الحسن -يا للحسن- في القسمات
يداعبنـا طيـف جميـل محبـب يهدهـد حلمينـا بفجـرِ حيـاة
بفجر حيـاة يجمـع الحـب بيننـا شريكين نجنيـه كمـا الثمـرات[2]

ويصور الشاعر علي بن حسين الفيفي حبه بأنه الحب المباح الذي يجوز أن يجهر به ، في إشارة واضحة إلى أن هناك حباً غير مباح ، يقول :

أنـا فـي الطريـق ولـو عتي بين الجوانح كا لجراح
فـإذا التقينـا في غـد وجهـرت بالحـب المبـاح
ورأيـت يـا ليـلاي وجـ ـهك وهـو يـشرق كالـصباح
فثقـي بـأن هـواك فـي قلبـي ولا يمحـوه مـاح [3]

والشاعر أحمد الحربي في معرض حديثه عن آلامه من فشل إحدى تجاربه الوجدانيه ، يتساءل لماذا فشل حبه أليس حبه حلالاً ، أليس مباحاً ؟ ، في إشارة إلى أن الحب غير المباح أكثر عرضة للفشل ، يقول :

تنـام عطـشى حـروفي علـى شـفاه المـلاحْ
وتـسأل الطـير مـاذا (يـا طـير مـاذا الـصياحْ)
أليـس حبـي حـلالاً أليـس عـشقي مبـاحْ[4]

(١) هو جبران بن محمد حسن قحل ، ولد في قرية البيطارية بمنطقة جازان سنة ١٣٥٩هـ ، ودرس في مدارس الشيخ عبدالله القرعاوي في صامطة ، ثم التحق بكلية الشريعة بالرياض وتخرج فيها سنة ١٣٨٥هـ ، وعمل في القضاء ، ثم انتقل إلى التدريس مديراً لثانوية الأحد ، وأحيل إلى التقاعد سنة ١٤١٠هـ ، ثم وافته المنية سنة ١٤١٥هـ. له كثير من الأشعار المخطوطة ، وقد جمعت من أشعاره أربعاً وثلاثين قصيدة . انظر ترجمته في : التاريخ الأدبي لمنطقة جازان ، للعقيلي ٣/ ١٣٩٦ ، وفرجة النظر ، للشعفي ١/ ١٨٧ ، وشعراء العصر الحديث ، للحقيل ١/ ٢٣٧ .
(٢) التاريخ الأدبي لمنطقة جازان ، محمد أحمد العقيلي : ٣ / ١٦٢٨ .
(٣) أزهار : ١٥٦ .
(٤) رحلة الأمس : ١٣ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ثالثاً - المديح :

لقد حظي المديح باهتمام الشعراء في كل عصور الأدب ، ولم يلق أي موضوع أدبي من العناية والاهتمام ما لقيه موضوع المديح ، ولم يكن العصر الحديث بدعاً من تلك العصور، لا سيما في الأدب السعودي الحديث الذي واكب نشأة الدولة السعودية الثالثة التي بناها الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود ، حيث التف الشعراء حوله يمجدون صنيعه ، ويعلنون منهجه ، ويرمقون جهده في إنشاء دولة قوية ، تعيد للجزيرة العربية وحدتها ومجدها. ولذا لا نستغرب المقولة التي أطلقها الأستاذ أحمد بن عبدالغفور عطار عندما أشار إلى كثرة هذا الشعر بقوله : ((**ولو جمع كل ما نظم وقيل في باب المديح في هذه الأيام لأربى على كلّ عصور الأدب العربي القديم مجتمعات**)) [1] .

ويعد المديح من أكثر الأغراض التي طرقها شعراء جازان ، لا سيما الشعراء الذين مثلوا مرحلة البدايات ، والريادة في حركة نشر الشعر ، كالعمودي [2] ، والمعلمي [3] ، وعلي السنوسي ، وابنه محمد ، ومحمد بن أحمد العقيلي ، وعلي بن حسين الفيفي ، وعلي النعمي وغيرهم .

(١) كلام في الأدب ، أحمد عبدالغفور عطار : ٣٥ . وانظر : الحركة الأدبية في المملكة العربية السعودية ، د. بكري شيخ أمين : ٢٤٢ .

(٢) هو عبدالله بن علي باسندي العمودي ، ولد في أبي عريش سنة ١٢٩٩هـ ، وحفظ القرآن في صغره ، وفي سنة ١٣١٥هـ رحل إلى اليمن ، ثم تولى القضاء للإدريسي في أبي عريش ، وأبقاه الملك عبدالعزيز قاضياً فيها ، وفي سنة ١٣٦٥هـ طلب الإعفاء من القضاء ، وتوفي سنة ١٣٩٨هـ ،وله عدد من المؤلفات مثل : اللامع اليماني ، وتحفة القاري ، والسامع في اختصار تاريخ اللامع وغيرها ، وله أشعار كثيرة مخطوطة . انظر ترجمته في : التاريخ الأدبي لمنطقة جازان ، للعقيلي ٣/ ١٥٠٣ ، وفرجة النظر ، للشعفي ١/ ٣٤٧ ، وموسوعة الأدباء والكتاب السعوديين ، لأحمد بن سلم ٢/ ٣٦٤ .

(٣) هو عبدالرحمن بن يحيى المعلمي ، ولد في عتمة باليمن سنة ١٣١٣هـ ، وتعلّم باليمن ، ثم رحل إلى جازان سنة ١٣٢٩هـ ، واستقربها ، وتولى رئاسة القضاء للإدريسي ، ولقّب بشيخ الإسلام ، وبعد وفاة الإدريسي رحل المعلمي إلى الهند ، ثم عاد إلى مكة ، وعيّن أميناً لمكتبة الحرم المكي سنة ١٣٧٢هـ ، وتوفي بمكة سنة١٣٨٦هـ . له مؤلفات عدة ، وديوان شعر مخطوط . انظر ترجمته في : الأعلام ، للزركلي ٣/ ٣٤٢ ، ومعجم المؤلفين ، لعمر رضا كحالة ٢/ ١٢٦ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

ومع هذا فلو تأملنا دواوين كثيرين من هؤلاء الشعراء ، فإننا نجد أن كثيراً من قصائد المديح التي أنشأوها في المناسبات والأحداث لم تُثْبَتْ فيها ، وبعضهم أورد عدداً من مدائحه في الصحافة ، ولكنه لم يوردها في دواوينه المطبوعة [1] ؛ وسبب ذلك فيما أظن هو تلك الهجمة الشرسة التي شنها الأدباء والنقاد المحدثون ضد ما سموه شعر المناسبات والمديح ، حتى وصل بهم الأمر أن أخرجوه من دائرة الشعر ، وعدوه نظماً ، مما دعا عدداً من الشعراء إلى التخفف منه في دواوينهم ، وإن طرقه بعضهم فإنما يطرقه على استحياء .

وعندما نتأمل شعر المديح عند شعراء جازان ، نجد أنه اقتصر على مديح ملوك آل سعود وأمرائهم ، عدا قصائد قليلة قيلت في مديح بعض الأدباء والعلماء والأصدقاء، وهي تمثل نسبه ضئيلة من ذلك الشعر الوافر .

ونجد أيضاً أن أغلب ذلك الشعر الذي قيل في مديح آل سعود ، كان في إطار شعر المناسبات ، ولعل من الملائم أن يكون هنا حديث مفصل عن شعر المناسبات ، ودوافع المديح عند شعراء جازان ذلك ، فأقول :

إن أيّ شعر ، بل أي إبداع لا يمكن أن نخرجه عن إطار المناسبة ، فكل قصيدة لا بد أن يكون لها سبب ، وإلا كانت هذراً لا معنى له ، وتمتمات لا قيمة لها ، فالشاعر إذا مدح لا يمكن أن يكون مدحه لأي شخص ، دون أن تكون هناك دوافع أدت إلى ذلك المديح ، سواء أكان إعجاباً ، أم شكراً ، أم رغبة في الحصول على منحه أو عطية ، مما عرف بالتكسب ، أوتخليداً لعمل رائع في الأمة ، أو غير ذلك من الدوافع . وكذلك الرثاء إنما هو صادر عن مناسبة ، وهي الأحساس بفقد الشخص الميت ، والغزل إنما هو حديث عن مناسبة الحب والوجد أو الإعجاب بالجمال والحسن ، والفخر صادر عن مناسبة الإحساس بالرفعة والسمو وعشق الذات ، والوصف إنما هو رجع الصدى

(١) انظر : الشعر الحديث في المملكة العربية السعودية ، د. عبدالله الحامد : ٢٥٩ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

لمناسبة تذوق الروعة في الحياة من بيئة مشاهدة ، أو مصنوعات مخترعة ، أو كون مليء بالجمال الآسر .

إن الشعر صدى ما تحس من مشاعر ، وذلك الشعور صادر عن مناسبات ودوافع أملت على الشاعر القادر على التعبير أن يكتب وينشد ، ولذا فقد تحدث كثير من النقاد المعاصرين عن هذه القضية ، ورأى بعضهم أن شعر المناسبات إذا صدق كان أرقى أغراض الشعر ، وممن أيد هذا الرأي عباس محمود العقاد ، إذ يرى أن الصدق هو المحك الفني في الشعر [1] .

فمن حيث القاعدة لا اعتراض على شعر المناسبات إذا صدق الشاعر ، وكان منطلقه في ذلك التعبير عن الإعجاب بالصفات الحميدة في الممدوح فحسب ، كما حصل للشعراء الجازانيين خاصة ، والسعودين عامة الذين مدحوا الملك عبدالعزيز ، إذ لم يكن دافعهم الأول هو التكسب بالشعر أو الحصول على منحة أو ولاية ووظيفة معينة، فالشعراء الذين مدحو ا الملك عبدالعزيز ، وأثنوا عليه كانوا يرون شيئاً في واقع حياتهم قد تغير ، ورأوا رجلاً جاء ليوحد الجزيرة العربية ، بعد أن سيطرت عليها النعرات القبلية والفرقة ، رأوا كيف حل الأمن بعد الخوف والجهل والطيش ، فكان دافعهم إلى المديح إيماناً وعقيدةً يؤمنون بها ، ورأوا أن من واجبهم أن يرفعوا الشكر والثناء إلى من يستحق ، وأنهم إذا سكتوا عن ذلك فقد قصروا في واجب كان عليهم أداؤه ، وأنه إذا كان عبدالعزيز قد سعى إلى فعل تلك الاصلاحات بجهده وكده وجهاده وخوضه المعارك ، وسلوك المخاطر، فإن على الذين يحملون سلاح الكلمة أن يكون لهم جهدٌ في ذلك البناء ، وأن يجاهدوا بألسنتهم ، كما جاهد هو بسيفه ، ولم يكونوا ينتظرون على ذلك جزاءً أو شكوراً. ولم أجد فيما اطلعت عليه من كتب أو معلومات أو وثائق أن الشعراء الرواد في جازان كعبد الله العمودي ، أو عبدالرحمن المعلمي ، أو علي

(١) انظر : المصدر السابق : ١٤٥ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

السنوسي ، أو غيرهم ممن شارك في مدح الملك عبدالعزيز عند تأسيس الدولة وإنشائها وبداية نهضتها ، أنهم قد حصلوا على مقابل مادي مكتسب لقاء ذلك المديح ، نعم لقد لقوا تقديراً وعناية ورعاية من الملك عبدالعزيز وأمرائه جراء ذلك ، ولكن لم يكن هذا مقابل ذاك ، وإنما كان الدافع الأساس للمديح هو الإعجاب المجرد من أي مطامع أو مطامح . وكانوا في ذلك مثلهم مثل الشاعر ابن عثيمن الذي مدح الملك عبدالعزيز إبان فتوحاته الأولى وبداياته في توحيد البلاد ، فقد كان الممدوح بطلاً وإماماً ، ولكن لم يكن غنياً ، ولم يكن عنده آنذاك من أموال فائضة ليكافىء الشاعر بما يستحقه ، (وعاش ابن عثيمن فقيراً ، ومات فقيراً) ، ولم يعرف عنه أنه قصر في مديح الإمام البطل ، والملك الفذ[1].

إن الهجوم على شعر المديح والمناسبات جاء من مدرستين ، ((**أولاهما : المدرسة الذاتية التي تدعو إلى الأدب الوجداني ، أدب الألم ، الذي يحتضن الطبيعة ، ويذوب فيها وتذوب فيه ، إذ يعتبرون شعراء المناسبات أناساً عاشوا لغيرهم ، ولم يلتفتوا إلى الحديث عن أنفسهم . وثانيتهما المدرسة الاجتماعية التي تدعو إلى تحرير الأدب من التبعية وينحون باللائمة على شعراء المديح والمناسبات الذين يصورون المزاج السائد ، دون أن يحملوا رسالة إنسانية وطنية ، ويرون أن للشعر والأدب والفن بعامة رسالة وهدفاً ، وليس غاية مجردة ، فالأديب مطالب بأن يصور المجتمع كله ، بفقره وجهله ، وغناه وعلمه ، ومشكلاته ومطالبه ، وآماله وآلامه**)) [2] .

وبتأمل إنتاج شعراء جازان في باب المناسبات والمديح ، نراه لا يمكن أن يتوافق مع دعوة هاتين المدرستين ، وبإمكاننا أن نرد على المدرسة الذاتية ، بأن الشعراء كانوا صادرين في مديحهم عن عاطفة صادقة ، وانفعال قوي ، وشعور ذاتي ، وإحساس

(١) انظر : الحركة الأدبية في المملكة العربية السعودية ، د. بكري شيخ أمين : ٢٤٢ .
(٢) الشعر الحديث في المملكة العربية السعودية ، د. عبدالله الحامد : ١٤٦ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

مشاهد بالإنجازات التي تحققت وولدت ، وهم في كل يوم يجدّ فيه جديد ، يقارنونه بالماضي القريب الذي كانوا يعيشونه ، وأن شعرهم في مقام المديح والمناسبات الوطنية أو الدينية كان إشادة بالمبادىء والمثل أكثر منه إشادة بالأشخاص ، وكان إعجاباً بالبطولة وبطلها ، وأن شعرهم إنما هو مواكبة لحركة إصلاح ديني وإداري في عهد الملك عبدالعزيز وابنه سعود ، وتوطيد الأمن ، وأن شعرهم في عهد الملك فيصل كان مشاركة عفوية وغير متكلف ، وهم يرونه يدعو إلى التضامن الإسلامي ، الذي يعتقدون صلاحيته للأمة ، وحاجتها له ، وغير ذلك من الإنجازات التي فرضت نفسها .

ونرد على المدرسة الاجتماعية بأن الشعراء الذين كان لهم نصيب وافر ، ومشاركة واضحة في المناسبات والمديح لم ينفصلوا عن مجتمعهم ، فكما كانوا سباقين إلى إبراز المنجزات ، ومديح صانعيها ، كانوا هم السباقين – أيضاً – إلى المشاركة في بناء المجتمع ، والحديث عن الإصلاح والتربية ، ومناقشة مشكلات المجتمع ، وعرض الحلول لها ، بل لقد كانوا يتخذون من المناسبات منطلقاً للحث على الفضائل ودعمها ، وباباً لشكر البناة والعاملين على رقي المجتمع والساعين في إصلاحه ، وتنظيم شؤونه ، والقضاء على أمراضه واستئصالها . ومن هؤلاء الشعراء – على سبيل المثال – محمد بن علي السنوسي ، ومحمد بن أحمد العقيلي ، وعلي بن حسين الفيفي ، وعلي بن أحمد النعمي ، وغيرهم من شعراء المديح والمناسبات الذين برزوا – في الوقت ذاته – في علاج قضايا المجتمع ومشكلاته ، والحديث عن همومه وغمومه ، وآلامه وآماله –كما سيأتي – .

ومن هنا فقد ارتبط شعر المديح عند شعراء جازان بالمناسبات ، انطلاقاً من ذلك المفهوم السابق ، القائم على أن الشعر هو صدى مناسبة ، وأنه صوت الذات المعلن للإعجاب بهذه الصفات ، وأنه صوت المجتمع الذي هو المستفيد الأول من تلك الصفات التي يشيد بها هؤلاء الشعراء ، ولكنه ينبغي أن يكون شعوراً صادقاً وهو ما كان ، فقد اعتاد الشعراء الرواد والمحافظون على اهتبال أدنى مناسبة للتعبير عن مشاعرهم تجاه ممدوحيهم ، وتبارزوا في ذلك ، وكان التنافس بينهم واضحاً لاسيما بين

شبكة الألوكة - قسم الكتب

الشاعرين محمد السنوسي ومحمد العقيلي ، فما كانت تمر مناسبة عيد ، أو زيارة ، أو افتتاح مشروع ، إلا وتكون لهما مشاركة فيها ، ومن تلك المناسبات مهرجان (اليوبيل الذهبي) للملك عبدالعزيز عام ١٣٦٠هـ ، حيث أنشأ محمد العقيلي قصيدة مقطعية بهذه المناسبة سماها بصدر مطلعها (يوم على صفحة التاريخ يأتلق) ، مثلت هذه القصيدة أنموذجاً واضحاً لذلك الإعجاب الذي دفع الشعراء إلى اهتبال كل مناسبة تحدث للتعبير عنه ، يقول العقيلي في مطلع قصيدته:

يوم على صفحة التاريخ يأتلق أغر عن خالد الأمجاد ينبثقُ
ومهرجان يباهي الشرق مفتخراً بيومه وتجلى البشر يندفقُ

وينتقل الشاعر إلى الحديث عن مظاهر إعجابه بالملك عبدالعزيز ورجاله وما قدموه من تضحيات في سبيل بناء المملكة وتوحيد أجزائها ، فيقول :

لله آيات إقدام وتضحية بمثلها تتباهى في الورى الأمم
تطلبوا الموت أو تبقى الحياة لهم كريمة ويعيش المجد والكرم
ويا لها فكرة كانت موفقةً وخطرة لعظيم القدر والمثل
تقحم الموت معمور اليقين فلم يثن له الخطب قلباً أو تغل يد
في عصبة كأصابيع اليدين لهم من قوة الحق في أرواحهم مدد
وأسفر الصبح عن تاج ومملكةٍ يعلو بها الحق والتاريخ والخلق (١)

وفي القصيدة نجد أن الشاعر قد تمكن من إعطاء المتلقين مشهداً لحرص الملك عبدالعزيز على نجاح وثبته في الاستيلاء على قصر (ابن عجلان) ومن ثم استعادة مدينة الرياض ، بل كون لوحة فنية إبداعية تحكي حدثاً معيناً نجح في نقله إلينا ، خاصة عندما جعل عيون الدهر ترقب ، والليل يزفر خوفاً ، والأهوال ترتعد فرقاً (٢)، يقول :

(١) المجموعة الشعرية : ٢٤٩ – ٢٥٠ .
(٢) انظر : شعر محمد أحمد العقيلي ، دراسة تحليلية – رسالة ماجستير – خالد الشافعي : ٥٦ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

تقدمـوا وعيـون الـدهر ترمقهـم والليـل يزفـر والأهـوال ترتعـد
لم تنفـض النـوم أجفـان مهومـة إلا ووجهـك في أرجائهـم فلـقُ
تطل من شرفات القصر مبتسماً على جبنيك غـار النصـر يـأتلقُ [1]

ويستمر الشاعر في هذه القصيدة مصوراً ومسجلاً مشاعر الناس وفرحتهم بتلك المناسبة المهمة ، وهو في ذلك يستلهم المعاني التراثية ، والصور الخالدة ، لاسيما في أبياته السابقة ، حيث يحذو حذو المتنبي في تصويره لسيف الدولة بعد انتصار في قوله :

وقفت وما في الموت شك لواقف كأنـك في جفـن الـردى وهـو نـائم
تمـر بـك الأبطـال كلمـى هزيمـة ووجهك وضـاح وثغرك باسـم [2]

ولما تولى الملك سعود المُلْك بعد وفاة والده ، هنأه الشعراء ، وكانت مناسبة للحديث، فالشاعر محمد بن علي السنوسي تحدث فيها عن فقدان البلاد للملك عبدالعزيز وما انتاب الجزيرة من هم وغم لفقده ، ثم يعرج - بعد ذلك - على تتويج سعود ملكاً على البلاد ، ومن المعلوم - كما يقول النقاد - أن من أصعب الأمور الجمع بين تعزية وتهنئة ، ولكن الشاعر المجيد هو من يقدر على تجاوز ذلك ، والإبداع في عرض رأيه ، والسنوسي من أولئك المجيدين ، إذ يقول :

نهضت وفي قلـب العروبـة لوعـة تلـوب وفي جفـن الجزيـرة أدمع
وفي كبد الغبراء من حرقة الأسى شـواظ يدمـي أو لهيـب يلـذع
فأشرقت إشراق الصباح متوجاً بك التاج يزهو بل بك العرش يفرع
ولاحت على الآفاق أنـوار طلعة لها من سماء الملك برج ومطلع
وقيل استوى فوق الأريكة ربهـا سعود وهب الفيصل العضب يقطع
يحوطك مـن أبنـا أبيـك أشـاوس وأنت لهم قلب وهـم لـك أضلـع

(١) المجموعة الشعرية : ٢٥٢ – ٢٥٣ .
(٢) ديوان المتنبي (معجز أحمد) للمعري ، تحقيق : د. عبدالمجيد دياب : ٣ / ٤٢٨ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

فقرت بك الأرواح وانقشع الدجى　　ومـدت إلى يمنـاك للضاد أذرع
وأضحى زمـام الملك في كف أروع　　إلى القمم الشماء يسمو وينـزع [1]

وللزيـارات التى كان يقوم بها الملك سعود بـن عبـدالعزيز أثرهـا الإيجـابي في قلـوب المواطنين ، فما أن أصدر وعداً بزيارة منطقة جازان بعـد عيـد الأضـحى سنة ١٣٧٣هـ حتى كانت فرصة للشعراء أن يتحدثوا ، وكانت مناسبة لهم كي يعـبروا عـن فـرحتهم ، ويـصوروا فرحة الشعب وأبناء المنطقة بها ، وقد نقل إلينا السنوسي تلك المشاعر ، مظهـراً مكانـة الملـك سعود في قلوب أبناء جازان بقوله في قصيدة (وعد ملكي كريم) :

سـعود الـورى إن المدائـن والقـرى　　بآمالهـا الكـبرى إليـك تطلـع
عقـدنا بـك الآمـال وهـي عظيمـة　　وأنـت بتحقيـق العظائـم مولـع
هوى لك في الوادي الخصيب كخصبه　　يفيض على الوادي كريماً ويمـرع
هـوى لـك في قلـب الجنـوب يربـه　　ولاء ويذكيـه وفـاء مـضوَّع
تهـز بـك الأم الـرؤوم وليدهـا　　وباسمك تسليه عنـاء وتضجع
بنيـتُ عـلى أحـلام وعـدٍ بـزورةٍ　　يبل الصدى منها الرحيق المشعشع
مرابعنـا فـي روضهـا ناصريـة　　وفي كـل بيت يـا مليكـي مُربـعُ [2]

ولما تولى الملك فيصل بن عبدالعزيز الملك هنأه الشعراء ، وباركوا للشعب قيادتـه ، وعدّوا يوم توليه للعرش يوماً خالـداً ؛ لمـا لـه مـن أيـاد بيـضاء ، ومحبـة كبـيرة في نفـوس شعبه ، بل وصل الأمر ببعضهم أن حدد في قصيدته تاريخ توليه العرش ، وهـو عـلي بـن قاسم الفيفي الذي يقول في قصيدته (يوم البيعة) :

(١) الأعمال الكاملة ، محمد علي السنوسي : ٤ – ٥ .
(٢) المصدر السابق : ٩ – ١١ ، وانظر : محمـد بـن عـلي السنوسي حياتـه وشعره – رسالة ماجستير غير منشورة – محمد القسومي : ١١٨ . وأراد الشاعر بقوله : ناصرية الحيّ الـذي بـه قـصر الملـك سـعود في مدينة الرياض .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

تألق صبح في سما المجد يلمع له في جبين الكون نور يشعشع
وما كانت الأيام في كنه ذاتها تفاضل إلا بالذي القوم تصنع
وما يوم الاثنين لسبع تصرمت وعشرين من ثاني الجمادين تنزع
لأربعة بعد الثمانين حجة بأيامنا إلا أجل وأروع
فحسبك من يوم تلألأ فجره ضياء وإشراقاً إذا قيس أنصع
وحق ليوم أن يخلد ذكره كيوم به شعب الجزيرة يجمع
به يعتلي عرش الخلافة سيد هزبر الوغى ندب كميتٌ سُميدعُ
هو الفيصل المحبوب والقائد الذي له تاج عز بالفخار مرصع[1]

ومناسبة مرور عشرة أعوام على تولي الملك فيصل زمام الملك كانت فرصة مواتية لمحمد السنوسي أن يعبر عن صدق شعوره تجاه مليكه بأسلوب رائع ، مليء بالفخر والاعتزاز بمواقفه في نصرة قضايا العرب والمسلمين ، ودفاعه عن حقوق الأمة ، قائلاً :

هو فيصل علم الهدى والسؤدد فاصدح بألحان البيان وغردِ
واهتف بذكرى بيعة مشدودة بهوى القلوب وعهدها المتجددِ

* *

صدقت رؤى الأحلام فيك وأشرقت بجلالك الوضاء آمال الغدِ
وتألق التاريخ زهواً وانتشى قلب العروبة بالمليك الأصيدِ
وهفت إليك من الجزيرة أمة قد بايعتك قلوبها قبل اليدِ

* *

إن الكنانة نورها بك أنور ودمشق حافظها يلوح باليد
لما وقفت بكل ثقلك في الوغى ترمي العدو وتسحق الغرّ الردي

(١) الطيف العابر : ١٣ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

وتهـز أعمـدة السياسة معلنـاً　　أن العروبـة لـن تـلين لمعتـدي[1]

ولما زار الملك خالد بن عبدالعزيز نجران ، هبّ الشعراء مرحبين به وهو يزور إقليماً قريباً منهم ، ومن هؤلاء الشعراء أحمد بن علي عبد الفتاح الحازمي ، حيث يقول :

السعد يطلع والمنى تتحقق　　والبشر يلمع والسنا يتألقُ
وتألقت نجران في خيلائها　　منها الجموع مواكباً تتدفقُ
زمراً تملكها السرور فمهجة　　تهفو وأبصار هناك تحدقُ
نجران تزخر بالمشاعر والولا　　كل لكم متطلع متشوقُ
وتكاد تسبقها الشوامخ نحوكم　　فرحاً وأوشكت الصوامت تنطقُ[2]

وقد استغل الشعراء مناسبة عودة الملك خالد بن عبدالعزيز من خارج المملكة سالماً معافى إثر عملية جراحية أجريت له في لندن سنة ١٣٩٧ للتعبير عن حبهم له ، وفرحتهم بعودته وشفائه ، ومن هؤلاء الشعراء محمد بن علي السنوسي الذي يقول :

أنت في كل مهجة وفؤاد　　أملٌ في غدوها والرواح[3]

ويقول الشاعر محمد بن محسن مشارى :

أهلاً بعاهلنا الحبيب ومرحبا　　بأبٍ وأنت بنا أبر وأشفق
ما نام شعبك في غيابك هانئا　　أينام مكلوم الفؤاد محرق
ولقد شفاك الله والنعمى له　　وشفاء شعبك في شفاك محقق
وطدت عرشك في القلوب فأصبحت　　وبحيث أنت بك القلوب تعلَّقُ[4]

(١) الأعمال الكاملة ، للسنوسي : ٥٩٠ – ٥٩٤ .
(٢) قصيدة مخطوطة توجد لدى الباحث ، وانظر : التاريخ الأدبي ، للعقيلي : ٣ / ١٥٠٩ .
(٣) المنهل ، مج ٣٨ ، ج ٣ ، ٤ ، ربيع الآخر ، ١٣٩٧هـ .
(٤) التاريخ الأدبي لمنطقة جازان ، للعقيلي : ٣ / ١٥٣٢ – ١٥٣٣ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ولما تولى الملك فهد بن عبدالعزيز الملك سنة ١٤٠٢هـ ، عبر كثير من الشعراء عن مشاعرهم ومواقفهم ، وحملوا إليه مشاعر أبناء جازان ، ومنهم الشاعر علي بن مديش بجوي الذي ألقى قصيدة بين يدي الملك حمل فيها بيعة أبناء جازان ، ومشاعرهم تجاه مليكهم قائلاً:

حـــي المليـــك مـــسدد الآراء بتحيـــة تـــسمو عـــن الإطـــراء
الفهـد مقـدام الكتائـب في الـوغى ليـث الليـوث وقاهـر الأعـداء
مرحـى بفهـد مـن قلـوب ملؤهـا ديـــن الإلـــه وطاعـــة الأمـــراء
مرحـى بفهـد لا نقـول تزلفـاً بل صدق قـول معه صـدق ولاء
يـــا أيهـــا الـــشهم الجليـــل تحيـــة مـــن أهـــل جـــازان بكـــل صـــفاء
مـــن ســـدها وجبالهـــا وبحارهـــا من أرضها المخضلة الأرجاء (١)

هذه أمثلة ونماذج من شعر المناسبات ، تدلل على أن الشعراء قد اتخذوا من المناسبة منطلقاً للتعبير عن مشاعرهم ومشاعر الناس من حولهم تجاه كثير من المواقف والأشخاص ، حيث لا ينشغل بالمناسبة ذاتها ، ولكنه يتجاوزها في أغلب الأحايين ليصور نظرة الشاعر وتطلعاته ، ومشاعره وآماله ، والاتجاه العام السائد .

وبتأمل شعر المديح لدى شعراء جازان ، يتبين أن الشعراء قد اهتموا بتلك الفضائل التي استأثرت باهتمام العرب من قديم ، وكانت هي المادة الرئيسة لشعر المديح في سائر العصور ، تلك الفضائل التي أرشد إليها النقاد ، ودعوا الشعراء إلى أن يتناولوها في قصائدهم، كما فعل ابن رشيق ومن قبله قدامة بن جعفر ، حيث ذكر أن الفضائل التي ينبغي أن يمدح بها الممدوح هي : ((**العقل ، والشجاعة ، والعدل ، والعفة**)) (٢) . وكانت نظرة الشعراء للمديح في كل العصور على أنه السبب في نشر الفضائل والمحاسن ، ومن ذلك قول أبي تمام :

(١) نبض القوافي : ٢٣ .
(٢) نقد الشعر : ٦٩ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

ولولا خلال سنّها الشعر ما درى　　بناة العلا من أين تؤتى المكارم[1]

وإذا رجعنا إلى ديوان الشعر في جازان ، فإننا نجده يركز على هذه الفضائل وغيرها من المكارم والخلال الحميدة تركيزاً واضحاً ، فقد أفاض الشعراء في مديح الملك عبدالعزيز ، فوصفوا معاركه بالفتح المبين الذي يتهلل له وجه الدين ، وتتفتح أبواب السماء ، وتسمو البلاد إلى ذروة المعالى ، وقالوا : إن الإمام هزبر هصور ، وجيشه المؤمن فريق من الأشاوس والأسود التي لا تخاف ، وأنه قد واجه الأعداء بقلب لا يهاب وعزم لا يلين ، وأنه ترك أعداءه في خاتمة المطاف بين قتيل تنهشه سباع الأرض أو تخطفه طيور السماء ، وبين هارب لا يلوي على شيء ، وفي هذا المعنى يقول الشاعر علي بن محمد السنوسي :

عبدالعزيز الإمام المرتضى خلقاً　　وسيرةً يرتضيها الله والبشرُ
مزجي الكتائب حتى يستبيح بها　　ما أشرعته المواضي والقنا السمرُ
لم يدر من أبصرت عيناه مجفلة　　يوم الهياج ونار الحرب تستعرُ
والجو محلولك الأرجاء واعتنقت　　بيض الصفائح في لباتها النحرُ
أجيشه بانسيال في تدفقه　　غطى الثرى أم جراد حين ينتشرُ
وحيث يمضي مضت قدام فيلقه　　ريح الصبا وأتاه النصر يبتدرُ
كم هد من قلع لايستنال لها　　ركن فلم يمس في أرجائها حجرُ
وما استعد لحرب وهو يقصدها　　إلا ويعرف ما يأتي وما يذرُ
هيهات أن ينثني عما نواه وقد　　هز الحسام إلى أن ينفذ القدرُ
يروي البقاع نجيعاً سال عارضه　　من الجماجم يحكي ودقه المطرُ[2]

(١) انظر : ديوان أبي تمام ، شرح الخطيب التبريزي ، تحقيق : محمد عبده عزام : ٣/ ١٨٣ ، وفي رواية : بغاة الندى .
(٢) التاريخ الأدبي لمنطقة جازان : ٣/ ١٤٩٩ – ١٥٠٠ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وركز الشاعر علي السنوسي في قصائده على ما أحدثه عبدالعزيز في نفوس أعدائه من خوف ورعب ، وأن مجرد ذكره لديهم يكفي لقتلهم ، وتزلزل الأرض من تحت أقدامهم، يقول في ذلك :

إذا خفقت راياته خفقت لها قلوب العدى رعبا فيقتلها الخوفُ
وإن هم في غزو البلاد تزلزلت على أهلها رجفاً وما حصل الزحفُ
وحيث مضى فالنصر تحت لوائه وبيض المواضي والقنا السمر والزَّغف[1]

ومن الصفات والخلال التي أضفاها الشعراء على ممدوحيهم صفة الكرم والجود، فكما أنه للمدوح راحة تمنح الموت وهي كالرعد ، فإن له في الوقت نفسه راحة أخرى تمنح المنى والنعم ، وهي كالمطر ، والملك عبدالعزيز كان من أولئك الذين جمعوا بين الشجاعة والفتك في الوغي وساحات القتال ، وبين الكرم والجود في لحظات وساعات العطاء ، يقول الشاعر علي بن محمد السنوسي :

إمام الهدى عبدالعزيز بن فيصل وحيد المعالي ما له أبداً وصفُ
له راحة تحوى المنية والمنى ففي بسطها النعمى وفي بطشها الحتفُ
كبرق تراءى في الدجنة لامعا ففي دجْنه رعد وفي مزنه وكفُ[2]

ويبين في موقف آخر بعض مكارم الملك عبدالعزيز ، وما كان يصل منه إلى منطقة جازان ، فعندما أرسل الملك أموالاً لتوزع على بعض الفقراء من أهل صبيا ، ما كان من الشاعر علي السنوسي ألا أن يمجد هذا العمل الكريم والنبيل ، وذلك في قوله :

وما كنت أدري أنّ كفّك أبحر إلى أن رأيت السيل فوق الثرى يطفو
ثلاثين ألفاً جدت فيها تكرما على أهل صبيا فانجلى الكرب واللهفُ
وكانوا عطاشاً فارتووا وتفيأوا ظلالاً سماها من ندى يدك السقفُ

(١) من شعر علي بن محمد السنوسي ، جمع وتحقيق : د. عبدالله أبو داهش : ٦٢ . والزَّغف : الدرع الواسعة الطويلة.
(٢) المصدر السابق ، الصفحة نفسها .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

وكم قبلها أو بعدها من مكارم　　هي اللَّلك[1] والمليون والكُرُّ[2] والألفُ[3]

وشاع لدى الشعراء المديح بالأوصاف التقليدية ، فمحمد بن علي السنوسي يصف الملك سعود بإشراق المحيا ، وتألق التاج على مفرقة ، وأنه كالشمس ، بل هو أفضل منها يقول :

على الشرق نور من محياك يسطع　　يلوح على الدنيا سعوداً ويلمع
تشع على آفاقه وسمائه　　رصائع تاج من سنا الشهب أنصع
يشف به يابن الأشعة والسنا　　ضحاه الموشى أو دجاه المرصع
كأنك فيه الشمس والشمس كوكب　　أجلك يا مولاي عنها وأرفع[4]

ونجد السنوسي يمدح الملك عبدالعزيز بأنه أيضاً قد فاق الشمس ، حيث يقول مخاطباً الملك سعود :

وهل كان للشمس المضيئة في الدنا　　أبٌ كأبيك الفذ أيان تطلع
أبٌ ملأ الدنيا حديثاً معطراً　　وما زال رناناً صداه المرجَّع[5]

ويصف آل سعود في قصيدة أخرى بأنهم كالكواكب العالية ، تهفو القلوب إليهم كما تهفو العيون للنظر إلى الكواكب في السماء :

وحيّ آل سعود إنهم نفرٌ　　مثل الكواكب في عليائهم نسقُ
يهفو لهم كل قلب نشوة وهوى　　كأنهم من قلوب الناس قد خلقوا[6]

---

(١) اللَّلك : مائة ألف عند أهل إيران ، والهند ، واليمن ، وعند المولدين عشرة ملايين . انظر : المعجم الوسيط : ٢ / ٨٤٣ .

(٢) الكُرُّ : مكيال لأهل العراق ، أو ستون قفيزاً ، أو أربعون أردبًّا . انظر : المصدر السابق : ٢ / ٧٨٨ .

(٣) من شعر علي بن محمد السنوسي ، تحقيق : أبي داهش : ٦٣ – ٦٤ .

(٤) الأعمال الكاملة : ١ .

(٥) المصدر السابق : ٢ .

(٦) المنهل ، مج ١٥ ، ج ٣ ، ربيع الأول ١٣٧٤هـ ، نقلاً عن : محمد بن علي السنوسي ، حياته وشعره ، القسومي : ١١٧ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ومن الظواهر المألوفة في المديح تعبير الشعراء عن عجزهم عن إيفاء الممدوح حقه وما يستحقه من المديح ، وأن اللسان عاجز عن نشر ما يليق به من أوصاف ، فالسنوسي عند مديحه للملك فيصل يعترف بأن الشعر لن يستطيع أن يرتقي إلى مقامه ؛ لأن خصال الفيصل فوق مدح المادح ، ولكنه يدعو له بدلاً عن ذلك بالبقاء والهناء ، فيقول :

أي شعر يوفيك حقك والشعـ ـــر عيـيّ وأن أجـاد جيـاده
أنت فوق القصيد فوق الأنا شيـد خـلالاً وعـزة ومجـاده
غير أن الشعور يتخذ الشعـ ـــر سبيـلاً إلى العـلا مـستجاده
وإذا الروض جاءه القطر غنى كـل طـير وزغـردت كـل غـاده
عشت يافيصل العروبة للشعـ ـــب إمامـاً في يـديك القيـاده [1]

والشاعر حسين بن جبران الكريري لا يجد ما يقوله في مديح الملك فهد بن عبدالعزيز، إلا أن يعترف – أيضاً – بأن المديح يقصر عن الوفاء بحقوق ممدوحه ، وأن غاية ما يراه مناسباً هو اللهج بالدعاء ، وسؤال المولى بأن يحفظه ، ويجزل له المثوبة ، قائلاً بعد صدور أنظمة الحكم ومجلس الشورى والمناطق ، وصدور الأوامر بدعم الضمان الاجتماعي:

فبالأمس أصدرت النظام متوَّجا بتاج يشع العدل منه ويشعلُ
ومن بعده أصدرت أمراً مداوياً يضمد أحزان الفقير ويدملُ
فإن قلت شكراً لن يفي الشكر فرحتي وإن قلت مدحاً دونك المدح ينزلُ
ولكنني لم ألق قولاً أقوله سوى أنني أدعو إلهي وأسألُ
بأن يحفظ الله المليك بحفظه ويعطيه من فيض العطايا ويجزلُ [2]

(١) الأعمال الكاملة : ٥٧٧ .
(٢) دموع لا يمسحها الزمن : ١١٨ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

ويلحظ أيضاً في هذا الجانب شيوع القوالب الجاهزة التي تصلح لأي ممدوح ، ولا يمكن أن يتعرف القارىء على من قيلت فيه من مضمونها إذ تطرق معان عامة وأوصافاً مكرورة ومجتلبة من قاموس المديح العربي ، وقد وجد هذا الجانب لدى كثير من الشعراء ، حتى لدى المبرزين والمبدعين ، كمحمد بن علي السنوسي مثلاً ، الذي مدح الملك سعود ، وهنأه في الذكرى الرابعة لتوليه الملك بقصيدة (ذكرى الجلوس) ، فيها يقول :

قطب أقطاب عالم عربي وزعيم الهداة من زعمائه
الزعيم الخطير والعاهل العمـ ـلاق المستقل في آرائه
رائد الأمة التي شهد اللـ ـه بخير لها على شهدائه
مذ تجلى ومذ تولى صحا الفكـ ـر وهب الشعور من إغفائه (١)

وفي سنة ١٣٨٨هـ لما حلت مناسبة عيد الفطر ، شارك السنوسي بالقصيدة نفسها في تهنئة الملك فيصل ومديحه ، وغير فيها شيئاً يسيراً ، وأبقى أكثر الأبيات ، وأصبح عنوانها (الملك فيصل) ، ومن أبياتها :

الزعيم العظيم والعاهل العمـ ـلاق المستقلّ في آرائه
رائد الأمة التي شهد اللـ ـه بخير لها على شهدائه
قطب أقطاب عالم عربي وزعيم الهداة من زعمائه
مذ تجلّى ومذ تولى صحا الفـ ـكر وهب الشعور من إغفائه (٢)

ويلحظ أن الأبيات هي هي ، ولم يحدث شيء سوى التقديم والتأخير ، وسبب هذا في نظري هو الرغبة في المشاركة في المناسبة ، ولو كانت هذه المشاركة على حساب الجانب الاجتماعي لدى الشاعر ، لا سيما الشاعر الكبير من أمثال السنوسي (٣) .

(١) الأضواء ، الثلاثاء ، ٢٠ / ٤ / ١٣٧٧هـ .
(٢) المنهل ، مج ٢٩ ، ج ١١ ، ذو القعدة ١٣٨٨هـ .
(٣) انظر : محمد بن علي السنوسي ، حياته وشعره ، القسومي : ١٢٢ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ولو نظرنا في كثير من قصائد الشاعر علي السنوسي ، لوجدناها تسير في هذا الاتجاه، فمدائحه للملك عبدالعزيز يحشد فيها المعاني العامة ، والأوصاف التي تصلح لأي ملك لاحق من أبنائه ، لولا أنها قد كتب عليها أنها قيلت في الملك عبدالعزيز ، ومن ذلك قوله في إحدى قصائده الطويلة التى سارت على هذا المنوال من الأوصاف المتلاحقة الخالية من الخصوصية والتميز :

علمُ الزمان وحبره وعماده عملاً وعلماً والإمامُ الأعظمُ
ومجدد الدين الحنيف وشمسه وسراجه والحجةُ المتكلمُ
يوم الندى فهو الفرات لواردٍ عذب ويوم البأس نارٌ تضرمُ
يسبي الملوك وتلك عادة قومه وجدوده من قبل ما يَتَعَلَّمُ
آباؤه راضوا الزمان وذلَّلوا صعباً وحازوا العز وهو مقسمُ[1]

والفرق بين علي السنوسي وابنه محمد في هذا المجال ، هو أن محمد بن علي السنوسي قد مدح بقصيدته الهمزية السابقة الملك سعوداً والملك فيصلاً ، أما والده علي فإنه اقتصر بهذه القصيدة الميمية على مديح الملك عبدالعزيز ، ولو أنه أراد أن يمدح بها أي ملك آخر لما احتاج إلى كبير عناء في إطلاقها عليه .

* * *

ومما مر يتبيّن أن أكثر من حازوا على النصيب الأكبر من مديح الشعراء ، هم الملوك السعوديون وأمراؤهم الذين تولوا الإشراف على جازان والإمارة فيه ، وأكثر هذا المديح كان في الملك عبدالعزيز لعوامل كثيرة ، منها بطولته الفذة في توحيد الجزيرة التي لهج الشعراء بذكرها ، وتغنوا بفضلها ، إضافة إلى طول عهده الذي تجاوز العشرين عاماً بعد توحيد البلاد، وكان يحب الشعر ويهتز له ، لا سيما وهو يراه عضادة للدولة ، ودعوة لها ، والدولة بحاجة إلى الألسنة المنافحة القوية ، التي تشيد بأبطالها ورجالها ،

(١) المفقود من شعر علي السنوسي ، جمع الدكتور : عبدالله أبو داهش : ١١٠ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

وكان يجيز على المديح ، كما هي عادة الملوك والأمراء والخلفاء [1] . كما مدح الشعراء من بعده أبناءه الذين تولوا الملك سعوداً وفيصلاً وخالداً وفهداً ، والأمراء عبد الله وسلطاناً، وغيرهما من الأمراء السعوديين ، أو الأمراء من آل السديري الذين تولوا إمارة جازان .

***

إن أكثر الشعراء الذين تحدثوا عن الملك عبدالعزيز ،كانوا شديدي الإعجاب بشخصيته الفذة ، وقوة إراداته، وتصميمه على بلوغ مراده، مهما كلف ذلك من تضحيات، ومن الشعراء الذين أبدعوا في وصف هذا الجانب من شخصية الملك عبدالعزيز الشاعر محمد السنوسي ، ومن قصائده الرائعة التي مثلت هذا اللون (فارس الأحلام) ، حيث تحدث فيها عن فتح الرياض ، ووصف نشأته ، وشبابه ، وأخلاقه ، وحرص على إبراز قوة العزيمة لديه التي يعجز عن إدراكها كثير من الناس ، فيقول :

وفتى يخطر في برد الصبا　　والردى يخطر والأرض تميد
فاحم الوفرة وضاء السنا　　حالم النظرة كالرمح مديد
حدث شب وفي أعطافه　　شيم تسمو وأخلاق تسود
بين عينيه ضياء لامع　　من سنا ماض أقامته الجدود
المنى الغر نشاوى حوله　　والوغى المر بعينيه قعيد
والثرى تسرح في أشباحه　　العماليق وعاد وثمود
شق جنح الليل عزماً ومضى　　يركب الهول ويزجي ويقود
يمتطي طرفاً وينضو صارماً　　ماله في وثبة المجد حدود
يقنص المجد ويصطاد العلى　　والظبا تلمع والموت رصيد

(١) انظر : الشعر الحديث في المملكة العربية السعودية ، د. عبدالله الحامد : ٢٥٤ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

العلـى أبعـد شـيء يبتغـي والـردى أقـرب مطلـوب يريـد
وهـو إمـا الـصدر والملـك ولا شـيء إلا القـبر مـا عنـه محيـد
أيـن (هاينبـال) مـن إقدامـه أين (نابليون) والحشد الحشيد [1]

وواضح أن السنوسي هنا قد ركز على بعض ملامح التميز في شخصية الملك عبدالعزيز ، مستلهماً في ذلك قول الشاعر أبي فراس :

ونحـن أنـاس لا توسط عندنا لنا الصدر دون العالمين أو القبر [2]

ولـو تأملنا اللغة التي استند إليها الشاعر هنا ، لوجدناها ركزت كثيراً على الألفاظ الدالة على الهمّة والمجد والريادة .

ومن الشعراء الذين مجدوا وثبته ، وصوروا بطولته الفذة الشاعر محمد العقيلي ، وهو يسير على نمط السنوسي في حشد الألفاظ الدالة على الإقدام والتضحية والهمة العالية ، والحرص على تحقيق الآمال ، وأن ذاك الفتح قد فاق كثيراً من الفتوح المعروفة في التاريخ ، يقول :

لله آيـــات إقـــدام وتـــضحية بمثلهـا تتبـاهى في الـورى الأمـم
تطلبوا الموت أو تبقى الحياة لهم كريمـة ويعـيش المجـد والكـرم
تقحم الموت معمور اليقين فلم يثن لـه الخطـب قلباً أو تغـل يـد

إلى آخر تلك القصيدة المقطعية الطويلة [3] التي يصف فيها فتح الرياض ، وأنه قد فاق ما صور به (هوميروس) فتح طروادة ، بل لا سبيل إلى المقارنة بينهما ، فشتان بين الحقيقة فيما صنعه الملك عبدالعزيز ، وبين الخيال الذي نسجه (هوميروس) .

(١) الأعمال الكاملة : ١٣٨ – ١٤٠ .
(٢) ديوان أبي فراس الحمداني (قصيدة أراك عصيَّ الدمع) : ١٣٣ .
(٣) المجموعة الشعرية ، لمحمد بن أحمد العقيلي : ٢٤٩ – ٢٥٥ ، والقصيدة بأكملها تصور تلك الوثبة العجيبة .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

وكان لتوحيد الجزيرة بعد تفرقٍ طويل ، وتشتت أليم على يد الملك عبدالعزيز أثره الواضح على نفوس الشعراء ، ذلك الحلم الذي تحقق في أرض الواقع لم يمر على الشعراء مروراً سريعاً ، بل توقفوا عنده مثمنين لصانعه صنيعه ، ومقدرين جهده وسعيه، ومركزين على ا لمصالح التى تحققت من جراء هذه الوحدة ، فالشاعر علي السنوسي من أكثر الشعراء الذين ركزوا على هذا الإنجاز ، ومن ذلك قوله مخاطباً الملك عبدالعزيز :

هل تنكر الأيامُ منك محاسناً أوليتَها حتى غدتْ تتبسَّمُ
أولم تكن عرب الجزيرة قبل أن وُليت ذمّتَها تُهانُ وتهضمُ
أبدلتها بالذّل عزاً شامخاً والخوف أمناً لا يراق به الدمُ (١)

ويركز على هذا الإنجاز في قصيدة أخرى ، قائلاً :

وَلَمَّ شعب الهدى بعد التفرق في حسن ائتلاف به الأيام تزدهرُ
وأصبحت أمة الإسلام قاطبة تزهو بدولته الغرا وتفتخرُ
وأنقذ العرب العرباء من فتنٍ كالسيل في جنح ليلٍ ما به قمرُ
كانت لعمرك لا تنفك ثائرة في كل ناحيةٍ من نارها شررُ
وحاطها بذمار لا تزايله عنها الليالي ولا يجتابها الخطرُ (٢)

وقد اعتاد كثير من الشعراء وهم يتحدثون عن الجهد الكبير الذي بذله الملك عبدالعزيز في توحيد المملكة ، اعتادوا على عقد المقارنة بين وضع الجزيرة قاطبة قبل هذا التوحيد وبعده ، فالشاعر علي بن حسين الفيفي يصف في إحدى قصائده الجزيرة قبل مجيء الملك عبدالعزيز بقوله :

قد كنت يا وطني الحبيب ممزقا والحكم حكم أسنة ورماحِ

(١) المفقود من شعر علي بن محمد السنوسي ، جمع الدكتور أبو داهش : ١١٧ .
(٢) التاريخ الأدبي لمنطقة جازان ، للعقيلي : ٣/ ١٥٠٠ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

والقتـــل في كـــل الـــبلاد كأنـــه شيء يـــراه النـــاس شبـــه مبـــاحِ
واعتاد من سكن البوادي والقرى أن يـسمعـوا بالقتـل كـل صـباحِ
وتـــوالت الأيـــام وهـــي مليئـــةٌ بالنائبـــات كعاصـــفٍ مجتـــاحِ
وكـأنما عـرب الجزيـرة لم يـروا في القتل أو في النهب أي جناحِ
أو أنهـــم لا يذكـــرون بأنهـــم أحفـــاد قـــومٍ ســـادةٍ أقحـــاحِ [1]

ثم ينتقل الشاعر بعد ذلك إلى الحديث عن مجيء الملك عبدالعزيز ومجيء الخير والأمن، وتغير أوضاع الجزيرة الموحدة ، وحلول النعمة ، حيث أخرجت الأرض بركتها وكنوزها ، والتم شمل المجتمع العربي ، وبدأت مرحلة بناء ضخمة ، ومحاولة لإعادة صياغة تاريخ هذه الجزيرة بعد حقبة من النسيان والجمود ، فيقول الشاعر الفيفي :

حتى أتى عبدالعزيز موحدا للـشمل تواقـاً إلى الإصـلاح
وأعاد ما ضينا المجيد موحدا للـصف بعـد تمـزق وجـراح
جعل العدالة والشريعة منهجا والأمـــن للغـــادين والـــرواح
وكأنما الصحرا قد ادخرت له كـنزاً عظيماً تحت كل بطاحِ
وضعت مفاتيح الكنوز بكفه اليمنى وكم للخير من مفتاحِ
والتم شمل الناس بعد تمزق واستبدلوا الأتراح بالأفـراحِ
وبنـوا الجزيـرة خلفـه يفدونـه بالمـــال والأبنـــاء والأرواحِ
نـادى فلبتـه الجمـوع بقـولهم لـسنا عـلى أرواحنـا بـشحاحِ
إنـا جهرنـا بالـولاء وحبنـا متفائلـين بوجهـك الوضـاحِ
أفـلا نحبـك بعدمـا حققـت مـا نصبوا لـه مـن نعمـة وفـلاحِ [2]

(١) زائر الأمس : ٦٨ – ٦٩ .
(٢) المصدر السابق : ٧١ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

وهذه الوحدة التي بناها طالما حلم الناس بها ، وانتظروها ، فلما تحققت في واقع الناس حيوها ، وأسهبوا في الحديث عنها وعن قائدها ، يقول محمد العقيلي واصفاً هذه الوحدة التي قامت على أساس متين من الدين القويم :

قد قيض الله شخصاً من مصاصتها　　بمثله تنهض الأوطان والأمم
يدعو لإحياء دين الله منفردا　　إلا بحبلٍ من الرحمن يعتصمُ
حتى تحققت الآمال وابتهجت　　بيض الأماني وهل النصر يبتسمُ
وأشرقت دولة التوحيد سافرة　　عن وحدةٍ طالما كانت هي الحكمُ (١)

ويركز الشاعر إبراهيم صعابي على هذا المعنى – أيضاً – ، فالوحدة في نظره قامت على القيم العليا ، والحب والشيم العربية الأصيلة ، ولولا ذلك لم تقم ، يقول :

عبدالعزيز تجلى فوق جبهتها　　أقام وحدتها بالعدل والقيمِ
ووحد الشمل في حب ومرحمة　　ووحد الأرض في الأفعال والشيمِ (٢)

وكان الملك عبدالعزيز مثار حديث الناس وتساؤلاتهم ، وشغلهم الشاغل إبان فتوحاته ومعاركه وصراعه من أجل لم شتات الجزيرة وأطرافها ، يقول الشاعر علي السنوسي :

وإذا جرى ذكر الملوك بمجلسٍ　　فحديثنا أبداً بذكرك يختمُ (٣)

وممن أشاروا إلى هذه المعنى الشاعر عبدالواسع سعيد ، مركزاً على هبوب رياح التغيير التى غيّرت ملامح الجزيرة ، ومثنياً على الملك عبدالعزيز وما حمله معه من تطور في شتى المجالات ، فكان صنيعه مثيراً للتساؤلات ، ومجالاً رحباً للأحاديث ونشوء الحكايات ، فيقول:

---

(١) المجموعة الشعرية : ١٧٤ .
(٢) وطني سيد البقاع : ٥٢ .
(٣) المفقود من شعر علي بن محمد السنوسي ، جمع الدكتور أبو داهش : ١١٩ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

كثيرٌ تساءل من أين قادم
ومن أي أرض وعن أي حاكم
بسطوة عنتر وأخلاق حاتم
لماذا يحب ركوب الكرائم
وظل التساؤل يعدو الفيافي
وطاف به القول كل القوافي
فلا الصحو غاف
ولا النوم واف ولا الصقر لاح بأي اتجاه
ولا الريح جاءت بتلك الخوافي
وفي قريتي ملاحم تروى لذاك البطل
فيا قرية الحزن جاء الأمل (١)

ولم يكن حديث الشعراء عن الملك عبدالعزيز وبطولته الفذة ، ووثبته العجيبة ، وتوحيده للجزيرة ، لم يكن لينفصل عن الحديث عن الأمن الوارف الذي تظللت الجزيرة تحت أفيائه ، ونعمت بالعيش في فننه وأفنانه ، وهم في إشادتهم بالأمن والأمان ، وذهاب الخوف والفساد في الأرض كانت صورة الماضي القريب الذي شاهده كثير منهم أو سمع به ممن شاهده ، صورة الخوف ، وشيوع الإجرام ، والسعي في الأرض بالفساد والحرابة ، من قطع للطرق ، واعتداء للقوي على الضعيف ، فكانت تروق الشعراء المقارنات والموازنات بين الماضي الأليم والحاضر السعيد ، فالشاعر علي السنوسي أشاد بالأمن الوارف الذي خيم على الجزيرة كثيراً في أشعاره ، ومن ذلك قوله واصفاً أثر ذلك الأمن :

ومـدَّ علـى الأفـاق ظـل أمانـه وأجـرى عـلى العـدل الأمـور ومهّـدا

(١) دوائر الصمت : ٤٤ – ٤٧ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

وسهل للحجاج كل مصاعب تشق عليهم رحمة وتفقدا
وأمنهم خوف الطريق وأقبلوا إلى الحج أفواجاً ومثنى وموحدا
ومن قبله ما تستطيع قوافل سلوكاً به إلا وقد ذهبت سُدى [1]

وأشار في قصيدة أخرى إلى أن الغريب إذا أدركه الليل ، فإنه يستطيع أن يأوي إلى أي قفر أو مكان لا يخاف أحداً إلا الله في أمن غير معهود في هذه الجزيرة المترامية الأطراف، يقول :

يأوي الغريب إذا ما الليل أدركه في مهمه ما به نبتٌ ولا شجرُ
كأنما القفر دار والخلا وطن لابن السبيل ومن قد ضمه السفرُ
وحوله سيف عدل لا يفارقه يدور حيث تحل البدو والحضرُ
ومن تكن هكذا أيام دولته يطيب للناس في أخباره السَّمَرُ [2]

ويصور في موطن أخر أنه من المحال أن يكون له أمير على بلدة ، ويمكن أن يقيم المجرمون العابثون بها ، في حين أنه قبل ذلك كانت البلاد بأسرها مسرحاً للمآسي ، يقول :

ومن المحال بأن تكون ببلدة أمراؤه فيقيم فيها المجرمُ
وحمى الجزيرة واستقام بحفظها من بعد ما كانت يراق بها الدمُ [3]

والشاعر محمد العقيلي صور الأمن الذي خيم على المملكة بأنه لم يعد أحد يخشى من أحد ، حتى استطاع الذئب أن يرعى مع الغنم ، وذلك في قوله :

يا دولة نعمت في ظلها الأمم وأشرق الحق وانجابت به الظُّلمُ
وخيم الأمن في ضاحي مراتعها حتى رعى السيد والأنعام والبهمُ [4]

(١) المفقود من شعر السنوسي : ١٣٢ .
(٢) التاريخ الأدبي لمنطقة جازان ، العقيلي : ٣/ ١٥٠٠ – ١٥٠١ .
(٣) المفقود من شعر علي السنوسي : ١١٢ .
(٤) المجموعة الشعرية : ٣٢ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

والشاعر محمد بن علي السنوسي تحدث عن ذاك الأمن الذي اشتاقت الجزيرة اليه وتاقت إلى مرآه ، ولكن عندما أطل الملك عبدالعزيز أطل معه الأمن الذي عم كل مكان في القرية والبادية ، والطريق المجهول وعلى الساحل ، وفي كل مكان يجد الإنسان على أرض هذه الجزيرة الأمان والاطمئنان ، ويربط الشاعر هذا الأمان براية التوحيد التي رفعها الملك عبدالعزيز ، تلك الراية التي توحدت البلاد عليها ومن أجلها ، فيقول :

جزيرتي ألهميني نضم قافية تشدو بصقرك صقر الأمة البطل
عبدالعزيز الذي داواك من سقم وصان عرضك من عار ومن خلل
مؤسس الدولة المثلى وصانعها بالحق والعدل لا بالزور والحيل
وزارع الأمن فيها فهو مؤتلق في الريف والسيف والصحراء والسُّبل
ورافع الراية الخضراء معلنة توحيدها ، وهي بالتوحيد كالجبل[1]

وهذا الأمن الذي حل لم يأت وليد صدفة ، أومجرد فترة عابرة ويتبخر ، وإنما جاء ليبقى ما بقيت أسبابه ، إنه لم يتوطد إلا بالضرب بيد من حديد على أيدي العابثين ، وبعزم لا يلين ، وأنه أمن قرن بعدل ، وعدل تبعه خير ، وخير وافقه جمع شمل وحب وإخاء ، يقول في ذلك الشاعر علي بن حسين الفيفي :

جاء عبدالعزيز والخير يعدو خلفه مشرقاً كدرٍّ نضيدِ
جاء بالأمن والعدالة والخيـ ـر وعهد على البلاد سعيدِ
جمع الشمل والشتات وساس النـ ـاس بالحب والإخاء الأكيدِ
ضرب العابثين بالأمن بالحـ ـزم وعزم يذيب صلب الحديدِ[2]

وكثيراً ما يربط الشعراء بين الأمن الوارف والتحول الذي طرأ على البلاد في إخراج الأرض خيراتها ، وتفجر كنوزها ، وفي التطور الاقتصادي والاجتماعي

(١) الأعمال الكاملة : ٦٨٣ .
(٢) زائر الأمس : ١٦٣ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

وغيرهما، وأنه لولا الأمن لما استطاع ابن المملكة أن يصنع شيئا ، يقول في ذلك الشاعر علي بن حسين الفيفي ، متحدثاً عن صنيع الملك عبدالعزيز :

جعل الأمن وارفاً فاطمأنت　　كل نفس وعاد مجد الجدود
وعلى راحتيه أخرجت الصحراء (م) خيراً عطاؤه في مزيد
فإذا الأمن وارف والأماني　　دانيات كالكرم أو كالورود
وإذا هذه الجزيرة رمز　　لازدهار ما إن له من نديد
لا الصحارى كالأمس شاحبة الو　　جه ولا الخدر غير قصر مشيدِ
وغزاها العمران والرقعة الخضـ　　ـراء تمتد للمجال البعيدِ
وانجلت ظلمة الجهالة والفقـ　　ـر وعادت أمجادنا من جديدِ (١)

ولم يقتصر مديح الشعراء للملك عبدالعزيز في إبان حياته ، وإنما استمر حتى بعد وفاته ورحيله ، فكثير من الشعراء لم يدرك الملك عبدالعزيز ، وإنما أدرك الإنجازات التي كان له الأثر الأكبر في تأسيسها وتهيئتها ، بل حتى كثير من الشعراء الذين أدركوه ملكاً وموحداً ومدحوه بقصائد كثيرة ، لم يكونوا لينسوه عند الحديث عن أبنائه الذين تولوا الملك من بعده؛ ربما لأن بعضهم أحس أنه لم يوفه حقه من الإشادة ؛ أو لأنه رأى الإنجازات المتحققه لهذه المملكة ، فأراد أن يعبر عن شعوره ومشاعره ، ويسدي شكره واعترافه بهذا الإنجاز ، فرده إلى صانعه الأول ، أو أن بعضهم كان في بداياته الشعرية لدى وجود الملك عبدالعزيز وإبان حياته ، ومن هنا نجد أن كثيراً من الشعراء قلما يتحدثون عن أحد من الملوك الذين تلوا الملك عبدالعزيز إلا ويشيدون بإنجاز والدهم، وبما له من أياد بيضاء في إعدادهم ، ويستعرضون بطولته الفذة ، ويصورون الجهود العظيمة التي بذلها لبناء المملكة وتوحيدها ، فالشاعر محمد بن علي السنوسي عند مديحه للملك سعود قال :

(١) المصدر السابق : ١٦٣ – ١٦٤ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وهل كان للشمس المضيئة في الدُّنا أبٌ كأبيك الفذ أيان تطلع
أبٌ ملأ الدنيا حديثاً معطرا وما زال رنانا صداه المرجع [1]

ولما أشاد بجهود الملك فيصل الواضحة في نصرة قضايا المسلمين ، ورفع راية الإسلام بين أن هذا الشبل من ذاك الأسد ، وذلك في قوله :

يابن عبدالعزيز وهو إمام شكر الله سعيه وجهاده
أنت من شخصه مثال رأينا في سجاياك عزمه واعتداده [2]

ويتمنى الشاعر حسين كريرى أن يعود الملك عبدالعزيز ولو للحظات ليرى كيف أثمرت البذرة التي غرسها بيده ، ليرى الرجال الذين رباهم ونشأهم ، ليحملوا الأمانة من بعده ، وليحرسوا الكيان الذي بناه ، قال ذلك في مديحه للأمير سلطان بن عبدالعزيز في قصيدة (أمير القلوب) التي منها :

يا أميراً له القلوب قرار حل فيها فبات فيها أميرا
ها هو الحب مثمر في عرين يتباهى بمن أعد فخورا
ليت عبدالعزيز حياً ليجني ثمرات مدت إليه الجذورا
غرسها اليوم مثمرٌ برجالٍ تملأ النفس بهجةً وسرورا [3]

ولما زار الأمير نايف بن عبدالعزيز جازان في التسعينات الهجرية ، مدحه الشاعر علي بن مديش بجوي بقصيدته (النائف الوثاب في عزماته) ، وفيها حيا الرجل الذي بنى هذا الكيان ، وأسس مجده ، واستغرق منه هذا الحديث نصف أبيات القصيدة ، ومنها قوله :

في غمرة الأفراح في جازان حيوا معي أُسْد العظيم الباني

(١) الأعمال الكاملة : ٢ .
(٢) المصدر السابق : ٥٧٥ .
(٣) عزف على أوتار الحب : ١٩ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

أنجال من ملك البلاد بحنكة　　وإرادة من خالق الأكوانِ
وأزاح عن شبح الجزيرة غيّها　　وأنار دربـاً بالقنا وبيانِ
وأماط ظلماً قد تحكم في الورى　　وأقام عدلاً بالهدى وسنانِ
عبد العزيز ومن كمثل إمامنا　　لا قِرْم يشبهه بذي الأزمانِ [1]

وكما تحدث الشعراء عن الملك عبدالعزيز ، فإنهم تحدثوا أيضاً عن أبنائه الملوك الذين جاءوا من بعده ، فقد مدحوا الملك سعوداً بقصائد كثيرة – مرّ بعضها – وقد كان تركيز الشعراء عند حديثهم على الملك سعود على الإصلاحات الداخلية الكبيرة التي بدأت في عهده، ومن الشعراء الذين أفاضوا في هذا الجانب الشاعر محمد بن علي السنوسي ، ومن ذلك قوله ذاكراً بعض تلك الجوانب التنموية الناشئة :

مرحى سعود الهدى مرحى فقد بلغت　　آمالنا فيك أقصى غاية الكرم
توّجت نهضتنا الكبرى بجامعة　　كالعقد في الجيد والإكليل في اللمم
يا صانع المجد في أرجاء مملكة　　خضراء كالواحة الخضراء بالنعم
أشعلت فكرك بالتفكير في غدها　　ويومها وسهرت الليل لم تنم
أغدقتها وبذرت البذر وانهمرت　　يداك كالسيل فياضاً وكالديم
وصنتها وهي غرس لينٌ خضل　　من الجراثيم والآفات والسقم
فاخضوضرت وربت واهتز سنبلها　　حَبًّا وحُبًّا جرى في السهل والأكم [2]

وفي حديث الشعراء عن الملك فيصل ومديحهم له ، كان تركيزهم واضحاً على مواقفه السياسية المشهورة في نصرة قضايا العرب والمسلمين ، والصمود أمام أعدائهم ، واتخاذ كافة الوسائل المشروعة في سبيل ذلك ، فالسنوسي صور أن الفيصل قد وقف بكل ثقله في المعركة بين العرب واليهود ومن معهم ، حيث اتخذ موقفاً مشهوداً فيما

(١) نبض القوافي : ٤٩ .
(٢) الأعمال الكاملة : ٢٩٦ – ٢٩٧ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

سمي (بحرب البترول) ، حين قطع الملك فيصل النفط عن الولايات المتحدة الأمريكية التي تساند اليهود ، فكان سلاحاً فاعلاً لم يحسبوا حسابه ، يقول :

لما وقفت بكل ثقلك في الوغى ترمي العدو وتسحق الغر الردي
وتصول بالرأي الحصيف موحدا شمل العروبة في الصراع المجهد
وتهز أعمدة السياسة معلنا إن العروبة لن تلين لمعتد
الحق غايتنا ومهما أجلبوا فالحق يهزم كل طاغ مفسد
والزيت في يدنا وكل محرك للشر يشدخ رأسه كا لأسود
فتجاوبت بصداك آفاق النهى في كل معترك هناك ومشهد
فاسلم فإنك للعروبة فيصل هزت به الدنيا أجل مهند [1]

ويشير الشاعر إبراهيم بن حسن شعبي إلى أن الملك فيصل أبى أن تخمد نار الأمة ، وتحمَّل حمل جذوتها ، وسار بها ، وإنه قد جعل للذهب الأسود قيمة أكبر من قيمته حين وظفه لصالح الأمة ، وذلك في قوله :

وإن فرداً مؤمناً صامدا يأبى على الباطل أن يصمدا
وقد خبت نار بني أمتي لكن أبى الفيصل أن تخمدا
إن الجبال الشم في تيهها وزهوها تحتقر المبردا
بل الجباه السمر في عزمها أقوى من الفولاذ بل أصلدا
إن وسيط الخير في عصرنا أنصف هذا الذهب الأسودا [2]

وقد مجّد الشعراء الملك فيصل ، وأثنوا عليه بأنه لم يلتفت إلى المبادىء الهدامة التي غزت العالم العربي في أيامه ، فجنب البلاد مزالقها ، وأنقذ البلاد والعباد من مخاطرها ، وقد جنت البلاد من صنيعه هذا خيراً كثيراً ، في حين أن شعوباً كثيرة عانت

(١) المصدر السابق : ٥٩٣ – ٥٩٤ .
(٢) التاريخ الأدبي للعقيلي : ٣ / ١٥٤٥ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

من ويلات الاشتراكية والشيوعية وسواها من مذاهب فاسدة ، ومن هؤلاء الشعراء علي بن قاسم الفيفي، وذلك في قوله :

نفديه من فذ إمام عادل　　أعلى منار الدين في عصر خبا
عصر به كل الأعادي أحدقت　　وتكالبت صفاً وزحفاً مرعباً
لولاه بعد الله في إخلاصه　　وثباته لم يلف ثلم مرأبا
لم يلتفت لمبادىء هدامة　　كلا ، ولم يك جامداً متعصباً
بمبادىء الدين اكتفى وله اقتضى　　لم يبغ عنه إلى سواه تنكبا
وبحسبه أرقى الدساتر منهجا　　وأدقها حكما وأصفى مشربا
فيه التقدم والرقي أخوة　　وتراحماً وتكاتفاً وتأدبا[1]

وبلغة فرسانية فاعلها البحر ، ومفعولها الموج ، ومبتدأها الشاطىء ، وخبرها الأعماق، يتحدث الشاعر إبراهيم مفتاح عن الإنجاز التاريخي الكبير للملك فيصل عندما أنقذ البلاد من الأمواج الصاخبة والمتلاطمة من الاتجاهات والمؤامرات التي حيكت ضد المملكة ، وأنه استطاع أن يصل بالبلاد إلى بر الأمان بفضل حنكته وسياسته الحكيمة ، يقول :

وأتى الفيصل العظيم امتداد　　لأبيه والشبل يحدو أباهُ
عاش والموج صاخب والموانى　　غارثات والركب يخشى سراهُ
فتحدى الرياح واليم طاغٍ　　وتهادى سفينه حيث تاهوا
وإذا الريح والعواصف والمو　　ج نسيم يحيي النفوس شذاهُ[2]

وفي مديح الشعراء للملك خالد بن عبدالعزيز ، نلمح تركيزهم على الحب المتبادل بين الملك خالد وشعبه ، وكذلك الحديث عن عهد النعمة والرخاء الذي خيم

(١) الطيف العابر : ٢٧ .
(٢) عتاب إلى البحر : ٢٦ – ٢٧ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

على المملكة بعد أن تولى الملك ، وهو ما عرف في الساحات الإعلامية والاقتصادية بـ (عصر الطفرة)، ومجد الشعراء كرمه وعطفه وحبه للخير ودعمه لكل محتاج ، ومن الشعراء الذين أحاطوا بهذه المكارم الشاعر محمد بن محسن مشاري ، ومن ذلك قوله :

وطّدت عرشك في القلوب فأصبحت وبحيث أنت بك القلوب تعلقُ
أحببت شعبك إذ أحبك مخلصا وأتاك طوعاً بالولا يتسابقُ
أوليته نعماً تنوء بحمْلِها شُمُّ الجبال ولم تزل تتعمقُ
والأمن وارفة عليه ظلاله والعدل يسري والكتاب يطبقُ[1]

ويشير بعد ذلك إلى أنه لا غرو في أن يحب الشعب مليكاً هذه صفاته وتلك مكارمه، مكارم من يعطي بلا من ، ولا يرجو إلا وجه ربه ، فيقول :

لا غرو أن منحتك خالص حبها فلوجه ربك ما وهبت وتنفقُ
تعطي الشعوب ولاتمن فكم لها فرجت ضائقة وكادت تخنقُ
والحلم طبعك ، والسماحة والندى بحر ، فموج عطائه يتدفقُ[2]

وفي مديح الشعراء لخادم الحرمين الملك فهد بن عبدالعزيز ، يتبين للناظر تركيزهم على بعض الخصال التي تميز بها ، وعدت مفاخر تستحق أن يشاد بها ، ومن تلك المحامد ريادته للتعليم في المملكة ، وبناؤه للصروح العلمية ، وإعداد اللبنات الأولى للتعليم منذ أن كان أول وزير للمعارف في المملكة ، واستمرار هذا الاهتمام بالتعليم وقضاياه ، ومن الأمثلة على حديث الشعراء عن هذه المنقبة قول الشاعر علي بن حسين الفيفي :

أشرقت شمس نهضة وازدهار تبهج النفس ما لها من نظير
حمل الراية المشعة للأجيال فهد والفهد حادي المسير
وأتى العلم باسماً مشرق الوجه مشيداً صرح الرقيِّ الكبير

(١) التاريخ الأدبي لمنطقة جازان : ٣ / ١٥٣٣ .
(٢) المصدر السابق : الصفحة نفسها .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

كلـما أنـشئت معاهـد علـم سقط الجهل في خضمٍّ خطير
نـشر العلـم وهـو يـدرك أنَّ (م) العلم مفتاح كل خير وفير [1]

ويؤكد الشاعر أحمد باهادون العطاس هذه المعاني في تحيته للملك فهد الذي خطط للتعليم تخطيطاً سليماً ، وأن اختياره لهذا المنصب كان اختياراً موفقاً ، وأنه حمل الأمانة بكل اقتدار ، فيقول :

حـي الـوزارة والـوزير فهـد المعـارف والخبـير
ربـان في التخطـيط والتـد بـير للعلـم الوفـير
جـاء المعـارف مـصطفى لتحمـل العـبء الكبـير
فـازدان صرح العلـم بالتـا ج المـضيئ وبالأمـير [2]

ومن المحامد التي ركز عليها الشعراء في مديحهم لخادم الحرمين ، حرصه على خدمة الحرمين الشريفين ، والتشرف بحمل لقب (خادم الحرمين الشريفين) ، وتنازله عن سائر الألقاب الأخرى المألوفة في قاموس الولاية والزعامة ، مما كان له أثر في نفوس الناس ، ومن الشعراء الذين تحدثوا عن هذا الشاعر منصور دماس ، حيث يقول :

أسعد الشعب وللشعب سقى كـأس حـب ، بوفـاء مُفْعَـمِ
فاحتـضان الـشرع قـد هيـأه رائـداً فـذًّا بفكـر مُفْحِـمِ
إن نأى الفخر عن الباغي فقد جاءنـا الـدين بفخـر مُلْجِـمِ
يـا مليكـاً قـد أباهـا حاميـا ونواهـا خادمـاً للحَـرَمِ
حـق للـشعب يغـني حبكـم أغنيـات وبأحلـى نَغَـمِ [3]

وتوقف الشعراء كثيراً عند حنكة خادم الحرمين السياسية ، وقدرته على اتخاذ القرارات الصائبة والحكيمة ، فيندر أن يمدح شاعر خادم الحرمين ، دون أن يعرج على

(١) زائر الأمس : ٦٤ .
(٢) من وحي التأملات : ٥١ .
(٣) همسة مجد : ٦٣ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

هذه المحمدة ، فالشاعر علي بن قاسم الفيفي أشاد بموقف الملك فهد من قضية غزو العراق للكويت، ونصرته للجار العربي المسلم ، واتخاذه للقرارات الحاسمة ، ومنها الوقوف ضد هذا الاعتداء وحشد العالم العربي والإسلامي والغربي ضد العراق وضد العدوان ، فيقول :

إيه أبا فيصل طالت حياتكُمُ أريتنا ما به الطغيانُ ينحسمُ
أريتنا كيف حق الجار عندكُم يرعى وكيف الوفا والمجد والعظمُ
أريتنا الحزم وقت الحزم في حذر وحنكة ودهاء في قراركمُ
بمنهج الشرع لا حيف ولا خطلٌ ولا اعتداء ولا ظلم ولا غشمُ
بل من (أعدوا لهم) و(ترهبون به) ومن (خذوا حذركم) لله دَرَّكمُ
لله من باسل فذ سياسته وعدُلُه رافعٌ للرأس مُحْترمُ[1]

ووصف الشعراء في هذا السبيل قوة عزمه ، وقدرته على تنفيذ قراراته ، لا سيما في تلك القضية التي ألمت بالأمة العربية ، وأنه في كل ذلك يترسم خطاه من هدي الشريعة ومنهجها ، يقول الشاعر منصور دمّاس :

يا أيها الملك الهمام إذا المنا يا داهمت فبوحي عزمك تُجْفِلُ
مسعاك من أجل القضية دائب وحسامُ عقلِك للطغاةِ يُنَاضِلُ
لا غرو إن بسقت براعةُ ضيغم خَدَم الشريعة من هداها ينهلُ
فلتبق عِزّاً للبلاد وداعياً للحق في حُلَلِ الفضائل تَرْفلُ[2]

وعند مديح الشعراء للأمير عبدالله بن عبدالعزيز ولي العهد ، نلمح تركيزهم على تواضعه الجم ، وكرمه وعطفه ، والتصاقه بالناس ، وحل مشكلاتهم ، وكذلك جهده الواضح في تطوير الحرس الوطني إحدى العمادات القوية لحماية البلاد

(١) ومض الخاطر : ٣٨ .
(٢) همسة مجد : ١٠٦ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

وحراستها، فالشاعر علي بن مديش قد توقف عند مجلس الأمير عبدالله العامر بالزائرين الذين مدوا يديهم إلى الأمير ، فقابلهم الأمير بيد حانية ، وعطف ومرحمة ، فيقول :

ولي عهـد لـه بالقلـب منـزلة　　ولست أبغي على ما قلت برهانا
بمجلـس القـرم آلاف مؤلفـة　　دليـل حـب وذا يكفيـك تبيانـا
يولي الكسيح به عطفاً ومرحمة　　ويمنح العطف شيبانـاً وشبانـا
يساعد العاجز المحتاج منشرحا　　ولم يقـم للعطـا وزنًـا وحـسبانا
ويقنع الخصم إذ ما جاء مشتكيا　　بمنطق اللين إذ لو جاء غضبانا
فيخرج الكل من بهو الأمير وقد　　حازوا عطاءً وإنصافاً وتحنانا (١)

وعن تطوير الحرس الوطني وإدخال التقنية الحديثة إليه ، وجعله قوة كبيرة مزودة بأغلب الأسلحة والمعدات ، حتى غدا قوة يحسب لها حساب كبير ، يتحدث قائلاً :

وطور الحرس المغوار في بلد　　تهفـو القلـوب لـه حبـا وإيمانـا
ومده بعلوم العصر منتهجا　　نهـج العقيـدة تـسليحاً وبنيانـا
حتى غـدا قـوة درعـاً لأمتنـا　　ممـن يريـد بهـا شراً وعدوانـا (٢)

والناظر في مديح شعراء جازان للأمير سلطان بن عبدالعزيز ، يجد أنهم قد توقفوا كثيراً عند منقبتين كبيرتين من مناقبه المتعددة ، وهما : كرمه الواسع والفياض ، وثانيتهما بناؤه للجيش السعودي ، وإشرافه على تطويره ، ورفع كفاءته ليحمي البلاد التي تحتضن الحرمين الشريفين ، وتقوم على حراسة مقدسات المسلمين ، فعن المنقبة الأولى يتحدث الشاعر حسين كريري في قصيدته (سلطان يا غيث الربيع) ، فيقول :

سـلطان يـا نجـماً سمـا متألقـا　　حتـى تخطـى هامـة الجـوزاءِ
سـلطان يـا بـدراً أضـاء بنـوره　　أبـصار كـل كفيفـة عميـاءِ

(١) نبض القوافي : ٣٥ .
(٢) المصدر السابق : ٣٥ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

سلطان يا غيث الربيع إذا همى أروى بـلا رعـدٍ ولا هوجـاءِ
داويت جرحاً قد تعذر طبه حتى ظننت بأن يعز شفائي
وإذا بيمناك الكريمة أرسلت فيض الحنان ورحمة الأبـاءِ
فاضت بنانك بالعطاء فضمدت جرحاً عميقاً قد أثار عنائي [1]

فالشاعر يتحدث عن تجربة خاصة ، ولكنه أراد أن يبرزها للناس ، فعطاء الأمير قد داوى جرحه الذي لم يجد له طبيباً ، ولم يكن جرحاً عادياً ، بل إنه جرح حاجة ومعاناة مادية ، عرف الأمير كيف يقضي عليها بعطائه السخي ، الذي شابه الربيع ، بل إنه في قصيدة أخرى يصور الربيع وقد استقى من يمينه ، وذلك في قوله :

أنت الربيع ومن يمناك هامله وزهره الغض زاهٍ في محيَّاكا [2]

وعن كرمه يتحدث الشاعر علي مديش بجوي في قصيدة عنوانها (سلطان من يبذل المعروف مبتسما) ، مشيراً إلى إن الأمير لم يقتصر عطاؤه على الفقراء ، بل تجاوزهم إلى الأغنياء ، فيقول :

سلطان من يبذل المعروف مبتسما ويصرع الخصمَ بين الرأي والقُضبِ
ومن يجودُ بمالٍ دون ما منٍ قبل السؤال ومد الكف بالطَّلبِ
ويحمل الكل مع وصلٍ لذي رحم ويبذر الخير في مثر وذي سغبِ
يرعى اليتامى بعطفٍ في تعامله ويمسح الدَّمعَ عنهم كا لأب الحدبِ [3]

وأما عن جهود الأمير سلطان في بناء الجيش السعودي بقواته كافة ، فيتحدث الشاعر حسين كريري موضحاً أنه لم يكن بناءً عسكرياً فقط ، وإنما كان إلى جانب ذلك بناء للإنسان ، فيقول :

هذا العرين الذي عليت شامخه يشع نوراً مفاهيماً وإدراكا

(١) عزف على أوتار الحب : ١٦ .
(٢) المصدر السابق : ١٧ .
(٣) نبض القوافي : ٣٩ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

يـديره اليــوم مــن آســاده أسـد　　للفهــد درعٌ وصمــصامٌ بيمناكـا
من حوله الأُسْد والأشبالُ ضـاريةٌ　　رهنَ النداء إذا مـا الفهـد ناداكـا [1]

ويتحدث الشاعر على مديش عن هذا البناء الشامخ الذي أقامه الأمير سلطان ، معتمداً على الله ، لهدف سامي وهو نصر الضعيف ، وحماية الجزيرة العربية من كل باغ ومعتد ، فيقول :

سلطـانُ مـن همُّــه إسـعاد أمتــه　　وطاعة الفهد بعـد الله في الكـربِ
يحمي الديـار من الأعداء في ثقةٍ　　أن العداء ستلقى منتهى العطبِ
درع الجزيرة مـن باغ وذي سـفه　　يقود جيشاً على الأعـداء كاللهـبِ
بنيت جيشـاً أيا سلطان معتمـدا　　على العقيـدة في سلم وفي نشبِ [2]
فكان جيشك جيش الحق مبـدأه　　نصرُ الضعيف ودحرُ الماكر الكـذبِ
فاهنـأ بجيشٍ بنيتَ اليـوم قوَّتَـهُ　　ويهنأ الفهد عالي الجـاه والنسبِ [3]

وممن مدحه الشعراء من أمراء آل سعود ، الأمير نايف بن عبدالعزيز الذي مدحه السنوسي بقصيدته (نايف في جازان) ، وفيها يقول :

لك يا صاحب السمو مواقـف　　أنت فيها ملء النهى والعواطـف
كان عبد العزيـز يرنـو بنـور اللـ　　ــه لمـا ولـدت سمـاك نـايف [4]

ومدح شعراء جازان الأمير خالد الفيصل بن عبدالعزيز ، حيث يقول فيه الشاعر علي النعمي ، مبيناً دوره في بناء بلاد عسير وتطويرها :

ومضى صاحبي يوشوش سمعي　　بالأحــاديث عــن عــسير البــساله
عن مغاني (أبها) وعن تيـه (أبهـا)　　وهــي في مــوكب العــلا مختالــه

(١) عزف على أوتار الحب : ١٧ .
(٢) النشب : المراد هنا الحرب .
(٣) نبض القوافي : ٣٩ – ٤٠ .
(٤) الأعمال الكاملة : ٧٠٧ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

عـن أمـير شـهم بهـا راح يـسعى ليراهـــا حـــسناء تـــسعد بالـــه
أيقـظ العـزم في النفـوس وأذكـى خامـــد العـــزم، والجمـــودَ أزالـــه
فـــإذا الكـــل نهـضة وطمـــوح وقلـــوب خفـت لحمـل الرسـالة
إنـه الخالـد الهمـام سليـل الـ ـــمجد مـن خـير نبعـةٍ وسـلالة [1]

ومدحه الشاعر حسن أبو عله [2] ، مبيناً أيضاً اهتمامه بأبها ، وحرصه الواضح على رقيها ، وسرعة تطورها ، فقال مخاطباً أبها :

طيبي مدى الأيام إن سطع الضُّحى أو مـسَّ ثـوب الليـل هـام رُبـاكِ
إن صافحت كف النسيم شمائلا من خالد عبقت وطاب شـذاكِ
نجـل الأبـاة الأكـرمين ، بـسعيه وجميـل سيرتـه بلغـت مُنـاكِ
أغـلاك حـتى صرتِ أنفس جنةٍ وجـلاك حـتى قيـل مـا أبهـاكِ [3]

ومن الممدوحين الأمير فيصل بن فهد بن عبدالعزيز ، حيث مدحه الشاعر علي النعمي بقصيدته (همسة وفاء وتقدير) ، يقول في مطلعها :

فيصل الفهد قد علمت وفائي لك بالحب منذ يوم اللقـاءِ [4]

ومدح الشعراء آل السديري ولاة الملك عبدالعزيز وأبنائه على جازان ، وفيهم يقول الشاعر علي بن حسين الفيفي :

---

(١) الأرض والعشق : ٣٠ .
(٢) هو حسن بن علي بن أحمد أبو عامرية يلقب بـ(حسن أبو علة) ، ولد في مدينة بيش سنة ١٣٦٠هـ ، حفظ القرآن وهو صغير ، والتحق بمدارس القرعاوي سنة ١٣٧١هـ ، درس المتوسطة والثانوية بجازان ، والتحق بجامعة الملك سعود بالرياض ، وحصل سنة ١٣٨٩هـ على البكالوريوس في اللغة العربية من كلية الآداب ، وفي سنة ١٣٩٢هـ حصل على دبلوم في التربية وعلم النفس ، يعمل مديراً لثانوية بيش ، أسس نادي بيش الرياضي سنة ١٣٨٢هـ ، وله مشاركات صحفية وثقافية . انظر ترجمته في : التاريخ الأدبي لمنطقة جازان ، للعقيلي ٣/ ١٣٩٩، وفرجة النظر ، للشعفي ١/ ٢٣٠ .
(٣) التاريخ الأدبي لمنطقة جازان ، العقيلي : ٣/ ١٥٥٦ .
(٤) الأرض والعشق : ٨٢ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

آل الـــسديري إن جودكُـــمُ　　بحـــر ولـــيس يقـــاس بالنهـــرِ
عبدالعزيـــز رأى مكـــانكمُ　　أن لايكـــون لـــه ســـوى الـــصدرِ
فـــإذا مـــشيتم تحـــت رايتـــه　　فعـــدوكم في غايـــة الذعـــرِ
وإذا ضربـــتم كـــان ضربكـــم　　يعمـــي ومنطلقـــاً إلى النحـــرِ
وإذا تحـــدث مـــنكمُ رجـــلٌ　　فحديثـــه كروائـــع الـــدُّرِّ
وثـــق المليـــك بكـــم فزادكـــمُ　　شرفاً على شرف مدى الدهرِ [1]

وقد خص الشاعر من آل السديري محمد بن تركي أمير جازان السابق ، حيث تحدث عن مجلسه العامر بالناس ، ووصف مكانه في ذلك المجلس قائلاً :

مـن للـصعاب ومـن يـذللها　　إلا أبـــو زيـــد بـــلا فخـــرِ
مـــن للـــشهامة مـــن يمثلهـــا　　مـــن للخطـــوب إذا أتـــت تجـــري
ومحمـــد تـــأتي مجالـــسه الأمجـــ　　ـــاد مـــن بـــدو ومـــن حـــضرِ
ومحمـــد كالبـــدر بينهـــم　　يرعاهـــم بالعطـــف والـــبر [2]

ولم يقف الشعراء عند مديح الملوك والأمراء ، بل تجاوزوا ذلك إلى مديح الأدباء من أمثالهم ، والإشادة بمالهم من سبق وريادة ، وسمو في اهتماماتهم وعمق وأصالة في ثقافاتهم ، فالشاعر محمد بن أحمد العقيلي توقف عند شخصية صديقه الأديب الكبير والمؤرخ المشهور الشيخ حمد الجاسر ، وذلك في قصيدته ذات القوافي المتعددة (ومضة الفكر) ، أشاد في تلك الوقفة بمكانة الجاسر ، وبين مزاياه وفضائله ، من علم زاخر ، وعطاء متدفق ، وفكر ثاقب ، وبصيرة نافذة ، يقول فيه :

يـــا قمـــة شامخـــة في الـــذرا　　وكوكبـــاً بـــين مـــسار الخلـــود

* *

(١) رحلة العمر : ٦٦ – ٦٨ .
(٢) المصدر السابق : ٦٦ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ووميضة للفكر وهاجة تضيء في العصر ضياء البدور

* *

يا قلماً كالبرق في ومضة ورعشة النجم وسحر المساء
يعطر الضاد بأمجاده في العلم والبحث وكشف الخفاء
ويابياناً كرفيف السنا ونشوة الراح وشدو الغناء [1]

وفي مديح العقيلي للجاسر نجده يشيد بما حصل عليه الرجل من شهرة واسعة ، وذيوع صيت حتى صار يطلق عليه لقب (علامة الجزيرة) ، وأن هذه الشهرة قد أكسبت البلاد التي أنجبته ذيوعاً مثل ذيوعه ، وذكراً مثل ذكره ، فيقول عنها :

وقرية تاهت على صغرها تسحب فوق الشهب فضل الرداء
عاشت على منعطف هامد لم يسمع التاريخ منها نداء
من كان يدري السر يا صاحبي؟ والسر غاف في ضمير الخفاء
لو لم تكن من حمد أنجبت إيماءة النبل ونبض الوفاء [2]

فشهرة الجاسر جلبت شهرة كبيرة لإقليم السر الذي منه بلدة (البرود) مسقط رأس الممدوح ، ويشير الشاعر بعد ذلك إلى قيمة المؤلفات التي أسهم بها الجاسر في حركة العلم والأدب في المملكة ، وما فيها من عمق واتساع وحسن إبداع ، فيقول :

ألفَّت أسفاراً فكانت صوى لها على درب الحياة انفتاح
أعطيت عمقاً واتساعاً فيا روعة إشراق المعاني الفصاح [3]

(١) المجموعة الشعرية : ٤٣٢ – ٤٣٣ .
(٢) المصدر السابق : ٤٣٤ .
(٣) المصدر السابق : ٤٣٥ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

والشاعر محمد بن علي السنوسي مدح الأديب أحمد بن عبدالغفور عطار بقصيدة جميلة بين فيها مكانته الأدبية والعلمية ومنزلته بين علماء عصره ، وذلك بعد أن ألقى الممدوح محاضرة في نادي جازان الأدبي ، يقول السنوسي :

من أين أبدأ قل لي كيف أختار وأنت بحر من الأداب زخّار
أمن كتابك عن صقر أضاء به أفق الجزيرة واستعلت به الدار
أم الشيوعية الحمراء وهى أذى ضجت به من شعوب الأرض أقطار
هتكتها وهتكت القائلين بها فهم مجوس وأشرار وفجار
أمن كتابك عن در الصحاح وفي در الصحاح أعاجيب وأسرار

ويقول في آخرها :

يا صاحب القلم الفياض كم ملئت بفيضه صحف كبرى وأنهارُ
ويا أديباً له في كل معركة فكرية قلم كالسيف بتّارُ[1]

وقد أعجب الشاعر أحمد العطاس بشاعرية الأمير عبد الله الفيصل ، فمدحه بقصيدة إثر مشاركته في مهرجان جرش بالأردن سنة ١٤٠٦هـ ، فتحدث العطاس عن المعاني السامية ، والجزالة الواضحة ، والعطاء المدرار ، والشاعرية المتدفقة للأمير الشاعر، فقال :

إيه يا شاعر العروبة حقا وخبيراً بصنعة الأشعار
صادحاً مجلياً لمجد أثيل في رحاب التاريخ والآثار
ليس بدعاً إذا تألق شعر فيه روح البناء والإيثار
شادياً بالفخار في عالم الـ ـعرب ومبدٍ لمجدهم في قرار
أنت في المهرجان من خيرة الـ ـقوم مضاء ومصلحاً ذا وقار

(١) جريدة عكاظ ، ع : ٥٧٤٣ في ٢٥/ ٤/ ١٤٠٢هـ نقلاً عن محمد بن علي السنوسي ، حياته وشعره ، محمد القسومي : ١٢٤ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

فلقد أثلج الصدور قصيدٌ كان حقا من رائع الأفكار
فيه عمق وفيه نبرة صدق ووضوح يبين كل مسار
ولك السبق إن أردت مراما ومقاماً يزهو بأي فخار
فهنئاً لأمة أنت فيها رائد الشعر ساطع الأنوار [1]

ومن الشعراء الذين أعجبوا بشاعرية محمد بن علي السنوسي الشاعر علي بن حسين الفيفي ، وقد وجه قصيدة يمدحه فيها ، ويثني على براعته وشاعريته ، وقدرته الفنية العجيبة، فقصائده كالشهد في حلاوته ، وكالسحر في جاذبيته ، ولا يستطيع قارىء أشعاره إلا أن يعجب بها ، ويدأب على تكرارها دون ملال ، فيقول الشاعر الفيفي في زميله السنوسي :

أيها الشاعر لا زلـ ـت عظيم الابتكار
تنظم الشعر عقودا مشرقات كالدراري
فهي كالشهد مذاقا لكبار وصغارِ
إن فيها حكمة والسحر فيها متواري
إنني أشدو بها ليلا (م) وأطراف النهارِ [2]

أهم المعاني التي طرقها الشعراء في مدحهم :

ومما سلف من حديث عن المديح والممدوحين ، يتبين لنا أن شعراء جازان انطلقوا في مديحهم – لاسيما للملوك والأمراء – من اتجاه اجتماعي ، وليس من رأي الفرد ومصلحة الذات الخاصة ، يظهر هذا في عدد من المعاني التي توقف الشعراء عندها كثيراً وهم يشيدون بالذين أنجزوها ، ومنها :

أولاً – الإشادة بدور الولاة في الإصلاح الديني والاجتماعي والحضاري ، وهذا الصنيع خروج على الصبغة التقليدية في المديح من المعاني الفردية إلى حديث

(١) تغريد النهى : ٥٠ – ٥١ .
(٢) أزهار : ٨٣ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

الجماعة ومتطلباتها وما تحتاجه الأمة ، وفي هذا السبيل أبرز الشعراء في مديحهم للملك عبدالعزيز جهوده في إصلاح الحالة الدينية التي كانت تعيشها البلاد ، وتشجيع الولاة جميعاً على رفعهم لراية الإسلام ، واتخاذهم من الشريعة دستوراً ومنهجاً للحكم ، والتزام بقوانين الإسلام في جميع مناحي الحياة ، فالشاعر محمد بن علي السنوسي يتحدث عن الإطار الذي سار عليه الحكم في البلاد ، وفي الوقت ذاته يبين أثره على الناس والحياة ، فيقول :

عرشٌ على الشرق للدنيا وللدين　　أشم يختال بالشم العرانين
مدعم بالهدى والحق متشح　　بالنور يسطع من وحي وتلقين
أحيا النفوس وأجرى في أعنتها　　روح التحرر من غل الشياطين

وفي إشادة واضحة إلى مسلكهم في الإصلاح الديني :

المصلحين المغاوير الذين قضوا　　على الأساطير من تأريخنا الديني
صالوا صيال ليوث الغاب واقتحموا　　ذرى السراحين بالجرد السراحين
وجردوها رقاقاً تلتظي حنقا　　على الطغاة وطاروا كالشواهين

ويذكر دورهم وفضلهم في الحث على التمسك بالدين ، ونشر الحق والعدل في الجزيرة :

بعرشهم رفع الإسلام رايته　　على الجزيرة خضراء الأفانين
وأشرق الحق كالصبح المبين سنا　　وأصبح العدل مضبوط الموازين (١)

ومدح الشاعر علي السنوسي الملك عبدالعزيز بإقامته للدين ، ورفع رايته ، وسيره على السنن الحق والمنهج السليم ، فيقول :

وأقمت أمر الله فينا سالكا　　لطريقه المُثلى التي هي أقومُ

(١) الأعمال الكاملة : ١٦٤ ، وانظر : محمد بن علي السنوسي شاعراً ، محمود شاكر : ٦٠ – ٦١ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وأتت فعالك شبه وحي بالذي تقضي به بين الأنام وتحكمُ
في سيرة نبوية وسياسة عُمرية ما زلت فينا تُوْسمُ[1]

ومن مظاهر الإصلاح الديني الذي أشاد به الشعراء وهم يتحدثون عن الملك عبدالعزيز وجهوده في هدم التعصب الديني والمذهبي ، واهتمامه بالتوحيد والبناء العقدي للإنسان ابن هذه الجزيرة ، فيقول علي السنوسي في معرض حديث له عن مناقب الملك عبدالعزيز :

وشدَّ عُرى التوحيد في جمع كلمةٍ وأصلح ما كان التعصّبُ أفسدا
وأمست به أرض الجزيرة حُرَّةً مقدسة لا تعرف اليوم مُفسدا[2]

وقد حيّا الشعراء الملك عبدالعزيز ، وباركوا خطوته الرائدة حينما ألغى رسوم الحج التي كانت تفرض على الحجاج ، وترهق كواهل الفقراء منهم ، وكان ذلك الإلغاء لتلك الرسوم في وقت كانت الدولة فيه بحاجة إلى ذلك المال ، ولكن الملك عبدالعزيز أدرك أن الله سيعوض البلاد خيراً ، وقد كان ، ومن هؤلاء الشعراء الذين أشادوا بهذا السلوك الشاعر محمد بن أحمد العقيلي ، في قصيدته (عهد الخلفاء الراشدين) ، وفيها شبه الشاعر بين شخصية الملك وشخصية الخلفاء الراشدين – رضي الله عنهم – وسلط الضوء على هذه الشخصية التي ظهرت في سماء الجزيرة ، مذكرة بما كان عليه أهلها الأوائل الذين تغنى التاريخ بأمجادهم ومكارمهم وجهودهم الإصلاحية ، فيقول :

عاد عهد الخلفاء الراشدين ملك أروع وضاح الجبين
وأباح الحج لا رسماً ولا رهقاً يغشى وفود المسلمين
أكبر العالم في تصريحه خطة قصر عنها المصلحون
وسرى البرق بها مؤتلقاً يحمل البشرى إلى أكرم دين

(١) المفقود من شعر علي بن محمد السنوسي : ١١٦ .
(٢) المصدر السابق : ١٣٣ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

رددتـــه صـــحف العـــالم في　　نـشوة الـشاعـر بـين المعجبـين [1]

((إن هذا الصنيع (إلغاء رسوم الحج) قد ذكرنا ، بل جعلنا نعيش أيام الخلافة الراشدة أيام العدل والأمن والأمان ، وما كان هذا الصنيع ليصدر إلا عن ملك مؤمن)) [2] ، لذا فهي خطوة تستحق التهنئة والتحية :

حيّهـــا أمنيـــةً حقّقهـــا　　طالما ضن بها الدهـر الضنين

أمنيـات يلهـج الفكـر بهـا　　في مجال الوهم أو دنيا الظنون

أصبحـــت ماثلـــةً شاهـــدةً　　نطقت بالفخر لو كانت تبين [3]

وتحدث الشعراء أيضاً عن جهود الملك عبدالعزيز في سبيل الإصلاح الاجتماعي وأشادوا بها ، وعدوها منقبة من أجلى مناقبه ، يقول الشاعر علي السنوسي مبيناً جهوده لإصلاح الجزيرة :

ما زال يصلح شأنها متحمّلاً　　عنها مشقَّة ما يُضرُّ ويؤلمُ

راق الزمان به وأصبح أهلُهُ　　في نعمة تترى وقلّ المُعدمُ [4]

والشاعر محمد السنوسي أشاد بجهود الملك عبدالعزيز وابنه سعود الإصلاحية في شتى الميادين الدينية والاجتماعية والاقتصادية والأمنية ، فيقول :

ومشى المصلح العظيم أبو الفيـ　　ـصل يسعى في همة واهتمام

يجمع الشمل والقلوب ويبني　　دولة النور بالهدى والحسام

بالهدى للهداة والسيف للإجـ　　ـرام من كل مجرم هدام

سنة المصطفى وهل يستقيم الـ　　أمـــر إلا بـــدقة الأحكـــام

---

(١) المجموعة الشعرية : ٢٣٩ – ٢٤٠ .

(٢) شعر محمد بن أحمد العقيلي دراسة تحليلية ، خالد الشافعي: ٨٩ .

(٣) المجموعة الشعرية ، للعقيلي : ٢٤٥ .

(٤) المفقود من شعر علي بن محمد السنوسي : ١١٣ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ومضى الركب يحمل التبعة الكبـ ـرى ويمشي إلى أمام الأمام[1]

وتناول الشعراء في قصائدهم الرعاية الكريمة لأفراد الشعب ، وأشادوا بالجهود المبذولة في سبيل رفعة الوطن ، فمنذ أن وحد الملك عبدالعزيز هذه البلاد كانت معطياته تترى ، وفي عهده بدأ الخير والنعم تتوالى ، يقول الشاعر محمد السنوسي :

يا سيد الصحراء جللها الحيا وسقا مرابعها السحاب الغيدقُ
خليت من الأنهار إلا أنها ذهباً تفيض وعسجداً تتألقُ
في كل آونة وشارق ضحوةٍ أمل يطل وفكرة تتحققُ
والعيش صفو والحياة كريمةٌ والشعب بالمنن الجسام مطوقُ
نعم بساط الريح منها مركب وندى رصيف البحر منها مرفقُ
واليم يزخر والسماء مرنة ورصيف جدة والمطار يصفقُ
ومواطن الحرمين تندى صحةً زهراء وجه الأرض منها مشرقُ
ومؤسسات الطب سامقة الذرى تستكشف الداء العضال وتحرقُ
وعلى سماء الخيف من زهو العلا ألقٌ ومن نور التقدم رونقُ[2]

فالحديث هنا لم يكن حديثاً يتعلق بمشاعر الشاعر الذاتية ، أو مصالحة الخاصة ، أو تشم منه رائحة المصلحة الفردية ، وإنما كان كلام الشاعر منصباً على أثر الإنجاز الحضاري والإصلاح الإداري والتطوير في وسائل العيش ومقوماته ومعطيات الحياة الجديدة في ظل الدولة السعودية الناشئة أيام الملك عبدالعزيز رحمه الله .

وعن الرعاية الملكية لأبناء الشعب التي يهتز لها الشاعر ، يتحدث محمد بن علي السنوسي عن بعض الأعمال الجليلة للملك سعود ، كرعاية الأيتام ، وإغاثة المحتاجين ، وتأمين الخائفين ، وإعادة الحقوق إليهم ، فيقول :

(١) الأعمال الكاملة ، ٥٨٨ – ٥٨٩ .
(٢) شعراء الجنوب ، للسنوسي وآخرين : ٨٠ – ٨١ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

وعفـى العاهـل العظيم وأضـفى　　حلمــه واسعــاً وأرخـى الـستارا
وحمـى الأنفـس المباحــة للــسـ　　ـيف اقتـداراً وعـفَّ عنهـا اقتـدارا
ورعــى أرمــلاً وضــم يتيمــا　　وأغــاث اللهيــف والمحتــارا[1]

* * *

ثانياً – ومن معاني المديح التي انطلق الشعراء فيها من صوت المجتمع والجماعة بعيداً عن صوت الفرد ونظراته الخاصة ، الحديث عن سعي حكام المملكة العربية السعودية إلى العمل من أجل رفعة العرب والمسلمين وتضامنهم ، والحرص على استعادة حقوقهم، حتى غدوا أمل العروبة والإسلام ، وممن صوروا الحكام السعوديين عند مديحه لهم ، وصبغوهم بهذه الصبغة الزاهية الشاعر أحمد ابن عبد الفتاح الحازمي ، فعند حديثه عن الملك عبدالعزيز أشار إلى أنه غدا محط أنظار العرب والمسلمين ، فآمالهم إليه تتوجه ، وأن الله قد وعد بنصر كل من ينصر هذه الأمة ودين الإسلام، فيقول :

العدل غاية ما تسعى لـه الأمـم　　وحيثما حلَّ مقرونٌ به السلمُ
إن المـمات وقـد ديـست كرامتنـا　　خـير لنـا مـن حيـاة كلهـا ألمُ
يابن السعود وما أغناك عن مدحي　　آمـال يعـرب في نـاديك تـزدحمُ
فاصدع بأمرك إن العدل معتضد　　والشمل مجتمع والصدع ملتئمُ
والله قـد وعـد الإسـلام نـصرته　　وعـروة الديـن مـا والله تنفصمُ[2]

وفي هذا المعنى يقول محمد بن علي السنوسي في حديثه عن الملك عبدالعزيز :

رفعـت نحـوك الـشعوب أمانيـ　　ـها وسـارت لهـا إليـك اندفـاعُ
وتـسامت ممالـك الـضاد إذ أنـ　　ـت المجـلي وإذ هـي الأشيـاعُ

(١) الأعمال الكاملة : ٢١١ .
(٢) قصيدة مخطوطة توجد لدى الباحث ، بدون رقم ، وانظر: التاريخ الأدبي للعقيلي : ٣ / ١٥٠٨ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

عظّمت فيك عاهلاً ملء برديـ ـه وسيفاً بـه يُشدُّ الذراعُ [1]

وأشاد الشعراء بدعوة الملك فيصل إلى التضامن الإسلامي ، وهم في ذلك المديح يمثلون صوت الأمة والشعب الطامح إلى عودة العزة الإسلامية المنشودة ، فيقول السنوسي في حديث له عن الملك فيصل ، وهذا المنهج السامي الذي سار فيه بكل اقتدار ، ولم يحد عنه قيد شعرة :

مبدأ واضح دعوت إليه في وضوح وقوة وإراده
لم تحد عنه شعرة والمضلو ن كثير يروجون فساده
سرته مؤمنا بربك لا تر جو سواه ولا تخاف عباده
وطريق المجاهدين أولي العز م طويل والصبر يطوي بعاده
فبلغت المدى نجاحاً أكيدا والنجاح الأكيد للحق عاده [2]

وفي الحديث عن مناقب الملك خالد وبعض أمانيه وهمومه التي توقف عندها الشعراء، نجدهم كثيراً ما يشيرون إلى اهتمامه بأمور المسلمين والعرب وقضاياهم ، وفي ذلك يقول الشاعر محمد السنوسي :

همه أن يرى العروبة والإسـ ـلام عالي الذرى قوي الجناح
بك نستسهل الصعاب ونمضي قدماً للعلا وللإصلاح [3]

ولخادم الحرمين الشريفين جهوده عظيمة في نصرة قضايا العرب والمسلمين ، وقد انطلق الشعراء في مديحهم له من منطلق يبرز فيه صوت المجتمع ، ومصلحة الأمة، وتشجيع بُناتها والمعلين من شأنها ، وفي ذلك يتحدث الشاعر علي النعمي في قصيدته

(١) شعراء الجنوب ، للسنوسي وآخرين : ٧٤ .
(٢) الأعمال الكاملة ، ٥٧٥ – ٥٧٦ .
(٣) قصيدة (فرحة اللقاء) ، المنهل ، مج ٣٨ ، ج٣ ، ٤ ، ربيع الأول والآخر ، ١٣٩٧هـ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

(حسبنا الله) التي أهداها لخادم الحرمين عندما كان ولياً للعهد تحية لمواقفه الرائعة تجاه قضية الأمة العربية والإسلامية فلسطين والمسجد الأقصى ، فيقول فيها :

أنت الأمين لواء الحق ترفعه　　إلى السماء إذا ما الغير خلاّه
أعطاكها (خالد) الباني فكنت لها　　كما أرادك يمناه ويسراه
قضية المسجد الأقصى وعودته　　والأرض من غاصبيها ما أردناه[1]
عهد علينا قطعناه بعودته　　ولن نساوم في عهد قطعناه
حييت يا فهد قد أعلنتها حمما　　تدك ما حاكه الشاني وسوّاه
أعلنتها ملء سمع الدهر دامغة　　تكوي المضلين ممن ضيع الله
أعلنتها يا (أمين العرب) صاعقة　　في وجه كل ربيب خان مولاه[2]

والشاعر محمد بن علي السنوسي في مديحه لخادم الحرمين الشريفين ، يؤكد هذا المنطلق، ويتحدث عن كون الدار التي يقف على بابها هذا القائد هي دار العرب والمسلمين إليها يهفون ، وهي قطب الرحى ، وملتقى الأمال ، وكل ذلك جاء في المديح الذي ينطلق من الشعور بالفخر والإحساس بنشوة التفرد والتميز ، فيقول :

على جبينك من نور الهدى ألق　　وفي يمينك من عطر الندى عبقُ
وفي رحابك يامولاي معتصمٌ　　للمسلمين وللإسلام منطلقُ
فإن دارك دار العرب قاطبة　　مهما تباينت الأسماء والفرقُ
يهفو إليك بهم من كل عاصمةٍ　　شرقاً وغرباً خصال فيك تأتلقُ
فأنت قطب الرحى في كل نائبةٍ　　تنوبهم وإليكم تشخص الحدقُ[3]

* * *

(١) (ما) هنا بمعنى (الذي) .
(٢) الرحيل إلى الأعماق : ٥٥ .
(٣) قصيدة مخطوطة ، نقلاً عن محمد بن علي السنوسي ، حياته وشعره : القسومي : ١٢٠ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ونخلص إلى أن كثيراً من شعراء جازان الذين طرقوا غرض المديح ، لم يكن دافعهم إليه التكسب أو المصالح الفردية الخاصة ، وإنما كانوا صادقين في مشاعرهم ، هدفهم هو المصلحة العامة ، والحرص على المكاسب الاجتماعية ، التي تحصل لجازان وغيرها من مناطق المملكة بسبب هذا المديح أو قبله ، والإشادة بها ، والحث على زيادتها، فشاعر مثل محمد السنوسي لم يكن مديحه من أجل عطاء أو رفد خاص ، وإنما كان مديحه نابعاً من شعور صادق ، ومن قلب طافح بالمحبة ، مقتنعاً بصدق الصفات التي خلعها على ممدوحيه ، وأنه كان يمدح على أفعال قدمها ممدوحه لبلاده ، كمديحه للملك سعود بمناسبة افتتاح جامعة الملك سعود [1]، أو بمناسبة افتتاح محطة الكهرباء بجازان [2] ، فهو في مديحه هذا وغيره دائماً يوجه أنظار المسؤولين إلى موطنه جازان ، طالباً العناية به ، بعيداً عن المطالب الذاتية والمكاسب المادية والأغراض الشخصية ، ومن الأمثلة على ذلك مديحه للأمير نايف بن عبدالعزيز لما زار جازان في التسعينات الهجرية ، حيث يشير إلى بعض مطالب جازان بلسان صادق محب مخلص ، فيوجه إلى أن طريقة عمر بن الخطاب في الحكم ونظرته إليه هي نظرة السعوديين وطريقتهم وهم يسيرون على نهجه ، وقد وفق في توظيف عبارة عمر أيما توفيق[3]، إذ يقول :

وكذا كل حاكم مستنير راحة الشعب همه لا المصايف
قالها قبل أن أقول أبو حفص (م) فكانت أنموذجاً للخلائف
أنا لو ضاع في العراق بعير جئت يوم الحساب والحشر خائف
فإذا استقبلتك جازان شبا باً وشيباً صوداحاً وهواتف
فهي مشتاقة لرؤياك شوقا وصفه معجز على كل واصف
وهي ترجو بأن تراك فتغدو بعد رؤياك تحفة من تحائف

(١) انظر : الأعمال الكاملة : ٢٩٦ .
(٢) المصدر السابق : ٢٧٣ .
(٣) انظر : محمد بن علي السنوسي شاعراً ، محمود شاكر سعيد : ٦٥ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

وهـــي مـشـدودة إليـك بآمـــا　　ل كبـــار وأنـــت دار وعـــارف

ثم بعد ذلك يشير إلى بعض المطالب التي تفرض نفسها ، فيقول :

إن جـــازان سلـــة الخـــبز مـــازا　　لـــت تعـــاني عوائقـــاً وصـــوارف
قيـــدت خطوهـــا وشـلت قواهـــا　　فهي ظمأى وأنت كالغيث واكف
فلمـــاذا جـــازان يبـــدو محيـــا　　ها كئيباً وثغرها الحلـو كاسف
وهي أم الحقول والـزرع والـضـر　　ع وبنـت الـسيول طـام جـارف
وهي مرسى الجنوب تكتظ بالتفـ　　ـريغ والـشحن مـن تليـد وطـارف
وهـي إن رفـرف النـسيـم عليهـا　　رقصت مـن ضـفافها في معـاطف
نحـن في عـصـر نهـضـة وانطـلاق　　عزمها للصعاب والـصخـر ناسـف

(١)

ففي هذه القصيدة تختفي المصلحة المادية الذاتية ، ويختفي أيضاً التكسب المألوف لدى بعض شعراء المديح في كثير من العصور ، وليس هذا لدى السنوسي فقط ، بل أيضاً وجد عند شعراء كثر من شعراء المديح الجازانين .

(١) الأعمال الكاملة : ٧٠٧ – ٧٠٨

www.alukah.net
شبكة الألوكة

التكسب بالشعر :

هناك عدد من الشعراء لم يستطيعوا أن ينخلعوا من الربط بين المديح والتكسب المادي، والحديث عن الذات ومصالحها ، والتركيز على جانب البذل والكرم والعطاء في شخصية الممدوح ، ودغدغة مشاعره في هذا الجانب ، لا لمصلحة المجتمع واحتياجاته ، ولكن للمصلحة الخاصة ومنافعها ، ومن هؤلاء الذين كثر التكسب في شعرهم حسين ابن جبران الكريري ، ومن مظاهر التكسب في شعره ما تجده في مدائحه الكثيرة للأمير سلطان بن عبدالعزيز ، ومنها قصيدته (حياك مولاك) التي جاء فيها قوله :

حياك مولاك يا سلطان حياكا وأسعد الله بالخيرات دنياكا
وبارك الله يا سلطان ملحمة سطورها الغر من تسطير يمناكا
يا رائد الخير والإحسان مبتغيا به الثواب وهذا نهج مسعاكا
يا طيّب الذكر كم أفعمت أفئدة بالحب لما سما بالحب ذكراكا
أنت الربيعُ ومن يمناك هاملُهُ وزهرُهُ الغضُّ زاهٍ في محياكا (1)

فمفردات هذه المقطوعة مليئة بدلالات التكسب ولغة الاستجداء ، مثل : (بالخيرات)، و(يمناكا) ، و (رائد الخير والإحسان) ، و (كم أفعمت أفئدة) ، و(أنت الربيع) ، و (من يمناك هامله) . ولما كان الشاعر قد ألقى هذه القصيدة أمام الأمير سلطان لم تكن هذه اللغة وتلك المفردات لتمر على الأمير الكريم دون أن يجيز عليها ، وفعلاً أرسل مبلغاً مالياً للشاعر مشفوعاً بخطاب شكر وتقدير ، وقد حرك ذلك العطاء الجزيل الشاعر الكريري ، فأنشد قصيدة أخرى يشكر فيها الأمير ، ويثمن عطاءه الواسع وكرمه الفياض ، فيقول :

سلطان يا غيث الربيع إذا همى أروى بلا رعد ولا هوجاء
داويت جرحاً قد تعذر طبه حتى ظننت بأن يعز شفائي

(١) عزف على أوتار الحب : ١٧ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

وإذا بيمناك الكريمة أرسلت　　فيض الحنان ورحمة الآباء
فاضت بنانك بالعطاء فضمدت　　جرحاً عميقاً قد أثار عنائي (١)

ويعترف الشاعر بأن قصيدته لم تبلغ مقام الأمير وعطاءه الكبير ، وأن جميل صنعه فوق كل مديح وثناء ، وأنه لا يجد جزاءً مجزياً ، وثناء مجدياً إلا الدعاء ، ورفع الكف إلى الله ليجزل ثوابه وإحسانه إلى هذا المحسن المتفضل ، فيقول :

سلطان إن قصيدتي لصغيرة　　مهما رقت من مرتقى البلغاءِ
فجميل صنعك فوق كل بلاغة　　وبياض وجهك فوق كل ضياءِ
لكنّني لم ألق غير توسلي　　لله ربي ضارعاً بدعائي
وأقول يا رباه هذا محسنٌ　　فأثبه يا رحمن خير جزاءِ (٢)

ومن قصائد التكسب لدى الكريري ، قصيدته (وليد المجد) ، وهي في مديح الأمير الوليد بن طلال بن عبدالعزيز ، وقد قدم لها الشاعر بقوله : ((**ألقيت هذه القصيدة بين يدي سمو الأمير الوليد بن طلال بن عبدالعزيز عند زيارته لمدينة العيينة وإمارتها في عام ١٤١٣ هـ، وقد أجازها سموه بعشرة آلاف ريال**)) (٣) ، وفيها يقول :

إليك وليد المجد ينتسب المجد　　ومن كفك الفياض ينسكب المدُّ
فأنت وليد المجد والجود والعطا　　وأنت سخي الكف ليس له ندُّ (٤)

وفيها يصفه بأنه غيث وربيع ، وأنه قد فاق حاتم الطائي في الجود والعطاء ، وأنه لا غرابة في أن يكون صنيع من جده عبدالعزيز ، وعمه خادم الحرمين ، فيقول :

هنيئاً لنا فالغيث قد عم أرضنا　　ربيعان قد حلا وقد أقبل السعدُ

---

(١) المصدر السابق : ١٦ .
(٢) المصدر السابق : الصفحة نفسها .
(٣) المصدر السابق : ٣١ .
(٤) المصدر السابق : الصفحة نفسها .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ربيعٌ به جادت سحابٌ من السما وآخر من كفيك ما هاضه رعدُ
أيا حاتمي الجود لو أن حاتما رأى عصرك الميمون ما ناله حمدُ
إليك بنات الشعر تهدي نفيسها فمن جوهر الممدوح ينتظم العقدُ
وحتماً يرق الشعر والمدح والثنا بمن جدّه صقرٌ ومن عمه فهدُ [1]

وتظهر هنا – أيضاً – لغة التكسب ودلالاته بشكل واضح ، مما كان لها أثر مباشر على نفسية الممدوح ، مثل (الغيث) ، (أقبل السعد) ، (ربيع) ، (سحاب) ، (من كفيك) ، (حاتمي الجود) ، (جوهر الممدوح) ، وغير ذلك .

وقد وجد التكسب لدى شعراء آخرين ، ولكنه جاء عندهم في قصائد قليلة ، إذ لا يمثل ظاهرة عامة أو سمة واضحة في مدائحهم ، ولكنهم تكسبوا في فترة من فترات حياتهم الشعرية ، ثم توقفوا بعد ذلك عن التكسب المادي والاستجداء من الممدوح ، ومن هؤلاء الشعراء أحمد العطاس ، ومما له في هذا الجانب قصيدته التي أرسلها إلى خادم الحرمين عندما كان وزيراً للمعارف سنة ١٣٧٣هـ ، يطلب فيها سلفة من وزارة المعارف لتعينه على الزواج ، وقد كان الشاعر آنذاك مدرساً ، فبدأ قصيدته بمديح الوزير – خادم الحرمين – وذلك بقوله :

حـــي الـــوزارة والـــوزير فهـــد المعـــارف والخبـــير
جـــاء المعـــارف مـــصطفى لتحمـــل العـــبء الكبـــير

ثم بعد ذلك أشار إلى غرضه الأصلي من القصيدة ، وهو الطلب والاستجداء والتكسب المادي ، فقال :

يا سيدي إني عزمت على الزوا ج وأرتجـي منـك اليـسير
هـــي راتبـــان أريدهـــا تعطـى بأمـرك يـا وزيـر
قرضـــاً علـــي أعيدهـــا أقـساط تدفـع في شهـور

(١) المصدر السابق : ٣٢ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

وتحيـــتي لـــك مخلـــصاً　　أشـدو بهـا عـبر الأثـير [1]

وعلى ضعف القصيدة الواضح وركاكتها ، فإنها قد أدت مهمتها ، وكلل مسعى الشاعر فيها بالنجاح ، والحصول على مطلبه ، حيث أمر وزير المعارف بصرف راتبين سلفة للمدرس الشاعر ، وتسلمها من مالية جازان آنذاك .

ومن الشعراء الذين ظهر التكسب في شعرهم علي بن أحمد النعمي ، ومن قصائده في هذا الاتجاه قصيدة (همسة وفاء وتقدير) ، وهي في مديح الأمير الراحل فيصل بن فهد بن عبدالعزيز ، وذلك بعد فوز إحدى قصائد الشاعر في مهرجان الشباب العربي الثالث الذي عقد ببغداد سنة ١٣٩٧هـ ، حيث حصلت على المركز الثالث ، وكان رئيس بعثة الشباب السعودي المشارك الأمير فيصل بن فهد ، فأرسل الشاعر قصيدة إليه يمدحه فيها ، ويثني على مكارمه وأخلاقه ، فيقول فيها :

فيصل الفهد قد علمت وفائي　　لـك بالحـب منـذ يـوم اللقـاء
منذ كنّا قبلاً بـ (بغداد) نحيـي　　(مهرجان الشباب) زاهي الرواء
حـين غنـيت في محبـة قومـي　　وبـلادي أحلـى وأشـهى غنـاءِ
ثـم عدنـا إلى الديـار وقـد فـا　　ز نـشيدي بالمركـز الوضـاءِ
واحتوتني صفاتك الغر واقتـا　　دت بيـاني لـشرح أزكـى ولائـي
كنت أرجو منك اقتراباً لعلمي　　بـسجاياك . . والخـلال الوضـاءِ
غير أن الظـروف لا ترحـم المـر　　ء وتلـوي خطـاه نحـو الـوراءِ [2]

ثم – بعد ذلك – يتحدث الشاعر عن معاناته الحياتيه ، والعقبات التي تعترضه وما يلازمه من بؤس وحرمان ، وأنه لم يلق من الرعاية والاهتمام الذي يليق به بصفته شاعراً ذائع الصيت ، إلى أن يقول :

(١) من وحي التأملات : ٥١ .
(٢) الأرض والعشق : ٨٢ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

راتــبي وحــده قــوام حيــاتي وعليـــه توزعـــت أشيائـــي
ورصيدي شعري وآهات نفسي في بنـــوك الحرمـــان والأرزاءِ
تائــه دائمــاً بــدرب ضياعــي وعــلى كــاهلي سجــلّ عنــائي
وعلى نـاظري يلـوح انـدحاري وبقلبــي أخفــي مــرارة دائــي
وظــروفي محيطــة بطموحــي وشجــوني تحــول دون مــضائي [1]

وبعـد الإشـارة إلى معاناتـه وبؤسـه ومرارتـه ، توجـه إلى المـدوح معتـذراً بأنـه لم يعرض شكاته عليـه إلا ؛ لأنـه يعلـم أنـه واسـع الـصدر ، ذو يـد بيـضاء قـادرة عـلى حـل مشكلاته ، وإنهاء مأساته ، فيقول :

يا ابن فهد إذا اشتكيت من اللأ وا فعـــذري أني مـــن الـــشعراءِ
مـا تـصنعتُها افتـراءً ومـا مـن عـــادتي أن أبثهـــا أصدقـــائي
غـــير أني أراك أوســـع قلبـــا لـــشكاتي يـــا ذا اليـــد البيـــضاءِ
فليكـن عطفـك الجميـل عـزاء لفـــؤادي وغيمـــة في سمائـــي [2]

وغـير خـاف مـا في هـذا المـديح والإشـادة والاسـتعطاف مـن معـاني الاسـتجداء والتكسب.

* * *

(١) المصدر السابق : ٨٣ .
(٢) المصدر السابق : الصفحة نفسها .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

رابعاً - الرثاء :

يعد هذا الغرض من أبرز الأغراض التي تناولها شعراء جازان ، وأصدقها وأعمقها تجربة على الإطلاق ؛ وذلك لانبعاثه من عاطفة حزينة مكلومة ، فجعت بفقد قريب ، أو صديق ، أو ملك استطاع من خلال أعماله الجليلة أن ينفذ إلى أعماق رعيته ، أو عالم قدم لأمته جهداً كبيراً وفكراً ناصعاً .

وسيتناول الحديث عن هذا الغرض الفئات التي رثاها شعراء جازان ، والمضامين التي تناولوها في مرثياتهم . وذلك على النحو الآتي :

أولاً - المرثيون :

إذا حاولنا تصنيف الذين بكاهم الشعراء الجازانيون ، وجدناهم فئات عدة ، أولاها الملوك والأمراء ، وثانيتها أسرة الشاعر من أب وأم وزوجة وولد وأهل وأحباب ، وثالثها أصدقاء الشاعر من الأدباء والزملاء ، ورابعها العلماء .

وقد يرثي الشاعر أشياء أخرى ، كأن يرثي نفسه أو مكتبته المحترقة ، أو بلداً منكوباً ووطناً مصاباً ، أو شهيداً في سبيل الله قتل وهو يدافع عن أرضه وبلاده .

وتفصيل تلك الفئات فيما يلي :

أ - رثاء الملوك والأمراء :

رثى شعراء جازان الملك عبدالعزيز وأبناءه الذين تولوا الملك من بعده ، ومراثي الشعراء لهم نحس فيها نبرة الحزن والجزع ، وتصوير الفاجعة ، ومن ثم تعداد مناقب المرثي الشخصية ، ودوره في خدمة الدين والوطن ، والتعزية والتصبر ، ثم الدعاء للملك بأن يرحمه الله ، ويفسح له مكاناً رحباً في الجنان ، ويخلف على الأمة خيراً .

وقد أثار موت الملك عبدالعزيز أشجان عدد من شعراء جازان ، فرثوه ، واستمدوا من سيرته البطولية المكافحة رمزاً للقوة والمثابرة ونشر العدل والأمن ، كما كان للنهج الديني القويم الذي سار عليه الملك عبدالعزيز أثر في خلع صفات دينية وأخلاقية وألقاب إسلامية عليه كان قمينا بها .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

فممن رثاه من الشعراء محمد بن أحمد العقيلي بقصيدته (مرثية الملك عبدالعزيز)، بدأها بالحديث عن هول الصدمة ، وأثر الفاجعة على الناس ، دون أن يتخلص الشاعر من سيطرة الأسلوب التقليدي المعتمد على التهويل ، يظهر ذلك في بداية القصيدة ، حيث يقول:

نيّر قد هوى فرجَّ العوالم　　وأحال الشموس والكون قاتم
فقدته البدور في عالم الشهـ　　ـب وتاهت له السدوم الهوائم
ونعته البروق وانتحب الر　　يح انتحاباً يشق جيب الغمائم
زلزل الكون حادثٌ روع الدنـ　　ـيا ومادت له الرواسي الصلادم (١)

فهول المفاجأة وعظمها قد جعلت الشاعر يفر إلى الطبيعة والكون ، فهو غير مترو في وصف مشاعره ومشاعر من حوله من البشر ، فموت هذا الرمز ليس كموت أي أحد يمر بشكل طبيعي ، بل هو حدث جديد حق له أن يسيطر على مشاعر الشاعر ، فلا يدري ما يقول .

ويتساءل الشاعر عن ذلك النعش العظيم الذي تسير به الريح إلى مثواه في روضة من رياض الجنة ، وتحييه من علو الغمائم وتظله ، وتحدوه الملائكة بالتسبيح ، ويعم وهج النور في تلك الجنازة العظيمة ، فأمل المسجدين الحرمين الشريفين أن لو دفن بقربهما ، ومثلهما مقابر الصحابة في البقيع تنادي هذا الراحل ليثوى فيها ، فيكون مع خير رفقة ، فيقول :

أي نعش تقله الريح قد سا　　ر تحييه في السماء الغمائم
سار يحدوه للملائك تسبيـ　　ـحٌ وفي هالة من النور عائم
رفرفرت فوقه بأعلام بدر　　يستقل اللواء سعد و(سالم)
أمل المسجدين أن لو رقد　　ت اليوم في قدسها بتلك المعالم

(١) المجموعة الشعرية : ٢٥٨ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وينـادي البقيـع شـلواً مـن الطهـ ـر ليثـوي بـين الـشهيد وقاسـم
ادفنـــوه بـــين الأئمـــة والآ ل بحيث الإمـام والدين قائم [1]

ونجد الشاعر محمد بن علي السنوسي في رثائه للملك عبدالعزيز يتجاوز في وصف آلامه وأحزانه إلى وصف أحزان أبناء وطنه وأمته الإسلامية ؛ وذلك لمكانته عند شعبه وأبناء الأمتين العربية والإسلامية ، فيقول :

صقـر الجزيـرة عاهـل الإسـلام مـن ذا يكافـح عـنهما ويحـامي
ضجت شعوب الأرض لما قيل قد أودى المناضل عن حماها الرامي
ريعت لمصرعك النفوس وزلزلت قمـم النهى وشوامخ الأحلامِ [2]

ثم يطلعنا – بعد ذلك – على حزن الأمة على قائدها ، ورحيله في وقت هم في أمس الحاجة إلى قائد إسلامي مثله ، يعول عليه حين يحزبهم أي أمر ، ويقف في وجه الأعداء حين تشتد الخطوب والمحن ، فيقول :

فقدتك في حلك الخطوب وقد دحت طخياء [3] تعصف كالخضمّ الطامي
ذكرت مواقفك العظيمة كيف لا والبدر يذكر عند كل ظلامِ [4]

وقد رثاه عدد من الشعراء ، منهم عبد الرحمن المعلمي بقصيدته التي مطلعها :

مـادت الآلا فالعمـاد عتيـدُ عبدالعزيز قضى فأم سعود [5]

وعبد الله العمودي بقصيدته السينية ، التي مطلعها :

الدهر بعدك حقاً مظلـمٌ عبـسٌ والكل منا غدا عن منطقٍ خرس [6]

(١) المصدر السابق : الصفحة نفسها ، وانظر : شعر محمد بن أحمد العقيلي ، دراسة تحليلية ، خالد الشافعي : ٦٤ .
(٢) مجلة المنهل ، مج ١٤ ، ربيع الأول عام ١٣٧٣هـ : ٢٠٨ .
(٣) دحت : بسطت . طخياء : الليلة الشديدة الظلمة .
(٤) المصدر السابق : ٢٠٩ .
(٥) كل بيت قصيدة ، مجلة المنهل ، ج٣ ، س ١٤ ، مج ١٤ ، ربيع الأول ، سنة ١٣٧٣هـ : ٢٠٠ .
(٦) انظر : نشأة الأدب في جنوبي المملكة العربية السعودية ، د. عبدالله أبو داهش : ٨٤ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

وهاتان القصيدتان فضلاً عن ما فيهما من ضعف وركاكة ، تدور حول المضامين السابقة التي أوردها العقيلي والسنوسي في مرثيتيهما .

ولم يقل في رثاء حاكم سعودي منذ ظهور دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب وقيام الدولة السعودية بعد ذلك على يد الأمير محمد بن سعود مثل ما قيل في الملك فيصل بن عبدالعزيز ؛ لمكانته الكبيرة في النفوس ، ولمصرعه المفاجىء ، ونوع وفاته وطريقتها ، وكونها في فترة عربية وإسلامية عصبية ، فقد كانت الأمة بأمس الحاجة إليه ، ولذا تساءل الشعراء عن سبب هذا الرحيل المفاجىء ، وفوجئوا مفاجأة شديدة ، جعلت بعضهم ينكر الخبر لأول وهلة ، ومنهم محمد السنوسي ، حيث يقول :

رن في سمعي فكذبت صداه　　نبأ روع قلبي وشجاه
مالهذا الصوت كاب لونه　　قاتم النبرة مرعوب نداه
ماله ماذا عراه ما الذي　　هزه ماذا دهاه من نعاه ؟ (١)

وأحمد البهكلي يكذب الخبر ، لولا أن الحقيقة المرة أزالت كل تكذيب ، ومحت كل غشاوة ، ولا مجال للمعاندة ، فيقول :

والحبيب القريب منا مسجى　　برداء وقد قضى الله أمرا
ويكاد التكذيب يثبت لولا　　أن رأي العينين أصدق خبرا
إنه مات لم نعاند ولكن　　عاند الحب رب رحماك ترى (٢)

وممن تساءلوا عن هذه الوفاة المفاجئة في هذا الوقت العصيب ، الشاعر علي بن قاسم الفيفي ، وهو في الوقت ذاته يستعرض الإنجازات التي حققها ، وتلك التي كان يحلم بإنجازها، فيقول :

أمات الذي ما طأطأ الرأس ذلة　　لغير الإله الحق إذ هو ساجدُ ؟

(١) الأعمال الكاملة : ٥٩٥ .
(٢) طيفان على نقطة الصفر : ٧٦ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

أمات الذي قد عاش للعرب جنةً وحصنا حصيناً لم تلجه المكائدُ ؟
أمات الذي ما قط صمم خطة وألفيتها فاتته فيها الشواردُ ؟
فلسطين والقدس الجريحة لم تزل على باله لم يثنه ما يكابدُ
فياليت شعري هل درى القبر من حوى وكيف ثوت فيه النهى والمحامدُ
وكيف أهيل الترب من فوق زاخر وكيف السهى تأوي به والفراقدُ
فيالك من قبر بك المجد والعلى ويا لك من فخر بمن فيك راقدُ [1]

وقد كانت الفاجعة بموته كبيرة ليس على أبناء شعبه وحدهم ، بل على أبناء الأمتين العربية والإسلامية ، فهو أملهم للخلاص من واقعهم المر ، فالرصاصة التي صرعته إنما صرعت أمل العرب والمسلمين ، وأنه لم يكن شخصه هو المستهدف بهذا الغدر ، وإنما كل الشعب قد استهدف ، فلذا كان المصاب عظيماً ، يقول الشاعر محمد بن محسن مشاري في رثائه للملك فيصل :

الشعب من هول المصاب حزين فبكل بيت صرخة وأنينُ
ويح الرزايا كيف حلت بالورى أيدك حصن المكرمات حصينُ
صرعت رصاص الغدر فيصل يعرب فقضى شهيداً والقضاء يكونُ
ونعى المذيع على الأثير وفاته والكون يعلوه الأسى محزونُ
يا فيصل الإسلام ليس بمنصفٍ فيك البكاء المر والتأبينُ
فلأنت أكرم راحل عن أمة لك بالمحبة والولاء ندينُ
قد كنت للجلى فنالك غادرٌ شلت يداه وقُدَّ منه وتينُ
ما كان شخصك وحده مستهدفاً لكنه شعب بكم مرهونُ [2]

(١) الطيف العابر : ١٢٧ – ١٢٩ .
(٢) التاريخ الأدبي لمنطقة جازان ، العقيلي : ٣ : ١٨٨٢ – ١٨٨٣ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

ويتحدث الشعراء كثيراً عن السبب الذي حداهم إلى البكاء المر على الفيصل ، والسبب الذي دعا العرب والمسلمين للحزن عليه ، والإحساس بالمصاب الجلل الذي خيم على كل فرد ، وكل بيت ، وكل بلد هو أنه كان أملاً فانتهى ، وكان صرحاً فتحطم ، وكان سبيل خلاص فقضى ، وكان سداً مانعاً من كل المبادىء الهدامة صلداً أمامها ، فإذا بكوه فإنهم معذورون ، لذلك يقول محمد مشاري :

قـاد العروبـة في سبيـل خلاصهـا　　فرست بشطآن الأمـان سفـينُ
مـا سـار شرقـاً يهتـدي بمبـادئ　　هدامـة قـد صاغهـا لينـينُ
أو سار غرباً حيث يستشري الخنا　　لا عرض فيه موفر ومصونُ
لكنـه استهـدى بأشـرف ملـة　　نـادى بهـا في العـالم المأمـونُ
فـإذا بكـاه العـرب في أوطانهـم　　والمسلمون وكلهـم محـزونُ
وبكى الشباب مع الشيوخ وأجهشت　　تبكي النساء ودمعهـن سخـينُ
فلكـم تحمـل في سبيـل حياتهـم　　سهر الليالي كي تنام جفونُ[1]

والشاعر أحمد بهكلي يضيف إلى ذلك المعنى معنى آخر ، وهو أن الملك فيصل داهمه الغدر في وقت كانت الليالي تبتهل ببقائه ، والأحلام في تحقق إنجازات متوقعة تداعب خيال كل مسلم ، وبينما الناس في غمرة أحلامهم ، وفورة أمانيهم جاء القدر ، فانتهى ذلك الحلم، وماتت تلك الأماني ، معتمداً في حديثه على الاستعارات المتلاحقة ، والصور المتضافرة ، فيقول :

قـد قـضى بينما الليـالِ ابتهـالٌ　　ببقـاه .. وغـادة الحلـم سـكرى
والفيـافي حدائـق تتناغـى　　ووجـوه الأقـوام تطفـح بـشْرا
بيـنما الحلـم سـارب في رؤانـا　　يتهـادى عـلى المـشاعر نهـرا

(١) المصدر السابق : ٣ / ١٨٨٤ – ١٨٨٥ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وإذا بالـصـروف تقطـع ذاك الحـ ـلم كـي تـصنع النهايـة غـدرا
ورمتـه الرعنـاء –أه – فأصمـت سهمها .. والذهول بـالحسّ أزرى
فـإذا الموجـة العظيمـةُ تـنفضُّ (م) شتاتـاً قـضته مـدّاً وجـزرا

* *

كـان في كـل خـافق أمـلاً يـا رب فاغفرْ له وأجْزِلْـه أجـرا [1]

بل إن الشاعر إبراهيم مفتاح ينادي الملك فيصل نداءً تخيليّاً إلى العودة ، ليرى حنين الناس إليه ، وما هم فيه من حزن ، حنين إلى ما رأوا فيه من آمال ، وحزن على ما فات من أحلام، فالبلاد تفيأت في عهده ظلاً وارفا ، والناس نشأوا على مبادىء الإسلام الحنيفة دون أي مزاحم من المبادىء الأخرى ، وذلك في قوله مخاطباً الملك الراحل :

عـد إلينـا تـر الوجـود حنينـاً وغيـوم الدمـوع في الأجفـانِ
نحـن في فجـرك المـشع نـشأنا ورضعنـا حـلاوة الإيمـانِ
وعـلى نهجـك القـويم سنمـضي ونضيء الشموع رغم الدخانِ [2]

ورثى الشعراء الملك خالد بن عبدالعزيز – رحمه الله – ، وبينوا في مراثيهم له أثره الواضح في تطوير الوطن والمواطن ، والرقي الاجتماعي ، والانتعاش الاقتصادي ، إضافة إلى ما اشتهر به من تدين وتخلق بأخلاق الإسلام ، وتسامح وعطف ولين جانب، فبكوا تلك الملامح الوضيئة في حياته ، وصوروا موته فاجعة حلت بهم وبالمسلمين ، ومن هؤلاء الشعراء محمد بن أحمد العقيلي ، حيث يقول :

غـاب المليـك العاهـل الأواه الخالـد الذكـر العظيـم عـلاه
الغارس الحب الصميم لأمة والمغدق العطف العميم جناه

(١) طيفان على نقطة الصفر : ٧٥ – ٧٦ .
(٢) عتاب إلى البحر : ٢٢ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

مـلك تغلغـل حبـه وجلالـه　　في كـل قلـب يـستزاد ولاه

قد كان يحلم بالرضـاء وبالهنـا　　والخير يملأ أرضـه وسمـاه (١)

ويأسى الشاعر لغياب هذا المليك الأواه الذي يجري ذكر الله تعالى على لسانه دوماً ، والذي غرس في أمته وشعبه محبة الله ، وأغدق الخير لأبناء وطنه وغيرهم من المسلمين ، فبادله شعبه حبًّا بحب ، فقد عاش هذا الملك مثلاً للإنسان المجبول على النفع العظيم ، فسطعت به أحلام شعبه وازدهى به الطموح ، فعاش إلهاماً يوجه الشعب ، ومضى نبراساً وسراجاً يضيء لهم الطريق .

((والقصيدة واضحة المعاني صبغها الحزن العميق ، إلى ما فيها من صدق العاطفة وتدفقها بشكل بارز ، ساعدت القافية المتمثلة في وجود ألف من قبل الهاء ومن إشباع حركة الضم على الهاء واواً ، بالإضافة إلى الهاء نفسها ساعدت على بروز نغمة (الآه) بعد كل بيت ، فكأن الشاعر ينشدها متأوهاً باكياً)) (٢) .

ورثاه الشاعر محمد بن علي السنوسي بقصيدة رائعة ، بدأها بالحديث عن أن الملك خالد لم يمت ، وإنما هو باقٍ في عيون شعبه وأفئدتهم ، وإنما أجاب دعاء ربه ، وهذا شأن العظماء ، وفي الحقيقة أن هذا شأن الجميع ، ولكن الشاعر ألجأته القافية إلى ذكر كلمة الأكابر ، وذلك في قوله :

لم يمـت خالـد العلـى والمـآثر　　فهو ملء النُّهى وملء البصائر

إنمـا قـد أجـاب والحـق داعٍ　　فأجـاب الدعـاء شـأن الأكـابر

ثم يورد الشاعر جملة من الصفات الحميدة التي كان يتمتع بها الفقيد ، ويصف عمق حب أبناء وطنه ، الذي جاء نتيجة لحسن رعايته لهم ، ورقة تعامله معهم :

ملـك يأسـر القلـوب بتقـوا　　ه وسـيماه لا بزهـو المظاهـر

---

(١) المجموعة الشعرية : ٦٢٥ .

(٢) شعر محمد أحمد العقيلي ، دراسة تحليلية ، خالد الشافعي : ٦٩ – ٧٠ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

حمل الشعب قبل أن يحمل التا ج بقلب كرقة الزهر طاهر
ورعاه رعاية الأب يرعى ابنه الفرد وهو ما زال قاصر
وحماه من الأسى والمآسي ووقاه من اللظى والهواجر
وبنى حكمه على الحب والإيمـ ـان بالله في خفي وظاهر
وأحاط الحمى بقلب كبير بعطاء من المحبة غامر

ويتوقف الشاعر بعد ذلك عند حال أبناء المملكة وأبناء العروبة والإسلام لدى سماعهم خبر وفاته ، ونبأ رحيله ، مبيناً سبب ذلك قائلاً :

يا أبا بندر عليك سلام اللـ ـه تشدو به إليك الحناجر
تتهادى به المحاريب والسا حات في كل مسجد ومنابر
وتناجيك بالدعاء قلوب العر ب والمسلمين بادٍ وحاضر
فلقد كنت للعروبة والإسـ ـلام والمسلمين حامٍ وناصر
تلتقي في حماك إن حزب الأمـ ـر شعوب إلى حماكَ نواظر
فتلاقيك حاضراً مستعدا للمهمات لا تبالي المخاطر
وترى فيك إن رأتك شقيقاً وصديقاً في كل شأن مبادر

ثم بعد ذلك يدعو له بالمغفرة والرحمة ولمن جاء بعده بالحفظ والرعاية ، قائلاً :

رحم الله خالداً ورعى فهـ ـداً وأبقاه للمسيرة سائر [1]

ومن الأمراء الذين رثاهم الشعراء الأمير تركي السديري ، فممّن رثاه الشاعر محمد بن أحمد العقيلي بقصيدة همزية ، بدأها بوصف وقع النبأ على الناس قائلاً :

نبأ أذيع فزلزل الأحياء وأحال ضاحية النهار مساء

(١) جريدة البلاد ، ع ٧٠٧١ ، ٢٨/ ٨/ ١٤٠٢هـ ، وانظر : الاتجاه الإسلامي في شعر محمد بن علي السنوسي ، مفرح سيد : ٥٢ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

ريعت به الأوطان وانتحبت لـه　　حزناً وفاضت حسرة وبكاء
رجفت له شم الذرا وتمايدت　　هضباتها من هوله إعياء
نعت البطولة والشجاعة والندى　　والمكرمات حفيظة ووفاء
تركي ، ومن تركي؟ فديت فمثله　　قل النظير على الزمان رجاء
هو صورة الماضي المجيد تألقت　　وزهت على وجه الزمان ضياء
وبقية من زمرة قد واكبوا　　عصر الجهاد ، ورايـة ولواء
ولدوا على صهوات كل مطهّم　　رضعوا الوغى وتمهدوا الهيجاء[1]

بهذه الأبيات جسد الشاعر أثر فقد المرثي على من بعده ، وبين بعض مآثره، وتحولت القصيدة إلى آخرها مدحة لولا ما فيها من بعض ألفاظ الحزن والتفجع والأسى الحافلة بالمبالغة والتهويل الملازمة لبعض قصائد الرثاء الرسمي .

ورثى على مديش بجوي الأمير أحمد التركي العبد الله السديري بقصيدة بدأها متحدثاً عن الأقدار المتحتمة ، وأن الموت حق ، ولكن الفجائع تؤثر على النفوس ، وذلك بقوله :

حكم الإله جرى في غابر القدم　　على الخلائق من عرب ومن عجم
إن الممات سيأتى كل ذي نفس　　ممن على بطنه يسعى أو القدم
وكل نفسٍ سوى الخلاّقِ فانية　　قد استوى باني الأعشاش والهرم
تأتي الفجائع يا خلّي كصاعقةٍ　　على النفوس لها وقع كما الخِذَم[2]

ثم ينتقل بعد ذلك إلى الحديث عن بعض مناقب المرثي ، مقدماً بما حل به من فجيعة، بسبب تكاثر الرزايا ، ووفاة كثير من أحبابه والمقربين في أوقات متقاربة :

بالأمس كنا مع الأحباب نندبهم　　بكل ذكر يرى كالدر منتظمِ

(١) المجموعة الشعرية : ٨٥٢ – ٨٥٣ .
(٢) نبض القوافي : ١٣٧ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

واليوم نفجع بالشيخ الذي شهدت ... له الخلائق بالأخلاق والشيمِ
الفذ أحمد من بالخير نذكره ... نجل السديري الذي في القوم كالعلمِ
يكفيه فخراً بأن الصقر قرَّبه ... وكان يندبه في أحلك الظلمِ
يعطي المشاكل قسطاً من براعته ... يحلها بطريق الحاذق الفهمِ
وفي الإمارة حزم في إدارتها ... وبين أفرادها كالوالد الرحمِ
رافقته ربع قرن ما عرفت به ... سوءاً بمسلكه أو جور منتقمِ (1)

والقصيدة على ما فيها من ركاكة إلا أنها تصور بعض مناقب الفقيد ، وتظهر حزن الشاعر الواضح عليه ، وقربه منه في حديثه عنه .

ومضمون ما قيل في رثاء الملوك والأمراء يتشابه ومضمون ما قيل في أمثالهم في الشعر القديم ، فَجُلُّ المعاني تدور حول المصيبة التي حلت ، وأن الكارثة ليست مقصورة على الناس وحدهم ، ولكنها كارثة عمت فطمت ، وأصابت فأصمت ، ولا بد في الرثاء من استعراض شمائل المتوفى ، وخصاله الحميدة ، فينقلب الرثاء إلى مديح ، لولا ما فيه من محافظة على التزام الفعل الماضي مثل كان كذا ، وكان كذا . سوى ما كان من تفرّد في بعض المعاني لدى شعراء قليلين إلى كونه في حقيقته ثناء على المتوفى إلى ما يصحب ذلك من تصوير ألم الفجيعة .

ب - رثاء ذوي القربى :

من أكثر أنواع الرثاء وفرة في شعر جازان رثاء الأقارب من أب وأم ، وزوجة وأبناء، وأخ وأخت ، وجد وابن عم وسواهم ، وهذا طبعي ، فرثاء الشعراء لهذه الفئة صادر عن شعور أكثر صدقاً ، وأشد حرارةً ، وأعمق عاطفة وشعوراً .

فممن رثوا آباءهم الشاعر محمد بن علي السنوسي بقصيدة ترسم فيها خطا أبي العلاء المعري في داليته التي رثى بها الفقيه الحنفي ، فبدأ السنوسي قصيدته بتجلية لحقيقة

(١) المصدر السابق : الصفحةنفسها .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

الموت ، في وقفات تأملية ووجدانية رائعة ، مبيناً أنها سنة الله في خلقه ، مبدياً رضاه بقضاء الله وقدره ، وأن هذا مركب كل سيصعد إليه :

كلّنا رائح على الموت غادي　　وعيون القضاء بالمرصادِ
ومجاز هي الحياة فسيّا　　ن مخبٌ أو سائر في اتئادِ
سائق الركب غير ناء عن الر　　كب ولا حائد عن الركب حادِ
نحن والدهر والمقادير والأيـ　　ـام أنضاء حلبة وطرادِ
سنة لم تدع لقلب مريض　　شبهاً في حقيقة الميعادِ [1]

ثم بعد وقفة تأملية في صراع الإنسان مع هذه الحياة وحقيقتها الصارخة التي أعيت الألباب وأذهلت العقول ، شرع السنوسي في وصف وقع المصاب الجلل على نفسه في لغة رقيقة ، موحية بالحزن العميق الذي عانق عالمه الوجداني ، مستعيناً بالطبيعة في رسم أبعاد ذلك المصاب ، وتصوير تلك الفاجعة ، قائلاً :

حاطني يا أبي بفقدك ليل　　آدني [2] طوله وأعيى سهادي
سلب النوم من جفوني وأورى　　بفؤادي جمر الغضا [3] والقتادِ [4]
أبتي أين منك طرف بعثت النـ　　ـور منه في مهجتي وفؤادي ؟
صور تبعث الأسى وعهود　　أنا منها في حرقة واتقادِ
رددت صوتي السماء ولم أسـ　　ـمع جواباً فمن تراني أنادي ؟
وملأت الفضاء جهشة باكٍ　　رجعتها الرياح في كل وادِ
رحمت مهجتي غلاظ الصخور الصـ　　ـم واستعطفت فؤاد الجمادِ

(١) شعراء الجنوب ، للسنوسي وآخرين : ٩٦ – ٩٧ .
(٢) آدني : أثقلني وصعب عليّ .
(٣) الغضا : شجر عظيم حسن النار .
(٤) شجر يكثر في بلاد العرب له شوك مثل الإبر .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وسرى عاصف الرياح يبث الليـ ـل شجـوي وزفـرتي ونهـادِ
وتدجّـى الدُّجـى الكثيف بجلبـا ب التياعي وسابغات حدادي [1]

ويشرع بعد ذلك في ذكر مناقب والده ، والأعمال التي اضطلع بحملها ، فأداها على أكمل وجه ، وأهمها اضطلاعه بأعباء القضاء بين الناس ، والفصل بينهم في الخصومات بالحق، مهتدياً في أحكامه بما جاء في الكتاب والسنة النبوية الشريفة ، ناشداً العدل في أحكامه[2]، وما كان عليه مجلسه من هيبة وجلالة :

أيـن يـا مجلـس القـضـاء فـؤاد أرهقت متنه شـؤون العبـاد ؟
قد خلا منك مجلس كان بالأمـ ـس رفيع الذرى سميك العماد
وأجاب النداء من كـان للحـ ـق لـساناً مجلجـلاً في البـلاد
يقف الخصم والجلال عليه حـارس مـن شراسـة وعنـاد
في شعـاعٍ مـن الحنيفيـة الـ ـغرّاء والعدل والهدى والرشاد

ويختم مرثيته بعد ذلك بالدعاء لأبيه بالمغفرة والرحمة ، فيقول :

يـا أبي جـاد قـبرك الغيـث وانهلـت (م) عـلى رمـسك الحبيـب الغـوادي
وأظلـت ثـراك أجنحـة الرضـ ـوان خفّاقـة عليـك نـوادِ
وهفت حولك الصبا وسجى[3] النو ر ورف النـدى وغـرّد شـادِ [4]

ورثى عدد من الشعراء آباءهم ، ومنهم الشاعر أحمد باهادون العطاس الذي رثى أباه بقصيدة مطلعها :

ماذا يخفف من ضر ي وبلوائي مما ألـمّ وكانت فيه أرزائي [5]

(١) المصدر السابق : ٩٦ – ٩٧ .
(٢) انظر : الاتجاه الإسلامي في شعر محمد بن علي السنوسي ، مفرح إدريس : ٤٢ .
(٣) سجى : سكن ودام .
(٤) شعراء الجنوب : ٩٧ .
(٥) من وحي التأملات : ١٢ – ١٣ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

ورثى الشاعر علي مديش والده بقصيدته (والعين تذرف في الخدين أدمعها) ومطلعها :

أبـا عمـاد أتاني الـذكر مـن كلـم　　ومن قريض يضيئ الدرب في الظلـم [1]

ورثى الشاعر أحمد بن علي حمود حبيبي والـده بقـصيدته (دمعـة وفـاء في محـراب الدعاء) ، ومطلعها :

من تاسع الصوم في أسحار مغفرةٍ　　فاضت إلى الله روح الناسك البدل [2]

وجميع هـذه القـصائد تنبثـق مـن بوتقـة واحـدة ، وتحـذو حـذو قـصيدة الـسنوسي السابقة، فجميعها تبدأ متحدثة عن هول الفجيعة ، وشدة الصدمة ، ثم بعد ذلـك يخفـف الإيمان بالقـضاء والقـدر مـن تلـك الفجيعـة ، ويـشرع الـشاعر بعـد ذاك في الحـديث عـن مناقب المرثي وفضائله ، ويستطرد في تعداد محاسنه ومكارمه وبعـض مواقفـه المـشهودة ، وفي الخاتمة يدعو لـه بالرحمة ، غير أن الشاعر أحمد بن عـلي حبيبـي زاد عـلى ذلـك ، فعنـد الدعاء لوالده استطرد في ذكر الأسماء الحسنى لله – عز وجل – ، ودعاه بها راجياً مـن الله قبولها والاستجابة لها ، ومن ذلك قوله :

أنتَ العلي وفوق العـرش مرتفـع　　ارفـع مكانتـه في أشـرف النـزلِ
أنـت المقدس يـا قـدّوس عـن صفةٍ　　جلت عن الحس والإدراك والعللِ
عجـل لـه بنعيـم الخلـد جـائزةً　　فأكـرمُ النول ما يأتي عـلى عجـلِ [3]

ورثى عدد من الشعراء أمهاتهم ، ومنهم الشاعر علي بن أحمد النعمي ، وقـد بـدأ قصيدته بالحديث عن المواقف الرائعـة التـي وقفتهـا تلـك الأم المضحية ، حيـث عملـت جاهدة على رعاية أبنائها بعد وفاة والداهم وهم في سـن الـصغر ، وأن تلـك التـضحيات وما رافقها من معاناة وجهود مضنية كانت السبب في وهن جسمها ، وتكالـب الجـراح ، وحلول الأمراض بها ، فيقول :

(١) نبض القوافي : ١٣٠ – ١٣٣ .
(٢) قصيدة مخطوطة ، توجد لدى الباحث : ق ٢ .
(٣) المصدر السابق : ق ٤ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

لله كـم ضحّـت لأجـل حياتنـا بحياتهـا ، لـم تدخـر مجهـودا؟
أبلـت نـضير شـبابها ، وتجـشمت درب الصعاب ، وعانت التسهيدا
حـتى ترينـا أننـا في نعمـة لم نلـف شيئـاً نبتغـي مفقـودا
إن كان والـدنا قـضى ، فهـي التي ترعـى بنيـه . . وحيـدةً ، ووحيـدا
وخـلال مـشوار الحيـاة تعـثرت خطواتهـا والقيـد صـار قيـودا
دب الأسـى في جـسمها فتألمـت وتحمّلـت ألـم الجـراح شـديدا [1]

ثم بعد ذلك بين أنها أصيبت بورمٍ خبيثٍ في لسانها ، وازداد مع مرور الأيام ضراوة وخبثاً ، ولم يكن هناك بد من الرحلة إلى الخارج تلمساً للعلاج الناجح ، ولكن لم تفلح تلك المحاولة ، وإلى ذلك يشير الشاعر قائلاً :

فالـداء أنـشب مخلبـاً وأظـافراً وأحط جسماً واستحلَّ وريدا
والآن لا يجـدي الطبيـب تحمـس لمـا تجـاوز طـوره المعهـودا
مـاذا لديـه مـن العـلاج وقـد رأى أن لا علاج فهل يكـونُ بليـدا ؟
فـات الأوان ومـا العـلاج بنـافع لـشفاء داء جـاوز المحـدودا
عنقـود نفـس الحـي في نبـضاتـه فـإذا تلاشت خلَّتِ العنقـودا [2]

وإذا كان نقادنا القدامي قد أشاروا إلى صعوبة رثاء المرأة لأسباب كثيرة ، منها ما أشار إليه ابن رشيق بقوله : ((**ومن أشد أنواع الرثاء صعوبة على الشاعر أن يرثي طفلاً أو امرأة ؛ لضيق الكلام عليه فيهما ، وقلة الصفات**)) [3] . ولكن الشاعر علي النعمي

(١) جراح قلب : ٦٠ .
(٢) المصدر السابق : ٦١ .
(٣) العمدة في صناعة الشعر ونقده ، لابن رشيق القيرواني ، عني بتصحيحه : محمد التلمساني ، الطبعة الأولى : ٢ / ٢٤ ، وانظر : نهاية الأرب ، للنويري : ٥/ ٢١٨ .
وتعليقاً على كلام ابن رشيق هذا يقول الأستاذ الدكتور محمد بن سعد بن حسين : ((**ولعلّ ما يقصد إليه ابن رشيق من رثاء المرأة هو رثاء الزوجة ، ذلك الذي تحرّج فيه كثير من الشعراء ، مع كونه ليس بمدعاةٍ للحرج**)) . لقاء معه بتاريخ ٢٩/ ٦/ ١٤٢١هـ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

وجد هناك فرصة للحديث في رثاء أمه ، وجد من معاناتها وما دار بينه وبين الطبيب من حوار ، ووصف صراع أمه مع المرض ، واللحظات الحاسمة التي ودع فيها أمه الحبيبة ، وجد الشاعر في كل ذلك فرصة للحديث ، ولم يجد تلك الصعوبة التي يعاني منها الشعراء عند رثاء أمهاتهم ، في الوقت الذي يعتصرهم الألم وتحرقهم المأساة لا يجدون ما يقولونه ، حتى كأنهم خرس عن الكلام .

ومن تلك المشاهد التي وصفها الشاعر لحظات توديع أمه له وللحياة بقوله :

وجثوتُ قُربك لست أعرف من أنا　　مما أعيش ممزقاً مكدوداً ؟
وصرخت يا أماه ، أية لحظة　　هذي تريني البؤس والتنكيدا
(الأوكسجين) به لديك تحلقوا　　طِبّاً ، فرادى تارةً ووفودا
ورفعت طرفك في حنوٍّ غامرٍ　　قلت : اقترب نحوي كفيت حسودا
فدنوت نحوك باكياً ، وجذبتني　　بحرارة ولثمت مني الجيدا
ويدي استراحت في يديك هنيهةً　　وبها سكبت حنانك المعهودا (١)

ثم يصف لحظة النهاية ، حيث أسلمت والدته الروح إلى بارئها ، ويدها في يده ، وهي تتمتم بالشهادتين ، وتركته وحيداً يعاني لحظات قاسية وحزينة :

وبحسرة ، وأسى زفرت ، وتمتمت　　شفتاك تدعو الواحد المعبودا
ولفظت نفساً حرةً وكريمة　　وتركت حزنا في الفؤاد شديدا (٢)

وتظهر العاطفة الصادقة ، والحزينة في خاتمة القصيدة ، حيث يتحدث الشاعر عن حالته بعد رحيل والدته ومكانتها في حياته ، ووصف مشاعره ، وهو يرى أمه جثة هامدة لا حراك بها ، والاتصالات التي تأتيه وهو في لندن تأتيه من أخته الوحيدة التي تسأل عن أمها ، ومن أطفاله الذين يسألونه عن حال جدتهم ، ولم يكن بد من الإجابة

(١) جراح قلب : ٦٢ – ٦٣ .
(٢) المصدر السابق : ٦٣ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

عن ذلك السؤال ، إنها الإجابة الصعبة ، يقول مبرزاً تلك المعاني الصعبة على كثير من الشعراء – عادة – ولكنه أجاد في هذا :

أمـاه كـنت أهـمَّ ركـنٍ أحتمي بحمـاه إن كـان الزمـان عنيـدا
كنتِ الأب الحاني وكنت أخا الوفا كنت الصديق الشهم، كنت العيدا
مـاذا أقـول وأنـت حـولي جُنّـةً هَمـدَت .. ولاقـت يومهـا الموعـودا
أختي هناك تسائل النسمات عن خـبرٍ وتـسأل عامـراً ويزيـدا
عـن خـير أمٍّ في الحيـاة عظيمـةٍ وعـن الأخ النـائي هنـاك وحيـدا
ويظـل أطفـالي الـصغار قلـوبهم تهفـو لمـن عـانى الجـراح بعيـدا
عـن جـدةٍ أولتهـم بحنانهـا والجد كـم وهـب الحنـان حفيـدا
لله مـا قـدمت يـا أمـاه مـن جهـد يظـل مدى الزمان فريدا [1]

ورثى الشاعر علي بن حسين الفيفي أمَّه بقصيدته (مصيبة في سن الطفولة) ، وفيها يكثر من الحديث عن الذكريات الرائعة له مع أمه ، وملامح أمه التي سيطرت على مخيلته ، ولم تكد تفارقه ، وأنه لا يمكن له أن ينسى ذلك الوجه المشرق المليء بقسمات الحنان والمحبة، فيقول :

سأظـل أذكـر وجهـك الـ ـوضاح يـشرق كالـصباحِ
ويديـك تحتـضنانني مُذْ دب حزني في انشراحي
أيـام تغمـرني الـسعادة فـي غـدوي والـرواحِ
وطفولـتي أيامهـا أيـام أعيـاد مـلاح
أيـام أمـرح والـسرور عليـك يبـدو مـن مراحـي
وأرى ابتـسامتك الجميـ ـلة سـرّ حبي وارتياحي [2]

(١) المصدر السابق : ٦٣ – ٦٤ .
(٢) زائر الأمس : ٩٨ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

ورثى عدد من الشعراء أمهاتهم ، ومنهم حسين سهيل الذي رثى أمه بقصيدته (أماه)، ومطلعها :

أماه لو تدرين ما معنى النزيف
لو تعلمين مدى الأسى والحزن في قلبي الشفيف
لحملت عني بعض من همي الكثيف [1]

ورثى أحمد العطاس أمه عائشة بنت محمد الجمل العطاس ، بدأها بقوله :

بقايا الصالحات وخير أم　　فجعت بموتها أدهى فجيعة [2]

ورثى علي مديش أمه عائشة بنت محمد المدخلي بقصيدته (دمعة محبة وولاء) ومطلعها :

جرى القدر المحتوم فالعين جارية　　وأضحت بنا دار المحبة خاوية [3]

ومن أصدق قصائد رثاء الأم عاطفة ، وأشدها تصويراً لفجيعة الشاعر قصيدة إبراهيم صعابي في رثاء أمه ، التي ختمها ببيان أنه لم يتبق له شيء مفرح في حياته ، وأن السعادة رحلت مع رحيل أمه ، وأن خير تعزية له في وفاة والدته ، هو أنها استراحت من هذه الحياة المليئة بالمنغصات والأسى ، فيقول :

ماذا تبقى لهذا القلب من فرح　　وما تبقى لهذا العمر من زمن ؟
وكيف أكتب شعراً بعدما رحلت　　كل المعاني وصار الشعر يقتلني ؟
وكيف أعبر هذا اليم مغترباً　　وكيف أشدو بلا شدوٍ ولا فنن
يكفي فؤادي مدى الأيام تعزيةً　　بأنك ارتحت من دنيا الأسى النتنِ [4]

ومن مظاهر رثاء الأقارب رثاء الأبناء ، وقد أجمع الشعراء من قديم على أن الحزن لفقد الولد لايدانيه حزن ، وفي هذا يقول أبو عبد الرحمن العتبي (٢٢٨هـ) :

(١) أشرعة الصمت : ٥٦ – ٥٧ .
(٢) من وحي التأملات : ٧٢ – ٧٣ .
(٣) نبض القوافي : ١٢٩ .
(٤) وقفات على الماء : ٦٩ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ما عالج الحزنَ والحرارة في الـ أحشاء من لم يمتْ له ولدُ [1]

ووافقه على هذا ابن عبد ربه بقوله :

مـا مـات حـيٌّ لميـتٍ أسـفاً أعـذر مـن والـدٍ عـلى ولـد [2]

وممن رثى أبناءه من شعراء جازان الشاعر علي مديش بجوي الذي أعده شاعر الرثاء في الشعر الجازاني ؛ لكثرة قصائد رثاء الأقارب في أشعاره ، وأخذها حيزاً واسعاً من مجموع قصائده ، ففي شهر رمضان من سنة ١٤١٢هـ توفي ابنه عمار ومديش ابن أخيه في حادث مروري مروع ، فرثاه بقصيدته (أحرف من القلب) ، بدأها بتصوير الفاجعة ، وما حل به من دهشة وحيرة ، وإحساس لم يصادفه من قبل ، لولا ما خففه من تصبر ورضى بالقضاء ، يقول :

جل المصاب أخي واستحكم القدر وظلت أسرح لا سمع ولا بصرُ

ولم أكـن جزعـاً ممـا ألم بنـا فلست أجـزع أو ينتابني الخورُ

لكنهـا دهشة تـأتي على عجـلٍ بموت من خيره يرجى وينتظرُ

كذا المصائب تـأتي غـير أن بها من الفوائد ما لم يحصها البشرُ [3]

ثم بعد ذلك يعزي الشاعر أخاه ، ويصور دموع العين ، وأجر الصابرين المحتسبين ، وأن خير ما يعزي هو رحيل سيد البشر النبي الأمين – صلى الله عليه وسلم – وكذلك غياب هذين النجمين في شهر المغفرة والرحمة ، فلعل الله أن يشملهما بما فيه من عتق ورضوان ، فيقول مخاطباً أخاه المكلوم مثله :

إني أعزيـك يـا صنوي بمـن فقـدا وفي العـزاء بخـير الخلـق معتبرُ

أبـا مـديش صـبراً فالـصبور لـه أجـر عظـيم ولا ينتابـه الـضجرُ

(١) الكامل ، للمبرد ، تحقيق : محمد قميحة : ٢ / ١٦٤ .

(٢) العقد الفريد ، ابن عبد ربه : ٣ / ٢٥٨ .

(٣) نبض القوافي : ١٣٤ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

نجـمان غابـا فـإن العـين دامعـة　　والـنفس راضـية مـا سـطر القـدرُ
كـان الغيـاب بـشهر فيـه مرحمـة　　لـصائـمٍ قـائم أو جـاء يعتمـرُ [1]

وفي الشهر نفسه في رمضان سنة ١٤١٥هـ يتكرر مصاب الشاعر علي مديش بوفاة ابنته الكبرى الخنساء ، فرثاها بقصيدة رائعة ، تظهر فيها العاطفة الصادقة ، وقد أشار الشاعر في مقدمتها إلى أن ابنته أوصته قبل ساعات من وفاتها بابنها الوحيد نواف ، وقد بدأ الشاعر قصيدته بأسلوب هادىء ، يعلن فيها وفاة ابنته في خير البلاد وأطهرها ، في مكة المكرمة ، قائلاً :

يـا ابنـتي الخنـساء وافتـك المنيـة　　في جـوار البيـت في الأرض السـنيه
في ربـى دار الهـدى في مكـة　　شـعَّ منهـا النـور في كـل البريّـه

ثم يشير بعد ذلك إلى أن الخنساء هي أول أولاده ، ونعلم جميعاً ما للابن الأول من مكانة ومحبة في نفس والده ، فكيف إذا كان هذا الولد الأول قد جاء بعد سنوات طويلة من الانتظار للولد ، مثلما حصل للشاعر علي مديش الذي ظل عشر سنوات بعد زواجه الأول لا يولد له ، ثم ولدت له الخنساء ، وها هي تخترمها المنايا من بين يديه ، فأي رزء وأي حزن هو حزنه ، فيقول :

كنت يـا خنساء مولـودي الـذي　　أول الأولاد في الـدنيا الدنيـه
كـم سرور قـد أتـاني حينمـا　　جاءت البشرى بطلعتك البهية
عـشت في روحـي وقلبـي زمنـاً　　أرع فيك الحب أخلاقاً زكيه [2]

ثم بعد ذلك يجمع الشاعر بين فضائل ابنته وأخلاقها ، وتذكره لها وما حل به من حزن عبرت عنه الدموع الغزار ، فيقول :

عشت يـا خنساء طهـراً صـادقاً　　عـشت بـرا عـشت آدابـاً عليـه
قـد بـررت الأم والأب معـاً　　ورعيـتي أخـوة حـق الرعيـه
يا ابنتي الخنساء دمعـي سـائل　　فوق خدي مثل ما سحب همیه

(١) المصدر السابق : الصفحة نفسها .
(٢) المصدر السابق : ١٤٢ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ذرفـت عينـي وقلـبي خاشـع ورضـاء الله غايـات الطويّـه [1]

وتظهـر قـوة العاطفـة ، وصـدقها في تـذكر الـشاعر لابنـه عـمار الـذي رحـل قبـل سنوات قلائل ، وها هو رزء على رزء ، وتأتي الخنساء لتلحق بأخيها عمار ، فيكتوي قلب الأب ، ولكنه يتوجه إلى الله عز وجل محتسباً صابراً ، فيقول :

يـا إلهـي كـم فقدنـا غاليـاً واحتـسبناه لـدار أخرويـه
في ليـالي الـصوم عـمار مـضى وسلكت الدرب بالنفس الزكيه

وإن كانت خنساء قد رحلت ، لكن كلماتها التي أوصته بها لم ترحل ، إن كانت قـد مـضت ، فابنهـا نـواف سيحيي ذكراهـا ، وستكون لـه منزلـة عاليـة عنـد جـده ، بـل ستفوق هذه المنزلة كل أبنائه ؛ لأنه ابن الحبيبة الراحلة خنساء :

إيـه يـا نـواف يـا سبطي ويـا نجـل حبـي أعنـي خنـساء التقيّـه
أنـت مـني اليـوم في منزلـة قـد تفـوق الوصـف أغـلى مـن بنيّـه
كلمـات الأم في سمعـي وفي قلـبي المجـروح تبقـى أبديّـه
حـين وصتـني وقـالت: يـا أبي بوحيدي استوص خيراً في الوصيّه
هـو ابـني هـو روحـي ودمـي يـا أبي اقبلـه مـن بنـتٍ هديّـه [2]

ورثى عدد من الشعراء أقاربهم الآخرين ، فأحمد بن علي قاسم الفيفي [3] رثى جده بقصيدته التي مطلعها :

تحـدر الـدمع مـن عينـيَّ وانهـملا وأصبح الجسم بالعبرات مغتسلا [4]

ورثى محمد بن يحيى عبد الله الحازمي أخاه عبد الله ، بقصيدته التي أولها :

(١) المصدر السابق : ١٤٢ – ١٤٣ .
(٢) المصدر السابق : ١٤٣ .
(٣) هو أحمد بن علي بن قاسم الفيفي ، ولد سنة ١٣٨٩هـ ، ودرس بفيفا ، ثم التحق سنة ١٤٠٨هـ بكلية اللغة العربية بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض ، وتخرّج فيها سنة ١٤١١هـ ، وهو الآن يعمل مدرساً بمكة المكرمة ، له ديوان شعر بعنوان (السحابة) . وأشعار كثيرة منشورة في بعض الصحف المحلية .
(٤) السحابة : ٣٣ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

يـوم الخمـيس وأي يـوم مظلـم　　واريـت فيـك أخـا شـهيد أيـاد [1]

ورثى علي مديش ابن عمه [2] ، ورثى علي النعمي قريبه علي بن محمد النعمي بقصيدته (بدر العالية الذي هوى) [3] ، ورثى أحمد بن يحيى بهكلي قريبه حسن بن أحمد البهكلي بقصيدته (مثال النبل) [4] . وغيرهم كثير ممن سلك هذا الباب .

ج – رثاء العلماء :

للعلماء قيمة كبيرة ، ومنزلة مهمة لدى الشعراء الجازانيين ، فلذا عندما يموت عالم يفزع كثير من الشعراء إلى الشعر ؛ ليصوروا الفجيعة التي حلت بالمجتمع إذا كان العالم مغموراً ، أو بالأمة إذا كان العالم مشهوراً ، وليصوروا الفراغ الذي تركه هذا العالم أو ذاك.

فممن رثاهم الشعراء من العلماء الشيخ يحيى بن موسى الحازمي ، الذي توفي سنة ١٣٦٧هـ، فقد رثاه الشاعر محمد بن عبدالرحمن الضمدي[5] بقصيدة، تحدث فيها عن حزنه وما ألم به من مصاب كبير لوفاة أحد علماء ضمد ، وقضاتها ، ومتولي الإفتاء بها ، فيقول :

لا غرو يا قلب إن أصبحت محزونا　　فالفضل أضحى بجوف الأرض مدفونا
ويا عيوني جودي بالبكـاء دماً　　إن عـزَّ دمعـك لا تستبقي مكنونـا
ويا قلوب أولى الألباب ذوبي أسى　　لفقـد يحيى عمـاد الديـن مفتينـا[6]

(١) التاريخ الأدبي لمنطقة جازان ، العقيلي : ٣/ ١٩٠٩ .
(٢) نبض القوافي : ١٤٤ – ١٤٥ .
(٣) فرجة النظر : ٢ / ٣٤ – ٣٥ .
(٤) أول الغيث : ١٠٤ – ١٠٥ .
(٥) هو محمد بن عبدالرحمن بن أحمد الضمدي ، ولد بضمد سنة ١٣٢٧هـ ، وتولّى الإمامة والخطابة فيها ، وكان خبيراً في مسح الأراضي القياس والفرائض . له قصائد كثيرة أغلبها في الرثاء والإخوانيات ، توفي سنة ١٣٩٥هـ. انظر ترجمته في : كشف النقاب عن نبذة حجاب ، لأحمد بن عبدالله الحازمي ، أكثر من موضع ، وفرجة النظر ، لأحمد الشعفي ٢/ ٢٧٨ .
(٦) فرجة النظر : ٢ / ٢٧٧ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ثم بعد ذلك يشرع في الحديث عن مناقبه ، وأنه لولا المصاب الذي قد حدث قديماً بوفاة النبي – ﷺ – لاستمر الشاعر في بكاء هذا العالم ما بقي له لسان ينطق، أو عين تذرف ، ولكنه الموت قدر لا بد منه ، وأجل لا راد له ، وفي خاتمة القصيدة سأل الشاعر ربه أن يتولى الفقيد برحمته ، وأن يخلف على الناس خيراً .

ورثى الشعراء الشيخ حافظ بن أحمد الحكمي الذي توفي سنة ١٣٧٧هـ في ذي الحجة إثر مرض ألمّ به وهو يؤدي مناسك الحج ، وكان في ريعان شبابه ، إذ لم يتجاوز الخامسة والثلاثين من عمره ، وكان لوفاته صدى واسع ، وأثر كبير على طلابه ، ومشائخه، والعارفين به ؛ لما له من علم واسع ، وذكاء خارق ، وحافظة قوية ، ومؤلفات قيمة ، وجهود علمية ودعوية مشهودة .

فممن رثاه من شعراء جازان تلميذه إبراهيم بن حسن الشعبي بقصيدة ألقاها بين يدي مفتي المملكة الأسبق الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ ، الذي جلس لاستقبال المعزين له ولعلماء المملكة في وفاة العالم الشاب ، وقد أعجب المفتي بالقصيدة وبلغ إعجابه ، وتأثره بها أن فاضت عيناه من الدمع ، فبكى كثير ممن كان في ذلك المجلس [1] ، وفي القصيدة تصوير لمدى الفاجعة التي أصابت الجميع بموته ، يقول فيها :

تـــوفّي حـــافظ ركـــن الـــبلاد ... وخلـف حسـرة لي في الفـؤادِ
وقـد ضـاقت عـلي الأرض ذرعـاً ... بـما رحبـت ولم تـسع البـوادي
وســاء الحـال منـي حـين وافى ... بنـا نعـي الفتى البطـل العـمادِ
لقـــد كنـــت المقـــدّم في المزايـــا ... من الخيرات يا قطب النوادي
وكنـــت القائـــد المدعـــو فينـــا ... فمـــن نختـار بعـدك للقيـاد ؟
ســلاح للمـشاكل كنـت قـدماً ... ومصباح البحوث بكل وادي

(١) انظر : الشيخ حافظ بن أحمد الحكمي حياته وآثاره ، سعود بن صالح السيف : ٥٧ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

وفي كـل العلـوم مـددت باعـا　　وهمتـك العليـة في ازديـادِ [1]

ثـم يـشير بعـد ذلـك إلى الـذين افتقـدوا المرثـي ، وهـو مهيـع الـشعراء القـدماء في رثائهم للعلماء ، فأول من حزن على هذا العالم هي الكتب ، وأول مـن بكـاه هـي المنـابر ، التي طالما رقاها واعظاً وخطيبا ، وذلك في قوله :

بكتـك منـابرٌ وبكتـك كتـبٌ　　وطـرف الخـل أمـسى في سهـادِ

بكـاك العلـم والعلمـاء طـرا　　وأربـاب الحجـا أهـل الرشـادِ [2]

وفي سنة ١٣٨٩هـ تـوفي عالمـان جليلان ، أولهـما كـان ذا أثـر عظيـم عـلى جـازان وأهلهـا ، وإن لم يكـن منهـا ، وثـانيهما كـان ذا أثـر عظيـم عـلى المملكـة العربيـة الـسعودية بأسرها، هذان العالمان هما الشيخان عبد الله بن محمد القرعاوي ، ومحمـد بـن إبـراهيم آل الشيخ ، ففي شهر جمادى الأولى من ذلك العام توفي الـشيخ القرعـاوي الداعيـة المجاهـد الذي قضى قسماً كبيراً من حياتـه في جـازان ومـا حولهـا مـن مـدن ، يـدعو إلى الله ، ويـأمر بالمعروف وينهـى عـن المنكـر ويبني المـدارس ، وينـشيء حلقـات العلـم ، فنفـع الله بـه ، وتخرج على يديه كثير من طلبة العلم ، وأصلح الله به كثيراً من الأمور ، وأزال به المفاسـد والبدع والخرافات، وقد بذل في سبيل ذلك وقته وماله وجاهه [3] ، ولذلك لمـا مـات رثـاه كثيرون من محبيه من شعراء جازان ، لا سيما تلاميـذه والمقربـون منـه ، والمتـأثرون بنهجـه وطريقته ، ومنهم الشاعر جبران بن محمد قحل ، فقد رثـاه بقـصيدته (أيـسقط الطـود) ، بدأها بتصوير الفادحة وهول الخطب على عادة الشعراء في مثل هذا الموقف ، وفيها يشير إلى تعجبه من إصابة الموت لخيار القوم وعظمائهم ، فبينما هـو بـالأمس مـلء العـين إذ بـه

(١) فرجة النظر : ١ / ٤٣ ، ٢٠٠ .

(٢) المصدر السابق : الصفحات نفسها .

(٣) انظـر : جهـوده وسـيرته في : الـشيخ عبـدالله بـن محمـد القرعـاوي ودعوتـه في جنـوب المملكـة العربيـة السعودية ، موسى حاسر السهلي .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

بين عشية وضحاها في رمسٍ قد غيب وافتقد ، ثم يتذكر حتمية الموت ، فيفزع إلى الرضى والقضاء والتصبر ، يقول في قصيدته :

فقدت نفسي وما حولي لما أجد وضاع صبري وحل الحزن والكمد
تكاد دنياي من هول تميد أسى أيسقط الطود شيخ الجيل يفتقد
من كان يدري بأن الموت من ولع يختار منا جياد القوم ينتقد [1]
قد كان بالأمس ملء العين وا أسفًا أن يصبح اليوم ترب القبر يلتحد
لا ساخطاً بقضاء الله أرفضه لكنه الحزن عبر النفس يختضد [2]

ثم يتطرق الشاعر بعد ذلك إلى مناقب الشيخ القرعاوي وأياديه البيضاء ، وأهم إنجازاته ، وأنه لم يأت إلى جازان باحثاً عن رزق فيغنى ، أو فارا من خوف فيسلم ، ولكنه جاء بالحب والدعوة ، وللخير والبناء ، يقول :

هذي أياديك ترى وهي شاهدة بما صنعت فنعم العامل الوئد
دعوت للخير ما كلّت عزيمتكم ولم تبال بما تلقى وما تجد
وهانت النفس في دنياك غايتها أن يعبد الله جل الواحد الصمد
هل جئتنا بضمور البطن متصفاً أو جئت من فرق الدهماء ترتعد
كلا ، فما كان منك الجوع ذا صلة بما بذلت ولا الشاكي لما رصدوا
لكنه الحب في خير دعوت له ورحت تدعم ما أوضحت تستندُ
مضيت تبني صروح العلم شامخة مقوضاً لذرى الإشراك معتمدُ

وفي آخر القصيدة يعلل الشاعر كثرة الباكين على القرعاوي ، بأنه حديث شكر ، ولغة عرفان لجميل الرجل الذي سعى إلى طرد المنكرات ، ووأد البدع والخرافات ، فنعم الناس ، وحل الخير بسبب ذلك ، وأن شعره وكلماته المتواضعة لا تفي بحق الشيخ الكبير :

(١) انظر الحديث عن هذه القضية في مبحث (المعاني) في الباب الثاني (الدراسة الفنية) .
(٢) التاريخ الأدبي ، العقيلي : ٣ / ١٩٠٢ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

فـاليوم أرضي بفـضل الله وارفـةٌ　　ظلالهـا وغـدا الـشيطان ينطـردُ
فـإن بكتـك عيـون فهـي شـاكرة　　يـا مـن بفقـدك كـاد القلـب يفتئـدُ
ومـا عزائـي بقـول الـشعر أنظمـه　　ولا القوافي بحـق الـشيخ تنفـردُ[1]

وممن رثاه الشاعر علي بن قاسم الفيفي بقصيدة طويلة ، مطلعها :

مـصابك أدمـى فـؤادي الحـزين　　وفاضت لـه مـن عيـوني عيـون[2]

وفيها يقول :

ومـــا المـــوت إلا لنـــا ســـنة　　ومـــن ذا الـــذي تركتـــه المنـــون
ولكـــنّ عبـــد الله في رزئـــه　　مـصاب جـسيم بـدنياً وديـن
أيـدرون جـثمان مـن شـيعوا　　ومـن ذا الـذي فـوقهم يحملـون
أيـدري الثـرى مـن بـه غيبـوا　　وهـــل نـــيراً عـــادةً يـــدفنون
أحقـــاً بـــه ثاقبـــاً ألحـــدوا　　ومنـه الـردى كـان للملحـدين[3]

وفي شهر شعبان من عام ١٣٨٩هـ توفي الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ – رحمه الله – ، فرثاه كثير من الشعراء ، منهم الشاعر عبد الله بن علي مطيع[4] ، بقصيدة عنوانها (دمعة الأسى) ، وفيها يقول :

ودعـــت بـــدراً آفـلاً بـين الـورى　　واللحـد أمـسى بالفقيـد معطـرا
نبـأ ســـرى عـــبر الدنـــا متألمـــاً　　يا قارىء الأخبار قل لي ما جرى
يـا مرجـع العلـماء والفتيـا تحيـ　　ـاتي تفـوح عليـك مـن أم القـرى

(١) المصدر السابق : ٣/ ١٩٠٢ – ١٩٠٣ .
(٢) الشيخ عبدالله القرعاوي ، موسى السهلي : ٧٣ .
(٣) المصدر السابق : ٧٥ .
(٤) هـو عبـدالله بـن علـي مطيـع ، ولـد بقريـة الـشمهانية بمنطقـة جـازان ، كـان مـن أوائـل الطـلاب الـذين درسوا بمعهد صامطة العلمي ، ثم التحق بكلية الشريعة بالرياض ، وتخرج منها سنة ١٣٨٤هـ ، ثم عين قاضياً بجازان ، ثم انتقل إلى محكمة الشقيري ، وعين سنة ١٤١٥هـ قاضي تمييز بالرياض ، لـه كثير من القصائد وأكثرها في المناسبات . انظر ترجمته في : فرجة النظر ، للشعفي ١/ ٣٢٨ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

فلكم نشرت من العلوم جواهراً في مسمع الدنيا وقد طاب السرى
يا روضة العلماء زهرك ذابلٌ هلا سقاك الدمع حين تفجرا
عشت الحياة حياة كل مودع بقناعة وكسيت تاجاً أخضرا
ولئن رثيتك في قصيدي ضارعاً فالله أرجو أن تنال الكوثرا [1]

ثم بعد ذلك يبتهل الشاعر إلى الله ويسأله أن يجزي الشيخ خيراً ، وأن يرحمه ويغفر له، وينزله مع الأنبياء والصدقين والشهداء وحسن أولئك رفيقا.

ولشعراء جازان مراثٍ كثيرة في العلماء غير ما ذكر ، فالشيخ محمد بن عقيل بن أحمد عالم جازان رثاه من الشعراء علي مديش [2] ، وعلي دغريري [3] . والشيخ علي بن محمد صالح عبدالحق رثاه الشيخ محمد عقيل [4] . وعالم الظبية الشيخ حسن الحازمي رثاه الشاعر أحمد بن علي عبدالفتاح الحازمي [5] ، والشيخ حسن الكبيشي عالم بني مالك ومحافظة الدائر رثاه الشاعر علي بن يحيى بهكلي [6] . وغير ذلك من المراثي كثير ، وهي يشبه بعضها بعضاً في أفكارها ، وطريقة عرضها إلى حد ما .

(١) فرجة النظر : للشفعي : ١ / ٣٣٠ – ٣٣١ .

(٢) نبض القوافي : ١٣٩ .

(٣) هو علي بن يحيى دغريري ، ولد بقرية الدغارير سنة ١٣٣٤هـ ، ودرس على يد الشيخين القرعاوي والحكمي ، وتقلّد وظائف متنوعة ، آخرها مراقباً لأوقاف أبي عريش .وله قصائد مخطوطة كثيرة . انظر ترجمته في : فرجة النظر : ٢ / ٤٨ .

(٤) هو محمد بن عقيل بن أحمد بن محمد بن عقيل ، ولد بجازان سنة ١٣٣١هـ ، وأخذ العلم عن والده والشيخ حافظ الحكمي ، ثم عين مدرساً في ثانوية معاذ بن جبل بجازان ، له كثير من القصائد ، جلّها في المراثي والإخوانيات . توفي في جازان سنة ١٤١٢هـ . انظر ترجمته في : التاريخ الأدبي لمنطقة جازان، للعقيلي ٣/ ١٥٠٦ ، وفرجة النظر ، للشعفي ٢ / ١٨١ .

(٥) قصيدة مخطوطة توجد لدى الباحث ، دون رقم .

(٦) هو علي بن يحيى بن محمد البهكلي ، ولد في مدينة الرياض سنة ١٣٨٨هـ ، ودرس في المعهد العلمي بجازان ، ثم التحق بكلية أصول الدين بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية فرع الجنوب ، فحصل على البكالوريوس منها سنة ١٤٠٩هـ ، يعمل الآن موجهاً تربوياً بإدارة التعليم بجازان ، له أشعار كثيرة ، وديوان معد للطباعة . انظر ترجمته في : معجم البابطين للشعراء العرب المعاصرين ٣/ ٥٩٦ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

د – رثاء الأدباء والأصدقاء :

يمثل رثاء الأدباء والأصدقاء في شعر جازان نصيباً كبيراً من شعر الرثاء ، فقد تأثر الشعراء بموت زملائهم الأدباء ، سواء أكانوا من بيئتهم ، أم من مشاهير الأدباء في الوطن العربي ، فالشاعر محمد بن علي السنوسي رثى عدداً كبيراً من الأدباء ، مثل أحمد أمين[1] ، والعقاد[2] ، وعلي محمود طه[3] ، وضياء الدين رجب[4] ، وأحمد قنديل[5] ، ومحمد حسن عواد[6] ، وعبدالقدوس الأنصاري[7] ، ومحمد سرور الصبان[8] ، وعلي أبو طالب[9] وغيرهم . والشاعر محمد العقيلي رثى محمد السنوسي[10] ، ومحمد حسين زيدان[11] ، والشاعر علي النعمي رثى أحمد شوقي[12] ، والأخطل الصغير[13] اعترافاً بفضلهما في عالم الأدب ، وتقديراً لمكانتهما في دنيا الشعر . ولما توفي محمد السنوسي رثاه أكثر شعراء جازان، ولو جمع ما قيل فيه من مراثٍ لجاءت في كتاب ، فبين يدي مما قيل في رثائه إحدى وعشرون قصيدة .

ونلمح في رثاء الشعراء للأدباء أنهم بعد حديثهم عن الخطب الجلل الذي زلزل كيان الشاعر ، يتطرق الشاعر إلى منزلة ذلك الأديب ، معرفا بفنه ، وأهم ما يميز مذهبه الأدبي ، مع الإشارة إلى أهم آثاره ، ومميزات شخصيته ، ومن ذلك قول محمد السنوسي في رثاء العقاد :

---

(١) الأعمال الكاملة : ١١٣ .
(٢) المصدر السابق : ٣٧٣ .
(٣) شعراء الجنوب : ٩٠ .
(٤) الأعمال الكاملة ، : ٧٤٣ .
(٥) المصدر السابق : ٧٨٧ .
(٦) جريدة البلاد ، ع ٦٤٢٣ في ١١/ ٦/ ١٤٠٠هـ .
(٧) جريدة المدينة ، ع ٨٦٩٤ في ٥/ ٧/ ١٤٠٣هـ .
(٨) الأعمال الكاملة : ٦٠٠ .
(٩) المصدر السابق : ٧٤٧ .
(١٠) المجموعة الشعرية : ٦٧٢ .
(١١) المصدر السابق : ٦٩٤ .
(١٢) جراح قلب : ٨٤　والتاريخ الأدبي : ٣ / ١٨٩٣ .
(١٣) التاريخ الأدبي ٣/ ١٨٩٣ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

عـــاش للفكـــر عيـشة الزهـــاد وهـــو في ثـــروة مـــن الأمجـاد
ثـــروة ثـــرة مـــن العلـــم والجـسـ ـــم تجـلى بهـا رفيـع العمـاد
كان في الشرق قلعة من قلاع الفكـ ـــر جبـارة لـصد الأعـادي
لم يكـــن ينحني لغـير جـلال الـ ـــحق والحـق منطـق العقـاد
كـم لـه مـن يـد علـى اللغة الفصـ ـحى وتاريخها تـبز الأيـادي[1]

ثم ينتقل من تعداد مناقب العقاد إلى وقع المصيبة القوي على قلبه ؛ لفقد ذلك العلم الشامخ ، لكنه يستدرك فيقول :

لا لـــم يمـــت أبـــو العبقـــريا ت النـشاوى والترجمـات الجيـاد
قـــد يغيـــب الـــسنى وتبقـــى (م) مجاليه هدى للعصور والآباد[2]

وفي رثائه لمحمد حسن عـواد نـوّه بمنزلته في عـالم الأدب والنقـد ، وأظهـر أبـرز ملامح شخصيته ، المبنية على المفارقات ، فقلمـه قـاسي ، وقلبـه رقيـق ، وجسمه قـصير ، وعلمه طويل، يقول :

كـان مـن نفـسه الكبـيرة في حـصـ ـن حصين عـن الهـوى والمطـامع
وبـنى فكـره عـلى الفـن صرفـاً لا يـداجي فـلاح كـالبرق لامـع
الـصديق الحبيـب منـه قـريب بـسجاياه وهـو في النقـد شاسـع
لا يداجيـــه أو يداريـــه في الآ داب والفـن رأيـه الحـق صـادع
خلـــق زانـــه شبابـــاً وشيخـــاً وتحلـى بـه ومـا زال يافـع
قلـــم في يديـــه قـــاسٍ وقلـــبٌ بين جنبيه رقة الطفـل راضـع
القـصير الطويـل جـسماً وعلمـاً والمجلـي وإن بـدا غـير فـارع[3]

(١) الأعمال الكاملة : ٣٧٣ – ٣٧٥ .
(٢) المصدر السابق : ٣٧٥ .
(٣) قصيدة (العواد الأديب المصارع) ، جريدة البلاد ، ع ٦٤٢٣ في ١١/ ٦/ ١٤٠٠هـ نقلاً عن محمد بن علي السنوسي حياته وشعره ، القسومي : ١٣٠ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

ومن الذين رثوا الشاعر محمدَ بن علي السنوسي الشاعر علي بن قاسم الفيفي بقصيدة عنوانها (ضيف حق ليته لم يزر) ، تحدث فيها عن ريادته للشعر في جازان ، وما له من مكانة لا يمكن سدّها ، يقول :

يـا أبـا يحيـى الـسنوسي ويـا　　صنو شوقي والعلا والبحتري
آلمت فرقاك يا للموت من　　ضيف حق ليته لم يزرِ
كنت فينا يا أبا يحيى ويا　　فخر جازان كمثل البصرِ
رائداً أربى على أترابه　　ذائع الصيت النبيه العبقري
كنت ذا باع طويل واسع　　في مجال الشعر والنقد الجري
بل لساناً ناطقاً عنا إذا　　ما اختفى عَنّا خدينُ المنبرِ[1]

ومن قصائد الرثاء الجيدة التي قيلت في رثاء السنوسي ، قصيدة محمد الشنقيطي (وداعاً يا سنوسي) ، وفيها جمع بين التفجع والإعجاب ، والحزن والإكبار لسجل المرثي الحافل بالإنجازات سواء الأدبية أم العملية ، يقول فيه :

عظيم في البداية والنهاية　　وراحل في معيته العناية
أبا يحي تركت شتات صحب　　لهم في لطف معشركم حماية
أبا يحي عليك أصوغ شعراً　　يسجل من مدامعه الحكاية
أيا من قد عرفتك ألمعيا　　فكنت لجيلنا ألقاً ورايه
فكم ألقيت في بحر القوافي　　لآلىء فانتزعت بها الولاية
وكم أنجزت من عمل جليل　　وكنت مخططاً وعلى درايه[2]

ورثى الشاعر حسين الكريري الشاعر والأديب عبدالعزيز الرفاعي – رحمه الله – بمرثية تحدث فيها عن جهود الرفاعي الأدبية ، وفيها يقول :

(١) ومض الخاطر : ١٨١ .
(٢) قلب يتنفس : ٦٥ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

رفّت بك الأقلام فوق جناحها حتى وصلت من الذرى أعلاها
ونـزلت من عليائها متواضعاً فأنار نجمك أرضها وسماها
قد كنت في يوم الخميس حديقة أزهارها تسري بطيب شذاها
أعددت للأدب الرفيع منابراً شُمًّا سيبقى في الزمان صداها [1]

***

وبعد هذا العرض لقصائد رثاء الأدباء للأدباء ، نلمح أن هذا النوع من الرثاء قد تحول إلى مديح خالص ، أكثر من أي شكل آخر من أشكال الرثاء ، ولعل السبب في ذلك يعود إلى الدافع الذي حدا بالشاعر إلى أن يرثي ، وهو سيطرة منزلة المرثى الأدبية والفكرية ، ومكانته في الساحة الثقافية ، وهذا لا يمكن التعبير عنه إلا بالاهتمام بفضائل المرثي ومزاياه ، ولو استغرق ذلك جل القصيدة أو أغلبها ، كما في قصائد الكريري ، وعلي بن قاسم الفيفي، ومحمد بن أحمد العقيلي وغيرهم .

ومن أكثر قصائد رثاء الأصدقاء تعبيراً عما في نفس الشاعر من مشاعر الحزن والأسى رثاء الشاعر علي بن قاسم الفيفي لصديقه العالم والأديب أحمد بن علي عبد الفتاح الحازمي ، وقد بدأها الشاعر بالحديث عن الحادث الجلل ، والمصاب الفادح بوفاة الحازمي قائلاً :

إنـــه رزءٌ جـــسيم آدنـــا يـا لـرُزْء ومـصابٍ فـاقرِ
فـادح العـبء ثقيـل وقعـه بـالغ الـضُّرِ مُهيـلٍ غـائرِ

وتوقف الشاعر طويلاً عند مناقب الفقيد وأعماله التي قام بها خير قيام ، لا سيما القضاء وتمثيله لبلاده عندما كان دبلوماسياً أيام الحرب اليمنية ، فقد ضحى بحياته أكثر من مرة ، وسجن كثيراً وهو يدافع عن بلده ، فيقول :

يـا أبـا البـدر وكـم في شخصكم قد فجعنا بشريف طاهرِ

(١) عزف على أوتار الحب : ٣٤ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

وأخـــي فهـــم وبـــرٍّ وتقـــى　　طـود علـم مـشمخرٍّ آسـرِ
ألمعـــي في القـــضا فهامـــة　　لعـويص ينجلـي أو ماكـرِ

*　　*

كـم لكـم مـن موقـف قمـت بـه　　في قـضايا حاضـر والغابـرِ
لم تهـب هـول المنايـا أحدقـت　　أو تضعـضع لعـدوٍّ غـادرِ
كـــم ليـــال بـــت في زنزانـــة　　في فم الموت وعبـد الناصـرِ
وإذا كنـــا فقدنـــا شخـــصكم　　فلنا فيكم جـزاء الصابـرِ [1]

هـ - أنواع أخرى من الرثاء :

وإضافة إلى رثاء الـشعراء لملـوكهم وأقـاربهم وعلمائهـم وأصـدقائهم مـن الأدبـاء والمفكرين، وجدنا أن هناك مظاهر مـن الرثـاء متفرقـة في أشـتات مـن المعـاني ، لا يمكـن ضمها تحت إطار واحد ، أو فئة معينة ، ومـن هـذه المظـاهر مـثلاً رثـاء الـدول . فلـشعراء جازان قصائد كثيرة بكوا بها دولة الكويت التي أراد العراق محوها من الخريطة ، وضمها إلى حوزته، فتوقف الشعراء يرثون تلك الدولة التي شرد أهلهـا ، وتفـرق شـملها ، وتحولـت بين عشية وضحاها من دولة عامرة لها مكانتها وقوتها وسمعتها ووجودها إلى أثر بعد عـين ، ومن تلـك المراثـي قـصيدة الـشاعر عـلي النعمـي التـي تحـدث في بـدايتها عـن معـالم الكويـت الشامخة ، وأمجادها السامقة في تساؤلات وحالة ذهول واستغراب ، يقول :

كويتُ أيـن صروحُ العلـم شامخـةً　　وأيـــن إبـــداعُ فنّـــانٍ ورســـامِ ؟
أيـن الثقافـةُ أيـن الفكـر أيـن أرى　　(تاج العروس) تجلى لـ(ابن بـسامِ)؟
أيـن الـصحافة في رأي وفي خـبر　　وفي مقـــالٍ وتعليـــق وإفهـــامِ ؟
وأيـن أغـلى ليـال بالـصفا عـبرت　　وأيـــن أحلـــى ســـويعات وأيـــامِ ؟

(١) ومض الخاطر : ١٨٤ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وأيـن أيـن ريـاض فيـك يانعـة وحافـلاتٌ بأغـصانٍ وأكمـامِ؟
وأيـن أيـن ولاأحـصي لهـا عـدداً أزهـى ظـلالٍ وأنـداءٍ وأنـسامِ؟

وفي فورة إحساس الشاعر بالحزن والألم الذي يعتصر فؤاده ، تهب عليه نسمات أمل في عودة الكويت إلى سابق عهدها ، ورجوع أهلها على مركب سريع ، شبيه بتلك المراكب التي اعتاد أهل الكويت ركوبها ، وإنشاد مواويلهم عليها ، وهم عائدون من رحلات صيدهم، وكأن الشاعر يبصر ذلك المشهد ، ويتأمله ، ويسمع صداه وجلبته :

أكـاد أسـمعُ (عـدنا ياكويـت عـلى ظهـر السفينة) مـن إنـشاد نهّـامِ
والصوت يمتـدُّ بـا(لهُولـو) مزمجـرة و(الـدان) تـزأر في حـبر وأقـلامِ
كويت ما أتعس الدنيا وأرخصها إذا غدا الكلب موصوفاً بضرغامِ[1]

وفعلاً قد تحقق ما تمناه الشاعر أو تخيّله ، وعاد الكويتيون إلى بلادهم ، وعادت الكويت إلى سابق مجدها ، وماضي مكانتها بين العرب والمسلمين ، ولم يجن المعتدون سوى الخيبة والفشل ، والاندحار والهزيمة .

ومن مظاهر الرثاء ، رثاء الشهداء الذين وهبوا أرواحهم على أكفهم ، وقدموها فداء لأوطانهم وأمتهم ، وقد أخذ هذا اللون من الرثاء حيزاً لا بأس به في شعر جازان ، ومن الأمثلة على تلك القصائد رثاء الشاعر علي النعمي لسناء محيدلي الشابة اللبنانية التي احتلت موقعاً متميزاً في ديوان الشهداء والشعراء العرب ، وقد رآها الكتاب والشعراء حالة نادرة في كتاب الشهادة ، جاءت في ذروة المقاومة اللبنانية ضد قوات الغزو الإسرائيلي في منتصف الثمانينات ، فقد كانت عند استشهادها في السابعة عشرة من عمرها ، لذلك فإن حالة عامة من العطف والإعجاب قد سادت الكتابات والأشعار التي خصتها بالتحية والتمجيد .

(١) لعيني لؤلؤة الخليج ، كويت الملحمة : ١٨ – ١٩ ، و(الهولو ، والدان) موالان خليجيان يردّدهما صيادو الأسماك واللؤلؤ يتضمنان معاني الحنين وشحذ العزائم .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

ومن القصائد المهمة في صياغة هذه التجربة الاستشهادية الفذة قصيدة علي النعمي (سناء الشهيدة) ، بدأها بحديث عن التمازج العاطفي بين سناء وأرضها ، والوداع الصامت الذي تحدثت فيه الدموع ، ليست دموع الخور والإحساس بالفراق والنهاية ، ولكنه بكاء أمل وسؤال عمن سيحرر الأرض ، ويحرر الإنسان من الظلم ، ثم يصور الشاعر لحظة ودعت سناء أرضها بأحلى قبلة ، يقول متحدثاً عن لبنان في قلب سناء :

حملتــه في خفقــة القلــب جُرْحــا　　نازفــاً وارتمــت تقبــل جيــده
مــا بكــت خشية الفــراق، ولكــن　　بكــت الحــر مــن يفــك قيــوده
من يشيل الدموع من عين ثكلى　　وحزين بالوقفــة الصنديدة ؟
ومــضت تلثــم الجنــوب وداعــاً　　وتغني لــه بأحلــى قــصيدة (١)

إن تلك القصيدة التي تغنت سناء بها ، وذلك الوداع كان حباً وفداءً منها لوطنها، حيث فجرت نفسها بين أعدائها ، وقتلت عدداً من اليهود ، إنه مشهد انطلقت سناء فيه وهي ترتدي أعوامها ، وتخبىء الجنوب في خلاياها ، كانت تحفظ أحزانه ، ثم تصوغها ألحاناً، كانت ذاهبة إلى موعد وهي تعرف أنها تفتح في جدار الموت نافذةً تطل على الحياة ، اشترت الموت وهي تتقدم إلى المواجهة الحاسمة لتوهب لها الحياة ، وصور الشاعر نداءات سناء وأهدافها من ذلك الصنيع ، فقال :

وتنـــــادي إذا تنــاثـــــر فيـــــه　　لحم جسمي .. فقد رسمتُ حُدُوده
وبلحمــي المنثــور عــدت زعافــاً　　في حلــوق الــشراذم الرعديــدة (٢)

وبينت سناء أنها مع كل ذلك فهي لم تمت ، ولن تموت حتى وإن تناثر لحمها ، وحتى وإن غدت رماداً ، أو خبراً في صحيفة ، إنها باقية في لبنان تروي قصة المأساة ، وتعيد للناس ، وتبدي كثيراً من الدروس المستفادة في الدفاع عن الحقوق المسلوبة من

(١) جراح قلب : ١٤٤ .
(٢) المصدر السابق ، الصفحة نفسها .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قبل الأعداء ، وأنها في يوم استشهادها ينبغي أن يفرح أهلها ، ومن حولها ، والمحبون لها، فذلك هو يوم زفافها ، وعليهم أن يلبسوا لهذا العرس أجمل ثيابهم ، يقول النعمي متحدثاً بلسان سناء :

فافرحوا ، وافرحوا بحفل زفافي والبسوا للقا الثياب الجديدة
لا تخافوا أن قد غدوت رماداً أو مقالاً مُحرَّراً في الجريدة
أنا ما زلت في المنصة أروي لحبيبي الجنوب درس الوئيدة
وهو يصغي إلى حديثي ويهفو لعناقي له بآهٍ عميدة (١)

وفي ختام القصيدة يعاهد الشاعر سناء الشهيدة بأن الجميع رجالاً ونساءً سيسيرون على نهجها ، وأن أرضها ستبقى لأهلها ، وستعود يوماً ما ، عهد قطعه الشاعر لسناء مكافأة منه لها ، واعترافاً ببطولتها ، وإعجاباً بفدائيتها :

لك عهد ألا ننام رجالاً ونساء على الجراح الشديدة
لك عهد أن الجنوب سيبقى وطن المجد يا (سناء الشهيدة) (٢)

***

وإضافة إلى ذلك ، فهناك قصائد متفرقة في رثاء الكتب ، ورثاء النفس ، وغير ذلك، فالشاعر محمد الشنقيطي تعرض منزله في جازان لحريق أتى على كل شيء فيه ، وقد حزن الشاعر جراء ذلك حزناً شديداً ، ولم يكن حزنه على ما ذهب من مال أو ذهب ومجوهرات، أو أثاث وزخارف ، ولكن حزنه كان على مكتبته الكبيرة والعامرة بكتب الأدب التي عشقها ، وقرأها ، وكتب عليها تعليقاته وذكرياته سواء وهو في بلده أو أثناء اغترابه في لندن لدراسة الماجستير في الهندسة ، وحزنه على احتراق كثير من قصائده التي كتبها بدمه ودموعه، وملأها بذكرياته وآهاته ، كل ذلك تبخر في ذلك اليوم الحزين ،

(١) المصدر السابق : ١٤٤ – ١٤٥ .
(٢) المصدر السابق : ١٤٥ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

ومضى أدراج الرياح مع الدخان واللهب ، فيا له من عمر ، ويا لها من حياة تضيع فجأة هباء ، يقول مصوراً تلك المأساة ، ويرثي مكتبته المحترقة :

مـــا المـــال أحزنـــني ولا　　مـا ضـاع فيـه مـن الـذهب
أو ضـــاع مـــن ثمـــن الجـــوا　　هـــر والـستائر والخـشب
أســفي عــلى سلــواي مـــن　　كتـــــــــــــب الأدب
همـــشتها بيـــدي بأمـــصا　　ر الفرنجـــة والعـــرب
وقـــصائد لحنتهـــا بـــدم　　ودمـــــع ينـــــسكب
الذكريـــات البـــيض آلـــت　　داكنات في الـدخان وتلتهب
عمـــر يـــضيع فجـــاءةً　　بـين الرمـاد أو الحطـب[1]

أما الشاعر أحمد الحربي فقد تجاوز كل أنواع الرثاء ، ورأى أن نفسه التي بين جنبيه هي أولى بالرثاء ، وذلك تصويراً منه لمدى معاناته ، وما لاقاه في حياته ، ورثاء النفس مسلك في شعر العرب مألوف من أيام مالك بن الريب إلى أيامنا هذه ، ولكن شاعرنا رثى نفسه التي قتلتها الغربة ، ووأدتها المعاناة والإحساس بالحرمان ، ولذا فقد حُفِر قبره ، وكتبت عليه عبارات الرحمة يقول :

غربة تسكن ذاتي
منذ أن سكن (الكوخ) عيوني
وعلى أرصفة الجوع حياتي
تتلوى من رصيف لرصيف
غربة تحمل ذات الغرباء
لم أجد كفاً على راحتها
أرسم وجهي ..

(١) قلب يتنفس : ٨٥ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

لم تدعني أرضع اللقمة
من ثدي الرغيف
فمضت راحلتي تحفر قبري
وعلى صدر ضريحي
كتبت قبل رحيلي
كتبت
(رحم الله الفقيد) !! (١)

ثم يوغل في توهم انتقال روحه من هذه الحياة ، ويصف معاناته مع الموت المتخيل في محاولة لإقناع القارىء أنه فعلاً أصبح في عداد الموتى ، وهو فعلاً يستحق الرِّثاء ، ها هو ذا يحكي هذه التجربة الفريدة التي لم أجدها حتى في شعر الذين وصفوا معاناتهم الحقيقية مع المرض ، وصراعهم في لحظات النهاية ، يقول :

غرق الصمت بحلقومي
وسالت في لهاتي
سكرات الغرغرة
سرحت صدري
غدواً ورواحاً
حشرجات وقفت في الحنجرة
وارتعاشات فؤاد
سكنت خلف النشيد
غير أني
قبل أن تلتف ساقاي

(١) تقاسيم على جذع نخلة الوادي : ١٦ – ١٧ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

لففت الساق بالساق

وأشرعت ذراعي لرفات المحبرة [1]

ولكن الشاعر لما مد يده إلى المحبرة ليكتب ما يجد من معاناة ، لم يجد إلا بقايا من قطرات حبر فيها ، ولم يستطع أن يكتب في تلك اللحظات السطر الأخير من حياته ، فيا له من عمر قد احترق ، ولهذا فهو يستحق أن يعزى ، وليكن هو أول المعزين لنفسه الراحلة ، يقول :

ويراعي وقفت ريشته ثكلى

على أول حرفٍ

قبل أن يكتب في السطر الأخير

هكذا العمر احترق

أحسن الله عزائي

أحسن الله عزائي في الفقيد !! [2]

(١) المصدر السابق : ١٧ – ١٨ .

(٢) المصدر السابق : ١٧ – ١ ٨ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ثانياً - قضايا ركز عليها الشعراء في رثائهم :

هنا قضايا ومضامين انصبَّ عليها اهتمام الشعراء ، وتوقفوا عندها كثيراً في مرثيّاتهم، ومن تلك المعاني أو المضامين :

أ – الحديث عن النفس :

بتأمل قصائد الرثاء نجد أن الشعراء قد أكثروا من الحديث عن أحوالهم بعد الحدث المؤلم ، فوصفوا أنفسهم وما آلوا إليه وصفاً دقيقاً من جميع الزوايا ومختلف الجوانب ، وجاء الحزن القاسم المشترك الأول عند الشعراء ، وتشابهوا في الحديث عنه ، وتقاربت أفكارهم تقارباً واضحاً ، ولعل مرد ذلك إلى أن طبيعة النفس الإنسانية في مثل هذه الأحداث متقاربة، إن لم تكن واحدة .

ومع أن الحزن مادة أساسية في قصائد الرثاء الذي نتناوله ، وهو الخيط الذي يلف أفكارها ، إلا أن الشعراء أكثروا من التصريح به ، بما يدل عليه ، معززين بذلك إحساس القارىء به ، إما بلفظه أو بألفاظ مرادفة كالأسى والكآبة ، ومن ذلك قول محمد بن علي السنوسي في رثاء والده :

حـــاطني يـــا أبي بفقـــدك ليـــل آدني طولـــه وأعيـــا سهـــادي
سـلب النـوم مـن جفـوني وأروى بفـؤادي جمـر الغـضـا والقتـادِ
أبتي أين منك طـرف بعثـت النـو ر منـــه في مهجـــتي وفـــؤادي
صـــور تبعـــث الأســـى وعهـــود أنـــا منهـــا في حرقـــة واتقـادِ (١)

ويخاطب حسين سهيل أمه في رثائه لها قائلاً :

أماه لو تدرين ما معنى النزيف
لو تعلمين مدى الأسى والحزن في قلبي الشفيف
لحملت عني بعض من همي الكثيف

* *

(١) شعراء الجنوب : ٤١ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

عشرون عاماً والأسى يغتالني حتى الضلوع [1]

وأكثر الشعراء من ذكر القلب المصاب ، والحشا المتقدة والكبد المتقطعة المشطورة ، ومن ذلك قول محمد مشاري في رثاء الملك فيصل :

الشعب من هول المصاب حزين　　فبكل بيت صرخة وأنين
وبكلِّ قلب حسرة تبدو على　　كل الوجوه وإن سلون تبين [2]

ويقول محسن بن أحمد السبعي [3] في رثاء الشيخ محمد بن إبراهيم النعمي :

خطب عظيم زلزلت أقدامنا　　لسماعه فالكل فينا مفجعُ
خطب تفطرت القلوب لهوله　　وتفجرت أكبادنا والأدمعُ [4]

ويعد البكاء من أهم مظاهر حزن الشعراء وتأثرهم به ؛ لأن الرثاء حزن وبكاء ولوعة وتفجع ، وقد أكثر الشعراء من الحديث عن العين والدموع وغزارتها ، وما أكثروا من هذا كثرة ملحوظة إلاّ لأنَّ الناس بعامة ، والشعراء بخاصة تعارفوا على أثر الدمع في إطفاء حرقة القلب ولظى الحشاشة ، وقد بكى ذلك العربي يوماً ، ودمعت عينه ، فعوتب ، فقال: عبرة لو لم تسقط لانصدعت كبدي .

والمصطفى ﷺ يقول : ((إن العين لتدمع والقلب يحزن)) ، فالشاعر أحمد بهكلي يصور بكاء الناس وحزنهم على الملك فيصل بقوله :

هل أعزي الشآم والنيل باكٍ　　وعيون الفرات بالدمع شكرى
ويضج البكاء في مسمعي من　　رَبْع عَمَّان أو منازل بُصرى

---

(١) أشرعة الصمت : ٥٦ .

(٢) التاريخ الأدبي لمنطقة جازان ، العقيلي : ٣ / ١٨٨٢ .

(٣) هو محسن بن أحمد محسن السبعي ، ولد بقرية العالية سنة ١٣٥٦هـ ، وحصل على دبلوم معهد الدراسات الإسلامية العالية بالقاهرة ، وحصل على الماجستير من القاهرة ، عمل مفتشاً إدارياً في إدارة تعليم صبيا ، له مشاركات ثقافية وأدبية ، وله أشعار جيدة . انظر ترجمته في : التاريخ الأدبي لمنطقة جازان ، للعقيلي ٣/ ١٨٩١ ، وفرجة النظر ، للشعفي ٢/ ٢٨٢ .

(٤) المصدر السابق : ٣ / ١٨٩١ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ولـصنعاء آهـةٌ لـو وعتهـا أذني أصبحـت تَجَلَّـلُ وقـرا
وقـف الحـزن كاتبـاً بيـد الغـد ر عـلى أوجـه المحبـين سِفْـرا
والمآقـي سفائـنٌ في بحـور الـ ـوجـد ينثـر الدمـع نـثرا
إيـه يـا لهفـة المحبـين إني إن تزايـدت أستميحك عـذرا
كلفيـني البكـاء والألـم الـ ـمغدق إني بندب حبي أحرى
فالمـصاب الجليـل هتـك أسـ ـتار التأسي فلم يذر فيه سترا [1]

ويقول علي مديش في تصوير دموعه الغزار التي هملت على ابنته الخنساء :

يـا ابنتـي الخنـساء دمعـي سـائل فوق خدي مثل ما سحب همِيهْ
ذرفـت عيـني وقلبـي خاشـع ورضـاء الله غايـات الطويَّـهْ [2]

***

وبالرغم من غزارة دموع الشعراء على مرثييهم ، وعدم بخلهم بها ، فإنهم شعروا بأنها لم تشف غليلهم ، أو تبل صداهم ، فلم يكتفوا بما سكبوه ، فقطعوا العهد ، وعقدوا الأيمان على الاستمرار في ديدنهم هذا ، وهذا العهد هو رمز وفاء لمن أحبوا .

فالشاعر مهدى الحكمي [3] في رثائه لصديقه ورفيق دربه أبي الزبير المسملي يعاهده بأن لا ينساه ، وأن يظل دوماً سميره ومؤانسه ، وأن لا يسلك مسلكاً مما كانا

(١) طيفان على نقطة الصفر : ٧٨ – ٧٩ .
(٢) نبض القوافي : ١٤٢ – ١٤٣ .
(٣) هو مهدي بن أحمد محمد الحكمي ، ولد في قرية مزهرة بمنطقة جازان سنة ١٣٨٦هـ ، وأتم دراسته بمدرسة القرية الابتدائية ، ثم واصل دراسته الإعدادية بمتوسطة معاذ بن جبل بجازان ، والثانوية بمعهد جازان العلمي ، ثم التحق بكلية اللغة العربية بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية فرع الجنوب ، وحصل على البكالوريوس منها سنة ١٤١٠هـ ، ويعمل حالياً مدرساً بمعهد جازان العلمي، وهو عضو فاعل بنادي جازان الأدبي ، وشارك في كثير من الأمسيات الشعرية ، وله ديوان شعر مطبوع بعنوان (لا تسلني عن جراحي) . انظر ترجمته في : معجم البابطين للشعراء العرب المعاصرين ٤/ ٨٥٨ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

يسلكانه معاً إلا وتذكره فيه ، فيقول متبعاً هذا الكلام لحديث الدموع والبكاء الذي لم يجده شيئاً ، ففزع إلى العهود:

بالدمع أشكو غربتي ومخاوفي　　بالدمع أندب حالتي وتوجعي
بالشعر أرثي من أحب وإنني　　رطب الفؤاد إذا ذكرت مودعي
عاهدت قلبي أن أبث مشاعري　　وأبث آلامي وفيض تجرعي
عاهدت بسمتك التي أودى بها　　قدر إلى ما ليس بالمتوقعِ
عهد علي بأن تكون مسامري　　ومؤانسي حتى ألاقي مصرعي
عهد –أخي– فلا سلكت مسالكاً　　للخير إلا كنت –ياخلدي– معي[1]

وفي قصيدة أخرى يقول :

ما نسيناك ولن ننساك يا ثكل سميَّه
ما نسينا عهدك الوارف بالجدِّ وعزمات أبيَّه[2]

ونلمح أن هناك شعراء سيطرت عليهم بعض المواقف العاطفية الخاصة ، واستأثر أحد المقربين منهم بنصيب كبير من أشعارهم ، ولم يستطيعوا التخلص من سيطرته على مشاعرهم وأشعارهم ، فدوما يتذكرونه ، وكلما خفت ذلك الإحساس تذكروه مع أول فاجعة تحل بهم، حتى لكأنما هي وقود يشعل تلك الجذوة التي سترها الرماد ، فالشاعر علي مديش توفي ابنه عمار وهو في عز شبابه ، وكان مناط أمله ، وكانت فيه مزايا عديدة تؤهله لأن يكون ذا شأن ، فلما مات حزن عليه والده حزناً شديداً ، ويظهر ذلك في أنه كلما توفي قريب للشاعر ورثاه لا يمكنه أن يتخلص من ذكرى ولده عمار ، ويشير إلى أن عماراً لم تزل ذكراه حرقة في الفؤاد ، وغصة في الحلق ، ففي رثائه لابنته الخنساء وهو في قمة حزنه تذكر عماراً ، فقال:

(١) لا تسلني عن جراحي : ١٥ .
(٢) المصدر السابق : ٢٧ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

يـا إلهـي كـم فقدنـا غاليـاً واحتـسبناه لـدار أخرويـه
في ليـالي الـصوم عـمار مـضى وسلكت الدرب بالنفس الزكيه [1]

والشاعر علي بن يحيى بهكلي رثى صديقه وحبيبه ورفيق دربه ، وزميل دراسته عبدالله المسملي الذي قضى في حادث مؤلم رثاه بقصائد كثيرة ، وكان كلما رثى صديقاً أو قريباً تذكر عبد الله المسملي في تذكر لا شعوري سيطر على نفسيته ، ودل على قوة الصلة التي كانت بينهما التي وصلت إلى أن يكونا روحين ارتبطتا ، فذهبت إحداهما وتبعتها الأخرى ، فعاش الشاعر بعد ذلك جسداً بلا روح ، ها هو يرثي شيخه حسن الكبيشي، ولكنه يتذكر في أثناء مرثيته هذه صديقه المسملي بقوله :

ما زلت أبكي فراق المسملي أخي عمري أرجي له الفردوس أبتهلُ
قد كان روحي فلما أن مضى ارتحلت روحي ولم يبق إلا الجسم ينجدلُ[2]

ويتصل بالعين ودموعها ، سهرها وعدم إغماضها ، ومن ثم أرق الشاعر وسهاده ، وهذه صورة أخرى من حال الشاعر الذي آل إليه بعد الحدث ، وأكثر الشعراء من هذا المعنى للتدليل على أرقهم وقلقهم ، مستخدمين ألفاظاً متشابهة أو متقاربة ، فالسنوسي في رثاء والده يقول :

رددت صـوتي الـسماء ولم أسـ ـمع جواباً فمن تراني أنادِ ؟
وملأت الفضاء جهشة باكٍ رجعتها الرياح في كل وادِ
رحمت مهجتي غلاظ الصخور الـ ـصّم واستعطفت فؤاد الجمادِ
وسرى عاصف الرياح يبث اللـ ـيل شجوي وزفرتي ونهادِ
وتدجى الدجى الكثيف بجلبا ب التياعي وسابغات حدادِ [3]

(١) نبض القوافي : ١٤٣ .
(٢) قصيدة مخطوطة في رثاء الشيخ حسن الكبيشي ، توجد لدى الباحث ، بدون رقم .
(٣) شعراء الجنوب ، للسنوسي وآخرين : ٩٦ – ٩٧ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

والشاعر علي بن حسين الفيفي توفيت أمه وهو صغير ، فوصف تلك الليلة الطويلة والموحشة التي وجد نفسه فيها وحيداً دون أم ترعاه ، فبات ليلة صعبة ، ملؤها الدموع والأحزان والآهات ، فها هو يصف ذلك اليوم الذي توفيت فيه أمه وليلته :

والبيـــت يبـــدو موحـــشاً　　كالليـــل مـــسود النـــواحي
وشـــعرت أني مثـــل طـــير　　صـــار مقـــصوص الجنـــاحِ
والحـــزن يعـــصر مهجتـــي　　وكأنـــه وقـــع الرمـــاحِ
وأتـــى المـــسا وكأنمـــا　　(م)　الأشـباح في كـل الـضواحي
وكـــأنما جـــاءت تطوقنـــا　　وتبـــدو فـــي جمـــاحِ
والـــسهد سامـــر مقلتـــي　　وجـــدت بالـــدمع المتـــاحِ
والليـــل طـــال ولا أرى　　فجـراً يطـل بنـور ضـاحي
يـــا أشـــأم الأيـــام في　　عمـري فتكـت بـلا سـلاحِ
تلـــك المـــصيبة هولهـــا　　في الـنفس لا يمحـوه مـاحِ
فـــإذا بكيـــت مـــدى الحيـــا　　ة فـما عـلي مـن جُنـاحِ[1]

وصور الشعراء مشاعر الوحدة ، والوحشة ، والغربة النفسية على حياتهم بعدما فقدوا الأنس والأنيس الذي اختطفته المنايا ، فمهدي الحكمي يصف مشاعره الصادقة بعدما فقد أخاه وصديقه وحبيبه عبد الله المسملي ، فوصف وحدته ووحشته بعده قائلاً :

وحدي أناجي الليل أرسم لوحة　　من هوله ، فتذوب عند المطلع
وحدي مع الأيام أجتر النوى　　وأمج زيف رحيقها المتنوع
وحدي مع الآهات يأسرني الأسى　　والحزن يقتلني ويقلق مضجعي
يا سلوتي في الذاهبين وبغيتي　　في القادمين ومؤنسي في مجمعي
يابسمتي يا لوعة القلب الذي　　أضناه فقد أبي الزبير اللوذعي[2]

(١) زائر الأمس : ١٠١ – ١٠٢ .
(٢) لا تسلني عن جراحي : ١٤ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ولما رحلت أم حسين سهيل عن هذه الحياة تركته في وحدة ومعاناة يقاسي بمفرده معاناة الحياة ، ويتجرع المرارة ، حتى وإن بحث عنها وناداها بالصوت الذي كان يناديها به من قبل فتجيب حبيبها ، ها هو الأن ينادي ، ولكن لا مجيب :

أمـــاه مـــا طعـــم الحيـــاة بغـــير أم أو حنـــان
لمـــا رحلـــت تركتنـــا مـــا بـــين أنيـــاب الزمـــان
نتجـــرع الكـــأس المريـــر وتلتقـــي فينـــا الـــسنان

* *

أمـــاه كـــم ناديـــت يـــا أمـــاه لكـــن لا مجيـــب
غـــير الـــصدى يرتـــد موصـــول النحيـــب
لا ، لـــن تعـــود وقـــد غـــدت طـــي الغيـــوب (١)

وقريب من تلك المعاني جاء في رثاء عيسى جرابا (٢) لوالده ، حيث سيطرت الذكريات على الشاعر .

* * *

ب – الحديث عن شخصية الميت :

ومثلما بكى الشاعر نفسه ، وندب حظه العاثر لموت قريبه وصديقه ومليكه ، وتحدث عن دموعه الغزار ، وأرقه المحدق به ، فإنه بكى كذلك الميت ممثلاً في شخصيته

(١) أشرعة الصمت : ٥٦ – ٥٧ .

(٢) هو عيسى بن علي جرابا ، ولد عام ١٣٨٩هـ / ١٩٦٩م في قرية الخضراء الشمالية بجازان ، تلقى تعليمه الابتدائي في المدرسة الابتدائية في الخضراء ، ثم التحق بالمعهد العلمي في ضمد ، وبعده التحق بكلية اللغة العربية بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض . يعمل مدرساً في معهد صبيا العلمي ، نشر أشعاره في بعض الصحف المحلية ، وتناول شعره عدد من النقاد منهم يحيى المعلمي ، والدكتور حسين بن علي محمد في جريدة المسائية ، وشارك في بعض الأمسيات الشعرية ، والملتقيات الأدبية والثقافية . له ديوان شعر مطبوع : (لا تقولي وداعاً) ، وله ديوان آخر يُعد الآن للطباعة . انظر : معجم البابطين ٣ / ٧٠٠ – ٧٠١ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

التـي غابـت وأفلـت ، وتغنـى بمناقبهـا وخـصالها ، فلـم يكتـف الـشعراء ((**بتـصوير شعورهم الحزين ، بل يضيفون إليه إشادة بالميت ومناقبـه**)) [1] . وهـذا أمـر مستحسن في الرثاء ، كما يقول المبرد: ((**فأحسن الشعر ما خلط مدحاً بتفجع**)) [2] .

وبتأمل تأبين شعراء جازان لمن رثوهم – كما مر في الحديث عـن المرثيين – يتبين لنا أن قصيدة الرثاء قد تحولت في هذا الجانب إلى مدحة ، وهـم في ذلـك يترسـمون خُطا الشعراء العرب الآخرين ، وقد قال قدامة من قبل : ((**تأبين الميت إنما هـو بمثـل مـا كـان يمدح به في حياته**)) [3] .

والفضائل التي تحدث عنها شعراء جازان ، وتوقفوا عندها في مرثياتهم هي تلـك الفـضائل التـي لهـا قيمـة في المجتمـع ، وتحظـى بتـوقيره ، وهـي : البطولـة ، والـشجاعة ، والنخوة ، والشهامة ، ونصرة الإسلام ، وحب النـاس ، ومـساعدة الـضعفاء ، والجـود ، والكرم في رثاء الملوك والأمراء ، وزاد الشعراء في رثاء كل شخصية ما تميزت به .

فالملك عبدالعزيز موحد الجزيرة وباني نهضتها المعاصرة قـد ولى ، والملـك فيـصل رائد التضامن الإسلامي ، ومحرر الرقيـق ، والرجـل الـذي نفـخ في العـرب العـزة عنـدما سل سيف النفط في وجه الأعداء ، والملك خالد رحـل بعـد أن وهـب أبنـاء شـعبه حبـه ، وبذر الخير فيهم، وأعطى عطاءً منقطـع النظـير ، وحلـت في أيامـه المسـرات والانتعـاش الاجتماعي والاقتصادي والتقدم في كل الميادين .

وفي رثاء العلماء أشاد الشعراء بالدور الذي اضطلعوا بـه ، والمسؤوليات الجـسام التـي قـاموا بهـا مـن أجـل رفعـة الـدين ، وإصـلاح النـاس ، ودلالاتهـم عـلى الـصراط المستقيم، وجهودهم في نشر العلم ، ومحو الجهل ، حيث ظهر ذلك في ما قيـل مـن مـراثٍ في حافظ الحكمي ، ومحمد بن إبراهيم ، والقرعاوي .

---

(١) الرثاء ، شوقي ضيف : ٥٤ .

(٢) التعازي والمراثي ، المبرد : ٢٧ ، نقلاً عن : رثاء الأبناء في الشعر العربي ، مخيمر صالح : ٣٤ – ٣٥ .

(٣) نقد الشعر ، لقدامة بن جعفر : ٣٣ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ومن مناقب الأصدقاء حفظ العهود ، والوفاء ، والصدق في الصداقة ، ومن ذلك ما قيل في رثاء علي النعمي لصديقه علي حمود أبو طالب ، وفي رثاء السنوسي لصديقه محمد سعيد بامهير ، ورثاء علي بن قاسم الفيفي لأحمد بن عبد الفتاح الحازمي .

ومن مناقب الأدباء وفضائلهم تميزهم عن سائر الناس برقي عقولهم ، وسعة ثقافتهم وإثراء فكر أمتهم ، والتحليق في عالم الإبداع والثقافة ، والنهوض بالأمة ، وإعادة سابق مجدها ، وغير ذلك ، كما في مرثيات السنوسي للعقاد ، وأحمد أمين ، والصبان ، وعبدالقدوس الأنصاري ، وفي مرثيات العقيلي للسنوسي ، ومحمد حسين زيدان ، وغيرهما[1].

ولكن بتأمل الشعر الذي قيل في رثاء المرأة أو الأطفال والشباب ، نجد أن بعض الشعراء قد وقعوا تحت تأثير حالة من الحزن ، وصدمة كبيرة صرفتهم عن الحديث عن الميت وفضائله ، ولعل السبب في ذلك هو لكون ذلك النوع من الرثاء صعباً على الشاعر، لاسيما في رثاء الأبناء ؛ لعدم نضج الفضائل أو المناقب لديهم – كما مر – ومع هذا فهناك بعض الشعراء قد تجاوزوا هذه الصعوبة ، فتخطوها ، وأثبتوا نجاحهم عن طريق ما يسمى ببكاء الأماني الضائعة التي كان الشاعر يحلُم بها ، ويصبو إلى أن يحوزها [2] . ولذلك يشعر بحسرة كبرى ؛ لأن قدر الله قد نفذ .

وإذا استعرضنا هذه الفضائل نجدها هي ذاتها التي ذكرها الشعراء الآخرون الذين رثوا أبناءهم الكبار ، أو العظماء من الرجال ، فالشاعر علي مديش ركز في مراثيه لابنه عمار على الآمال التي كان يتمناها ، والأحلام التي بناها في ابنه ، فهو يقول :

كذاك عمار ذو دين وذو أدب وبالمكارم ذكر دائم عطرُ
فيه الرجولة إن أبدى مقابلة فيه الوفاء وفيه الجود والبصرُ

(١) انظر تفصيل الحديث عن هذه الفضائل والمناقب في مبحث (المرثيون) ، فقد سبق بيان ذلك هناك ، ولا داعي لإعادته هنا .

(٢) انظر : رثاء الأبناء في الشعر العربي ، د. مخيمر صالح : ٣٧ وما بعدها .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

كـم كنت آمل أن أحظـى برفقته　　بين الأشاوس إن هم في الـوغى حضروا
وأن أراه مــع الأقيــال موقفــه　　يعلـو بـه الأهل إذ تحلـو بـه السيرُ
لكنهــا سنــة الرحمــن جاريــة　　فعنـد بارئـه الإسعـاد والظفـرُ[1]

وشعراء جازان في رثائهم وتأبينهم كانوا يركزون على الصفات المعنوية ، أما الصفات الجسمية فقد اختفت ، إلا ما كان من أنموذج أو أنموذجين ، يتحدث فيهما الشاعر عن جمال المتوفى وحسن وجهه وانه كالذهب ، ويصف الضحكة الصافية الخالية من التملق، وذلك في مثل قول محمد بن علي السنوسي في رثائه لضياء الدين رجب ، حيث يقول :

مــا عرفـت البـشر في رجـل　　وجهــه مــن بـشره ذهــبُ
كمحيـــاه وقـــد لمعـــت　　فيــه مــن إشراقــه شهــبُ
حـــين ألقـــاه فيغمـــرني　　باللقـــاء العـــذب منـــه أبُ
ضاحـــك في وجهـــه ألـــق　　من صفاء النفس ينسكبُ[2]

ويظهر ذلك أيضاً في رثاء علي مديش للملك فيصل – رحمه الله – ، حيث وصفه بأنه أنحل جسمه التفكير في هموم الأمة ، فيقول :

وأنحـل الجسـم تفكـير لأمتـه　　كي يجعل الشعب في عال من الرُّتب
ويجعـل المسلمين الغـر قاطبـة　　رهـن العقيـدة في جد وفي لعب[3]

ج – التعزي والتأسي :

إذا كان الصبر والتجلد والرضى بالقضاء والقدر هو موقف عامة شعراء جازان، فإن التأسي والعزاء محاولة كانت منهم للوصول إلى ذلك الموقف ، وهو مستوى يعين الشاعر على أن يتحول من إنسان أدمته المصيبة وهزته الفجيعة ، إلى إنسان لملم أحزانه ،

(١) نبض القوافي : ١٣٥ .
(٢) الأعمال الكاملة : ٧٤٦ .
(٣) نبض القوافي : ١٢٥ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وهدأ من انفعالاته ، واستقرت نفسه ، وإذا كانت مضامين الرثاء الأخرى أو أجزاؤه ذات صبغة عاطفية بحتة ، فإن التأسي عن الحدث ذو صبغة عقلية ممزوجة بالمنطق والتأمل والتفكير ، وإن لم يفقد روح العاطفة .

فالتعزي يساعد على التخفيف من وطأة الحدث ، ويعين على الوصول إلى حالة من الاستقرار في نفس الشاعر ، وبخاصة أن تعزية الشاعر لنفسه وتأسيه لها ، يفوق في الأثر كثيراً تعزية الآخرين له ؛ لأن الدافع في الحالة الأولى ذاتي داخلي ، وفي الحالة الأخرى خارجي ، ليس مضمون الأثر كالذي يأمل المعزِّي إحداثه في نفس الشاعر ، وهذه الحالة الأخرى يصدق عليها قول أعرابية عزاها الأصمعي في ابن لها ، فردّت عليه بقولها :

يؤسي المؤسي ثم يمضي لشأنه ويبقى المؤسى في أحر من الجمر
لأن المؤسي عنده إلف روحه وإلف المؤسى في ضريح من القبر (١)

ولشعراء جازان في مراثيهم معالم كثيرة ، وطرائف مختلفة من التعازي ، فالشاعر محمد بن علي السنوسي يعزي نفسه في وفاة والده بحتمية الموت لكل حي ، وأن الجميع سيشرب من هذا المورد ، وتلك سنة الله في خلقه ، فيقول :

كلنا رائح على الموت غادي وعيون القضاء بالمرصاد
ومجاز هي الحياة فسيا ن مخب أو سائر في اتئاد
سائق الركب غير ناء عن الركب ولا حائد عن الركب حاد
نحن والدهر والمقادير والأ يام أنضاء حلبة وطراد
سنة لم تدع لقلب مريض شبهاً في حقيقة الميعاد (٢)

وأحياناً تكون التعزية من الشاعر بالتأمل في عظيم إنجاز المرثي ، وما قدمه من خدمات لمجتمعه ، ويرى أن ذلك الصنيع يخفف من وقع المأساة ووطأة المصيبة ، ومن ذلك صنيع السنوسي في مرثيته لصديقه محمد بامهير ، حيث جعل إنجازات الرجل خير

(١) حماسة الظرفاء ، لأبي محمد الزوزني : ١١٤ ، وانظر : رثاء الأبناء في الشعر العربي ، د. مخيمر صالح : ١٢٠ .
(٢) شعراء الجنوب ، للسنوسي وآخرين : ٩٦ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

عـزاء لجـازان وأهلهـا ، وقـد كـان للمرثـي دور كبـير في إيـصال المـاء إلى جـازان وحـل مشاكله، يقول :

فقدتـه الـبلاد أحـوج مـا كـا　　نـت إليـه فـضلاً ونـبلاً وفكـرا
عظـم الله أجـر جـازان فيـه　　فهو فيها من أعظم الناس أجـرا
جاءها تـاجراً فمـا صـرَّ دينـا　　راً ولا كـدس الخزائـن تـبرا
بـل أتاهـا والمـاء مأساتهـا الكبـ　　ـرى فعبـى لهـا الجهـود وكـرا
خاض من أجلها الصعاب ولم يهـ　　ـدأ وقاسى لها من العيش مُرّا
والعظيـم العظيم من تـرك النـا　　س حيارى وعاش كـاللغز سِرّا (١)

والشاعر علي مديش يعزي نفسه في وفاة أخيه محمد بماله من ذكر حسن عند الناس، وثناء الناس عليه ، فيقول :

أبا عماد عزائي فيك ما شهدت　　عيني من الناس في بيت ومقبارِ
وما سمعت بـأذني من دعائهمُ　　ومـن رجـاء لتـوابٍ وغفَّـارِ
بـأن يجازيـك خـيرات بجنّتـه　　وأن ينجيك ربي ظلمة النارِ (٢)

وأحيانـاً لا يـدري الـشاعر مـن يعـزي لهـول المـصاب وعمومـه ، وكثـرة مـن يستحقون التعزية في وفاة المرثي ، فالشاعر أحمد البهكلي في رثائه للملك فيصل – رحمه الله – لم يدر من يعزي ، هل يعزي المحراب ، أم أماني الأمة ، أم مكة منطلق التضامن ، أم القدس التي حلم المرثي بتحريرها ، فيقول :

كـان في كـل خـافق أمـلاً يـا　　رب فاغفـر لـه وأجزلـه أجـرا
وأعـني فإنـني لـست أدري　　من أعـزّي فيمـن فقدنـاه طُـرَّا؟!
أ أعزي المـحراب وهـو انتحـاب　　حين يُضحي ضحى ويصبح فجرا ؟

(١) الأعمال الكاملة : ٢٨٥ .
(٢) نبض القوافي : ١٤٤ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

أم أعـزي المـنى وكانـت تغـني لحنهـا الراحـل المجلـلَ فخـرا ؟
حرت هل أبعث العزاء إلى مكـ ـة والقدس تسْطرُ الدمع سطرا ؟
والـبراءات هـل أعـزي ؟ وعيـ ـن النبل والمجد يا إلهي عَبْرى [1]

والشاعر علي النعمي لا يدري – أيضاً – من يعزي ، فالمصيبة عمت في وفاة ابن عمه علي بن محمد النعمي ، فيرجع بعد ذلك إلى تعزية نفسه ، فهو من أعظم الناس به مصيبة :

نعـزي فيـك مـن منـا ونرثـي لمـن منـا بـدمع جـدّ صـال ؟
نعـزي فيـك أنفـسناً لأنـا بفقـدك في ذهـول واعتـلال
لقـد جمعتنـا حيـاً وميتـاً كأنـك لم تـزل بـين الرجـال
وقـد كنـا نعـدك للرزايـا ونـستهدي برأيـك في الليـالي [2]

وسلك بعض الشعراء في تعازيهم لأنفسهم غبطتهم لذلك المرثي الراحل ، وبيان أنه ارتاح من هذه الحياة المليئة بالمكدرات ، وأنه غادر دنيا الأسى والمآسي ، فهذا خير تعزية ، وأفضل سلوان له ، يقول إبراهيم صعابي في رثائه لأمه ، معزيًّا نفسه :

يكفـي فـؤادي مـدى الأيـام تعزيـة بأنكِ ارتحتِ من دنيا الأسى النَّتنِ [3]

وخير عزاء للشاعر مهدي الحكمي في وفاة صديقه عبد الله المسملي أنه جاور ربه ، وترك هذه الدنيا القبيحة ، يقول :

فعـزاي أن جـاورت أكـرم مـانحٍ وتركـت دنيانـا أذى المستنقع [4]

وانطلاقاً من رؤية إسلامية ، نهج كثير من الشعراء في تعزيتهم لأنفسهم طريق الصبر والاحتساب ، وأن خير عزاء لهم في أحبابهم وأصدقائهم ، هو أنهم يفدون على

(١) طيفان على نقطة الصفر : ٧٦ – ٧٧ .
(٢) فرجة النظر : ٢ / ٣٥ .
(٣) وقفات على الماء : ٦٩ .
(٤) لا تسلني عن جراحي : ١٥ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

كريم ، وأن صبرهم عليهم خير من البكاء والسخط الذي لا يجدي ولن يجدي ، يقول الشاعر علي النعمي في تعزيته لنفسه بوفاة صديقه الحميم علي بن محمد الحازمي :

هي الكأس المريرة كلُّ نفسٍ　　وإن عافت ستُدفعُ للشرابِ

وما كان البكاء لنا عزاءً　　ولكنّ العزا في الاحتسابِ[1]

وانطلاقاً من تلك الرؤية – أيضاً – فقد وجد الشعراء في وفاة النبي – ﷺ – عزاءً وتسلية لهم في وفاة المقربين منهم ، فمصيبتهم بوفاة الرسول الكريم أدهى من مصيبتهم بأحبابهم ، ومن ذلك قول علي مديش في رثائه لوالده :

لكنني في مصابي لست ذو جزع　　إذا ذكرت نبيِّ سيد الأمم

ويظهر من تعزية الشعراء لأنفسهم الأثر الصادق للرضى بالقضاء والقدر ، ويدل على جانب مضيء مشرق في نفوسهم ، قادر على أن ينشل النفس من اليأس المطبق، الذي ولدته الفجيعة إلى الإيجابية والحيوية .

* * *

(١) جراح قلب : ١٧٠.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

خامساً - الحنين :

الحنين في اللغة هو الشوق والتَّوْق [1] .

وفي الاصطلاح الأدبي ، هو حزنٌ وذبولٌ يغشيان عدداً من الناس في حالة ابتعادهم عن الوطن ، ويفجران في نفس الفنان أو الشاعر إنتاجاً وجدانياً رهيفاً ، كما يتجلى ذلك في شعر المهجريين .

ولم يعد الحنين في الشعر المعاصر مقتصراً على ذلك المفهوم الذي ألف في الشعر القديم، حيث يصور حنين الإنسان إلى وطنه ومربع أُلاَّفِه ، بل أخذ الحنين حيزاً أكبر من الشعر العربي المعاصر ، فتوسع مفهومه ليشمل معاني كثيرة ، وممن أشاروا إلى هذا المفهوم الواسع الدكتور جبور عبدالنور ، حيث يقول في تعريفه للحنين : هو ((**توق إلى أمر ، أو مثل أعلى غامض الملامح يَبْرزُ في النفس الحساسة ، فيبتعث فيها ألماً لعجزها عن تحقيق أمنيتها ، وينجم عن هذا الشعور اعتقاد بأن بلوغ الغاية لا يتأتى إلا في مجتمع فاضل ، أو في عالم آخر . ويبرز هذا النوع من التوق الماورائي في كثير من آثار الفنانين ، وبخاصة لدى الرومانسيين**))[2].

ولذا سيكون الحديث عن الحنين في شعر جازان شاملاً : الحنين إلى الوطن ، والحنين الناشيء عن الاغتراب ، والشعور بالقلق ، والإحساس بالألم بشتى صوره وأشكاله ، والحنين إلى الآمال المحجوبة بالعوائق الاجتماعية أو المادية وغيرها ، وذلك على النحو الأتي :

أولاً - الحنين إلى الوطن :

يرتبط الإنسان ، أي إنسان بالأرض التي ولد عليها ، وشب فيها ، ويتوثق ارتباطه بها مع كل سنة يحياها عليها ، فإذا ما أحسَّ أنه فارقها ، فإنه يتألم بشدة لفراق ولده ووالده وأمه وزوجه ، والشعور تجاه الوطن شعور إنساني عام ، فكل إنسان يغادر

(١) المعجم الوسيط (حنَّ) ٢٠٣٠ .

(٢) المعجم الأدبي ، لجبورعبدالنور : ١٠٠ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

أرضه – مكرهاً– تذرف عينه الدمع ، ويحسّ قلبه بالألم ، ويعبر عن ذلك بتعابير شتى منها الشعر [1] .

والشاعر العربي حن لوطنه منذ القدم ، وسفح الشعراء دموعهم لفرقة ديارهم، واستمر الحنين استمرار الشعر في كل القرون ، فكلما تغرب شاعر عبر عن تجربته الشعورية في اغترابه .

ولشعراء جازان مشاركة واسعة في شعر الحنين إلى الوطن ، لا سيما أولئك الشعراء الذين قضت عليهم ظروفهم بالرحلة عن مساقط رؤوسهم ، ومراتع شبابهم ، ومناط ذكرياتهم ، وسواء أكانت تلك الرحلات لطلب العلم في حواضر المملكة العربية السعودية ومدنها الكبرى ، أم للعمل فيها عند بداية الانتعاش الاقتصادي ، وبروز مناطق الجذب الوظيفي في تلك المدن الكبيرة كالرياض وجدة والدمام .

وعند تأمل شعر الحنين إلى الوطن ، نجد أن الشعراء قد سلكوا مسالك شتى في تناولهم له ، من حيث الكثرة والقلة ، والعمق والسطحية ، والصدق وحرارة العاطفة أو التقليد والمجاراة .

فالشاعر عبدالله الفيفي في حديثه عن الحنين أشار إلى الفلسفة القديمة التي أشار إليها الشاعر القديم ، حينما قال :

وما حبُّ الديار شغفن قلبي ولكن حب من سكن الديارا

فهو يقول في إحدى قصائده : إن ما أصابه من داء وحنين ليس حباً للديار لذاتها ، ولكن الحب هو للناس الذين يحلونها ، ولكنه يبالغ في حديثه ، ليقول : إن الإنسان قد فطر على الحنين حتى قبل تخلُّقه في بطن أمه ، وذلك في قوله :

وما بك من داء الفراق فليس من معـــزَّةِ دارٍ أو مـــودَّةِ رَوْنـــقِ
بل الحُبّ حبّ الناس ممن أَلِفْتَهم وقد تمزجُ الحُبّين كأسُ المُعتَّقِ

(١) انظر : الحنين إلى الوطن في الأدب العربي إلى نهاية العصر الأموي ، محمد حوّر : ١٨ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وقـد فطـر اللهُ الحنـينَ بخلْقِـه فقد يشتهي الإنسانُ إذ لم يُخَلَّقِ[1]

ويشير إلى ما تقدم عند أول الحديث عن الحنين إلى أن كل إنسان له أرض يحنُّ إليها وتأرز إليها نفسه ، وتأبى فراقها ، حتى وإن شقيت فيها ، فهي لها محبة ، فكأن النفوس قد مزجت دماؤها من تلك الأرضين ، أو خلطت أرواحهم بنفحات من هوائها ، وهو بذلك يجسد هذا الحب العجيب بين الإنسان وأرضه ، ويفلسف الحنين والشوق الذي يعيشه هو والشعراء الآخرون ، بل وكل بني البشر ، ذلك الشوق والهوى الذي يعجز الشعر عن وصفه أصلاً ، فيقول :

وكـلٌّ لـه أرضٌ تحـنُّ لهـا الحـشا وتـأبى فراقـاً عـن ثراهـا وتتقي
وما إنْ ترى في الكون أطيبَ منزلاً وما تلق فيها من شقـاءٍ تعشَّقِ
كـأن بهـا منهـا دمـاء .. ونفحـةً من الروح أو فيها عناصر تلتقي
وبي من هواها ما يجـلُّ عـن الهـوى وما لا يُطاقُ البوحُ فيه بمنطقِ[2]

والشاعر أحمد البهكلي وصف في إحدى قصائد ديوانه (الأرض والحب) الذي ملىء بشعر الحنين اللافح ، وصف فيها ذلك العشق بين الإنسان والأرض التي تعلّق بها ، ذلك العشق والحب الذي تتسامي به النفوس عن السفاسف ، إنه الحب النبيل في نظره ؛ لأنه حب خالٍ من مصالح الذات ، بعيد عن الأنانية ، فالفتى المحب لبلده مهما نأى ، ولو وطأت أقدامه الأفلاك ، فلا بد له من عودة ، وأنه لا غنى له عن أرضه ، وفي هذه القصيدة تظهر العاطفة الصادقة في لغة الشاعر ، التي يكثر فيها من حديث الذات بضمير المتكلم ، فيقول :

سوى أنني أحببت والحبُّ والدٌ يطهّر عن أبنائه الحقد والغدرا
ومن عرف الحبَّ النبيلَ وعاشه فقد عاش من دنياه عُمْرين لا عُمْرا

(١) إذا ما الليل أغرقني : ٨٨ .
(٢) المصدر السابق : ٨٩ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

وإنــك يــا هــاتي الجنوبيــةُ الــتي　　قَسَرْتُ زماني كي أ لاقِيها قَسْرا
ألست تَرَيْنَ الراحلَ الصَّبَّ قد ثوى　　يُقبّلُ تُرْباً فيك قد أرخصَ التِّبْرا ؟
وينسابُ في شبه انذهالٍ وغفوةٍ　　كتوديعِ خِلٍّ لن يُرى مَرَّة أخرى
أتيتُك يا أرضي فهل لك في فتىً　　يحبُّك لا يبغي على حُبّه أجرا
أتيتُك هاتي ناظريكِ فناظري　　ملامح شخص هدَّه صَلَفُ المسرى
أتيتُكِ يا جازان من بعد فُرْقةٍ　　تعلّمتُ فيها ما تجاهلتُه غِرَّا
تعلمتُ أنْ ما للفتى غيرُ أرضه　　ولو وطئت أقدامُه فَلَكَ الشِّعرى[1]

والشاعر علي النعمي يفلسف حب الإنسان للأرض وعشقه لها ، مهما حصل بينه وبين ساكنيها من جفوة ، فلا بد للإنسان مهما نأى ، ومهما غاب ، لا بد له من العودة ، ولكنه يعجز عن إيجاد سبب ذلك ، ويرده إلى حكمة الله الخفية التي يصعب تفسيرها ، أو الاطلاع عليها ، فيقول :

نرضى ونغضب في أرجائها ولنا　　عود إليها بحكم الواحد الصمد
والحب للناس لا ينفك ديدنهم　　ما عاش في الأرض إنسان إلى الأبد
هذا وتلك كأن الله شاءهما　　لحكمة قط لم تظهر على أحد[2]

ونجد الشاعر النعمي في هذه القصيدة يتوقف عند ديوان (الأرض والحب) لأحمد البهكلي ، مكبراً حبه للأرض وولعه بها ، وهو حديث عن علاقة الشاعر بأرضه ، وحفاوة الأرض بما يبدع الشاعر فيها من حنين ، وما يفوه به من شوق وأنين ، يقول :

يا شاعر الأرض إن الأرض ذاهلة　　بعطرها في ربيع الحب والبردِ
لما ازدهى الحرف في أعطافها رقصت　　شوقاً وللحب مدت ألف ألف يدِ
تنعمت بأصيل حالم ، ومشت　　نشوى بما في حماها الدافىء الرأدِ

(١) الأرض والحب : ٣٢ – ٣٣ .
(٢) الأرض والعشق : ٧٤ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الحب في الأرض بعضٌ مـن تصورنا والأرض بالحُبّ حبلى الدهر لم تلدِ[1]

ويتساءل الشاعر عن ماهية إدراك الأرض لعاشقيها الكلفين بها ، هل تدرك ذلك ، وهل تعي حبهم لها ، ولكنه يطلب من البهكلي ألا يغرد كثيراً ، وأن يخفي هذا التغريد ما استطاع إلى ذلك سبيلاً ، وأنه قد غرد من قبل ، ولكن لم يسر بتغريده ، ولم تقابله الأرض ولا ساكنوها بالحفاوة ، وسبب ذلك هو الحسد والحقد ، فالأرض مليئة بالحب ، ولكن يحتاج من يخلصه من العوائق والموانع ، ولهذا فإن كثيراً ممن يتغنون بهذه الأرض يشدون بها وهم عنها بعيدون ؛ لأنهم لو عادوا لما وجدوا ما يطلبون ، والشاعر علي النعمي ينطلق في هذا من نظرة تشاؤمية ، وتجربة خاصة ، ملئت بالمرارة والآسى ، أراد أن يوصلها إلينا ، ولكن بأسلوب غير مباشر في حديثه عن ديوان البهكلي (الأرض والحب) ، يقول :

هل تدرك الأرض يوماً أن شاعرها غنى لها وبلحن رائع السند
متيمٌ ليس يدري كيف حل به خطب الغرام كأن قد شد بالمسدِ
غرد بعيداً فروض الأرض غادره سرب الطيور وللأعشاش لم يعدِ
ألفوا رياضاً إليها هاجروا فزكا غناؤهم بين أمس متلع لغدِ
الحب فيها ولكن من يخلصه يا صاحبي من نصال الحقد والحسدِ
ما باح طير بتغريد فسُرّ به إلا لاماً ، وإن يحسن وإن يجدِ
كم شاعر في هواها ذاب خافقه وَجْداً .. وكم من محب باء بالكمدِ؟
شداتها الكثر ما عادوا لها أبداً وإن أتوا فلأجل الأهل والولدِ[2]

وبتأمل شعر الحنين إلى الوطن لدى شعراء جازان ، نجد أنه مرتبط بالمكان الذي تؤازره بعض المؤثرات والمثيرات لهذا الحنين اللافح ، فالشاعر حسين الكريري

(١) المصدر السابق : الصفحة نفسها .
(٢) المصدر السابق : ٧٥ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

عندما يبصر شجر الأثل ، فإنه يحن إلى وادي خلب ، حيث ذكرياته الجميلة ، وتجربته الغرامية ، حتى لكأنما ذلك الأثل قد حل بفؤاده ، فيقول :

ولقد ذكرتك يا سليمى حينما　　أبصرت أثلاً في ضفاف الوادي
فذكـــرت أيامـــاً لنـــا بظلالـــه　　وكأنـــه أثـــلٌ نمـــا بفـــؤادي [1]

والشاعر علي بن حسين الفيفي الذي يتخذ من الطائف مقر سكن له ، جاءه أحد أصدقائه بمجموعة من الرياحين والأزهار الشذية التي تتميز بها بلاد فيفا ، فحركت تلك الباقات العطرية شاعريته ، وألهبت مواجعه ، وأذكت حنينه ، فقال قصيدة تعبر بصدق عن ذلك الشوق وذلك الحب المميز في حنيناته :

هـــبَّ النـــسيمُ مـــن الجنـــو　　ب وفيـــه رائحـــة الجنـــوبِ
فيـــه عبـــير الكـــاد مـــن　　فيفـــا وأشـــجان القلـــوبِ
وشـــذى حـــدائقها الـــتي　　تختـــال بالـــورد العجـــيبِ
عـرف الـورود ، ورود فيفـا　　ليـــس عـــني بالغـــريبِ
أزهارهـــا تجلـــي همـــو　　مـي وهـي في الأفـراح طيبـي
هـــذا نـــسيم الجـــانب الـــ　　ـــغربي مـــن بعـــد الغـــروبِ
همـس العـذارى فيـه والنـ　　ـجـــوى وتمتمـــة الـــرقيبِ
إنـــي أمـــيزه وأعـــ　　ـــرفه بأنفـــاس الحبيـــبِ
هـــذا النـــسيم أتـــى فهيـــ　　ج مـــا بقلـــبي مـــن لهيـــبِ
وأعـــاد لي ذكـــرى شبـــا　　بي والطفولـــة في المـــشيبِ [2]

(١) دموع لا يمسحها الزمن : ٩٨ .
(٢) الهمس الخافت : ٩ – ١٠ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ويتمنى الشاعر لو أنه يلثم هذه الرياحين ونسيمها ويبلغها ما به من لواعج وشوق ، وأن يعيدها إلى موطنها هناك في الجانب الغربي ، حيث الأهل والأحباب ، وحيث حقلها الخصيب ، فيقول :

ووددت لـــو أســطيع ألـــ ـــثمُه وأبلغُـــه الـــذي بي
وأعيـــده للجـــانب الـــ ـــغربي والحقل الخصيبِ [1]

ولذا لما أتيحت الفرصة لعلي الفيفي في العودة إلى فيفاء ، فإنه لم يستطع أن يخفي تعلقه بتلك المثيرات التي ربطته لا شعورياً بموطنه ، ومسرح ذكرياته ، بما فيه من خمائل وزهور ، وأشجار وطيور ، فيهمس إلى تلك ، ويناجي هذه ، ويتمنى لو يقبلها كما في قصيدته السالفة ، فيقول واصفاً ذلك اليوم المطير الذي عاد فيه :

وأتـــيت بلـــدتي التـــي تمتـــاز بالجـــو المطـــيرِ
وأكـــاد مـــن شـــوقي أقبّـــ (م) ـــل مـــا بـــدربي مـــن زهـــورِ
وأقبـــل الأشـــجار تقبيـــ ـــلاً يـــدل عـــلى سروري
وأكـــاد أهمـــس للخميـــ ـــل بكـــل سر في ضـــميري
والطـــير صـــداح بألحـــ ـــان الـــسعادة والحبـــورِ
ولكـــل طـــير منظـــر زاه وريـــش كـــالحريرِ [2]

ومما أذكى الحنين إلى الوطن لدى الشعراء ، البعد عن الأهل والأحباب ، فالشاعر إذا تذكر أهله وصحبه ، وإخوانه وألاّفه حنّ الحنين كله ، ووصله ذلك الحنين بوطنه ، وذكره بمواطن اللقيا ، فالحنين إلى الوطن – كما مر عند بعض الشعراء – ليس للأرض ذاتها، وإنما لمن هم يعيشون عليها ، فالشاعر أحمد بن يحيى البهكلي نشعر ونحن نقرأ قصيدته (قصيدة لأبي) بحرارة العاطفة ، ووهج الحنين الصادق ، حينما يغادر أبا عريش للدراسة بعيداً عنها ،

(١) المصدر السابق : ١١ .
(٢) أزهار : ١٥٨ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

ويخلف فيها أباه ، وهناك في الغربة يتذكر أباه ، فيحتويه السهاد ، فيشكو من ألم الفراق ، ويخاطب أباه مخاطبة الطفل الصغير الذي فقد أهم الأشياء إليه ، فيقول :

يـا أبي والبعـاد لا زال حيّـا　　والنَّوى قد هوى بفكري هُوِيّـا
يـا أبي والزمـان يهمي التياعاً　　وأنـا هـا هنـا أعيـش قـصيّا
يحتويني السهاد إن جن ليـل　　وهـو كـم فيـه مـن ينـام هنيّـا
وإذا ما الصباح زفّ إلى الكو　　ن الـسنى فالعنـاء زف إليّـا
يـا أبي طفلُـك الوديـعُ كـواه　　ميسمُ النأي في السويداء كيّـا (١)

ونلحظ هنا قدرة الشاعر على تكثيف لغة الحنين الخاصة ، والإكثار منها في محاولة لتصوير شدة ذلك النأي على مشاعره ونفسيته ، فكلمات (البعاد ، النوى ، قصيا، السهاد ، العناء ، ميسم النأي ، كيا) ، كلها تصف العناء والشدة التي لاقاها الشاعر المحب لوالده ، المشتاق إليه ، وكذلك تكرار كلمة (يا أبي) في مطالع الأبيات : الأول والثاني والخامس تشعر القارىء بأن الشاعر كان يحدوه الأمل ، وتطوف بذهنه الذكريات ، حتى لكأنما أباه قريب منه يسمعه ويجيبه .

وإذا كان البهكلي قد شكا فراق أبيه وحن إليه ، فإن الشاعر علي بن حسين الفيفي قد حن إلى ابنته في قصيدته (ابنتي) ، حيث يفصح فيها عن مكنون حبه ، وعميق شوقه ، وحالة نفسيته عندما يتغرب أو يغيب عن ابنته ، فقد شغلت فكره ، وملأت قلبه ، بل هي أكثر من ذلك ، إذ هي حياته ، فكيف ينفصل المرء عن حياته ونبض فؤاده ، ولذا لا غرابة أن تهمل عيناه بالدموع الغزار في لحظات الذكرى والحنين، والشوق الأبوي ، فيقول :

يـا ابنتي أنت ملؤ قلبي وفكـري　　أنت نبض الفؤاد أنـت حيـاتي
جعـل الله فيـك خـير المزايـا　　وصفـات تليـق بالفتيـات

(١) طيفان على نقطة الصفر : ٩ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وردة أنـــت غـضة وشذاهـــا مـن ريـاض جميلـة نـضرات
كلما غبت يا ابنتي عنك فاضت مقلتـاي بوابـــل العـــبرات [1]

ومثلما كرر البهكلي في حديثه عن أبيه كلمة (يا أبي) ، كرر علي الفيفي – هنا – كلمة (يا أبي) في حنينه إلى ابنته ، وهو ينطلق من المنطلق نفسه الذي قصده البهكلي ونزع إليه ، وهو النداء والإحساس بالشوق والصلة القوية وشدة الحرص على القرب ، والتمني وطغيان العاطفة الصادقة ، ومخاطبتها المتكرر بقوله : (أنت) ، و (فيك) ، و(عنك) جسد ذلك الإحساس اللاهب بمشاعر الصدق والقرب في العلاقة والمحبة ، على رغم البعد الممض ، والمسافات التي تفصلها لحظة النأي والفراق .

وشاع عند شعراء جازان الحنين إلى المحبوبة ، والشوق إليها عندما تفصل المسافات بين المحب وحبيبه ، فالشاعر حسين النجمي كان في القاهرة ، وكانت معه زوجته ، ولكنها رحلت لتتركه وحيداً في غربته يقاسي الآلام والأحزان ، فحنّ إليها ، وبعث إليها برسائل شوق ، يقول فيها :

دعيني هنا
أجرع الصمت
ألتحف البرد ، وأمضغ ملح السنين ..
فكل الثواني
وكل الأماني
غدت في عيوني .. حنين حنين ..
* *
دعيني فروحي استكانت
وكانت لغيرك لا تستكين

(١) زائر الأمس : ٨٩ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

فقد كنت زهرة عمري
وقيثار شعري .. وينبوع سحري
وقد آن أن ترحلي ..
لقد حان يا حلم عمري .. ويا عطر زهري
زمان الفراق
وعهد حنيني وعهد احتراقي (١)

والشاعر إبراهيم صعابي في حنينه إلى محبوبته يصرح بأنه قد برح به الشوق ، وشاهده على ذلك دموعه التي عبرت عن الصمت القاتل ، والحنين الذي لا يمكن أن يحتمل، ولا يسليه في ليله الطويل إلا ترديد الشكوى ، ومواصلة الآهات ، وترجيع المواويل الحزينة ، يقول :

هذا ابتداء الجرح في شفق الغيابْ
ينداح في صمت الحنين بأدمعي
يَتَقَاسم الشكوى معي
ويعانقُ الجمرَ الخجول .. ويستريح على
بقايا من كتاب
ويعود مكتئباً بلا وجه ولا بعض احتمالْ
يهذي بأغنية المساء مرجعّا
هذا اشتعالٌ لانتهاء
هذا ابتداءٌ لاشتعالْ (٢)

(١) عيناك في وقت الرحيل : ٣٦ .
(٢) وقفات على الماء : ١١٦ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وفي العلاقات الغرامية لا يقتصر الحنين في لحظات الغربة والنوى ، وإنما قد تعصف بالمحب عواصف الشوق ، ونيرانه الموجعة ، وهو قريب من محبوبه ، ولا يمكن أن يخفف من ذلك شيء ، فكلما رام المحب تصبراً وتماسكاً وصلابة ازدادت محبته ، والتهبت مواجعه بسبب دموع الحبيبة التي تزيد النار اشتعالاً ، والحنين اضطراماً ، ولا قدرة لدى الشاعر على الصبر ، فيكفيه ما يعانيه من قرب وبعد في آن واحد ، صدق عليه عنوان القصيدة (القريب البعيد) التي يقول فيها الشاعر علي بن حسين الفيفي :

سهَّد الشوق مقلتَّي وأضحت زفراتي تكاد تجتث قلبي
يعصف الشوق بي ويلهب ناراً في حشائي وأنت مني بقرب
كلما رمت أن أخفف ما بي من حنين إليك يزداد حبي
فاحبسي الدمع لا تزيدي غرامي وعذابي فما أعانيه حسبي (١)

والشعراء عندما يتحدثون عن حنينهم إلى وطنهم ، نجدهم يكثرون من الشكوى من كثرة السفر ومرارته ، ويتحدثون عن محاولاتهم في إلجام شهوة الترحال والتجوال في دواخلهم ، يتحدثون عن ذلك وهم يحزمون حقائب سفرهم عائدون إلى موطنهم ومهوى أفئدتهم ، فالشاعر إبراهيم مفتاح نلمح في شعره غبار السفر وآثار الرحلة التي لا تتوقف ، فها هو يخاطب جزيرة فرسان بهذه النفسية المتعبة التي تريد البقاء وتحرص عليه ، وذلك في قوله :

جزيرتي
يطأطىء الرحيل في حقائبي
وينحني في داخلي السفر
ألجمت شهوة التجوال في رواحلي
وعدت يا جزيرتي

(١) أزهار : ٧ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

تشدُّني إليك لوعتي

تمنحني محارة وجوهره [1]

وما أقسى الحياة حينما تتحول إلى سفر دائم ، وغربة في كل شيء ، غربة في المكان، والزمان وفي النفس ، فالشاعر الذي كواه ميسم السفر ، يكثر من التساؤلات عن ذلك الزمن الذي تتوقف فيه هذه الرحلة ، ومتى تهدأ سفنه من الإبحار ، يقول إبراهيم مفتاح في قصيدته (من وحي الغوص والسفر) :

كل المسارات في عينيك إبحار　　وكل موج على جفنيك تيارُ
وكل نسمة صبح حين تلمسني　　يخيفني بعدها للريح إعصارُ
و ها أنا جئت مفتوناً وأسئلتي　　على شفاه المدى بالبوح تحتارُ
فهل أمد إلى الأسفار أشرعتي　　وفي دمي لاغتراب الروح أسفارُ [2]

ويعرض لنا الشاعر مفتاح مشاهد من رحلة السفر التي أضنت الإنسان الذي يرحل الأشهر المتوالية في البحر بحثاً عن الصيد الثمين ، واللؤلؤ ، في رحلة غوص وصيد مضنية ، عرض لنا فيها مشاهد التوديع التي تقترن دائماً بالسفر ، وهو في عرضه لها لا يوردها بأسلوب تقليدي ، وأنما يعرضها على لسان بحار حن إلى أهله وهو وسط البحر ، فتذكر تلك اللحظات الحزينة ، والمشاعر الباكية ، فقال في هذا :

يا بحر أغريتني بالصحو فاندفعت　　سفائني وطوى الأبعاد إبحارُ
وراح يسرد بحّارٌ حكايته　　والليل يُشعله آهٌ وسُمّارُ
قالت حكايتُه في مهجتي عطشٌ　　وفي حناياي شوق طعمُه نارُ
لازال عُرْسي في ثغري حرائقه　　وبين جنبيَّ تغريدٌ وأوتارُ
وفوق كفّي طعمٌ من مصافحتي　　وفيهما من لظى التوديع آثارُ

(١) احمرار الصمت : ٢٨ .
(٢) المصدر السابق : ٨٦ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وفي مـآقيَّ دمـعٌ حائـرٌ وضـنى وفي فـؤادي دانـاتٌ وأشعـارُ
حين اشتملتُ على كتفي أمتعتي كـأنما أقفـرت مـن أهلهـا الـدارُ

* *

وقـال آخـر : طفـلي حـين ودعنـي أحسست أن جداري كـاد ينهـارُ
وطفلتـي والـسؤال المـرّ يخنقهـا هـلا ثنتك عـن الترحـال أعـذارُ [1]

والشاعر عندما يُهيِّجه الحنين ، ويتذكر ساعات الوداع ولحظاته القاسية ، يتذكر ذلك في غربته ووحدته ، فيفزع إلى الشعر ليسليه ، ويخفف من آلامه ، ويهدىء من روعه، فأحمد البهكلي شكا من كثرة الرحلة ، فما أن يحط رَحْلَهُ من رِحْلَةٍ ، حتى يستعد لرحلة آخرى ، لذا صار الشعر من أوثق أصدقائه ، وهو المربع الفسيح الذي يأوي إليه فيجد فيه شيئاً من الأنس والراحة ، فيقول :

عدوت إلى أن ملني قدمي الحـافي وطوّفتُ حتى مـلَّ دربي تطوافي
ولست أقضي رحلـة ينقضي بهـا رحـيلي فأبقـى في مرابـع ألافي
كأن مقاديري الرحيل مدى المدى لذلك صار الشعر أوثق أحلافي
إذا شـطَّ بي بعـدي ألـوذ بملكـه فيغمـرني رفقـاً يبـدد إلحـافي
هو المربع الرحب الذي إن همى الأسى أرنّح فيه من معانيه أعطـافي [2]

ثانياً - الحنين الناشىء عن الاغتراب :

إن الشعور القوي بالاغتراب يحدث في النفس قلقاً ، وتبرماً بالحياة ، وشكوى لا تتوقف ولا تني ، وأن الإنسان يفر من هذا الشعور بالحنين إلى السفر على بساط الخيال ، والحنين إلى الماضي بأحلامه وذكرياته ، والحنين إلى المستقبل الذي لا يدري ما

(١) المصدر السابق : ٨٦ – ٨٧ .
(٢) الأرض والحب : ٥٩ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

فيه بآماله وطموحاته ، والحنين إلى الطبيعة والارتماء بحضنها الحاني ، وإذا لم يجد ذلك حن إلى المجهول وانتظر ، وما أصعب الانتظار .

وأول مظاهر هذا القلق في أشعار الحنين الناشيء عن الاغتراب هو نأمة الشكوى من السفر ، ليس السفر الحقيقي ، وإنما في عالم الأوهام ، الأوهام التي بناها الشاعر في نفسيته ، وصنعها في مخيلته لأرضه التي أحبها ، ولكنها لم تبادله الحب بمثله ، وإنما هو في غربة نفسية ، وإن لم يرحل ، وفي وحدة وإن لم يسافر ، من هم إلى هم ينتقل ، ومن مأساة إلى أخرى، فهو يحن إلى واقع أفضل ، لم يجده في أرضه إلى الآن ، يقول الشاعر إبراهيم مفتاح :

أشـــد الرحـــال هموماً تـــئن وقبـل الرحيـل أحـط الرحـالْ
إلى مـن سـقتني التـصاق الحنـين إلى سـاعديها وطعـم المحـالْ
لأرضي التـي عـاقرتني هواهـا ولم تـستجـب ليلـة للوصـالْ
لأسـكب في مقلتيهـا ضنـأي وأرسم نقشاً ووشماً وخالْ (١)

وعندما يطول السفر ولا يتمكن الشاعر من العودة أو الوصول إلى مبتغاه ، فإنه يشكو الحياة ، ويتبرم أشد التبرم ، حتى لكأنما كل شيء في هذه الحياة ضده ، ولم تر المصائب غيره لتبتليه ، ومهما حذر من أهوالها ومناصبتها له بالعداء ، فإن حذره لن ينفعه ، ذلك هو ما صور به الشاعر أحمد بهكلي حالته في الغربة القاسية التي لا تنتهي ، في قصيدته (عندما يطول السفر) ، منطلقاً من روح التشاؤم ، ونأمة الشكوى ، فيقول :

الله كـــم تعـــدو عـــلى أثـــري خيل الأسى وكتائب القدر
ترمـــي كيـــاني أســـهم وقنـــا صيغت من الآلام والسهر
فكأنهـــا حقـــدت عـــلي فلـــم تر غير رزئي منتهى الوطر
ولقـد حـذرت ولم أزل حـذراً لكنـــني لم أنـــج بالحـــذرِ

(١) احمرار الصمت : ٢٩ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وإذا الليـالي ناصـبت أحـداً بعدائهـا ألقتْـه في الخطـرِ
وطغـت فلـم تـترك لمبتئـسٍ أمـلاً، ولا عـذراً لمعتـذرِ[1]

وتظهر ملامح القلق والشكوى من السفر والرحلة في أشعار حسين سهيل كثيراً ، ونحس في أشعار الحنين لديه مرارة لا تتوقف ، وإحساساً بألم لا يداوى ، إذ تتحول كل الأماكن التي يرحل إليها إلى مدن شقاء مرهقة ، ومواطن ضياع محرقة ، ويتساءل من أين جاءه هذا السفر المرهق ، ومن أين أصابته هذه العدوى القاتلة؟، فيقول بعد عودة إلى وطنه:

قد عدتُ يا وطني إليك
قد عدتُ من مدن الشقاء المرهقة
ورجعت من مدن الضياع المحرقه
أقتاتُ في صبحي سفر
وأعيش فى ليلي سفر
من علَّم القلب السفر ؟
من علَّم القلب السفر ؟ [2]

ولم يكن الشاعر ليحنّ لولا ما يعانيه من الحزن والأسى ، الأسى من ذلك النأي، وتلك الغربة في كل شيء في الرؤى والأفكار والشعر والمشاعر ، الغربة التي لا يصمد أمامها شيء ، ولا يبقى معها فرح ولا حظوظ ، يصف البهكلي في قصيدته (بعيدون وأنا بعيد) تلك الغربة التي طالما شكى منها ، سواء في قربه من أحبابه أم في بعده عنهم ، إنها غربة النفس واغتراب المشاعر ، يقول :

أيهـا الممعنـون في البعـد عنَّـا هـل تواسـون أنفسـاً تتعنـى

(١) الأرض والحب : ٥١ .
(٢) أشرعة الصمت : ١٢ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

لملمتهـــا وبعثرتهـــا أيـــادٍ　　لزمـــانٍ يبيـــد مـــا تتمـــنى
قد شجاها الصدود وهـي دوانٍ　　مـــن مهـــاوي قلوبهـــا وتجـــنّى
ثـم بـــاءت بُعَيـــد ذاك بنـــأي　　يحتويهـــا رؤىً وفكـــراً وفنّـــا
غربـــة تـــبرأ الـــصبابة منهـــا　　عندهـــا والـــسعود تـــبرأ منّـــا
لم تكـــن تعـــرف الحنـــين إلى أن　　شـاء لمضُ الأسى لها أن تحنَّا [1]

وكثير من الشعراء عند شكواهم من السفر والغربة ، وعند حنينهم يلقون باللائمة على تلك الأحلام ، والآمال التي دغدغت مشاعرهم ، وخدعتهم فانساقوا وراءها ، ورحلوا من أجلها ، ولكنهم في النهاية لم يجنوا إلا اغتراباً أليماً ، وسهاداً يجترونه من الأعماق ، ومتاهات لا نهاية لها من الحزن والندم ، ومن هؤلاء الشعراء حسين النجمي ، حيث يصور تلك الشكاوى في قصيدته (أصداء من ترانيم الاغتراب) ، فيقول :

كم من الوقت السديمي
سأبقى
فوق هالات الرمادْ .. ؟
ومتاهات السوادْ ..؟
كم من الليل الذي
.. أشعل في عينيّ
أحلاماً
وآلاماً
وأغراني بأن أرحل
في الآفاق

(١) الأرض والحب : ٦٣ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

والأعماق

أجتر السهادْ ..؟! [1]

والشاعر علي بن حسين الفيفي غادر بلدته وهو لتلك المغادرة كاره ، ولكنها الآمال والأماني انتزعته من بين من يهوى ويحب إلى عالم الغربة والأحزان ، فيقول :

فو الله ما غادرت بالأمس بلدتي رضًى واختياراً أو رضيت التنائيا
ولكنني لما رأيت الأمانيا سراباً وخلتُ الصبح كالليل داجيا
وضاقت بي الآفاق وهي فسيحةٌ وعاتبني من ليس يجهل ما بيا
وضجت بصدري مهجتي وكأنها تقول ادركوني قد بلغت التراقيا
فودعت والآمال تبدو كأنها حطامٌ وودعت الأماني الغواليا [2]

***

وثاني مظاهر القلق في أشعار الحنين الناشيء عن الاغتراب ، هو الحنين إلى الماضي ، فنجد في حنين شعراء جازان تصويراً دقيقاً لمشاعر اليأس والقنوط ، المتشحة بروح الحزن والألم والاغتراب التي سرت في أشعار عدد منهم ، فإذا بهم يتعثرون في آلامهم بين حقائقها، وأوهامهم ، ولذا لم يجدوا مخرجاً ينفذون من خلاله إلا بالهرب من الواقع المحزن ، ولا يجدون عزاءً لأنفسهم المترعة باليأس ، أو تسلية لأرواحهم إلا بالاسترجاع ، والحنين إلى الماضي الزاهي ، والذكريات الجميلة ، والأيام الخوالي المليئة بالمسرات . فالشاعر حسين النجمي في قصيدته (ومضات في ظلام اليأس) يمثل هذا المظهر خير تمثيل ، ففي بداية القصيدة يتحدث عن واقعه الحزين ، والهم الذي سيطر على نفسه ، والسديم الذي لم يذهب ، والآمال التي رحلت ، يقول :

(١) تأملات على مرافئ الغربة : ١٣ .
(٢) أزهار : ١٦٥ – ١٦٦ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

أسامـــرُ في سكـــون الليـــل آهـــاتي وأحـــزاني
وأكتـــب في جـــدار الـــصمت بـــالزفْرات ألحـــاني
وفي دعـــــة أفيء إلى ظـــــلال المـــــارد الحـــــاني
لعـــل الحـــزن يتركنـــي وليـــل الهـــم ينـــساني
وأرسـل في سـديم الليـل فكـري المجهـد الـواني
لعـلي ألمـح الآمـال تبـسم فـوق شـطآني [1]

وفي محاولة من الشاعر للفرار من هذا الواقع المؤلم ، وهذه المعاناة والزفرات ، فإنه لا يجد ما يفر إليه سوى الذكريات ، وأطياف الأمس ، ولحظات الماضي السعيدة ، لعل الماضي أن يخفف ما به ، ويعيد إليه توازنه وصبره ، ويعطيه جرعة من الإحساس بالأمان في ظل هذا العالم ، فيقول :

أحلّـقُ في سـكون الليـل في الظلـماء والبـدرِ
أنـاجي ذكريـات الأمـس في ومـضاتها تغـري
تحـيط بهـا ترانيـمٌ وأطـواقٌ مـن الزهـرِ
تخلدهـا مـع الأيـام أبياتـاً مـن الـشعرِ
فأرسـل نـاظري يختـال بـين حقولهـا الخـضرِ
ويـصنع مـن غلالتهـا أفانينـاً مـن الفكـرِ [2]

ولكن هل أدت تلك الرحلة الذهنية لذلك الشاعر القلق المحزون في عالم الماضي والذكريات ، هل أدت مفعولها ، هل حلت مشكلته ، أو أصلحت نفسيته ؟ .. كلا ، إن الشاعر لم تزده تلك الغيبوبة الفكرية في عالم الذكريات إلا حزناً إلى حزنه ،

(١) عيناك في وقت الرحيل : ٧١ .
(٢) المصدر السابق : ٧١ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وحنيناً إلى حنينه، فالدموع والعبرات قد فضحت سره ، ولذا يقول معترفاً عندما أفاق من إغماضته وهيناته :

فيرجع ناظري المكدود يغرس في الضنى زهره
يعانق ذلك الطيف الشرود ويقتفي إثره
ويرسمه على الأحداق ينثر حوله عطره
ويسأل ثغره الشفقي عما تفعل القدره
وعن عبد مع الآهات يقبل راضياً أسره
فيرتعش الحنين به وتسقط عينه عبره [1]

وكذلك الشاعر حسين الكريري يفر من ليله المحزن البهيم ، يفر من سهاده وأرقه ، وغربته واغترابه إلى عالم الذكريات ، وطيوف الماضي الحالمة ، فيقول في قصيدته (الطيوف الحالمة) :

أحلق في سماء الذكريات وأسرحُ في خيال الأمنياتِ
وأسري في دجى ليلٍ بهيم على متن السحاب الداجياتِ
يؤرقني سهادي طول ليلي فأسعد بالطيوف الحالماتِ
أعود بخاطري عشرين عاماً إلى تلك الليالي الماضياتِ
تحط بي الركاب على وهاد أقضي في رباها أمسياتي
فمن وادٍ إلى وادٍ تراني أناجي سلسبيل الساقياتِ
ومن روضٍ إلى روضٍ أغني لأسراب الطيور الساریاتِ [2]

وكيف للشاعر أن ينسى ذلك الزمن الماضي ، وتلك الذكريات الجميلة ، فهي المفر الذي يفر إليه كلما أظلمت نفسه ، أو داهمته الغربة القاسية ، فليعش لحظات

(١) المصدر السابق : ٧١ – ٧٢ .
(٢) زورق الشوق : ١٢ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

السرور ، وحياة اللقاء والسعادة ، ولو بالتذكر والرحلة في عالم الماضي ، في عالم الأمس الذي يضيء لحظات الحاضر المؤلم ، فيقول الكريري :

أمسي الجميل الذي ذكراه ما برحت　　تضيء نفسي مصابيحاً وأقمارا
لم أنس أمسي ولو يومي به عبقت　　دنياي ورداً وريحاناً وأزهارا (١)

وكان للشاعر إبراهيم مفتاح ذكريات جميلة ، وأياماً سارة قضاها في إحدى قرى النخيل في جزيرة فرسان ، تسمى (القصار) ، كان يقضي سكان فرسان أيام الصيف فيها، يستمتعون بجوها اللطيف ومائها العذب خلال الصيف ، إلا أنه وبعد رحلة طويلة من السنين عاد الشاعر إلى هذه القرية ، فوجدها خرائب وأطلالاً تبعث في النفس الأسى ، وتثير لواعج الشجى والحزن العميقين ، يقول فيها مبيناً شعوره الحزين، وحنينه إلى بعض معالمها وما دار بينه وبينها من حوار :

يا (قصار) الأمس حلمٌ طاف بي　　عندما جئتك أشكو تعبي
عندما جئتك عمراً ضائعاً　　وتجاعيدَ زمانٍ مجدبِ
وسمت من حرقتي أفياءها　　ومحت خطوي وذكرى لعبي
ساءلتني نخلة عاشقة　　كنت يوماً في جناها أختبي
أو مازلت كما كنت فتىً　　في بقاياك شقاوات صبي؟
تمتطي ساقي إذا جاء الضحى　　وصباحاً كنت تجني رطبي
قلت عفواً : إنني سيدتي　　جئت لا أحمل إلا نصبي
وسويعاتي التي عبأتُها　　بمرارات الأسى والعتبِ (٢)

ويلقي الشاعر بأسئلته متوجهاً بها الى قريته المندثرة ، يتساءل عن ذكرياته الرائعة التي قضاها أيام الطفولة البريئة ، ومجالس الناس في تلك الواحة ، ومجلس جده وجدته،

(١) المصدر السابق : ٧ .
(٢) رائحة التراب : ٩٠ – ٩١ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

حيث يشربان قهوتها ، وما كان يدور بينه وبين رفاقه الصغار من خصام طفولي لأدنى سبب ، وعودة المودة بعد ذلك الخصام بلحظات ، وذلك في حنين من الشاعر إلى أيام الصفاء والسعادة والهناء والحياة البريئة ، فيقول :

يـا قـصار الأمـس مـاذا بقـيت ... مـن لياليك وومض الشهبِ
وهـوى الـسمار في ليـل الهـوى ... رقصة (الدّانِ) وعشقَ الطربِ
ولكـم فتـشت عـن مملكـتي ... عُشّتي ..بيتي عروس القصبِ
عـن جـدار يحتمـي في ظلـه ... جـدتي ... جـدي وأمـي وأبي
ونـدامى قهـوة الـصبح الـتي ... هـي أشهى من بنـات العنبِ
عـن رفـاقي عنـدما كنـا هنـا ... نقطـع الـود لأوهـى سـببِ
ويعيـد الحـب فينـا مـوردا ... لـبراءات الـصِّبا واللُّعَـبِ [1]

ثم يورد الشاعر بعد ذلك أحدى عبثياته في طفولته ، ومشهداً من مشاهد البراءة والشقاوات الصبيانية ، ولكنها الآن أضحت ذكرى ، ولكنها ذكرى رائعة تشتهيها النفس ، وتشتاق إليها ، ولكنها لن تعود :

كنـتُ طفـلاً ضـحكتي ناصـعةٌ ... وخيـالاتي كمـوج الذَّهـبِ
تشتهي نفسي شقاواتِ الضُّحى ... عندمـا أنـدسُ بـين الكَـربِ
يركضُ (العَصَّابُ) خلفي غضباً ... واضطراب الخوف يمحو رُكبي [2]

وبعد رحلة الذكريات ، وعالم الأمنيات يكتشف الشاعر أنه ما فات لن يعود ، وأن تلك القرية الجميلة أصبحت حلماً ضائعاً ، لم يبق منه إلا مرارة الذكرى ، ولذعة الحنين ، وسيطرة الأسى ، فيقول :

يا قصار الأمس حلم ضائع ... طعمُـه في داخـلي كاللَّهـبِ

(١) المصدر السابق : ٩١ – ٩٢ .
(٢) المصدر السابق : ٩٢ – ٩٣ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

بـين جَفْنِيَّ احمـرارٌ للأسـى وحريـــق رائـــع في هـــدبي [1]

والـشاعر النجمـي عنـدما تطـوف بذاكرتـه أحـلام المـاضي ، وومـضاته الرائقـة والرائعة فإنه يحن إليها ، ويأسى على رحليها ، ويتمنى عودتها لتمحـو واقعـه وحـاضره المليء بالأسى ، وتنهي غربته القاسية ، واغترابه الذي حال دون تحقيق أحلامه الوردية ، ويعاهد محبوبته أنه لن ينسى ذلك الماضي أبداً مهما حصل ، فيقول :

إن الأحلام الوردية
قد ضاعت في ليل الغربة
بل صارت من غير هوية
إن الماضي قد ولى من غير روية
بل صارت قصتنا
يا عمري
من قصص الماضي المنسية
ضاعت أحلاماً
صغناها
من لون الورد
وقصيدة شعر
قد كُتبتْ
بمداد الوجد
واليوم غدت تسكن عيني
قافلة السهد
آه من ليل الغربة

(١) المصدر السابق : ٩٣ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ما أقساه ؟
آه من ماضٍ يسكن ذاكرتي
لا أنساه
سأغني دوماً .. قافيتي
وأردد أبداً ذكراه (١)

ويعيش الشاعر علي النعمي في غربة قاسية ، غربة مشاعر وليس غربة مكان ، فيكثر من الحديث عن الماضي والذكريات ، ويرحل إليها لعلها تخلصه من واقعه الأليم، فإذا تذكرها ، تذكر الطيبة ، والحياة الهادئة ، والبراءة في كل شيء ، والعفوية في مظاهر الحياة، وقد بدأ النعمى إحدى قصائده بحديث عن نفسيته المغتربة ، ومشاعره القلقه ، والحيرة التي تلفه ، فيقول :

نحن في هذه الحياة حيارى ... وحيارى حتى يزول الوجود
ترامى بنا الخطى فنجاري ... ـها ويغري أجفاننا التسهيد
كلما لاح منظر أو تبدى ... فر كالطيف مسرعاً لا يعود
ما لماضٍ وحاضر نحن فيه ... أو لآت جميعهن حدود

* *

يا لهاث العيون يا نزوة الشو ... ق ، ويا موئل الفؤاد الحزين
وانتظار الظلوع للنهدة الحرى ... تشيل النفوس فوق الظنون
يا مسير الآمال يا شط مفجو ... ع يريد النجاة بادي الجنون (٢)

(١) عيناك في وقت الرحيل : ١٦ – ١٧ .
(٢) الأرض والعشق : ١٢ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

ثم بعد ذلك يخاطب ذاكرته ، ويطلب منها أن تمده في حاضره الأليم بشيء من روائع ماضيه الجميل ، سواء أكان عن الطفولة أم حياة الطبيعة بما فيها من صمت أو حركة دائبة ، فيقول :

حـدثيني عـن الـصغار وقـد تـا هـوا بأفـق الحيـاة مثـل الطيـور
عـن لغـاهم عـن الرضـا في حنايـا هم ، وعن بسمة الصفا والسرور
لم تعـانق نفوسـهم شقـوة الدنـ يـا .. ولا آدهـم هـزيم الـشرور
يـا لهـا عيـشة تـضم شتيتـاً عبهريّـاً مـن لـذة وحبـور [1]

ويتذكر في هذه الحياة التي فقدت كثيراً من لذاتها ، يتذكر العيد في الماضي ، وما فيه من متعة حقيقيه ، وصفاء وتواصل ، فيحن إليه حنيناً صادقاً ، فيقول مخاطباً ذاكرته :

حدثيـني عـن مظهـر الأعيـاد في بـلادي إني أحـب بـلادي
حين كان النجاب[2] يمرق كالسهـ ـم ينـادي بالعيـد في كـل نـادِ
عن أزيز الرصاص عن نقرة الد ف ، ورجـع التبريـك والإنـشاد
عـن خـروج الجميع نحو المصلى عـن هتـاف الـشباب والأولاد

* *

حـدثيني عـن ليـلة العيـد واليـو م ، وكيف الأصحاب والأرحام
أشرقـت بالـسنا لياليـه والبـشـ ـر وتاهـت في مهـده الأيـام
وتهـادى الـشعاع في موكـب الأفـ ـراح حيـاً يجلـو رؤاه الغمـام
ألـق يأسـر النفـوس فتمـضي تتنـاجى .. وقـد علاهـا ابتسام [3]

(١) المصدر السابق : الصفحة نفسها .
(٢) النّجاب : بتشديد النون والجيم : المُخبر أو البشير بحلول العيد .
(٣) المصدر السابق : ١٣ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

إنّ فقدان الشاعر لحياة تملؤها البسمة ، ومجتمع تكثر فيه النجاوى الصادقة والحياة الاجتماعية الهانئة دعاه كل ذلك إلى الهروب إلى ذلك الماضي والحنين إليه ، علّه يجد في الذكريات شيئاً من الألق الذي يأسر النفوس ، وشيئاً من البسمة ولو في الأحلام .

وتتغير الحياة بسرعة في عيون الشعراء الشباب – وقد كبروا – فإنهم يجدون أنفسهم في زمن اختلفت وسائل العيش فيه عما كانوا يألفونه في طفولتهم البريئة ، فيقارنون بين ذلك الزمن اللاهي الجميل ، وما هم فيه الآن ، فيحنون إلى الماضي ، ومن ثمَّ ينساب شعرهم على بساط الرحلة إلى عالم الخيال وتمني المحال .

فالحنين إلى الماضي رغبة في الخلاص من هموم الحاضر ، يود الإنسان أن يعيش أيامه الماضية حيث لا هم ولا تعب ، ويبحث عن الماضي وكأنه فقد وليداً لم يجف ثراه ، ولم يكن الحنين إلى الماضي محصوراً في الحنين إلى الطفولة وذكريات الصبا ، بل أيضاً يشمل الحنين إلى أيام الشباب ، فالحنين إليها شعور عادي ، يعاود الذين بدأ البياض يغزو رؤوسهم ، لكن هذه الظاهرة ليست ظاهرة طبيعية ، فالحنين إلى الماضي عند الشعراء القلقين يعني الرغبة في التغيير لمجرد التغيير [1] .

ومع الشيب وظهوره ، وذهاب الشباب ومروره ، تبدأ بعض الأماني بالانهزام والتقهقر إلى الوراء ، وعندها لم تعد البلابل تشدو ، ولا اللسان يغني ، وحينها تصفر أوراق الحياة ، وتذبل الأمنيات ، إن لم تتبخر ، وذلك ما يصوره الشاعر علي بن حسين الفيفي في قصيدته (زائر الأمس) التي قالها بعد بلوغه السبعين سنة من عمره ، وبعد أن غطى الشيب سائر رأسه :

يا زائري بالأمس ما أبقيت إلا الذكريات
ودعت والأحزان في صدري كحد المرهفات
كالنار كالإعصار كالألم الشديد

(١) انظر : الشعر الحديث في المملكة العربية السعودية ، د. عبدالله الحامد : ٣٣٢ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

والدمع مزدحم حبيسٌ لو جرى
لجرى دماً فوق الخدود
وصحوت من طيش الشباب
وحبّذا طيشُ الشباب
ومضى وأشباح السنينِ
تشير نحوي كل حين
واصفرّت الأوراق في حقل الأماني
فإذا الحمائمَ واجمات ، والبلابل لم تعد تشدو
ولا يشدو لساني (١)

* * *

وثالث مظاهر القلق في أشعار الحنين الناشيء عن الاغتراب ، هو الحنين إلى المستقبل، والحنين إلى الأمل الناشيء عن غربة الشعور ، وما يتصل به من حنين إلى الأمنيات المحجوبة بالعوائق الاجتماعية أو المادية ونحوها .

فغربة الشاعر وحنينه إلى الخلاص من واقعه هو نتيجة لتلك المآسي التي يعانيها، ولما يراه من انفصام في المجتمع ، وتضاؤل المثل والقيم فيه . : ((**ومن هنا يلجأ الشاعر إلى تلك الغربة لا ليهرب من واقعه ، ولكن من أجل تخيل عالم مثالي آخر يتوافق وأحلامه**))(٢).

فالشاعر علي بن أحمد النعمي كان ينشد مثالاً خاصاً لم يتحقق له في يوم من الأيام، فاتسعت الهوة بينه وبين واقعه ، وزاد إحساسه بالغربة الشعورية ، وظل في صراع مرير ومازال بين مشاعره الخاصة وبين محيطه الذي يعيش فيه ، فهو دائماً يشكو

(١) زائر الأمس : ٨٨ .
(٢) الاتجاه الابتداعي في الشعر السعودي الحديث ، محمد حمود حبيبي : ٢٢٧ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ظلم المجتمع الذي حجب طموحاته ، ووأد أحلامه وأمنياته ، تصوّر هذا قصيدته (حصاد الغربة) ، حيث بدأها بالحديث عن نفسيته الممزقة ، وضياعه في هذه الحياة ، وما يلاقيه من ضيق ، فيقول :

لا تسلني عن الرؤى يا صديقي لا تسلني فقد ضللت طريقي
لا تسلني عـلام عيشي فإني وسهام شديدة التفويقِ
أتحاشى هذي وتلك لها في كبدي فعل خنجر وحريقِ
لا تسلني فلست أعرف مما في حياتي سوى ضياعي وضيقي[1]

وفي هروب من هذا الواقع الذي يعيشه يرحل في عالم الذكريات والحنين إلى الأمس القريب ،عندما كان في الرياض حيث نمت هناك أمنياته ، وتكونت شخصيته ، وكبرت أحلامه بمستقبل وضيء ، لكنه لما غادر نجداً لم يجد لطموحاته نصيباً أو مكاناً في الواقع ، حيث تهادت كل تلك الأحلام صرعى قبل أن ترى النور ، لذا فحنينه إلى نجد إنما هو حنين إلى الطموح ، حنين إلى المستقبل المأمول ، وشكوى من واقعه المرير ، فيقول :

كنت في هالة من النور زاه أتغنى في موطن العيوقِ
تشرب الأنجم الوضيئة لحني في إناء من الجمال أنيقِ
همسات منفوحة ونجاوى حلوة الجرس في انبهار رشيقِ
فإذا ما ارتوت وأدركها الصبح تهاوت صرعى قبيل الشروقِ
كنت في نجد يا ثرى نجد مالي غبت عن أفقك الشهي البريقِ؟
أين يا نجد هينمات مسائي أين يا نجد أين نبض عروقي
أنا أهفو إليك للشيح للصحـ ـب لعهدٍ من اللقاء وثيقِ
لسنا مشبع الظلال ثري عبر وادي العرار شبه غريقِ[2]

(١) الأرض والعشق : ٥٨ .
(٢) المصدر السابق : الصفحة نفسها .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

وكانت شكوى النعمي المتكررة بسبب عدم تحقق طموحاته في مجتمع القرية الذي ينتمي إليه ، تشغل حيزاً كبيراً من أشعاره ، لا سيما في ديوانه الأول (الأرض والعشق) ، وهو في كل تلك الشكاوى يشير إلى أنه عاد ليبني مستقبلاً زاهراً من الرؤى والأحلام ، والطموحات التي لا تحد ، ولكنها تحطمت بلا رحمة ، فيقول :

ورمتـــني الأقـــدار نـــضواً بئيـــساً　　وسط ريف وليس لي من صديقِ
أشرب الدمع ، آكل الصمت قهراً　　كـــسجين في القيـــد كالمـــشنوقِ
عدت للريف علَّ في الريف مجلى　　لـصبوحٍ مـن الـرؤى أو غبـوقِ
عـــدت يـــا قريتـي إليـك لأحيـــا　　في ثـراكِ الحبيـب عـيش المـشوقِ
كلفتنـي نفـسي اغترابـاً وصـــداً　　عنك ، والصد من سمات العشيقِ
يهجـــرُ الطـــير عـــشَّه وبنيـــه　　ساعة الضيق وانعـدام الرفيـقِ (١)

ويوضح النعمي آماله التي عاد من نجد وهو يحملها بعد حصوله على الشهادة الجامعية، وشيئاً من الشهرة في الساحة الأدبية ، وبعض القنوات الإعلامية ، ولكنه عاد كما يعود الغريق بعد أن ظن النجاة إلى مكان عميق فيه الهلاك المؤكد ، يقول :

عدت والشوق في فمي هد هدات　　وعلى راحتي كـؤوس الرحيـقِ
عـــدت في خاطـــري نـــشيد وفـــاءٍ　　صغتـــه مـــن تأوهـــي وشهيقـــي
مـــن حنينـــي إلى الأراك إلى مـــوا　　ل راع ، مـن وحي حبي العميقِ
عـــدت في ناظـــري مـــلاءةُ حـــسنٍ　　طرزتهـــا أنامـــل الـــتزويقِ
عـــدت في جبهتـي شهـــادةُ حـــبٍّ　　في إطـــار مـــن الوفـــاء رقيـــقِ
عـــدت لكـــن كمـــا يعـــود غـــريق　　نحـو طـامي العبابِ بعد المروقِ (٢)

(١) المصدر السابق : ٥٩ .
(٢) المصدر السابق : الصفحة نفسها .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وفي آخر القصيدة يصور لنا الشاعر غربته وحنينه إلى آمال عظام ، فمع أنه يعيش بين أهله وخلانه ، فهو غريب ، غريب في طفولته ، وغريب في كهولته ، وكم هي شديدة تلك الغربة الروحية التي تتساوى فيها الأضداد ، ويصبح النور مثل الظلام ، والتغريد الجميل كالنعيق القبيح ، يظهر هذا في مخاطبته لقريته :

عشت فيك الغريب إذ أنا طفلٌ واحتملتُ الضنا بدرب سحيقِ
كم علا جبهتي هجير الصحارى واقتفت خطوتي أفاعي الطريقِ
وأنا الآن في ثراك غريبٌ ولو أني به شديد العلوقِ
قد تساوى الظلام والنور في عيـ ـني ، وعاد التغريد مثل النعيقِ[1]

ويحنّ الشاعر علي النعمي كثيراً إلى حياة الصفاء والمحبة ، والتعاون والقيم والمبادىء، ويتمنى أن يرى مستقبلاً رائعاً ، ولكنه يصدم دائماً بواقع مرير ، فلذا يلجأ إلى الانطواء والعزلة ، والغربة الشعورية ، ويلازمه الحنين ، والشكوى ، فهو يقول :

وحدي أعيشُ وليس تملأ خاطري صور الجمال ، ولارؤى البسماتِ
مادمت لم أجد الصفاء يشع في كل العيون ويغمر الوجناتِ
ما دمت لم أجد المحبة منهلاً ملء الصدور يفيض بالحسناتِ
ما دمت لم ألف الأكف جميعها في اليسر والضراء ملتئماتِ
ما دام للنمام والمغتاب والـ ـكذاب والأفاك وسم هداةِ
وحدي وهل مثلي يلام إذا انطوى أو عاش مقروراً رفيق شكاةِ
أوصاح واويلاه واحراه من عيشٍ بريفٍ كالح القسماتِ[2]

(١) المصدر السابق : الصفحة نفسها .
(٢) المصدر السابق : ٦٠ – ٦١ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

والحنين إلى المستقبل عند علي النعمي مغلف بالانتظار ، الانتظار لحياة أفضل ، والانتظار لتحقق الطموح ، والانتظار لحلول الأماني ، وفهم المجتمع له ، وإفساحه مكاناً رحباً ليتبوأه ، في واقع لا يعترف بالطامحين ، في نظره ، فيقول :

وحدي وأوراقي أعيش وغربتي　　وجحود قومي واعتلال حياتي
وتمر من حولي مشاهد جمة　　غجرية الوقفات والطلعاتِ
فأظل أرقبها وأشعر خاطري　　أني أنير بضوئها ساعاتي
وأضل أركض لاهثاً في وحدتي　　لمعينها أطفي به حرقاتي[1]

ويصور هذا الانتظار الذي يرافق الحنين إلى مستقبل أفضل في غربته التي يعيشها بين بني قومه ، وفي ديار أهله وأجداده ، إذ يقول :

كنت طيراً مهاجراً فإذا بي　　بعد حين أعود للأوكارِ
أحمل القوت للصغار الحيارى　　وقطوف العلوم في منقاري
قد أطلت التجديف في لجة العيـ　　ـش وكّلَّ المجداف من أسفاري
واستفاق الحنين في نفسي الولهى　　فألقت عصا التسيارِ
في ديار الأجداد بين بني قومي　　وعاد الطموحَ بعضُ انتظارِ[2]

ولكن هذا الطائر المهاجر لما عاد إلى أرضه يحمل معه طموحاته ، وآماله العريضة لم يستطع أن يسير في الواحة كما يريد ، حيث أعاق كثير من أبناء مجتمعه – كما يرى – وثباته، وأوقفوا هدهداته ، وأحالوا مستقبله الزاهي الذي بناه في مخيلته إلى مآس وبؤس يتنامى، فلذا عاد من غربة إلى غربة هي أشد من الأولى ، ويظل لذلك يحن إلى المستقبل والأمنيات الكبار ، فيقول شاكياً :

حسبي الله من أناس أحالوا　　وثباتي وهدهدات اقتداري

(١) المصدر السابق : ٦٠ .
(٢) المصدر السابق : ٣٤ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

لـــــدروب مليئـــــة بالمآســـــي في قفـــــار تمتـــــد إثـــــر قفـــــارِ
غربتـي بيـنهم تطـول ، وبـؤسي يتنـــامى وخطـــوتي في عثـــارِ
نبـضاتي لا تـسألي عـن سـهادي وغرامـي بالأمنيـات الكبـارِ [1]

* * *

ورابع مظاهر القلق في أشعار الحنين الناشيء عن الاغتراب ، هو الحنين إلى المجهول ، فهناك شعراء لم يجدوا سلوتهم في الماضي وذكرياته ، ولا في المستقبل وأمنياته ، ولم يكن الحاضر إلا علقماً وغصصاً ، ومرارات أرادوا الخلاص منها ، فحنوا إلى شيء ما، لا يعرفون ما هو ، وهم بذلك يترسمون خطا الشعراء الرومانسين الموغلين في القلق والهروب من الواقع، ففي أشعار هؤلاء كل شيء داكن ، وذلك حين يتعرض أحدهم للحرمان ، ويحس أنه غريب مطارد ، وأنه مطالب من كل شيء ، فيشكو من ثم الناس ، والطبيعة والمجهول ، كما يشكو اليوم والأمس والغد ، وتتحول حياته إلى سجن ، فيحن إلى شيء ما لا يستطيع تحديده ، قد يكون السعادة ، وقد يكون الطمأنينة ، أو غير ذلك ، لكنه لا يجد شيئاً من ذلك في أي شيء [2]، ومن الأمثلة على ذلك قصيدة حسين النجمي (رعشة طيف) ، وفيها يقول :

تهويمة الجرح فوق الغيم تحملني وفي دروب السنا والحسن ترميني
تـذيب في ألـق التـسيار قـافيتي ومـن دمـوع عيـون المزن تـسقيني
تلمني مـن شـتات الحـزن في دعـة وتـزرع الـورد غـضا في بـساتيني
* *
يـا ليـل لا تبتئس حزنـاً فـما فتئت شـمس الحقيقة بالأوصاب تكـويني
رسمت فوق عيوني كـل سـامقة مـن المعـاني غنـاء في دواويني

(١) المصدر السابق : ١٢٢ .
(٢) انظر : التيارات الفنية في الشعر السعودي الحديث ، د. طلعت صبح : ٢١٧ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

وجئت أحمل ألحاني التي ذبلت حزناً فما عادت الأنغام تشجيني
لمحت في وهج الأيام متكأً وخلت أن سراب العمر يرويني
وطفت في رعشات الطيف ممتشقاً وجدي وقافلة الأحلام تدعوني[1]

فهو يسير إلى شيء مجهول ، ويحن إلى سراب ، وهدفه من ذلك هو الفرار مما هو فيه من وهج الأيام ، لعل ذلك الفرار يحميه من شتات الحزن ، ويزرع في حياته الورود والسعادة، وهذا الحنين هو مظهر رغبة في التغيير ، وذلك لا يعني البحث عن الأفضل ، بقدر ما يعني الثورة على الحاضر ، وإن كان هذا المجهول سراباً خادعاً ، إذ إن الماضي والحاضر والمستقبل كلها أصبحت سواء في نظر الشعراء الحيارى ، الذين ينتظرون شيئاً ينقذهم ، وفي ذلك يقول علي النعمي في حنين إلى هذا الشيء المجهول :

نحن في هذه الحياة حيارى وحيارى حتى يزول الوجود
تترامى بنا الخطا فنجاريـ ـها ، ويغري أجفاننا التسهيد
كلما لاح منظر أو تبدى فر كالطيف مسرعاً لا يعود
ما لماضي وحاضر نحن فيه أولآت جميعهن حدود
* *
يا لهاث العيون يا نزوة الشو ق ، ويا موئل الفؤاد الحزينِ
وانتظار الظلوع للنهدة الحرى تشيل النفوس فوق الظنونِ
يا مسير الآمال يا شط مفجو ع يريد النجاة بادي الجنونِ[2]

* * *

(١) عيناك في وقت الرحيل : ٧٣ .
(٢) الأرض والعشق : ١٢ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

سادساً - أغراض أخرى :

يجد الباحث في شعر جازان - إضافة إلى الأغراض الخمسة السابقة - أغراضاً أخرى تناولها الشعراء ، ولكن هذا التناول كان بصورة أقل من تناولهم للأغراض الخمسة الرئيسة في أشعارهم ، وتلك الأغراض هي :

أ - الإخوانيات :

الإخوانيات مصطلح أدبي يطلق على عدة أغراض ، كالعتاب ، والاعتذار ، والشكوى، والشكر ، والتهنئة ، والهدية ، والفكاهة ، والاستدعاء ، والتوديع ، والألغاز، والمساجلات))[1] ، وتشمل أيضاً المراسلات ، والإجازات ، وغيرها من الأغراض [2] .

ومن مظاهر شعر الإخوانيات في شعر جازان :

أولاً - التهنئة :

وهي : ((**ضرب من ضروب المديح ، إلا أن الفرق بينها وبينه أنها تقال في مناسبات خاصة ، كالإبلال من مرض أو لمناسبة عيد ، أو النجاة من مكروه ، أوغير ذلك من المناسبات المشابهة ، وأما المديح فإنه غير مقيد بمناسبة أو زمان في الغالب ...**)) [3] .

وكانت التهنئة ضرباً من ضروب المديح ؛ لأن الشاعر يتخذها فرصة يسترسل فيها في مدح المهنأ ، ومن خلالها يدور الشاعر في فلك معاني المديح ، ويضطر الشاعر للغوص على المعاني المناسبة ، حتى يصادفه التوفيق في أداء ما يريد من إظهار الفرحة بالمناسبة التي من أجلها قيلت القصيدة [4] .

---

(١) الإخوانيات في الشعر العباسي ، د. محمد الملا : ٥ .

(٢) انظر : مطالعات في الشعر المملوكي والعثماني ، د. بكري شيخ أمين : ٢٩٢ ، ومطارحات شعرية في جبل عامل، حسن محمد نورالدين : ٥٣ .

(٣) فنون الشعر في مجتمع الحمدانيين ، د. مصطفى الشكعة : ٣٨٢ .

(٤) المرجع السابق : ٣٦٨ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

ولكن العِلَّة التي تجعل الدارسين يتعرضون للتهنئة في باب الإخوانيات ، أن غالب التهاني تدور في فلك الإخوة والأصدقاء ، ولا تخرج عنه إلا في إطار محدود ، وإن خرجت إلى تهنئة الملوك والأمراء والوزراء ، فهي - أيضاً - من باب الفرحة بالحدث ، والغبطة بالمناسبة ، وتعميق الشعور الاجتماعي ، وإظهار الرضا عن ذلك المهنأ ، ودعوة المجتمع إلى الفرحة بما فرح به ، فهي - إذن - وإن كانت ذات صلة بالمديح إلا أن لها - أيضاً - سبباً وثيقاً بالإخوانيات ، ذلك الغرض الذي ينم عن التواصل الاجتماعي المتين، المليء بالمشاعر المترابطة والصلات الوطيدة .

ومن تلك التهاني التي جاءت لدى شعراء جازان ، تهنئة الشعراء بعضهم بعضا، ومن ذلك تهنئة الشاعر محمد بن علي السنوسي في قصيدته (البحر الأخضر) الشاعر محمد بن حسن عواد بمناسبة انتخابه عضواً بالمجلس الأعلى لرعاية العلوم والآداب والفنون ، قال فيها :

إن قدَّروك فإنما بك قدروا العلم والأدب الصراح المفعما
كنت الجدير بها وفضلك بيّنٌ ملء العيون أيحجب الشمس العما (١)

ثم يشير السنوسي - بعد ذلك - إلى أن ما بينهما من خلاف أدبي ونقدي لا يمنع المحبة بينهما والوفاء وصدق الحب ، يقول مخاطباً العواد :

أتظنُّ أن خصامنا وخلافنا في الرأي يكسر للمودة معصما
قلب الأديب نبالةٌ وأصالةٌ ذهبٌ يزيد على الضرام تضرّما
وضميره الأدبي لا ينتابه وضرٌ ويأنف أن يسفّ تكرّما (٢)

وفي مثل هذا اللون من الشعر تتحرك مشاعر المهنأ عادة ، فيرد علي الشاعر المهنيء ، ويجزل له الشكر على اهتمامه به ، وتهنئته له ، ولذلك رد محمد حسن عواد على قصيدة السنوسي بقصيدته (مواطن العطاء من الإنسان) ، وفيها يقول :

(١) العماء : بالمد : السحاب الكثيف ؛ قصره الشاعر ضرورة .
(٢) الأعمال الكاملة : ٦٠٧ – ٦٠٨ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

غـراء مـن جـازان يرقـصها النُّهى تيهـاً ويمنعهـا الحيـاء تقـدما
دفع الصديق بها إلى الأيدي التي حفلت بها فتكرمت وتكرما
ولطالما عبق الجنوب وطالما صدح الجنوب بلحنه مترنما
أنا لا أسميها قصيدة شاعر إني أسميها الوفاء مجسما
فالتهنئات إذا الشمائل عددت فإلى جمال الطبع كان المنتمى [1]

وهنأ الشاعر علي مدّيش صديقه الشاعر حسن أبو عله ، بعدما أجاد في ملتقى أبها الأدبي ، واستحوذ على الحضور بشعره وطريقة إلقائه ، وفيها يقول :

يـا أبـا عَلَّـة حبـي أيهـا الفـذُّ المُـربّي
كـم شـبابٍ ذي طمـوحٍ رشـفوا مـن نهـر عـذبِ

ثم يتحدث عن مشاركته في ذلك الملتقى ، وإعجاب الحضور ، ومنهم الأمير خالد الفيصل وما دار بينهما من حوار وتهاني :

ملتقـى أبهـا شـهيدٌ إذ زَحَمْـتَ المتنبـي
خالـدٌ أثنـى علـيكم شاهـدٌ عَـدْلٌ بـربي
حكـمٌ في الـشعر حقًّـا نبطيـاً أو لِعُـرْبِ
حـين أنـشدتم بأبهـا نـال عُجْبـاً أيَّ عُجْـبِ
وتـساءل أيـن كنـتم قلـتَ : في همٍّ وكـربِ
قـال : أكفيـك عنـاءً لـو نزلـت اليـوم جنبـي
لـولا أن حُـزْتَ رضـاه مـا تمنَّـى أيَّ قُـرْبِ [2]

وحيَّا كثير من الشعراء زملاءهم حين يصدرون دواوينهم ، ويخرجونها إلى الناس ، ويهنيئونهم على إبداعهم ويمجدونه ، ومن ذلك تحية العقيلي لزميله ورفيق دربه

(١) المصدر السابق : ٦٠٩ – ٦١١ ، حيث نشرها السنوسي مع قصيدته السابقة .
(٢) نبض القوافي : ٩٠ – ٩١ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

محمد السنوسي ، حينما أصدر ديوانه (الينابيع) ، وذلك في قصيدته (تحية ديوان الينابيع) ، وفيها أشاد بإبداع السنوسي ، ووصف شعره بالسلسبيل والرحيق المصفى ، وبيّن وقع شعره على النفس حين تسمعه ، وصوّر قوافي السنوسي متوهجّة منيرة نابضة بالحياة ، وهذا إدراك من العقيلي لرسالة الشاعر والشعر ، يقول :

من (ينابيعك) العذاب الرويه يحفل الروض بالزهور الشذيه
سلسبيل من الرحيق المصفى تشعل الفكر راحُه العسجديه
وبيانٌ مثل الفراديس حسنا تترامى بها الظلال النديه
ومعانٍ شفافةٌ كشعاع النجـ ـمِ في ليل ظلمة حندسيه
شاعر يتقن التفنن في القو ل يمزج الضوء بالظلال السخيه
وقواف تعطي التوهج والنو ر ونبضاً يهزُّ كل خليه (١)

ويشير بعد ذلك في تهنئته إلى مشوارهما الطويل في عالم الفكر والإبداع والثقافة ، وما لقياه من مشقة ومعاناة ، إلى أن حققا شيئاً من آمالهما ، فيقول :

يا حليف الصِّبا الحبيب وصنوي في المعاني وفي الخلال العليه
ورفيق المسير في وحشة الدر ب إلى العلم والمجالي السنيه
قد رشفنا نبع الخلود وأرسلنا ه دفقاً من المعاني الوضيه
فتألق يا صنو روحي وحلق كوكباً في سمائنا الأدبيه (٢)

ومن ضروب التهاني التهنئة بالعيد ، ومن ذلك تهنئة الشاعر علي بن حسين الفيفي لصديقه علي بن قاسم الفيفي بعيد الأضحى سنة ١٣٩٨هـ وفيها يقول :

يا صديق العمر أهديـ ـك سلامي وقصيدي
والأماني والتهاني لك بالعيد السعيد

(١) المجموعة الشعرية : ٥٩١ .
(٢) المصدر السابق : ٥٩١ – ٥٩٣ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

والدعـــا مـــن مخلـــص بالعـــزِّ والعمـــر المديـــد
لـــك مـــني بالـــغ الإخـــ ـــلاص والحـــب الوطيـــد
أنـــت مـــن شـــقَّ طريـــ ـــق العلـم والمجـد التليـد [1]

وفي آخرها يدعو له بطول العيش ، والاستمرار في أداء المهمات الجسام المنوطة به من نشر العدل والعلم ، ورعاية الجيل والناشئة ، وتوجيههم إلى معالي الأمور :

يـا أبـا حـافظ عـش للعـ ـــدل والـــرأي الـــسديدِ
ناشـــراً للعلـــم في فيفـــ ـــاء في عـــزمٍ أكيـــدِ
لـــشباب الأمـــس واليـــو م وللجيـــل الجديـــدِ [2]

وهنأه بقصيدة أخرى بالعيد ، يقول فيها :

يـا صـديق العمـر في الـسـ ـــراء والوقـــت العـصيب
لـك منـي بالـغ الإخـلا ص مـن صـدرٍ رحيـبِ
والتهـــاني بقـــدوم العيـــ ـــد في ثـــوبٍ قـــشيبِ [3]

وقد أجاب الشاعر علي بن قاسم الفيفي على تلك التهاني ، بقوله :

فـيض عطـف وشعـور شـع مـن بـين الـسطورِ
مـــن قـــواف كاللئـــالي مـــشرقات كالبـــدورِ [4]

وأشاد فيها بشاعرية مهنئه ، وماله من عواطف أخوية صادقة ، ومحبة حقيقية صدرت من شاعر مرهف الإحساس والمشاعر .

(١) الطيف العابر : ٩٠ .
(٢) المصدر السابق : الصفحة نفسها .
(٣) المصدر السابق : ٩١ .
(٤) المصدر السابق : ٩١ – ٩٢ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

ومن مظاهر التهنئة لدى شعراء جازان التهنئة بالزواج ، فممن هنأوا أصدقاءهم بالزواج الشاعر علي بن محمد السنوسي ، حيث هنأ علي بن محمد بن صالح عبدالحق بزواجه بقصيدة مقطعية ، قال فيها :

تضوأت البلاد وفاح نشر وغنى فوق غصن الأيك طير
لعمري قد تَقَارنَ فيه بدرُ
بشمسٍ برجها الفلكي قصرُ
فلا أدري ولست أكاد أدري أبرقٌ في الدجنة بات يسري
أم ابتسمت غزالة وسط خدري
فهتّكت الستور ولاح ثغرُ
فتلك غزالةُ السِّرب اليماني تخيّرها من الغيد الحسان
علي محمد علم البيان
إذا ضاع الصواب وحار فكر [1]

وهنأ الشاعر علي بن قاسم الفيفي صديقه طلال عبيد ناقور بمناسبة عقد قرانه بقصيدة عنوانها (طالع السعد) ، جاء فيها :

بدرُ تِمٍّ هل في الأفق عجبْ وتسامى في عُلاهُ واشرأَبْ
وعليه مسحة من جلّقٍ وروابي أدلبٍ ثم حَلَبْ
واكتسى حُسْنَ بهاءٍ رائعٍ من روابي القدس أصل المُنتَسبْ
وأطلّت من سنى طلعته لطلالٍ لمحةٌ منها انجذبْ
وتجلّى طالع السعد بما تمَّ من عقد قرانٍ مستحبْ
يا أبا سلمان فاسعد هذه جوهر الماسِ بطوقٍ من ذهبْ

(١) من شعر علي بن محمد السنوسي ، جمع وتحقيق الدكتور : عبدالله أبو داهش : ٧٢ – ٧٣ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

حسنُ حظٍ واختيارٍ صائبٍ إذ من القلب إلى القلب وثبْ [1]

ومن أجمل ما يحب الإنسان أن يهنأ به هو حصوله على مولود ، فهذه المناسبة من أسعد اللحظات التي تحف بالإنسان ، فلذا خص كثير من الشعراء أصدقاءهم وأقرباءهم بتهانٍ كثيرة لدى قدوم ووفود ما يهبهم الله من مواليد ، تقدم معهم السعادة والفرحة الغامرة ، وممن اشتهروا بهذا الجانب الإخواني من شعراء جازان الشاعر أحمد العطاس ، حيث هنأ ابنه ممدوحاً بقدوم أول مولود له ، وقد أسماه محمداً ، يقول :

بوركت يا ابني قد أتاك محمد أهلاً به نجلاً من الأحفاد
فالله يحفظه ويكلأ أمره باليمن والإقبال والإسعاد
ويقر أعينكم به في غبطةٍ فتروا به فيضاً من الأمجاد
ويعيش في سعديكما ورعاية محفوفة بطهارة الأجداد
ويسير سيرة من مضى في بيته ديناً وآداباً ونيل رشاد [2]

إلى أن يقول في آخرها خاصًّا ابنه بالتهنئة :

فليهن ممدوحٌ بأول قادمٍ في عقبه النامي بكل سداد [3]

وهنأ في قصيدة أخرى ابنه عبد الله بقدوم أول مولود له ، مبيناً فيها سروره البالغ ، ودعا الله أن يوفقه ، وأن يجعله ابناً صالحاً ، وحفيداً مباركاً ، ومطلع قصيدته هو :

هنّ عبدالله بالنجل الأشم واشكر الله على الفضل الأعم [4]

وشاع لدى الشعراء في تهانيهم بمقدم المواليد ، الدعاء للآباء بطول العمر إلى أن يروا أحفاد أبنائهم الذين وفدوا ، ومن أمثلة ذلك ما جاء في تهنئة الشاعر علي السنوسي لصديقه محمد بن يحيى باصهى بقدوم ابنه يحيى ، حيث قال :

(١) ومض الخاطر : ١٠١ .
(٢) من وحي التأملات : ٤٣ .
(٣) المصدر السابق : الصفحة نفسها .
(٤) المصدر السابق : ٧٥ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

يـا بن يحيى الهـمام متّعـك اللـ ـه إلى أن تـرى ليحيـى حفيـدا [1]

ومن ضروب التهاني التهنئة بقدوم من سفر ، ومن مظاهر هذا النمط من التهاني تهنئة الشاعر محمد أحمد العقيلي شيخه عقيل بن أحمد حنين بمناسبة قدومه من الحج سنة ١٣٦٥هـ ، وقد بدأها بتوجيه التهاني القلبية لشيخه بتمام نسكه ، حيث يقول :

أهنيـك بـالحج الموفـق والنحـر وسعيك قصداً للسلام على القبر
ليهنكهـا مـن حجـة وزيـارة يحق على من نالها غاية الشكر [2]

وبعد هذه التهنئة أفاض العقيلي في مديح شيخه وتعداد فضائله ، منوهاً بفضله على علماء جازان وأدبائها ، وما له من أيادٍ عليه وعلى جيله الذين تتلمذوا على يد هذا الشيخ الجليل ، ومن ذلك قوله :

فيـا أيهـا الـشيخ ومـن غـدت مساعيه أسمى أن يحيط بها شعري
بذرت بذور العلم فينا ولم تزل تعدها حتى جنت يانع الزهر
فكـم من أديب في البلاد وعـالم وكم من خطيب فاق في النظم والنثر
قد اغترفوا من فيض علمك غرفة فضل سنى آثارهم في الورى يسري [3]

ومن القصائد التي جمعت بين التهنئة بقدوم من سفر والتهنئة بالشفاء قصيدة (أبو الشعب) لمحمد العقيلي التي أنشدها بين يدي الملك فيصل – رحمه الله – على لسان وفد (جازان) الذي قدم (الرياض) مهنئاً الملك فيصلاً بسلامة الوصول والعافية بعد إجرائه عملية جراحية في سويسرا ، وفيها يقول :

هـلَّ بالبـشرى فقلنـا : بـشريان بـأبي الـشعب ويـوم المهرجـان
أوبـة الفيـصل فـي عافيـة زينـة التـاج وعـز الـصولجان

(١) المفقود من شعر علي بن محمد السنوسي ، جمع وتحقيق : د. عبدالله أبو داهش : ١٦٤ .
(٢) المجموعة الشعرية : ١٢٠ .
(٣) المصدر السابق : ١٢٣ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

نحن وفد الشكر نزجي خالص الـ حب والإخلاص منضور البيان
جاءكم جازان في أبنائه ماثلاً بين يديكم للتهاني
يقدم الوفد أمير مصلح مستنير الفكر رفاف الجنان [1]

وتهنىء هذه القصيدة الفيصل بالعافية والسلامة ، وتشيد بمآثره وإنجازاته في بلده وبلاد المسلمين [2] .

ومن التهاني بالشفاء من مرض تهنئة العقيلي الأمير سلطان بن عبدالعزيز بنجاح عملية أجريت لسموه ، وهنأ في ذلك خادم الحرمين وسمو ولي عهده بهذه المناسبة السعيدة بقصيدته (عنوان البطولة) :

المجد والعزم والأفضال والكرم والسيف والمدفع الرعاد والعلمُ
تهللت وازدهت وافتر من بهجٍ ثغر الزمان وهل الشعب يبتسمُ
ببرء سلطان عنوان البطولة بلْ روح الرجولة والأبطال تزدحمُ
وضاء وجه ولي العهد وائتلقت ملامح يزدهيها الفخر والكرمُ

**

فألف تهنئة غراء أرفعها إليك يا خادم الحرمين تزدحمُ
فالشعب في مرح والجيش في فرح وبهجة وتباري السيف والقلمُ [3]

ومما يلحق بالتهاني ما جاء في شعر التكريم ، الذي يكون مرتبطاً بالمناسبات والاحتفالات وللأدباء في هذا النصيب الأكبر ، ولشعراء جازان في هذا اللون من الشعر قصائد كثيرة ، ومضامينها شبيهة بقصائد التهنئة التي سبق الحديث عنها آنفاً ، ومن

(١) المصدر السابق : ٢٩٥ – ٢٩٨ .
(٢) انظر : شعر محمد أحمد العقيلي دراسة تحليلية ، خالد الشافعي : ١٢١ .
(٣) المجموعة الشعرية : ٢٥٢ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

قصائد التكريم قصيدة محمد بن علي السنوسي (في موكب الفن) التي ألقيت في الحفل الذي أقامه صديقه عبدالقدوس الأنصاري في منزله بجدة ١٣٧٦هـ ، وفيها يقول :

يا رفيقي إلى عكاظ وقد شـ (م) ـعَّ بزهر النجوم من غرانه
فلك ساطع بكل شهابٍ من شيوخ البيان أو شبانه
لمحات من النهى وشعاع كوميض البروق في أذهانه
جمعتني بهم وشائج فكر عربي المضاء في إيمانه [1]

وعلى منوالها قصيدة العقيلي في مؤتمر الأدباء الأول بمكة المكرمة سنة ١٣٩٤هـ، وفيها حيا الشاعر راعي المؤتمر الأمير عبدالله الفيصل ، وأشاد بهذا الملتقى الذي أحيا (سوق عكاظ) ، وبه يشرق عهد جديد لأدباء المملكة ، وتلك يد بيضاء من أيادي الفيصل – رحمه الله – ، وهمة من همم الأمير راعي الحفل وراعي الأدب وأهله ، يقول :

يا عكاظ تألق الشرق فيه شع نور النبوغ في أركانه
نفحة فيصليةٌ برَّة العـ ـلم تحيي البيان في أوطانه
جمعت كل مدرهٍ وخطيب يالزهو القريض في حسانه
قد رعاها الوزير من حفل العـ ـلم بأيام عهده وزمانه [2]

ومن قصائد التكريم قصيدة العقيلي (تحية الشعر) [3] التي حيا فيها عبدالله بن خميس في حفل تكريمه في جازان سنة ١٣٨٨هـ ، وقصيدة (من وحي المناسبة) [4] للشاعر منصور دماس التي قالها بمناسبة تكريم الأمير عبدالله الفيصل في فرنسا ، وقصيدة (يا بقايا الظل) [5] للشاعر أحمد علي حمود حبيبي بمناسبة تكريمه في مدرسة

(١) الأعمال الكاملة : ٥٨ – ٦٧ .
(٢) المجموعة الشعرية : ٥٠٠ – ٥٠٦ .
(٣) انظر : المصدر السابق : ٤٣٨ – ٤٤٠ .
(٤) انظر : جرأة قلب : ٦٩ – ٧٠ .
(٥) انظر : التاريخ الأدبي لمنطقة جازان : ٣/ ١٥٧٩ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

جريبة ، وقصيدة يحيى بن محمد هبلول [1] (تعبت رجلاي) [2] التي ألقاها في حفل تكريم أساتذته المتقاعدين في المعهد العلمي بضمد .

ثانياً - المطارحات والمساجلات :

وهما فنّان أدبيان يشحذان الذهن ، ويستحثّان القريحة ، ويغنيان الأدب ، يتكونان من ((**حاصل الجمع بين قصيدتين ودّيتين ، تكون الثانية منهما جواباً للأولى ، وتشتركان في الوزن والقافية ، وحرف الروي**)) [3] .

فمن تلك المطارحات ما دار بين الشاعرين حسن فرح الفيفي [4] ، والشاعر المصري محمد عبدالرحيم عبدالغني ، وذلك عندما أنشد الشاعر حسن الفيفي قصيدته التي يمدح فيها فيفا ، ويفضلها على بلاد الشام ومصر ، فيقول فيها :

وما فيفاء إلا روض عدن مفاتنه تهيم بها القلوبُ
فأين الشام منها أين مصر ومنها أين ذا اليمن الخصيبُ
عروس جزيرتي فعلاً تناهى إليها الحسن فهو لها قشيبُ

فألهبت هذه الأبيات مشاعر محمد عبدالرحيم عبدالغني – مدرس اللغة العربية بمتوسطة فيفا–، فرد عليه بقصيدة يدافع فيها عن مصر ، ويفضلها على ما سواها من البلدان ، فيقول:

---

(١) هو يحيى بن محمد هبلول ، ولد بضمد سنة ١٣٨٩هـ ، حصل على شهادة الثانوية من المعهد العلمي بضمد ، ثم التحق بكلية اللغة العربية بجامعة أم القرى ، وحصل على البكالوريوس منها سنة ١٤١٠هـ ، وعين إثر ذلك مدرساً بالمعهد العلمي بضمد ، وله عدد من القصائد المخطوطة ، ومنها ما نشر في بعض الصحف المحلية . انظر ترجمته في : فرجة النظر ، للشعفي ٢/ ٣٩٦ .

(٢) انظر : فرجة النظر : لأحمد الشفعي : ٢ / ٣٩٧ .

(٣) الإخوانيات في الشعر العباسي ، د. محمد الملا : ٢٠٩ .

(٤) هو حسن بن فرح بن أسعد الفيفي ، ولد بفيفا ، ثم التحق بالمعهد العلمي بصامطة ، وحصل على الثانوية ، ثم التحق بكلية اللغة العربية بالرياض ، ثم عين في أبها مدرساً ، ثم انتقل إلى فيفا مديراً لمتوسطتها ، ثم لثانويتها ، له كثير من القصائد ، وهو مجيد في شعر الفكاهة والإخوانيات . انظر ترجمته في : فرجة النظر ، للشعفي ١/ ٢١٠ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

فـلا فـردوس إلا روض مـصر　　وكـل نـسيمها روح وطيـبُ
فـأين الـصخر هـذا مـن مـروج　　فـذا حجـر وذا تـبر خـصيبُ [1]

فأجابه الأستاذ حسن فرح الفيفي بقصيدة أخرى طويلة ، جاء فيها :

ففيفـاء الجنـوب بهـا مزايـا　　تجلـت لا توازيهـا الـسهوبُ
مـروج بالطبيعـة ساحـرات　　ومـا أودت بنظرتهـا الحقـوبُ
ورغـم بعادهـا عـن نيـل مـصرٍ　　فقد شربت وطاب لها الشروبُ
لهـا نيـل يظللهـا ويحنـو　　عليهـا إنـه الجـون [2] الـسكوبُ
كـأن الله لـم يخلـق بـلاداً　　سوى مصرٍ ولا خلقت شعوبُ [3]

وقد تدخل بينهما الشاعر علي بن قاسم الفيفي بقصيدته (لكل في الهوى نـزع) ، وفيها يتحدث عن جمال مصر وروعة نيلها ، وقدرة شاعرها علي إبراز محاسنها ، وهذا حق لكل شخص في التغني بوطنه ، وتفضيله على ما سواه ، يقول :

أخلاّنـا تغـنّى العنـدليب　　فأشجى لحنه الغرد الطروب
مغـاني النيـل مـن أرض تـسامت　　بهـا الأهـرام والـصرح المهـيب
وهـيج وصفـه الزاهـي لفيفـا　　دفـين الحـب فـارتفع النحـيب
وغارت أنفس من حسن وصف　　علـى مـصر ومـا هـذا غريـب
لكـل في الهـوى نـزع وكـم مـن　　عـذول في المحـاسن يـستريبُ
وكـم حـسنا عـلى الحـسناء تبغـي　　فتعجزهـا المثالـب والعيـوبُ

وفي آخرها يتحدث عن قدرة الله – عز وجل – ، وروعة الإبداع ، وأن كل قطر له ميزات تفضله عما سواه ، ولكنه يشير في البيت الأخير إلى أن هناك فرقاً كبيراً بين

(١) الطيف العابر ، لعلي بن قاسم الفيفي : ٥٣ .
(٢) الجون : السحاب الكثيف .
(٣) المصدر السابق : ٥٣ – ٥٤ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الحسن الطبيعي وبين الحسن الذي صنعته أيدي البشر ، وهو في ذلك كأنه يفضل فيفا على مصر من وجه خفي ، فيقول فيه :

وهل حسن بصقع لم تشبه نقائص أو تنغصه ثلوبُ

وما حسن طبيعي كحسن تزوقه الأيادي أو تشوبُ (١)

ومن المطارحات الأخرى ، أو ما يمكن أن يسمى الحلبات الأدبية ما دار حول قضية المغنية المصرية (أم كلثوم) ، وسبب ولوج بعض الشعراء إلى هذه الحلبة الأدبية ، هو أن شاعراً اسمه أحمد عبده عيسى رثى أم كلثوم بقصيدة بلغت ستة عشر بيتاً ، وأشاد بفنها وغلا في إطرائها ، ومطلع قصيدته :

هل صح ما شاع من أخبار ناعيها وغيب الشمس في الآفاق باريها

فانبرى له الشاعر حسن علي أبو طالب القاضي (٢) أحد مدرسي المعهد العلمي بجازان – آنذاك – ورد عليه بقصيدة أنكر فيها عليه مديحه لمغنية ورثاءه لها ، مطلعها :

من أم كلثوم هذي أنت تبكيها ومن بها كلف إياه تنعيها

وبعد ذلك انجرّ الشاعر علي النعمي إلى هذه الحلبة الأدبية ، فأنشأ قصيدة انتصر بها للشاعر أحمد عبده عيسى ، ورد بها على حسن أبو طالب القاضي ، ومطلعها :

قصيدة حركت وجدي أرانيها خل عزيز لشيء شدّه فيها

---

(١) المصدر السابق : ٥٤ .

(٢) هو حسن بن علي أبوطالب القاضي ، ولد بقرية الوحش من أعمال صامطة بمنطقة جازان سنة ١٣٥٨هـ ، والتحق بالمعهد العلمي بصامطة ، وتخرج منه سنة ١٣٨٤هـ ، ثم واصل دراسته الجامعية في كلية اللغة العربية بالرياض ، فحصل على شهادة البكالوريوس منها سنة ١٣٨٨ / ١٣٨٩هـ ،وبعد ذلك عين مدرساً بالمعهد العلمي بجازان ، ثم بجدة ، كان نائباً لرئيس نادي جازان الأدبي ، وهو عضو بالنادي الأدبي بمكة ، له أشعار مخطوطة كثيرة ، وهو شاعر مجيد ، غير أنه أحجم عن نشر أشعاره في دواوين مستقلة ، ويا ليته يتخلى عن هذه الفكرة . انظر ترجمته في : التاريخ الأدبي لمنطقة جازان ، للعقيلي ٣/ ١٥٤٧ ، وفرجة النظر ، للشعفي ١/ ٢٢٢ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

فرد عليه الشاعر القاضي بقصيدة بلغت ثلاثة وأربعين بيتاً ، فند فيها وجهة نظر النعمي ، واحتد في التعبير فيها ، مطلعها :

جاءت تزاور خجلى من تجنّيها　　مرتاعة الخطو تحكي وجه مهديها

وبالمقابل لم يسكت النعمي على ذلك ، فأنشأ قصيدة طويلة بلغت مائة وأربعة أبيات رد بها على حسن القاضي ، مطلعها :

ذكرى الزمالة ذكرى لست ناسيها　　وإن تولّت سيبقى عَرْف ماضيها

وهنا يتدخل الشاعر علي بن قاسم الفيفي مرة أخرى لفض الخصومة ، وحل الإشكال ، فأنشأ قصيدة سماها (التوفيق بين الخصوم) ، وقدم لها بمقدمة أوجز فيها آراء علماء الشريعة في الغناء ، ودليل كل رأي ، والقول الراجح [1] .

ومن تلك المطارحات ما دار بين الشاعرين حجاب الحازمي وعلي بن حسين الفيفي، حيث أنشأ الحازمي قصيدة مدح فيها تهامة وجوها ، عنوانها (سيدة المصيف) ، وأهداها إلى علي بن حسين الفيفي ، مطلعها :

لم أنت يا ذات الخمار الأرجواني الشفيفِ
تُبدين بعض مفاتن العينين في زهوٍ ظريفِ [2]

وقد أجابه الشاعر علي بن حسين الفيفي بقصيدته (نزحت إلى ضمد العلوم) تحدث فيها عن قصيدة حجاب ، مطلعها :

أدنو وتنفر كالمها وتلوذ باليأس المخيفِ
وتطل كالحسناء ذات المجد والقصر المنيفِ [3]

(١) انظر : الطيف العابر : ٦٧ – ٧٠ .
(٢) الهمس الخافت : ٧٠ .
(٣) المصدر السابق : ٧٦ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وفي مثل هذا اللون من المطارحات الإخوانية يبدأ الشاعر الثاني قصيدته – في الغالب – بمدح وترحيب بالقصيدة التي وصلت إليه وحلت بساحته ، ثم ينفذ إلى مدح المرسل الذي أتحفه بتلك القصيدة ، ويستطرد في الثناء عليه ، والإفصاح عن مشاعره تجاهه ، وهي بالطبع مشاعر حب ورضى ، ومودة وإخاء ، ويشير الشاعر في آخرها – كثيراً – إلى عجزه عن مجاراة مطارحه ، ويعترف بأن شعره بالنسبة إلى شعر سابقه لا يساوي شيئاً ، ولكنه اضطر للرد مجاراة لا مماراة ، وهو مع ذلك لن يدرك شأو سابقه ، والفضل دائماً للأول في نظر غالب المطارحين ، مالم تكن هناك قضية نقاش مثيرة ، أو لم يحتد النقاش مثلما حصل في قضية الغناء ورثاء المطربين التي سبق الإشارة إليها .

ثالثاً - المراسلات :

وهي لون من ألوان الشعر الإخواني ، يزف فيها الشاعر تحاياه إلى المرسل إليه ، ويحثّه على الاتصال به ، وقطع هجرانه ، أو يطلب منه أن يلبي له أمراً يرغب في الحصول عليه .

والفرق بينها وبين المطارحات والمساجلات ، أن المراسلات هي قصائد يرسلها الشاعر ابتداءً ، أما المطارحات فهي حلبة أدبية يكون فيها ردود وأجوبة ، ونقاش وتناظر .

ومن تلك الرسائل الشعرية رسالة الشاعر علي بن محمد صالح عبدالحق [1] إلى الشاعر محمد بن أحمد العقيلي أرسلها من مصر بعد سماعه العقيلي في الإذاعة يلقي قصائده :

صديقي العقيلي حميد الخصال قوي القريحة والذاكره
أفيدك أني على ما يرام من الأنس والراحة الوافره
وقد كنت في ليلة جالسا بإحدى المنازل في القاهره

(١) هو علي بن محمد بن صالح عبدالحق ، ولد بجازان سنة ١٣٣٢هـ ، تلقى تعليمه على يد عدد من المشائخ في جازان والوافدين إليها مثل علي السنوسي ، وأحمد زيلعي عمر ، وعبدالرحمن بن عقيل ، ومحمد التويجري ، ولازم حلقات الشيخ عقيل بن أحمد ، عمل مساعداً لرئيس محاكم جازان من سنة ١٣٥٥هـ إلى سنة ١٣٨٨هـ ، ثم عين مستشاراً شرعياً بإمارة جازان إلى أن توفي سنة ١٣٩٧هـ ، وله قصائد كثيرة مخطوطة . انظر ترجمته وبعض أشعاره في : التاريخ الأدبي لمنطقة جازان : ٣/ ١٥٨٥ ، وفرجة النظر ، للشعفي : ٢/ ٣٦ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

وحولي نجلي وبعض الرفاق نعالج حالتنا الحاضره
سمعتك في جولة الميكرفون تردد أشعارك الفاخره
فأعجبني كل ما صغته لأيامك الغرر الزاهره
وأهدي السلام إلى شخصكم وأذكى تحياتنا العاطره[1]

وإضافة إلى رسائل الشوق والمعاهدة ، فهناك رسائل شفاعة واستمناح ، تتحول فيها القصيدة إلى كتاب مشفوع بمعاملة خاصة ، لقضاء طلب أو تحقيق رغبة ، ومن هذا النوع من الشعر الإخواني قصيدة أحمد بن علي الفيفي التي أرسلها إلى مدير التعليم بمنطقة مكة المكرمة، يطلب فيها نقله من المدرسة التي عين فيها ، لبعدها عن أهله وأحبابه في مكة حيث يسكن ، ومما جاء في تلك الرسالة قوله :

أيا صاحب الأمر ، إليك قضيتي فقد شطّ بي داري وإني لمجهد
أتيت إليكم واشتياقي يشدني إلى مكة الغراء والله يشهدُ
لأن بها أهلي وداري وراحتي وبعد النوى أصبحت بالقرب أبعدُ
بمدركة الخضراء بين مرابعٍ وأودية فيها الخلي سيسعدُ
فقد أغتدي والطير في وكناتها ولا أسمع الطير الطروب يغردُ
وإن إيابي والدياجي تحفني وفي وحشة في الليل بوم يُعَرْبِدُ[2]

وفي آخر القصيدة يشير الشاعر إلى معاناته ، وأنه يخشى أن تمضي حياته في الغربة ، وأنه لم يكن طلبه هذا ناشئاً عن التخاذل ، وطلب الدعة والراحة ، ولكنه لم يعد قادراً على الصبر ، وأنه كله أمل في أن يحقق مدير التعليم مطلبه ، ويسعفه إلى ما يريد ، ويختمها بقوله:

سيمضي شبابي في اغتراب ووحدة وما زالت الأيام للبعد تنشدُ
فإما ترى أمراً يسيراً لديكم وإن كان ظني أنني بك أسعدُ

(١) التاريخ الأدبي لمنطقة جازان ، محمد العقيلي : ٣/ ١٥٨٥ .
(٢) السحابة : ٧٢ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وإن لم أنـل مـا قـد رجـوت فـإنما عزائي بكم أن ليس غيرك ينجدُ[1]

وشاع لدى الشعراء في مقام الإخوانيات التقاريظ التي يرسلها الشعراء إلى بعض المبدعين ، ومن ذلك رسالة حسين الكريري إلى غازي القصيبي رداً على خطاب تلقته قيادة كلية الملك عبدالعزيز الحربية التي ينتمي إليها الكريري ، وفيها يقول :

جاء الخطاب جميلاً وسط برواز يوحي بأن الذي قد خطه غازي
أسلوبه سلس والصدق ميزه كل الوضوح به من دون ألغاز
تسري عبارته في قلب سامعه كما سرت شعلة المصباح من غاز
شكراً أيا من غزا بالحب أفئدة فلا غريباً إذا سميت بالغازي
فأنت شخص حباه الله موهبة تكاد ترقى إلى سحرٍ وإعجازِ[2]

وشبيه بهذه القصيدة قصيدة أحمد العطاس التي أرسلها إلى القاص عبدالله أحمد باقازي تقريظاً لمجموعته القصصية (القمر والتشريح) ، وفيها استطرد مبدياً إعجابه ، وملخصاً لما فيها من مضامين ، داعياً إلى السير خلف باقازي في القصص الهادف والجميل في الوقت ذاته، ومطلع تلك القصيدة الإخوانية :

ماذا أقول إذا القصاص باقازي مجلي الحقائق في فيضٍ وإيجازِ[3]

ومن أهم ملامح المراسلات الإخوانية أنها تشبه الرسائل النثرية إلى حد بعيد ، ولا يفرق بينهما سوى الوزن والقافية ، ومن ثم نجد أن هذا اللون من الشعر قد قام مقام النثر ، وأدى دوراً كان في أغلب مهماته منوطاً بالنثر .

ومما يميز هذا اللون من الشعر – أيضاً – قصر القصيدة ، وذلك مقارنة بالقصائد في الأغراض الأخرى ؛ وذلك لأن لأي رسالة هدفاً محدداً ، ما إن يشعر

(١) المصدر السابق : الصفحة نفسها .
(٢) عزف على أوتار الحب : ٣٥ – ٣٦ .
(٣) من وحي التأملات : ٥٧ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

الشاعر أنه قد تحقق أو وصل إلى فهم المرسل إليه حتى ينهي رسالته ، ويلجم قلمه حفظاً وصوناً لمشاعر المرسل إليه ونفسيته من أن يتسرب إليها الملال والإثقال .

رابعاً - الفكاهة والمداعبة :

تعد الفكاهة والدعابة لوناً من ألوان شعر الإخوانيات ؛ لما تحدثه من جوٍّ اجتماعي عامر بالصفاء والمرح والحبور ، وتضفي على العلاقات بعداً أكبر من كونها مجرد نكتة أو طرفة وقتية ، إلى أن تعمق الصداقة ، وتعمل على توثقيها .

وممن سلك هذا الجانب من الشعراء محمد أحمد الشنقيطي في أكثر من قصيدة ، ومما له في هذا اللون من الشعر قصيدته : (نبضات) ، التي أهداها إلى صديق له قابع في عاصمة الضباب (لندن) التي رحل إليها ، وأطال البقاء بها ، فداعبه الشنقيطي بأنه لقي هناك ما يشغله عن الرجوع ، وما جعله ينسى أهله وأحبابه قائلاً :

سليل العروبة والباديه	بلندنَ تعشقه آريه
وقد كان فينا لموضي عشيقاً	ويعشق في سفرة شاديه
أماني صباه نسيم عليل	يزيحُ العباءة عن خافيه
فأصبح في لندن عاشقا	لشقراء كاسية عاريه
وكان يسمى بخالد فينا	فأصبح (كالد) في قاصيه
وكنا نسمى الصديق خليلا	فعاد (كليلاً) لدى ساقيه
ويبني البيوت ويشري اليخوت	وينسى الرجوع إلى الرابية
فإن كان ذاك التهاب الشباب	فهمنا التولع بالغانيه
وإن كان ينوي بقاء طويلا	رجونا له العفو والعافيه [1]

(١) قلب يتنفس : ٨٦ – ٨٧ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وللشاعر علي بن حسين الفيفي قصيدة لطيفة وظريفة صور فيها بسخرية عنجهية وكيل الرقيب الذي وكلت به مسؤولية تدريب وتنظيم الفرقة العسكرية التي ينتمي إليها الشاعر ، ورسم شخصيته رسماً درامياً مضحكاً ، وذلك في قوله :

الذكـــريات لم تـــزل في مهجـــتي مـــسطره
يـــوم الوكيـــل واقـــف أخلاقـــه مكـــدره
يخاطـب الطـلاب والنفـ ـس أبـــت أن تعـــذره
إذا مـــشى تـــراه يمـــ ـشي مـــشية المجـــنزره
نحبـــه لكننـــا نخـــشى كثـــيراً خطـــره
يجـــول فـــي الميـــز (م) تـــراه قـــد أجـــال بـــصره

ثم ينقل الشاعر بعد ذلك تصريحات ذلك الوكيل المتأفف الضجر من سلوكيات أفراده ، التي كان يواجههم بها صباح مساء :

قـــال أظـــنُّ أنكـــم مـــن مـــارج لا مـــدره
مـــن يـــوم جئـــتم هـــا هنـــا الله كـــف مطـــره
وقـــال نحـــن ، لا الـــز مـــان قـــد أشـــبنا شـــعره
أصـــواتكم عـــلى الطعـــا م كمـــواء الهـــرره

ثم تطرق الشاعر إلى إيراد تهديدات ذلك الوكيل وإيعاده لهم بالشر والجزاءات والعقاب الصارم لكل من يتجاوز حده ، ولا ينفذ ما يؤمر به ، قائلاً :

وقـــال إن عنـــده دواء داء الثرثـــرة
وعنـــده إضافـــة بعـــد الغـــدا منتظـــره[1]

(١) رحلة العمر : ٧٣ – ٧٤ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

ثم أورد بعد ذلك مزاعم ذلك الوكيل على سبيل التندر به ، والاستخفاف ببعض أقواله ، وهو أنه يزعم أن ما يفعله من باب السيرة الحميدة ، ومصلحة الجميع ، وأنه حريص على أخوتهم ، ولا يريد التسلط والتحكم فيهم ، ورأى الشاعر أن هذا الزعم من نكته التي تزيدهم حنقاً عليه ، وسخرية منه :

كم نكتة جاء بها لطيفة مبتكره
قد سار فينا سيرة حميدة ميسره
يريدها أخوة ولا يريد السيطرة

وتلك الراحة التي يزعمها ، والسيرة الميسرة التي ينشدها ظهرت في ما يقدمه لهم ، وما يطلبه منهم ، حيث جاء ذلك على لسان الشاعر في قوله :

ينفذ النظام حر فياً وما من معذره
والطاعة العميا علينا أصبحت مقرره
ولو رأى مرشحاً ورجله مجبره
لم يحضر الطابور هيهات له أن يعذره (1)

وهدف الشاعر من هذه القصيدة هو الإضحاك والتندر ومداعبة ذلك الوكيل .

خامساً - العتاب :

هو لون من ألوان الشعر الأخوي ، تناوله الشعراء منذ القدم ، وهو وليد الشعور الغاضب ، ولكنه ليس غضب الحقد ، وإنما غضب الدالة .

والعتاب سبيل يعيد صفو الأخلاق بعد كدر ، ويؤكد الصحبة إذا ما شابها غضب ، وهو دعوة إلى التصافي إذا أصاب المودة خلل ، شريطة ألا يكثر المعاتب منه ، وشريطة أن يكون يمازجه الاستعطاف والاستئلاف ، بأسلوب لين هادىء ، فإذا أكثر

(١) المصدر السابق : ٧٤ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الشاعر منه ، أو دخل فيه المن والإجحاف ، أو الاحتجاج والانتصاف كان سبيلاً إلى القطيعة والجفاء ، بل وربما الملاحاة والهجاء [1] .

وقد جاءت معاتبات الشعراء كثمرة لظاهرة الصداقة ، التي تعد من أهم الظواهر الاجتماعية وأكثرها قوة واتساعاً ، ومن تلك المعاتبات على سبيل المثال عتاب علي النعمي لصديق رماه بكلام جارح ، بدأها ببيان عاقبة من يزرع النمائم ويبذر الشرور ، وبالتذكير بعهد الصداقة القديم ، سواء بينهما أم بين أقاربهما يقول :

من يزرع الشوك بدرب امرئ فليس يجني منه حالي العنب
هل كان قبل الآن لي موقف نحوك مشبوه لتبدي الغضب؟
عشرون عاماً وسواها مضت ما بيننا عامرة لم تشب
وقبلها بين ذوينا انتهت بالصفو أيام طوتها الحقب
ألم تكن تشفع لي من أذى يراد أو تكفي لوأد الحرب؟
ياصاحبي لو كنت تدري بما يجمعنا ما الوجه منك انقلب
من رابط حي ، ومن ألفة متينة ما بين جد ، وأب
لو كنت تدري..كنت لي عاذرا في منطق صاف صفاء الذهب
لكن تماديت ، وما حيلتي غير التوقي من سهام العطب

وبعد ذلك يستعرض الشاعر قوته ، وأنه ليس عاجزاً عن الدفاع عن نفسه ، وأنه قادر على رد الصاع بالصاع ، ولكن لن يفعل ، وفي نهاية المطاف كل منهما يعرف قدر نفسه ، وذلك في قوله :

مهلاً رعاك الله يا صاحبي ولتتذكر موجبات الصحب
فالمال لا يعطيك ما تشتهي من رفعة .. والرأس غير الذنب

(١) انظر : العمدة ، ابن رشيق القيرواني : ٢ / ١٦٠ ، والإخوانيات في الشعر العباسي ، محمد الملا : ٩ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

وما أنا من يتهاوى ولا سيفي إذا جردّته من خشب
ولن ترى مني أذى ظاهرا أو باطناً .. والزم حدود الأدب
إن كان من طبعك حب الأذى فكل فعل صادر عن سبب
لن تغلب البومة صقر الفضا وليس للأمرد وجهُ الشنب [1]

وإن كان النعمي قد جنح في آخر قصيدته إلى القسوة والعنف في وصف صاحبه بأنه كالبومة أمام الصقر ، فإن غيره من شعراء جازان قد مالوا في معاتبتهم إلى مزج العتاب بالاستعطاف والرقة ، والأسلوب المهذب الذي يجمع بين العتاب والمداعبة ، ومن ذلك قصيدة الشاعر علي بن حسين الفيفي التي وجهها عتاباً إلى صديقه يحي الفيفي المبتعث للعمل في دولة موريتانيا الإسلامية ، حيث طال المقام بهذا المبتعث في نواكشوط ، ولم يراسل أخاه الشاعر ولا أهله ، وداعبه بأن الذي جعله ينسى أحبابه وأصحابه ولا يسأل عنهم هو جمال الموريتانيات الذي أغراه بالبقاء ونسيان كل شيء ، وفي ذلك يقول :

رأيتم في(نواق الشط)[2]أن الـ عيون تذيبُ أفئدة الشبابِ
فإن أغراك يا يحيى جمال فهل تنسى مراسلة الصحابِ ؟
وقد طال الغياب ولست أدري أمرتاحٌ لطول الاغترابِ ؟
تمني النفس من حين لحين وأهلَك والأحبَّة بالإيابِ [3]

ومن العتاب الرقيق ذلك العتاب الذي وجهه الشاعر منصور دماس للشاعر محمد بن علي السنوسي عندما توقف عن قول الشعر في أخريات أيامه ، ورأى دماس في تجميع السنوسي لدواوينه الشعرية في مجموعة واحدة أن ذلك مؤذن بالتوقف عن الشعر ونهاية المطاف وخاتمة الرحلة ، وفي ذلك يقول مخاطباً السنوسي :

(١) جراح قلب : ٩٢ – ٩٣ .
(٢) نواق الشط : الاسم العربي القديم لعاصمة موريتانيا ، الذي حُرّف الآن ليكون : نواكشوط .
(٣) رحلة العمر : ١٤٠ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

إني أعاتب فيك الشعر هل نضبت منك الموارِدُ؟ أم ضلت عن الوطنِ
أم ساور النفس بخلٌ بالنفيس فلم تبذله ؟ أم ألجمتها حالة الزمنِ ؟
رسمت جازان لوحات مذهبة وحسنها يطلب الأبهى ، ألم يكنِ؟
وناس جازان ، قد أسقيتهم عسلا ماذا جرى ؟ أنتاج النحل لم يحنِ؟
فكلّ مولعةٍ بالمسك ، لا عجباً إذا اشتهته ، وعابت ريحه العفنِ
إني إخالك ، مُذْ جمّعتَ في عجلٍ كل الدواوين كان الداع في الكفنِ[1]

ثم دعاه بعد ذلك إلى مواصلة عطائه وعدم التوقف ، وعليه أن يطرد باعث الوهن ، يقول :

واصل عطاءك لا تبخل فأنفسنا عطشى له ورضاها أنفس الثمنِ
أعلى الرواسي يظل الدهر منفردا فاثبت مكانك واطرد باعث الوهنِ[2]

وكان الشاعر قد توقع أن قيام السنوسي بإخراج مجموعته الكاملة ومراجعتها يوحي بإحساس السنوسي بنهاية رحلة الحياة ، وفعلاً حدث ما توقعه الشاعر ، فقد توفي السنوسي بعد هذه القصيدة بثلاثة أشهر فقط ، ولم يتمكن السنوسي من تحقيق رغبة معاتبه في إتحافه وإتحاف القراء بشيء من جديد إبداعه ، ورائع شعره وبيانه .

وأخيراً فمما يمكن إلحاقه بالعتاب ماجاء في قصيدة (المطلقة) للشاعر أحمد الحربي ، حيث تحدث الشاعر بلسان مطلقة أحست بالظلم والقهر ، فوجهت رسالة إلى مطلقها تعاتبه على نكرانه وجحوده ، وعدم مقابلة الإحسان بمثله ، وإنما كان عديم الحس ، ميت الشعور ، ومن هذا مثله فلا أسف على فراقه والراحة منه ، تقول :

غزلت من الجفون دثار حبٍّ ومن خدي صنعت لك الوساده
ومن عيني وهبتك كل شيء ترى فيه المحبة والسعاده

(١) شعور مغترب : ٨٢ – ٨٣ .
(٢) المصدر السابق : ٨٣ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

حملتُ لك البنين بكلّ صبرٍ　　يؤرقني السهاد بلا هواده
فكان الصدق في الاحساس طبعي　　وكان هوى الطلاق لديك عاده
أهذا العهد ترميني جزافاً　　وتقتل فرحتي يوم الولادة
فلا أسف عليك ضعيف قلب　　عديم الحس مسلوب الإرادة
و لا أسف على ما فات حسبي　　شهور رَيْعها في ابني (حماده) [1]

**

ب- الهجاء :

جاء الهجاء في شعر جازان في أنواع ثلاثة لا يكاد يخرج عن إطارها ، وهي الهجاء الشخصي ، والهجاء السياسي ، والهجاء الاجتماعي ، وما وجد من هجاء في سائر أنواعه كان منصباً على سلب الفضائل النفسية للمهجو ، وإبراز أوجه العيوب لديه ، ولم يتعد ذلك إلى الحديث عن المعايب الجسدية ، وصنيع الشعراء هذا هو أبلغ الهجاء وأشده إيلاماً ، وقد قال النقاد القدامى : ((**أبلغ الهجاء ما يكون بسلب الصفات المستحسنة التي تختص بالنفس من الحلم والعلم والعقل وما يجري مجرى ذلك ، وليس الهجاء بقبح الوجه ، وضؤولة الجسم ، وقصر القامة ، وما في معنى ذلك بليغاً مرضياً**)) [2] .

ونستطيع تلمس هذا من خلال استعراض مظاهر شعر الهجاء عند شعراء جازان ، وذلك فيما يلي :

أولاً - الهجاء الشخصي :

من قصائد هذا اللون من الهجاء قصيدة الشاعر علي بن قاسم الفيفي التي هجا بها بعض من أسماهم المغرضين ، الذين تعرضوا له بالمضايقات والوشايات ، فصب عليهم جام غضبه ، وقد بدأ قصيدته بالتوجه إلى الله بالحمد والشكر ، حيث ملأ فؤاده

(١) رحلة الأمس : ٤٤ .
(٢) ديوان المعاني ، لأبي هلال العسكري : ١ / ٢٠٢ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

رضيً ومحبته لكل الناس ، وكفاه شر الدسائس ، وألهمه الصبر الجميل ، في حين حرم آخرين من هذه النعم ، ثم دلف بعد ذلك إلى المغرضين بقوله :

فكم بيّت الغاوون منهم مكائدا ومكراً فعاد الكيد والمكر للنحر
وكم من جهول قال في تطاولا وينفخه كالغرب من كان ذا غمر
ويبدي ارتياحاً إن رآني وغبطة ويغلو علي الصدر بالغيظ كالقدر
يدق على أوتار حقد فؤاده لذلكمُ المسكين والجاهل الغر (1)

ثم يشتد الشاعر في هجائه ، مصوراً أنه من هذه حاله لا يستحق المجاراة ، بل الإعراض عنه هو خير رد عليه ، وأنه سيتركه مثل العبد الذي يغني لنفسه ويرقص على تلك الأنغام وحده دون من يشاركه أو يهتز له ، ومن هذه حاله ، فهو كالكلب ، إن جاريته واستثرته زاد نباحاً ، وإن تركته صمت :

فأعرض يفري الجلد مني كما يشا لأن له من جهله واسع العذرِ
وأتركه كالقين غنى لنفسه ويرقص للأنغام في مهمهٍ قفرِ
فما هو إلا الكلب إن ما استثرته يرد نباحاً وهو بالمظهر الكشرِ

ويتحدث الشاعر عن أنه كلما بالغ أعداؤه في ذمه ، والحط من قدره بالغ هو في الحلم عليهم، والصفح عنهم ، وإحلال عرضه لهم ، إذ ليس من خلقه مجاراة أمثالهم ، يقول:

وباغ غشوم حلت من دون ظلمه وحذرته من ذلك المسلك الخطر
فولى ونار الغيظ تصلي فؤاده وقد عد صنعي أعظم الظلم والجور
وناصبني مر العدا حيث خالني له عائقاً عن مرتقى غيه الوعر
فقلت له : مهلاً فأنت بذمتي ولا تخش من وجدي عليك ولا ضري
ولا تخش كشف الستر مني لسوأة علمت، وإن بالغت في الحط من قدري

(1) الطيف العابر : ١٥٢ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

وقل أنت والمصدور من كل حاقد　　لما شئتماه من هراء ومن هذر
هنئاً لكم جلدي ولحمي فمزقوا　　فلي بركم يجري وأنتم لكم وزري
ولا تخشيا ردّي القبيح بمثله　　فلي شيمة تأبى عن الختل والغدر

ويختم الشاعر قصيدته بالافتخار بنفسه ، وأنه لا يضره عداء من عاداه ، وأنه سيأتي اليوم الذي يدرك فيه شانئوه وحاسدوه أنه كان على حق ، فيأتون نادمين معترفين بخطأهم ، وصواب ما كان عليه هو :

فما نال من شمس الضحى حجب ضوئها　　عن الأكمه المضرور أو ذابها يزري
ولا المسك إذْ لم ينش فاقد شمّه　　شذى عرفه الزاكي وتضواعه العطري
فتأتي به الأيام خجلان نادماً　　وقد زال دكن الغيم عن طلعة البدر
جفاني زماناً ثم تاب لرشده　　وأبصر نور الحق كالكوكب الدري
وقال : جزاك الله خيراً عصمتني　　وقد كنتُ من نشوة العصيان في سكرِ[1]

ومن هذا اللون من الهجاء قصيدة الشاعر علي النعمي (إذا عبدت فاعبد الله) ، حيث هجابها الشاعر أحمد السقاف الذي نشرت له مجلة العربي الكويتية قصيدة غزلية ، بعنوان (نداء قلب)، اتخذ المرأة فيها إلهاً له يعبدها ، ويسجد ، ويركع من أجلها ، إذ يقول :

عبدتك يا كل شيء لدي　　لعينيك – يا فتنتي – أركع

فتصدى له الشاعر علي النعمي بهذه القصيدة ، فهجاه هجاءً مراً ، ومنطلقه في ذلك من غيرته الإسلامية ، وفيها يقول :

وما عاشق قاده عشقه　　إلى الكفر إلا ك يا أوكعُ
أكنت وقد قلتها مسلماً　　ومن دركات اللظى تفزعُ ؟
(عبدتك يا كل شيء لدي　　لعينيك – يا فتنتي – أركع)

(١) المصدر السابق : ١٥٢ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

أفي بلد الضاد أرض الكويـ ـت تجاهر بـا لإثـم لا تجـزع
كـرهت نـشيدك يـا فاجـراً وعفـت نقيقـك يـا ضفـدع[1]

ثم يبين له الشاعر الخطأ الذي وقع فيه ، والمركب الوعر الذي امتطاه ، فيقول :

فيـالك مـن فـاسق مـارق من الفحش والجنس لا يشبع
أتخفـض قـدر الإلـه العظيـم وللقدر من مومس ترفـع ؟
أتعبدهـا دون رب السما وفـي ذلـة بابهـا تقـرع ؟
وتـسجد لا خائفـاً حولهـا وللعـين إن حملقـت تركـعُ
كرهتـك يـا عاصيـاً ربَّـه ومـن دينـه الكـأس والمخـدعُ

ثم يختم قصيدته بتذكير هذا المتهالك في الحب والمتجرئ على الله ودعوته إلى العودة إلى مولاه ، وأنه لن ينفعه إذا حل في قبره ، وجاءه منكر ونكير حسن تلك المرأة ، أو أن يشفع له في لحظات السؤال العصيبة ، يقول :

لقد بؤت بالخزي يـا جاهلا وأردتـك في سقـر بـوزعُ
غداً سوف تدري بأن الذي أتيـت عظيـم ومـستفظعُ
إذا ضـمك القـبر في عزلـة وأقعـدك الـسائل الأقـرعُ
أتسطيع دفع المصاب الذي وجدت ، وهل حسنها يشفعُ ؟
كرهـت وجـودك في أمـة تنـادي الحيـارى ألا فـارجعوا
فما عاصم غير تقوى الإله ولا لـسوى وجهـه نـضرعُ[2]

وللشاعر علي النعمي أكثر من قصيدة يهجو فيها الذين يتجرأون على الثوابت الإسلامية ، ومن ذلك قصيدته (جنح القطار وروع الركاب) ، التي هجا بها نزار قباني عندما تطاول على الذات الإلهية ، وذم المملكة العربية السعودية وسائر الدول النفطية ،

(١) الرحيل إلى الأعماق : ٣١ .
(٢) المصدر السابق : ٣٢ – ٣٣ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

وذلك في قصيدته التي ألقاها في المهرجان الذي أقامته الأمانة العامة لجامعة الدول العربية في تونس بمناسبة مرور خمسة وثلاثين عاماً على تأسيس الجامعة ، وقد صب الشاعر النعمي غضبه وغيرته وقوة لسانه على نزار قباني ، وذلك بقوله :

يا شاعراً منيت به الأحساب وتقيأت من ذكره الأنسابُ
من أي ماخور أتيت فطالما شقيت بفحش حروفك الآدابُ
واصل منادمة العقار فإنه للفاسقين محجة وكتابُ
واجمع بغاياك العجاف بحانة واعزف لهن لترقص الأعتابُ
فحصاد عمرك وردة منبوذة وقصيدة مخمورة وحبابُ

ثم يتوجه الشاعر بعد ذلك بعتاب ملؤه الأسى والحسرة إلى تونس الخضراء التي سمحت لمثل هذا أن يقول ما يقول على أرضها وبين أبنائها :

يا تونس الخضراء جاءك ملحد متمرغ في كفره كذابُ
يتلو عليك خواءه بوقاحة ويجله في أرضك المحرابُ
(إني لأشعر بالدوار) يلفني لفاً وفي تمزق الأعصابُ
يهذي نزار فلا يقال له كخ كالطفل بل يصغي له الأصحابُ
حاشاك تونس أن يردّد فاجر (والله مات ، وعادت الأنصابُ)[1]

ثم ينحي الشاعر باللائمة على الذين جلسوا يستمعون لهذا الشاعر المارق ، ويصفقون له في ملتقى يجمع ممثلين لكل دول العروبة ، ولا يقف له أحد ، ويوجه الأسئلة إلى أولئك الصامتين بقوله :

أيقول (مات الله) أية نغمةٍ هذي .. أما للمجرمين عقابُ ؟
وبقلب جامعة العروبة ملتقى دول الإخاء ولم يطله عذابُ ؟
أتكون جامعة العروبة منبراً للكفر يعلن أيها الأقطابُ ؟

(١) المصدر السابق : ٣٤ – ٣٥ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وكـأنما دول العروبـة كلهـا ورجالهـا المتجمعـون سرابُ
أيموت رب العالمين بأرضكم وتقـدس الأزلام والأنـصابُ ؟
أيكيـد للإسـلام بـاغ مغـرضٌ وتدوس آيات الكتاب كلابُ![1]

ثانياً - الهجاء السياسي :

انطلق الشعراء في هذا اللون من الهجاء من مبدأ الدفاع عن الحق ، والوقوف ضد الباطل ، ونصرة المظلومين والمضطهدين ، والدفاع عن وجهة نظر المملكة العربية السعودية ، خاصة إذا أدركنا أن أغلب ما قيل في هذا اللون من الهجاء كان مرتبطاً بما حصل من اعتداء العراق على الكويت ، وصنيع أحد طغاة العصر ، وهو صدام حسين الذي أضر بشعبه المسلم قبل أن يضر بمصالح الأمتين العربية والإسلامية .

وبتأمل قصائد الشعراء التي قيلت في هذا اللون ، يجدها متشابهة إلى درجة كبيرة في المضامين التي طرقتها ، فكلهم يتحدثون عن طغيان صدام حسين ضد شعبه ، وأنه أقحم جيشه في حروب مدمرة ، ولم يجن من وراء ذلك أي نتيجة غير التمزق والفرقة والقتل والدمار ، ومن ذلك قول الشاعر علي بن حسين الفيفي :

أصـوات جيـشك يـا صـدام خافتـة والشعب ما بين جاسوس ومضطهدِ
تشكو العراق الطواغيت الألى رحلوا وتـشتكي اليـوم مـن حكامهـا الجـددِ
وهتلـر اليـوم لـن تبقـى ببارقـه وإن دعـا نـاصراً في الأرض لم يجـدِ
الاغتيـالات والتنكيـل شرعتـه والـبطش بالنـاس والإفـساد في البلـدِ
كـم أقحـم الجيش في حـرب مـدمرة حتـى تمـزق والقتلـى بـلا عـددِ
واليـوم يرتكـب الأمـواج هائجـة ومـن مـشى في طريـق الشر لم يَعُـدِ[2]

(١) المصدر السابق : ٣٥ .
(٢) الهمس الخافت : ١٤٠ – ١٤١ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

وإن كان الشاعر علي بن حسين الفيفي قد أطلق عليه اسم (هتلر) ، فإن الشعراء قد أوفوا مصطلحات الشتم والسخرية به ، وجعلوا منه مثال الشر والطغيان ، والتقلب والنكران للجميل ، فعلي مديش يسميه (هدام) في قوله :

هدّام يا من هتكتم عرض جارتكم عند المنام كلصٍ هبّ في الظُّلَمِ[1]

ومثله في هذا الشاعر محمد الشنقيطي ، حيث يقول :

صدام هدّام يا أكذوبة غرست في الجيل جرحاً له الآلام تكتئب[2]

وفي قصيد أخرى يطلق عليه وصف (المأفون) ، وذلك في قوله :

أبديت يا مأفون شرَّ مفاسدٍ نهب وتنكيل وتفجير الشقاقِ[3]

ورسم الشاعر حسين الكريري شخصية صدام ، فجعل منه حية تنفخ أوداجها، وتتلوى مكراً ، ثم تنفث سمها في من حولها ، يقول :

حية بالرافدين انتصبت تنفخ الأوداج تيهاً وعجب
نفثت أوباءها في أهلها فأصابت من أصابت بالعطب[4]

ومن تلك المضامين التي كررها الشعراء كثيراً ، وتوقفوا عندها هو سلب الدعاوى التي ادعاها صدام حسين ونقضها ، حيث ادعى أنه صنع ما صنع من أجل العرب والعروبة ، وأنه حامي حمى العرب والمسلمين ، فشن الشعراء عليه حملة شعواء ، وصلت بالشاعر علي النعمي إلى أن جعله يهودياً ، وليس عربياً مسلماً ، حيث يقول :

فصدام يهودي صفيق وإن أرغى بتكريتٍ ، وأغرى
وإن باهى بأن له اتصالا بأحمدَ سيّد الثقلين طُرّا

(١) نبض القوافي : ٥٥ .
(٢) قلب يتنفس : ١٤ .
(٣) المصدر السابق : ١٩ .
(٤) عزف على أوتار الحب : ٥١ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وحث على الجهاد ، وغر قوما بزيف الادعا وأسر أمرا
فما هو من معد أو نزار وجُولدا أمُّه وأبوه عَزْرا [1]

ويقول محمد الشنقيطي في رده على زعم صدام بأنه عربي يدافع عن العرب :

ما أنت من حاتمٍ –حاشى –وعنترةٍ ولستَ في نسب الأشراف تُحْتَسَبُ [2]

وتحدث علي النعمي عن أن إحساس صدام بأنه الحر الوحيد المدافع عن العرب هو الذي قاده إلى ذلك التهور ، وصدق الدعاية التي أشاعها عن نفسه ، وصنعها له من حوله من مهرجين وأوباش ، ثم حدث ما حدث :

لكنه كان مخدوعاً ومنزلقا إلى تحالف أقوام وأقوامِ
وواقعاً تحت تأثير الدعاية من صنّاع شتى شعارات وحكّام
وأنه وحده الحرُّ الأبيُّ ومَنْ يرضي العروبة في نقض وإبرامِ
وسار بالجحفل الجرار تسنده عصابة بين حجام وفحامِ
وأعلن الغزو في سرية ومضى كالكلب ينهش في قلبٍ وفي هامِ
وما اتقى الله في طفل وأرملة وفي مصابٍ بأدواءٍ وأسقامِ [3]

ولم يتوقف هجاء الشعراء الذي انطلق من قضية غزو العراق للكويت عند هجاء صدام وصده ، بل شمل أيضاً الذين ساندوه ، ووقفوا معه وآزروه ، وهم يعلمون خطأه وجوره ، ومدى ما يجلبه على الأمة العربية من فرقة وتشتت ، فوقف الشعراء مشدوهين ومستغربين صنيع أولئك الأقوام الذين يدعمون الباطل في وقت كانت المملكة والكويت تمد إليهم يدها معينة ومساندة ، ولم تتخل عنهم يوماً ما سواء في حربهم أم في سلمهم ، وكانت الباب المفتوح لهم ، والساعد الأيمن الذي يعتمدون

(١) لعيني لؤلؤة الخليج : ٤٦ .
(٢) قلب يتنفس : ٢٠ .
(٣) لعيني لؤلؤة الخليج : ١٤ – ١٥ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

عليه ، ومن ذلك قول الشاعر محمد الشنقيطي في قصيدته (الفجر بعد الليل موعده انبثاق) ، المهداة إلى الفقيد الشيخ فهد الأحمد الصباح ، مخاطباً العراق الذي ساانده السعودين والكويتيون في حربه مع إيران ، ولكنه تنكر لهذا الجميل :

أنسيت جاراً قد أعانك عندما زلت بك الأقدام واضطراب السياق؟
هلا ذكرت من الصباح مواقفا أو هل ذكرت من الركائز والرفاق
إنا مبادؤنا تفيض أصالة للخير نصرفها على قدم وساق
لسنا ككلب بعدما سمنته نهش اللحوم وطاب في فمه المذاق
جعل الضيافة والرهائن والـ ـكرامة واللئامة في مبادئه طباق (١)

وصور الشاعر حسين الكريري الذين ساندوا العراق ضد جيرانه العرب ، بأنهم كالكلاب المصابة بداء الكلب ، التي تعاوت حول العراق في صخب وضجيج لا طائل منه :

واستعانت بكلاب حولها حملت أذنابها داء الكلبْ
فتعاوت حولها تدفعها بنباح يتعالى في صَخَبْ (٢)

وتحدث في هذا علي النعمي مخاطباً الكويت مسلياً لها ، ومذكراً بمالها من إحسان على أولئك الجاحدين ، فيقول :

كويت إن الزعامات التي وقفت مع الغزاة تناست كل إكرام
تنكرت للأيادي البيض ، وانجرفت في حمأة السوء يالعار والذام
كانوا الضعاف ، فلاقوا منك قوتهم كانوا العراة فحازوا خير هندامِ
كانوا الحفاة فكنت الظل يغمرهم كانوا الظِّماء وكنتِ الوِرْدَ للظامي
كانوا من الخوف في رعب وقد أمنوا كانوا الجياع فنالوا خير إطعامِ (٣)

(١) قلب يتنفس : ١٨ – ١٩ .
(٢) عزف على أوتار الحب : ٥١ .
(٣) لعيني لؤلؤة الخليج : ١٥ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وفي موقف آخر يصف علي النعمي أولئك الموالين لصدام العراق بأنهم كالقطيع الذين تعالى نهيقهم ، ولم تزدهم الدنانير إلا صياحاً ، فبئس القوم هم :

يـا زمـان اللئـام عـما قريـب يـدرك الغابـرون تغريـر عـابر
وقطيـع الدينـار في كـل أرض يتعـالى نهيقهـا في الحظائـر
لم تزدهـا المخـلاة إلا صياحـاً وعليهـا دل اسـوداد المـشافر
قـل لمـن أوغـروا الـصدور هنيئـا وهنيئـاً لكـم بمـوت البـصائر
بـئس قـوم حيت جحافـل غـاز بـئس قـوم سراً تبيـع الـضمائر
وتـضحي مـن أجـل جـان بحـان وتعادي جاراً لإرضـاء جـائر[1]

ثالثاً- الهجاء الاجتماعي :

توقف بعض الشعراء عند بعض الآفات والأمراض الاجتماعية ، لا من أجل حلها أو تشخيصها – كما سيأتي الحديث عن ذلك في الاتجاه الاجتماعي – ، وإنما توقفوا عندها ذامين لها ، ومعرضين بأصحابها ، ومسلطين ألسنتهم اللاذعة ، وأقلامهم الحادة ضدها .

فمن تلك الأمراض النفعيةُ في العلاقات ، والمصلحيةُ في الصداقات ، ذلك مظهر اجتماعي للأسف شائع في كثير من التجارب اليومية ، تجد الشخص صديقاً لك بلسانه ، فإذا ما حصل منفعته ، أو حقق مطلبه إذا به لا يعرفك ، أو إذا زال منصبك ، أو لم يعد بحاجة إليك ، مر بك مرور الكرام ، وبدأ صداقة أخرى لمن سيحل في مكانك الذي كنت فيه ، أولئك الذين أسماهم الشاعر محمد بن علي السنوسي بـ (أصدقاء الوظيفة) ، في قصيدته (لكل صابون ليفة) ، حين قال :

أصـدقائي أم أصـدقاء الوظيفـة أنتم يا ذوي النفوس الـضعيفه
الألى تهـزأون بالمثـل العلـ ـيا وتلهـون بالمعـاني الـشريفه

(١) المصدر السابق : ٣٢ – ٣٣ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

بسمات ملونات وأخلا ق وصولية غلاظ سخيفه
ونفاق ملون تخجل الحر باء منه فتثني مكسوفه
تتدلى وتستكين وتنما ع وتغدو لكل صابون ليفه
فإذا ولت الوظيفة ولوا وأثاروا عليك حرباً عنيفه
خلق يشمئز منه كريم النـ ـفس والطبع والخصال المنيفه [1]

((ويبدو أنه نظم هذه القصيدة بعد أن ترك الوظيفة ، وحين وجد تبدلاً في أخلاق الذين كانوا يتملقون له ، يدل على ذلك قوله : أصدقائي أم أصدقاء الوظيفة ، وقوله : (فإذا ولت الوظيفة ولوا))) [2] .

والشاعر علي بن حسين الفيفي يصبّ جام غضبه على أحد المتكبرين الذين لا يرعوون لنصح ناصح ، أو وعظ واعظ ، ويرى أنه فوق جميع الناس ، وبين أن من هذا حاله سيلقى جزاءه عاجلاً في الدنيا بالكراهة ، وآجلاً في الأخرى بالعذاب الذي وعده المتكبرون فمّما جاء له في هذا المعنى قوله :

يخال الناس أقزاماً لديه ويحسب أنه فوق السحابِ
ولم نسمع حديثاً منه حلواً سواء في الحضور أو الغيابِ
وهل يرعى شعور الناس فظ غليظ القلب ناس للعقابِ
سيجزى بالكراهة وهو حي وفي الأخرى سيجزى العذابِ [3]

وهجا الشاعر منصور دماس رجلاً معجباً بنفسه ، ويدعي ما ليس فيها ، فوصمه بكل نقيصة ، وسلب منه كل فضيلة ، ونقض دعاواه ، قائلاً :

يلبس المكرمات زوراً ، ولكن في الخفاء يكون منها عريّاً
في ذكاء وفطنة ودهاء يتحدى ويبهت العبقريّا

(١) الأعمال الكاملة : ٤٣٨ – ٤٣٩ .
(٢) محمد بن علي السنوسي حياته وشعره ، القسومي : ١٩٤ .
(٣) رحلة العمر : ١٥ – ١٦ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

والأساطـــير كلهـــا تتـــلاشى إن تباهى ، فمـن تكون الثريّا
وهو في حومة الـوغى سـلحفاة ويعيـش الرخـاء نمـراً أبيّـاً
ما در البذل والشجاعة ضلت عنـــه لكـــن مثرثـــراً وغبيّـــاً
إنـــه منبـــع الحماقـــة إلا أن فيـــه صفاقـــةً ودنيّـــا[1]

* * *

هذه أهم أغراض الشعر في جازان ، على أن هناك أغراضاً أخرى قد وردت لدى الشعراء ، ولكنها مثلت نسبة ضيئلة من ذلك الشعر ،مثل الفخر ، والشكوى ، والاعتذار وغيرها ، ولكونها لم تحتل مساحة واسعة من خريطة الشعر في المنطقة لم أفرد لها مباحث خاصة ، ولكون أغلب الفخر الوارد هو مرتبط بقضايا العرب والمسلمين ، وهذا الموضوع له مبحث خاص في الاتجاهات الشعرية ، وما جاء من شكوى لدى الشعراء أكثره مرتبط بالغربة والحنين ، وقد مر الحديث عن ذلك . أما الاعتذار فلم أجد له سوى قصيدتين فقط ، على ما فيهما من ضعف وركاكة .

* * *

(١) جرأة قلب : ٤٣ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

الفصل الثالث

الاتجاهـات الشعريـة

١- الاتجاه الإسلامي .
٢- الاتجاه الوطني .
٣- قضايا العرب والمسلمين .
٤- الاتجاه الاجتماعي .
٥- الاتجاه الوجداني .
٦- الاتجاه التأملي .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

أولاً - الاتجاه الإسلامي :

قصر بعض الباحثين الاتجاه الإسلامي على شعر الوعظ ، الذي يهتم فيه منشئه بإسداء النصائح والتوجيهات ، ويرغب في الجنة ، ويحذر من النار ويخوف . وحصره بعضهم في ذلك الشعر الذي يتردد فيه ذكر الله تعالى ، واللجوء إليه ، وتمجيد الرسول - ﷺ - ومديحه وتعداد صفاته ومعجزاته [1] .

وحدده بعضهم بالشعر الذي يهتم بمعالجة قضايا المسلمين ، والاهتمام بشؤونهم، ورصد آمالهم وآلامهم .

وجعلته رابطة الأدب الإسلامي محصوراً في ذلك التعبير الجميل عن حقائق الوجود ، من زاوية التصور الإسلامي لهذا الوجود [2] .

والحقيقة التي يجب أن نعيها جميعاً أن مجالات الشعر الإسلامي التي يدور في فلكها ، وينابيعه الثرة التي يمتح منها أوسع من ذلك بكثير ، فهي ليست محدودة بحد ، ولا محصاة بعدّ.

وفي الحديث عن هذا الاتجاه في الشعر ، أرى أن التعريف الذي يمكن أن يفي بمرادنا من الشعر الإسلامي ، هو ((**ذلك الشعر الذي يتصل بالإسلام اتصال الفرع بالأصل والجدول بالينبوع ، الشعر الذي يحمل فكرة إسلامية نيرة ، أو عاطفة دينية سامية**)) [3] .

وبهذا المفهوم يدخل في إطار الشعر الإسلامي الشعر الخلقي، وشعر الحكم والنصائح، والدعاء والابتهال ، وكل شعر يتناول قضايا الكون والحياة والإنسان إذا مزج بالعاطفة الإسلامية ، وانطلق منها ، أو صبغ بالفكر الإسلامي ، ولم يخرج عن حدوده ومعالمه[4].

* * *

(١) انظر : الشعر الحديث في المملكة العربية السعودية ، د. عبدالله الحامد : ٢٩٤ ، وقد سمّى هذا اللون من الشعر (الشعر الديني) .

(٢) انظر : منهج الفن الإسلامي ، محمد قطب : ١١٩ .

(٣) الاتجاه الإسلامي في شعر محمد بن علي السنوسي ، دراسة تحليلية فنية ، مفرّح سيد : ١٩ .

(٤) انظر : المرجع السابق : ١٩ – ٢٠ ، والشعر الإسلامي في صدر الإسلام ، د. عبدالله الحامد : ١٤ – ١٥ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

وبتأمل الشعر في جازان ، نجد أن الشعراء قد انطلقوا في جل أغراضهم الشعرية وسائر موضوعاتهم من منطلق إسلامي واضح المعالم ، وأنهم – أو أغلبهم – قد عرفوا مهمتهم في الحياة ، ووعوا رسالتهم التي كلفوا بها ، فسخروا شعرهم وعواطفهم لخدمة الإسلام ، وسلط عدد منهم لسانه سيفاً قاطعاً في وجه الكفر والضلال ، ووقفوا سداً منيعاً وحصناً حصيناً أمام أعداء الإسلام [1] .

وليس غريباً أن يصطبغ الشعراء في جازان خاصة وفي المملكة العربية السعودية عموماً بالصبغة الإسلامية ، فهم أبناء بيئة مسلمة حريصة على تطبيق دين الإسلام ، والانصهار في بوتقته ، فقد شبوا متشبعين بالوازع الديني ، متمسكين بحدود الإسلام تنشئة وسلوكاً في الحياة ، يتعلمونه نظرياً ، ويرونه واقع حياة ، فكان شعرهم ملتزماً بهذه الناحية التزاماً واقعياً غلب على جميع أغراضهم وموضوعاتهم الشعرية ، وكان صوت الإسلام في شعرهم عالياً وواضح النبرة ، بلا تلجلج أو خفوت .

ونستطيع أن نتلمس هذا الاتجاه ، وذلك التأثر في المظاهر الآتية :

أولاً- الاتجاه الإسلامي في أغراض الشعر :

والمراد بالاتجاه الإسلامي في أغراض الشعر، هو صدور المعاني من المضمون الإسلامي، وأخذ الدلالة منه [2] . وحيث إنه قد سبق الحديث بتفصيل عن أغراض الشعر، فسيكون الحديث هنا عن ظهور أثر الإسلام فيها فقط ، دون تطرقٍ إلى الدلالات الأخرى التي سبق عرضها ، وتلك الأغراض التي ظهر فيها هذا الاتجاه واضحاً ، هي :

أ – المديح :

ظهر الاتجاه الإسلامي بوضوح في شعر المديح ، سواء أكان المديح النبوي ، أم المديح التقليدي الذي سبق الحديث عنه ، وهو ما كان متعلقاً بالملوك والأمراء والأصدقاء والأدباء وغيرهم .

(١) انظر : شعر محمد بن أحمد العقيلي ، دراسة تحليلية ، خالد الشافعي : ٢٤٧ .
(٢) الاتجاه الإسلامي في شعر محمد بن علي السنوسي ، مفرح سيد : ٢٨ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

فالنوع الأول من المديح وأشرفه ، وهو ما كان مختصاً بالنبي - ﷺ - يعد شعراً دينياً خالصاً ، حيث تسيطر العواطف الدينية ، والنزعة الإسلامية عليه سيطرة تامة ، وتنعدم وتختفي فيه كل المؤثرات الجانبية ، والدوافع التي غالباً ما تكثر في جانب المديح ، إلا ما ندر. فالشاعر في مديحه للنبي -ﷺ- ينطلق من عاطفة صادقة ملؤها الحب والتقدير ، والشعور بحق هذا النبي على أمته ، وما ينبغي على المسلمين من تقدير نحوه ، وحقوق تجاهه . إذ به أخرج الله المسلمين من الظلمات إلى النور ، ومن الذل إلى العز ، ومن الفرقة إلى الاجتماع ، ومن الجهالة إلى العلم ، فهو منّة الله على المؤمنين به ، زكاهم وعلمهم الكتاب والحكمة ، وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين .

والشعراء الذين كثر في أشعارهم المديح النبوي في جازان ، هم : أحمد باهادون العطاس ، وجبران صميلي ، وعلي بن مديش بجوي ، وإن كان أغلب ما أنتجه هؤلاء الثلاثة في هذا الجانب يعد شعراً يفتقد إلى روح الإبداع ، حيث خلا من الخيال المحلق ، والعبارة المشرقة، والتدفق الذي يأسر القارىء ، وخرج كثير من الشعراء في هذا الجانب من النمط الأدبي إلى السرد العلمي والنظم المجرّد الخالي من كثير من العواطف ، فتحولت القصائد إلى منظومات تفتقد العاطفة والتصوير الأدبي المؤثر .

وقد جنح الشعراء في مدائحهم النبوية إلى الطول ؛ بسبب حرصهم على استيفاء صفات النبي - ﷺ - ومعجزاته ، فقصيدة علي مديش (نور الهدى) التي مدح بها النبي - ﷺ - بلغت مائة وتسعة وعشرين بيتاً ، مطلعها :

محمدُ المصطفى خير البريات وأفضل الخلق من ماضٍ ومن آتِ (١)

إذ تحدث فيها عن مكة المكرمة ، حيث ولد فيها المصطفى - ﷺ - ، وما لها من فضائل ، ثم عن مولده وما لقيه في نشأته من يتم ، والحياة التي عاشها بعيداً عن عادات الجاهليين وأخلاقهم ، إلى أن شرفه الله بالبعثة ، وما سبق ذلك من تنقل بين شعاب مكة

(١) نبض القوافي : ١٠ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

ووهادها ، مستلهماً منها ذلك النور الساطع ، ثم عرج على دعوته وما لقيه فيها من أذى، وما واجه به أعداءه من صبر وتحمل ، وتوقف عند الهجرة ودلالاتها ، وصوّر مقدمه للمدينة ، ووصف الأنصار ومظاهر نصرتهم لهذا الدين ، ثم عرج على غزواته ، ثم عودته إلى مكة فاتحاً وكريم أخلاقه مع أهلها ، وبعد ذلك ذكر حجة الوادع ومضامينها ، وما فيها من دلالات على رحيله -ﷺ- من هذه الدنيا ، وبعد ذلك ختمها بتسلم أبي بكر للأمانة من بعده، وذلك في قوله :

وظل نور الهدى غيثاً لأمته　　في هذه الدار بل دار الزياداتِ
حتى علت روحه لله بارئها　　فقام (صديقه) حمل الأماناتِ
وما تضعضع من موت بفاجعة　　بل كان في صحبه أقوى الشكيماتِ
أعاد للدين والإسلام هيبته　　حين ارتداد لأرباب السفاهاتِ (١)

وفي مثل هذا اللون من الشعر يلتزم الشاعر بختم قصيدته بالصلاة والسلام على النبي - ﷺ - ، وعلى هذا ختم علي بن مديش قصيدته السابقة بها قائلاً :

صلاة ربي على المختار سيدنا　　في كل وقت وفي يوم العطاءاتِ
والله نسأل أن نحظى برفقته　　في جنة الخلد في دار المقاماتِ (٢)

وقد سار الشعراء في مدائحهم النبوية على هذا المنوال ، غير أن الشاعر أحمد باهادون العطاس كان يخصص قصائد للحديث في جوانب موضوعية جزئية في سيرته ﷺ ، ومن ذلك مثلاً قصيدته (صاحب الخلق العظيم) التي خصصها لبسط أخلاقه وفضائله ، ومحاولة استقصائها ، ومن تلك المكارم الأخلاقية التي أشار إليها قوله متحدثاً عن تواضعه ، مشيراً إلى رقي أحد أحفاده على ظهره وهو في صلاته ، فلم يتحرك عليه الصلاة والسلام ، بل واصل سجوده ؛ لئلا يزعج ذلك الطفل ، وليدعه يستمتع بما هو فيه ، يقول :

(١) المصدر السابق : ١٦ – ١٧ .
(٢) المصدر السابق : ١٧ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

هـذا ابنهـا يرقـى لظهـرك راكبـاً حين السجود جرى على الأعضاءِ
فتحوطـــه برعايـــة أبويـــة وتحفـــه بـــسعـادة ورضـــاءِ
وتقـــر منـــه بـــراءة عفويـــة هـــي معلـــم لـــبراءة الأبنـــاءِ
وتطيل في ذاك السجود مراعياً رغباتـــه في حكمـــة الحكمـــاءِ[1]

ويشير في موضع آخر إلى هذا التواضع حين يطلب من أصحابه الدعاء له بظهر الغيب، ورحمته بهم ، وعطفه عليهم ، وما في ذلك من مواقف نادرة ، حيث يقول :

قد قلت للفاروق صاحبك الذي أبـداً يقـول الحـق في الإنـشاء
لا تنس أن تدعو بدعوة مخلص وتخـصنا منهـا بخـير دعـاء
حـتى غـلام للمغـيرة جئتـه ورجوتـه استغفـار ذات مـساء
قبّلت عثمان بن مظعون الـذي قـد مـات مـن ألم بـه وعنـاء
وبكيت تـشعر بالأسى لفراقـه وعليـك منـك معـالم الإرضـاء
أعتقت زيداً ثم جُـدْتَ بقبلـةٍ جعلتـه يرتـع في سمـو هنـاء
قبّلت جعفـر بـين عينيـه التـي سعـدت بتلـك القبلـة الـشماء
وكـذا الـزبير خصـصته بعبـارةٍ مـشهورة تفديـه بالأبـاء[2]

ونلحظ أن القصائد التي جاءت مخصصة لجوانب محددة من سيرة النبي – ﷺ – قـد رقـت مـن الناحيـة الفنيـة ، وفاقـت تلـك المـدائح العامـة التـي جنحـت إلى الـسرد والخطابية، وافتقدت روح الفن ورواءه .

والنوع الثاني من المديح الـذي ظهـر فيـه الاتجـاه الإسلامـي هـو المـديح – الـذي سبقت الإشارة إليه في الحديث عن أغراض الشعر – الـذي يتوجـه فيـه الـشاعر بتعـداد

(١) التاريخ الأدبي لمنطقة جازان ، محمد العقيلي : ٣ / ١٥٣٨ .
(٢) المصدر السابق : ٣ / ١٥٣٩ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

فضائل مليك أو أمير أو صديق أو عالم أو أديب مبدع ، وأكثر هذه الفئات التي حظيت بالاهتمام في هذا الجانب هي فئة الحكام ، فقد تضمن مديح الشعراء لهم إضفاء الصفات الإسلامية ، وبيان دورهم في خدمة الإسلام والمسلمين ، وهذا التضمين لا يستغرب ، خاصة ونحن نعلم أن قادة هذه البلاد وحكامها الذين مدحوا ، قد اتخذوا الإسلام والشريعة الإسلامية بنظامها السماوي الخالد ، وما تضمنه ذلك النظام من قوانين وأنظمة منهجاً التزموا بتطبيقه في جميع مناحي الحياة [1] ، ومن ذلك المديح قول محمد بن علي السنوسي في الملك عبدالعزيز :

ملك لم يطأطىء الرأس إلا　　في ركوع لربه أو سجود
همة تركب الصعاب ونفس　　تأخذ المجد من جباه الأسود
أرغمت كل جاحد دأبه التضـ　　ليل بغياً على احترام الحدود [2]

وفي حديثه عن الملك سعود ومديحه له بيّن أنه سار على نهج أبيه ، مستمداً منه حرصه على تطبيق الشريعة الاسلامية ، والسير على نهج الرسول – ﷺ – وهديه [3] ، وأن من ينصر دين الله فلا شك أن سينصره ، ومن يعتز بدين الله فلن يخذله ربه ، يقول :

نصير الهدى والله جل جلاله　　نصير له من كل باغٍ ونمرود
يقيم على القرآن دستور حكمه　　ويقضي به في كل غيب ومشهود
ويبني على نهج الرسول وهديه　　دعائم ملك من يقين وتوحيد
ويعتز بالإسلام مهما تكاثرت　　عليه الأعادي دأب آبائه الصيد [4]

(١) انظر : حالة الأمن في عهد الملك عبدالعزيز ، رابح لطفي جمعة : ٨١ ، والاتجاه الإسلامي في شعر محمد بن علي السنوسي ، مفرح سيد : ٣٢ .
(٢) الأعمال الكاملة : ٤٢ .
(٣) انظر : الاتجاه الإسلامي في شعر محمد بن علي السنوسي ، مفرح سيد : ٣٢ .
(٤) مجلة المنهل ، مج ٢٣ ، شعبان ١٣٨٢هـ : ٤٨٦ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وفي حديث السنوسي عن الملك فيصل يتوقف عند جانب مهم في شخصيته ، منطلقاً من سيطرة هذا الاتجاه على مشاعره ، وهو اهتمام الفيصل بشؤون الإسلام والمسلمين في شتى بقاع الأرض ، وحرصه على وحدة المسلمين ، وتضحيته براحته في سبيل ذلك الهدف السامي والنبيل ، ويصف اعتزازه بهذه الأمة ودينها وقيمها ومبادئها الراقية ، قائلاً :

رائد الأمة التي شهد الله (م) بخير لها على شهدائه
مذ تجلى ومذ تولى صحا الفكـ ـر وهب الشعور من إغفائه
شعّ في العالم الكبير ودوى صوته عالياً على أرجائه
وسما فوق منبر عالمي هز أركانه جهير ندائه
نحن شعب إسلامنا جل معنا ه سلام الورى وحسن إخائه
إنه الفطرة التي فطر اللـ ـه عليها الحياة في أحيائه
وهو دين السلام والمثل العلـ ـيا وسر الوجود في أضوائه
وحقوق الإنسان يكفلها الإسـ ـلام في ظل عدله وقضائه
والضعيف المحق فينا قوي رغم أنف القوي من أعدائه [1]

ومثل هذا المعنى قد ورد عند الشاعر علي بن قاسم الفيفي في مديحه للملك فيصل ، وظهر فيه سيطرة المعاني الإسلامية ، وتأثير جهود الفيصل لحماية الوطن والأمة من أعدائها ، فيقول :

نفديه من فذٍّ إمامٍ عادلٍ أعلى منار الدين في عصر خبا
بمبادىء الدين اكتفى وله اقتضى لم يبغِ عنه إلى سواه تنكّبا
وبحسبه أرقى الدساتر منهجاً وأدقها حكماً وأصفى مشربا [2]

(١) المصدر السابق ، مج ٢٩ ، ج ١١ ، ذو القعدة ١٣٨٨هـ : ١٤٧١ – ١٤٧٢ .
(٢) الطيف العابر : ٢٧ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

وفي مديح الشاعر محمد الشنقيطي للأمير سلطان بن سلمان عندما رحل إلى الفضاء الخارجي في مهمة علمية ، وهناك كان معه كتاب الله الكريم ، فكان يقرأه في فترات الراحة، فأذكى هذا شاعرية الشنقيطي ، فقال :

تألّق قدرةً وسما وحلق　　وغرّب في المعارف ثم شرَّقْ
وألهب بالشجاعة كل قلب　　أصيلٍ في عروبته تعلّقْ
وألهب روح إسلام حنيف　　بقرآن الفضاء فكان أسبقْ (١)

***

ب – الرثاء :

ظهر الاتجاه الإسلامي في شعر الرثاء كثيراً ، حيث إن الإسلام قد غير نظرة الشاعر المسلم تجاه الموت ، وألزمه كذلك بعدم التسخط على أقدار الله ، وأعطى المسلم نظرة للمصير ، ودفعة كبيرة للرضى ، وكذلك أجاب عن الأسئلة المحيرة التي عجز الجاهليون عن الإجابة عنها ، فالشاعر محمد بن علي السنوسي عندما وصله نبأ وفاة صديقه العزيز عبدالقدوس الأنصاري يهرع إلى الإيمان بقضاء الله وقدره ، ويجد أن ذلك خير معين على التعزي ، وأفضل سبيل لتهدئة النفس في مثل هذه المواقف المؤلمة والعصيبة ، يقول منطلقاً من هذه النظرة الإسلامية :

لقد تقطعت لما جاءني خبرٌ　　كالضرب بالسيف من خلفي وقدامي
فرحت أغمرُ إحساسي وأغرقه　　في لجةٍ من أسى قلبي وآلامي
وأستعين بإيماني على نبأ　　تمزقت منه نفسي في أسى دامي (٢)

ولجوء الشعراء إلى الاحتساب يصدر عن قناعة تامة بأنه خير عزاء لنفوسهم المحترقة ، وفي ذلك يقول علي النعمي :

---

(١) قلب يتنفس : ٤٠ .
(٢) قصيدة (أبا نبيه لك الغفران) ، جريدة المدينة ، ع ٥٨٦٩ ، ١٥/ ٧/ ١٤٠٣هـ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

هي الكأس المريرة كل نفس وإن عافت ستدفع للشرابِ
وما كان البكاء لنا عزاءً ولكن العزا في الإحتسابِ [1]

وفي رثاء الشاعر أحمد العطاس لوالده ، نجده بعد أن يصف هول الفاجعة على نفسه ومشاعره ، يفزع إلى ربه ليهب له من لدنه سكينة وقدرة على التحمل في لجوء واضح إلى الله، وتسليم بقضائه وقدره ، إذ يقول :

يا ربّ أنت الذي تقضي بمقدرةٍ لكل خلقك من موت وإحياءِ
والأمر أمرُك يرضينا ويسعدنا فكن معينا لنا في كل ضراءِ
واجعل لنا الصبر عوناً في فجيعتنا فقد فقدنا أباً من خير آباءِ [2]

ومن أروع الأمثلة على هذا التسليم ، وتصوير فلسفة المسلم تجاه الأقدار التي يؤمن بها، ويعتقد أن لكل حي نهاية ، وأنَّ لكل نهاية سبباً ، جاء ذلك في رثاء أحمد البهكلي للملك فيصل ، حيث يصور هذه النظرات قائلاً :

مثلما تهصر اليد الغصن هصرا ووريقاته تساقطُ تترى
وكما بعثرت حبيبات رملٍ ريح صيف .. تحول الحسن نكرا
مثل هذا .. يجيئنا القدر الصا رم يخطو فما ندبر حذرا
إن هربنا ، وكيف ذلك لم نسـ ـطِعْ هروباً فنُسلم الأمر قسرا
إنما خطوة القضا ألف شبرٍ إن تكن خطوة الخلائق شِبْرا [3]

وقد تجاوز خيال الشاعر حين حدد خطوات القضا بألف شبر ، وليس له ذلك ، إذ لا يمكن لبشر أن يحيط بها ، ولكن حرص الشاعر على تصوير شدة وقع القضاء وعدم قدرة الإنسان من الهروب جعله يصف سرعة وهجوم المقادير بذلك الكم .

(١) جراح قلب : ١٧٠ .
(٢) من وحي التأملات : ١٢ .
(٣) طيفان على نقطة الصفر : ٧٣ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

ج – الوصف :

الشاعر المسلم حين يعرض للطبيعة في شعره ، فإنه يتخطى الوصف المجرد ، متيحاً لنفسه التأمل في صنع الله الذي أتقن كل شيء ، ينظر إلى الطبيعة ، ويتأمل فيها ، وفي ذهنه معلومة سابقة بأن ما من شيء في الحياة والكون إلا يسبح بحمد الله ، وإن لم نفقه من ذلك شيئاً مصداقاً لقوله تعالى : ﴿ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾ ﴾ [1] . ((**فهو الذي صب الماء ، وشق الأرض ومدها ، وبارك فيها، وجعلها فجاجاً وسبلاً ، وجعل الشمس ضياءً ، والقمر نورا ، وأخرج من البحر لحماً طرياً وحلية ، وأمسك الطير أن تقع على الأرض بما وهبها من أجنحة قادرة على الطيران وأنشأ السحاب الثقال ، وأشع البرق ، والرعد يسبح بحمده . كل هذه الأشياء – وغيرها – يستحضرها الشاعر المسلم وهو يناجي الطبيعة**)) [2] .

وفي نظرة الشعراء لتلك المناظر لم يجردوها من مضامينها الإسلامية ، فعرضوها في صلاتها المختلفة : ((**صلتها بفاطرها وبارئها ، وفي صلتها بالكون ومفرداته من حولها، وفي صلتها بعضها ببعض ، وصلتها ببني الإنسان**)) [3] .

ولعلّي أدلل على هذا بأنموذجين للشاعر محمد بن علي السنوسي ، وأنموذجين آخرين للشاعر علي النعمي ، وهما من أكثر الشعراء طرقاً للوصف ، وربطه بالخالق المبدع الذي أحسن كل شيء خلقه ، وكذلك بربط جماليات الخلق بعضها ببعض ، وبالإنسان الذي يتعامل معها .

فالشاعر محمد السنوسي يتضح لنا عميق إيمانه بالله ، وتفكره في مخلوقاته ، عندما وصف السفن وهي تجري في عرض البحر ، بعد أن سخر الله لها الرياح تدفعها إلى

---

(١) سورة الإسراء : من آية ٤٤ .

(٢) الحس الإسلامي في شعر الطبيعة السعودي ، د. حسن الهويمل ، مجلة الفيصل ، ع ١٠٩ ، ٤٨ بتصرف.

(٣) من قضايا الأدب الإسلامي ، د. صالح آدم بيلو : ٦٠ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

شواطىء الأمان ، ويصف الأرض الميتة ينزل عليها المطر ، فإذا بها تهتز حية ، وأبان أن ذلك وغيره لا بد أن يورث الناظر المتبصر العظة والعبرة ، وتقوى تملأ قلبه ، يقول :

جلّ من سخر الرياح فسارت تتهادى رخيّةً بالسفائن
وأفاض الحيا فأحيا مواتاً وأهال الرُّبى فسالت معادن
كلما في السماء والأرض مبسو طٌ لمن يتقي ويخشى الملاعن[1]

وفي مظهر مصارعة البحارة لأمواج البحر المتلاطمة والعاتية ، وهم وسطه ، لا يخشونه ، وإنما يخشون الله وحده ، دعتهم ظروفهم للتعامل معه ، سعياً لكسب أرزاقهم، في اعتماد وتوكل على الله سبحانه وتعالى ، كل ذلك يجعل الشاعر يتفاعل مع هذه القوة الإيمانية، وصدق التوحيد للخالق الذي يحفظ عباده المتوكلين ، يقول :

يستقبلون الموج صخاب الردى والنوء في إعصاره العربيدِ
ويصارعون الموت في أعماقه بسواعد صماء كالجلمودِ
وثبات إيمان وصلب عقائد موصولة بالخالق المعبودِ
رب الوجود بمائه وسمائه والعالم المحجوب والمشهودِ[2]

والشاعر علي النعمي يربط كثيراً بين وصفياته وتأملاته في الطبيعة وساكنيها وبين رؤيته الإسلامية تجاهها ، ومن ذلك – مثلاً – رؤيته للفلاح وهو يكدح بين غدو ورواح ، بين ثور جامح ، ونظرة أمل إلى تلك البذور التي أودعها الأرض ، مع دعوة صادقة إلى الله ليحقق رجاءه ، ويكلّل مسعاه بالنجاح ، وصنيع الشاعر في هذا نابع من تصوره لنفسية ذلك الفلاح الكادح ، وما ينبغي أن يكون عليه توكلاً وبذلاً للأسباب ، وتوجه بعد ذلك إلى من بيده الأمر ، يقول :

حدثيني عن عيشة الفلاح وهو يمضي في غدوة ورواح
بيد يمسك البذور وأخرى تردع الثور عن طريق الجماح

(١) الأعمال الكاملة : ٥٤٨ – ٥٤٩ .
(٢) المصدر السابق : ٧٧٧ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

يتغنى وملء أعطافه الحب　　(م)　　ويصغي لوشوشات الرياح
داعياً ربه بأن ينبت الزرع　　(م)　　ليجني منه ثمار الكفاح [1]

ونجد الشاعر النعمي عندما يتأمل في الليل الذي هو جزء من هذه الطبيعة التي تأسر بأسرارها وتقلبها ، وتعاقبها عقل الإنسان ، وتدعوه للتفكر والتدبر ، قادة ذلك التأمل إلى دعوة الإنسان إلى خلوة بربه ، فالليل بهدوئه وسكونه فرصة للوقوف بين يدي الله في لقاء انتظره ومازال ينتظره الصالحون والعارفون بالله ، وفي ذلك السعادة والحبور ، وذلك كله نابع من تصور إسلامي واضح لحياة الإنسان وأسباب السعادة الحقيقية وبعض أسرار علاقته بالطبيعة من حوله ، يقول :

في الليل يا لليل لما اعتكر　　وليس من نجم يرى أو قمر
كم هاتف يسري ؟! وكم عالم　　يجري ؟ ! وكم ما بينها من صور
في الليل ، والليل صديق لمن　　أحب في الله ضروب السهر
خلا عن الناس وخلى لهم　　دنياهم ، واعتاض عنها الذكر
وبات في بحبوحةٍ من سنى　　يغمره بالبشريات السحر
يظل يرخى السمع في لهفة　　لهاتف في العالم المحتضر
يدعوه ما أحلى وأشهى السرى　　للنفس إن ليل سجى واعتكر [2]

وإضافة إلى ذلك الوصل الذي وفق فيه الشعراء عند حديثهم عما يرونه من مظاهر الطبيعة المتحركة والصامتة ، ذلك الوصل بين حركتها وصمتها وخالقها ومبدعها ونظرة الشاعر المسلم إليها ، إضافة إلى ذلك فهناك سيطرة واضحة لموروثات المسلم ومصادر تلقيه وتصوره على نظرته للأشياء ، لا سيما الموصوفات ، وإشعار القارىء بذلك ، ولعل في إيراد المثال إيضاحاً لهذا الأمر ، فالشاعر محمد بن علي

(١) الأرض والعشق : ١٢ .
(٢) جراح قلب : ٨٤ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

السنوسي عند حديثه عن الطائر الجميل المسجون في قفص قتل فيه روعة تغريده ، وزرع في قلبه الألم ، الطائر الجميل في قفصه يحن كثيراً إلى الحرية ، حيث الأيك الرائع ، ونُطف الماء في شعاف الصخر ونقره ، هذا المشهد الذي رآه الشاعر السنوسي ، أرشده إلى أن الجمال هو السبب الذي دعا ذلك الصائد ليأسر هذا الطير الصغير ، وهو العامل الذي قاد يوسف – عليه السلام – من قبل ليدخل السجن والأسر ، وذلك في قوله :

يا سجيناً ما جنت يده ... لا ولم يجرح شبا ظفره
كان من حسن الغناء له ... سبب للأسر عن زمره
شرعة الدنيا وربتما ... كان حسن الشيء من ضرره
يوسف كان الجمال له ... محنة والطهر في أزره
وهي دنيا شأنها عجب ... في سجايا المرء أو فطره
أنت لا تنفكُّ من شجن ... وهو لا يسلو هوى وطره
وكلا هذين في قفص ... من قضاء الله أو قدره [1]

فالشاعر لم ينس أن يربط – في نهاية قصيدته – ما حدث ليوسف – عليه السلام –، ولذلك الطائر بالله – سبحانه وتعالى – ، فهو الذي قدر عليهما ما أصابهما ، إذ هو وحده الذي بيده كل شيء [2] ، وهذا توجه نابع من نظرة الشاعر المسلم إلى الكون من حوله ، وربط أجزائه وتنسيقها في شكل متواتم ، وبنظرة متزنة .

(١) الأعمال الكاملة : ٩٧ .
(٢) انظر : الاتجاه الإسلامي في شعر محمد بن علي السنوسي ، مفرح سيد : ٧٧ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

د – الغـزل :

والناظر في شعر الغزل يجد أن هذا الشعر قد صدر عن وجدان استغرق في تأملاته العاطفية ، بلا هبوط ولا إسراف ، ((**بل في اتزان الشاعر المسلم ، الذي يعبر عن وجدانه في صدق فني ، وترفع عن الصغائر الحيوانية الصرفة ، وعن الإسراف البالغ**))[1] .

فالشاعر محمد بن علي السنوسي وقف مدهوشاً أمام فاتنته ، ورأى أنها تجاوزت مقياس الجمال البشري ، فسماها (أخت القمر) ، وربط هذا الجمال – بحسه الإسلامي – بخالق الجمال ومبدعه ، ومسبحاً بحمده ، ومجلا له على إحسانه وحسن تصويره ، يقول :

يا فتنة القلب ومهوى البصر　　جاوزتِ مقياس جمال البشر
كأنما خيّرت أن تُخْلقي　　فاخترتِ أحلى وأرق الصور
سبحان من أبدع هذا الصبا　　وجلَّ من نسّق هذا الحور[2]

وقل في شعرهم الغزل الصريح الفاجر ، الذي يتحدث عن اللقاء ، ويهيم باللذة، ويبحث عن النشوة ، ومرد ذلك إلى الوازع الديني ، ومحافظة المجتمع ، وطابع الحياة الإسلامية التي يعيش الشعراء في ظلالها ، تلك الحياة التي لا تزاحم المرأة فيها الرجال ، وعلى رغم ظهور الحياة البوهيمية ، وطغيان الحضارة المادية على سائر المجتمعات ، إلا أن شعر المجون لا يكاد يذكر ، وإن كان موجوداً ، ولكن طغيان الشعر العفيف حجب مرآه ، وقد يقول قائل : ربما ستر كثير من الشعراء ذلك الشعر الماجن ، ووأدوا قصائده ، إذ لا يعقل أن يوجد شعراء عرفوا بتهتكهم وجرأتهم في السطو على الحياة المادية ، ولا يوجد لهم أي شعر يدل على هذا، أقول : إن هذا وحده كفيل ببيان أثر هذا الاتجاه الإسلامي ، حيث تحترم في أطره الأذواق العامة ، ولا يستطيع كل شخص أن يجاهر بفسقه أو تجاوزاته ، وما دام الأمر لم يتجاوز هذا الحد ، فالمجتمع معافى من التهتك المستور الخاص بالشاعر وحده ، وكل أمتي معافى إلا المجاهرون .

(١) المذاهب الفنية في الشعر الحديث لجنوب المملكة العربية السعودية ، د. علي علي مصطفى صبح : ٩٤ .
(٢) الأعمال الكاملة : ٤٦٦ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ومن مظاهر الروح الإسلامية – هنا – الحديث عن مرارة التجربة في الحب المحترم والحديث عن الصراع بين الشيطان والملائكة ، أو القلب والعقل حول الثمرة المحرمة التي يجد الإنسان نفسه أمامها وجهاً لوجه ، ثم يتجه الشاعر في نهاية الصراع إلى طريق العفة والحياء، وقد تساءل الشاعر إبراهيم مفتاح عن السبيل الذي يمكن أن يسلكه الإنسان في الحب ويكون حبه طاهراً من كل دنس ، منزهاً من كل نقيصة ، وذلك حين قال :

كم رشفنا من الهوى قطرات وملأنا الكؤوس منه مرارا
ونسجنا من حبنا ألف معنى وفرشنا طريقنا أزهارا
ليس عاراً بأن نحب ولكن كيف نغدو بحبنا أطهارا[1]

وليس الغزل هو طريق التهتك والفحش في منظور الشاعر المسلم ، بل إنه طريق الرقة والحب النزيه ، الذي لا يورد صاحبه الموارد الآسنة ، ومتى خرج عن ذلك ، فقد تجاوز صاحبه الحدود ، وأسرف على نفسه ، ولذا نجد الشاعر حسن حجاب الحازمي يعرف الحب انطلاقاً من هذا المنظور الإسلامي الواضح في قوله :

إنما الحب حديث هامس وعيون تتناجى بالمقل
أنا يا قلبي قلب خافق لا يرى الحب سبيلاً للزلل[2]

وقد سبق تفصيل هذا الموضوع عند الحديث عن الغزل كغرض من أغراض الشعر .

* * *

ثانياً - موضوعات دينية خالصة :

وكما شاع الاتجاه الإسلامي في موضوعات الشعر التي استحوذت على اهتمام الشعراء من مديح ورثاء ووصف وغزل وغيرها ، نجد أن هناك موضوعات دينية خالصة نابعة من صميم توجه الشاعر المسلم ، تصور علاقته بربه ، وصلته بخالقه ،

(١) عتاب إلى البحر : ٦٩ .
(٢) وردة في فم الحزن : ٣٣ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

وأهم هذه الموضوعات، شعر الابتهال والتوبة والزهد ، والشعر الذي دار في فلك المناسبات الدينية التي تعود على المسلم ، وتتكرر في يومه ، أو أسبوعه ، أو شهره ، أو سنته . وتفصيل ذلك فيما يلي :

أ - شعر الابتهال والتوبة والزهد :

ظهر الابتهال في توجه الشعراء إلى الله سبحانه وتعالى يدعونه ويرجونه يسألونه العفو والغفران ، ويستمدون منه العون والتأيد في حياتهم الدنيا ، والفوز والنجاة في الآخرة ، وهذا اللون كثير في الشعر ، حيث صور الشعراء أنهم لولا رجاؤهم لله ، وأملهم في رحمته لهلكوا في هذه الحياة المليئة بمادياتها وشهواتها ، فهذه الحياة لا يلطِّف من لأوائها وحمأها إلا عون الله وعنايته بعباده وحمايته لهم ، وممن أكثر من هذا اللون من الشعر علي النعمي ، ومن ذلك قوله بعد تأمل في يوم القيامة وأهواله ، وإحساسه بحاجته الماسة إلى عون الله :

رب فارحم من جاء نحوك يسعى　　بكتاب قد يعتريه البوارُ
قد علمنا لما هبطنا بأنا　　في طريق تدوي به الأخطارُ
منذ أوجدتنا وحكمك فينا　　نافذ مالنا قط منه فرارُ
رب لولا رجاؤنا لهلكنا　　فاعف عنا يا أيها الغفارُ (١)

والشاعر منصور دمّاس كثيراً ما يلوذ بربه ، وهو في ابتهالاته يردد إحساسه بعظمة الخالق ، ويربط بين ذلك وبين ضعف المخلوق ، ويسأله أن يعينه على مواجهة صعاب هذه الحياة ، وأن يجزيه في الأخرى خير الجزاء ، ومن تلك المواقف المتكررة ما جاء في قصيدته (ابتهال) ، حيث يقول :

يا خالقي أنت الملاذُ وليس لي　　إلاّك ينسخ زلتي ومواجعي
يا مالكَ الثقلين والكون الذي　　يهديهما لجلال ربِّ مُبْدِعِ

(١) الرحيل إلى الأعماق : ٩٢ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

يا سيدي أنِرِ الدُّروب لناظري لأسير سيرَ العارفِ المتورعِ
لا غيرُكَ اللهمَّ أدعو خاشعاً متذلِّلاً لأنال سعد الخُشَّعِ [1]

ومن الشعراء الذين كثر في شعرهم الابتهال إلى الله ، واللجوء إليه ، والتضرع بين يديه ، ومناجاته الشاعر أحمد باهادون العطاس ، ومن تلك القصائد قصيدته (أناجيك يا رب وقت السحر) ، وفيها يصف شعوره المرهف تجاه ربه ، وحاجته الماسة إلى عونه ومساعدته له في تخطي دروب الحياة وصعابها ، ويسأله أن يذهب عن نفسه مآسي الحياة وأن يصرف عنه متاعبها ، وفي ذلك يقول :

أناجيك ربي مناجاة من إليك أناب ومنك اقتربْ
فأنت الذي تهبُ الصالحات وتنفي عن القلب كل الرِّيبْ
وتبعث نوراً بأعماقنا فنبلغ بالنور أعلا الرُّتبْ
وتذهب عنَّا مآسي الحياة وتصرف عنا العنا والوصبْ [2]

وفي قصيدته الأخرى (مناجاة) ، يدعو إلى الوقوف بين يدي الله ، ورفع الأكف إليه بالدعاء قائلاً :

قم ناج ربك معلناً لثناء وارفع يديك ميمماً لسماء
واستلهم الخلاق في مقدوره وانشد رضاه برغبة ودعاء

ثم يتوجه بعد ذلك إلى الله مثنياً عليه ، ومنطرحاً أمام أبواب الرحمة والقبول ، حيث يقول :

يا من تفضَّل بالهبات لخلقه وأمدهم باليسر في الضراء
أدعوك ياربي وأطلب حاجتي يا قاضي الحاجات خير قضاء
جد لي بلطفك يالطيف فإنني باللطف قد أغدو من السعداء [3]

(١) جرأة قلب : ٤٩ .
(٢) من وحي التأملات : ٥٦ .
(٣) المصدر السابق : ٩ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

وقد أكثر الشعراء من شعر التوبة والندم ، والخوف من العذاب ، واللجوء إلى الله بالدعاء والإنابة والاستغفار ، وقدم الشعراء بين يدي ذلك الاعتراف بما جنوه من آثام ، وما اقترفوه من هفوات ، وهم أملٌ في عفو الله ، فمن أولئك الشعراء الذين ظهر في أشعارهم هذا النفس الحزين المفعم بالتوبة والندم الشاعر منصور دماس ، ومن ذلك قوله :

رباه أرجوك يا رحمن تبعدني عن الجحيم وعن فحش تعاديه
أنر فؤادي بما أنزلت يا صمداً على النبي لأسعى في معاليه
يا مالك الأمر اجعلني بصحبة مَنْ يذود عن شرعك الصافي ويأتيه
يا غافر الذنب أكرمني بمنزلةٍ في جنة الخُلْدِ قصداً أنت مسديه[1]

ويتضح الأمر عند الشاعر حسين النجمي ، فهو يطوّف ما يطوف في أودية الغفلة ، ثم يتذكر ، فتأتيه العظة والتبصرة ، فيعود إلى ربه ، وحينها تحفه السكينة والطمأنينة التي لا تعدلها طمأنينة ، ومن ذلك قوله :

أنا والدنيا وأطياف المنى زورق يمخر أمواج العباب
يتحدى هائج البحر على قوة التيار والموج الغضاب
لم تزل روحي تغني للهوى وفؤادي دوحة الأرض اليباب
لم يزل زهو الرؤى في مقلتي كلما يهتف للشعر أجاب
فإذا ما خانني خطوي به وغدا قلبي على حدِّ الحراب
عدت للرحمن أرجو عفوه وأروي الروح من أسمى كتاب
فرج الهم وزالت غمتي ومشى قلبي على درب الصواب
هذه الدنيا لمن ينشدها مستهام خلف أوهام السراب[2]

وعندما يكون اللجوء والتضرع والاعتراف بالخطئية من شاعر شاب ، فإن لذلك دلالات أعمق ، ومعانٍ خاصة ، قادها التوجه الإسلامي الصادق إلى الله ،

(١) شعور مغترب : ١٠٦ .
(٢) تأملات على مرافئ الغربة : ٦٢ – ٦٣ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

والارتماء بين يديه، والانطراح بباب من يغفر الذنوب ولا يبالي ، الشاعر الشاب أحمد بن علي الفيفي ، توجه إلى ربه بقصيدته (نجوى)، ضارعاً وسائلاً الرحمة والعفو والغفران في توبة ورجعة إلى الله قائلاً :

يـا إلهـي منـك أرجـو رحمـةً ونعيمـــاً وثـــواب المُكـــرِمِ
فـإذا أذنبتُ فاقبـل توبـتي إنـــني عبـــدٌ فقـــيرٌ فارحـــم
وإذا زل لـــساني مـــرة بحـديث أو بلغـوٍّ مـن فمـي
لا تؤاخـذني وكـن لي هاديـاً وأنـرْ قلبـي وأحـسن مأتمـي
وقني شـرَّ الهوى إن الهـوى سـوف يغوي كل من كـان عمي
وبتقـــواك أرحـــني دائمـــاً واعف عن فعل الدنايا معصمي[1]

ومن مظاهر اللجوء إلى الله ما شاع في شعر علي النعمي ، حيث يكثر من الحديث عن صراع الحياة ، والشكوى من مآسيها ، وعندما تضيق عليه الأمور أو تغلق عليه الأبواب، فإنه يطرق باب الله مستمداً منه العون ، ومعترفاً بعجزه وضعفه ، وسائلاً ربه أن يقويه ، وأن يمنحه طاقة للصمود في وجه الأعاصير ، ومن ذلك قوله بعد حديث طويل عن تجربة حياتية مريرة :

يـا إلهـي أنـا عبـدٌ مؤمـنٌ بك في حالات عسري ويساري
أنـا مـن (مـاءٍ مهـينٍ) وأنـا مـن مَشَاج بشعاري ، ودثاري
أنتَ مَنْ خلّقني من مُضْغةٍ بَشَراً – يا ربّ – يهفو لقرارِ
مطمئـنٌّ هـادىءٍ يعمُـرُ في ظِلِّـه الأرضَ بيُمنى ، ويسارِ
بشراً ما خبَّ ، أو نصَّ إلى مسلَكٍ يُفْضِي لعارٍ ، وشنارِ
بشراً يحمـلُ فـي جوهـره شُعْلة الخيرِ ، ونبراسَ العَمَارِ

(١) السحابة : ٦٥ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

فقني من شرِّ نفسي فَلَكمْ　　أنفُسٍ تاهت بأوحالِ الصَّغارِ
إنها تأمُرُ بالسُّوء ، وهل　　يجلبُ السُّوءَ سوى وصمةِ عارِ؟ (١)

وتكاد هذه الظاهرة في شعر علي النعمي تمثل اتجاها واسعاً ، يوازي اتجاه الهروب عند الرومانسيين ، هناك لديهم الهروب من الواقع الذي يعيشونه ، فيهرعون إلى الطبيعة أو إلى المرأة ، وعلي النعمي الذي أصابته حرفة الأدب – فيما أظن – عندما يحتدم الصراع بينه وبين خصومه ، أو حياته ، أو آماله التي لم تتحقق ، نجده يهرب إلى الله ، ويفزع إليه ، متمثلاً نظرة الإسلام في مثل هذه المواقف ، وهي النظرة السليمة والموفقة ، وليست ظاهرة انهزام أو فشل ، كما يصورها بعض النقاد والكتاب ، وإنما هي ظاهرة صحية ، تصور الفهم السليم للحياة وعلاقة المسلم بربه ، وهاك أنموذجاً يصور هذا التوجه من الشاعر إلى ربه في ابتهال واستغاثة واستعانة ولجأ إلى من بيده مقاليد كل شيء ، يقول :

من مُجيري من لافحاتِ سُمُومي　　مَنْ نصيري من غُولِ عَيْشٍ ألدِّ؟
لم أزَل ، لم أزَل ، أراوح خطوي　　في مكاني ، وذاك غايةُ جَهْدي
يا إلهي إليك فوَّضتُ أمري　　فرجائي سِواكَ ليس بمجدِ
أنت أوجدتني ، وقدَّرتَ رزقي　　فانتشلني من قَعرِ جُبِّ التردّي
واعفُ عنِّي ، وعافني ، وأَنِلْنِي　　رَحمةً من يدي مليكٍ لعبدِ
ولك الحمدُ في منامي ، وصحوي　　ولك الشُّكرُ في رُقَادي وسُهدي
وبكَ الغوثُ إذ أجوعُ ، وأعرى　　وبِكَ العونُ في طعامي وبُرْدِي
وإليك المعادُ ، يا سامِعَ النَّجـ　　ـوى فكن لي إذا ثويتُ بلحدي (٢)

وفي غمرة الحياة تمر على الإنسان لحظات تذكرة وعبرة وعظة ، فمرأى الراحلين عن هذه الحياة فيه أكبر عظة للمتصارعين على الدنيا الزائلة ، هذه المعاني رددها الشعراء

(١) جراح قلب : ٧٣ .
(٢) المصدر السابق : ٥٧ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

كثيراً في لحظات إيمانية متأججة ، ومواقف مرت بهم دعتهم إليها ، فجاءت محملة بالوعظ والتذكير ، ووصف لحظات الرحيل والدعوة للاستعداد للمصير نفسه ، ومن أولئك الشعراء علي النعمي، حيث أكثر من هذه المعاني ، لا سيما إثر قصائده التأملية في الدنيا وتقلبها ، وأحوالها ومصير أهلها ، ومن ذلك قوله :

يا فؤادي حان الرحيل فهيَّا هيء الزاد فالكؤوس تدارُ
وتضرع إلى رحيم كريم فضله في عباده مدرارُ
وابتهل خشية إلى الله واخشع إن من تبتهل له غفّارُ
رب يا جامع العباد ليوم فيه تعنو لوجهك الأبصارُ
من بني الإنس أو بني الجن أماً ما سوى ذين في القصاص جبارُ
مهطعي مقنعي الرؤوس جميعا ما لهم رب غير فضلك دارُ
أقبلوا في الثرى حفاة عُرَاة لا شعار عليهم أو دثارُ[1]

ثم يصف بعد ذلك مشاهد اليوم الآخر ، مذكراً بها ومصوراً لأهوالها قائلاً :

في صعيدٍ من كلِّ فج عميق كجراد على البسيطة ساروا
وإذا بالسماء تطوى وتنشق ، (م) ويعلو الكواكب الانفطارُ
وإذا الأرض صفصفاً لا ترى فيها اعوجاجاً، والشم كالعهن صاروا
وإذا الخلق واقفين حيارى ومن الهول قد علاهم سعارُ
رجعوا للحياة من بعدما ما توا وعادت للكائن الأطوارُ[2]

ثم يمضي بعد ذلك على هذا المهيع ، مستلهماً في ذلك الآيات القرآنية والأحاديث الشريفة ، إما باجتزاءٍ من نصوصها ، أو تضميناً لبعض مفاهيمها ، في حرص على التأثير على نفسية القارىء ، وإقناعه بذلك الهول العظيم الذي ينبغي أن يستعد له كل إنسان ، وأن لا تشغله الدنيا بمشاغلها ومفاتنها وبهارجها عن الرحلة إلى العالم الآخر .

(١) الرحيل إلى الأعماق : ٨٩ .
(٢) المصدر السابق : الصفحة نفسها .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

وممن تردد في أشعاره كثيراً الوعظ والتذكير الشاعر منصور دماس ، ومن ذلك ما جاء في إحدى قصائده في هذا الباب ، حيث يصف أهوال يوم القيامة ، قائلاً :

فداخل النار، مكبولٌ وليس له　　إلاّ مزيدٌ من التنكيل يشويه
أما الطعام فزقّوم ومشربه　　من الحميم، كشُرب الهيم يُصليه
وهل سيذكرُ مَنْ بالبهتِ صغَّره　　وعاجزاً ، سامه فازداد مضنيه ؟
وأين شدّتُه ؟ بل أين مخيلةٌ　　أين الحبورُ الذي دوَّى بناديه ؟
ينسى الجميعَ بتعذيبٍ يكابدُه　　لا شيء يذكُره ، مما يعانيه
يقول يا ليت لكن لا ينالُ بها　　سوى عذاباً ، كضعفٍ للذي فيه
مولاه أملاه في الدنيا ونعّمه　　فواصل الفحش نكراناً لموليه (١)

وتحدث الشعراء كثيراً بمثل هذه المضامين ، فذكروا القبر وأهواله ، والساعة وأشراطها، والبعث والنشور ، وغير ذلك ، وانسحب ذلك الاهتمام على عناوين قصائدهم، فظهر مثل : (القبر) (٢) لأحمد العطاس ، و(الرحيل) (٣) لحسين الكريري ، وغيرهما .

وبسبب طغيان الحياة المادية ولهيبها الحارق ، دعا الشعراء إلى الزهد في الدنيا والتخفف منها ، واعتبارها دار ممر لا دار مقر ، وفي هذا يقول محمد علي السنوسي :

أخي إنما الإسلام بر ورحمة　　وعطف له في راحتيك عبيرُ
ودنياك جسر في الطريق إلى الهدى　　ففكر إلى ماذا غداً ستصيرُ
فقدم إلى أخراك ما شئت إنه　　لظى جاحم أو نضرة وسرورُ
تعلمنا الدنيا فننسى دروسها　　ونلهو وعند الامتحان نشورُ
حماقة طبع آدمي وغفلة　　تعاقب أجيال بها وعصورُ

(١) شعور مغترب : ١٠٤ – ١٠٥ .
(٢) انظر : تغريد النهى : ٤٨ .
(٣) انظر : زورق الشوق : ٧٦ – ٧٧ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

مضت منذ قارون بنا وحياتنا تدور على أهوائها وتسيرُ
وأنت ملاق كل شيء عملته جزاءً وفاقاً، والحساب عسيرُ[1]

ب- شعر المناسبات الدينية :

انطلاقاً من توجه الشعراء الإسلامي ،لم تكن لتمر عليهم المناسبات الدينية المتكررة دون أن يعبروا عن مشاعرهم تجاهها ، ودون أن يتفاعلوا معها ، ويبرزوا مواقفهم منها ، وتلك المناسبات منها : الحج ، والصيام ، والعيدان ، وذكرى الهجرة النبوية ، وغير ذلك من مناسبات .

وأكثر هذه المناسبات استئثاراً باهتمام الشعراء ، هي مناسبة الحج ، وما له علاقة بها من تذكر لتلك البقاع الطاهرة في منى وعرفات ومزدلفة ، والبيت الحرام والكعبة بحِجْرها وحَجَرِها ، وما يصاحب ذلك من تعبير عفوي عن مشاعر الإنسان ، وهو يقف أمام هذه المشاعر مستلهماً مضامينها الإسلامية ، وما لها من رهبة وجلال ، وشموخ وروحانية .

فمن القصائد في موسم الحج قصيدة محمد بن علي السنوسي (اليوم الخالد) ، وفيها ((**تتدفق شاعرية السنوسي ، وتفيض بالمعاني الجياد ، والألفاظ العذاب ، والعواطف الجياشة الصادقة، فيحلق بها ما شاء في آفاق الإبداع**))[2] ، وفيها يقول :

في مثل هذا اليوم من كل عام يزدهر الحِجْر ويزهو المقام
مقام إبراهيم سامي الخطا وحجرُ إسماعيل نعم الغلام
وتسبح الأرواح رفافة أطيافها مثل رفيف الحمام
وتلتقي الدنيا بأجناسها في وحدةٍ رائعة وانسجام
من كل فجٍّ أقبلوا حسراً شوقاً إلى البيت العتيق الحرام
كالسيل فاضوا وأفاضوا به وانسكبوا بين الذُّرى والخيام

(١) الأعمال الكاملة : محمد السنوسي : ٥٤١ – ٥٤٢ .
(٢) من أعلام الشعر السعودي ، د. بدوي طبانة : ٣٥٧ – ٣٥٨ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

تستبق الخطو إلى ساحة　　مشى (ابنُ عبد الله) فيها وقام[1]

وقد أطلق الشاعر نفسه على سجيتها ، وعاطفته نحو هذه الجموع المؤمنة الوافدة، ونحو البقاع الطاهرة المقدسة التي تهفو إليها قلوب المسلمين من كل حدب وصوب ، ونحو ذكرياتها التي تملأ قلوب المسلمين . ثم يسترسل الشاعر بعد ذلك في وصف المشاهد الرائعة التي ازدحمت بها المشاعر ، وازدحمت في مخيلته ، تلك المشاهد المليئة بالحياة والحركة ، مشيراً إلى عظمة الإسلام الذي ألّف بين تلك القلوب ، ووحد غايتها وهدفها في هذه الحياة، يقول:

أخلصت التوحيد واستسلمت　　لله رب الكون رب الأنام
تملأ بالتكبير قلب السما　　على اختلاف في اللغى والكلام
تطوف أو تسعى إلى غاية　　واحدة في السعي والاستلام
وحدها الإسلام دين الهدى　　والحق والإيمان دين السلام[2]

ويصف الحُجّاج في ذلك الموقف الرهيب ، وقد تجردت أرواحهم من شائبات الهوى، ونزعات الدنيا ، وأعلنت حبها لربها ، في جوٍّ تسمو فيه الروحانية ، وتهيمن فيه العاطفة الصادقة ، يقول :

تجردت من شائبات الهوى　　أرواحها وانطلقت من حطام
يغمرها الإيمان في نشوةٍ　　روحية تسمو سموَّ الغمام
تهيم بالله وتهفو جوى　　يا حبذا ذاك الجوى والهيام[3]

(١) الأعمال الكاملة : ٤٤٨ .
(٢) المصدر السابق : ٤٥٠ .
(٣) المصدر السابق : ٤٥١ ، وانظر : الاتجاه الإسلامي في شعر محمد بن علي السنوسي ، مفرح سيد : ١٤٢ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وفي قصيدة (المشاعر المقدسة) يصف الشاعر محمد بن أحمد العقيلي مشاعره الجياشة وعواطفه الفياضة تجاه منظر الحجيج ، وهم يؤدون مناسكهم سواسية كأسنان المشط ، لا فرق بين سيد ومسود ، فالكل سواء أمام الله تعالى في ذلك الموسم المشهود ، يقول :

قبسٌ من أشعة الحق قُدسي يتجلّى على المشاعر يمسي
تتبارى فيه الملائك بالنو ر يشعُّ الحياة في كلِّ حسِّ
في ربوعٍ بين المقام وجمعٍ في مجالي الهدى وأقدس قدسِ [1]

ومن أكثر المواقف سيطرة على مشاعر الشاعر المسلم ، هو إحساسه بعظمة تلك الرحلة الوجدانية – رحلة الحج – ، حين يتخلى فيها المستجيب لذلك النداء الخالد عن الأهل والمال والوطن ، ينحدر في الوهاد ، ويعلو النجاد ،.. متطلعاً بشوق إلى تلك البقاع الطاهرة والفجاج الزاهرة [2] ، وكلهم أمل في قبول الله لهم ، يرفعون أكفاً اختلفت لغاتها ، ولكن توحدت إلى رب واحد توجهاتها ، وممن سيطرت هذه المشاعر على نفسياتهم ، العقيلي في قوله :

حين عجَّ المهللون ودوّت ألسنُ القوم من فصيح وخرسِ
أقبلوا هاطعين من كل فجٍّ وعنوا خاضعين من كل جنسِ
بقلوبٍ ترجو المثوبة حرّى ونفوسٍ على الفضائل حبسِ
حسروا الهام خشية واحتسابا ولقوا الله في لفائف بُرْسِ [3]

وقد انطلق الشعراء مغمورين بإحساس نابع من حسهم الإسلامي الصادق ، انطلقوا يصفون مشاعرهم وأشواقهم نحو بيت الله الحرام ، ويصورون لحظات الوصول إلى مكة ومرأى الكعبة ، وما انتابهم من خشوع ورجاء وندم على ما فات من

(١) المجموعة الشعرية : ٣١٣ .
(٢) انظر: النزعة الإسلامية في الشعر السعودي المعاصر ، د. حسن الهويمل : ١٣٠ .
(٣) المجموعة الشعرية ، العقيلي : ٣١٤ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

عمر لم يكن في الطريق الصحيح ، ومن أولئك الشعراء حسين النجمي في قصيدته (الروح في مكة المكرمة)، حيث يقول واصفاً ما حفّه من شوق ومشاعر :

ماذا أقول ؟ وماذا يكتب القلم وكيف تنطلق الألحان والكلمُ
وكيف يفصح قلبي عن مشاعره ونار شوقي في جنبي تضطرمُ
أتيت يامكة الغراء في كبدي شوق يعربد والأفكار تحتدمُ
أتيت أم القرى والروح هائمة والعين شاخصة يسمو بها الحلمُ
فأسبلت دمعها من جفنها وغدت تسبح الله لما أن بدا الحرمُ
فأقبلت تلثم الأركان في وله وتلمس الحجر الأسنى وتستلمُ
تطوف بالبيت والآمال تدفعها لنيل مغفرة يأتي بها الندمُ[1]

ومثل ذلك مشاعر الشاعر إبراهيم صعابي التي أجراها على لسان حجاج بيت الله الحرام ، معبرة عما يشعرون به ، وما يتطلعون إليه وهم في عرفات ، كلهم بلباس واحد ، وهتاف واحد ، هو (لبيك اللهم لبيك) ، وكان الشاعر أحد أولئك الملبين ، فكانت مشاعر جياشة على صعيد المشاعر ، يقول :

لبيك يا ربّاه تهتف ألسنٌ في النائبات ويهتف الوجدانُ
تصحو من اليأس الحقير نفوسنا ويشعُّ في خلجاتنا بنيانُ
وهنا الحجيجُ ذنوبُهم مغفورة فاغفر لعبد دمعه هتانُ
رباه قد وقفوا ببابك خشعاً وقلوبُهُم يسمو بها الإحسانُ
غفرانك اللهمَّ أنت ملاذُنا واصفح فإنك غافرٌ منّانُ[2]

ويعد شهر رمضان وحلوله مناسبة ينطلق فيها الشعراء على سجيتهم للتعبير عن مشاعرهم الإسلامية ، وفرحتهم بمقدمه ، واستلهام معانيه الروحية ومضامينه السامية،

(١) خفقات قلب : ٥١ .
(٢) زورق في القلب : ١٠ – ١١ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

فالشاعر محمد بن علي السنوسي في قصيدته (رمضان) ، تحدث في أولها عن نفحات هذا الشهر التي ينفح الله بها عباده ، وأهمها أنه ينقي النفوس من التعلق بحطام الدنيا ، ويبلغ بها أعلى درجات التقوى ، يقول :

رمضان يا شهر الضيا ... ء الحر من أسر الظلامْ
أطلق بأضواء الهدى ... أسر النفوس من الحطامْ
وأنر بقدسي الصفا ... ء رؤى الحياة من القتامْ
وانضح عواطفنا تقى ... واغمر نوازعنا وئامْ
رمضان يا أمل النفوس ... الظامئات إلى السلامْ
ياشهر بل يا نهر ينهل (م) من عذوبته الأنامْ
طافت بك الأرواح سا ... بحة كأسراب الحمامْ
بيض يجلّلها التقى ... نوراً ويصقلها الصيامْ [1]

ومن أهم المضامين التي توقف الشعراء عندها في حديثهم عن شهر رمضان ، هي عدم إدراك بعض الصائمين لمعاني الصيام ، وظن كثير منهم أن الصيام هو امتناع عن الأكل والشرب فقط ، ولم يدروا أن للصيام معانٍ سامية ، وأهدافاً نبيلة أرقى من ذلك ، وفي هذا يقول الشاعر محمد السنوسي في قصيدته السابقة :

رمضان ربّ فم تمنَّع (م) عن شرابٍ أو طعام
ظن الصيام عن الغذا ... ء هو الحقيقة في الصيام
وهوى على الأعراض ين ... هشها ويقطع كالحسام
يا ليته إذ صام صا ... م عن النمائم والحرام
واستاك إذ يستاك من ... كذب وزور واجترام

(١) الأعمال الكاملة : ٣٢٤ – ٣٢٥ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

وعــن القيــام لــو أنــه　　فيمــا يحاولــه استقــام [1]

ومن تلك المضامين التي ترددت عند الشعراء الذين تحدثوا عن رمضان، رحلتهم في عوالم رحبة من الذكرى ، تلك الذكرى التي يفرضها رمضان بحلوله ، فهو شهر العزة للمسلمين ، شهر الانتصارات ، فكان الشعراء يهرعون إلى هذه المعاني لإحياء شيء من الأمل في نفوسهم ، وللهروب من خزي الواقع المؤلم الذي يعيشونه ، في واقع يرون فيه العرب والمسلمين ضعفاء ، يتلقون الهزائم تلو الهزائم ، والضربات إثر الضربات ، فما أن يحل هذا الشهر ، حتى يهرعوا إليه ، كمحاولة تنفس متاحة ، وتمجيد كل نصر في الماضي أو الحاضر حل في هذا الشهر ، ومن أولئك الشعراء علي محمد صيقل في بعض قصائده حول رمضان ، ومنها (رمضان وأجمل الذكرى) ، وفيها تبرز لديه تلك المعاني ، إذ يقول :

وعــدت إلينــا يــا رمــضان　　تحمــل أجمــل الــذكرى

وعــــادت في لياليــــك　　تلــوح أمامنــا البــشرى [2]

وأهم تلك الانتصارات التي ردد الشعراء ذكراها ، هي غزوة (بدر الكبرى) ، أول انتصار للعرب في ظل الإسلام ، وأول انتصار للمسلمين على المشركين ، وفي ذلك يقول علي صيقل :

فتبــدو غــزوة الأمجــاد　　غــزوة بدرنــا الكــبرى

قــلادة كــل معركــةٍ　　تحــلي الجيــد والــصدرا

بهــا التــاريخ كــم نــادى　　و كــم غــذى بهــا ســفرا

وكــم غنــى بهــا طربــاً　　وتــاه بــذكرها فخــرا

فــإن مــرت فــما زالــت　　تــضمخ أمــسنا عطــرا

(١) المصدر السابق : ٣٢٨ .

(٢) ترانيم على الشاطئ : ٤٦ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وتفعـــم ليلنـــا نـــورا وتكـــسو فجرنـــا ســـحرا [1]

ومـن انتـصارات العـرب المعـاصرة – عـلى قلتهـا – الانتـصار الرائـع في حـرب العـاشر مـن رمـضان سـنة ١٣٩٣هـ ، حيـث أثبـت العـرب والمسلمون أنهـم بالتعـاون والاعتماد على الذات، وربط معاركهم بالإسلام وبالدفاع عن حقوق المسلمين المغتصبة، أنهم قادرون على تحقيق النصر ، ذلك النصر الذي يتحقـق بالعمـل ، لا بالاسـتجداء مـن الآخرين ، فالحقوق لا توهب ، وما أخذ بالقوة لا يعـود إلا بـالقوة ، ورمـضان كـل عـام هو محط ذكريات لذلك الانتصار ، وفي ذلك يقول علي صيقل :

وحـــرب العـــاشر المـــبروك قـــد أعلـــت لنـــا قـــدرا
سحقنـــا مـــنهم الهامـــات أحبطنـــا لهـــم أمـــرا
ودسناهـــــم بأقـــــدام قـــصمنا منهـــم الظهـــرا
فكـــم قـــد دبـــروا كيـــداً وكـــم حـــاكوا لنـــا شـــرا
رددنـــا الـــصاع صاعـــين أعـــدنا بدرنـــا الكـــبرى
وأثبتنـــا لهـــم أنـــا نجيـــد الكـــر والفـــرا
وأنـــا أمـــة مهمـــا تمـــادوا نحـــرز النـــصرا
ففـــي أعطـــاف ماضـــينا روائـــع تبهـــر الفكـــرا
ومـــن أحـــداق حاضرنـــا تطـل عـلى الـورى البـشرى [2]

ومما لـه علاقة بالمناسبات الدينية ما يتردد بين جنبـات المسلمين في اليـوم والليلـة خمس مرات ، ذلكم هو الأذان ، الصوت الندي المذكر للمسلم ، والـداعي لـه ، لينطلـق من كل أثقال الدنيا وقيودها ، وينفك من أعمالها وارتباطاتها ، ليقف بين يدي الله ، يجـدد صلته به، ويريح نفسه من اللأواء والعناء المضني للجسد ، ويكسب روحه زاداً وصـفاء،

(١) المصدر السابق : ٤٦ – ٤٧ .
(٢) المصدر السابق : ٤٧ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

وممن وقف عند الآذان متأملاً معانيه ، ومحللاً كلماته ، ومبيناً المراد منها وقيمتها في حياة المسلمين الشاعر أحمد باهادون العطاس وذلك في قصيدته (الله أكبر) ، حيث يقول :

الله أكبر ما أحلاه من كلم　　يدعو البرية للخيرات والشيمِ
يدعوهم لصلاة طاب منهجها　　لوصلة العبد بالمعبود في كرمِ
فيها تردد آيات مبينة　　تهدي إلى الرشد والأخلاق والقيمِ
فيها تجمع أفراد لتشعرهم　　فضل التجمع والإخلاص والهممِ
هذا الأذان يدوي من منائره　　الله أكبر ما أحلاه من كلمِ (١)

وقد حظي أذان الفجر باهتمام واضح من أكثر من شاعر ، ومن الذين خصوه بقصيدة مستقلة الشاعر محمد بن علي السنوسي بقصيدته (أذان الفجر) ، و ((**أذان الفجر بعد هدأة الليل يشعل في النفس جذوة الإيمان ، ويشيع فيها الاطمئنان ، ويدفع بالفكر في مسارب الطبيعة ، لتتأمل صنع الله الذي أتقن كل شيء**)) (٢) . وفي ذلك يقول السنوسي، واصفاً النداء الإلهي المميز وآثاره على مشاعره :

ارتفاع الأذان فوق المآذن　　في انبلاج الصباح والليل ساكن
دعوة تحمل الحياة إلى الكو　　ن وسكانه قرى ومدائن
ونداء من السماء إلى الأر　　ض إلى ظاهر عليها وباطن
ولقاء بين الملائك والإيمـ　　ـان والمؤمنين من غير آذن
وانطلاق إلى الفلاح إلى الخـ　　ـير إلى الحق والهدى والمحاسن (٣)

ولم يكن الأذان ليؤثر على نفسية الشاعر فقط ، ولكن أثره يتجاوز ذلك ، ممتداً إلى الكون والحياة بأسرها ، إذ إن إعلان الفجر هو إعلان حياة جديدة وفجر عطاء

(١) تغريد النهى : ٢٢ .
(٢) النزعة الإسلامية في الشعر السعودي المعاصر ، د. حسن الهويمل : ١٣٧ .
(٣) الأعمال الكاملة : ٥٤٥ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

متدفق ، يحس المتأمل لذلك الصوت أن الجبال والدور والأشجار كلها تتفاعل معه ، بل لولا المغالاة في التخيل لظن السامع أنها تردد مع بني الإنسان جمل ذلك الأذان العجيب لمن تأمله ، ولهذا يشير السنوسي إلى شيء من هذا في قوله :

كلّمـــا ردد المـــؤذن لفظـــاً شعشع النور وانجلى كل غاين
نغمـــات كأنهـــا نـــسمات رقرقتهـــا خمائـــل وجنـــائن
تتنـــدى بهـــا النفـــوس وترتـــا ح ارتياح الربى بقطـر الهواتن
تمسح الأرض من غبار الملاهي ودخـان الهـوى ولهـو المفـاتن
كل حرف من لفظه كـل معنى مـن معانيـه يـستثير الكـوامن
رددتـــــه منابـــــر وقبـــــاب تتعـالى ورجَّعتهـا مـلاسن[1]

وإضافة إلى مناسبات الحج والصيام والأذان وغيرهما مماله ارتباط بالشعائر الدينية ، فقد توقف الشعراء كثيراً عند حلول العام الهجري الجديد ، مستلهمين معاني الهجرة النبوية الشريفة ، ومضامينها السامية ، وكان أكثر ما يتوقفون عنده هو التأمل في حصاد عام هجري مضى ، واستشراف المستقبل لعام هجري قادم ، وإعادة النظرة فيما مضى ، والإعداد السليم لما سيقدم ويحل .

ومن الشعراء الذين رصدوا أحداث الهجرة النبوية ، وما رافقها من أحداث ، ابتداء بموقف كفار قريش من هجرته إلى المدينة ، خشية على مكانتهم إن وجد الرسول – ﷺ – من يناصره فيها ، وما حاكوه من تدبير شيطاني لقتله ، ثم كيف نجا منهم – عليه السلام –، فمن الشعراء الذين تحدثوا عن هذه المعاني الشاعر أحمد العطاس ، وذلك في قصيدته (ذكرى الهجرة) ، حيث يقول :

حـدث خالـد مـدى الأزمـان ومـسار الهـدى بكـل مكـان
حـدث روع العتـاة فحـارت وتنـادت بالويـل والخـسران

(١) المصدر السابق : ٥٤٦ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

فالحبيب الأمين قد حوطوه　　وهو في الدار شاعر بالأمان
واثق بالنجاة من كل غدر　　مؤمن موقن نقي الجنان
فله الله حارس ومعين　　قد كفاه وساوس الشيطان
عصبة من فئاتهم قد تواصوا　　واستمروا في الغي والطغيان
قرروا قتله وسفك دماء　　طاهرات على الثرى في عيان
جمعوا أمرهم وباتوا قياماً　　يقظة يحرسون كل مكان
وإذا بالأمين ينهض تال　　ما تلقى بالوحي من قرآن
ويذر التراب فوق رؤوس　　حالمات بالجرم والعدوان [1]

وكان بإمكان الشاعر العطاس أن يستفيد من حبكة القصة عند إعادة كتابتها ، ولكنه أخذه السرد والإخبار في عرض أحداث الهجرة ، في حين أن شاعراً مثل محمد بن علي السنوسي استطاع أن يأتي بمضامين العطاس التي أتى بها في تسعة أبيات ، استطاع السنوسي أن يأتي بها في خمسة أبيات ، مع قدرته على إحكام الترابط بينها ، والتحليق بها إلى سماء الخيال ، وعالم الصور المجنحة ، حيث يقول في قصيدته (ليلة الهجرة) :

رصدوا داره كما يرصد الجا　　ني وثاروا عليه كالغوغاء
وطغى مكرهم فشاه وشاهت　　أوجه مزقت رداء الحياء
ونجا سيد النبيين والر　　سل محاطاً بهالة بيضاء
مر من بينهم مرور شعاع البر　　ق بين السحابة الدكناء
ورماهم بحفنة من ترابٍ　　كللت كل هامة جوفاء [2]

ومن أجمل المواقف في الهجرة موقف الرسول – ﷺ – مع سراقة بن مالك الذي أغراه ما أعده المشركون من جوائز لمن يقبض على النبي ورفيقه أبي بكر ، ثم ما حصل له

(١) من وحي التأملات : ٨٩ .
(٢) الأعمال الكاملة : ٢٦٣ – ٢٦٤ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

من مواقف دعته إلى الإسلام بعد أن حمى الله نبيه وعصمه من كل الكائدين ، وبشارة الرسول - ﷺ -له بسوار كسرى بن هرمز ، وفي تلك المعاني أبدع الشعراء ، ولكن السنوسي أبدع فيها أيما إبداع ، حين قال :

هذا سراقة قد جنت مطامعه حساً ونفساً وجسماً فهو (رادارُ)
تألقت مقلتاه وامتطى فرساً يعدو به في سبيل الشر دينارُ
رآكما ورأى موتاً يحيط به ولاح من تحته قبر وحفارُ
مادت به الأرض حتى صاح من فزعٍ آمنت يا رب فاغفر أنت غفارُ
تبسّم المصطفى في وجهه طرباً مبشراً بسوار ما به عارُ
وعاد أدراجه في قلبه عجبٌ وملء عينيه أحلام وأشعارُ[1]

وعرض الشاعر أحمد العطاس هذا الموقف بأسلوب آخر ، يبرز دهشة سراقة من هذا الرجل المطارد الذي يعد بوعود أغرب من الخيال وهو في هذه الحالة ، ولكنها وعود كلها قد تحققت ؛ لأنها صدرت من الصادق المصدوق ، يقول :

واستماتوا في البحث في كل درب باذلين الأموال للفتيان
فاز فيها سراقة برجاءٍ وجزيل النوال والإحسان
أيها الفارس المغامر هلا تر آيات خالق الأكوان
فخذ الوعد واكتم القوم سرّاً عن مسار يحاط بالكتمان
ومضى في سبيله يتلوّى أذهلته سواطع البرهان
ربّ هذا الطريد يعلن وعداً عن يقين وقوة اطمئنان
بالسوار الذي بمعصم كسرى مالك الفرس صاحب الصولجان
إنها الآية التي تحقق فيها كلما قاله النبي بالبرهان[2]

(١) المصدر السابق : ٥٣٤ – ٥٣٥ .
(٢) من وحي التأملات : ٨٩ – ٩٠ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

فـــسوار إلى سراقـــة يعطـــى　　وهـــو في عـــزة وفي سلطـــان
معجـزاتٌ في سيرة قـد تبـدّت　　واستبـانت معـالم العرفـان [1]

وفي رد للشاعر علي النعمي على نزار قباني ، حيث هجم فيها على الجزيرة العربية وأبنائها، أشار النعمي إلى بعض مواقف الهجرة النبوية ، ودورها في الانطلاق الحضاري لأبناء الجزيرة العربية تحت راية الإسلام ، وكان الحديث عن سراقة بن مالك ، ورؤيته في ذلك المكان لدمشق تبرق ، فكان ذلك مؤذناً ومبشراً بالفتح الإسلامي الكبير لها ، ودخولها في حضارة العرب والمسلمين المنطلقة من الجزيرة ، حيث يقول داعياً له بمراجعة حقائق التاريخ ، واستلهام عبره :

سـائل سراقـة يـا نـزار فـربما　　تتغـيّر الأسمـاء والألقـابُ
مـن هاهنا ظهرت دمشق وغيرها　　وهنـا هنـا تتـشكل الأحقـابُ
والحـب مـن قلـب الجزيـرة بـدؤه　　(ولكـل سـؤل يـا بثـين جـوابُ)
لا مـا ادّعيـت ومـا نطقـت تخرّصـاً　　لكنـــه الإدلال والإعجـــاب
وثنيـة كـبرى وجهـلٌ مطبـقٌ　　وحقائـقٌ مقلوبـةٌ وكِـذابُ
راجـع قـواميس الهـدى بتجـرّدٍ　　إن كان قد حجب العيون حجابُ [2]

أما حديث الشعراء عن بداية العام الهجري وما يرافقه من دعوة للأمة كي تراجع حساباتها ، وتنظر في إنجازاتها ، وكذلك حديث الشعراء عن أنفسهم وما دار وحصل لهم في عام مضى ، فهذا كثير جداً ، بل أقول – بلا مبالغة – : إن أغلب الشعراء قد كتبوا في هذا الشأن ، وأكثرهم يتفجع على ما يحل بالمسلمين كل عام من مصائب وكوارث ، وما يأمله من آمال في العام الجديد ، ومن هؤلاء الشعراء على سبيل المثال حسن حجاب الحازمي ، وذلك في قوله :

عـامٌ جديـدٌ مقبـلٌ يـا سـادتي　　مـن وجنتيـه تفجّـر الإرهـابُ

(١) في البيت خلل موسيقي .
(٢) الرحيل إلى الأعماق : ٣٨ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

حُرّاسه دمعٌ يُصدّر من هنا وعلى الخطاب تناثرت أهدابُ
عامٌ جديدٌ نحتسيه بغصّةٍ لا الدمع جف ولا نمت أعشابُ
تمضي بنا الأيام مسرعة الخُطا لا وعد بُتَّ و لا استقام حسابُ [1]

ثم بعد ذلك يذكر مواجع الأمة الإسلامية وآلامها وجروحها الكبار ، ويختم وقفته مع العام الهجري الجديد بقوله :

كل الكلام مكررٌ يا سادتي لا الريق جفَّ و لا الكلام عقابُ
عام جديد ما تجدد حالنا (جفَّ الشّذا وتفرّق الأصحابُ)
كل الجرائد حملت أخبارنا ألمٌ ويأسٌ والكلام ضبابُ
كل الجرائد لفقت أقوالنا قطط تموء وما لهن ثيابُ
عام جديدٌ هل سنرجع دارنا سأل الصغير وما لدي جوابُ
هل تملكون إجابة يا سادتي أم أنها قد سدت الأبوابُ؟ [2]

ثالثاً - مضامين إسلامية شاعت في شعر ذوي الاتجاه الإسلامي :

ومن أهم تلك المضامين التي شاعت لدى الشعراء انطلاقاً من توجههم الإسلامي :

أ – الحديث عن ماضي المسلمين ، واستلهام تاريخهم :

أكثر الشعراء انقياداً لسيطرة الاتجاه الإسلامي عليهم من الحديث عن الماضي العبق للمسلمين ، واستلهام العزة والعظمة التي سطرها أبطال الإسلام العظام ، واهتمام الشعراء بأولئك الأبطال ((**امتداد لاهتمامهم بالإسلام عقيدة ومنهج حياة ، كما أن استدعاءهم للصفوة من ذاكرة التاريخ ، بهدف ربط القارىء بالتاريخ الإسلامي في عصور ازدهاره ، ومن ثم يمكنهم ذلك من تقديم أمثلة حية لناشئة الأمة ؛ لحملها على الاقتداء بهذا**

(١) وردة في فم الحزن : ٩٥ – ٩٦ .
(٢) المصدر السابق : ٩٨ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

السلف الصالح ، ومحاولة تمثل حياتهم وأسلوب تعاملهم)) [1] ، تدفعهم رغبة جامحة في نقل أمتهم عن طريق استدعائهم لتلك الشخصيات بمعطياتهم ، **((من واقع الهزيمة التي تعيشها على أيدي المستعمرين والإحباط والفرقة والتخلف والمهانة الحضارية إلى واقع أكثر إشراقاً وسطوعاً ونضارة ... فيه الحرية والانتصار والحضارة ، ويستشعر فيه المسلم أنه صاحب كيان وذو قيمة ، بعد أن أصبح في هذا القرن مثل اليتيم على مأدبة اللئيم))** [2] .

ويستطيع القارىء أن يتلمس هذه النظرة في كثير من مواقف الشعراء ، فهم يحرصون على استغلال أي فرصة للحديث عن ذلك الماضي ، فهذا الشاعر محمد أحمد العقيلي يرى الملك فيصل بن عبدالعزيز – يرحمه الله – يزور أسبانيا ، ويزور بعض معالم بلاد الأندلس ، مجد المسلمين الضائع ، انطلاقاً من ذلك الإحساس استحضر الشاعر أمجاد أمته أيام الأندلس، وتمنى لو عادت تلك الأيام أيام كان العز والمجد الإسلامي ترفرف راياته في حواضر الأندلس ، يقول :

أهذا شعاع التاج أم ضوء شارق ؟　　بدا أم ضياء الفتح من طود طارقِ
غداة اسبطرت من سنائك ومضة　　بقرطبة تغشى سماء السرادقِ
تجلّى على الحمراء نوراً فاشرقت　　موهّجة الأبهاء غنَّا الحدائقِ
كأنك فيها الناصر الدين قد علا　　على عرشها يلقاه وفد البطارقِ
أو الداخل الميمون في زهو غزوةٍ　　مظفرة الأعلام نشوى الفيالقِ
عواهل مروان ، وأملاك عامر　　وأشبال عباد وفتيان طارقِ
تحييك بالأرواح زلفى ولو سعوا　　لحياك من أمجادهم كل ناطقِ [3]

(١) النزعة الإسلامية في الشعر السعودي المعاصر ، د. حسن الهويمل : ٢١٧ بتصرف .
(٢) محمد صلى الله عليه وسلم في الشعر الحديث ، د. حلمي القاعود : ٢٠٣ – ٢٠٤ ، وانظر : الاتجاه الإسلامي في شعر محمد بن علي السنوسي ، مفرح سيد : ١٤٦ .
(٣) المجموعة الشعرية : ٥٦٢ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

فهذه الزيارة ذكرت الشاعر بملوك الأندلس الغابرين من المسلمين ، حيث تخيّل الخليفة الناصر حين اعتلى عرش الأندلس عزيزاً منيعاً ، وقد جاءته وفود البطارق تؤدي له حقوق الطاعة والولاء ، ورأى الشاعر في مخيلته عبدالرحمن الداخل وهو يعيد حكم بني أمية في الجانب الغربي من بلاد المسلمين ، ويؤسس ملكاً مهاباً .

ولو استطاعت أرواح أولئك القادة العظام من المسلمين لعادت في أجسادهم ، وقابلت الفيصل محيّية له ، في حرص من الشاعر على مكافاة الرجل الكبير القدر بأمثاله من المستقبلين ، إعجاباً برائع إنجاز الجميع ، سواء في ذلك المتقدمون ومن تأخر .

والشاعر محمد السنوسي حين يتحدث عن مواقف أبي بكر الصديق الشجاعة مع المرتدين ، ومواقفه الحازمة في السقيفة ، لم يكن حديثه عن ذلك الحدث حديثاً مجرداً من الواقعية المعاصرة ، وإنما كان في حديثه يستبطن واقع الأمة اليوم في غياب الأسوة المؤثرين الذين يملكون القدرة على اجتياز المحن [1] ، وإن وجدوا ، فهم قلة لا يمكن لهم وحدهم إعادة مجد الأمة وبناء آمالها ، لذا كان السنوسي ينادي في حديثه عن أبي بكر والأسى يعتصر فؤاده:

يا ثاني اثنين لو أبصرت حاضرنا ... والمسلمون حيارى أينما داروا
في ردة لا أبا بكر يصاولها ... ولا يقاومها عمرو وعمارُ
في ردة من ثياب العصر لابسةً ... تحرر قيل عنها وهي آصارُ
تفرق الجمع وانحلت شكيمتهم ... وانهار إيمانهم بالله فانهاروا
نقلد الغرب إلحاداً وزندقة ... ومن تحلله نجني ونشتارُ
ولا نقلده علماً وتقنيةً ... ولا انطلاقاً له نفع وأثمارُ
يا ثاني اثنين في ذكراك موعظة ... وفي جهادك للسارين أنوارُ [2]

(١) انظر : النزعة الإسلامية في الشعر السعودي المعاصر ، د. حسن الهويمل : ١٩٠ .
(٢) الأعمال الكاملة : ٥٣٩ – ٥٤٠ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

وأخذت الشعراء موجة عارمة من الفخر بذلك التاريخ العظيم الذي حققه الأسلاف المسلمون ، حيث لم يسبق إلى مثله أحد من الأقدمين ، ولم يلحق شأوه أحد من اللاحقين ، تلك الأيام لا يستطيع أحد محو سماتها وروعاتها ، حيث عاش جميع العالمين تحت حكم الإسلام ورجاله في أمن وسلام ، أحد أولئك الشعراء علي النعمي الذي تكرر هذا المعنى في شعره كثيراً ، بل طغى على ديوان كامل من دواوينه ، وهو ديوان (الرحيل إلى الأعماق) ، حيث يقول :

هذا وسل أسفارنا تنبيك عن　　أيامنا ستروعك الأبعادُ
فيها لكل المقتدين مشاعلٌ　　لم يطفها الجهلاء والحسادُ
وضاءة القسمات كم باهت بها　　أجيالنا فكأنها أعيادُ
قدنا بني الدنيا وسدناهم فلم　　نبطر ولا عبثت بنا الأحقادُ
الكل ينعم في حمانا آمناً　　بالعيش وهو الخائف المنآدُ
خذ (ناصر الأنثى) وخذ أيوبهم　　وخذ ابن قيس إذ بغى الأكرادُ
ملكوا فما جاروا ولكن أحسنوا　　والضد يظهر حسنه الأضدادُ[1]

وفي هذا الجانب مجد الشعراء كثيراً من البطولات الإسلامية ، والقادة المسلمين ، ومن الشعراء الذين كثر لديهم هذا التوجه النابع من الاتجاه الإسلامي في شعرهم علي بن حسين الفيفي في حديثه عن بطولات الصحابة ، ورواية مواقفهم التاريخية ، وإسقاطها على الواقع[2]، وإبراهيم صعابي في كثير من قصائده ، لا سيما قصيدته الرائعة (إشراقة بني نمير) التي روت روائع قصة صهيب بن سنان الرومي[3] ، وأحمد الفيفي في قصيدته (صحوة الأيام)[4] وغيرهم .

(١) الرحيل إلى الأعماق : ٤٤ – ٤٥ .
(٢) انظر : زائر الأمس : ١٥٣ – ١٥٨ .
(٣) انظر : زورق في القلب : ٨٩ .
(٤) انظر : السحابة : ٩٨ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ب- ظهور وسطية الإسلام والفكر المعتدل :

انطلق الشعراء في حديثهم عن كثير من القضايا من توجه إسلامي أصيل ، قائم على الاعتدال والتوازن ، ونابع من الوسطية التي قام عليها دين الإسلام أساساً ، وهذه المسألة هي علامة فارقة في الشعر السعودي بعامة ، قل توافرها في الشعر العربي المعاصر الذي وصل بعض شعرائه إلى استيراد الفلسفات الشيوعية والاشتراكية والوجودية والعلمانية ، كما في شعر السياب ، والبياتي ، وصلاح عبدالصبور ، ومحمد الماغوط ، ونزار قباني ، وأدونيس ، ومحمود درويش ، ومن اتبع نهجهم ، إلى ما فيها من تهتك ، ولا مبالاة ، وهدم للمثل العليا والأخلاق.

((ولا نزعم أن جميع شعرنا سواء السعودي بعامة ، أو جازان بخاصة كان خالياً من الهنات الوافدة من الشرق أو الغرب التي تبدو أحياناً ، وتختفي أحياناً أخرى في ثنايا الأبيات ، كما في أشعار شعراء الحداثة التي انحرفت في بعض النواحي الفكرية . ولكن هذه الهنات لا تكوّن مذاهب بقدر ما هي خطرات من الزلل ، ينزلق فيها الشعراء احتذاء ، أو تقليداً أو غفلة ، بيد أن كثيراً منهم سرعان ما يكتشفون بهرجها ، فيعودون إلى الأسلوب المستقيم))[1].

ولو نظرنا إلى حديث الشعراء في بعض القضايا التي كانت مثار النقاش في الثمانينات والتسعينات الهجرية ، لوجدنا مصداق قولنا أن شعراء جازان انطلقوا في نقدهم لتلك التوجهات الوافدة من منظور إسلامي صرف ، قائم على فهم رسالة الإنسان وعلاقته بالخالق وبالكون والأحياء من حوله ، ومن تلك القضايا – على سبيل المثال – قضية الاشتراكية التي كانت مثار نقاشات واسعة في العالم العربي ، وفي كل مكان وصلت إليه ، فمن الدعامات الأساسية التي قامت عليها الاشتراكية فكرة الشيوع ، التي تزعم أنها من خلالها قد حققت المساواة بين الناس في كل شيء لا سيما

(١) الشعر الحديث في المملكة العربية السعودية ، د. عبدالله الحامد : ٤٥٤ – ٤٥٥ ، بتصرف .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

الرزق ، ونعلم جميعاً أن محاولة الاشتراكية هذه هي ضرب من ضروب المستحيل ؛ لأن الفوارق بين الناس في نعم الدنيا أمر حتمي وسنة قاطعة ، وأي محاولة لطمس وجود فقير مقابل غني ، هي معارضة لسنن الله في الكون ، ومصيرها الحتمي في النهاية الفشل، وفعلاً فشلت الاشتراكية فشلاً ذريعاً ، وسقطت في مواطنها الأولى، وممن عرضوا بها الشاعر محمد بن علي السنوسي في معرض حديث له عن الفقر والغنى ، حيث يقول :

يا هموم الحياة إن فؤادي　　لا يباليك فاقصري أو تمادي
إنني في سكينة من هدى الدي　　ن ونور اليقين ذخرى وزادي
كتب الله لي حياتي ورزقي　　فتنحي يا فلسفات العبادِ
من شيوعية يصير بها الإن　　سان ترساً في آلة الحدادِ[1]

ثم حلّل الشاعر مفهوم الفقر والغنى، وأنهما لم يرادا لذاتيهما ، بل لمعانٍ وحكم سامية، أراد الله من خلالها امتحان عباده ، فكيف يأتي أصحاب هذه الفلسفات سواء الشيوعيون أم الرأسماليون ، ويصادمون سنن الله ، ويقفون ضد حُكمه وحِكمه ، يقول :

أنا آمنتُ بالذي خلق الكو　　ن وما فيه من هدى أو فسادِ
خالق الليل والنهار ومنشي　　ناظر الزهر في الصخور الصلادِ
ما الذي يأكل الغني إذا جا　　ع سوى الخبز وهو في كل وادِ
والغنى في يد الغني امتحان　　هو من هوله على ميعادِ
وكذا الفقر للفقير ابتلاء　　سوف يجزى به كريم الأيادي
فلماذا هذا التهالك والدنـ　　ـيا خيال أو رؤية في رقادِ[2]

والشاعر علي بن قاسم الفيفي يشن على الفكرة الشيوعية في مجال تقسيم الأرزاق حملة شعواء ، حيث جعلوا أنفسهم أحنى على الخلق من خالقهم ، وأن الذي

(١) الأعمال الكاملة : ٧٥٥ .
(٢) المصدر السابق : ٧٥٥ – ٧٥٧ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

دعاهم إلى هذا ما هو إلا حرصهم على مصالحهم الخاصة ، والثراء على حساب الشعوب المقهورة والمضطهدة ، يقول:

تظاهـروا بقـسمة القـسطاس لهـذه الأمـوال بـين النـاس
فاعتلـوا العـروش والكـراسي وحكمـوا الـشعوب بـالإفلاس
واصطفوا المال لهم للنُّوبِ

كأنهـم أعـدل في الإنفـاق أو أنهـم أحنـى مـن الخـلاق
بخلقـه في قـسمة الأرزاق أقامهـم العـدل الكـريم البـاقي
فقد عتوا وبالغوا في الكذب [1]

وانطلاقاً من توجه الشعراء الإسلامي ، ووسطيتهم في معالجاتهم الشعرية ، فقد هاجموا بشدة ، وأنكروا على كل من خالف هذا النهج ، وكلّ من تجرأ على قيم الأمة وثوابتها ، أو إحداث ما يفرق جمعها ، أو يدنس مقدساتها ، مهما كانت المبررات ، ولعل الغلو هو أكثر مظاهر الخروج على الوسطية ، التي سعى اليها الشعراء ، فشنوا عليه حرباً شعواء ، كما حصل من أولئك الذين أقدموا على دخول المسجد الحرام ، وترويع الآمنين فيه ، وقتل الأبرياء بحجة المطالبة ببعض الإصلاحات على حد زعمهم ، ولم تكن الإصلاحات أو معالجة الأخطاء في يوم من الأيام ، أو في رأي الإسلام تعالج بهذه الطريقة ، التي هي من عمل فرق الخوارج والغلاة الذين لا يراعون أو يوازنون بين المصالح والمفاسد ، أو يحكمون الشرع ورأيه، أو العقل ونداءه ومن الشعراء الذين أنكروا ذلك علي بن قاسم الفيفي ، حيث يقول:

لم يسألوا أهل العلوم وذا الحجى كي يستبينوا الحق في استظهار
وكذا الغرور مع الغلو إذا الفتى جاراهمـا جـراه للأخطـار [2]

(١) ومض الخاطر : ١٦ .
(٢) الطيف العابر : ١٦ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

وكان أولئك الغلاة قد زعموا أن معهم الإمام المهدي ، وهو الذي يوجههم في هذه الأحداث ، فأنكر عليهم الشاعر هذا ، ورد بقوله :

من ذلك المهدي أين عقولكم　　أين الهدى من غاشم غدار
أيكون مهدياً وتلك فعاله　　في أقدس الأزمان والأمصار
من هم بالإلحاد فيه أذاقه　　عن همه الله عذاب النار
أيكون قتل الأبرياء هداية　　وإخافة الزوار والعمار
لو كان مهدياً لما ارتكب الخنا　　أين الهدى من خاتل مكار
لو كان مهدياً لجاء مؤيداً　　لمبادئ صحت عن المختار

ويبين الشاعر أن مثل هذه الخزعبلات والجهالات لم تعد تخفى على أبناء العصر مع كثرة العلماء ، وتفتح الناس ، وعدم انخداعهم بمثل هذه الأفكار الناشئة عن الجهل وعدم فهم وسطية الدين وأولوياته وأسسه الصحيحة :

تالله ليس الدين دين خرافة　　حتى يصير الحلم كالأخبار
والناس فيهم عالمون وذو نهى　　والعصر عصر تفتح الأفكار[1]

ومن الأمور التي تحدّث فيها الشعراء انطلاقاً من وسطية الإسلام ونظرته إلى الأمور ، وبيانهم لحقيقة دينهم الذي يرفض إرهاب الآخرين ، أو الاعتداء على حرماتهم ، وهم في الوقت ذاته يصرّون على أن الدفاع عن حقوق الأوطان ، وقضايا المسلمين ومقدساتهم ليس إرهاباً ولا تطرفاً ، فإن كان دفاع المسلم عن حقه في فلسطين أو في البوسنة والهرسك تطرفاً وإرهاباً ، فحياه الله من إرهاب ، وفي ذلك يقول الشاعر أحمد بن يحيى بهكلي :

يقولون لي : للعنف أنت تقوده　　وتشحذ من عينيه سكين قصاب
فإنك للإرهاب لا بدَّ تنتمي　　أترضى بهذا أيها الشاعر الصابي

(١) المصدر السابق : ١٦ – ١٧ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وقد أملوا أن أعلن النفي مثلما هو العرف عند العرب في زمن العاب
ولكنني كفرت عن إثم ظنهم وأعلنت رفضي للسؤال بإيجابي
إذا كان إرهاب العدو مسبةً فإني –ومرحى بالمسبة– إرهابي
وإن لم أكن يوماً لقومي وملتي وفيا، فإن الموت في القفر أولى بي [1]

جـ– الإصلاح والتوجيه والتربية الإسلامية :

للشعراء في جازان مشاركات كبيرة في الإصلاح والدعوة والتوجيه ، ورعاية النشىء، انطلاقاً من توجههم الإسلامي ، وهذا الإصلاح مطلب إسلامي ((**وإسهام الشاعر في الإصلاح من خلال تصور إسلامي مقتضى لا محيد عنه ، إذ لا بد من أن يقدم لأمته ومجتمعه ما تتطلع إليه ، وليس هناك أهم من تعقب الإثم ، والحمل على المفاسد ، والتواصي بالبر ، والعمل والدعوة إلى العطف والإحسان والمساواة ، وتحمل عبء الدعوة إلى الطريق السوي ، وتحذير الأمة من التقليد المشين**)) [2] .

فالشاعر محمد بن علي السنوسي يدعو من أراد خوض غمار الدعوة إلى الله – سبحانه وتعالى – وإصلاح الآخرين ، ودلالتهم على الخير ، وحجزهم عن مسالك الغواية ، إلى أن يكون هو أول من يطبق ما يقول ، وحري به أن يكون متحلياً ومتخلقاً بأخلاق الرسول – ﷺ – في جانب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وشتى الجوانب الأخرى ، وأن يكون هيناً رفيقاً ، بعيداً عن العنف والشدة ، فهو يقول في إحدى قصائده التي خصَّ بها لهذا الجانب :

أخي المسلم الداعي إلى الرشد والهدى حريٌّ بداعي الرشد أن يك أرشدا
لقد طاب مسعاك الحميد فلا تكن عنيفاً فإن العنف يغري التمردا
وكن هادئاً في قوله وفعاله رفيقاً فإن الرفق ما زال أحمدا

(١) أول الغيث : ١١٢ – ١١٣ .
(٢) النزعة الإسلامية في الشعر السعودي المعاصر ، د. حسن الهويمل : ٣٢٧ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

وصية طه المصطفى وهو قدوة　　لكل دعاة الرشد شيخاً وأمردا
فمن شادد الدين الحنيف فإنه　　وربك مغلوب وإن كان أُيِّدا [1]

والشاعر أحمد بهكلي نظر في الواقع ، فرأى ضعف حال المسلمين ، ومسالك شتى من الغواية والتردي في مسارب الردى والهوى ، فحزن عندما رأى تفشي كثيرٍ من تلك الأمراض، دون أن تجد لها طبيباً حاذقاً من داعية مشفق ، وناصح صادق يضع يده على الداء برفق واتزان ، وحب ورغبة في معالجة الأخطاء ، لم ير الشاعر عملاً دعوياً كما يجب ، فأنشأ قصيدته (عبرات على خد الدعوة الإسلامية) ، تحدث باسمها ، وشكى بلسانها قائلاً :

الخطى بددت وكل مسيري　　وغيابي هناك يفني حضوري
جرحتني يد النوى عن علائي　　ورماني برزئه مقدوري
كنت نبع الإباء أمسي ، فآه　　أين مجراي ؟ ضاع ، أين خريري؟
كنت روضاً وجدولاً وزهوراً　　أين روضي وجدولي ، وزهوري
أنِسَ الكون برهة في جناني　　أنا ضمخته بأغلى عطوري [2]

وفي ظل غياب القدوات التي يحتاج الناس إلى رؤيتهم ، وهم يتمثلون الإسلام واقع حياة ، وسلوكاً عملياً ، أكثر الشعراء من ضرب النماذج والأمثلة ، وبسط الحديث عن القدوات ، وذلك بعرض نماذج لشخصيات مؤثرة ، ودعوة الناس إلى السير على منوالهم ، وترسم خطاهم ، فالشاعر منصور دماس مثلاً يدعو الفتاة المسلمة التي أغرتها وسائل التغريب المعاصرة ، وصرعات المادة وزينتها اللاهية ، يدعوها إلى أخذ القدوة من الشابة سناء المجيدلي التي ابتعدت عن كل سخافات الزينة والحياة ، واهتمت بالجاد من الأمور ، وضحت بحياتها من أجل دينها ، وتحرير أرضها ، ودحر الأعداء المعتدين ، يقول لها في قصيدته (بنت حواء النقية) :

اطردي عنك خسة السفهاء　　واقطفي الحسن من شموخ الإباءِ

(١) الأعمال الكاملة : ٧٦٠ – ٧٦١ .
(٢) طيفان على نقطة الصفر : ٣٣ – ٣٤ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

بـــسنـاء تمثلـــي فـــسناء حلقـــت عـــن سخافـــة الافـــتراءِ
أرخـصت نفسهـا لأجـل معـالٍ حملتهـــا مـــن الثّـــرَى للـــسماءِ
بـذلت رُوحهـا لحـقٍّ فـصارت ذِكْـرَ خـير عـلى سُـفوح الرثـاءِ [1]

وحيَّا الشعراء كذلك العلم ، ودعوا إلى سلوك شتى السبل الموصلة إليه ، واستلهام سير الأسلاف من هذه الأمة التي تحترم العلم ، وكان لها شأو عظيم فيه ، دان به واعترف العالم كله ، وفي قصيدة (تحية المعهد العلمي) للسنوسي دعوة واضحة إلى انطلاقة قوية ، وأوبة إلى ذلك الماضي المجيد من العلم والبحث والريادة في شتى المعارف يقول السنوسي موضحاً النقلة الكبيرة التي يحدثها العلم في المجتمعات :

رب راع كـــاد يفنـي عمـره يعلـف الإبـل ويرعـى الغنمـا
صـقل العلـم حجـاه فغـدا بعـد رعـي الإبـل يرعـى الأممـا
وإذا العلـم جـرى في أمـة أيقـظ الغـافي وأحيـا الرممـا
وسمت أرواحها فانطلقـت همـة تغـزو الـسما والأنجمـا [2]

وفي دعوة الشعراء إلى البناء الحضاري والاجتماعي ، وسلوك السبل الموصلة للخير والفلاح في الحياة ، كانوا لاينفكون عن موروثاتهم الإسلامية ، ومميزاتهم وخصائصهم ، وثوابت الأمة التي ينتمون إليها ، في محاولة لتجنيد كل شيء مفيد لخدمة الأمة ، وإذا خرج التحديث والبناء عن هذا ، فهو طعن قاتل في تميز الأمة وانتمائها ، ومن الأمثلة على سلوك الشعراء هذا المسلك ، وتأكيدهم على تلك المنطلقات الثابتة ، قول الشاعر عبد الواسع سعيد عبده:

لكي أفهم
هنا رفض عميق في أصالته

(١) شعور مغترب : ١٠٧ – ١١١ .
(٢) الأعمال الكاملة : ١٣ – ١٤ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

هنا زخم قديم لست تدركه
كثير من يحاول أن يشوهه
وكل مظاهر التحديث
طعنات ...لتقتله ..إذا أفهم
هنا دين وروحانية كبرى نجندها لنهضتنا [1]

(١) دوائر الصمت : ٨٠ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ثانياً - الاتجاه الوطني :

لقد بسطت الاهتمامات الوطنية ظلها على شعراء جازان ، وكان هذا البعد الوطني في الشعر قد تأصل لدى كثير من شعراء العربية في هذه الحقبة من حركة الشعر العربي المعاصر ؛ لكون الوطن من أهم رموز الانتماء . وتتمثل الوطنية في تلك الروح التي تحب الوطن ، وتفتتن به ، وتعمل له ، وتذود عن حماه ، وتحافظ على مكتسباته وإنجازاته الوطنية هي روح تسري في النفوس ، فتحبب إليها البذل والفداء ، والتضحية والإيثار ، وتظهر بوضوح حين يلم بالوطن الضر ، أو يحيق به الشر ، فتسترخص النفوس دماءها الزكية من أجل أوطانها، وتروي بها ثرى بلدانها ، وتسترخص الموت من أجلها في غير منٍّ و لا تفضّل ، إذا كان ذلك في سبيل الحق والخير ، وإعلاء راية الدين الذي ينتمي إليه أبناء الوطن بكل اعتزاز وافتخار ، ولذا يعرف الشاعر علي النعمي الوطن في مقدمة ديوانه (الأرض والعشق) بقوله : ((**الوطن ، هذا الاسم المنقوش في كل جبين ، والمحفور في كل ذاكرة ، هذا الاسم الذي يسكن كل قلب ، مبدأ وعقيدة ، سلوكاً ونظاماً ، فداء وتضحية، التفافاً والتزاماً .**

وحين يكون الوطن هو الأرض ، والأرض هي الوطن يكون للعشق مذاقه الخاص ، ونكهته المميزة ، ولوعته الفريدة)) [1] .

وعندما تعجز الكلمات عن تعريف الوطن ، فإن الإنسان شاعراً وغير شاعر يبحث عن تقريب صورته ما وسعته اللغة إلى ذلك سبيلاً ، وها هو الشاعر إبراهيم مفتاح يحاول جاهداً تقريب الوطن ، وتصوير معانيه الخفية التي تجتاح دواخله قائلاً :

كزرقة البحر كالأشجار كالمطر ... كلوعة النغم المفتون في الوترِ
كقبلة في ضنى طفلٍ تُذوِّبُها ... أمٌّ لترشُفَ منه وخزةَ الضررِ
هاأنت يا موطني في داخلي وهجٌ ... وفي سمائي شعاع مطلقُ البصرِ

(١) الأرض والعشق : ٧ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

وفي فـؤادي انطـلاقٌ يزدهـي ألقـاً　　وفي خيـالي افتتـانٌ رائـع الـصورِ
خـذني إليـك ومـرّغ كـل أوردتي　　على ثراك فداءً واختصر عُمري [1]

وإذا تأملنا الشعر الذي دار في فلك الاتجاه الوطني لدى شعراء جازان ، نجد أنه قد امتاز بوقوعه تحت مؤثرات إسلامية ، جعلت الشعراء يتعاملون مع رصد عواطفهم ومشاعرهم من منظور وجداني ، يخالف أي منظور آخر ، قد يعتمد في بعضه على السرد والوصف الخالي من التفاعل الوجداني الصادق . أما الحديث عن الوطن فإنه قد خرج عن ذلك ، وأصبح الأداء الأدبي والتعبير عنه يحمل أحاسيساً مختلفة ، وقيماً شعورية نابضة بالحياة والروعة الفنية ، والتميز الفكري .

وقد تجلى هذا التواصل الشعوري ، والحب الصادق في كثير من التجارب الشعرية ، فالشاعر حسين النجمي يعبر عن وطنه الذي يسكن قلبه بقوله :

يا دوحة العز طاب الغرس فانتشرت　　جذور حبك بين القلب والهدبِ
رفعت نفسك عن حقد الورى شرفاً　　وجدت بالخير حين البأس والسغبِ [2]

ويعبر الشاعر أبكر عمر المشرعي عن مشاعره تجاه وطنه ، مبدياً حبه الجارف له، وعشقه الذي تحول إلى طيوف في مخيلته ، لا يمكن لها أن تراوحه ، ولذلك أسباب كثيرة، فهو وطن الخير والهدى ، يحمل بين أحضانه خير أمة ، فيقول في قصيدته (الوطن على مطلولة الزمن) :

ضرب عشق بخالجات العواطف　　هب ينثال سامي القصد جارف
عشق الفجر من أجاب المحيّى　　وصفا للأريب رشف المراشف
بثَّ لحن الحياة آيات حبٍّ　　تتندى بكل ساح شواغف
وطناً للهدى يشعّ شموساً　　قد أغارت على الظلام نواسف

(١) رائحة التراب : ١٦ – ١٧ .
(٢) تأملات على مرافئ الغربة : ١٢ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وطن الحب والرؤى طبت شدواً في شفاه الحياة والحرف واطف
وسما قدر أمة منك تستمدّ (م) الجلال تأبى السفاسف
أمة لا تسير إلا لمجدٍ من تليدٍ مؤثلٍ أو لطارف[1]

وبتأمل حديث الشعراء عن الوطن ، نلمح حديثهم المتكرر عن أنه وطن أعطى كثيراً، وقدم لأبنائه حياةً سامقة ، وبيئة إسلامية صافية ، فلا غرو أن يكون في شِعارِهِ تلاحمٌ بين النخلة والسيف ، وحولها كلمة التوحيد ، فالشاعر علي بن محمد صيقل تحدث في قصيدته (الصهيل وهسهسات السَّعف) عن أنَّ موطنه ما هو إلا نخلة تعطي وتعطي ، وجذعها سامق إلى سماء العز والشرف ، يقول :

يا صباحاً نديا أتى
رائعاً في خدود الصدف
قلت والنخلُ حين الضُّحى
همسُها .. هسهساتُ السَّعف
إنها النخل .. يا سادتي
طلعها فيه نُبْلُ الهدف
موطني .. نخلةٌ جذعها
سامق لا يحبُّ الصَّلَفْ
قامة النَّخل
لي ساعدٌ مُغْدِقٌ مُشْرَعٌ للشرف[2]

وهذه النخلة حينما يهزُّها الشاعر ، فإنها تسَّاقط عطاء ، مثلما هذا الوطن الذي يحتضنه ويرعاه ، فكيف إذا كانت هذه النخلة في جذورها كلمة التوحيد ، ورمز العروة الوثقى ، إنها ذات أصل ثابت حينئذٍ ، وفروعها في السماء ، فيا له من فخر وشعور رائع بالانتماء، حينما يبنى الوطن على تلك القواعد المتينة ، التي لا تتزعزع ، وحينها يحلو الغناء

(١) التاريخ الأدبي لمنطقة جازان : ٣ / ١٣٨٥ .
(٢) أغنية للوطن : ١٦ – ١٧ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

والولاء ، وتصدق التضحية والوفاء ، ويتعمق في نفس الإنسان الحب والعطاء ، وممّن صوروا هذا التعانق والتواصل بين الإنسان المحب ووطنه المحبوب ، في حديث حواري يجسد كون النخلة وكلمة التوحيد رموزاً للوطن ، وجزءاً من شعاره ، الشاعر علي صيقل في قوله :

غنّيتُها للرمال السُّمر في شغفٍ　　وللصواري وللأمواج والسفنِ
لنخلةٍ حينما اسمعتُها اندهشت　　تمايلت وانثنت نحوي تُوشوشني
ما أروع اللَّحنَ قالت.. هزّني طرباً　　فغنِّ لي غنِّ إنَّ اللحن أطربني
ضممتُها إنها رمزُ العطاء وفي　　جذورها عروةٌ وُثقى تؤصّلني
يا موطني إنني أهواك في ولهٍ　　يا نكهة حلوةً تنسابُ في بدني
أقسمتُ بالله لن أنساك يا حُلمي　　فإن سلوتُك هيىء لي إذن كفني (١)

ويتكرر هذا الحديث الوجداني عن (العلم) الذي يحمل رموز الوطن كثيراً في شعر إبراهيم مفتاح ؛ العلم الذي يحمل كلمة (لا إله إلا الله) ، كلما رفّ في السماء عالياً ، عانقته القلوب ، وباهت به النفوس ، فمما له في ذلك قصيدته (علمي) ، وفيها يصفه بقوله:

مُشرعُ النبض سيّدُ الكبرياء　　مورق الخفق مترع بالعطاءِ
مزدهٍ بالشموسِ له الأفـ　　ـقُ انطلاقاً ومعطياتُ الضياءِ
أينما رفَّ عانقته قلوبٌ　　وافتدى خفْقَهُ زكيُّ الدماءِ
يمتطي زرقة السماء اعتزازاً　　ويباهي بالجملة البيضاءِ
(لا إله إلا الله) وسيفٌ　　في جبين الوجود عذبُ النداءِ
عُقد النصرُ في ذراه اخضراراً　　وسقته النفوسُ زهو الإباءِ (٢)

وحسين النجمي يصف علم الوطن في قصيدته (راية التوحيد) ، ويعلل سبب كون هذه الراية خضراء اللون ، بأنها ترمز إلى قصة الطموح الذي لا حد له ، وإلى

(١) المصدر السابق : ٨ .
(٢) رائحة التراب : ٢١ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

خضرة الأرض التي انبعثت منها الرسالة المحمدية ، ويعلل أن الحسام الذي رسم بجوار الشهادتين رمز لحماية الحق ، وذلك في قوله واصفاً تلك الراية :

شمخت مزهوةً في كبرياء وتسامت عزةً نحو السماء
تحمل التوحيد نوراً مشرقاً قد تجلّى في حروفٍ من ضياء
خالداً يحمل آيات السنا فيضجّ الكونُ من خير نداء
وحسامُ الحقِّ يحمي دربه مصلت يقصم هاماتِ الشّقاء
لونُها الأخضر يحكي قصة من طموحٍ فاق حدّ الانتهاء
خضرة الأرض التي قد أشرقت فوقها أسمى رسالات السماء
وبني آل سعود مجدها فسما الإنسان فيها والبناء [1]

ويعلل سبب اختيار اللون الأخضر لهذا العلم ، وتلك الراية ، في قصيدة أخرى بقوله:

وأهلها رفعوا بالحق رايتها خضراء رمزاً لأرض الخير والمطرِ [2]

وهذا التفاعل الوجداني مع الوطن ، وذلك العشق الذي سيطر على مشاعر الشعراء لم يكن وليد فراغ ، وإنما كان تعبيراً عن صدق الانتماء ، وأنه عشق قديم ، كما يعلل ذلك علي النعمي بأننا ولدنا من الطين ، والطين مصدرنا ، والتراب معجون أجسادنا ، فمنه نحن، وهو روح في أعماقنا ، لذا ليس غريباً أن نعشق أوطاننا ، وفي ذلك يقول :

أرضي عشقتك .. يا أرضي وعلمني دوسي علي الشوك،شوك العرج والزغف[3]
إن الهوى الحق لا ينمو بلا ولهٍ ولن تدوم طويلاً زفرة الصدف
معجونة منك أحلامي ، وأوردتي قوية النّبض من إشراقك اللهف
إليك يحلو انتمائي .. يزدهي فرحي فأنت دفئي ، وترنيمي ومنعطفي

(١) تأملات على مرافئ الغربة : ٢٤ – ٢٥ .
(٢) المصدر السابق : ١٠٥ .
(٣) العرج : شجرة السدر . الزغف : نبت ترعاه الماشية ، وفيه شوك صغير مدبّب .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

وأنت رجع انفعالاتي ، وأنت صدى　　صوتي ، وأنت البديع الفرد في صحفي
عشق التراب قديم في جوانحنا　　والنخل ما النخل لولا روعة السعف؟![1]

بل يتجاوز الشاعر إبراهيم صعابي ذلك ليجعل الوطن روحاً يحملها بين جنبيه مثلما يحمل جسده دمه ، وذلك في قوله :

إني أحمل روحين هما : وطني ودمي
وطني يسكنني ، ودمي في عنف يرشفني [2]

وإذا كان الوطن يسكن روح الشاعر فصعب عليه مفارقته أو التنكر له ، ولذا نجد الشاعر حسين النجمي يشير إلى أنه إذا غادر وطنه ، فإنه يترك قلبه فيه وروحه ؛ لئلا يحس بالبعد والفراق ؛ ولئلا يتغير ما في قلبه وروحه من حب ، وذلك في الإهداء الذي قدم به ديوانه (تأملات على مرافىء الغربة) ، عندما قال :

إلى خير أرضٍ أشرقت في سمائها　　شموس الهدى وانساب في أرضها الحبُّ
يغادرها جسمي على موجة السَّنا　　وتبقى بها الروح الوفيّة والقلبُ [3]

* * *

وإذا أردنا أن نتعرف على منطلقات الشعراء الوطنية في جازان التي ينطلقون منها ، والدوافع التي تدفعهم إلى التعبير عن مشاعرهم الوطنية ، نستطيع أن نقول : ((**إن أبناء الوطن – بدءاً بحكامهم – قد اتخذوا الشريعة الإسلامية بتعاليمها منهجاً لهم في حياتهم ، يأتمرون بأوامرها ، وينتهون بنواهيها ، ويصدرون عنها في كل ما يصدرون ، من قول ، أو فعل ، أو عمل ، ولعل هذه المؤثرات كان لها أثرها في توجيه الشعر الوطني وجهة إسلامية**)) [4] ، وجعل الشعراء يشيدون بهذا الوطن الذي يتحدث باسم

(١) الأرض والعشق : ٤٢ .
(٢) وقفات على الماء : ٤٠ .
(٣) تأملات على مرافئ الغربة ، صفحة الإهداء ، بدون رقم .
(٤) الاتجاه الإسلامي في شعر السنوسي ، مفرح سيد : ٩٢ بتصرف .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الإسلام، وينطلق منه ، ويفخر بالانتماء إليه، وفي المقابل فإن هذا التوجه في الطرح الوطني ، قد جنب الشعراء المزالق التي وقع فيها الشعراء الوطنيون من انحراف واضح في حديثهم عن الوطن ، حدا ببعضهم إلى درجة توثين الوطن .

واهتمام الشعراء بالوطن ليس ناتجاً عن نزعة عصبية ، وإنما كان مرده ذلك الدور العظيم الذي ينهض به أبناؤه في خدمة الإسلام والمسلمين ، وشروعهم الجميل في تبليغ الرسالة التي انبثقت أنوارها من أراضيهم بوسائلهم المختلفة ، وشعورهم الجميل بأن وطنهم للجميع من عرب ومسلمين .

والناظر في شعر جازان يجد أن كثيراً من الشعراء قد طرقوا دواعي الفخر بهذا الوطن، ورد ذلك إلى تميزه بكونه منطلق الرسالة ، وعلى أديمه سار سيد البشرية وصحبه الكرام ذو النفوس الأبية ، وأنه تحت سمائه مقدسات المسلمين المحميّة ، ومن هؤلاء الشعراء حسين النجمي في قوله :

أنت أرض سطع النور بها فمحا عنها عناء الصفدِ
رفع العدل بها بل أخذت قوة الحق على كل يدِ
وسما الإيمان فيها ورأت كل عين لم تصب بالرمدِ
أنت أرض بعث الله بها سيد الخلق لكيما نقتدي
فارفعي رايته خفاقة واخلدي فوق المدى يا بلدي [1]

ومن دواعي فخر الشاعر حسين الكريري بهذا الوطن ، أن الله خص هذه البلاد بانطلاق البعثة النبوية منها ، وببيته المحرم ، فتميزت بين البلاد ، وهذا فضل الله يؤتيه من يشاء، فيقول مبيناً الوسائل التي يدافع بها عن هذه المكتسبات الوطنية :

حسناء قد سبت القلوب بحبها سبتِ الحبيبَ وأهلها ورجالها
هذا الجمال نصونه بدمائنا بالروح نفدي حسنها وجمالها
وبعون ربٍّ خصَّها بنبيه وببيته والرّوحِ إذ أوحى لها

(١) عيناك في وقت الرحيل : ٣٠ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

فتميزت بين البلاد بحسنها　　جلَّ الذي أهدى إليها جلالها[1]

ولما كان هذا الوطن منطلقاً للرسالة ، ومحضناً للأبطال العرب على مدى القرون الماضية، والأجيال المتلاحقة ، فإنه يستحق أن يسمى سيد البقاع ، ولعلّ ذلك هو الذي حدا بالشاعر إبراهيم صعابي إلى أن يسمي أحد دواوينه (وطني سيد البقاع) ، ويقول في إحدى قصائده :

وطني سيّد البقاع مدى الدهر　　ومأوى جحافل الأبطالِ
من هنا كان للرسالة فتحٌ　　ونداء السما بصوتِ بلالِ[2]

وقد أكثر إبراهيم صعابي من طرق هذا الموضوع ، وربطه بالتميز الذي يدعو للفخر والاعتزاز ، وإبراز حقائق هذا البلد وماضيه المشرق ، ووجهه الناصع ، حتى إنَّ صبحه ليس كصبح غيره ، وشمسه تسطع على البقاع التي طهرها الله ، وفضلها على غيرها من البقاع ، لذا لغة الحديث لا تُتّهم ، ونأمة التميز لا يمكن سترها أو حجبها ، كما الشمس لا يستطيع كارهوها حجبها ، فمما له في ذلك قوله :

صبحُ الجزيرة صبحٌ لا انقضاء له　　في شمسه لغةٌ تسمو عن اللَّممِ
أرضُ النّبوة بالإيمان عامرةٌ　　تزكو النفوس بها عن كلّ متَّهمِ[3]

ويقول في قصيدة أخرى : إن الشمس تغرب في كل أرض إلا في بلاده ، فبلده هو بلد الإسلام ، ففي كل بقعة قلبٌ يهفو إليها ، ووجدان يخفق لها ، وإليها تأرز النفوس :

والشمس تغربُ إلا فيك يا بلدي　　ما دام فينا كتاب الله ذي المنن[4]

ويعني بالشمس هنا شمس الحق والعدالة والهداية .

إن الأرض التي ينتمي إليها شعراء جازان وسائر السعوديين ، هي الأرض التي يحرسها الله ، وقد حماها في سائر الأزمنة ، وهي غرة في جبين الكون ، وتمسكها بحبال الله

(١) عزف على أوتار الحب : ١٥ .
(٢) وطني سيد البقاع : ٣٩ .
(٣) المصدر السابق : ٥٠ .
(٤) وقفات على الماء : ٣٠ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ووثوقها في رعايته وحمايته لها ، دعاها إلى التمسك والتحلي بمنهجه الذي شرعه للعباد ، ولم تكن تلك المشاعر خاصة بالبشر على هذه الأرض الطيبة ، بل تجاوزتهم إلى الطيور والجمادات، إذ حلت بهم البركة ، والفرحة ، كما يقول إبراهيم صعابي في إحدى قصائده الوطنية المليئة بالفخر والاعتزاز ، والشعور الصادق بالانتماء القائم على المنطلقات الإسلامية:

أضحت لنا في عيون الأفق مركبة ... تسير بالخير في صمت وفي علنِ
أنَّى اتّجهنا ففي التاريخ ملحمةٌ ... حروفها لحدود الشمس تسبقني
تغفو العيون وعين الله حارسةٌ ... من كلّ مستترٍ في زيفه النّتنِ
يا غُرّة الأرض إن الأرض قد دهِشَتْ ... فأنت للأرض مثل الريح للسفنِ
يا جبهةً لسوى الجبار ما سَجَدَتْ ... يا كُلّ نبض بقلب المؤمن الفطنِ
تمسكت بحبال في ثقةٍ ... ومن يثقْ بحبالِ الله لن يهنِ
فكلّ حبة رمْلٍ تنتشي فرحاً ... وكلّ طيرٍ تغنَّى صادقَ الشَّجَنِ[1]

والشاعر علي النعمي عندما مثّل المملكة العربية السعودية في ملتقى الشباب العربي الذي أقيم في بغداد سنة ١٤٠١هـ ، حمل إلى ذلك الملتقى مآثر بلده ، ومظاهر تميزه، مذيعاً لها ، ومفتخر بها ، قائلاً :

يا شباب الوفود جئت إليكم ... وعلى راحتي شموخ بلادي
عن يميني وعن يساري شبابٌ ... عربي من طارف وتلادِ
جئتكم من عكاظ نغمة حب ... تتهادى على ربوع السوادِ
جئتكم حاملاً ورواداً وفلاً ... وخزامى فواحة بالودادِ
من بلاد للوحى فيها رنين ... يتعالى على الذرى والوهادِ
من بلادٍ بالعزم والحزم تحيا ... نهضة في حواضر وبوادِ

(١) المصدر السابق : ٢٩ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

أوجـدت للـشباب منطلقـاً حـرّاً　　وصـانت أخلاقـه مـن فـسادِ
وتـسامت بـه وراء الـدراري　　وغذتـه صـدقاً بأكـرم زادِ
وأفـاءت عليـه مـن نعمـة المـولى　　بفـيض فكـان درع البـلادِ [1]

وهذا الوطن مما ميزه أنه يهفو إليه العرب والمسلمون ، ويعدونه وطناً لهم ، إذ هو مركز العروبة النابض بالحياة وقلبها ، يقول منصور دماس :

يـا مـوطني أنـت الـضيا　　ء ونـشرك الجـذاب بـادِ
مُيِّـزتَ أنّـك روضـةٌ　　يهفـو لهـا كـل العبـادِ [2]

وممن أشاروا إلى هذا المعنى ، وربطوه بصنيع الملك عبدالعزيز الذي وحد هذا الكيان، وأعاد إليه أمجاده الماضية التي تتشوق لها الجزيرة العربية بعد طول غياب ، الشاعر محمد بن علي السنوسي في قوله :

في كيان موحد صاغه العمـ　　ـلاقُ عبدالعزيز ذو الإقدامِ
صاغـه مـن يقينـه وبنـاه　　عبقريـاً للعـرب والإسـلامِ
فهو صرح به الجزيرة تسمو　　ببنيهـا إلى أعـز مقـامِ [3]

وبهذا يتبين لنا أن الفخر الذي شاع لدى شعراء جازان بوطنهم ، لم يكن مصدره الانتماء الأرضي المجرد ، أو المتعصب ، وإنما كان مصدره الاعتزاز بذلك الإنسان الذي يحمل بين جنبيه عقيدة الإسلام ، ورفع راية الأمة ، وصيانة أمجاد العرب وماضيهم ، ولذا يمكن الاستشهاد – هنا – بقول الشاعر حسين النجمي في حديث له عن جازان ، وهي الوطن في دائرته الصغيرة ، وهو شاهد على الشعور نفسه تجاه الوطن في دائرته الكبرى والواسعة :

(١) الأرض والعشق : ٨٠ – ٨١ .
(٢) همسة مجد : ٩ .
(٣) الأعمال الكاملة : ٥٨٦ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

جازان ليس الأرض مصدر فخرنا لكـن دافـع فخرنـا الإنسانُ[1]

وأي قلب لا يكون صادقاً في انتمائه لهذه الأرض التي تحتضن مقدسات المسلمين ومهد العروبة الأصيل ، فإنه قلب قد نضبت فيه مياه الحياة ، بل لقد تحول إلى جماد لا حركة فيه ، ولا أحاسيس ، ولهذا يقول الشاعر علي بن حسين الفيفي في قصيدته (بلادي):

ويـا مهـبط الـوحي مهـد النبـوة لا زال نـورك يهـدي العبـادا
إذا لم أكـن مخلـصاً لـك حبـي فـلا أبـصرت مقلتـاي الرشـادا
ومـا أحـسب القلـب إن لم يكـن شغوفـاً بحبـك إلا جمـادا[2]

***

وإذا أردنا أن نرصد أهم القضايا الوطنية التي تحدث عنها شعراء جازان ، وشغلت حيزاً كبيراً في أشعارهم ، وجدنا من أو ضحها وأكثرها استئثاراً الوحدةُ الجامعة التي لمت شمل الجزيرة العربية بعد سنوات طوال وعجاف من الفرقة والتشرذم، الوحدة التي أسسها الملك عبدالعزيز آل سعود ، وحدة من الأردن شمالاً إلى اليمن جنوباً ، ومن شواطىء الخليج شرقاً ، إلى شواطئ البحر الأحمر غرباً ، وحدة تعدّ بحقٍّ أكبر إنجاز للعرب في الواقع المعاصر ، بعد أن فرق المستعمر الأمة إلى أجزاء صغيرة متناحرة ، فكان هذا الإنجاز مدعاة للفخر والاعتزاز ، ومهيمناً على كثير من التجارب الشعرية الناضجة ، ومن تلك التجارب قصيدة (الوطن والملك عبدالعزيز) للشاعر علي بن حسين الفيفي ، وفيها بين حال الجزيرة قبل الوحدة والأوضاع السائدة فيها من فوضى وتناحر ، وجهل وتمزق ، حيث يقول :

قد كنت يا وطني الحبيب ممزقاً والحكـم حكـم أسنـة ورمـاح
والقتـل في كـل البـلاد كأنـه شيء يـراه الناس شبه مباح
واعتاد من سكن البوادي والقرى أن يـسمعوا بالقتـل كـل صبـاح

(١) عيناك في وقت الرحيل : ٥٤ .
(٢) زائر الأمس : ٢١ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

وتوالت الأيام وهي مليئةٌ　　بالنائبات كعاصف مجتاح
وكأنما عرب الجزيرة لم يروا　　في القتل أو في النهب أي جناح
أو أنهم لا يذكرون بأنهم　　أحفادُ قومٍ سادةٍ أقحاح[1]

وبعد هذه المقدمة التي تصور حال الجزيرة العربية قبل مجيء الملك عبدالعزيز ، تطرق الشاعر إلى سعيه من أجل ضم هذه الأجزاء المتناحرة ، والأشتات المتصارعة في كيان واحد، أعاد للعرب وزنهم ومكانتهم ، فيقول :

حتى أتى عبدالعزيز موحداً　　للشمل تواقاً إلى الإصلاح
وأعاد ماضينا المجيد موحدا　　للصف بعد تمزق وجراح
جعل العدالة والشريعة منهجاً　　والأمن للغادين والرُّواح[2]

والشاعر حسين النجمي صور التميز الذي يتفرد به كل إقليم من أقاليم المملكة وصور التلاحم الذي حصل لها بسبب توحيد الملك عبدالعزيز لها بالخيمة التي رفعت على أوتاد قوية وطنب صلبة ، قد أحكم وثاقها ، وأصحبت منيعة من لفح الهجير اللاهب ، ووهج الشمس المحرق ، وظللت كل أبناء الجزيرة ، وحمتهم من عوادي الأيام والسنين ، فيقول :

يا مهبط الوحي يا أرض الحجاز ويا　　مرابعاً حظيت بالفخر والحسب
ويا ثرى المجد في نجد التي عبرت　　من أجل وحدتنا جسراً من التعب
ويا جنوب الجبال الشم عابقة　　بالزهر والفل في أثوابها القشبِ
ويا شواطئنا الجذلى التي عزفت　　لحن الأصيل على قيثارة الشُّعبِ
ويا شمال المروءات التي حفظت　　مآثراً صاغها التاريخ في الكتبِ
ويا نخيلاً بشرق القلب عطرنا　　إذا انتشى الفجر ألواناً من الرُّطبِ

(١) زائر الأمس : ٦٨ – ٦٩ .
(٢) المصدر السابق : ٦٩ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

يا كل حبة رمل قد غدت وطناً يجود بالقمح والرمان والعنبِ
يا خيمة ظللتنا حينما سطعت شمس الهجيرة أسواطاً من اللهبِ
أوتادها ثبتت في كل زاوية من الجزيرة قرآنية الطنبِ
حماها رجال طالما حفظوا عهد الأخوة والإيمان والنسبِ[1]

وكثير من الأناشيد الوطنية التي كتبها الشعراء ، نجد أنها لا تكاد تخرج عن الإشارة إلى هذا التميز في إنشاء أكبر وحدة عربية في العصر الحديث ، وتعد بحق مظهر فخر واعتزاز، فالشاعر محمد أحمد العقيلي له في هذا باع طويل ، وأناشيد كثيرة ، ومنها أنشودة يقول فيها:

وطني حر وشعبي رائد فيصل منه ومنه خالد
والمليك العبقريُّ القائد إنه عبدالعزيز الوالد
أسس الوحدة في أرض الجزيرة
ثم ضمَّ الشعب في ركب المسيرة
وبنى المملكة الـ ـمثلى الكبيرة[2]

والوحدة التي ضمت شتات الجزيرة ، جعلت إنسانها ذا أفق واسع ، ونظر بعيد، حيث غدا الوطن كله محل انتمائه ، ولم يعد الوطن هو ذلك المكان الصغير ، أو المنشأ الذي به ولد ، وعليه درج ، بل أصبحت الجزيرة العربية الموحدة في مسمى المملكة العربية السعودية وطناً ، سواء حل هذا الإنسان في نجد أم هجر ، أم مكة ، أم عسير ، أم حائل وجازان ، إذ غدوا جميعاً يسكنون بيتاً واحداً ، والأرض التي ينتمون إليها وطناً واحداً ، فإذا غادر الإنسان جازان مثلاً ، وحل في غيرها ، فإنه يحل بين أهله ، ويسكن داره ، و لا يعيش تلك الغربة أو الوحشة التي تخالج نفسه إن خرج عن إطار حدود

(١) تأملات على مرافئ الغربة : ١٠ – ١١ .
(٢) المجموعة الشعرية : ٥٨٥ – ٥٨٦ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

الوطن ، فهذا الشاعر عبدالله الفيفي يغادر فيفا إلى الرياض ، ويظل يتذكر محل نشأته ، ومربع ألافه ، ولكنه ينظر يمنة ، فلا يرى إلا أهلا ، وينظر يسرة ، فلا يرى إلا صحبا ، فيسكن عندها حنينه ، وينطفىء شوقه ، ويسكت أنينه ، ويقول :

جعلتُ بلادي في كتابي فلم يَزَل يُسلِّي انشغالي بالحمى المتَخرِّقِ
وما نهنَه التبريح أني أرى المدى مداي، وكُلَّ الأفقِ أفقي، ومَوْثقي
فقد وحَّد التوحيد شعثاً مُبدَّدا وقد ألَّفَ الإحياءُ شمل التمزّقِ
فإن أنأ عن داري فإني بها هُنا أرى ها هُنا أرضي وناسي ومِرْفقي (١)

وتلك الوحدة التي حلت على جميع أقطار الجزيرة العربية بعد شوق الشعوب لها، ورغبتهم فيها ، كان دافعهم لذلك هو الرغبة في صناعة الحياة الجيدة التي تغير الواقع المظلم الذي خيم على الجزيرة ومزقها ، وأحالها إلى جحيم لا يطاق ، والشاعر عبدالواسع سعيد عبده صور ذلك الشوق والانتظار لتلك الوحدة وبيارق التوحيد وهي تصل إلى جازان ، مذيعةً لعهد جديد ، حيث يقول :

وجلجل في الرأس مني شعور مناه
شعور انتظار لصنع الحياة
فخلف السهول بيارق نصر تذيع البشائر
لتبني الحياة وتنشىء في الناس عهد المآثر (٢)

وليس غريباً أن يكثر الحديث عن الوحدة ، وتمجيدها ، والإشادة بها في حديث الشعراء عن اليوم الوطني الذي يحل على الوطن كل عام في الأول من برج الميزان ، فأكثر الشعراء الذين تحدثوا عنه ، كان يدور حديثهم على ذكراه ، وما جنت منه الجزيرة من ثمار يانعة ، ومصالح عظيمة لم تكن الوحدة والأمن والبناء المشترك إلا واحدة من

(١) إذا ما الليل أغرقني : ٩٠ – ٩١ .
(٢) دوائر الصمت : ٤٣ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

تلك الثمار والمصالح ، فالسنوسي يتحدث عن ذلك اليوم الذي بدأت فيه مرحلة البناء والتوحد في إحدى قصائده عن اليوم الوطني ، فيقول :

ولدت فى ضيائه وحدة الشعب (م) وقامت في قوة وانسجام
وحدة ضمت الحجاز ونجداً وعسيراً في طوده والتهام
وتلاقت ضفاف جازان في الغرب (م) بشرق الضفاف في الدمام
في كيانٍ موحد صاغه العملاق (م) عبدالعزيز ذو الإقدام (١)

والشاعر حجاب الحازمي يؤكد المعنى نفسه في قصيدته (نشيد الوطن) ، وذلك في حديثه في آخرها عن تلك الوحدة التي صنعها الملك عبدالعزيز ، حيث يقول :

عبدالعزيز الذي دكت عزائمه فكر الدخيل وطيش العابث الأفنِ
عزُّ الجزيرة باني مجد حاضرها بالعلم والدين لا بالجهل والفتنِ
بعزمه عزت القربى وما وهنت وأخمدت من تصافيها لظى الإحنِ
فلمَّ شملاً تمادى في تفرقه ووطد الأمن في الأرياف والمدنِ
وهز جذع الهدى في كل رابيةٍ فانداح كالفجر بل كالعارض الهتنِ (٢)

وفي حديث جميل للشاعر علي النعمي عن اليوم الوطني في قصيدته (في القلوب يسكن الوطن) ، تحدث عن الوطن قبل الوحدة وبعدها ، وما قاله عن ذلك اليوم العظيم الذي أعلن فيه توحد أقاليم الجزيرة تحت حكم واحد ، ولواء واحد ، ووجهة واحدة :

كان جسماً ممزقاً أنهكته بالصراع الدامي رماح العشائر
كان يحيا يوماً ، ويهلك يوماً كان يوماً يمضي ، ويوماً يحاذر
وبحادي الميزان فاتحة النصر المُدوِّي دان الفضاء لكاسر
ضمَّ عبدالعزيز أجزاءه الكُثَر اللّواتي عانتْ لهيبَ المخاطر

(١) الأعمال الكاملة : ٥٨٦ .
(٢) التاريخ الأدبي لمنطقة جازان ، محمد العقيلي : ٣ / ١٧٧٥ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

ببيان التوحيدِ خاتمة الحُلْمِ الـ　　ـمُجلِّي يضُمُّ بادٍ وحاضر
وبتوحيده انتهى أمسُه القا　　سي ليحيا الحياة في خير حاضِر[1]

***

ومن أهم المضامين الوطنية التي توقف عندها شعراء جازان ، الإشادة بالحاضر الزاهي الذي تعيشه البلاد في ظل حكامها الذين نذروا أنفسهم لخدمة الرسالة الإسلامية ، وإحياء معالمها ، ونشرها في آفاق الوطن ، وقيادته بها ، وفي ذلك يقول الشاعر محمد بن علي السنوسي في قصيدته (آل سعود في التاريخ) :

المصلحين المغاوير الذين قضوا　　على الأساطير في تاريخنا الديني
بعرشهم رفع الإسلام رايته　　على الجزيرة خضراء الأفانينِ[2]

ولم يكن الشعراء في حديثهم عن الحاضر الزاهر يتناسون الماضي العاطر ، بل كانوا ينطلقون منه ، ويعدون حاضرهم هذا ما هو إلا صلة وتتميم ، وحلقة من سلسلة متواصلة من العطاء والبناء ، وما حصل من تخلّف على الجزيرة قبل توحيدها المعاصر ما هو إلا طيف مظلم وسحابة داكنة مرت ولن تعود بإذن الله ، فعن ذلك الماضي والتاريخ المجيد ، يقول الشاعر محمد العقيلي في إحدى أناشيده الوطنية :

نحن أبناء الجزيرة
أمجد الأحياء في التاريخ سيرة
نحن نسمو للمعالي
نحن نسعى للصلاح [3]

(١) لعيني لؤلؤة الخليج : ٢٦ .
(٢) الأعمال الكاملة : ١٦٦ – ١٦٧ .
(٣) المجموعة الشعرية : ٤٥٢ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

والشاعر محمد بن علي السنوسي يفخر بهذا الانتماء لذلك التاريخ ، الذي عبق على الجزيرة وما حولها ، وانطلق منها النور والهدى ، ليعم أرجاء واسعة من المعمورة ، فيقول :

من الجزيرة من أرضي ومن بلدي تألّق النور نور الحق والرشد
ومن رباها رباها الطاهرات ثرى تنفس الصبح من بدر ومن أحد[1]

ونلمح لدى كثير من الشعراء عند حديثهم عن الوطن المزج بين تألقه في الماضي وازدهاره في الحاضر ، في تمازج حضاري متواصل ، وإرث عظيم احتفى به أبناء بررة ، كما في أبيات السنوسي السالفة ، ومن ذلك ما جاء في قصيدة (وطن على صدور الأوسمة) للشاعر إبراهيم مفتاح ، حيث يقول :

هذي المفاتنُ في عينيك تأتلقُ وفي لحاظِكَ هذا السّحر والألقُ
وفي ثراك من التاريخ أوسمةٌ تلملمُ الشّمسَ أعراساً وتنطلقُ
فأنت يا موطني ماضٍ يعانقه زَهْوُ البطولاتِ والإشراقِ والعبقُ
وأنت في حاضرٍ تكسوه أجنحةٌ علوُّها من بياضِ الصُّبحِ ينبثقُ
يغازل الفجرُ في عينيك أغنية ويزدهي في سماكَ الليلُ والشفقُ
ما مسَّكَ الضرُّ يوماً منذ أن هبطت فيك الرسالاتُ أو أسرى بك الأرقُ
دعني أقبّلُ ظِلاًّ فيك أنبتني وفي ترابك بالخدّين ألتصقُ[2]

ومن أروع القصائد الوطنية في شعر جازان التي انطلق فيها شاعرها من التمازج الواضح والقوي بين أطياف الماضي ورؤى الحاضر ، الماضي المجيد والتاريخ العظيم والحاضر المشرق والعصر الطموح قصيدة (الجزيرة العربية ماضياً وحاضراً) للشاعر محمد بن علي السنوسي ، التي يقول في مقدمتها :

جزيرتي يا هوى روحي ويا أملي أنت الجديرة بالتشبيب والغزل

(١) الأعمال الكاملة : ٥١٥ .
(٢) رائحة التراب : ٨ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

أهـواك ريفـاً وشـطآناً وأوديـة　　حريـة بعنـاق الـشعر والقُبـل[1]

ثـم ينتقـل الـشاعر بعـد ذلـك إلى تـاريخ الجزيـرة ليـسأله عـن الأسـلاف ، وعـن صـفحات المجـد الـذي كتبـوه فيهـا ، وعـن الحـروب التـي خاضـوها ، ويـشيد بهـم وبانتصاراتهم على جيوش الفرس وجحافل الروم في الجاهلية والإسلام ، فيذكر يوم (ذي قار) الذي انتصروا فيه إبّان جاهليتهم على الفرس ، ويوم القادسية الذي انتصروا فيه عليهم وهم مسلمون ، وكذلك يوم اليرموك الذي بددوا فيه جيوش بني الأصفر :

ويوم ذي قار في تاريخهم عجبٌ　　براكب الفيل أودى راكبُ الجملِ
وكان إسلامهم نوراً أضاء به　　وجه الحقيقة في قول وفي عملِ
في القادسية واليرموك ما فتئا　　على مدى الدهر فخراً ساطع الشعلِ[2]

ثم يخاطب الجزيرة بعد ذلك ، معدداً مفاخر الماضي ، ومنتقلاً في تخلص حسن إلى الحاضر الذي بناه الملك القائد عبدالعزيز :

اختـارك الله للإسـلام منطلقـاً　　واختار قومك منهم أفضل الرسلِ
تربعي فوق عرش المجد وانطلقي　　إلى المعـالي بعـزم القائـد البطـلِ
عبدالعزيز الذي داواك من سقمٍ　　وصان عرضك من عار ومن خللِ
مؤسس الدولـة المثلى وصانعها　　بالحق والعدل لا بالزور والحيلِ
ورافـع الرايـة الخـضراء معلنـة　　توحيدها وهي بالتوحيد كالجبلِ
ترتدُّ عنها الرياح الهوجُ خاشعة　　وينثني كل وغْلٍ وهو كالحملِ[3]

وانطلاقاً من هـذا الحـاضر حيث النهـضة العملاقة التي عمت ربوع الوطن ، تحدث الشعراء حديثاً رائعاً عن الإنجاز الذي تحقق خلال أعوام قليلة على هذه الجزيرة،

(١) الأعمال الكاملة : ٦٧٢ .
(٢) المصدر السابق: ٦٧٧ .
(٣) المصدر السابق : ٦٨١ – ٦٨٤ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وأبدعوا في رصد مظاهر التنمية التي كتبت بأحرف من بذل وعطاء وتضحية ، حتى تحقق ما تحقق لبلادهم ، فأصبحت جنة من جنان الدنيا ، وكانوا يقارنون بين هذا وما كانت عليه قبل نصف قرن من الزمان ، فالشاعر علي بن حسين الفيفي في قصيدته (النهضة العظيمة) يقف عند الطموحات الكبيرة التي سعى شعب المملكة العربية السعودية إلى تحقيقها ، وقدرته على استغلال ما وهبه الله من نعم عظيمة ، ومنها الذهب الأسود الذي تفجرت ينابيعه من صحرائه الواسعة ، ولعلها حكمة عظيمة تلك التي جعلت النفط لا يعرف إلا مع مجيء الملك عبدالعزيز وأبنائه ، فيقول :

مـدَّتِ النّهـضةُ العظيمـةُ للـشَّعْـ ـبِ جنـاح الرقـيِّ والتـشييدِ
وغـدى عهـدها المتـوّج بالعلـ ـم مناراً وصـرح مجـدٍ جديـدِ
عهـدُ خـيرٍ ونهـضةٍ ورقـيّ وحفـاظٍ علـى الـتراثِ المجيـدِ
وغـدى النـاسُ في مواسـم أفـ ـراح توالت كصبح عيدٍ سعيدِ
منـذ مـاجَ البـترولُ في بـاطن الأر ض وقد كانت في سباتٍ شديـدِ
حكمـةُ الله أن يفـيضَ مـن الـصحـ ـراء نبـعٌ يعـمّ كـلَّ الوجـودِ
شـاء ربي أن لا يفجّـر نبـع الـ ـخير إلا في عهـد آل سـعودِ[1]

ويتحدث الشاعر إبراهيم صعابي عن الطموحات التي لا حدود لها لدى أبناء الوطن في سبيل نهضة معاصرة ، قلّ أن يوجد لها نظير في حسابات الأزمنة ، ومع هذا فهي مستمرة وكل يوم يشاد مجد إلى رصيد الأمجاد ، ويُبنى صرح من صروح البناء وصناعة الحياة والإنسان، فيقول في إحدى وطنياته :

قد كسونا الحياة مجداً تليداً وفتحنـا نوافـذ المجهـولِ
وغرسنا الطموح في كل شبرٍ فظفرنـا بباسقـات النخيـلِ
يـا مضيء الجبين معـذرة إن قصّـرَ الشعر عـن معاني الخليلِ

(١) أزهار : ١٦٢ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

كل يوم يشاد في الأفق صرحٌ　　من صروح البنا بعون الجليلِ
كل يوم يمرُّ ينبيء أنَّا　　أمّةُ الحقّ أمّة الترتيلِ [1]

والشاعر حسين كريري يكرر هذا المعنى ، ولكنه يضيف عليه أن من يرى مثل هذه الإنجازات لا بد له أن يشيد بها ويشدو بصناعها ، فيقول :

وبلادي حوت جمالاً وفنّاً　　وجلالاً يفوقُ وصفَ اللسانِ
وقلاعاً تشادُ في كلِّ يوم　　شاهقاتٍ وشامخات المباني
لا تلمني إذا شَدَوْت طروباً　　فالمغاني أوحت إليَّ المعاني [2]

والإنسان إذا وجد التشجيع والمناخ المواتي للعطاء ، فإنه يبدع ويحقق المستحيل ، وهذا ما حصل لأبناء هذا الوطن حينما أتيحت لهم الفرصة لإثبات الوجود ، فهبوا في وثبة كالأسود ، وفاقوا كثيراً من التوقعات ، ورفعوا رؤوسهم وشمخوا بأنوفهم ، وذلك ما أشار إليه الكريري في قوله :

انظر إلى سُمر الزنود تراهمُ　　مثل الأسود توثباً وتشوقاً
صاغتهمُ همُ الرجال فأصبحوا　　شم الأنوف تقدّماً وتفوقاً [3]

والشعراء لا يكتفون بما أشادوا فيه بأمجاد المملكة العربية السعودية ، ونهضتها الشاملة في سائر أرجائها ، وفي مظاهر الحياة فيها ، بل إنهم يعمدون إلى أن يخصوا بعض مدنها بقصائد مستقلة ، يشيدون فيها بما تحقق لكل مدينة من إنجاز ، وما قدم أهلها من عطاء ، أو ما متعها الله به من جمال وروعة .

فمكة لها في عيون الشعراء وقلوبهم منزلة عظيمة ، ولذلك راحوا يرصدون ما تحقق لها من إنجازات ، وما هُيّئ فيها لقصاديها من تسهيلات ، جعلتها مدينة عصرية

(١) وطني سيد البقاع : ٣٤ .
(٢) عزف على أوتار الحب : ٢٣ .
(٣) المصدر السابق : ٢٢ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

رائعة قادرة على استيعاب الأفواج الضخمة التي تقصدها من كل فج عميق ، ولكثرة تلك الأعمال التي لا يمكن رصدها أو عدها ، يقول الشاعر علي بن قاسم الفيفي :

وللمناسك طاقات وأجهزة قد سخرت ما لها حدٌّ ومقدارُ (١)

ولم يكن ذلك ليتحقق لولا ما منَّ الله به على هذه البلاد من حكم راسخ ، وطّد الأمن والأمان والحياة الرغيدة ، وجعل راحة الحجيج وخدمتهم شرفاً وفخراً لكل فرد من أبناء الوطن ، بدءاً من ولي الأمر الذي لقب نفسه بخادم الحرمين الشريفين إلى أصغر شخص ينتمي إلى هذا البلد ، وهذه نعمة من الله اصطفاها الله لبيته ومن حوله ، وجزاء ذلك أن زاد الله هذه البلاد نعماً على نعم ، وفضلاً ما له من مثيل ، يقول حسين النجمي :

أرضُ القداسات ربّ الكون يحرسُها ويصطفيها بحكم راسخ العمدِ
ودولة بالهدى والحق تحكمها وزادها الله من نعمائه الجددِ (٢)

والرياض عاصمة الوطن كان لها نصيب كبير من الحديث والإشادة ، ورصد الإنجازات التي حدثت فيها ، والتحولات التي شهدتها ، وهي الكتاب المفتوح لكل من أراد قراءة مظاهر التمدن الحديث والبناء الواسع لهذا الوطن .

وقد أبرز الشعراء النقلة الحضارية التي حفلت بها الرياض ، وكيف تغيرت في مدة زمنية وجيزة ، إذ تحولت إلى روضة واسعة وضخمة ، بعد أن كانت صحراء جرداء، وهذا العمل لم يحصل أو يحدث دون بذل وتضحيات بدأها الملك المؤسس ، وفي هذا يقول الشاعر إبراهيم صعابي :

سل الرياض سل الصحراء كيف غدت روضا يغطي ثراها الشيح والورد
سلِ الرياض سل الأمجاد عن بطلٍ عن فارسٍ مستنيرٍ ما له نِدُّ
واسأل دروب المدى عن غيمةٍ هطلت فاخضرَّ يابسُها واستيقظ النِدُّ (٣)

(١) الطيف العابر : ١٤٩ .
(٢) تأملات على مرافئ الغربة : ١٩ .
(٣) وطني سيد البقاع : ١٩ - ٢٠ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

وقد تجاوب الشعراء مع معارض المملكة العربية السعودية في الخارج التي تقام باسم (الرياض بين الأمس واليوم) ، فالشاعر أحمد العطاس يتحدث عن الرياض في قصيدته (في قلب باريس) ، مصوراً أنها رمز حضارة المملكة ، فيقول :

في قلب باريس أرسى العرب مجدهم　　بمعرضٍ فيه إبراز المضامينِ
ليشهد العالم الغربي أن لنا　　حضارةً قد علت فوق السماكينِ[1]

ثم يقول في آخر القصيدة :

وما الرياض سوى رمز لنهضتنا　　فيها الفخار لنا في حسن تبيينِ
بها معالم أمجاد سمت وعلت　　تشع بالنور في كل الأحايينِ
تسامقت في بناها وامتطت قمماً　　وأبرزت في علاها كل تحسينِ
تنقلت في بقاع الأرض تتحفها　　بروعة المجد في حسن وتضمينِ[2]

والطائف التي تعد المصيف الأول في المملكة قد حظيت بمزيد عناية ورعاية ، فتحولت إلى جنة خضراء ، ولم تعق الطبيعة الصعبة مشاريع التطوير ، إذ الهمم العالية لا يعوقها شيء دون الوصول إلى أهدافها ، وفي هذا يتحدث الشاعر علي بن حسين الفيفي عن بعض ملامح تطوير المصيف قائلاً :

يا ربوع المصيف ما أنت إلا　　بهجةُ النفس بلسمُ المشغوفِ
نظر الفهدُ للمصيف فكانت　　نظرة الفهد ذات رأي حصيفِ
أُعطي القوسُ في المصيف لباريه　　فأدّى أمانة التكليفِ
والمشاريع لم تعقها صعابٌ　　لا تعوقُ الصعابُ غير الضعيفِ[3]

وأما جازان فقد حظيت بمزيد عناية واهتمام من قبل شعرائها في رصد منجزاتها وزاهي حاضرها في ظل الرعاية والاهتمام التي لقيتها من قبل الدولة ، شأنها شأن سائر

(١) تغريد النهى : ١١٢ .
(٢) المصدر السابق : ١١٢ – ١١٣ .
(٣) زائر الأمس ١٥١ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

مناطق المملكة ، والشعراء أكثروا من الحديث عن تلك المنجزات ؛ لأنهم رأوا بأعينهم هذا الواقع المليء بالكثير من الرقي الحضاري ، ورجعوا بذاكرتهم إلى الوراء قليلاً ، وأعادوا أبصارهم إلى سنوات مضت قبل عصر النهضة في ظل هذه الدولة الموحدة ، ولما قارنوا بين العهدين ، ووازنوا بين الواقعين أدركوا الفرق ، وعندها تحدثوا ، فكان حديثهم مليئاً بالفخر والإحساس بالإنجاز ، والفرحة بالإبداع .

وقد جاءت التنمية في جازان شاملة لكل ميادين العمل ، وتناولت فيما تناولت الرقي بالفكر وتحضر الوعي الاجتماعي ، وإقامة المشروعات الأساسية والخدمية ، مع المحافظة على فكر الإنسان ومعتقده ، وجعلها الأساس الذي تنطلق منه قضايا التنمية ، فالشاعر محمد أحمد العقيلي يسجل في إحدى قصائده مشاعر الحب والولاء من أهالي (جازان) خاصة والجنوب عامة تجاه المليك القائد الذي أمر بإقامة مشاريع النهضة ، ويدعو الشاعر الملك سعوداً إلى تأمل أثار تلك النعم التي أمر بإقامتها في جازان ، ومنها مشروع الماء الذي أقيم لخدمة أهالي مدينة جازان وإمدادهم بالمياه العذبة ، وافتتحه الملك سعود حين زار المنطقة ، خصوصاً بعد أن كان أهلها يذوقون الأمرين في جلب المياه الصالحة للشرب ، فها هو الماء يجري في جازان كأنه منهل من مناهل الخلد ، فيقول :

خطر اليُمن في الجنوب وهلّت نعماً من يد المليك تجوده
رفَّ جازان في نداها كما رفَّ (م) على الروض بالندى أملودُه

ثم يقول بعد ذلك مخاطباً الملك :

وتأمّل آثارك الغرَّ وانظره مرفقاً يدمغ الزمان خلوده
منهلاً من مناهل الخلد يجري سلسلاً ينقع الغليل بروده
صافياً كالشعاع أزهر رقراقاً كمزن السماء مرَته رعوده
هامساً بالثناء والشكر يتلو سور الحمد للمليك نضيده[1]

(١) المجموعة الشعرية : ٢٧١ – ٢٧٢ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

والشاعر علي النعمي يرصد منجزاً تعليماً في قريته الصغير النائمة على العدوة الشمالية لوادي ضمد في عهد الملك فيصل ، وهي أول مدرسة ابتدائية تفتتح في تلك القرية (الحرجة)، فرصد الشاعر ذلك ، وأفصح عن مشاعره الوطنية تجاه منطقته ومجد بناة صروح العلم والتنمية، حيث قال :

يا قريتي فلتفرحي ولتسعدي　　بهدية من سيد القُوّادِ
فالفيصل الباني حباك قلادة　　موسومة بالنور والإرشادِ
بالعلم ينشر في رحابك ظله　　ويزيل وجه الجهل دون معادِ
لينير درباً مظلماً لولاه ما　　رفَّ الضياء به على الآمادِ
الآن حقَّ لك الفخار فصفقي　　طرباً وغنّي أروع الإنشادِ
يارب فاحفظ فيصلاً واحفظ به　　عهد الرخاء لحاضر ولبادِ[1]

وهكذا كلما تحدث مناسبة افتتاح مشروعٍ تنموي يهب الشعراء للترحيب به وإطرائه، وعده لبنة جديدة من لبنات بناء جازانَ ، وفي الوقت ذاته يبرزون شكرهم وولاءهم وصدق انتمائهم لقيادتهم التي حرصت وتحرص على كل ما من شأنه خدمة أبناء الوطن أينما كانوا ، فالشاعر منصور دماس يرصد مشاعر أبناء سامطة عندما افتتح فيها أول مستشفي كبير طال انتظارهم له ، جاء ليحل محل مستوصف صغير لم يكن يفي باحتياجات سامطة وقراها ، فقال :

يا حسوداً لسامطة ، اليو　　م تزهو، في كل غال فريدِ
بسماتٌ من الشفاه كستها　　وسقتها أنفاسها نشرُ عُودِ
فرحةٌ عمّت الجميعَ وطارتْ　　بذويها إلى سماءٍ بعيدِ
بافتتاح المصحِّ باتوا جميعاً　　بين راوٍ وسامعٍ ومعيدِ[2]

(١) الأرض والعشق : ٥١ .
(٢) همسة مجد : ٨٨ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ولا يمكن هنا أن نحيط بتلك الإنجازات التي رصدها الشعر ، الإنجازات التي غزت كل مدينة وكل قرية وكل واد وكل جبل في جازان ، ويصدق على ذلك حديث حجاب الحازمي في قصيدته (جازان القصيدة) ، حينما قال :

تحدثي يا روابي الكبر عن بطلٍ وفصّلي القول عن أنجال مرخانِ
تحدثي عن أياديهم وما صنعت ببرها شملت قاصيك والدّاني
تحدثي عن جيوش العلم كيف غزت جبالك الشم وانداحت بوديانِ
في منجد في جبال القهر في ضمدٍ وفي الربوعة في فيفا ووعلانِ [1]
في تعشرٍ في روابي بيش في خلبٍ في بو عريشٍ وفي صبيا وفرسانِ [2]
في سهلك الأخضر البسام في حزنٍ وفي روابيك في تلٍّ وشطآنِ [3]

ولم يكتف شعراء جازان برصد الإنجازات التنموية التي رأوها في واقع حياتهم، بل تجاوزوا ذلك ، وكانوا الصوت الذي يعبر عن آمال جازان وتطلعاتها ، وذلك بإيصال رغبات المواطن واحتياجاته إلى المسؤول إيماناً بمهمة الشاعر الاجتماعية وقدرته على التعبير ، وقيامه بواجبه الوطني على أتم وجه ، فالشاعر محمد بن علي السنوسي في معرض حديث له عن جازان بعد نزول الغيث ، وتدفق السيول عليها يصفها بقوله :

إذا لمع البريق على سماها جرى الوادي وسال بها شعابا
وإن رعد السحاب على ذراها سرى الحادي يهز به الركابا
حقول سمحة وثرى غني يغلّ الفصل أربعة نصابا
يد لله خص بها بلادي فسبحان الذي أعطى وحابا [4]

(١) منجد : من الجبال التابعة لمحافظة هروب ، والقهر : من أشهر جبال الريث ، والربوعة وفيفا من أشهر جبال جازان، ووعلان : بلدة تابعة لمحافظة سامطة .
(٢) تعشر وبيش وخلب : أودية مشهورة في منطقة جازان .
(٣) التاريخ الأدبي لمنطقة جازان ، العقيلي : ٣ / ١٤٠٧ .
(٤) الأعمال الكاملة ، للسنوسي : ٢٣٩ – ٢٤٠ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

ولكن الشاعر يتوجه إلى المسؤول ، موضحاً أن هذه السيول التي لا يوجد لها سد يحجزها ويحفظها تضيع وتتفرق وتذهب سدى ، وإيجاد سد تخزن فيه سيعود بالنفع العظيم الذي لا حدود له ، فيقول :

فكيف إذا أقيم السد حصناً　　يصد الجدب عنها والخرابا
ويغلق في وجوه القحط باباً　　ويفتح من وجوه الرزق بابا
ويحفظ ماءها والماء روح　　ومن حفظ الحياة فقد أصابا
لأقسم أن تصير البيد روضاً　　وتغدو جنة طابت شرابا
تفوح زهورها عطراً وشكراً　　وترفعه ثناء مستطاباً
إلى ملك له في كل وقت　　يد بيضاء تنسكب انسكابا (١)

واستجابة لصدى هذه القصيدة ولغيرها ، استجاب ولي الأمر ، فأنشىء سد في جازان يعد من أعظم السدود ليس في المملكة فحسب ، بل في المنطقة العربية والإسلامية بأسرها .

وكان الشعراء يستغلون الزيارات التفقدية التي يقوم بها ولاة الأمر والمسؤولون لجازان لعرض مطالبهم ، ورفع احتياجات مدنهم وقراهم ، وبيان واقع الحال ، ومن ذلك أنه لما زار الأمير نايف بن عبدالعزيز جازان في عهد الملك فيصل في التسعينات الهجرية أنشد الشاعر علي بن مديش قصيدة في استقباله والترحيب به ، ثم قال في آخرها متحدثاً إليه وإلى الوفد الكريم الذي جاء معه للتعرف على الأحوال :

يا أيها الوفد الكريم تحية　　تسري كسري الماء في الأغصان
أزرى بجازان الجفاف فأصبحت　　جرزاً فكن كالعارض الهتان
وانظر لهيكلها ترى في سمتها　　ما يستثير كوامن الأشجان

(١) المصدر السابق : ٢٤٠ – ٢٤١ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

عـذاراء أذبلـت الـسنون رواءهـا فاستعصمت بالصبر والسلوان
وولاؤهـا للعـرش بـاقٍ ثابـتٌ كبقـا سهيـل دائـم اللمعـان[1]

وبعد ذلك بسنوات قلائل ، تحقق ما يصبو إليه أهل جازان ، ورأى الشاعر علي مديش على أرض الواقع تحقق بعض مطالبه ، فأنشد قصيدة أخرى يدعو فيها وزير العدل – آنذاك – لزيارة جازان ، وتفقد المحاكم التي تحتاج إلى بعض الإصلاحات ، وأخبر أن يد الفيصل قد حبت جازان بكثير من المكارم ، فيقول مخاطباً وزير العدل :

فهـل أزفـت زيارتكـم فإنـا نحيـي فيكـمُ هـذا الـشعورا
هنـا سـدٌ بجـازانٍ مـشيد نـرى فيـه المفاخـر والحبـورا
غنـي بالميـاه لـوقت ضنـك إذا احتاجـت مزارعنـا غـديرا
هديـة فيـصل خطـا وسـداً ومينـاء المطـار لكـي نطـيرا
وآبـار تفـيض العـذب حلـواً مـن الأسـقام أو مـرض الكلـيرا
صروح شـيدت في أرض قـومي وفيهـا نقتـل الجهـل الخطـيرا
ستنظـر للمحـاكم وهـي قفـرٌ وأحـدث فرشـها يحكي الحصيرا
وهيكـل بعـضها قـشٌ وطـين قـديم يجلـب الهـمّ الكبـيرا
وتنقـل مـا تـشاهـد يـا وزيـري إلى ملـك يعـمُّ الـشعب خـيرا[2]

وذلك الطريق الذي أشار إليه الشاعر علي مديش بقوله : (هدية فيصلٍ خطًّا وسداً) كان قد تأخر كثيراً ، وهو الطريق الذي يصل بين جازان وأبها ومن ثم الطائف ، وللشعراء في هذا الطريق أكثر من قصيدة ، فالشاعر محمد بن علي السنوسي طالب بإصلاح هذا الطريق وتمهيده بأسرع وقت ، وتساءل ما الذي يعوق إنجازه وتأخيره على الرغم من أهميته ، وذلك في قصيدته (شمعة على الطريق) التي أنشدها سنة ١٣٩٠ هـ ، وفيها يقول :

(١) نبض القوافي : ٥١ ، وانظر قصيدة مشابهة لإبراهيم مفتاح في عتاب إلى البحر : ٢٥ ، ٣٠ .
(٢) نبض القوافي : ٧٠ – ٧١ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

طريـــق جـــازان أبهـــا　　قـل لي متـى أنـت تنهـى
ففـي النفـوس اشـتياقٌ　　إليـك والعـين ولهـى
متـى أراك مـشيقاً　　كالقـد حـسناً وأزهـى
تـدك شـمٌّ الـرواسي　　وتجبـه الرمـل جبهـا
وتـرغم الـصخر أنفـاً　　عـلى الخـضوع وكرهـا
حنّـت إليـك البـوادي　　إن لم تـصدق فـسلها [1]

وبعد انتهاء المرحلة الأولى من هذا الطريق المهم والحيوي لربط جنوب المملكة بشمالها، حياه الشعراء ، وأفصحوا عن مشاعرهم تجاهه ، وطالبوا بمواصلة العمل فيه ليؤدي دوره كاملاً ، ومن أولئك الشعراء علي بن قاسم الفيفي في قصيدته (طريق جازان) ، وفيها يقول :

حياتنا دون شق الطرق مقفلةٌ　　حتى يكون لهذا القفل مفتاح
هي الشرايين حقاً للحياة ولا　　حياة من دونها فلتدر يا صاح
هي الأمانيُّ والآمال حيث أتت　　من قائد رائد للخير طماح
طريق جازان أغلى ما يؤمله　　أبناء جازان تجار وفُلاَّح
أسديتها ياحبيب الشعب مكرمة　　يهنى بها الكل والأتراح تنزاح [2]

وقد كان للشعراء جهود حثيثة في سبيل الدعوة إلى تطوير منطقة فيفا واستثمارها سياحياً ، واستغلال الطبيعة الخلابة والجذابة التي تتكون منها ، وفي هذا يقول الشاعر علي النعمي داعياً شعراء فيفا مشاركته في نقل التطلعات والأمنيات إلى المسؤولين وإلى الإعلام وغيره ؛ لأنه لاحظ أن فيفا لم تلق حقها وحظها من الدعاية والترويج السياحي، كما لقيت مثيلاتها من المدن الفاتنة ، فيقول :

(١) الأعمال الكاملة : ٤٦٢ – ٤٦٣ .
(٢) الطيف العابر : ٤٩ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

لهفي عليها قلاها من تَقرُّ به عينا ويا ليته ما كان قاليها
لولا بقايا شداة من بلابلها لم يظهروا السحر حيا في مجاليها
حتى يزفوا إلى الأسماع روعتها وينشروا كلَّ شيء من أمانيها
حتى يباهوا بـ (فيفا) في ملاحتها وحسنها فهي ترجو مَنْ يواسيها[1]

وفعلاً استجاب شعراء (فيفا) لتلك الدعوة ، فهبوا مبرزين ملامحها ، ومصورين لمجالي فتنتها وسحرها ، وداعين الجهات المسؤولة للقيام بدورها ، وفعلاً تم ذلك ، وأمرت الدولة بقيام لجنة وزارية لتطوير (فيفا) وتنميتها ، وها هو الشاعر علي مديش يبشر أخاه الشاعر علي بن حسين الفيفي ، قائلاً :

وما قلتَ عن فيفاء لاقت صعوبة فقد حلها الفهد الكريم الممجدُ
وسوف ترى فيفا من الفهد لفتةً تنالُ بها كُلَّ الحياة وتسعدُ
وتصبح حسناءَ الجنوبِ كُدرّةٍ معلقة بالليل والعيشُ أرغدُ
فعش بأمان الله ثُمَّ بفهدها وعوداً إلى فيفا ترى العود أحمدُ[2]

وبعد تشكيل لجنة تطوير (فيفا) ، توجه الشاعر علي بن قاسم الفيفي إلى أمين تلك اللجنة الدكتور إبراهيم العواجي - وكيل وزارة الداخلية آنذاك - يعرض عليه رغبات أهلها (فيفا) ومتطلبات التنمية والتطوير كما يرون ، ويطلبون منه أن يحرك أعمال اللجنة ، ويسرع بتنفيذ قرارتها ، ويزيل ما اعترض سبيلها من عراقيل قائلاً :

غاية الغايات منه أن يرى وجهها الثاني جميلاً مقمرا
قد غدت (لبنان) لا في بؤسه بل محا أتراحها والكَدَرا
نشربُ الماء زُلالاً لم يكُن شِيْبَ عَفْناً أو قذى أو قَذَرَا
من سدودٍ أو مياه البحر قد ضُخَّ في عالي الذُّرى وانحدرا

(١) الأرض والعشق : ٤٩.
(٢) نبض القوافي : ٨١ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

أومـن المخـزونِ أيـامَ الرَّخـا　　وإذا الـشّـدّةُ حلَّـتْ فُجِّـرا
نُحكـم المحـبسَ إن شئنـا وإن　　لم نـشأ نُرْسِلْـه دفْقـاً غَمِـرا
وبها الحاجات تُقْضَى عـاجلاً　　دون إنـشاءٍ لُهُـن سفـرا
ويجـوب المـرءُ في أرجائهـا　　لا يعـاني رَهَقـاً أو خطـرا
يـا أخـا العليـا العواجـي هـذه　　فرصـة العمـر انتهزهـا واظفـرا
صحّح الخُطّة واحسُم سلبها　　وأمـط مـن دربهـا مـا عثَّـرا[1]

وبعد مضي سنوات طوال من قيام اللجنة بأعمالها وتجاربها ولقاءاتها ، لم يتحقق على أرض الواقع ما كان يخطط له ؛ بسبب كثير من العوائق والمشاكل ، سواء أكانت الفنية أم الاجتماعية والمالية ، وعندها رفع الشعراء شكواهم على لسان (فيفا) إلى المسؤولين في دعوة واضحة إلى إزالة تلك العوائق ، والتعرف على أسباب التأجيل والتأخير ، ومن هؤلاء الشعراء علي بن قاسم الفيفي ، حيث يقول شاكياً :

فيفـاءُ يـا مثـوى الجمـال أغـارُ　　أن شوّهـوك وأنـتِ قبـلُ منـارُ
إذ صرت دون الحُـسنيات مكانـةً　　وكأنّمـا أبنـاؤك الأطمـارُ
عشرٌ عجافٌ بعد عشرٍ كَوّنت　　كومـاً مـن الإحبـاط لا ينهـارُ
ذا حظُّك المنكودِ من تطويرهم　　يمضـي الزمـانُ وتنقـضي الأعـمارُ
اسمٌ بـلا جسـم كطفـلٍ لم يـزل　　يحبـو وأمَّـا الآخـرون فطـاروا

ثم يعرض بعض مظاهر الخلاف بين أهالي (فيفا) ولجنة التطوير ، فيقول :

عبثوا بها وبحسنها وهم الأُلى　　لـو وُفقّـوا قـد عمَّهـا الإعمـارُ
هدموا المدارج للزراعة عنوةً　　عبثاً بهـا يـا ويلهـم قـد جـاروا
من غير تثمينٍ ولا نـزعٍ ولا　　حقٍّ مصونٍ بـل هـو الإهـدارُ
تالله ما الفهدُ العظيمُ بما جَنوا　　راضٍ ولا إخوانُـه الأبـرارُ[2]

(١) ومض الخاطر : ١٠٤ .
(٢) المصدر السابق : ١١١ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ومن أجمل القصائد في هذا الشأن ، قصيدة الشاعر علي بن قاسم الفيفي التي يدعو فيها خادم الحرمين الملك فهد بن عبدالعزيز إلى أن يمسح بيده الحانية رؤوس القبائل الجبلية التي تسكن (فيفا) وما حولها ، وأن ينقذها مما هي فيه من جهل وفقر وتقوقع في تلك الجبال بسبب وعورة مسالكهم ، وصعوبة وصول وسائل التنمية إليهم، فيقول الشاعر في حديث عن تلك القبائل موصلاً صوتها وآمالها :

قبائلٌ لم تزل تُخْفِي مجاهَلَها (مكرتنين) بـ(أدغالٍ) ووديانِ
من الحدود إلى أرض السراة ومن برك الغماد إلى أطراف نجرانِ
تقوقعوا ياطويل العمر من زمنٍ ساد الظلام به من شرِّ أزمانِ
أزمان جهل وفقرٍ لا مثيل له والجهل والفقر يا بئس الضجيعانِ
ولم يزل بعضهم يحيا على شظفٍ قصورهم لم تزل أعماق غيرانِ
لم يعرفوا لبس سروالٍ وكوفيةٍ ولا انتعالاً ولا تفصيل قمصانِ
ولا اغتسالاً بصابون ولا كتبوا ولا تلوا سوراً من آي قرآنِ[1]

وجمال هذه القصيدة ليس في قوة صياغتها أو إحكام بنائها ، فهذا شيء قد لا يكون متوافراً فيها ، وإنما جمالها جاء من يسرها وملامستها للواقع الحقيقي الذي تعيشه تلك المناطق النائية عن المدن المتحضرة في جازان ، فتلك الجبال الوعرة التي تقع شرق وجنوب (فيفا) تعيش تلك الأوضاع التي تحدث عنها علي الفيفي ، على العلم أنهم قبائل ذات أصول عريقة ، وأعداد كثيفة كما يقول الفيفي ، واصفاً لهم :

وهم خليّة نحلٍ في كثافتهم وطاقةٌ فذةٌ عظمى ذوو شانِ
أعراقهم قحَّةٌ لم تختلط أبداً بأجنبيٍّ ولم تصبغ بألوانِ
وهم أشداء في الهيجاء واحدهم عند اللقاء كعفريتٍ من الجانِ
فأحي ميتاً فمن أحيى الموات له ونمّهم بنماء العصر والآنِ

(١) المصدر السابق : ٨٥ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

صغهم وصُنهم ودعهم في أماكنهم　　مثل النفائس من ماسٍ وعقيانِ
واضرب بهم عند اللزوم كمن　　يحيد عن منهج الإسلام فتّانِ
إن لم تنلهم يدُ الإصلاح من يدكم　　ساموا كأنعامهم من غير رُعيانِ[1]

* * *

ومن المضامين التي دار في فلكها الاتجاه الوطني لدى شعراء جازان توجههم إلى أبناء الوطن يحثونهم على العمل المثمر ، والسعي الدؤوب في سبيل الارتقاء بوطنهم ورفعه إلى المكانة المرموقة التي تليق به ، وينهونهم عن التواكل أو الاتكال على الماضي ، وما حفل به من مفاخر دون عمل مثمرٍ للحاضر ، مؤكدين أنّ الحياة لا تعطي الإنسان ما يتطلّع إليه إلا إذا عمل وأجاد ، وكدّ وسعى ، فالسماء لا تمطر ذهباً ولا فضة ، وفي ذلك يقول الشاعر محمد ابن علي السنوسي :

بكينا على الماضي كثيراً وإن يكن　　خطيراً فما يجدي البكا والتفجعُ
مضى السلف الأبرار يعبق ذكرهم　　فسيروا كما ساروا على الدهر واصنعوا
وما الفخر بالماضي إذا لم يكن له　　من الحاضر الزاهي بناء مرفعُ

ويقول في آخر القصيدة :

يد الدهر لا تسخو بمجدٍ لعاجزٍ　　ضعيف ولا تندّى ولا تتبرّعُ
لقد أفصحت عن سرّها لو تكلمت　　حياة بقدر السعي تعطي وتمنعُ
وما قيمة الأوطان إن لم يكن لها　　رجال يلذون الشقاء لينفعوا[2]

وكثر في هذا الجانب دعوة الشباب إلى حمل مشعل التنمية ، والنهوض بتطوير البلد، وذلك عن طريق التشمير عن سواعدهم ، وخوض غمار العلم والعمل ، والسعي

(١) المصدر السابق : الصفحة نفسها . وانظر حديثاً مشابهاً لهذا دعا فيه الشاعر جبران قحل إلى تطوير محافظة (أحد المسارحة) في : التاريخ الأدبي ، للعقيلي : ٣ / ١٨٤٢ .
(٢) الأعمال الكاملة : ١٢ – ١٤ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الدؤوب ، ومن ذلك على سبيل المثال قصيدة الشاعر محمد بن أحمد العقيلي (حي الشباب) ، وفيها يقول :

حيّ العلوم وحيّ الفن والأدبا وحي شعباً إلى غاياته وثبا
وحيّ ناشئةً قد هُذِّبوا فغدوا ذخراً تباهي به الأوطان مكتسبا
وشدْ بفضل رجالٍ أخلصوا وبنوا جيلاً تدرّع بالأخلاق وانتقبا
مزوداً بسلاح العلم متخذاً من اليقين دروعاً والهدى أُهبا
هو الشباب غدا يحي حمى وطنٍ ويبذل الروح قربانا إذا وجبا
وما البلاد بلا علمٍ ولا عملٍ إلا الطلول عليها البوم قد نعبا [1]

فالشاعر يحيي العلوم والفن والأدب ، ويحيي الناشئة المتعلمين ، ويحيي دولة حفلت بالعلم وطلابه ، كما يحث الشباب على التزود والتسلح بالعلم وقبله الخلق الكريم والفعل الحميد [2] .

والشاعر إبراهيم الشعبي حيَّى الشباب في قصيدته (من وحي الواجب) ، ودعاهم إلى العمل من أجل رفعة وطنهم ، فهم أمل البلد ، ومما شجعه على ذلك أنه يرى في بريق عيونهم طموحاً نادراً وتطلعاً وتشوقاً لعصر جديد ، ونهضة لا مثيل لها ، فيقول :

مرحى شباب الجيل أنتم في غد كهف العقول وقادة زعماء
إني أحيي في حماكم فتية تأبى الخنوع وهمها العلياء
حرستهم عين العناية إنهم أمل البلاد أكارم شرفاءُ
اليوم يحدوهم طموحٌ نادرٌ وتطلع وتحفز ورجاءُ
وغداً سنرسي صرح نهضتنا بهم وبهم تشاد صروحنا الشَّماءُ [3]

(١) المجموعة الشعرية ، للعقيلي : ٤١٥ – ٤١٦ .
(٢) انظر : شعر محمد أحمد العقيلي ، دراسة تحليلية ، خالد الشافعي : ١٢٣ .
(٣) التاريخ الأدبي ، للعقيلي : ٣ / ١٦٦٥ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

وتحدث أحد أولئك الشباب عن تلك الهمة العالية التي تجتاح أبناء الوطن للنهوض به، وأنه بدون العلم والحركة الدائبة والتشمير عن السواعد لن يصل الوطن إلى غايته ، فيقول عبد الواسع سعيد عبده :

تفاهمنا
وما يرجي تفاهمنا
وأدنا ما يخالجنا
وثبتنا مواقفنا
وهيأنا سواعدنا ، وأدركنا
بلا تعليم لن نرق لغايتنا
هنا أشجار صالحة لقعدتنا
وخوص النخل مخملنا
هنا طفل نعلمه
وبيت سوف نصلحه
فهل من شيء يوقفنا
سنبني من صليل الجهد نهضتنا (١)

ومن مضامين الاتجاه الوطني لدى شعراء جازان ، دفاعهم عن وطنهم ، وحماية حماه، والوقوف بكل صدق معه في أوقات الشدة ، كما هو الحال في ساعات الرخاء ، وتسخير الشعراء لألسنتهم وأقلامهم وإركاضها خيولاً وسيوفاً في معركة البقاء ، وحلبات الصراع ، وأزمات السياسة المعاصرة .

وإن كان كثير من النقاد والكتاب يقولون : إن الشعر الوطني النابع من التوجهات السياسية في المملكة العربية السعودية قليل ؛ بسبب أن البلاد لم تشهد أزمات

(١) دوائر الصمت : ٧٠ – ٧١ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

أو أحداثاً سياسية واضحة تستدعي الشعر ، وكانت فورة الشعر السياسي في الأقطار العربية موجهة ضد الاستعمار الذي لم يترك أرضاً عربية لم يجثم عليها ، عدا المملكة وشمال اليمن ، ولكن ثمة قضايا مرت بالبلاد أثارت شيئاً من المجابهة السياسية ، كالنزاع حول واحة البريمي بين المملكة وبريطانيا التي تدعي تبعية الواحة لعمان ، وكالحرب اليمنية في اليمن الشمالي ، وكحرب الوديعة بين المملكة واليمن الجنوبي – آنذاك – ، ويقول عبد الله الحامد : ((**إلا أن هذه الأحداث لم تكن ذات أثر على بساط الشعر ؛ لأنها لم تكن إلا خلافات بين الأشقاء**))[1] .

وقد صدق الدكتور الحامد في أنها كانت خلافات بين الأشقاء في بعضها ، ولكن قوله : إنها لم تكن ذات أثر على بساط الشعر ، فهذا ليس بصحيح إطلاقاً ، فإن كان هذا غير موجود لدى عدد من الشعراء السعودين ، فلا يصحّ إطلاق هذا الحكم وتعميمه على جميع الشعراء في المملكة ، فالمتأمل بشيء من التروي والاستقصاء للشعر في جازان يجد أن كثيراً من الشعراء قد شاركوا في هذه القضايا السياسية انطلاقاً من نزعاتهم الوطنية ، وربما كان للشعراء السعوديين الآخرين المشاركة نفسها ، ولكن لم أعن بالتحري عن ذلك ؛ لأنه لا يعنيني هنا ، كما أن للشعراء في جازان مشاركات في قضايا وطنية ذات توجه سياسي ، مثل حديثهم عن حرب الخليج ، وغزو العراق للكويت وحشدها لقواته على الحدود السعودية ، وغير ذلك من قضايا .

وأول ما يلفت الناظر في هذا السبيل ، هو تمجيد الشعراء لهذا الوطن ، والافتخار بأن هذه الجزيرة العربية التي ينتمون إليها ظلت محافظة على عروبتها ، ولم تسمح لجنس ما باحتلالها واستغلال خيراتها ، فقومها وأهلها ذوو نفوسٍ أبيّة ، لا يسمحون لغيرهم بالتسلط عليهم ، وفي هذا يقول الشاعر محمد بن أحمد العقيلي في قصيدته (الجزيرة العربية) :

حفظت عروبتها على طول المدى خلقاً وصدق مواقفٍ وصيالا

(١) الشعر الحديث في المملكة العربية السعودية ، للدكتور عبدالله الحامد : ٢٥٠ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

لم تحـــن هامتهـــا لغـــازٍ مـــرَّة　　أو تـثن ساعدهـــا الخطـوب كـلالا
صـدّت جيـوش اسـكندر في عـزّةٍ　　والـشرق منـــه راعـــشٌ أوصـــالا
وتقـدّم الرومـان منهـا فلـم تكـن　　(روما) مـن (اسـبرطا) بأسعـد فـالا
ولفـــارسٍ في يـــوم ذي قـــارٍ عنـــا　　يـــومٌ بـــه عـــرش الأكـــاسر مـــالا
مضتِ العصور وأنتِ أمنعُ معقلٍ　　للديـــن عـــزَّ عـــلى الزمـــان منـــالا[1]

ومن القصائد الوطنية التي انطلقت من الواقع السياسي للملكة ، قصيدة الشاعر محمد العقيلي (نداء الفيصل للجهاد) ، وقد قيلت استجابة لدعوة الملك فيصل بن عبدالعزيز – رحمه الله – إلى الجهاد وحماية حدود الوطن ، حين تدخلت مصر في ثورة اليمن، وضربت طائراتها مواقع داخل المملكة العربية السعودية في جازان وأبها ونجران[2] ، وفي بدايتها وصف العقيلي شعره الرائع بأنه شبيه بتلك الخطبة البليغة التي ألقاها الفيصل ، فيقول :

كأنَّـه خطبـةٌ ذاعـت مقاطعُهـا　　لفيـصل تقـذف البركـان واللهبـا
كأنَّها الصبحُ قد بـاد الظـلامُ بها　　أو الهدى لضلال الشرك قد شجبا
غـرّاء تـشربُها الأسمـاع في ألـقٍ　　مـن البيـان يثير العُجب والعَجَبـا
نادى الجهاد فلبَّى الشعب قاطبةً　　الله أكـــبر طـــار المعتـــدون هبـــا
لبيك فيصل هذا الشعب منتظرٌ　　فلـــو أشرت لـــه في لحظـــةٍ وثبـــا
مزمجراً هـادراً في غـضبةٍ عـصفت　　بالمعتدين مهيباً كاللظى غضبا[3]

ولقد أجاد العقيلي الانتقال إلى الغرض حين شبه شعره بخطبة الملك فيصل ، وأوفاها حقها من الإطراء حين جعلها كفيلق الصبح يبيد الظلمات ، وقد وعى الشعب تلك الخطبة، مما حدا به إلى الاستجابة السريعة لنداء الوطن ، والدفاع عنه ضد

(١) المجموعة الشعرية ، العقيلي : ٤٦١ – ٤٦٢ .
(٢) انظر : مائة عام من تاريخ اليمن الحديث ، د. حسين العمري ، وتاريخ العلاقات السعودية اليمنية ، د. فتوح الخترش : ٣٢٠ وما بعدها .
(٣) المجموعة الشعرية :٥٥٨ – ٥٥٩ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الطامعين، ثم بعد ذلك صور الشاعر بعض الأحداث التي دارت في جازان وقد شاهدها بنفسه ، وعاش أيامها المريرة، ولياليها القاسية ، ولكن هذا الشعب لم ييأس أو يجبن ، بل ظل صامداً إلى أن اندحر العدوان ، فيقول :

أيهنا الظالم الطاغي ويمطرُنا سلاحه والشظايا تملأ الشُّهْبَا ؟
راق الدماء وأودى بالنفوس ولم يرع الإخاء ولا ديناً ولا قربى
ظنَّ العدو بأن القصف يرهبنا وأنَّ غاراته تجتاحنا رهبا
هيهات فالشعب في إخلاصه قُدماً مُصمِّماً وليوم النصر مرتقبا [1]

والشاعر إبراهيم الشعبي يدعو في قصيدته (من وحي الواجب) إلى تلبية نداء الفيصل إلى الجهاد ، ويصب جام غضبه على الذين خالجت نفوسهم الشكوك في منهج وطنهم وتوجهه الإسلامي ، أولئك الذين عصفت بهم رياح القومية الناصرية ودعاواها ، فجعلتهم متذبذبين يقفون على شفا جرف هار ، فتوجه الشاعر الشعبي بهذا النداء انطلاقاً من نداء الفيصل ، فيقول :

من لي بتلبية النداء إذا خبتْ نار العزائم واستبدَّ الداءُ
واستفحل الشرُّ البغيض وكشّرت أنيابُه واستأسد الجبناءُ
وسفينةُ الإسلام تحمل راية تهوي ، فترفعُها يدٌ شلاّءُ
فإلام نحيا والشريعة أُهدرت أحكامها ، واستهتر الخبثاءُ
أبناء جلدتنا وزرع ربوعنا لكنهم في ديننا دخلاءُ
من يبتغي غير القران ديانة فعليه من عفن الرغام عفاءُ
شهد العدا بسمو شرعة أحمدٍ (والفضل ما شهدت به الأعداء)[2]

(١) المصدر السابق : ٥٦٠ – ٥٦١ .
(٢) التاريخ الأدبي لمنطقة جازان ، العقيلي : ٣/ ١٦٦٥ – ١٦٦٦ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

وللشعراء في حرب اليمن قصائد غير هاتين القصيدتين ، بل إنّ أحدهم ، وهو الشاعر أحمد بن علي عبد الفتاح الحازمي قد مر بتجارب مريرة في تلك الحرب ، حيث سجن في اليمن ، لمواقفه المؤيدة لبلده ، ولجهوده في خدمة قضيته ، ولذا لما مات رثاه الشاعر علي بن قاسم الفيفي بقصيدة ، وفيها يقول مشيراً إلى مواقفه تلك :

كم ليالٍ بتَّ في زنزانةٍ　　في فم الموتِ وعبدالناصر [1]

أما العدوان العراقي على المملكة العربية السعودية الذي جاء في أعقاب غزو صدام حسين للكويت الآمنة وترويعها ، ورصد جيوشه ، وحشدها على حدود المملكة ، فإن للشعراء في الحديث عنه ، والتصدي له قصائد كثيرة ، ومشاركات متعددة ، انطلاقاً من شعورهم بواجبهم الوطني في الدفاع عن بلادهم وما تحويه من مقدسات وحرمات ، وحسبنا أن نشير هنا إلى ما له علاقة بالوطن فقط في هذه القضية ، فالشاعر علي مديش ينكر على صدام تنكره لجهود المملكة ودعمها له إبان حربه مع إيران ، وكفره لذلك المعروف ، ومحاولته تدنيس البلاد التي تحتضن أقدس بقعة في الأرض بقوله :

وشعبنا يابن تكريتٍ تهدّده　　إذ ناصر الحق من عدوانك الغشم
تريد تدنيس أرض الله في علن　　وللمشاعر يا كفّار والحرم
لم نخش ما قلته من منطقٍ قذرٍ　　فنحن عند الوغى نرتاح للألم [2]

ويخاطب صدام في قصيدة أخرى ، فيقول له :

تجمع القوات في أطرافنا　　كي تبث الرعب في البيت الأمين
بسلاحٍ طالما قدمه　　شعبنا الوافي لكم يا خائنين
لو صرفناه إلى قواتنا　　لأذقناكم عذاب الصاغرين
وأعدنا المسجد الأقصى إلى　　أهله في القدس رغم الغاصبين [3]

(١) قصيدة مخطوطة ، توجد لدى الباحث ، بدون رقم .
(٢) نبض القوافي : ٥٥ .
(٣) المصدر السابق : ٣١ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وقد زعم صدام حسين عندما جهّز قواته وأعدها للهجوم ، أنه بصدد الذهاب إلى فلسطين وتحريرها من أيدي اليهود الغاصبين ، ولكن الشعراء أنكروا عليه تغيير وجهته حتى لكأنه أخطأ الطريق ، فبدل أن يتجه غرباً نحو الأعداء اتجه جنوباً نحو المسلمين الآمنين الذين لم يتوقعوا يوماً ما أن من ساعدوه سيوجه حرابه ضدهم ، ومن هؤلاء الشعراء علي بن حسين الفيفي في قوله مخاطباً صدام في قصيدة (أين المبادىء يا صدام) :

قدتَ الفيالق في زهوٍ وغطرسةٍ ... من خلفِه وعدوّ الكلِّ يبتسمُ
خلت الجزيرة حلواكم وطُعْمتكم ... هيهات دون ثراها تُزْهقُ النَّسمُ
عبّأت غازك بعد (الكُرْدِ) تمطره ... للمسلمين هنا بُعْدا لما تَهِمُ
ولم تقف عند هذا الحدّ خسّتُكُم ... بل قلتَ يا قومُ هيا يُنْقذُ الحَرَمُ
أعلنت دعوتك الشوهاء مجترئا ... إلى الجهاد وأنت المارقُ اللَّئمُ
ليس الجهادُ شعار المارقين وهل ... يدعو له من عن الإسلام يَنْفَصِمُ [1]

وأما الشاعر علي النعمي فقد توجّه بالعتاب واللوم إلى الذين قلبوا للملكة ظهر المجن، وطعنوها في ظهرها ، وتنصلوا عن حقوق الأخوة والجوار ، وساعدوا المعتدي ، وأيدوه ، وألبوا له ، وأركضوا خيلهم في سبيله ، ولم يردوا شكر الأيادي البيضاء التي طالما غمرتهم بفيضها وعطائها وعونها ، فيقول :

فجعنا في الأخوة كيف عادت ... أذى قاس ، وإيلاماً وشرا ؟
وكيف غدت عداء مستطيراً ... وتعريضاً وتحريشاً ومكرا ؟
فجعنا فيك يا صنعا فماذا ... جرى حتى نرى النظرات شزرا ؟
وحتى يستهان بنا ، وحتى ... تلاقي كفنا البيضاء بترا ؟ [2]

(١) ومض الخاطر : ٣٧ .
(٢) لعيني لؤلؤة الخليج : ٤٧ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

ومن حسنات قضية اعتداء العراق على المملكة والكويت في نظر الشاعر علي النعمي، أنها أبانت عن أصحاب القلوب المريضة ، والنفوس الموتورة ، وعرفتنا بالأعداء والأصدقاء ، وانقشعت بعدها السحب ، وكشفت الستور ، وبان كل شيء للعيان ، فيقول:

يا زمان اللئام شكراً جزيلاً　　فخفي الصدور أصبح ظاهر
وتبدى لؤم اللئيم وكنّا　　قَبْلَ حينٍ نراه أطهر طاهر (١)

ويقول الشاعر إبراهيم صعابي في هذا المعنى :

وطني ابتهجْ فلقد تبيّن فجأة　　كلُّ الذين وصفت بالأحبابِ
وطني ابتهجْ فلقد عرفتك شامخاً　　لا يستوي جبلٌ وبعضُ ترابِ (٢)

وفي هذا السبيل فقد مجّد الشعراء بطولات أبناء الوطن في الدفاع عن وطنهم ومقدساتهم ، ومن ذلك إشادتهم ببسالة الجندي السعودي في معركة الخفجي ، مما جعل كثيراً من دارسي النظريات العسكرية يستنتجون منها كثيراً من الفوائد والدروس الحربية ، وخطط الإنقاذ والهجوم ؛ وسبب ذلك هو أن هؤلاء الجنود يدافعوان عن دين وعن حق وعن أخلاق، فكان النصر حليفهم ، يقول علي النعمي مخاطباً صدام :

لو لم تكن في مخبأ متغطرساً　　لعرفت في الخفجي انكشاف الساقِ
وعرفت ما معنى النزال ، وعُنْفَ ما　　فيه من الإرعاد والإبراقِ
وعرفت جند الله في صدق اللقا　　والذَّود عن دينٍ ، وعن أخلاقِ
السُّمُّ في الخفجيِّ أنت زرعته　　لكنَّها صعقتك بالترياقِ
وأرتك أنَّك لستَ إلاَّ واهماً　　في مسرح التطهير والتَّحلاَقِ
وسقتك كأساً كُنت قد جرَّعتها　　للآخرين بطعمها الحرَّاقِ (٣)

(١) المصدر السابق : ٣١ .
(٢) وطني سيد البقاع : ٥ .
(٣) لعيني لؤلؤة الخليج : ٦٢ – ٦٣ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وأشار الشاعر بعد ذلك إلى أن الرياض في منعة ومأمن من وصول صدام إليها، وأن صواريخه لم تصنع شيئاً ، وأنها لم يستفد هو منها ، بل إن المستفيد الأول منها إسرائيل التي نالت دعماً باهضاً من رعاتها وحماتها ، بعدما بكت الدموع الغزار ، وشكت من صدام، مستغلة غباء صدام وجنوده ، فاصطادت في الماء العكر – كما يقال – ، وفي النهاية لا يسع إسرائيل إلا أن توجه شكرها وتقديرها على خدمة العراق لها خدمة لم تكن تحلم بها ، يقول:

أوجعت إسرائيل حين قصفتها ... بسكودك المحشو بالدراقِ
وجعلتها تشكو وترفع صوتها ... للآخرين بدمعها المهراقِ
لتنال دعماً باهضاً وحمايةً ... في كلِّ منعطفٍ وكلِّ رُواقِ
وتنال لعن المسلمين وسُخْطَهم ... والشكر من بيريزَ أو إسحاقِ
أما الرياض فإنها في منعةٍ ... والصقرُ لا يخشى من اللَّقلاقِ
والحفر والظهرانُ والدمام في ... نُعمى بفضل المُنعم الرَّزَّاقِ
وإذا تطاولتِ الرياضُ فإنّها ... حملت بيان تضامن ووفاقِ
ما زادها الإرهابُ إلا قوّةً ... وتماسكاً في النبضِ والأشواقِ[1]

ولم يكن خافياً على أحد أن المملكة كانت قد قدمت العون والمساعدة التي لا حدود لها للعراق إبان حربه مع إيران ، تلك الحرب التي جرّت على المملكة ويلات كثيرة منها ما حصل من عداوات كبيرة بين المملكة وإيران ، وظلت إيران بسبب ذلك تحيك المؤمرات والقلاقل للمملكة ، وتروع الآمنين بها ، وتستغل موسم الحج لرفع شعاراتها ودعاياتها المضللة، ولعل اعتداء أفراد الحرس الثوري الإيراني على الحجاج الآمنين عام ١٤٠٧هـ أنموذج على تلك القلاقل والمؤامرات ، وللشعراء في الحديث عن تلك الأحداث والعداوات الإيرانية قصائد كثيرة ، منها قصيدة محمد الشنقيطي (رسالة

(١) المصدر السابق : ٦٨ – ٦٩ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

إلى إيران) ، وفي مقدمتها بيّن أن تلك الأفعال التي ارتكبت في حرم الله الآمن لا يمكن أن تصدر من أناس يؤمنون بالله ، وإنما هي أفعال تنمى إلى شعارات الثورة التي تركبت من شعارات لينينية ثورية ، ونزعات عنصرية شعوبية ، حيث يقول :

المؤمن الحقُّ ميثاقٌ لجيرانه　　فجاره نفسه تبكي لأحزانه
وما الشعارات إلا نصف أغنية　　لينين لوّنها يوماً بألحانه
ونصفها الآخر المخفي صورته　　من اليهود ومن كسرى وإيوانه (١)

وفي آخرها يتساءل عن الذنب الذي ارتكبه من روعوا وأوذوا في آمن بقعة على وجه الأرض ، أولئك الذين جاءوا في رحلة إلى الله ، لا يفكرون في صراعات أو سياسات ، فيقول:

ما ذنب من جاء للرحمن مبتهلاً ؟　　لبيك .. لبيك .. ينبوع بوجدانه
وأرجل الحرس الثوري تركله　　يا ويحهم إنه لبّى لرحمانه
وهشمت عظم شيخ وهو مغترب　　هو الشهيد قضى ، بعداً لخصمانه
وروّعت آمناً في بيت قبلته　　لا يرحم الله ظلاماً لضيفانه (٢)

وقد وقف الشعراء ضد كل من حاول الإخلال بالأمن الوطني ، أو الإفساد في هذا البلد الآمن ، سواء كانوا من خارجه أم من أبنائه ، ولعل ما سبق الحديث عنه ، وهو ذلك الاعتداء الآثم على الحرم سنة ١٤٠٠هـ ، وترويع الآمنين فيه ، ومشاركة الشعراء، ووقفتهم ضد أولئك المعتدين الباغين ، ومما يمكن أن يضاف هنا لقوة دلالته الوطنية استنكار الشاعر محمد بن علي السنوسي في قصيدته (عصبة السفاح) ذلك الفعل الشنيع مهما كانت دعاواه ومبرراته ، فيقول :

ويحكم ما الذي تريدون ماذا　　قد دهاكم يا عصبة السَّفاح

(١) قلب يتنفس : ٢٧ .
(٢) المصدر السابق : ٢٨ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

أكـذا تفهمـون ديـن الـسلام الـ ـحقّ ديـن الهـدى وديـن الـسماح
بئسما تفهمون يا طغمة الشّرِّ (م) ويـا زمـرة الضلال الصُّراح[1]

وأما الشاعر علي النعمي ، فقد شدّد على أن فعلتهم تلك قد شقوا بها عصا الطاعة ، وحاولوا تفريق المجتمع ، والإخلال بالأمن الذي ينعم به أبناؤه ، فقال :

فعلـوا فعلتهـم يـا ويحهـم حيث شاع الأمن واخضل السلامُ
نقـضوا البيعـة مـذ شقـوا العـصا طاعـة السلطان بغياً حين قاموا
حين جاءوا البيت والشيطان في ركبهم يهتف قد طاب المقامُ[2]

ولكنه بين في آخر قصيدته تلك أنه مهما ادلهمّت الأحداث ، فهي لا تزيد الوطن إلا وحدة والتئاماً ، ومهما حبكت المؤامرات والدسائس ، فإنها لن تنطلي على من نعموا بالوحدة بعد الفرقة وبالأمن بعد الغوص ، وبالعلم بعد الجهل ، ويقول :

نحن صفٌ واحد مستمسك بعرى الوثقى وما فيه انفصام
رايـة العـز هنـا خفاقـة وهنا جيش من الصيد لهام
وهنـا أمـن وعـيش هـانيء وهنـا عـدل وصفـو ووئـام
شملنا – مهما يكن – ملتئمٌ ولمن يحسدنا الداء العقام[3]

وقد شكر الشعراء صنيع الملك خالد ، حينما نفذ حكم الله فيهم ، فكان بذلك مطهراً لقبلة المسلمين من البغاة ، وحافظاً للسلام والأمن في ربوع هذه البلاد ، وفي هذا يقول علي بن قاسم الفيفي :

أمضيت حكـم الله فيهم خالد من بعد بذل الوسع في الإعذارِ
وكفيت كل المسلمين شرورهم بالقسط لا بالجور والأوغارِ

(١) جريدة الندوة ، ع ٦٤٠٨ ، في ١٤/ ١/ ١٤٠٠هـ .
(٢) الرحيل إلى الأعماق : ٦٤ .
(٣) المصدر السابق : ٦٥ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

عـن حكمـة وروية وشجاعـة　　أسمى من الإعجـاب والإكبارِ
طهرت قبلتنا وحطت سلامنا　　وأبنت وجـه الحق للمُحتارِ[1]

وأخيراً ، فمن مشاركات الشعراء الوطنية دفاعهم عن الوطن ضد منتقديه ، والذين حاربوه بألسنتهم وأقلامهم من المأجورين أو المخدوعين ، فكان شعراء جازان شأنهم شأن إخوانهم من الشعراء السعوديين سداً منيعاً ضد تلك الدعايات والمزايدات والتنقص والهمز واللمز ، وكان دافعهم وحاديهم إلى ذلك حب وطنهم ، وصدقهم في الانتماء ، وإبراز الحقيقة التي يرونها ويسمعونها ، فكانوا بذلك شهود العصر والواقع ، ولم يكونوا في ذلك يخادعون أنفسهم أو قراءهم ومستمعيهم ، ومن تلك المشاركات رد علي النعمي على نزار قباني الذي غمز المملكة في إحدى قصائده ، وعرض بها ، ووصفها بأن أهلها لا حضارة لهم وإنما الذي رفعهم هو البترول ، وإلا فهم لا يسوون مثقال ذرة كما زعم ، فانبرى له الشعراء، ومنهم علي النعمي ، حيث يقول له في البداية موضحاً مميزات الوطن الحضارية :

سائـل سراقـة يـا نـزار فـربما　　تتغـير الأسمـاء والألقـابُ
من ههنا ظهرت دمشق وغيرها　　وهنـا هنـا تتشكل الأحقـابُ
والحب من قلب الجزيرة بدؤه　　(ولكل سؤل يا بثين جوابُ)
راجـع قـواميس الهـدى بتجـرّدٍ　　إن كان قد حجب العيون حجابُ

ثم يشتد في النكير عليه ، وإبراز حقائق هذا الثراء الذي حبا به الله هذه البلاد ، وكيف صرف وعلى من ، فيقول :

يـا شاعـراً أفـتى بغـير طريقـة　　وسـلاح فتيـاه أذى وسبـابُ
جاوزت حد القذف في أحسابنا　　وديارنـا ونبـا بـك الإعـرابُ
قـدرت نفعـاً فانكفـأت مهرجـاً　　يلحـو ويـشتم إنـه لعجـابُ

(١) الطيف العابر : ١٧ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

أمـــا الثـــرا فهديـــة مـــن ربنـــا والنفـــط جـــل المـــنعم الوهـــابُ
نبني بـه بلـد القداسـة والهـدى ونعـين مـن هـم في المـرارة ذابـوا
لم نفتـتح ملهـــىً ولم نعمـــر بـــه باراً ، وإن نقـم العـداة وعـابوا [1]

(١) الرحيل إلى الأعماق : ٣٨ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ثالثاً – قضايا العرب والمسلمين :

إذا كان شعراء جازان قد أشادوا بوطنهم ، وتحدثوا عن قضاياه ، فكانوا نبضه الخافق، وصوته الناطق ، فإنهم لم يكونوا بمعزل عن قضايا أمتهم العربية وعالمهم الإسلامي ، ولم يكن تعلقهم بوطنهم ليحجزهم عن التفاعل مع هموم الأمة ، بل تجاوزوا النظرة الضيقة نحو الوطن ، ورأوا أن بلاد العرب والمسلمين جميعاً هي وطنهم، قضاياها قضاياهم ، وشجونها شجونهم ، أفراحها أفراحهم ، وأتراحها أتراحهم ، منطلقين من دين يقول لهم : ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ [1] ، و((**المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً**)) [2] . ولذا فلم يكن شعراء جازان بمعزل أو بعد عن هذه الأسس القويمة ، ولذا نجد أن نشيدهم يتكرر فيه ما قاله محمد بن علي السنوسي :

أحب الحجاز أحب اليمن ونجداً أحب وأهوى عدن
وأعشق لبنان مأوى النجوم وأهوى الكنانة أخت الهرم
بلادي بلاد الهدى والشيم [3]

ويشير الشاعر علي النعمي إلى أن المسلمين ، وإن فرّقهم المستعمر ، وشتتتهم الأيام فهم ما زالوا يشعرون بالمشاعر نفسها تجاه بعضهم ، دارهم دار واحدة ، وهمومهم واحدة ، وآمالهم واحدة ، وقبلتهم واحدة ، ولذا نجده يكثر من مثل قوله :

لم ينفرط رغم العدا – عِقْدُنا ودرعنا المنسوج لم يخْلُقِ
فنحنُ بيتٌ واحدٌ في الأسى وفي الهنا نَفْسٌ لنفسٍ تقي
من يمنِ الدنيا إلى شامها من مغرب الأرض إلى المشرقِ
وكلُّ دارٍ مُسلمٍ دارُنا وإنّما غَزَّةُ من جِلّقِ

---

(١) سورة الحجرات آية رقم (١٠) .
(٢) من حديث أبي موسى الأشعري ، أخرجه البخاري ، فتح الباري ١٠/ ٤٥٠ ،ومسلم حديث رقم (٢٥٨٥) .
(٣) الأعمال الكاملة ، للسنوسي : ٧٩٠ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

وإنـــما كـــشمير مـــن طنجـــةٍ　　وإنـــما الدوحـــة مـــن طُـــبْرُقِ
وإنـــما الـــسِّنْغَالُ مـــن كابُـــلٍ　　وإنمـــا صنعـــا مـــن المنـــدق [1]

إلى أن يقول :

وإنمـــا النيـــلُ عـــلى فقـــده [2]　　بوجهـــــه الأبـــيضِ والأزرقِ
مـــن نهـــر لبنـــان المُعنـــى ومـــن　　تكـــسُّر الأرز عـــلى الفـــستقِ
مـــن بحرنـــا الميـــت في غَوْرِنـــا　　مـــن بـــردى مـــن دجلـــة الزئبقـــي
وإنـــما إقبـــالُ مـــن حـــافظٍ　　وشـــاعرُ القطـــرين قِـــرْنُ الفَقـــي [3]

ومن هذا الإحساس بالمصير الواحد ، والجسم الواحد ، الذي وصفه السنوسي بأنه وإن تعددت أعضاؤه ، ففي النهاية إن ملتقاها في جسم لا يمكن فصل بعضه عن بعض ، حيث يقول :

متماســك اللبنـــات متحـــد الخطـــى　　متجـــاوب الـــدعوات والأصـــداء
تتـــابين الأسمـــاء في تعريفـــه　　كالجسم وهـو موحـد الأعـضاء [4]

وانطلاقاً من هذا الإحساس كان للشعراء مشاركة في آمال الأمة وقضاياها ، والوقوف معها في خندق واحد ضد أعدائها أيام الحرب ، وحمل اللبنات ، والمساعدة على البناء أيام السلم ، وتلك القضايا التي شغلت حيزاً كبيراً من إنتاج شعراء جازان ، كانت ذات منحيين اثنين ، هما : قضايا عامة ، وأخرى خاصة .

فالقضايا العامة هي التي شغلت أفراد الأمة وشعوبها العربية والإسلامية ، والخاصة هي تلك القضايا التي رافقت تحرر الشعوب العربية و الإسلامية ومشاركتها

(١) الرحيل إلى الأعماق : ٢٧ .
(٢) يشير الشاعر إلى ذلك الصلح الذي عقد بين مصر وإسرائيل في (كامب ديفيد) ، وبسببه قاطع العرب مصر ؛ لذا فنيلها يعيش في معزل عن العرب ، فهم له فاقدون ، وكان الشاعر قد أنشد القصيدة في تلك الفترة التي حصل فيها الصلح والمقاطعة .
(٣) الرحيل إلى الأعماق : ٢٧ .
(٤) الأعمال الكاملة ، السنوسي : ٨٧ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

في صراعها ضد الغزاة والمستعمرين ، أو ما دار بين العرب والمسلمين من صراعات داخلية وفتن طائفية أو سياسية أذكاها المستعمر ، وأشعلها الحاقدون .

وتفصيل ذلك فيما يلي :

أ – القضايا العامة :

من أهم القضايا العامة التي شغلت حيزاً من نتاج شعراء جازان :

١– الوحدة العربية :

كانت بداية الشعر الداعي إلى الوحدة العربية مبكرة مع ثورة الملك حسين على الأتراك ، لكن الدعوة إلى الوحدة العربية ظهرت بصورة قوية وواضحة بعد الثورة المصرية عام (١٣٧٢هـ – ١٩٥٢م) .

والواقع أن قوة الصوت الذي صدر من مصر يرجع إلى أكثر من سبب ، فالمصريون قد خرجوا من عهد إلى عهد يلتمسون فيه أشياء كثيرة فقدوها ، ومصر بثقلها العربي والسياسي والعسكري تزعمت هذا الاتجاه ، وبصراعها مع الاستعمار الذي كان أبرز أحداثه اندحار العدوان الثلاثي عام (١٣٧٦هـ – ١٩٥٦م) ، وقد انطلق صوت الوحدة العربية قويًّا عنيفاً ، وكانت كل الأبصار المتطلعة ترنو إلى مستقبل جديد للشعوب العربية ، خاصة البلاد التي بليت بالاستعمار ، فتضامت الألسنة العربية نشيداً يدعو إلى الوحدة في كل مكان[1] ، وكانت الروح الحماسية تتجاوب في الأقطار العربية كافة ، حتى أصبح الحديث عن الوحدة العربية ظاهرة رسمية وشعبية في وقت واحد ، يقول محمد بن علي السنوسي :

العالم العربي صنع رسالة	كبرى ونسلِ غطارفٍ عظماء
أملى إرادته وضم صفوفه	والتفَّ من قطرٍ إلى البيضاء
سبعون مليوناً يضئ طريقها	قبسٌ يؤججه دم الشهداء
حملت عروبتها اللواء وزلزلت	قدم الدخيل ومنطق الأجراء [2]

(١) انظر: الشعر الحديث في المملكة العربية السعودية ، د. عبدالله الحامد : ٢٢٩ .

(٢) الأعمال الكاملة : ٢١٧ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

والشاعر محمد بن أحمد العقيلي يفخر بانتمائه إلى الأمة العربية ، ويطل من نافذة العرب والإسلام في كل عمل من أعماله الشعرية - كما يقول محمد الصادق عفيفي - ويرنو إلى الوحدة الكاملة التي تجمع شمل الأمة العربية من أقصاها إلى أقصاها [1] ، استمع إليه وهو يقول مخاطباً قادة العروبة في اجتماعهم التاريخي الأول بالمملكة العربية السعودية عام (١٣٧٤هـ - ١٩٥٤م) ، وذلك في قصيدته (تحية الأقطاب الكبار) ، وهي قصيدة طويلة تردد أمجاد العرب ، وتدعو إلى وقوفهم صفاً واحداً ضد المستعمرين، خاصة (الإنجليز) ، ففي البداية يشيد الشاعر بالاجتماع لقادة العرب الذي أيقظ التاريخ ، وأقضّ مضجع البغي والعدوان الذي يخطط له المستعمرون :

روعة الفتح وإشعاع الجلال　　قد أعادوها سعود وجمال
ودنا التاريخ في ذروته　　ساطعاً والشرق وهاج الخلال
نفثوا في كل صقع قوّةً　　للكفاح الحر في دنيا النضال
فأقضوا مضجع البغي على　　قدم العهد وإفساح المجال
في الجنوب الحر في الأردن في الـ　　مغرب الأقصى وفي سوح القنال [2]

وبعد ذلك يلقي بوابل من التقريع والتشنيع على الاستعمار والمستعمرين الذين سعوا جهدهم وطاقتهم في تفريق الأمة العربية والدسّ لها ، وتشتيت كل جهد لها نحو الوحدة والتضامن ، وخاصة ما كانت تقوم به انجلترا التي ما فتئت - آنذاك - تدعي أنها وراء العرب تريد أن تلم شملهم ، ويخص الشاعر من الإنجليز (جلوب باشا) ، الذي كان يعمل في قيادة الجيش بشرقي الأردن ، خصّه بالذم والتوبيخ ، ونعى عليه ما كان يقدّم به خطبه من قوله : (نحن العرب) ، ولكنه طرد من بلاد العرب شرّ طردة [3] ،

(١) انظر : العقيلي العالم الموسوعي ، للدكتور محمد الصادق عفيفي : ٧٢ .
(٢) المجموعة الشعرية : ٣٥٧ .
(٣) انظر : شعر محمد أحمد العقيلي دراسة تحليلية ، للشافعي : ٢٦٠ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وسرعان ما تقوقع الاستعمار ، وبعد ذلك بدأت الأمة تبحث عن هويتها ، وتتلمس طريق الخلاص للوصول إلى سابق مكانتها ، يقول :

سلْ (جلوباً) كيف قد ألوت به ثعلب الصحراء مكراً في احتيال
خدع القوم بما أبداه من حسن زي وكلام وفعال
وإذا ما قام يهذي خاطباً قال (نحن العرب) في بدء المقال
أي تدليسٍ وغشٍ فاضحٍ لابن بحر المنش محلوق السِّبال
إن الاستعمار قد أمسى على طرف أشرف منه للزوال[1]

ثم بعد ذلك يحيي الشاعر تلك البذرة الأولى نحو الوحدة العربية ، ويحيي في المجتمعين سعيهم في سبيل ذلك ، وحرصهم على الارتقاء بشخصية الإنسان العربي ، ورفع صوته ومكانته ، ويصر الشاعر على أنه يجب أن تقوم هذه الوحدة على أهداف كريمة سامية، لا على أفكار جوفاء عقيمة أو قاصرة ، كما في بعض الأحلاف الضالة ، يقول :

حيِّ أقطاباً كباراً وثبوا الـ ـوثبة العظمى إلى أسمى مجال
دعموا الوحدة من آساسها وبنوا صرح العلا سامي المنال
ينضح الإخلاص من أعطافهم عبق المجد ولألاء الخصال
نذروا الأنفس للذود عن الـ ـوطن الأكبر أرواحاً ومال
وبناء الوحدة الكبرى على أكرم الأهداف لا حلف الضلال[2]

وصنيع هؤلاء القادة هو أمل كل عربي مخلص لدينه وأمته ، وفي تحقيق الوحدة إنجاز وصنع لحلم جميل طالما راود العرب ، وطالما بحثوا عنه وسعوا إليه :

أملٌ رفّت إلى تحقيقه أنفس العرب بفخرٍ واختيال
بورك السعي وجلّت غاية تجمع العرب جنوباً لشمال[3]

(١) المجموعة الشعرية : ٣٥٩ .
(٢) الأنغام المضيئة : ٨٠ .
(٣) المصدر السابق : ٨١ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

وإن كان العقيلي لم يفصح عن السبل التي تؤدي إلى وحدة العرب وتجمعهم ، فإن الشاعر محمد السنوسي قد أشار إلى مفاتيح تلك الوحدة أو أهم مرتكزاتها وأسسها ، فيقول في إحدى دعواته إلى العرب بالوحدة والتكاتف :

يـا أيهـا العـرب الكـرام تكتلـوا　　صفـاً بوجـه الحادثـات متينـا
جمعتكمو الفصحى ووحّد شملكمُ　　ديـن أضـاء العالمـين قرونـا
فتأهبـوا للحادثـات وبـددوا　　ريبـاً تحـوم إزاءكـم وظنونـا
وخـذوا الطريـق عـلى البغـاة وحـاذروا　　أذنـاً وراء حديثكـم وعيونـا (١)

إن إرادة الوحدة العربية موجودة لدى أقطار الأمة كافة ، فإذا كانت هناك بعض الحواجز المصطنعة التي تفرق بين أبنائها ، فهي حواجز زائلة ، لا يمكن لها أن تستمر في عالم اليوم الذي تتكتل فيه القوميات المختلفة ، من أجل الوقوف في وجه التيار الاستعماري الزاحف ، فكيف بالأمة العربية التي يجمعها تاريخ واحد من النضال والأهداف والعقيدة .

إن الوحدة عندها حقيقة ماثلة ، والدليل عليها وحدة المشاعر في الملمات بحيث نرى الإنسان العربي يهتز ألماً وحزناً في كل أقطاره تضامناً مع أخيه العربي أثناء العدوان على أي قطر من العالم العربي الفسيح ، ولذلك عندما قامت جامعة الدول العربية حياها الشعراء ، وباركوها ، وتغنوا بها ، ولكنها واجهت كثيراً من الصعوبات والدسائس والمؤامرات التي صنعها الاستعمار ، إذ وقف الأعداء بكل ثقلهم وجهودهم من أجل إضعاف جامعة الدول العربية ، وجعلها هيكلاً شكلياً مفرغاً من معانيه السامية وأهدافه القوية التي قام من أجلها ، مما أوجد ردة فعل قوية لدى الشعراء وهم يرون صرحهم الشامخ ، ورمز وحدتهم يتهاوى ويتزعزع أمام الأعاصير ، ويكون كالريشة في مهب الريح ، ولا يصنع للأمة شيئاً في أحلك أزماتها ، وأصعب مواقفها ، فهب الشعراء

(١) شعراء الجنوب ، للسنوسي وآخرين : ١٠٥ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ينكرون ذلك الواقع ، ويلقون باللوم على كل شيء في حالة من الحزن والاستياء ، فالشاعر علي النعمي بعد أن عدد مناقب العرب في الماضي ، وريادتهم العظيمة ، وقيادتهم للبشرية ينظر إلى الواقع المر وضعف الجامعة العربية وفكرة الوحدة ، وعدم جديتها في صنع الواقع العربي المأمول ، فيقول :

واليوم ماذا يضمُّ اليوم من أملٍ ... يعيدُ للعرب والإسلام خير يدِ ؟
أضفت على الكون ضوءاً ساطعاً غمرت ... لألأوه الأرض إرهاصاً لمجدِ غدِ
بيروتُ بغدادُ والأقصى ويا ولدي ... لا تنكأ الجرح في الأفغان يا ولدي
دع السؤال بماذا عند جامعةٍ ... مبهورةٍ بمجالي تونسَ الجُدُدِ ؟
وبالتمزق للأعضا بغير هدى ... بين التمدّد والتمديد والمُدَدِ
لحلّ كلّ قضايانا التي قصمت ... ظهورنا مُذْ أطاح الفأر بالأسدِ
من لجنة لاجتماعٍ غير مكتملٍ ... إلى صياغة رأيٍّ غير معتمدِ
يهزنا ببنودٍ لا نفاد لها ... إلا اطمئنوا وإلا نحنُ بالصَّددِ
والأرض مسلوبةٌ منا وسالبها ... يختال فيها وحقُّ العرب لم يعدِ[1]

ويقول في قصيدة أخرى بعد اجتماع مهم للجامعة العربية :

ولسوف تسمع عن بيانٍ صادر ... أنّ الحقوق لأهلها ستعادُ
أما عن التنفيذ فاعلم أنه ... قلمٌ وقرطاسٌ بها ومدادُ

ويدعو الأمة العربية إلى نبذ الفرقة والخلافات التي مزقت الشمل وبدّدت الجهود ، قائلاً :

هذا التمزق قلّمي أضفاره ... وتجمعي لا يفلح الآحادُ
إن رمت نُجحاً في الحياة وعزةً ... فتوسلي بالله فهو عمادُ[2]

(١) الرحيل إلى الأعماق : ١٠٠ – ١٠١ .
(٢) المصدر السابق : ٤٧ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

وكانت الجماهير العربية رغم جراحها ومآسيها وتفرقها تغني أغاني الحرب ، وتدق طبول النصر ، وتصفق لعددٍ من القادة الثائرين المنادين بالقومية العربية والوحدة، والذين وعدوا الشعوب العربية بالنصر والوحدة والتحرير ، وإلقاء الأعداء في مجاهل البحار ، والتخلص منهم نهائياً وإلى الأبد ، بعد حرب شعواء أشد من حرب البسوس التي يعشق العرب ذكرها ، ولذا يقول الشاعر محمد بن علي السنوسي أحد أولئك العازفين على آلة الحرب وطبولها :

لا والذي فلق النوى لأشنها　　حرب البسوس ضراوةً وشراسا
حرب تدكّ الراسيات مرارة　　وتحطم الأنياب والأضراسا
حتى يعود الحقّ نحو نصابه　　يرضي النفوس ويبهج الإحساسا (١)

وقد استمرت حدة هذا التيار حتى نكسة العرب عام (١٣٨٧هـ - ١٩٦٧م) ، إذ خفت هذا الصوت بعد الشعور بالمرارة ، وزيف الدعاوي - كما سيأتي عند الحديث عن قضية فلسطين - .

((وكان بعض دعاة القومية خارج الجزيرة العربية صادقين في مبادئهم كل الصدق، مخلصين شرفاء ، ولكنهم جعلوها نعرة عصبية ، لا دينية ، وأقاموا وزناً كبيراً لغير المسلمين في الساحة العربية ، وقالوا : (الدين لله والوطن للجميع) ، والقومية بهذا المفهوم مستوردة دخيلة على حضارتنا وثقافتنا ، وإنما جر الناس إليها سياسيون ومفكرون وكتاب وأدباء بعضهم جاء بها متأثراً بالقوميات الأوربية ، ونظم الغرب وحضارته ، وكان آخرون من دعاتها قد أيدوها رد فعل على ماصنع الأتراك - عند إعلانهم الدستور - من تفضيل الأتراك ولغتهم على غيرهم من الشعوب العثمانية ، وآخرون نادوا بها لأنهم أقليات دينية ومذهبية ، فوجدوا فيها ما يتيح لفرقهم فرص الظهور والامتياز ... ، وفي غمار ذلك لم يفطن كثير من الناس إلى أن القومية شعار لا بد له من مضمون ، وليس للعرب مضمون إلا الإسلام نظام سياسة واجتماع وقانون تشريع، مع أنه دين وعبادة)) (٢) .

(١) الأعمال الكاملة ، للسنوسي : ٥٧٣ .
(٢) الشعر الحديث في المملكة العربية السعودية ، د. عبدالله الحامد : ٢٣١ - ٢٣٢ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وكان العرب وهم يرفعون شعار القومية العربية قد خلفوا الإسلام في المساجد والمدارس الدينية ، وذهبوا يبحثون عن نظم اقتصادية واجتماعية وسياسية جهلوها في الإسلام، وأصابوها في الشرق والغرب ، فكانت النزعات المختلفة ، من قومية واشتراكية ووطنية وسواها . وهذا ما دعا البلاد السعودية إلى امتصاص حدة القومية ، فقد بقيت محتفظة بأصالتها الإسلامية ، وصدت كل الرياح العاتية ، ولو وقفت المملكة العربية السعودية غير هذا الموقف لجانبت الصواب ، ولم تتمثل رأي العرب والمسلمين فيها .

و لا يخفى على منصف متأمل أن الدعوة إلى الإسلام شريعة ونظام حياة ، وحكم لا تتعارض مع الدعوة إلى جمع شمل العرب ، والعمل على توحيد صفوفهم ، وإقامة كيان لهم ، وأنهما تلتقيان إذا سلمتا من الرياح الغربية أو الشرقية ، وهي قضية فهمها الشعراء ، ومنهم شعراء جازان ، وصورها الشعر بوضوح ، دلالة واضحة على الوعي والنضوج الفكري ، وأبرز الشعراء الصلة الواضحة بين فشل القومية العربية وبعدها عن المنهج الإسلامي الذي يؤطّر دعوتها وأفكارها ، ولذا فكل ما حل بالأمة العربية في تلك الفترة من هزائم ونكبات هو بسبب فصل العروبة عن الإسلام ، والابتعاد عن كتاب الله وهدي رسول الله – ﷺ – ، فهذا الشاعر حسين النجمي يتحدث عن تاج العرب ومجدهم ، ومفاخرهم ورائع أيامهم ، فيقول :

هذا أنا العربي
أفخر بالمروءة والرجولة
عندما كنا وكان
أيام كنا سادة الدنيا
ونحمل تاجها
والصولجان

***

أيام كانت هذه الدنيا لنا
ليلاً تبدده بنور الله آيات السنا

شبكة الألوكة - قسم الكتب

قمراً يضيء الكون في ليل النوائب والخنا
ويعب من دمه
ويحرسه سنان [1]

ولكن العربي الذي هذا مجده ، وتلك أيامه أصبح في هذا العصر مهاناً ، يسفك دمه، ويقتل ، و لا فوارس يطلبون الثأر أو يحمون الديار ، فيقول :

هذا أنا العربي
أرسم خارطات المجد
لكني ... ببعدي
عن كتاب الله أقتل
أو أهان [2]

٢- الوحدة الإسلامية :

استمر الشعراء مندفعين بحماسة قوية في اتجاههم القومي ، ولكن التحول الذي طرأ بعد نكسة العرب في (١٣٨٧هـ - ١٩٦٧م) كان له الأثر الكبير في إصابتهم بردة فعل ضد النزعات القومية الغالية التي خدرت الناس ، وأسكرتهم ، وانكشف الأسلوب العاطفي في الأخطاء التي روجها التيار القومي ، ومن ثم خسرت محاولة عزل العرب عن المسلمين ، وعزل المسلمين عن العرب ، وانكشف الألم العربي ، وأصيب الجيل الرومانسي المتعب الذي لعبت به السياسة الحالمة آنذاك – أصيب بهزيمة نفسيه بعد الهزيمة العربية المنكرة ، ومن ثم أثبتت دعوة المملكة العربية السعودية إلى التضامن الإسلامي التي تبناها الملك فيصل بن عبدالعزيز - رحمه الله - نجاحها وأهميتها وجدواها ، فكانت وقوداً ملهباً للشعراء وهم يتلمسون الدفء والحرارة في النفوس ؛ للخروج من الوحل الثلجي القارس ، والبهرج القومي الزائف ، فعاد

(١) تأملات على مرافئ الغربة : ٢٢ .
(٢) المصدر السابق : ٢٢ – ٢٣ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الشعراء إلى كثرة الحديث عن الدين والوحدة الإسلامية ، وإلى وهج الإيمان الذي افتقد في نشوة النشيد القومي ، والسراب الخادع الذي سار نحوه العرب ردحاً من الزمن ، وبحثاً عن عودة قوية لاتحاد المسلمين ، فقد دعا الشعراء إلى نبذ الخلافات بين الدول الإسلامية ، ودعوا إلى العودة إلى التكاتف والتآزر ، ليقفوا ضد أعدائهم بكل قوة ، يقول الشاعر علي النعمي :

تفرّقتْ أُمَّةُ الإسلام وارتكست ... في هوّةٍ وبدى في وجهها الكَلَفُ
إحدى وسبعون لا هذي كتلك ولا ... تلك استراحت لهذي إنه التلفُ
كلٌّ يغنّي على ليلاه في شغفٍ ... بألف لحن وليلى ما بها شغفُ
وللأعادي سهامُ الغدر نافذةٌ ... فينا ، ويوقفنا عن نزعها الترَّفُ
تجمّعوا وافترقنا رغم قلتهم ... وما كذا السلف الأخيار يا خَلَفُ
أسلافُنا حاربوا الأعداء تدفعُهم ... عقيدةٌ صَلْبَةٌ في ظلها ائتلفوا
فحققوا النصر لكن نحن وا أسفا ... لم ندر من أين - فعلاً - تؤكلُ الكَتِفُ[1]

ولم يستطع الأعداء السيطرة على المسلمين ، والتغلغل بينهم ، والتسلط على ديارهم، وبث الدسائس بينهم إلا بسبب فرقتهم وتشتت شملهم ، فالشاعر علي النعمي خاطب قادة العالم الإسلامي المجتمعين في مكة أثناء انعقاد المؤتمر الإسلامي بقوله :

يا قادة الإسلام هل من عودةٍ ... لله قبل تصرّم الآجالِ ؟!
هل عودة نحيي بها مامات من ... أمجادنا فلكل مجدٍ والِ ؟
حتى نعيد كرامة مطعونة ... بالغدر في أرض ثراها غالِ
وجد الصهاينة اللئام خلافنا ... جسراً يبوؤهم مكاناً عالِ[2]

(١) الرحيل إلى الأعماق : ١٢ .
(٢) المصدر السابق : ١٧ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

ولما عاد الملك فيصل بن عبدالعزيز - رحمه الله - إلى التضامن الاسلامي ، وقفت بعض الدول الإسلامية ضد تلك الدعوة ، واتهموا الفيصل بأنه يبغي الزعامة عليهم ، ولم يدروا أنه يسعى إلى هدف أسمى ، وغاية أنبل من زعامة شكلية ، وإنما مقصده توحيد المسلمين تحت راية واحدة ، وأن يكون لهم صوت واحد ، ومن هنا فقد نعى الشعراء على أولئك المشككين في أهداف الفيصل وجهوده ، وراحوا يعاتبون الأمة، ويرفضون دعاة التشرذم والفرقة ، ورافعي الرايات المتعددة وأصحاب النظرات الأنانية والفردية القاتلة ، فهذا علي النعمي أحد أولئك الشعراء يقول :

مـا بـال أمـة أحمـد في حـيرة　　مـن أمرهـا مهـزوزة البنيـان ؟
في وضـعها ، في رأيهـا في فعلهـا　　في قولهـا القـاصي شـبيه الـداني
عـصفت بهـا أهواؤهـا فتفرقـت　　وغـدت وقـوداً في فـم البركـان
فغـدا بهـا الوطـن الكبـير برغمها　　متعـدد الرايـات والأوطـان
ضـاعت وأخجـل أن أقـول صراحـة　　ضـاعت بحـق أمـة القـرآن
كـل يقـول أنـا الـزعيم وفي يـدي　　صـوغ القـرار مـدعماً بـضمان
كـل يقـول أنـا المتـوج رأسـه　　في قومـه وأنـا الفـصيحُ لـساني
وأنـا أنـا مـن دانـت الدنيـا لـه　　طوعـاً وتعلـم مـن أنـا ومكـاني
ويزيـد بـؤس البائـسين غرامنـا　　بأنـا ، وهـل نـصر البئـيس أنـاني[1]

وقد حرص الأعداء على ألا تلتقي الأمة الإسلامية ، وهم الذين أسقطوا وحدتها ، وأزالوا خلافتها ؛ لأنه تأبى الرماح إذا اجتمعن تكسراً ، ولكنها إذا كانت منفرطة سهل كسرها ، ولذا فكلما تبرقُ بارقةِ الوحدة الإسلامية ، أو يظهر على الساحة السياسية شيء من بوادر اللقاء على الدين الذي يذيب كل الفوارق القومية والعرقية ، كلما يحدث شيء من ذلك يهب الشعراء مشجعين له ، ومحيين صانعيه والراعين له ،

(١) المصدر السابق : ٧٩ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ومكبتين الأعداء ، وموبخين سعيهم الذي سعوه ، ومطفئين نيران حربهم التي طالما أوقدوها ، يقول الشاعر علي النعمي محييا أحد المؤتمرات الإسلامية :

كم ردد الأعدا على سمعنا ... سخراً بأنا الدهر لن نلتقي
ولن نضم الصف في وحدة ... تجعلنا في الموقع الأليقِ
وأنه ليس لنا دائماً ... إلا صوى منطلق ضيقِ
ثم التقينا رغم آنافهم ... ورغم دس الشانىء الأحمقِ
وبان ما حيك لتفريقنا ... وانكشف الخصم اللدود الشقي
خابوا وخاب الظنُّ منهم ، وها ... قد وضع السلم للمرتقي [1]

وقد شدد الشعراء على أنه لا مكان في هذا العالم للأمم الضعيفة المتفرقة بعدما نقلت هذه الأمم صراعها من الأرض إلى الفضاء ، وهذه الأمة ينبغي أن تعود إلى سابق مجدها ، وقديم عهدها ، يقول محمد السنوسي مخاطباً كل مسلم :

أنت من أمة يلذ لها الموت (م) كفاحاً عن الحمى وذيادا
أنجبت خالداً وسعداً وما زالت (م) مدى الدهر تنجب الروادا
إنه المنطق الأصيل لعصر ... مستريب يجفو الهدى والرشادا
لم يعد فيه للضعيف مكان ... بعدما أصبح الفضاء مهادا [2]

ب- القضايا الخاصة :

إضافة إلى الشعر الذي تحدث عن قضايا العرب والمسلمين العامة ، فقد رافق الشعر في جازان صراع الإنسان العربي والمسلم مع الاستعمار والتخلف في شتى بلاد العرب والمسلمين، وواكبه ، فبكى الشعراء الحرية التي افتقدها إخوانهم ، وواسوا المشتكين والمظلومين المضطهدين ، وتفاعلوا مع قضاياهم ونضالهم وجهادهم في سبيل

(١) المصدر السابق : ٢٦ .
(٢) الأعمال الكاملة ، السنوسي : ٤٩٣ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

ذلك ، وتفاعلوا معهم شعورياً ومادياً وجسدياً ، وبكل صور الدعم والتعاون الممكنة والمتاحة ، ولذا فقد عاش كثير من شعراء جازان حياتهم مشاركين أمتهم الإسلامية آلامها وآمالها ، متحدثين عن الوطن الكبير ، مستشعرين آلامه المتعددة الجوانب ، فأصبحت قصائدهم تحمل أغاني الجراح ، وأهازيج الأماني المشتركة ، وتذكر بالأمجاد القديمة ، ومتطلعة إلى المطامح الجديدة بروح حماسية ، تمور بنفحات الإحساس بالمصير المشترك ، وأصبح الشعراء لا يقيمون وزناً لأدب لا يعيش مع واقعه ، وأصبحوا يتفاعلون مع كل ما يجري حولهم من أحداث ، ولذا نجد هذا الشعور يتردد في نتاج كثير من الشعراء، يقول محمد بن علي السنوسي معبراً عن تلك النغمات والهموم التي غلفت شعره :

وقد يمّمت نحوي الأماني وارتمت　　شواردها ما بين صدري وأحضاني
فأعرضت عنها زاهداً في نعميها　　وآثرت أن أشقى بخدمة أوطاني (١)

وانطلاقاً من هذا الشعور ، فقد تفاعل شعراء جازان مع أغلب قضايا العرب والمسلمين ، ورافقوا شتى مراحل الصراع العربي والإسلامي ضد الأعداء ، ومن أهم هذه القضايا :

١- قضية فلسطين :

كانت القضية الفلسطينية التي ما زلنا نعيش فصولها وآثارها المأساوية قتلاً وقصفاً ودماراً وإبادة منذ سنة (١٣٦٨هـ - ١٩٤٨م) ، حتى يومنا الحاضر ، هي المحرك الأول للهمم العربية ، والباعث الرئيس إلى كل تغير حصل في شتى أنحاء الأمة العربية ، وظلت القضية الفلسطنية القضية الكبرى التي تشغل العالم العربي ، وتشغل المكان المهم في الصراع الدولي ؛ نظراً لخطورتها ، ولم يستطع العالم أن يجد الحل المناسب لها ، ولذلك فقد كتب على الشعب الفلسطيني خاصة ، والشعب العربي عامة أن يحمل السلاح دفاعاً عن كرامةٍ مضاعة ، وحريةٍ مسلوبة ، وحقٍّ منتزع ، بعد أن ابتليت تلك

(١) شعراء الجنوب ، السنوسي وآخرون : ٨٦ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الأرض الطيبة المباركة بمؤامرات اليهود ، ومعاونة الصليبيين لهم للعدوان على الشعب العربي المسلم في فلسطين ، مما أدى إلى سفك دماء عزيزة لأبنائها ، واستشهاد ألوف منهم في سبيل الدفاع عن أرضهم ، والذود عن كرامتهم ومقدساتهم ، وتشريد عشرات الألوف منهم ، حتى يتمكن اليهود من تحقيق أملهم في طرد العرب من فلسطين ، واتخاذها وطناً قومياً يجمعهم ، ويلم شتاتهم بعد أن لفظتهم البلاد التي كانوا يعيشون فيها بالبغي والفساد، وبذلك أصبحت كارثة فلسطين جرحاً لا يندمل في قلب كل مسلم .

وقد فاض ديوان الشعر في جازان – كغيرهم من الشعراء العرب والمسلمين – بفيض من القصائد الحماسية الحارة ، التي لا يكاد يخلو منها ديوان لشاعر منهم ، وكانت هذه المشاركات معلماً بارزاً من معالم الشعر ، ومظهراً واضحاً من مظاهر النصرة ، واتجاهاً طغى على أعمال كثير من الأدباء ونتاجهم ، لا في جازان وحدها ، بل في سائر أجزاء الوطن العربي .

وقد بدأ الشعراء في جازان الحديث عن القضية منذ أيامها الأولى ، حيث ذكروا الأمة العربية بوشائج القربى ووحدة التاريخ والتراث ، حتى تتوحد أحاسيسهم وأهدافهم ، ويجسدوا وحدة مصيرهم بردع الظالم ، وإحباط وسائل ظلمه أيا كانت هويته ، وإنصاف المظلوم والوقوف معه حتى يحصل على حقه في تحرير وطنه ، ((**وقد ألقى الشعراء باللائمة على المستعمر الغادر (الإنجليز) الذين مهدوا الطريق لليهود ليقطنوا فلسطين ، ثم التحرك نحو مناوءة أبنائها من العرب ، والتحرش بهم ، واغتيال قياداتهم الصادقة المخلصة ، وما استتبع ذلك من المخطط العالمي الرخيص الذي أعطى فيه مجلس الأمن اليهود الحق في العيش على أرض فلسطين ، وإقامة دولتهم العبرية على ثراها ، فصدر قرار التقسيم ، وبدأت الأزمة تتعقد، وتأخذ أشكالاً أشد عنفاً وضراوة**))[1] .

فالشاعر محمد بن أحمد العقيلي في قصيدته (ملحمة فلسطين) تحدث عن تآمر الدول الغربية وقضائهم في مجلس الأمن بتقسيم فلسطين ، وإحلال اليهود في جزء منها،

(١) شعر محمد أحمد العقيلي دراسة تحليلية ، خالد الشافعي : ٢٦٦ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

كما هاجم الشاعر سكوت أمة العرب على ذلك الظلم ، وهي أمة مجد وسلالة عز ، معروف موقعها في التاريخ ، فغريب أن تسلب أراضيها ، ويستهان بها ، و لا يحذو جانبها ، وأغرب من ذلك سكوتها عن حقها ، وتذللها لدول الغرب المستعمر لحل قضيتها ، فيقول :

رمز القداسة في عنوان ملتكم　　ومهبط الرسل قد أودى بها الطمع
تآمرت دولٌ في فصم عروتها　　لم يثنها العدل أو يعدل بها الورع
قضوا بأمرٍ من التقسيم كاد له　　ينشقُّ وجه السما والأرض تنصدعُ
لو أننا أمةٌ بادت رجولتُها　　وانجاب عنها الإبا أو سادها الهلعُ
لما ارتضينا على ضيمٍ يقاسمُنا　　شعبٌ نفته بلادُ الله والبقعُ
أنَّى يكون وبيض الهندِ مصلتةٌ　　تبري الرقاب وأطراف القنا شرعُ [1]

ويلقي الشاعر باللوم على بريطانيا التي وعد وزير خارجيتها بإقامة دولة لليهود، ثم بعد فترة بدأ الانسحاب البريطاني من (فلسطين) ؛ ليمهد لليهود إقامة دولتهم ، وإعلانها على أرض فلسطين ، فمارسوا منذ ذلك الوقت جرائمهم الوحشية من قتل للرجال والنساء والصبيان ، وتشريد من بقي حيا ، وأسر الشباب منهم ، ورميهم في غياهب السجون والمعتقلات :

ما ديرياسين ما حيفا وما صفد　　إلا فلائذ من أكبادنا اقتطعوا
غالوا الرجال ونالوا كل محصنة　　بالعار لم يثنهم عرف ولا ورع [2]

فمكر الإنجليز ووعدهم بإقامة دولة لليهود عالجه كثير من الشعراء ، وها هو العقيلي يناقش هذا الأمر نقاش العالم ببواطن الأمور ، المدرك لخفايا السياسة البريطانية وما تبيته من سوء نيّة ضد العرب والمسلمين :

(١) المجموعة الشعرية : ٦٨ .
(٢) المصدر السابق : ٧٠ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

فـلا سـقى الله عهـد الانتـداب ولا رعـى لأمتـه وعـداًوإن قطعـوا
وعـداً مـلاه اضـطغان الحقـد دعّمَـه لـؤم التعـصب لا الإنـصاف والتبـعُ
حتى إذا آنسوا من ضعف من كفلوا قـوى تحقَّـق للأمـر الـذي شرعـوا
تظاهـروا أنَّ حمـل العـبءِ نـاءَ بـه ظهرُ التحمّـل فـوق الـصبر ما يسعُ
تجلبيـوا مـسح الرهبـان وابتـدروا في مسرح السلم في الدور الذي وضعوا
وحـددوا أجـلاً للانـسحاب علـى وتـيرة طالمـا أوتارهـا قرعـوا [1]

ثم ما كان من بريطانيا والدول الأخرى المستعمرة ، إلا أن أيدت دولة الصهاينة لدى إعلانها مباشرة ، واعترفت بها ، وتبنت نصرتها ، ليضعوا الإنسان العربي أمام الأمر الواقع :

ران الـضلال وسـاد الطـيش في فئـةٍ مـن اليهـود حـدا آمالهـا الطمـعُ
فـأعلنوا في ظـلام اليـأس مـن حمـقٍ لدولـة في حبـال الـوهم تكتـسعُ [2]

والشاعر علي بن قاسم الفيفي يتحدث عن خسة الإنجليز الذين أعطوا وعداً لليهود ، حيث منحوا أرضاً لا يملكونها ، وأعطوها لمن لا يستحقونها ، ولكن مهما طال الزمان ستعود الحقوق لأهلها ، يقول :

وعـدُ (بلفـور) أيُّ وعـدٍ أثـيمٍ هـل جـرى مِثلُـهُ بـأيِّ العهـودِ
منحـوا أرضـنا ولا كاليتـامى حـين يقـضى بحقهـم للبعيـدِ
خـسئوا دونهـا شرابُ المنايـا وسـقوطُ الـشهيد تلـو الـشهيدِ [3]

والشاعر علي النعمي أكد على أن دعم الغرب لليهود الصهاينة ؛ سببه هو أن يكون لهم وجود في بلاد العرب والمسلمين ؛ لتكون إسرائيل يدهم في المنطقة ، حتى وإن كان استعمارهم قد انزاح ، فهم باقون ، ونفوذهم موجود وتلك الزمر التي زرعوها ، ونموها ، فيقول :

(١) المصدر السابق : ٧٤ .
(٢) المصدر السابق : ٧٥ .
(٣) ومض الخاطر : ٣٢ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

الله يعلـــم أنهـــم مـــا هـــاجروا　　أو أبعـــدوا مـــن أرضهـــم لـــزوالِ
أو أرســـلوا زمـــراً إلى أوطاننـــا　　إلا لقتـــل الـــشيب والأطفـــالِ
إلا لإحـــراق المـــزارع عنـــوة　　والفتـــك بالحرمـــات والإبـــدالِ
والـــبطش بـــالأرض العزيـــز ترابهـــا　　أو ضمهـــا لحثالـــة الأنـــذالِ
إلا لبـــسط نفـــوذهم مـــا نـــوصرت　　يمنـــاهم - كيـــدا لنـــا - بـــشمالِ
والأمـــر أوضـــح مـــا يكـــون دلالـــة　　في كـــل مـــا نلقـــى مـــن الأهـــوالِ [1]

وقد حث الشعراء منذ بداية الصراع على إعداد القوة اللازمة ؛ لاستعادة بلاد العرب والمسلمين ، والنضال ، والثورة على المستعمرين والمحتلين ، مستلهمين في ذلك أمر الشرع بالجهاد في سبيل الله ، وقانون المدافعة ، وإثبات الوجود ، ونبض الحياة في الأمة ، فالشاعر العقيلي يبين أن الحياة قائمة على النضال ، وأنه لولا الجهاد لما عمرت المساجد أو بقيت طاهرة ، ولولا الرجال الذين يبذلون أنفسهم لما صنع التاريخ ، ولما رويت الأمجاد ، فيقول :

إن الحيـــاة نـــضالٌ لـــيس ينقطـــعُ　　ومرتقًـــى لـــسبيل الخلـــد يتجـــعُ
إن التنـــازع في حـــقِّ البقـــاء سمـــا　　بـــه القـــوي وبـــاد الخانـــع الـــضَّرِعُ
لـــولا الجهـاد وبـذل النفس ما عمرت　　مـساجدٌ طُهّـرت أو شُيّـدت بيـعُ [2]
لـــولا الـضحايا عـن الأوطـان شـاهدةٌ　　مـا كـان للمجـد في التاريـخ متّسعُ [3]

ويهيج بعد ذلك أبناء العروبة والإسلام ، مذكراً إياهم بالجرح النازف من فؤاد الدين وجبين العروبة ، ذاك الجرح هو (جرح فلسطين) :

إن الحقـــوق تنادينـــا فهـــل ســـمعت　　أذن تعـــي أو قلـــوب ملؤهـــا الطبـــعُ ؟

---

(١) الرحيل إلى الأعماق : ١٧ .

(٢) الشاعر في هذا البيت يستوحي معنى الآية الكريمة في سورة الحج ، آية رقم (٤٠) : { **ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدّمت صوامعُ وبِيَعٌ وصلواتٌ ومساجدُ يذكر فيها اسم الله كثيراً ..** } .

(٣) المجموعة الشعرية : ٦٧ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وتقتضينا ديوناً لا وفاء لها إلا الدماء على وجه الثرى دفعُ
هنا لك الدين مكلوم الفؤاد أسى والضاد قد مزّقت أوصاله الجشعُ
وللعروبة جرحٌ غائرٌ عجزت عنه الأساة وفي أحشائي الوجعُ [1]

وتركز حديث كثير من الشعراء في قضية فلسطين على رصد الصراع الذي دار بين الجيوش العربية وإسرائيل ، ووصف المعارك التي دارت رحاها على تلك البقاع الإسلامية الطاهرة ، بدءاً من المعارك الأولى التي حصلت سنة (١٣٦٨هـ - ١٩٤٨م)، تلك المعارك التي سبقت إعلان الدولة العبرية في جسم الأمة الإسلامية ، وقد كاد العرب أن ينتصروا فيها، لولا التآمر الذي حصل من الدول الغربية لإنجاد اليهود وإنقاذهم ، بدوافع الحقد الصليبي والمزاعم العقدية النصرانية ، وما خدعة الهدنة التي رفعوا رايتها - آنذاك - إلا وسيلة خبيثة ليلتقط اليهود أنفاسهم ، ويستردوا قوتهم بعدما كادت الهزيمة أن تستأصل شأفتهم ، وفي هذا يقول الشاعر محمد بن أحمد العقيلي في قصيدة له شارك بها في بدايات الصراع الأولى ، يقول:

لقد قذفنا بأشواس غطارفةٍ هم الطلائع للتحرير تندفعُ
نماذج من شباب العرب قد دفعت عربون نصر بعبء الغزو تضطلعُ
فكان منهم لصهيون الزعاف وللـ ـعدا التلاف ، واسم العرب يرتفعُ
لو لم تبادر إلى إنجادهم فئةٌ ورا الستار يحفّزُ سعيها الجشعُ
لاستأصلت شأفة الأقوام وانتشرت آمال صهيون لم تنفعهم الخدعُ
لله يوم جنينا النصر عن كثبٍ لولا المقادير كاد الظلم يجتدعُ [2]

ويشيد الشاعر بواحد من أولئك الأبطال المجاهدين الذين وقفوا ضد اليهود ومن يعاونهم ، وأبلوا بلاء حسناً ، وعطروا بدمائهم تلك الأرض المباركة ، ذلكم هو

(١) المصدر السابق : ٦٨ .
(٢) المصدر السابق : ٧٣ - ٧٤ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

الشهيد عبدالقادر الحسيني ، أحد القادة المشاركين في بدايات الصراع بين المسلمين واليهود في فلسطين ، فيقول فيه :

وقائد الجيش حامي القدس منتشياً　　من خمرة النصر تزهى فوقه الخلعُ
كأنه البدر في ضاحي تألقه　　من نوره حجب الظلماء تنصدعُ
لهفي عليه ولهف العرب من بطلٍ　　مزمّلٍ برداء الفخر يدرعُ
شهيد حرب قضى في الله مصرعه　　على الفوراق حتى بادت النزعُ (١)

وفي وصف الشاعر العقيلي للمعارك الطاحنة التي دارت بين العرب وإسرائيل ، لدى إعلان دولتهم ، يلمح فيه قدرته الفنية على الجمع بين نظرة الشاعر المبدع ، والمؤرخ المحقق، حيث قدم في شعره للمتلقي حقائق تاريخية تلفها باقة من الإبدعات الفنية ، اعتمدت الصور الحركية المتتابعة مع بروز العاطفة الجياشة التي ترددت بين الحماسة والفخر حيناً ، وبين الهجاء والاستنكار حيناً آخر ، استمع إليه وهو يصف ساعة الصفر، وبدايات المعركة ، وما حدث بعدها من خيانات وتآمر ، فيقول :

وليلةٍ من ليالي الدهر خالدةٍ　　فريدة في جبين العصر تلتمع

* *

وقد دنا الموعد المحتوم واقتربت　　من ساعة الصفر ما يأتي وما يدعُ
دوى النفير فثارت من معاقلها　　أسد الشرى كلظى البركان يندفعُ
فأطلقت قاصفاً كالرعد تتبعه　　صواعق بشواظ البرق تشتفعُ
مادت له الأرض وارتجت جوانبها　　فاندك مستحكم وانهار مرتفعُ
وأرسلت مارج النيران في نسقٍ　　من القنابل في أهدافها تقعُ
وأسبلت وابلاً من آنك هطلت　　سحابة الموت للأرواح تنتزعُ (٢)

(١) المصدر السابق : ٧٤ .
(٢) المصدر السابق : ٧٥ – ٧٦ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ثم بعد ذلك يصف العقيلي الهجوم العربي القوي بعد تدميره كلّ ما اعترضه من حدود وعقبات وعراقيل ، بعد الضربات الجوية الموفَّقة ، مضمناً الشاعر أبيات المتنبي في مديحه لسيف الدولة ، فيقول :

حتى إذا أمرعت أرض الحدود دماً من العدا وعلى الأعقاب قد رجعوا
سارت طلائعنا في إثرهم خبباً على زواحف بالفولاذ تدرعُ
تطوي الثرى وتحسُّ القوم عن كثب حسا وقد فر منهم ضعف من صرعوا
(للسبي ما نكحوا والقتل ما ولدوا والنهب ما جمعوا والنار ما زرعوا)
وصبحتهم نسور الجو حائمةً في غارة من رجوم الشهب تنصدع
في عارض زجل الأصوات تمطرهم صواعقاً من تلظي وهجها قرعوا
ذم (ابن غريون) عينيه وقد طلعت سود الغمام فظنوا أنها قزعُ)
فرن مذياعهم مستصرخاً نحباً مولولاً كالثكالى مسها الجزعُ [1]

وقد استجاب صانعوا إسرائيل لنداءاتها وصرخاتها ، فعملوا على إنقاذها ونجدتها بمؤامراتهم ودسائسهم وأسلحتهم ، وقامت شوكة صهيون ونمت ، وسعت عصبة الأمم بكل وسائلها لدعم قيام تلك الدولة العبرية ، ولكن الشعب الفلسطيني المظلوم والمكلوم لم يتوقف عن السعي بكل ما أوتي من وسائل في سبيل تحرير أرضه ، واستعادة وطنه ، وانطلق الشعب الفلسطيني على طريق النداء ، إحقاقاً لحقه ودفعاً للظلم ، وقهراً للطغيان المتمثل في الطغيان الصهيوني العنصري الذي لم يقم وزناً للحرمات والمقدسات والإنسان ، والذي استخف بكل القيم الإنسانية ، فضلاً عن استخفافه بالإرادة العربية وبالتاريخ العربي والإنسان العربي والمسلم في كل مكان ، فكان العمل الفدائي والجهادي رد فعل على هذا الاستخفاف بالقدرة العربية، وبالتمسك بالأرض والحق والشرف والمقدسات ، وقد غنى الشعراء للساعد الفدائي الذي وضع يده على زناد البندقية منذ عام ١٣٨٥هـ - ١٩٦٥م) ، منطلقاً من مبدأ

(١) المصدر السابق : ٧٦ – ٧٧ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

(اضرب واهرب) الذي ساد آنذاك ، بعد أن رأى إخفاق العرب والمسلمين عن عمل شيء من أجل فلسطين ، وكان الحديث عن (فتح) آنذاك والفداء نشيداً على كل لسان ، يقول محمد بن علي السنوسي مصوراً ثورة الفدائيين ، وقدرتهم على إرعاب اليهود ، وتحويل حياتهم إلى جحيم لا يطاق ، وذلك في قصيدته (حديث فدائي) :

أأنت تقول إن يدي قصيره　　وإن عشيرتي بئس العشيره
وإن مدافعي خطب طوال　　وأسلحتي تصاريح مثيره
وإني لن أعود إلى بلادي　　ولن ألقى مغانيها النضيره
كذبت فإنني وأنا الفدائي　　سليل أبي عبيدة والمغيرة
جعلتك يابن إسرائيل رعبا　　تعيش من المخاوف في جزيره (١)

ويوضح بعض وسائله في إرعاب العدو وإرهابه ، وزعزعة الأرض من تحت أقدامه ، وجعلها ناراً تلظى ، فيقول على لسان أحد الفدائيين يخاطب عدوه اليهودي :

شننت عليك نار الحرب حتى　　سلبتك نعمة العيش القريرة
زرعت لك الثرى ناراً تلظى　　وأشعلت الرؤى حمماً مبيره
تنام على رؤى الأشباح ذعراً　　وتصحو ملء جلدك قشعريره
ترى في كل منعطف رجالاً　　كألسنة الجحيم المستطيره
أعاصيراً إذا هبوا وناراً　　إذا وثبوا وأفئدة جسوره (٢)

ولم يكن الحديث عن نكبة عام (١٣٦٨هـ - ١٩٤٨م) وما بعدها كثيراً أو متنوعاً إذا قورن بشعر نكسة عام (١٣٨٧هـ - ١٩٦٧م) ، لأسباب كثيرة منها : أن النكبة الأولى لم تكن في عنفها وتدميرها كالثانية ؛ ولأن النكسة جاءت إخفاقاً بعد ترقب النصر الموعود ؛ ولأن الشعراء لم يكونوا بتلك الكثرة في النكبة الأولى ، ولذا فقد بكى الشعراء في النكسة عام (١٣٨٧هـ - ١٩٦٧م) بدموع غزار التشريد واللاجئين ، بل المأساة المدمرة التي

(١) الأعمال الكاملة : ٤٩٤ .
(٢) المصدر السابق : ٤٩٥ - ٤٩٦ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

زادت الاستعمار قوة ، كان العرب يريدون تحرير فلسطين ، فأسلموا القدس والضفة الغربية وغزة ، وسيناء والجولان ، كانت مصيبة نكراء ، تصور جانباً منها الخيام التي تمتد في كل مكان في الأردن وسوريا ولبنان ، لها أول وليس لها آخر ، وكان حديث الشعراء وبكاؤهم الأمة يترجم إلى أسئلة حارة ، واستفهامات صارخة ، فهذا الشاعر علي صيقل كان يتمنى أن يصنع العرب أي شيء ولو كان يسيراً ، ولكنهم دخلوا ساحة المعركة ، وغابوا عنها ، وذلك في قصيدته (من مذكرات عام ١٩٦٧م) ، حيث يقول :

في ذاك العام
لو أنَّا أسقطنا طائرة .. ثنتين
ثلاثاً ..أربع ..
لو وصل العدد إلى العشرين ..
كان الأمر ...
يهون قليلاً
لكنّا .. لم نفعل شيئاً
كنا .. نتساقط في أرض المعركة
كنا نتأرجح
كنا نتقهقر ...
نتقدم متراً .. نتأخر مترين ..
نتراجع .. ميلاً ..
في ذاك العام
النكسة .. كانت مأساة
كانت عاراً .. كانت أفظع .. [1]

(١) ترانيم على الشاطئ : ٣١ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

وكان لهث الأمة آنذاك وراء الثقافات الحزبية ، وانقساماتها إلى يمين ويسار ، ودخولها إلى أتون الحرب الباردة برَّد منها كل شيء ، وغابت منها كل نقاط القوة والعزة، كما يقول أحمد الحربي :

قف على كل خطوط العرض واسأل ..
سوف تلقانا كرأس الفاصلة ..
وعلى لفتها الأولى جرينا في انحدار
وتعرفنا على الأحزاب حتى
غرقت فينا الثقافات وغيبنا
نقاط الضعف والقوة عن
كل اليمينيين أصحاب اليسار ..
وتعلمنا جميع الأنظمة
وتدرجنا سويا
في خطوط الطول والعرض رسمنا
خطوات العالمين
وانتهينا
في بدايات الحروب الباردة ... (١)

لقد قلبت نكسة حزيران الموازين العسكرية في المنطقة ، كما قلبت الموازين النفسية للإنسان العربي الذي أخذ يراجع حساباته بدقة ، ويتأمل أماكن الضعف التي استطاع الصهاينة الدخول منها ، وقد عبر الشعراء عن أحاسيسهم التي خلفت الهزيمة بها جرحا لا يندمل ، ونطقوا باسم الناس الذين شعروا بخيبة الأمل وإخفاق الرجاء ، وأفاق الإنسان العربي من ذلك التخدير الإعلامي الذي صاحب استعداد العرب لخوض المعركة الفاصلة ، وزعمهم أنهم سيلقون بإسرائيل في البحر ، فصحا الناس يوماً، فإذا بإسرائيل قد احتلت أضعاف مساحتها ، فأصابت كرامة الإنسان العربي في

(١) تقاسيم على جذع نخلة الوادي : ٦٧ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الصميم ، وتركت إحساساً بالغربة والإهانة والضياع ، والحزن ودعته يعادل الهرب من ذلك الواقع المحزن إلى أي شيء خجلاً من الحاضر الحزين ، يقول محمد السنوسي :

هـدأ الليـل فاهـدئي يـا مـشاعر ودعينـي مـن الـرؤى والخـواطر
هـدأ الليـل وانطـوت في دياجيـ ـه قلـوبٌ كليمـةٌ ونواظـر
لم تعـد مهجـتي يـرف هواهـا للحـون المنـى وعـزف المزاهـر
بـات قلبـي يحـن شـوقاً إلى المـاضي (م) وروحـي تـئن حزنـاً لحاضـر

ثم يشير إلى سبب حزنه ، وهو قعود الخلف عن تحصيل المجد ، وتفرقهم ، وموت العزائم في نفوسهم ، ولو أنهم وحدوا صفوفهم لما هزموا ، يقول :

كيف أضحى أحفادهم يافلسطين (م) صغـاراً لا يأنفـون الـصغائر
بـردت في دمائهـم نخـوة العـز وماتـت تلـك الـسجايا الحرائـر
فهـم القـوم عُـدَّة وعديـداً لـو تـصافت قلوبهـم والـسرائر[1]

بل نلمح انعكاس الهزيمة على بعض الشعراء ، أنهم ملوا وسئموا من جعجعة العربي وفخره الوهمي ، الذي ليس له أي صدى في الواقع ، وسخروا من ذلك الطنين ، فالشاعر أحمد الحربي أحد الذين انعكست الهزيمة على شعرهم إحساساً بالهوان ، والسخرية من الهتاف العربي ، والفخر الوهمي ، فيقول :

وسام من جبين الوهم
ألبسه على صدري
أتمتم في متاهاتي
أنا العربي
أنا الآتي
أنا العربي أنا الآتي [2]

(١) الأعمال الكاملة .
(٢) رحلة الأمس : ٥٢ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

وقد كان لهزيمة حزيران ١٩٦٧م أثر إيجابي على الإنسان العربي ، فقد جعلته يفكر في واقعه ، بعد أن كشفت له طريقه الضبابي الذي كان يسير عليه ، وأصبحت بمثابة النور الذي أضاء الطريق ، وأنار العقول ، وفتح الأعين ، وقد كانت ضربة قاسية، إلا أنها كانت بداية الولادة للإنسان ، فإذا كان النصر لم يحالفنا في حزيران ، فليكن حزيران ميلاداً جديداً لإرادة النضال الجديدة ، فالأمة ما زالت فيها بقية من حياة .

وكان أبرز الردود على الهزيمة ، ظهور المقاومة الفلسطينية التي أنعشت الآمال ، وخضبت بدماء الفداء والأمل أرض فلسطين ، وأعادت إلى الإنسان العربي اعتزازه وثقته بقدراته وبنفسه ومستقبله ، وسقط الشهداء تلو الشهداء ، ووقف الشعراء صفاً واحداً يهنئون البطولة والأبطال ، ويفتخرون بتضحياتهم وسمو أهدافهم ، يقول الشاعر محمد بن علي السنوسي :

أفدي الأولى بذلوا الأرواح خالصة　　لله، للوطن المنكوب للشرفِ
دارت كؤوس المنايا الزرق فائضة　　فعبَّ كل كريمٍ ماجدٍ أنفِ
وما بنى المجد إلا كل مقتحمٍ　　بنفسه غمرات البأس والتلفِ

إلى أن يقول :

سمت بكم هامة التاريخ أفئدة　　هبّت تناهض بغي الغاصب السَّرِفِ
نباضة بدم الإيمان أزعجها　　صوت الضعيف بكف الخانق العنفِ[1]

وكان الرد الآخر على الهزيمة ، حرب الاستنزاف التي خاضها الجيش المصري على ضفاف القناة ضد العدو الصهيوني ، إصراراً على مواجهة التحديات ، ورفض الهزيمة التي لم تزده إلا صلابة وإيماناً واستبسالاً في طلب الحق ، وإعادة الأرض والكرامة ، وقاتل الشعب المصري بكل إمكاناته المتوافرة من أجل أن تشرق على الوطن راية الحرية والسلام ، واستمر كذلك الجهاد العربي نداءً واستنزافاً واستعداداً للمواجهة الحاسمة سنوات شتى ، حتى كان

(١) شعراء الجنوب ، للسنوسي وآخرين : ٧٩ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

فجر العاشر من رمضان المبارك سنة ١٣٩٣هـ الموافق للسادس من أكتوبر سنة ١٩٧٣م عندما هبت حجافل الجيوش العربية لتخوض معركة التحرير والكرامة ضد العدو المتغطرس ، لتلقيه درساً بليغاً في الصمود والتضحيات ، ولتعيد للإنسان العربي ثقته بنفسه وثقة الناس التي تزعزت به ، فالشاعر علي بن حسين الفيفي كان أحد الجنود المشاركين في المعركة ، وقد حياها وحيا جنودها الأبطال ، بقوله مفتخراً بأخذ الثأر :

أنت في سيناء والجولان عنوان الفداء
قد تركت الغاصب العاتي بصف الجبناء
وأخذت اليوم بالثأر لكل الشهداء
ورفعت الرأس من بعد ذهول وانحناء

***

أيها الجندي في الجولان في ساح المعارك
إننا منك قريب عن يمينك عن شمالك
جيشنا الباسل قد جاءك في الحرب يشارك
فادحر الأعداء بالحرب بعيداً عن ديارك (١)

والشاعر علي بن محمد صيقل في قصيدته (رمضان وأجمل الذكرى) ، افتخر بذلك النصر ، ورأى أنه قد رد للعرب اعتبارهم ووزنهم ، فيقول :

وحرب العاشر المبروك ... قد أعلت لنا قدرا
سحقنا منهم الهامات ... أحبطنا لهم أمرا
ودسناهم بأقدام ... قصمنا منهم الظهرا
فكم قد دبروا كيداً ... وكم حاكوا لنا شرا
رددنا الصاع صاعين ... أعدنا بدرنا الكبرى
وأثبتنا لهم أنا ... نجيد الكر والفرا

(١) رحلة العمر : ٧ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

وأنـــــا أمـــــة مهمـــــا　　تمـــــادوا نحـــــرز النـــــصرا
ففـــــي أعطـــــاف ماضينـــــا　　روائـــــع تبهـــــر الفكـــــرا
ومـــــن أحـــــداق حاضرنـــــا　　تطـــل عـــلى الـــورى البـــشرى [1]

والشاعر محمد بن علي السنوسي حيا معركة الكرامة في الأردن بعد استعادة الأردنيين بعض أراضيهم المغتصبة ، فيقول في قصيدته (يوم الكرامة) :

ســـقى الأردنَّ هطـــال الغـــوادي　　وحيَّـــا شعبـــه العـــربيَّ عنّـــي
فكـــم هـــزت بطولتُـــه فـــؤادي　　وأحـــسن بالعروبـــة ســـوء ظنِّـــي
وكـــان صـــموده الجبـــار درعـــي　　وكـــان ثباتـــه الـــراسي مجنِّـــي
ورد لي اليقـــين بـــأن قومـــي　　وإن صـــبروا عـــلى حيـــف وغـــبنِ
هـــم الأعلـــون عزمـــاً وانطلاقـــاً　　إلى يـــوم العـــراك المرجحـــنّ
ومـــا يـــوم الكرامـــة وهـــو يـــوم　　لـــه مـــا بعـــده وزنـــاً بـــوزنِ
ســـوى يـــوم أغـــر الـــشمس تـــسمو　　بـــه الأيـــام في نـــصر أغـــنِّ [2]

وقد أشاد الشعراء بالبطولات الفذة للمقاتلين العرب الذين حطموا خط (بارليف) الشهير ، الذي وضع ليكون أسطورة منيعة يصد العرب عن الوصول إلى أراضيهم المغتصبة ، ولكن السدود والموانع تقف حاجزة أمام كل شيء ، إلا الحق الذي يدافع عنه أهله ، وفعلاً استطاع العرب في لحظات اتحادٍ وتعاون أن يحطموا أغنى خطوط الدفاع في الحروب الحديثة، ويضربوا أروع الأمثلة في التحدي ، وكانت الضربة الكبرى التي سمى بها الشاعر علي بن حسين الفيفي قصيدة له في هذا الشأن ، يقول فيها مفتخراً بهذا الإنجاز في انتصار العاشر من رمضان :

عـــشية رفرفـــت رايـــات مـــصر　　عـــلى أرض القنـــال بـــضفتيها

(١) ترانيم على الشاطئ : ٤٧ .
(٢) الأعمال الكاملة : ٤٨٥ – ٤٨٦ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

بكت مائير في هلعٍ وذعرٍ　　وأعلنت الحداد على بنيها
بكت أبناء إسرائيل لما　　رأتهم يهرعون أتوا إليها
وخطهموا المنيع عدت عليه　　أسود ما المخاوف تعتريها
فإن تبكي هزيمتها جهاراً　　فقد أبكت أكابر مجرميها

إلى أن يقول :

نصحنا أن تعيد قنال مصر　　ولكن النصيحة لم تعيها
لقد كانت تهددنا بحربٍ　　ولكنا أعدناها عليها
فكانت ضربة في الرأس أعمت　　بصائرها وهدت ساعديها (٥٣)

وحيا الشعراء - أيضاً - في هذا السبيل دعوة الملك فيصل إلى الجهاد ، ثم منع النفط عن التدفق إلى أعوان إسرائيل ، فكان سلاحاً فاعلاً في المعركة ، فعن دعوة الفيصل إلى الجهاد ضد الصهاينة ، يقول محمد بن علي السنوسي :

لفلسطين أن تشد الزنادا　　وتحيي الزبير والمقدادا
ليس إلا الجهاد طبا لصهيون　　فطغيانها تمادى وزادا
قالها فيصل ، وفيصل إن قال　　يهز القلب والأكبادا
يا فلسطين قد أجاد المنادي　　حين نادى وقد أجاب المنادى (٥٤)

وممن مجدوا صنيع الفيصل في استخدام سلاح النفط في المعركة الشاعر علي بن مديش بجوي ، وذلك في قوله :

الشرق زلزله في صمت متئدٍ　　ولم يجد مطعما في قطرنا الذهبِ
والغرب أقلقه في حين قولته　　لا ضخ عندي حتى القدس للعربِ
توقفت حركات الغرب أجمعها　　فكم مصانع أضخت وهي كالخربِ

(٥٣) رحلة العمر : ١١١ – ١١٢ .
(٥٤) الأعمال الكاملة : ٤٨٧ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

والبرد يلسعهم في خير ما دعة　　كالصل مثقلة بالسم والعطبِ (٥٥)

وكثر حديث الشعراء في هذه الحرب عن قدرة العرب على استخدام أسلحتهم كافة، وأنهم يستطيعون متى ما أرادوا أن يحنوا كثيراً من الهامات التي تطاولت عليهم ، وممن بشروا وفرحوا بهذا الإنجاز الشاعر علي بن حسين الفيفي في قوله :

أي بشرى غمرتنا نحن أبناء العروبة

إلى أن يقول بعد ذلك :

ورأينا فيصل الإسلام تمتدُّ يداه
بذل المال ونادى والدنا تخشى نداه
منع البترول عمن ناصروا جهراً عداه
فانحنت هامات أقوام ولم يخلع رداه (٥٦)

ومن الظواهر التي أحدثتها نكسة عام ١٩٦٧م في الإنسان العربي ، هو تحول اللغة الشاعرية والإعلامية ، حيث حلت الدعوة إلى الجهاد بدلاً من الثورة والنضال ، وربط الإنسان العربي شاعراً أو غير شاعر ربط العروبة بالإسلام ، بدلاً من القومية الضيقة التي فقد بها العرب أراضيهم ، وفرقتهم أكثر مما جمعتهم ، وبرزت لغة الانطلاق والأمل ، وحلت محل اليأس والإحباط ، نلمح هذا عند الشاعر محمد السنوسي مثلاً في قصيدته – التي سبقت – حيث يقول :

ليس إلا الجهاد طباً لصهيو　　ن فطغيانها تمادى وزادا
أفلس المنطق السليم مع القوم　　وبات الكلام لغواً معادا
حصحص الحق وانتهى كل شيء　　كان يرجى أو كان يخشى فعادا (٥٧)

إلى أن قال :

---

(٥٥) نبض القوافي : ١٢٦ .
(٥٦) رحلة العمر : ٦ .
(٥٧) الأعمال الكاملة : ٤٨٧ – ٤٨٨ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

يـا أخـي يـا أخـا العروبـة والإسـلام (م) قـم نـنفض الأسـى والحـدادا
قـم بنـا نكتـب البطولـة بالـدم (م) زكيـاً فقـد سـئمناً المـدادا (٥٨)

وفي الشعر الذي قيل بعد النكسة ، تحدث الشعراء فيه كثيراً عن مدينة القدس والمسجد الأقصى الذي أخذ حيزاً كبيراً من اهتمامهم ، ومثل جانباً مهماً من القضية الفلسطينية ، منطلقين في ذلك الاهتمام من شعور ديني مليء بالمرارة لاستلاب مسرى نبي الأمة وقائدها ، وضياع ثالث المساجد المهمة في الإسلام التي لا تشد الرحال إلا إليها ، عهدة عمر – رضي الله عنه – ، وموطن قبة الصخرة ، ولذا فقد حفل ديوان الشعر في جازان بكم كبير من الشعر الخاص بالقدس والمسجد الأقصى فيه عشرات القصائد ومئات الأبيات ، مليئة بالحزن والأسى على ضياع تلك البقاع الطاهرة ، وتدعو المسلمين إلى استعادتها ، فهذا الشاعر مهدي الحكمي يتحدث عن مأساة القدس وآلامها تحت الاحتلال اليهودي ، ونسيان المسلمين لها ، فيقول :

هذه القدس تناجيك بدمع لم يدع للعذر معنى أو مجال
تمضغ الآلام تكوى بالأسى تصلى بنار الاحتلال
غرقت في بحر قادات السياسات وأرباب النضال
عجباً ...
كيف نسينا غادة تشكو من الداء العضال
عجباً
كيف نسينا (قبة الصخرة) أم كيف نسينا
آية الحسن التي سطرها في الزمن الماضي رجال
كيف ننسى دوحة اللوز ومغنى البرتقال
أه ما أقسى حياة الذل بعد العز
ما أقسى الركون .. بعد عزم وقتال (٥٩)

(٥٨) المصدر السابق : ٤٩٠ .
(٥٩) لا تسلني عن جراحي : ٢٦ – ٢٧ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

ويتساءل الشاعر أحمد الحربي عن سبب هذا النسيان المجحف الذي تلقاه القدس من المسلمين ، وهذا السكوت عن الحق ، وجهل أبناء المسلمين بقضاياهم ، واشتغالهم بتوافه الأمور ، فيقول :

لا تسل عن رحلة الإسراء والمعراج
عن لون البراق
لا تسلني كيف لون القبة الخضراء أضحى ؟
كيف لون القدس أمسى ؟
لاتسلني عن بقايا القبلة الأولى
لأني ..
قد تعلمت حدود (الهند)
والصين وبيت العنكبوت ..
وتناسيت سواها في علامات السكوت !! ..
كل ما أعلمه يعرفه الناس
ولا أعرف شيئا
عن حدود (القدس) إلا رسمةً
موشومة باسم (الخريطة) ..

* * *

لم نعد نعلم عنها
غير رسم يتهادى بين جدران الخريطة
فلماذا تزدرينا ؟ (٦٠)

(٦٠) تقاسيم على جذع نخلة الوادي : ٦٨ . وانظر : أيضاً قصيدة (القدس تشكو) للشاعر علي صيقل في ديوانه (ترانيم على الشاطئ) : ٢٥ – ٢٦ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

والقصيدة تعبر بوضوح عما يحسه الشاعر من مرارة وإخفاق وأسى على ما يعيشه العالم الإسلامي من تهميش وجهل بخصائصهم وحقوقهم ، وعجزهم عنها ، وعيشهم في غيبوبة طويلة في كثير من المجالات ، لاسيما القدس الأسيرة .

وطغى على حديث شعراء جازان عن قضية فلسطين ، حديثهم عن اللاجئين الفلسطينين المشردين ، الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق ، ونلمح في أشعارهم الإحساس الصادق بالمرارة العظيمة التي يعانون منها ، وهي تجسيد لمرارة الشعب الفلسطيني البعيد عن أهله وأحبائه وديارة الذي يذوق الموت ومرارته كل يوم شوقاً وحنيناً وأسى وغربة وضياعاً، دون ذنب اقترفه ، ودون جريمة يعاقب عليها ، إنها مأساة العصر ، ومأساة الإنسان أن يشرد شعب من دياره وأرضه وتاريخه وحقوقه ، ويرمى بعيداً عن كل ذلك ، كما ترمى الجثث المتنة في البراري والقفار والوديان ، فهذا الشاعر علي صيقل يتحدث عن مشاعر أحد اللاجئين التي هي مشاعره أيضاً ، وذلك في قصيدته (مشاعر لاجيء) ، حيث يتساءل ذلك الطفل عن العودة إلى الأرض المسلوبة ، وينكأ جرحاً غائراً في صدر أمه في أيام العيد الذي يحل عليها ، وهم في الخيام بلا فرح ولا أنغام ، فيقول :

ومر العام .. يا أماه
بل مرت بنا أعوام
ونحن هنا بخيمتنا
نذوق مرارة الآلام
وجاء العيد ..يا أماه .. والأحوال ..
ما زالت بخيمتنا ..
فلا فرحٌ .. ولا شادٍ .. ولا أنغام (٦١)

(٦١) ترانيم على الشاطئ : ٢٢ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

ويوجه الطفل سؤالاً صعباً إلى أمه ، سؤالاً لن تستطيع الإجابة عنه ؛ لأنها لا تملكها، و إن كانت تتمناها ، وأهم تلك الأسئلة إلى متى يعيش في تلك الخيام ؟ ، وما قيمة الحياة إن لم يستطع المظلوم أن يأخذ حقه من ظالمه ، ويغنيه بعد سحق رأسه ؟ ، أليس هو عربياً ، والعربي أبي لا يرضى الذل والهوان ، ولا ينام على ضيم أبداً ؟ ، فلماذا بقي هو كذلك ؟، يقول :

إلى مَ .. نعيش والباغي يعيث بأرضنا
فسقاً
إلى مَ .. نعيش والسفاك ..يحرق دورنا
حرقاً
إلى مَ .. نعيش يا أماه .. ؟
ماذا نبتغي إن لم .. ؟
ندك الخصم .. نفنيه .. ونسحق رأسه
سحقاً
أنا العربي .. حساسٌ ..أبيٌّ
حر ..
لن أرض بهذا القيد .. إني أكره الظالم
أنا العربي .. والعربي .. لا يرضى بهذا الذل
لا يرضى ..
أنا العربي .. والعربي
يدعم بعضه بعضا
فكيف أنام ..عن باغ .. معاذ الله !
كيف أنام .. عن صهيون

www.alukah.net
شبكة الألوكة

يجثمُ .. يغصبُ الأرضا (٦٢)

ولم تكن غيبة هذا الطفل الفلسطيني عن أرضه ليوم أو يومين ، إنها سنوات طوال ، فأية إنسانية هذه ، وأية قيم ، وأية شرائع تحلل أن يطرد هذا الشعب ، ويتحول إلى شعب مشرد ضائع لمجرد أنه ينتمي إلى هذه الأرض التي يدّعي الصهاينة أنها أرض أبائهم وأجدادهم منذ آلاف السنين ! ، أليست هذه مأساة عظيمة أن يستفيق شعب على نفسه ، فيجد أرضه وتاريخه ومقدساته في غفلة من الزمن بأيد غريبة ، تدعي ملكيتها وتحريرها من أصحابها الحقيقين لادعاء باطل وزعم كله ضلال ، وتقوم بتشريد أهله ، وملاحقتهم حتى في مواطنهم التي شردوا إليها ، فذاك الطفل الذي كان يعيش مع أبيه وأخيه وإخته وجميع عائلته فجأة يجد نفسه وحيداً ، بعد أن قتلهم العدو ، ولاحقهم حتى في خيام المنافي ، يقول الشاعر علي صيقل متحدثاً بلسان الطفل المشرد بعد أعوام من التشريد ، وأعوام من المعاناة :

ومرَّ العام ..بل مرت بنا أعوام ..
فأين أبي ..؟
وأين أخي .. وأين مُنى وأين حسام ؟
وجداتي .. وخالاتي .. وعماتي ..؟
أما كانوا هنا ..
معنا ..؟ نعم كانوا
هنا معنا !!
وأين العم إبراهيم .. ذاك الفارس المقدام ..
لقد ذهبوا .. لقد قتلوا
بأيدي الإثم والعدوان ..

(٦٢) المصدر السابق : ٢٢ – ٢٣ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

ونحن هنا بخيمتنا ..
نقاسي لوعة الأحزان
فآهٍ .. آه .. يا أماه
لن أنسى الذي قد كان
أنا العربي .. والعربي .. يا أماه ..
كالبركان .. (٦٣)

أما المعاناة النفسية في تلك المخيمات ، فيتحدث عن بعضها الشاعر إبراهيم صعابي ، وذلك في قوله :

ما بين طفلٍ شريد يشتهي حلماً　　وبين أم تعاني حُرقة الولدِ
لا شجب يا أمتى بل صرخة دويتْ　　من قمة الحزن في إطلالة الرشدِ
تثعلب الصمتُ في أحلامه فغدا　　من حمأة اليأس يقضي العمر في سَهَدِ
شئنا له وطناً يحمي طفولته　　من الضياع من الرمضاء والبردِ
لكنه لملم الأيام في يده　　والجمرُ في فمه يغلي من الكمدِ (٦٤)

وتلك المشاعر والمعاناة هي التي أملت على الشاعر أحمد الحربي أن يصفها في قصيدته (الشريد على الشاطىء المهجور) ، حيث يصور ملامح حزن وأسى ذلك المشرد اللاجىء المبعد عن وطنه ، المسلوب من هويته ، فيقول :

هناك رأيته يبكي
ويلهث فوق صدر الأرض
يحمل في يديه العمر
لينهي رحلة أخرى

(٦٣) المصدر السابق : ٢٣ – ٢٤ .
(٦٤) وقفات على الماء : ٥٥ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ويبدأ رحلة النسيان
ويحمل تارة يمناه في يسراه
أضنى جفنه التسهيد والأحزان
يبحث عن بقايا العمر
ويصنع من عيون الوهم –
أنواراً من الآتي ..
تعفر وجهه بالطين –
يستجدي !!
أأبقى هكذا رمزاً ؟ ..
أأبقى يا بقايا العمر مطروداً –
بلا وطنٍ .. بلا عنوان .. (٦٥)

ونلمح هنا عند الحديث عن اللاجئين انصباب حديث الشعراء في جازان على إبراز معاناة الأطفال ، حتى كأنه ليس هناك لاجئون سواهم ، فالشاعر على صيقل في قصيدته (مشاعر لاجىء) (٦٦) تحدث عن اللاجئين على لسان طفل يخاطب أمه ، والشاعر إبراهيم صعابي في قصيدته السابقة التي منها قوله :

ما بين طفل شريدٍ يشتهي حلماً وبين أمٍّ تعاني حرقة الولد (٦٧)

كان الطفل هو مدار الحديث في قصيدته ، والشاعر أحمد الحربي في قصيدته (الشريد على الشاطىء المهجور) (٦٨) تحدث عن مأساة الطفل في المخيمات الفلسطنية ، وكذلك الشاعر حسين سهيل في قصيدته (صوت فلسطيني صغير) ، يتحدث فيها عن

(٦٥) رحلة الأمس : ٤٧ .
(٦٦) ترانيم على الشاطئ : ٢٢ .
(٦٧) وقفات على الماء : ٥٥ .
(٦٨) رحلة الأمس : ٤٧ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

تساؤلات محزنة لطفل صغير ، يتساءل فيها عن زمن العودة إلى أرض الوطن ومغانيه ودوحاته الجميلة ، وفيها يقول :

يقول لي طفلي الصغير
يا أبي ..
متى نعود يا أبي إلى (الخليل) ..؟
متى نعود يا أبي لساحهِ الجميل ..؟
لواحة النخيل
لظلها الظليل
أحب زهرها وماءها
وليلها البليل ..

* * *

أحن يا أبي لكوخنا الصغير
لمعبي الصغير
وبابه القصير
أحن يا أبي إلى البكور والأصيل (٦٩)

ولعلَّ السبب في ذلك هو أن تشرد الطفل ومعاناته أمر محزن للغاية ، إذ يعاقب من غير ذنب اقترفه ، والحديث عنه يكون له أكبر تأثير على القارىء ، والشاعر بذلك يحقق أعلى درجات التفاعل والتأثير الشعوري في المتلقِّي ، ويرصد أهم معالم المرارة في القضية الفلسطينية علَّ شعوراً يتحرك ، أو قلوباً ميتة تحيا .

* * *

(٦٩) أشرعة الصمت : ١٩ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وفي حديث الشعراء الجازانيين عن القضية الفلسطينية ، استوقفتهم الانتفاضة الفلسطينية الشعبية التي بدأت في الأراضي المحتلة سنة ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م الانتفاضة التي أرهبت العدو الصهيوني ، وأفصحت عن قوة الحق ، وأظهرت أن الطفل الصغير الذي يحمل الحجر قادر على تغيير موازين القوى ، مهما كانت فتاكة ، إذ الحق قوي بنفسية صاحبه وعزيمته ، لا بما يملك من سلاح .

قامت الانتفاضة الفلسطينية ، فأعادت للفلسطيني مكانته ، وللعربي المسلم عزته ورفعته بعد أربعين عاماً من الاحتلال البغيض ، فعادت الذاكرة بالشاعر علي مديش إلى تذكر قوم موسى – عليه السلام – الذين فرطوا في أمر الله ، فتاهوا في الأرض أربعين سنة ، ثم انقرضوا ، وجاء الله بعدهم بقوم صالحين ، وعندها يتذكر الشاعر أن الجيل الذي فرط في فلسطين وأضاعها انقرض بعد أربعين سنة من الاحتلال والتعسف ، وجاء قوم آخرون يقفون في وجه المستعمر الصهيوني بأسلحة متواضعة ، ولكنها فاعلة ، فيقول :

إيه يا أرض القداسات ويا الـ مسجد الأقصى أنا للروح بائع
تاه من خانوا فلسطين ومن عبثوا بالحق من أجل المنافع
أربعينا من سنين قد مضت وهمو في تيههم في كل شارع
فقضوا نحبهمُ وانقرضوا فإذا أولادهم تهوى المعامع
قد صحونا اليوم من مرقدنا وانتفضنا فإذا بالحق لامع
سوف نحيا رغم آلياتهم ورصاص يتعالى في المسامع
ونذيق الخصم ألوان الأذى بجريدٍ وحجارٍ ومقالع[٧٠]

ويؤكد المعنى نفسه الشاعر علي بن قاسم الفيفي بقوله :

قوم موسى تقاعسوا عن جهاد فاستحقوا عقابهم للقعود
أربعين من السنين حسوما تائهين أذلةً في الصعيد

(٧٠) نبض القوافي : ٥٣ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

وأتـــى بعدهـــم بجيـــل جديـــد　　فجنـــى النـــصر وهـــو غـــير قعيـــد
وكـــذا شعبنـــا أذيـــق جـــزاءً　　عـــن قعـــود مـــرارة التـــشريد
أربعـــين وجـــاء جيـــل أبيٌّ　　لم يمـــرغ جبينـــه بالـــصدود[٧١]

والشاعر حجاب الحازمي حيَّا الانتفاضة في بدايتها في قصيدته (ذاكرة الوقت) التي أهداها قائلاً : إلى أطفال الحجارة الرجال ، وفيها يخاطب الانتفاضة بقوله :

كفكفـــي دمعـــي وداوي شـــجني　　واشهـــدي حـــرق خيـــوط الرســـنِ
وامـــسحي عـــن خـــافقي لوعتـــه　　بيـــد تأســـو جـــراح الزمـــنِ
وأعيـــدي لغـــدي بـــسمته　　فهـــي أغلـــى أمـــل مرتهـــنِ
لم يـــشخ جرحـــي ولم يطـــف عـــلى　　هامـــه الـــصخاب ثـــوب العفـــنِ
عزفـــه يـــسكب في إقدامـــه　　روعـــة الإصرار رغـــم الـــشطنِ[٧٢]

والشاعر أحمد البهكلي قارن بين عجز الكبار وصمتهم ، وعزة الصغار واستعمالهم للغة جد مفصحة ، هي لغة متواضعة ، ولكنها فاعلة ، وحينها تكلمت الأحجار ، وصمتت كل لغات العنتريات والضجيج العربي الذي ملأ الأفق طويلاً ، يقول :

أقـول : إنَّ الكبـار اليـوم قـد سـقطوا　　أقـول : إن الـصغار اليـوم قـد نجحـوا
أقـــول : إن نواميـــساً هنـــا كُـــسِرتْ　　مـذبات جـيش الحـصى للنـار يكتـسحُ
كـل الحلـول تـوارت عنـدها خجـلاً　　ولملـم الناصـحون الغُلْـفُ مـا نـصحوا
العنتريـــات مـــا أدنـــتْ لنـــا أمـــلاً　　ولا تبـــدّى بهـــا شـــخصٌ ولا شـــبحُ
كـم طـنطن الـشعر ممـدوداً ومنـسرحاً　　وفي فلـسطين مَـــدُّ البغـــي ينـــسرحُ
حتـى تكلمـت الأحجـارُ فارتكـست　　كـلُّ القـوافي ، وأدنـى قوسـه قـزحُ[٧٣]

(٧١) ومض الخاطر : ٣٢ – ٣٣ .
(٧٢) التاريخ الأدبي لمنطقة جازان ، للعقيلي : ٣ / ١٤٦٣ .
(٧٣) أول الغيث : ٧٤ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وتمنى الشاعر البهكلي لو أنه حجر من حجارة القدس ، أو رفح يأخذه طفل فلسطيني، ويرمي به الأعداء ، ولكن الطرق مسدودة دون حصول ذلك ، فيقول مخاطباً أطفال الحجارة:

يا فتية في ربا أرض السلام ، بخٍ بخٍ لكم ، أنتم الآمالُ والفرحُ
يا ليتني - إذ نأت عني عزيمتكم - غدوتُ صخراً حوته القدس أو رفحُ
مالي إليكم طريقٌ يا رفاق ولا لكم إليَّ ، تمادت بيننا الفسحُ[٧٤]

والشاعر البهكلي كغيره من الشعراء الذين حيوا الانتفاضة ، كان يتمنى ألا تضيع ثمار الانتفاضة قبل أن يحين موسم القطاف في وقت كثر المتربصون بها ، كلهم يريد إجهاضها ، وحرمان أهل الحق من حقهم ، فيقول مخاطباً الانتفاضة وصانعيها :

إنه الوعد أيها الفذ ممّن وعده ليس فيه من إخلافِ
غير أني أشد ما أتّقيه أن تضيع الثمار قبل القطافِ
فالسنانير والثعالب لهفى لك رغم ادعائهم للخلافِ
ما غفت منهم البطون وإن أبـ ـصرت ياصاح باصر الطرف غافي
كلهم قد أحدَّ ناباً وظفراً وابتدا حول ذي الربا في الطوافِ
ولقد يهجعون حيناً ولكن لانقضاضٍ على مناك اللطافِ[٧٥]

ومن العجيب والغريب أن السلاح الذي غيّر موازين المعركة ، كان سلاحاً متواضعاً، إنها حجارة حنت جباة اليهود بعد مدة طويلة من استعلائهم بأسلحتهم الأسطورية ، ولكنه بركان الإيمان عندما يثور لا يمكن لشيء سده أو إيقافه ، هذا هو رأي الشاعر عبد الله الفيفي في قصيدته (حجر) ، عندما قال :

(٧٤) المصدر السابق : ٧٥ .
(٧٥) المصدر السابق : ٤١ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

- حجر :

وتثمر الجراحُ وعدها

وتنـزل المطر

تصب فوق رأس المعتدي القَدَر !

- حجر :

وتنـزل الآيات أن قوة الإنسان في الإنسانْ

فتمّحي الأسطورة التي حَنتْ جباه

وتكتب الأسطورة التي تمرّغ الجباهْ !

- حجر :

أين الظلام اليوم في إعصاره نور ؟

من ذا الذي براحيته يستطيع سدّ بركانٍ يثور ؟ !!! (٧٦)

ويشير الشاعر علي بن يحيى البهكلي إلى أن العالم وقف مذهولاً من شجاعة هؤلاء الأطفال الذين ضربوا أروع الأمثلة في البطولة والتحدي ، وكذلك من ذلك الرجل الذي حرك الانتفاضة ، وهو يجلس على كرسيه مشلولاً في إشارة إلى الشيخ أحمد ياسين ، وذلك بقوله في قصيدته (نشرة الأخبار) :

نقلت أوكار الأنباء الغربية

عن شخصيات معسولة

قالوا : المتطرفْ

ذو الأطراف المشلولة

قد حرّك هذا الزلزال

قال : المستلقي من زمنٍ في رحم الأرض المبلولةْ

(٧٦) إذا ما الليل أغرقني : ٤٦ – ٤٧ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

بدموع النهر المتأسف
من تحت عباءته ينمو البركان
يزرع في الميدان
قامات الأبطال
يقذف في الأذهان
مليار سؤال (٧٧)

وفي خضم الانتفاضة حيَّا الشعراء في جازان أولئك المجاهدين الذين هبوا للدفاع عن أرض فلسطين ، وعن شرف الأمة العربية ، وحثّوهم على الاستبسال في القتال ؛ لأن ساحة الجهاد هي ساحة الشرف ، وهي الباب الذي يعبره المجاهدون وصولاً إلى الباب الأعظم ، باب الشهادة الذي كتبه الله للخاصة من عباده المقربين ، إن الدماء التي تبذل في ميدان الجهاد والأرواح التي تزهق ، والجراح التي تنزف هي التي تفرض النصر وتصنعه ، لذلك خاطب الشعراء هؤلاء المجاهدين بالصبر والثبات والإقدام من أجل صيانة شرف الأمة الذي هو أغلى من كل شرف ، وأنفس من كل نفيس ، فدماء الشهداء قد أعادت شيئا من الحياة للأمة ، وهي معزوفة النصر كما يقول الشاعر أحمد الحربي :

على نغم الصمت رغم الحسود وأنف الطغاة ونار القيودْ
دماء الشهيد ستبقى غناء بصوت الفدائيّ عبر الحدودْ
سيعزف للنصر لحناً جديداً ويكتب فوق جبين الوجودْ
وعدنا ، وعادت إلينا الحياة على نَغَم الصمت رغم الحسودْ (٧٨)

(٧٧) قصيدة مخطوطة لدى الباحث ، بدون رقم .
(٧٨) رحلة الأمس : ٤٦ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

والشاعر عبد الله الفيفي يصور روعة الجهاد والفداء في عائلة مسلمة ضربت أروع الأمثلة في بذل أرواحها من أجل استعادة الحقوق المسلوبة ، أم مكلومة بعد مقتل ابنها وابنتها، تعلن بكل شجاعة وزهو وافتخار ، أنها زفت ابنتها إلى عريسها ، فرحاً باستشهادها، إنه عريس الخلود ، فيقول على لسان تلك الأم :

(بالأمس كانت ابنتي
تُعدُّ الخبز للمجاهدين
وبنتها هناك أو هناك
تحاكي أمها .. إذ تصنع الجهادْ
إذ مرَّ غادر المساء
وملء شدقيه سقر
يصبُّ فوق هامنا
أتون شيطان البشر
فغاضت الأشياء .. خيّم السكون
لا صوت إلا دمدمات بين تكبير الجهاد
وكرّ خيل المسلمينْ)
(أين ابنتي .. ؟ !)
والأم تدري أين بنتُها
لقد مضت شهيدة . .
كما مضى بالأمس صنوها
يا ثكل أمٍّ كل يوم ثكلها !
لكنها
من فورها

www.alukah.net
شبكة الألوكة

عادت تُعِدُّ الخبز للمقاتلينْ
وسارت تحمل الخبز إلى الثغور
نشوانةً يكاد قلبها يطير
تقول :
(هاكم زادكم ولتبعثوا غداً من يحمله)
وفي ازدهاء :
(إن ابنتي قد زُفّت المساءْ
في عرسها العظيمْ (٧٩)

إن هذه المرأة العظيمة التي تحمل في أعماقها روحاً وعزيمة لا يمكن أن تلين ، وهذه الأعماق لا يمكن لأحد أن يفتت عزيمتها ، أو يقضي على ما تختزنه في أغوارها ، إنها أعماق الإنسان التي تتحدى كل أنواع القوة والبطش والإرهاب والتهويل ، وتتحمل كل أنواع القيود والسلاسل ، وهذا ديدن كثير من فدائي الأمة وفدائياتها ، وقد صنعت الانتفاضة في فلسطين كثيراً منهم ومنهن .

وفي خضم هذا الصراع المرير ، عاني الشعب الفلسطيني أقسى أنواع الاحتلال ، الذي هدم كل آماله ، وأذل كل تطلعاته ، وحطم كيانه ، فلا عجب بعد ذلك أن يحطم كل حاجز يقف ضد حقه الإنساني الضائع ، وهنا تساءل الشعر عن الضمير العالمي والإنساني الذي أغفى أمام جرائم اليهود ، وهم يقتلون ويشردون ويحتلون ، ولا رادع أو مستنكر ، وتساءل الشعراء عن موقف دعاة حقوق الإنسان ، وسبب صمتهم ، وعدم ظهورهم ، وأنكروا على هيئة الأمم المتحدة وعصبة الأمم ومجلس الأمن ركونهم إلى المحتل الظالم ومساعدته ضد المعتدى عليه والمظلوم ، بدءاً من تقسيم فلسطين إلى يومنا هذا ، وفي هذا يقول الشاعر محمد بن علي السنوسي :

(٧٩) إذا ما الليل أغرقني : ٦٢ – ٦٥ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

ماذا هو التقسيم تلك حباله　　حيكت لتجربة المصائب فينا
قلبت لنا ظهر المجن سياسة　　نصبت لكي تك للضعيف معينا
فتكشف الزمن الجريء وقد　　بدت جمعية الأمم الغداة كمينا [٨٠]

والشاعر علي النعمي ينكر على العرب لجوءهم إلى مجلس الأمن من أجل دعم حقوقهم ، وهم يعلمون جوابه ، ورد فعله ، وأن الأمن فيه قد بيع ، وأن (فيتو) النقض قد أعد ؛ لأن يرفع ضد أي حق فلسطيني ، فيقول منكراً :

ونستغيث بغير الله في هلعٍ　　بمجلس بيع فيه الأمن بالذهب
بمجلسٍ إن أقضَّ الصدق مضجعه　　منا ، وأفحمه في (هيئة العصب)
أقصاه با(لرفض) بالفيتو مناصرةً　　للغزو والحط من ميزاننا العربي
يصغي اعترافاً لصوت المعتدين فإن　　نادى ذوو الحق لم يسمع ولم يجب [٨١]

والشاعر أحمد البهكلي كان في جولة سياحية للتعرف على معالم مدينة (نيويورك) الأمريكية ، حيث يوجد بها المبنى الضخم للأمم المتحدة ، وبينما هو غارق في تفكيره ، شارد الذهن إذا بالدليل السياحي يطلب من الركب أن ينتبهوا ، ويشير بيده إلى مبنى الأمم المتحدة، ويقول للسياح : في هذا المبنى تلتقي الأمم ، وفيه يحفظ سلام العالم ، وعندها تذكر الشاعر موقف هذه الأمم المتجمعة هنا من قضايا أمته ، لا سيما قضية فلسطين ، ويقول :

لحظة . . لحظتين ، يخطفني صو　　ت الدليل المدل،يا صحب عودوا
تلك (يو إن) هنا وحدّقت حولي　　وترقبت ما عساه يزيدُ
قال : في ذا الأشم تُختصر الأرْ　　ض هنا للسلام تبنى الجهودُ
فتململت كاللديغ وجاشت　　في ضلوعي مهامه ونجودُ

(٨٠) شعراء الجنوب ، للسنوسي وآخرين : ١٠٤ .
(٨١) جراح قلب : ١٣١ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وتـــذكرت ديـــر ياســـين لا مـــا ... ء يـــروي ولا تـــزول الـــسدودُ
والتظـت في الجفـون أشـجار قـدسي ... لا ظـلال بهـا ولا أخـضر عـودُ

ثم يخاطب بعد ذلك الدليل السياحي بقوله :

أرني أيهـــا الدليـــلُ دلـــيلاً ... واحـــداً فيـــه للـــسلام وجـــودُ
أرني أيهـــا الدليـــلُ شريـــداً ... واحـــداً أوبتـــه هـــذي الوفـــودُ
هاهنـــا مجلـــس لأمـــن البرايـــا ... خـــائف في قـــراره رعديـــدُ
مـــا عرفنـــاه غـــير لعبـــة طفـــلٍ ... لـــيس يبـــدي ولـــيس قـــط يعيـــدُ
كـــم خبرنـــاه يـــا صـــديقي ولكـــن ... حظنـــا منـــه حـــصرم ووعـــودُ
كـــالحرابي كلهـــم كـــل لـــون ... ممكـــن أن تريـــك منـــه الجلـــودُ[٨٢]

وفي كل لحظات الصراع لم يخبو صوت التفاؤل بالنصر على اليهود في آخر المطاف[٨٣]، وأنه لن يكون أي سلام بين المسلمين واليهود ، وإن حصل فهو لفترات محدودة، ومصالح وقتية ، وهذه عقيدة لدى المسلمين الصادقين بأن الساعة لن تقوم حتى يقاتل المسلمون اليهود ، وحينها يستعيد المسلمون مقدساتهم وأراضيهم من محتليها الذين وفدوا إليها شذاداً من شتى الآفاق .

٢- قضية الجزائر :

لقد أسهم الشاعر العربي المعاصر في معركة التحرير الجزائرية أيما إسهام ، وأعطى هذه القضية العربية والإسلامية أهمية كبرى ؛ نظراً لأنها تمثل جانباً رئيساً من الجوانب التي ارتكز عليها الصراع العربي في الخمسينات الميلادية ، فضلاً عن كونها

(٨٢) أول الغيث : ٢٦ – ٢٨ .

(٨٣) انظر مثلاً : قصيدة (لن تظلوا غرباء) لعلي صيقل في ديوانه (ترانيم على الشاطئ) : ٢٧ ، وقصيدة (مرثية للزمن الأبيّ) لحسن حجاب الحازمي في ديوانه (وردة في فم الحزن) : ٤٥ – ٥١ ، وقصيدة (ترانيم النصر) لمهدي الحكمي في ديوانه (لا تسلني عن جراحي) : ٤٤ ، وفيها يحلم الشاعر بيوم النصر ، ويمثله في مشاهد قصصية رائعة ، تنبض بالعاطفة الصادقة .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

قضية مهمة ، تهم الإنسان العربي الذي حاولت قوى البطش والإرهاب أن تذيب شخصيته ، وتقتلع جذوره ، وتخضع جزءاً آخر منه إخضاعاً أبدياً بادعاء تغريبه ، وفصله عن محيطه وتاريخه وانتمائه ، ولذلك فقد حمل الشاعر العربي سلاح الكلمة ، أسوة بأخيه المجاهدين في أرض الجزائر الذي حمل البندقية في وجه الغاصب ، وأسهم الاثنان معاً في معركة التحرير التي انتهت بالنصر المؤزر .

لقد كانت القضية الجزائرية – حقاً – زلزالاً قضى على كل مظاهر الخمول والاستكانة والرضوخ ، وحطم ذلك الانطباع الذي حاول المستعمر أن يرسمه للعالم عن أمتنا العربية التي ادعى – على حد زعمه – أنها أمة متخلفة لا تستحق الحرية والوجود (٨٤) .

وقد واكب الشعر في جازان كفاح رجال الأوراس ، الذين قدموا مليون شهيد ثمناً لاستقلالهم ، وقد زعمت فرنسا أن الأوراس جزءٌ من بلاد السين ، فأنكر الشعراء ذلك ، وردوا دعاوى فرنسا ، ومنهم الشاعر محمد بن علي السنوسي ، الذي دعا إلى الجهاد ضد فرنسا ، قائلاً :

متى كانت الأوراس للسين منبعاً　　وأنى التقى للضفتين حُبَابُ
وهل كان (جي موليه) من نسلِ طارقٍ　　أو ابن نصير يا لذاك عُجابُ
أجل إنها أرضي وأرضك يا أخي　　فكيف يطيب النوم وهي خرابُ
أنتركها نهباً و للضاد ذمةٌ　　وللدين حقٌّ والجهاد نصابُ
كفى بك جُرْحٌ من فلسطين واحدٌ　　على الجسم منه دُمَّلٌ وذبابُ (٨٥)

ففي الوقت الذي كان المستعمر يدعي ملكية الجزائر ، وأنها جزء من فرنسا ، وامتداد جغرافي لها ، كانت الجزائر شمساً تبحث عن نافذة لمدار ، تطل منها على الكون بعد أن حاول المستعمر أن يحجبها ، ويخفي أنوارها وأشعتها الحقيقية الأصلية ، لكن ثورة الشعب الجزائري أعادت لتلك الشمس أنوارها المحتجبة ، يوم هب مجاهداً في

(٨٤) انظر : الاتجاه الإنساني في الشعر العربي المعاصر ، د. مفيد قميحة : ٢٣١ – ٢٣٢ .
(٨٥) الأعمال الكاملة : ١٩٧ – ١٩٨ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

سبيل إزاحة الظلام الذي طمس معالمها ردحاً من الزمن . فانتفض انتفاضة عظيمة أعادت كرامته ، وحطمت أغلاله وقيوده . وقد خرج الشعب الجزائري بأعداد لا تحصى، وحمل السلاح ، وأسال دمه ، وحينها حيا الشعراء هذه البطولات الفذة ، ومجدوا الشهداء ، فهذا الشاعر محمد السنوسي يحيي صنعيهم قائلاً :

غضبوا غضبة الرجال وقادوا ثورة في نضالها عبقرية
كل شبر من أرضهم كل فتر من ذراهم معسكر أو خليه
في رؤوس الجبال تحت ربى الأشـ ـجارفوق الذرى خلال الثنية
كالأعاصير كالسيول اندفاعاً في سبيل المطالب الوطنية
ألهبوها على المغيرين ناراً تتلظى وأشعلوها حميه
يا لها أمة أعادت إلينا ذكريات اليرموك والقادسية
فرضت نفسها على الظلم فرضاً وأحاطت بكل دعوى دعيه
أخذت حقها السليب غلاباً واغتصاباً ولم تنله عطيه [٨٦]

ووصف السنوسي استبسال الجزائريين في الدفاع عن وطنهم ، وصبرهم على البلاء الذي أنزله بهم الفرنسيون الذين استخدموا في قتالهم أحدث ما توصلوا إليه من آلات الفتك والتدمير :

الصراع الرهيبُ والسجن والتعـ ـذيب والانتقام والبربريه
والعراك المرير والقصف والنسـ (م) ـف وتلك الملاحم الدمويه
والصواريخ والقنابل والألغا م والطائرات والمدفعية
كلها لم تحُل عن الهدف الساـ ـمي ، ولم ترهب النفوس الأبيّة [٨٧]

وقد كلفت مسيرة الجهاد في الجزائر مئات الآلاف من الشهداء والجرحى والأسرى ، كما خلفت سيلاً من البطولات ، وأساطير من الرجال الشجعان والنساء

(٨٦) المصدر السابق : ٣٣١ – ٣٣٢ .
(٨٧) المصدر السابق : ٣٣٣ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

الذين اقترن اسمهم بتلك الثورة المظفرة ، وأصبحوا جزءاً منها لا تذكر إلا ويذكرون معها ؛ لأنهم بشجاعتهم وصبرهم أصبحوا القدوة والمثل والرمز على الصمود والإباء . فمن هؤلاء الأبطال نذكر جميلة بو حيرد التي تحولت إلى أسطورة تمثل إباء الشعب الجزائراي وإرادته ، التي لم تستطع قوى البغي أن تنال منها ، يقول علي النعمي متحدثاً عن بطولاتها ، وأنها كانت مثالاً رائعاً في التضحية والفداء والذكر الرائع والخالد الذي لن يمحى من ذاكرة التاريخ :

كم إناثٍ أضأن أفق منانا　　بالعطاءات والجهود الجهيدة ؟ !
كأبي حيرد الوحيدة صوتاً　　ذاتَ يومٍ لما تهاوت شهيدة
زفها الحرف حرّة ، وحباها　　بجلال على الفعال السديدة
حيث عاشت فينا البعيدةُ ذكراً　　وفداءً ونبرة في القصيدة (٨٨)

وقد قدم الشعراء تحيتهم للشعب السعودي الذي ساند إخوانه في الجزائر ، وذلك ببذل الأموال ، والاستجابة لنداء الملك سعود بن عبدالعزيز – رحمه الله – الذي دعا إلى التبرع لأهل الجزائر ، ودعمهم ليواصلوا كفاحهم وحربهم ضد الاستعمار الفرنسي ، وفي هذا يقول الشاعر محمد بن أحمد العقيلي محيّياً الملك سعوداً والشعب السعودي في قصيدته (يوم الجزائر في جازان) :

كأنما العرب جسمٌ أنت مهجته　　تضوي إذا مسَّه الآلام والوصب
يوم الجزائر مشهود بما زخرت　　به أياديك قد باهت به الحقب
دعوت للبذل شعباً ثم كنت له الـ　　ـمثال دوماً بما يرجى وما يجب
أجاب لبيك عن حبٍّ وعن ثقةٍ　　فكلنا لثواب الله محتسب
نجود بالروح إن ضن البخيل لما　　يرضي الإله وما تسمو به العرب (٨٩)

(٨٨) جراح قلب : ١٤٠ .
(٨٩) المجموعة الشعرية : ٣٦٣ – ٣٦٤ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

والشاعر محمد السنوسي دعا إخوانه إلى الوقوف إلى جانب الجزائريين ، ومد يد العون حتى يواصلوا جهادهم ، وتقديم الدعم المالي ؛ لما له من أهمية في تحقيق النصر ، فيقول:

أخـي إنهـا أرضي وأرضـك أشرقـت بآبائنـا طـوبى لهـم ومـآبُ
فكـلُّ ريـال مـن يـديك رصاصـة لكـل فرنـسي طغـى وعـذابُ
أتسلخ من جسمي وجسمك عنوة بـلاد عليهـا للدمـاء خـضابُ (٩٠)

وقد كان لشعراء جازان مشاركة جيدة في الحديث عن الجزائر وتحريرها من نير الاستعمار الفرنسي البغيض ، أسوة بإخوانهم من الشعراء السعودين والعرب الآخرين ، حتى يخيل للباحث أن هذه القضية ذات بعد وطني بحت (٩١) ، ولكن في هذا المقام لا يمكن موافقة الدكتور بكري شيخ أمين في زعمه بأن الشعر السعودي الذي قيل في قضية الجزائر أكثر من ذلك الشعر الذي قيل في قضية فلسطين (٩٢).

وفي رأيي أن هذا الزعم لا أساس له من الصحة ، ولم يكن له أي دليل علمي ، إذ الاستقراء المتأنّي لإنتاج شعراء جازان – وهم أنموذج على الانتاج الشعري السعودي – يبين أن لا مقارنة بين الكم الشعري الذي قيل في القضيتين ، فالقصائد التي قيلت في قضية فلسطين تجاوزت مائة وثلاثاً وأربعين قصيدة ، عدا الإشارات المتفرقة ضمن قصائد أخرى قيلت في موضوعات شتى ، بينما الشعر الذي قيل في قضية الجزائر لم يتجاوز تسع قصائد فقط .

وكذلك قمت بتصفح إنتاج عدد كبير من الشعراء السعوديين من خلال اثنين وثلاثين ديواناً لستة عشر شاعراً من كبار الشعراء والرواد الذين عاصروا قضية الجزائر ، فوجدت الفرق الشاسع بين ما قيل في قضية فلسطين ، وما قيل في قضية الجزائر ، إذ رجحت كفة القضية الأولى رجحاناً كبيراً ، لا يحتاج معه إلى ميزان أصلاً ، لوضوح الفرق ، ولكن كثيراً من أحكامنا الأدبية سيقت بناء على مجرد الخواطر والتوقعات ، دون أدلة أو استقراء .

---

(٩٠) الأعمال الكاملة : ١٩٦ .

(٩١) انظر حديثاً عن سبب اهتمام الشعراء بالجزائر في:الشعر الحديث في المملكة العربية السعودية ، د. عبدالله الحامد: ٢٤٥.

(٩٢) انظر : الحركة الأدبية في المملكة العر بية السعودية ، د. بكري شيخ أمين : ٣٥٢ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

٣- العدوان الثلاثي على مصر :

بعد قيام مصر بتأميم قناة السويس ، وحرمان الدول الغربية المستعمرة من التحكم في مصالح المسلمين هناك، ما كان من بريطانيا وإسرائيل إلا أن تعلن الحرب على مصر في عام ١٣٧٦هـ - ١٩٥٦م) .

واحتلت حرب السويس مكانتها المرموقة في الشعر العربي ؛ لأنها كانت تتويجاً للانتصار العسكري والسياسي اللذين تخوضهما الأمة العربية في كل مكان ، فلقد صور الشعراء وقائعها وأحداثها ، وتغنوا ببطولات المقاتلين الذين رسموا بالبذل والعطاء طريق المستقبل ، طريق الإرادة الحرة التي لا تقبل أي نوع من الخضوع وانتقاص الكرامة ، ومن القصائد التي صورت ذلك العدوان البغيض على مصر قصيدة (تأميم وتصميم) للشاعر محمد بن على السنوسي ، وفيها يشير إلى أن هذه الهجمة الشرسة لم تكن إلا صورة من صور الحروب الصليبية ، ولم يكن الحديث عن القناة وحماية إسرائيل إلا ذريعة للوصول إلى أهدافهم ، ومنها القضاء على القوة الناشئة في مصر والعالم العربي ، فيقول :

أجل إنها الحرب الصليبية الأخرى　　وإن جعلوا حوض القناةلها سترا
ولم تكُ إسرائيل إلا ذريعة　　قد اتخذوا منها لأهدافهم جسرا
فجند لها الأرواح والمال والقوى　　وجرد لها الإيمان والعزم والصبرا
ولا تبتئس فالقوم صرعى حقيقة　　أضاء سناها في رسالتك الغرا
رأوا في سماء الضاد فجراً فراعهم　　فكيف به لو أبصروا الشمس والظهرا
تلفت أنطوني ومولیه رهبة　　وقد صكت الآذان خطبتك البترا
تعاووا كما تعوي الذئاب وأجلبوا　　إلى بلدٍ كانت لقواتهم قبرا (٩٣)

وقد هب الشعب المصري ، وجاء إلى المعركة من كل أنحاء مصر ، جاء بفلاحيه وأطفاله وشيوخه ونسائه ، يحمل سلاحه دفاعاً عن الأرض ، دفاعاً عن الوطن والحرية، وجاءت معه الشعوب العربية تساند وتدعم في غضبة للحق ، وثورة على كل باغ ومعتد، يقول السنوسي :

(٩٣) الأعمال الكاملة ، للسنوسي : ١٥١ – ١٥٢ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وهبت أعاصير العروبة والردى على المارد الجبار تعصره عصرا
وثارت شعوب الأرض للحق غضبة على حلفاء البغي تمطرهم زجرا
صراع يهز الغرب رعباً وثورة تدوس الهوى والطيش والتيه والكبرا (٩٤)

وقد استطاع الشاعر السنوسي أن يصور معركة السويس والأحداث التي دارت حول بور سعيد والقناة ، تلك الأحداث المليئة بالتضحية والصمود أمام الأسلحة الفتاكة التي أجلب بها المستعمر المعتدي ، فيقول :

ورتلٍ من الأسطول تحميه قوة من القاذفات النار تستهدف الثغرا
قدفنا به عرض المحيط وأشعلت سواعدنا فيه الذخائر والجمرا
ضربناه ضرب المستميت فلم يجد مفراً وأغرقناه في بحرنا صبرا
وسرب من الفولاذ لاحت كأنها سحاب يغطي الشمس والنجم والبدرا
تجرجر في الآفاق كالبزل صولة وتقذف من أفواهها الشهب والغمرا
صببنا عليها النار صبا فأجفلت تهاوى ورحنا نحصد الشرك والكفرا
بيومٍ أقمناه على الثغر نشوة ببور سعيد نصنع النور والفجرا
كتبناه في تاريخنا بدمائنا ولم نتخذ إلا نجيع الحشا حبرا
بأشبال غاب أقبلوا في كتائبٍ تبيد العدا قتلاً وتحشرهم أسرى (٩٥)

ولم يكن الشاعر يتجاوز في قصيدته هذه الدور المهم الذي قام به أبناء الجزيرة العربية وإخوانهم العرب الآخرون في نصرة أبناء مصر ، في مثال رائع من أمثلة الوحدة والنصرة والمصير المشترك ، والتكاتف في الأزمات ، فيقول مصوراً ذلك :

ونحن على الأحداث أبناء وحدة نبض دماً حراً عروبتها الحمرا
على القدس في الأردن زحف وثورة وفي جلّق الشهباء تعبئة كبرى
وفي الجانب النجدي حشدٌ وفيلقٌ يقود (سعود الشرق) راياته الخضرا

(٩٤) المصدر السابق : ١٥٣ .
(٩٥) المصدر السابق : ١٥٥ – ١٥٦ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

تحفــز عمــلاق الجزيــرة وانــبرى　　يصب على أعدائهـا الويل والقهرا

وبتلك المعركة رفع الشعب المصري ومن[٩٦] ورائـه الـشعب العربي هاماتـه عاليـة ، وأبى أن ينحني للغدر والعدوان ، وفضل الموت على المذلـة ، وعانقـت أجساد المقـاتلين وجباههم ودماؤهـم ثرى الوطن ، فرسموا بهذا البذل طريق الغد ، وصنعوا فجر الحرية والسعادة والهناء.

٤- قضية لبنان :

تعـد المآسي التـي حـدثت في لبنـان امتـداداً للقـضية الفلـسطينية ، وإحـدى إفـرازات الصراع العربي الإسرائيلي ، حيث عمـل العـدو الـصهيوني عـلى بـذر الأشـواك في لبنـان ، وزرع الصراعات الطائفية وتأجيجها ، وزاد الطين بلة ما حصل من صراع بين المنظمات الفلسطينية وبعض الفصائل والطوائف اللبنانية ، ذلك الصراع الذي تدخلت من أجله إسرائيـل لإنقـاذ اللبنـانين في الجنـوب – كـما زعمـت – ولطـرد الفلـسطينيين مـن لبنـان ، فدخلت لإنقاذ اللبنانيين، ولم تخرج بعد ذلك ، ومن حينهـا شـب الـصراع بـين اللبنـانين والإسرائيلين ، ذلك الصراع الذي شوه وجه لبنان الجميلة ، وأحرق الأخـضر واليـابس فيهـا ، وفيـه ضرب اللبنـانيون أروع الأمثلـة في الـصمود ، ورفـض كـل المـساومات والتنازلات التي أملاهـا الـصهاينة ، وبقـوا صـامدين مـن أجـل الحـصول عـلى حقـوقهم كاملة ، حتى اضطرت إسرائيل إمام صمودهم إلى الانسحاب .

وقد كان لشعراء جازان مشاركة واسعة في الحديث عـن لبنـان ومآسيها ، فهـذا الشاعر إبراهيم مفتاح في قصيدته (وماذا بعد الغياب) ، يتحدث عن الصراع الـدامي في بيروت بين الطوائف المختلفة ، التي قسمتها قسمين ، في حين أن ذلـك القتـال المرير لم يكن له أي داع ، وتلك الحرب التي أكلت كلّ شيء جميل لم يكن لها أي سبب ، فيقول :

حبيبتي أنـت يـا (بـيروت) هـاك يـدي　　أمـدها كـي تـشم الأرض والوطنـا
وكـي تمـرّ علـى جَرْحَـاك تـسألهم　　فيـم القتـال ؟ وفـيم الحـرب تأكلنـا؟

(٩٦) المصدر السابق : ١٥٩ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

لمن يطأطئ فيك (الأرز) قامته ويحصد الموتُ فيك الجذع والفننا
شرقية أنت أم غريبة دعيت ما زلت فاتنتي عشقاً يعانقنا [٩٧]

وهذه المدينة الوادعة ، انتهكت وما زالت فيها بقايا روعة، وأشياء من جمال وجلال ، ولكن هذا الجمال والجلال ، وتلك الروعة غيرتها الدماء والأسى والأحزان التي عمت كل شارع ، وجللت كل بيت ، وداهمت كل شجرة أرز ، وفي ذلك يقول :

حبيبتي أنت يا بيروت كيف غدت ساحاتك الخضر لوناً دامياً وونى
بيروت أيتها الأنثى التي انتهكت ولم تزل بسمة عذراء تشعلنا [٩٨]

والشاعر جبران قحل تذكر مغاني لبنان الرائعة ، ومصائفه الباهرة ، التي كانت ملء السمع والبصر ، وعندها تساءل عن سبب هذه الأحداث الدامية ، وذلك في قصيدته (لبنان إلى أين) ، وفيها يقول :

يا صيف لبنان هل أبقت لنا فيكا أحداث لبنان شيئاً من مرائيكا
أم ألهبت جوك المأنوس حمأتها حتى رأينا هدير النار من فيكا
لبنان ماذا دهاك اليوم فاحترقت تلك المرائي وكانت من مجاليكا
خضر الروابي لظى البارود يحرقها والحرب دارت رحاها في روابيكا
من ذا الذي أيقظ العمياء نائمةً والسلم كانت عراه في أياديكا [٩٩]

ثم بعد ذلك يعبر الشاعر عن حزنه لما حل بلبنان الجميلة ، وإظهاره لألمه وألم كل مسلم لما يجري ، وذهب الشاعر يبحث عن مبررات لهذا الصراع الطائفي ، ولكنه لا يجد شيئاً يمكن أن يُعذر به المتصارعون والمتقاتلون ، فيقول :

قم سائل النفس في وعي وفي رشد هل ماجرى في القرى قبر لعاديكا
أم خطوة في سبيل النجح تحرزها أم خطة للرقي الحق تعليكا ؟

(٩٧) احمرار الصمت : ٢١ .
(٩٨) المصدر السابق : ٢٢ .
(٩٩) التاريخ الأدبي لمنطقة جازان ، للعقيلي : ٣ / ١٣٩٦ – ١٣٩٧ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

أم وحـدة أنـت ترجوهـا وتنـشدها　　مـع أي قطـر شقيـق لا يجافيكـا ؟
كـلا فـإن صريـع الحـرب واأسـفي　　يأسى ويبكي لأمر كان يبكيكـا (١٠٠)

فإذا لم يكن الصراع من أجل البحث عن السبيل الأفضل لنجاح لبنان ورقيها ، ولم يكن من أجل الوحدة ، أو البحث عن طريق لصد الأعداء الذين يتربصون بالأمة ، فما السبب الذي فجر الصراع في هذا البلد الآمن ، إن السبب في رأي الشاعر قحل هو ما أشار إليه بقوله :

إن الـذي فجـر الأحقـاد في بلـدي　　لبنان شخص غريب جاء غازيكا
خلف الحدود يحيك الغـدر تدعمه　　قـوى تنافـق بـالأقوال أهليكـا
عـزت عليهـا بـأن تلقـاك في رغـدٍ　　تـولي بحـب لمـن بالحب يوليكـا (١٠١)

فالأعداء هم الذين سعوا لجر لبنان إلى مستنقع الفوضى والصراع الطائفي ، وفي إشارة واضحة إلى أولئك الذين يتربصون بهم خلف الحدود ، وهم اليهود ، الذين عاونهم المنافقون الذين عز عليهم أن تبقى لبنان في أمن وسلام ، ورغد ووئام ، وفي آخر قصيدته يدعو الشاعر اللبنانين إلى تحكيم العقل ، والنظر إلى المصلحة الجماعية ، وترك حظوظ النفس، وإلقاء السلاح ، والعودة إلى الله – عز وجل – ، وعدم كفران نعم الله ، أو التساقط في حمأة الرذيلة والفساد .

وكانت فاجعة اجتياح لبنان من قبل اليهود أمام سمع العالم وبصره ، وقيامهم بمجازر صبرا وشاتيلا في المخيمات الفلسطينية ، وخروج الفلسطينين من لبنان ، تلك المؤامرة البشعة التي حركت الشعراء ، وألهبت المشاعر ، وكانت كارثة بكل المقاييس . ولهذا كرر الشعراء الحديث عن مؤامرة إخراج الفلسطينيين من لبنان ، وطرد الفدائيين ، وحجة إسرائيل الواهية من أجل أن تخلو الساحة من حماتها ، فالشاعر علي النعمي يلوم

(١٠٠) المصدر السابق : ٣ / ١٣٩٧ – ١٣٩٨ .
(١٠١) المصدر السابق : ٣ / ١٣٩٨ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

كل من ساعد إسرائيل على اجتياحها ، أو رحب بدخولها إلى لبنان في إشارة إلى بعض الطوائف اللبنانية التي كانت تهتف باسم إسرائيل ، وتنثر الورود على دبابابتها وهي تجتاح لبنان ظنًّا منهم أنها جاءت لتخلصهم من ويلات الفدائيين الفلسطينيين ، كما يزعم الأعداء ، ولم يدروا أنهم سقطوا بأيدي يهود الغدر والخيانة ، وذلك في قصيدة (بيروت الحدث والموقف) ، حيث يقول :

كان الفدائيون فوق أديمها ... جيشاً قوياً جيّد التحصينِ
كم كبّدوا أعداءهم بصمودهم ... في شنّ غارات ونصب كمينِ
أقسى الخسائر فانزووا وتلاوموا ... والخزي يطفح فوق كل جبينِ
لكن فرسان النضال ترحّلوا ... عنها بفعل تعهّد ماسوني
ممن يريد هلاكها ودمارها ... ولمن غزاها كان خير معينِ
بتعهد ضمنوه في أوراقهم ... لكنه ما كان بالمضمونِ
فتلفتت والبؤس في نظراتها ... يعشو بصدر ناهد وجفونِ
من يفتديها من يصد عداتها ... عن هتك عرض بالعفاف مصونِ
هتفت بجيش العرب صاحت في أسى ... يا أمة الإسلام من يحميني
وأمامنا سقطت ، وكان سقوطها ... عاراً وأكبر شاهد بالهونِ (١٠٢)

وعلل الشاعر – بعد ذلك – سبب حصول هذا للعرب والمسلمين ، ووقوفهم عاجزين عن صنع شيء لإنقاذ إخوانهم أو الدفاع عنهم بأنه الشقاق والتناحر والتفرق ، وسيرهم في ركاب أعدائهم ، ووثوقهم بهم ، فيقول :

قسماً بمن أعطى لأحمد حجة ... في قومه ، وحنى على ذي النونِ
ما دمرت صبرا وشاتيلا قضت ... نحباً وعانى القهر كل سجينِ
إلا لأنا في الشقاق وفي الجفا ... والخلف في التحريك والتسكينِ

(١٠٢) الرحيل إلى الأعماق : ٦٨ – ٦٩ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

ولأن شـيئا مـا يعيـق طموحنـا　　لنكـون طعمـاً في فـم التنـينِ [١٠٣]

وقد سجل الشعر في هذه الأحداث التفاصيل كافة مهما كانت صغيرة ، فبعد مذابح (صبرا وشاتيلا) ، والاستنكار العالمي الذي تلاها ، قام اليهود بخديعة الرأي العالمي ، وأقصوا المجرم (شارون) وزير الحرب الإسرائيلي آنذاك من منصبه في خداع للسذج ، وكأنه هو الذي صنع ذلك بمفرده ، وفي هذا يقول الشاعر علي النعمي مبيناً أنه إن ذهب شارون ، فهناك ألف شارون باق ، وذلك في قصيدته (الإقصاء أم القنبلة) :

إقـصاء شـارون مهـما قيـل مفتعـلٌ　　إذ نحـن قـوم بمـا قـالوه ننفعـلُ
كـم ألـف شـارون بـاقٍ في مرابعنـا　　ويعـرف الحـق والأخـلاق والمثـلُ؟
أقـصوه أقـصوه حتى يـستبين لهـم　　طـريقهم وعلينـا فهـم مـا فعلـوا
خديعـة وبنـو الإسـلام ظـن بهـا　　نـصرا كبـيراً ولكـن خانـه الأمـلُ
مـا أبعـدوه ومـا أقـصوه فانتبهـوا　　يـا قـادة العـرب كـيلا يـنطلي الـدجلُ
قـالوا لـه : لم يعـد لبنـان منطقـة　　فيهـا تمـارس مـا تهـواه يـا رجـلُ
إنـا كفينـاك فيهـا كـل حادثـة　　فعـم مـساء ولا تـسأل متـى نـصلُ؟
مـا بعـد صـبرا وشـاتيلا نـدبره　　بأمرنـا وبأمريكـا سنتّـصلُ [١٠٤]

٥- اعتداء العراق على الكويت (حرب الخليج) :

يعد الاعتداء العراقي الغاشم على الكويت الآمنة أحد أهم القضايا التي شغلت العالم العربي في السنوات الأخيرة ، ومن أهم المآسي التي نخرت في جسم الوحدة العربية ، وزادت العرب ضعفاً وتفرقاً ، وقد سبقت الإشارة إلى هذه القضية عند الحديث عن بعض المضامين الوطنية من منظارٍ وطني صرف [١٠٥] ، وهنا سيكون الحديث

(١٠٣) المصدر السابق : ٦٩ .
(١٠٤) المصدر السابق : ٨٥ .
(١٠٥) انظر : مبحث الاتجاه الوطني .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

عن هذه القضية من حيث كونها إحدى القضايا التي شغلت العالم العربي لأكثر من عقد من الزمن ، وما زالت تمثل عائقاً أمام لم شمل الصف العربي ، فهذا الشاعر أحمد السيد عطيف [١٠٦] يتحدث عن تغير الزمان ، وتحول الأمور من بعد أن كانت الخيول تخرج من بغداد جهرة – أيام عزة المسلمين وقوتهم – في وضح النهار ، وتعود مظفرة ، ولها صهيل وإذا بها في ليلة ظلماء تعدو على دولة آمنة مسلمة ، فيقول في قصيدته (بغداد) :

بغداد خيلك والفتوح تخالفت خرجت بها عن دربها الظلماء
عهدي بها لم تغز إلا جهرة وتعود زاهية بها الأضواء
بغداد هل علم (الرشيد) وأهله والمجد والتاريخ والعظماء
ماذا صنعت ؟ .. جحافل جرارة وعلى الكويت الغارة الشعواء ؟
باتت خيولك في السماء صهيلها وإذا لها عند الصباح عواء [١٠٧]

ويصور الشاعر مدى المصيبة التي حلت بالأمة العربية ، في وقت كان العراق فيه يرفع شعار العروبة التي يعلنها البعث صباح مساء (أمة عربية واحدة ذات رسالة خالدة) ، وبالعروبة كانت تفتتح المجالس ، وتبدأ الكلمات ، إذ كانوا يقولون بدلاً من (بسم الله) : (بسم العروبة) ، فإذا بالعروبة تسقط ، والزيف يظهر ، ووجه العرب يسود ويلطخ بمؤامرات السفهاء ، يقول أحمد عطيف :

باسم العروبة ..؟ أي عذر منكر هذي العروبة نكبة نكباء
لله كل فضيلة فتكت بها وضح النهار عروبة شوهاء

(١٠٦) هو أحمد بن يحيى السيد عطيف ، ولد في قرية الحصامة من قرى وادي خلب بجازان سنة ١٣٨٠هـ ، والتحق بالمعهد العلمي بصامطة ، وحصل على الثانوية ، ثم حصل على شهادة البكالوريوس من كلية اللغة العربية بجامعة الإمام فرع أبها سنة ١٤٠٣هـ ، وهو عضو في نادي جازان الأدبي ، وشعره منشور في كثير من الصحف المحلية . انظر ترجمته في : التاريخ الأدبي لمنطقة جازان ، للعقيلي : ٣/ ١٤٢٦ ، وفرجة النظر ، للشعفي : ١/ ١٦٩ ، ومعجم البابطين : ١/ ٢٠٠ .
(١٠٧) التاريخ الأدبي لمنطقة جازان ، للعقيلي : ٣/ ١٤٢٦ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

لم يبــق وجــه يعــربي شامــخ　　مــا سودتــه الغــارة الــسوداء [١٠٨]

والشاعر محمد الشنقيطي تحدث في قصيدته (من هو) عن زيف المبادىء والقيم التي قام عليها البعث ، وتجاربه المرة ، ومغامراته الفجة ، التي جرت إلى العرب الهزائم تلو الهزائم ، وآخرها وأشدها عنفا (أم الهزائم) تلك التي يدعوها الحاكمون في العراق باسم (أم المعارك) في ضحك سافر ، وخداع عجيب للدهماء والمغفلين ، فيقول :

هو شاعرٌ في قلبه الأملُ المنير
وفي جوانحه الألم
هو شاعرٌ
داوى الجراح على التفاؤل
بيد أنَّ الجرح
يوماً ما التأمْ
هو شاعرٌ
عاش الهزائم في عروبته فكابر وابتسم
حتى أتت أم الهزائم فارتوى منها وقبل واستلم
قيمُ العروبة يومها
لهثى كما سيقت مع الذئب الغنم
طماعةٌ .. مخدوعةٌ
زيفُ المبادىء في تناقضها اصطدم
فإذا الهزيمة نصرُها الميمونُ !
والبطل المؤزَّرُ
في أياديه العَلَم !!

(١٠٨) المصدر السابق : ٣/ ١٤٢٧ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

لولا الخليج بأهله وملوكه
كانت عبادتنا من الناس الصنم ! (١٠٩)

والصراع العربي العربي ، ومأساة تبديد مكتسبات الأمة ، لم يكن إلا خدمة لمصالح الأعداء المتربصين بها ، وفي مقدمتهم اليهود ، ولكنهم لم يكافئوا صدام حسين الذي جر العراق والعرب إلى هذا الصراع والتنافر والفرقة ، وكان حقاً على الأعداء أن يعلقوا على صدره الأوسمة على جهوده العظيمة في كسر جدار الوحدة العربية وتحطيمه، وذلك كما يقول محمد الشنقيطي :

هذا الدمار جنى من جهل طاغية بكل شرع من الأديان مكنونِ
بئس المكابر في ثوب الإمام له من العمائم لبس للشياطينِ
أعطى اليهود غباءً أو مناصرةً لو أنصفوه لغُطّي بالنياشينِ (١١٠)

والشاعر أحمد بن علي الفيفي كان يتمنى أن يضمد العراق جروح العرب ، ويعمل على علاجها ، ولكنه بدلاً من ذلك نكأ الجراح ، وزادها شدة وحرقة ، في الوقت الذي يتربص فيه الصهاينة بالأمة ، وينتظرون مثل هذه المغامرات والمحاولات المؤسفة ، فيقول :

قوتلتِ بغداد، ماذا تصنعين بنا منك أتانا من الأحداث زلزالُ
أبعد ما صنعت صهيون من فتن فينا وما يصنع الأعدا وما زالوا
تدمين فينا جروحاً كاد يبرؤها تواصلٌ وتآخٍ عاد يختالُ (١١١)

إن هذا الجرح الذي أحدثه في العرب ، لا شبيه له في العصر الحديث ، وهذه الحرب التي أشعلها ما الذي ستحققه غير الدمار للعراق ، وللعرب وقوتهم وكرامتهم ، وفي هذا يقول علي النعمي مذكراً بتلك الحرب التي أشعلها من قبل مع إيران ، وانتهت بلا نتيجة :

كويت قولي للص العصر كيف خطت رجلاك في وحل أوزار وآثام ؟

(١٠٩) خلف أسراب البجع : ٩ – ١٠ .
(١١٠) المصدر السابق : ٢٣ .
(١١١) السحابة : ٨٦ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

وكيف أحدثت جرحاً لا شبيه له　　وقدت جيشاً بأشكال وأحجام

* * *

أشعلت حرباً فماذا عن نهايتها　　وما الذي حققته رمية الرامي

ماذا عن الشط شط العرب كيف بدا　　بنصف وجه ..فأين النصف يالحامي ؟!

وقد تحدث الشعراء عن مأساة الشعب[١١٢] العراقي الرازح تحت وطأة الظلم والطواغيت الذين عبثوا بمقدرات دجلة والفرات ، وأسقطوا حدائق بابل ، ومزقوا تاريخ بغداد ، وذاكرة الروعة الإسلامية ، ومرغوا جبهة الإنسان في العراق فعاش أسوأ مأساة في تاريخه ، وفي هذا يقول الشاعر أحمد الحربي :

سقطت (حدائق بابل) التاريخ
والتاريخ في جسدي يمزق أحرفاً
سالت عليها أدمعي
وهويت حتى غرتُ في
قعر الظلام
يطوي جناحي ألف طاغوتٍ
يمرغ جبهتي بين الرّغام
ولغوا على ثغري السُّلافة
ورموا لأحفادي البقايا
من فتافيت الحطام[١١٣]

وتحدث الحربي في قصيدته عن مأساة المهاجر العراقي النازح عن بلده ، وتفاعله مع إخوانه العراقيين المضطهدين الذين مزقتهم المأساة ، ويهدي تلك المشاعر والرؤى إلى أحد النازحين ، وهو الشاعر يحيى السماوي ، فيقول :

(١١٢) لعيني لؤلؤة الخليج : ١٦ – ١٧ .
(١١٣) تقاسيم على جذع نخلة الوادي : ٢٣ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وحدي أفتش في الوجوه السافرة
أسقي على خدى هواك
ولهفتي في دمعتين
على جدار (الناصرةْ)
لهفي على حُلُم الطفولة
بين دجلة والفرات
لهفي على ولدي
على أملي
على كل الزهور العاطرة ..
لهفي عليكم أجمعين ..
أخشى عليكم من غدي ..
أخشى على عينيّ
من زمني الردي ..
أخشى تمزقها سهامُ
(أبي عَدَيّ)
وأخاف تشطرني
على رؤياك جمجمة النظام ..
وأنا على رغم الزحام ..
مازلت أبحثُ (عنكَ) ..
عن (جيكور) و (السياب)
عن جسر (الرصافة) ..
ما زلت أبحث عن (جوازي) ..

شبكة الألوكة - قسم الكتب

عن دروب العابرين إليكَ
عن صحراء قافلتي
وخانتني القيافه [1]

ب- قضايا إسلامية :

هناك عدد من القضايا الإسلامية التي شغلت حيزاً كبيراً من اهتمام شعراء جازان ، إذ تفاعلوا معها ؛ لما لها من علاقة بأجزاء مهمة من جسم الأمة الكبير ، الذي تعرض لكثير من الآلام والأوجاع والضربات تلو الضربات ، من المستعمر المعتدي ، سواء أكان ذلك في شرق الأرض أم غربها ، ولم تكن القضايا الإسلامية أو حركات التحرر للشعوب الإسلامية محل اهتمام الشعراء قبل نكسة ١٣٨٧هـ - ١٩٦٧م ، ولعل من أسباب ذلك ((**التيار القومي الذي عتم الرؤية عن الصلة القوية بين العرب والمسلمين ، وحاول عزل القوة العربية عن الإمة الإسلامية**)) [2] . ومن الأحداث الإسلامية التي شارك فيها شعراء جازان :

١- استقلال باكستان :

بعد استقلال شبه القارة الهندية عن بريطانيا شب نزاع كانت بريطانيا - كعادتها - قد شبت أواره ، وهو صراع بين المسلمين والهندوس ، حيث أعطى الانجليز كثيراً من الصلاحيات والولايات للهندوس والسيخ وسائر الطوائف ، وعمل على تغييب المسلمين ، وجعلهم يعيشون كالأيتام على مائدة اللئام ، وكان هناك تكتلان كبيران للمسلمين ، هما : باكستان الغربية ، وباكستان الشرقية التي تعرف الآن بدولة بنجلاديش ، وكان المستعمر قد عمل على فصل هذين الكيانين ، وزرع الأحقاد والفتن القومية بينهما ، وكذلك عمل المستعمر - أيضاً - على ضم كشمير - وهي ولاية يغلب على سكانها المسلمون- إلى الهند ، ونزعها عن باكستان ، وحينها هب المسلمون للدفاع عن حقوقهم ، وإثبات هويتهم ، وحملوا السلاح في أكثر من معركة مع المستعمر سواء

(١) المصدر السابق : ٢٤ – ٢٥ .
(٢) الشعر الحديث في المملكة العربية السعودية ، د. عبدالله الحامد : ٢٤٨ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الانجليز أم الهنود بشتى مللهم ، وكان للشعراء المسلمين موقف داعم لذلك التحرر ، ووقفوا مع إخوانهم يحيون جهادهم ، ويثنون بطولاتهم الفذة ، ويصفون قسوة المستعمر، وخبث أساليبه ، وتنوع مكره ودسائسه ، وبشاعة الجرائم التي ارتكبها ضد الآمنين ، وفي هذا الشأن يتحدث الشاعر علي النعمي مصوراً إحدى تلك الحروب التي أذكاها المستعمر ، وخطط لها ، وسعى من أجلها ، وهي فصل الأمتين المسلمتين في القارة الهندية عن بعضهما ، وهما باكستان وبنجلاديش ، وما فعلوه من جرائم بشعة ، فيقول بعد أن تحدث عن جراح المسلمين في فلسطين التي يسعى المسلمون لمداواتها بكل الوسائل وشتى السبل ، ولكن كلما حاولوا الوصول إلى مطالبهم ، وتوجيه همهم إليه ، ثعب عليهم جرح آخر أشغلهم عن همهم الأول ، وهذه المرة جرح باكستان :

جرح يوجه همه لشفائه ... فإذا بـ(باكستان) جرح ثانِ
والأمر يستدعي العلاج لنازف ... ما زال مسفوحاً على القيعانِ
عظم المصاب وجل حتى لم يعد ... جار يكن الحب للجيرانِ
لا رأي إلا للسلاح كأنما ... أضحى بنو الإنسان شبه الضانِ
ها قد تمادى المجرمون وساقهم ... للفتك في (جيسور) بالإنسانِ
حقد على الإسلام أشعل ناره ... مستعمر ذو منطق حيواني
فتعاونت أذنابه وتألبت ... أحزابه بقيادة الشيطانِ
(وغدوا على حرد) وصبوا سخطهم ... حمماً على (دكا) كما الطوفانِ
فصحا بنوها الآمنون على غد ... كالليل صيّرهم بغير أمانِ
يتلفتون تهدهم أدواؤهم ... حذر العدا بدداً بكل مكانِ
كانت لهم أوطان تجمع شملهم ... لكنهم عادوا بلا أوطانِ [1]

(١) الرحيل إلى الأعماق : ٦٠ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

والشاعر محمد أحمد العقيلي في قصيدته (الباكستان) ، يصف قيام دولة باكستان الإسلامية وتحررها من نير الاستعمار ، بأنه إعادة لأمجاد المسلمين في تلك البلاد التي سعى الأعداء لطمس الهوية الإسلامية فيها ، فيقول :

أضفت على الشرق إشراقاً ولألاء　　وجددت لجلال الفتح أضواء
يوحي لنهضتها الإسلام مؤتلقا　　روح التفوق والتحليق أجواء
وشيدت في ربوع الشرق مملكة　　فريدة كشعاع الشمس غراء (١)

وحيا العقيلي في تلك القصيدة القائد الكبير الذي قاد باكستان للخلاص من الظلم ، وهو محمد علي جناح ، وحيا معه أولئك الفتية الذين أخذوا على عواتقهم نفع أمتهم والجهاد في سبيلها ، ولم يضعفوا ، ولم يستكينوا أمام الأهوال والتحديات ، فيقول :

وفتية كحواري الرسل مابرحوا　　في نفع أمتهم جهراً وإخفاء
يبنون أمتهم ، يحيون ملتهم　　يعلون رايتهم في الكون شمَّاء
من كل ندبٍ يرى في خير أمته　　معنى الحياة ويعشى الموت فدَّاء
أبطال معركة أحرار مملكةٍ　　أساد معمعة بأساً وإمضاء (٢)

وكان محمد علي جناح ضامر الجسم نحيله ، إلا أنه كان عظيماً بفعله ، كبيراً بعزمه، فأشبه السيف ، فهو ضامر نحيف ، لكنه يفعل الأعاجيب ، حيث أقام دولة مسلمة عُدّت درة للشرق وفخراً للمسلمين ، فحري أن تخلد اسمه الأيام :

وضامر كغرار السيف متقد　　محلقٌ في سماء المجد أجواء
مؤسس من بناة المجد من رفعوا　　للحق صرحاً وللإسلام علياء(٣)

وقصيدة العقيلي عن استقلال باكستان ((**طويلة مفعمة بروح إسلامية مشرقة تحمل مسحة من الإيمان العميق بمجد الإسلام وعظمة المسلمين الأوائل ، واستبشاراً بمستقبل الإسلام**

(١) المجموعة الشعرية : ٣٨٧ .
(٢) المصدر السابق : ٣٨٩ .
(٣) المصدر السابق : ٣٩٠ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

على تعاون مثمر بين المسلمين في مغارب الأرض ومشارقها بقيادة رجالات مؤمنين بعظمة الإسلام ...)) [1] .

٢- قضية أفغانستان :

كان العالم يتنازعه معسكران وقطبان ، معسكر شرقي ، يتزعمه الروس ، وآخر غربي تتزعمه أمريكا ، وكل منهما يحاول السيطرة على مقدرات العالم وقراراته ، والتأثير عليه وجعله يسير في ركابه ، وكان المعسكر الشرقي الشيوعي يرنو إلى المياه الدافئة ، ومنابع النفط، والثروات العظيمة في الشرق الأوسط ، وكان الطريق إلى ذلك يبدأ من بلاد أفغانستان، فهي أولى العقبات في سبيل ذلك الهدف ، فحاول العدو الشيوعي طمس معالم الهوية ومحوها في نفوس الأفغان بكل الوسائل التي دأبوا على صنعها في البلاد التي يحاولون بذر فكرة الشيوع فيها ، ولكن ذلك الشعب المسلم لم يستجب لتلك الدعوات الهدامة ، حتى وإن سار في ركاب الأعداء بعض أبنائه ، ولما عجز الروس عن قهر نفسية وعزيمة ذلك الشعب المسلم بالوسائل الفكرية عمد إلى القمع والفتك بكل ما أوتي من قوة وآلة حرب ودمار ، وبدأ في إحراق كل شيء ، وقتل كل معارض له ، وتشتيت الأسر وترويعها ، وما لحق بذلك من تيتم وترمل وحرمان وإهانة للكرامة ، وإحساس بالذل والهوان ، ويصف ذلك الشاعر علي النعمي بقوله مخاطباً قادة العالم الإسلامي المجتمعين في مؤتمر لهم بمكة المكرمة :

فالمسلمون على المشانق علقت أجسادهم موثوقة بحبالِ
والمسلمون على الدروب تناثروا مزقاً بفعل قنابل النابالِ
يصليهم الأعداء ناراً كلما جأروا بذكر الخالق الفعالِ
أيزال من عمر اليقين فؤاده من دون جرم مؤذن بزوالِ
أيهانُ في (الأفغان) قوم آمنوا بالله .. واطرحوا الهوى الكرمالي؟

(١) مع الأنغام المضيئة ، لعلي المصري : ٨٧ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

كـــم مـــسلم فيهـــا يـــداس جبينـــه　　ولكـم وكـم يسقى بكـأس وبـالِ ؟ [1]

ولكـن هـذا الـشعب المسلـم لم يـستجب لكـل محـاولات الـسلام الخـادع ، ولا المبادلات الكاذبـة ، وأبـى إلا أن يـسترد حقوقـه ، ويحكـم بـلاده بالإسـلام ، وذلـك عـن طريق الجهاد في سـبيل الله ، ذلـك الجهـاد الـذي باركـه المسلمون ، وكـان لـبلاد الحـرمين الشريفين الدور المشرف في نصرتهم وتحقيق آمالهم ، مما جعل قوى البغي تندحر ، ويعلو صوت الإسلام بعد تضحيات جسام ، ومعامع وأهوال ، وهـذا الـشاعر حسن أبـو علـة يدعو الأفغان إلى تصعيد جهادهم ضد المعتدين الروس ، وأن الحقـوق لا توهـب ، وإنـما تؤخذ غلابا ، ويذكرهم ببعض انتصاراتهم ، ويـدعوهم إلى المزيـد ، مـن أجـل الخـلاص من هذه المحنة ، فيقول في قصيدته (صعِّد جهادك) :

إن الكريـــم إذا تفجـــر غيـــضه　　صغـــرت بعينيـــه قـــوى الأخطـــار
صـعد جهـادك لا عـدمتك في الـوغى　　إن الجهـــاد شريعـــة القهـــار
لا يدفـــع الباغـــي عليـــك مقالـــة　　نـــسجت بتنديـــد وباستنكـــار
ومبـــادرات كالمخـــدر تنتقـــى　　شـحنت بهـن حقائـب الأسفـار
مـا أضـيع الحـق الـسليب إذا بـدت　　في طالبيـــه دلائـــل الأدبـــار
أرأيـت جيش الكفـر كيـف تكسرت　　أرتالـه في سـوح (ننجرهـار) ؟
جنـــد تمكلهـــا العنـــاد وهزهـــا　　صـلف الغـرور وصـولة الكفـار
ردت عـلى الأعقـاب تركـب ردعهـا　　وتجـر ثـوب مذلـة وصغـار
مـــن لم يقـــم لله قومـــة صـــادق　　عـاش الحيـاة علـى شفـير هـار [2]

والـشاعر مهـدى الحكمـي حيـا انتـصار الأفغـان عـلى الـروس ، وعـودتهم إلى كابـل مظفرين ، ودحرهم للعدوان والطغيان ، وأوضح أن الانتصار لم يكن سهلاً ، وإنما جـاء بعـد

(١) الرحيل إلى الأعماق : ٢١ .
(٢) جريدة الندوة ، ع ٩٩٧٠ في ١٣ / ٤ / ١٤١٢هـ : ١١ ، والتاريخ الأدبي ، للعقيلي : ٣/ ١٤٠٠ – ١٤٠١.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

عزم وإصرار ، وبذل وتضحيات ، وذلك في رسالة إلى حبيبه عبدالله المسملي الذي مات وهو ينتظر مثل هذا الخبر المفرح ، فأرسل إليه الشاعر رسالة في مرثية يبشره بالنصر قائلاً :

يا خليلي
هذه (كابل) تهديك السلام
رفرف النصر على أرجائها
واحتشد الأبطال كالموتِ الزُّؤام
رفضوا كل حوار خانع اللهجة من وحي لئام
وأبوا كل دعاوى الانفصام
وارتضوا حلاً وحيداً
صاغه في حلكة الليل حسام
فغدا الليل صباحاً مشرق الوجه وولى عن ربا (كابل)
ظلم وظلام ... (١)

٣- قضية البوسنة والهرسك :

تعد هذه القضية مثالاً حياً على زيف الدعاوى العالمية التي تدعي رعاية حقوق الإنسان، وحماية المعتقدات والحريات الشخصية ، فها هم المسلمون البوشناق يرغبون في إقامة كيان مسلم لهم ، يحسون فيه بخصوصيتهم وتميزهم ، ولكن العالم النصراني لم يطب له إقامة هذا الكيان في وسط أوربا ، وعندها تناسوا كل القيم والشعارات التي يدعونها ، وأوكلوا مهمة إبادة هذا الشعب ، والتنكيل به ، ومعاقبته إلى العصابات الصربية المسعورة التي نفذت المهمة بكل حذقٍ وأمانة . فجاسوا خلال الديار ، وحولوا مساجد المسلمين ومساكنهم وممتلكاتهم إلى أكوام من دمار ، وقتلوا ، ومثلوا ، واغتصبوا، وأحرقوا ، وشردوا، وأبادوا تحت سمع العالم وبصره ، وزادوا الأمر سوءاً أن منعوا المظلوم من الحصول على السلاح ؛ ليدافع به عن حقه ، بحجة عدم زيادة النار

(١) لا تسلني عن جراحي : ٢٦ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

اشتعالاً ، وهم في الخفاء يمدون الصرب المعتدين بأعتى الأسلحة ، ولكن الشعب البوسني العزل لم يسكت عن حقه ، ودافع بكل بسالة ، وضرب أروع الأمثلة في التضحية والفداء ، والاستماتة والعطاء ، وكان للشعر دوره في نصرة المسلمين هناك ، ووصف أحوالهم ، وإيصال رسالتهم إلى إخوانهم في كل مكان .

ومن أروع القصائد التي تحدثت عن مأساة البوسنة والهرسك في شعر جازان قصيدة (شهرزاد تتحدث نهاراً) للشاعر إبراهيم مفتاح ، والقصيدة عرض درامي رائع، وظف الشاعر فيه الأسطورة التراثية التي تتحدث عن قصة شهرزاد وحكايات ألف ليلة وليلة في الوصول إلى ما يريد الحديث عنه من مآسى المسلمين ، ولكن الأبطال هنا قد تغيروا ، فهم أمة منتهكة ومجلس أمن ، وضحايا ، وعجوز ، وطفل .

وقد بدأها بالحديث عن تناسي شهرزاد لحكاياتها ، وتغيُّر الجو الروائي ، حيث لم يعد هناك ديك يصيح ، وليس هناك خوف من (شهريار) ، ولم يعد هناك فراغ ، ولكن تحولت الأزمنة إلى بؤس ومأساة يرعاها ويؤججها الظالمون الكبار ، فيقول :

وتهرب من ليلها شهرزاد　　إلى موعد مثقل بالنهار
لتشر في بهوه وجهها　　وتوقظ فيه بقايا الحوار
يدثرها الصمت والمستحيل　　وبوح الحديث الذي لا يدار
ولم يك في الوقت ديكٌ يصيح　　و لا في المكان جثا (شهريار)
تناست زمان امتصاص الفراغ　　وشكل الخرافي والمستعار
حكاياتها الآن أسمال بؤسٍ　　ومأساة عصر رعاه الكبار[1]

ثم يدخل الشاعر في الحكاية تلك العجوز المسكينة التي بلغت من الكبر عتيا ، ولقيت على كبرها صنوف البلاء ، وأشكال المآسي ، ونبصر في الحكاية – أيضاً – طفلاً بوسنوياً لم يرحم الأعداء الصرب طفولته ، فقتلوه من غير ذنب اقترفه ، ولكنه لم يجد في

(١) رائحة التراب : ٩٦ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

لحظات احتضاره أي مسحة من مسحات الحنان الوادعة ، فمات وهو بأمس الحاجة إلى قبلة وداع من أمه ، ولكن أين أمه ؟ لقد ذهبت قبله ، يقول :

ومن قمة السقف جاءت عجوز توحش في ظفرها الاحمرار
تناءى بها العمر حتى الجفاف وساحت عواطفها في القطار
فلم يجد الطفل أمّاً رؤوماً تخفف عنه جحيم الحصار
ولا من يلملمُ أشلاءه ويسبل عينيه في الاحتضار
ويطعمه قبلةً للوداع لتنبت في أرضه الاخضرار [1]

وتكمل شهرزاد حكايتها لتروي مأساة شيخ عجوز لم تكن تلك المرأة الطاعنة في السن ، ولا ذلك الطفل البريء بأسوأ منه حالاً ، فقد لقي هذا الشيخ الذي يحمل بقايا من حياة ، في حين أن السنون الطوال قد أكلت أكثر عمره ، لقي قهراً وجبروتاً وسوء معاملة أحالت حياته إلى جحيم لا يطاق ، وأنين وبكاء وحسرة لا تقاوم ، في حين أن دعاة حقوق الإنسان الغربيين كل يوم يجتمعون من أجل إنقاذه على الموائد ، ويعقدون لحلِّ قضيته المؤتمرات، في حين أن المأساة تعظم ، والحقوق تهضم ، والبلاد تسقط في فم التنين الصربي يوماً بعد يوم ، فيقول :

وشيخ بدا عوده ناحلاً ودار الزمان عليه المدار
على كاهليه تئن السنون وفي وجهه للمآسي اغبرار
يكوم في ظهره عمره وفي فيه تبدو بقايا جدار
يسوقون منه البقايا أنيناً وبعض البقايا طواها الدمار
وللغرب من أجله كل يوم لقاء وفي كل يوم إطار
ومائدة حولها يجلسون وفيها تدار كؤوس الدوار
فيسقط جيب وجيب وجيب ويقتل طفلٌ وأمٌّ ودار

(١) المصدر السابق : ٩٧ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

ويهتـــك عـــرض وتـــسبى نـــساء　　وتغـــصب أرض وزرع وعـــــار

وبعد تلك الحكايا المرة ، والليالي الصعبة توقفت شهرزاد عن سرد المآساة ، وتعداد المعاناة ، وصاح ديك على السور ، ولكنه الآن من ديكة التتار ، ولم يكن من الشرق ، وإنما صاح من جهة الغرب ، فيقول :

إلى هـــا هنـــا أمـــسكت شـــهرزاد　　وصـــاح عـــلى الـــسور ديـــكُ التتـــار[1]

والشاعر مهدي الحكمي ينحي باللائمة على المسلمين الذين ضيعوا إخوانهم ، ولم يقفوا معهم الوقفة المنشودة ، إلا بعد أن دمرت مدينتهم سراييفو ، وكان بإمكانهم أن يصنعوا أشياء كثيرة ، فيقول :

يا لقومي .. أي سهم قد رمانا
أي تخدير وتطبيع أتانا
فانكسرنا تحت أقدام القرود
نمضغ اليأس ونستجدي عدانا
أي بلوى قد أصابتنا فنمنا وتغشانا الشرود
وأساطير الحدود
وسهرنا عن حمانا
فلماذا لم نقلْ للصرب كفّوا ..
ولماذا لم نقاطعهم ولم نبرح مكانا ؟
فكفانا يابني قومي كفانا[2]

(١) المصدر السابق : ٩٨ .
(٢) لا تسلني عن جراحي : ٣٤ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

رابعاً - الاتجاه الاجتماعي :

إذا تأملنا الشعر في جازان نجد أن هناك عدداً من الشعراء سيطرت على تجاربهم قضايا المجتمع وهمومه ، بل إن هذا الاتجاه يكاد يستأثر بالنصيب الأكبر من تجارب شاعرين كبيرين ومكثرين - في الوقت ذاته - هما علي بن حسين الفيفي ، وعلي بن أحمد النعمي ، فللأول ستة دواوين ، وللثاني مثلها أو تزيد ، وفيها تتجلى حنكتهم وخبرتهم وثقافتهم ومدى اندماجهم بالمجتمع الذين يعيشون فيه ، وسبر أغوار فئاته المختلفة ، فضلاً عن عدد آخر من الشعراء ، كانت لهم مشاركة متميزة في هذا الاتجاه ، ولكنه لم يغلب على جل نتاجهم الأدبي ، كما حصل لذينك الشاعرين .

وبالتعرف على النتاج الأدبي في هذا الاتجاه ، يتبين لنا قدرة الشعراء على الاطلاع على قضايا الناس ورغباتهم ، وأفكارهم وتطلعاتهم ، وطرائف معيشتهم وأنماط تفكيرهم ، لدرجة أن بعضاً منهم قد كوّن لنفسه فلسفة خاصة ، أو نظرة مستقلة في الحياة . فلم يكن شعراؤنا السعوديون ، ومنهم شعراء جازان بمعزل عن قضايا مجتمعهم ، أو منغلقين على ذواتهم، وهمومهم الشخصية البحتة ، بل كان ((لهم اتصالهم بالمجتمع ، وإدراك قضاياه ، فهم يعايشونه اجتماعياً ، قراءة لحالته ، واستبانة لمطالبه وتوجهاته)) [1] .

وبإمكاننا أن نتعرف على اهتمامات شعراء جازان الاجتماعية والقضايا التي تناولوها وعالجوها في شعرهم ، وذلك بناء على كثرتها وسعة المشاركة فيها ، ومن أهم تلك القضايا الاجتماعية :

أولاً - قضية المرأة :

تعد هذه القضية من أهم القضايا الاجتماعية التي عني بها شعراء جازان ، إذ شملت عنايتهم كل ما يتصل بالمرأة ، من حيث تعليمها ، وعملها ، وزواجها ، وما يلحق به من قضايا ومشكلات وتعقيدات ، وعموماً فقضية المرأة قد أحدثت ضجة

(١) الشعر والمجتمع في المملكة العربية السعودية ، للأستاذ الدكتور / مسعد العطوي : ٥ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

كبيرة في العالم العربي منذ أن تبنى قاسم أمين قضية سفورها إلى يومنا هذا ، حيث يحرص العلمانيون والمتحررون والمتفرنجون على جعل المرأة قضية تثار من حين إلى آخر .

وما يهمنا هنا هو إبراز القضايا الخاصة بالمرأة الواردة في شعر جازان ، من خلال تصورهم الذي كان منسجماً ومتوافقاً مع المنهج الإسلامي القويم ، الذي أعطى المسلم تصوراً واضحاً في العلاقة بين المرأة والرجل وحقوق كل منهما وواجباته ، وكذلك جاء حديثهم موائماً لعادات المجتمع السعودي الذي حافظ على تلك الثوابت والأسس العربية التي تقدر المرأة وتحترمها ، وتنأى بها عن كل ما يمس كرامتها ، أو يخدش حياءها ، أو يلطخ سمعتها .

ومن تلك القضايا المتعلقة بالمرأة في شعر جازان ما يلي :

١- تعليم المرأة :

اهتم الشعراء بتعليم المرأة ، وأكثروا من القول فيه ، وعالجوا هذه القضية بشتى ألوان التعبير ، فالمرأة هي نصف المجتمع بلا شك ، وهي مدرسة بكل ما للكلمة من معان ، فواجب تهذيبها وتعليمها بما لا يتعارض مع الأصول الشرعية ، والقواعد الأخلاقية ، فالدين يدعو إلى تعليمها وتنشئتها على حب العلم وأهله ، ويمنع في الوقت ذاته بل يحارب جهلها وسطحيتها؛ لماله من انعكاسات سلبية على النشء الذي ترعاه بين يديها ، وهي – كما نعلم – أول معلم له ، والطفل ما هو إلا صورة من تلك الأم التي ترعاه وتنشئه ، يقول ابن خميس في ذلك :

إنها في ذاتها مدرسة　　إن خبيثاً أنجبت أو طيبا
يخرج الأطفال منها صورة　　إن نالوا العلم ضلّوا الأدبا (١)

وشعراء جازان اهتموا بهذا الجانب ، ورددوه في أشعارهم ، مبينين أنها مربية الأجيال في سائر الأزمنة ، وأن حاجة الجيل إليها في هذا الزمن أشد ، فلا مكان للتردد

(١) على ربى اليمامة : ٢٣٣ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

في سلوك سبيل المعرفة والطموح ، والرقي من أجل صناعة الرجال ، وفي هذا يقول الشاعر إبراهيم صعابي في قصيدة (إلى فتاة بلادي) :

أختاه قد أقبل التاريخ مبتسما وأقبل المجد في التاريخ مرتسما
دعي التردد في التعليم وارتقبي فجر الحياة وجوبي الأرض والقمما
فما الطموح بعيب للفتاة ولا أن ترفض العجز والإهمال والسأما [1]

ثم يعرض الشاعر أمام الفتاة – وهو يدعوها إلى النهوض وسلوك سبيل العلم – أنموذجاً وأمثلة لما صنعته فتاة الأمس التي عرفت مكانتها ، وأدت دورها في النهوض بأمانتها ورعاية النشء الذي كلفت به ، فيقول :

وسائلي ذكريات الخلد ما علمت تنبيك عنها فتاة الأمس ما اكتتما
كانت هي الأمل الوضاء في زمن عفيفة النفس لا ترضى بما حرما
هي التي تحمل الإيمان في دمها وفي طريق بنيها تزرع القيما
وأنها ترخص الأبناء في شرف ولا تبالي أمات الابن أم غنما
سلي المعارك كم فيها مقاتلة مع النبي تصد الكفر إن هجما [2]

وإن كان ذلك دورها في تلك الأيام التي عز فيها المسلمون ، فإنه لا مجال في هذا الزمن للتخلف والجهل ، والقعود عن مسايرة ركب الحضارة ، ولا ينفع التمني أو الندم على الواقع ، بل خوض غمار الحياة على أسس متينة ، وهمم عالية ، وأن صناعة الأمة تبدأ من المرأة ، ولا غرابة في هذا :

أختاه إن حياة الجهل قد رحلت عنا وما ينفع الإنسان إن ندما
فرددي نغمة الإقبال في طرب وحققي مجدك الماضي كما رسما
فأنت صانعة الأبطال من زمن فلا غرابة في أن تصنعي أمما [3]

(١) حبيبتي والبحر : ٨٥ – ٨٦ .
(٢) المصدر السابق : ٨٦ .
(٣) المصدر السابق : ٨٧ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

والشاعر علي حسين الفيفي ((**يصور لنا حياة الطالبة التي التحقت بالدرس والتحصيل بافتتاح رئاسة تعليم البنات عام ١٣٧٩ هـ ، وقد دأبت على مواصلة التعليم في مثابرة وجد ، وأخلصت لطلب العلم ، في عفاف وطهر ، وهو يوضح روح التنافس والانتماء إلى الدين والعادات السليمة**)) [١] ، وذلك في قوله :

جمعت خير الصفات　　وتحلت بالثبات
شمرت عن ساعديها　　فأتت بالمعجزات
ومشت في الدرب سعيا　　رغم كل العقبات
قطعت شوطاً بعيداً　　بالجهود الخيرات
قالت الجهل سأرميه　　ببحر الظلمات
أطلب العلم بعزمي　　واجتهادي وثباتي [٢]

وفيها يبين الشاعر ذلك العزم الأكيد ، والإصرار على ارتقاء الفتاة ذلك السلم ، مهما كانت العقبات ، فهي حتما ستزول بجهود رعاة العلم وبناة المجد الذين أخذوا على عواتقهم النهوض بالمرأة ، والقيام بما أمر الله به تجاهها .

ويتحدث على لسان الفتاة التي اهتمت بتنظيم وقتها ، وحمايته من الضياع ، واللهث خلف الأمور التافهة ، فإنها هي وحدها التي تحقق وجودها في هذه الحياة ، وتفرض احترامها على من حولها ، وإذا خالفت ذلك فهي لا قيمة لها ، فيقول :

وإذا أهملت يوماً　　في أداء الواجباتِ
ومضى وقتي هباءً　　في سماع الأغنياتِ
ودخلت الفصل كالعميا　　ء بين المبصراتِ
دون أن أهتم بالدر　　س اهتمامي بالصلاةِ
وأتى يوم امتحاني　　في عداد الراسباتِ

(١) الشعر والمجتمع في المملكة العربية السعودية ، د. مسعد العطوي : ٢٣٨ .
(٢) رحلة العمر : ١٩ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وبكـــت أمـــي وفي عيـــني مئـــات العـــبراتِ
ورأيـــت الحـــزن في وجـــ ـــه أبـــي والأخـــواتِ
أي معـــنى لوجـــودي أي معـــنى لحيـــاتي [1]

ويتبين لنا من هذا الشعر وغيره أن الشعراء قد عالجوا قضية تعليم المرأة بصراحة ووضوح ، وهم في عرضهم لهذه القضية متأثرون بموقف الإسلام من تعليم المرأة ، كما أنهم متأثرون – أيضاً – بالدعوات العصرية التي انطلقت في كل مكان ، وتنادي بإعطاء المرأة حقوقها وحريتها ، كل ما في الأمر أن الشاعر قد غطى هذا الجانب بما يدل على تفهمه لواجبات المرأة المسلمة ، ولم ينجرف وراء التيارات الهدامة التي تريد أن تفتح الطريق أمام المرأة كما يريد هؤلاء الذين انبهروا بوهج الحضارة الغربية .

٢- الزواج وقضاياه :

اهتم الشعراء كثيراً بموضوع الزواج ، وأخذوا يديرون قصائدهم حوله ، فتحدثوا عن مشكلاته المعاصرة من غلاء المهور ، وما يتبع ذلك من عنوسة ، وكذلك أشاروا إلى قضية تعدد الزوجات ، وإرغام المرأة على الزواج بمن لا تحب ، أو بمن يكبرها سنا ، وكذلك قضية الطلاق ، وما يتبعها من آثار سيئة ، وتفصيل ذلك فيما يلي :

أ- تزويجها بمن لا يناسبها :

من الموضوعات التي كثر الحديث عنها في هذا الجانب ، هو تزويج الفتاة إلى من لا تحب ، إما لكونه أكبر منها سناً ، أو لكونه لا يلائم مستواها العلمي والثقافي ، أو الاجتماعي، إما بسبب طمع من والدها في رجلٍ ثري ، أو بحجة أن الزواج لا يشترط له التوافق النفسي والعاطفي ، وهذا كله من الجهل أو طغيان المادة على كثير من النفوس، وتحول قلوب بعض الآباء إلى حجارة قاسية ، بل هي أشد منها قسوة ، وقد عالج الشعراء هذا الموضوع بطرائق مختلفة ، وأشكال متنوعة ، فهذا الشاعر علي بن حسين الفيفي يعرض هذه المشكلة في أكثر من قصيدة ، منها قصيدة (ظلم الآباء وقلب

(١) المصدر السابق : الصفحة نفسها .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

العذراء) ، وفيها يورد الشاعر حواراً بين فتاة تعاتب حبيبها في سبب تخليه عنها ، ونسيانه ما قطع على نفسه من الوعود ، فبين لها أن سبب ذلك ليس بغضاً لها ، أو تخلياً عنها ، إنما هو صنيع أبيها الذي عرف أنه قليل مال ، و لا يملك منه إلا اليسير ، فهو إذاً لا يصلح للزواج من ابنته ، وفي هذا يقول :

فوالدك الذي لم يرض يوماً　　بقربي أو يراني من بعيد
يحدثني بألفاظ عذاب　　وفي أحشائه مثل الوقود
ويظهر لي التودد في ذكاء　　يفوق ذكا الثعالب والقرود
وقال دعيه فهو قليل مال　　ضعيف الحظ في هذا الوجود
ومهما كان ذا شرف ومجد　　فلم ننظر إلى شرف الجدود

فشرف الإنسان وطيب معدنه لم يعد هو المطلب المهم لدى هذا الأب الذي أعماه بريق المال ، ومع هذا فهو يهدد ابنته أنها إن فكرت في ذلك الحبيب الفقير ولو مجرد التفكير فإن عاقبتها وخيمة ، فيقول لها :

ولو حدثت نفسكِ ذات يوم　　به لقطعتُ ما حول الوريدِ (١)

ويعرض الشاعر علي بن حسين الفيفي في قصيدة أخرى تلك الفتاة التي زفها أهلها إلى من يكبرها سناً ، ولكنه يملك المال المغري ، وتجاهلوا أنه لن يحقق لها السعادة ، يصور الشاعر تلك الفتاة ليلة زفافها ، وما دار من حوار بينها وبين ذلك العريس الثقيل على نفسها، الذي يرفضه فؤادها قائلاً :

زفوك مكرهة وظنوا الـ　　ـحب قد يشرى بمالِ
وتجاهلوا الدمع الحزين يخطّ　　(م)　　عاقبة المآلِ
ودخلت منزلك الجديـ　　ـد كداخل ساح القتالِ
زجوا به بين السيوف　　وكل رام للنبالِ

(١) المصدر السابق : ٢٨ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وســـكبت أدمعـــك الحزيـــ ـــنة عنـــد زوج لا يبـــالي
قـــال اطلبـــي مـــا شـــئت وابـــ ـــتسمي فعنـــدي كـــل غـــالِ
إنـــي الـــوفي مـــدى الـــ ـــحياة وإننـــي الـــزوج المثـــالي

ولكن تلك الفتاة المسكينة التي أرغمت على الزواج منه من غير أن يكون لها أدنى رأي أو مشاركة في قرارها المصيري ، ردت عليه وهي في حالة من الحزن والكآبة :

فوقفـــت تنتحـــبين شـــأ ـــنك شـــأن ربـــات الحجـــالِ
وصرخـــت قائلـــة لـــه أحـــ ـــلى حـــديثك كالنـــصالِ
لا تحـــسبن هـــواك يـــأسرني فقلـــبي منـــه خـــالي
تـــسعى لكـــسب مـــودتي بالمـــال أو بالاحتيـــالِ
لم تـــدر إنـــك إنمـــا تـــسعى إلى نيـــل المحـــالِ
وهـــواك يرفـــضه الفـــؤاد وذاك لم يخطـــر ببـــالي [1]

ويصور في قصيدة أخرى بؤس الفتاة التي تزوج مكروهة بمن لا تحب ، أو لا يكون مكافئاً لها ، ويعرض مرارتها في صورة محزنة ، فأهلها يعيشون فرحة الزفاف وبهجته ، وهي في عالم آخر مليء بالأحزان والقهر والإحساس بالألم ، ولكن الناس من حولها لا يعلمون ذلك ،

يقول علي الفيفي :

فـــإذا مـــا أشرق الـــصبح رأت حلـــم الأمـــس كـــوهم الـــواهم
ورأت أحلامهـــا مـــذعورة ورأتهـــا بـــين مـــوج غاشـــم
وأقـــام الأهـــل أفراحـــاً لهـــا وهـــي في حـــزن وبـــؤس دائـــم
وإذا الـــزوج يـــرى أحلامـــه وهـــي في ثـــوب حـــدادٍ قـــاتم [2]

(١) أزهار : ٣٦ – ٣٧ .
(٢) المصدر السابق : ١١٨ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

وتلك الزوجة التي تزوجت من لا تحب ، واقترنت بمن لا يلائم ذوقها وتطلعاتها وأمنياتها ، تلك الزوجة لا يمكن لها أن تبقى طويلاً مع ذلك الزوج غير المرغوب فيه ، وهو ما حصل لفتاة غادرت عش الزوجية في سن العشرين ، بسبب تلك النظرات الظالمة ، والأفكار البالية في عصر يوصف بالتطور في كل شيء ، ولا يزال هناك أناس يعيشون في ظل تقاليد وأغلال ناشئة من الجهل والظلم ، وبعيدة عن الرحمة ، أولئك هم أشد الناس ظلماً ، وإساءة إلى حياتنا الاجتماعية ، وفي هذا يقول علي بن حسين الفيفي مصوراً ما لقيته الفتاة المسكينة من عذاب :

وذاب جمالها الفتان حتى　　ذوى في موجة الحزن الشديدِ
ولم يمضِ لها عشرون عاماً　　شهيدة ذمة الأب اللدودِ
وأعظم ما رأيت فؤاد عذرا　　تحطمه تقاليد الجدودِ
بعصر جاوز الإنسان فيه　　حدود الأرض بالعلم المفيدِ
ولكن لا يزال هنا أناس　　قلوبهمُ أشد من الحديدِ
ولو تبدي لهم رأيا سديداً　　فلن يصغوا إلى الرأي السديدِ
أولئك هم أشد الناس ظلماً　　لنا ولأهلهم بين الوجودِ (١)

والشاعر حسين النجمي يشير في إحدى قصائده إلى أن بعض الآباء يرى أن زواج ابنته من صاحب المال خير ضمان لمستقبل ابنته ، وأن الزواج المبني على العواطف ، والتوافق النفسي والعمري قد لا يدوم ، وأيامه تبلى ، ولكن السعادة كلها في المال ، يورد الشاعر ذلك في معرض شكوى فتاة من أبيها الذي زوجها إلى من لا تحب ، بل ترى أنه قد باعها منه ، فأورثها الهم والأحزان ، يقول :

فقالت : أبي من حبه المال باعني　　كجارية بيعت وليست لها السؤلا
فأسلمني نحو الذي لم يكن له　　لقلبي سبيل أو يكون له أهلا

(١) رحلة العمر : ٣١ – ٣٢ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وحكمته أن الزواج على الهوى تموت به نار المحبة أو تبلى
وأن زواج المال يبقى على المدى يفيء على الزوجين من خيره ظلا
وظن طريق المال درب سعادة وذاك للقياها طريقته المثلى
فبادلني بالمال والجاه والغنى كأن قليل المال من بتته أغلى
فأورثني همًّا رزئت بحمله فأصبح دمع العين من مقلتي يجلى [1]

والشاعر حسن ضائحي [2] في قصيدته (رجاء يعفور) ، يذكر من هو ذلك الرجل الذي ينبغي أن يحرص الأب على اقترانه بابنته ، تلك الأمانة التي كلف برعايتها، فيقول على لسان فتاة تخاطب أباها :

يا أبتي إذا أتاك خاطب فاختر لمن تكرم من تصاحب
وانظر له في خلق ودين فإننا كالجوهر المكنون
في يد كل صالح نصان وعند كل فاجر نهان
فبعضهم ظاهره مطاب ومن وراء ظهره العذاب
قد أظلمت من نفسه أرجاؤها وغاض منها زرعها وماؤها
همته قات وقوت وهوى حتى ولو بات بنيه بالطوى [3]

(١) خفقات قلب : ٢٥ .

(٢) هو حسن بن يحيى بن أحمد فقيه ضائحي ، ولد بقرية صنبة سنة ١٣٧١هـ ، ثم درس الابتدائية في قريته ، والمتوسطة بجازان ، ثم حصل على شهادة معهد إعداد المعلمين بأبها سنة ١٣٩٣هـ ، ثم عمل مدرساً ، وبعد ذلك واصل دراسته الجامعية منتسباً في كلية اللغة العربية بأبها ، وحصل على شهادتها سنة ١٤٠٠هـ ، وحصل بعد ذلك على الماجستير سنة ١٤٠٩هـ ، وهو الآن (١٤١٨هـ) يعد رسالة الدكتوراه في النحو والصرف . وله أشعار رائعة في شتى الأغراض . انظر ترجمته في : التاريخ الأدبي لمنطقة جازان ، للعقيلي : ٣/ ١٦٤٣ وغيرها ، وفرجة النظر ، للشعفي : ١/ ٢٣٣ .

(٣) التاريخ الأدبي ، للعقيلي ٣ / ١٦٦٧ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

وترضى المرأة العاقلة الشريفة بحياة العنوسة على أن تقترن برجل تافه ذي أخلاق سافلة ، وهموم متدنية ، لا يملك في الحياة قيمة سوى مال قد يذهب منه في أي لحظة ، وتقول مثل هذه الفتاة :

عنوسة يا أبتي كريمة　　أفضل من زواجة ذميمة
فأخذني من قبل أن أشاكا　　فليس لي من صاحب سواكا [1]

ب- غلاء المهور :

من أكثر العقبات التي تقف في وجه الشباب فتياناً وفتيات ، وتحول دون تحقيقهم لأمنياتهم ، وإعفاف أنفسهم ، المغالاة في المهور ، وهو مرض اجتماعي ليس والد الفتاة هو الطرف الوحيد فيه ، بل هناك أطراف أخرى كثيرة غيره ، منها الفتاة نفسها ، وأمها ، وقريباتها اللاتي تزوجن قبلها ، وتريد أن تكون هي مثلهن ، وكذلك المجتمع الذي لا يرحم، ويقف بمجهار راصد ، ومنظار دقيق يعاقب كل من يريد أن يكون قدوة في طريق حل المشكلة ، ومن هنا تفاقمت ، وازدادت ، وإن بدأ من بعض الناس سعيٌ حثيثٌ للتخفيف على الشباب ، ومساعدتهم ، والتخفيف عنهم إلا أن الفئة الغالبة من المجتمع تزداد يوماً بعد يوم مغالاة ، وإرهاقاً لكل من يقدم على ستر نفسه وإعفافها ، ومن هنا فقد اشتكى الشعراء زيادة المهور وغلاءها ، و((**تجاوز الحد المعقول فيها ، إضافة إلى ما يصحبه من عادات أخرى تثقل كاهل الزوج ، وأخذوا يصرخون في وجه الطامعين المتشددين لعلهم يفكرون في مستقبل فتياتهم ، ويحرصون على التوجيه الرباني بقبول صاحب الدين والعقل**)) [2] والخلق القويم ، ومنهم الشاعر علي بن حسين الفيفي الذي قد تنبىء بعض أشعاره أنه مر بتجربة مريرة ، وواجه عقبات في طريق الوصول إلى المرأة التي يريدها ، وأهم تلك العقبات هو مغالاة والد محبوبته في مهرها ، ولذا نجده في بداياته الشعرية ، ينشد أكثر من قصيدة تحكي هذه المعاناة ، ونحس فيها نبرة الإحساس

(١) المصدر السابق : ٣ / ١٦٦٨ .
(٢) الشعر والمجتمع في المملكة العربية السعودية ، د. مسعد العطوي : ٨١ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الصادق ، الذي يشيد بواقعية التجربة ، ومن ذلك قوله مخاطباً محبوبته مسلياً لها ، ومشيراً إلى ما لقيه من معاناة ومرارة :

ولقد قاسيت ما قاسيته ... لم يفدني أي حرص أو حذر
غلب الآباء أن يلتفتوا ... لأمانينا فكل يعتذر
ولهيب الشوق كالإعصار في ... داخل الأحشا وآلاف الفكر[1]

ثم شرع بعد ذلك في تفصيل سبب المعاناة ، والمطالب التي أمليت عليه ، ومظاهر التعنت ، وتنوعها ، وكلها مهما اختلفت أشكالها إلا أن نتيجتها في النهاية واحدة ، يقول :

بعضهم يطلب مهراً غالياً ... وشروطاً ليس تبقي أو تذر
وأناس كثرت أموالهم ... فرأوا أنهم فوق البشر
وأناس لم يجيبوا داعياً ... أو يجيبوك بوجه مكفهر
وأناس كل من جاء لهم ... سخروا منه وقالوا ما الخبر
وقليل من إذا كلمته ... قال لا تعجل تمهل وانتظر
فانتظر عاماً ، وعاماً بعده ... ولقد تغدو لزيد أو عمر[2]

ويرسل في قصيدة أخرى عنوانها (المهر بالمزاد) أشواقه إلى محبوبته في رسالة عاطفية حزينة ، وفيها يخبرها بالحقيقة المرة التي تحول بينهما وبين تحقيق أحلامهما ، فوالد محبوبته لا يريد أن يزوجها إلا لمن يدفع أكثر ، وكأن ابنته سلعة في مراد علني ، فيقول :

ففي صدري من الأشواق نار ... وفي الأجفان آثار السهادِ
وحبك في دمي يجري ولكن ... أرى في دربنا شوك القتادِ
فوالدك الذي ما كان يوماً ... ليقبل أي مهر اعتيادي

(١) رحلة العمر : ٢٥ .
(٢) المصدر السابق : ٢٦ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

يريـــدك للـــذي يعطـــي كثـــيراً　　كـــأن المهـــر يعلـــن بـــالمزادِ
ووالـــدك الـــذي يـــأبى ويـــأبى　　بمهـــر سائـــر بـــين العبـــادِ [1]

جـ- العنوسة :

من المشاكل الاجتماعية التي يحدثها غلاء المهور بقاء كثير من الفتيات داخل البيوت، بل امتلاء البيوت بهن ، وقطار الزواج يمر ، ولا ينتظر ، أو يتمهل أو يصغي لتعنت الآباء ، وبالتالي تنشأ مشكلة كبيرة لها ثمار مرة يجنيها المجتمع والأسرة ، وتعيش الفتاة مأساة وإحساساً بالحرمان ، وسبب ذلك هو تعقيدات المجتمع ، وقسوة الأهل ، ونسيان عواطف ومشاعر ابنتهم ، وقد صور الشعراء كثيراً من تلك المعاناة في محاولة للتأثير على القارىء والمجتمع بأسره ليتفاعل مع القضية ، فهذا الشاعر علي بن حسين الفيفي يصور شاباً يدخل على أسرة يخطب منهم ابنتهم ، وتلك المسكنية تقف خلف سترها تستمع لما يدور من حديث بين فتى الأحلام وأهلها ، فيقول مصوراً مشاعرها :

ووراالبـــاب غـــادة تتمـــنى　　ليلـــة العمـــر مـــن فـــؤاد كـــسيرِ
تمتمـــت بالـــدعا وأصـــغت إليهـــم　　وهمـــو يطلبـــون أغـــلا المهـــورِ
فجـــرى دمعهـــا وقالـــت إلهـــي　　أنـــت أدرى بكـــل مـــا في الـــصدورِ
لا تدعـــني أعـــيش في قبـــضة الأ　　هـــل وبـــدل تعاســـتي بالـــسرورِ
كلمـــا جـــاء خـــاطب قـــابلوه　　بـــازدراء ورفعـــة وغـــرورِ
ثـــم ســـارت في غرفـــة سئمتهـــا　　ورمـــت نفـــسها بجنـــب الـــسريرِ
حيث قالـت يـارب طـال انتظـاري　　لحيـاة يرتـاح فيهـا ضميـري [2]

وفي قصيدته (فتاة اليوم) يشير الشاعر علي بن حسين الفيفي إلى ظلام الحياة في وجه الفتاة التي يفوتها قطار الزواج ، وتحول كل شيء في الحياة إلى مظهر بؤس وحرمان

(١) المصدر السابق : ٣٦ – ٣٧ .
(٢) أزهار : ٣٣ – ٣٤ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

في نظرها، حتى مظاهر السعادة لدى الآخرين تبصرها هي معالم شقاء ، وتكاد تموت مما هي فيه من قهرٍ وكبتٍ وضيق صدر ، فيقول على لسان فتاة :

أحسُّ بأنّني قد عشت عمري ... ببيت ضيق وأنا بقصرِ
وأشعر أن هذي الدار أضحت ... تضيق كما يضيق اليوم صدري
وأنظر للحديقة وهي روضٌ ... ولكني أراها شبه قفرِ
ولي أهلٌ وليس لهم قلوب ... تحس بما أحس به وتدري
إذا ما جاءهم كفء كريمٌ ... ليخطبني فهم يغلون مهري
يساومه أبي في المهر جهلاً ... وهذا الجهل بالآباء يزري
يطالبه بمهرٍ ليس يدري ... أيجمع بعضه في ألف شهرِ
فأخفيت امتعاضي في فؤادي ... وكدت أموت من كبت وقهرِ[1]

ولذا نجد كثيراً من الشعراء يثورون على تعقيدات الزواج ، وتصوير الظلم الذي يحل ببعض فئات المجتمع ، و لا سيما الفتيات اللاتي لا حول لهن و لا قوة ، وحاول بعض الشعراء العودة إلى الماضي وذكرياته ، ورواية صور الزواج التي كانت ميسورة ، وفي متناول كل شاب وشابة أن يكونا عشاً جميلاً ومليئاً بالسعادة دون تعقيد أو عراقيل ، فالشاعر علي النعمي في معالجته لهذه المشكلة أورد ملامح من قصة الزواج في الماضي ، ذلك الزواج السهل والميسور ، وفي إحدى قصائده يورد كثيراً من الحوار بين شاب أراد أن يقترن بفتاة أحلامه ، فجاء إلى أهلها خاطباً ، وكان تركيز الأهل على قدرة هذا الشاب وأهليته للاقتران بابنتهم ، لا على ما يحمله من مال ، وبعد أن عرض الشاب عليهم مؤهلاته وأخلاقه ، لم يكن من الأب والحاضرين إلا المباركة لذلك الزواج ، ومما جاء في القصيدة قوله :

فأشار الحضور، كل يود القـ ... ـول (زيدٌ .. زيد) حميد الخلالِ

(١) المصدر السابق : ٦٥ – ٦٦ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

وسرت ضجة، فأوقف كيل الـ ـمدح شيخ أضناه كر الليالي
قال : ياقوم إن أتاكم كريم ووفي . . ومن خيار الرجالِ
فاقبلوه، فقال والدها : سمـ ـعاً قبلنا.. (زيداً) ومن غير مالِ[1]

وبعد أن قبل الوالد رأي أولئك الحاضرين العقلاء ، بين أن صلة الوالد بابنته ليست صلة تاجر بسلعة ، وإنما هي صلة حب وألفة ، وشفقة واهتمام بالمصير ، ولذا خاطب الحاضرين قائلاً :

أيها الحاضرون سلمت أمري ليديكم بما يشرف قدري
لا تذلوا (زيداً) و لا ترهقوه واجعلوا المهر بين ست وعشرِ
فلبتي التي سهرت عليها أعمق الحب في دخيلة صدري
فهنئا بها هنئا لـ (زيد) واحتفالي بها احتفالي بعمري[2]

وكان زيد على قدر كبير من النضوج ، مما أهله ليكون جديراً بتلك الفتاة ، يبدو هذا في اعترافه بالفضل لوالد الفتاة الذي تعب على ابنته تنشئة وتربية حتى بلغت رشدها ، وبعد ذلك ضم الزوجين بيت السعادة بعد صبر وتشوق :

قال زيد : ما شاء عمي ملبى فله الفضل إذ رعاها وربى
لا أبالي (فقال: حسبك يا زيـ ـد) فإن الجميل أحمد عقبى
وبليل الريف الجميل المندى بأريج من الرياحين هبا
ختم الصبر ود قلبين باللقـ ـيا فراحا قلب يهدهد قلبا[3]

وفي غمرة ذلك المشهد الرائع ، مشهد بناء بيت جديد ، يضفي على المجتمع كثيراً من المعاني ، وتبدأ أسرة جديدة في الحياة ، في غمرة ذلك راح الشاعر علي النعمي يتخيل ويتمنى عودة ذلك الماضي الجميل ، وطرد هذا الواقع الذي شهد كثرة العقبات التي

(١) الأرض والعشق : ١٠٨ .
(٢) المصدر السابق : الصفحة نفسها .
(٣) المصدر السابق : ١٠٨ – ١٠٩ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

تصد الشباب عن الزواج ، وبالتالي تكدس الفتيات خلف أسوار الأمل ، ووراء أبواب العنوسة ، فيقول:

أين منا تلك الحياة الجميلة بمضامينها العظام النبيلة ؟
يوم كان الزواج سهلاً وميسو راً وكان الوفا يعم القبيلة
يوم كان التلاحم الحق والصد ق بشتى الظروف رمز الفضيلة
ذاك فصل من سفر عيش محته نظرات من العيون الكليلة[1]

نعم إنه فصل رائع من أيام جميلة سطرت في كتاب المحبة وحماية أفراد المجتمع من أمراض كثيرة ، وتعقيدات مثيرة ، لم يكن جناها في عصرنا الحاضر سوى المعاناة والألام لكثير من الفتيات اللاتي يرفعن شكواهن إلى الله - عز وجل - ليعجل بفرج منه، وبتحويل لحياة آبائهن القساة ، فهذه فتاة يصف علي الفيفي حالها وهي ترى ركباً من صديقاتها وهن يتزوجن ، ويهنأن ، وتبقى هي محطمة الشباب ، أودى بها طمع أبيها وجشعه ، فتبتهل إلى الله ضارعة إليه ، واصفة سؤال أمها لها عن سر أحزانها ، فيقول :

تداعبني ثم تلثم خدي فأهرب للغرفة الثانيه
وتلحقني كي تخفف حزني فأصعد للشرفة العاليه
وأنظر للركب وهو يسير طليقاً من القبضة الضاريه
إلهي أبى والدي أن أعيـ ش كأبناء جنسي وأترابيه
أبى كلما جاءه خاطبٌ يرد بلهجته القاسيه[2]

د- تعدد الزوجات :

أباح الإسلام للرجل أن يتزوج بأكثر من امرأة ، دون أن يتجاوز الأربع ، وذلك التعدد مقترن بضوابط وأخلاقيات لا بد أن تراعى ، وحاجات لا بد أن تحقق ، ولم يكن

(١) المصدر السابق : ١٠٩ .
(٢) أجراس : ٢٧ – ٢٨ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

التعدد في الإسلام في يوم ما مدعاة لتحقيق نزوات سريعة ، ورغبات وقتية ، حتى وإن كان أغلب الرجال يتشوقون إليه ، ويتشدقون به ، لكنه مرتبط بتكاليف اجتماعية ، ومسؤوليات تربوية ، وعلاقات أسرية ، وأسس نفسية وعاطفية . وبتأمل شعر جازان نجد أن أكثر من طرق هذا الموضوع هو الشاعر علي النعمي أحد من خاضوا غمار التعدد ، ولذا فهو خبير به، عالم بشؤونه وقضاياه ، ومما له في هذا قصيدة (في قلب زوج زوجتان) ، وفيها يوجه رسائله ونصائحه إلى زوجته الثانية ، وقد بدأها بتصوير عاطفته، ونجاحه في تحقيق حلم من أحلامه السعيدة ، واصفاً الأيام الأولى من الزواج بها ، تلك الأيام الموشاة بالعاطفة ، والآمال الباسمة ، كل منهما في شوق إلى صاحبه ، ومحاولة جادة لتحقيق السعادة للآخر ، فيقول :

محبوبتي يا زوجتي الثانية　　يا فرحتي في العمر يا غالية
من أجلك اشتقت لهيب الضنى　　وفيك عانيت الخطا القاسية
منحتك الحب نقياً كما　　منحتني ، و الحب كالعافية
ورحت أرضيك ، وقد شدني　　ما شدني .. إذ كنت بي راضية
وحقق الرحمن أحلامنا　　وضمنا بيت بأصفى نية
زوجين عصفورين إن غرّدا　　للّحظة الميمونة السامية
يخضلُّ عشُّ الحب حوليهما　　ودفقة النور به بادية[1]

ثم يسترسل الشاعر في رسم أنسه ، فأيامه هانئة ، ويراها زهرة غضة تنعم بالأنفاس الجديدة ، وزوجته الثانية قد أعطاها من الحب مثلما أعطى الأولى ، فهو يقول :

ومرّت الأيام يا زوجتي　　بسّامة مشرقة هانية
أراك فيها زهرة غضة　　تنعشني بالنفحة الدافئة
ودرّةً يزهو بها خافقي　　كالنجمة الوضاءة الصافية

(١) عن الحب ومنى الحلم : ٨٤ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

إن كـــان لـــلأولى بقلبـــي هـــوى فمثلـــه أعطـــيت للثانيـــة [1]

ونجد أن هذا الزوج لم يكن له لينسى زوجته الأولى ، فنجده يبحث عن العدالة، ويحاول أن يسير بحياته نحو الصفاء ، ومجنباً لها ما يمكن أن يعكر صفوها ، ويدعو ربه أن يوفقه في هذه الحياة ، وأن يجعل من هذه الزوجة الجديدة مصدراً للسعادة ، وموئلاً للرضى والراحة ، فيقول :

يـــا ربّ وفّقهـــا فـــإني بهـــا راضٍ ومثلـــي في رضـــاها هيـــه
يـا زوجتـي حـسبك منـي الوفـا في عـــشرة ممتـــدة باقيـــة
يعمرهـــا الـــصفو ويـــسمو بهـــا عـــن التـــدني في شفـــا الهاويـــة [2]

((والشاعر يمثل الزوج الناصح للفتاة الجديدة الحديثة عهد بالحياة الزوجية ، فهو يحذرها مما يثير النفوس ، ومن اعوجاج الطبع ، ومن الشر القاتل في النساء ، تلكم الغيرة المدمرة ، فهي كالريح الهوجاء ، ويحذرها من الظلم والتجاوز على حقوق غيرها ، ومن الخداع والتباكي ، والقذف والشتم للضرة التي لا علم لها بالدسائس والمكر ، فهذه الطباع في المرأة ، تنخر الحياة الزوجية ، كما تفعل السوس في الأخشاب)) [3] ، ويوجه نصائحه قائلاً :

قالت : فما الأمر؟ فقلت : احذري من كـل حـالات الأسى الخافية
إن اعوجـاج الطبـع حـال النسا والغـيرة العميـا هـي الـشاوية
وهـضم حـق الـزوج لا عـن قلـى والدمعـــة الكاذبـــة الطافيـــة
والقـذف والـشتم بـلا موجـب للـــضرة الغافلـــة النائيـــة
والـــدّسُّ والنّـــمّ وبـــث الأذى كالذئبـــة المـــسعورة الـــضارية
وتلـك لـو فكـرت فـي أمرهـا أقـسى طبـاع في النسا فاشيـة
تفعـل فعـل السوس، تنسل في أجـسامنا كالـصعقة القاضيـة

(١) المصدر السابق : الصفحة نفسها .
(٢) المصدر السابق : ٨٤ – ٨٥ .
(٣) الشعر والمجتمع في المملكة العربية السعودية . د. مسعد العطوي : ٢٥٥ – ٢٥٦ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

لكنـــني الـــداري بهـــا ، والـــذي　　يعلـــم بعـــد القـــدم الماشيـــة
مـــن عـــاش في أوحالهـــا أجهـــزت　　عليـــه فـــي نيرانهـــا الحاميـــة
ومـــن توقاهـــا ولـــم ينـــزلق　　في رجـــسها يلـــق المـــنى حاليـــة [1]

وحذر الشاعر زوجته الثانية من السير وراء الوشاة ، أو سماع ملفقي الأخبار ، أو زعم أنها واقعة تحت الظلم ، وتبكي حيث لا بكاء ، وتدأب على إحداث الشقاق والمشاكل، وتنغيص حياة هذا الزوج الذي ما تزوج بها إلا ليلقى الراحة ، فإذا به يجد الهم والنكد ، والعويل والصراخ ، فيقول لها محذراً :

كـــم مـــن فتـــاة لم تعـــش حبهـــا　　مثلـــي وظلـــت ترتمـــي باكيـــة
تـــسعى بمـــن تهـــوى إلى عـــالم　　قـــاس ، وتنـــسى أنهـــا الجانيـــة
تبكـــى بـــلا دمـــع وتـــشكو بـــلا　　ظلـــم ، وترخـــي الـــسمع للواشـــية
توقـــا لمـــا تنكـــت في سمعهـــا　　مـــن باطـــل .. قدامهـــا جاثيـــة
تلفـــق الأحـــداث ، تبغـــي بهـــا　　يـــداً لـــديها بئـــست الراويـــة [2]

ولكن تلك الزوجة تستجيب لذلك النصح ، وتحاول أن تثبت له أنها جديرة باختياره، فتخاطبه بما يدغدغ مشاعره ، ويهدي نفسه ، فتقول له :

يـــا فـــارس الحلـــم الجميـــل الـــذي　　عـــشت لـــه .. أنـــت المنـــى الباقيـــة
لا تكـــترث منـــي ومـــن شـــدتي　　عليـــك أو مـــن قـــسوتي الحاميـــة
أو أن نفـــسي تغتلـــي غـــيره　　برغـــم أني الزوجـــة الثانيـــة [3]

ولكن وهو الخبير بالنساء ، يعرف قدرتهن على الخداع والاحتيال ، والتلاعب بالكلمات ، ومحاولة السيطرة عليه ، والتأثير على مشاعره، يجد أنه لم يعد قادراً على الصراع، وأنه اغتيل في متعته ، وسلبت منه بقية عافيته ، فيقول :

(١) عن الحب ومنى الحلم : ٨٥ .
(٢) المصدر السابق : ٨٧ .
(٣) المصدر السابق ، الصفحة نفسها .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قلت : كفى هذا الخداع الذي صيرني كالخرقة البالية
يحرقني بالنار يغتالني يسلب مني متعة العافية
قالت : وإن كان .. فهل عاذري قلت : وإن، قالت : وإن كافية [1]

وفي كثير من حالات التعدد تنشأ المشاكل الاجتماعية ، لا سيما بين الزوجتين ، ويجني الزوج من ذلك هموماً وغموماً ، والشاعر علي النعمي نجده يشير كثيراً إلى هذه المشاكل ، ويورد في أساليب رائعة بعضاً من نتائجها ، ففي قصيدته (ساكن بين متحركين) يصور رجلاً تزوج بالثانية بعد حب متبادل ، ولكن الزوجة الأولى لم ترض بذلك الزواج، وظلت تكيد المكائد ، وبدأت معركة حامية الوطيس من أجل تنغيص حياة زوجها، فما كان منها في يوم من الأيام إلا أن عمدت إلى البيت ، وحاولت إحراقه بما فيه ، ولكن الله لطف في آخر الأمر ، فيقول :

وفي المسا أعلن المأذون مغتبطاً مبروك، والأهل في ظل اللقا هتفوا
لكن زوجته الأولى تملكها مس خبيث وفيها استحكم الصلف
ماذا جرى لست أدري آه يا كبدي هل أنسف الحب أم أحيا على الكمد
كلا فسوف أريه ما يعذبه وما يجر عليه الحزن للأبد
بيتي سأحرقه عمداً، وأتلف ما يحوي، ولو كان فيه ساكناً ولدي
وشبت النار .. شبتها مغاضبة في بيتها ، وبكل العنف والجلد
وأسرع القوم وامتدت سواعدهم وأطفأوا النار واستعلوا على اللهب [2]

أما الزوجة فقد ندمت على ما حل بسبب فعلتها ، ولكن الزوج لم يعد يطيقيها أو يقدر على الصبر على أفعالها ، فأخرجها من بيته ، ومضى يلوم نفسه ، وتمنى لو أنه لم يقدم على هذه الزيجة التي أفسدتها زوجته الأولى ، وأنه على كل من جاء بعده أن يستفيدوا من هذا الدرس ، فيقول :

(١) المصدر السابق : ٨٨ .
(٢) المصدر السابق : ٩٤ – ٩٥ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

وعـادت الزوجـة الحمقـاء ذاهلـة　　مـمّا تـشاهده مـن فعلـة الغـضب
والـزوج يـشهد بـين القـوم حالتـه　　قـال اخرجـي .. وكفانـا قلـة الأدب
أنـا الملـوم لأني كـنت مقتحمـاً　　درب الزواج وذا درس لكل غبي [1]

والذين يفشلون في زيجاتهم الثانية ؛ يفشلون لأنهم كانوا يفتقرون إلى التخطيط السليم لذلك الزواج ، ومعرفة الدوافع الحقيقية له ، أو بسبب السير وراء نزوات عاطفية سريعة ، دون معرفة للنتائج أو المتطلبات الاجتماعية المعاصرة التي صعبت الأمور ، وأرهقت الحياة بعد أن كانت سهلة في الماضي .

هـ- الطلاق :

لأسباب كثيرة ينعدم التوافق بين الزوجين ، وتتحول حياتهما إلى صخب وضجيج ، ومرارة ومعاناة ، ومشاكل لا تنتهي ، وفي هذه الحالة يكون الطلاق هو الحل والحلال البغيض، وأشد بغضاً أن يكون قد نتج من ذلك الزواج أبناء ، يذوقون مرارة الانفصال ، وفقدان الأم ، خاصة إذا تزوجت بعد طلاقها ، ومن ثم يعيشون كالأيتام ، بل أشد من الأيتام؛ لأنهما يرون آباءهم وأمهاتهم ، ولكنهم لا يجتمعون معهم ، وكذلك إذا انتقلوا إلى العيش مع أبيهم ، وقدر أن تكون زوجته الأخرى امرأة تفتقر إلى الرحمة والشفقة ، فيذوقون عندها صنوف العذاب ، وألوان الظلم والنكال والتجاهل . فهذا الشاعر علي بن حسين الفيفي يروي حال امرأة تكالبت عليها الظروف ، وتزوجت أكثر من مرة ، لدواعي كثيرة ، ومبررات مختلفة ، وكانت هي الضحية ، وأبناؤها لقوا من الغربة والضياع أكثر مما لقيت ، فيقول مصوراً تنقل هذه المرأة بين الأزواج بغير رغبتها ، وما لحقها من معاناة الطلاق المتكرر:

أرى الـشوق والحـزن في ناظريـك　　وأسمـــع نهدتـــك الهاويـــة
ومـــازلت في مـــستهل الـــشباب　　تحطمـــك القـــصص الداميـــه

(١) المصدر السابق : ٩٥ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

أفي كـــل عـــام زواج جديـــد ولـــست بـــه أبـــداً راضيـــه
وقـــد زوجـــوك إلى تاجـــر يريـــدون ثروتـــه الغاليـــه
فـما كـان حظـك يومـاً سـعيداً رمـى بـك حظـك في الهاويـه
فلـم تلبثـي عنـده غـير شهـر فـأروي لنـا الـسريـا راويـه
تقـولين زوجـك شيـخ كبـير وثمـــة ســـر بأعماقيـــه
وزوجاتـــه لا يـــردن فتـــاة فواحـــدة عنـــده كافيـــه
وجـاء لكـم خـاطب ثالـث وقـال : سأبـذل أمواليـه
وتـم الـزواج وحـل الفـراق كـما صـار في الـسنة الماضـيه
ولـــم تكرهيـــه ولم تعطفـــي عليـــه وأدمعـــه جاريـــه
ففـارق واصطحـب الطفلتـين ولم يبلغـــا الـــسنة الثانيـــه
يـصيحان أمـي أمـي أمـي (م) ونفـــسك حائـــرة باكيـــه
فـإن كـان جرحـك أضحى عميقاً فمـــا ضمدتـــه يـــد حانيـــه
وذا موســـم العاطلـــين فـــلا تعـــيري لهـــم (أذن) صاغيـــه [1]

وإشارة الشاعر في بيته الأخير إلى العاطلين ، ليس المراد به العاطلين عن العمل ، وإنما المراد هم العاطلون عن المشاعر ، والذين يستهويهم تكرار التجربة والمغامرة في درب الزواج، لا لإقامة حياة جديدة ، ومنزل جديد ، وأسرة مستقرة ، وإنما من أجل نزوات عابرة ، ورغبات آنية ، ومحاولة في تجديد شباب قد بلي ، وتجاهل للزوجة الأولى التي قضت أيام شبابها في عشرته وخدمته ، وأنجبت له الأبناء والبنات ، فلما تقدم بها العمر ، رغب عنها ، وخيمت عليه آمال عراض بفتاة ممشوقة القوام ، ومثل هذا ما إن يتزوج امرأة حتى يرغب في غيرها ، وهكذا يظل من طلاق إلى طلاق ، ومثل هذا الرجل المطلاق عاتبه الشاعر أحمد الحربي على لسان مطلقة من سائر المطلقات ، تقول :

(١) رحلة العمر : ١١٣ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

غزلت من الجفون دثار حب　　ومن خدي صنعت لك الوساده
ومن عيني وهبتك كل شيء　　ترى فيه المحبة والسعاده
حملت لك البنين بكل صبر　　يؤرقني السهاد بلا هواده
فكان الصدق في الإحساس طبعي　　وكان هوى الطلاق لديك عاده
فكم لفؤادك الماضي ثكالى　　ثلاث هن آخرهن (غادة)
فهن أتين أمس شكون عندي　　بطبعك ثم أدين الشهاده
وقلن الحب والإحساس زيف　　وطبع كي ينال به مراده
أهذا العهد ؟ ترميني جزافاً　　وتقتل فرحتي .. يوم الولاده
فلا أسفٌ عليك ضعيف قلبٍ　　عديم الحس مسلوب الإراده [1]

ثانياً- تصوير العلاقات الاجتماعية :

لم يكن شعراء جازان يعيشون في أبراج عاجية ، تفصلهم عن مجتمعهم وما يدور فيه من علاقات ، ومن هنا فقد اختلف تناولهم لما يدور حولهم عن تناول الشعراء الذين سبقوا الفترة التي تعالجها هذه الأطروحة ، حيث نجد الشعراء المعاصرين يكثرون من إيجاد صلة واضحة بين مشاعرهم وما يدور في الحياة من حولهم بأشعار هي صرخة من الأعماق تناولت كثيراً من العلاقات ومن أهمها :

أ - تصوير آمال الناس والإحساس بآلامهم :

كان الشعور السائد في مختلف البيئات العربية ، أن الوظيفة هي منتهى آمال الشباب في البلاد العربية ، وغاية ما يتطلعون إليه ، وما يتمناه لهم آباؤهم ، إذ كانت الوظيفة أقرب الأسباب للرقي الاجتماعي ، وعن طريقها تضمن الأرزاق بغير جهد كبير ، ونشأ من جراء ذلك - في بداية النهوض الحضاري للمملكة بعد توحيدها - حاجة الدولة إلى عدد كبير من أبنائها لشغل الوظائف الإدارية والعسكرية ، ودخولهم

(١) رحلة الأمس : ٤٤ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

في دنيا الوظائف ، وانقطاع بعضهم عن طلب العلم ، وربما في سن مبكرة ، ومن هنا نشأ صراع نفسي عند بعض الشعراء بسبب هذا الواقع ، وكان بعضهم يتمنى أن يواصل تعليمه ودراسته ، ومن ذلك قصيدة محمد بن علي السنوسي : (طموح) التي أنشأها على لسان طالب من طلاب العلم ، وفيها يناجي أباه ، تصور هذه القصيدة جانباً من حديث الشعراء عن آمالهم وآمال الناس ، فيقول :

دعني أواصل تعليمي وتثقيفي	ياوالدي أنا لا أرضى بتوظيفي
دعني أفكر في درسي وفي كتبي	أرجوك أرجوك من لومي وتعنيفي
ما زال عودي طريا يا أبي وأنا	في ميعة العمر لا أعني بتكليف
دعني أغوص وأطفو في العباب فقد	أحببته وانتظرني أنت في السيف [1]
فسوف آتيك بالآمال باهرة	كالدر ما بين منثور ومصفوف
فقد طمحت بأبصاري إلى أفق	مشعشع بضياء العلم محفوف
وذقت طعم حياة لست منصرفاً	عنها ولو قطعت عني مصاريفي
يا والدي أنا أرجو أن أراك غداً	أبا لنجل بعيد الصوت غطريفِ [2]

وقد أخطأ الدكتور طلعت صبح الذي يرى أن السنوسي يصور بقصيدته هذه عادة قديمة في منطقة جنوب المملكة ، وهي الحيلولة دون تعليم الأبناء [3] ، فلم تكن الحيلولة دون التعليم عادة ، ولا أدري على أيّ مستندٍ علمي استند في رأيه هذا ، وفي رأيي أن الشاعر يريد أن يصور الصراع الحضاري الذي بدأ الناس يعايشونه ، وهو ترك الأبناء للمزارع والوظائف الميسرة والالتحاق بالتعليم وما يلاقونه من تعنيف الأباء ، وكذلك العكس في بدايات النهوض الإداري الحديث للمملكة . وفي رأيي أن هذا الطالب الذي أجرى السنوسي القصيدة على لسانه لم يكن إنساناً آخر غير محمد بن علي السنوسي ، وأن والده الذي ناجاه في هذه الأبيات ، لم يكن إنساناً آخر سوى أبيه الشيخ

(١) السِّيف : بكسر السين – ساحل البحر .
(٢) الأعمال الكاملة : ٣٦٦ .
(٣) انظر : التيارات الفنية في الشعر السعودي الحديث ، للدكتور طلعت صبح : ٣٤٩ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

علي بن محمد ، وهذه القصيدة هي من أولى محاولاته الشعرية ، وقد أنشأها في تلك الفترة التي أعقبت تركه التعلم والتحاقه بالوظيفة في حياة أبيه ، إذ كانت المشاعر التي صورها في تلك الأبيات هي المشاعر التي كانت تتجاذبه ، وتتسلط عليه في تلك الفترة[1] ، وأن كنا قد أوردنا طلب الابن من والده، فلنستمع الآن إلى رد الوالد على ولده ، يقول السنوسي :

وأطرق الشيخ مشدوهاً وقد عصفت به الخواطر عصف الريح بالليف
ماذا ؟ لقد سمعت أذناه فلسفة وحكمة وطموحاً غير معروف
ومر في فكره عمر يعايشه على الجهالة ملفوفاً بملفوف
فاغرورقت عينه الشكرى بدمعته وضمه في حنان جد مشغوف
وقال والفرح الفياض يغمره سر يا بني و لا تنظر إلى السيف[2]

والشاعر علي النعمي أشار إلى شيء من هذا الصراع الاجتماعي بين الانخراط في سلك التعليم ومزوالة الوظيفة أو رعاية المزارع والحروث والمهن الأخرى ، فيصور نفسه نافرة من كل شيء سوى العلم والتعلق بالأدب والإبداع ، وأنه لم يخلق ليكون مزارعاً ، فقال واصفاً محاولته في عالم الزراعة والاشتغال بالحرث ، ومعترفاً بعجزه :

وهي دنيا تروق للسائح الجلـ ـد ومثلي غر بدرب السياحة
صوروها مليحة الجيد حسنا ء طروباً . . فأين تلك الملاحة
كل شيء فيها يهد احتمالي كجريح تنز دوماً جراحه
حسب نفسي أني خلقتُ هزاراً أتغنّى في كل روض وساحة
ما تعودت منجلاً أو محرّاً أو ضماداً أو مسحة أو براحة[3]

(١) انظر : من أعلام الشعر السعودي . د. بدوي طبانة : ٣٤٦ – ٣٤٧ .
(٢) الأعمال الكاملة : ٣٦٧ – ٣٦٨ .
(٣) المنجل : أداة حديدية يحصد بها الزرع . والمحرّ : قطعتان خشبيتان ملتصقتان يقام بهما السدود الترابية . الضماد : قطعة خشبية على رقبتي الثور ، يشد بها المحراث البلدي المصنوع من الخشب . المسحة : آلة حديدية في عصى تزال بها الحشائش ، وتستعمل في مساقاة الأراضي وغيرها . البراحة : استخراج الماء من البئر بواسطة الدلو .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ذاك عيش أهلوه أدرى وما كل م طبيب حتماً يجيد الجراحة[1]

ونجد الشعراء تتحرك مشاعرهم تجاه مظاهر البؤس في المجتمع في عجوز محروم أو طفل يتيم فقد الحنان ، منطلقين من وجدان مرهف تجاه ما يحيط بهم ، وما يعايشونه ، نجد ذلك عند الشاعر إبراهيم مفتاح في قوله :

وهل شاهدت يوماً في طريق توسل بائس ودموع عان
يضيق بخطوه درب ويثني قناة شموخه لؤم الهوان
وينكر حقه في العيش بعض وينكر بعضهم حق المكان

* *

وطفلاً تشتكي في مقليته من الزمن المراوغ دمعتانِ
قضى أبواه نحبهما وكانا على لثغاته يتراقصانِ
ويبتسمان في فرح موشى بأحلام مدلهة حوانِ
منى عمريهما في ناظريه وفوق شفاهه عمر الزمانِ
غدت أحلامه الخضرا خريفاً وغص بحزنه قبل الأوانِ[2]

ونجد هذا – أيضاً – عند الشاعر محمد بن علي السنوسي حينما ينعى على الإنسان سخريته من أخيه الإنسان في قصيدته (هوية الإنسان) التي يدعو فيها إلى الرحمة والشفقة ، ومد يد العون لمن هم في أشد الحاجة لمدها ، من خلال تشخيصه لحالة شيخ طاعن في السن، قد افتقد من يعوله ويهون عليه مصاعب الحياة ، ويزينها في نظره ، يقول في أولها واصفاً أثر الشيخوخة والفقر المدقع على ذلك الإنسان :

خارت قواه وخانه جلده وانهار من آلامه جسده
شيخ يجر وراء منكبه عمراً تكاد خطاه تفتقده
في مقلتيه وفي ملامحه صور يخط رسومها نكده

(١) الأرض والعشق : ٩٨ .
(٢) احمرار الصمت : ٢٤ – ٢٥ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

البـــؤس مائجـــة غواربـــه　　في شيبـــه متـــدفق زبـــده
والفقـــر هائجـــة عواصـــفه　　في وجهـــه متربـــد لبـــده [1]

ويحاول الشاعر استدرار عطف القارىء ، وإثارة مشاعر الشفقة والرحمة في نفوس أبناء المجتمع ، فيمضي واصفاً ذلك الشيخ قائلاً :

أبـصرته يمـشي وقـد شخـصت　　عينـاه واعتمـدت عـصاه يـده
تهـوي بـه رجـلاه حيـث هـوت　　والـــدرب يلفظـــه ويـــزدرده
في كـــل زاويـــة لـــه أمـــل　　يقتـــاده مـــن محـــسن يجـــده [2]

ويعيب الشاعر على أولئك السائلين عن جنسية ذلك المسكين ، ويدعوهم بدلاً من ذلك إلى مساعدته وإغاثته أولاً ، وكأن ذلك الشيخ الذي عناه السنوسي لم يكن من أبناء البلد ، وهذا دليل على عالمية مشاعر الشاعر ، الذي لا يجعل لمشاعره جنسية معينة ، بل هو روح شفافه ، وعاطفة متدفقة ، فيصف موقف أولئك الفئة قائلاً :

حقـــروه فـــانتهروه وابتـــدعوا　　رأيـــا هـــدى الإســـلام ينتقـــده
ســـألوه في زهـــو وغطرســـة　　مـــاذا هويتـــه ومـــا بلـــده ؟ [3]

ويجيبهم ذلك الشيخ المسكين والدموع تترقرق من عينيه – على لسان السنوسي – ، مذكراً إياهم بإنسانيته التي توجب عليهم احترام مشاعره بصفته إنساناً يشاطرهم العيش في هذه الحياة ، فيقول :

بـــشريتي بلـــدي وكـــل ثـــرى　　في الأرض يغـــذوني أنـــا ولـــده
وهـــويتي الإنـــسان مـــا خفقـــت　　أحـــشاؤه وتحركـــت غـــدده
وانهـــار مـــن ألم ومـــن نـــصب　　فـصحا النهـى وتحللـت عقـده [4]

(١) الأعمال الكاملة : ٣٧٨ – ٣٧٩ .
(٢) المصدر السابق : ٣٧٩ .
(٣) المصدر السابق : ٣٨٠ .
(٤) المصدر السابق : الصفحة نفسها .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

فالشاعر عمد إلى وصف ذلك الشيخ الطاعن وصفاً يهيج الشفقة في النفس ، ويدعو إلى التعاطف معه ، وتقديم يد العون ومساعدته ، ومساعدة مَنْ هم مثله ، انطلاقاً من إحساس بواجب اجتماعي .

ب- معالجة مشكلة الفقر :

انطلاقاً من ذلك الإحساس المرهف بمشاكل الناس وآلامهم ، والتعاطف مع رغباتهم وآمالهم ، كان منهم مشاركة واضحة في قضية من أهم القضايا الاجتماعية ، وهي قضية الفقر التي يرزح تحتها فئة من أبناء المجتمع ، وإن كانت الإحصاءات الاجتماعية تؤكد أن الفئة التي تعيش تحت خط الفقر لا تمثل شريحة كبيرة في المجتمع السعودي ، ولكنهم موجودون ، ويعانون ما يعانون ، على الرغم من قيام كثير من الجهود المبذولة لمساعدتهم، سواء في ذلك الجهود الرسمية التي تقوم بها الدولة عن طريق مؤسساتها الاجتماعية ، أم الجهود الشعبية عن طريق الهيئات الخيرية أو لجان البر والإحسان المنتشرة في كل منطقة ومحافظة ، ولكن الشعراء كان لهم جهد كبير في سبيل التعريف بهم ، ورصد أحوالهم ، ومازال الشعر يؤدي هذه المهمة ما دام هناك فقير يمد يده ، أو لم يمدها ، من أولئك الذين لا يسألون الناس إلحافًا ، ولكنهم يعرفون بسيماهم ، فهذا الشاعر علي بن محمد صيقل يصور معاناة الفقير ، ويدعو إلى رحمة بؤسه ، وإرقاء دمعته ، قائلاً :

جسمه كم هده الفقر براه
فرشه الأرض تغطيه سماه
والأسى الفتاك كم يفري حشاه
والسراب الكاذب الخداع ماه
لاهث الأنفاس خانته قواه
غائر العينين خارت قدماه
كم دموع . . ذرفتها مقلتاه

شبكة الألوكة - قسم الكتب

كم بآهات تغنت شفتاه
أيها الموسر فلترحم ضناه
اجعل الفرحة تجري في دماه
إنه بادي الأسى فارحم أساه
ارحم البائس يرحمك الإله (١)

وتحدثوا أيضاً عن قضية المال ، وأهميته في الحياة ، وأثره على الناس لا سيما في هذا الزمن ، ورأوا تهافت الناس على المادة ، وأثر ذلك على سلوكهم ، وظهور كثير من الأثرياء في المجتمع بعد أن كانوا فقراء مدقعين ، والتغير الذي حل بسبب ذلك ، وما طرأ من تغير في المقاييس والموازين ، فأصبح الغني هو المفضل لدى كثير من شرائح المجتمع ، حتى وإن كان جاهلاً ، ويفضل على المبدع والمفكر والمتعلم ، وأصبح يوزن الشخص بمقدار ما يملك من أموال ، لا بما يحمل من فكر وأخلاق وشخصية كبيرة ، ولذا شدد الشعراء في النكير على من هذه حالهم ، ودعوا إلى التخفف من هذا السعير واللهث الجارف والسريع وراء المادة ، وعللوا ذلك ، بمثل ما قاله محمد السنوسي :

أنا لا أذم المال كيما أناله　　فمالي بحمد الله منه قريرُ
ولكنني أستهجن المال إن غدا　　تقاس به الأقدار وهو حقيرُ
عبدنا حطام المال حتى كأنه　　إله على كل الأمور قديرُ
وسرنا إليه خاضعين كأننا　　قطيع شياه ما لهن خفيرُ (٢)

والشاعر علي بن حسين الفيفي يصف بعض الناس الذين تغير واقعهم الاجتماعي ، فاغتنى بعد فقر ، ومن هنا غير المال من سلوكه ، وأثر على كثير من القيم التي كان يؤمن بها، ولا سيما أن هذا المال قد يحل بأناس على كبر وشيبه ، فيحاول أن

(١) ترانيم على الشاطئ : ٤٨ .
(٢) الأعمال الكاملة : ٥٤٢ –٥٤٣ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

يعب من لذائذ الحياة عباً، وهو مرض اجتماعي موجود عند بعض الناس ، فيقول شاعرنا واصفاً مشاعر ذلك المثري على كبر :

قال والثروة تختال له ليتها جاءته قبل الكبر
مذ رآها أصبحت أفكاره ذات أبعاد كأفكار الشري
لم لا والمال في قبضته ويرى المال شديد الأثر [1]

ويحاول الشاعر الفيفي أن يصور مظهراً آخر من مظاهر تبذير المال وإنفاقه كيفما اتفق، ومغامرة ذلك المثري في كل اتجاه ، فصوره وهو لابساً بدلته الإفرنجية ، صابغاً شعره، خارج حدود بلاده ، متوجهاً صوب (لندن) مصطافاً يحمل أفكاراً عديدة ، ونوايا غير سوية ، فقال عنه :

لم يكن يحلم يوماً أنه يلبس (البدلة) بعد المئزرِ
صبغ الشيب الذي في رأسه قال: كن يا شيب كالمستترِ
وأتى (لندن) مصطافاً وفي رأسه الأشيب شتى الفكرِ
شاحب اللون أجش الصوت في قسمات الوجه جدُ النَّمِرِ
كلما أبصر وجهاً ناعماً كاد أن يحرقه بالنظرِ
شبق الصحراء في مهجته ويُرى في عينه كالشررِ
هاله الحسن الذي شاهده وسفور ولباس الغجرِ
وعيون عسليات وفي نظرات الغيد كل الخطرِ [2]

ومثل هذا الذي تحركه نوازع نفسية ، محاولاً تعويض ما فاته ، ولكن هيهات هيهات أن يكون له ذلك ، فلم يزده المال إلا أسى وشقاء ، في حين ظن أن السعادة كل السعادة فيه، ولذا خاطب ذلك المخدوع نفسه قائلاً :

(١) الهمس الخافت : ٨٠ .
(٢) المصدر السابق : ٨٠ – ٨١ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

قـــال والزفـــرة كـــالجمرة في　　صـــدره أو كاللظـــى المـــستعرِ
هـــذه الثـــروة مـــا جـــاءت لنـــا　　بنعيـــم بـــل أتـــت بالـــضررِ
أقبلـــت تزهـــو وعمـــري مدبـــر　　وشبـــابي صـــار مثـــل الخـــبرِ
كلمـــا لـــوحت بالمـــال إلى　　ذات حـسن سـخرت مـن كـبري[1]

ولو أن مثل هذا الرجل في هذه السن المتقدمة أنفق أمواله على مصالحه الحقيقية ، ومنافع أمته ووطنه ، وحفظ النعمة التي أولاه الله إياها ، لكان من الشاكرين ، الذين يؤجرهم الله على أفعالهم ، ويقدر لهم الناس صنيعهم ، فيفوزون في الدارين .

ج- التفاعل مع الأيتام وتوفير الرعاية الاجتماعية لهم :

ويظهر الإحساس الصادق في الشعور بآلام الناس لدى الشعراء حين نجدهم يتفاعلون مع فئة من أبناء المجتمع ، قضى الله عليهم بفقد – مصدر مهم من مصادر الحنان في هذه الحياة والحضن الدافىء الذي يأوي إليه الإنسان – أحد الأبوين أو كلاهما حين صغره ، فيعيش وحيداً تخنقه عبراته ، ويمضي فريداً بين مواكب بشرية لا تحس به ، ويصارع الأمواج العاتية في بحر الحياة المتلاطم بمفرده ، يتألم ، ولا يجد من يخفف ألمه ، ويتأوه ولكن لا يجد من يمتص آهته ، ويبكي ولا يجد لدمعته ماسحاً ، تحول حاله من ثغر باسم إلى عبوس وأسى ، ومن هدوء بال وقرة عين إلى شقاء وصراع مخيف ، يظهر ذلك التفاعل في كثير من قصائد علي بن حسين الفيفي ، ومنها قصيدة (اليتيم) حيث يقول :

أي هـــول وأي خطـــب جـــسيم　　لا يـــساوي بهـــول هـــذا اليتيـــم
كـــان بـــالأمس باســـم الثغـــر يبـــدو　　هـــادىء البـــال مـــن جميـــع الهمـــوم
عـــاش في ظـــل والديـــه عزيـــزاً　　ناعمـــاً بالحنـــان والتكـــريم
كلمـــا قـــال يـــا أبي قـــال لبيـــك　　(م)　فقـــد كـــان كالـــصديق الحميـــم
وعـلى وجهـه الـصغير علامـات الـرّ　　(م)　ضـــا والهنـــا وكـــل النعيـــم

(١) المصدر السابق : ٨٢ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ليس يدري بما تكن الليالي من شقاء له وكيدٍ عظيم [1]

ثم ينتقل الشاعر بمشاعره ومشاعر القارىء من تلك الحالة السعيدة لذلك الإنسان إلى تحول عظيم في حياته بسبب فقدانه لوالده ، وتيتمه وهو بأمس الحاجة إليه ، ومن ثم أصبح كالريشة في مهب الريح ، أدنى عاصفة تعصف به ، حرم الحنان والاستقرار والسعادة ، فيقول:

صار ما بين ليلة وضحاها باهت الوجه شاحباً كالسقيم
لا يريد الحياة بعد أبيه بعد أن كان في نعيم عميم
ودموع الأحزان في مقلتيه والشجا غص داخل الحلقوم
كلما هبت النسيم عليه كاد يبكي ومن مرور النسيم
روعت قلبه الصغير المنايا والمنايا قوية التحطيم
كل حين يمد كلتا يديه بدعاءٍ في صوته المكتوم
أتراه يقول يا رب كن لي خير عون فأنت عون اليتيم [2]

ومن مظاهر حديث الشعراء عن اليتيم ، وصف حالته ومرآه يوم العيد ، حين يأوي الطفل إلى ركن شديدٍ من أبوين حنونين ، ويدين ناعمتين ترعيانه ، وتلاطفانه ، ويمسحان رأسه ، ولكن اليتيم لا يجد من ذلك شيئاً ، فهو يرى كل طفل بجوار والده أو أمه ، أما هو فوحيد حتى وإن نظر إليه الناس أو لاطفوه ، فإنما هي عبارات تحمل كثيراً من المجاملة ، وربما الشفقة التي تزيده ألماً على ألمه ، وحزناً على حزنه ، وللشاعر علي الفيفي قصيدة بعنوان (اليتيم والعيد) ، وهي تعبر عن تجربته الشخصية في معايشته مرارة اليتم ، والتلظي بنيرانه ، وهو هنا لا يتحدث إلا عن معاناة حقيقية مر بها ، فيقول مصوراً عظم المصيبة التي تحل باليتيم:

(١) رحلة العمر : ١٧ .
(٢) المصدر السابق : ١٧ – ١٨ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

أم المصائب قد وافته في الصغرِ　　فالحزن في قلبه وعْدٌ إلى الكبرِ
وجرحه في صميم القلب ليس له　　طب وأدمعه تنهال كالمطرِ
تكاد زفرتُهُ تجتثُّ مهجته　　وحزنه كاد يُدينه من الخطرِ
هذا اليتيم وما في أفقه أملٌ　　يلوح غير سحاب الهمِّ والكدرِ [1]

ثم يصف يوم العيد وهو يرى على محيا هذا اليتيم البؤس وتغير المال في يوم يفترض فيه أن ترى عليه البشاشة ، ويخيم عليه السرور ، ويترحم على حاله قائلاً :

وارحمتاه لثغر كان مبتسماً　　واليوم لم يبق للأفراح من أثرِ
وارحمتاه لعين ما شكت سهراً　　واليوم تبكي وتشكو شدة السهرِ [2]

ومما جعلني أؤكد أن حديث الشاعر هنا عن اليتيم ، ما هو إلا حديث عن تجربة ذاتية مرت به ، وهو فقده لأمه في سن الصغر – وقد مرَّ بنا رثاؤه لها في غرض الرثاء – وهنا يصف مرارة فقد الأم ، وأثر ذلك على الطفل ، لاسيما في يوم العيد ، كما في هذه القصيدة حيث يقول :

من يفقد الأمَّ في سنٍّ مبكرة　　يفقد حناناً تغذَّاه من الصّغرِ
كأنه فقد الدنيا وبهجتها　　أو أنّه فاقدٌ للسمع والبصرِ
يحيا بجسم وأحشاءٍ ممزقةٍ　　ومهجة روّعتَها ضربةُ القَدرِ
إذا تكلَّم فالأحزانُ تخنقُه　　لا ينطقُ القول مثل الأمس كالدررِ
ولفظُه خافتٌ كالهمس تحسبه　　لفظ الذي قد تعدّى أرذل العمرِ [3]

ويصف تجاهل الناس له ، وعدم مراعاتهم لحاله ، وتنكرهم لمظهره ، قائلاً :

وإن رأى الناس في عينيه عبرته　　كأنهم لم يروا شيئاً من العبرِ
وإن أتى العيد لم يشعر بفرحته　　ما عاد يحفل بالأفراح والسمرِ
مأساته جعلت أفراحه ترحاً　　لم تبق في الصدر أفراحاً ولم تذرِ

(١) زائر الأمس : ١٠٣ .
(٢) المصدر السابق : الصفحة نفسها .
(٣) المصدر السابق : ١٠٤ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قـد حملتـه الرزايـا فـوق طاقتـه وأحـدثت أثـراً في وجهـه النَّضِرِ [1]

وكـان يفـترض في المجتمـع أن يقـدم للأيتـام العـون الكـافي ، والـدعم الكامـل ليعيشوا حياة سعيدة ، ويشعروا بحنان المجتمع الذي يعوضهم كل ما فقدوه من حنان ، ولكن المجتمع كما يرى الشاعر علي بن حسين الفيفي تجاهل ذلك اليتيم المسكين ، فوصفه في ذلك اليوم البهيج وهو في حزن وحرقة ، وكل ما يلقاه إنما هو خداع ، وكلام لا ينفع ، ولا يغني بشيء ، فيقول :

يحـس أن عيـون النـاس ترمقـه وعطفهم ليس غير القول والنظرِ
يـرى السحاب كثيفـاً والرعـود لها صوتٌ يُدوّي ولا يُسقى من المطرِ
يـرى بعينيـه أطفـالاً سعادتهـم عـلى وجوههـمُ في أجمـل الصورِ
لم يعرفوا عاصف الأقدار مُذْ وُلِدُوا ولم يُحـسُّوا بـما عانـاه مـن ضـررِ
فيخفقُ القلبُ بالأحزان وهي لظًى ويعـتري نفسه مَوْجٌ من الضَّجرِ
وبين جنبيه مثل العاصفات من الـ حزن الذي يتغذى مـن دم البشرِ [2]

والهدف الذي أراد الشاعر أن يصل إليه من خلال هذه التجربة الشعرية ، هو أن يصور للمجتمع مستوى المعاناة التي يعاني منها اليتيم ، ويدعوهم إلى تضميد جراحه ، والتعاطف مع أوضاعه الاجتماعية ، ويرى الشاعر الفيفي أن كل واحد منا له أبناء ، وهو يتمنى لهم أن لا يقعوا فريسة لليتيم ، وإن قدر عليهم ذلك ، فهو يتمنى أن يحفل بهم المجتمع ، ويُطْبِق عليهم جفنه رعاية وحفظاً ، وحماية ودعماً ، ويقول في خاتمة قصيدته :

فـضمِّدوا جرحـه الـدامي فـإنَّ لـه حـقٌّ كـما جـاء في التنـزيل والأثـرِ
والمرء لا يـأمن الـدنيا وإن ضـحكت لـه فأبنـاؤه في كفـة القـدرِ [3]

(١) المصدر السابق : ١٠٤ – ١٠٥ .
(٢) المصدر السابق : ١٠٦ .
(٣) المصدر السابق : ١٠٧ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

ويسلك الشاعر محمد بن علي السنوسي أسلوباً آخر في تصوير اليتيم ، غير ذلك الذي اعتاده الشعراء ، إنه يصوره في العيد سعيداً مسروراً ، يرتدي أحسن الثياب ، ويصفه في قصيدته (اليتيم السعيد) قائلاً :

راح يزهو عليه ثوب جديد　　وعلى ثغره ابتسام سعيد
برعم من براعم الجيل ما زا　　ل طريا غصينُه الأملود
أيقظته أشعه (العيد) ينسا　　ب على الكون فجرها المولود
فصحا تشرق البراءة في عينيـ　　ـه والطهر والرضى والسعود
هبَّ من نومه يغني كما غنى (م) على الأيك بلبل غريد
وارتدى ثوبه القشيب وهزت　　قلبه الطاهر النقي البرود
فمضى يملأ الشوارع رقصا　　وغناء يفيض منه الوجود
مرحاً (في طفولة) يُستحب الر　　قص منها ويُستلذ النشيد[1]

وأراد الشاعر السنوسي أن يكتشف هذا السرور ، وذلك المرح ، ليعرف ابن من هو، ولكنه يفاجأ أن ذلك الطفل يتيم ، فيقول :

مرَّ من جانبي يزقزق كالعصـ　　ـفور في كل خطوة تغريد
فهفت مهجتي إليه حناناً　　أبوياً يضمُّه ويزيد
وتأملته ملياً وفي قلـ　　ـبي سؤال به لساني يميد
وسألت الوليد في نشوة العيـ　　ـيد وقد سر بالسؤال الوليد
ابن من أنت يا بني ؟! وأصغيـ　　ـتُ إليه وبي اشتياق شديد
فرنا باسماً إليَّ بعين　　شاع في لحظها الجواب السديد:
أنا يا سيدي (يتيم) ولكني (م) سعيد لا بائس أو شريد[2]

(١) الأعمال الكاملة : ٤٠٦ – ٤٠٧ .
(٢) المصدر السابق : ٤٠٧ – ٤٠٨ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ولكن ما هو سر سعادة هذا اليتيم ، في حين أن كثيراً من الأيتام يعيشون في حزن وشقاء ، السر هو هدف شاعرنا من هذه التجربة الشعرية الرائعة ، وهو أنه يريد تصوير تماسك المجتمع ، ذلك المجتمع المترابط الذي يؤدى فيه حق اليتيم ، ويحظى فيه بالرعاية والاهتمام ، ومن هنا فقد علل الطفل سبب سعادته تلك ، حينما أشار إلى المتطلبات الاجتماعية التي يحتاجها كل يتيم قائلاً :

سكني وارف ومائي مسكو　　ب وزادي مرفه منضودُ
وفؤادي تربه من يد العلـ　　ـم يدٌ برّةٌ وقلبٌ ودودُ (١)

ومتى ما حصل هذا في المجتمع فإنه لحريٌّ بالسعادة البالغة لكل أفراده ، وإنه لجدير بالرقي والسمو إلى أعلى الدرجات ، وكلنا ذلك الرجل الذي تهزه مثل هذه الإنجازات ، وذلك التكاتف والتآزر ، ونقول مثل ما قال السنوسي لما عرف من ذلك اليتيم سر سعادته:

فانتشى قلبي المغرد وانثا　　لت قوافيه واستفاض القصيدُ (٢)

وهذا اللون من الشعر يترقى إلى درجة عالية من الإنسانية التي تتآزر وتتعاضد ، بل تتبادل الأحاسيس والمشاعر ، ويمثل لوحات متكاملة من الشعور بالآخرين ، وأن الإنسان لا يعيش في هذه الحياة لوحده ، بل إن سعادة الآخرين سعادة له ، وشقاء الناس من حوله إنما هو عنوان لشقائه .

ثالثاً - الاهتمام بالهموم اليومية لأفراد المجتمع :

اهتم الشعراء بهموم مواطنيهم ، وشاركوا في عرض رغباتهم ، وقاموا بالتفاعل مع المواقف الاجتماعية ، وتشخيصها ، ووضع العلاج جنباً إلى جنب ، فمن ذلك مثلاً أن كل مواطن يرغب في أن تظله معالم النهضة المعاصرة التي تعيشها البلاد ، وأن يحقق

(١) المصدر السابق : ٤٠٩ .
(٢) المصدر السابق : الصفحة نفسها .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

أدنى المقومات الحياتية ، مما تعتمد عليه معيشة الناس من ماء وكهرباء وهاتف ومواصلات وطرق معبدة وما إلى ذلك . فلذا نجد الشعراء يسعون إلى رفع صوت المواطن ورأيه إلى المسؤول عن طريق الشعر ؛ انطلاقاً من إحساس بالدور الاجتماعي للشاعر ، خاصة إذا كانت له وجاهة ، فإنه يستغلها لخير أهله ومجتمعه ، فهذا الشاعر محمد بن علي السنوسي يرفع هموم قريته إلى أسماع المسؤولين ، ويستفيد من صداقته لوزير الكهرباء الأسبق غازي القصيبي ، ويصور له حاجة قريته إلى الكهرباء ، فيصف الليل الموحش الذي يخيم على قريته ، بينما القرى القريبة منها يلمع النور فيها معلناً الحياة والبهجة ، أما قريته فما زالت تعيش على صخب المواطير وأصواتها التي تكاد تبعث الموتى من قبورهم ، فيقول :

يا صانع النور إن النور في بلدي　　مضت سنون ولم يولد ولم يلدِ
لا في البديع ولا القرفي له شعلٌ　　ولا وميض له في قرية العقدِ
يمتد فيها الظلام الوحش متكئاً　　بمرفقيه على الأحشاء والكبدِ
والليل فيها ظلام موحش شرسٌ　　تكاد تفرق منه مهجة الأسدِ
والليل من ضجة فيها ومن صخبٍ　　لا تسمع الأم فيه صرخة الولدِ
من المواطير فيها وهي صاخبة　　أصواتها تبعث الموتى من اللحدِ
والنور يلمع في جارات قريتنا　　أضواؤه بضع أمتار من العمدِ[1]

والشاعر أحمد العطاس يتحدث في قصيدة (النقل الجماعي) عن دخول شركة النقل الجماعي إلى العمل من أجل القيام بنقل الناس من الأماكن العامة ، وتعهدت بأن تحل محل السيارات الصغيرة ، ولكن هذه الشركة في نظره لم تؤد الدور الذي روجت له والتزمت به، يظهر ذلك في تلك الجموع المتجمعة في كثير من الأماكن وهي تنظر الحافلة، شيوخ وعجائز، ونساء وأطفال ، ومعوقون وسواهم ، يركب بعضهم بعضاً ،

(١) قصيدة مخطوطة ، بدون تاريخ ، نقلاً عن : محمد بن علي السنوسي ، حياته وشعره ، رسالة ماجستير ، محمد القسومي : ١٤١ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وحينها صرخ الشاعر في وجه هذه الخدمات الضعيفة التي لم ترق إلى المستوى المطلوب ، وتمنى عودة السيارات القديمة التي كانت تقوم بدورها خير قيام ، لا سيما في الأماكن المزدحمة في مكة مثلاً بجوار البيت الحرام والمشاعر المقدسة ، ويدعو لتكاتف الجهود من أجل إصلاح هذا الخلل ، وتقديم الخدمة في أحسن صورها ، فيقول :

لم نشك من هذا التجمع أو تقف ... هذي الجموع تبين من إذلالها
كانت أمور الناس أحسن حالة ... مما عليه اليوم من إهمالها
والناس مجبرة وليس بوسعها ... أن ترفع الشكوى على عمالها
يقف العجائز والشيوخ ونسوة ... يحملن أطفالاً على أبوابها
ويكاد يسقط من وقوف عاجز ... في حالة من أمره يرثى لها
هو منظر يدمي القلوب وأعيناً ... أنى رآه العارفون بدا لها
فلقد تكرر في الصباح وفي المسا ... وبقرب بيت الله منذ قيامها
فالناس في هذي البلاد بحاجة ... لتنقل متواصل لمسارها[1]

واهتم الشعراء بالأسباب التي تؤدي إلى الفتك بالإنسان ، ومنها حوادث المرور ومن هذا المنطلق عالجوا قضايا السرعة والتهور ، أو قيادة السيارات ممن لا يحسنون قيادتها سواء من صغار السن أم ممن بلغوا في الكبر عتيا ، وممن عالجوا القضية الشاعر منصور دماس ، وقد لفَّ عرض الموضوع بأسلوب فيه شيء من الفكاهة ، فيقول :

وإذا ادّعى فنَّ القيادة جاهلٌ ... فلأخرقٌ في كلّ فنٍّ مُدّعِ
ولربّ طفل دون عشرٍ خالها ... لعباً فأهداها الوليُّ لمُولعِ
وأمرُّهم أهدى لكل مراهقٍ ... من نشئه ويلومُ مَنْ لم يسرعِ
ومبدّلٍ حسن الختام تضُمَّه ... وعجوزَه سيارة المتدلِّعِ
ليقودها في نزهةٍ وجواره ... كهلى ، يراها مثل بدْرٍ ساطعِ

(١) تغريد النُّهى : ٩٩ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

وغناء (كاسيت) المسجّل مُطرِبٌ　　للكهلِ..يرجُوها: يقول لها اسمعي
وهو الأصم وفي العيون غشاوةٌ　　لدوائها احتار الطبيب الألمعي
يحتاط نقداً للقسيمة دائماً　　ثمن التباهي، لا يضيق بأربع
هذا وذاك ومن حداهم مخطىءٌ　　وبهم وفيهم شقوة المتوجع [1]

وعالج الشعراء قضية إهمال اللغة العربية في التخاطب أو الكتابة، والاستغناء عنها برطانة العجم، والتشدق بها، بل حتى كثير من المذيعين والمدرسين لا يكلفون أنفسهم جهداً في سبيل إصلاح حديثهم من الناحية اللغوية، فيرفعون مجروراً وينصبون مرفوعاً، فالشاعر جبران قحل يتحدث باسم اللغة العربية في قصيدة (اللغة الباكية)، ويقول :

أنا الفصحى أنوء بمرِّ دائي　　وأبكي في الصباح وفي المساء
عدوي اللحن لا أخشى سواه　　فإن اللحن يفقدني روائي
يمزقني المذيع بفرط لحنٍ　　فيغضب سيبويه والكسائي
ويفضحني المدرس في دروس　　بلا خجلٍ ويطعن كبريائي
أنا الفصحى وأيم الحق حيرى　　فكم عانيت من عنت الشقاء
حروف الجر عندي لا أراها　　كما كانت تجر إلى الوراء
أرى ما بعدها بالنصب يتلى　　ويرفع تارة وبلا حياء [2]

ويدعو أهل العربية، ومن نزل فيهم القرآن العظيم، بلسان عربي مبين، أن يهبوا للدفاع عنها، وإعادتها إلى واقع الحياة، ووضع الأسس السليمة لتعليمها، وتحبيبها للناشئة، وفي الوقت ذاته مجازاة من يهملونها أو يحاولون عزلها عن أداء دورها، أو الاستغناء عنها بغيرها، فيقول :

أروني قيمة الفصحاء فيكم　　كأسمى أمة تحت السماء

(١) همسة مجد : ١١٧ – ١١٩ .
(٢) التاريخ الأدبي لمنطقة جازان، للعقيلي : ٣ / ١٨٣٨ – ١٨٣٩ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وجـازوا مـن يـدوس عـلى كيـاني ووواسـوني بنـزرٍ مـن وفـاء[1]

ومـن الأمـراض الاجتماعيـة التي ناقشها الـشعراء ووضعوا العلاج لها تناول (القات) تلكم النبتة المخدرة ، المضيعة للأوقات ، والمشغلة عن كثير من الأعمال والمصالح ، والمهدرة للاقتصاد ، على أن للشعراء فيها مذاهب شتى ، فمنهم من يرى أن القات مخدر وأنه مثل الحشيش والأفيون ، ومن قائل : أنه لا شيء فيه ولا محظور ، وأنه مثل الشاي والقهوة ، ومنهم من يتوسط فيرى أنَّ حكمه مثل حكم الدخان فهو حرام ؛لما فيه من المضار الصحية والاجتماعية والخبث والتبذير ، وعلى ذلك فتاوى علمائنا المعاصرين ، مثل الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ مفتى الديار السعودية في فتواه في القات وغيره وممن كان يسير على هذا الرأي من شعراء جازان الشاعر علي بن قاسم الفيفي ، وذلك في قصائد كثيرة منها قصيدته (حوار بين الدخان والقات) ، وفيها يشير إلى مساوىء القات وأضراره ، ومحذراً منه على لسان الدخان ، فيقول :

أقولهـــا صراحـــةً أفٍّ لـــك مـــن شـــجرة
أفٍّ لـــك مـــن عـــادةٍ ممقوتـــةٍ محتقَـــرَة
كـــم مولـــعٍ بأكلـــك أعـــصابُه موتّـــرة
يمـــضغُكِ مخزّنـــاً وخـــدُّه مثـــل الكـــرة
وفي وجـــومٍ تـــارة وتـــارة في ثرثـــرة
يـــضيِّع الوقـــت سـدًى تنحنحـــاً وغرغـــرة
ملتهيـــاً عـــن فرضـــه توانيـــاً وأخَـــرَّه
يطـــوي الفـــضا محلقـــاً في بحـــرِ وهـــمٍ فكـــره
طـــارت بـــه أحلامُـــه وسوســـةً وعنتـــرة
كـــأنما الكـــون لـــه يمـــشي عـــلى مـــا دبَّـــره

(١) المصدر السابق : ٣/ ١٨٣٩ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

أو أنَّـــــــه ذو قـــــــوة　　خارقـــــــة وسيطـــــــرة
يلتـــــذّ بالحُلْـــــم كمـــــن　　قـــدنـــال حقًّـــا وطـــره
كيفـــاً وتقريحـــاً ومـــا　　يـــدري بغـــالٍ خَـــسرَه [1]

وإذا كان الشاعر علي بن قاسم الفيفي ينفر من أكل القات ؛ لما فيه من مضار ، فإن شاعراً آخر يعرضه على أنه جزء من برنامج يومي لأبناء القرية ، وأنه مصدر سعادة بعد يوم شاق مليء بالجهود والعناء ، يقول الشاعر عبد الواسع سعيد عبده :

وفي قريتي يعشقون
رحيل النهار
وفي كل بيتٍ مساء
يزيل بقايا الغبار
وفي كل درب قصير
وفي كل بيت صغير
وبعد عناء الجهود
يُحنط بالقات
سطو الدوار
فحتى المواشي وصوتُ الجنادبِ
بعمقٍ تحيّي قدوم المواكب [2]

***

وفي هذا العصر غزا البث الإعلامي بشتى وسائله ومختلف قنواته ، ودخل البيوت باستئذان حيناً ، وبلا استئذان في أحايين كثيرة ، وكان للفضائيات والقنوات

(١) ومض الخاطر : ٤٩ – ٥٠ .
(٢) دوائر الصمت : ١٤ – ١٥ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

التي تجوب موجاتها الفضاء أثر كبير على استغناء كثير من الناس عن القراءة وعالم الثقافة ، وجلوسهم إلى الشاشات يحرقون عيونهم ، ويجهدون أنفسهم لا لشيء ، بل هم يعكفون على التفاهات وضحالة الثقافات ، وما يخدش الحياء ، وينافي المعتقدات والعادات . ومن الشعراء الذين انتقدوا اطراح الكتب وقراءتها ، واتجهوا صوب القنوات الفضائية يقلبون موجاتها صباح مساء، الشاعر حسين كريري في قصيدته (الكتاب والدش) ، حيث يقول :

يبكي الكتاب بحرقة وينوح ... وعلى رفوف المكتبات طريحُ
ويقول أين الخل أين منادمي ... صدّ النديم وبرّح التبريحُ
يا هاجري ومبدلي بوسيلة ... تأبا الملـيح وللقبيح تُبيحُ
بئس البديل وإن بدالك زاهياً ... فهو القبيح وإن يخال مليحُ
يا مستضيف الدش غزو عدوه ... الضيف ذبّاحٌ وأنت ذبيحُ
أهملت من أهدى إليك بلاغةً ... وإذا أردت نصيحة فنصوحُ
وجلبت من أزجى لبيتك آفةً ... وتقول فيه الأنس والترويحُ [1]

وعند النظر في شعر جازان نصادف نتاجاً ثرًّا من الشعر يدعو للعمل من جوانبه المتعددة ، ويسعى إلى إصلاح ما اعوج من أحوال أبنائه ، والرغبة في السمو به إلى أعلى الدرجات واضحة كل الوضوح ، إذ لا تقدم له بدون ذلك ، ومن ذلك قول الشاعر محمد ابن علي السنوسي في قصيدة يتمنى فيها أن يرى مجتمعه ، وقد سما إلى المجد وأعلى المستويات:

أتمنَّى أن أرى مجتمعي ... لوذعي الفكر مصقول الشعور
يرفض الزيف نهاه ويرى ... وعيه اليقضان ماخلف السطور
يعشق المجد ويمشي للعلا ... مستقل الفكر شفّاف الضميرِ [2]

(١) عزف على أوتار الحب : ٥٨ .
(٢) الأعمال الكاملة : ٤٣٧ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

ومن هذا المنطلق أطالوا الوقوف عند أهم شريحة اجتماعية ، تلك التي يعقد عليها الأمل في النهوض بالمجتمع ، والرقي به ، إنهم الشباب ، فمضوا يوجهونهم ، ويرشدونهم إلى معالي الأمور وطرائق الخير ، ويعلون من هممهم ، ويذكون فيهم روح العزة ، ويذكرونهم بأنهم من أمة تحترم العلم ، وتقدر العمل ، ودعا الشعراء إلى اكتشاف المواهب الفذة وصقلها وتخيرها ، حتى لا تبقى حبيسة دون استثمار ، ومن ذلك قول الشاعر علي النعمي :

هيا نفتش عن دفين تراثنا　　من قبل أن يطويه ليل فناء
هيا نفتش في الرياض بهمة　　عن كل طير مولع بغناء (١)

والشاعر إبراهيم مفتاح أكثر من الحديث عن الشباب ، وكثيراً ما كان يدعوهم إلى النهوض ببلدهم ، وأنه لن يفيد أي بلد إلا بنوه ، ولن يكون للأمة أي نهوض دون خوض غمار العلم ، وتحطيم جيوش الجهل بعزيمة صادقة ، فيقول :

شيدوا الصرح يا شباب بلادي　　وأعيدوا مكارم الأجداد
لن يفيد البلاد إلا بنوها　　فليكن صرحنا رفيع العماد
والعظيم العظيم من يتسامى　　ثابت الخطو راسخ الأوتاد
أنتم شعلة الحياة فهيا　　نتحدّى عنادها بالعناد (٢)

ويشير إلى أن هذه الحياة لم يعد فيها مجال لخامل أو متواكل ، وإنما هي صراع ، والضعيف سيغرق في لج بحر الحياة المتلاطم ، و لا سبيل إلى الرفعة والعزة إلا بالتسلح بسلاح العصر ، وهو العلم الذي ارتقى به الآخرون ، يقول :

فصراع الحياة جد عنيف　　وتمادي الحقود بئس التمادي
نحن في عالم يموج اضطرابا　　ومصير السباح رهن الأيادي

(١) الأرض والعشق : ٩٢ .
(٢) عتاب إلى البحر : ١٤ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

والهزيل الضعيف يغرق حتماً وأولو العزم حوله في ازديادِ
عصرنا يا شباب عصر علوم فارفعوا بالعلوم شأن البلادِ [1]

ومن هذا المنطلق الاجتماعي قدّر الشعراء الدور الذي أنيط بهم ، فمضوا يحاربون كل مظاهر السلبية في المجتمع ، ويفضحون أولئك الذين يعيشون على هامش الحياة ، ومن ذلك ما جاء في قصيدة أحمد البهكلي (الفصيح الصامت) ، حيث صور فيها أولئك القادرين على فعل أشياء كثيرة ، ولكنهم لا يتحركون ، عرضهم الشاعر في رسم كاريكتوري ، وجردهم من كل حياة ، وفي ذلك يقول :

إن كان عندك ما تقول فهاته ففضاؤنا شَرِقٌ بماء صماته
وفصيح قريتنا المليحة غائبٌ في حمد مولاه وفي سبحاته
متبتّلٌ حتى لتحسب أنه هجر الخلائق وانطوى في ذاته
من فرط ما ملأ التوحُّدُ قلبه أضحى يكل القلب عن خفقاته
ولفرط رقته يكاد يطير من أثوابه ويفر من خطواته
عيناه خاشعتان تقرأ فيهما عقد الخضوع لأمر رب فتاته
ويعرش الصمت الرهيب على فم غارٍ تلوب الريح في جنباته
حي كميت ، ليس لغزاً إنما نصف الأنام حياته كمماته
هو غائب -رغم الحضور- وغائم هو جامد بالرغم من حركاته
هوواقف رغم المسير ونائمٌ هو باردٌ بالرغم من نزواته
هو محض رقم في البطاقة ما أرى لوجوده أثراً و لا لفواته [2]

ومن الموضوعات الاجتماعية التي نشأت عن هموم الناس اليومية ، والتي تفاعل معها الشعراء صلف بعض الموظفين وغرورهم ، وانشغالهم بأمورهم الخاصة ، وتخليهم

(١) المصدر السابق : ١٥ .
(٢) أول الغيث : ٨٧ – ٨٩ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

عن واجباتهم المنوطة بهم ، وتأخير معاملات أرباب المصالح المرتبطة بهم ، والتسبب في معاناة طويلة لا حد لها ، خاصة إذا وجد هذا الموظف نفسه محاطاً بالهالة الاجتماعية ، وأحس أن الناس يحتاجون إليه ، عندها يركبه غرور وتعالي لا حد له ، وهذا مظهر نقص فيه أراد أن يعوضه باصطناع وهمي للعملقة في عالم ارستقراطي ، وهو في الحقيقة قزم مسكين ، لا يغادر باب مكتبه مراجع إلا واحتقره ، فانقلب صنيعه ذلك حرباً عليه لا له ، ومن ذلك حديث الشاعر إبراهيم مفتاح عن ذلك الموظف الذي لا يقيم أي وزن أو اعتبار للمواعيد التي قطعت لمراجعيه ، ولا يفكر في تلك المعاناة التي تلحق بهم عندما تضيع مصالحهم ، في قصيدة (حالة) التي تصور بوضوح مدى استهتار بعض الموظفين ، وتقديم مصالح قرابته وأصدقائه على غيرهم، فيقول :

تُراجع آخر الأسبوع
هنا في مكتبي ضيف
أتى لأهمية الموضوع
*** ***
أنا يا سيدي (....)
لماذا أنت مهتم ؟!
تمهّل ريثما يأتي
تفضّل خارج المكتب
زميلي بعد لحظات
سيأتي قبل موعده
*** ***
ولكن سيدي (....)
*** ***

www.alukah.net
شبكة الألوكة

بلا لكن
أنا أدري بأنك جئتَ من أسبوع
وأنت الآن مشغول
وخلف شفاهك العجلى
سؤال يرتمي جزعاً
ونرفزة بلا موضوع (١)

* * *

وبإحساس بارد يدعو ذلك الموظف هذا المراجع المسكين إلى المجيء غداً ، وربما بعد غد ، ويريه أنه هو المتفضل عليه حين يدعوه إذا جاء أن يأتي للمراجعة من الباب الخلفي ، وهو بدوره سيخبر حارس البوابة بأن هذا القادم ضيف من ضيوفه ، فيقول :

زميلي سوف يأتي الآن
وإن لم يأت ؟!
يوم غد سيفتح درجه السفلي
وينثر فوق مكتبه
مواعيداً وأوراقاً
فهلا جئت يوم غد ؟!
سأفتح بابي الخلفي
وأخبر حارس المدخل
بأنك ضيفي الآخر (٢)

ولكن يا ترى هل تحقق لذلك المراجع المسكين ما يريد ؟ هل أنجزت معاملته المرتبطة بذلك الموظف الذي لم يؤد أمانته ، ولم يقم للناس من حوله أي وزن ، الجواب

(١) رائحة التراب : ٥٦ – ٥٧ .
(٢) المصدر السابق : ٥٧ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

هو ما عبر عنه الشاعر حين وصف مجيء ذلك المراجع تحمل آماله خطواته ، ويسابق الزمن إلى الموعد الموعود ، ولكنه للأسف وجد الباب موصداً ، فيقول :

وجئتُ وخطوتي الفرحى
تداعب خضر أوهامي
وتقذف كل أيامي
التي مرَّ الكسادُ بها
في آخر الأسبوع
ولكني وجدت الباب يرفضني
وفوق الباب ترمقُني
رجاء (الدخول ممنوع) [1]

ونجد الشاعر علي بن قاسم الفيفي يصور هذا الموظف الذي بسبب تأخيره وتأخره تكدست الأوراق والمعاملات لديه ، بأن الجموع الحاشدة على بابه تذكره بالناس المحتشدين عند البيت الحرام أو بئر زمزم ، وهو مغلق بابه ، ولا سبيل إليه فيقول :

تـــــرومُ طـــــرْق بابـــــه　　مـــن بعـــد شـــقّ المزدحـــم
تجـــــدُهُ مجتمعـــــاً　　وكلَّمـــا انفـــظَّ التـــأم
في مكـــــتب مكيَّـــــفٍ　　فخـــم مـــصانٍ مُحتكـــم
والنـــاس خلـــف بابـــه　　ســـيلٌ وبحـــرٌ ملتطـــم
ومـــن رآهـــم قـــال ذا　　الـــرُّكنُ وهـــذا الملتـــزم
يؤجـــل التـــأشير كـــي　　يكـــتظُّ بـــالجمع الحـــرم [2]

ويصف الشاعر تذمر الناس ، وعدم صبرهم ، وما يصدر من بعض المراجعين من تأفف ، ورد مدير ذلك المكتب عليهم في حوارات متنوعة ، ودرجات مختلفة من العواطف المتوترة ، والصدامات المشتعلة ، فيقول :

(١) المصدر السابق : ٥٨ .
(٢) ومض الخاطر : ٧١ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ومـــن يـــضق ذرعـــاً يقـــل مـــا كلنـــا لحـــم ودم ؟
وآخـــــرٌ يقـــــول : لا تجهـــر تـــذق طعـــم النَّـــدم
تـــــــضيُّعُ الأوراق أو يـــدس ســـمٌّ في الدســـم
أو يُرَجـــــأ الموعـــــد أو إن كـــان وعـــد لم يـــتم
وحـــــاجبٌ مهـــــذبٌ يقـــول (صـــبراً) أو فقـــم [1]

ولكن الشاعر علي قاسم الفيفي لم تعجزه الحيلة ، فعمد إلى طريقة آخرى يستطيع بها الدخول على ذلك الموظف المحتجب ، حيث وصل إلى الهاتف واتصل به ، وحقق ما يريد.

والشاعر حسن ضائحي يرسل عتابه إلى ذلك الموظف المتعجرف الذي إذا رد عليه المراجع السلام ، فكأنه لم يسمع ، و لا تكاد تنبس شفتاه بحركة ، ويظل ينظر في أوراقه ، حتى لكأن ذلك الداخل ليس بإنسان ، جاء للحصول على حق من حقوقه ، وليس طالباً لجدا وعطاء ذلك الموظف المغرور ، فيقول :

ردّ الـــسلام فلـــست أبـــ ـــغي بالـــسلام نـــدى قـــراك
وانظـــر بعينـــك نحـــو عينـــي ربمـــا لانـــت عـــراك
إن الحيـــاء لفـــي العيـــو ن ولـــست في هـــذا بـــذاك
أظننـــتني طيفـــاً ســـرى أو أننـــي نخـــسا جـــراك
أنفـــضت رأســـك في المجلـــ (م) ـــة واســـتدرت إلى قفـــاك
وزممـــت مـــن شـــفتيك كالـــ ـــمسجون ينتظـــر الفكـــاك [2]

ثم يرسل إليه نقداً بلهجة حارة ، وبيان للضرر الذي يحدثه به جراء استهتاره وعدم مراعاته للمشاعر ، واستخفافه بمراجعيه قائلاً :

أنـــا يـــا أخـــي مـــا جئـــت كـــي أقـــضي الإجـــازة في ربـــاك

(١) المصدر السابق : الصفحة نفسها .
(٢) التاريخ الأدبي لمنطقة جازان ، للعقيلي : ٣ / ١٦٧٦ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

أو كلمـــــا أبـــــصرتني　　غنيتـــــني أغـــــداً أراك
أنـــا مثـــل كـــل النـــاس لي　　أهـــل وأعمـــال هنـــاك
ولقـــد بليـــت فلـــيس لي　　مـــن مرجـــع عـــدلٍ ســـواك [1]

وقد سار الشاعر في هذا على رأي قول الشاعر :

ومن نكد الدنيا على الحر أن يرى　　عـدواً لـه مـا مـن صداقته بدُّ

فهو مضطر لذلك الموظف ، ولكنه الابتلاء ، ولكل مبتلى أجر على قدر ما ابتلي به، وما أكثرهم أولئك المبتلين .

* * *

ومن الأمراض الاجتماعية النفاق والتزلف الكاذب والوصولية والتسلق على أكتاف المسؤولين ، ومصادقة كرسي الوظيفة لا صاحب الوظيفة ، وقد تحدث أحد أولئك الشعراء الذين كانوا قد تسنموا بعض المناصب الإدارية التي تباشر مصالح المجتمع اليومية ، وهو الشاعر محمد بن علي السنوسي ، فربما يكون هنا قد تحدث عن تجربة شخصية ، ولكنها مظهر من المظاهر الاجتماعية الممقوتة ، إذ يقول :

أصـــدقائي أم أصـــدقاء الوظيفـــة　　أنـــتم يـــا ذوي النفـــوس الـــضعيفة
الألى تهـــزأون بالمثـــل العلـــ　　ـــيا وتلهـــون بالمعـــاني الـــشريفة
بـــسمات ملونـــات وأخـــلا　　ق وصـــولية غـــلاظ سخيفـــة
ونفـــاق ملـــون تخجـــل الحـــر　　بـــاء منـــه فتتشـــني مكـــسوفة
تتـــدلى وتـــستكين وتنمـــا　　ع وتغـــدو لكـــل صـــابون ليفـــة
فـــإذا ولـــت الوظيفـــة ولـــوا　　وأثـــاروا عليـــك حربـــاً عنيفـــة
خلـــق يـــشمئز منـــه كـــريم النفـــ　　ـــس والطبـــع والخـــصال المنيفـــة [2]

(١) المصدر السابق : ٣/ ١٦٧٧ .
(٢) الأعمال الكاملة : ٤٣٨ – ٤٣٩ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وكشف الشعراء عوار المنافقين المتملقين ، الذين يتلونون كالحرباء من أجل تحقيق مآربهم ، فهم وصوليّون نفعيون ، الحياة عندهم مادة ، والسمو فيها هو كيفية الحصول على المواقع الملائمة لنزواتهم ، والملبية لطموحاتهم التي لم يكن لوصولهم إليها أدنى جهد أو قليل كد وتعب ، وإنما هم متسلقون يمثلون أبشع صور الهوان ، وفيهم يقول علي النعمي محذراً المجتمع من أمثالهم :

شئت أم لم تشأ فأنت وضيعٌ لم يعش في الحياة عيش عفيف
صورة أنت للهوان ، ولونٌ للبشاعات والسلوك السخيف
تطلب الكسب بالتلوُّن كالحر با وتسعى للرزق غير شريف[1]

وكان ذلك المتلون قد وصف نفسه وكيفية تأقلمه مع سائر الظروف ، وتكيفه مع شتى الأجواء ، وقدرته على تمثيل جميع الشخصيات في مسرحية هو بطلها الوحيد ، وهو جمهورها ، وفي ذلك يقول النعمي :

وجباناً أخفي عن الناس جبني بصراخي في وجه كل ضعيفِ
وتراني يوماً بهيئة شيخ عن حطام الدنيا كثير العزوفِ
ينصح الناس بالتخلي عن الدنـ ـيا وفيها يهيم غير أسيفِ
وتراني لبست يوماً حريراً وبيوم لبست قطعة صوفِ
تارة أسكن البيوت ، وأخرى أتهاوى على ذراع الرصيفِ
وتراني في رحلة بعد أخرى في عناء يقفو قعودي وقوفي
ليس لي موقع ، ومالي قرارٌ هذه حالتي ، وتلك ظروفي[2]

وللشاعر علي بن حسين الفيفي أكثر من قصيدة ، يكشف فيها زيف أولئك الأصدقاء النفعيين الذين يتكاثرون على الشخص ذي المنصب مثل الذباب ، وهم لم

(١) جراح قلب : ٨١ .
(٢) المصدر السابق : ٨٠ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

يأتوا لمودة ، وإنما لتحقيق مآربهم ، فإذا ترك الشخص منصبه ، أو لم يعد قادراً على تقديم خدماته ولوا وتركوه ، وكأن شيئاً لم يكن ، بل حتى التحية السهلة يبخلون بها ، ومن تلك القصائد قصيدة (الكرسي الدوار) يقول فيها :

وإذا رأيت الأصدقاء تكاثروا　　مثل الذباب تحوم حول طعام
يستقبلونك بابتسامات الرضى　　والمدح والإعجاب والإكرام
يأتون دارك يوهمونك أنهم　　جاءوا لقصد زيارة وسلام
لا تحسبنهمُ أتوك مودة　　إياك أن تحيا مع الأوهام
وإذا رأوا كرسيَّك الدوار قد　　أضحى لغيرك تمتموا بكلام
فيه انتقادٌ ثم إجماع على　　أن المجيء إليك شبه حرام
وإذا التقيتم في الطريق فربما　　بخلوا برد تحية الإسلام
لا يذهبون إليك في فرح ولا　　ترح ولن يأتوا لغير مرام [1]

والشاعر بهذا يصب جام غضبه على أولئك الذين لا تحركهم إلا المنافع الخاصة ، ولا يقيمون وزناً للمشاعر الحقيقية للصداقة ، وكذلك الذين يريدون إن يصلوا إلى كل شيء وإذا أعجزتهم قدراتهم عن أهدافهم تسلقوا فوق الأكتاف ، حتى في عالم الفكر والإبداع يستطيع الإنسان أن يكون أديباً بارعاً ، وفناناً مبدعاً ، وهو لا شيء ، ولكنه يقدر على ذلك ما دام يملك الشفعاء والوسطاء الذين يزيلون من طريقه كل عقبة ، ومن ذلك ماجاء في قصيدة (الغدير والينبوع) لعلي النعمي ، وفيها يصف ذلك الشخص الذي دخل إلى عالم الإبداع والنشر للأدب عن طريق الوساطات ، وأجيز ديوانه بطرق غير سليمة ، يقول متحدثاً بلسان ذلك المتسلق على الأكتاف :

سأفاجيء الدنيا بنغمة شاعر　　ذي قوة تزري بمجد مطيع
وبنشوة المعتز رحت أضمه　　وأنا به المزهو ملء ضلوعي

(١) أزهار : ٥٣ – ٥٤ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قدمتـــه للنـــشر مـــسروراً بـــه لإدارة شـــغفت بكـــل بـــديع [1]

وبعد أن قدم هذا الشاعر ديوانه للنادي امتثل كل الأعضاء رغبة رئيسهم الذي أراد أن يقدم خدمة لهذا الشاعر ، لكثير من الاعتبارات والمصالح :

أعـضاؤه اجتمعـوا وكـان رئيـسهم حـسبي ويـسعى دائـماً لطلـوعي
وأمـــام رغبتـــه وحتـــى يحـــصلوا منـــه عـــلى التقديـــر والترفيـــعِ
ولأجـل وحـدة رأيهـم في جمعهـم قـالوا لـه اقبلـه بكـل خـضوعِ
لم ينظـروا فيـه و لا فـيما احتـوى بـل سـارعوا جـذلاً إلى التوقيـعِ
وهنـــا انتهـــى دور ليبـــدأ آخـــر في موقـــع المـــسموح والممنـــوعِ
هـل يفتـح الأبـواب لي بظهـوره أم أنـه يخفـي سنـا مـشروعي
ولكـي يجـاز هنـاك كنـت وراءه حـول المـدير برأسـي المرفـوعِ
ومعـي وسـيط بـارع ومحنـك هـو عـدّتي في مطلبـي وشفيعـي
وعـلى المـدير بـأن يكـون مقـدراً طلـب الوسـيط بنظـرة المخـدوعِ
مـادام حـرف الـواو يحفـظ حقـه أبـداً ويزهـو في حـشا وضـلوعِ
لـولا الوسـيط لمـا بـرزت كـشاعر يومـاً فلـست أقـل مـن جربـوعِ
وأجـازه للنـشر ثـم حملتـه لجماعتـي وبـشكله الموضـوعِ [2]

وإضافة إلى ذلك فقد حارب الشعراء التقليد ، وهو من الأمراض الاجتماعية ، إذ ظهرت عادات وافدة غيرت وضعية الشباب ، وسببت الميوعة والتفسخ ، وكان الداعي الكبير لها هو التقليد الأعمى ، والسعي نحو المظهرية الجوفاء . ومن هؤلاء الشاعر محمد السنوسي ، فقد رأى شاباً متفسخاً متغنجاً ، فلم يعجبه صنيعه ، فخاطب المجتمع محذراً من شيوع هذه الظاهرة :

رأيتـه وهـو يمـشي مـشي فنـان كأنـه فـارس في وسـط ميـدان

(١) الأرض والعشق : ٣٨ .
(٢) المصدر السابق : ٣٨ – ٣٩ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

يهـز عطفيـه إعجابـاً بحلتـه　　ويمسح الشعر من آن إلى آن
في بدلة تبرز الأعطاف ماثلة　　أركانها وزواياها كفستان
فقلت ماذا أرى ياقوم هل مسخت　　طباع صحبي وإخواني وأقراني
إني أرى بينكم قرداً فكيف أتى　　وكيف ألبستموه لبس إنسان؟ [1]

والشاعر يحيى بن علي معافا [2] يدعو الوالدين إلى رعاية الأبناء ، وإلزامهم بالسلوك السوي منذ نعومة أظفارهم ، وإلا فلن ينفع تقويم الغصن المعوج بعد أن يصلب ويكبر ، وذلك بعد وصفه لبعض مظاهر التخنث والتقليد لدى بعض الشباب الغر ، فيقول :

كان طفلاً وهو يحبو فطرة　　بينما في المسخ يربو عجبا
قل حول الأب ، والأم بكت　　وغدا بتاً عروساً خلبا
أخلف الله عليكم في الـنما　　قد تشاغلتم وكنتم في غبا
كم أضعتم فرصة حتى بدا　　للجاهير يهيج الأعزبا
ما خسرتم زينوها في الغلا　　قبّحت مخطوبة والخاطبا [3]

ولا تخلو هذه القصائد التي تعالج هذه القضية الاجتماعية المهمة من شيء من الفكاهة والدعابة – كما مر – ، ومن ذلك ما جاء في قصيدة (الخنافس) للشاعر علي بن قاسم الفيفي ، حيث يقول :

لحاك الله لم تظفر بحمد　　ولا حسن ولا بجمال قد

(١) الأعمال الكاملة : ٤٤١ – ٤٤٢ .

(٢) هو يحيى بن علي بن يحيى معافا ، ولد بضمد ١٣٥٤هـ حفظ القرآن في صغره على يد المعلمة فاطمة المفلحة بضمد ، ثم درس بمعهد صامطة العلمي ، وحصل على الثانوية سنة ١٣٨٢هـ ، والشهادة الجامعية في الشريعة من كلية الشريعة بالرياض سنة ١٣٨٧هـ ، وكان متضلعاً من العلوم الشرعية والعربية ، وله أشعار كثيرة ، توفي سنة ١٤١٨هـ . انظر ترجمته في : كشف النقاب ، للحازمي ، وفرجة النظر ، للشعفي : ٢/ ٣٦٥ .

(٣) فرجة النظر : ٢ / ٣٦٧ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

رغبت عن الرجولة يا لكيعاً فقبحاً للسفالة والتردي
بدبلة بنصر تبدو وطوراً بتحمير الشفاه وسرّ زند

* * *

أيرضى عاقل كلا وربي بمكياج عن السيف الفرندي
وكندرة العوارض تتقيها منمقة بخدك يا أفندي
وموضات التخنفس كل يومٍ تطالعنا بلون مستجد
وما داء التخنفس غير مسخٍ يري وجه الفتى في شكل قرد
تقلد خنفساً وسفيه قومٍ ألا قلدت ذا عقل ورشد [1]

* *

وقد أسهب الشعراء في تعداد الفضائل وشرحها ، وبيان فوائدها ، كما أسهبوا كذلك في الكشف عن الرذائل والمساوىء من قبيل الكذب والنفاق والكبر والغرور والعقوق، وفي حديثهم عن تلك الفضائل أو نقيضها من المساوىء كان منهم من يباشر في عرضها ، حتى تتحول القصيدة إلى موعظة وإرشاد ومباشرة وخطابية ، ومنهم من كان يبدع في رسم لوحات جميلة ، مستعيناً بالتلميح والرمز غير المنغلق والخيال ، مما يجعل فكرته أكثر إشراقاً ، وجمالاً وأثرا ، ومع هذا فلم يكن الشعراء في معالجتهم للقضايا الاجتماعية يدعون إلى الرفض للقيم الاجتماعية المتفق عليها ، ذلك الرفض الذي تبنّاه الشعراء الواقعيون في كثير من الأقطار العربية بحجة التحديث ، أو مواكبة روح العصر ، وإنما صار الشعر منسجماً مع تعاليم الدين، وعادات المجتمع وتقاليده المنضبطة ، وكل ما دار من نقد أو معالجة اجتماعية ، إنما هو في دائرة المسموح به شرعاً وعرفا ، ويتلاءم مع مصلحة الوطن والمجتمع ، ويرقى به ، لا أن ينحط به إلى عوالم الرذيلة والتبعية ، أو البحث عن قميص نلبسه لم يكن قد فصل على مقاسنا ، وإنما هو لغيرنا .

* * *

(١) الطيف العابر : ١٤١ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

خامساً - الاتجاه الوجداني :

تمر بالإنسان عوامل ومؤثرات اجتماعية أو اقتصادية أو سياسية أو ثقافية ، وتختلجه مشاعر طموح وإخفاق ، وتعصف به عواصف حقد أو غضب ، أو ضغط عام ، ينفس عنها الإنسان في الحالات العادية بالعلاج الواقعي ، وفي الحالات المرضية يهرب من مواجهتها ، إما إلى الوحدة ، أو إلى الرحلة ، أو الصدام مع الحياة والأحياء ، أو الإحساس بالعجز وانتظار نهاية الحياة ، أو الفرار إلى الله بالشكوى والتضرع وطلب العون ، أو سوى ذلك من مظاهر التنفيس الشعوري والوجداني ، : ((**وقد جرى العرف عند كثير من الدارسين على أن يسموا هذا الاتجاه الوجداني في شعرنا العربي الحديث بـ(الحركة الرومانسية) ، مستعيرين هذا المصطلح الأوربي ؛ لما لمسوه من وجوه شبه عديدة بينه وبين تلك الحركة في دواعي نشأتها وصورة أدبها ، و لا سبيل إلى إنكار وجوه الشبه تلك ، لكن هناك مع ذلك وجوهاً من الخلاف ، تقضي بأن نعدل عن تلك التسمية إلى تسمية تكون أقرب إلى طبيعة الشعر العربي الحديث ، وما أحاط بنشأته من ظروف محلية خاصة ، وما تحقق فيه من قيم فنية مميزة**))[1] .

ومن هنا فقد أصبح مصطلح الأدب الوجداني مرادفاً لمصطلح الرومانسية في المنظور الأدبي ، وهم يقصدون به – في الأعم الأغلب – ذلك الأدب المتألم الباكي العاشق القلق الحائر ، المرتمي في أحضان الطبيعة ، النابع من صميم الذات ، وعصارة الفؤاد[2] .

ولم يكن شعراء جازان الذين سلكوا الاتجاه الوجداني على درجة واحدة في التعمق في الرومانسية ومغازيها ، ولم يكونوا صورة مكررة لبعضهم ، بل كان لكل منهم موقف من الحياة والطبيعة والمجتمع ، وفي التعبير الفني عن ذلك الموقف ، فقد نجد عند أحدهم التفاتاً ملحوظاً إلى الطبيعة ، وعند آخر انشغالاً واضحاً بالحب ، وعند ثالث نأمة حزن وأنّة شكوى، وعند رابع نظرة اجتماعية غالبة أو كونية أو أخلاقية .

(١) الاتجاه الوجداني في الشعر العربي المعاصر ، د. عبدالقادر القط : ١٠ .
(٢) انظر : الشعر الحديث في المملكة العربية السعودية ، د. عبدالله الحامد : ٣٠٥ – ٣٠٦ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

وقد نرى في أسلوبهم الفني توازناً بين القديم والجديد ، أو ثورة عنيفة على التقاليد الفنية ، أو تآثراً بأساليب وافدة ، أو ابتكاراً ذاتياً يربط فيه الشاعر بين التراث وروح العصر الحديث .

وقد قر في نفوس كثيرين أن الاتجاه الوجداني يرتبط بموضوعات بعينها ، كالطبيعة والحب ، وليست الطبيعة والحب – كما هو معلوم – بجديدين على الشعر العربي ، لكن الجديد فيهما عند شعراء الحركة الوجدانية أنهما يمتزجان بوجدان الشاعر امتزاجاً يكاد يتحد فيه الوجود الخارجي بالوجود الداخلي [1] .

على أنه ينبغي أن يستقر في أذهاننا أن الشعراء العرب ، ومنهم شعراء جازان لم تنتقل إليهم الرومنسية : ((**بسائر اتجاهاتها المختلفة ، و لا بفكرها الشاذ ، ولم تنقل إلينا تمردها على الدين ، ولم تجنح بالذاتية إلى الكآبة والعزلة ، وإنما كوّنت اتجاهاً وجدانياً ينظر بمناظر الأحاسيس التي لم تدمر ، ولم تحطم ، ولم تعزل ، وإنما أخذت تلك السمات باعتدال**)) [2] .

ولم يكن شعراء جازان في المادة الشعرية التي أثروا بها الساحة منغلقين في دائرة التوجد الذي يفر بصاحبه إلى الطبيعة فقط ، أو إلى ذاتية الحب الخاص فحسب ، وإنما انطلق بهم وجدانهم إلى آفاق أرحب ، ومضامين أوسع ، فشمل كثيراً من الأغراض كانت نفسياتهم وعواطفهم وأحاسيسهم الملتهبة هي الدافع لتدفقها من أتون النفس ودواخلها ، فلم تكن قضايا الأمة والمجتمع بمعزل عن عواطفهم ووجداناتهم ، فتعاملوا معها بكل إبداع وإحساس صادق ، ولم تكن واقعيتهم هذه لتخرجهم من إطار الوجدان . فالواقع أنه لا تناقض بين الانفعال الوجداني الذاتي وبين الواقعية والمشاركة الاجتماعية ، فهما ينبعان من مشاعر واحدة، متى ما كان الشاعر صادقاً مع نفسه ،

(١) انظر : الاتجاه الوجداني في الشعر العربي المعاصر ، د. عبدالقادر القط : ١٤ .
(٢) الشعر الوجداني في المملكة العربية السعودية ، د. مسعد العطوي : ٦٩ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وأحاسيسه ، وتجربته الفعلية ، إذ ليس بين مذاهب الشعروطرائقه حواجز فاصلة لا يمكن تجاوزها ، بل على العكس من ذلك ، فإن تداخلها وتنوعها لدى الشعراء هو الأعم الأغلب ، لا سيما لدى وفيري الإنتاج [1] .

مظاهر الاتجاه الوجداني في شعر جازان :

وفي الحديث هنا عن مضامين التجارب الوجدانية ومواقف الشعراء منها ، قصارى ما نستطيعه – هنا – هو أن نلم أشتات العوالم الخاصة للشعراء ، ونحاول أن نجد وراءها معانٍ كلية صدروا عنها على اختلاف تجاربهم ومواقفهم ، بناء على ما قدمت قبلاً من أن تجارب الشعراء الوجدانية لم تنحصر في مظاهر الحب أو الطبيعة ، وإنما تجاوزت ذلك إلى مظاهر كثيرة ، ومنها :

أولاً- الشكوى والأحزان :

شاع هذا اللون من الشعر لدى شعراء جازان وسواهم من الشعراء المحدثين ، إذ ندر أن نجد شاعراً لم يشك ، أو يندب حظه المرير ، وفي هذا يقول الدكتور محمد بن سعد بن حسين – في معرض حديثه عن شيوع هذا الموضوع بين الشعراء الوجدانيين في وقفات له مع شعر حمد الحجي-: ((**قلما نجد شاعراً أبدع إلا وقد ضرب بسهم في هذا الميدان...**))[2].

ولم تكن مشاركة الشعراء في هذا الميدان – على كثرتها – متساوية أو متشابهة ، فقد كان بعض الشعراء فيه مجارياً للتيار الجديد السائد ، الذي جرف في مساره أغلب الشعراء ، بينما هناك شعراء آخرون كانت شكواهم وأحزانهم وآهاتهم منبعثة من معاناتهم الواقعية التي أشعلتها ظروف الحياة القاسية في وجوههم .

(١) انظر : المصدر السابق : ٧٠ .

(٢) الأدب الحديث دراسات وتاريخ ، د. محمد بن سعد بن حسين : ٢ / ٩٩ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

ولذلك تباين الشعراء فيما بينهم عند تناولهم لهذا الموضوع تبعاً لاختلاف دوافعهم النفسية وقدراتهم الفنية . كما أن موضوعات الشكوى ذاتها قد تنوعت هي الأخرى ؛ فهناك شكوى الحرمان ، وشكوى الآلام ، وهناك شكوى مبعثها الأحزان والنفوس البائسة، وهناك شكوى مبعثها الضيق والتبرم من المحيطين بالشاعر ، لذلك فإن التفصيلات الجزئية التي يهتم بها الشعراء في أثناء تصويرهم لهذه الحالة تكون مختلفة [1] .

فالشاعر محمد بن علي السنوسي في رحلته مع الآمال في زورق الحياة ، شكى كثيراً من طول الرحلة ، وتلاطم الأمواج العاتية التي منعت الزورق من الرسو في شاطىء الأمان ، يقول في شكواه من عدم تحقق أمنياته وآماله :

أتمنى أنني لا أتمنى　　فلقد بت بآمالي معنى
كلما لاح لعيني سناً　　وهفا قلبي إليه واطمأنا
لفَّهُ الغيم وواراه الدجى　　وانطوى في لجة الأيام ظنا
المنى ياللمنى من زورق　　ما رسا يوماً و لانحن وصلنا [2]

وقد عبر الشاعر عن عميق أسفه من خيبة الأمال بتكثيف الصور المتلاحقة في (لاح لعيني سنا) ، و(لفه الغيم) ، (واراه الدجى) ، (زورق ما رسا) ، وكلها تعبر عن شعور واضح بتحطيم الأمنيات واستتارها ، مثلما لف الغيم السنا وستره ، وطوت الأيام كل ظنون يمكن أن تحقق أو تنال .

والشاعر علي بن حسين الفيفي يعبر عن حزن مشابه لحزن السنوسي ، ويشكو من صراع عنيف مع الأماني التي تدنو فتحس النفس بالحصول عليها وإدراكها ، ثم ما أن يهم المرء بقطفها حتى ترحل بعيداً بعيداً ، فالمرء في صراعه معها كالظمآن في سراب التيه ، يقول:

(١) انظر : الاتجاه الابتداعي في الشعر السعودي الحديث ، محمد حبيبي : ١ / ٢١١ – ٢١٢ .
(٢) الأعمال الكاملة : ٤٣٣ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وفـؤادي يـئن ممـا يعانيـ ـه وصـدري في زفـرة ونهيـدِ
ليس يـدري أمـدرك لأمانيـ ـه اللـواتي ترنـو لـه مـن بعيـدِ
ليس يدري أفي القريب أمانيـ ـه ستدنو أم بعـد عمـر مديـدِ
أم تكون الآمـال شبه سرابٍ ويعـيش الإنـسـان غـير سـعيدِ
ذاك قلـبٌ متيّمٌ شفّـه الوجـ ـد يعـاني مـن حظـه المنكـودِ
كم نهيت الفؤاد وهـو عنيـدٌ ليس يـصغي لأي رأي سـديدِ
قال لي هامساً إذا متُّ من دو ن الأماني أموت موت شهيـدِ[1]

ونلحظ في نهاية الأبيات تطوراً لـدى الشاعر الوجداني ، يبدو نابعاً من تأثره بالمظاهر الحديثة في الشعر ، فهو يحلل نفسه في هذا الموقف ، محاولاً أن ينفذ إلى أعماق عقله الباطن ؛ ليدرك سر العجز الذي وصل إليه ، ومدى ما يعانيه من إحساس بالفشل ، فهو يذهب إلى أبعد مدى في إيجاد تبرير وعذر لنفسه ، لتطمئن ولو قليلاً ، فهو إذا مات ولم يدرك ما يريد في هذه الحياة ، فليقنع نفسه بأنه يموت موت الشهداء ، ألم يكن في هذه الحياة رهين صراع وجهاد مريرين .

ومثلما تاه زورق السنوسي في بحر الحياة المتلاطم ، فإن زورق حسين النجمي هام في البحار بلا هدى ، لم يجن في رحلة الآمال والأحلام إلا الألم والوهم والسراب ، وأحس بأن كل محاولاته لتحقيق طموحاته ما هي إلا طعنات إثر طعنات ، بعضها صدى بعض ، فيقول شاكياً أحزانه وآلامه :

كل الطيوف
فوق أحلامي صدى
وزورق الشعر غدا
يهيم في بحاره بلا هدى

(١) أزهار : ٢٨ – ٢٩ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

فيرجع الصدى
صدى صدى
من زمنٍ أفترش الأوراق والقلم
وأجتني الألم
أعيش في دوامة الخيال
لأبلغ المحال
لكنني أعود كالصدى
وترجع القوافل المحملة
بالوهم والسراب
والكلمات الحائرة
تغوص في خاصرتي كأنها الحراب [1]

ومن أسباب الشكوى ودواعيها ما ران على الحياة المعاصرة من مادية طاغية كرست جانب الطين والجسد في بني آدم ، وحرمته كثيراً من معاني الروح التي ركب منها، وجعلته يعيش كآلة لا تكل و لا تمل ، فافتقد كثيراً من طبيعة الحياة وبراءتها ، وصفائها وفطرتها ، فشكى شكوى مريرة ، وعانى معاناة كبيرة ، عبر عنها الشاعر السنوسي بقوله :

عالمٌ صاخبٌ ودنيا عنيفة ... ميكانيكية الحياة مخيفة
كهربتنا سلوكها بسلوكٍ ... أحرق الروح والمعاني اللطيفة
لهفة تسحق السكينة سحقاً ... يفقد المرء نفسه وأليفه
يبهر النفس عدوها في سباق ... لفح أنفاسه كلفح القذيفة
وازدحام أنى ذهبت وضوضا ... ءٌ كأن الحياة صمّا كفيفة [2]

(١) عيناك في وقت الرحيل : ٧٦ .
(٢) الأعمال الكاملة : ٦٩٥ – ٦٩٦ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وسبب قلق السنوسي وشكواه هو حياة الريف الهادئة التي عاشها في مبدأ حياته، ثم زاحمتها بعد ذلك الحياة المدنية المادية بكل ما فيها من صخب وضوضاء وعراك وسباق ، فعاش صراعاً نفسياً ؛ لأن صلة داخله انقطعت عن خارجه ، فاحتار كيف يوفق بين نقيضين مادي قاتل ، وروحي منير [1] .

وشكى الشعراء – أيضاً – من الحرمان الذي واجهتهم به الحياة ، أو ما لحق بعض الناس منه ، كإحساس منهم بمعاناة الآخرين ومآسيهم المضنية ، فالشاعر أحمد البهكلي مر بتجارب مرارة وحرمان كثيرة ، رواها بكل وقائعها وملابساتها ، وعبر عن مدى حزنه العميق ، وألمه الشديد ، وتحطم أماله وما لحقه من جهد وسهد وأيام عصيبة في بعض منعطفات حياته ، من ذلك ما جاء في روايته لرحلته إلى الرياض عندما نقل إليها من أبها على عجل ، ولم يكن مستعداً لذلك ، وأظن أنه لم يكن له دور في ذلك أو رأي ، ولم يكن له بدٌّ من رحيل ، فقال مصوراً رحلة البؤس ، وشكوى تلك المساءات القاتمة :

أنا قد كنت بربعٍ تلعق السُّحبُ ظلاله
ويعجُّ الحسن فيه وترى الشمس اخضلاله
لا ينال الهمُّ مني أيَّ حزنٍ أو منالـه
رائحٌ غادٍ (لشغلي) لأمانيَّ المذالـه
كنت في داري وداري أمل يحوى مجالـه
فإذا النَّقلُ لشغلي يتأتى في عجالـه
وإذا بي في تبابٍ يزدري تبَّ تبالـه
وإذا بي رهن ربعٍ اسمه : حي السباله
ظلت تسعين مساء والمساءات جلالـه

(١) انظر : أخيراً وجدت السنوسي ، عبدالرحمن رفاعي ، مجلة الفيصل ، عدد (٥١) ، رمضان ١٤٠١هـ ، ومحمد بن علي السنوسي ، حياته وشعره ، محمد القسومي : ١٥٧ – ١٥٨ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

أمتطـي سـهدي وأمـسي　　في بيـوت الله عالـه
لم أجـد داراً لأنـي　　مـا حبـاني الحـظ مالـه
وتخبطـت إلـى أن　　شدَّنـي الجهـد حيالـه [1]

فهذه القصيدة تصور الجهد ولغة السهد والحرمان ومعالم الحزن التي كانت مسيطرة على الشاعر ، على الرغم من ما لحق بالقصيدة من سطحية ونقلات سريعة في مشاهدها ، فقدت الصلة بين أجزائها بسبب تكرار (إذا) الفجائية وتغير اللقطات ، مما حرم التجربة شيئاً من رونقها وجمالها .

والبهكلي أحس بأنه قد استنفدت قواه باكراً ، وقد بلغ به الجهد مبلغه ، وهو لما يهرم بعد ، وكان يتمنى أن يصل إلى شيء من أمانيه قبل أن تخبو نفسه أو تطفأ شعلة الطموح التي كانت متقدة ، وكانت الرحلة إثر رحلة ، والألم على ألم ، والبعد على بعد ، واللهفة إثر لهفة قد أرهقته ، وجعلته يكثر من الشكوى ، ويعبر عن معاناته الوجدانية في تجارب رائعة ، قلَّ أن توجد عند غيره من شعراء جازان ، ومن ذلك قوله معبراً عن هذه الألم :

إنهـا أنفـسٌ تعـسّفها الوجـ　　ـد سريعـاً فمـا بـه لـو تـأنَّى؟
وطغـت ذكريـات صبوتها وانـ　　ـطلق الـشوق طائـراً يتغنَّـى
والرحيل الجميل في مَهْمَه الحُلْـ　　ـم قد اشتار ألف ظـن وظنَّا
وائـتلاق المُنـى وهمهمـةُ اللهـ　　ـفِ المـواتي معـابرٌ تَتَحنَّـى
يا مسافات بعدنا هـل سنبقـى　　غـير دانـين إن دُنُـوًّا تـسنَّى
هل تظلين أنتِ أنـتِ مدانـا ؟　　تـستثيرين خوفنـا إن أمِنَّـا
انتهـي انتهـي لنُبـدي دُنُـوًّا　　ونـرى الممعنين في البعد عَنَّـا [2]

(١) طيفان على نقطة الصفر : ١٢٤ – ١٢٥ .
(٢) الأرض والحب : ٦٤ – ٦٥ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

والشاعر إبراهيم صعابي يتساءل هل سيظل يعيش على الأمال يشدو بها ويصارع من أجلها ، وهي سراب أثر سراب ، كل محاولاته للوصول إلى ما يصل إليه الآخرون من أماني باءت بالفشل ، لقد سئم الشعر شكواه ، فكيف بنفسه التي بين جنبيه ، فيقول :

سئـــم الـــشعر بكـــائي وأنيـــــني وعـــــذابي
كلمـــا اشـــتقت إليـــه صـــــدني عنـــه اكتئـــابي
كلـــما غـــاب ســـرابٌ زارني طيـــف ســـــرابِ
هـل أعـيش العمـر أشـدو بأمـــــاني العـــــذابِ ؟ (١)

وشكى الشعراء – أيضاً – من تولي نضار الشباب ، ورحيل الأماني معه ، وحلول الخريف المؤذن باصفرار الأوراق وتساقطها ، ومن أولئك الشعراء محمد بن علي السنوسي ، حيث يقول :

طـــار عـــصفور شـــبابي مـن يـدي رغـم حـذاري (٢)

وتمنى في قصيدته تلك الأماني التقليدية المألوفة من قديم ، التي طالما رددها الشعراء ، وهي أنهم مستعدون لدفع الغالي والرخيص وكل ما يملكون لكي يعود الشباب ، ولو لساعة من نهار ، ويعلل السنوسي سبب ذلك هو أنه لم يكن يعرف مقدار تلك المرحلة الجميلة ، إذ كان غرًّا يجهل الحياة ، ولو عادت تلك اللحظات لعرف كيف يحقق أمانيه وأماله التي أخطأ طريقها ، يقول :

يـا شبـابي آه لـو عـدت ولـو بعـض نهـار
لم أكن أعـرف مقـدارك في فجـر اغـتراري
سوف أفديك إذا عدت بـماسي ونـضاري
يـــا شـــبابي آه مـــن نـــار حنينـــي وادكـــاري (٣)

(١) زورق في القلب : ٦٦ .
(٢) الأعمال الكاملة : ٦٩٢ .
(٣) المصدر السابق : ٦٩٣ – ٦٩٤ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

والشاعر علي بن حسين الفيفي يصف مرور أيام الشباب كلمحات سريعة وقفزات مليئة بالذكريات الحزينة والطائشة ، ويشير إلى أنه صحا من تلك الطيوف السريعة ، كما يصحو النائم من رقدته ، مشعراً بسرعة مرورها ، وما زخرت به من أحلام وكوابيس تعرض للنائم في نومته ، وكل يوم يمر يزداد ذلك الشباب رحيلاً ، وذلك في شكواه التي يقول فيها :

يا زائري بالأمس ما أبقيتَ إلا الذكرياتِ
ودّعتَ
والأحزانُ في صدري كحدِّ المرهفات
كالنار كالإعصار كالألم الشديدِ
والدّمع مزدحمٌ حبيسٌ لو جرى
لجرى دماً فوق الخدود
وصحوتُ من طيش الشبابِ
وحبّذا طيش الشبابِ
ومضى وأشباح السنينِ
تشير نحوي كل حين
واصفرّت الأوراق في حقلِ الأماني
فإذا الحمائم واجماتٌ ، والبلابلُ لم تعد تشدو
ولا يشدو لساني [1]

وتحدث بعض الشعراء الوجدانيين عن القيود والأغلال في حياتهم تحاصرهم من كل جانب ، يحسون بها تحد من انطلاقتهم ، وتوثق رجولهم في الأرض ، معبرين عن الصراع بين طائفة الشباب المتعلمة ، وجموع المجتمع التي عاش فيها الجهل ، وغلبت

(١) زائر الأمس : ٨٨ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

عليها الأمية ، فالشاعر السنوسي شكى هذه الازدواجية التي يعانيها المثقفون ، حيث يرون الجاهل ناعماً مفضلاً ، والعالم والمتعلم شقياً في حياته ، لا يؤبه به ، و لا يلقى ذلك التقدير – وهو المثقف ذي الأفق الواسع – الذي يلقاه صاحب المال والجاه ، وإن كان يغص بجهالة وصفاقة ، فيقول:

ألمٌ أن ترى حياتك تمضي هدراً في دراسة وثقافة
وترى حولك الجهالة تحيا في نعيم من الخنا والسخافة
كلما ازداد جهلها وهواها نعمت بالمغانم الرفافة
ثم تجني السراب منها فتهتزّ (م) المقاييس في يديك طرافه [1]

ولكنه يوضح بعد أن هدأت مشاعره من الهجمة على تلك الازدواجية أن المثقفين وإن ضاقت عليهم الحياة سيظلون هم نور الدنيا ، والذين يفهمون رسالتهم حق الفهم ، وما وجود أولئك الجهلة والمهرجين إلا ليكونوا مادة أدبية معروضة ينتقي منها المثقفون ما يشاؤون لإبداعهم ، ويكونون أيضاً عبرة من عبر الحياة ودروسها ، فيقول :

ويك لا تبأس فإن الخرافا ت وإن صلصلت ستبقى خرافه
وحياة المثقفين وإن ضاقت ستبقى على المدى شفافه
عذب الحنظل المرير بثغر لم يذق طول عمره الجوافه
وحياة المهرجين دروس لذوي الفكر والنهى والثقافة [2]

وربما كان من أسباب الشكوى عقوق الناس ، وعدم تقديرهم للنبوغ والمواهب التي تحترق وتحرق نفسها إذا لم تجد من يقدرها حق قدرها ، والشاعر علي النعمي من أكثر الشعراء تعبيراً عن الجحود والإنكار ، وأحسب أن معه جزءاً من الحقيقة ، فديوانه

(١) قصيدة مخطوطة للشاعر محمد السنوسي ، د . ت ، نقلاً عن : محمد بن علي السنوسي حياته وشعره ، محمد القسومي (فائت الشعر) : ٣٤٧ .
(٢) المصدر السابق : الصفحة نفسها .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

الأول (الأرض والعشق) وضع له قيمة في مصاف الشعراء النابغين ، لكنه ضاع وسكت ، ولم يصفق له الناس كثيراً ، كانوا مشغولين بالتصفيق لشعراء آخرين ، لم يكن لأغلبهم – في نظره – قيمة فنية تساوي هذا التصفيق ، فبحَّ الوتر ، وتحطم القيثار ، فيقول مصوراً لعالم آخر غير عالمه الذي يحيا به ملىء بالمسرات والراحة :

تـرك الـروض لأنّ الـروض لم　　يحتضن بالحب ألحان الهزارِ
ربمـا تـصغي إليـه نجمـةٌ　　تعـشقُ الأنغـام في ذات مـدارِ
ربمـا في الأفـق يلقـى راحـةً　　وأمانـاً مـن مـرارات الـدُّوارِ
ويـرى العـيش جميلاً بالصفا　　والوفـا بـين صغـارٍ وكبـارِ
وارف الظل على طـول المدى　　عامراً بالحب في كـل الديارِ (١)

ولكن الشاعر يكتشف أنه ما زال يعيش في عالمه القاسي المليء بالأسى والمرارات والأوجاع والحرمان ، وتهميش المتمكن وتمكين المهمش ، وإخفاض المتميز وتميز المنخفض ، وإعلاء المصالح وإقصاء القيم ، مما يجعل المثقف المجيد يصمت ويحجب مواهبه ، ويندس وينزوي بعيداً بعيداً في عالمه الخاص ، فيقول :

يا أسى العاكف في وجدٍ على　　لحنه من موقعٍ خلف الإطارِ
يتهاوى عاثر الخطوة في　　زمن القصف وأهوال الدَّمارِ
زمن أقصاه عن نيل المنى　　وتناساه بميدان الفخارِ
لم يواكب في التحام صادقٍ　　حُرقة الترجيع في شدو الكناري (٢)

وتبرز مدى معاناة الشاعر وشكواه الواضحة في آخر القصيدة ، حيث يقول :

يا له من عاشقٍ مُرتَطِمٍ　　في هوى الأرض بمليون جدارِ
يتمنّى بسمة تُعطي له　　نشوة العزف بأعراس الديارِ

(١) جراح قلب : ٦٨ .
(٢) المصدر السابق : ٦٨ – ٦٩ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

في دنـاً يحيـا بهـا سُكَّانُهـا كالسراحين بأدغال البراري [1]

وكيف لشاعرٍ مرهف الإحساس يغرد مثل الهزار ، ويشدو كالكناري أن يعيش في أدغال غابة ، أهلوها قساة أشداء كالذئاب المفترسة ، إنها صورة المعاناة لأحد الشعراء الوجدانيين من الاصطدام بالواقع ، وشكوى من الازدواجية المؤسفة ، ومن هنا توجه الشاعر النعمي إلى الحديث عن هذه الحياة التي تقف ضدّه وضد أمثاله من المثقفين ، معبراً عن معاني الأسى والحزن والكبت والإحباط ، كما جاء في مثل قوله :

فـذي هـي الدنيـا وذا حالهـا لسامرٍ تِبْـرٌ وسـامٍ حجـر!!
ما نبتغي ينأى ، ويدنو الذي عـز وإن العـيش كـر وفـر
لكنمـا بالرغـم مـن كَـرِّه وفـرِّه مثـلُ الأوالي الأخـر
يظل للشاعر – رغم الأسى والكبتِ والإحباطِ – أنقى الأثر
والموقع الأقوى الرفيعُ الذُّرا فيمن بدا –من قومه– أو حضر [2]

وهو في هذا يشير إلى المعنى نفسه الذي أشار إليه السنوسي من قبل لا سيما قوله :

وحيـاة المثقفـين وإن ضـاقت ستبقـى علـى المـدى شـفافه [3]

وما فتىء الشعراء يعبرون عن إحساسهم بوطأة المجتمع عليهم ، وهم يشعرون بتميزهم وما تهيئه لهم مواهبهم من تفرد ، فيجدون أنهم مغبونون لم يبلغوا من المكانة ، ولم ينالوا من الاعتراف ما هم جديرون به ، فالحياة – في نظرهم – لا تنصف أمثالهم من الموهوبين ، بل تغدق عطاءها على من يجيدون الختل والزيف ، فهم يعطون كثيراً ، ولا يجدون أي تقدير ، يقول علي النعمي :

لـيس لـه في القـوم مـن هـزة وليس للـشاعر مهمـا اقتـدر

(١) المصدر السابق : ٦٩ .
(٢) المصدر السابق : ١٠٤ .
(٣) قصيدة (ألم النفس) للسنوسي ، مخطوطة ، د ، ت ، نقلاً عن : محمد بن علي السنوسي ، حياته وشعره ، للقسومي : ٣٤٧ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

مهما أحب الأرض ، مهما احتفى بناسها . . مهما أجاد الفكر
مهما سعى بالصفو في موقفٍ يرضى به في ورده والصَّدَر
للأرض ، للإنسان فيما خفي منها ، ومن عُمَّارها أو ظهر
غير المآسي من بني جنسه غير الأسى ، غير نصال الضَّرر[1]

وهو بهذا يؤكد أن الشاعر الوجداني صاحب رسالة تقوم على مثل عليا ، فيفتح عينيه على الحياة ، فلا يرى إلا نقيضاً لما يتمناه فعندها يعاتب نفسه ، ويلومها على سلوك سبيل الشعر ما دام أنه طريق الأحزان ، والشاعر أحمد الحربي يعبر عن هذه المعاني بأسلوب أكثر حدة ، وأشد تمزقاً ، إذ يقول :

لماذا تكتبُ الشعرا ؟
لماذا تسهر الأيام
يفني عمرُك العمرا ؟
لمن تلك القوافي الخضر
ترفل بالشذا النشوان
تسكب في الربى عطرا ؟
وعمن تنحت الصخرا ؟ ويروي دمعك القفرا
يوالي شوقك المخبوء نزفاً يحرق الصدرا[2]

وبعد تلك الأسئلة يأتي الجواب المر يحمل ما يكن الشاعر من أحزان والآم ، وتبخر للآمال العراض ، فكل ما كتبه الشاعر قد تبخر ، أو تحول بعضه إلى لهيب مصدره احتراق كل ما حمل الشاعر من أوراق ، احترقت فشوت صاحبها ، مكرساً كلَّ

(١) جراح قلب : ١٠٦ .
(٢) تقاسيم على جذع نخلة الوادي : ٣٦ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ما يمكن من ألفاظ ودلالات لتوحي بهذا المعنى مثل (الآلام ، يدمي ، لوعتي ، قسرا ، غريق ، الردى ، الأنات ، الصبرا ، لهيب ، لظى ، الآهات ، يشويني) وذلك في قوله :

سرى يا حلوتي المجداف
في بحر من الآلام
يدمي لوعتي قسرا
غريق في الردى حبرى
يرش عبير أزهاري
على جفن الندى حبرا
وأحلامي على الطرقات
تطويها سرى الآنات
تستجدي معي الصبرا
وآمالي على أوراق أيامي
لهيب في لظى الآهات
يشويني مع السمرا !! (١)

وأما الشاعر أحمد البهكلي ، فيعبر عن موت أحلامه كشاعر يعيش في زمن الفاشلين الذين لا يسمعون صرخاته ونداءاته ، وإذا سمعوها ما أبهوا بها ، وإذا سكت ، ولم يصرخ فلن يدرك أحد خبيئات نفسه ، ولذا فهو يحس أن موته قريب ، بسبب الغصص التي مني بها بسبب شعره وأحلامه :

ثقل الشجى والحلم إن به ... موتاً ، ومن يحلُم يَمُتْ أملا
عفواً ، أنا أُنسيتُ أنِّي في ... زمنٍ يقدّسُ أهلُه الفشلا
أنا حالمٌ أنا شاعرٌ ، ولذا ... أحيا ضروب شقاوتي جذلا

(١) المصدر السابق : ٣٧ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

فإذا صرختُ فلن يجاوبني　　أحد يخفّفُ عنيَ الوَهَلا [1]

وإذا سكتُّ فلن يترجم لي　　أحدٌ خبيئاتي ولن أصِلا [2]

ونتيجة لتلك المعاناة التي يحياها الشاعر ، والمآسي التي تكتنفه ، ولما يراه من انفصام في المجتمع ، وتضاؤل المثل والقيم ، فيه يلجأ إلى تلك الغربة ، لا ليهرب من واقعه ، ولكن من أجل تخيل عالم مثالي آخر يتوافق وأحلامه ، ولكنه لا يجد ذلك العالم الجميل الذي تخيله، فيظل في صراع مرير بين مشاعره الخاصة وبين محيطه الذي يعيش فيه ولا يهدأ ، إلا إذا ركن إلى نفسه ، وتدفقت شاعريته بمثل هذه الشكايات الحزينة ، وهذه الظاهرة نراها منتشرة بكثرة لدى الشعراء الشباب ، وهذه : ((**الظاهرة طبيعية في سن الشباب من التبرم والضيق والقلق ... وعدم الملاءمة بين واقع الحياة وأحلام الأرواح الفتية وآمالها الواسعة ... نظرة سوداء للحياة ، وتشاؤم مر ، وشحنة هائلة من الأسى التعس**)) [3] ؛ وسبب ذلك فيما أظن هو أن هؤلاء الشعراء الشباب وجدوا أنفسهم وجهاً لوجه أمام مطالب الحياة ، يبحثون عن الاستقرار النفسي ، والمجال الاجتماعي ، والمنصب الوظيفي ، والكسب المادي ، فالشاعر إبراهيم مفتاح في قصيدته (الرحيل إلى اخضرار التعب) يصور ركضه في هذه الحياة دون جدوى ، فصور رحلته المرة ورجوعه ، بل هزيمته وعدم قدرته على الصمود ، فيقول :

للدرب في قدمي طعمٌ ولي سفرٌ　　يضم خطوي ويقصيني وينتظرُ

رقصٌ بأوردتي يلهو ويأكلني　　تعبٌ وأزمنةٌ خضراء تنكسرُ

تسوق لي غيمةً إهماؤها ظمأ　　تكاد أوجهه في الصحو تنهمرُ

لتشعل الأرض أعشاباً ترائبها　　مصقولة وثراها مشرقٌ نضرُ

---

(١) الوهل : الألم .

(٢) طيفان على نقطة الصفر : ٤٧ – ٤٨ . وانظر مثل هذه الشكاة التي لا تجد من يستمع إليها ، فتكون حمماً في أتون التشاؤم شكوى إبراهيم صعابي في ديوانه : حبيبتي والبحر : ١٢ – ١٣ .

(٣) اتجاهات الشعر المعاصر في نجد ، د . حسن الهويمل : ٢٣٨ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

عيناي ما ارتضتا شمساً تذيبهما أو فتنة في لظاها يرقص الحورُ
ارجع فديتك يا ركضاً يبيح دمي وخذ بناصيتي للبعد يا سفرُ [1]

ويظهر الإحساس المر بالغربة والوحدة المؤلمة ، والتمزق النفسي عند شاعر وجداني آخر ، هو البهكلي الذي يحسّ كأنه يعيش وحده في دوامه من التذبذب ينام ويصحو على العذاب من حادثة إلى أخرى ، ومن همٍّ إلى آخر ، و لا رفيق ولا معين ، يقول :

فؤادي كم تُرزَّأ يا فؤادي ؟ وكم تبلوك بالشجن العوادي ؟
إلام تظل لست بذي رفيق تقربه ؟ ولست بذي انفرادِ ؟
يُمزقك العناءُ.. و لا ترى من معين في المصيبة منك بادِ
وكنت أريد أن تحيا هنيئا خلياً.. لا تراوح أو تغادي
فعشت معذباً .. وحواكَ همّ وعزّ عليك تحقيق المرادِ
وتبدؤكَ الحوادث كل حينٍ وتنهي بَدْأها بأسى التمادي [2]

وفي ظل عالم الصراع الصاخب والإحساس بالألم من ازدواجية الحياة وقسوتها وكردة فعل للغربة النفسية ، يحنُّ الشاعر الوجداني إلى أيام الطفولة الأولى ، تلك الأيام الجميلة ، حيث لا عناء ولا شقاء ، وحيث البراءة في كل مكان ، تلك البراءة التي تنقذه من عالمه الذي يعيشه المليء بتكالب الإنسان على أخيه الإنسان ، تنقذه من عدوه المضني في سبيل الرزق والحياة ، يجتمع ويسعد ويشقى بعامل الرزق والنجاح أو الفشل ، أنها مرارة الصراع اليومي حين تحول الحياة الناس إلى عبيد لها ، مسخرين من أجلها ، بدل أن تكون هي مسخرة من أجلهم ، ومن الشعراء الذين أكثروا من الرغبة الجارفة في العودة إلى أيام الطفولة هروباً من الحياة البائسة ، المليئة بالاغتراب الشاعر علي النعمي ، ومن ذلك قوله :

(١) احمرار الصمت : ٣٩ .
(٢) طيفان على نقطة الصفر : ٥١ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

سقيـــاً لأيـــام الطفولـــة إنهـــا　　دنيـــا الـــبراءة والطمـــوح الحـــالمِ
أنى اتجهـت وجدت ثـم جماعـةً　　في عيشها اللاهي الحبيب النَّاعمِ
مثلُ العصافير الصغار تطير في　　روض المـنى كخريـر نبـعٍ هـائمِ
صـــورٌ جميـــلاتٌ تُريـك عوالمـــاً　　عطريـــة الأنفـــاس إثـــر عـــوالمِ
كنـا نظـن ونحـن نخطـو للصبـا　　أن الحيـــــاة جميلـــــةٌ للقـــــادمِ
لكننـــا لمـــا كبرنـــا لم نجـــد　　غـــير الـضياع بتيـه حـظٍّ قـاتمِ
نُمسي ونصبحُ لا نرى إلا رؤىً　　تبـــدو لنـــا كالهيكـــل المتقـــادمِ[1]

وهذه الحسرة المتأصلة في ذات الشاعر من هبائية العاطفة ، هي حسرة طبعية لم يتوفر الشاعر عليها ويتقص فيها ليخرجها من محارتها ، وهو هنا مثله مثل غيره من الشعراء الوجدانيين يود أن يحس بعاطفة ما ، وأن تظل هذه العاطفة ثابتة في نفسه كالحقيقة الذهنية الخارجية المتعارف عليها . يريد للحنان أن يظل قائماً بذاته مثل الشجرة والزهرة ، أي أن يكون له هويته الخاصة وديمومته ، مستقلاً عن الانفعالات والتغيرات التي تطرأ على الذات والحياة نفسها ، إلا أن أمر الحياة يتغير ، وكل ما يهوى ليس بالإمكان الحصول عليه أو إبقائه أو تخليده واستصحابه .

ومن أسباب شيوع ظاهرة الحزن جراح الأمة الإسلامية المتتالية ، والصراع المرير الذي تعيشه الأمة في كثير من أنحائها ، وما رافق ذلك من كوارث متلاحقة نغرت الجباه ، فسالت دماؤها ، وتعالت آلامها ، فأشاع هذا الأمر إحساساً لدى الشعراء بعدم الأمان ، وغربة في الزمان ، وعدم ثقة في الذات ظهر جلياً في إبداع الشعراء ، بدءاً بعناونين دواوينهم التي سيطر عليها انعدام الأمل واستحالته ، وتداخل الأشياء وضبابية الصورة القادمة للمستقبل ، وإحساس بالأحزان الكثيرة ، مثل (وردة في فم الحزن) لحسن حجاب ، و (لا تسلني عن جراحي) لمهدي الحكمي ، و(قبل أن ينضب

(١) جراح قلب : ٢٢٤ ، وانظر أيضاً : تأملات على مرافئ الغربة ، لحسين النجمي : ٥٧ – ٥٨ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الأمل) لجلوي الحكمي ، و (دموع المعاناة) لمحمد الشنقيطي . وغيرها من الدواوين التي تنضح بالشعور الوجداني المرهف والمعبر عن الإحساس بالمصير المشترك للشاعر السعودي مع أبناء أمته في كل جزء من خارطتها الكبيرة ، فكثير من قصائد الشعراء تكاد تقطر دماً من الواقع الأليم من تقاعس المسلمين عن الدفاع عن حقوقهم ، وتفرقهم المؤسف هو أحد الأسباب التي جعلتهم عرضة للسهام ، وهدفاً لكل طامع ، فهذا الشاعر علي النعمي يتحدث عن جراح الأمة في وقفة له مع حلول عام هجري جديد ، فيقول :

مثلومة كل السيوف ، كسيرةٌ كل الرماح بحومة الميدانِ
نسيت به الأسد الغضاب زئيرها أو أُنسيته وأصبحت كالضَّانِ
كم مرّ من عامٍ ونحن كما أتى ومضى نعيش تصدّع البنيانِ[1]

ويتذكر زمن عزة المسلمين في أيامهم الأولى ، يوم كانت لهم جولة وصولة ، وكانوا يشكلون التاريخ ، ويصوغونه مفخرة وعظمة ، ويسيرون العالم وفق نظامهم الذي عم الكون عدلاً وعلماً ، ولكن اليوم اتسعت الفجوة بين ذلك الماضي المجيد والحاضر الأليم ، فيقول :

كان الزمان إذا علت راياتنا خفاقةً بالصيد من عدنانِ
يغضي لحمحمة الخيول ، وينتشي بتسابق الفرسان للميدانِ
في فيلق موصولة دعواته بالله في سرٍّ وفي إعلانِ
يتقحمون إلى الردى في قوة وصلابةٍ شوقاً إلى الرحمنِ
دفعوا النفوس إلى الجهاد نهارهم وترنموا في الليل بالقرآنِ
واليوم ماذا في الحياة لأمة تاهت زوارقها على الشطآنِ

(١) الرحيل إلى الأعماق : ٧٧ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

ضـلت قوافلهـا ، وضـاع حـداتها　　وتفـرقت بـدداً بكـل مكـانِ [1]

ومن ملامح عدم الشعور بالأمان ، والخوف في زمن الحروب والنكبات التي تقض مضاجع الإنسان في كل مكان ، يتحدث الشاعر أحمد البهكلي في قصيدة (ندى) عن خوفه على ابنته الصغيرة ، وخشيته عليها من أن تطالها مآسي العصر ، ويتمنى أن تبقى لها الحياة المليئة بالبراءة ، والبسمات المشرقة اللطيفة في زمن يلقى فيه أمثالها من الأطفال الصغار ألاماً وأحزاناً جراء ذنوب لم يرتكبوها ، ويكونون هم الضحية من الصراع بين البشر ، فيقول مخاطباً ابنته ندى :

أيتها الحلوة والبريئة العينين
هذا الفم المشرق كالضياء
يبتسمُ
أخاف يا صغيرتي عليه
أخاف أن تغور منه البسمة اللطيفة
في الزمن الصعب
في زمن الجدبِ
في زمن الحربِ
******
صغيرتي
حين أراكِ فرحتي تنتعشُ
أحسّ أن جدولاً من جَذَلٍ
ينسابُ في قلبي
يموج بالحب

(١) المصدر السابق : الصفحة نفسها .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

لكنني - صغيرتي - أخافْ
أخاف يا صغيرتي من زمن الجفاف
من زمن الرعب
والسلب والنهب
في زمن الحرب [1]

وبتأمل نتاج الشعراء الوجدانين ، يتبين لنا أن الكآبة تبدو عند بعض الشعراء مزاجاً فطرياً ليس لسبب معلوم ، وإن ربط الشاعر أحياناً بينه وبين أحوال المجتمع والحياة ، حتى في لحظات الأنس لدى بعض الشعراء نجد أنه يعكر صفوها ، ويطبعها في النهاية بطابع حزين متشائم مليء بالشكوى ، غاص بالآلام ، ومن هنا نجد بعض الشعراء - مثلاً - عند حديثهم عن الطبيعة الخلابة لا يستغرقون في وصفها ، وإنما ينتقلون منها إلى ما له علاقة بذواتهم من فرح أو أسى ، بل قد تبدو نقلات بعضهم التعبيرية مفاجئة في بعض الأحيان ، مثل قول إبراهيم صعابي :

الشمس والقمر البهيج تآلفاً كل له فلك يسبح في حذر
والله يبدو في بديع سمائه والأرض أكبر ما نشاهد من صور
يا نفس ما للريح تحرق زورقي ومصادر الإلهام أزعجها الخطر [2]

ومثله الشاعر محمد بن علي السنوسي ، نجد أنه يتحول بسرعة من الحديث عن المظاهر الكونية التي يراها إلى الحديث عن أحزانه وآلامه ، ولكنه أقدر على إحكام الربط من غيره من الشعراء ، ولا تكاد تجد الهوة أو النقلة المفاجئة في الصورة لديه ، ومن ذلك قوله متحدثاً عن صراعه مع الروى والمعالي في حديث له عن جبل فيفا :

شاقني ذلك السمو ولي قلـ ـب ولوع بكل سام وعال
كلف بالسمو أنى تجلى شامخاً في الجبال أو في الرجال

(١) أول الغيث : ٤٦ - ٤٧ .
(٢) حبيبتي والبحر : ٤٦ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

فتـــصعدته ويممـــت وجهـــي　　شطـــره في تقـــدم ونـــضال
وركبـت الـصعاب وانتـصر الـشو　　ق بقلبي عـلى الـونى والكـلال
ذاك دأبي ودأب قـومي مـدى الـد　　هـر صراع الردى وقهر المحال (م)[1]

ومثل ذلك حديث الشعراء في غرامياتهم وتجاربهم في الحب ، نجدهم يعرجون على همومهم وأوهامهم ، ويبروزن من خلالها معالم سعادتهم أو تعاستهم ، وحديثهم عن التعاسة أكثر سيطرة على تجاربهم .

ثانياً- الفرار إلى الطبيعة :

الطبيعة من أبرز الموضوعات التي تتجلى فيها الفروق بين الموقف الموضوعي والموقف الوجداني ، وبين ما يقتضيه كلا الموقفين من تعبير فني ، فالشاعر الموضوعي ينظر إلى المشهد الطبيعي نظرة شاملة ، فتستوي عنده أجزاء الصورة ، ويولي كلاً منها عناية خاصة ليرسم منها جميعاً في النهاية لوحة كاملة .

فالربيع – مثلاً – لدى الشاعر الموضوعي أو التقليدي فصلٌ تشرق فيه الشمس الدافئة، وتستيقظ الأرض بعد هجعة الشتاء ، وتتفتح الأزهار ، وتتغنى الأطيار ، وتفيض الحياة بالحب والجمال ، وكل من هذه الجوانب يمكن أن يكون صورة صغيرة في ذاتها داخل تلك اللوحة الشاملة الكبيرة .

ومن هنا كان من الممكن أن يأتي الشاعر بما يبدو أنه تناقض بين هذه الصور الصغيرة في الجو النفسي المناسب للربيع ، إذ يبدأ الشاعر من منطلق بياني موضوعي ، ما دام لا يعبر تعبيراً صريحاً عن عواطفه أو يمزج بين وجدانه وما يصف من مشهد طبيعي .

وليس أدل على ذلك من وصف محمد العقيلي لمعالم رحلته إلى لندن أو باريس ، أو وصفه لجبل فيفا ، وكذلك وصف علي بن قاسم الفيفي للجبل نفسه ، وكذلك وصف أحمد العطاس لرحلته البحرية إلى فرسان ، فنجد أنهم في وصفهم للطبيعة

(١) الأعمال الكاملة : ٣٤٤ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

يعتمدون على نفس ما اعتمد عليه أغلب شعراء العصر العباسي وما قبله من وصف خارجي لمظاهر الطبيعة يقوم على الإدراك الذهني ، وألوان من التشبيه والمجاز بينها كثير من التكرار والتناقض أحياناً [1] .

أما الشاعر الوجداني فهو يبدأ صورته من موقف عاطفي أو نفسي يظل شائعاً في لوحته، غالباً على كل أجزائها، إن لم يقصد قصداً إلى رسم لحظات نفسية مختلفة متداخلة أو متعاقبة . وهو لهذا يختار من المشهد الطبيعي ما يتلاءم مع تلك الحالة النفسية أو ما يصلح رمزاً لها أو دلالة عليها ، إذا خلع عليه الشاعر ما يفصح عن هذا الرمز أو هذه الدلالة ، فليس الربيع عنده – في الأغلب – تلك الصورة الشاملة التي تقدّمت الإشارة إليها – من التفتح والدفء والإشراق والغناء ، بل قد يراه الشاعر الوجداني في زهرة واحدة تتفتح ذات صباح في أصيصٍ بشرفة ، أو في شعاع مشرق دافىء ينفذ إلى غرفته ، أو في ورقة جديدة خضراء على غصن جاف ، وأغنية لطائر يقف على حافة نافذته ، أو ابتسامة على فم سعيد، أوغير ذلك من الملامح الخاصة التي يتجاوب معها وجدان الشعراء كل حسب طبيعته أو حاله النفسية ، ومثل هذا الموقف الوجداني الخاص يستدعي ما يناسبه من ألفاظ ومجازات وصور وإيقاع ، لا تعتمد على الأنماط المأثورة بقدر ما تعتمد على الأصالة والابتكار داخل التقاليد العامة للاتجاه الوجداني ، وتمثل حالة الشاعر النفسية التي أسقطها على معالم الطبيعة المتمثل في الصراع بين الشتاء والربيع ، كل منهما يحاول البقاء ، ولكل منهما معاني في نفوس البشر ، وما صراعهما إلا رمز لما يعتمل في ضمير الشاعر ووجدانه من تعاسة أو سعادة ، أو حزن أو سرور ، وذلك يظهر في قوله :

يا زائري بالأمس حُبُّك كامنٌ بين الضلوع

(١) تقدمت الإشارة إلى تلك القصائد وغيرها في الفصل الثاني (أغراض الشعر) لدى عرض موضوع (الوصف) .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

ودعتنا فإذا الشتاء يزيلُ إشراق الربيع
والورد والأزهار تبدأ في الذُّبول
والبدر يسرع – مرغماً – نحو الأفول (١)

وهذه المقدمة انطلق منها الشاعر ليصور حالته أيام كان ربيع الحياة مزهراً ، والسعادة تغمره ، والأماني متحققة ، حيث يقول :

قد كانت الأيام تترى
والأماني الباسماتُ يَقُلنَ أهلا
قد كانت الأيام كالحُلَلِ القشيبة
ليس تبلى
أيام أفراحٍ وأعيادٍ لياليهن أحلى (٢)

فكل هذه المعاني هي معادل موضوعي للربيع في نفس الشاعر ، ولكن الحياة المليئة بالأحزان والمنغصات التي ير مز لها الشعراء بـ(الشتاء) لا تترك أزهار الربيع لحالها ، وإنما تمد إليها يد الفناء ، فيشحب لونها ، وتقلعها العواصف الشتائية من جذورها ، يتمثل ذلك في قوله معبراً عن هجمة الشتاء العنيفة :

هذا الشتاء يمد كفيه ويحمل فيهما
داء الفناء
هاجت عواصفه تبعثر كل أزهار الربيع
فإذا الخمائل شاحبات اللون من بطشِ العواصف والصقيع (٣)

ويؤخذ على الشاعر أنه قد أتخذ من الشتاء رمزاً تقليدياً للموت والفناء غير ملتفت إلى ما قد يكون فيه من معانٍ أخرى يجد الناس فيها والشعراء من باب أولى ألواناً

(١) زائر الأمس : ٧٦ .
(٢) المصدر السابق : الصفحة نفسها .
(٣) المصدر السابق : ٧٧ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

من الجمال والبهجة ، فكثير من الناس لا يحلو لهم ممارسة متعهم وهواياتهم الخاصة إلا في الشتاء ، ولكننا قد نعذره إذا أدركنا أن الشتاء والربيع هنا ما هما إلا حافزان للتعبير عما في كوامن نفسه عن طريق التضاد والتماثل ، ولذا نجده يحاول نقض تلك الصورة السابقة بتفاؤل مباشر ، متعجلاً محو ما أورد من مشاهد الفناء والجفاف ، فيصور الربيع يعود بشكل أقوى مما كان عليه في السابق، وتعود معه النضارة والزهور تتفتح من جديد، وذلك في قوله مخاطباً الربيع:

ولسوف تقتحم الشتاء تعيـ ـد للروض النضارة والورودا
تمحو الشتا بربيعك الزاهـ ـي وتجعل وجهه وجهاً جديدا
وتعيد زهر الأقحوان وإن تغشا ه الذبول ، تعيده دراً نضيدا [1]

ونجد أن الشعراء الوجدانيين قد ارتبطوا بالطبيعة ، واتصلوا بها اتصالاً وثيقاً ، إذ هي ملاذهم الآمن ، يفرون إلى مجاهيلها وعوالمها من شرور الحياة والناس ، حيث السكينة والعزلة في رحابها النائية الهادئة ، في مروج خضراء أو صحراء مترامية فسيحة ، أو بين أمواج تنساب على شواطيء حالمة ، ((**وقد رمى كثير من الدراسين هذا الأدب الوجداني بالسلبية والتشاؤم والشك في طبيعة الحياة والناس ، والفرار منهم إلى الطبيعة النقية عجزاً منهم عن التكيف أمام مقتضيات التحول الحضاري الكبير** ...)) [2] .

وأظن أن هذا الحكم إن صدق على بعض الشعراء ، فإنه لا يصدق على الجميع ، فهناك شعراء كثر كانوا ينظرون إلى الطبيعة أنها مصدر البراءة والفطرة ، والملاذ الآمن والمريح، هناك حيث لا ضجيج أو ضوضاء ، وحيث يختلي المرء بنفسه ، فيعيش لحظات صفاء وراحة نفس وهدوء بال لا يمكن أن يتحقق في عالم الصراع الصاخب ، وعالم تسلط الإنسان على أخيه الإنسان .

(١) المصدر السابق : الصفحة نفسها .
(٢) الاتجاه الوجداني في الشعر العربي المعاصر ، د. عبدالقادر القط : ١٢ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

فالشعراء في التفاتهم إلى مشاهد الطبيعة يتخذون منها رموزاً لعالمهم النفسي، ويخلعون عليها كثيراً من مشاعرهم الذاتية ، في محاولة للتنفيس عما يجيش في صدورهم من عواطف .

فالبحر عند هؤلاء الشعراء الوجدانيين رمز للأسر والامتداد والأبد والديمومة، تتداوله أحوال من الثورة والهدوء والهيجان ، ومن الكدرة والصفاء تمثل أحوال النفس وتقلب الوجدان ، وفي رحابه من الجمال والاعتزال ما ينتزع الشاعر من معترك الحياة والناس إلى عوالم فسيحة من التأمل والاستشراف والذكريات ، وهو مجال مناسب للفرار والهروب من الحياة القاسية ، نجد مثل ذلك عند الشاعر إبراهيم صعابي في أكثر من قصيدة وهو في جميع قصائده يصور معاناته وآلامه مع بني البشر قبل أن يرحل إلى البحر أو يركب زورق الراحة فيه ، ومن ذلك ما جاء في إحدى قصائده حيث يقول :

عبثت بالجرح أيامي ونفسي واضطرابي
وتهادت قصة العمر على وجه العبابِ
تسكب الدمعة في ذاتي وفي قلبي المذابِ
فإذا بي نغمةٌ غضبى .. وقلبٌ لا يحابي
أقتل البسمة والأحلام من هول المصابِ
وربيعي لم يعد يمحو رذاذات اكتئابي
وظنون الريح ترسو فوق أهداب الصوابِ
مزقتها فإذا الناس جميعاً كالخرابِ
قتلوا أنفسهم حقداً وعاشوا في ضبابِ (١)

(١) زورق في القلب : ٢٦ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وليس خافياً ما لحق بالشاعر من آلام ونظرة سوداء إلى الناس والحياة ، إذ لم يعد ربيعه قادراً على إزالة ما في نفسه من اكتئاب ، والناس عنده كالخراب يعيشون على الحقد والخداع ، وحياة مثل هذه جعلته يحاول أن يوليها ظهره صوب عالم آخر يلقى فيه بسمة وأحلاماً هانئة تعوضه بسماته وأحلامه التي ماتت في دنيا الناس ، و لا يجد ملاذاً آمناً سوى البحر ، فيعرض عليه وهو واقف بشاطئه ، ويسائله أن يرحل في عالمه ، وأن تأتي موجة تغسل نفسه وتأخذه معها عسى أن يجد ما يريد من سعادة مفقودة ، فيقول :

لست بحراً .. إنما أنت بقايا من عذابي
كرماً منك أعرني موجة تحكي انتحابي
سوف أبقيها وأشواقي على أعتاب بابي
وأغني قد أتانا الموج في خطو الكعابِ
ينشد اللقيا بخلٍّ كاشفاً كل نقابِ
إنها صورة حب بترانيم عذابِ (١)

ولم يجد الجواب من صديقه البحر ، فيكرر السؤال ويوضح المقصود منه بدقة مصوراً مدى حاجته إلى الرحلة قائلاً :

لم تجبني . . هل من الممكن يا بحر اغترابي ؟
فاغترابي فيك أسمى من بقائي في الرَّوابي
علني ألقى حبيباً باسماً غضَّ الإهابِ
مُرهف الحسّ عظيم النفس رفاف الجَنَابِ
ضائعاً بين عيوني .. وحُروفي وكتابي
فهو يابحر _ كما يبدو له _ طيف سرابِ (٢)

(١) المصدر السابق : ٢٦ – ٢٧ .
(٢) المصدر السابق : ٢٧ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

ونلتقي بالبحر عند شاعر آخر ، هو إبراهيم مفتاح الذي يبحث عن السعادة دائماً على الشاطىء أو فوق أمواج العباب ، ويبحث عن معاني الحب التي فقدها في اليابسة ، بل إنه في إحدى قصائده يتمنى أن يذوب في البحر ، ويصبح قطرة من قطراته ، حيث يقول في (مناجاة على الشاطىء) :

هـذه الـشطآن كانـت　　مرتعـي منـذ الطفولـة
هـذه الخلجـان باتـت　　حـضن أحلامـي الجميلـة
ليت روحي فيك تغدو　　موجـة تنـساب حـره
ليتـني يـا بحـر أمـسي　　منـك في الآفـاق قطـره

**

كـم تغنيـت عـلى الـشط　　ونـاجيت الـشراعا
لم يـزدني ذاك إلا　　فيـك حبـاً والتياعـا

**

فاعطنـا يـا بحـر حبـاً　　تـزدهي فيـه المعـاني
واعطنـا يـا بحـر فيـضاً　　للمنـى يهـدي الأمـاني[1]

والحق أن شعراء جازان الوجدانيين قد أكثروا من الحديث عن البحر حتى أصبح بديلاً لنفس الشاعر وما يتعرض له في حياته من تقلبات تعصف به كالأمواج العاتية . والليل جزء من الطبيعة الساكنة ، تفاعل معه الشعراء الوجدانيون بثوا في سكونه وظلمته – كعادة الشعراء منذ القدم – أحزانهم وغربتهم وحبهم الضائع وآمالهم المفقودة بعيداً عن أعين الناس، ولذا فقد غدا الليل رفيق الأحزان وقرين الآلام ومثل ذلك نجده عند حسين سهيل في كثير من قصائده التي عبرت عن مدى معاناته في

(١) عتاب إلى البحر : ٥٥ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الحياة وانتظاره لليل لكي يفصح إليه عن أحزانه ، ويجد في ظلامه فرصة للخلوة وتنفيس مكنوناته ، ومن ذلك قوله في قصيدة (أغنية إلى الليل) :

لا تسلني أيها الليل إذا جن الظلام
فأنا تحت الدجى قلب وروح ، وحطام
وبقايا هيكل مضنى . . تغشاه السقام
أترى ياليل يلقاني – إذا سرت – الختام

**

في ظلام الهوة السوداء أخفيت لحوني
في كهوف الظلمة الخرساء أنبت أنيني
وعلى صمت القبور الداثرات من السنين
نحت يا قلبي بأنات الحزين

**

أيها الليل لقد ماتت بنفسي الأغنيات
حين ناحت لغة الحزن بقلبي والشكاة
فأسالت مدمع العين على نهر الحياة
أترى يا ليل تلقاني – إذا نحت– النجاة (١)

ونجد الشاعر يتفاعل مع الليل ويحاوره ، متخذاً منه رفيقاً حميماً يفصح إليه بمشاعره، ويوضح له طموحاته ، فشاعرنا حسين سهيل لم يشأ أن يصور نفسه مهزوماً أمام رفيقه الليل، حيث تظاهر بالصمود وقوة الأمل في تجاوز آلامه ، وتخطي العقبات التي تواجهه ، فيقول :

لا تسلني أيها الليل إذا أنت جروحي

(١) أشرعة الصمت : ٤٣ – ٤٤ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

أو شكت أحزان قلبي من تضاعيف قروحي
فأنا رغم جراحي . . رغم تهويمات روحي
لم تغب شمس دروبي أو خبت نار طموحي [1]

وقد يكون الليل فرصة للهروب نحو الخصوصية والعيش مع الأحلام ، بعد أن تطفأ السُّرج ، ولكن الأحزان والآلام لا ترحم هذا الإنسان المنهك حتى في نومه ، إذ نجد أكثر الشعراء يصورون أحلامهم كلها تدور في فلك الكوابيس والأشباح المخيفة ، ولذا راح بعضهم يروي لنا تلك الأحلام المزعجة التي فروا إليها مرغمين ، ومنهم الشاعر أحمد الحربي في قصيدته (رحلة الأمس وكابوس المساء) ، إذ يقول متأثراً بالشاعر إيليا أبي ماضي :

سكن الليل فأسكنت المشاعر
وترفقت بألوان الخواطر
وتدثرت بأطياف المعاني
ورؤى الماضي وأصوات الحناجر
ثم أطفأت سراجي
ثقل الجفنان في نوم عميق

أي أشباح تراءت　　ملء عيني لست أدري
أي كابوس دهاني　　لست أدري لست أدري
صرخات تتعالى　　وضجيج وأنين
وطيور تتوالى　　فوق ريان الغصون
ضجة حولي ولكن　　أي شيء ؟ ما تكون ؟

(١) المصدر السابق : ٤٤ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

لست أدري [1]

ونلحظ هنا أن الشاعر قد وفق في تصوير الحلم ، إذ أرانا تداخل الأشياء وضبابيتها كالحلم نفسه ، صرخات وضجيج وطيور تزقزق ، وعيون تدمع وضجيج لا يعلم مصدره ، ومما عضد ذلك التداخل تعبير الشاعر بقوله : (لست أدري) ؛ إذ كثيراً من الأحلام ينسى أصحابها شيئاً من تفصيلاتها ، وإن بقيت صورتها الأصلية مهيمنة على مخيلاتهم ، وهذه التجربة تحدث لكل الناس ، لكن الشاعر استطاع أن يعبر عنها أو يقرب لنا شيئاً من ملامحها، وأراد أن يصف لنا حالته وهو يبصر تلك المشاهد المفزعة والكوابيس المخيفة التي يواجهها وحده في ظلام الليل و لا معين :

فتعـــالت صرخـــاتي أيـــن مـــن يـــسمعني ؟
وتوالـــت زافـــراتي أيـــن مـــن ينقـــذني ؟
صـــوتي المـــسكين ضـــاع تـــاه صـــوتي في الزحـــام
لـــيس مـــن يـــدرك أني ربـــما أمـــسي حطـــام .. [2]

وأراد الشاعر أن يوصلنا إلى الحقيقة الكبرى التي تسيطر على مشاعره ونفسيته ، وهي الإحساس بالضياع والتيه في عالم السراب ، والاقتران بالفشل والألم في كل شيء ، حتى في أحلامه لا يحصل على أمانيه ، فهو قد نام على أمل أن يرى محبوبته أويسمع صوتها ، فجاءت في الحلم لتنقذه ، ولما صحا من حلمه لم يجد شيئاً ، سراب في صحوه ، وسراب في حلمه ، إذ يزده الليل إلا ألما ، ولم تزده الأحلام إلا وهنا على وهن ، ويكمل رواية حلمه قائلاً :

وإذا صوت قديم جاء من خلف السحاب
فتعالت خفقاتي في ارتعاشٍ وارتياب

(١) رحلة الأمس : ٩ .
(٢) المصدر السابق : ٩ – ١٠ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

وتلمست خطى القادم نحوي في انسياب
صوتك الدافيء يأتي في هدوء في عتاب
يوقظ الأحلام جذلى
ينفض الكابوس عني
وصحت عيناي لكن
لم أجد إلا السرابْ (١)

والكوابيس التي تداهم الحربي في لياليه المظلمة ، هي نفسها التي نجدها عند الشاعر جلوي الحكمي في كثير من قصائده ، لا سيما في أحاديثه عن غربته القاسية ، وما يجتاحه فيها من وحدة ووحشة ، يفر منها إلى الراحة في عالم الظلام الهادىء ، ولكنه يفاجأ بالكوابيس التي لا ترحم ، والتي أنهكت قواه ، وقهرت إرادته ، ومن ذلك ما جاء في قصيدة (غربة) ، إذ يقول :

الليل يرسل هماً لست أدفعه　　والنوم إن نمت ، فالكابوس يزعجني
و لا مفر من الإذعان منكسراً　　في خاطري منهكا في الروح والبدن
إذاً هو القهر موسومٌ به قدري　　مهما فررت فإن القهر يبلغني (٢)

فالقهر ملازم له ، والغربة تسحقه ، فر الشاعر من حياة الصخب والضجيج إلى عالم الليل الهادىء ، وظلامه الساكن ، فتبعته الآلام ، وأدركه القهر ، فلم يرحم وحدته أو يقدر غربته ، إنها مشاعر كل شاعر وجداني ، إذ نلمح عند الوجداني أنه يألف الظلام؛ لأنه يتوحد فيه ، ويسلس له الشعر ، وتعذب النجوى على الماضي ومراودة الأحلام التي يسفح بها الواقع، والأحلام تتحول إلى أوهام تتجسد ، ولكن الشاعر يصحو منها وقد تلاشت أمانيه ، والليل كما هو معلوم موطن الأحلام ، سواء أكانت

(١) المصدر السابق : ١٠ .
(٢) قبل أن ينضب الأمل : ٤٩ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

أحلام يقظة أم أحلام منام ، والحلم – كما يقول إيليا الحاوي – هو ((**صنو الحنين يرمز إلى حالة من التعصي على الواقع ورفض الانصياع له . إلا أن الوهم والحلم هما ذاتهما ليسا دائمين ، يدران ثم إنهما يكفان ويرزحان تحت وطأة الواقع . وهنا تنبري الخيبة ، وهي الظل الآخر للحلم ، الشاعر يصارع الواقع ... لكنه لا يفلح في الانتصار**)) [1] .

ومن هنا فإننا لا نكاد نجد شاعراً وجدانياً يتحدث عن حلم جميل مشرق مليء بالمسرات ، إذ جميع أحلامهم جريحة مليئة بالأحزان والآلام والأوهام والكوابيس ، ونهايتها دائماً الإخفاق والتحطم على صخرة الواقع ، ولكن مع هذا لا بد للشاعر من رحلة الأحلام، ومن خير الأمثلة على ذلك قصيدة الشاعر حسين النجمي (حلم جريح) ، وفيها يقول :

حلم على جفن الزمان جريح وصدى يذوب على الشفاه ذبيحُ
ورؤى على آفاقه قد أشرقت أحلامها فغدا عليها الريحُ
ومضى زمان قد تقادم عهده بل صار ميتاً يحتويه ضريحُ
لكنه قد هب بعد منامه والنور أصبح للظلام يزيحُ
دبت به أنفاسه وتحركت فيه الحياة وأيقظته الروحُ
فتجاوبت أصداؤه عن همه والسر أضحى عنده تصريحُ
ومضى يطير محلقاً في أفقه يترقب الآمال حين تلوحُ
يبني من الأحلام عشًّا دافئاً يدوي به التهليل والتسبيحُ
قد حب من دنيا الجمال ورودها فبعطرها ينساب حين تفوحُ [2]

إن تلك الأحلام ما هي إلا أطياف قد عدت عليها الرياح فبعثرتها ، ولم يكن الشاعر مبالغاً في أحلامه أو مفرطاً في آماله ، وإنما هو الطموح الذي يعتري النفوس ، فيجنح بها في عالم ملىء بالأشواق والمنى ، يقول النجمي في ختام حلمه الجريح :

(١) الشعر العربي المعاصر دراسة وتقييم ، إبراهيم ناجي شاعر الوجدان ، إيليا حاوي : ٢٥ .
(٢) تأملات على مرافئ الغربة : ٩٩ – ١٠١ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

لم يفرط الأحلام لكن الفتى　　لا بد من أن يعتريه طموحُ [1]

واتخذ بعض الشعراء الوجدانيين من مشاهد الطبيعة المتحركة رمزاً للحرية والانطلاق، فالبلبل - مثلاً - يمثل لديهم الانطلاق في رحاب الجمال ، واتخذوا من غنائه دليلاً على سعادته بما هو فيه من حرية ، وهو إذا كف عن الغناء لا بد أن يكون في قبضة أسر أو غم أو فقد ، وما أكثر ما شبه الشعراء قول الشعر بغناء الأطيار ، وشبهوا الشاعر الذي كف عن قول الشعر بالبلبل الحبيس ، والشاعر الحزين شبه بالبلبل الحيران، ومن ذلك قصيدة الشاعر محمد بن علي السنوسي (البلبل الحيران) التي خاطب بها عبدالله الفيصل ، متخذاً من البلبل معادلاً للشاعر الحزين ، فحاوره وسأله لم الحزن وكل معالم السعادة بين يديك ؟ وفيها يقول:

قلت للصادح المرفرف في (م) الروض علام الأنين والتسهيدُ
ولك الظل والشذى والأزا　　هير نشاوى يحلو بهن الوجودُ
والزلال النمير والنور والنوار (م) والنبع صافياً والورودُ
والندى والنسيم والأفق الطليق (م) ورحب من الفضاء مديدُ
وسماء كما تشاء وآفاق كما　　تشتهي وكيف تريدُ
ولك الأمس مشرق يملأ النفـ　　ـس جلالاً واليوم زاه مجيدُ [2]

وعن المعاني نفسها يتحدث الشاعر أحمد الحربي في قصيدته (إلى الطائر الحزين)، فيسائله فيها البلبل : لم الحزن ولم هذا الصمت وهو ما زال في سن الزهور ، ومرحلة النضوج؟ ، يقول له :

أيها الصداح قل لي　　أين أيام الحبور ؟
أنت لا زلت ربيعاً　　فاملأ الأرض سرور

(١) المصدر السابق : ١٠١ .
(٢) الأعمال الكاملة : ٤٤٥ – ٤٤٦ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

أنـــت زهـــر وعبـــير فـــاملأ الـــدنيا عطـــور
واحمـــل الآمـــال وانثـــر بجناحيـــك الزهـــور

واملأ الدنيا غناء (١)

ويتقدم الشاعر بطلب مليء بالرجاء الحار إلى الطائر أن يعاود الشدو والتغريد ؛ لأن كثيراً من المحرومين لا تنتشلهم من غفوة الآلام ، ورقدة الأحزان إلا تلك الأنغام الراقصة ، والزقزقات الحالمة :

أيهـــا الطائـــر حـــسبي منـــك أنغـــام المـــساء
فلأوتـــارك عـــزفٌ راقـــص حتـــى البكـــاء
ولأصـــدائك رجـــعٌ في قلـــوب الأشقيـــاء
فتجـــدد يـــا صـــديقي إن لي فيـــك رجـــاء

تملأ الدنيا غناء (٢)

إن ذلك البلبل ليس معذوراً في صمته ، إنه يعيش الحرية بكل معالمها وصورها ، فلم السكوت ، ولم لم يصدح ، والواقع إن الشاعر لا يتحدث هنا إلا عن نفسه ، وكأنه يقدم لها الأعذار والمبررات المقنعة لسكوت وجدانه ، واحتباس لسانه من قول الشعر ، إنه يعيش في أسر الأحزان ، وقفص الآلام ، ولذا يوجه الخطاب إلى ذلك البلبل الذي هو المعادل له في هذه الطبيعة ، متمنياً ألا يسكت وليبق في هذا الكون مصدر سعادة وبهجة ، فيقول :

أنـــت حـــر أيهـــا البلـــ ـــبل في الكـــون طليـــق
فلـــك البحـــر خليـــلٌ ولـــك المـــوج رفيـــق
لـــك في الليـــل سميـــرٌ لـــك في الفجـــر طريـــق

(١) رحلة الأمس : ٢٢ .
(٢) المصدر السابق : ٢٢ – ٢٣ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

عبـــق المـــسك نـــسيمٌ　　لـــك ، والـــروض صـــديق
فاملأ الدنيا غناء [1]

فالبلبل هنا غير معذور في سكوته إذ كل معالم الطبيعة من حوله أصدقاء له البحر والموج والليل والفجر والروض ، وهو مع ذلك حر يذهب متى ما شاء ، ويزور من شاء ، ويطير من دوح إلى دوح . أما الشاعر فهو حزين يعيش وحدته وأسر دنياه ، وعذاب الأيام فلو سكت لا يلام ، ولو صمت لا حق لمعاتب عليه . والشاعر علي النعمي كثيراً ما يصف نفسه بالهزار أو البلبل الصداح في معرض حديثه عن معاناته الاجتماعية من التهميش والإقصاء عن الأضواء وعوالم الظهور في دنيا الثقافة وساحة اللامعين ، ومن ذلك قوله :

لا مسائي أقصى مرارة نفسي　　عن فؤادي وما استطاع نهاري
فمسائي أعيشه بين قومٍ　　يتغابون عن غناء الهزارِ
يتناسون من يكون رفيق الـ　　حرف فيهم بخيبة واحتقارِ [2]

ولما ضاقت الحياة بهذا البلبل (الشاعر) وملّ ذلك الروض الذي لم يحتفل بأغاريده وألحانه هرب منه ، وفر إلى عالم آخر ، ورياض أخرى علها ترحب به وتفسح له مكاناً رحيباً بين خمائلها ووارف أشجارها ، فيقول النعمي :

هو – يا رب – هزارٌ حلّقت　　رُوحُه بين مجرّات الدّراري
ترك الروض لأن الروض لم　　يحتضن بالحب ألحان الهزارِ
ربما تصغي إليه نجمةٌ　　تعشق الأنغام في ذات مدارِ
ربما في الأفق يلقى راحةً　　وأماناً من مرارات الدوارِ [3]

(١) المصدر السابق : ٢٣ .
(٢) الأرض والعشق : ١٢١ .
(٣) جراح قلب : ٦٨ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

* * *

ومن خلال العرض السابق لموضوع الطبيعة والهروب إليها وأثره على وجدان الشعراء، نلمح أنهم لا يلتفتون كثيراً إلى مشاهد الطبيعة ذاتها ، بل يتجاوزنها إلى الحديث عن أحاسيسهم ولحظاتهم النفسية ، وقد يرسم أحدهم صورة مستقلة لمشهد طبيعي وفي خاطره أن يربطه بعد ذلك بجانب من جوانب وجدانه ، فلا يلتفت في المشهد إلا لما يتسق مع هذا الجانب بحيث يصبح المشهد معادلاً لشعوره النفسي ، أو كأنه ركن لتشبيه كبير ، أحد طرفيه الطبيعة ، ووجدان الشاعر طرفه الثاني .

ويتبين لنا أيضاً أن وصم الفرار إلى الطبيعة بأنه جانب سلبي من وجهة النظر النقدية ليس سلبياً على إطلاقه ، فهناك جوانب إيجابية تظهر في إلحاح الفرد على حريته وعواطفه ، وتمثلت في أن اعتزال الحياة والناس ، واللجوء إلى الطبيعة يمثل في حقيقته موقفاً من الحياة والناس ، واحتجاجاً على مايراه الشاعر من سلوك وقيم تخالف قيمه ومثله العليا ، وليس موقفاً سلبيا يعزله عن الحياة بالكلية ، كما زعم ذلك دارسو الرومانسية إلا في بعض حالات يبلغ فيها النفور والاعتزال والانطواء على الذات حد المرض عند بعض الشعراء [1] ، وهذه الفئة من الشعراء لا وجود لها في جازان .

(١) انظر : الاتجاه الوجداني في الشعر العربي المعاصر ، د. عبدالقادر القط : ٢٨١ – ٢٨٣ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

ثالثاً- الحب :

تبدو عاطفة الحب عند الوجدانيين وكأنها تجربة روحية ، ترتبط بمعاني الطهارة والعفة والصمود أمام شهوات الجسد ، ويسمو الشاعر فيها بخياله إلى عالم نوراني من الأحلام ، بل والأوهام ، متخذاً من حبه مجرد إلهام لموهبته ، وحافزاً لوجدانه ليرقى إلى ما يستطيع من رحاب الروح والفن ، وقد يبالغ بعض النقاد ، فيجعل هذه الروحية هي أهم مصادر إلهام الشعر ، يقول إيليا الحاوي : ((**والرومنسي يظل أبداً متضايقاً بسجن الجسد وقيده ، ويجد أن في الحب نفحة من النشوة ... حيث تعثر الروح على عزائها من انهارها في الروح الأخرى ، واعتناق الوجد مع الوجد ، مما يبث الألفة والأنس . والروحانية عميقة الجذور في الشعر الرومنسي ؛ لأنها هي التي تسوقه إلى تلمس الأطياف الشعورية ، والرعشات الهاربة، واكتشاف كون آخر من العوالم النفسية عبر الكون المادي ، الجامد ، والحبيبة هي التي تقود إلى ذلك ، وهي التي تهب الشعر وتوحي به . فالشعر هو منها ولها ومن دونها يقفل فم الحياة، وتصمت صمتها بالعيي الأبدي ... فالحب هو صنو الشعر ، و لا شعر من دون الحب ؛ لأن الحب يعيد الإنسان إلى حالة التآلف الأولى مع الذات ، وهو الذي يمنع الكره وجفاف الفراق ووحشة الوحدة ...**)) [1] .

ومن هنا نجد أن المرأة عند الشعراء الوجدانيين تختلف عنها عند شعراء الغزل الحسي القائم على أطماع الجسد ، واللذة العابرة ، أو الشهوانية العابثة ، وإنما غدت المرأة عند من ينحون منحى الوجدان وجوداً مطلقاً غائماً ، لا يحده في الأغلب اسم أو زمان أو مكان ، فقد تكرر الأسماء دونما وجود ، وتختلط الأزمنة دونما قيود ، وتتعدد الأمكنة بلا حدود ، يتحدث الشاعر عن المرأة أو الحب – في كثير من الأحيان – حديثه إلى غائب مجهول ، أو يخاطبها – أحياناً – كما يخاطب مثالاً سامياً ، خالصاً من أدران الحياة وأطماعها ، والشاعر في تطلعه إلى هذا المثال يأمل الخلاص مما يجد من معاناة الحياة

(١) الشعر العربي المعاصر ، دراسة وتقييم (إبراهيم ناجي) ، لإيليا حاوي : ١٥ – ١٦ بتصرف .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ومخالطة الناس أو التحرر من الصراع المحتدم في وجدانه بين الرغبة والطهارة أو الواقع والمثال ، فالحب عند الشاعر الوجداني كاليد الرحيمة التي يرجو منها أن تمتد إليه لتنشله من وهدة الحياة وآثامها ، فحياة الحب هي المنقذ لأحمد البهكلي من الحياة الجافة الرتيبة التي يحياها ، يقول في قصيدة (أحبك):

أين وجهت فقلبي لكِ مغدى ومراح
أنت فيه النور .. كالنور يغذيه الصباح
أنت فيه النفح ..كالنفح تزجيه الأقاح
يا جمالاً ملهب التكوين معدوم السماح

**

آه ..كم أهفو ؟ وكم أحنو لذكراك الحبيبه
تتمطى بي أوهامي خيالاتٍ عجيبة
فأرى أبعادك القصوى بتحناني قريبة
حيث أحياك بدنيا فوق دنيانا الرتيبة (١)

وبتأمل تجارب الحب الوجدانية ، نجد أنها تقوم في أساسها على الصراع والمعاناة ويبدو الشاعر فيه وكأنه يضع لنفسه أسباب الفشل ، والعراقيل ليظل الألم غذاءً دائماً لوجدانه ، فالحبيبة عند الشعراء الوجدانيين لا تنال ، حبيبة موجودة ومفقودة في آن معاً ؛ لأنها هي أنأى من ذاتها ، إنها السعادة في ديار الافتقاد الدائم والوحشة والحنين إلى ما وراء الأشياء وما دونها ، فالمحبوبة عند البهكلي استمرأت عناءه وعذاباته ، واليوم الذي يجدها أو يصل إليها ستنتهي كل معاناته ، وتشفى حينها أمراضه وأوجاعه ، يقول في رباعية من رباعيته الوجدانية :

(١) الأرض والحب : ٤٣ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

كنتُ أرجو منك ما لو حُزْتُ فيما　　حُزْتُ لا نفضّتْ جموعات عنائي
كنت لي كالأمل الأقوى لمن أضنا　　ه سُقْمٌ في شفاءٍ بدواءِ
كنت مغناي .. وملهاتي . . ومهوا　　يَ وأسباب سعودي وانتشائي
لم يا مقصيتي عن حسنك استمرأ　　تِ قهري بعذابات الجفاءِ[1]

ومن هنا نجد أن الحب عند الوجدانين يرتبط بالمعاناة والآلام ، وأنهم مضوا يعللون أسباب تلك المعاناة ، ويطرقون أبواب العلاج في كل اتجاه ، فالشاعر أحمد البهكلي يعلل لحظات الوداع المليئة بالأحاسيس المرهفة ، وقسوة الفراق ، والدموع المهراقة التي هي في الواقع تطهير للأنفس ، ودواء ناجع للعذابات ، وراحة ما بعدها راحة يقول في قصيدته (الدمع طهور) :

وتولّت عني خافضةً　　طرفاً مكسوراً مجهد
تنساب كداليةٍ ... وأنا　　مشلول مثل الجلمدْ
والباب يغيبها . . وإذا　　بي أحضر .. كيما أنهدّ
أقسى من بعد أحبتنا　　ألا نأسى . . أو نجهد
فلنبك إذا ما فَارَقْنا　　من نهواهم .. لا نشتد
والدمع يطهّرُ أنفسنا　　والدمع دواء لا ينفد[2]

على أننا نجد شاعراً آخر هو أحمد الحربي كره البكاء والدموع ، ذلك البكاء الذي أحبَّه البهكلي ، وذهب الحربي يبحث عن شيء آخر يُعيد له البسمة المفقودة في عالم الحب، ولكنه أيقن في النهاية أنه يبحث عن أوهام وحيرة ، وأنه يعيش إلى الأبد رفيق المأساة وقرين العدم ، يقول في قصيدته (قرين العدم) :

لأني مللت عتاب الألم　　وليل البكاء وطول الندم

(١) المصدر السابق : ٦٠ .
(٢) طيفان على نقطة الصفر : ١٢٩ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

كرهت النواح ، ونعي الهوى كرهت الدموع ونزف القلم
وجئت أفتش عن بسمة تضمد جرحي وتقصي السأم
تغير طعم الحياة بقلبي ليعزف لحني بأحلى نغم

* *

فلم ألق ياصاح غير الأنين وشوق يذيب فؤادي الحزين
وليل كئيب يؤرق جفني ويفتح في كل عين عيون

* *

فأيقنت يا صاح أن الهوى جراح وسهم بقلبي ارتسم
وأيقنت أني سمير الحيارى رفيق المآسي قرين العدم [1]

ومن هنا نشأ عند الشعراء شيء من الصمود والاعتزاز ، فإذا كان الشاعر البهكلي قد بكى بلذة في مقام الحب ، والشاعر الحربي لم يفده البكاء شيئاً ، فإن شاعراً آخر هو إبراهيم صعابي عاهد نفسه على أن لايبكي ؛ لأنه قد احترق من الداخل ، وناره قد أصابته بالجفاف، فلم تبق له دموع ليذرفها ، ومرارة نفسه وآلامها ، وما ضاع من أمانيه ، وما لحقه من جفاء وصدود دعاه إلى الرد بالمثل ، فحياة الحب لا تستحق أن يعاني الإنسان بسببها ، وفي ذلك يقول :

أدخلُ في مدائنِ واقعي حطباً فأُحْرقُ .. ثم أُحْرِقُ
لحظة الإغداقِ
لحظة مقتلي بخناجر الإبحار
فلم تعد الحياة تهمني .. لن أعشق الأزهار
لن أبكي على تذكار [2]

(١) رحلة الأمس : ١٤ – ١٥ .
(٢) زورق في القلب : ١٢٠ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

وبدل البكاء فإن صعابي يحاول أن يبتسم متخذاً من شعار (إن أشد ما يعاني منه المنتصر هو ابتسامة المهزوم) ، فشاعرنا الوجداني الذي هزم في تجربة الحب يحاول فتح فمه بابتسامة الهزيمة ، في محاولة لإخفاء الطعنات القاتلة ، فيقول :

ومنار الحب يسمو نوره　　ضاحك الثغر كوجه الملكاتِ
لا كما يبدو سراباً زائفاً　　أو كما يبدو غريباً في فلاةِ
يا رحيل العمر .. هذي بسمةٌ　　رغم أني قتلتني بسماتي (١)

وفي الطرف المقابل لهذا الحب المسرف يعبر بعض الشعراء عن خيبة أملهم في مثلهم التي صاغتها وجداناتهم المرهفة ، ووشوها بخيالاتهم وأحلامهم وأوهامهم ، فيصورون المرأة قليلة الوفاء ، كثيرة التقلب ، وكأنها في كلتا الحالتين معادل للحياة عند الشاعر فيما تمنحه من ساعات الصفاء والإقبال ، وفيما يجد فيها من شقاء وإدبار ، وتحول مفاجيء ، فالشاعر علي بن حسين الفيفي يخاطب محبوبته بالقسوة نفسها التي عاملته بها ، وينسى كل رقة كانت قد تودد بها من قبل ؛ لأنه لم يترك طريقاً إلا وسلكه ليثبت أنه محب ، ولكن لما لم يقابل بما يتمنى انتفض بكبرياء وأنفة ، وقال :

تنكرت للحب الذي كان بيننا　　وهيهات أن أنسى الصدود وأعذرا
ولم يبق في الأحشا لشخصك من هوًى　　فليس الهوى شيئاً يباع ويشتري
تجاهلت إخلاصي وصدق مودتي　　وشوقاً يصدُّ المقلتين عن الكرى
تجسدت الآمال فيك لفترة　　وأضحت سراباً والصفاء تعكّرا
ولا تحسبي قلبي يلين لأنه　　إذا كان من يهواه فظّاً تحجّرا (٢)

أما إبراهيم صعابي فإنه قد تجاوز الفيفي في تحوله العنيف على المرأة ، وإشهاره لسيف التعنيف والقسوة ، ومن ذلك أنه يصف ذلك المخلوق اللطيف الرقيق الذي

(١) حبيبتي والبحر : ٥١ .
(٢) أزهار : ١٢١ – ١٢٢ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

يشبه العصفور بأنه وإن ظهر للناس كذلك بأن في داخله وحوشاً تسرح وتمرح ، وتتمرد متى ما شاءت ، ولذا فهي قاسية وإن أظهرت اللين يقول في سرديته القاسية ضد المرأة :

المرأة العصفور داخلها وحوشٌ سائمة
وإذا لمست الشوق فيها فهو دنيا غائمه
بالشك بالوعد الوعيد لكل شيء لائمه
يترحل الهمُّ الجميل على عيون هائمه (١)

ويصورها في قصيدة أخرى بأنها مفترسة قتلت كثيراً ، صورهم في عينيها ، وأنها لبشاعتها في نفسه تحولت إلى صوت موبوء وخطى شقية ، وأشباح تتراءى له في كل اتجاه قد أقضت مضجعه ، ويتمنى لها أن تنام نومة الأبد ، يقول :

نامي
ففي قدميك ليلٌ سافرٌ يقسو عليك
نامي
ففي عينيك مَوْتى
عائدون بنصف قامتهم – إليك
وحديثُكِ الموبوء
أحرفه صدًى يفضي بشكوى حاجبيك
دنياكِ وهمٌ غامضٌ
وخطاكِ ما أشقى خطاك
إني ذُهِلت
فلا أرى – أنّى اتجهت –
إلا سواك (٢)

(١) زورق في القلب : ٨٦ .
(٢) وقفات على الماء : ١٢٤ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

والـشاعر محمـد الـشنقيطي يـصور المـرأة مـستهترة منطلقـة في كـل اتجـاه وراء شهواتها، ومهما طالت بها طرق الظلام فإنها في النهاية ستواجه نـور الـصباح ، وعنـدها ستفاجأ بالندم والعناء ، يقول :

واركبي كلَّ موجٍ
وسايري كل ركبٍ
وعبِّي
إلى الشمالة القصوى
إلى تمام الرُّواءِ

**

خُلَّبٌ غيرُ ذاك فسيري
مأمورةً
في ظلام
هو الذرى في الضياءِ
وادفني نهار ليلَكِ الموات
وعُودي
إلى الندامة المُثلى
إلى العنا
والشقاء (١)

رابعاً - مظاهر وجدانية أخرى :

١- وجدانية الوطنيات :

الشعراء الوجدانيون هيمن عليهم الشعور الذاتي حتى في كثير من أشعارهم الوطنية ، فصار الوطن عندهم حباً مشبوباً وعاطفة ذاتية ، لا نكاد نفرق بينها وبين

(١) خلف أسراب البجع : ٦٠ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

عاطفة الحب المألوفة ، فلو نظرنا – مثلاً – إلى وطنيات الشاعر علي صيقل ، فإننا نجد جانباً من تلك الذاتية التي تشيع من خلال الإحساس المرهف تجاه الوطن الذي ينداح في دمه ويجري في سواعده ، ومن ذلك قصيدته (أغنية للوطن) التي يقول فيها :

وشمٌ على ساعدي نقشٌ على بدني ... وفي الفؤاد وفي العينين يا وطني
شمساً حملتك فوق الرأس فانسكبت ... مساحة ثرّةُ الأضواء تغمرني
قبلت فيك الثرى حبًّا وفوق فمي ... من اسمرار الثرى دفء تملكني
وانداح في خافقي سحراً وترنمةً ... وذكرياتٍ وآمالاً تضمدني
قصيدتي أنت منذُ البدء لحّنَها ... أجدادي الشُّمُّ فانثالت إلى أُذني
ترنيمة عذبة الألحان فامتزجت ... ألحانها في دمي بالدفء تفعمني [1]

ثم يعبر عن ذلك الحب الجارف الذي فاق كل حب ، وهو بحق يستحق أن تؤخذ عليه المواثيق والعهود ، فيقول :

يا موطني إنني أهواك في ولهٍ ... يا نكهة حلوة تنساب في بدني
أقسمت بالله لن أنساك يا حلمي ... فإن سلوتك هيء لي إذن كفني [2]

وبمثل هذه المعاني الوجدانية تجاه الوطن يصدح الشاعر حسين سهيل ، فيقول في إحدى وطنياته :

يا موطن الخير عشقي فيك أكتُبُه ... مدادُه من دمي والحبُّ وقّادُ
عشقت فيك الثرى نبضاً وتضحيةً ... ومن بنوا للعلا التاريخ أو شادوا
لا تعذلوني إذا ما كنتُ أعشقهُ ... فالرّمل في خافقي لحنٌ وإنشادُ [3]

ونلمح في هذه النماذج وسواها سيطرة لغة الحب والعشق على المشاعر الوطنية التي حملتها وجدانات الشعراء ، ولم يعد الوطن مجرد موضوع تقليدي فقط ، وإنما اقترن

(١) أغنية للوطن : ٧ .
(٢) المصدر السابق : ٨ .
(٣) وللأقمار باب : ١٢ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

بالعواطف والمشاعر الصادقة ، القائمة على تجارب ناضجة تجاوزت موضوع المناسبة التقليدية التي تفتقر إلى بعض المشاعر والعواطف ، وتبنى في كثير منها على الأسلوب الإعلامي الخطابي بلا روح أو رواء .

٢- قضايا الأمة بصوت وجداني :

ولم يعد – أيضاً – الحديث عن قضايا الأمة ومقاومة أعدائها مجرد نمط من أنماط الشعر الواقعي تغلب عليه الرصانة المسرفة والنبرة العالية ، والعبارات الخطابية المألوفة، بل أصبح وجهاً آخر من وجوه الذاتية ، له ما للتجربة الذاتية من شخصية وتنوع في الموقف والتعبير ، وكلما اقترب الموضوع المتعلق بقضايا الأمة من وجدان الشاعر زادت صورته الوجدانية وضوحاً فيما يستخدم الشاعر من معجم عاطفي وصور خيالية وتركيب جديد ملموس ، وسعي الشعراء في ذلك يعدُّ من صميم الوجدان ؛ لما فيه **((من التعبير الذاتي ، وأمنية الحرية ، وانتشال الشعب من التخلف والكبت الاستعماري، فكانت غايتهم ذاتية اجتماعية))** [1] .

ويظهر وجدان الشعراء في هذا الشأن فيما نبصره من حنين عميق تجاه ماضي الأمة ، وتوق إلى عراقتها وبطولاتها وأمجادها المسطرة ، ومن خلال التغنى بها يحقق الشاعر كثيراً من طموحه الذي عجز عن بلوغه في لحظته الحاضرة ، ونتج له البعد الزمني مجالاً للخيال والإبداع ، ونبصر في تذكر ماضي الأمة المفردة الوجدانية التي لا يمكن للوجداني أن ينزع نفسه منها ، ومن ذلك قول إبراهيم صعابي :

كنَّا نجيء الموتَ في حبٍّ وفي شوقٍ نموت
((ومن رباط الخيل)) والإيمان كان سلاحنا
يا أيها الصوتُ المدوّي بالسؤال ..
ماتَ السؤالُ

(١) الشعر الوجداني في المملكة العربية السعودية ، د. مسعد العطوي : ٧٠ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

على شفاه الريح والجرْحِ القديم
مات السؤال .. ولم تمت روح السؤال
فالبحر يسكنه الدّوار
والريح عاتيةٌ فتقتلعُ الشراعَ و لا فرار
والشمسُ تلتهمُ المدار
والصمتُ يعقبه انفجار
مات السؤالُ
ولم يزل
يبقى سؤالٌ للسؤال [1]

وغير خافٍ ما تحمله هذه المقطوعة من رمزيةٍ معبرة عن ذلك الماضي البعيد ، والحنين إليه في عصر ماتت فيه العزة ، ولم يبق إلا السؤال عن كيفية عودتها في ظل الرياح العاتية ، والأمواج المتلاطمة ، ولكن قد عز كل شيء ، حتى الجواب لم يوجد ، ولكن مهما طال الصمت ، فالصمت يعقبه انفجار ، انفجار عزة المسلمين في ظل الاستكبار العالمي ، والقهر والعذاب المتكالب على الأمة .

وفي بعض هذا اللون من الشعر الوجداني تلمح أحزان بعض الشعراء لمصير الأمة ، وما تعيشه من صراعات وآلام وفرقة وتشتت وجهود ضائعة ، ويحاول الشعراء في مثل هذا اللون من استثارة حمية أبناء الأمة بالنقد اللاذع أحياناً وبالأسى العميق أحياناً ، ومن ذلك قول الشاعر علي النعمي :

واضيعتاه لأمة الإسلام من شكوى إلى متربص محتال
الحق كل الحق هل تحظي به من مبغض للحق غير مبال ؟
فالمجلس المرجو ما إيمانه إلا بما قد جاء عن (ناحال)

(١) زورق في القلب : ١٠٤ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

هيا ارفعوا راياتكم وتوحدوا　　وتدفقوا في الأرض كالشلال

* *

ولنترك الدمع الهتون فإنه　　قد صير القنطار كالمثقال
فجدُودُنا ما أرهبوا أعداءهم　　بالدمع أو بالحزن والأعوال
لكن بسيف مصلت وعقيدة　　فياضة وبوحدةٍ ونضال [1]

ويقول في قصيدة أخرى مليئة بالأسى والنقد من التخاذل والإستجداء العربي :

هم يفعلون بنا العجائب جهرة　　ونقول قول التائه المغبون
يا مجلس الأمن استبيحت أرضنا　　فارحم دموع مشرد وحزين
والفعل غير القول لو أنا بلا　　غضب أخذنا الدرس من تشرين
لن ينفع الغضب المهيض جناحه　　والعنف في الأزمات غير اللين
هل نحن من يحيا حياة مذلة　　أو يرتضي صفعاً على العرنين
رباه أحفاد الأباة تخاذلوا　　وتمرغت هاماتهم في الطين
كانوا الأسود فأصبحوا الفئران في　　نظر العدا والفأر ليث عرين [2]

وللتاريخ وبطولاته سحرٌ خاص عند الوجدانيين ، فعليه يسقطون كثيراً من مواقفهم في الحياة المعاصرة ، ومنه يستمدون بعض مثلهم العليا في الأخلاق ، والتطلع إلى التفرد ، والانطلاق من أسر اللحظة الحاضرة وواقعيتها إلى الماضي بكل ما فيه من غموض وخيال ، وبطولات التاريخ إذا اقترنت بمعاني الحب أو التضحية أو التعالي على مغريات الحياة والشهوات حبيبة إلى الشاعر الوجداني ، قريبة الصلة بعواطفه الذاتية .

فالشاعر محمد بن علي السنوسي بعد عرضه لهجرة المصطفى – ﷺ – يرافقه فيها صاحبه أبو بكر الصديق – رضي الله عنه – وما دار فيها من أحداث عظام ، وما تلاها من مواقف

(١) الرحيل إلى الأعماق : ١٨ – ١٩ .
(٢) المصدر السابق : ٦٦ – ٦٧ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

رائعة وقفها أبو بكر الصديق لحماية الإسلام والذب عن أهله ، وذلك في قصيدة (ثاني اثنين) في نهايتها توقف عند اللحظة الحاضرة التي أوحت إليه بتجربة القصيدة ، وذلك في رمز للواقع المر الذي يحتاج إلى مثل أبي بكر يعيد للأمة مجدها وعزتها ، ويردها إلى سابق عهدها مثلما رد أبو بكر ردة المرتدين بعد أن كادت فلولهم تتحطف الناس في المدينة ، فأسقط السنوسي ذلك التاريخ ووقائعه على واقعة الحاضر قائلاً :

وقلت قولتك الغراء ترفعها كالسيف في وجه من خاروا ومن ثاروا
والله لو منعوني حبل راغية قاتلتهم ليس إلا ذاك إقرارُ
يا للوديع الرقيق القلب أين مضت تلك الوداعة فهو اليوم جبارُ
أعدت للمسلمين الفجر مبتسماً من بعد ما كاد يمحو الفجر فجَّارُ
يا ثاني اثنين لو أبصرت حاضرنا والمسلمون حيارى أينما داروا
في ردة لا أبا بكر يصاولها و لا يقاومها عمرو وعمارُ
في ردة من ثياب العصر لابسة تحرر قيل عنها وهي آصارُ
تفرق الجمع وانحلت شكيمتهم وانهار إيمانهم بالله فانهاروا (١)

ومثل هذا نجده كثيراً في شعر أحمد البهكلي حينما يتحدث عن (حنظلة) أو (خالد بن الوليد) (٢) وسواهما ، وكذلك أحداث الإسلام ووقائعه الأولى ، وانتصاراته عبر القرون لقيت صدى لدى شعراء الوجدان الذين يعيشون المثل العليا وتحنّ نفوسهم إلى الآفاق العالية من العزة والتميز ، والحرية والتفرد ، والعيش بشخصيات مستقلة بعيدة عن الهيمنة والتسلط والركون والذلة .

(١) الأعمال الكاملة : ٥٣٩ – ٥٤٠ .
(٢) انظر : طيفان على نقطة الصفر : ٩٤ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

٣- المجتمع في وجدان الشعراء :

نجد بعض شعراء جازان انطلقوا في حديثهم عن بعض شؤون المجتمع وقضاياه من إحساس وجداني صرف ، نجد ذلك عندما يضيق الشاعر مما يراه في واقع المجتمع ، فيدين جانباً من جوانب الحياة أو المجتمع ، فمثلاً الشاعر علي النعمي نلمح عنده الإكثار من الشكوى مما يعانيه الفلاح من ضنك ، وما يلقاه من جحود ، وما يتبع ذلك من صراع بسبب عنجهية الإنسان مالك الأرض ، نسمع ذلك في إحدى ريفياته التي تنضح بلغة محلية سيطرت عليها المفردة القادمة من يوميات الفلاحة ورموزها ، يقول مصوراً نهاية يوم من أيام الفلاحين المليئة بالجهد والكدح المتفاني ، في تلك المزرعة الواسعة التي ضيقها صاحب الحرث المتبختر الذي لا يرى إلا نفسه :

لكأن (الرداح) خلية نحل　　يتلاقى فيها محبٌّ وشانِ
بين تلك (السُّتور) ينتشر النا　　س وتبدو طبيعة الإنسانِ
الفقير الفقير منكسر النفـ　　(م) س ويمشي الحرّاث في عنفوانِ
عينه موقدٌ تلهّبَ فيه الحر　　ص حيًّا وامتدَّ شبه الدخانِ
فهو مثل الطاووس يمشي اختيالاً　　يا لبعض النفوس مما تعاني (١)

ونجد الشاعر علي بن حسين الفيفي يتحدث كثيراً عن جوانب اجتماعية من شعور وجداني مرهف لا سيما قضايا العنوسة وماله علاقة بها ، ومن ذلك قصيدة (وتناسين أنني إنسانة) ، وفيها يحكي قصة فتاة كانت تعيش أحلاماً وردية وتبني لنفسها قصوراً جميلة ، قد أعدتها لتستقبل فارس أحلامها ، ورفيق دربها فيها ، ولكن طال بها الانتظار ، و لا تسمع ممن هم حولها إلا الدعوات والتخفيف بطلب نسيان تلك الأحلام ، فيقول :

نظرت في مرآتها ثم قالت　　ليت حظي كمثل حظ فلانه

(١) الأرض والعشق : ١١٧ ، والرداح : هي الساحات وسط المزارع . والستور : هي الأخاديد الأرضية التي يبذر فيها .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

زعمت أنها رأت ليلة القدر فألقى الهنا لها أحضانه
ضج صدري مما يعاني من الحز ن وسري لم أستطع كتمانه
كيف تحلو الحياة والشوق كالنـ (م) ـار ونفسي ملتاعة ولهانه

**

لهف نفسي علي شبابي أيمضي لم أعش فيه ليلة نشوانه
أمسح الدمع والجراح بقلبي داميات والسهد شد عنانه
قد تجف الدموع من مقلة تبـ ـكي وللنفس مقلة هتّانه
واللواتي يقلن لي أتناسى قد تناسين أنني إنسانه [1]

وقصائده في هذا الجانب مليئة بالإحساس الصادق بالمعاناة التي تسيطر على فئة اجتماعية مهمة ، هن الفتيات اللواتي يشعرن أن قطار الزواج قد فاتهن أو أوشك ، وهن لم يكن من ركابه ، واللواتي يتحدثن عن فوارس الأحلام الذين لم يسرجوا خيولهم ، بنبرة حزينة ، ووجدان متفاعل [2] .

وبعد ، ففي هذا الحديث تصحيح للفكرة السائدة عن الاتجاه الوجداني ، من أنه اتجاه لا يحفل إلا بالعواطف الفردية الحادة ، والعوالم الخيالية الجامحة ، فتبين ما تنطوي عليه تلك العواطف والعوالم من مستويات نفسية دفينة ، تتجاوز تلك الأحاسيس الفردية إلى عالم أوسع وأرحب .

(١) زائر الأمس : ٢٢ – ٢٣
(٢) انظر : المصدر السابق : (قصيدة (العذراء وشبح اليأس) : ٩ – ١٢ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

سادساً- الاتجاه التأملي :

ربما كان من غير اليسير على الدارس إيجاد تعريف للتأمل ، إذ هو من المصطلحات الأدبية المائعة التي يصعب تحديدها ، مثله مثل الشعور والوجدان ، ومثل هذه المفاهيم ضبابية، ولا يمكن ضبطها بشكل دقيق . والتعريف الجامع المانع لها أو للشعر عموماً يقيّد الفنّ ويحصره في أضيق نطاق ، فالشعر يُعْرف ولا يُعرّف ، وكذلك التأمل فهو حالة بينية ووسطية بين الأدب والفلسفة ، أو بين الفن والفكر يمكن أن يوصف ، ولا يمكن أن يُحدّ، ونستطيع أن نتعرف عليه من خلال موضوعاته التي يتطرق لها ، وهي قابلة للتطور والتحول.

فلو تأملنا بعض التعريفات الواردة في المعاجم الأدبية أو الدراسات النقدية ، فإننا نجد أنها تحدد موضوعات التأمل التي وقعت بين أيدي أولئك الباحثين ، وأنَّ هذه المفاهيم تضيق وتتسع بكثرة الموضوعات التي درسها الباحث ، وتنحسر بقلة هذه الموضوعات ، فالأستاذ محمد العلائي يجعله قريناً للنظر الفلسفي ، ويعرفه بقوله : ((**ونعني بالنظر الفلسفي ذلك التأمل الفكري الذي ترتفع فيه الذات عن ملابسات التجربة المباشرة لترى رأيها في طبيعة الحياة ومغزى الوجود ووضع الإنسان من الطبيعة والمجتمع**)) [1] .

وهو في هذا التعريف يتحدث عن الحياة ، ومغزى الوجود ، وموقف الإنسان من الطبيعة والمجتمع ، وقضايا الحياة والموت ، وقضايا الخير والشر .

أما الدكتور صابر عبدالدائم فيعرفه بقوله : ((**المدلول الفني للتأمل أعني به : (التجربة التأملية) التي يخوضها الأديب ليعطينا من خلالها صورة صادقة عن أفكاره ومشاعره ونبوءاته وتصوره للعالم من حوله . والوقوف على مدى توافقه مع ما حوله من قيم أو رفضه لها ، وصراعه في سبيل إيجاد عالم جديد مبدع**)) [2] . وهو في الحقيقة لم يتحدث في تعريفه المطول

(١) مجلة الشعر ، د. محمد العلائي ، العدد : ٤ ، أبريل : ١٩٩٤م : ٣ ، نقلاً عن ظاهرة التأمل عند شعراء الشام في العصر الحديث ، لعبدالله القرني ، رسالة دكتوراه غير منشورة : ٥ .

(٢) أدب المهجر ، للدكتور صابر عبدالدائم : ٣٤ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

هذا عن التأمل ، وإنما تحدث عن الشعر بشتى مجالاته واتجاهاته .

وستبقى موضوعات التأمل – كما يقول عبدالله القرني – **كغيرها من موضوعات الشعر مجالاً للشعراء يكتبون وفق ما تمليه عليهم تجاربهم وحاجاتهم النفسية**))[1] ، وربما تجد موضوعات في التأمل تخالف ما كان سائداً من قبل ، تجعل المفاهيم القديمة له غير صالحة للإحاطة به أو حصره .

ومع هذا فيعدّ التأمل من أكثر الموضوعات الذاتية المطروقة من قبل الشعراء الابتداعيين، والناظر إلى أغلب القصائد الواردة في هذا الموضوع لدى شعراء جازان يجدها تدور على وجه التقريب حول المحاور الآتية :

أولاً- التأمل في النفس الإنسانية :

حاول عدد من الشعراء الدخول في عالم الروح وأسرارها ، والتوقف عندها ، وتسريح الخيال في صراع الإنسان بين عالمي الروح الذي هو سرّ من أسرار الله ، والطين ذلك المصدر الأول الذي رُكّب منه ، وإذا كان لدى غير المسلمين كثير من الخرافات والتخيلات عن الروح كما عند اليونان – مثلاً – الذين يزعمون أنَّها ((**كانت طائراً طليقاً يحلق ويسبح في عالم الأرواح ، ثم سجنت في قمقم الجسد ؛ ليتم تطهيرها ، وأن ما يعرفه الإنسان من علم ، وما يُلهمه من فنّ إنما هو مجرد تذكر من الروح لما كانت تعرفه قبل سجنها في عالم الجسد**))[2] إذا كان ذلك كذلك ، فإنَّ الروح تبقى عند المسلم سرّ عظيم من أسرار الله العجيبة التي لم يطلع عليها أحداً من خلقه ، وقد أُمر أشرفهم وأفضلهم محمد – عليه الصلاة والسلام – أن يقول لما سئل عنها **{ قل الروح من أمر ربي ، وما أوتيتم من العلم إلا قليلا }**[3] ، ولكن الشعراء حاولوا الدخول في هذين العالمين – أعني الروح والجسد أو الطين – وتأمل شيء من علاقاتها وامتزاجها ، وأثر ذلك على الإنسان في سلوكه .

(١) ظاهرة التأمل عند شعراء الشام في العصر الحديث ، رسالة دكتوراه غير منشورة : التمهيد : ٨ .
(٢) الاتجاهات الأدبية في العالم العربي الحديث ، أنيس المقدسي : ٣٠٧ .
(٣) سورة الإسراء : آية : ٨٥ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

فالطين هو مصدر ابن آدم الذي خلقه الله بيديه ، ثم نفخ فيه من روحه ، وهو في الوقت ذاته مرجعنا ، وما بين ذلك عراك الإنسان في هذه الحياة وصراعه من أجل إسعاد الروح وتحقيق مطامعها وأمنياتها ، يقول البهلكي :

الطين مصدرنا وموئلنا وما بين ارتعاش الطين والموت العراك (١)

والإنسان بسبب تكونه وتشكله من هذين العنصرين يظهر عليه من أثرهما كثير من الملامح والسمات في حياته ، فالطين مثلاً يتكون من هواء وترابٍ وماء ونار ، تتمازج معاً لتكونه وتشكله ، ففي الإنسان من الهواء الطيش ، وفيه من التراب ما يظهر عليه في لحظاتٍ كثيرة من وقار وسكينة ، وفي هذا المخلوق من عنصر الماء النقاء والصفاء والطمأنينة ، وفيه من شعلة النار تلك الحدة والغضب وسعار الثورة والحمق ، وهذا مدعاة لتأمل صنع الله وإتقانه ، كما يقول علي النعمي في إحدى قصائده التأملية :

فعليه من الهوى مسحة الطيـ ـش وفيه من التراب الوقارُ
وله من نقاوة الماء منحًى وبه من توقّد النار نارُ
أبدع الله صنعه بيديه فتعالى المهيمن الجبارُ
أفضل الكائنات طُراً وأحلا هم جمالاً ، وإنه لفخارُ (٢)

وفي عتاب وجَّهه الشاعر حسين النجمي لعاذلٍ أعاد الأذهان إلى الحقيقة الغائبة عن ذهنه ، وهي أنَّه بشر تعتريه ظروف ، وتتجاذبه نوازع مصدرها ذلك السرّ الذي تركب منه نفخة من روح وقبضة من تراب ، يقول :

ظنني طيراً جميلاً هائماً في ذرى الأمجاد لا يرضى الهضابْ
يرتقي للنجم في عليائه في طموح زانه شرخ الشبابْ
أوما يدري بأني بشرٌ نفخة الروح وجسم من ترابْ

(١) أول الغيث : ١٠٥ .
(٢) الرحيل إلى الأعماق : ٨٨ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

يـضحك الحـزن بعينـي كمـا　　تضحك الأرض إذا يبكي السحابْ [1]

وللشاعر عبدالله الفيفي قصيدة تأملية رائعة في الإنسان وذاكرته ، وتشكله من روحٍ محلقة ، وعجينة من طين ، وإن كان منطلقه إلى ذلك التأمل غير سليم – في نظري – إذ ينطلق من تلك النوتة الموسيقية التي يزعم أنَّها قد امتزجت من قديم في أصل تركيبته وخلقته، فيقول :

روح محلّقـةٌ بنـا في جنحهـا　　أرواحنا تسمو على دنيا الصغار
هي نغمة قد مازجت نفسي فلم　　أدرك لها نبعا ولم أكشف ستار
هي عنصري مذ كنت ثـمَّ عجينةً　　من طينة أزليـة أو من غبـار
سالت إليها مهجتي سارت لأصـ　　ـداءٍ تناديهـا إلى مـا لا قـرار [2]

ثم قادته تلك الروح إلى التخيل في عالمها ، ورحلت به إلى بداياته الأولى ، مشعراً بأنَّ ذاكرته لم تكن إلا حلقا يأخذ بعضها بحجز بعض ، وأنها تكاثرت عبر العصور ، ولا أظنّ الشاعر في ذلك مسايراً للقائلين بتناسخ الأرواح ، وإنما هو يريد الإشارة إلى أنَّ المرارة والآلام النفسية متأصلة في الأرواح منذ أن هبط آدم من جنته ، مبعداً عن ذلك النعيم ، فحرم منه أبناءه ، فيقول مصوراً ما دار في تلك الرحلة المتخيلة من حوار بين الروح وأصلها:

عـادت بتمثـالي إلى ذراتـه الـ　　ـأولى وروحـي في ذهـولٍ واحتيـار
فوجدت في سفر الخيال لذاتـي　　محفوفـة في كـل كـأسٍ بالمـرار
وشهدت كيف تكاثرت في خاطري　　عبر العصور بنات فكري كالشَّرار
ووجدت جـدي في النعيم سألتُه　　لم يـا أبي تجتـاز هاتيـك الثمـار ؟!
فأشـار نحـو الأم حـوّاء الجميـ　　ـلة مومئاً .. يـا ويلتا مـا صار صار

(١) تأملات على مرافئ الغربة : ٦٠ .
(٢) إذا ما الليل أغرقني : ٥٣ – ٥٥ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ورأيتُ قابيل بن آدم مُشْرِعاً بالموت صدر أخيه مشبوبَ السعار
إني أنا قابيل وحدي ها هنا سأدمّر الدنيا ودنياي انتصار
ورأيتُ أنسال الفناء من الحصا ة إلى النواة وعصر فجر وانفجار[1]

ولما استيقظ الشاعر من رحلته الخيالية ، اكتشف أن ذلك لم يكن إلا الصراع الطويل المتعاقب عبر الأجيال ، ذلك الصراع المتجذر بين الروح والجسد ، الذي عبر عنه بلون الفراشة إشارة إلى الروح ، ورمز للجسد بالنار التي تلتهم الفراشة وتحرقها ، يقول :

واستيقظ الساري.. وها قد طُرِّرَتْ أسمالُ ثوبي بالنجيع وبالنوار
فبكيتُ بين خيوطها لون الفرا شة .. شوهتها في دياجي البغي نار[2]

وفي حديث بعض الشعراء عن الروح والتأمل فيها ، نلمح شيئاً من الإحساس بالضعف والعجز ، والاعتراف بالتسليم ، والتوقف عن الإجابة عن كثير من الأسئلة التي يطرحونها ، ومن ذلك تأمل الشاعر حسين سهيل في الموت والفناء وتعاقب الأجيال ، حيث يقول :

حياةٌ وموتٌ ودهرٌ أُبيد وجيلٌ سيفنى وعهدٌ جديد
ونـدري بأن الفناء الختام ومن ذا يرجّي البقا والخلود[3]

ويدرك الشاعر أنَّ إدراك الفناء لكل النفوس جاء من تأصل البلى والسقم في أصل الأرواح ، ويتوقف عند هذا الحد دون الولوج في عالم التخيل الذي سلكه بعض الشعراء العرب ، لا سيما شعراء المهجر وبعض الشعراء المتشككين في المصير[4] ، أو المستنكرين لبعض نواميس الحياة :

(١) المصدر السابق : ٥٥ – ٥٧ .
(٢) المصدر السابق : ٥٧ .
(٣) أشرعة الصمت : ٣٤ .
(٤) انظر : أدب المهجر ، د. صابر عبدالدايم : ١٠٤ – ١١٦ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

حُمِلّـت يـا قلـب الأسـى والألم　　وزدتنـي في الـنفس جرحـاً وهـم
مـاذا جـرى في الـروح لمـا سرى　　في ذاتهـا أصـل الـبلى والـسقم[1]

وإذا كان هذا الإنسان الضعيف قد ركب من روحٍ تأصّل فيها البلى ، ونصفه الآخر من طين لازب قد لا يأبه به من يبصره ، وهو ملقى على الطريق . إنَّ من ركب من هذين العنصرين الغارقين في الفناء لا يستحق أن يتطاول برأسه أو يشمخ بأنفه عالياً ، إنه لا يرقى لذلك التطاول ، أو يستحق ذلك الشموخ ، ولا يستحق – بالتالي – أن نصفّق له حتى لا نساعده على تصديق أكذوبة الفخر التي صنعها لنفسه ، يقول إبراهيم صعابي :

أكذوبة التصفيق للإنسان
عاش الطين .. ضاع الطين
ما صبئت عبارته .. وما صدئت كرامته
هو الإغراق في أمل التأرجح
بين عشق الموت .. أو عشق البقاء[2]

ويخاطب الشاعرُ أحمد البهلكي أحد المتكبرين في هذه الحياة منطلقًا من هذه النظرة ، وهي أنه لا يحق لمن أصله من طين أن يفخر أو يتعالى ، ويقول له :

أتزهو علي اليوم يا صاح ؟ قف هنا　　وقلّب عيونَ الفكر فالفكر قاطعُ
ألست الـذي يفـترُّ ثغـرك باسـما　　لـسعْدٍ ؟! وإن تحـزن فطرفـك دامـعُ
ألست الـذي يشتاق إن ينأ يصطلي　　بنـار الأسـى إن تدّهمـهُ الفواجـعُ
أُخـيَّ ادكـر أنـا ضعـافٌ وكلنـا　　إلى ملكـوت الله لا بـد راجـعُ
وأنا جميعا قبضة الطين هل سما　　بك الطين عمن أنت بت تقاطعُ
تواضـع فـما جـاز الفـضا متكـبرٌ　　ومـا حـاد عـن درب العُـلا متواضعُ[3]

(١) أشرعة الصمت : ٣٥ .
(٢) وقفات على الماء : ٧٥ .
(٣) أول الغيث : ٦٨ – ٧٠ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ومن حديث الشعراء عن الروح والجسد ، وسرّ النفخة والطين ، انطلق الشعراء يتحدثون عن الصراعات النفسية التي تحيط بهم ، وتسيطر عليهم في أحايين كثيرة ، وما تتعرض له النفس البشرية من آلام تفوق آلام الجسد ، ومن خلال أحاديثهم التأملية نستطيع أن نفهم نفسياتهم وما يتعرضون له من ضغوطٍ ومتاعب مرهقة ، وكثيراً ما تطلّع الشعراء إلى الغد فقد يحمل بارقة الأمل ، وشكوا من الأمس ، وملّوا الحاضر وقسوته ، ولكن مع هذا تصور كثير منهم ذلك الغد عالماً مجهولاً في مركب الحياة ، وأنه قد يحمل المزيد من الهموم ، وأنَّ القادم يتربص به . وفي قصيدة (جراح قلب) لعلي النعمي ما يؤكد هذا ، لاسيما لدى موازنته بين الماضي والحاضر ، وموقع النفس في الحالين ، ورؤاها للغد المجهول، فيقول :

عام يجيئ على الدنيا يرصعُه تشوّقٌ لغدٍ زاهٍ ويُبدعُه
وآخر مريطوي في صحائفه خطى ودقّاتُ أحشاءٍ تودّعُه
ونظرة المرء في الحالين ذاهلةٌ ورحلة المرء يرويها تسكّعُه
يرنو لماضيه، أم يرنو لحاضره وكأسه من لظى الحرمان يجرعُه؟
أما غدٌ فرؤى تلتفّ غامضة في مركبٍ يجهل الإنسان مَوْقِعُه (١)

والشاعر علي بن حسين الفيفي جعل الأمس كالروض ، وواصل تأمله فيه ، فجعله مليئاً بالغناء الجميل والرياض الغنَّاء يوم كان السرور يحيط بالنفس ، ويحفّ بها، ثم لما داهمته الأيام بالآمها إذا بورود ذلك الروض تذبل ، والبلابل تتوقف عن التغريد، والحزن يخيم على كل شيء ، وهي تأملية جميلة ينقل الشاعر فيها قارئه إلى عالمه النفسي عن طريق الصورة القريبة المشاهدة له المكنة التخيل ، فيقول :

ونظرتُ روض الأمسِ
يا لهفي على الروض الأغنّ

(١) جراح قلب : ١٤٥ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

فإن الورود تكاد تذبلُ والبلابلُ لا تغنّي
والأمنيات الباسماتُ
تكاد تقلب كفها ظهر المجنِّ
ومضيتُ في دربٍ رأيت الناس قد سلكوا سبيله
لا يشتكي أحدٌ على أحدٍ
مخاطره وطوله [1]

وتأمل الشعراء تقلّب النفس في شتى أحوالها ، بين ضعفٍ وقوة ، وصحة ومرض ، وفقر وغنى ، وهو مع ضعفه وحاجته لا يقرّ بذلك ، ويمضي في طريق مليء بالمخاطر والعقبات التي يجهل كثيراً من أسراراها وخفاياها ، يقول أحمد العطاس :

وذلك إنسانٌ ضعيفٌ وليته　　يقرّ بضعفٍ أو يكون له شكرُ
ويا ليته يدري عواقب أمره　　ويا ليت شعري هل يكون له قدرُ
تعدّدت الأوصاف فيه فتارة　　يكون قويا قد تأتّى له اليسرُ
وأخرى تراه وهو في فتك فاتكٍ　　من المرض المضني يدغدغه الفقرُ
وطوراً يناجي ربه مخبتاً له　　وطوراً يباهي أن يكون له الفخرُ
يعربد أحياناً ويصلح تارة　　ويسلك درباً في مجاهله وعرُ [2]

والنفس بين الخير والشر واليأس والأمل ، تعلو وتهبط تمضي في صراعها ولهثها، الحياة تشقيها وهي تحرص عليها ، كالأم والطفل ، يشقيها ويتعبها وهي ترضعه وتحدب عليه، ويسير هذا المخلوق الضعيف في الحياة حيران يتلقى الضربات الموجعة ، في بحر متلاطم لا يمكن لزورقه الصغير أن يصل إلى مبتغاه ، دون أن يمنَّ الله عليه بالهداية إلى شاطئ الأمان ، يقول علي النعمي متأملاً في تقلب النفس ونزعاتها :

(١) زائر الأمس : ٨٥ .
(٢) من وحي التأملات : ٥٢ – ٥٣ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

يغتاله اليأس فوق الأراض يسحقُهُ ووميضةُ الأمل المعسول تخدعُهُ
يسعى عليها بحبّ المحتفين بها كالأم والطفل يشقيها وترضعُهُ
سوء وخير يعم الأرض ما بقيت وبين هذين يلقى المرءُ مصرعُهُ
تراه ينفر من سوءاتها فزعاً تصطك من حرِّها المحمومِ أضلعُهُ
حتى إذا ظنَّ منجًى من تدفُّقها وخال أن دجاها لا يزعزعُهُ
بدت له في غِلالاتٍ مزوَّقةٍ تهتاجُهُ للرؤى الحمقى وتدفعُهُ
يعلو ويهبط مسروراً ومكتئباً كزورقٍ ظلَّ عاني الموج يصفَعُهُ
حيرانَ حيرانَ والأيام ما فتئت سمومُهُا وأفاعيها تُروِّعُهُ
فمن إلى الخير غيرُ الله يرشدُه ومن عن الشر غيرُ الله يردعُهُ؟ (١)

ثانياً - التأمل الفكري :

هذا النوع من التأمل ظاهرة ليست وليدة اليوم ، بل هي موجودة في الشعر القديم لاسيما أشعار البحتري والمتنبي وابن الرومي وأبي العلاء المعري ، وهو الإدراك والتعليل لحقائق الوجود بشقيها المحسوس المشاهد والغيبي المستتر ، أي بما يمكن وصفه وتفسيره من الناحية الخارجية ، وبما يمكن تأويله واستكناه خفاياه بطريقة ذهنية. والدين الإسلامي يدعو المسلم إلى التفكير والنظر والتدبر والاعتبار ، ولذا يقول عباس العقاد : ((**أما العقل الذي يفكر ويستخلص من تفكيره زبدة الرأي والرؤية ، فالقرآن الكريم يعبر عنه بكلمات متعددة ، تشترك في المعنى أحياناً ، وينفرد بعضها بمعناه على حسب السياق في أحيان أخرى ، فهو الفكر والنظر والبصر والتدبر والاعتبار ...**)) (٢) .

لذا نجد كتاب الله يحفل بهذا الجانب ويكرره في دعوة واضحة للتفكير ﴿وَيَتَفَكَّرُونَ﴾

(١) جراح قلب : ١٥٠ – ١٥١ .
(٢) التفكير فريضة إسلامية ، للعقاد : ١٢ – ١٣ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾[1] ، و ﴿ أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ ﴾[2] ، و ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ ﴿١٣﴾ ﴾[3] ، و ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ﴾[4] ، وغير ذلك ، وفي قوله تعالى : **{ويتفكرون في خلق السموات والأرض }**، وفي قوله: **{ أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت}** جاءت الدعوة إلى التفكير والنظر ليس في السماوات والأرض والإبل بوصفها من مخلوقات الله الحسية فحسب –وإن كان ذلك مراداً –، ولكن دعوة إلى إعمال العقل والتأمل فيما هو أعمق من ذلك ، وهو عملية الخلق وإبداع الأطوار التي مرت بها هذه المخلوقات العظيمة، والتمعن في أسرارها وعجيب صنعها[5] .

وقد مدح الشاعر محمد السنوسي هذه الحضارة العظيمة التي حفلت بالعقل وأعطته فسحة من التمعن والتأمل بلا قيود ، ولم تفرض عليه أغلالاً وآصاراً مثلما صنعت كثير من الحضارات التي جعلت حول العقل أسواراً منيعة لا يمكن أن يتخطاها ، فيقول :

من الجزيرة مهد العنصر العربي　　ومولد النور والإيمان والكتب
توهجت سور القرآن وانطلقت　　أضواؤها في مدار الشمس والشهب
تبني الحضارة في الآفاق سامقة　　بالعلم والفن والأخلاق والأدب
وتطلق العقل من أسر القيود إلى　　سر الوجود بلا خوف ولا رهب
بحثاً وفحصاً وتنقيباً وتجربةً　　عن الغوامض والأسرار والحجب

(١) سورة آل عمران ، آية : ١٩١ .
(٢) سورة الغاشية ، آية : ١٧ .
(٣) سورة آل عمران ، آية : ١٣ .
(٤) سورة محمد ، آية : ٢٤ .
(٥) انظر : ظاهرة التأمل عند شعراء الشام في العصر الحديث ، عبدالله القرني – رسالة دكتوراه غير منشورة : ٣ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

حتى غدا الكون مفتوح الذراع لهم بحراً وبراً وصخراً غير محتجب [1]

فانطلاق العقل في الرحاب الواسعة هو مصدر من مصادر الرقي ، وهو مكمن الشعر والحكمة والفن والمنطق ، ومن هنا فقد أعمل الشعراء عقولهم في التفكير ، وطبعي أن يكون الشعر الناتج عن ذلك متميزاً بالعمق ، بحيث يدعو متلقيه إلى إعمال عقله في قراءته ، فكما كدّ الشاعر ذهنه مفكراً متأملاً فيما حوله من ظواهر ، فإنه يريد من قارئه المشاركة بشيء من الجهد وإنفاذ العقل كي تكمل له المتعة [2] .

ومن قصائد تأمل العقل الذي ينشأ عنه التفكير قصيدة (العقل) لعلي بن حسين الفيفي وفيها يرى أنه مصدر الحكمة وأنه لايمرّ بالأشياء مروراً عابراً ، وهذا الذي يجعله ينأى بعيداً ويكون نقيضاً للقلب الذي تغريه المظاهر دون أن يتعمق في بواطنها وأسرارها ، يقول:

العقل ينظرُ في الأمور بحكمةٍ وبصيرةٍ ويرى برأيٍّ ثاقبِ
لا ينظرُ الأشياء نظرة عابرٍ لكنَّ نظرته لها بتجاربِ
والقلب تغريه العواطفُ كلما هاج الهوى نحو البريقِ الكاذبِ
وتذيبُه النظرات والحبّ الذي سرعان مايغدو كطيف ذاهبِ [3]

ومضى الشعراء الشعراء يطلقون لعقولهم العنان في أودية التخيّل ، وإيجاد تعليل منطقي لما في الحياة من مواقف ، ومحاولة لاستنطاق الأشياء ، والولوج في أسبابها ومسبباتها، سيراً على مقولة إيليا أبي ماضي :

أحكم الناس في الحياة أناسٌ عللّوها فأحسنوا التعليلا [4]

ويرى الشاعر علي بن حسين الفيفي أنَّ الشعر إذا لم يرحل في عالم التخيّل والتعليل فإنَّ ذلك عيبٌ فيه ، فيقول :

(١) الأعمال الكاملة : ٥٢٥ – ٥٢٦ .
(٢) انظر : الاتجاه الابتداعي في الشعر السعودي الحديث ، محمد حبيبي : ١/ ٢٠٠ .
(٣) زائر الأمس : ١٤٨ .
(٤) ديوان إيليا أبو ماضي : ٦٠٤ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

دعوا الشعر يروي والخيالُ يحفُّه　　إذا لم يزيَّن بالخيال يعابُ[1]

وكانت أكثر تعليلات الشعراء العقلية ناشئة عن إيجاد تساؤلات والإجابة عنها، ومن تلك التأملات قصيدة (هل الهوى في القلب) لعلي بن حسين الفيفي ، وذلك التساؤل مفاده أنَّ الناس يقولون : إنَّ الهوى في القلب ، فهل إذا استبدل المرء قلبه في هذا الزمن الذي تطور فيه الطب ، وأصبح بالإمكان أن يغير الإنسان قلبه المريض بآخر سليم ، فيا ترى هل سيبقى حبه القديم ، أم سيرحل مع قلبه الراحل ؟ ، وهل سيأتي له قلبه الجديد بعواطف ومشاعر جديدة ، فيحب مالم يكن يحب ، ويكره مالم يكن يكره ، ويرى أنَّ القلب القديم المريض لم يكن سبب مرضه سوى الهوى ؟ ، فهل يا ترى إذا حمل القلب الجديد ذلك الهوى هل سيصمد أم سيمرض كسابقه ؟ ، إن ذلك لشيء عجيب ، يدعو للدهشة والحيرة ، فيقول :

عجبتُ لمن قال الهوى في فؤاده　　وإن لم يكن في القلب فالأمر أعجبُ
فكيف إذا ما استبدل المرء قلبه　　بقلبٍ جديدٍ هل هواه سيذهبُ؟
ويورثُه القلبُ الجديدُ عواطفاً　　يصدقُها حيناً وحيناً يُكذّبُ
فيهوى الذي ما كان يهواه سابقاً　　كأنّ الهوى شيءٌ مع القلب يُوهَبُ
وما أضعف القلبَ القديمَ سوى الهوى　　إلى أن غداً في نبضه يتذبذبُ
وهل يحمل القلبُ الجديدُ صبابةً　　تشرّق في أفكاره وتُغرِّبُ
وإن بقيَ الحُبُّ القديمُ فيا ترى　　أيحمله القلبُ الجديدُ ويتعبُ؟[2]

وفي سياق مشابه يتساءل الشاعر أحمد البهلكي في قصيدته (هل الحبُّ أعمى ؟!) ، فيسأل هل الحب أعمى أم مبصر ؟ ، فيجيب ويدلل على إجابته بأنه أعمى بتأملٍ فكري جميل ، وقدّم له بقوله : (عينان تناجيان ربتهما) :

(١) الهمس الخافت : ١٦٦ .
(٢) المصدر السابق : ١٦٧ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

يقولـون إنَّ الحـبَّ يـا أمّنـا أعمـى وأنـت تـرين الحـب يبصر يـا سلمى!!
لمـاذا ؟ إذا أهـديت للثغـر قبلـةً وأحسستِ مـن حـرِّ التـداني لهـا طعما
نغمّض أجفاناً . . ونفني مرائياً؟! لعل بذا مصداق أنّ الهوى أعمـى![1]

ويوجه الشاعر محمد الشنقيطي أسئلته إلى رائد الفضاء حول القمر ، ويتأمل فيما قيل عن هذا المخلوق الجميل من قبل ، وما يقال عنه الآن من رؤى وحقائق جديدة غيرت صورته في أنظارنا ، فيقول :

فهـلاّ قلـت أوصافـاً للـون الـصبح والسَّحرِ
وكيـف وجـدت وجـه البـدر؟ هـل أمعنـت في النظـرِ ؟
فهـل حقّـاً بـه حفـرٌ وهـل حقـاً مـن الحجـرِ ؟
وهـل حقـا بـلا مـاءٍ ولا ظـل ولا شجـرِ ؟
ولا كـاد ولا فـلٍّ ولا ورد ولا زهـرِ ؟
فكـم للـشعر أوصـاف لـه في غمـرة السَّمرِ
فهـل مـاتت قـصائدنا عـلى صحراء مـن مـدرِ ؟[2]

وتأمل الشعراء في مايمرّ بهم من تجارب ، وتناولوها بالتحليل والتعليل ومحاولة الوقوف على شيء من أسرارها ، فشاعر رأى عمره يمضي سريعاً ، والشيب يغزو رأسه ولحيته ، وزهر الحياة ونضارها بدأ في الذبول والتحول ، فانطلق يتأمل في ذلك ، ويحلل كيف تصرُع الأيام والسنون عمر الإنسان وآماله ، يقول علي بن حسين الفيفي :

مـا لهـذا العمـر يمـضي مـسرعاً مثـل النهـارِ
كهـلال الـشهر يبـدو في نمـو وازدهـارِ
فـإذا مـا صـار بـدراً مـشرقا بـين الـدراري

(١) طيفان على نقطة الصفر : ١٢٧ .
(٢) قلب يتنفس : ٤٦ – ٤٧ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

يلفـــت الأنظـــار في عينـــ　　يـــه سحـــر الإحـــورارِ
غـــدت الأيـــام تمحـــو　　مـــا حـــواه مـــن نـــضارِ
فهـــو يبـــدو ظاهـــراً　　لكنّـــه كالمتـــواري
وإذا بنيانـــه الـــشا　　مـــخ يغـــدو في انهيـــارِ
يـــا شبابـــا مـــر كالإعـــصا　　ر في قلـــب الـــصحاري
أو كزهـــر بريـــاض　　مـــال نحـــو الإصفـــرارِ
أو كنبـــع المـــاء في رو　　ض شـــديد الإخـــضرارِ
لم تعـــد أغـــصانه خـــضـ　　راً ولا المـــاء بجـــارِ[1]

وشاعر آخر هجم عليه المرض ، وطرحه على الفراش أياماً عديدة ، فراح في رحلة تأمل في الهجوم الشرس الذي تعرّض له ، والنذر التي حملها المرض إليه ، وقد أبدع في ذلك، على الرغم من تغليف تأمله بشيء من الوعظ والمباشرة ، يقول علي النعمي مخاطباً المرض ، ومتحاوراً معه :

غادر سريعاً بلا أهلاً فقد جزعت　　من ظلّك الجهم أحشائي وأعصابي
أجابني أنت لاتدري متى نزلت　　كتائبي أو متى ثبّتُ أطنابي؟
كم مرَّةٍ هزَّ جندي منك منطقةً　　حصينةً ذات أسوارٍ وأبوابِ
مضى زمانٌ ولي بطشٌ وهيمنةٌ　　سل الشرايينَ عن قصفي وإجلابي
وإنَّ زحفي لأمرٍ أنت تجهلُه　　والداء في الجسم مرهونٌ بأسبابِ
وما أنا غير صوتٍ مُنذرٍ لغدٍ　　ومُشعِرٌ قلبكَ الوسنانَ بالعابِ
والعبدُ إنْ زلَّ جاء الداءُ يشعرُهُ　　والناسُ ليسوا بأجسامٍ وأثوابِ
وإنما الناس بالتقوى وتلك لهم　　كرامةٌ من عظيمٍ – جدّ – وهَّابِ

(١) أزهار : ٨٢ – ٨٣ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

يـا أيُّهـا الفتـق يـا صـوتاً يـذكرني مخافـــة الله في جِـــدِّي وتلعـــابي
أبلغـت لكـنَّ نفسي ليس يعجبُها طـولُ المُقـامِ لـضيفٍ أحمـر النـابِ[1]

وعلى الرغم من تأثر كثير من الشعراء في جازان بالعلم الحديث ، ومسايرتهم لطرق التفكير المعاصرة ، إلا أنَّ مسايرتهم تلك لم تطوّح بهم في مهامه المادية والنظريات المنحرفة ، بل فتحت أمامهم آفاقاً جديدة من الإيمان ، وأنارت لهم سبلاً لم يعرفوها من قبل لإدراك وجودهم وعلاقتهم بربهم وبإخوانهم من البشر . ومن هنا وجدنا الشاعر علي النعمي يصف النقلة الحضارية الجديدة ، وانفتاح آفاق أرحب لعالم العقل في المجتمع السعودي ، ومجتمع القرية والأرياف خصوصاً ، وما رافق ذلك من وجوه جديدة ، وأثر ذلك على تفكير الناس وأخلاقياتهم ، وإدراكه لبعض معالم الحياة وأسرارها ، قائلاً :

حيـث جـدت معـارف وعلـوم وبفعـل التقنـين صـارت متاحـه
تـصقل العقـل إن أريـد لـه الخيـ ـر وتقـصي سـمومه ورياحـه
أو تغـشيه كـي يـضل ويـشقى وانحـراف العقـول أقسى فداحة
فمـــن العلـــم مـــا يكـــون بنـــاء ومـــن العلـــم مـــا يكـــون إطاحـــة
ومـن العلـم مـا يكـون حفاظـا وانفلاتـــاً إذا دعـــى لإباحـــة
كـل مـن في الحيـاة طـير وللأقـ ـدار سـيف يقـص رغمـا جناحـه
كـل مـن في الحيـاة يمـضي بتوجيـ ـه خفـي ، غـدوه ورواحـه[2]

والاعتقاد بوجود الله وقوته وعظمته في تدبير الكون قاد كثيراً من الشعراء إلى التأمل في ذلك الكون وأسراره ، وهو ما أشار إليه النعمي في بيته الأخير السابق (كل من الحياة يمضي بتوجيه خفي) ، ومحاولة تبيين عظمة الله ، وعجز الإنسان عن إدراكها

(١) جراح قلب : ٢٠٤ – ٢٠٥ .
(٢) الأرض والعشق : ٩٧ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

والإيمان بالله كما يقول العقاد في خاتمة كتابه (الله) : ((**هو خير تفسير لسرّ الخليقة يفعله المؤمن ويدين به المفكر ، ويتطلبه العقل السليم**)) [1] .

فالشاعر محمد بن علي السنوسي ينظر إلى الأرض وقد زينتها الزهور والأشجار في فصل الربيع ، وتضوعت من جنباتها الروائح ، باعثة في النفس نشوة وارتياحاً ، ومزيلة عنها الكآبة ، فيجد في تلك المشاهد دليلاً على وجود الله ، وعلى حسن صنعه وإبداعه ، فيقول:

في كل رابية شذى من زهرة　　رفَّ النسيم بها ونم ونمنما
وبكل منحدر حيا مترقرقٌ　　ورؤى مخضبة الأنامل واللمى
والأرض في حلل الربيع وروضة　　تلقاك شاعرة تهز الأبكما
فتانة القسمات تحسب أنّها　　نقلت من الفردوس رسماً محكما
تلقاك في نفحاتها ونباتها　　فنًّا إلهيّ الخطوط منظما [2]

والله سبحانه هو الذي علم العقل أن يصنع المخترعات العجيبة ، وهو الذي أمدَّ العقل الإنساني بالعلم ، فوصل إلى ما وصل إليه بفضله ، نلمس ذلك في وصف السنوسي للطائرة وحال الإنسان داخلها حين طيرانها ، مؤكداً أنه هو وحده سبحانه الجدير بالعبادة، وعلى الملحدين أن يعودوا إلى رشدهم ، قائلاً :

تهابُها الريح أن تجتازها فرقاً　　ويستحي كل برّاقٍ ورعّادِ
ونحن كالزّغب في أحشائها زمراً　　جنباً لجنبٍ وأعضاداً لأعضادِ
نقضي السويعات في أعماقها طرباً　　قصفاً ورشفاً إلى ماء إلى زاد
من علَّم العقل هذا العلم فانطلقت　　أجسامنا عبر آفاق وأطوادِ

(١) الله ، عباس محمود العقاد ، الخاتمة . وانظر : الاتجاهات الأدبية في العالم العربي الحديث ، أنيس المقدسي : ٣١٨ .

(٢) الأعمال الكاملة : ٦٠٦ – ٦٠٧ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الله جـــلّ جـــلال الله خالقنـــا سـبحانه رغـم تجـديفٍ وإلحـادِ[1]

ثالثاً- التأمل في الحياة والموت :

أ- التأمل في الحياة :

أطلق الشعراء لخيالاتهم العنان في تأمل ناموس الحياة العام وحقيقة الوجود ، وهو أمر طالما شغل المفكرين والأدباء ، فقد شغفوا بها ، وتعطشوا لمعرفة حقيقتها ، وقد أغراهم خفاؤها ، فمضوا في محاولة كشف بعض سُترها ، ويجلونها للناس ، وتوقف بعضهم معترفاً بعجزه وقصوره عن إدراك كنهها ، إذ هو سرٌّ آخر من الأسرار التي لا يمكن للبشر الضعاف التوصل إليه ، أو فتح مغاليقه ، فالسنوسي أحد أولئك الشعراء الذين حاولوا الوقوف على حقيقة الحياة ، وبحثوا عنها ، فمن ذلك ماجاء في إحدى قصائده التي أنشأها في موقفٍ حزين، بعد أن رأى الموت يطوي أحبابه ، حينها أطلق لعقله عنان التأمل في ناموس الحياة ، وحقيقتها المكنونة ، فيقول :

نحـــن والـــدهر والمقاديـــر والـــ أيـــام أنـــضاء حلبـــة وطـــراد
ســـنة لم تـــدع لقلـــب مـــريض شبهـــاً فـــي حقيقـــة الميعـــاد
أيهـــا المطلـــق النهـــى مستـــشفاً مـــا وراء الـــستور والآبـــاد
قـف عـلى شـاطئ الحيـاة وحـاول خـوض عمـق المحيـط والموج هـاد
وتأمـل مظـاهر الـشط وابعـث قبـساً مـــن ذكـــائك الوقـــاد
وارسـل الطـرف رائـداً يرجـع الطـر ف حـسيراً ولـن تـرى غـير بـاد
قد لعمري جمحت واسترسل الفكـ ـر ضـلالاً وعـدت خـابي الزنـاد
كـل مـافي يـديك جهـل ومـا ازدد ت من الجهل غـير طـيش الضاد[2]
نـم فـإن الـصباح مـن ذلـك الليـ ـل رهـين بهجعـة مـن رقـاد

(١) المصدر السابق: ٧٧١ – ٧٧٢ . وانظر : الاتجاه الإسلامي في شعر محمد بن علي السنوسي ، مفرح سيد : ١١٦ .
(٢) الضاد : الغاضب ومن به نزق .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

واتخـذ مـن تـردد الـنفس الجـا　　ري دلـيلا ومـن سرى الـروح هـاد
أجمـت هـذه الحقيقـة ألبـا　　بـاً وأعيـت عقـول قـوم شـداد[1]

وقاده تأمله في الحياة في قصيدة أخرى إلى اكتشاف وقوف الإنسان عاجزاً في كل محاولاته المتكررة لفهمها وسبر أغوارها ، فهي سريعة الانفلات من حالة إلى أخرى ، مرتدية لكل حالة لبوسها الملائم ، وتجددها الدائم يجعل من محاولات الإنسان الدؤوبة لتفسيرها أمراً مستحيلاً . وهذا من شأنه أن يحدث اضطراباً في الرؤية قد يحيل الحياة إلى طلاسم ، حار فيها المصلحون ، وأعجزت الفلاسفة ، وأودت ببعض المتعمقين فيها إلى مهاوي الضلال وأودية الغواية ، وردتهم على أعقابهم دون جدوى ، فيقول :

أمامـك دنيـا ترهـق القلـب والعقـلا　　فيـا خـاطري رفقـاً ويـا نـاظري مهـلا
تحـير فيهـا المـصلحون وأعجـزت　　نهى الفيلسوف الفذّ والشاعر الفحلا
طلاسـم تعيـي الفكـر فهـماً فينحني　　خـضوعا لهـا مهـما تكـبر واسـتعلى
يعيش بهـا الإنسان طفـلاً وإن بـدا　　لعينيـه كهـلا ثـم يتركهـا طفـلا
تـصدُّ بـلا ذنـبٍ وتـدنو بـلا هـوى　　فلا صـدها صـدًّا ولا وصـلها وصـلا[2]

وقد حاول السنوسي في بيتيه الأخيرين أن يقرب صورة الحياة الغامضة لنا ، ولكنه لم يقدر إلا أن يصف غموضها وصفاً مجرداً ، ومثله فعل علي النعمي في كثير من وقفاته التي تنم عن حيرة فيما تفعله الحياة بالأحياء ، دون ولوج إلى شيء من أسرارها ، وهو يعبر عن عجزه بلسان حاله إن لم يكن بلسان مقاله ، ومن ذلك قوله :

هـذه الدنيـا وكـل راح يعـدو　　وهـو لا يعلـم عمـا يـستجدُّ
نـزرع الآمـال مـن أنفاسنـا　　مـن دمانـا لغـد ليـس يُجـدُّ
نتلـف الأعمـار في شـوقٍ لـه　　وهو –رغم الجهد– إعراض وصدُّ

(١) شعراء الجنوب ، محمد بن علي السنوسي وآخرين : ٩٦ .
(٢) الأعمال الكاملة : ٥٥٦ – ٥٥٧ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

فـــإذا حـــان القطـــاف المـــشتهى صـــوّح النبـــتُ ، ومـــا فتـــح وردُ[1]

ويحاول في قصيدة أخرى أن يتخطى ديجور الحياة المظلم الذي حيّر العقول ، ويكتشف بعض نواميس الحياة وتقلباتها ، وشيئاً من فتكها وقوة أسرها للنفوس ، وبذرها لملاذها ولذائذها ، وحصدها لها بسرعة وعنفٍ ، فيقول :

يـا فـؤادي يـا سـالكاً عـبر ديجـو رٍ رهيـبٍ فيـه العقـول تحـارُ
إنمـا هـذه الحيـاة سهـام مـشرعات وأسيـف وشفـارُ
لـيس يجـدي فيهـا التـوقي وقـدحا ق عـلى معـصم الأمـاني الـسوارُ
تتـدنّى حـتى تهـيج نفوسـا بالتـدني ، وقـد زهاهـا اخـضرارُ
فـإذا أقبلـت سراعـاً إليهـا بـان منهـا النفـور والإزورارُ
كـم كبـا في دروبهـا مـن عظـيم وتلاشـى كـما تلاشـى الغبـارُ[2]

والحياة مهما حاولنا التعرف عليها فإننا لانزداد بها إلا جهلاً ، وهو ما أشار إليه الشاعر محمد عقيل أحمد في إحدى قصائده التأملية بقوله :

كلنـا يجهـل الحيـاة ويعمـى عن طريق الهدى ورشد الصواب[3]

وبعض الشعراء إذا أحسَّ من نفسه العجز واليأس من فهمها ، لا يجد أمامه سوى وصفها بالمتناقضات التي تجمع صنوفاً من مظاهرها ومعالمها ، كالقسوة واليأس والأحلام والثورة والنشوة ، ومن ذلك قول حسين النجمي في قصيدته (مواويل لأشرعة السفر) :

ضحـكٌ كلهـا الحيـاة ويـأس وأحـلام وثـورة وانتـشاء[4]

وتأمل في ناموس الحياة العجيب الشاعر علي بن حسين الفيفي ، ورأى سباق

(١) الأرض والعشق : ٦٥ .
(٢) الرحيل إلى الأعماق ، ٨٨ .
(٣) التاريخ الأدبي في منطقة جازان ، محمد العقيلي ٣/ ١٨٧٠ .
(٤) عيناك في وقت الرحيل : ٣٥ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

الناس فيها ، وكثرة الأمال ، وتنوعها ، وغايات بني البشر المختلفة ، ومضي الناس بسرعة إلى المجهول ، بل ربما سابق الإنسان الآخرين ، واشتد في عدْوه ، وهو يظن أنه سيبلغ الآمال ، وما يدري أنه يسابق نحو حتفه ونهايته ، فهو سباق ، ولكن نحو النهاية، فيقول :

زُمرٌ تسير عليه لكن لاتعود له بحالِ
وتتابع الأيام تُنْسي المرء ماتخبو الليالي
ومن البداية للنهايه
كلٌّ له أملٌ وغايه
كل يسير لغايةٍ ويسير أحياناً لحتفه
تجري به الأقدار مندفعاً إليه رغم أنفه
نمضي إلى المجهول في عزمٍ كأنَّا في سباقِ
وكأنما الآمال دانية على درَب التلاقي
قد يدركُ الآمال من يسعى إليها باجتهادِ
حيناً . وأحياناً يرى من دونها شوك القتادِ (١)

وإذا كانت هذه هي الحياة ، وهذا ديدنها ، وتلك نهايتها بعد سباقٍ محموم ، إذا كان ذلك كذلك ، وإذا كنا لم نفهما ، فلنستفد على الأقل من درسها البليغ قبل أن تحل بنا النهاية المرتقبة ، أو الإغفاءة المحتومة ، ذاك ما يؤكده علي النعمي بقوله :

قد علمنا أن الحياةَ مسارٌ　　ما جهلنا ابتداءَهُ ، وانتهاءَه
خطوةٌ، وابتدا الصّراعُ بدرب الـ　　ـعيش تُنهي احتدامَهُ إغفاءَه
فتأمَّل ما بين تلك، وهذي　　واتّق الله إن أردتَ لقاءَه (٢)

غير أنَّ هذا التأمل المتصل بالحياة الذي يدل على رهافة الحس ، ورقة في الشعور

(١) زائر الأمس : ٨٦ – ٨٧ .
(٢) جراح قلب : ٢١٩ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وأبعاد في النظرة التأملية ، مشوب باكتئابٍ يائس ، وتشاؤم مفرط – أحياناً- جعلهم ينظرون إلى كل شيء في الحياة نظرة قلق وعدم ثقة ، وقد قاد هذا التأمل الناتج من الألم النفسي – أحياناً – إلى تفاهة الحياة ، واحتقار لذائذها لدواعي القلق التي عمت الحياة الحديثة ، أناس ينظرون إلى الحياة نظرة أبي العتاهية ، فلا يرون فيها إلا الخراب والتباب والمصير المحتم ، ومن هؤلاء الشاعر محمد عقيل أحمد في قوله :

ما تموت النفوس إلا بإذن الله ... ه ماتت وغيرها في الكتاب

ما تموت النفوس إلا وخيرٌ ... موتها في حياة دنيا الخراب[1]

فموت النفوس عنده خير من العيش في هذه الحياة المليئة بالنكد والمصائب ، بل لقد بلغ بها القبح مبلغاً لم يعد فيه الربيع ربيعاً ، ولا الجمال جمالاً ، كل شيء في الوجود مشبع بنظرة متشائمة إلى حدّ بعيد ، نراه عند الشاعر إبراهيم صعابي في مثل قوله :

ما الذي أضحك الربيع وفيه ... يقتل الشوق والغرام المثالي

ما الذي في رؤى الوجود يغني ... فيواسي مواجع المغتال

ما الذي ألبس الحياة جمالاً ... وهي قبح ينام في الأوحال[2]

وأحمد البهلكي ينطلق من نفسيته المتشائمة ، فيرى الحياة مكفهرة لا تريد غيره ، تتبعه بالآمها ، لم تترك له فسحةً من أمل ، أو فرجة لعذر ، قد طغت وجاوزت الحد في ذلك ، فيقول متأملاً :

الله كم تعدو على أثري ... خيل الأسى وكتائب القدر

ترمي كياني أسهم وقنا ... صيغت من الآلام والسهر

فكأنها حقدت عليَّ فلم ... تر غير رزئي منتهى الوطر

ولقد حذرت ولم أزل حذراً ... لكنني لم أنج بالحذر

(١) التاريخ الأدبي لمنطقة جازان ، العقيلي : ٣/ ١٨٦٩ .
(٢) حبيبتي والبحر : ٨٢ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

وإذا الليـــالي ناصـــبت أحـــداً　　بعدائهـــا ألقتـــه في الخطـــر
وطغـــت فلـــم تـــترك لمبتـــئسٍ　　أمـــلاً ولا عـــذراً لمعتـــذر [1]

ويتأمل علي النعمي في تفاهة الحياة ومعالم شقائها وبؤسها ، وما فيها من خداع وتلوّن ، والجميع إليها يسعون ، وهي عنهم تنأى ، فيقول :

مـا أتفـه الـدنيا التـي لـم تـدع　　للـصفو يومـاً في حيـاة البـشر
هـــذا يرجّيهـــا بـــشوق وذا　　يـــضمها حينـــاً وحينـــاً يـــذر
وذاك مـــن حمأتهـــا والـــغ　　وذاك مـــا بـــين الرجـــا والحـــذر
يعـــدو لهـــا وهـــي الـــتي لـــونت　　هيكلهـــا الخـــاوي بـــشتى الـــصور
كـم خادعـت نفساً، وكـم أوقعـت　　مـن فتنـة عميـاء ترمـي الـشرر؟!
وكـــم أضـــلّت مـــن عـــصور وكـــم　　مـــن أمـــة لم تلـــق فيهـــا الوطـــر ؟![2]

وفي مثل هذه الحياة المليئة بالشقاء كيف يمكن لنا السرور أو الفرح يوماً ما ، والشقاء – أصلاً – ساكن فيها ، متأصل في جذورها ، ونحن نتوارثه من لدن أبينا أدم إلى يومنا هذا أباً عن جد ، وحتى لوجاءت لحظات سارة ، فهي كالطيف ويعقبها الشقاء ، وتتلوها المرارات والأكدار ، يقول النعمي :

عـــشنا الـــشقاء ولا نـــزال نعيـــشه　　مترابطـــاً في حلقـــةٍ مـــن آدمِ
سكن النفوس فليس يرحل ساعة　　عنهـــا كظـــلِّ قريـــن ســـوءٍ لازمِ
كيـف الـسرور وفي الـشفاه مـرارة　　هيهـات رأبُ الـصدع بعـد تفاقـمِ
إن الـــسرور قليلـــةٌ ساعاتـــه　　وكأنهـــا طيـــفٌ ألـــمَّ بنائـــمِ [3]

وبرغم ما نلمسه من أثر للتشاؤم لدى شعراء جازان عند تأملهم للحياة ،

(١) الأرض والحب : ٥١ .
(٢) جراح قلب : ٨٩ .
(٣) المصدر السابق : ٢٢٤ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

فالواقع يشير إلى أنَّ التيار يسير في اتجاه آخر ، وهو الإيمان بعظمة الحياة وقدر قيمتها ، والتفاؤل المتزن ، ورأوا أنه هو الذي يقينا من جهة مغبة السقوط في مهاوي القنوط ، ومن جهة أخرى يساعدنا على تأويل الواقع تأويلاً رضيّاً ، ومن ثم نشأت لدى الشعراء وهم يتأملون الحياة فكرة الرضى بالواقع على أنَّه سلّم لما هو أفضل ، فعلينا أن نجابهه غير وجلين ، واثقين أنه بالتغلب على الصعاب يتم لنا ما ننشده من هناء وحياة مطمئنة، لا قلق فيها ولا شقاء، وفي ذلك ينقل لنا الشاعر محمد بن علي السنوسي تجربته الحياتية ورؤيته التأملية فيها قائلاً :

فدع عنك أوهام الحياة فإنها تضن وتعطي لا سخاء ولا بخلا
تعودت منها حربها وسلامها ومارست من أخلاقها الجد والهزلا
فلم يطغني نجح ولا هدني أسى وما نكثت كفي نسيجاً ولا غزلا [1]

والشاعر علي النعمي يدعو بعد طول تأمل في الحياة إلى معايشتها ومسايرتها ، وأنه ربما ندَّ الأمل عن أنظارنا ، ولم نعرف كيف نعيده إلى نفوسنا ، فإذا به يعود دون أن يكون له يد فيه إلا قليل من الصبر ، ومعرفة ناموس الحياة وحقيقها ، فيقول :

دع الهموم ودنيا أنت تشهدها عشها .. فكلُّ امرئ فيها وموقعُه
عشها وعشها ولا تحفل بعلقمها فكم عصيٍّ جميلُ الصبر طوعُه ؟!
لا تبك عمرا مضى حزناً، وتند به فما أعادت مُنى الإنسان أدمعُه
واصبر لكل الذي تلقاه من حُرَقٍ فأضيقُ الأمر عند الله أوسعُه
حياتنا وفق ناموسٍ نعايشها وربما كان أهنا العيش أوجعُه
وربما ندَّ عن أنظارنا أملٌ يوماً .. ولم نتبين كيف نرجعُه ؟
يعود أنضر وجهاً من تلهفنا له وإن بان ، أو إن عزَّ مطلعُه؟[2]

(١) الأعمال الكاملة : ٥٥٧ .
(٢) جراح قلب : ١٥٤ – ١٥٥ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

ويرى علي بن حسين الفيفي الحياة متقلبة ، فمرة تكون كالطفل براءة ، ومرة تكون كالأسد قسوة ، تظهر لك الودّ ، وتفرش أمامك الورد ، وأخرى تكشر بأنيابها وتفرش الشوك في طريقك ، ولذا فمن الخير أن لا يقف المرء أمامها معارضاً ، بل عليه أن يتعايش معها ، وأن يقنع بما يقسم له فيها من حظوظ ، فيقول متأملاً ، في قصيدته (الحظ):

فخذ نصيبك من دنياك مقتنعاً　　ولا تقولن إن الحظ قد نفدا
ولا تغرك من دنياك بهجتها　　فهي التي لم تدع في عزها أحدا
حيناً ترى وجهها الوضاح مبتسماً　　وتارة مكفهراً عابساً حردا
وقد ترى عينها كالماء صافيةً　　وتارة قد ترى في عينها الرمدا
وقد ترى العمر أعياداً تُسرّ بها　　ولا ترى السوء والمكروه والنكدا
براءة الطفل تبدو في ملامحها　　لكنها ذات يوم تشبه الأسدا
مثل الصديق الذي يبدي صداقتُه　　ويضمر البُغض في الأحشاء والحسدا[1]

وتقوم فلسفة في الحياة على أنها جميلة ، ولكن جمالها لا يدركه إلا ذوو النفوس الجميلة سيراً على رأي (كن جميلاً تر الوجود جميلاً) ، وشرّ النفوس وأشقاها من تلتفت إلى الورد ، فلا ترى فيه إلا الأشواك ، وتعمقت في النفوس القناعة بأنَّ السير المتواصل في سبيل الحق هو الكفيل بأن يروي ظمأ نفوسنا ، نعم إننا مهما حاولنا ومهما جاهدنا فلن نصل إلى آخر الطريق ، ولكنّ الوجود يفقد معناه دون السعي والإقدام ، ودون الرضى بمجابهة الأيام ، ومن ذلك حديث السنوسي عن هذه الحقيقة بقوله :

يد الدهر لا تسخو بمجدٍ لعاجز　　ضعيفٍ ولا تندى ولا تتبرعُ
لقد أفصحت عن سرها لو تكلمت　　حياة بقدر السعي تعطي وتمنعُ[2]

(١) أزهار : ١٠١ – ١٠٢ .
(٢) الأعمال الكاملة : ٦٣٢ – ٦٣٣ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وكما تأمل الشعراء في الحياة نفسها وفي ناموسها وحقيقتها ، تأملوا كذلك في السعادة المطلوبة فيها ، وكيفية تحصيلها ، وكما كانوا هناك فريقين فريق متشائم وآخر متفائل ، كانوا هنا كذلك ، إذ نجد شعراء لا يرون في السعادة غير سراب ، ليس لمن يسعى وراءه غير الإخفاق ، وهؤلاء قلّة ، وحالتهم هذه تمثل فتراتٍ محددة في حياتهم ، نشأت إثر صراعات عايشوها ، أو آلام تعرضوا لها ، ما فتئت تصور الحياة في أعينهم كابوساً مخيفاً ، ولكنهم تحوّلوا بعد ذلك نحو التيار المتفائل ، ومن هؤلاء الشاعر محمد بن علي السنوسي كما في قصيدته (إفاقة) ، حيث يقول :

سراب وإلا كيف لا ينفع الصدى شراب أضعت العمر في رشفه سدى
ووهم وإلا كيف يخدعني السنا فأرنو ولا نار هناك ولا هدى
أفقت وأدركت الحقيقة بعدما وهى جلدي –واحسرتي – وتبددا

إلى أن يقول قاصداً السعادة :

تلمستها والعود غضٌ ولمتي ترف فأعياني هداها وأجهدا
وعشت لها حبي الكبير وصبوتي وقلبي وألحاني طروباً مغرِّدا
وأعطيتها أغلى مناي ومهجتي وأهرقتُ فيها ريَّق العمر والندى
فلما ذوى عودي وغاضت مناهلي وأصبح روضي سبسب الحقل أجردا
تراءت لعينيَّ الحقيقة جهرةً وضمت يدي منها عناناً ومقودا
وعدت إلى نفسي جديداً كأنما ولدت وما أحلاه عَوْداً ومولدا
وراجعت ماضي الغرير وحاضري وجردت من نفسي لنفسي مفندا
وقلتُ لأوهامي رويداً فلم يعد سرابك يغريني وإن رقَّ موردا[1]

ويرى أحمد البهكلي في قصيدته التاملية الرائعة (أحلى نهاية) أنه كلما حاول المرء جاهداً الوصول إلى السعادة التي ينشدها ، فإنها تزداد بعداً عنه ، وتوغلُ في البعد ، بل

(١) المصدر السابق : ٣٦٢ – ٣٦٤ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

إنها لتتكبر على طالبيها ، يقول محاوراً دنيا الحياة ومخاطباً لها :

نحـن لم نعـرف العـراء ولا الجـو　　عَ ولم نـأس قبـل هـذي النكايـة
غـير أنّـا وقـد بـدأت التجـافي　　نـرفضُ الإلتجـاء نحـو الـشكاية
قـصّريها إن شـئت أو فـأطيلي　　إننـا منـصتون حتـى النهايـة

* *

عانـدي .. مـا جنـي محبـوك إلاَّ　　أنّ أحبـوك إن تكـن ذي جنايـة
لم يكـن في طمـوحهم حـين قُدّسـ　　ـتِ منهـم سـوى التيـتّم غايـة
أمّلـوا فيـك سعدهـم فتكـبرْ　　تِ عليهـم كأنمـا هـم نفايـة (١)

ويرى بعض هذه الفئة أن السعادة حالة ممكنة ، ولكن غير مستمرة تجيء وتذهب تبعاً لما نحرزه أو نفقده من أسبابها ، فإذا جاءت رضينا عن الحياة ، وإذا ذهبت سخطنا ، ووصمناها بشتى المعايب ، ولذا يقول السنوسي :

أنـت في حالـة تـسرّ فـترضى　　فتراهـا لكـل داءٍ طبيبـه
وتـرى أنـك الجـدير بجـدوا　　هـا وإن أخطـأت بـذاك مـصيبه
فـإذا أخطأتـك يومـاً تجلّـت　　لـك شـوهاء جلفـة كالمـصيبة (٢)

وإذا كانت النزعة السائدة في كثير من الفترات التاريخية والمجتمعات المختلفة قائمة على التماس السعادة عن طريق امتهان الجسد ورغائب النفس ، وإلى تحقير الحياة ، والطبيعة البشرية ، ووصم صراع الناس فيها على أنه دَنَس ، والحياة نفسها دنسة غير قابلة للإصلاح، فإن بين أدباء هذا العصر نزعة تكاد تكون معاكسة لتلك ، ((**فقد حوّل الزمان اهتمامهم إلى الحياة الحاضرة ، ورفع في أعينهم قدر الإنسان ، وألقى على الوجود المادي مسحة من الجمال يعكسها لنا كثيرٌ من أقوالهم ، حتى الذين نراهم – أحياناً – ينفثون نفثات**

(١) طيفان على نقطة الصفر : ١٠٧ – ١٠٩ .
(٢) الأعمال الكاملة : ٣٩٧ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

التشاؤم العلائي يجارون المتفائلين في هذا الأمر ، ويؤمنون بقابلية الإنسان للسير في طريق التقدم والحياة الكريمة)) [1] .

وشعراء جازان في بحثهم عن السعادة وإيمانهم بإمكانية تحقيقها فتشوا عنها في كل مكان ، وتنوعت رؤاهم في ذلك ، واختلفت نتائج تأملاتهم ، فمنهم من يرى أنَّ السعادة لا يمكن أن توجد إلا في أحضان آي الكتاب يرتلها الإنسان في ظلام الليالي في خلوة بربه ، ومناجاة لخالقه ، بعيداً عن أعين الناس وحياتهم ، من هؤلاء علي النعمي في قصيدته (تأملات)، حيث يقول :

في الليل والليلُ صديقٌ لمن ... أحبَّ في الله ضروب السَّهر
خلا عن الناس ، وخلّى لهم ... دنياهم واعتاض عنها الذِّكر
وبات في بحبوحة من سنى ... يغمرُه بالبشريات السَّحر
يظل يرخي السمع في لهفة ... لهاتفٍ في العالم المُحتَضَر
يدعوه ما أحلى ، وأشهى السرى ... للنفس إن ليلٌ سجى واعتكر
ما أمتع الإبحار في زورق ... على ضفاف الباقيات الأثر
أصولها في عمق عمق الثرى ... وفرعُها العالي بلوح القدر
تمتدُّ تمتدُّ بعيداً ولا ... يدركُ منها ما يشاء البصر [2]

ويرى بعضهم أنَّ السعادة تكون في المصارعة وأنها لايمكن أن تؤخذ إلا غلاباً ، وهي جهاد مرير ، والجدير بها من يوطن نفسه عليها ، ويصبر كما قال السنوسي :

حياتك أن تلقى الحياة بهمة ... تخوض الخضم العد والثمد [3] **الضحلا**
وتبسم في وجه الزمان إذا قسا ... وتمشى ولو كان الثرى زلقا وحلا

(١) الاتجاهات الأدبية في العالم العربي الحديث ، أنيس المقدسي : ٣٠٩ بتصرف .
(٢) جراح قلب : ٨٤ – ٨٥ .
(٣) العدّ : هو الماء الثابت . والثمد : هو الماء النزر القليل .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

وإن كان شوك في الطريق إلى العلا　　وحاولت أن تجتازه فالبس النعلا
فأنكد ما يلقاه فكر مهذب　　غباء قوي يحقر العقل والفضلا
وأسعد ما تلقاه نفس من المنى　　رضى باسم يستعذب الشمس والظلا[1]

فهذا الرضى الباسم هو الذي يجعل الحياة جميلة مليئة بالشوق إلى الجديد المجهول ، فإذا وصلت إليه طلبت غيره ، حتى لكأنما هي تسبح في عالم من الشوق الذي لا يتوقف والأحلام التي لا تنتهي ، يصدق عليها قول السنوسي الذي خبر الحياة، وتمعن فيها كثيراً :

كأنّ على الإنسان ضربة لازبٍ　　عبور الطريق الوعر مهما تزودا
يسير على أرض مشى في شعابها　　أبوه، ويعدو في الطريق الذي عدا
يرافقه وهم الحياة وزيفها　　يؤمل إن أمسى ويرجو إذا غدا
غريراً تمنيه الأماني فيتشي　　ويلهو فما ينفك غرّاً معربدا
إذا ما مضى من يومه ساعة هفا　　إلى غيرها مستعجلاً يطلب الغدا[2]

ب- التأمل في الموت :

هادم اللذات ، ومفرق الجماعات ، الحقيقة الصارخة ، والنهاية لفصول الحياة بشتى إيقاعاتها ومشاهدها ، الحقيقة التي حيّرت الألباب ، وتفاوتت حولها فلسفات الأمم ، وعن طريقها شاع الانحراف ، وطغت الخرافات ، ولم يكن يعصم المرء من انجرافاتها سوى الدين وتفسيره لها ولما بعدها .

الناظر في تأملات أغلب شعراء جازان في حقيقة الموت يتجلى له إيمانهم بقضاء الله وقدره ، وتسليمهم بحتمية الموت دون تبرّم أو سخط ؛ وذلك لعلمهم بأنَّ الحياة الدنيا مسافة سيجتازها الإنسان في رحلته ، طالت به تلك الرحلة أو قصرت ، وأنَّ

(١) الأعمال الكاملة : ٥٥٩ .
(٢) المصدر السابق : ٣٦٤ – ٣٦٥ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الموت هو النهاية الحتمية لكل حيّ في هذا الكون عدا الله – سبحانه وتعالى – ومن ذلك قول السنوسي :

كلنا رائح على الموت غادي وعيون القضاء بالمرصاد
ومجاز هي الحياة فسيا ن مخبّ أو سائر في اتئاد
سائق الركب غير ناء عن الر كب ولا حائد عن الركب حاد
نحن والدهر والمقادير والأ يام أنضاء حلبة وطراد
سنة لم تدع لقلب مريضٍ شبهاً في حقيقة الميعاد[1]

وهذه الحقيقة التي بحث عنها الشعراء إذا وضحت لهم ، وأغرقوا في التأمل فيها ، قادتهم إلى العودة إلى الله وعدم افتتانهم بالحياة ، كما يعبر عن ذلك السنوسي بقوله :

فلما تبينت الحقيقة لم أجد ملاذاً سوى ما سنّه الله والشرع
إلى الله إنا راجعون وكلنا سيذهب لا فرد سيبقى ولا جمع[2]

وكذلك عندما يتأمل الشاعر في مرأى الأقران والناس من حوله وهم يغدى بهم إلى المقابر أو يراح إلى المصير ، فتقرع الحقيقة النفوس اللاهية العابثة ، ويكون الموت درساً بليغاً يفوق كل درسٍ أو موعظة :

تعلمنا الدنيا فننسى دروسها ونلهو وعند الإمتحان نثورُ
حماقة طبعٍ آدمي وغفلة تعاقب أجيال بها وعصورُ
مضت منذ قارون بنا وحياتنا تدور على أهوائها وتسيرُ
كأنا نسينا الموت وهو حقيقة لها غدوات بيننا وبكورُ[3]

(١) شعراء الجنوب ، السنوسي وآخرون : ٩٦ .
(٢) الأعمال الكاملة : ٦٠٠ .
(٣) المصدر السابق : ٥٤١ – ٥٤٢ . وانظر : الاتجاه الإسلامي في شعر محمد بن علي السنوسي ، مفرح سيد : ١٢٤ – ١٢٦ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

ويحاول الشاعر أحمد البهكلي في تأملاته في الموت أن يقرب لنا صورة الأقدار وهي تلتهم الحياة وتبعثر الآمال ، وتحمل النهاية لهذا الإنسان ، فيجعل المقادير سوائم ترعى في أعمارنا ، إذا جاعت بحثت عن ما يسدّ جوعتها ، فتبحث عن الأشواك والأزهار على السواء ، إذ هما رمزان للخير ين والأشرار من بني البشر ، فيقول في قصيدته (ذهول الحسّ):

مثلما تهصر اليد الغصن هصرا　　ووريقاته تساقط تترى
وكما بعثرت حبيبات رملٍ　　ريح صيف تحوّل الحسن نُكرا
مثل هذا يجيئنا القدر الصا　　رم يخطو فما ندبر حذرا
إن هربنا وكيف ذلك لم نسـ　　ـطع هروباً فنُسلم الأمر قسرا
إنما خطوة القضا ألف شبر　　إن تكن خطوة الخلائق شبرا
هي أقدارنا سوائم في مر　　تع أعمارنا تذل وتَضْرى
لم نأس إذا تعسَّفها الجو　　ع فجاءت تَجُذّ شوكاً وزهرا[1]

وإذا كان البهكلي يرى أنَّ المنايا تحصد الجميع من طاب منهم ومن خبث ، من سفل ومن علا ، الأبطال والرعاديد ، فإنَّ السنوسي صوّر الموت في إحدى قصائده بطلاً يتخيّر الأبطال فقط ، وهو في هذا يتعثر في إحدى الحفر التي ردمها الإسلام وغير نظرة الشعراء فيها ، فيقول :

أبداً نحيا على غرر　　ونعيش العمر نتهبُ
في سخيفٍ من مفاتنها　　تفرق الأقلام والكتبُ
جلَّ شأن الموت من بطلٍ　　يده الأبطال تنتخبُ[2]

وهو في هذا يسير على خطا طرفة بن العبد حينما قال :

(١) طيفان على نقطة الصفر : ٧٣ – ٧٤ .
(٢) الأعمال الكاملة : ٧٤٤ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

أرى الموت يعتام الكرام ويصطفى عقيلة مال الفاحش المتشددِ[1]

وكثير من وقفات الشعراء التأملية في الموت نشأت من مواقف حزينة متزامنة مع مرثياتهم ، وبدلاً من رثاء الميت انطلقوا إلى آفاق بعيدة ، رثوا الحياة وتأملوا في رحلتها ومصير أهلها ، وحتمية الأقدار ، ونزول البلايا ، وضعف الإنسان أمام نوازل الدهر ومصائب الزمان ، فهذا حسين سهيل ينتزع من نفسه الحزينة على فقد والده رؤية للموت، فيرى أن رحيل الإنسان من الحياة أنما هو ملل وهروب ، مما يعصف بالحياة من عواصف ، فيقول :

بالأمس كان أبي هنا يا ويلتاه واليوم أقفر دارنا لمَّا نعاه

أتراه مل ومل في الدنيا خطاه أم غاب عنا هاربا مما دهاه[2]

ويتمنى في قصيدة أخرى أن يجد رفيقاً يؤنس وحدته في قبره الذي ليس فيه إلا الصمت كما يرى ، ويسأل هل سيخيّم على قبره الصمت مثلما هو مخيم على قبور الآخرين، فيقول :

يا وحشة القبر الرهيب الصموت إذا غاب صوتي البعيد الخفوت

هواديك رفقاً بقلبي الذي سقته المنايا زعافاً وقوت

* *

إذا ما دعاني نذير الفناء وألوى بلحني الشجي الشقاء

ومالت إلى الغرب شمسي التي تغيب تغيب قبيل المساء[3]

ومن أجمل قصائد التأمل في الرحيل من هذه الدنيا ، ومواجهة الموت ووصف لحظاته بتّمعن ونظرة ثاقبة مليئة بالإحساس الصادق بما يعانيه المحتضر من صراع نفسي

(١) ديوان طرفة بن العبد : ٧٤ .
(٢) أشرعة الصمت : ٣٨ .
(٣) المصدر السابق : ٣٦ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

وهو يفارق الدنيا ، ويرى الناس حوله ، وما يجول بخاطره من أمنيات وأشواق تفوق كل شوق في الدنيا، إنه الشوق إلى البقاء ، والتوق إلى عدم مفارقة الدنيا التي تأصلت وغرست ونمت في هذا الجسد الذي لا يحب أن ينتزع من تربته إلى تربة أخرى ، تلكم هي قصيدة الشاعر علي بن حسين الفيفي التي يقول فيها متأملاً أحد المحتضرين وهو يصارع من أجل البقاء ، والناس حوله ينظرون ولا حول لهم ولا قوة :

رأو أنه قد صار شلواً وروحه　　معلقة والقلب فيه وجيبُ
رأوا يومه الباقي له من حياته　　وآخر يوم في الحياة عصيبُ
تمنى شفاء عاجلاً وهو يائسٌ　　تمنى لو العيش الرغيد يطيبُ
رأى بهجة الدنيا على الناس حوله　　وليس له فيما يراه نصيبُ
يودُّ لو أن الله يرفع ما به　　فيخلص في أعماله ويتوبُ
وهيهات قد فات الأوان وداؤه　　شديدٌ له بين الضلوع دبيبُ
أتى يومُهُ الموعود وانهدم الذي　　بناه من الآمال فهو كثيبُ
يكاد يرى كأس المنية ماثلاً　　ليشربه والصدر فيه لهيبُ
وليس لهيبُ الشوق كالأمس عندما　　شكى من سهاد أو جفاه حبيبُ
ولكنه الداء الأخير يحسُّهُ　　يقطع أحشاء له ويذيبُ
فهل فكر الإنسان أن مصيره　　سيأتيه حتما والمصير رهيبُ؟[1]

أما العطاس فيؤمل بعد طول تأمل أن يكون عمله الصالح رفيقه في قبره ، ويبحر بعد ذلك في مشاهد مصرعه ، وما سيمر به من أمور عظام وهو نائم في قبره نومته الأخيره فيقول في قصيدته (سأموت) :

ستمر بي الديدان تأكل جثتي　　وتذرها فوق الثرى بصفوف
وتمر أحقاب طوال لا نعي　　شيئاً يمر بنا من التخويف

(١) زائر الأمس : ٧٤ – ٧٥ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

حتى إذا جاء المعاد ، وصعقة تدمي القلوب برجفة ووجيف
قام الجميع لينظروا أعمالهم فسعيدهم يحظى بظل وريف
أما الشقي ومن أضل سبيله فيرى من التعذيب كل مخيف[1]

رابعاً - التأمل في الطبيعة :

هو باب لم يطرقه القدماء باتساع كما طرقه المحدثون ، يدور على تفاعلٍ مقصود بين الشاعر وأجزاء الطبيعة من حوله ، حتى استحالت الطبيعة في الأدب حيّة عاقلة نحسّ بضربات فؤادها ، ونسمع رخيم إنشادها ، ولذَّ للمتأملين التحدث إلى أنهارها وغاباتها وجبالها ووهادها ، فجعلوها على حدّ قول العقاد كأنها : ((**قلب نابض ، وحياة شاملة ، ونفس نحنّ إليها ، ونأنس بها ، وذات نساجلها العطف ، ونجاذبها المودة**))[2] .

ونزعة التأمل في الطبيعة لدى شعراء جازان ظاهرة بارزة ، وقد اقترن ذلك التأمل بشيء من الوجدانية الظاهرة ، حيث صبغوا الطبيعة بشيء من خوالج نفوسهم ، وراحوا يفتنّون بعرض أفكارهم وتخيلاتهم ، وما يهمنا هنا هو ذلك التخيّل الذي ساقهم إلى عالم أرحب من الجمال وروعة الفطرة الأولى ، واستنطاق غوامض الكون ، واستجلاء أسراره . ولكثرة وقفات الشعراء التأملية في الطبيعة الحية وغير الحية المتحركة والصامتة ، فإنه يتعذر حصرها أو الإحاطة بها ، ولكن يمكننا التعرف على شيء من ذلك من خلال استجلاء بعض النصوص في تأمل الشعراء للطبيعة ، فمن ذلك تأمل الشاعر محمد بن علي السنوسي في البحر، ولم يكن توقفه عند البحر في صورته المتكاملة ، بل تجاوزه إلى المعاني المتصلة به، فوقف يستجلي شاطئ البحر وفق فلسفة معينة تنبع من الطبيعة ذاتها ؛ ذلك لأن السنوسي شاعر شاعت لديه الروح الريفية في الكثير من نماذجه الشعرية حتى باتت فلسفة ورؤية فنية تميزه عن غيره .

(١) تغريد النهى : ٤٥ .
(٢) مجلة الرسالة ٦/ ١١٠١ ، نقلاً عن الاتجاهات الأدبية في العالم العربي الحديث ، أنيس المقدسي : ٣٥٣ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

حيث شغل بتأمل حركات الطبيعة من حوله يستنطقها ، ويكشف ما يدور في أعماقها من حوارات خفية وتداعيات مكنونة ، دون أن يكتفي بالوصف التقريري الذي يقف عند حدود الشكل والحركة الخارجية ، بل يتجاوز ذلك إلى طرح رؤية عقلية تأملية فيها الكثير من الأسئلة التي تبحث عن إجابات مقنعة عنها من خلال الطبيعة ذاتها ، يقول في قصيدته (الموج والشاطيء) :

ماذا يقول الموج للشاطئ　　في مده الهادر والهادئ
ومن ترى يعرف أسراره　　من كاتب منا ومن قارئ
هيهات ذاك السرُّ سرٌّ عميق

ثم يتابع الشاعر تأملاته إلى أن يقول :

يثرثر الإنسان منذ الأزل　　ثرثرة الموج بحضن الجبل
لكنه في غيّه لا يزل　　وكلما ازداد صعوداً نزل
لا يرعوي عن غيه أو يفيق[1]

فالسنوسي هنا يوظف المشهد الطبيعي توظيفاً موفقاً ، يدل على دقة تأملاته ومتابعته للأشياء من حوله ، فالموج يروم الارتقاء إلى أعالي الصخور ، لكن سرعان ما تنساب مياهه معلنة خيبة الأمل . مثل الإنسان المتجاوز بطموحه قدراته ، حيث تتحول كل أفعاله إلى ثرثرة لا طائل من ورائها ؛ لأنها ستلاقي مصير الموج نفسه الذي يناطح الصخر وهكذا استطاع السنوسي الوصول إلى ذروة التأمل حينما تمكن من التوفيق بين حركة المشهد الطبيعي وتأثيرها على سلوك الإنسان وخاصة في قوله :

تموج بالإنسان أحلامه　　وتستثير القلب آلامه
تمضي لياليه وأيامه　　والشاطيء الجبار قدامه
وهو بأمواج الأماني غريقْ

(١) الأعمال الكاملة : ٥٦١ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

فقد مزج الشاعر هنا بين الإنسان والشاطئ من حيث المشاعر والآلام مزجاً جميلاً ، بعد أن تحدث عن فلسفة التشابه بينهما في المقطع السابق [1].

وإذا كانت تأملات السنوسي قد قادته إلى وصف طبيعة البحر بأنها دائمة الصراع الأزلي مع الشاطئ ، صراع لا يني ولا يتوقف ، فإن الشاعر إبراهيم صعابي وصف لقاء الموج بالشاطئ من زاوية أخرى ، وهي أنَّه لقاء احتضان وشكوى ، لا لقاء صراع ، فيقول :

أين يا بحرُ زمان كنت تصغي لخطابي ؟
وإذا لاقيت قلباً ذاق آلام التصابي
قلتُ : إني أحضن الشاطئ أشكو لك ما بي
أتلهّى بك بالحزن بأنفاس الرضاب
أتغنّى بك بالزورق بالموج الغضاب [2]

بينما نجد علي النعمي يقتطع من البحر الزورق الذي يمخر عبابه ، مستغلاً حركة الزورق وسط الرياح الهوج ، وما يلاقيه من مخاطر ، ذلك الزورق الشبيه برحلة قام بإسقاطها على قصة حياته ، فلا يصور لنا زورقه مثقلاً بالحلم ، حلم ينوء به هذا المركب الصغير الذي تحيط به أعاصير الشقاء والماضي الثقيل ، كيما يصل بالشاعر إلى شاطئ الأمان وسط خضمّ هائل من المخاطر ، فيقول في قصيدته التأملية (زورق وشاعر)

أيها الماخر في زورقه　　لُجّة البحر وفي البحر خطورَه
حاذر الأمواج إن هاجت فما　　تهتدي للدرب في الريح الجسورَه
وامضِ للشط بقلب ثابت　　عابرا ما كنت تستعصي عبورَه

* *

(١) الأعمال الكاملة : ٥٦٢ ، وانظر : الاتجاه الابتداعي في الشعر السعودي الحديث ، محمد حبيبي : ١٤٥ –١٤٦ .
(٢) زورق في القلب : ٢٥ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

أيها الماخر كم في البحر من　　عجب بادٍ يميناً وشمالا؟!
اليد الفضلى التي ما تركت　　دفة المجداف مهما الدرب طالا
فامض للشطِّ بقلبٍ ثابتٍ　　تاركا في اليم –للموت– الكسالى[1]

وعانى الزورق في تلك الأمواج ما عانى من المخاطر ، ولكن الشاعر بقي له بصيص من أمل ، إنه يرى نوراً من بعيد ، فيحاول الاهتداء إليه ، للوصول إلى شاطئ الأمان ، وتحدوه رغبة في تحدي المخاطر والصعاب للوصول إلى أحلامه ومبتغاه ، وإذا لم يكن قد وطن نفسه على تلقي الضربات الشديدة ، فلا نجاة له أبداً ، إنها رحلة الحياة التي يعانيها الشاعر ، صورها لنا من خلال زورقٍ صغير في بحرٍ متلاطم ، يقول :

ومضى الشاعر في زورقه　　يتحدى كل ألوان الخطر
مرة يهوي به الموج فإن　　سكن الريح تصبَّاه السفر
وطن النفس على التجديف كي　　يصل الشط ويحظى بالوطر[2]

وكما شغف الشعراء بالطبيعة غير الحية ، فأحيوها ، وجعلوها ذات شعور وإدراك ونظر ، مستوحين منها الأفكار والخواطر والعبر ، شغفوا – أيضاً – بالطبيعة الحيّة من حيوانٍ ونبات ، فجعلوها موضوعاً لتخيّلاتهم وتأملاتهم ، ووسيلة للتحدث عمّا يتجلّى لهم في حياتهم.

فالشاعر جلوي الحكمي يبصر صقراً نزل من وكره العالي إلى السفوح ، فيتأمله ويتساءل لماذا نزل ، فحياة القمة خير من النزول إلى الثرى المليء بالهوان والذلة ، ويستلهم من نزول الصقر معانٍ كثيرة ، أسقطها على تجربته الخاصة ، ومعاناته الحياتية ، ويطلب منه العودة إلى وكره وعدم التنازل عنه ، أو الرضى بغيره ، فيقول :

يا صقر ماذا جرى　　نعجب مما نرى؟

(١) جراح قلب : ٢٥ – ٢٦ .
(٢) المصدر السابق : ٢٦ – ٢٧ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

أقـــد ســـئمت العـــلا وذاك حلـــم الـــورى
فجئـــت مـــن شاهـــق تعـــيش فـــوق الثـــرى
أم أن غـــدر الزمـــا ن باعـــك ثـــم اشـــترى

* *

حلقـــت فـــوق الـــسحاب ولم يـــصبك الرهـــابْ
تطـــوي المـــدى شامخـــاً ثـــم تطيـــل الغيـــابْ
ســـراك نحـــو الـــذُّرى وليـــس نحـــو الـــترابْ
فعـــد إلـــى قمّـــةٍ تـــؤوب حـــسن المـــآبْ[1]

* *

ويشير في نهاية المطاف إلى أنَّه لو كان مكان هذا الصقر يوما ما لما نزل وترك ذلك المكان السامق الذي يعشقه ويرنو له جميع البشر ، ويقول :

يـــا صـــقر لـــو أن لي مثلـــك لم أنـــزل
مـــن شـــاهق في العـــلا مهـــما يكـــن لاح لي[2]

ويتأمل الشاعر إبراهيم مفتاح زهرة من الأزهار التي قد لا يأبه بها أحد ، فيوغل في تأملها ، ويبحر في عالمها ، ويحس بأحاسيسها ، ويدع لها الإفصاح عن شيء من أسرارها ودواخلها ، فتفتخر بنفسها ، وتبرز شيئاً من قيمتها وأثرها على ما حولها من طيور وفراشات ، وما تعيشه من تفاعل مع الضياء والليل والصبح والدجى ، وما تقدمه من خدمات للعاشقين الذين يرمزون بها لعواطفهم ، فيصف بحثها الدقيق عن سرّ الجمال في نفسها ، ويقول :

لأي الفـــصول أنـــا أنتمـــي ومن صب هذا الشذى في فمي ؟

(١) قبل أن ينضب الأمل : ٨٤ – ٨٥ .
(٢) المصدر السابق : ٨٥ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

ومـن ذا سـقاني كـؤوس الـضِّياء　　تـذوب احمـراراً عـلى مبـسمي
ولملـم فـي وجنتـي الـضُّحى　　وعتـق طعـم اللظـى في دمـي؟
وفي معطـف الليـل إذ ضمـني　　سقـاني النـدى فتنـة الأنجـم
يعانقـني فـي الـدجى طائـرٌ　　وفي ناظـري إن غفـا يحتمـي
يـرش عـلى ثغـره مـن فمـي　　رحيقـاً وفي أذرعـي يـرتمي
وإن هـزَّ غـصني عنـاق الهـوى　　يـضم إلـى كفـه معـصمي
فيثـني قوامـي علـى سـاعد　　يـه ويلثـم في رقـةٍ مبـسمي [1]

وللشعراء – أيضاً- تأملات رائعة في الطبيعة الصناعية ، فمن ذلك تأمل الشاعر أحمد البهلكي في تمثال (الحرية) بأمريكا ، رآه الشاعر في جولة سياحية له هناك ، رآه وسط الماء ، وشعلته تخترق الأجواء ، ورأى فوق وجه التمثال ثلجاً ودخاناً ، قد اقترنا ، فأوحى له منظر ذلك التمثال الذي يرمز به للحضارة الجديدة ، والعالم المتحضر ، وحرّية الإنسان ، فوقف متأملاً ما ران على ذلك الرمز من متناقضات عجيبة يكاد ينطق بها ، ويفجّر الصمت الذي ران عليه سنواتٍ طوال ، فقال :

و(بمنـأى) ، هنـاك أبـأسُ رمـزٍ　　فـوق وجـه الثـرى ذليـلٌ طريـدُ
يدهـمُ المـوجُ سـاقَه ويغـشي　　وجهـه الـثلجُ والدُّخـانُ البليـدُ
لكأنـي بـه إذا غـمَّ ليـلٌ　　وشـكت نغمـةٌ فأشكـت قـدودُ
وتمطـت عجـائز الجـن نـشوى　　واغتلـى شاعـر فنـز القـصيدُ
لكأنـي بـه وشعلتـه الحمـ　　ـراء نـار لهـا الدمـوع وقـودُ
هـو يبكـي جـواد حريـة الأر　　ض بذي الأرض خاتلته القرودُ
إنـه شاهـدٌ علـى قبـح عـصرٍ　　زورت فيـه مـا تقـول الـشهودُ

(١) احمرار الصمت : ٥٨ – ٥٩ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

لـو تمـلى الغيـوب (برتولـدي) كـسّـ ـــر إزميلـــه وليـــس يجيـــدُ[1]

فلو أنَّ مصمم ذلك التمثال كان يعلم الغيب لما صممه ، أو نـصبه ، إذ تحولـت الـبلاد التي رفعته شعاراً للحرية إلى أكبر بلدٍ يحارب حرية الإنسان ، ويعربـد في كـل مكـان ، في عصرٍ ساد فيه القرود ، وكانوا هم الشهود ، فـزوّرت عنـد ذلـك الحقـائق ، وشـاع الظلـم والخراب باسم الأمن والسلام .

* * *

هذه أهم مظاهر شعر التأمل لدى شعراء جازان ، غـير أنَّ هنـاك بعـض القـصائد وردت في التأمل الديني والتأمل الاجتماعي ، والوقوف أمام قـضايا الخـير والـشـر ، وقـد سبق عرض بعضها في الاتجاهين الإسلامي والاجتماعي ولا داعي لتكرار ذلك هنا .

* * *

(١) أول الغيث : ٢٤ – ٢٥ .

وبرتولـدي : هـو المصمم الفرنـسي الـشهير الـذي صـمّم تمثـال الحريـة قبالـة شـواطئ مدينـة نيويـورك الأمريكية .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

الباب الثاني

الدراسة الفنية

- التمهيد (الاتجاهات والأجيال) .
- الفصل الأول - (المضمون الشعري) :
  ١- المعاني والأفكار.
  ٢- التجربة الشعرية .
- الفصل الثاني - (الشكل الشعري) :
  ١- بناء القصيدة .
  ٢- اللغة .
  ٣- الصورة الفنية .
  ٤- الموسيقى الشعرية .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الدراسة الفنية

التمهيد

(الاتجاهات والأجيال الأدبية في شعر جازان) :

الأحياء في كل عصر ومصر في دينهم وخلقهم وثقافتهم وأدبهم وتصوراتهم مختلفون، كل ذو شاكلة يعمل بموجبها ، ويدافع عنها ، فالبشر – كما يقول العقاد – **كانوا منذ فطروا واقعيين وخياليين ومحافظين على القديم وطلاباً للجديد ، وهذه النزعات المتعاقبة نزعة طبيعية تستلزمها أطوار الحياة))** [1] .

والصراع بين القديم والجديد لا يمكن أن يتوقف أو يُحلّ وينتهي ، فهما اتجاهان يتنازعان الناس ، ففريق يميل إلى المحافظة على القديم ، واقتفاء سنن الأقدمين ، وهو مذهب موجود في السياسة والأدب والعلم والمجتمع ، فإذا أوغل في التقيد بماضيه عدّ تقليداً ، وإذا تحرر من شيء من تلك القيود عُدَّ محافظاً ، وهذا الفريق يقتفي في الغالب ويتبع ، وقلّما يجدد أو يبتدع ، فهو يرى أنَّ الأول ماترك للأخر شيئاً ، وأنَّ سلامة الاتباع خير من مغامرة الابتداع . ويضاد هذا الفريق فريق آخر يتحرى التجديد ، ويسعى إلى التغيير ، منطلقاً من تراثه وبيئته تارة ، ومن غيرها تارة أخرى .

وقد يوجد التياران في بيئة واحدة في وقت واحد ، فيتدافعان ويتصارعان ، فيغلب تيار التقليد والمحافظة في فترات السكون والركود ، ويسبق تيَّار التجديد في فترات الحركة والوعي ، وقد تدعو حدة الصراع بينها إلى تطرّف كل منهما وإغراقه ، فينبهر المجدد ويتطرف في مزالق الجدة ، وينزوي المتأثر بالقديم في سراديب الماضي ، ومن هنا ينطلق من خلف ستارة المسرح تيَّار متوسط يجدّد ويحافظ ويعتدل ويتوسط ،

(١) اللغة الشاعرة ، العقاد : ١٥٦ – ١٥٧ ، وانظر : الشعر الحديث في المملكة العربية السعودية ، د. عبدالله الحامد :٣٨ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

فهو كالمخضرم الذي أدرك عهدين مختلفين ، فشكل رؤية موفقة أو منصهرة أو معدّلة من اتجاهين .

ومن هنا وجدنا كثيراً من المصطلحات النقدية التي يعبّر بها النقاد والدارسون للأدب عن هذه الفئات ، ولاسيما عند دراستهم للأدب السعودي ، فهناك المقلدون والمحافظون ، والمخضرمون ، والتقليدية الجامدة ، والتقليدية الحديثة ، والمحافظون المخضرمون ، والمحافظون المجددون ، وجنح بعض النقاد إلى إلصاق المصطلحات الأجنبية التي ولدت في أحضان الأدب الأوربي بالأدب العربي ، فجعل الاتجاهات كلاسيكية جامدة وأخرى حية ، ورومانسية وواقعية وبنيوية وسواها من مصطلحات .

وأجيال الشعر في جازان واتجاهاته منبثقة من أجيال الشعر واتجاهاته في الشعر السعودي عموماً ، فإذا تتبعنا أجيال الشعر السعودي وجدنا أن تقسيمات النقاد لها متفاوتة ومختلفة في المسميات لا في المضامين والمنطلقات ، فهناك نقاد جعلوا المراحل التي مرَّ بها الشعر السعودي ثلاثاً ،هي : الكلاسيكية الميتة وتلتها الكلاسيكية الحية ، ثم المرحلة الرومانسية [1] .

ويرى بعض النقاد أنَّ المراحل التي مرَّ بها الشعر السعودي هي : التقليد والمحافظة والتجديد [2] ، ثم جعلوا المجددين طائفتين : طائفة جمعت بين الجديد والقديم ، وأخرى عصبت عينها عن رؤية القديم [3] . وبعض النقاد قسم الشعر السعودي إلى محافظين ومجددين ابتداعيين ، ثم قسموا المحافظين إلى قسمين : محافظة مقلدة ، ومحافظة جديدة [4] . بينما مال نقاد آخرون إلى جعلها ثلاث فئات ، هي :

(١) انظر : في الشعر السعودي ، د. فوزي سعد عيسى : ٣٣ ، وأدباء من السعودية ، د. يوسف نوفل : ٩٤ .

(٢) انظر : حركات التجديد في الشعر السعودي المعاصر ، د. عثمان الصوينع : ١ / ٢١٧ .

(٣) انظر : المصدرر السابق : ٢ / ٤٧٧ .

(٤) انظر : التيارات الفنية في الشعر السعودي الحديث ، د. طلعت صبح السيد : ٤٨ وما بعدها .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

المحافظة ، والمحافظة المجددة ، والثالثة المجددة [1] . وغير ذلك من تقسيمات [2] .

ومال بعض النقاد إلى تقسيمهم على أساس الأجيال الزمنية ، فجعلهم ثلاثة أجيال :

الجيل الأول : هو الذي ولد بين عامي ١٣١٨هـ-١٣٣٢هـ ، ووعت طفولته ومراهقته عهد الثورة العربية .

والجيل الثاني : هم الذين ولد أكثرهم ما بين عامي ١٣٣٥هـ - ١٣٥٠هـ ، أو بعدها بقليل ، وأدركت طفولتهم ومراهقتهم حوادث ، منها استقرار المملكة ووحدتها .

والجيل الثالث: هم الذين ولدوا ما بين ١٣٦٠ هـ - ١٣٧٠هـ، وهذا الجيل هو الذي عايشت طفولته ومراهقته النكبة والنكسة ، وما نجم عنهما من تمزقٍ نفسي وحزنٍ [3] .

والذين ولدوا بعد ذلك يمكن أن يكونوا الجيل الرابع الذي يعايش الساحة الأدبية الآن ويتأثر بمعطيات الحياة المعاصرة .

ورأى بعضهم أنَّ الأجيال يمكن أن توصف بأنها ثلاثة أجيال بالنسبة إلى تطورها الشعري وإبداع الصناعة وإتمامها ، فالجيل الأول هو جيل التهيئة والعبور ، والجيل الثاني هو جيل تمام الصنعة الشعرية ، والجيل الثالث هو جيل الأحلام والألم [4] .

ولعل السبب في تفاوت آراء النقاد لدى تقسيمهم لتلك الأجيال والاتجاهات ؛ هو ما يلاقونه من تداخل بينها واتصال وثيق لا يمكن أن يقدّ بقاطع فصل ، أو أن يحدد

(١) انظر : التيارات الأدبية في قلب الجزيرة العربية ، د. عبدالله عبدالجبار : ٢٤٩ .

(٢) انظر – أيضاً – تقسيمات أخرى للاتجاهات في : المذاهب الأدبية في الشعر الحديث ، د. علي صبح : ٢٧ وما بعدها .

(٣) انظر : الشعر الحديث في المملكة العربية السعودية ، د. عبدالله الحامد : ٩٢ – ٩٣ .

(٤) انظر : المصدر السابق : ٣٦٩ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

أحدها بزمنٍ لا يمكن تجاوزه ألبتة ، ومن هنا راحوا يقسمونه إلى اتجاهات ويفرعون تلك التقسيمات، وهلّم جرا ، وهذا التباين والتداخل يطرأ على الشاعر نفسه ، فهو قد يكون ممن عاصر التقلبات الأدبية وتفاعل معها ، وتنقل من تجربة أدبية إلى أخرى ، وشارك في الجديد، وتأثر بالقديم ، لذا فمن الصعب على أي باحث أو ناقد أيًّا كان أن يشير إلى تيار واحد ينتظم طبيعة التجربة عند أديب بعينه من أدباء المملكة المحدثين ؛ ذلك لأنَّ المذاهب الأدبية التي يتردّد صداها في الأدب السعودي الحديث على اختلافها ليست مذاهب مستقلة كل الاستقلال ((**ومن الصعب إيجاد حدود فاصلة بينها – كما يقول الدكتور طلعت صبح – ؛ لأنها تتداخل كل التداخل ، ثم إنه ليس من المحتم أن يدين أديب بمذهب واحد فحسب ، فقد تجتمع في أدبه جملة من المذاهب ، وقد تتداخل – وعلى وجه الخصوص – إذا كان الأديب من وفيري الإنتاج**)) [1] .

ومن يدقق النظر في التيارات والمذاهب الأدبية الموجودة في المملكة ، يجدها تلتقي في نقاط قد تقل وقد تكثر ، وقد يوفق أديب معين بين التيارات ، فيأخذ من هذا وذاك ، وقد يوجد من الأدباء من لا يمكن لباحث أن يميز إنتاجه تمييزاً على وجه يقال فيه : إن هذا الأديب تسير أعماله وفق مذهب محدد [2] . ولعلّ هذا هو الذي دفع أستاذنا الدكتور محمد بن سعد بن حسين إلى أن يقول : ((**إنَّ المذاهب الأدبية الحديثة لم تتبلور بعد في أدبنا ، أو بعبارة أخرى التقت فيه ينابيعها ، فتم بذلك الالتقاء ازدواج تلك المذاهب، فمن الصعب – والحال هذه – الحكم على هذا الشاعر أو ذاك بمذهب معين**)) [3] .

وعلى الرغم من هذا أجدني مضطراً لتقسيم اتجاهات الشعر وأجياله في شعر جازان مع مراعاة ما تقدم قبلاً من صعوبات وتداخل ؛ إذ فمن البدهي أن يصار إلى

(١) التيارات الفنية في الشعر السعودي الحديث ، د. طلعت صبح : ٣٧ .
(٢) انظر : الحركة الأدبية في المملكة العربية السعودية ، د. بكري شيخ أمين : ٣٨٨ – ٣٨٩ .
(٣) الشاعر حمد الحجي ، د. محمد بن سعد بن حسين : ٣٢ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

هـذا التقـسيم ؛ لمـا فيـه مـن تيـسير لـسبر أغـوار التطـور والتنـوع في الأداء ، وتفـاوت التجـارب ، وهـذه الفئـات التـي أردت تقـسيمها راعيـت فيهـا اتحـاد الـسمات والتماثـل والتقـارب الزمني ما أمكن ، وكذلك شمولها عدداً وافراً من الـشعراء ، ((**عـلى أنَّ هـذه التقـسيمات تظـلّ مـن قبـل ومـن بعـد – كـما يقـول الـدكتور عبـدالله الحامـد– في الآداب والفنون مسائل نسبية**))[1]، وهذه الاتجاهات هي :

١- المقلدون .

٢- المحافظون .

٣- المزاوجون بين المحافظة والتجديد (شعراء التفعيلة) .

٤- شعراء الحداثة .

وتفصيل هذه الأجيال والاتجاهات الأربعة ، وبيان سماتها ، وما تميز به كـل اتجـاه عن الآخر ، وما حصل بينها من تداخل وتأثر تفصيله فيما يلي :

أولاً - المقلدون :

إنَّ الفـترة التـي عاشـتها جـازان قبيـل توحيـد المملكـة العربيـة الـسعودية وبعـده مباشرة ، كانت تحتم على الشعراء أن يسيروا في الإطار التقليدي ؛ لكونهم ظلوا منغلقين في الإطار المحلي وقلّ اطلاعهم على البيئات الأدبية المؤثرة التي حفلـت بالتجديـد الأدبي لا سيما في مصر والشام ، أو على الأقل بيئة الحجـاز القريبـة منهم ، ولا غرابـة في ذلـك ، فالشعر ما هو إلا تجارب يستمدها الشاعر من تكوينه وتـصوراته للكـون والحيـاة ، ومـن مؤثراته التي تأثر بهـا ممّـن سـبقوه أو عـاصروه ، وهـؤلاء الـشعراء المقلـدون عكفـوا عـلى التراث الشعري في عصوره المتأخرة ، واهتموا به أكثر مما سواه ، فتأثروا بـأطره وقوالبـه ، وأفكاره ومعانيه ، وألوانه وصوره ، ومع هـذا فلـم يـستطيعوا أن يـضيفوا إلى هـذا التـأثر فيضاً من أرواحهم ، وانصهاراً من عواطفهم ، فخرجت قصائدهم صوراً مكررة ، مليئة

(١) الشعر الحديث في المملكة العربية السعودية ، د. عبدالله الحامد : ٩١ بتصرف .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

بالمجاراة والاقتباس والمعارضة والتضمين، وما يؤخذ على هؤلاء الشعراء ليس تعلقهم بالشعر القديم أو التراث وما يحمل من عطاء ثر ، ونفس شعري أصيل ، بل هو عدم تفاعلهم الظاهر والمؤثر مع روح العصر الذي يعيشونه ، إنما أدبهم صورة مكرورة ، وبعضهم يعكس صورة بعض ، وقد شبه أحد النقاد حالهم بالذي يعيش في عصرنا لا يتفاعل مع الحياة الجديدة ، فيركب الجمل ، ويسكن الخيام ، ويبستخدم الحيوان في زراعته وحرثه ، بين قوم يركبون السيارات ويمتطون الطائرات ، ويسكنون القصور الفارهة ، ويستخدمون الآلة في أغلب شؤونهم [1] .

وهذا التيار من التقليد نجد بداياته عند الشعراء الذين عاشوا في مطلع القرن الرابع عشر الهجري ، وعاش كثير منهم طفولتهم في العهد الإدريسي ، وأدركهم توحيد البلاد كهولاً ، فعاشوا عصرين ، وتفاعلوا معهما ، ولكن مشاركات أغلبهم كثرت في العصر الثاني بشكل أوضح وأكثر نضجاً .

ولعلّ من أشهر شعراء جازان الذين مثلوا هذا الاتجاه – وهم في الوقت نفسه شعراء البدايات والنشأة – هم : السيد محمد حيدر القبي [2] ، والقاضي علي بن محمد

(١) انظر : المصدر السابق : ١١٨ .

(٢) هو محمد بن حيدر بن ناصر بن هادي القبّي النعمي ، ولد بقرية الملحا شمال منطقة جازان، درس على يد والده وعدد من علماء ضمد وأبي عريش كحسن بن أحمد الضمدي ، والقاضي عبدالرحمن الكناني ، ومحمد بن علي الزكري ، وإسماعيل بن الحسن عاكش ، ثم رحل إلى اليمن، ودرس على عددٍ كبير من علمائها ، ولما رجع إلى صبيا عيّنه محمد بن علي الإدريسي قاضياً، ثم نفاه بعد ذلك علي الإدريسي إلى اليمن، وعاد مع تولي الحسن الإدريسي الحكم ، وقتل في قرية الملحا سنة ١٣٥١هـ ، له أشعار كثيرة ، ومؤلفات مشهورة من أهمها (الجواهر اللطاف في أنساب صبيا والمخلاف) ، و (تحفة المفاخر وبغية المناظر) ، و (عقود الجمان) ، وكلها مخطوطة . انظر ترجمته في : نزهة النظر ، لمحمد زبارة ٢ / ٥٢٥ ، والتاريخ الأدبي للعقيلي ٢ / ٩١٨ ، وكشف النقاب عن نبذة حجاب ، لأحمد الحازمي ١٧٣ ، وفرجة النظر ، للشعفي ٢ / ١٧٩ ، وغيرها .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

السنوسي ، والقاضي عبدالله بن علي العمودي ، والشيخ عبدالرحمن بن يحيى المعلمي ، ومحمد بن عقيل ، وأحمد بن علي عبدالفتاح الحازمي ، وصالح بن عبدالله العمودي ، وحافظ بن أحمد الحكمي وسواهم .

ومن هؤلاء الشعراء من لم يكن له شعر كثير في الفترة المدروسة ، ولكنه أثّر في زملائه من الشعراء ، وهو السيد محمد حيدر القبي ، إذ قد توفي سنة ١٣٥١هـ ، ولكنه كان غزير الإنتاج إبّان العهد الإدريسي ، ومع هذا فقد أدرك العهد السعودي ، ومن شعره الذي أنشأه في العهد السعودي قوله :

عرف الديار فهاله ما هالها وسعى يطل بدمعه أطلالها

يتذكر العهد القديم معاتباً صرف الزمان علام غيَّر حالها [1]

ومن شعره أيضاً قصيدتاه الإخوانيتان اللتان تعارضهما مع معاصره القاضي علي بن حسن الضمدي [2] ، إذ قال في مطلع أولاهما :

طال الفراق وبان فيه مرامي وتجددت من طوله أحزاني

وقد أجابه الضمدي بقوله :

ما غردت ورقٌ على الأغصان إلا وقلبي دائم الخفقان

فردّ عليه القبي بقصيدته الثانية التي يقول في مطلعها :

هب النسيم وهيج الأشجان وآثار مني لوعة الأحزانِ [3]

أما علي بن محمد السنوسي فهو من أشهر شعراء جازان الذين مثلوا هذا التيار ، وهو – أيضاً– ممن شهدوا العهدين الإدريسي والسعودي ، وكان أحسن حالاً من بقية

(١) نزهة النظر ، محمد زبارة الصنعاني : ٢/ ٥٢٦ .

(٢) لم أعثر له على ترجمة .

(٣) انظر : مجموع تقاريظ وممادح وقصائد متفرقة ، للسيد محمد حيدر القبي – مخطوط – غير مرقم، يوجد لدى الباحث، ق ١٧ – ق٢١ . وانظر: نشأة الأدب في جنوبي المملكة العربية السعودية ، د. عبدالله أبو داهش : ٨٢.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

شعراء جيله ؛ وذلك لأن الصحافة السعودية شايعت مقامه الأدبي ، وسلطت الأضواء عليه ، بخلاف معاصريه الآخرين .

ولعل من أوائل مشاركاته الشعرية حينذاك ترحيبه بالأمير فيصل بن عبدالعزيز آل سعود لما وفد على جازان في ١٣/ ١٢/ ١٣٥٢هـ ، ((**فبعد أن استقر المجلس بالأمير أذن للوجهاء والأعيان والمشايخ بالسلام على سموه ، وألقى شاعر جازان الشيخ علي بن محمد السنوسي قصيدة الترحيب بسموه**)) [١] .

وقد أفاض علي السنوسي في مشاركاته الشعرية بعد ذلك ، ونظم كثيراً من القصائد في مديح الملك عبدالعزيز –رحمه الله –، ومن ذلك قصيدتاه اللتان نظمهما سنة ١٣٥٤هـ الأولى في رمضان ، ومطلعها :

أجل مساعيه العناية بالهدى وغاية مرماه النكاية بالعدا [٢]

والثانية في ذي الحجة ، ومطلعها :

قالت وساجعة الرُّبى تترنّم سحراً وسماري جميعاً نُوّمُ [٣]

وقد أسهب كثير من النقاد في الحديث عن شعر علي السنوسي ، وأثره على شعراء جيله في جازان ، فقد قال فيه ابنه محمد : ((**كان السيد علي السنوسي ... شاعراً أديباً ينظم القصائد المطولة ... وكان من عادته سنوياً أن ينظم قصيدة حولية جرياً على منهج الشاعر زهير بن أبي سلمى في القديم ، والشاعر الشيخ أحمد إبراهيم الغزاوي في الحديث ، ويقوم بإنشاء هذه القصائد الحولية في مواسم الأعياد ... وفي المناسبات القومية في مقر إمارة جازان**)) [٤] . وذكر محمد السنوسي أنَّ المجتمع الجازاني يتحدث

(١) تاريخ المخلاف السليماني ، محمد العقيلي : ٢/ ١١٣٢ .

(٢) شعراء الجنوب ، لعلي السنوسي وآخرين : ٢١ .

(٣) المفقود من شعر علي السنوسي ، جمع وتحقيق د. عبدالله أبو داهش : ٤٦ ، ونشأة الأدب في جنوبي المملكة العربية السعودية ، د. عبدالله أبو داهش : ٨٥ .

(٤) والدي السيد علي السنوسي ، محمد علي السنوسي ، مجلة المنهل ج ١٢ ، مج ٢٩ ، ذو الحجة ١٣٨٨هـ ، ص: ١٣٠٥ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

عنه طوال أيام العيد في أنديته وأسماره ، ويناقش القصيدة ، ويشيد ببلاغتها ، وحسن إلقائها ، وأنَّ أباه كان يترنم بالشعر عند إلقائه ، وأنَّه يعدّ الشاعر الأول في جازان ، والأديب الأول فيها ، وأنَّه شاعر كلاسيكي[1] . ومحمد السنوسي يريد بقوله : (كلاسيكي) التأكيد على تقليدية أبيه ، وليس الكلاسيكية بالمفهوم الأدبي الأوربي المعروف ، على أنّ كثيراً من النقاد يجعل التقليدي مرادفاً للكلاسيكي ، وهذا فيه شيء من التجوز والمجازفة . ووصف علي السنوسي بالتقليد لا يعني الذم ، وإنما هذا هو الواقع الذي عاشه وتفاعل معه ، ولو أتيحت له الفرصة ليطور من شاعريته لفعل ، فقد أجمع كثير من أبناء جيله وتلامذته أنَّه كان مشجعاً لناشئة البلاد على الاغتراف من فيض الأدب الرفيع ، وأنهم كانوا مدينين لأدبه بالشيء الكثير من التعليم والإرشاد والتقويم[2] . بل إنَّ مجلة المنهل كانت تصفه دائماً بأنَّه : ((**هو الذي نفخ في صور الأدب الحديث في جازان عاصمة الجنوب**))[3] .

ومن الشعراء الذين مثلوا هذا الاتجاه التقليدي الشاعر عبدالله بن علي العمودي، وهو على الرغم من وفرة نتاجه الشعري المخطوط ظل بعيداً عن الأضواء ، إذ لم ينل حظاً مثل ذاك الذي لقيه معاصره علي السنوسي ، ومع ذلك يعدّ شعره رغم تقليديته الواضحة سجلاً لأحداث عصره ، وشاهداً على شيء من حياته الأدبية ، وقد نظم شعراً في حكام البلاد السعوديين وأمرائهم ، وعارض الشعراء المحليين ، ومن أبرز ممدوحيه الملك عبدالعزيز آل سعود ، ومن أشهر ممادحه فيه ، قصيدته التي مطلعها :

قامت دواعي الشوق ذات تهيّم ما بين كل مولّع ومتيّم[4]

(١) انظر : المصدر السابق ، الصفحة نفسها ، وانظر : مع رجال الفكر في جازان ، ناصر قاسم ، المنهل ج ٦ ، مج ١٩ ، س ٢٣ ، ١٣٧٨هـ ، ص : ٢٣٠ .

(٢) انظر : المفقود من شعر علي السنوسي : ٤١ .

(٣) انظر : الأعلام ، الزركلي ٦/ ٣٤ .

(٤) ديوان أشعار عبدالله العمودي – مخطوط – غير مرقم ، يوجد في مكتبة الشيخ عبدالكريم بن مساعد – رحمه الله – بقرية الزرقاء ، بمحافظة ضمد ، ومنه نسخة لدى الباحث .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

ومن شعراء هذا الاتجاه الشاعر عبدالرحمن بن يحيى المعلمي ، وهو أيضاً من أولئك الذين أدركوا العهد الإدريسي ، وشاركوا بشعرهم فيه ، وتحدثوا عن معالمه ، وأما مشاركته بشعره في العهد السعودي ، فقد تأخرت إلى بدايات العقد الثامن من القرن الرابع عشر الهجري بسبب هجرته الطويلة إلى الهند من أجل التجارة ، فلما عاد شارك بفاعلية في الحركة الأدبية في جازان ، ولكنه لم يتجاوز المحلية إلى الظهور على مسرح الشعر السعودي ، إذ ظل شعره حبيس اللقاءات الخاصة ، والمناسبات الموسمية ، وأولى قصائده التي قالها بعد عودته هي مرثيته في الملك عبدالعزيز سنة ١٣٧٣هـ ، ومطلعها :

مـــادت الألا فـــالعماد عتيـــد عبـدالعزيز قـضى فـأمَّ سـعودُ (١)

والقصيدة واضح من مطلعها إغراقها في التقليد ، والركاكة ، وبرودة العاطفة .

ومن الشعراء الذين مثلوا هذا الاتجاه في جازان ، ولكنهم تأخروا قليلاً ، الشيخ حافظ الحكمي ، وأحمد بن علي عبدالفتاح الحازمي ، وأحمد بن حسن عاكش ، وعبدالوهاب السنوسي ، وأحمد السنوسي ، وغيرهم ، وهؤلاء الشعراء متفاوتون في الطرائق الشعرية ، فالحكمي مال إلى شعر الوعظ والنصائح والحكم والنظم العلمي ، وسيطر هذا الجانب على أغلب أشعاره ، ومن ذلك قصيدته التي يقول فيها :

يـا طالـب العلـم لا تبـغِ بـه بـدلا فقـد ظفـرت وربّ اللـوح والقلـمِ
العلم أعلى وأحلى ماله استمعت أذن وأعـــرب عنـــه نـاطقٌ بفـمِ
العلـم أشرف مطلـوبٍ وطالبُـه لله أكـرم مـن يمـشي علـى قـدمِ
وخـارجٌ في طـلاب العلـم محتسباً مجاهـدٌ في سـبيل الله أيُّ كمـي (٢)

وأما الشاعر أحمد بن علي عبدالفتاح الحازمي فقد نوّع في تجاربه ، وكان أكثر

(١) كل بيت قصيدة ، مجلة المنهل ، ج ٣ ، س ١٤ ، مج ١٤ ، ربيع الأول سنة ١٣٧٣هـ ، ص ٢٠٠ .
(٢) من أعلام الجزيرة الشيخ حافظ الحكمي ، للدكتور أحمد الحكمي ، مجلة اليمامة ، ع ٢٤٢ ، س ٦ ، الجمعة ٢٧ محرم ١٣٩٣هـ : ٢٩ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

معاصرة وأصالة في معايشته لواقعه ، ولكنه ظل محصوراً في إطار المعارضة والمحاذاة للشعر القديم ، دون أن يخطو إلى الأمام الخطوة التي تضعه مع رفيقيه اللذين شاركاه ، إضافة إلى السنوسي الأب في إخراج أول ديوان شعري في جازان (شعراء الجنوب) سنة ١٣٧٤هـ، وهما محمد بن علي السنوسي ، ومحمد بن أحمد العقيلي ، ومن قصائده التي شارك بها في ذلك الديوان الشعري الريادي قصيدته التي مطلعها :

ما للكرى لم يصاحب منك أجفانا وما سباك فما تنفك ولهانا[1]

وقوله في قصيدة أخرى مطلعها :

ليالي الأنس هذا الأنس جودي بما تهوي على رغم الحسود[2]

وإذا أردنا أن نتتبع بعض سمات ومعالم التقليد التي ظهرت في شعر هذا الجيل ، فإننا يمكن أن نشير إلى ذلك إشارات عابرات ، فمن ذلك المحافظة المتزمتة على تقاليد القصيدة العربية ، واستيحاء أفكارها ، وسلوك منهجها [3] ، لا سيما التقاليد الأدبية في عصور الضعف الأدبي ، وبالتالي خضعت القصيدة لديهم لأساليب التعبير المتكلّفة ، وحشو الشعر بلغة العلم ، ولعل الناظر في قول علي السنوسي في مديح الملك عبدالعزيز :

عبدالعزيز آدام الله دولته في المشرقين إلى تنقضي الدهر
ولم يدع من خصال المجد منقبة لناشيء من بني الأيام تعتبر
وأخمل الذكر من كل الملوك فما يحلو الحديث بهم يوما وإن ذكروا
ومفرد بالمعالي جاء منحصراً في نعته المبتدا المرفوع والخبر
وجازم الفعل والماضي بظاهره ومن سواه ضمير جاء يستتر

(١) شعراء الجنوب ، لعلي السنوسي وآخرين : ١٠٠ .
(٢) المصدر السابق : ١١٠ .
(٣) انظر : المذاهب الأدبية في الشعر الحديث لجنوب المملكة العربية السعودية ، د. علي علي مصطفى صبح : ٣٧ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

والحذف والنقص من صرف البناء إذا　　ما جاء فهو على شانيه ينحصر[1]

لعلّ الناظر في هذا الشعر – على رغم كون علي السنوسي من أفضل شعراء جيله – يدرك الإغراق ، والمبالغة ، والإطلاق ، والتعميم ، وورود المصطلحات النحوية الجافة كالمفرد والحصر والنعت والمبتدأ المرفوع والخبر ، وجازم الفعل والماضي والظاهر والضمير المستتر ، والحذف والنقص والصرف والبناء ، وهذا يضفي على الشعر الضعف والجمود وانعدام التصوير الراقي[2] .

ولزوم التصريع في البيت الأول عادة شعرية أصبحت من رسوم المذهب وطريقته ، لا يكاد يغفلها شاعر ، وتشم من هذه المطالع رائحة الغزل ووصف الأطلال، ويبدو أن بعض الشعراء يرون أنَّ القصيدة لا تكمل إلا بهذا ، بل ترى فيها الأطلال والرسوم ، وتسمع فيها خبب النوق وصياح الحي ، وتشم فيها أريج الشيح والقيصوم ، وغلا بعضهم فأدرج الخمرة وساقيها ، والراح وكؤوسها ، ومن ذلك قول أحمد بن عبدالله الحازمي[3] في أحد شيوخه :

تزينت الآمال وابتهج البشر　　وطالت ليالي الوصل إذ ذهب الهجر
وراقت نهى سلمى ورق حديثها　　ودارت كؤوس الراح واضطرب الأمر
ومالت كغصن البان إذ ماس قدها　　وودعتها سبعاً وقد طلع الفجر

---

(١) التيارات الأدبية في قلب الجزيرة العربية ، عبدالله عبدالجبار : ٢٥٠ .

(٢) المصدر السابق : الصفحة نفسها .

(٣) هو أحمد بن عبدالله بن محمد بن حسن بن عبدالله الحازمي ، ولد بضمد سنة ١٣٤١هـ ، ودرس العلم على عددٍ من علماء ضمد أشهرهم يحيى بن موسى الحازمي ، ثم رحل إلى صنعاء ، ولما عاد شارك في افتتاح المدارس في منطقة جازان ، فدرّس وأدار عدداً من المدارس في الحقو وضمد والشقيري ، إلى أن أحيل إلى التقاعد سنة ١٤٠٥هـ ، له أشعار قليلة وأكثرها في المناسبات ، ومن مؤلفاته (كشف النقاب عن نبذة حجاب) . انظر ترجمته في : التاريخ الأدبي ، للعقيلي ٣ / ١٥٢١ ، وفرجة النظر ، للشعفي ١ / ٩٧ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

فصاح غراب البين في الحي معلناً أيا معشر العشاق قد قرب السفر[1]

ولم تكن كؤوس الراح لتدار في واقع الأمر ، إذ الشاعر عالم جليل ، والممدوح شيخه ومربيه ، ولكنه التقليد وترسم الخطا ، وتتبع الصور التراثية المجوجة .

ونلحظ لدى عدد من شعراء هذا الاتجاه القدرة اللغوية الفائقة ، لا سيما الشعراء الرواد ، مثل عبدالرحمن المعلمي ، وعلي السنوسي ، ولا يعني هذا خلوص شعر هذا الجيل من المآخذ اللغوية وضعف الدلالة ، ولكن مقارنة هؤلاء بالأجيال اللاحقة يظهر الفرق جلياً في الاقتدار اللغوي والرصانة وجودة العبارة وسلامتها[2] .

ويهتم شعراء هذا الاتجاه بالمطالع المعبرة ، مقتفين في ذلك أثر شعر العصر العباسي ، بل وتشمّ منها رائحة التقليد والاحتذاء ، فمن ذلك مطلع إحدى مدائح علي السنوسي في الملك عبدالعزيز ، حيث يقول :

أجلُّ مساعيه العناية بالهُدى وغاية مرماه النكايةُ بالعدا[3]

فهو يترسم خطا المتنبي في داليته التي مدح بها سيف الدولة ، ومطلعها :

لكل امرئ من دهره ما تعودا وعادات سيف الدولة الطعن في العدا[4]

على أنّ هذا الترسم والاحتذاء لم يكن مقصوراً على الشعراء المقلدين ، بل شاركهم فيه الشعراء اللاحقون من الأجيال الأخرى ، ولكنه ظهر لدى المقلدين بشكل أوضح ، وبكثرة ملفتة .

ولهم عناية بالمحسنات البديعية ، والصنعة فيها بادية ، بل ومتكلفة أحياناً ، فمن ذلك ظهور بعض المحسنات المجوجة والتي لا تناسب ذوق العصر – في نظري – مثل

(١) التاريخ الأدبي لمنطقة جازان ، محمد أحمد العقيلي : ٣/ ١٥٢١ .
(٢) انظر : الشعر الحديث في المملكة العربية السعودية ، د. عبدالله الحامد : ١٢٣ .
(٣) شعراء الجنوب ، لعلي السنوسي وآخرين : ٢١ ، والمفقود من شعر علي السنوسي ، تحقيق : أبي داهش : ١٢٣ .
(٤) شرح ديوان أبي الطيب المتنبي (معجز أحمد) ، للمعري ، تحقيق : د. عبدالمجيد دياب ٣/ ٣٧٢ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

التشجير والتطريز ، فالشاعر أحمد العطاس يتحدث عن قضية معاصرة ، وهي القضية الأفغانية تجده يعمد إلى التشجير ، فيبني فواتح أبيات القصيدة على أوائل الحروف الهجائية ، فيقول في أولها:

أفغان يا رمز البطولة والكفاح وسليلة الأمجاد من أهل الصلاح
بالعزم والتصميم بالإيمان بالتقـ ـوى وبالبيض الصفاح
تتلمس الآلام وهي محيطة بمجاهدين استبسلوا فوق البطاح (١)

ويظل على هذا المنوال إلى آخر القصيدة ، فيكون آخر بيت فيها مبدوءاً بحرف الياء، وهذا تكلف عفا عليه الزمن .

ونلحظ – أيضاً – الركاكة بادية على بعض أبيات علي السنوسي ؛ بسبب إغراقها في تكلف الجناس والتورية ، في مثل قوله :

قال الخليل لسربه هذا كتابي سرْ به
إلى الخبير بطبّه عبدالرحمن فطب به (٢)

وكما تأثر الشعراء التقليديون بالقدماء في مضامينهم ، من حيث اهتمامهم بالأغراض القديمة تأثروا بهم أيضاً في صورهم ، حيث انداحت إلى أشعارهم التشبيهات القديمة منذ العصر الجاهلي ، وقد أوقعهم ذلك الذوبان في الصور القديمة في بعض المضايق الفنية ، حيث تتردد بعض الأطر التصويرية دون أن يكون لها وجود في الواقع ، والإكثار من أسلوب تضخيم الصورة حتى تغدو غير ملائمة ، ومن ذلك قول علي السنوسي في وصف ليلة طابت وكثر أنسها :

ورأيت فيما قد رأيت عجائباً وغرائبا فاجزم بصدق المخبر
في ليلة هب النسيم مداعباً فيها شماريخ النخيل المثمر

(١) من وحي التأملات : ٣٧ .
(٢) من شعر علي بن محمد السنوسي ، جمع وتحقيق : د. عبدالله أبو داهش : ٧٦ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

في محفل ملأ العيون جماله ببديع رونقه وحسن المنظر
جمع الملاح من المدائن والقرى ما بين بدو سراتها والحضر
من كل غانية تدير لحاظها بتلفّت الظبي الأغن الأحور
وفريدة تحمي بصارم أنفها ثغراً حوى سلسال ماء الكوثر [1]

وإذا كنا نعجب من ذلك النخيل الكثيف المثمر في مدينة جازان الذي لا وجود له في الحقيقة ، فإنَّ عجبنا يزداد من تلك الخريدة التي تحول أنفها إلى سيفٍ صارم يحمي ذلك الثغر العذب الرائق . إنها صورة مذمومة لا نراها إلا في بعض الرسوم (الكاريكاتيريه) أوقعه فيها حرصه على الصور ، والبحث عنها بأي وسيلة .

وبقدر ما أكثر الشعراء التقليديون في شعر المناسبات والمديح قصّروا في الشعر الذاتي الذي يتحدث عما تنبض به أفئدتهم ، ومن يحيط بهم من أهل وأصدقاء وأحباب ، ولم يشذّ عن هذا الواقع سوى شاعرين مقلدين ، هما علي بن مديش بجوي ، وأحمد العطاس ، ناهيك عن الجانب الاجتماعي ، وتصوير قضايا الأمة وآمالها وألامها ، فهذا قليل في شعرهم إذا استثنينا حسن القاضي ، وعليَّ بن قاسم الفيفي ، وأحمد بن علي حمود حبيبي ، وبخاصة الأخير منهم الذي سخر جلَّ شعره لهذا الأمر .

وقد حاول عدد من الشعراء التقليديين الخروج من دائرة التقليد إلى مسايرة روح العصر ، ونبذ بعض أعراف الشعر القديمة ، ولكنهم لم يفلحوا في تلك المحاولات ، ومن هؤلاء علي السنوسي ، وأحمد بن علي عبدالفتاح الحازمي ، وعبدالله بن علي العمودي ، ومن ذلك صنيع الأخير منهم عندما قدّم لإحدى قصائده بقوله : ((هذه المنظومة من مناجاة الطبيعة على طريقة شعر العصر ، ومطلعها :

يا دهر عني لا أريد جمودا حتى أسير إلى اقتناص جهودا [2]

(١) المفقود من شعر علي بن محمد السنوسي ، جمع وتحقيق : د. أبي داهش : ١٤٠ – ١٤١ .
(٢) ديوان عبدالله العمودي – مخطوط – غير مرقم .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

وعلى الرغم من هذا الشعور وتلك الرغبة لم يبدل العمودي في نهجه الأدبي ، حيث ظل مقلداً يحافظ على ثقافته الأدبية الموروثة ، فلقد قتل – فعلاً – ذلك الجمود روح التجديد التي انبعثت عنده وعند بعض أشياعه ، ((**وهذه الطبقة محكومة – كما قدمت – بظروفها ، فلا سبيل لها غير هذا ، فهي لم تتطلع على الحضارة ، وعلى الأفكار الأدبية ، ولم تصل إليها الصحف والمجلات بشكل متواصل ، ولم تتفاعل أفكارها مع أفكار الآخرين**))[1].

وإذا كان علي السنوسي والعمودي وأضرابهما قد حاولوا الخروج من ربقة التقليد ، ولكنهم لم يفلحوا ، فهناك شعراء شاركوا هؤلاء فترة النشأة ، ومرحلة الريادة الشعرية في جازان ، ولكنهم تجاوزوا تلك المرحلة ، ومن هؤلاء محمد بن علي السنوسي ، ومحمد بن أحمد العقيلي ، وعلي بن حسين الفيفي . فقد طور هولاء الشعراء الثلاثة وغيرهم من قدراتهم الأدبية وطاقاتهم الفنية ، وكانوا هم الرواد فعلاً للشعر في جازان ، وعلى أيديهم خطا الشعر خطوات واسعة نحو التطور ومسايرة الحياة الأدبية المعاصرة ، وشاركهم في ذلك شعراء آخرون كما سيأتي الحديث عن جيل المحافظين .

ولا يعني مجيء جيل المحافظين ومن تلاهم من المجددين ، سواء في الشكل أم المضمون رحيل جميع المقلدين أو تلاشيهم ، بل على العكس إنه ما زال إلى اليوم هناك شعراء يحملون روح التقليد ، ويعبرون عنه بكل وضوح ، ومن هؤلاء الشعراء : منصور دماس ، وحسن أبو علة ، وحسين الكريري ، وحسن ضائحي ، وجبران قحل وسواهم . فمجيء جيل لا يعني اندثار الجيل السابق ورحيله ، لكنه يطغى على الساحة، ويمثل الوجهة السائدة ، بل ربما عاشت مجموعة من الاتجاهات والأجيال ، وتعايشت في وقت واحد – كما تقدم – ، وهذا هو الواقع الأدبي فعلاً في جازان ، فلا غرابة – إذن – أن تتلاحق الأيام والسنون ، فنجد في العقدين الأول والثاني من القرن الخامس عشر الهجري من الشعراء من لا يزال يعيش بمعجمه الشعري وصوره وأخيلته في عصر

(١) انظر : أحمد الغزاوي وآثاره الأدبية ، د. مسعد العطوي ، القسم الأول : ٩١ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الضعف الشعري ، أو التقليد الباهت وترديد عبارات لم تعد تناسب ذوق العصر .

ثانياً- المحافظون :

هم الجيل الذي تكوّنت على أيديهم الرؤية الحقيقية والواضحة للشعر في جازان، وشكلوا محطة الانتقال من القديم إلى الجديد ، ومن الاتباع إلى الابتداع ، وزاوجوا بين الشعر التقليدي والشعر الجديد ، فلهم من القديم شعر المناسبات والحوادث اليومية والمديح والديباجة الصافية والأسلوب القديم ، ولهم من الجديد تنوع الموضوعات والالتحام بقضايا الأمة ، وطرق موضوعات الشعر الاجتماعي والوصف والتأمل ، والحديث عن الذات ، والتعبير عن الوجدان ، وطرق شتى الأغراض .

وقد اختلفت تسميات النقاد لهذا التيار ، فتارة يسمون بالمعتدلين أو المتوسطين [١]، وأخرى يوصفون بذوي الكلاسيكية الحية أو الجديدة [٢] ، أو بشعراء التجديد المحافظ [٣] ، أو بالشعراء المخضرمين [٤] ، أو النزعة التقليدية الحديثة [٥] ، أو شعراء المزاوجة [٦] .

وهي أسماء مختلفة لمفهوم واحد ، عاش في أجوائه كثير من شعراء جازان ، وكان من أبرزهم : محمد بن علي السنوسي ، ومحمد بن أحمد العقيلي ، وعلي بن حسين الفيفي ، وعلي بن أحمد النعمي وغيرهم ، وهؤلاء الشعراء يتفاوتون في شاعريتهم ومواهبهم ، ولكنهم يشتركون جميعاً في المحافظة على عمود الشعر ، مع تجديدهم في كثير من الأغراض ، وطرقهم لموضوعات شتى لم يألفها القدماء ، متأثرين في ذلك بالمذاهب الأدبية الحديثة .

(١) انظر : الشعر الحديث في المملكة العربية السعودية ، د. عبدالله الحامد : ١٥٤ .
(٢) انظر : التيارات الأدبية في قلب الجزيرة العربية ، عبدالله عبدالجبار : ٢٥٩ .
(٣) انظر : المذاهب الأدبية في الشعر الحديث لجنوب المملكة العربية السعودية ، د. علي صبح : ٦٧ .
(٤) انظر : الشعر الحديث في المملكة ، د. عبدالله الحامد : ١٥٤ .
(٥) انظر : الحركة الأدبية ، د. بكري شيخ أمين : ٣٨٠ .
(٦) انظر : التيارات الفنية في الشعر السعودي الحديث ، للدكتور طلعت صبح : ١٩٢ – ١٩٣ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

وأغلب الشعراء المحافظين كانت بداياتهم مقلدة ، ثم بعد ذلك أخذوا بأسبابٍ جديدة، وانفتحوا على الشعر المعاصر ، فالعقيلي مثلاً بدأ حياته الشعرية بالاحتذاء والمعارضة، وتتبع قصائد القدماء المشهورة يبني على منوالها ، استمع إليه يصف البحر ، فيقول :

يرتد حولك كالسوار وينثني لهثاً يردد زفرة حمراء

يلتفّ كالأهداب زان فتونها وطف يفيض السحر والإغراء[1]

فهو في هذين البيتين يحاكي ابن خفاجة في وصفه للنهر ، ولم يأت بأي جديد ، يقول ابن خفاجة :

متعطّف مثل السوار كأنه والزهر يكنفه مجر سماء

وغدت تحف به الغصون كأنها هدب يحف بمقلة زرقاء[2]

ولا يعني هذا أنَّ العقيلي أهمل المفيد من أدب عصره وثقافته ، بل كان شأنه مثل شأن معاصره محمد بن علي السنوسي في الميل نحو الانفتاح على العصر ، والأخذ بالجديد المفيد ، باتزانٍ وروية وتأنٍّ وبعدٍ عن القفز على القدرات الحقيقية من أجل التجديد ليس إلاّ.

ولعل البدايات التقليدية لهؤلاء الشعراء هي التي جعلت بعض النقاد يحكمون على أشعارهم بالميل إلى النزعة التقليدية والعيش في كهوف الماضي ، ومن هؤلاء الدكتور حسن الهويمل عندما حكم على السنوسي بقوله : ((**قلت في المنهل إنه أي السنوسي كلاسيكي محافظ على الشكل وقليل من المضمون ، وحتى الساعة وإلى قيام الساعة لا أزال عند قولي ، فلقد قرأت الديوان فوجدت فيه الشاعر العربي البعيد كل البعد عن الآداب الحديثة غربيها وعربيها، وكان شاعراً حقا ، ولكن ما يزال يعيش في كهوف الماضي**)) [3] .

(١) المجموعة الشعرية : ٢٦٤ .

(٢) ديوان ابن خفاجة ، عناية كرم البستاني : ١١ .

(٣) مع شاعر الجنوب ، حسن الهويمل ، الرائد ، ع ١٣٧ ، س ٤ ، الاثنين ٣٠/ ٥/ ١٣٨٢هـ ، ص : ٤ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وأظنّ أنَّ الهويمل نظر حينها إلى ديوانٍ واحد من دواوين السنوسي ، ويؤكد هذا تعريف كلمة الديوان عندما قال : (قرأت الديوان) ، أي الديوان المعهود حينذاك سنة ١٣٨٢هـ ، ولو أنه أصدر هذا الحكم بعد سنة ١٤٠٢هـ بعد أن نشر الشاعر مجموعته الشعرية الكاملة لغير رأيه ، ومثل هذه الأحكام لا يقبل فيها التعميم الذي ينقصه الاستقصاء، وإلا فالسنوسي من أكبر الشعراء السعوديين المعاصرين اطلاعاً على الجديد في الساحة الأدبية، ولكنه أخذ ما يلائم تجاربه الخاصة ، وما يناسب مقاساته ، ولم يكن مخادعاً لنفسه حتى يلبسها ثياباً لا تناسبها كما فعل غيره ، وكما سيأتي فقد تأثر السنوسي بمدرسة شوقي تأثراً كبيراً ، ولم يكن تأثره بهذه المدرسة فحسب ، وإنما تأثر – أيضاً – بجماعة أبولو ، وبشعراء آخرين من الوطن العربي الكبير كالجواهري ، والشابي ، وبغيرهما من الشعراء المؤثرين [١] ، ولم تكن ريادته قاصرة على التأثر ، وإنما جمعت إلى ذلك التميز والتفرد في أشياء كثيرة [٢] . وقد علل الدكتور محمود شاكر سعيد نزوع السنوسي إلى ذلك التقليد في بداياته الشعرية بأنه أراد تأكيد قدراته وموهبته ومسايرة التيار الإحيائي السائد آنذاك ، فقال: ((**أما السنوسي فقد نهج في بداية حياته الشعرية منهج التيار الإحيائي الذي يقوم على تقليد لغة التراث ، حيث الجزالة والرصانة ، ويبدو ذلك في بواكير نتاجه حين أراد أن يؤكد موهبته وقدرته الشعرية أمام معاصريه**)) [٣] .

ويسري ما قيل في العقيلي والسنوسي على سائر شعراء هذا الاتجاه ، حيث خضعوا في تجاربهم الشعرية لاتجاهين مهمين ، الأول تمثله الحركة الإحيائية المعهودة التي ظهرت في مصر ، ((**والاتجاه الثاني الذي تمثله الحركة الرومانسية والمدرسة الوجدانية – في مصر أيضاً – ، إذ كان هذا الشعر وتلك التجارب تحافظ على عمود**

(١) انظر : فصول حول الأدب ، د. عبدالله الحامد : ٦١ – ٦٧ .
(٢) سنعرض لها في الدراسة الفنية إن شاء الله .
(٣) محمد علي السنوسي شاعراً ، محمود شاكر سعيد : ١٤٢ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

الشعر المعهود ، ويأخذ بأسباب سمات هاتين المدرستين السابقتين ، فيما اختصتا به من مظاهر التقليد والمحاذاة والتجديد والتطور))[1].

وإذا أردنا أن نتعرف على أهم المؤثرات في شعراء هذا التيار المحافظ في جازان التي كونت أطره ، وشكلت معالمه فإننا نجد أنَّ تطلّعهم إلى معرفة ما يدور في بيئة الحجاز القريبة منهم ، وهي بيئة سبقت سائر بيئات الجزيرة العربية نحو تقبل الجديد من معالم الحياة الأدبية في مصر والشام التي وفدت مع سائر ما وفد من هناك ، واطلاع أدباء جازان على ذلك كان بفعل المتابعة الفاعلة للصحف الحجازية ، ومعرفة ما يدور فيها من نقاش حول الأفكار الجديدة ، وما كان يدور آنذاك من معارك أدبية في مصر والشام فوعى بعض الشعراء ذلك الواقع ، وتأثروا به ، ومضوا يحاكونه ، ويعبرون عن مواقفهم ويترجمون ذلك شعراً .

وتعدّ مدرسة الشعر الحديث المحافظة التي امتدت أطنابها من البارودي إلى الجواهري ، وشوقي أكبر شعرائها ، ثم حافظ إبراهيم والأسمر في مصر ، والزهاوي والرصافي في العراق، والخطيب وبدوي الجبل في الشام ، وكما يقول بعض النقاد : إنّ أي شاعر في هذا العصر لم يكب على ديوان شوقي فهو غير شاعر ، ومن الأمثلة على تأثر شعراء جازان بهذه المدرسة قصيدة (المشاعر المقدسة) [2] للعقيلي التي تأثر فيها بسينية شوقي في وصف الأندلس ، وقصيدته في رثاء الملك عبدالعزيز [3] التي عارض فيها شوقياً في رثاء الحسين بن علي ، وقصائد السنوسي الكثيرة التي تتبّع فيها خطا شوقي مثل وصف الربيع وغيره ، كما سيأتي عند الحديث عن التأثر والتأثير في مبحث (المعاني) [4] ،

(١) أضواء على الشعر السعودي ، علي أحمد الشحات ، المجلة العربية ، ع ١١٨ ، س ١١ ، ذو القعدة ١٤٠٧هـ : ٢٦ ، نقلاً عن : نشأة الأدب في جنوبي المملكة ، د. عبدالله أبو داهش : ١٤٢ .

(٢) انظر : المجموعة الشعرية للعقيلي : ٣١٣ .

(٣) المصدر السابق : ٢٥٧ .

(٤) انظر : الشعر الحديث في المملكة العربية السعودية ، د. عبدالله الحامد : ٦٩ ، والنزعة الإسلامية في الشعر السعودي المعاصر ، د. حسن الهويمل : ٣٩٧ – ٣٩٨ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

فقد مضى السنوسي والعقيلي وأضرابهما يعبّون من معين الشعر القديم في عصوره الزاهية، وأخذوا ينظمون في الاتجاهات الإسلامية والاجتماعية والوطنية ، كما أخذوا يتأنقون في أسلوب القصيدة ، ويعطونها كل ما لديهم من قيم فكرية وفنية .

والذي ينظر في قصائد شعراء جازان المنضوية تحت هذا الاتجاه المحافظ ، يرى أثر مدرسة المحافظين المعاصرة فيهم في ارتقائهم باللفظة والعبارة من الضعف والابتذال إلى صحة التركيب وقوته ، كما يرى الابتعاد عن تكلف البديع إلى الرصانة ، ووضوح التجربة وصدقها وعفويتها .

وظهر أيضاً عند الشعراء المحافظين في جازان تأثرهم بالرومانسيين ، فلم يعد التقيد بموضوعات بعينها هو المهم عندهم ، قدر أهمية بناء الحدث الشعري من ذلك الموضوع . ولذلك رأيناهم يجاورون الرومانسيين في الكثير من الموضوعات الطبيعية والذاتية ، مع احتفاظهم بخصوصياتهم التي أضفوها على نتاجهم الإبداعي . ثم وصولهم إلى طرق مواقف جديدة لم تكن مطروقة من قبل ، فمن يقرأ أشعار محمد بن علي السنوسي ، وعلي بن أحمد النعمي ، ومحمد الشنقيطي ، وسواهم يحس الأثر الرومانسي في أعلى صوره ؛ جمال في الروح، وسمو في الحب ، ورؤى كلها ذاتية ، يجسّدون فيها مواقفهم ، ويعبرون فيها عن كل ما يختلج في نفوسهم ، وهم يقفون حيال قضاياهم كلها مواقف تتسم بالشكوى لاسيما الشاعران الأخيران النعمي والشنقيطي ، وتغلف أشعارهم بأحاسيس الغربة والحنين ، شأنهم في ذلك شأن الشعراء الوجدانيين ، ومن الأمثلة على هذا التأثر الواضح في أشعار علي النعمي قوله في قصيدة (نغمات كئيبة) :

جئت إلى الدنيا ولي مأمل فغاله الدهر !! ولم أسعد
تحطمت قيثارتي وانمحت أسطورة الأضواء عن معهدي
أراقب الأفلاك أستلُّ من خيوطها ذكرى شبابي الندي

إلى أن يقول :

شبكة الألوكة - قسم الكتب

أحسُّ في روحي دبيب الأسى ورعشة الآلام تعلو يدي
أعايشُ الأنَّاتِ في هولها وفي عُباب الشِّقْوة المُزبدِ
غير كؤوسِ الآه ما أحتسي وغير ثوبِ الحُزنِ لم أرتدِ
وصورة المقدور يا شؤمَها تدوس يومي ثم تخفي غدي[1]

ويظهر أيضاً ذلك التأثر بالاتجاه الوجداني الحديث المنبثق من الرومانسية المعاصرة ماجاء في قصيدة (شراع ولا ريح) لمحمد الشنقيطي ، حيث يعزز مفهوم الهروب ، والإحساس بالكآبة والرغبة في عالم آخر يعيش فيه حيث السعادة والهناء ، فيقول :

أمواجُ قلبي إلى الإبحار تائقةٌ والبحر في مدّه قد صار مجرورا
يا ريحُ إني أرى في البعد يابسةً أرى بها موعدي الدِّفء والنورا
جزيرةُ الحُلُمِ الفيحاء باسمةٌ لا إنس فيها إذا لا ظلمَ لا جورا
خذني إليها وخذ خِلِّي لموعدنا خُلْدٌ هناك علينا بات محصورا[2]

كما ظهر في أشعار المحافظين في جازان تأثرهم بالتجربة الشعرية التي أثرت بها الساحة جماعة (أبلو) كما سماها أعضاؤها ، وعند هؤلاء لم تعد القصيدة استجابة طارئة، أو حالة نفسية عارضة ، بل صارت تجربة تنبع من أعماق الشاعر ، كما اهتموا بالوحدة العضوية ، فصارت القصيدة عندهم عملاً فنياً متكاملاً ، ويعد التعبير بالصورة أحد المأثورات الفنية عنهم ، حيث تنتقل القصيدة عند جماعة (أبلو) من تعبير بالألفاظ والجمل إلى تعبير بالصورة الشعرية ، وشاعت لديهم عاطفة الحب ، والولوع بالطبيعة والهيام الشديد بها ، وشاعت لديهم – أيضاً– نزعة الحرمان ، فألفوا الحزن والكآبة والسقم ، وكثر الحديث عن الموت والحياة ، والفناء والعدم ، إلى غير ذلك من ألوان التشاؤم[3] .

(١) جراح قلب : ١٤٦ – ١٤٧ .
(٢) خلف أسراب البجع : ٣٠ – ٣١ .
(٣) انظر : الأدب العربي الحديث ، د. محمد عبدالمنعم خفاجي : ٢/ ٢٤ – ٣٥ ، والاتجاه الابتداعي في الشعر السعودي ، محمد حمود حبيبي : ١ / ٣٠ – ٣١ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ولو مضينا نتتبع تأثر شعراء جازان المحافظين بشعراء أبولو ، لوجدنا كثيراً من الأمثلة، ولكن حسبنا هنا أن نشير إلى أنموذجين ، أولهما تأثر الشاعر محمد بن علي السنوسي في قصيدته (يا ربيع الحياة) ، حيث يقول :

يا ربيع الحياة أين ربيعي ... أين أحلام يقظتي وهجوعي
أين يا رائع الشبيبة أما ... ل شبابي وأمنيات يفوعي
أين يا شاعر الطبيعة لحن ... صاغه القلب من هواه الرفيع
رددته مشاعري وأماني (م) ورفت به حفايا ضلوعي
يا ربيع الحياة ما لحياتي ... لونها واحد بلا تنويع؟
لا شتاء ولا ربيع سوى الصيـ ... ـف سوى الصيف في لظاه الفظيع[1]

فإنها متأثرة تأثراً كبيراً وواضحاً بقصيدة أبي القاسم الشابي (الأشواق التائهة) التي يقول فيها :

يا صميمَ الحياة ! إنّي وحيدٌ ... مدلجٌ تائهٌ فأين شروقُكْ؟
يا صميمَ الحياة إني فؤادٌ ... ضائعٌ ، ظاميٌ ، فأين رحيقكْ؟
يا صميمَ الحياة! قد وجَمَ النَّايُ ... وغام الفضا . فأين بروقكْ؟
يا صميم الحياة ! أين أغانيك ... فتحت النجوم يُصغي مشوقكْ؟[2]

وثاني ذينك الأنموذجين قصيدة محمد أحمد العقيلي – وهو أحد رموز المحافظة في جازان – (كنتِ يا دار) ، التي يقول فيها :

كنتِ يا دار على رغم البلى ... هيكل الحب ومحراب الهوى
حرَماً للحسن قد شع على ... ساحة الطهر وقد حام السنا

(١) الأعمال الكاملة : ٤٠١ – ٤٠٢ .
(٢) ديوان أبي القاسم الشابي : ٢٨١ – ٢٨٢ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

أيـــن روّادك يـــا دار وقـــد　　عربـد الكـأس وقـد حُـلّ الـوتر
وتجلّـــت فـــتنُ الـــدنيا علـــى　　أغيـــدٍ يأســـر ألبـــاب البـــشر[1]

فهي متأثرة بدرجة كبيرة بقصيدة (العودة) لإبراهيم ناجي أحد أكبر شعراء أبولو ، وقد بلغ التأثر حدَّ السطو على المعاني وتمثلها ، ومن ذلك ما جاء في المقطعين السابقين للعقيلي ، نلمح فيهما شيئاً من مقطعي ناجي في قصيدته ، حيث يقول :

هـــذه الكعبـــة كنـــا طائفيهـــا　　والمـــصلين صباحـــاً ومـــساء
كـم سـجدنا وعبـدنا الحسن فيها　　كيـــف بـــالله رجعنـــا غربـــاء[2]

وقوله :

أيـــن ناديـــك وأيـــن الـــسمرُ　　أيـــن أهلـــوك بـــساطاً ونـــدامى
كلمـــا أرســـلتُ عينـــي تنظـــرُ　　وثـــب الـــدمع إلى عينـــي وغامـــا[3]

غير أنَّ العقيلي خفف من غلواء ناجي في مقطعة الأول ، وتجنّب ما وقع فيه من انحراف المجازفة على بعض الألفاظ المقدسة التي لا يليق بها عرضها في مثل هذا السياق .

أمّا أهم ما يميز شعر المحافظين في جازان ، فهو أنَّه أجود ما قيل من الشعر حتى الآن في جازان ، سواء أكان في تنّوع الموضوع ، أم في الصياغة ، أم التأثر بحركات التجديد في البلاد العربية ، أم استقلال الشخصية الأدبية التي ظهرت على أيديهم ، أم في كثرة الشعر والشعراء، فهم جيل القاعدة العريضة ، وهم – في الوقت نفسه – جيل التطلع والنضج الذين بلغ بهم الشعر قمته .

وقد غلب على شعر كثير من شعراء هذا الاتجاه شعر الحماسة والشعر الوطني والاجتماعي، وسبب ذلك ما ظلل الحياة العربية من مشاعر تلت النكبة والنكسة ، وما

(١) المجموعة الشعرية ، للعقيلي : ٤٠٣ .
(٢) ديوان إبراهيم ناجي : ١٣ .
(٣) المصدر السابق : ١٤ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

بينهما من أحداث ، مشاعر الألم والحزن ، وشحذ الهمم واستنهاضها ، والدعوة إلى إعداد العدة لبناء حاضر أفضل .

ولشعراء هذا الاتجاه حنين إلى القديم ، وامتزاج معه في أسلوب الشعر ، أو تكرار لبعض صوره ، فهم كالشعراء المقلدين متأثرون بالقدامي ، ولكن الفرق بينهما في التأثر هو أنَّ المقلدين كان تأثرهم بشعر المناسبات . وأما هؤلاء المحافظون فكان تأثرهم أكثر اتساعاً ، إذ شمل أغراضاً كثيرة ، إذ تأثروا بقصائد العاطفة الجياشة ، وميزة أخرى ميزت تأثرهم ، إذ أن قصائدهم أعمق احتواء للشعر القديم ، لاتذوب فيه ، بل تختار أطره ، وتجدد في مضامينها مع قدرة واضحة على احتواء التجربة ، ونجاح في الاستعانة بالعاطفة أو التصوير لإخفاء مسارب التأثر [1] .

وأغلب الشعراء المحافظين في جازان قالوا في المناسبات لا سيما المديح ، وأكثرهم العقيلي والسنوسي والنعمي ، ولكنهم لم يغالوا في ذلك غلو المقلدين ، وبإمكاننا أن نتلمس الفرق بين الاتجاهين من خلال عند مقارنة بين نصين في موضوع واحدٍ لشاعرين أحدهما مقلد والآخر محافظ ، ولتكن بين علي السنوسي الذي مثل تيّار التقليد وابنه محمد الذي قاد جيل المحافظة والانطلاق به إلى الشعر المعاصر .

مدح الشاعر علي السنوسي الملك عبدالعزيز بقصيدته الرائية التي مرَّ معنا من قبل شيء منها ، وفيها يقول :

عبدالعزيز أدام الله دولته ... في المشرقين إلى أن تنقضي الدهر
ولم يدع من خصال المجد منقبة ... لناشيء من بني الأيام تعتبر
وأخمل الذكر من كل الملوك فما ... يحلو الحديث بهم يوما وإن ذكروا
ومفرد بالمعالي جاء منحصرا ... في نعته المبتدا المرفوع والخبر [2]

(١) انظر : الشعر الحديث في المملكة العربية السعودية ، د. عبدالله الحامد : ١٥٨ – ١٦٢ .
(٢) التيارات الأدبية في قلب الجزيرة العربية ، عبدالله عبدالجبار : ٢٥٠ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

بينما نجد ابنه محمد السنوسي يمدح الملك عبدالعزيز بقوله :

يـا سيـد الـصحراء جللهـا الحيـا وسقى مرابعها الـسحاب الغيـدقُ
خليـت مـــن الأنهـــار إلا أنهـــا ذهبـاً تفيـض وعـسجداً تتـدفقُ
غـبرت بهـا الأيـام .. لم يكـشف لهـا ســرٌّ ولم يفــتح عليهـــا مغلـــقُ
وتكـــبّرت إلا عليـــك ؛ لأنهـــا وجـدتك تعطي باليـدين وتغـدقُ[1]

فإننا بعد النظر في هذين الأنموذجين نجد الفرق جلياً بين الشاعرين اللذين يمثلان جيلين مختلفين في طريقةعرض شعر المناسبة أو المدحة ، فالسنوسي الابن تتميز مدحته بالتجديد في المعاني ، وتجمع مع ذلك الرقة والدقة ، والمزاوجة بين الأسلوب الجميل وعمود الشعر ، مع الإشارة إلى مستحدثات العصر وتسخيرها لخدمة الموضوع ، مثل اكتشاف النفط وتسخيره لتطوير الحياة في البلاد الناشئة ، وكل ذلك بأسلوب مقنع يقبله العقل ، بخلاف قصيدة والده علي السنوسي التي تغلب عليها المبالغة بأسلوب قد لا يرضى به الممدوح ، وتغلب عليها النزعة التعليمية ، فالقصيدة من أول بيتٍ إلى آخر بيت تبدو عليها الصنعة ، ففي أول بيت جعل القافية كلمة (الدُّهُر) ، وهي جمع دهر ، فيها ثقلٌ واضح ، مع اضطرار القافية لهذا الجمع بدلاً من (دهور) ، كذلك الإطلاق والتعميم ، حيث جعل الممدوح فرداً لا يشاركه في خصال المجد بشر ، وكان الأجدى أن يحدّد ويخصص تلك الخصال ، كما فعل ابنه محمد في حديثه عن قدرة الممدوح على توحيد الجزيرة واستخراج كنوزها ، ويظهر التكلف – أيضاً – في إقحام المصطلحات ولغة العلم ، مع عدم ظهور العاطفة بحراراتها الصادقة . ولكن ينبغي أن لا يفهم من هذا أنَّ شعر علي السنوسي كله على هذه الشاكلة ، وإنما هذا مثال أردنا أن نبين مدى الهوّة الواسعة بين الجيلين في عرض شعر المناسبة ، حيث افتقدت الإحساس عند المقلدين ، بينما استطاع المحافظون المشاركة في كثير من المناسبات بصدق وعمق ، وسهولة في الأسلوب ، فها هو

(١) شعراء الجنوب ، للسنوسي وآخرين : ٣٤ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

محمد بن علي السنوسي يرثي أحد أصدقائه رثاءً صادقاً لم نسمع فيه انتشار الكواكب ، أو تجهم السماء وظلامها ، - كما هو الحال لدى المقلدين [1] - يقول محمد السنوسي راثياً :

راعني روعة كأني لم أسـ ـمع بميْتٍ ولم أزر قطّ قبرا
واستفاض الأسى يمزّق أحشا ئي وروحي ويعصر القلب عصرا
يا صديقي ما كان أعظمُ رزْئي بك في رحلتي غدوًّا ومسرى
كنت في خاطري رجاء فأصبحـ ت عزاءً وصرت طيفاً وذكرى
بخل الدهر أن أراك عياناً عائداً أجتلي محياك بِشرا[2]

وقد استحق السنوسي وأمثاله من شعراء هذا الاتجاه المحافظ الذي راعى أصول الشعر وعموديته ، وأخذ من الشعر المعاصر ونظرياته ما يوافق واقعه وقدراته ، استحقوا أن يسموا (بشعراء الصحوة) يقول الدكتور بدوي طبانة : ((**وإنما استحق هؤلاء الشعراء أن يكونوا (شعراء الصحوة) ؛ لأنني قرأت شيئاً من نتاج الفترة التي سبقتهم ، فلم أجد في أكثره ما يدل على طبع أصيل ، أو يعبّر عن عاطفة صادقة ، وإنما وجدت كلاماً أشبه بالنظم الذي لا ماء فيه، ولا شيئاً من خصائص الشعر الحيّ الذي يحرك القلوب ، ويهز مكامن الشعور ، وليس فيه من قوة الأسر أو روعة الأداء أو فخامة المعنى أو جودة التصوير ما يحملك على أن تلحقه بقديم موروث ، أو بمتدع جديد**)) [3] .

ومن أهم الميزات التي خالف بها هؤلاء المحافظون من سبقهم ، هي التصاق أغلبهم بشؤون بلادهم ومجتمعهم ، يناقشون مشكلاته ، ويتحدثون عن آماله وآلامه ، وهم في هذا الجانب قد خطوا خطوة لم يحاول المقلدون الاقتراب منها ، ومن أشهر شعراء جازان المحافظين طرقاً لهذا الباب علي بن حسين الفيفي ، وعلي بن أحمد النعمي [4] .

---

(١) انظر : الشعر الحديث في المملكة العربية السعودية ، د. عبدالله الحامد : ١٦٦ .

(٢) الأعمال الكاملة ، للسنوسي : ٢٨٥ – ٢٨٨ . وقد تجاوز الشاعر هنا في قوله : (بخل الدهر) إذ في كلامه شيء من سبّ الدهر ، لعل الشاعر لم يفطن له .

(٣) من أعلام الشعر السعودي ، د. بدوي طبانة : ٢٠ .

(٤) سبق تفصيل ذلك عند الحديث عن الاتجاه الاجتماعي في الباب الأول .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

ومن مميزاتهم – أيضاً- اعتمادهم القافية الواحدة والبحر الواحد ، ولكثير منهم قصائد منوعة القوافي ، ولم يلج في تنويع البحور منهم في القصيدة الواحدة سوى علي بن حسين الفيفي ، ومحمد بن أحمد الشنقيطي . وقد فاق المحافظون من قبلهم ومن بعدهم في ندرة الأخطاء العروضية ؛ وسبب ذلك هو تمرّسهم بأوزان الشعر القديم ، وسلامة الذوق الموسيقي لديهم [1] .

وعموماً فقد خالف الشعراء المحافظون في جازان الجيل الذي سبقهم من المقلدين في كل شيء في القصيدة تقريباً ، في اللفظ والأسلوب ، والموسيقا والنغم ، والعاطفة والتجربة ، والخيال والصورة الشعرية ، وفي الفكرة والموضوع ، وفي روح الشعر وإحساس الشاعر بذاته، ومن ثم استحالت القصيدة على أيديهم إلى كائن حيّ تجري فيه الدماء ، وتتدفق فيه الحياة ، ويسري في جوانبه وهج الشعر وحيويته المؤثرة .

ثالثاً - المزاوجون بين المحافظة والتجديد (شعراء التفعيلة) :

إذا كان المحافظون الذين تعرفنا عليهم قد شكلوا محطة الانتقال من القديم إلى الجديد، ومن الاتباع إلى الابتداع ، وزاوجوا بين الشعر التقليدي والشعر الجديد ، وكان لهم من القديم شعر المناسبات والمديح والديباجة الصافية والأسلوب القديم ، ولهم من الجديد تنوع الموضوعات والالتحام بقضايا الأمة ، وطرق موضوعات الشعر الاجتماعي والوصف والتأمل، والحديث عن الذات والتعبير عن الوجدان ، فإنَّ هناك شعراء شاركوا هذا الاتجاه صنيعه ، ثم أضافوا عليه قفزة كبيرة في عالم الشعر الجديد ، لا سيما تجديدهم في شكل القصيدة وبنائها الموسيقي ، ولذا فقد ارتضيتُ – كما ارتضى غيري من قبل – تسمية الأولين بالمحافظين ، وتسمية هؤلاء المجددين بالمزاوجين بين المحافظة والتجديد ، ولم أشأ أن أسميهم بالمجددين فحسب ؛ لأن هذه التسمية قد تلغي تجديد من سبقهم ، وفي الوقت ذاته قد تصرف منهم معالم المحافظة التي وجدت في شعرهم بكل وضوح .

ولا نغالي إذا قلنا : إن شعراء المزاوجة قد ظهر منهم الشاعر المجدد ، الموغل في

(١) سيأتي تفصيل ذلك – إن شاء الله – في مبحث الموسيقى .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

التجديد المحاول – بفعل التأثيرات المتعددة – نقل الشعر إلى ميادين أخرى ، سواء في الأسلوب ، أم في الأوزان ، أم في الأغراض ، أمثال أحمد الحربي ، وحسين النجمي ، وهناك من اعتدل في تجديده ، وتوسط في تجاربه المنضوية تحت هذا الاتجاه ، ومع هذا فقد أبدعوا في محاولاتهم التجديدية ، مثل أحمد البهكلي ، وإبراهيم مفتاح ، وإبراهيم صعابي ، وعلي صيقل وغيرهم . ولهذه الروح المعتدلة فإن بعض الدراسين ينظرون من زاويتها ، فيدرجون بعض الشعراء في الاتجاه المحافظ كالبهكلي – مثلاً – عدّه الأستاذ عبدالله بن إدريس في المحافظين ، وذلك في قوله عند تقديم ديوان أول الغيث : ((**وعلى قارئ هذا الديوان أن لا تأخذه النظرة إلى العنوان ، فيجعله مقياسًا على محتواه تقليدياً ، فالعنوان –حقًّا– تقليدي مغرق في تقليديته ، إذ هو جزء من مثل عربي سائر هو قول العرب (أول الغيث قطر ثم ينهمر) ، وليس الشاعر تقليدياً – كما يعبر الحداثيون – بل هو محافظ على سمات الشعر العربي الأصيل .. والمحافظة شيء غير التقليد ، وحبذا لو تنبه الجميع إلى هذا الفرق بينهما ، وإلا فهل يوجد من يقول أن الجواهري وأبا ريشة والبردوني شعراء تقليديون بحكم محافظتهم على موسيقا الشعر وسماته العربية من وزن وقافية وسلامة أسلوب ووضوح رؤية**)) [1] .

وهذا الاتجاه كان ثمرة من ثمار التجديد في الأدب السعودي التي نجمت عن الصراع بين القديم والجديد ، حيث فتح هؤلاء الشعراء أعينهم على المعارك الأدبية القائمة بين جيل يرى أهمية المحافظة على عمود الشعر ، وآخر يرى الانطلاق والتحرر من كل قيود الشعر ، والرحلة به إلى عالم الجدة ، والدخول إلى عالم الوعي الجديد بالعملية الشعرية . ومن ثم بدأ هذا الجيل يفتش عن سر الجمال في الصورة والدعوة إلى الوحدة العضوية ، ومضوا يتلقفون الدعوات التي تقول : إن الأدب أكبر من التسلية والترفيه ، وأنّ الأديب لا بدّ أن يتفاعل مع روح العصر ، ويعبر عن واقع ثقافته وبيئته ، وينطق برسالته دون أن يتقيد الأديب بالأشكال والمضامين القديمة متى ما كانت وسيلة

(١) أول الغيث ، البهكلي : ٨ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

ناجحة لتأدية رسالة الأدب ، فكانت هذه الدعوات شرارة الانطلاقة نحو الثورة الشعرية ، الثورة على كل المفاهيم التي لا تتمشى مع العصر في نظرهم ، وهذه المفاهيم الجديدة التي اطلعوا عليها كانت سائدة آنذاك في الساحة الأدبية في المملكة ، إنها دعوات محمد حسن عواد ورفاقه ، فهو الذي يقول : ((**إن مقياس الشعر الصحيح والشعر الحيّ هو أن يغمر النفس بالإعجاب ، ويحفزها إلى إفاضة الثناء على الشاعر حين يقرأه القارئ ، وهو مسترسل في عالم النفس التي تقدر القوة ، وتؤمن بعظمة الصدق ، وروعة الفن ، وهو ذلك الذي يستشف الفكر من وراء نغماته وموسيقاه أجمل معابر النفس الإنسانية إلى آفاق الكمال البشري ، ولا يعني الشعر أن يكون ألفاظاً ومعاني ، وإنما الشعر أمر آخر وراء الألفاظ والمعاني وفوق الأفكار والتعابير**)) [1] ، وبهذا الوعي الجديد لمفهوم الشعر الجديد أخذ الشعراء الشباب ، حيث شدهم هذا اللون الذي يلذ مذاقه ، ويعذب سماعه ، إذ يقول حسن الهويمل : ((**وتقاطرت تلك التجارب الجديدة من كل أفق ، وتدافع الشعراء الشباب يجوسون خلال تلك المعطيات ... يتفحصون أشكالها وألوانها . لقد عرفوا أن أشياء كثيرة قد فاتتهم ، وأنهم بتجاربهم الماضية قد عطّلوا الكثير من رسالة الشعر (في نظرهم) وتنفّس الشعراء الشباب بشيء من حرية البناء الفني**)) [2] .

ولذا لو تأملنا مفهوم الشعر عند أحمد البهكلي فإننا نجده ينطلق من هذه النظرة الجديدة نحو رسالة الشعر ، إذ يقول في قصيدته (عجين النار) :

الشعر عندي الورد إن فتّحا ... الشعرُ عندي الورد إن صوّحا
الشعر عندي الحزن إذ يرتمي ... غمامة تحجبُ شمس الضُّحى
الشعر عندي الفرح الـ(يحتوي) ... قلبين طول العمر لم يفرحا

---

(١) الأدب الحجازي بين التقليد والتجديد ، د. إبراهيم الفوزان ٣/ ٩٤٣ ، وانظر : ديوان العواد (ديوان في الأفق الملتهب) ٢/ ٦٢ ، والاتجاه الابتداعي في الشعر السعودي ، محمد حبيبي ١/ ٣٨ .

(٢) اتجاهات الشعر المعاصر في نجد ، د. حسن الهويمل : ٢١٧ بتصرف .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الـشعر ذوبٌ شهقـه رعـشةٌ إذا ادكرنـا صحبنـا النّزّحـا
الـشعر عـينٌ سـفحت دمعهـا تبكـي دم الإنـسان أن يُـسفحا
الـشعر عنـدي لـيس أنـشوطةً ألهـو بهـا كـلا ولا مَرْبحـا
قبـل اجتيـاح الـشعر تجتاحـني كآبـةٌ أشتـاق أن أفرحـا
تـصطفُّ في جمجمـتي أوجـهٌ غريبـةٌ تكتـب لي مـا امَّحـى

إلى أن يقول :

حـتى إذا مـا غـاب وعيـي بهـا وحـارت العينـان أن تلمحـا
والتقـت الذاتـان ذاتـي أنـا وذاتُ شيء مثل (برق امصحا)
بيـنهما الفكـرة تـضنى كمـا سمـسمة مـا بـين قطبـي رحـا
كـن فيكـون الـشعرُ مـا لي يـدٌ فيـه ولا أمـلك كـي أمنحـا
مـا لم تـزفّ الـشعر غيبوبـةٌ واعيـةٌ تقـدرُ أن تُفـصحا
فالـشعر يبقـى دُميـةً نكتـةً أولى بهـا منَّـا ندامـى جُحـا[1]

وإضافة إلى استيعابهم للمدارس النقدية المحلية ، فإنهم قد اطلعوا وتأثروا تأثراً واضحاً بالمدارس الأدبية الحديثة في الوطن العربي ، وكان تأثرهم أشد من تأثر الشعراء المحافظين ، حيث تركت هذه المدارس سماتها وأصباغها على شعر كثير منهم .

ولعل أهم تلك المدارس هي المدرسة الابتداعية (الرومانسية) ، حيث أثرت فيهم بمفاهيمها ومعالمها ، فنزعت أشعارهم إلى الفردية والذاتية ، والخلو بالنفس ، والشعور بالوحدة ، والحزن ، والتماس إيناس تلك الوحدة عن طريق الشعر ، وموسيقاه الحالمة الآتية من مصدر خفي ، فالزمن لم يعد زمن حب وتعايش ، وإنما صار زمن موت كما يقول إبرهيم صعابي في قصيدة (القتيل) :

(١) أول الغيث : ١٤ - ١٦ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

أسفر الفجر عن قلوب خوالي تحسب اليأس والهموم تسالي
كيف يحيا الإنسان في زمن الـ ـموت ويرسو بشاطئ الاغتيالِ[1]

بل لقد سيطر الحزن والألم على أكثر من نصف أشعار البهكلي وصعابي ، ولذا نجد كثيراً من عناوين قصائدهم تدل على هذا المضمون ، ومن ذلك قصيدة البهكلي (حينما يُزْمن الحزن) ، إذ فيها يمعن في سلوك سبيل الحزن والحنين اللافح الذي شاع لدى غلاة التوجد من الشعراء المعاصرين ، فيقول :

رغم لقياكِ فلا زلتُ حنيناً يفرشُ النأيُ على فكري خوانا
والتوالي من مآسينا أقضَّتْ مضجعَ السالفِ من حلو مُنانا
وانسلالُ اللحظَات اللاء عِشنا سَعْدَها قد بات يَستلُّ شجانا
تارة يَسْفَحُنا يفري الحشى منّا (م) وطوراً ينشرُ الدمعَ جمانا[2]

ولعل أكثر شعراء هذا الاتجاه في جازان تمثيلاً للرومانسية وتلمساً لخطاها ومؤثراتها الشاعر حسين النجمي ، ويندر أن تجد له شعراً لا يمكن إدراجه ضمن دائرة التوجد والإحساس بالغربة والشعور بالوحدة حيناً ، والرغبة في الانطواء أحياناً أخرى، ومن ذلك ما جاء في إحدى قصائد ديوانه (تأملات على مرافئ الغربة) الذي مثل الظاهرة بكل وضوح، حيث يقول :

وحيداً .. أنا
أتلفع بالصمتِ
أكتب بالدمعِ .. والدمع ماءْ
مللتُ الأكاذيب
والحقد

(١) حبيبتي والبحر : ٨١ .
(٢) طيفان على نقطة الصفر : ٦٣ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

والكلمات التي فرقعت
.. كالهواء
مللتُ زمان الخيانة
والخوف
والظلم والالتواء
ففضّلت أني
أعيش وحيداً
وأرسم بالشعر
عالم روحي
أسطر حزني نشيداً
وأبقى حياتي وحيداً
أداوي جروحي
أردد دوماً
بكل المرارة
بكل الحرارة
والانطواءْ
وداعاً وداعاً زمان الوفاء
وداعاً وداعاً زمان الوفاء [1]

وجماعة أبولُّو التي كانت امتداداً للرومانسية أثرت في شعراء هذا الجيل الذي تطلّع إلى أفكارها أكثر من تأثيرها فيمن سبقهم من المحافظين ، وسبب ذلك هو نزوع هذه الجماعة إلى كل جديد ، واحتفاؤها بكل المشارب والاتجاهات ، وحرصها على الدفع

(١) تأملات على مرافئ الغربة : ٤٨ – ٤٩ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

بالتجارب الشعرية في كل الأغراض ، وعلى كل الأشكال ، جامعة بين التنظير والتعبير ، ومن هنا تعلّق بها جيل الشباب في العالم العربي ، وفي المملكة على وجه الخصوص ، وكان أثرها واضحاً ، ونزعاتها العاطفية والتأملية والاجتماعية والإنسانية [1] .

ولعل ذلك يرجع إلى أن هذه الجماعة كان قد تفتحت على كل التيارات الأدبية ، وكانت دعوتها لتجديد الشعر من أقوى الدعوات وأوسعها ، سواء في المضمون أم في الشكل، والمطلع على أشعار إبراهيم مفتاح ، وأحمد البهكلي ، وإبراهيم صعابي ، وأحمد الحربي ، وحسين النجمي يجد مصداق ذلك التأثر ، لا سيما في اتباعهم لخطواتها الواسعة في الشعر الحر (التفعيلي) ، ومظاهر التجديد في الأشكال الموسيقية القديمة [2] .

وإن كان شعراء هذا الاتجاه المزاوج بين المحافظة والتجديد قد تأثروا بكثير من المدارس الشعرية المعاصرة ، فإن تأثرهم بالشعر القديم كان محدوداً ، وأقل ممن سبقهم سواء المقلدين أم المحافظين ، وإن شئت فقل لم يكن للتراث الشعري أثر مباشر وقوي فيهم ؛ لأنهم أصحاب اتجاه شعري قدم خطوة أكبر إلى التوجهات الأدبية الحديثة ، وحجب عينه عن كتاب الأدب القديم ، ولو أنه فعل ذلك لأضفى على أدبه لمسات رائعة ، وأصالة تمدّه بروح عالية من الفكر والرصانة ظهرت لدى المحافظين من قبلهم ، فكانت خير زاد لريادتهم وامتلاكهم ناصية التأثير.

ومن أهم ملامح هذا الاتجاه المزاوج بين المحافظة والتجديد في شعر جازان شيوع الرمز لديهم بكل أشكاله ، لا سيما لدى البهكلي والحربي وصيقل ، وأكثر أنواع الرمز شيوعاً لديهم هو الرمز التاريخي – كما سيأتي – وانطلقوا منه إلى تكثيف الصورة ، والاحتفاء بها ، واستطاعوا المزج بين الذاتية والاجتماعية ، لا سيما لدى البهكلي وصيقل .

وكان شكل القصيدة هو المجال الذي أبعدوا فيه الخطوات وحثوها ، وخالفوا

(١) انظر : النزعة الإسلامية في الشعر السعودي المعاصر ، د. حسن الهويمل : ٤٠١ .
(٢) انظر : مبحث الموسيقى .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

من قبلهم بكل جرأة ، فنوعوا القوافي ، وأكثروا من الشعر المجزوء ، والمثنيات ، والرباعيات ، والمسمطات ، وزاوجوا بين الشعر التفعيلي والشعر ذي الشطرين المقفى . على أنهم لم يكونوا على درجة واحدة من هذا التجديد كثرة وقلة ، فالبهكلي ومفتاح شاركا في الشعر التفعيلي، ولكن على تخوّف عند الأول ، واستحياء عند الثاني ، بينما كانت مشاركات الحربي ، وصيقل ، وصعابي ، والنجمي ، وحسن الحازمي ، وعلي بهكلي ، ومهدي الحكمي واضحة وكثيرة ، على أن بعض هؤلاء لم يتمكن من أدوات الشعر التفعيلي ، فخلط بينه وبين قصيدة النثر ؛ وسبب ذلك هو الجهل بقواعد هذا الفن الجديد ، وعدم تمكن من أدواته وطرائقه .

رابعاً – شعراء الحداثة :

الحداثة في أصل نشأتها مذهب فكري غربي ، ولد في الغرب ، ثم انتقل بعد ذلك إلى بلاد المسلمين ، وقد حاول الحداثيون العرب أن يوجدوا لحداثتهم جذوراً في التاريخ الإسلامي ، فما أسعفهم إلا من كان على شاكلتهم ، مثل : الحلاج ، وابن عربي ، وبشار ، وأبي نواس ، وابن الراوندي ، والمعري ، والثورات المنحرفة كالقرامطة وإخوان الصفا وسواهم ، لكن الواقع أنَّ كل ما يقوله الحداثيون العرب ليس إلا تكراراً لما قاله حداثيو أوربا وأمريكا ، ورغم صياحهم وجعجعتهم بالإبداع والتجاوز للسائد والنمطي – كما يسمونه – إلا أنه لا يطبق إلاّ على الإسلام وتراثه . أما وثنية اليونان ، وأساطير الرومان، وأفكار ملاحدة الغرب حتى من قبل مئات السنين ، فهي قمة الحداثة ، وبذلك فهم مجرد نقلة لفكر أعمدة الحداثة ورموزها في الغرب مثل : إليوت وباوند ولوركا ونيرودا وغيرهم ، ولذا فالحداثة العربية لم تمتلك إلا الحروف العربية ، أما ما سوى ذلك فهو صورة ممسوخة لأدب الغرب وفكره [1] ، خاصة بعد تفجيرهم للغة وإفقاد الكلمات والتراكيب والنحو العربي من كل أسسه ومقوماته ، وتفريغهم اللغة من مضامينها ، ولذا يصور غالي شكري هذه السرقة الأدبية العربية للأدب والفكر الغربي بقوله : ((إن

(١) انظر : الحداثة في ميزان الإسلام ، د. عوض بن محمد القرني : ١٧ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

محاولة تبرير الشعر الحديث بميراثنا التاريخي من حركات التجديد في الشعر العربي هي محاولة غير مجدية ، بل أصبحت ضارة إلى حدٍّ ما ، فالنقد الحديث الذي يود أن يرافق شعراءنا الجدد عليه أن يلتفت إلى جوهر القصيدة الغربية الحديثة ، إذا أراد أن يكتشف جوهر القصيدة العربية الحديثة)) [1] .

إن الحداثة الغربية قد نشأت في أحضان الرمزية التي نادى بها منظرها الأكبر بودلير، وأقامها على ((**تغيير وظيفة اللغة الوضعية ، بإيجاد علاقات لغوية جديدة تشير إلى مواضع لم تعهدها من قبل .. ولذا لا يستطيع القارئ أو السامع أن يجد المعنى الواضح المعهود في الشعر الرمزي**)) [2] .

وقد جعل الحداثيون الغربيون ومن بعدهم العرب بودلير هذا نبياً للشعر الحديث ، وهو من هو في الشذوذ الأخلاقي والفكري، بل لقد سماه بعض الكتاب الأوربيين (الشيطان)، وقال عنه أحد الكتاب الفرنسيين : ((**إنك لا تشم في شعره الأدب والفن ، وإنما تشمّ منه رائحة الأفيون**)) [3] .

وجاء من بعده رامبو والأمريكي اليهودي عزرا باوند ، والإنجليزي توماس إليوت ، وبهذين الأخيرين تمسّح الحداثيون العرب وتأثروا تأثراً عظيماً ، ولذا يقول إحسان عباس : ((**تعتبر قصيدة الأرض الخراب لإليوت هي معلقة الحداثيين العرب ، بما حوته من غموض ورمزية ، حولت الأدب إلى كيان مغلق ، تتبدّى في ثناياه الرموز والأساطير واللغة الركيكة العامية**)) [4] ، إلى آخر ما نراه اليوم من مظاهر لأدب الحداثيين اليومي .

إن القاسم المشترك بين حداثيي الغرب وحداثيي العرب ، سواء كانوا منطلقين في حداثتهم عن طريق تأثرهم بالغرب، أم بالفكر العربي المنحرف عند أبي نواس وبشار

(١) شعرنا الحديث إلى أين ، د. غالي شكري : ١١٦ .

(٢) الاتجاهات الجديدة في الشعر العربي المعاصر ، عبدالحميد جيدة : ١٢١ .

(٣) انظر : الحداثة في ميزان الإسلام ، د. عوض القرني : ٢٣ . والحداثة من منظور إيماني ، د. عدنان النحوي : ٤٤.

(٤) فن الشعر ، د. إحسان عباس : ٧٢ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

والحلاج، أن القاسم المشترك هو التمرد والانحراف عن دين الله ، والرفض لشريعته ؛ لأن الحداثيين يعلمون أنه لا يمكن لهم أن ينشروا فكرهم مادام الإسلام في الساحة مرجعاً وموئلاً[1] . ولذا يقول أدونيس – هو أحد المنظرين للحداثة العربية – : ((**ومبدأ الحداثة هو الصراع بين النظام القائم على السلفية ، والرغبة العارمة لتغيير هذا النظام** ...)) [2] ، ولذا فإننا نجد – أيضاً – أن أدونيس حين يتحدث عن المنحرفين في الأدب العربي كأبي نواس وبشار وغيرهما يفصح عن سبب إعجابه والحداثيين بشعرهما فيقول : ((**إن الانتهاك – أي تدنيس كل مقدس – هو ما يجذبنا في شعرهما ، والعلة في هذا الجذب ، أننا لا شعورياً نحارب كل ما يحول دون تفتّح الإنسان ، فالإنسان من هذه الزاوية ثوري بالفطرة ، الإنسان حيوان ثوري**))[3] .

ومنظرو الحداثة العرب بهذا قد تجاوزوا منظريها في الغرب في الانحراف والتجاوز ، فإليوت لم يتغافل في إبداعه عن عقيدته (الكاثوليكية) التي كان يؤمن بها وبأخلاقها ، ولكن حداثيو العرب بتروا أعماله ، فأخذوا سيئها ، وتركوا حسنها [4] .

ومن هنا فالحداثيون يعدّون رموز الإلحاد والزندقة أهل الإبداع والحريّة الفكرية ، وتجاوز السائد ، ولذا رفعوا من قدر الحلاج – مثلاً – وعدّوه شهيد الحرية ، وضحية الظلم والطغيان والرجعية . والناظر في أشعار أدونيس والسياب والبياتي وصلاح عبدالصبور وتلاميذهم في سائر الأقطار العربية يجد ذلك الرافد الصوفي المنحرف طاغياً على كثير من تجاربهم وأفكارهم ، ويرى أن أغلب القيم التي يضيفها الشعر العربي الجديد إنما يستمدها من التراث الصوفي [5] .

وقد مرت الحداثة العربية بمراحل بدأتها بالنيل من بعض مفاهيم الدين ،

(١) انظر : الحداثة في ميزان الإسلام ، د. عوض القرني : ٢٦ .
(٢) الثابت والمتحول : أدونيس : ٣/ ٩ .
(٣) المرجع السابق ١/ ٢١٦ – ٢١٧ .
(٤) انظر : نحن والآخر ، د. عاصم حمدان علي حمدان : ٢١ – ٢٢ .
(٥) انظر : الاتجاهات الجديدة في الشعر العربي المعاصر ، عبدالحميد جيدة : ٩٨ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

والتشكيك في مصادره ، وهز قناعات الناس به ، وتلاها الأدب الواقعي الاشتراكي ثم الوجودي ، ثم بعد ذلك ظهرت المدرسة النزارية التي تدعو إلى التمرد على التاريخ ونشر الأدب المكشوف ، وآخر المراحل هي المرحلة الأدونيسية ، وهي أخطر المراحل ، حيث نبذت كلّ ما له صلة بالتراث ، ودعت إلى الثورة على كل التقاليد باسم الإبداع والتجديد والابتكار .

وبعد هذه الإلمامة السريعة بالجذور التاريخية للحداثة الغربية ونقلتها الكاملة إلى العالم العربي يمكننا الولوج إلى هذا الاتجاه الذي ظهر في الشعر السعودي عموماً وفي شعر جازان خصوصاً ، ومثَّل نقطة سوداء في صفحة بيضاء نقية ، وأجدني مضطراً للاختصار في عرض سمات الشعر الحداثي في جازان ؛ لعدم جدوى التعمق في مثل هذا، ولكن لا بدّ من الإشارة إلى أهم تلك السمات والملامح لتقريب الصورة وتجليتها ؛ ولأن التعامي عن هذا الاتجاه أو السكوت عنه لا يجوز ؛ لأننا والحالة هذه نكون كالنعامة التي تدس رأسها في الرمل ؛ لئلا ترى الصياد ، ومع هذا فهذا التيار شاع في فترة من الزمن ، وأحدث شيئاً من الضجيج ، ولكنه بدأ الآن تخبو ناره ، ويخفت ضوؤه بسبب الضربات التي تلقاها ، ولافتضاح مقاصده لدى كثير من المخدوعين به ، الذين ظنوه في بادئ الأمر تجديداً شكلياً فقط ، ولكن تبيّن لهم أنه يحمل مضامين فاسدة ، غُلّفت بشعارات براقة معسولة ، ولكن داخلها السم الزعاف ؛ ولأن البيئة من حول هؤلاء الشعراء غير متقبلة لهذا الاتجاه .

ولعل أهم ملامح شعر الحداثة في جازان هي :

أولاً – إن الناظر في نتاج الشعراء الذين مثلوا هذا الاتجاه ، يلحظ عندهم ضياع الشخصية وفقدان الطريقة الواضحة ؛ وسبب ذلك أنهم جميعاً شعراء شباب ما زالوا في بداياتهم الشعرية ، ولكنهم صادفوا امتلاك الحداثة للساحة الثقافية ، فغرتهم أضواؤها البراقة ، وأسال لعابهم الفسحة التي خصصت لقصائدهم في الصحف ،

www.alukah.net
شبكة الألوكة

في حين لقي كثير من الشعراء الآخرين الكبار من الاتجاهات الأخرى الإقصاء والتهميش من قبل الحداثيين المسيطرين على الملاحق الأدبية في كثير من الصحف المحلية ، وكذلك في النوادي الأدبية ، فمن هنا اتبع هؤلاء الشباب هذا التيار بوعي حيناً ، وبدون وعي في أحايين كثيرة ، وكان سلوكهم لهذا السبيل مدعاة لتعلقهم برموز الحداثة الشعرية، فتعلقوا بنزار وحسيته ، وبأدونيس وتحطيمه للثوابت ، وكانوا صدى للبياتي وسميح القاسم ومحمود درويش والمقالح وسواهم .

فلو تاملنا كثيراً من قصائد الشعراء الشباب الذين سلكوا هذا التيار ، فإننا نجد فيها صدى أشعار نزار المغرقة في لغة الجنس ، بل إنَّ أكثر أشعار محمد مسير مباركي هي طبعة ثانية لأشعار نزار ، ولا جديد في بعضها سوى العناوين ، فمعجمه اللغوي تردد بين النهد والشال والرغبة والاكتناز [1] والخدود والشفاه ، فمن ذلك قوله في قصيدة (صيّب حنون):

وضمّخ بالزمرد
خدرك الزاهي
وفوّف لليدين بنفسجا
ودحا الترائب
بالأصيل
وبرّ نهديكِ
احتفى لهما بصيّبه
حنوناً
ثم مسَّد من قوامك
سمهريّاً أهيفا متغنجاً

(١) انظر : للصعاليك فقط ، لمحمد مباركي : ٣٥ ، ٦٤ ، وغيرها .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

روّاك من
ماء الحياة القرمزي
وغطّ في خدَرٍ
ترشَّف من مدامته [1]

وكثر أيضاً لديه رواية المغامرات المشبوهة ، المليئة برائحة الجنس والخطيئة ، وإدراج بعض الكلمات المكشوفة المجتلبة من قاموس نزار ، ورواية الحوار – تقليداً وبدون وعي ، ومن ذلك قوله :

أعيتُه تحنانا
فناصبها الوفاء
وسلَّ عينيها بإفك القافية
أمَلَتْ لثدييها
فسحَّ لحلمتين
- رهينتي ثأر -
غلالته وأسرج سافيه
نسلت مواجعها
وقدّت من شفاف الإثم
آهاً
لا عليكَ
فقد بُليتُ على يديك
بعافيه [2]

---

(١) تماهي منبت : ٤١ . وهي على نمط قصيدة نزار (ديك الجنّ الدمشقي) الموغلة في الجنس ، ويقول في آخرها : **نفذت فيك جريمتي**
ومسحتُ سكيني ونمت .
انظر : الأعمال الكاملة : نزار قباني : ٥٥٠ .

(٢) تماهي منبت : ٥٤ – ٥٥ . وانظر أيضاً : (ثورة وظفائر) : ٥٨ – ٥٩ ، المغرقة في الحسَّية ولغة الجنس .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وضاع بعضهم في تتبع خطا أدونيس ، وترسّم منهجه القائم على الإغراق في الغموض والثورة على الثوابت ، فهو يرى أنَّ القصيدة الحديثة ما هي إلا (رؤيا) ، والرؤيا عنده هي قفزة خارج المفاهيم القائمة ، وهي شعر التجاوز والتخطي اللذين يسايران تخطي عصرنا وتجاوزه للعصور الماضية . و(الرؤيا) الجديدة – كما يقول – هي التي تساعد الشاعر على هذا التجاوز ، حيث ينظر الشاعر إلى كل شيء بعين جديدة تزيح عنه حجاب الألفة والعادة [1] . ومن هنا فقد تلقف عدد من شعراء الحداثة في جازان كلمة (الرؤيا) التي نظّر لها أدونيس دون وعي ، وظلوا يرددونها ويلوكونها ، بل لقد تكررت عند شاعر واحد هو إبراهيم زولي [2] أكثر من تسع مرات في ديوانه الأول (رويداً باتجاه الأرض) ، وجعلها عنواناً لقصيدتين فيه [3] ، وبلغ به التأثر برؤيا أدونيس أن عنون بها لديوانه الثاني ، فسماه (أول الرؤيا). وأنا أجزم أنَّ الشاعر لم يكن يدرك الأبعاد الخطيرة لمفهوم الرؤيا عند أدونيس ، ولكنه التقليد ، ولا شيء سواه .

وبصنيع الحداثيين هذا فإنهم قد وقعوا فيما هربوا منه ، فهم هربوا من تقليد الموروثات – كما أطلقوا عليها – فوقعوا في تقليد آخر ، ولكن الفرق هو أنهم قفزوا من تقليد قديم إلى تقليد جديد .

ثانياً– مال شعراء الحداثة إلى هدم الثوابت ، وهذا الهدم هو جزء من (الرؤيا) التي نادى بها أدونيس ، تلك الرؤيا التي تمثل عندهم تحطيم الثبات والانتقال بالنص إلى التحول

(١) انظر : زمن الشعر ، أدونيس : ٩ – ١٥ . وحركة الشعر الحديث في سورية ، أحمد بسام ساعي : ١٢٠ .

(٢) هو إبراهيم بن حسين يحيى زولي المعافا ، ولد بضمد سنة ١٣٨٨هـ ، ودرس بها الابتدائية والمتوسطة والثانوية ، ثم التحق بجامعة أم القرى ، ونال شهادة البكالوريوس في البلاغة والنقد سنة ١٤١٠هـ ، ثم عين مدرساً بمنطقة جازان ، له أشعار كثيرة ، وصدر له ديوانا شعر هما : (رويداً باتجاه الأرض) و (أول الرؤيا) . انظر ترجمته في: التاريخ الأدبي ، للعقيلي ٣ / ١٤٣٢ ، وفرجة النظر ، للشعفي ١ / ٤٠ ، ومعجم البابطين للشعراء العرب المعاصرين ١ / ١٢٢ .

(٣) انظر : رويداً باتجاه الأرض : ٢١ ، ٨٨ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

المستمر ، التحول الذي يهدم كل حدٍّ ، بل يلغي معنى الحدّ كما يقولون[1] ، ومن هنا رأى شعراء الحداثة أنّ الكلمات وما تحمل من معانٍ لا يمكن أن تعبر عن العصر مالم تتجاوز السائد ، وتقضي على كل قديم ، ومن ذلك قول إبراهيم زولي :

الرياحُ التي لا تهزُّ
الأثاث
القديم
ولا تكْنُسُ الطرقات
لا تسمّى رياحْ
مثلما
الكلمات[2]

فالحداثيون يجعلون كل موروث قديماً كالأثاث تماماً ، وعلى لغة الشعر الحديث أن تهزه وتقوضه .

ولكن عندما لم تفلح تلك الرياح في هزّ الأثاث القديم ، ولم تقدر على القضاء على ما هو سائد ، وما يمثل قناعات الأمة وثوابتها لجأ شعراء الحداثة إلى التعبير عن إحساسهم بالكبت ، وشكوا من القيود والأغلال ، ومن ذلك ما تردد في أشعار محمد مباركي كثيراً ، كقوله :

يـزرُ الكـلام قيافـةُ الـصمتِ ويبـوء بالإحبـاط والنعـتِ
ثمـلٌ بـأرزاء الجنـوب فـتى يـشقى بمحظياتـه الـستِ
بالليـل والحمـى ومـضجعه والنـبض، والتـسهيد والكبـتِ[3]

وبلغت به الرغبة في الثورة والتمرد على كل شيء حداً يتجاوز كلَّ ما يمكن أن يواجهه ، فلما لم يجد شيئاً لم يتمرد عليه تمرّد على نفسه ، فيقول :

(١) انظر : حركة الشعر الحديث في سورية : ١٢٢ .
(٢) رويداً باتجاه الأرض : ١٢١ .
(٣) تماهي منبت : ٢٨ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وهج الحلم بين دمي
يتلقف روحي
ويستنهض الزفرات
فأصَّعَّدُ الأفق
أنسج مني فضاء
يعجب رفة الطائر المستميت
وأولد مستعصيا
رعشة تعتريني
تلحُّ بأن أتمرّد حتى عليَّا (١)

والشعراء الحداثيون انطلقوا من رؤياهم الجديدة للشعر ، كما يسمونها من تقليد الرمزية المنغلقة لدى الغرب التي أعقبت تحطيم السلطات الدينية والقيم الغربية ، وكذلك التحطيم الناشيء عند العرب في تراثهم القديم المنبثق من الفكر الصوفي ، ففي التصوف وجد الحداثيون العرب كثيراً من القيم التي أمدّتهم برؤياهم الشعرية الجديدة ، كتجاوز الواقع السطحي إلى الباطن ، والثورة على المعرفة العقلية ، والتحول إلى غير المعقول ، وهذا يعني الخلاص من المقدس والمحرّم وإباحة كل شيء ، ومن هنا أفرط الشعراء في تقديس المدنّس وتدنيس المقدّس ، فمن ذلك – على سبيل المثال – نجد عدداً من شعراء الحداثة في جازان يقحمون النصوص المقدسة ، ويوردونها في سياقات سيئة تشوهها على نحو لا يحترم هيبتها وجلالها وواقعها في النفوس ، فمحمد مباركي يمزج في سياق واحد الآيات بالخمر ،فيقول :

فأسرى القحط
من خنثى صحاريه !

(١) منسك للسريرة في حرم الرمل : ١٢ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

إلى سفر البلاد

يفصد الآيات

بالخمر

ويشتاط حناناً [1]

ويقول في قصيدة أخرى :

وامتدت الحسرات

كالسجاد

للصلوات

فاستبق الصراط إلى الردى [2]

فلم يجد الشاعر شيئاً يشبه به الحسرات سوى السجاد الممدود لإقامة شعيرة من أهم شعائر المسلمين .

ومن مظاهر هذا التدنيس لكل ما هو محترم ، تشويه بعض الرموز الإسلامية والآثار الخالدة التي لها قيمة في نفوس المسلمين ، ومن ذلك ما جاء في قصيدة (أحد وكلمة القيثار) لمحمد مباركي ، حيث يقول فيها :

(أحدٌ أحدٌ)

هل يوفضُ الدم أنبياء

على الجسد

أحدٌ تدلى من كليمته

وعقَّ ضفيرتها

بالظنون إلى الأبد [3]

---

(١) تماهي منبت : ٢٩ .

(٢) المصدر السابق : ٣٢ .

(٣) منسك للسريرة في حرم الرمل : ١٧ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

(فأحدٌ أحدٌ) هي كلمة بلال بن رباح – رضي الله عنه – ، الكلمة الخالدة في سفر العظماء ، أوردها الشاعر في هذه القصيدة مشبهاً حاله في زمن القهر والكبت بحال بلال عند مواجهته للجاهلية ، وشتان بين الحالتين ، ثم إنَّ إيراد (الأنبياء) هنا إيراد فيه تجاسرٌ وتعدٍّ ، وتجاوز واضح .

ومثل هذا ما جاء في قصيدة لمباركي – أيضاً – تتحدث عن صلاح الدين في سياقٍ لا يوجد فيه أي ذكر لغير صلاح الدين الأيوبي المجاهد الفذّ الذي أعاد الله على يديه المسجد الأقصى ، وكان رمزاً للمسلمين وما زال ، فيقول الشاعر في آخر القصيدة :

واستعبر التيه المضرّج بالسلام
وعد حمام القدس
سفّاحاً
سِفاحاً جاءه عرش البلاد
يبوء بالشعب المشرد
واحتدام التين والزيتون (١)

فمن هو يا ترى الذي جاءه عرش البلاد سفاحاً ، ومن هو السفّاح ، إنّ السياق في القصيدة ليس فيه أي ضمير يمكن أن يعود على غير صلاح الدين ، فالقصيدة لم يذكر فيها غيره ، وإذا كان هناك أي شخص آخر مراداً بهذا الكلام في ضمير الشاعر ، فنحن لا يمكننا أن نطّلع على مكنون أسرار البشر ، وإنما نحتكم إلى النصّ .

وأيضاً نقرأ أشعارهم في هذا السياق فنفاجأ بتهكم وسخرية بالأوضاع والقوانين ونقد لاذع ، ووصم للمخالفين بأوصاف لا تليق ، وتهويل الحياة التي يعيشها الحداثيون تحت الكبت والتضييق ووأد الحرّيّات ، فيقول أحد شعرائها :

الزنابق شاحبة

(١) تماهي منبت : ٣٣ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

في مواسمها
والزنازين موعودةٌ
بالملائكة المثخنين
بقهر السكوت
كيف أجهش بي الملكوت [1]

فهذا الشاعر يريد أن يكون حرًّا يقول كل ما يريد ، ولا يريد أن يسمع من يقول له: (لا) ، أو أخطأت ، فيغالي في تصوير منتقديه بقوله :

ينبشون القصائد
حرفاً فحرفا
ويعتقلون الصبايا
بدعوى الطَّمَثْ
أي شيء تكون
وقد خالعوا مقلتيك الرؤى
وانتحوا بالكلام
لبوابةٍ من جثث ؟ [2]

وعلى عكس تدنيسهم للمقدّس وكل محترم ، نجد أنهم يقدّسون كل مدنّس ، ويشيدون بالشذّاذ والمنحرفين فكرياً ، وإهداء القصائد إليهم ، والثناء والتلميع المتبادل، فمن ذلك إهداء محمد مباركي قصيدته السابقة الذكر (أحدٌ وكليمة القيثار) إلى أحد رموز الحداثة ، وهو علوي سعيد تمّار ، وقدم لها بقوله : ((**إلى الغريق الذي انتشلني علوي سعيد تمّار**)) [3] . وكذلك إهداء قصيدة (غيابة الحزن) إلى سعيد السريحي أحد

(١) منسك للسريرة في حرم الرمل : ١٤ .
(٢) المصدر السابق : ١٥ .
(٣) المصدر السابق : ١٧ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

رموز الحداثة السعودية بقوله في مقدمتها : ((**إلى المغيّب في جلالة الهالة : سعيد السريحي**)) ، وفيها يرفع من شأنه إلى جعله إماماً وشبهه بالأنبياء ، فقال :

يا أعزلاً مثل النبيّين
نشِ القيظ
لكي يسّاقط الحُواه
حفاه
أنت إمامُ النزع
والحشرجة القعساء
لا تخضْ بمأموميك
في المتاه
فإن في تابوتك الحياه (١)

إنه انحراف واضح لا لبس فيه ولا غموض ، اتبعه الشاعر في آخر القصيدة بوصم المجتمع كلّه بالقصور عن مواجهة المرحلة ، وأنه ليس في المجتمع عقلاء ، بقوله مستهزئاً وموجهاً نداءه إلى السريحي :

أيا سعيد
وليس فينا رجل رشيد
نثغو كأسد الغاب
أو نزأر كالشياه
لن تنحني الجباه (٢)

وللاطلاع على حداثية سعيد السريحي يراجع كتابه (الكتابة خارج الأقواس) ،

(١) للصعاليك فقط : ٧١ .
(٢) المصدر السابق : ٧٣ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

وأسوأ من ذلك ، وأشدّ ارتباطاً بالحداثة ورموزها لدى محمد مباركي إشادته المتكررة بأدونيس ، وإشادة أدونيس به ، وتلميعه له ، ومن ذلك الإشادة التي أطلقها أدونيس بمحمد مباركي في المؤتمر الدولي للكتاب بالقاهرة سنة ١٤١٨هـ ، حيث وصفه بأنه **((من أفضل شعراء الجزيرة العربية قاطبة ، وأنه – أي أدونيس – لم يكن يتصور أن الشعر في الجزيرة قد وصل إلى هذا المستوى حتى سمع هذا الشاعر الشاب القادم إلى الساحة بكل قوةٍ وتميّز))**[1].

وطبعي أن يشيد أدونيس بكل شعر منحرف ، أو قائم على التمرد ، ويسير في فلك رؤياه للشعر ومفهومه له .

وبعض الشعراء الشباب الذين سلكوا هذا الاتجاه بتردّد يقدمون قصائدهم بالكلمات الخالدة التي أثرى بها الحداثيون الساحة ، ومن ذلك ما فعله محمد حبيبي [2] عند تقديمه لقصيدة (وحيداً) ، وشحها بمقولة الحداثي عبده خال : **((لم يبق في القرية طائر نغنّي له ، فلنخلق طائراً من خيالاتنا))** [3] .

ولا أدري ما سر الجمال في هذه المقولة ، أو علاقتها بالقصيدة ، ولم يكن لها داعٍ

(١) يوجد كلامه هذا في شريط كاسيت سجلت فيه المقابلات التي أجريت مع أدونيس في معرض الكتاب بالقاهرة سنة ١٤١٨هـ ، وكذلك في رسالة وصلت إلى الباحث من الشاعر مباركي بتاريخ ١٧/ ٥/ ١٤٢٠هـ ، ص : ٣ .

(٢) هو محمد بن حمود بن محمد حبيبي ، ولد بضمد سنة ١٣٨٨هـ ، ودرس بها مراحل التعليم الثلاث الأولى ، ثم التحق بجامعة أم القرى ، وحصل على البكالوريوس في اللغة العربية ، ثم واصل دراساته العليا ، فحصل على الماجستير من الجامعة نفسها ، وكانت رسالته بعنوان (الاتجاه الابتداعي في الشعر السعودي الحديث) ، وهو حالياً يعد رسالة الدكتوراه في جامعة الملك سعود بالرياض ، ويعمل محاضراً بكلية المعلمين في جازان ، له ديوان شعر مطبوع عنوانه (انكسرت وحيداً) . وله قصائد كثيرة رائعة اطلعت على بعضها لم تثبت في الديوان .

(٣) انكسرت وحيداً : ٩ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

سوى التلميع ومحاولة إظهار الانتماء والتأثر . ومثله أيضاً الشاعر علي الأمير [1] ، فإنه أهدى قصيدته (الأوراق) إلى عبده خال – احد رواد الحداثة ومنظريها في جازان – وفي القصيدة يعبّر عن طموحاته وآماله ، وهي آمال الحداثيين نفسها ، حيث يقول :

باتساع الدروب
حايدت في المساءِ
سنعبرُ أسماءنا
نستشفُّ صِبانا وأبراجنا
من لَمى الأرضِ
...
ألا رجم الراجمون مداراتهم
فمتى تتساقط أحلامهم ؟؟ [2]

وينقم في آخر القصيدة على الذين غيبوا عبده خال عن ضوء الشمس وعدم سطوع أفكاره في المجتمع ، فيقول :

والذي غيّبوه عن الشمس دهراً
لتَذْبُل قامته
ظل بين القرى عازفاً للشياطين

(١) هو علي بن محمد احمد غالب الأمير ، ولد بقرية المنجارة سنة ١٣٨٤هـ ، ودرس الابتدائية والمتوسطة والثانوية بمدارس منطقة جازان ، ثم التحق بجامعة أم القرى سنة ١٤٠٥هـ ، وحصل على درجة البكالوريوس في اللغة العربية سنة ١٤٠٨هـ ، ثم عين مدرساً بمكة المكرمة، له أشعار منشورة في الصحف والمجلات ، وديوان شعر مطبوع بعنوان (بوصلة واحدة لا تكفي) . انظر ترجمته في : التاريخ الأدبي لمنطقة جازان ، للعقيلي ٣/ ١٨٥٨ ، وفرجة النظر ، للشعفي ٢ / ٧٥ ، ومعجم البابطين للشعراء العرب المعاصرين ٣ / ٥٤٠ .

(٢) بوصلة واحدة لا تكفي : ٨٨ – ٨٩ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

تعويذةً في شفاه المحبين [1]

ثالثاً – اتخذ شعراء هذا الاتجاه من ما سُمّي بقصيدة النثر إطاراً لتجاربهم ووعاءً يحمل أفكارهم ، وهم بهذا يتحولون إلى كتاب ، وليسوا شعراء في تلك التجارب ، حتى وإن أسموها أشعاراً ، فليس فيها من الشعر إلا الاسم ، فتارة يسمونه شعراً منثوراً ، وأخرى النثر المشعور . وأود أن أشير إلى أن ما أتناوله في حديثي عن الشعراء الذين سلكوا هذا الاتجاه ، أو إيرادي لنماذجهم في ذلك لا يعني موافقتي على أنّ هذا شعر، ولكن لمّا زعم هؤلاء أنّ هذه النثريات من الشعر ؛ وكذلك لأن بعض النقاد يعدون ذلك شعراً ، فإنني أتحدث عن واقع ، وأرصد محاولات لم تنضج ، وتجارب جديدة سارت في فلك التغيير حتى وإن كان للأسوأ، ثم إن الغرض الرئيس من هذا هو بيان واقعهم وتنبيه على فاسد قولهم .

وهذا النوع من الكلام يتخلى عن الوزن والقافية تماماً ، وهم بذلك يلغون المفهومات المألوفة للبنية الإيقاعية والموسيقية في الشعر ، ويستبدلون بها نظاماً جديداً ، هذا النظام أشار إليه أحد النقاد بقوله : ((**النظام الذاتي للأصوات يركب من وحدات تتناغم فيما بينها وتتعانق وفق عدة أسس ، منها الأساس المكاني ، حيث تتجه الموسيقا إلى العينين عوضاً عن الأذن كما هو الحال في العمارة**)) [2] ، إلا أن هذا النظام الصوتي كما يسمونه الذاتي لم يستطع النقد أن يحدد قوانينه . والأرجح أنه لن يستطيع ، وبإمكاننا أن نقرأ أي قصيدة من هذا النوع لندرك شيئاً من هذا النظام ، نقرأ مثلاً قصيدة محمد حبيبي (ناعماً ينبت العشب) ، حيث يقول:

مثل أول رشفة

– من قهوة الصبح –

---

(١) المصدر السابق : ٩١ .

(٢) أوهاج الحداثة (دراسة في القصيدة العربية الحديثة) ، د. نعيم اليافي : ٣٢ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

أنت
أهجسُ
أن أحتويك كثيراً
وحين أضمّك صوب ضلوعي
أهشِّمُ أنفاس حبّك بين أصابع
خوْفي
كلّما حَرَثتهُ شفاهك صدري
ناعماً
ينبتُ العشب بعد رذاذك [1]

إنّ ما يمكن أن نجده في هذا النص هو الفوضى ، وتفكك النص وعدم التناسق بين أطرافه ، ولا يمكن إدراجه حتى في النثر الفني ، ولا سيما المقطع الأخير ، فضلاً عن أن يكون شعراً يحمل نظاماً ، وينمي ذوقاً سليماً .

رابعاً- أن اللغة التي كتب بها شعراء الحداثة تجاربهم تستعصي على الفهم وغير قابلة للتفسير في كثير منها ، ولذا يعّدون الغموض أهم أدواتهم الفنية ، حتى أصبح شعاراً من شعاراتهم في يوم من الأيام (كن غامضاً) . ومن هنا يقرأ الإنسان أشعارهم ، فلا يفهم شيئاً ، وإن فهم شيئاً قليلاً جداً من الإطار الذي تعالجه القصيدة دون المضمون كيف يفهم والقصيدة الرمزية من هذا النوع عند أصحابها – كما يعبرون – ليست تداعي معانٍ خاضعة للوعي واليقظة ، وتستخرج من الشعور ، وإنما هي أصداء ورسوم تُستلهم من منطقة (اللاشعور) ، والذهن الحالم الذي يفتقد العقل والوعي واليقظة والشعور ، تصبح – على رأي بعض النقاد – كرسوم طفل على الكراسي ، لا يفهمها الطفل

(١) انكسرت وحيداً : ١٣ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

ولا غيره [1] .

ومن الأمثلة على ذلك الغموض الذي حملته قصائد شعراء الحداثة قول محمد مباركي في إحدى قصائده :

واسكبوا نُطفة الوقت
في رحم عاقر
كالزمانْ
تنفسون عليّ ضحاياي !
سيف انهزامي !!
ورَمْثا حملتُ به
مومياء الكلام
وقنطرة الحزن
والزفرات إلى وطن
صام عنه المكانْ !!! [2]

ولك أن تقرأ أي قصيدة من قصائد إبراهيم زولي الأولى ، ففي النهاية ستجد أنك لن تخرج منها بشيء ، سوى كلمات ضم بعضها إلى بعض مليئة بالمفارقات والغموض والرموز المتنافرة والمستعصية على الفك ، ومن ذلك قوله مثلاً :

ألم يكن الساحليُّ من الماء
– والعابرون أتوا من قوا في الزبدْ –
كيف سار الغزاة له
وهو محتشمٌ في الجسد

(١) انظر : الشعر الحديث في المملكة العربية السعودية ، د. عبدالله الحامد : ٤٣٧ .
(٢) تماهي منبت : ١٦ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

إنه الآن منفرط في الشوارع
والدرب من حمأ لم يُسنّ
ثم حنَّ إلى ظلّه (١)

ومهما حاول القارئ لهذا الشعر وأمثاله ، فإنه لا يمكنه تكوين رابطة منطقية منسجمة تعبّر عن شيء من أفكار الشاعر أو أهدافه ، ومهما أجهد الإنسان عقله بغية تفسير مثل هذه الأشعار فإنه يتنكب في النهاية الجادة ، ذلك أنّ الغموض هنا يصبح مقصوداً لذاته ، وليس أسلوباً من أساليب تجنب المباشرة في الخطاب الشعري .

نعم ، إن من طبيعة الشعر ألا يمنح إلا بعد مماطلة ومجاهدة ، ومن طبيعته أنه لمحٌ تكفي إشارته على حدّ قول البحتري ، ولكن التطرف في الإغراب والإغراق في الإبهام الذي يغدو هدفاً في حدّ ذاته يخرج بالشعر من غرضه ، هذا إذا اتفقنا على أنه شعر .

ونلحظ – أيضاً – أن اللغة عند هؤلاء الشعراء تفقد قدرتها التواصلية ومعانيها المعجمية المألوفة ، وتصبح غاية في حدّ ذاتها ، وليس أداة تعبير أو نقل رسالة معينة إلى القارئ أو المستمع ، وهذا ينطبق على النماذج الشعرية التي مرت قبل قليل ، ومن خلال هذا الأنموذج يتبيّن أنَّ كثيراً من النماذج عبثٌ لغوي ليس إلاّ ، يقول علي الأمير في قصيدته "شاهد وشهيد" :

كنتُ واعدته
أن نخاف معاً
ثم واعدني
أن يخون غداً موعدي
فحزنت لمقتله
وابتهجنا
*** ***

(١) رويداً باتجاه الأرض : ١٨ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

سلّمني في يدي مولدي
فأخذتُ ..
وأسلمته للحياةِ
فدثّرني خجلي
حين غاب [1]

خامساً- إن تجارب شعراء الحداثة فردية ، ومغرقة في الذاتية ، وعدم التجانس مع الواقع من حولهم ، ذلك أنهم ينسجون حولهم دوائر مغلقة يقبعون داخلها ، ونادراً ما يتناولون تجارب موضوعية اجتماعية أو قومية أو إنسانية ، وعندما يتناولونها فإنها تظل متشحة بمسوح الذاتية والانغلاق على الذات وعلى الفهم ، يقول إبراهيم زولي في قصيدة (الحجر البرتقالي) :

كما شئت كن
وتناس أنّا هنا
نغازل هذي النجيمات
نكتب في ألق البدر شعراً
وأحلامنا نتوسّدها وننام
ننام
تثاءب فيك الربيع
فأشعلته موقداً
فلسطين أنت وأنت
إلى يوم
يُحرق
فيها العدا [2]

(١) بوصلة واحدة لا تكفي : ٧٩ .
(٢) رويداً باتجاه الأرض : ٤٨ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

فلو لم يذكر في النص كلمة (فلسطين) لما أدركنا أن الشاعر يريد به مناصرة القضية الفلسطينية ، ولكن ما الذي يمكن أن يدركه القارئ أو يلمّ شتاته من هذه التجربة المنغلقة .

وبعد هذه الوقفة على بعض ملامح شعر الحداثة في جازان وسماته ، لا بدّ من الإشارة إلى موقف شعراء الاتجاهات الأخرى في جازان من مقلدين ومحافظين ومزاوجين بين المحافظة والتجديد من هذا الشعر المنتسب إلى الحداثة الشكلية ، والذي يحمل أيضاً كثيراً من المضامين الفكرية المخالفة لما هو سائد في المجتمع ، فمن الشعراء المقلدين الذين أنكروا هذا الصنيع الشاعر أحمد العطاس ، ومما له في هذا قصيدته (عرفت الشعر) ، وفيها يقول:

وأصل الشعر موهبة براها مدى الإحساس في نفس ملمه
بما يجري من الأحداث طوراً يفندها القصيد على المتمة
وليس الشعر نثراً أو مجالاً لتلفيق وتغليف وعتمة
وألغاز تحير سامعيها بتركيب تحف به المذمّة
وباب النثر مفتوح ليحوي مآرب من يريد ظهور فهمه[1]

والشاعر حسن القاضي يقول في قصيدته (أنا والشعر ودعاة الحداثة) :

قالوا الحداثة بئسما قالوا : فقد سقط القناع كحجّة الكذاب
لكنه الفشل الذريع وطعمه مسحوقه من حفنة الأذناب
ليس الحداثة أن تلفق منطقاً عفنا وتجهل منطق الأحزاب
فارجع إلى نبع البيان ولا تعش ظمآن يلهث خلف كل سراب[2]

ومن الشعراء المحافظين الذين وقفوا وقفات قوية ضدّ هذا الاتجاه الحداثي ،

(١) من وحي التأملات : ٧٦ .
(٢) التاريخ الأدبي لمنطقة جازان ، للعقيلي : ٣/ ١٩٨٢ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

ونبهوا إلى خطورته على الشعر شكلاً ومضموناً محمد بن علي السنوسي وعلي بن أحمد النعمي ، فما جاء للسنوسي في هذا قوله :

لا العود عودي ولا الأوتار أوتاري ولا أغاريدكم من شدو أطياري
من أين جئتم بهذا الطير ويحكمُ لاالريش ريشي ولا المنقار منقاري
إني أرى في جناحيه وسحنته سمات إليوت لا سيماء بشار
وصرت أسمع ألفاظاً مقلقلة طرق المسامير في دكان نجار
ألبستموني ثياباً لا تشرفني كأنها فوق جسمي حبل قصّار
سود وحمر وصفر لا انسجام لها كرسم بيكاس يعيي فهمه القاري[1]

ثم يشنّ بعد ذلك هجوماً قوياً على دعاة قصيدة النثر ، ويصور ضعف هذا الشعر بصور مضحكة وساخرة ، فيقول:

الشعر هندسة كبرى تكاد ترى في النسج واللفظ منه روح فرجار
والوزن للشعر روح وهي إن فقدت أضحى جماداً بلا حسّ كأحجار
قصيدة النثر مثل المشي جامدة والشعر كالرقص في سيقان أبكار
ورب حرف صغير الشأن يرفضه لحن المشاعر في ترنيم قيثار
تأبى الحروف التي صيغت نماذجها من رعشة الروح في أعماق أسرار
أن تلتقي معكم في سبك خاطرة عرجاء تحجل في ميثاء مهيار
لكلّ فنّ أصول يستقل بها شتان ما بين سبَّاك وعمَّار[2]

أما علي النعمي فهو قد عم رفضه لكل أشكال الشعر الجديد سواء شعر التفعيلة أم ما يسمى بقصيدة النثر المنطلقة من الاتجاه الحداثي ، وأنَّ هذا التجديد قد سلب الشعر أهم سماته ، وحرمه من أرقى أدواته ، فيقول :

(١) الأعمال الكاملة : ٦٤٧ – ٦٤٨ .
(٢) المصدر السابق : ٦٤٨ – ٦٤٩ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ما لي أرى الشعراء قد ألوت بهم دعواتُ تجديد لشكل بنائه ؟!
فتجاهلوا قمم (الخليل) ولملموا ما يستحي الطلابُ من إملائه
حسبوه شيئاً نافعاً فإذا به زبد خلاصته رديء جفائه
سلبوا من الشعر الرفيع سماته والعود يذبل بعد نزع لحائه[1]

وإن كان الشعراء المزاوجون بين المحافظة والتجديد قد سلكوا مجالات واسعة من التجديد في المضامين والأشكال الشعرية ، وطرقوا قصيدة التفعيلة إلاّ أنهم وقفوا وبكل قوة ضدّ ما يسمى بقصيدة النثر والاتجاه الحداثي الذي بشّرت به ، ومن هؤلاء الشعراء أحمد البهكلي ، فهو يقول في مقدمة أحد دواوينه : ((**وإذا كنت مستحقًا لشكرك – عزيزي القارئ– على تلك الإيضاحات ، فإنني لا أطمع أن أحظى بتقديرك ، لما أرجو كونه التزاماً فنياً بالقالب الذي اعتمده شعراء العربية الكبار الذين أبقاهم التاريخ معالم فكرية على مر الزمان . ولا يحزنك – قارئي العزيز – هذا ، فتأسف على أنني رغم حداثة سنّي لم أكن أحد دافعي زورق الحداثة الشعرية المتطرفة (وأنني رضيت بكوني راكبًا في سفينة الأصالة المعتدلة) لا يحزنك هذا ، فما إخال النجاة إلا لتلك السفينة الأصيلة التي تتلاشى الموجات على جوانبها، وركابها مطمئنون لا يضيرهم شيء إلاّ بإذن الله**)) [2] .

والشاعر علي صيقل أحد شعراء المزاوجة بين المحافظة والتجديد ، يرى أنَّ الشعر نافذه خضراء مفتوحة لكل أصيل ، لا ما نادت به الحداثة من غموضٍ وتقليد لكل ما هو غربي الفكر ، فالشعر الذي يحمل مشاعرنا هو صورة لنا يعبر عن ماضينا ، ويحمل سماته ، ويصور مستقبلنا ، ويذكي آماله ، فيقول :

لا للقصيدة إن جاءت مراوحةً تجتر مستهلك الألفاظ والكلمِ

(١) جراح قلب : ١٥ – ١٦ .
(٢) طيفان على نقطة الصفر : المقدمة .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

لا للقصيدة . . تأتينا وقد حَمَلت　　أبياتها الجاهز المشحون بالسأمِ
ولا لها إن أتت غربيَّةً ..صُبغت　　بلونِ (إليوت) بالتعتيم والورمِ
نحبها قامةً عملاقةً . . ولها　　جذرٌ أصيل وفرع سامقُ الشَّممِ
نهوى القصيدة دفقاً ناضجاً وُسمت　　ببهجةِ الحاضر المسكون بالقيمِ
الشعر خَلْقٌ وإبداع مَوَاكَبَةٌ　　ماضٍ عريقٌ وآتٍ مُشْرُق الحلمِ[1]

وهكذا نجد أنَّ جميع الاتجاهات قد رفضت هذا اللون من التجديد ، إذ هو يهدم ولا يبني ، ويشوه صورة الأدب الجميلة ويصبغها بألوان غير متناسقة ، وهو تقليد وانبهار بما عند الغرب من رؤى وأفكار ، حتى وإن كانت لا تناسب أذواقنا وأصالتنا وقيمنا وعاداتنا ، وإن اتباع تلك الرؤى والأشكال المستوردة لن يحقق الأصالة التي نتغيّاها ؛ لأن الأصالة أبعد مرمى من حذق اللغات الأجنبية وإجادة الرطانة بها ، أو سرقة أدبها ، أو الترجمة الغامضة لها، والنقل المنبهر بأدبها ، الجدّة براقة وجميله ، ولكنها لا تعني الفضل ، والتحديث مطلوب، لكن بالقدر الذي يحقق ما نريده منه ، وما ينفع وتثبت جدواه ، وينمّي ما لدينا إلى الأفضل، ليس في الأدب فقط ، وإنما في كل شيء في حياتنا . والتجديد في النهاية ليس توريداً للسلعة، وإخراج علامات مسجلة تقليداً للعلامات الأصلية ، إنما هو اقتباس وهضم واستيعاب ، والثقافة الأدبية لدينا لا يمكنها هضم هذه المؤثرات العنيفة ، وستلفظها كما لفظت كثيراً من النظريات المستوردة من قبل .

* * *

(١) أغنية للوطن : ٩ .

الفصل الأول

المضمون الشعري

- المعاني والأفكار.
- التجربة الشعرية.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

١-المعاني والأفكار

المعاني والأفكار هي روح الأدب ومادته الأولى ، وأي أدب يهن فيه هذا العنصر المهم، فهو كلام ساقط لا يعتد به ، ولاينظر إليه ، مهما بالغ الأديب في تزويقه وبهرجته .

ويبلغ العمل الأدبي – شعراً كان أو نثراً – الذروة ؛ إن وفق مبدعه في المواءمة بين معانيه السامية وألفاظه المتخيرة ، مع مزجه بين تلك الأفكار وعاطفته ؛ لأن ذلك المزج من شأنه أن يكتب لأدب ذلك الأديب الحياة والخلود في ضمائر الناس ووجداناتهم ؛ لكونه يتيح للمتلقي التفاعل مع الإبداع.

إنَّ الوقوف على معاني الشعر في جازان سيكون من خلال التعرف على تأثر الشعراء وتأثيرهم ، وما حملته تلك المعاني من أصالة ومعاصرة ، وهل حاول ذلك الشعر أن يرسم صورة عصره ويواكب أحداثه ، وغير ذلك من تساؤلات ، يمكن الإجابة عنها عن طريق التفتيش عن تمثل تلك المعاني الورادة في شعر شعراء جازان لفن الشعر وروحه ، ومدى تعبير الشعراء عن بيئتهم ، وواقع حياتهم ، ومن ثم يكون الشعر صدى للحياة العامة، يعّبر عن خيرها وشرها ، وشدتها ولينها ، ويصوّرها تصويراً أمينًا ، أو يهن دون ذلك ، وتفصيل ذلك فيما يلي :

أولاً - مستمدّات المعاني والأفكار:

إذا أمعنا النظر في معاني شعراء جازان ، فإننا نقف على تأثرهم العميق والواضح بعدد من المصادر ، واستمدوا منها معانيهم ، وكانت رافداً مهماً لنظم أفكارهم ، وتدعيم مرئياتهم ، ومن تلك المصادر والمؤثرات :

أ- القرآن الكريم :

القرآن هو المعين الذي لا ينضب ، والرافد الأقوى للمعاني الجليلة والسامية ، استمد منه كثير من الشعراء معانيهم ، وحرصوا على توصيلها للمتلقي ، وقد كثر ذلك الاستمداد لدى تأمل الشعراء لآلاء الله في الكون والآفاق والأنفس ، وفي المعاني المتصلة بالآخرة والوعظ والتذكير والنصح ، وعرض قصص الأنبياء ، وما عرض لهم

شبكة الألوكة - قسم الكتب

من أحداث وعبر عرض لها القرآن بكثير من الإيضاح والبسط ، وغير ذلك من المواضع التي شكلت المحطة الأكثر جذباً للشعراء لإظهار عميق تأثرهم بالقرآن الكريم .

ومن ذلك على سبيل المثال ما جاء للسنوسي في تأمله لأيات الله في الكون ، حيث يقول :

جلَّ من سخر الرياح فسارت تتهادى رخيّة بالسفائن
وأفاض الحيا فأحيا مواتاً وأهال الربى فسالت معادن
كلما في السماء والأرض مبسو ط لمن يتقي ويخشى الملاعن [1]

فالشاعر هنا متأثر بما تناثر في كتاب الله من آيات توحي بعظمة الخالق جل وعلا ومنها قوله سبحانه: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِي تَجْرِي فِي ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَأٓيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٤﴾﴾ [2] .

ومما جاء مستوحىً من النصوص القرآنية الدالة على مصير الإنسان وعاقبة مسعاه في الحياة ، وأصناف العاملين ، قول علي النعمي :

ما الناس إلا مؤمن متيقن أو فاسق متردد مرتابُ
هذا على أخطائه متكور ويزين سحنة وجه ذاك صوابُ
(يا أيها الإنسان إنك كادح) فمعذب بالكدح أو فمثابُ [3]

فالبيت الأخير مشتمل على جزء من الآية القرآنية ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ

(١) الأعمال الكاملة : ٥٤٨ – ٥٤٩ .
(٢) سورة البقرة ، آية (١٦٤) .
(٣) الرحيل إلى الأعماق : ٣٨ – ٣٩ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ ﴿٦﴾ ﴾ [1] .

ومثل ذلك قول علي بن قاسم الفيفي في قصيدة (أي خطب) :

وكـــذا الـــدنيا متـــاع زائـــل كمعـــار فـــترة واسترجعـــا
دار تكليـــف وتحـــصيل وأن لـــيس للإنـــسان إلا مـــا ســـعى
ثـــم يجـــزاه جـــزاءً عـــادلاً حـين يلقـى سـعيه قـد جمعـا [2]

فالبيتان الأخيران فيهما اقتباس من قوله تعالى : ﴿ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَىٰ ﴿٤٠﴾ ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الْأَوْفَىٰ ﴿٤١﴾ ﴾ [3] .

ومما جاء للشعراء في هذا الباب لدى عرضهم لسيرة النبي - ﷺ - اقتباسهم لكثير من الآيات الدالة على ما اشتملت عليه هذه السيرة من مواقف ، فموقف الهجرة وما رافقه من عبر وعظات حفل بها القرآن الكريم كان مهيمنا على ذاكرة الشعراء وهم يتطرقون لها ، فالسنوسي يقول في هذا :

نجـمان في كنـف الـرحمن مـالهما سـواه في الغـار لا حـام ولا جـارُ
أبـصرت أشـباح أقـدام وهمهمـة وألـسنا تتناجـى تلـك آثـارُ
ففـر قلبـك مـن جنبيـك محتـضنا بـدراً تغذيـه أفـلاك وأقمـارُ
خوفـاً عليـه وحرصـا أن يحـيط بـه مـن عـصبة الـشر أو غـاد وأشرارُ
يـا صـاحبي لا تخـف الله يحرسنـا بلطفـه وللطـف الله أسـرارُ [4]

ومثل هذا جاء للشاعر علي بن مديش ، حيث يقول :

لغـار ثـور سرى المختـار يـصحبه خـير الرجـال وليـث في النـزالاتِ

(١) سورة الانشقاق ، آية (٦) .
(٢) الطيف العابر : ١٣٣ – ١٣٤ .
(٣) سورة النجم ، آية (٣٩ – ٤١) .
(٤) الأعمال الكاملة : ٥٣٢ – ٥٣٣ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

فضم ثور رسول الله سيدنا　　مع الرفيق الذي أسدى الولاءاتِ
فجاء أعداء دين الله في عجلٍ　　لكنهم حجبوا بالعنكبوتاتِ
وظل أعداء خير الخلق في عجب　　في الغار قد وجدوا بيض الحماماتِ
فقال قائلهم ما ها هنا نزلوا　　هذا قديم ولم يأت له آتِ
فسال دمع من الصديق يتبعه　　حرص شديد على نور السماواتِ[1]

فكلا الشاعرين اقتبس معانيه من قوله تعالى: ﴿ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَىٰ وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٠﴾ ﴾[2].

والشاعر محمد العقيلي اقتبس واستوحى بعض الآيات القرآنية في أشعاره ، فمن ذلك قوله :

أين مني البيان أغمس فيه　　ريشة الفن وردة كالدهان ؟[3]

ففي قوله : (وردة كالدهان) اقتباس من قوله تعالى : ﴿ فَإِذَا انشَقَّتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ ﴿٣٧﴾ ﴾[4] .

وأيضاً في قوله :

لولا الجهاد وبذل النفس ما عمرت　　مساجد طُهّرت أو شيّدت بيعُ[5]

(١) نبض القوافي : ١٣ .
(٢) سورة التوبة ، آية (٤٠) .
(٣) المجموعة الشعرية : ٥٤٢ .
(٤) سورة الرحمن ، آية : (٣٧) .
(٥) المجموعة الشعرية : ٦٧ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

اقتباس من قوله عز وجل : ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا﴾ (١) .

وكذا في قوله :

خلت من الإنس إلا كل شاهقةٍ نمت بها كرؤوس الجنّ أشجار (٢)

حيث اقتبس قوله تعالى : ﴿طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ ﴿٦٥﴾﴾ (٣) .

ولم يفق العقيلي في تأثره بالقرآن الكريم واقتباسه لكثير من معانيه سوى علي النعمي، فإنَّك عند قراءتك لأشعاره تبصر هذا التأثر واضحاً في شتى الموضوعات التي يطرقها ، فعند حديثه عن معاناته الحياتية يقول :

خافقي في (غيابة الجُبّ) حتى لكأني القتيل قتلة عمدِ (٤)

فهو مقتبس هنا من الآية الكريمة : ﴿قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِي غَيَابَتِ الْجُبِّ﴾ (٥) .

ولدى دعوته لإنشاء نادٍ أدبي في جازان ، وحثه لأقرانه وأساتذته لدعمه وتأسيسه قفزت ذاكرته إلى المشهد القرآني تلتقط منه ما يدعم المعنى ويقويه ، فيقول :

وفي بلادي من الأعلام أمثلة كالعاكشي فهل نعشو وننساها؟

فكرموهم بذكراهم وبعثهم إن كرمت أمة بالذكر موتاها

هيا بنا ندعم النادي ونوجده وباسم ربي (مجراها ومرساها)(٦)

(١) سورة الحج ، آية : (٤٠) .
(٢) المجموعة الشعرية : ٣٨٥ .
(٣) سورة الصافات ، آية : (٦٥) .
(٤) جراح قلب : ٥٦ .
(٥) سورة يوسف ، آية : (١٠) .
(٦) الأرض والعشق : ٢٤ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

فالبيت الأخير فيه إشارة إلى الأية الكريمة في قوله تعالى : ﴿ وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٤١﴾ ﴾ (١) .

وتقرأ قول النعمي في إحدى قصائده التأملية :

رب يا جامع العباد ليومٍ ... فيه تعنو لوجهك الأبصار
من بني الإنس أو بني الجن أما ... ماسوى ذين في القصاص جبار
مهطعي مقنعي الرؤوس جميعاً ... ما لهم رب غير فضلك دار (٢)

فتجد تأثره بقوله تعالى : ﴿ مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ ﴿٤٣﴾ ﴾ (٣) واضحاً وجلياً .

وورد الاقتباس من القرآن الكريم والتأثر به لدى كثير من شعراء جازان مثل حسين النجمي في قوله :

بعد أن كنتَ رقيقا قد شمخت اليوم عُجبا
أنت لن تخرق أرضا أو يصل رأسك شهبا (٤)

فهو بالغ التأثر بقوله تعالى : ﴿ إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَنْ تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا ﴿٣٧﴾ ﴾ (٥) .

ومما ورد عند جلوي الحكمي قوله :

لم لا تكتم الأسى ثم تنسى ... لست منها إذا نشرت سريّا
قال: أنسى يا ليتني قبل هذا ... كنت نسيا في مامضى منسيّا (٦)

(١) سورة هود ، آية : (٤١) .
(٢) الرحيل إلى الأعماق : ٨٩ .
(٣) سورة إبراهيم ، آية : (٤٣) .
(٤) خفقات قلب : ٧٦ .
(٥) سورة الإسراء ، آية (٣٧) .
(٦) قبل أن ينضب الأمل : ٦٦ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

فليس بخافٍ استدعاؤه الآيات الكريمات الواردات في قصه مريم ، في قوله تعالى : ﴿ فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَىٰ جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا ﴿٢٣﴾ ﴾ [1] . وغيرهما من الشعراء .

ب- الحديث :

وتأثروا بالحديث الشريف مثلما تأثروا بالقرآن الكريم ، وكان منطلقاً لهم لتوسيع دائرة المعاني ، والقدرة على إيضاح بعض الأفكار ودعمها ، ومن ذلك ما جاء للشاعر محمد ابن أحمد العقيلي في قوله معقباً على الدعوات المنادية إلى وحدة العرب ضدّ أعدائهم :

والـذي ألّـف العروبـه قلبـاً واحـداً والـصفوف كالبنيـان [2]

ومثله للشاعر محمد السنوسي في قوله واصفاً اتحاد العرب والمسلمين :

أملـى إرادتـه وضـمّ صـفوفه والتـف مـن قطـر إلى البيـضاء

تتبـاين الأسمـاء في تعريفـه كالجسم وهو موحّد الأعضاء [3]

فالشاعران اقتبسا الحديث النبوي الشريف : ((**المؤمن للمؤمن كالبنيان يشدّ بعضه بعضا ، ثم شبك بين أصابعه**)) [4] ، وقوله عليه الصلاة والسلام : ((**مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى**)) [5] .

والشاعر علي النعمي حين دعوته إلى الجهاد لدى انعقاد مؤتمر قادة المسلمين في مكة، نجده يستلهم من الحديث النبوي ما يعضد فكرته ، ويوضح دعوته ، مشيراً إلى

(١) سورة مريم ، آية : (٢٣) .
(٢) المجموعة الشعرية : ٥٤٩ .
(٣) الأعمال الكاملة : ٤١ .
(٤) صحيح البخاري ، باب الصلاة ، حديث (٨٨) ، وانظر : فتح الباري ١٠/ ٤٥٠ .
(٥) مسند الإمام أحمد بن حنبل ، تحقيق : أحمد شاكر ٤/ ٢٧٠ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

الحديث النبوي : ((**من مات ولم يغز ولم يحدث به نفسه مات على شعبة من نفاق ...**)) [1] ، فيقول :

يـا قـادة الإسـلام مكـة أعلنـت　　بلـسانكم في خـير جمـع غـال
حـان الجهـاد وفي الـتلاحم قـوة　　وبـه تؤثـر ضربـة الأبطـال
وتوحـد الرايـات في درب الهـدى　　هـو غايـة الأهـداف بـين الآل
مـن لـيس يغـزو أو يحـدث نفـسه　　بـالغزو مـات عـلى أشـد ضـلال[2]

ويشير في قصيدة أخرى عند عرضه لحكمة الله العظيمة في قسمة الأرزاق وتفاوت الناس إلى الحديث الشريف ((**اعملوا فكل ميسّر لما خلق له ...**)) [3] ، فيقول :

فلـم الـتهجم والخلائـق قـسمت　　أرزاقهـا .. لـو تفهـم الألبـاب ؟!
كـل لمـا خلـق الإلـه ميـسّر　　تـبر لـذا يجـري ، وذاك تـراب[4]

ولدى عرض شعراء جازان لمعانيهم وبسطهم لها اتكأوا على كثير من آثار الصحابة وأقوالهم ، وكان لها أثر كبير في تدعيم الأفكار التي أرادوا إيصالها ، فمن ذلك – على سبيل المثال – إشارة السنوسي في قوله :

والله لـو منعـوني حبـل راغيـة　　قاتلتهـم لـيس إلا ذاك قـرار [5]

إلى مقولة أبي بكر الصديق المشهورة التي أصبحت مثلاً ، وهي : ((**والله لو**

(١) صحيح مسلم ، كتاب الجهاد ، باب من مات ولم يغز ولم يحدّث به نفسه ،حديث رقم (٤٩٣١) من رواية أبي هريرة .
(٢) الرحيل إلى الأعماق : ٢٣ .
(٣) صحيح مسلم ، كتاب القدر ، باب كيفية الخلق الآدمي في بطن أمه ، حديث رقم (٢٦٤٩) من رواية عمران ابن حصين .
(٤) الرحيل إلى الأعماق : ٣٩ .
(٥) الأعمال الكاملة : ٥٣٩ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

منعوني عقالاً كانوا يؤدونه لرسول الله – ﷺ – لقاتلتهم عليه)) [1] .

وكذا في قوله :

وكـــذا كـــل حاكـــم مـــستنير راحـــة الـــشعب همـــه لا المـــصايف
قالهـــا قبـــل أن أقـــول أبـــو حفـــ ـــص فكانـــت أنموذجـــاً للخلايـــف
أنـــا لـــو ضـــاع في العـــراق بعـــير جئت يوم الحساب والحشر خائف [2]

فهو هنا يشير إلى قول عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – : ((**والذي بعث محمداً بالحق لو أنَّ جملاً هلك ضياعاً بشط الفرات خشيت أن يسأل الله عنه آل الخطاب ...))** [3].

ونجد صدى مقولة عمر بن الخطاب المشهورة : ((**إنَّ السماء لا تمطر ذهبًا ولا فضة))** ، في قول علي النعمي معقبًا على حياة الكفاح التي كان يعيشها الفلاح في الماضي، وما يلقى عن صعاب :

مـن يكـافح تـضحك الـدنيا لـه ملء فكيهـا .. ويلقـى مـن شـقي
والـــذي ظـــنَّ الـــسما تمطـــره ذهبـــاً عـــاش بقلـــب مغلـــقِ [4]

ج- الأمثال العربية :

ومن المصادر التي عبَّ منها الشعراء وتأثروا بها عند إيراد معانيهم الأمثال العربية ، حيث استفادوا من دلالاتها وتكثيفها للمعاني ورمزها للأحداث المشابهة ، فمن تلك الأمثال الواردة في شعر جازان قول علي النعمي في حديثه عن تاريخ ضمد الأدبي ، ورغبته في إحياء ذلك التاريخ ، وبعثه من جديد مستعيناً بالمثل المشهور (**بلغ**

(١) انظر : مختصر صحيح الإمام مسلم ، للحافظ المنذري ، وتاريخ الطبري ٢/ ٢٥٤ – ٢٥٥ ، ومختصر سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم ، للشيخ محمد بن عبدالوهاب : ١٧٢ .
(٢) الأعمال الكاملة : ٧٠٨ – ٧٠٩ .
(٣) تاريخ الإمام الطبري ٢/ ٥٦٦ .
(٤) الأرض والعشق : ١٣٣ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

السيل الزُّبى) [1] :

ضـمد جامعـة المخـلاف كـم أطلعـت شيخـاً يبـز الخطبـا
ولكـــم غـــرّد في أفنانهـــا شاعـــر فحـــل فنـــال القـــصبا
فانـشروها مـن جديـدٍ وابعثـوا مجدها (قد بلغ السيل الزُّبى) [2]

وفي حديثه عن معاهدة السلام التي أبرمتها مصر مع إسرائيـل وشـقها للصف العربي – آنذاك – استفاد في إيصال معانيه وإيضاحها بمثلين عربيين هما (**لأمر ما جدع قصير أنفه**) [3] ، و (**على نفسها جنت براقش**) [4] ، فقال :

كيـف تهنـا مـصر بعـيش ومـصر سـحقتها خطـى الـسلام المثـيرة ؟
جـدعت أنفهـا وشـلت قواهـا كيـف تمـشي بـساقها المبتـورة؟
مـا علينـا جنـت بـراقش لكـن رحلـة الطـيش والعنـاد قـصيرة [5]

ومن الأمثال الواردة في شعر علي بـن مـديش (**قلب له ظهر المجن**) [6] ، وذلـك لدى حديثه عن تنكر صدام حسين لكل من ساندوه وساعدوه وتفضلوا عليه مـن أهـل الخليج ، قائلاً :

كـــم مجـــنٍّ قـــد قلبـــتم ظهـــره لـــصديق ورفيـــق ومعـــين [7]

وأيضاً جاء في شعره المثل المشهور (**أعط القوس باريها**) [8] في قوله :

وخالـــد قـــد أتـــى والخـــير يتبعـــه حتـــى رقـــت روحـــه عـــوداً لباريهـــا

(١) انظر قصة المثل في : مجمع الأمثال للميداني ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ١/ ١٥٨ .
(٢) الأرض والعشق : ٢٢ .
(٣) انظر قصة المثل في : مجمع الأمثال ، للميداني ٢/ ١٢١ .
(٤) انظر : المصدر السابق ٢/ ٣٣٧ ، وفيه (على أهلها تجني براقش) .
(٥) الرحيل إلى الأعماق : ٥٣ .
(٦) انظر القصة في : مجمع الأمثال ، ٢/ ٤٩٠ .
(٧) نبض القوافي : ٣٠ .
(٨) انظر المثل في : مجمع الأمثال ، ٢/ ٣٤٥ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وبعـــده جاءهـــا فهـــدٌ لعزتهـــا فـسلمت حينهـا قوسـاً لباريهـا [1]

ومن أمثال العرب (**أصفى من الدمعة**) [2] نجد صداه في شعر أحمد البهكلي ، حيث يقول :

ومـن أدمـن الـشكوى أراه الأسـى رؤى تكدّر في منظاره دمعه الصافي [3]

والبهلكي يحرص كثيراً على الإفادة من ذاكرته التراثية ، لا سيما في بعض الجمل المستفادة من الأمثال ، وينجح كثيراً في تحوير تلك الأمثال وتطويعها للسياق المراد ، فمن ذلك قوله :

أرسليـــه ، إنـــني أضـــنى وإني لأضلّ – اليوم – من درب جنيف [4]

فهو يريد أن يشير إلى أنَّ العرب كانوا ينتظرون ويسمعون أنه سيعقد مؤتمر في جنيف تحل فيه مشكلة فلسطين ، وكان ذلك في التسعينات الهجرية ، وليس بخافٍ إفادة الشاعر من الأمثال العربية (**أضل من سنان**) ، و(**أضل من ضبّ**) ، و (**من ورل**) ، و(**أضل من قارظ عنزة**) [5] وغيرها .

ومن أشهر الأمثلة دوراناً على ألسنة شعراء جازان ، وكان لها ظهوراً في معانيهم قول العرب : (**رجع بخفي حنين**) [6] ، فالشاعر علي بن قاسم الفيفي لدى رثائه للشيخ عبدالله القرعاوي أشار إلى مكارمه وحسن أخلاقه ، وأنه لا يرجع أحد قصده لحاجة دون أن يحققها ، فقال :

أو يأتـــه قـــط ذو حاجـــة وقـد عـاد يومـاً بخفـي حنـين [7]

(١) نبض القوافي : ٤٤ .
(٢) انظر : مجمع الأمثال ، ٢/ ٢٥٦ .
(٣) طيفان على نقطة الصفر : ٦٠ .
(٤) المصدر السابق : ١١٣ .
(٥) انظر تلك الأمثال في : مجمع المثال ، ٢/ ٢٧٣ – ٢٧٥ .
(٦) انظر : المصدر السابق ، ٢/ ٤٠ .
(٧) الطيف العابر : ١٢٤ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

وعلي صيقل عند حديثه عن تجربته في الحياة ومحاولاته الكثيرة لتخطي عقباتها ، أدرك أنه لم يحصّل من أسفاره أي شيء ، وأنه رجع من رحلة الحياة خالي الوفاض ، فقال:

فما الذنب ذنبي .. إذ جبت
كل القفار .. عبرتُ البحار
وعدتُ .. ولا شيء بين اليدين
(رجعتُ بخفي حنين) (١)

إلى غير ذلك من أمثال وردت في أشعارهم ، وضمنوها معانيهم ، فأدت المراد منها، حيث حملت كثيراً من الإشارات والدلالات الواسعة .

د- الأخذ من الشعر العربي القديم :

يعدّ الشعر العربي القديم من أهم الروافد التي أثرت في شعراء جازان ، وكونّت بعض معانيهم ، وحركت روح الشعر لديهم ، وأسهمت في إمدادهم بعدد من الألوان لرسم صورهم ، وهم في ذلك يظهرون – شعورياً أو لا شعورياً – عمق أصالتهم وانتمائهم لموروثاتهم ، ((**فقدرة الشاعر على الأصالة هي نفسها قدرة الأمة على الثبات ، والقدرة على الثبات تعني أن الأديب الأصيل هو ثمرة الأمة الناضجة ، تمرّ به التيارات الأدبية القوية ، فيقبس منها دون أن تذوب مثله وأفكاره وتصوراته**)) (٢) .

وكل الشعراء متأثرون بالشعر القديم ، إلا أنهم يختلفون في هذا التأثر عمقاً وسعة أخذ، فالمقلدون والمحافظون أكثروا من تقمص روح الشعراء القدماء مجاراة ومحاكاة ومعارضة وتضميناً ، بينما كثر تأثر المزاوجين استيعاباً وهضماً واستيحاء ، وحتى الشعراء المحافظون فإنهم كانوا يتفاوتون في ذلك التأثر ، تقرأ أشعار بعضهم ، كالعقيلي ، والفيفي ، فتجد أثر الشعر القديم واضحاً ، تقرأ البيت فيرنّ في وسطه صوت الشاعر القديم قويًّا ، بينما يخفت هذا الرنين في شعر السنوسي والنعمي ، ويكون

(١) ترانيم على الشاطئ : ٦٩ .
(٢) الشعر الحديث في المملكة العربية السعودية ، د. عبدالله الحامد : ٦٤ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

أكثر خفاءً ، ولكل قاعدة شذوذ .

ومن الأمور البدهية أنّ الشعر الحديث متأثر بالشعر القديم ؛ لأن القدرة على إنشاء الشعر موهبة مصقولة ، أو موروثة مكتسبة ، يصقلها الشاعر بكثرة ما يقرأ من شعر ، وما يحفظ من قصائد ، فتتكون لديه تشكيلة ضخمة وكبيرة من القوالب والأطر، والمعاني والصور والألوان ، يشكلها الأديب – بعد ذلك – حسب مقامات القول ، مضيفاً عليها فيضاً من روحه ، وانصهاراً من عواطفه .

ويعد المعرّي أكثر الشعراء القدامى تأثيراً في شعر جازان ، تقرأ أشعار بعضهم، فتلمح فيها أفكاره ورؤاه وتأملاته وشكه وحيرته ، وضيقه وتبرمه ، وتزعته التشاؤمية، فالشاعر محمد السنوسي عندما رثى والده علي السنوسي سيطرت على رؤاه مرثية المعري المشهورة في الفقيه الحنفي [1] ، ومن ذلك قول السنوسي :

كلنا رائح على الموت غاد وعيون القضاء بالمرصاد

ومجاز هي الحياة فسيا ن مخبٌّ أو سائر في اتئاد[2]

وتأثير المعري في الشاعر علي النعمي واضح كل الوضوح ، لا سيما في تشاؤم النعمي وتبرمه وضيقه من الدنيا وتقلباتها ، فمن ذلك إشاراته الكثيرة إلى أنَّ لحظات السرور في الحياة قليلة جداً إذا قيست بلحظات الأحزان والآلام ، وأنها عما قليل تزول وتنقشع كسحابة صيف ، وهذا معنى قديم شاع لدى المعري ، يقول النعمي :

أين مني تلك الثواني اللواتي غازلت خاطري وأذكت خياله

وأرتني وجه الحياة مضيئاً ومشعاً كالبدر ضمته هاله

لست أدري كيف انتهت واستقالت وأنا بعدُ ما اعتمدت الإقاله

لحظات السرور في العيش ومضٌ يتلاشى من حولنا لا محاله[3]

(١) شروح سقط الزند ، للمعري ، بإشراف طه حسين وزملائه ، ٣/ ٩٧١ .

(٢) شعراء الجنوب ، للسنوسي وآخرين : ٩٦ .

(٣) الأرض والعشق : ٣٢ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

ونجد صوت المعري كثيراً في أشعار محمد مسير مباركي ، فمن ذلك قوله في قصيدة (نحلتي الموت) :

ظامـــيء أحتـسي الغيابـة نزفـا　　والنعـيُّ البـشيرُ قـد يتـشفَّى[1]

فهو يذكرنا بقول المعري :

وشـبيه صـوت النعـيِّ إذا قيـ　　ـسَ بصوت البشير في كل ناد[2]

ونجد الصوت نفسه في قول مباركي ، معبراً عن مللـه من الحياة بعد أن بلغ الثلاثين من العمر بسبب عدم ملائمة الحياة له ، وامتلائها بالسخافات :

أرذلُ العمـر أن بلغـتُ الثلاثيـ　　ـن فيـا مـوت زُرْ فتـىً مـلَّ سُـخْفا[3]

فهو تأثر واضح بقول المعرّي – مع الفارق –:

فيـا مـوت زر إن الحيـاة ذميمـةٌ　　ويا نفس جدّي إن دهرك هازلُ[4]

ومن الشعراء الذين تأثر بهم شعراء جازان ابن خفاجة لا سيما الشعراء الذين أولعوا بالوصف والتصوير كالسنوسي والعقيلي وأشباههما ، تتصفح كثيراً من أشعارهم ، فتسمع فيها صوت ابن خفاجة ، وتشمَّ فيها معالم الطبيعة التي أولع بها ، فمن ذلك – على سبيل المثال – ما جاء في وصف جبل فيفاء للسنوسي ، حيث يقول :

جبـلٌ تعـشق النجـوم مجاليـ　　ـه وتـصبو إلى ذراه العـوالي
يـزحم النـيرات منكبـه الـضّخـ　　م ويحتـك بالـسُّهى والهـلال
مـشرئب إلى الـسماء بـرأسٍ　　صلـف فـي شموخـه متعـال
أخضر السفح أزهر السطح مصقو　　ل الحواشي زاهي الربـا والتـلال[5]

(١) للصعاليك فقط : ٥٨ .
(٢) شروح سقط الزند ، للمعري ، ٣/ ٩٧١ .
(٣) للصعاليك فقط : ٦٠ .
(٤) شروح سقط الزند ، ٢/ ٥١٩ .
(٥) الأعمال الكاملة : ٣٤١ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ففي هذا المقطع ملامح تأثر بابن خفاجة في قوله في قصيدة (مقيم وذاهب) عند وصفه الجبل :

وأرعن طمّاح الذؤابة باذخ يطاول أعنان السماء بغاربِ
يسد مهب الريح عن كل وجهة ويَزحَمُ ليلاً شهبه بالمناكبِ[1]

ومثل ذلك قصيدة ابن خفاجة التي مطلعها :

لله نهر سال في بطحاء أشهى ورود اً من لمى الحسناء[2]

فقد تأثر بها الشاعر محمد العقيلي في إحدى قصائده في وصف البحر ، إذ يقول :

يرتد حولك كالسوار وينثني لهثاً يردد زفرة حمراء[3]

ونجد صوت ابن خفاجة في قصيدته السابقة واضحاً في قصيدة (رسوم على شاطئ البقاء) لأحمد الحربي ، إذ يقول :

والليل يعبث بالنجوم
وسماع صوتي في ارتفاع[4]

فهو في قوله هذا يتبع آثار ابن خفاجه في قوله :

والريح تعبث بالغصون وقد جرى ذهب الأصيل على لجين الماء[5]

مع اختلاف الموضوعين المطروقين لدى الشاعرين.

وظهرت أصوات عدد من الشعرء القدامى في المعاني التي طرقها شعراء جازان ، ولكنها لم تكن واضحة وملحوظة كما هي أصوات المعري وابن خفاجة ، ومن هؤلاء الشعراء مالك بن الريب – مثلاً – في قول محمد بن مسير مباركي :

---

(١) ديوان ابن خفاجة : ٤٣ .
(٢) المصدر السابق : ١١ .
(٣) المجموعة الشعرية : ٢٦٤ . وقد سبق الحديث عن البيت الذي تأثر به العقيلي في التمهيد لهذا الباب .
(٤) رحلة الأمس : ٣٣ .
(٥) ديوان ابن خفاجة : ١١ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

خليلي إما قدر الموت فاحملا　　لجازان نعشي واندباني بحرقةِ
وخطّا على قبري : فتى كان عاشقاً　　كمجنون ليلى أو كثيّر عزّةِ [1]

ففي البيتين صدى مرثية مالك الرائعة لنفسه ، ومنها قوله :

وخطّا بأطراف الأسنة مضجعي　　وردّا على عينيَّ فضل ردائيا [2]

ومن أولئك الشعراء الذين أثروا في شعراء جازان أبو فراس الحمداني ، تقرأ شعر محمد بن علي السنوسي ، فتجده يقول في مديح الملك عبدالعزيز :

العلى أبعد شيء يبتغي　　والردى أقرب مطلوب يريد
وهو إما الصدر والملك ولا　　شيء إلا القبر ما عنه محيد [3]

فتذكر بيت أبي فراس المشهور :

ونحن أناس لا توسّط عندنا　　لنا الصدر دون العالمين أو القبر [4]

وتقرأ شعر علي السنوسي ، فتجده يقول متغزلاً :

ليس حبي لها أحب أناسا　　حولها ساكنين حتى الكلابا [5]

فتتذكر بيت خالد بن يزيد بن معاوية المشهور :

أحب بني العوّام طرّا لأجلها　　ومن أجلها أحببت أخوالها كلبا [6]

غير أنَّ علي السنوسي لم يحسن التأثر هنا ، فهو أحبَّ كل ما سواها ، فأين نصيبها من حبّه ، بينما خالد بن يزيد ما أحب الساكنين إلا لأجلها ، فكلمة (ليس) عند علي

(١) للصعاليك فقط : ١٩ – ٢٠ .
(٢) جمهرة أشعار العرب ، لأبي زيد القرشي : ٢٩٦ ، والأغاني للأصفهاني ، ١٩/ ١٦٩ ، وتاريخ الأدب العربي ، لعمر فروخ ١/ ٣٩٥ .
(٣) الأعمال الكاملة : ١٤٠ .
(٤) ديوان أبي فراس الحمداني ، بشرح الدكتور : خليل الدويهي : ١٦١ .
(٥) المفقود من شعر السنوسي : ١٥٤ .
(٦) أدب الدنيا والدين ، للماوردي : ١٧٠ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

السنوسي أفسدت المعنى ؛ لأنه يريد – فيما أظن – أن يقول لم أحبّها هي فقط ، وإنما لما أحببتها ، أحببت كل من له علاقة بها .

ووصل ببعض الشعراء المتأثرين بالقدامى أن يصرّح بذلك التأثر ، ويعتبره تتلمذاً على أيديهم ، فيقول محمد مباركي مفتخراً بذلك :

فتى ينحرُ الأشعار يقري بها النهى ويُرقي بنات الإنس أسفار جنّةِ
وعى المتنبي وامرأ القيس واصطفى ثلاثة آباءٍ صعاليك فِطرةِ
هم الشنفرى الأزدي ثم خليله تأبط شراً واستما بعروةِ[1]

وإذا كان التأثر يأتي في الشعر عفواً وبلا قصدٍ ، فإنَّ هناك مظاهر أخرى من مظاهر الاستعانة بالشعر القديم في دعم المعاني جاءت قصداً ، وذلك إما بالتضمين أو عن طريق المعارضة ، حيث حرص كثير من الشعراء على أن يضمنّوا في شعرهم أبياتاً من الأدب العربي القديم تشبه في مضمونها ما يجنح الشاعر إلى معالجته ، ومن ذلك ما جاء في شعر محمد بن أحمد العقيلي من مثل قوله في قصيدة (يوم الجزائر في جازان) :

أجاب لبيك عن حبٍّ وعن ثقةٍ فكلنا لثواب الله محتسبُ
نجود بالروح إن ضن البخيل لما يرضي الإله وما تسمو به العربُ[2]

فالشطر الأول من البيت الثاني تحوير لبيت أبي تمام في كعب بن مامة :

يجود بالروح إن ضنَّ البخيل بها والجود بالنفس أقصى غاية الجود[3]

ومن الأمثلة على تضمينه لشعر المتنبي قوله في قصيدة (الغرام الأول):

وناجيت قلبي حسبك اليوم فاتّئد لقد آن أن تدنو إلى النصح صاغيا
حبوتك قلبي قبل حبك من نأى فقد كان غداراً فكن أنت وافيا[4]

---

(١) للصعاليك فقط : ٢٠ .

(٢) المجموعة الشعرية : ٣٦٤ .

(٣) ديوان أبي تمام ، تحقيق : محمد عبده عزام ، ١/ ٣٩١ .

(٤) المجموعة الشعرية : ١٩٢ ، وفيه (حبوتك) ، وكذلك الأنغام المضيئة : ١١٠ ، والرواية الواردة في ديوان المتنبي (حببتك) .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

والبيت الثاني هو من قول المتنبي في قصيدته المشهورة التي مطلعها :

كفى بك داءً أن ترى الموت شافياً　　وحسب المنايا أن يكنَّ أمانيا [1]

ولكن العجيب أنَّ الدكتور علي المصري في تحليله لهذا البيت ، جعل هذا البيت واسطة العقد فيها ، وظنه للعقيلي ، فقال بعد ذكره للبيت وأبياتاً قبله ما نصّه : ((لله درك أيها العقيلي على هذا الإخلاص وذاك الوفاء ، لقد ارتفعت ببيتك الأخير هذا إلى مراقٍ لم يبلغها معاصروك ، واستويت بها مع عمالقة الحب في العصور السالفة وأساطين البيان في أعصر الزهو والازدهار ، فعلى الرغم من أن هجر الحبيب وصده جعلاك كالملدوغ ترقب سريان السم النقيع في أوصالك وشبوب النار في أحشائك ، إلا أنك بقيت مخلصاً وفياً ، لا بل زدت وفاءً كلما زاد المحبوب جفاء ، حتى تفتقت قرائحك بهذا البيت الخالد في أسفار العشاق المخلصين يسطرونه على صفحات قلوبهم بماء الذهب ، إنه البيت الأخير :

حببتك قلبي قبل حبك من نأى　　فقد كان غدّاراً فكن أنت وافيا)[2]

ولم يدر المصريُّ أنَّ هذا البيت الخالد ليس للعقيلي ، وإنما هو من شعر المتنبي .

ومن أبيات المتنبي المشهورة الواردة في شعر العقيلي ، قول المتنبي:

للسبي ما نكحوا، والقتل ما ولدوا　　والنهب ما جمعوا والنار ما زرعوا [3]

وقول المتنبي:

ذم الدمستق عينيه وقد طلعت　　سود الغمام فظنوا أنها قزع[4]

غير أنَّ العقيلي غيّر في أوله ، فقال : (**ذمَّ ابن غريون**) [5] .

(١) شرح ديوان المتنبي (معجز أحمد) للمعري ، ٤/ ١٧ .

(٢) مع الأنغام المضيئة ، لعلي المصري : ١٠٤ ، وانظر : شعر محمد العقيلي دراسة تحليلية ، لخالد الشافعي : ٢١٦ .

(٣) شرح ديوان المتنبي (معجز أحمد) ، تحقيق د. عبدالمجيد ذياب : ٣/ ١٨٠ . وانظر : المجموعة الشعرية ، للعقيلي: ٨٢ .

(٤) شرح ديوان المتنبي (معجز أحمد) ، ٣/ ١٨٢ .

(٥) المجموعة الشعرية : ١٨٤ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ومما جاء من تضمين لأشعار القدماء في شعر النعمي قوله :

وتجـرع كأسهـا سُـمًّا زعافـاً وتبدأ رحلة المجهول حسرى !!

(ألا لا يجهلـن أحـدٌ علينـا) فنكـشف سـوءةً، ونـدينُ كُفْـرا (١)

فالبيت الثاني أوله تضمين لقول عمرو بن كلثوم في معلقته المشهورة :

ألا لا يجهلـن أحـدٌ علينـا فنجهـل فـوق جهـل الجاهلينـا (٢)

وقد أحسن النعمي توظيف التضمين هنا ، حيث جعل البيت المضمن معادلاً للرمز بالقوة وإظهار القدرة على المعاملة بالمثل والزيادة ، ولا سيما أنه قال هذا البيت في حديثه عن أحداث حرب الخليج واعتداء العراق ومن معه من الأحزاب على الخليج .

ومن التضمين الوارد في شعر علي النعمي – أيضاً – ما جاء في قوله على لسان زوجة تخاطب زوجها معتذرة إليه بعد أن عنّفته على انشغاله بكتبه وأوراقه عنها :

هبـني أسـأتُ إليـك ممـا نابـني فامسـح بعفـوك ثرثـرات لـساني

هاك الكتاب ، فقال : لا يا منيتي (قـد حيـل بـين العـير والنَّـزوانِ) (٣)

فالشطر الأخير من قول صخر بن عمرو بن الشريد في عتاب زوجته التي ملّت طول مرضه :

أهمُّ بأمـر الحـزم لـو أستطيعه وقـد حيـل بـين العـير والنَّـزوان (٤)

ومن الأمثلة على التضمين بشعر القدماء في شعر محمد أحمد الشنقيطي قوله :

(١) لعيني لؤلؤة الخليج : ٥٠ .
(٢) ديوان عمرو بن كلثوم : ١٠٢ .
(٣) الرحيل إلى الأعماق : ٨١ .
(٤) الشعر والشعراء ، ابن قتيبة ، تحقيق وشرح : أحمد محمد شاكر ، ١/ ٣٤٥ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

سقيتُ بدمعي أرضها ورياضها فإن مت ظمآنا فلا نزل القطر [1]

فالشطر الثاني مآخوذ من قول أبي فراس الحمداني :

معللتي بالوصل والموت دونه إذا متُّ ظمآناً فلا نزل القطرُ [2]

ومن مظاهر التضمين في شعر حسين سهيل قوله :

صبّي نهارك في يدي
وأنبتيني سعفة خضراء
في راح اليد
واغسليني من عيون الحب .. وجداً أبدي
فأنا أهواك (يا ذات الخمار الأسود) [3]

فهو متأثر ببيت الدارمي المشهور الوارد في قصته مع التاجر العراقي ، حيث يقول الدارمي :

قل للمليحةِ في الخمار الأسودِ ماذا فعلت بزاهدٍ متعبد [4]

ومن أوضح معالم التأثر بالشعر القديم ، ما جنح إليه كثير من شعراء جازان لا سيما في بداياتهم الشعرية من المعارضة والمحاكاة ، والنسج على منوال القصائد المشهورة للشعراء الكبار في العربية ، لا سيما تلك التي كانت تلقى في المناسبات ، إذ نلمح الشاعر المتأثر يذوب في القصيدة القديمة ، وينثر أفكارها وينظمها من جديد ، سواء جاء هذا بصورة عفوية ، حين تكون المناسبة القديمة تشابه الأخيرة ، كوفاة زعيم ، أو حدث مهم وكبير ، أم جاء عن طريق انبعاث قصائده القديمة من مرقدها من

(١) خلف أسراب البجع : ٥٠ .
(٢) ديوان أبي فراس الحمداني ، بشرح الدكتور خليل الدويهي : ١١٣ .
(٣) أشرعة الصمت : ٤٨ .
(٤) العقد الفريد ، لابن عبد ربه ، تحقيق : د. عبدالمجيد الترحيني ، ٧/ ١٧ ، ولم ينسبه .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

(اللاشعور) العقل الباطن انبعاثاً – أيضاً – عفوياً ، أم قصد الشاعر ذلك قصداً ، محاولاً بذلك إعادة فنّ المعارضات الذي جدّد شوقي ديباجته المندثرة ، قاصداً من ذلك عرض قدرته أمام قدرة الشاعر القديم ؛ ليعرف الناس فضل المتأخر ، أو لمجرد التقليد الذي جعله يعجب بكل ما يصل شعره بالشعراء الكبار، ولو قصر عن لحاقهم [١] .

وعلى كل حال فالمعارضات تشكل بكل المقاييس جزءاً مهماً من ظاهرة إحياء الشعر القديم والتأثر به ، وهي تدل على الاحتذاء ، كما تدل على تمكن التيار القديم من الشاعر الذي يلجأ للمعارضة [٢] ، وإن كان بعض النقاد لا يراها من الفن الصحيح في شيء [٣] ، على حين يرى آخرون أن دراسة المعارضات فنٌّ نقدي أصيل له خطره في تقويم العمل الأدبي [٤] . وما يهمنا هنا هو أنها صورة واضحة على الارتباط بالتراث والإعجاب به ، واستمداد أشكاله ومعانيه ، وتتبع آثاره وأعلامه ، والوقوف على نماذجهم الرائعة ، وتجاربهم الخالدة .

فالشاعر علي بن محمد السنوسي عارض بقصيدته الدالية في مديح الملك عبدالعزيز آل سعود – رحمه الله – ومطلعها :

أجل مساعيه العناية بالهدى وغاية مرماه النكاية بالعِدا [٥]

قصيدة المتنبي في مديح سيف الدولة وتهنئته بعيد الأضحى :

لكل امرئ من دهره ما تعودا وعادات سيف الدولة الطعن في العدا [٦]

ومن الشعراء الذين مالوا إلى المعارضة في أشعارهم للقدماء الشاعر عبدالله بن علي العمودي ، فقد عارض بقصيدته التي مطلعها :

---

(١) انظر : الشعر الحديث في المملكة العربية السعودية ، د. عبدالله الحامد : ١٣٢ .
(٢) انظر : المعارضات في الشعر العربي الحديث ، د. محمد بن سعد بن حسين : المقدمة .
(٣) انظر : الموازنة بين الشعراء ، د. زكي مبارك : ٣٩٢ .
(٤) انظر : الشيخ محمد بن عبدالله بن بليهد وآثاره الأدبية ، د. محمد بن سعد بن حسين : المقدمة ، والتاريخ الأدبي لمنطقة جازان ، للعقيلي ، ٣/ ١٩٣١ .
(٥) المفقود من شعر علي بن محمد السنوسي : ١٢٣ .
(٦) شرح ديوان المتنبي (معجز أحمد) ، ٣/ ٣٧٢ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

سرت من ربانا قاصداتٍ إلى نجد　　على ما بها من لاعج الشوق والوجد[1]

قصيدة محمد بن إسماعيل الأمير الصنعاني ، التي أيّد فيها دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب ونافح بها عنها ، ومطلعها :

سلامٌ على نجدٍ ومن حلَّ في نجد　　وإن كان تسليمي على البعد لا يجدي[2]

وللشاعر محمد بن أحمد العقيلي عدد من القصائد التي عارض بها القدماء ، ومنها قصيدته (أبو الشعب) التي أنشدها بين يدي الملك فيصل – رحمه الله – على لسان وفد جازان الذي قدم الرياض مهنئاً الملك بسلامة الوصول والعافية بعد إجرائه عملية جراحية في سويسرا ، ومطلعها :

هلَّ بالبشرى فقلنا بشريان　　بأبي الشعب ويوم المهرجان[3]

عارض بها الشاعر العباسي ابن مقاتل في قصيدته التي مطلعها :

لا تقل بشرى ولكن بشريان　　غرّة الداعي ويوم المهرجان[4]

أما الشاعر محمد الشنقيطي فقد أولع بتشطير قصائد القدماء[5] ومعارضتها ، ومن الأمثلة على ذلك قصيدته (تباً لك من وداع) التي مطلعها :

(لا تعذليه فإن العذل يوجعه)　　جفاه منك على التأنيب مضجعه

قلت الوصال بفرقانا تقطعه　　(قد قلت حقا ولكن ليس يسمعه)[6]

فالقصيدة تشطير لقصيدة ابن زريق البغدادي المشهورة ، التي مطلعها :

---

(١) أثر دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب في الفكر والأدب ، د. عبدالله أبو داهش : ٢١٤ .
(٢) ديوان الأمير الصنعاني : ١٢٨ .
(٣) المجموعة الشعرية : ٢٩٥ .
(٤) يتيمة الدهر ، للثعالبي ١/ ١٨٢ .
(٥) انظر ديوانه : خلف أسراب البجع ، ففيه كثير من تلك القصائد ، وهناك إشارات في الهوامش إلى ذلك التشطير والتأثر ، مثل : ص ٤٣ ، ٤٦ ، ٥٧ .
(٦) المصدر السابق : ٣٧ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

لا تعذليه فإنَّ العذل يولعه　　قد قلت حقا ولكن ليس يسمعه [1]

وهكذا نرى كبير أثر الشعراء الأقدمين في شعراء جازان ، وقد كان لهذا المصدر أهمية كبرى في تكوين شاعرية كثيرين منهم ، مما جعلهم يتقدمون في تجاربهم الشعرية الحديثة على قاعدة راسخة ، وقادرة على الثبات أمام الأعاصير .

هـ- التأثر بالشعر العربي الحديث :

لم يكن تأثر شعراء جازان منطلقاً من ذاكرتهم التراثية ومخزونهم الثقافي المتراكم من الشعر العربي القديم فقط ، وإنما اقترن به رافدٌ آخر كان تأثرهم به أشدّ وأقوى وأعمق لقرب العهد به ، ولمعاصرته وأثره في الساحة الأدبية ، ذلك هو الشعر العربي الحديث بمدارسه المختلفة ، واتجاهاته المتنوعة ، لا سيما قطباه الرئيسان : الإحيائي المتمثل في البارودي ومن تلاه بعد ذلك كشوقي ، وحافظ ، والرصافي ، وبدوي الجبل ، وبشارة الخوري ، وغيرهم ، والمنطلق في آفاق التجديد المتمثل في مدرسة الديوان ، والمهجريين ، وأبولّو .

وقد مرَّ عند الحديث عن المؤثرات في شعر المحافظين القول : إنَّ أي شاعر في هذا العصر لم يكن له ليتجاهل ديوان شوقي ؛ لما له من أثرٍ على تجديد روح الشعر ، وإحياء معالمه ، وإفادته من تجربة البارودي وروح العصر ، فجمع بين الأمرين ، فكان بحق أمير الشعراء . ومن هنا راح شعراء جازان يقرأونه ويتأملون ويحاكونه ، فمن ذلك التأثر – على سبيل المثال – قصيدة العقيلي (المشاعر المقدسة) ، التي مطلعها :

قَبسٌ من أشّعة الحق قدسي　　قد تجلّى ببهجةٍ وبأنسِ [2]

فهي واضحة التأثر بسينية أحمد شوقي ، والتي مطلعها :

(١) الكشكول ، لبهاء الدين العاملي ، ١/ ١١٨ – ١٢٠ ، وتاريخ الأدب العربي ، لعمر فروخ ، ٣/ ٩١ .

(٢) المجموعة الشعرية : ٣١٣ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

اختلاف النهار والليل ينسي　　اذكروا لي الصبا وأيام أُنسي [1]

وتأثر العقيلي بشوقي هنا أكثر من تأثره بسينية البحتري ، ولذا رأيت أن أوردها في تأثر العقيلي بالشعر الحديث ، وليس بالقديم ، ومن الأدلة على ذلك التأثر بشوقي تذكر العقيلي في قصيدته لأمجاد المسلمين ، وما حققوه للأمم من نهضة وحضارة غيّرت من معالم الحياة في فترة وجيزة ، فيقول :

نهض الشرق في سناه وقامت　　دولة فوق قمة النجم ترسي
ملكت ساحل المحيطين قسراً　　واحتوت قيصراً وثنت بفرسِ
أسسوا في مشارق الأرض عرشا　　عربياً وفي المغارب كرسي
نظموها ممالكاً وتخوما　　وحموها بكل درعٍ وترسِ
أين مأمونها وهارون يجبي　　كلما أمطر السحاب بيبسِ [2]

فالبيت الثالث هنا هو تحوير لبيت شوقي المشهور :

أين مروان في المشارق عرشٌ　　أمويٌّ وفي المغارب كرسي [3]

وكذلك فإدراج العقيلي البكاء على ممالك الأندلس الضائعة في قصيدته التي قالها في موضوع الحج لم يكن إلا بسبب هذا التأثر ، وذلك الجنوح إلى معارضة شوقي ، الذي بكى حضارة المسلمين في إسبانيا عندما نفي إليها ، فتأثره بشوق هنا واضح كل الوضوح ، ولم يكن للبحتري أي وجود في القصيدة سوى اتفاق الوزن والروي .

ومن القصائد التي عارض بها العقيلي شوقياً قصيدة (مرثية الملك عبدالعزيز) التي مطلعها :

---

(١) الشوقيات ، أحمد شوقي ، ٢/ ٤٥ .
(٢) المجموعة الشعرية : ٣١٦ .
(٣) الشوقيات ، لأحمد شوقي ، ٢/ ٤٧ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

نـيّرٌ قـد هـوى فـرجَّ العـوالم وأحال الشموس والكون قاتم[1]

إذ هي على منوال مرثية شوقي في الملك حسين ، ومطلعها :

لك في الأرض والسماء مآتم قـام فيهـا أبـو الملائـك هاشـم[2]

وقد أغار العقيلي على كثير من معاني شوقي في قصيدته ، تأمل قول العقيلي في رثاء الملك عبدالعزيز :

أي نعـش تقلـه الريـح قـد سـا رت تحييـه في السماء الغمائـم
سـار يحـدوه للملائـك تـسبيـ ـح وفي هالـة مـن النـور عـائم
تتهـادى بـه الـصحابة في الخلـ ـد وأرواح كـل حـبر وعـالم
تتبـاهى بـه الحنيفيـة الـسمحاء والفتـح والغـزاة الخـضارم
أمـل المسجدان أن لـو رقـد ت اليوم في قد سها بتلك المعالم
وينـادي البقيـع شـلواً مـن الطهـ ـر بـين الـشهيد وقاسـم

إلى أن يقول :

ادفنـوه بـين الأئمـة والآ ل بحيث الإمام والدين قائم
بين أقطـاب ملة طهـروا الد ين أزاحوا عن صفحتيه المآثم[3]

فهذه المعاني سبق إليها شوقي بقوله في رثاء الملك حسين :

نقلوا النعش ساعة في ربا الفـ ـح وطوفـوا بربـه في المعـالم
وقفوا ساعة به في ثرى الأقمـ ار من قومـه وتـرب الغمائـم
وادفنـوه في القدس بين سليما ن وداود والملـوك الأكـارم

(١) المجموعة الشعرية : ٢٥٨ .
(٢) الشوقيات ، ٣/ ١١٧ .
(٣) المجموعة الشعرية : ٢٦٠ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

إنما القدس منزل الوحي مغنى　　كل حبر من الأوائل عالم[1]

ومن قصائد شوقي التي تأثر بها شعراء جازان همزيته التي مطلعها :

ولد الهدى فالكائنات ضياء　　وفم الزمان تبسم وثناء[2]

فقد عارضها الشاعر إبراهيم الشعبي في قصيدته (من وحي الواجب) التي يقول فيها :

وجه الحقيقة مشرقٌ وضّاء　　وفم الخلود تبسم وثناء

وصحائف التاريخ في أحشائها　　لا يرحم البلهاء، والدهماء[3]

ورمز إليها البهلكي بقوله :

ومحمدٌ يحثو وقد حبلت　　أذناه بالوحي الذي نزلا

(ولد الهدى) يالمخاض فيا　　دنيا اعتلي إن المخاض عُلا[4]

وقد مرّ بنا تأثير بعض شعراء مدرسة الديوان وجماعة أبولو في شعراء جازان ، وظهور معالم الوجدانية العربية واضحة في أشعار السنوسي والنعمي والبهلكي ومفتاح وصعابي ، وسواهم .

فأثر الشابي في قصيدته (الأشواق التائهة) ، التي مطلعها :

يا صميم الحياة إني وحيد　　مدلجٌ تائه فأين شروقك؟[5]

واضح في قصيدة محمد السنوسي (ياربيع الحياة) ، ومطلعها :

يا ربيع الحياة أين ربيعي　　أين أحلام يقظتي وهجوعي؟[6]

وفي قصيدة محمد العقيلي (كنت يا دار) ، حيث يقول :

---

(١) الشوقيات ، ٣/ ١٢٠ .

(٢) المصدر السابق ، ١/ ٣٢ .

(٣) التاريخ الأدبي ، للعقيلي ، ٣/ ١٦٣٣ ، وقصائد مخطوطة ، لإبراهيم الشعبي ، توجد في مكتبة الباحث بخط الشاعر نفسه .

(٤) طيفان على نقطة الصفر : ٤٤ .

(٥) ديوان أبي القاسم الشابي : ٢٨١ .

(٦) الأعمال الكاملة : ٤٠١ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

كنت يا دار على رغم البلا هيكل الحب ومحراب الهوى[1]

نلمح الأثر الكبير لقصيدة (العودة)[2] لإبراهيم ناجي .

وتأثر كثير من الشعراء بعلي محمود طه في قصيدته :

أخي جاوز الظالمون المدى فحقّ الجهاد وحق الفدا[3]

فمن هؤلاء الشعراء أحمد العطاس في قصيدته إنشادية ، يقول فيها :

فقد جاوز الظالمون المدى وحق علينا السخا بالرقاب

بإسلامنا وبعزم الشباب

أقمنا السلام ونلنا الرغاب[4]

وتأثر بقصيدة علي محمود طه الشاعر أحمد الحربي في قوله :

(أخي جاوز الظالمون المدى

صباح توضأ فيه الندي

تشرنق في بوجه الصامتون

ونام على ثغره المبتدا[5]

ومثله الشاعر علي الأمير في قوله:

وأهزج وحدي : (أخي جاوز الظالمون المدى)

وأشطب باقي لساني ..

وكل الخيارات من نبض وقتي

---

(١) المجموعة الشعرية : ٤٠ .

(٢) ديوان إبراهيم ناجي : ١٣ .

(٣) من شعر الجهاد في العصر الحديث ، د. عبدالقدوس أبو صالح ، د. محمد البيومي : ٣٢٥ ، والقصيدة غير موجودة في ديوانه .

(٤) من وحي التأملات : ٢٧ .

(٥) تقاسيم على جذع نخلة الوادي : ٦٣ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

وأَخْرُجُ موتاً يضيء !! [1]

أما تأثر شعراء جازان بنزار قباني ، فقد بلغ مدىً يكاد يقترب من تأثرهم بشوقي ، خاصة شعراء الغزل الذين مالوا إلى إبراز التجارب المكشوفة ، التي تشمُّ منها رائحة نزار وجنسية أشعاره ونبوئها عن الأذواق ، ومن هؤلاء الشعراء محمد مسير مباركي في أكثر أشعاره ، إذ يلمح فيها الارتماء في أحضان نزار ، وتوجيه جلّ شعره نحو المرأة ؛ إما معشوقة أو ممقوتة أو محاوراً لها ، والزجّ بها في كثير من السياقات الملائمة وغير الملائمة . وشاعت في بعض أشعار إبراهيم صعابي بعض الملامح النزارية – لا سيما في دواووينه الأولى ، نلمح ذلك في مثل قوله :

لست الذي ينسى خصائل نفسه　　يا نفس نفسي هل أنا أنساك
في ريشتي في مأتمي ومسرتي　　(سمراء صبي) حبك السَّفاك
أنت النزاهة والطلاقة في دمي　　وأنا – برغم خسائري – أهواك [2]

إذ فيها إشارة إلى ذلك التأثر ، بقول نزار :

حسناء صبّي ... [3]

وقد تأثر العقيلي بنزار قباني ، ولكن في جانب آخر غير الغزل المكشوف الذي عرف به نزار ، وأصبح مذهباً ينسب إليه في الشعر الحديث ، تأثر العقيلي بنزار في الرثاء، حيث عارض بقصيدته (مرثية جلالة الملك فيصل الشهيد) التي مطلعها :

غاب عنا بوجهه القمران　　أين من فيض نوره النيران ؟! [4]

قصيدة نزار في رثاء طه حسين التي مطلعها :

---

(١) بوصلة واحدة لا تكفي : ٣٨ .
(٢) حبيبتي والبحر : ٨٠ .
(٣) الأعمال الكاملة ، نزار قباني ، ٢/ ١٦٤ .
(٤) المجموعة الشعرية : ٥٤٢ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ضوء عينيك أم هما نجمتان ؟　　كلهم لا يرى وأنت تراني [1]

وللشعراء المهجريين أثر واضح في بعض شعراء جازان ، كإيليا أبي ماضي والقروي وغيرهما ، ومن الأمثلة على ذلك تأثر السنوسي بإيليا في تأملاته ورؤاه الاجتماعية ، يقول السنوسي :

ما الذي يأكل الغني إذا جا　　ع سوى الخبز وهو في كل وادِ
أتراه إن جاع يأكل تبراً　　أو يعبُّ النضار إن كان صادِ [2]

فهذا المعنى أخذه السنوسي من إيليا الذي يقول :

أنت لا تأكل النضار إذا جعـ　　ت ولا تشرب الجمان المنضّد [3]

ومن الشعراء العرب المحدثين الذين تأثر بهم شعراء جازان ، الشاعر محمد محمود الزبيري ، فالسنوسي مثلاً نجده يتأثر بقصيدة الزبيري في مديح الملك عبدالعزيز المشهورة التي مطلعها :

قلبُ الجزيرة في يمينك يخفق　　وهوى العروبة في جبينك يشرق [4]

فنرى السنوسي ينسج قصيدة على منوالها بعنوان (تاج يضيء) ، يمدح بها الملك عبدالعزيز ، مطلعها :

تاج يضيء ودولةٌ تتألق　　وحمى يصول وأمة تتفوّق [5]

وفيها يظهر تأثره الواضح بالزبيري ، حين نسمع صدى قصيدته المشار إليها في

(١) لم أجد القصيدة في المطبوع من أشعار نزار ، ولكنها موجودة في التاريخ الأدبي لمنطقة جازان للعقيلي ، ٣/ ١٩٤٩ ، بكاملها .
(٢) الأعمال الكاملة : ٧٥٦ .
(٣) ديوان أبي ماضي : ٣١٦ .
(٤) لم أجد القصيدة في ديوانه ، ولكن أثبتها له بعض مؤرخي الأدب الحديث . انظر : التاريخ الأدبي ، للعقيلي ، ٣/ ١٩٦٥ .
(٥) شعراء الجنوب ، للسنوسي وآخرين : ٨٠ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

قول السنوسي :

فاهتف بيا عبدالعزيز مناديـاً　　تتجاوب الدنيا صدىً وتصفّق

قل يا زعيم الضاد يا شمس الهدى　　قلب الجزيرة في يمينك يخفق[1]

ونلمح في أشعار محمد الشنقيطي شيئاً من التأثر بالشاعر عمر أبو ريشة لا سيما في قصائده الغزلية ، فديوانه (خلف أسراب البجع) يقوم على فكرة رسائل شعرية وردت إليه من محبوبته تطلب منه معارضتها وتشطيرها ، وإبراز ما يكنه لها من حُب ، ولكنه بعد أن اكتشف خيانتها له وتجاهلها لمشاعره ردّ تلك الرسائل إليها بعنفٍ ومرارة ، وألغى وجودها من حياته ، وطلب منها إعادة قصائده ورسائله التي لديها .

وهذه المعاني هي فكرة قصيدة (وداع) نفسها للشاعر أبي ريشة ، غير أنَّ أبا ريشة أعاد أوراق محبوبته إليها ، والشنقيطي طلب من محبوبته أن تعيد قصائده إليه ، ومن دلالات ذلك التأثر يمكن الاستشهاد بشيء من قصيدة أبي ريشة وبما يماثله من ديوان الشنقيطي ، يقول أبو ريشة :

قفي لن تسمعي مني　　عتاب المدنف العاني

فبعد اليوم لن أسأل　　عن كأسي ونـدماني

خذي ما سطرت كفاك　　من وجد وأشجانِ

صحائف طالما هزت　　بوحي منك ألحاني

خلعت على قدميك　　حلم العالم الفاني

لنطوِ الأمس ولنسدل　　عليه ذيل نسيانِ[2]

فهذه المعاني تأثر بها محمد الشنقيطي في قصيدة (النرجسية) ، حيث يقول :

عليٌّ كان فيك مدار ظني　　فمات الظنُّ منحني العناق

(١) المصدر السابق : الصفحة نفسها .

(٢) ديوان عمر أبو ريشة : ٣١٣ – ٣١٤ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وفاض الكيل وانتحرت قصيدي فما بدٌّ هنالك من فراقِ
سأترك حبّكم ولدي بعض من الشرف المنكّس والنفاقِ
وتأبى لي الكرامة عن نقيصٍ فلن أجثو على قدمي وساقي
فهات قصائدي ورفات قلبي فإني قد نفيتك من نطاقي [1]

وبتتبع الشعر في جازان نلمح تأثير شاعر آخر في كثير من معاني الشعراء ، وهو عمر بهاء الدين الأميري ، ولا سيما في الشعراء الشباب كحسن حجاب الحازمي ، وعلي بن يحيى بهلكي ، ومهدي الحكمي ، وعيسى جرابا وسواهم ، ومن الأمثلة على تأثيره على معاني هذه الفئة من الشعراء ، ما جاء في قصيدة حسن الحازمي (حسان) التي عبّر فيها عن شوقه لابنه حسان وأمّه اللذين تركاه في الرياض ورحلا ، فهي على نسق وطريقة قصيدة (أب) لعمر الأميري [2] ، ومتأثرة بها إلى حدّ كبير ، استمع إلى الحازمي يقول :

حسان يا بسمة تنمو على شفتي لو أبصرت عينك الجدران تصطخبُ
لو أبصرت عينك الأوراق ترفضني لا ترتضي قلمي ، بل كفَّك الشَّغبُ
لو أبصرت عينك الألعاب ترمقني بأعينٍ كلَّها – يا مهجتي – غَضَبُ
حتى الوسائد ما تنفك تسألني حتى الجرائد والأقلام والكتبُ
الدار يا مهجتي باتت تؤرقني فكل شيء له عينٌ بها عتبُ [3]

وإلى جانب تأثر شعراء جازان بشعراء العربية الكبار من خارج المملكة العربية السعودية ، فإنهم أيضاً قد تأثروا ببعض الشعراء السعوديين الرواد الذين كان لهم حضور فاعل في الساحة المحلية ، فمن هؤلاء الشعراء أحمد الغزاوي الذي أثر في عدد من الشعراء كعلي السنوسي ، وابنه محمد ، والعقيلي لا سيما في حولياته التي ينظمها كل

(١) خلف أسراب البجع : ٥٧ .
(٢) ديوان (أب) لعمر بهاء الدين الأميري : ٩ – ١٠ .
(٣) وردة في فم الحزن : ٧٨ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

عام في موسم الحج ، وكان مداوماً على مديح الملك عبدالعزيز ، ومن ثم سمي شاعر الملك ، فمما تأثر العقيلي به – مثلاً – قصيدته (تألقت في سماء الشرق) التي نشرها في أم القرى سنة ١٣٦٦هـ ، ويمدح بها الملك عبدالعزيز ، ومطلعها :

وافاك يشرق في أساطه جُملاً　　مفصلاً كنضيد الدر مُنتخلا (١)

فهي معارضة لقصيدة الغزاوي التي مدح بها الملك عبدالعزيز ، ومطلعها :

دعوته فتهامى فيك ممتثلاً　　وراح يضرب في إشراقه المثلا (٢)

ويلمح من مطلع قصيدة العقيلي عدم قدرته على انفكاك من سيطرة معنى مطلع القصيدة المعارضة ، وهو في كثير من معارضاته يذوب في القصيدة المعارضة ، وتتحول معارضته إلى بسط وشرح ليس إلاّ.

ومن الشعراء السعوديين الذين تأثر شعراء جازان بهم ، وكرروا معانيهم ، وأعجبوا بأشعارهم الأمير عبدالله الفيصل ، خصوصاً الشعراء الذين مالوا إلى التشاؤم والحزن والتعبير عن مرارة الحرمان ، كعلي النعمي ، ومحمد الشنقيطي ، والبهكلي ، وصعابي ، وكانوا في ذلك يتبعون خطى الشاعر عبدالله الفيصل ، وينهجون نهجه ؛ إذلم يتحدث أحد عن الحرمان والألم والإحساس بالمرارة والتشاؤم في الشعر السعودي أكثر من الفيصل ، سوى حمد الحجي، فمن تأثر علي النعمي بعبدالله الفيصل – مثلاً– قصيدته (الشك المريب) ، وفيها يقول :

(أقول وكيف لا يصغي الجبانُ)　　لقولي حين لا يجدي السِّنانُ ؟
أيقضي العيش في الدنيا بأني　　(أدان بما أقول ، ولا يُدانُ) (٣)

فقصيدة النعمي تشطير لقصيدة عبدالله الفيصل (أقول) التي مطلعها :

أقول وكيف لا يصغي الجبانُ　　أدانُ بما أقولُ ولا يدانُ (٤)

---

(١) المجموعة الشعرية : ٢٢٨ .
(٢) أحمد الغزاوي وآثاره الأدبية ، د. مسعد العطوي : القسم الثاني / ١٤٩٢ .
(٣) جراح قلب : ١٦٢ .
(٤) المجلة العربية ، ع ١١ ، س ٤ ، ربيع الثاني ١٤٠١هـ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

والشاعر محمد أحمد الشنقيطي عارض بقصيدته (عتاب) التي مطلعها :

كفـى منـك التعنُّـدُ والتجنّـي　　أيـا خـلي لقـد أحبطـت ظنّـي (١)

قصيدة عبدالله الفيصل (ثورة الشك) ، التي منها قوله المشهور الذي ضمنه الشنقيطي في قصيدته السابقة ، وهو :

أكـاد أشـك في نفـسي لأنّي　　أكـاد أشـك فيـك وأنـت منّـي (٢)

والشاعر غازي القصيبي أحد المؤثرين في شعراء جازان ، حيث ظهرت كثير من معانيه في أشعارهم ، وراح بعضهم يعارض قصائده وينسج على منوالها ، لا سيما تأملاته في الحياة والموت ، ورثائياته المغرقة في الحزن والألم وغيرها ، فالشاعر علي النعمي نسج قصيدته (قصة قصيرة) التي مطلعها :

هـذه الـدنيا وكـل راح يعـدو　　وهـو لا يعلـم عـما يـستجدُّ (٣)

وهي في رثاء صديقه الأديب علي حمود أبو طالب ، وكان هذا الأديب قد طلب من النعمي أن يعارض إحدى قصائد القصيبي ، فلما حلّت الفاجعة بوفاة هذا الصديق قبل أن يسمع ردّ الشاعر ، ما كان من الشاعر إلا أن يتأمل ذلك الطلب بعمق ، ويرحل في هذه الحياة العجيبة وأقدارها المخبأة ، وآجالها المحتومة ، مستلهماً بعض معانيه ورؤاه من قصيدة القصيبي (لا تهيئي كفني) التي مطلعها :

لا تهيئـي كفنـي مـا مِـتُّ بعـدُ　　لم يـزل في أضـلعي بـرقٌ ورعـدُ (٤)

والشاعر منصور دماس أعجب بقصيدة القصيبي (نهر من الدم) التي تتحدث عن مأساة صبرا وشاتيلا وتفرق العرب وما لحقهم بسبب ذلك من هزائم ، ومطلعها :

نهر من الـدم فامشي فيـه واغتسلي　　مـن الجنابـة يـا أنثـى بـلا خجـل (٥)

---

(١) خلف أسراب البجع : ٤١ .
(٢) وحي الحرمان ، عبدالله الفيصل : ٧٤ .
(٣) الأرض والعشق : ٦٥ .
(٤) المجموعة الشعرية الكاملة ، للقصيبي : ٦١٩ .
(٥) المصدر السابق : ٧٤٩ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

فنسج دماس على منوالها ، وامتاح كثيراً من معانيها ، في قصيدته (جراح وبلسم)، التي يقول في أولها :

أبهى من البدر لا تضنيه بالعضل　　دعي الحداء على الأبطال وامتثلي (١)

وتأثر بعض شعراء جازان بالشعراء الرواد في بيئتهم المحلية كالسنوسي والعقيلي وغيرهما ، وراحوا ينسجون على منوال قصائدهم المشهورة ، ويقتبسون معانيها ، ويحومون حولها ، فمن ذلك مثلاً قصيدة العقيلي (جازان) التي يقول فيها :

جازان إني من هواك لشاكي　　فتنصتي لهزارك وفتاك (٢)

فقد نسج على منوالها الشاعر إبراهيم مفتاح قصيدته (تهويمة على ربوع أبها) ، وأغار على معاني العقيلي وأفكاره ، وكان إذا ذاك في بداياته الشعرية ، فقال :

أنا قادم أبها لكي ألقاكِ　　أفتنصتين لبلبلٍ غنَّاك(٣)

ومثل ذلك صنيع أحمد البهلكي في قصيدته (القيود الجميلة) ، وفيها يقول :

أنا فيك يا أبها عليلٌ شاكي　　هل ترحمين متيماً يهواك(٤)

ولم يخالف مفتاح والبهلكي العقيلي في شيء سوى الموضوع ، فهو تحدث عن جازان وهما تحدثا عن أبها ، وما سوى ذلك متفق عليه ، وهذا يغتفر للشاعر إذا كان في بداياته الشعرية ، فله أن ينظر إلى الأعمال الرائدة ، ولكن لا يغتفر للشاعر إذا كان قد قطع شوطاً في الإبداع والتألق أن يسطو على معاني غيره دون إضافة أو تميّز .

وقصيدة السنوسي (لكل صابون ليفة) التي تتحدث عن النفاق الاجتماعي السائد والعلاقات المصلحية لكل من يتسنم منصباً مرموقاً أو خدمياً ، فإذا ولت وظيفته أو ترك منصبه تساقط أولئك المنافقون من حوله تساقط الفراش في النار ، يقول السنوسي :

---

(١) جرأة قلب : ١١ .
(٢) المجموعة الشعرية : ٣٢٥ .
(٣) عتاب إلى البحر : ٤٣ .
(٤) الأرض والحب : ١١ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

أصدقائي أم أصدقاء الوظيفة أنتم ياذوي النفوس الضعيفة
الأولى تهزأون بالمثل العليا وتلهون بالمعاني الشريفة
بسمات ملونات وأخلاق وصولية غلاظ سخيفه
ونفاق ملون تخجل الحربا ء منه وتشني مكسوفه
تتدلى وتستكين وتنماع وتغدو لكل صابون ليفة
فإذا ولّت الوظيفة ولّوا وأثاروا عليك حرباً عنيفة [1]

فقد أخذ كثير من شعراء جازان معانيهم من هذه القصيدة في الحديث عن النفاق الوظيفي والعلاقات المصلحية ، ومن هؤلاء – على سبيل المثال – الشاعر محمد بن محسن مشاري ، فقد عنون لإحدى قصائده في هذا الموضوع بجزء من الشطر الأول من أول أبيات قصيدة السنوسي السابقة الذكر فجعله : (صديق الوظيفة) ، وفيها يلمح تأثره بالسنوسي ، فيقول :

يا من زعمت محبتي وإخائي وضحكت في وجهي وسرت ورائي
أيام كنت وللوظيفة سلطة ترجى لنيل مصالح دنياء
إني لأذكر ما تعاملني به إبان ذاك وكيف كنت ترائي
فإذا حضرت يظل وجهك مشرقاً تبدي الرضى وجهدت في إرضائي
وإذا أقول فصادق ومصدق وإذا أغيب سألت عن أبنائي
قد كنت أحسب ما أراه محبة في الله خالصة بلا أهواء
حتى إذا ذهب الزمان بسلطتي ونضوت ذاك الثوب عن أعضائي
وانجاب عن عيني الغبار وبان لي إذ ذاك غشك لي وبان غبائي
وظهرت تفضحك الحقيقة عارياً عن كل معروف ودون وفاء

(١) الأعمال الكاملة : ٤٣٨ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

أيقنـت أني كنـت مخدوعـاً بمـا تبديـه مـن حـبٍّ ومـن إطـراء
هيهـات أن يرعـى الـصداقة جاحـدٌ متلـونٌ كتلُّـون الحربـاء [1]

و- التأثر بالشعر الأجنبي :

تأثر بعض شعراء جازان بالأدب الأجنبي ، ولكن تأثرهم لم يكن بهذا الأدب في لغته الأصيلة ، وإنما بالمترجم منه إلى العربية ، ونلمح أنَّ الشعراء في جازان قد اختاروا من الأدب الأجنبي ما يوافق بيئتهم وواقعهم في الغالب ، وما يحمل معانٍ سامية ورؤى عميقة ، وتجليات مبدعة في عالم الفن ، فمن ذلك قصيدة (أنشودة الصقر) للسنوسي ، التي مطلعها :

زخـر البحـر ذو العبـاب وحيـا شاطئـاً حالمـا وأفقـا بهيـا [2]

فهي ترجمة لقصة الكاتب (مكسيم جوركي) قال السنوسي في تقديمه لها : ((**وضعناها في هذا الإطار الشعري بعد أن أضفنا إليها لمسات فنية تقربها من الذوق العربي الشفاف**)) [3] . وتدور القصة حول صقر كان يعيش في أعالي الجبال ، جرّب يوماً أن يعيش في السفح ، فحصل له ما يريد ، ولكنه لم يستطع بعد الطيران أو العودة إلى وكره ، وهناك في السفح التقى بحيّة من الحيات ، عرضت عليه الصداقة ، ودارت بينهما الأحاديث تلو الأحاديث ، وأطلعها الصقر على روعة الطيران في الأجواء ، وما يحمل ذلك من مشاعر يحس بها ساكنوا الأرض والطين ، ودارت الأيام فحنَّ الصقر إلى العودة إلى مقره الأصلي ، فطار بعد أن استجمع كل قواه ، فارتفع وارتفع ، ولكنه هوى بعد قليل من طيرانه في البحر فغرق . فبقيت الحية وحيدة تعيش مأساتها وحزنها على الصقر ، وإذا بها بعد فترة تداعب مخيلتها رغبة الطيران وتجربة السمو والرحلة إلى ذلك العالم الجميل الذي حدثها عنه الصقر،

(١) التاريخ الأدبي لمنطقة جازان ، للعقيلي : ٣/ ١٦٧٣ – ١٦٧٥ .
(٢) الأعمال الكاملة : ١٧٢ .
(٣) المصدر السابق : الصفحة نفسها .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

فاستجمعت قواها كالصقر ، ووثبت وثبة عالية تريد الوصول إلى العوالي ، ولكنها هوت إلى الأرض تتلوى ، وفي حفرة من حفر الأرض حيث كانت تعيش من قبل كانت نهايتها الأليمة المليئة بالندم على محاولتها الخروج من أصلها ، وتقليد الآخرين [1] . وفي نهاية القصة يعقّب الشاعر السنوسي على المغزى منها ، فيقول :

تلك عقبى تمرّد الطبع والنفـ ـس وإسرافها وسوء الخلال

ثم يثني على القصة وسموّ معانيها وأصالتها ، وتمثيلها لأفكار ورؤى إنسانية تتشابه لدى كل الأمم ، فيقول :

واستمرت أنشودة الصقر تنسا ب بألحانها على الأكوانِ
يطرب النفس وقعها وتثير الفكر أصدؤاها وتحيي الأماني
في تلاحينها من السحر ألوا ن ومن فتنة الجمال معانِ
نغمٌ ساحر الصدى ونشيد من صميم الشعور والوجدانِ [2]

ومن الشعراء الذين تأثروا بالأدب الأجنبي ، وترجموا بعض روائعه الشاعر محمد العقيلي ، حيث ترجم قصيدة (الحية) للشاعر الإنجليزي (رسكن) ، وفيها يصف العقيلي الحية قائلاً :

جدول من فضةٍ مطرد أمرد الصفحة مسرودُ الزَرَدْ
دائباً ينسابُ كالينبوع في التواء وانثناءٍ ومَيَدْ
زورقٌ مجراه في الترب ومن قشره المجداف يرخى ويشدّ
بل هو النهر اندفاعا في الثرى هائجاً من دون موج أو زَبَدْ [3]

وعموماً فليس من أهداف هذه المباحث التي تقدمت تتبع المعاني والأفكار الجزئية التي طرقها شعراء جازان ، وإنما الهدف هو لفت النظر إلى مواطن التأثر

(١) انظر : القصة كاملة كما نظمها السنوسي في المصدر السابق : ١٧٢ – ١٨٧ .
(٢) المصدر السابق : ١٨٦ – ١٨٧ .
(٣) المجموعة الشعرية : ٣٩٦ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

والاستدلال على ذلك بشيء منه أشعارهم ، والتعرف على منابع بعض المعاني ومن أين جاءت ، على أن هذا التأثر لم يخل منه شعر أي شاعر لا في جازان ولا في غيرها . وقد جعل أحد النقاد الكبار وهو (جونسون) من شروط الشاعر ((**أن يكون قادراً على تحويل مادة أو ثروة شاعر آخر لاستعماله الخاص**)) [1] . وماذا جنى الأدب من رصد ما كان يسمى (سرقات الشعراء) ، التي تتجاهل خاصية هي من أبرز سمات الأدب ؛ وهي التأثر والتأثير . وهو أمر تجاوزه النقد المعاصر حين تتابعت الدراسات الحديثة في هذا المضمار بما اصطلح عليه بـ(التناص) ، أو (تفاعل النصوص) ، أو (تداخل النصوص) ، وهي ترجمة للمصطلح الفرنسي (lntertextualite) ، ويعني : ((**علاقة حضور متزامن لنصين أو أكثر داخل إطار نصي واحد ؛ سواء حرفياً أو بالإشارة ، كما في الاستشهاد أو التضمين ، كأن يستشهد الكاتب ببيت من الشعر القديم أو بآيات من القرآن . ويتبع ... ليشمل علاقة معنى ومضمون واثر ونتائج ...**)) [2] .

وأصبحت الدراسات الحديثة ((**تتعدى مجرد الرصد والوصف ، إلى تتبع النصوص عبر علاقات تعدي النص ، من خلال النص المعين ، ودراسة أثره على المعنى الذي ينتجه النص ، وعلى تلقي هذا المعنى ، وعلى موقع النص من حيث التصنيف والدلالة بين النصوص الأخرى التي ينتمي لنسقها أو لمجموعتها**)) [3] ، وليس فقط الحكم على أن هذا الشاعر قلد ، وهذا الشاعر جدد ، ولهذه الدراسات الجادة مجالها المختص (التفصيلي) المختلف عن طبيعة هذا البحث الشامل .

وليس معنى الترحيب بهذا المنحى من الدراسات أن نعترف بالدلالات

(١) صناعة الأدب – بعض مبادئ النقد في ضوء نظريات النقد القديمة والحديثة – ل ر . أ . سكوت جيمس ، ترجمة: هاشم الهنداوي ، مراجعة الدكتور : عزيز المطلبي : ١٠٩ .
(٢) دراسات في تعدّي النص ، وليد خشاب : ١٥ – ١٦ .
(٣) المصدر السابق : ٢٩ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الموسعة لقول عنترة ((**هل غادر الشعراء من متردّم**)) [1] ، فنقول : بأن كل فكرة ينشئها شاعر لا بد أنه مسبوق إليها ، فنظل نبحث عن أصولها الأدبية أو غيرها ، وها قد انطوت عصور بعده قدمت فيها الإنسانية ألواناً من المعاني ، وتفتقت في عقول عباقرتها شتَّى الأفكار الجديدة .

إن الأدب ليس كالعلوم الأخرى يتطلب أن يكون كل ما فيه جديداً – كما يقول أحمد أمين – : ((**فيصح أن تكون فيه الحقائق التي تتضمنها القطعة الأدبية معروفة، ولكن الجديد في صياغتها ، أو نوع الشعور بها ، وإعمال الخيال فيها ؛ حتى تخرج كأنها جديدة**))[2]، وهو ما أشار إليه نقادنا القدماء بقولهم : ((**إذا تناول الشاعر المعاني التي قد سُبق بها ، فأبرزها في أحسن من الكسوة التي عليها ، لم يُعَبْ ، بل وجب له فضل لطفه وإحسانه فيه**)) [3] .

ولهذا فالحكم على بعض المعاني أنها من ابتكار الشاعر – ولا سيما في زماننا المتأخر – فيه نوع من المخاطرة [4] ، ونوع من اعتداد الباحث بثقافته الذاتية ، التي تجعله يقول من غير أن يتكلم أنه قد خبر التراث والحديث وحكم عن علم واطلاع ، وهذه مجازفة أي مجازفة .

ز- استدعاء التراث :

شاعت في شعرنا المعاصر ظاهرة استخدام التراث على نحو لم يعرفه شعرنا من قبل في أي عصر من عصوره المختلفة .

ولقد كان التراث – في كل العصور – بالنسبة للشاعر هو الينبوع الدائم التفجر بأصل القيم وأنصعها وأبقاها ، والأرض الصلبة التي يقف عليها ليبني فوقها حاضره الشعري الجديد على أرسخ القواعد وأوطدها ، والحصن المنيع الذي يلجأ إليه كلما

(١) ديوان عنترة ، تحقيق ودراسة : محمد سعيد مولوي : ١٨٢ .
(٢) النقد الأدبي ، أحمد أمين : ٦٤ – ٦٥ .
(٣) عيار الشعر ، محمد بن أحمد بن طباطبا العلوي ، تحقيق : عباس عبدالستار : ٧٩ .
(٤) انظر : عمر بهاء الأميري ، حياته وشعره ، خالد الحليبي ، رسالة دكتوراه غير منشورة ، ٢/ ٥٥٩ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

عصفت به العواصف فيمنحه الأمن والسكينة .

وكثيراً ما ارتد شاعرنا المعاصر إلى تراثه ، فما خذله هذا التراث ، ارتدّ إليه مهموماً ومسروراً ، مهزوماً ومنصورا ، حرَّاً ومقهوراً ، فوجد فيه ما يهدهد همومه ، وما يجسّد سروره ، ما يواسي في هزيمته وما يتغنّى بنصره ، ما يمجّد حُريته وما يتمردّ على قهره .

وكان التراث بشخصياته وأحداثه هي هذه الأصوات التي استطاع من خلالها أن يعبّر عن كل ما يريد التعبير عنه ، حتى أصبحت ظاهرة واضحة في الشعر المعاصر تلفت الانتباه ، وتسترعي اهتمام الدارسين [1] .

وتوظيف الشخصية التراثية أو الحدث التاريخي في الشعر العربي المعاصر ، هو آخر أطوار علاقة شاعرنا المعاصر بموروثه – كما يقول علي عشري زايد – : ((**هذه العلاقة التي ابتدأت بالمحاولات الأولى لإحياء التراث في بداية عصر النهضة ، ومّرت منذ ذلك الحين بعدّة أطوار حتى انتهت إلى صيغتها الأخيرة (توظيف الشخصية التراثية) أو (التعبير بها) ، وهي صيغة تقابل صيغة (التعبير عن) الشخصية التراثية أو (تسجيلها) ، وهذه الصيغة الأخيرة تعني سرد أحداث حياة الشخصية ونظمها نظماً تقريرياً ، وقد كانت هذه الصيغة هي التي حكمت علاقة شاعرنا بموروثه منذ عصر النهضة**)) [2] .

والشاعر المعاصر كان يحاول في رحلة البحث عن التراث وتوظيفه في شعره أن يضفي على الشكل الفني لتجربته لوناً من الدراما والموضوعية ، حيث استعار بعض تقنيات الفنون الأخرى ؛ كفن المسرحية وفن القصة وفن السينما ، فشاعت في القصيدة الحديثة تقنيات تلك الفنون ، كالحوار ، وأسلوب القص ، وتعدد الأصوات ، والحوار الداخلي (المونولوج)، والمونتاج ، وأخيراً لجأ – من بين ما لجأ إليه من تقنيات – إلى استخدام الشخصيات التراثية كمعادل موضوعي لتجربته ، حيث كان يتخذها قناعاً

(١) انظر : استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر ، د. علي عشري زايد : ٧ .
(٢) المرجع السابق : ١٣ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

يبث من خلاله خواطره وأفكاره .

وقد أدرك الشعراء المعاصرون أن عليهم لكي يكتشفوا ما في هذا التراث من قيم صالحة للبقاء أن يستوعبوه أشمل استيعاب ، ويتمثلوه أعمق تمثل ، فعكفوا عليه يقرأونه ويمحصونه ، ويتبنون من أصواته ومعطياته ما يتجاوب مع همومهم المعاصرة ، وكان ذلك كله بفضل جهود مدرسة إحياء التراث التي رسخت هذا المفهوم في أذهان الشعراء والقراء على حد سواء .

وباستدعاء الشعراء لتراثهم شخصيات وأحداث كانوا بذلك يحاولون رد الهجمات التي سعت إلى طمس ذلك التراث واقتلاعه من جذوره ، أو فصل الأمة عن ماضيها ، ففي ظل ذلك الصراع الاستعماري حاول الشعراء المعاصرون أن يشحذوا عزيمة الأمة عن طريق تذكيرها بأمجادها القديمة العريقة ، وتذكيرها بالنماذج المشرقة في تاريخها العظيم ، وحتى في مراحل الإحباط والنكسات والنكبات المتتالية لم يخفت ذلك الصوت ، بل حاول الشعراء من خلاله أن يستنهضوا الهمم التي ران عليها اليأس عن طريق موازنتهم بين ذلك الماضي المشرق العظيم برجاله ، وبين الحاضر المنطفئ ، وكانت فترات اليأس والضياع تلك هي التي جعلت بعض شعرائنا يعكفون على تراثنا الإسلامي يجلون ما فيه من نماذج باهرة ومتألقة ، ولهذا يقول علي عشري زايد : ((**انطلاقاً من هذا التصور لتأثير هذا العامل يمكن أن ندرك لماذا شاعت ظاهرة استخدام الشخصيات التراثية بعد هزيمة ١٣٨٧هـ - ١٩٦٧م المنكرة بشكل لم يعرف من قبل في تاريخ شعرنا ؛ فقد أحس الشاعر المعاصر أن هذه الهزيمة قد عصفت بكيانه القومي أكثر مما عصفت به نكبة ١٣٦٨هـ - ١٩٤٨م ذاتها ، ومن ثم ازداد تشبثه بجذوره القومية يحاول أن يتكئ عليها علّها تمنحه بعض التماسك أمام تلك الهزة العنيفة التي تعرض لها كيانه القومي ، أو تمنحه في الأقل بعض العزاء والسلوى**)) [1] .

وقد تقدم أنَّ استدعاء الشخصية التراثية قد مرَّ بمراحل ، بدأت أولاها على

(١) المرجع السابق : ٤٠ - ٤١ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

أيدي الإحيائيين حيث عبروا عن ذلك الموروث ، وهو ما يسمى بمرحلة التسجيل ، إلى أن جاءت المرحلة الأخيرة ، وهي التعبير بالموروث الذي شكل مفهوماً جديداً للاستدعاء ، وانطلاقاً من هذا الفهم الجديد لطبيعة العلاقة بين الشاعر والموروث اختلف أسلوب تناول الشخصية التراثية في شعره ، لم يعد همّه الأول أن ينقل إلينا نقلاً فوتغرافياً ملامح هذه الشخصية ، كما هي في مصادرها التراثية ، وإنما أصبح معنياً بتحديث هذه الشخصية أو عصرنتها بمعنى أن يجعلها شخصية تراثية معاصرة في الوقت نفسه ، وذلك بأن يختار من بين ملامح الشخصية التي يتناولها ما يتناسب وتجربته المعاصرة ، ثم يسقط أبعاد تجربته على هذه الملامح التي اختارها .

ولكي يتضح الفارق بين مرحلتي التعبير عن الموروث والتعبير بالموروث ، يمكن أن ندركه من خلال الموازنة بين أنموذجين شعريين تناولاً ملمحاً من ملامح شخصية واحدة ، هي شخصية الرسول - ﷺ - ، ولكن أحدهما تناوله في إطار صيغةٍ (التعبير عن ..) على حين تناوله الثاني في إطار صيغة (التعبير بـ ..) . والملمح الذي تناوله الأنموذجان من ملامح شخصية الرسول الكريم هو حادث مساومة كفار قريش للرسول - ﷺ - وعروضهم المغرية لكي يتنازل عن دعوته إلى الإسلام ، هذا الملمح تناوله شاعران ، هما أحمد البهلكي في قصيدته (عبرات على خدّ الدعوة الإسلامية) ، وعلي صيقل في قصيدته (إصرار فدائي) الأول منهما (عبّر عن) هذا الملمح من ملامح شخصيته - ﷺ - ، على حين (عبّر الثاني به) عن جانب من جوانب تجربته المعاصرة .

يقول أحمد البهلكي مصوراً ذلك الموقف الصعب الذي حدث لرسول الله عليه وسلم مع قومه ، متحدثاً بلسان الدعوة الإسلامية :

ذات يوم أتاه من عشت فيهم　　غربتي . . يطلبونه تسفيري
كان إلحاحهم لأنأى وثاقا　　شدني في قلب النبي الكبير
كن مليكا – يقولها مدعيهم　　ثم دع ما أتيت من (تزوير)

www.alukah.net
شبكة الألوكة

انتــق الفــاتن الكعــاب إذا شئــ ت وُعْـد نحـو ديننـا (المنـصور)
حُـزْ نـضاراً . . وفـضّةً . . وتـنعّم وتراجــع عــن رأيــك المبهــورِ
هــم أرادوا شراء قهــري ودفنــي بفنــون الإغــراء والتحذيــرِ
وهنــاك الــسماء تحمــي كيــاني مــن رزاياهــم وكــلِّ الــشرورِ
ورنــا أحمــد إلــيهم . . وعينــا هُ ائــتلاقٌ بدمعهــا المنثــورِ
قـال : لـوفي اليمين شـمس سـمائي وبيــسراي بَــدْرُها ذو النــورِ
مــا تراجعــتُ قــط عــما اجتنــابي خــالقي لاحتمالــه في مــسيري [1]

فالقصيدة – رغم جمالها وروعتها – نجد أنَّ البهكلي لم يزد فيها على أن صاغ تفصيلات حدث المساومة والإغراء الذي تعرّض له الرسول – ﷺ – ، دون أن يحاول إضفاء أي دلالات معاصرة عليه ، ولو أننا طالعنا هذا الحدث في أي كتاب للسيرة النبوية ، فإننا لن نجد الشاعر قد أضاف جديداً على تلك الصورة التي تقدمها كتب السيرة سوى الوزن والقافية .

فإذا ما جئنا إلى الأنموذج الثاني ، وهو قصيدة (إصرار فدائي) لعلي صيقل وجدنا الشاعر يوظف هذا الملمح من ملامح شخصية الرسول – ﷺ – ليصور من خلاله تجربة معاصرة ، ووجدنا أن هذه المعطيات التي سردها البهلكي سرداً تقريرياً قد أصبحت تفيض بدلالات شديدة الثراء ، والتجربة التي استغل الشاعر هذا الملح من ملامح حياة الرسول – ﷺ – في نقلها ، هي إصرار الفدائي الفلسطيني على الصمود في وجه اليهود الذين يحاولون معه كل الطرق ، ويتبعون لإثنائه عن عزمه شتى الوسائل ، وهو في كل ذلك صامد لا يلين ، فيصوّر الشاعر موقف ذلك الفدائي مشابهاً لموقفه عليه الصلاة والسلام أمام المشركين – مع الفارق – ، فيقول على لسان الفدائي :

أنا . . ابن الليل إقداماً ولا

(١) طيفان على نقطة الصفر : ٣٦ – ٣٧ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

أرهب أمرا
أركب الأخطار برا .. أركب الأخطار
بحرا
أخضع الأهوال غصبا .. أخضع الأهوال
قسرا
وأحيل الصعب في دربي .. كي
يصبح يسرا
بين أعطافي لظىً
من حرّه .. يصهر صهرا
من معاناتي التي عايشتها
أقذف جمرا (١)

وإذا كان الرسول – ﷺ – قد عرضت عليه وسائل الإغراء المتعددة من إغراء بالكلام المعسول ، أو بالمال الكثير أو السيادة والرئاسة أو الجاه العظيم ، وهو لم يهادنً أو ينثني ، فكذلك الفدائي لم يكن له لينظر إلى سفاسف الدنيا وإغراءتها ، أو حيل اليهود وحبائلهم ، فمهر وطنه غالٍ ، فلو وضعوا في يديه الشمس والقمر ما تنازل ، ولو فرشت الأرض بالورود لم يكنً ليفرط في أرضه :

ليس يغريني الكلام الزائف المشحون
غدرا ..
ليس يغريني بريق المال ..
أو يثلج صدرا
أرفض الأموال .. والسؤدد .. بل

(١) ترانيم على الشاطئ : ١٨ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

أرفض تبرا
أرفض الجاه إذا قُدّم .. لي
في الموطن المحبوب مهرا
(لو وضعتم في يميني الشمس
والبدر .. بيُسرى)
وفرشتم لي طريقي .. كله وردا وزهرا
وانحنيتم لي صباحا .. وانحنيتم لي عصرا
ما تساهلت .. ولا فرطت
في الموطن شبرا [1]

أما المصادر التراثية التي أمدّت شعراء جازان بالشخصيات المستدعاة ، فهي كثيرة ومتنوعة وفي الوقت ذاته متداخلة ، منها الموروث الديني ، والتاريخي ، والأدبي ، والشعبي الفلكلوري والأسطوري ، وتفصيل ذلك فيما يلي :

١- المصدر الديني :

ليس بغريب أن يكون الموروث الديني مصدراً أساسياً من المصادر التي عكف عليها شعراء جازان وغيرهم من الشعراء المعاصرين ، واستمدوا منها شخصيات تراثية عبروا من خلالها عن جوانب من تجاربهم الخاصة ، أو عبروا عنها مستلهمين منها واقعاً موافقاً لواقعهم، ومغزى معالجاً لأمراض مجتمعاتهم .

وشخصيات الأنبياء هي أكثر شخصيات التراث الديني شيوعاً في شعرنا المعاصر ، وخصوصاً شخصية محمد – عليه الصلاة والسلام – لا سيما لدى الشعراء الذين يعبرون عن الموروث ، ويتحدثون عنه ، بينما لدى الشعراء الذين عبروا بالموروث، فقد كثرت شخصية عيسى – عليه السلام – ، وتعليل ذلك هو : ((أنَّ

(١) المصدر السابق : ١٨ – ١٩ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

الشاعر في إطار (صيغة التعبير بـ...) يضطر إلى تأويل ملامح الشخصية التراثية تأويلاً خاصاً يتلاءم والبعد الذي يريد أن يسقطه عليها من أبعاد تجربته ، بينما هو في إطار (صيغه التعبير عن ...) لم يكن مضطراً لمثل هذا التأول ، ولا لتحميل شخصية الرسول ملامح معاصرة ، وإنما هو ينقلها كما هي في مصادرها التراثية .. ومن ثم فإن شعراءنا كانوا يحسون بنوع من التحرج من توظيف شخصية الرسول - ﷺ - في إطار (صيغة التعبير بـ..) تأثماً من أن يتأولوا في شخصية الرسول الكريم أو أن ينسبوا لأنفسهم بعض صفاته ، وهم في هذا يصدرون عن نظرة الإسلام إلى شخصيات الرسل ، وما ينبغي أن تحاط به من تقدير واحترام)) [1]. والمسلمون في ذلك على عكس الشعراء النصارى الذين تجرأوا كثيراً على شخصية عيسى - عليه السلام - ، فتناولوها بتوسع كبير مقترن بمزاعم وخرافات لا دليل عليها يصدقها .

وإذا تأملنا قصائد شعراء جازان التي استدعت الشخصية المحمدية ، فإننا نجدها قد خلت من المزالق التي شوهت جانباً كبيراً من المدائح النبوية عند بعض الشعراء في كثير من الأقطار الإسلامية ؛ والسبب في ذلك راجع إلى ((**خلو المجتمع من المنازع الصوفية والعصبية، وإلى أثر الدعوة الإصلاحية وحرصها على تنقية العقيدة مما يكدر صفوها**)) [2] .

وقد تحدث عن شخصية الرسول - ﷺ -عدد من الشعراء ، منهم محمد العقيلي ، والسنوسي ، وعلي النعمي ، وعلي مديش ، وأحمد العطاس ، وحسين الكريري ، وأحمد البهكلي ، وأكثرها تسير في إطار صيغة التعبير عن الشخصية لدى استدعائها ، فمن ذلك إشادة السنوسي بشخصية الرسول - عليه الصلاة والسلام - وتجلية خصاله الربانية ، وتصوير بطولته العظيمة ، وجهاده في سبيل الله ، يقول :

محمد خير خلق الله قاطبة　　خلقاً وخلقاً على السراء والنكد

(١) استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر ، د. علي عشري زايد : ٧٧ - ٧٨ .
(٢) النزعة الإسلامية في الشعر السعودي المعاصر ، د. حسن الهويمل : ١٦١ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

نديـم جبريـل يـسقيه فـما لفـم وحيـاً يرتلـه شـاد إلى غـرد [1]

ويصور صموده أمام محاولات قريش المتوالية لثنيه عن مواصلة دعوته إلى عبادة الله وحده ، وثباته على موقفه ، وفي ذلك كثير من المعاني التي يجدر بأمته الوقوف أمامها ، فعن طريقها تقوى عزائمهم ، وترتفع معنوياتهم في مواجهة الأعداء المتربصين بعقيدة الإسلام ، والساعين إلى طمس معالمها ، وسواء صّرح الشاعر بهذا المغزى أم لم يصرح ، فإن القارئ يفطن إلى ذلك الهدف المراد من استدعاء الشخصية ، يقول السنوسي :

رسـموا خطـة القـضاء عـلى النـو ر وهبـوا كـالزعزع الهوجـاء
والرسـول العظـيم كـالطود إيـما نـا وكـالنجم في الـسنا والـسناء
يتحـدى قـوى الـضلال بقلـبٍ عـامر باليقـين والأضـواء [2]

وإذا كان المسلمون يعيشون الآن بين أمم تكيد لهم ، وتتربص بهم الدوائر ، فإن من يحفظ الله ويصدق في ذلك فإنَّ الله يؤيده ويرعاه ، وينصره ، ويؤيده بمعية من لدنه ورحمة ، كما حصل لرسول الله – ﷺ – في حدث الهجرة الذي أكثر الشعراء من طرقه واستدعائه كموقف عظيم من مواقفه – ﷺ – وفيه تظهر العناية الإلهية في أسمى صورها ، يصور السنوسي لقطة من ذلك المشهد ، فيقول :

يـا صـاحبي لا تخـف الله يحرسنـا بلطفـه وللطـف الله أسـرار
مـن علَّـم العنكبـوت النـسج تحكمـه عـلى فـم الغـار نـسجا فيـه إمـرار
وسـخر الطـير تبنـي العـش جاثمـة تـزق أفراخهـا فيـه وتمتـار
الله – والله لا تخفـاه خافيـة ولـيس يعجـزه مكـر ومكّـار
عـادوا بخيبـتهم والأرض تلعنهـم والريح والصخر والأشجار والغار [3]

(١) الأعمال الكاملة : ٥١٦ .
(٢) المصدر السابق : ٢٦٣ .
(٣) المصدر السابق : ٥٣٣ – ٥٣٤ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

وقد يختار الشاعر موقفاً من مواقف السيرة ، فيستدعي آثاره ونتائجه ، ويطوعها ليبثَّ من خلالها مشاعره ورؤاه ، من ذلك صنيع البهكلي في حديثه عن موقف بدء الوحي ولقيا رسول الله – ﷺ – بجبريل عليه السلام ، وما تلا ذلك من أثر لذلك اللقاء العظيم على البشرية ، يقول :

ويغطّـــهُ جبريـــل يُعلمُـــهُ　　باســم الإلــه يقــين مــا جهــلا
ومحمــدٌ يجثــو وقــد حبلــت　　أذنــاه بالوحـــي الــذي نـــزلا
ولــد الهــدى يــا للمخــاض فيــا　　دُنيــا اعــتلي إن المخــاض عُــلا
حملتـــه كفّـــاً مـــؤمنٍ رجـــلٍ　　هيــا اقبلــي الإيمــان والــرجلا
سمعته هـذي الأرض فانتفضت　　مــن دهــشةٍ وتلجلجــت خجــلا
صــمتت فكــان الإذنُ فــازدهرت　　تلــك الربــوع الزُّهــر واتــصلا[1]

وأظنّ أنّ الشاعر كان يدور بمخيلته تلك الربوع التي حل بها الإسلام من جرّاء ذلك اللقاء العظيم ، لقاء بدء الوحي ، ولكنها لم تحتفظ بذلك ، فرحل منها الإسلام بعد قرون، وغادرتها راية الوحي ، وهي مشاعر الشاعر لحظة الاستدعاء ، ولذا أفصح عنها في نهاية الأمر فقال :

والأرض بكــر رغــم مــا عــشقت　　لكنهـــا لم تعـــرف القُبـــلا
حتــى أتــى الإســلام واشــتملت　　يومـــاً علـــى لقيـــاه واشتمـــلا
وخطــا فــأرض الهنــد موطئــه　　لم يقـــترف بطـــأ ولا زلـــلا
وانـــساب في إشبيليـــا نهـــر　　منــه وكانــت تــسأل الوشــلا[2]

وإذا كان الشاعر البهلكي هنا قد اتكأ في استدعائه لشخصية رسول الله – ﷺ – على صيغة (التعبير عن الحدث والشخصية) ، فإنه في كثير من تجاربه الشعرية الأخرى

(١) طيفان على نقطة الصفر : ٤٤ – ٤٥ .
(٢) المصدر السابق : ٤٥ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

استطاع أن يستدعي الشخصية من الموروث الديني في إطار صيغة التعبير بها ، فمن ذلك استدعاء قصة آدم – عليه السلام – وخروجه من الجنة عندما خالف أمر الله ، وأكل هو وحواء من الشجرة ، فعوقب على ذلك ، فإنه يوظف هذا الموقف في تجربة خاصة ، وشديدة الخصوصية ، لدى حديثه عن خروجه من بلده بحثاً عن الرزق ، وسعياً في طلب العلم ، ذلك الخروج الذي اشتكى منه البهكلي كثيراً ، وقد استغل هنا هذا الجانب الوارد في قصة آدم – عليه السلام – ليضفي عليه دلالة معاصرة ، ويقرن ذلك بما للشيطان من دور في التغرير بآدم وحواء وإخراجهما من الجنة ، ويبلغ نجاح الشاعر ذروته في توظيفه لمعطيات هذا العنصر في استخدامه الحوار مع الشيطان وتوجيهه للأسئلة التي اضطر الشاعر للإجابة عنها في قصيدة (كتابة على ضريح العشق) ، فيقول :

وتسائل يا شيطاني عن	وطني .. وطني التهويمات
وتسائل عما أخرجني	وأنا ما اجتحت الجنات
لم أخصف من ثمر كيما	أقلى . . وأذوق الويلات
وتسائلني عن أتعابي	وعن الماضي . . وعن الآت
وأنا ما عندي أجوبة	فأرد بها التسآلات
أقصر عن ذاك فلن تحظى	مني إلا بالإنصات
كانت لي أوهام ورؤى	(كانت) أضحت تذكارات [1]

والشاعر علي النعمي يستدعي الشخصيات التراثية المستقاة من الموروث الديني، كما في حديثه عن حادثة الاعتداء على الحرم المكي الشريف سنة ١٤٠٠هـ ، حيث يتذكر بعض المواقف التي حلّت بهذا البيت في الأزمنة الغابرة ، وما لقي من عناية إلهية ، فقد حفظ الله عنده هاجر وولدها إسماعيل – عليهما السلام – في بطن الوادي يوم لم يكن بذي زرع ، ويتذكر عبدالمطلب يوم خاطب أبرهة طالباً منه ردّ إبله

(١) الأرض والحب : ٨٣ – ٨٤ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

إليه ، وأبان أنَّ للبيت ربًّا يحميه ، والشاعر هنا في مخاطبته لأولئك الماضين لدى معالجته لهذا الموقف المعاصر، يحاول أن يستفيد من التراث ويوظفه لإقناع القارئ وترسيخ فكرة العناية الإلهية بهذا البيت التي هي سنة من سنن الله الثابتة ، فيقول :

أمنـــا (هاجـــرُ) لا تبتئـــسي　　فلإسماعيـــل عهـــد وذمـــامُ
حجـــره في كـــل قلـــب عـــامر　　شـــهد الركـــن وزكـــاه المقـــامُ
يـــا (أبـــا البطحـــاء) لا تحـــزن إذا　　لم يرفـــرف في حمـــى البيـــت الحـــمامُ
كنـــت راعـــي البيـــت والنـــوق معـــاً　　وعـــلى صـــدرك في الـــدهر وســـامُ [1]

٢- الموروث التاريخي :

اختار شعراء جازان من شخصيات التاريخ ما يوافق طبيعة الأفكار والقضايا والهموم التي أرادوا نقلها إلى المتلقين ، ومن ثم فقد انعكست طبيعة المرحلة التاريخية والحضارية التي عاشتها أمتنا في الحقبة الأخيرة ، وإحباط الكثير من أحلامها ، وخيبة أملها في الكثير مما كانت تأمل فيه الخير ، وسيطرة القوى المستعمرة والجائرة على مقدراتها ، والهزائم المتكررة التي حاقت بها رغم عدالة قضيتها ، انعكست كل ذلك على نوعية الشخصيات التاريخية التي استمدها الشعراء ، وشملت تلك الشخصيات أنموذجين اثنين، أحدهما مثل الوجه الناصع من التاريخ ، والآخر صور الجانب المظلم منه .

فالنوع الأول يندرج تحته كل الخلفاء والحكام العظماء الذين صنعوا مجد الدولة الإسلامية وأرسوا دعائم الحق فيها ، والذين وسعوا رقعتها ونشروا ألويتها في أرجاء الأرض أمثال أبي بكر الصديق ، وعمر بن الخطاب ، وعثمان ، وعلي ، وهارون الرشيد، والمعتصم، وصلاح الدين ، وسيف الدين قطز وغيرهم ، كما يندرج تحته أيضاً أغلب القادة الكبار الذين قادوا جيوش الفتوح في مشارق الأرض ومغاربها ، وحققوا

(١) الرحيل إلى الأعماق : ٦٥ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الانتصارات المجيدة ، وقوضوا أعتى العروش في عهدهم ، من أمثال خالد بن الوليد ، وأبي عبيدة عامر ابن الجراح، وأسامة بن زيد ، وعمرو بن العاص ، والقعقاع بن عمرو، وسعد بن أبي وقاص ، والمثنى ابن حارثة ، والبراء بن عامر ، ومحمد بن القاسم، وعقبة بن نافع ، وطارق بن زياد وغيرهم من القادة أو أبطال التضحية والفداء والنصرة كصهيب بن سنان ، وأبي الدحداح .

وأكثر توظيف شعراء جازان لهذه الشخصيات – كغيرهم من الشعراء العرب – في إطار المفارقة التصويرية لإبراز حدّة التناقض بين ماضينا وحاضرنا ، فالشاعر أحمد البهكلي في قصيدته (رسالة من خالد بن الوليد) يستغل شخصيته الفذة لهذا الهدف ، وهو إبراز المفارقة بين روح الجهاد المتوقدة التي كانت تضطرم بين أضلاع المجاهد القديم وروح الضعف والانكسار التي تسري في أوصال خليفته ، مصوراً لحظات موت خالد وهو يتمنى ألاّ تكون نهايته على الفراش ، بل وسط المعمعة ، يقول :

ما فيَّ شبرٌ لم تعانقه الصوارم والرماح
لم تلغِ وجداني وتنشرني على أغلى البطاح
يضنى الشجاع إذا قضى بين النوائح والنواح
أما الجبان فموته كحياته موتُ ارتياح
إني أحسُّ الموت يشعرني بأنّ الله أكبر

ويموت خالد وفي عينيه تساؤلات وافقت إحساسات الشاعر بما تعاقب على بلاد الشام من أجيال أكثرها لم يحتفظ بميراث خالد ، نصبت خيامها حول حمص ، ولم تذكر أنَّ قبر خالد ثمَّ ، ذلك البطل الشجاع ، والشاعر يريد أن يشير إلى أمجاد المسلمين التي لم تحفظ، وتقاعس المسلمين عن الجهاد ، إذ يقول بلسان خالد :

أذوي وفي عينيَّ حلمٌ لن تحققه المنيّة
يا حمص هل تبقى رؤاك بُعيدَ إرقالي شهية ؟

شبكة الألوكة - قسم الكتب

هــل تمكثــين غنيــةً ؟ إن أبحــرت سفــني الغنيــة ؟
إني لأبــصر أوجهــاً خلــف الغيــوب بــلا هويــه
ستحطّ حولـك .. آه ، مُـتّ، تجمّـلي . . فـالله أكـبر (١)

وقد عبر كثير من الشعراء عـن الإحـساس بالمهانـة واستـصراخ العزيمـة العربيـة من خـلال اسـتدعاء شخـصية المـرأة الهاشـمية التـي اسـتنجدت بالمعتـصم ، وذلـك عـن طريق تبنّي صرختها الشهيرة (وامعتصماه) ، وأكثر الشعراء مـن ذلـك ، ووصـل الأمـر بإبراهيم صعابي أن يثور في وجه هذه الصرخات والنـداءات وأنهـا لـن تجـدي ، إذ لـيس هناك من مجيب ، وأنَّ النساء الـصارخات يمـضين لـلأسر والقتـل والإجهـاض وعـشق الحزن والمجهول ، يقول :

ألف (وامعتصماه) وهي تمضي
ألف (وامعتصماه) ليس تجدي
سوف تمضي لتحارب .. سوف تمضي لتُقاتل
سوف تمضي وحدها
للحرب .. للإجهاض .. للموت .. ستمضي
إنها عاشقة الحزن ستمضي
لا تبالي .. من ترى يمسي الضحية
هي .. أم باقة أطفالٍ .. ومليونُ جنين (٢)

وفي ظل الأزمـات المتلاحقـة التـي حلّـت بالأمـة العربيـة والإسـلامية ، وغيـاب الوحـدة التـي لم تقـو الأمـة في يـوم مـن الأيـام إلا بهـا ، تلـك الوحـدة الجامعـة ، والعـزة الغابرة التي إذا ذكرت استرجعت معها ذاكرة العـربي شخـصية هـارون الرشـيد ، ذلـك

(١) طيفان على نقطة الصفر : ٩٦ .
(٢) زورق في القلب : ٩٦ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الخليفة الذي جلس يوماً من الأيام ينظر من نافذة قصره ، يتأمل ، وهو يملك أغلب بلدان الأرض آنذاك من أسبانيا إلى الصين ، فإذا به يبصر سحابة سوداء محملة بالخير ، فخاطبها قائلاً : (امطري حيث شيئت فسيأتيني خراجك) ، ولكن العربي – اليوم – حينما يتذكر تلك المقولة يحس أنَّه يتذكر شيئاً من خيال قد لا يتحقق في ظل فرقة الأمة وواقعها الأليم ، حيث يذهب أغلب خراج الأمة إلى أعدائها ، في ظل الاستعمار القديم والجديد ، ومن هؤلاء الشاعر إبراهيم مفتاح الذي يستدعي مقولة هارون الرشيد ، فيخاطب السحابة ولكن على عكس ما خاطبها به الرشيد، تدليلاً على المفارقة بين الزمانين ، بدءاً من عنوان القصيدة ، حيث سماها (لا خراج بعد المطر) ، وفيها يقول :

امطري لا حيثُ شئت
لا كما تهوين
أو تهوى اشتهاءات الرياح
فهنا أرضي يباب
وصحاريَّ عطاش
ترتمي فيها ارتعاشات السراب
لم تغادر قيظها المحمر ساعاتُ الظهيرة
أوصدت في شرفة الوقت ثوانيها الأخيرة
وارتدت سغب الهجير (١)

وفي ظل ارتفاع الأصوات العربية الكثيرة ، والرعود المتوالية التي تهدر هنا ، وتزبد هناك ، لكنها كلها هباء ، في ظل ذلك عاف الشاعر كل التصريحات ؛ لأنها لا شيء ، فلهذا سيان أمطرت السحابة بعد الرعود أم لم تمطر ، هو في ذلك يمعن في المفارقة للحادثة المستدعاة ، فالرشيد لم يهمه أن تمطر السحابة في العراق ؛ لأنها لا محالة

(١) رائحة التراب : ٣٤ – ٣٥ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

آتية إليه بخيرها وخراجها ، بينما السحابة التي أمطرت أم لم تمطر ، فلن يرى خيرها ، في رمزية واضحة ، إذ يقول :

أمطري بعد ثوانٍ
بعد يوم بعد عام
أمطري سيّان عندي
مطرٌ أو لا مطر
زمني عاف الرعود
زمني عاف الوعود
زمني .. منذ زمانٍ حددته اللاحدود (١)

وعرض كثير من الشعراء بعض مواقف العظماء من المسلمين من أجل بث روح الفداء والتضحية والبذل والعطاء ، وضرب الأمثلة بقدواتٍ سطر التاريخ مآثرهم ، فكانوا شعلاً تضيئ الطريق لمن بعدهم ، ومن ذلك قصيدة (إشراقة بني نمير) (٢) لإبراهيم صعابي التي يستدعي فيها مقولة رسول الله – ﷺ – لصهيب بن سنان الرومي عندما هاجر وترك أمواله : (ربح البيع أبا يحيى) ، فأضحت الكلمة رمزاً للعطاء والتضحية . وكذلك عرض النعمي لموقف الصحابي الجليل أبي الدحداح الذي تبرّع بكامل بستانه لله ولرسوله ، وأخرج زوجته وأبناءه منه ، وبلغت التضحية والروعة في ذلك الحدث أنه لما أخبر زوجته بأن البستان لم يعد لهم ، امتثلت تلك الزوجة الأمر ، ووصل الامتثال حد إخراجها لتمرة من فم أحد أطفالها لكي لا يأكل ما ليس لهم ، والشاعر كان يهدف من ذلك إلى تعميق روح البذل لدى الناس استجابة لدعوة الملك فيصل للتبرع لشعب باكستان ، يقول النعمي في آخر القصيدة :

(١) المصدر السابق : ٣٤ – ٣٥ .
(٢) زورق في القلب : ٨٩ – ٩١ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

خذ من أبي الدحداح أروع موقف ... في ساعة تدعو إلى الكتمان
حيث النفوس شحيحة ولأنها ... أمارة بالسوء والنكران
لكنه والخير في أعماقه ... وفؤاده يخضل بالإيمان
نادى رسول الله إني واهب ... مالي، وإني لست بالمتواني
ويرى الرسول بأن يؤخر بعضه ... لبنيه خوف الفقر والحرمان
فيهزه الخلق الرفيع وهمة ... ترنو إلى الدنيا بعين هوان
فيجود عن طيب بأكرم ضيعة ... ويعود نحو بنيه في البستان
ويبث زوجته الحديث فلم تكد ... تدري طوية زوجها الإنساني
حتى تهلل وجهها واستبشرت ... بالبر لا بالغبن كالنسوان
وهوت على أبنائها لتصدهم ... عن تمر ضيعة فاطر الأكوان
هذا هو المجد الرفيع وليس في ... سبل الهوى وتطاول البنيان
هذا هو الربح الوفير فأين من ... يعطي لنصرة شعب باكستان[1]

وقد يجمع الشاعر في القصيدة الواحدة بين أكثر من شخصية من شخصيات التاريخ الإسلامي العظيم ؛ لإبراز نوع من المفارقة الجماعية بين الواقع التاريخي لتلك الشخصيات وبين ما آل إليه أحفادهم ، تارة عن طريق التساؤل عن تلك الشخصيات ، ولماذا لم يكن في الأمة مثلهم ، كما يقول علي النعمي في قصيدته (ملحمة الشرق الحزين) :

يا شرق أين الأتقياء الأصفيا ... والمالكون الأرض والزهاد
أين الرفيق (أبو قحافة) يا له ... من صامد إن أحجم الأنداد
أين الذي بالعدل أسس ملكه ... أم أين (ذو النورين) والأشهاد
أم أين (حيدرة) الشجاع وقد رمى ... بالنفس للأسياف وهي حداد[2]

(١) الرحيل إلى الأعماق : ٦٢ .
(٢) المصدر السابق : ٤١ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

وتارة يجمع الشاعر بين الشخصيات التي يجمعها رابط واحد ، وقاسم مشترك ، فالنعمي لما نعى شق السادات لصف العرب ، وإبرامه للسلام مع اليهود ، صوّر الحزن الذي حل بالأزهر والرجال الذين كانت لهم في مصر صولات وجولات كعمرو بن العاص وصلاح الدين الأيوبي ، واستدعى كافور والعزيز الفاطمي ، منطلقاً من ثقافة تاريخية واسعة، قائلاً :

وعلى الأزهر الشريف وجوم　　وقتام يخفي الشموع المنيرة
أين (عمرو بن العاص) أين (صلاح)　　عين مصر السادات عادت ضريرة؟
باع (كافور) تاجه بوعود　　كاذبات وسلم المقصورة
وسيوف (العزيز) يسرقها بيجن　　لا خائفاً بعز الظهيرة (١)

وشعراء جازان في استدعائهم للشخصيات الإسلامية كانوا ينظرون إليهم نظرة اعتزاز وافتخار ، ولم يكونوا مثل بعض الشعراء العرب الذين لم يكونوا يردن في أغلب خلفاء الأمة الإسلامية في القرون الماضية وشخصياتها العظيمة سوى انتهازيين منحرفين لا يعرفون سوى القتل والنهل من الشهوات ، بل على عكس ذلك كان شعراء جازان يستشعرون أنهم بتصوير تلك الشخصيات كما هي وعلى حقيقتها يضربون أمثلة للأمة تهز مشاعرهم ، وتقوي عزائمهم ، ووصل ذلك الشعور تجاه تلك الشخصيات إلى درجة الحبّ الشديد والإعجاب المتناهي ، ومن ذلك قول السنوسي معقباً على إحدى الشخصيات التي أورد ملامحها ومواقفها واستدعى بصماتها ليرسمها على الواقع الذي يعيش :

أسطورة تلك لا والله بل بشر　　مشى على الأرض مشي الغيث في الجدب
قرأت تاريخه يوماً فرفَّ فمي　　شوقا لتقبيل ذاك العطر في الكتب (٢)

(١) المصدر السابق : ٥٤ .
(٢) الأعمال الكاملة : ٥٣٠ . وفيها كان يتحدث عن شخصية العمرين عمر بن الخطاب وعمر بن عبدالعزيز .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

٣- الموروث الشعبي والأسطوري :

كثيراً ما كان ينتاب الشاعر المعاصر نوع من الإحساس بالغربة في هذا العالم ناشئ عن شعوره بما يسود عالمنا الحديث من زيف ومن تعقيد وتصنع ، وبعد عن عفوية الحياة الأولى وتلقائيتها وبساطتها ، فكان هذا الإحساس المزدوج بالغربة وبجفاف الحياة المعاصرة ونمطيتها وتعقيدها يدفعه إلى الهرب من هذا الواقع ونشدان عالم آخر أكثر نضارة وبكارة ، وأكثر سذاجة وعفوية في الوقت نفسه ، وكان ينشد هذا العالم بين أحضان التراث ، وخصوصاً التراث الشعبي بالذات .

وهذا الحنين إلى سذاجة الأحلام الأولى يزداد قوة كلما ازدادت الحياة المعاصرة تعقيداً ومادية وزيفا ، ومن ثم فإن شاعرنا المعاصر أصبح شديد الإحساس بأنه لم تكن الحاجة إلى الرمز ، إلى الأسطورة أمسَّ مما هي اليوم ، ولعل الدافع الأقوى لاستخدام الشعراء لهذه الأساطير هو رغبتهم في أن تمكنهم من أن يصوروا همومهم من خلالها ، تلك الآلام والهموم التي تعجز الوسائل الشعرية العادية عن تصويرها [١] .

وإذا طالعنا هذا الموروث في شعر جازان المعاصر ، فإننا نلمح بوضوح أثر حكايات (ألف ليلة وليلة) ، وعلى الرغم من العدد الضخم من الشخصيات التي تمتلك طاقات إيحائية قوية في ألف ليلة وليلة ، فإن الشعراء لم يستخدموا منها سوى عدد قليل .

وتعد شخصية (السندباد) أكثر شخصيات ألف ليلة وليلة استحواذاً على اهتمام شعراء جازان ، وشيوعاً في الشعر المعاصر ، ولذا فقد قيل : ((**لا نكاد نفتح ديواناً من دواوين الشعر الحديث إلا ويطالعنا وجه السندباد من خلال قصيدة أو أكثر من قصيدة . وما من شاعر معاصر إلا وقد اعتبر نفسه سندباداً في مرحلة من مراحل تجربته الشعرية**))[٢] .

والمعروف أن السندباد البحري في حكايات ألف ليلة وليلة هو ذلك المغامر الجواب الذي استمرت مغامراته على امتداد سبع رحلات مليئة بالأخطار والغرائب

(١) انظر : استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر ، د. علي عشري زايد : ٤٢ – ٤٤ .

(٢) السندباد بين التراث والشعر المعاصر ، د. علي عشري زايد ، مجلة الثقافة العربية ، ليبيا ، ع ٤ ، فبراير ١٩٧٤م: ٥٥ ، نقلاً عن استدعاء الشخصيات التراثية : ١٥٦ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

التي كان يصادفها ، وكان يعود من كل رحلة من هذه الرحلات منتصراً على كل ما صادفه من أخطار ومحملاً بالهدايا والكنوز ، وبالخيرات الجديدة ، والحكايا المثيرة .

فالشاعر عبدالواسع سعيد عبده أسقط حكاية السندباد على جوانب من تجربته الحياتية الخاصة ، في بحثه عن المجهول في رحلة الحياة ، واقتحامه لأخطارها ، وذلك في قصيدة (الانكسار) ، حيث يصور السندباد متعباً في رحلته الطويلة ، فيقول :

تعب السفينُ برحلتيه
من النهار إلى النهار
يا سندباد المنطق المفجوع
في جوف المحار
أرضعت من غضب الحياة
من العواصف والبحار
ونشأت تلقي بالشراع
من اليمين إلى اليسار
يا سندباد الرخ والآماس
في وادي النضار
والتبر والفيروز والأشباح
في جزر العشار
يا من تعبت من الشباب
من الرهان إلى العثار [1]

وإذا كان السندباد يواصل رحلته ويعود محملاً بما كان يأمل ، وبما يرضي طموحه ، فإن الشاعر لم يعد من رحلة الحياة إلا باليأس والسأم والهزيمة ، وكان يأمل

(١) التاريخ الأدبي لمنطقة جازان ، للعقيلي ، ٣/ ١٨٤٦ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

أن يكون كسندباد ، ولكنه يظفر بشيء ، فلعل هذه الشخصية لم يكن لها في الواقع أي حقيقة ، لذا سئم الشاعر سماع أخبارها ، ومحاكاة أوهامها ، فيقول مخاطباً سندباد :

سئمتُ مسمعك الحديث
وفي يديك الجلنار
سئمت مجاديفي المضي
إلى حدود الانتظار

ويبلغ بالشاعر الإحساس بالحرمان والهزيمة في رحلة الحياة المجهولة وفشله في تجاوز مخاطرها إلى تصوير السفينة التي ركبها وقد غرقت في البحر ، وبانت له الحقيقة ، وتبخرت الأحلام ، ولم يعد سندباد من تلك الرحلة وإلى الأبد :

يا سندباد
حملت عواصفك القلوعُ
مع المراكب للقرار
فاستيقظ الربان
يضرب في متاهات البحار
صرخت سفينته الغريقة
لا حياة بلا خيار
صرخت تمزقها الحقيقة
والشعور المستعار [1]

ومن شخصيات (ألف ليلة وليلة) التي استدعاها شعراء جازان في معانيهم للتعبير بها عن تجاربهم الشعرية ، شخصيتا (شهريار ، وشهرزاد) ، فشهريار في ألف ليلة وليلة هو ذلك السلطان الطاغية الذي يقتل كل ليلة فتاة – بعد أن خانته زوجته مع أحد

(١) المصدر السابق : ٣/ ١٨٤٦ – ١٨٤٧ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

عبيده – وهو لا يبقي على شهرزاد إلا لكي تكمل له قصتها التي كانت تحرص كل ليلة على بترها عند موقف مثير ؛ لتضمن أن يتركها السلطان إلى الليلة التالية لتكمل له القصة ، ولكنه – في الوقت نفسه – هو ذلك الإنسان الوديع الحكيم بعد أن هذبته شهرزاد بأقاصيصها وأحاديثها ، وبعد أن ردَّت إليه ثقته في المرأة ، أما شهرزاد فهي ابنة الوزير التي قبلت أن تعيش كجارية في قصر شهريار تترقب الموت بين ليلة وأخرى ، ولكنها – في الوقت ذاته – تلك الحكيمة المثقفة الواسعة الأفق ، التي عرفت كيف تقوّم طغيان شهريار بعذب أحاديثها وعجيب قصصها ، حتى استطاعت أن تضمن حياتها عنده ألف ليلة وليلة، لم تجد نفسها بعدها في حاجة إلى أن تخترع له أحاديث جديدة ، فقد ردت إليه ثقته في المرأة ، وجعلته – في الوقت نفسه – ينظر إلى الأمور ببصيرة أكثر نفاذاً[1] .

ولكن عندما ننظر في حديث شعراء جازان عن هاتين الشخصيتين ، نلمح أن مدلولها يكاد يتناقض مع مدلولها في قصة ألف ليلة وليلة ، ولم يعد الشعراء يوردونها في مضمونها الحقيقي ، وإنما اختار كل شاعر من ملامحها التراثية ما يتلاءم وطبيعة المضامين التي يريد نقلها إلى القارئ ، محاولين في ذلك إضفاء دلالات نفسية وعاطفية على شخصيتي شهرزاد وشهريار ، فالشاعر إبراهيم مفتاح في قصيدة (ولم يدرك صباح شهرزاد) تحدث عن تجربة خاصة بعد تحول لحظات الفرح في حياته العاطفية إلى أحزان، فلم يعد لذلك الليل الاشتهاء المعهود ، ولم يعد للانتظار معنى ، ولم تعد المواعيد تعبر عن الشوق واللهفة ، فالشاعر ملّ كثرة الوعود ، وحياة الانتظار :

أيها الموعد الهارب من لحظته
لا تدعني أمضغ الساعات
أجترُّ طوابير الأرق
أختبئ في العقم

(١) ألف ليلة وليلة ١/ ٥ وما بعدها .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

أجثو تحت زخَّات الندم

* *

لا تدعني أغمد النظرات

في جوف الخيالات وعمق المستحيل [1]

ولما كان لليل طعمه عند شهريار ؛ إذ فيه دغدغة لمشاعر الشوق ومعرفة تمام الحكاية التي لم تتمها شهرزاد بسبب طلوع الصباح وصياح الديك ، فإنَّ شاعرنا على العكس منه ، إذ لم يعد لليل ذلك الأثر ؛ لأنه رحل دون أن يستمع الشاعر للحكاية ، ودون أن يجئ اللقاء، ولا ديك ثمَّ ، ولا صباح تنتظره شهرزاد ، فقد انتهت الحياة :

رحل الليل ولم ينصت لشيء (شهريار)

لم يصحْ ديكٌ

(ولم يدرك صباحٌ (شهرزاد) [2]

وقد وظف بعض شعراء جازان الحكايات الشعبية ، فجعلوا منها شخصيات أسطورية تحمل دلالات متعددة في ذاكرة الناس ، وهي في الأصل حكايات خرافية ، فمن ذلك حكاية (ست البدور والعفريت) التي يعرفها كثير من أبناء جازان ، وتمثل حكاية شعبية تقّصها الجدات ويحكينها لأحفادهن ، وما يرتبط بها من شخصيات ثانوية ، كزعفران والغميض ، وطقطيق ، وغيرهم ، فقد تحولت تلك الحكايا في ذاكرة أبناء المنطقة إلى معادل موضوعي لحياة الطفولة ، والأحلام البريئة ، فالشعراء إذا أرادوا الحديث عن الطفولة البريئة ، والجمال الفطري في الحياة تذكروا تلك الحكايات ؛ لما لها من اتصال وثيق بالبناء النفسي والعاطفي حتى أصبحت جزءاً من تركيبة الذاكرة ، وكل منا قد مرّتْ به مثل تلك الحكايا الساذجة والخرافية ، ولكن الشاعر يجعلها ذات

(١) احمرار الصمت : ٧٣ .

(٢) المصدر السابق : الصفحة نفسها .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

قيمة يستعيدها ويبرز دلالاتها في موروثه الخاص ، ومن الأمثلة على ذلك قصيدة (يا أنت يا تواشيح الخضاب) لإبراهيم مفتاح ، حيث يربط بين لحظات السعادة في حياته وبين تلك الحكايات الطفولية البريئة ، فيقول :

عندما تأتين
تنمو في صحاريّ السنابل
ينبت الأشجار حقلي
تعشب الأنفاس
والهمس
وأعراس البلابل
يغسل الدنيا مطر
يصبح العمر على كفيّ
حكايات طفولة [1]

ثم يورد الشاعر بعد ذلك إحدى الحكايات ، مبرزاً بعض ملامحها كما هي ممزوجة بأساليبها العفوية ولهجتها المحلية ، فيقول :

أستعيد الليل
والفانوس
وجداتي اللواتي
كُنّ يسهرن على غمز الفتيلة
عندما قلن لنا
اختفت (ست البدور)
(شلها العفريت) من بين الصبايا

(١) رائحة التراب : ٤٤ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

عشق الخلخال والكحل الذي
كانت به تزهو على كل المرايا
عشق الكفَ المُحنَّى
وتواشيح الخضاب
عندما قلن لنا
اختفى (الغمّيض) و (العَشْر) و (طقطقيق) القواقع
وسماع الدان دان
واختفى الطارُ الذي
تلهو به في الليل أيدي (زعفران)
نبت الخوف على وجه الطريق (١)

ثم يرسم الشاعر بعد ذلك ما كان يحل بالأطفال من خوفٍ من سماع تلك القصص، وما يدور في مخيلتهم من شفقة على (ست البدور) ، ورغبة في إنقاذها من العفريت ، وعندها تأتي المفاجأة ، إذ يشب في الحي فتى يعشق الشهامة ، يأتي وينقذ تلك الفتاة الجميلة، ويظهر التوظيف في آخر القصيدة عندما نلمح مغزى الشاعر من استعادة تلك الحكاية ، ففيها مقاربة لنفسيته العاشقة ، ومشابهة لذلك الفتى الذي تحدّى الأخطار ، وكوّن أحاسيس العشق النزيه في نفوس الأطفال ، وحب المغامرة ، يقول واصفاً الفتى الشجاع :

عاشقٌ كان يخبي في حناياه هيامه
كان يخفي في سجاياه السؤال
أين أنت الآن (يا ست البدور) ؟
بين جفنينا

(١) المصدر السابق : ٤٤ – ٤٥ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

تنامى الصوت
والسيف
وبوح العاشقين [1]

ثانياً - المعاني بين الأصالة والمعاصرة :

إن مامرَّ من حديث عن تأثر شعراء جازان بموروثهم الثقافي ، وهويتهم التاريخية كان نابعاً من أصالةٍ في الفكر ، وإحساس بالانتماء ، وعدم انفصال عن الجذور، وكما قال أحمد البهلكي في مقدمة أحد دواوينه : ((**الأصالة الشعرية في نظري : الحداثة الفكرية المصوغة في قالب تراثي ، من هنا أنطلق ، من الجذور .. لا أجتثها .. لا أنفصل عنها، ولست مكابراً ، وما أنا بحجر**)) [2] .

ولم يكن الشعراء رغم أصالتهم وتأثرهم بتراثهم لينفصلوا عن واقعهم الذي يعيشون، وعصرهم الذي يحيون ، فقد أدركوا أنَّ للشعر قيمة مهمة ورسالة كبيرة في رسم صورة العصر بكل حركته وتحولاته ومعطياته ، وهو ما يمكن أن يسمى بالمعاصرة ، وهي قدرة الشاعر على رسم صورة عصره الذي يعيش فيه ؛ وذلك بالتعبير عن جوانبه المختلفة وعدم الانفصال عنه ، سواء أكانت تلك الجوانب ذاتية أم اجتماعية أم فكرية أم أدبية وسياسية .

وبتأمل نتاج شعراء جازان نجد أنهم قد صوروا عصرهم بكل دقة وتفصيل ، وأبرزوا ملامح بيئتهم إبرازاً كبيراً ، مراعين ما لها من خصوصية وتميز .

وهذه المعاصرة هي من أشكال التجديد ، وإثبات الوجود وإدراك الشاعر لوجوده وذاتيته ، وعدم ارتمائه في أحضان الآخرين ، وبإمكاننا أن نتلمس هذه المعاصرة في المظاهر الآتية :

---

(١) المصدر السابق : ٤٦ .
(٢) طيفان على نقطة الصفر : ٦ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

أ- رصد معالم الصراع الحضاري والتحول الاجتماعي :

توقف الشعراء كثيراً عند معالم الحياة الجديدة التي باركها تحول البلاد من أرض صحراء قاحلة إلى واحة خير وعطاء ، ومن بلاد كان يخيم عليها الفقر إلى بلاد حازت الغنى والثراء في فترة وجيزة ، وبقفزات متسارعة ، كل ذلك شاهد أكثر الشعراء فصوله ، وراقبوا تحولاته ، ورأوا أثره على حياة الناس وتفكيرهم ، وما حققه من إنجازات ومزايا .

كان شعراء جازان يرقبون تحول الناس من حياة الهدوء واليسر إلى حياة الصخب والمادية ، فصور كثير منهم ذلك الصراع المحتدم بين القرية والمدينة ، الصراع بين الفطرة والتعقيد ، وبين البساطة والتنظيم ، وبين الهدوء والضجيج ، وكثر وقوف الشعراء عند الحياة المادية الطاغية – التي يشاهدون – بجوانبها البائس والفقير ، والمزارع المدين ، والسائل المسكين ، والغني المتعجرف ، والكوخ الذي تمزقه الرياح والقصر الذي يناطح السحاب ، وفي محاولات بعضهم لتصوير ذلك لجأوا إلى المقارنة بين العهدين ، وبين الجيلين ، وبين الواقعين ، فهذا السنوسي في إحدى قصائده التي يصور فيها حياة الهدوء الناعمة التي كان يعيشها الفلاح في يسر وسعادة ربما افتقدها صاحب القصر المنيف ، تصوير يعبر عن ما كان يحس به السنوسي ومن حوله من ضغوط المدنية وشدة وقعها على النفوس المرهفة ، يقول :

رب كوخ يضم زوجين كالطفلـ ـين طهراً ورقة كالأقاح
يملآن الحياة شدواً ويختا لان زهواً في غبطة وارتياح
ويعيشان في هدوء برئ من فضول الغنى وكد الشحاح
نعما بالحياة في ظل عيشٍ (أخضر) من قناعة وانشراح
فيلسوفان ينظران إلى الدنـ يا كما تنظر الذرى للرياح
يتمنى عيشيهما صاحب القصـ ر المعلى وذو الظبى والرماح [1]

وعبّر الشعراء عن امتداد يد الحضارة إلى كثير من معالم الجمال في الحياة فغيّرتها

(١) الأعمال الكاملة : ٣٣٥ – ٣٣٧ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

وبدلتها ، وهي بذلك لا تجتث مظاهر البساطة ، وإنما تجتث معها جمال النفوس ، فيحل محل الكوخ الصغير والعشة المتواضعة العمارات الضخمة والفلل الفارهة ، ومحل الحدائق الطبيعية والمروج الرائعة والورود والرياحين الإسفلت والإسمنت ، فالشاعر محمد حبيبي في قصيدته (ريحانه) يتذكر تلك الريح الجميلة التي كانت تملأ باحة الدار ، تملأها بالبهجة والروعة ، فإذا بها تزال ، ويحل محلها البلاط الذي يحمل معه القسوة والجفاف ، فيقول راصداً معلماً من معالم هذا الصراع :

غرستها أمّي في صحن الدار
لعروس نَذَرتْها
في أول أيام العرس
تُورِقُ
خمسين بَلاطَة ! (١)

وما زالت الحضارة تقدم جديدها يوماً بعد يوم ، وفي كل يوم تجتث شيئاً من روعة الماضي ، وتقتل معالم الإثارة والجمال ، كما يقول أحمد الحربي في قصيدته (عجاج الحضارة) :

كانت الدنيا مثيرة
ودّعتنا نطرق الرمل
على وجه الحصيرة
هكذا الأيام تمتد أياديها
لتجتثَّ بقايانا ، وميراث العشيرة (٢)

وبفعل طغيان الحياة المادية وازدياد الفجوة بين جيلين وطرازين في الحياة عتيق

(١) انكسرت وحيداً : ٥٧ .
(٢) جريدة الرياض ، ٢٤ صفر ١٤١٩هـ ، ١٨ يونيو ١٩٩٨م ، ع١٠٩٥١ ، س ٣٥ ، ص ٣٥ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وجديد، ازداد شعر القلق ، وطغى الإحساس بعدم الأمان ، وظهر الخوف من القادم المجهول، والشعور بغزو الحضارة الغربية وماديتها الطاغية وملاحقتها له في كل مكان، مشعرة له بتخلّفه وعجزه عن مظاهاتها .

وصور الشعراء – أيضاً – الصراع بين بيئة القرية المفطورة على الاستقامة ومجتمعات المدن خاصة خارج البلاد ، حيث تكثر أشراك الشر ، وغواية الشيطان صور بعض الشعراء أثره على نفسية العفيف ، فتحدث العقيلي عن بيئات باريس ولندن في قصيدته (من شذا رحلة لندن) [1] ، و (من إلهام رحلة باريس) [2] . والسنوسي في قصيدة (باقة إلى عابرة) يصف الفتاة المتبرجة التي تخطر أمامه في رشاقة وإغواء وإغراء لم يعهده في بيئته ، ولكنه يردعه حياؤه ، ويكتفي من ذلك بالنظرة الأولى كما يقول – رحمه الله – :

ويك إن المحيط أزرق فاحذر عمقه في لحاظها وازرقاقه
والسجو الذي تراه نذير لهبوب العواصف الخفّاقه
حسبك النفحة الشذية يا قل بي، وحسبي من ذلك الروض باقه [3]

ومثل ذلك ماجاء في رصد شعراء جازان لذلك الصراع ، بين مايرون في واقعهم المحافظ وما يبصرون في البيئات المتحللة من الأخلاق ، وإبرازهم لخطر الغزو الداهم الذي بدأت نذره تصل . ومن أكثر الشعراء تصويراً له علي الفيفي ، كما في قصيدة (ترمال) التي تصف السّياح في تركيا [4] ، وفي عرضه الساخر لرحلة البدوي إلى لندن بعد أن حل به الغنى فجأة ، صورّه وهو يتتبع خطا الغانيات في شوارع لندن [5] ، وعلي النعمي في القصة الحوارية الرائعة التي أدارها بين زوجة تحاول أن تثني زوجها عن

(١) المجموعة الشعرية : ٤٨٣ .
(٢) المصدر السابق : ٥١٥ .
(٣) الأعمال الكاملة : ٣٥٢ .
(٤) الهمس الخافت : ١٤٦ – ١٤٩ .
(٥) المصدر السابق : ٨٠ – ٨٤ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

السفر إلى بلاد الفساد والتحلل الأخلاقي ، وبين زوج يختلق المعاذير لذلك السفر [1] . ومثلها قصيدة (عظة المتعظين في طريق المهتدين) [2] ، للشاعر محمد عقيل أحمد .

ومن ملامح الصراع الاجتماعي وتغير ملامح الحياة بين جيلين ،جيل كان يعتمد على نفسه في كسب رزقه ، وكانت الزراعة أهم مصادر رزقه – كما هو الحال في البيئة الجازانية، وبين جيل جاء إلى الدنيا في ظل التنمية المعاصرة المليئة بمظاهر الرفاهية والأعمال الأخرى التي أفقدت الزراعة قيمتها ، وجعلتها عملاً هامشياً ، فلم تعد الأرض هي الأرض ، ومن يقرأ أشعار علي النعمي يلمح هذا الصراع واضحاً ، ويرى بوضوح حرص الشاعر على إبراز المفارقة بين الجيلين ، ومن ذلك قوله :

إن وجه الفلاح إن لفحته الشمـ　　ـس يوماً لطافح بالحنان
يعشق الأرض لا يحبّ سواها　　وهوى الأرض زاخر بالمعاني
جهده ، كدّه الطويل سيبقى　　أبد الدهر مفخر الأزمان
وسيبقى نهراً تفيض عطاياه　　رجاءً على بني الإنسان
حسبي الله ما لهذي الأراضي　　لبست بالأسى ثياب الهوان
حين عادت عبئاً ثقيلاً تلقتـ　　ـها نفوس بالصد والنكران
وجدت من بدائل العيش أنوا　　عاً سواها قليلة الخسران
صورة الأمس للزراعة ذابت　　ومحاها تعاقب الحدثان
فارتواز يختال قرب ارتواز　　والمساني ضحية البستان
والتصاق الفلاح بالأرض ما عا　　د قوياً .. ولم يعد من يعاني [3]

وفي أشعار إبراهيم مفتاح ما يصور الرغبة الجارفة في ترك الأعمال التي تشغل عن

(١) جراح قلب : ٢٣٢ – ٢٣٣ .
(٢) التاريخ الأدبي لمنطقة جازان ، للعقيلي ، ٣/ ١٦٥٧ .
(٣) الأرض والعشق : ١١٨ – ١١٩ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

التعليم ، ويرى أنَّ التعليم هو المفتاح الوحيد للدخول إلى هذا العصر بكل قوة ، متبعاً في ذلك خطا السنوسي في قصيدته (طموح)[1] ، يقول مفتاح في قصيدة (رجاء يا أبي) :

دعني أذاكر في كراستي درسي　　دعني أهيء في مستقبلي نفسي
دعني أرتب فوق الدرج أمتعتي　　دعني أنظم ما يسمو به حسي
دعني أحطم أوهاماً مكبلة　　بها العقول وأرنو اليوم للشمس
دعني أواصل تثقيفي بمدرستي　　وأدفن الجهل والماضي الذي يؤسي

إلى أن يقول :

غدا أبي يصبح التاريخ صنع يدي　　غداً تكون بلادي كلها غرسي[2]

ورصد شعراء جازان بعض معالم الصراع الفكري ومحاولات بعض أبناء الأمة استجلاب الأفكار الغربية والشرقية وإقحامها على واقعنا ، أو زعمهم أنها هي مفتاح التقدم والرقي الحضاري ، وهم في رصدهم لتلك المحاولات كانوا يعبرون عن آرائهم ومواقفهم منها – خاصة بعد فشل كثير من تلك الأفكار والطروحات في حل قضايا الأمة أو رفعتها، بل أو قعتها في كثير من المضايق والنكبات ، وكان الشعراء يصورون خطر تلك الأفكار وأنها سمٌّ قد دُسَّ في العسل ، ومن ذلك قول أحمد البهلكي في قصيدته (أنشودة للفارس القادم) :

مزقاً من الآراء والـ　　ـد ولات تحمل كل عاب
ومبادئاً مثل (الدجا　　ج) أتت مثلّجة الإهاب
وعقول قومٍ من بني　　قومي تقيسهم الثياب
يتباركون بكل ما　　يأتي من الغرب المصاب
متغافلين عن الحقا　　ئق سادرين على السراب

(١) الأعمال الكاملة : ٣٦٦ .
(٢) عتاب إلى البحر : ٥٠ – ٥١ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

والغـــادرون عـــلى مـــشا　　رفهـــم وفي تلـــك الرحـــاب [1]

وصـور الـشعراء دعـوة الملـك فيـصل – رحمـه الله – إلى التـضامن الإسـلامي ، وصراعه مع الداعين إلى القومية العربية والرافضين لفكرة القومية الإسلامية ، وأبـرزوا صلابة موقف الملك فيصل ، وعدم التفاته إلى المعوقين والمثبطين ، ذلك قول السنوسي :

مبـــدأ واضـــح دعـــوت إليـــه　　في وضـــــوح وقـــــوة وإراده
لم تحـــد عنـــه شعـــرة والمـــضلو　　ن كثـــير يرجـــون فـــساده
سرتـــه مؤمنـــا بربـــك لا تـــر　　جـــو ســـواه ولا تخـــاف عبـــاده
وطريـــق المجاهـــدين أولي العـــز　　م طويـــل والـــصبر يطـــوي بعـــاده
فبلغـــت المـــدى نجاحـــاً أكيـــداً　　والنجـــاح الأكيـــد للحـــق عـــاده [2]

وتحدث محمد محسن مشاري عـن عـدم اهتـداء الفيـصل بمبـادئ لينين ولا بمبـادئ الغرب ، ولكنه اهتدى بمبادئ أشرف ملّة ، بالمبادئ التي نادى بها رسول الله – ﷺ – ، فقال :

قـــاد العروبـــة في سبيـــل خلاصـــها　　فرســـت بـــشطآن الأمـــان سفـــين
مـــا ســـار شرقـــاً يهتـــدي بمبـــادئ　　هدامـــة قـــد صاغهـــا لينـــين
أو سار غرباً حيث يستشري الخنا　　لا عـــرض فيـــه موفـــر ومـــصون
لكنـــه اســـتهدى بـــأشرف ملـــة　　نـــادى بهـــا في العـــالم المأمـــون [3]

وكان الملك فيصل بذاك الصنيع قد جنب البلاد ويلات تلك المبادئ وفسادها الفكـري والأخلاقي ، ولذا استحق الإشادة والثناء ، ولذا فدّاه الشاعر علي بن قاسم الفيفي قائلاً :

نفديـــه مـــن فـــذ إمـــام عـــادل　　أعـــلى منـــار الـــدين في عـــصر خبـــا
عـصر بـه كـل الأعـادي أحـدقت　　وتكالبـت صـفا وزحفـا مرعبـا

(١) طيفان على نقطة الصفر : ٢٨ – ٢٩ .
(٢) الأعمال الكاملة : ٥٧٥ – ٥٧٦ .
(٣) التاريخ الأدبي لمنطقة جازان : ٣/ ١٨٨٤ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

لـــولاه بعـــد الله في إخلاصـــه وثباتـــه لم يلـــف ثلـــم مرأبـــا
لـــم يلتفـــت لمبـــادئ هدامـــة كـــلا ولم يـــك جامـــداً متعـــصباً [1]

وفي ظل تعدد الانتماءات أبرز الشعراء مفهوم الانتماء الصحيح ، وأظهروه بكل فخر، ومن ذلك قول البهلكي في ختام إحدى قصائده في هذا الشأن :

إذا مـــا انتمـــى الغـــير أو جـــانبوا فنحـــن لإسلامنـــا ننتمـــي [2]

ومن معالم الصراع في شعر جازان ، ذلكم الصراع الأدبي والموقف من الشعر الحديث والتجديد في الأدب ، وقد مرت الإشارة إلى ذلك عند الحديث عن الأجيال الأدبية والتيارات الفنية .

ب- التفاعل مع الأحداث المعاصرة والقضايا الإنسانية :

تفاعل شعراء جازان مع الأحداث التي عصفت بالأمتين العربية والإسلامية ، وواكبوا هبات بعض الشعوب المغلوبة على أمرها من قبل الاستعمار البغيض ، وناصروا معارك التحرير في كل مكان ، وبكوا الهزائم في المعارك الفاشلة والنكسات السياسية وخيبة أمل الأمة الإسلامية بسبب تعارض الآراء ، وتفرق الكلمة ، واختلاف التوجهات ، والإعراض عن المبادئ السامية .

وهم بهذا يحققون معنى المعاصرة الشعرية ، ويدركون مهمة الشاعر ورسالته حين يتجرد من همومه الذاتية ، ليحقق أسمى معاني الشعور الجماعي ، فيصرخ بأعلى صوته حين يسمع أنات الثكالى ، وصرخات المفجوعين الذين تصل أصواتهم صباحاً ومساءً من شتى البلاد العربية والإسلامية ، يتمثل هذا في مثل ما قاله إبراهيم صعابي حين أبصر امرأة مذعورة بعد مجزرة صبرا وشاتيلا امرأة تبحث عن طفلها :

لست أنسى .. منظر المرأة تبكي

---

(١) الطيف العابر : ٢٧ .

(٢) طيفان على نقطة الصفر : ١٢١ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

طفلها الأول مات ..
ألف طفل قبله بعده مات
مات في قلب حناياها
هوى الطفل الصغير
وتلاشى جفنها ..
يصرخ ذعراً .. (كلُّ وعدٍ لم يكن إلا ادعاء)
وصدى العود ادعاءٌ في ادّعاء
مات فيها كل شئ كان حيًّا
رقة الأم وأحلام صباها
نسيت (حواء) فيها
فارتدت ثوب التحدي والجنون
وتمطّت صهوة المدفع لا تخشى (ألاعيب الذئاب)
ومضت تأخذ ثأراً أبديا (١)

وحارب الشعراء الإقليمية الضيقة ، وتسلط الأمم الأجنبية على كثير من مصائر الشعوب الضعيفة ، كما حاربوا استغلال الهيئات الأممية وإعلاناتها ومبادئها المزعومة التي أضحت أسلحة وضغوطاً ضدّ الشعوب الضعيفة ، ومنها مجلس الأمن أحد الأسلحة الفتاكة لتهديد الشعوب واستلاب حقوقها ، وبث روح الخوف في نفوسها بدلاً من تحقيق الأمن المزعوم ، وقد وصفه البهلكي بقوله في قصيدة (رؤى في نيويورك) :

هـا هنـا مجلـس لأمـن البرايـا خـائف في قـراره رعديـد
مـا عرفنـاه غـير لعبـة طفـل ليس يبدي قط وليس يعيد
كـم خبرنـاه يـا صـديقي ولكـن حظنـا منـه حـصرم ووعـود

(١) زورق في القلب : ٩٥ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

كـالحرابيّ كلهـم كـل لـون　　ممكـن أن تريـك منـه الجلـود
والمرابـون في المـصائر كـثرٌ　　ياصديقي فأين أين الجهود ؟[1]

وتعاطف الشعراء مع كثير من القضايا الإنسانية ، ومنها صراع الرجل الأسود ضدّ المستعمر الأبيض في إفريقيا وسائر البلاد التي حلوا بها ، ذلك الصراع المرير ضد العنصرية والعنجهية ، ومن ذلك ما جاء – مثلاً- في قصيدة (زنجي يتحدث) لعلي صيقل ، حيث يرمز إلى ذلك الصراع على لسان طفل صغير أسود ، يقول :

منذ كنت صغيراً
طفلاً في سن السابعة
كنت أحب اللون الأبيض
كنت .. لو قالت أمي :
يا ولدي
البس ثوباً بنيا أو ثوباً أسود
أزاداد عناداً
كانت أمي
تعجب من إصراري .. من رفضي
هذا
لم أعرف أنَّ اللون الأبيض
في القرن العشرين
سيكون الرمز .. لرجل .. يضطهد
اللون الأسود
سيكون الرمز لحقد أربد

(١) أول الغيث : ٢٨ – ٢٩ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

ينصبّ عنيفاً ويزمجر [1]

ثالثاً - المبالغة في المعاني :

المبالغة في الأفكار وسيلة فنية يعبّر بها الشاعر الصادق عن أعمق مشاعره ؛ حين يعجز عن إعادة تشكيل الواقع أو استثارة الخيال من أجل تجسيدها ، ولصدقه فإنه يخففها بوسائل عدة ، كأفعال المقاربة ، وتشبيه التقريب ، بينما يلجأ إليها الشاعر الضعيف ؛ ليداري بها ضعفه ، ويذهل المتلقي عن عيوبه .

وعند تأمل الشعر في جازان نلمح قلة المبالغات فيه ، والشعراء بصنيعهم هذا يمثلون روح العصر الحديث ، الذي حاول شعراؤه التخلص من آثار المبالغة القديمة الممجوجة ؛ ليتيحوا المجال أمام عواطفهم الصادقة ، وهذا ما جعلهم ينجحون في تعبيرهم عن أدق المعاني النفسية ، ويصلون إلى أعمق الأفكار المنطقية ، وأن يسبروا أغوار النفس الإنسانية ، في سائر حالاتها ، ممّا منح نتاجهم سمة الواقعية [2] .

أما تلك المبالغات القليلة التي ظهرت في أشعار بعضهم ، فإن كثيراً منها كان مصاحباً للمدائح وللمراثي ، حين تعوز الشاعر القريحة المواتية ، أو تعجزه العواطف الصادقة، فيرتقي المادح بالممدوح إلى درجة أعلى من مقامه ، إلى درجة قد لا ترضي الممدوح ، ويصور الشاعر الذي يرثي في مرثيته – إن كان من هواة المبالغة – الجبال تنوح على فقيده ، والسماء قد سقطت كسفاً من الحزن ، والأرض قد مادت ، ولم تعد الحياة صالحة للبقاء ، وليفن العالم بعد هذا الميت .

فمما جاء من هذا النوع من المبالغات المصاحبة للمدائح قول علي السنوسي في مديح الملك عبدالعزيز – رحمه الله – :

متوقد الأفكار إن عنّت له دهماء يقطرُ من مراجلها الدَّمُ

(١) ترانيم على الشاطئ : ٢٩ .

(٢) انظر : عمر بهاء الأميري ، حياته وشعره ، خالد الحليبي ، ٢/ ٥٦٩ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

فـيرى الـصواب بـما يُدبِّـر رأيـه مـن أمـره فكأنمـا هـو يلهـمُ
يـابن الأئمـة كيـف تـدعى بيننـا ملكـا وأنـت لنـا الإمـام الأعظـمُ
كـل الملـوك عـلى إقامـة أمرهـا عـدلت عـن التقـوى وأنـت القيـمُ[1]

فإن كان علي السنوسي قد خفّف المبالغة في البيت الثاني بقوله (فكأنما) ، فإنه لا يحمد له التعميم في البيت الآخير ، حين أراد وصف الممدوح بالعدل والتقوى وحماية أمور الأمة ، فسلب عن غير الممدوح من سائر الملوك أيَّ تقوى ، وهذا تعميم غير مقبول ، قاد إليه حرص الشاعر على المبالغة والمغالاة .

ومثل هذا ما جاء في قصيدة (الفرحة الكبرى) لمحمد أحمد العقيلي التي ألقاها في الحفل الذي أقيم في جازان بمناسبة البيعة للملك فيصل في سنة ١٣٨٤هـ ، وفيها يقرر أن بيعة الفيصل هي بيعة الرضوان ، وهذا فيه من المبالغة الواضحة ما فيه ، يقول :

الفرحـة الكـبرى تعـم العبـاد والبهجـة العظمـى تـسود الـبلاد
ببيعـة الرضـوان في شعبنـا النَّـ ـاهض في عهـد الهـدى والرشـاد[2]

والشاعر علي بن حسين الفيفي عند مديحه لصديقه الشاعر محمد بن علي السنوسي، يصف أشعار السنوسي بأن فيها الحكمة ، وسحرها خفي ، وهذا لا غضاضة فيه ، ولكنه يوغل في المبالغة حين يصف حاله في حب تلك القصائد والتأثر بها بأنه يشدو بها ليلاً ونهاراً، وهو بهذا يحول أشعار السنوسي إلى أذكار صباحية وأوراد مسائية ، فيقول :

إنَّ فيهـا حكمـةً والـسحر فيهـا متـواري
إنـني أشـدو بهـا لـيلاً وأطـراف النهـارِ[3]

وقد يلجأ الشاعر – أحياناً – إلى المبالغة المقبولة لدى السامعين ليصل إلى مراده،

(١) المفقود من شعر علي بن محمد السنوسي : ١١٥ .
(٢) المجموعة الشعرية : ٢٩٩ .
(٣) أزهار : ٨٣ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

ومن ذلك قول السنوسي مصوراً حالة بعض القرى الصغيرة التي لم تصلها الكهرباء في جازان بعد ، وكيف يمتد فيها الظلام ، حتى إن الوحوش لتفرق من الدخول إليها ، ويصور ضجيج تلك القرى من أصوات مولدات الكهرباء التي تحول بين سماع الأم لصراخ وليدها الذي هو أقرب شيء إليها ، وهي مبالغة واضحة ، ساعد على التخفيف من وقعها ، وشجّع على قبولها حرص الشاعر على إيصال فكرته بما تحمل من مؤثرات ضخمة إلى وزير الكهرباء آنذاك – غازي القصيبي :

يمتد فيها الظلام الوحش متكئا　　بمرفقيه على الأحشاء والكبد
والليل فيها ظلام موحش شرس　　تكاد تفرق منه مهجة الأسد
والليل من ضجة فيها ومن صخب　　لا تسمع الأم فيه صرخة الولد
من المواطير فيها وهي صاخبة　　أصواتها تبعث الموتى من اللُّحد (١)

ومن المبالغات في شعر أحمد البهلكي ما جاء في قصيدته (رؤى في نيويورك) ، حيث يشير إلى رغبة جارفة في فتح نيويورك ، والتغلب على أمريكاً في ظل الواقع الراهن للعرب والمسلمين ، فيقول مخاطباً نيويورك :

لم تزل في الجفون صورةُ مجدٍ　　تتنزى إليك وهو أكيد
صورة الفتح لم تغب سوف تبدو　　يا نيويورك يومه موعود (٢)

وهذا أمل غير واقعي ، وفيه خيال كبير وجنوح إلى المبالغة والوهم وتخدير المشاعر ليس إلاّ ، فالطموحات والآمال إن لم يكن لها واقع يدعمها أو يوافقها ، فهي خيالات وأحلام زائلة .

ومن مبالغات الشعراء التي قاد إليها الحصر والإعياء الشعري ، والعجز عن إتمام المعنى ، ما جاء في قول عبدالله الفيفي يصف لحظات وداع :

مرت تودعني .. يا ليتها علمت　　ما استودعت حرقاً مني وما ارتحلا
تستنُّ من أفق النأي الغريب مدى　　منقطعاً أملي فيه ومتصلا

(١) انظر : محمد بن علي السنوسي حياته وشعره ، محمد القسومي ، (فائت ديوان السنوسي) : ٣٤٥ .
(٢) أول الغيث : ٣٠ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

فانثال في لغتي دمع الوداع فلم　　أنطق.. ومن دهشتي لم أدر من رحلا[1]

فإذا كان الشاعر لا يدري من رحل ، فأين الوداع إذن ، إنها المبالغة الواضحة وخداع القارئ ، الناشئ عن ضعف التجربة أصلاً .

أما المبالغات غير المقبولة فهي قليلة جداً ، ومن ذلك ما جاء في شعر السنوسي واصفاً الفلاح وعظيم كرمه ، وشدّة بأسه ، بقوله :

والذي إن أضاف أخجلَ حتى　　يحسب الضيف أنّه غير صاح
والذي إن أخاف أو جل حتى　　لتراه كالمارد السفّاح[2]

فإن في قوله (يحسب الضيف أنَّه غير صاح) مبالغة غريبة لا تناسب صدر البيت الذي يدل على مدى إكرام الفلاح لضيفه ، كما أن في قوله (لتراه كالمارد السفاح) مبالغة لا تناسب المقام ؛ لما فيها من الإيحاء بالجريمة والاعتداء[3] .

ومثل هذا قول الشاعر أحمد الحربي مخاطباً محبوبته :

كتمت حكايتي عشرين عاماً　　ونار العشق تكوي القلب كيا
رمتني فيك أحلامي جنيناً　　دهتني فيك أو هامي فتيا[4]

فتعلق الشاعر بهذه المحبوبة وهو ما زال جنيناً فيه إغراب ومبالغة ممجوجة لا يستسغيها الذوق السليم ، وتعدّ نشازاً واضحاً في شعر الحربي .

(١) إذا ما الليل أغرقني : ٤٠ .
(٢) الأعمال الكاملة : ٣٣٧ .
(٣) انظر : محمد بن علي السنوسي حياته وشعره ، محمد القسومي : ٢٥٤ .
(٤) رحلة الأمس : ٢٠ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

رابعاً - المعاني بين السلامة والانزلاق :

من أهم معالم وظواهر الشعر في جازان في هذه الفترة المدروسة سلامة الأفكار واستقامتها ، والبعد عن الانحراف الفكري والأخلاقي ، والتحلى بالروح الإسلامية ، وتمثيل مضامينها المتّزنة البعيدة عن الإفراط والتفريط ، وسبب ذلك أنَّ الشعراء مكبون على الثقافة الإسلامية ، بعيدون عن أسباب الانحراف التي ظهرت في الماضي ، وكذلك بعيدون عن مزالق الثقافة الجديدة ، ولكل قاعدة شذوذ ، فهناك بعض المزالق وقع فيها عددٌ من الشعراء ربما عن غير قصد ، وهناك – أيضاً – الاتجاه الحداثي الذي قصد كثير من شعرائه إلى الانحراف قصداً ، ليصوّروا ملامح فكرهم للآخرين ، ويبشروا بالمبادئ التي يدعو إليها مذهبهم ، فقلّت السلامة في أشعارهم ، وكان الانحراف لديهم هو الأصل ، وجل أشعارهم تمثل هرطقات الغلاة والمنحرفين من المؤثرين فيهم – سواء من الغربيين أم العرب – المليئة بالمخالفة لكل معلوم من الدين بالضرورة ، ومدرك بالفطرة ، فمن ذلك تصويرهم المتكرر للصراع مع الغيب ، وتطاولهم عليه ، والتجاوز إلى أن يصل بأحدهم وهو محمد مباركي إلى أن يقول :

وأعلم ما مستقبل العرب في غد　　ولكنني عن علم ماضيهم عمي (١)

فإن صدق مضمون الشطر الثاني الدال على انفكاك الحداثيين عن كل ما يربطهم بماضي الأمة وحضارتها الراقية والسليمة ، إلا أنَّ الشطر الأول فيه ادعاء بعلم الغيب ، وهذا من خصائص الله جل جلاله ، ولم يكشف ستره لا لنبي مرسل ولا لملك مقرب ، وقد قال الله –عز وجل– مبيناً حال الرسول –ﷺ– : **{ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لاسْتَكْثَرْتُ مِنْ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ}** (٢) ، بينما نجد الشاعر علي النعمي الذي لم تفسد أفكاره مؤثرات العصر وتوجهاته يصور الغد بأنه مجهول ومحجوب عنه ، ممثلاً للتفكير الناضج والسليم ، فيقول :

(١) للصعاليك فقط : ٤ .

(٢) سورة الأعراف ، من آية (١٨٨) .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

أما غدي فهو مجهولٌ، ومُحْتَجِبٌ عنّي، ولم أدر ماذا في جراب غدي [1]

وأكثر أغراض الشعر التي ظهر فيها شيء من انزلاق الشعراء وضبابية الرؤية ، غرض الرثاء ، فإن كان الإسلام قد أحدث تغييراً ما في نظرة الناس نحو الموت بفضل كثير من الأفكار التي بثّها ، وخاصة ما يتعلق بالقضاء والقدر ، وحتمية الموت وتوقيته، واندغم ذلك بأحاسيس الشعراء ، فأحدث ذلك تشكيلاً جديداً لصورة الموت ، من إضافة عناصر جديدة لهذه الصورة ، أو التخلي عن بعض أبعاد الصورة السابقة ، ومع هذا فنجد أحد شعراء جازان – لسيطرة الأحزان عليه – يستعيد تلك النظرة غير السليمة نحو المنايا ، بما تحمل من ضبابية وانزلاق ، فالشاعر الجاهلي زهير كان يرى أنها خبط عشواء ، ومع هذا يوافقه أحمد عبدالفتاح الحازمي حين يقول :

ليت المنايا وهي في عشوائها قصرت غداة تطاولت للفرقد [2]

واختفت هذه العشوائية عند عدد من الشعراء ، وأصبح الموت في نظر بعضهم قادراً على أن يؤدي بمن تريده إرادة الله ، ويكفيه فقط أن يستدعي الفقيد ، وما أسرع ما يستجيب الفقيد للنداء ، وولدت النظرة الجديدة للموت ، شعوراً بقدرته على الاختيار أو الانتقاء عند بعض الشعراء ، وفي هذه النظرة روح جاهلية سبق إليها طرفة بن العبد حين قال :

أرى الموت يعتام الكرام ويصطفي عقيلة مال الفاحش المتشدّد [3]

ومن أمثلة وجود هذه الفكرة لدى بعض شعراء جازان تصوير الشاعر محمد بن علي السنوسي الموت بأنه بطل ينتخب الأبطال فقط ، وهو في ذلك ذو شأن عظيم ، يقول في رثائه لصديقه ضياء الدين رجب :

(١) الرحيل إلى الأعماق : ٩٩ .
(٢) التاريخ الأدبي لمنطقة جازان ، للعقيلي : ٣/ ١٨٧٤ .
(٣) ديوان طرفة بن العبد

شبكة الألوكة - قسم الكتب

جـلَّ شـأن المـوت مـن بطـلٍ يـده الأبطـال تنتخـبُ[1]

ومثل هذا نجده في شعر أحمد بن علي عبدالفتاح الحازمي في رثائه لصديقه حسن بن محمد الحازمي ، إذ يقول :

فينـا تجـول الحادثـات بحولهـا هـل للنـوائب عنـدنا مـن ثـار
وعـلى الـذرى سـطت المنايـا يـا لهـا في قمّـة العليـاء مـن أوطـار
وتخيرت (حسن) الشمائل يا ترى أتـدور حـول القـادة الأخيـار[2]

وإذا كان أحمد الحازمي يرى في هذا النَّص أنَّ المنايا تتخيّر القادة الأخيار ، فإنه في رثائه لتركي السديري يصدر عن رؤية سليمة ، وفكرة واضحة مستقاة من التصور الإسلامي للموت وحلول الأجال ووقوع الأقدار :

تسطو المنون وينتهي شوط المدى ولكـل حـيّ غايـة ومـصيرُ
يجرى القضا وتدور كاسات الردى والمـوت مـسؤول بنـا وخفـيرُ
ومقـدر ممـن تفـرد بالبقـا وإليـه فـصل الحكـم والتدبـيرُ[3]

ويظهر الانزلاق في بعض مواقف الرثاء الأخرى – في غير جانب القضاء والقدر أو فكرة الموت – مثل تصوير الشاعر محمد العقيلي في رثائه للملك عبدالعزيز بأنَّ الملائكة سارت تشيّعه ، وأنَّ الصحابة استقبلوه في جنة الخلد ، وحفّت به أرواح العلماء والصالحين، وهذا لا ينبغي ؛ لأنه ادعاء علم الغيب ؛ ولأن مصائر البشر مما استأثر الله بعلمه، يقول :

أيّ نعـشٍ تقلّـه الـريح قـد سـا رت تحييـه في الـسماء الغمائـم
سـار يحـدوه للملائـك تـسبيـ ـح وفي هالـة مـن النـور عـائم

(١) الأعمال الكاملة : ٧٤٤ .
(٢) جريدة المدينة ، ملحق الأربعاء ، ٢٦ ربيع الأول ١٤١٠هـ ، ص١١ .
(٣) التاريخ الأدبي لمنطقة جازان ، للعقيلي : ٣/ ١٨٢٤ – ١٨٢٥ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

تتهادى بـه الـصحابة في الخلـ د وأرواح كـل حـبرٍ وعـالم [1]

والشاعر محمد السنوسي في رثائه للملك فيصل يغلو في التعبير عن مشاعر الحب والتقدير للراحل إلى درجة غير مقبوله حين صوره بأنه مازال يرانا حتى بعد وفاته ، وكذلك فإنه لا يمكن لنا أن ندرك كيف مات ومازالت روحه في أرواحنا ، ونحن نعلم أنَّ السنوسي ليس من الذين يحملون فكرة تناسخ الأرواح ، ولكنه الإغراق والتجاوز الذي تقود إليه بعض المواقف الشعرية التي تلزم الشاعر بالقول ، يقول السنوسي :

فيصل مات ولكن ذكره يغمر العالم والدنيا شذاه
روحه فينا وفي أرواحنا تتهادى كالسنا منك ضحاه
ترك العرش ولكن لم يغب هو ما زال يرانا ونراه [2]

وظهرت بعض الأخطاء لدى الشعراء في بعض الأغراض الأخرى غير الرثاء ، فمن ذلك قول الشاعر أحمد العطاس متأملاً :

لا تسل عني فإني بشر من عباد الله في هذا الوجود
جئت للدنيا كما جاء أبي لست أدري ما الذي فيها أريد [3]

فالبيت الثاني حمل معنى غيرسليم دعا إليه التقليد الأعمى لإيليا أبي ماضي ، في جنوحه نحو (اللا أدرية) ومذهب الارتياب ، وأنا متأكد أنَّ العطاس لا يتخذ هذا الأمر مذهباً فكرياً أو فلسفة محددة ، وإنما هو من قبيل المجاراة والتأثر المغلوط .

ومن المعاني التي جنح فيها الشاعر عبدالله الفيفي نحو الإغراب والتجاوز في الإعجاب بالموسيقا إلى درجة يجعلها جزءاً من تركيبة جسده وروحه ، وأنها امتزجت

(١) المجموعة الشعرية : ٢٦٠ .
(٢) الأعمال الكاملة : ٥٩٦ .
(٣) تغريد النهى : ٨٢ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

بالطين الذي تركب منه ، وهذا جنوح نحو الخيال وتصوير الشيء على غير ما هو له ، ومخالفة الصواب ، يقول واصفاً لها :

روح محلقة بنا في جنحها　　أرواحنا تسمو على دنيا الصغار
من ثغر ما خلف الوجود تسللت　　وسقت بكأس ما تمل من الدوار
ناجت بآمال الحياة ويأسها　　وحكت لنا سر انبناء وانبهار
هي نغمة قد مازجت نفسي فلم　　أدرك لها نبعا ولم أكشف ستار
هي عنصري مذ كنت ثم عجينة　　من طينة أزلية أو من غبار [1]

والشاعر علي بن قاسم الفيفي عند حديثه عن القات وأضراره، حاول أن يصور كلَّ ما يمكن أن يقبّح صورته لدى القارئ ، ولكنه وقع في الإسفاف والابتذال عندما وصف الضعف الجنسي الذي يحل بآكل القات ، وما يلاقيه في ذلك من تعب ونصب ، يقول :

وباهُهُ مفقودة　　بين ارتخاء وشره
فذا به تلهفٌ　　وإربه مقصّرة
حتى ولو أيقظه　　وجرّه ونتره
كالميت من دغدغه　　أنَّى له أن يذعره
وذا أسال ماءه　　قبل لقاءٍ همره
وذا به تشنجٌ　　لم يستطع أن يكسره
رعد وبرق خلّبٌ　　ولم ينزل مطره
ويشهر السيف سُدىً　　يا ليته ما شهره
تدفعه ساخرة　　هازئة محتقرة

(١) إذا ما الليل أغرقني : ٥٣ – ٥٤ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

إذ لم تقـــــضّ وطـــــراً ولم يقـــــض وطـــــره [1]

ولو أن الشاعر يكتب كتاباً في الطب لقبل منه هذا ، ولكنه يكتب بلغة شاعرة في مقام يحترم الأذواق ، وينّمي المشاعر الجميلة ، حتى وإن كان يهدف من شعره هذا إلى السخرية والتصوير المنفّر من هذا المرض الاجتماعي الخطير ، والذي أسهم الشاعر – مشكوراً – بنفوذه الاجتماعي والفكري في محاربته ومحاولة القضاء عليه .

أما شعر الحداثة فقد مليء إسفافاً وانزلاقاً وانحرافاً سواء في الفكر أم في الأخلاق ، وإذا كان الأصل في شعر الاتجاهات الأخرى غير الحداثة السلامة ووضوح الرؤية ، فإن الأصل في شعر الحداثة هو الانحراف وتعمد الإسفاف والابتذال ، وقد تقدمت لدى الحديث عن جيل الحداثة الإشارة إلى أبرز ملامح هذا الانحراف ، كالسطو على الآيات القرانية وإدراجها في سياقات سيئة ، وشيوع لغة الكبت ، والرغبة في الثورة على كل شيء ، وتمجيد الخمرة والإكثار من ذكرها ، وترداد تراث الأمم الوثنية وإبراز آلهتها المزعومة ، ومن الأمثلة على هذا الترديد لذلك التراث الوثني ، قول محمد مباركي :

فاحملي وزر الحروف
ووزر سافكهن أبكاراً
هتكن الروح
فوق جبين عشتار [2]

وكذلك في قوله :

هل يميد الجسد
المتخم بالأشلاء

(١) ومض الخاطر : ٥١ .
(٢) منسك للسريرة في حرم الرمل : ٨ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

أم يصلي مقامات القنوت ؟
هل يواري ورق التوت
على الروح
ويرثي عشتروت ؟ (١)

ومخالفة النصوص وعكس مضامينها ، والاستهانة بقدسيتها مظهر من مظاهر ذلك الانزلاق ، ومن ذلك ما جاء في قول مباركي :

وثنيةٌ تلك الجياد
فهيّئ الأصفاد
لم تُعْقَد نواصيها على خير
فَهِنْ (٢)

فكيف لم تعقد نواصيها على خير ، ورسول الله – ﷺ – يقول : ((**الخيل معقود بنواصيها الخير إلى يوم القيامة**)) (٣) .

وأشدّ معالم الانحراف في شعر الحداثيين ، ومحمد مباركي على وجه الخصوص هو إعلان الكفر ، والثورة على المعتقدات السائدة ، والأعراف المحترمة ، فمن الأمثلة على ذلك ما جاء في قصيدة (كفارة) ، حيث يقول :

كفرتُ بي
بكلّ ما قال أبي
باسمي
بصمت الجسد اللاينتمي
إليَّ في مجرّة الروح

(١) تماهي منبت : ٣٠ .
(٢) المصدر السابق : ٣١ .
(٣) مختصر صحيح مسلم ، للمنذري ، تحقيق : الألباني ، حديث : ١١٠٥ ، ص ١٩٢ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وأفلاك الدم
بالكلمات ، بفمي
بالشعر ما لم يعِ غيبوبته
وبشرع النبي [1]

ويشير في موطن آخر – معبراً عن هذا الانحراف – إلى أنه صار بعد كفره أكثر تقىً وصلاحاً ، فيقول :

كنت فيما مضى شقيا وهذا أنا في برزخ السعادة أشقى
كنت فيما مضى نقيا وهذا أنا من صفحة الظهيرة أنقى
كنت فيما مضى تقيًّا وهذا أنا ياقلب بعد كفري أتقى [2]

هذه بعض ملامح الانحراف في شعر الحداثيين وما لم يشر إليه أشدّ وأخطر .

خامساً : المعاني بين السطحية والعمق :

تظهر السطحية عادة في الموضوعات التي تكرر طرقها ، ونضبت معانيها ، وفي الأشعار الإخوانية والموضوعات اليومية ، وفي أشعار الردود والمعارضات التي توازي المقالات الصحيفة ، ومن الأمثلة على ذلك ما جاء في ردٍّ للشاعر محمد السنوسي على أحد أصدقائه ، حيث يقول :

أخي لا زلت في خير وموصولاً بأشعارك
فقد شوقتني جداً إلى ليلات أسمارك
وأياماً قضيناها بداري أو حمى دارك [3]

ومن السطحية الواضحة ما جاء في بعض أغراض الشعر ، كرثاء علي بن مديش

(١) منسك للسريرة في حرم الرمل : ٦٨ .
(٢) المصدر السابق : ٧٠ .
(٣) جريدة عكاظ ، ع ٧٦٥٠ في ١٨ / ١٠ / ١٤٠٧هـ ، نقلاً عن محمد بن علي السنوسي ، حياته وشعره ، محمد القسومي : ١٤٠ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

بجوي لمحمد عقيل أحمد بقوله :

وسمح إن شرى أو باع حقا　　لجلب الرزق من كسب حلال
ولم يحلف إذا ما باع شيئا　　ولا عند الشراء لجمع مال
وما غش البعيد ولا قريباً　　صفات المؤمنين بلا جدال (١)

إنَّه بون شاسع بين عاطفة الرثاء الصادقة وبين الحديث عن البيع والشراء ، وعدم غش الأقارب والأبعدين .

وشعر التأمل من أرقى مظاهر ومعالم العمق في التجربة الشعرية الناضجة ، ولكن حينما تضعف هذه التجربة يأتي الشاعر ليتأمل فيقع في سطحية ومباشرة ، كقول منصور دماس في قصيدة (رحلة بدون شد رحل) :

صاحبي هذه الحياة مزيج　　فيه بؤسٌ وقسوة وحبورُ
وكئيبٌ وَمَنْعَمٌ وسقيمٌ　　وصحيحٌ ومؤمن وكفورُ (٢)

إنَّ صنيع دماس هذا هو نفس ما عمد إليه القائل:

الأرض أرضٌ والسماء سماءُ　　والفيل ضخم والزراف طويل

والناظر في أكثر أشعار منصور دماس ، وحسين الكريري ، وأحمد العطاس ، وعلي ابن قاسم الفيفي وأمثالهم يبصر تلك السطحية والتقريرية المباشرة ، يغمرونك بمعانيهم غمراً سريعاً ، حتى تستحيل إلى كتابة نثرية لا يميزها عن النثر غير الوزن والقافية ، فقصيدة أحمد العطاس (جددوا الشعر أيها الشعراء) (٣) مثلاً تستحيل إلى إحصائية بأسماء الشعراء القدامى، وقصيدتا علي بن قاسم الفيفي (قاعدة) (٤) ،

(١) نبض القوافي : ١٤٠ .
(٢) شعور مغترب : ١١ .
(٣) من وحي التأملات : ١٦ – ١٧ .
(٤) ومض الخاطر : ١٢٥ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

و (حجاب المرأة) [1] تحولتا إلى دروس علمية مدعمة بالأدلة والشواهد .

وهناك بعض الشعراء المتميزين ، ولكنهم أحياناً يخونهم نفسهم الطويل ، فيلجئهم إلى السطحية والتكرار ، مثل العقيلي والنعمي ، فهما من الشعراء المطبوعين الذين يتدفق الشعر على ألسنتهم ، ولذا تداعب البساطة أفكارهم إذا فكروا ، فشعرهما ليس غريباً على كل من رزق ذوقاً أصيلاً ، والتقريرية والأسلوب الخطابي مسيطران على عدد من تجاربهما، إذ هما – أي التقريرية والأسلوبية – قرينا السطحية ، ولذا يقل أن تحسَّ بالعمق أو الرؤى الخفية في بعض أشعارهما ، مع أنهما قد أجادا في كثير من التجارب ، وثبتا قدميهما في عالم الإبداع بكل قوة وتميز .

وإذا كان هناك بعض الشعراء قد ظهرت معالم السطحية في أشعارهم ، فإنَّ تجارب شعراء آخرين حملت أفكاراً ورؤى تميزت بالعمق والجدّة ، وسبب ذلك هو استحضار أولئك الشعراء للمواقف النفسية والشعورية التي مروا بها ، وتمثلوها تمثلاً جيداً ، ومن ثم حرصوا على نقلها مع المحافظة على مستوى عمق الحالة النفسية والشعورية ، واستخدام أقصى الإمكانات الفنية المتاحة ، بغية إقامة الموازنة بين العمق وتوصيل الرؤية للمتلقي ، كي يتواصل معها وينفعل بها [2] ، بخلاف بعض شعراء الحداثة الذين انفصل عندهم عمق الرؤية عن توصيلها للمتلقي ، وحينئذٍ لم يحقق العمق عندهم مقصده وهدفه المنشود .

فلو تأملنا قصيدة (هوية الإنسان) للسنوسي لرأينا كيف استطاع الوصول بحسّه الشاعري القوى إلى إقامة الموازنة بين العمق وتوصيل الرؤية لنا ، فحقق أسمى مقاصد الشعر، يقول واصفاً العجوز الطاعن في السن الذي خارت قواه ، وهو يتكفف الناس ، وهم يسألونه ، من أنت ؟

(١) المصدر السابق : ١٣٠ .

(٢) انظر : الاتجاه الابتداعي في الشعر السعودي الحديث ، محمد حبيبي : ١/ ٢٥٠- ٢٥١ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

خـــارت قـــواه وخانـــه جلـــده　　وانهـــار مـــن آلامـــه جـــسده
شيـــخ يجـــر وراء منكبـــه　　عمـــراً تكـــاد خطـــاه تفتقـــده
فـــي مقلتيـــه وفي ملامحـــه　　صـــور يخـــط رسومهـــا نكـــده

• •

أبـصرته يمـشي وقـد شخـصت　　عينـاه واعتمـدت عـصاه يـده
تهـوي بـه رجـلاه حيـث هـوت　　والـــدرب يلفظـــه ويـــزدرده
في كـــل زاويـــة لـــه أمـــل　　يقتـــاده مـــن محـــسنٍ يجـــده
ممـــدودة يـــده ، متمتمـــة　　شـــفتاه مـــا يوحيـــه معتقـــده
يمـــضي النهـــار ولم تنـــل يـــده　　ياللأســـى شـــيئاً ولا كبـــده
حقـــروه فـــانتهروه وابتدعـــوا　　رأيـــا هـــدى الإســـلام ينتقـــده
ســـألوه في زهـــوٍ وغطرســـة　　مـــاذا هويتـــه ومـــا بلـــده ؟
فأجابهـــم والدمـــع يخنقـــه　　عبراتـــه والجـــوع يـــضطهده
بـــشريتي بلـــدي وكـــل ثـــرى　　في الأرض يغـــذوني أنـــا ولـــده
وهـــويتي الإنـــسان مـــا خفقـــت　　أحـــشاؤه وتحركـــت غـــده [1]

ومن مظاهر العمق في الشعر ، الحكمة ؛ إذ هي في الغالب لا تصدر إلا عن رؤية فاحصة ، وتأمل عميق واعٍ ، وقدرة على فلسفة الأوضاع المحيطة ، بل إنَّ الحكمة تقع في قمة التجارب الشعرية ، بما تحمِّله من تكثيف لمعطياتها المعنوية ، وبواعثها العاطفية ، وهي أبرز ما يعكس عقلية العبقرية والفلسفة عند الشاعر ، وأجل ثمار إبداعه وتميزه . ((**وحتى تكون الحكمة لا بدَّ أن ينصهر ذلك العبقري الملهم في مسارب المجتمع ، ويطلع على مفارقات الحياة . فبنفسه الشفافة ، وعبقريته الملهمة ، يستطيع أن يستخلص القضية ويستنبط الموعظة**)) [2] .

(١) الأعمال الكاملة : ٣٧٨ – ٣٨٠ .

(٢) موازنة بين الحكمة في شعر المتنبي والحكمة في شعر أبي العلاء المعري ، للدكتور : زهدي صبري الخواجا : ٢٠ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

فمن الحكم الواردة في شعر محمد السنوسي قوله :

وإذا المـــال لم تخلـــد بـــه الـــذ ـــكرى وتبنـــى بـــه كبـــار المـــآثر

فالحـــصاد الـــتراب والـــدر والتـــ ـــبر ســـواء ولامعـــات الجواهـــر (١)

فالمال إذا لم ينفق في المآثر العظيمة ، ولم يحصل به تخليد لصاحبه ، فإنه والتراب سواء .

ومن الحكم الواردة في شعره أنَّ الحضارة الحقيقية ، هي أن يعيش الإنسان في الحياة بإنسانيته لا بجبروته وقوته ، يقول :

لـيس الحـضارة صاروخـاً وقنبلـة ولا التمـــدن أقمـــاراً وأفرانـــا

إنَّ الحـــضارة أسماهـــا وأرفعهـــا أن تحسن المشي فوق الأرض إنسانا (٢)

ومن الحكم الواردة في شعر علي النعمي ، قوله :

إذا تـورم أنـف المـرء مـن مـرض قضى على كل فعلٍ طيِّب سام (٣)

وذلك في معرض حديثه عن اعتداء صدام على الكويت التي فدته بأموالها وأنفسها في وقت ضيقه وحاجته .

والشاعر حسين الكريري يتأمل الحياة وتقلباتها ، والعمر وسرعة انقضائه وكرور أيامه ولياليه ، ثم يستخلص من ذلك العبرة ممثلة في حكمة جميلة ، يقول :

إيـه صـبيا هـل صـباك اليـوم بـاقٍ كـصبانا يـوم كنّـا فيـك نغـدو

أم حـروف الـدهر قـد ذرّت ثراهـا فـانبرت أغـصانك الخـضراء جُـرْدُ

هكـــذا الأيـــام تبـــني ثـــم يبلـــى مابنـــت والعمـــر أخـــذ ثـــم ردُّ (٤)

والواقعية هي أبرز ميزة لهذه الحكم ، فهي تنطلق من تجربة الشاعر ، ومن تأمله الخاص في الحياة ، مما يجعلها تحظى بقبول المجتمع والمتلقي الفرد ؛ لأنه يرى فيها تجربته

(١) شعراء الجنوب : ٩٤ .
(٢) الأعمال الكاملة : ٣٩١ .
(٣) لعيني لؤلؤة الخليج : ١٧ .
(٤) دموع لا يمسحها الزمن : ١٣٤ – ١٣٥ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

هو أيضاً . والحكمة إذا لم تكن كذلك فإن أبواب الخلود توصد في وجهها ، ومآلها إلى الخفوت، فالشاعر علي بن مديش بجوي انطلق من طبيعة عمله في القضاء فشجَّع تلك الفتاة التي جاءته تشكو العضل وظلم الأهل ، فاستخلص من تجربته الحياتية قوله :

ودوماً بالشجاعة قابليهم　　فلا تهزمك زمجرة الرجالِ

ضعيف الناس ذو حق قوي　　لأن الحق يقهر كل عالِ (١)

ومن أجمل الحكم الواردة في شعر أحمد البهلكي التي تتسم بالعمق وقوّة التأمل قوله:

كأن الله قد خلق الـ　　غرام لكوننا لهبا ..!

وصاغ العاشقين له　　فألقاهم به حَطَبا .. (٢)

وفي إحدى حكمه ووقفاته الجميلة ، ولفتاته التأملية الصادرة من معاناة الحياة وصعابها يشير إلى أنه لولا الحب في حياتنا يخفف من معاناتنا لكانت الحياة جديرة بالخسف والزوال ، يقول :

ولولا الحب يخطر في دانا　　لكان الخسف بالدنيا خليقا (٣)

وهي حكمة جميلة رغم ما يشوبها من قسوة تشابه قوة وقسوة قول أبي فراس :

معللتي بالوصل والموت دونه　　إذا متُّ ظمآنا فلا نزل القطر (٤)

(١) نبض القوافي : ١١٠ .

(٢) الأرض والحب : ٨٠ .

(٣) طيفان على نقطة الصفر : ١٣١ .

(٤) ديوان أبي فراس الحمداني ، بشرح الدكتور : خليل الدويهي : ١٦١ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

٢- التجربة الشعرية :

الشعر ما عبّر عن مشاعر الإنسان وأحاسيسه الداخلية المستخفية واهتزاز عواطف نفسه بموضوعه وامتلائها ، أي بذلك الحدث أو المشهد أو الفكرة التي يريد أن يصورها اهتزازاً عميقاً وشديداً ، ثم يعبّر عما أحس به وما ملأ وجدانه من عواطف وآلام وآمال ، وعن ذلك الأثر الذي تركه الحدث في نفسه تعبيراً فنياً وحقيقياً عن عواطفه ومشاعره وانطباعاته ، وهو ما يطلق عليه النقاد التجربة الشعرية .

والتجربة الشعرية عرفت في النقد القديم (بالموضوع) وما يتصل به من غموض ووضوح وحرارة أو فتور وصدق أو زيف من عهد ابن قتيبة والجاحظ إلى عهد عبدالقاهر الجرجاني ، بل إن عبدالقاهر الجرجاني تناول عملية الإنتاج الأدبي موضوعاً وتفكيراً وصياغة بالأسلوب نفسه الذي نتناول به اليوم عملية التجربة الشعرية ، ولعل أول من أشار إلى عناية النقاد القدماء بالتجربة الشعرية الدكتور محمد عبدالمنعم خفاجي [١] .

ولعل ابن قتيبة هو أسبق النقاد القدامى الذين عرضوا للتجربة الشعورية المتمثلة في مثيرات القول ودواعي الشعر ، كقوله : ((**وللشعر دواع تحث البطيء ، وتبعث المتكلف منها الطمع ، ومنها الشوق ، ومنها الشراب ، ومنها الطرب ، ومنها الغضب**)) [٢] ، ويرى أنَّ علة تفاوت شعر الكميت في بني أمية عن شعره في الهاشميين أنَّه فقد إحدى هذه العلل هنا في حين استثارته هناك ، وهذه الأسبقية لابن قتيبة في ذكر ما يبعث الشعر وينشط تجربة الشاعر كانت محل تقدير النقاد المعاصرين ، يقول الدكتور بدوي طبانة : ((**ومما يحسب لابن قتيبة أنه تنبّه إلى الحالة النفسية للشاعر وأثرها في شعره وذكر العوامل التي تعوق الشاعر المطبوع عن القول والتدفق**)) [٣] .

---

(١) انظر : التجربة الشعرية من منظور الشعراء المعاصرين ، محمد الدوغان ، رسالة دكتوراه غير منشورة : ٢ .

(٢) الشعر والشعراء ، لابن قتيبة ، تحقيق وشرح : أحمد محمد شاكر ، ١/ ٧٨ .

(٣) دراسات في نقد الأدب العربي ، د. بدوي طبانة : ٢٢٩ ، نقلاً عن التجربة الشعرية من منظور الشعراء المعاصرين، محمد الدوغان : ٥ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

ومهما يكن فإن ما كتبه النقاد القدماء حول القضايا المتعلقة بنظم الشعر وبواعثه، وكيفية مجيئة ، وتحليل نصّه ليمثل – في مجموعه – جانباً كبيراً من اهتمامهم بقضية التجربة الشعرية ، ويوشك أن يرسم خطوطاً عريضة تحدد رؤيتهم لمفهوم التجربة ، وإن لم تتضح معالم هذا المفهوم أو ينصوا عليه بمصطلح معين ، فقد عرفوا أهم ما يبعث إلى قول الشعر من دواع ، وأحاطوا الشعراء علماً بأنسب الظروف وأيسر السبل التي تشحذ القريحة وتنشط الطاقة الشعرية . ولذا فليس صحيحاً ما ذهب إليه الدكتور شوقي ضيف من أنَّ النقاد العرب القدامى لم يكونوا يتصورون القصيدة تجربة شعرية على هذا النحو المعروف الآن [1] . صحيح أنَّ مسمى التجربة الشعرية لم يعرفه القدامى ، وإنما هو مصطلح جديد لمفهوم قديم ، فالنقد الحديث هو الذي أبرز مفهوم التجربة ، وحدد صورتها ، ووضع لها إطاراً خاصاً تدور فيه بحوثها ، ثم استعار لها هذا الاسم .

والنقاد المحدثون لهم آراء كثيرة حول التجربة الشعرية ، كل يعرفها حسب فهمه ورؤيته ، ومن أهم تلك التعريفات وأقربها إلى مفهوم التجربة تعريف مصطفى السحرتي لها، وهو تعريف أفاده من الناقد الإنجليزي لاسل أبركرومبي ، يقول السحرتي : ((**التجربة هي : الحالة التي تلابس الشاعر ، وتوجه باصرته أو ذهنه أو بصيرته إلى موضوع من موضوعات ، أو واقعة من واقعات الدنيا ، أو مرأى من مرائي الوجود ، وتؤثر فيه تأثيراً قوياً ، تدفعه في وعي أو غير وعي إلى الإعراب عما يرى أو يشهد أو يتأمل**)) [2] ، فهو تعريف يشمل التجربة بوصفها حالة فاعلة ؛ فهي التي تلابس الشاعر وتؤثر فيه وتوجهه ، ملتفتاً إلى المرحلة الأولى من التجربة ؛ وهي الانطلاقة ومصادرها البصرية والقلبية والعقلية ، ومبيناً أثرها وآفاقها وعنصري الوعي وغير الوعي في المرحلة الأخيرة منها ، أعني مرحلة التعبير عنها .

(١) انظر : في النقد الأدبي ، للدكتور شوقي ضيف : ١٤١ – ١٤٢ .
(٢) الشعر المعاصر على ضوء النقد الحديث ، لمصطفى السحرتي : ٢٩ – ٣٠ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ولقد استقر رأي كثير من النقاد على أنَّ القيمة الفنية لكل قصيدة تنحصر في تواؤم التجربة الشعرية مع صياغتها ، أو بمعنى آخر اتساق الثوب الشعري مع التجربة، وتفصيله على قدّها ، فلا يكون فضفاضاً ولا قصيراً معرياً ، وأنَّ التجربة تمثل تداخل عددٍ من العناصر الفنية مع بعضها ، ومن ثمَّ كان هذا التداخل أحد الأسباب المؤدية إلى صعوبة البحث في ميدان التجربة الشعرية [1] .

وبعد تتبّع تجارب شعراء جازان كان لا بد من الحديث عن التجربة في الأمور الآتية:

أولاً - حديث الشعراء عن تجاربهم :

لا بدَّ للتجربة من مواد كثيرة تستوفيها ، حتى تصبح عملاً شعرياً تاماً ، وهي مواد مردها إلى أنها حدث له بدء ونهاية ، حدث قائم بذاته له تميزه وله طوابعه وصفاته التي تشيع فيه والتي تشخصه ، بحيث إذا قرأه أو سمعه أحد تراءى له في صورة بينة ، وعلى شاكلة لم يسبق أن قرأها أو سمع بها ... ؛ لأن التجربة بناء كبير يتألف من جزيئات ، يعقب بعضها بعضاً في حرية موفورة ، وكل جزء يؤدي إلى ما بعده ، ولكل جزء وضوحه ، ووظيفته في تماسك البناء الكلي وتناسقه ، حتى نصل إلى نهايته ، فنحس إحساساً بيّناً أنَّ الشاعر قام بتجربة متكاملة أدتها القصيدة كلها من فاتحتها إلى خاتمتها ، ولذا نجد الشاعر علي النعمي ينعى على الشعراء سلوكهم سبيل الشعر وهم لا يفقهونه، ودخولهم إلى ميدانه وهم يجهلونه، فالشعر مسلك عميق وهو نتاج الروح الإنسانية ، وليس مجرد صورة للعالم الخارجي ، فالشاعر لكي يخرج تجربته إلى الوجود لا بد أن يستبطن ذاته ويتأمل عمله ، وبالتالي تخرج التجربة من طور الافتعال إلى طور الانفعال الحقيقي ، وما عدا ذلك فهو خواء ، يقول :

(١) انظر : النقد الأدبي ، د. محمد غنيمي هلال : ٣٦٤ ، والشعر المعاصر على ضوء النقد الحديث ، مصطفى السحرتي : ٣٠ ، وعن اللغة والأدب والنقد .. رؤية تاريخية .. رؤية فنية ، د. محمد أحمد العزب : ٣٦٧ وغيرها.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

الشعر ليس بهرطقات فجة　　شوهاء ذات تأوه مصروع
أولى بها النسيان حين ظهورها　　وعن اللقا بالدعّ والتمزيع
ما الشعر إلا نغمة سحرية　　فواحة بالعطر غبَّ ربيع
ما الشعر إلا رعشة تنساب في　　قلب الوجود عميقة التوقيع
لا ما نعيش خواءه وغثاءه　　علنا وباسم عوامل التشجيع [1]

ونستطيع أن نقف على بعض معالم التجربة عند شعراء جازان في أحاديثهم النثرية أو الشعورية ، لاسيما في مقدمات دواوينهم ، أو في ما أجري معهم من لقاءات أو ما سطروه من كتابات نقدية ، فمن هؤلاء الشاعر محمد بن علي السنوسي حيث قال: **((تختلف تجاربي في قرض الشعر باختلاف البواعث العاطفية والتجارب النفسية التي يهتز لها وجداني وتتأثر بها نفسي ، وعلى قدر قوة هذه البواعث وضعفها ، وعلى نسبة عمق تلك التجارب وحرارتها تكون استجابتي للتعبير عنها سهولة وصعوبة ، وسرعة وإبطاء . فأنا قد أنظم القصيدة التي تبلغ أربعين أوخمسين بيتاً في ليلة واحدة ، إذا كان الباعث عليها تجربة عاطفية عميقة ، وتأثراً نفسياً شديداً .**

مثال ذلك قصيدتي (دمعة وفاء) التي رثيت بها المرحوم فقيد جازان الكبير الشيخ محمد سعيد بامهير ؛ فقد كنت في الطائف في ربيع الأول سنة ١٣٨٠هـ ، وكان مقيماً بها آنئذٍ معالي أمير مقاطعة جازان الأمير تركي بن أحمد السديري ، وذهبت للسلام عليه ، وبعدما استقر بي المجلس ، فاجأني الأمير قائلاً : عظّم الله أجرك في صديقك بامهير . ووجمت وجوم من فسّر العبارة بأنها كناية عن عزله من العمل ؛ إذ كان مديراً عاماً للمياه في جازان ، وكنت قبل سفري من جازان أسمع شائعة عنه كهذه ، ولكن الأمير أردف يقول : جاءتني منه برقية قبل يومين أنه متوجه إلى الطائف ، واليوم تسلّمت برقية بوفاته . وصدمني الخبر صدمة عنيفة ، وأحسست إحساساً عميقاً بعظم

(١) الأرض والعشق : ٤٠ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الفاجعة ، ومرارة الرزء ، فقد كان بامهير رجلاً تمثّلت فيه كل مطامح البلد ، وكل أمانيه ، فهو من رواد الحضارة في جازان . وصمتُّ صمت الرجل الذي لم يجد ما يدفع به الصدمة سوى الصمت ، واستأذنتُ من معالي الأمير ، وخرجت .

خرجت وفي فكري دوامة ، وفي نفسي توتر ، وفي عاطفتي جيشان . وأنا أشعر بحاجة للتنفيس عن نفسي . والتعبير عن مشاعري حيال هذا الرجل الكريم ، وبتُّ تلك الليلة أخطُّ وأمحو ، وأكتب وأشطب ، وأصبح الصباح وبين يدي قصيدة رثاء في بامهير))[1].

وحديث السنوسي عما لحقه من صمتٍ تلا الصدمة ، وما عاناه من توتر وجيشان ورغبة في التنفيس إشارة إلى أهم مرحلة من مراحل التجربة في النقد الحديث ، إذ يرى النقاد أنَّ التجربة هي ما يعرض للإنسان من إحساس يعبّر عنه بشعور وانفعال ، وهم يرون – أي النقاد – أن هذا العارض يسبق الانفعال ، والانفعال تبعٌ له ، والتعبير إنما هو عن هذا الانفعال . ومن هنا قال شوقي ضيف عند حديثه عن تجربة الشاعر الصادقة : **((ولا بد له أن يعاني فيها من حين تكونها في قلبه إلى حين اكتمالها ، يعاني في معانيها وفي لغتها وإيقاعاتها . وعلى هذا النحو تصبح القصيدة قطاعاً من حياة الشاعر النفسية والعقلية ، قطاعاً يشبه أتم الشبه دوامة منعزلة على سطح النهر الكبير للحياة ، قد تركزت فيها وتجمعت طاقته الشعورية والذهنية ، ليعبر عن تجربة لا يشاركه فيها غيره))** [2].

والشاعر أحمد البهلكي يصف لحظة مجيء الشعر ، على أنها لحظة مليئة بالرهبة والمشاعر المتناقضة والمتصارعة والغريبة ، ولحظة الانفعال السابقة للتعبير هي حالة غير عادية، حيث يزداد نبض قلبه وتغور عينه ؛ تغور لكي تدرك ما وراء الأشياء وتدور في مخيلته أوجه غريبة تعينه وتذكره برؤاه المتصارعة ، فيقول في قصيدة (عجين النار) :

قبل اجتياح الشعر تجتاحني　　كآبةٌ أشتاق أن أفرحا

(١) مع الشعراء ، محمد بن علي السنوسي : ١٠٨ – ١٠٩ ، وانظر قصيدته في رثاء بامهير في الأعمال الكاملة : ٢٨٥ – ٢٨٦ .

(٢) في النقد الأدبي ، د. شوقي ضيف : ١٥٢ بتصرف .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

تـصطف في جمجمـتي أوجـهٌ　　غريبـةٌ تكتـب لي مـا امَّحـى
يركضُ نبضُ القلب ، عيني هنا　　تغـورُ كيمـا تبـصرُ المـسرحا
لا شيء مني غـيرُ رعـش الـرؤى　　يقلّـبُ الأغمـض والأوضحـا [1]

ولّما كانت لحظات الشعر عند البهكلي غير عادية ، فإنه دأب على عدم تعديل أشعاره أو تنقيحها بعد صياغتها ؛ حفاظاً على خصوصيتها الأولى وبراءة انفعالاتها الأصلية، فيقول في مقدمة ديوانه (طيفان على نقطة الصفر) : ((**ولا أخفي على قارئي العزيز بأنني – خصوصاً في نتاجي الشعري – لا أعيد النظر ، ولا أضيف ولا أحذف ، يقيناً منّي بأن للتجربة الشعرية حكما لا يجوز تهذيبه في اللحظات العادية**)) [2] .

وإذا كان شعراء العرب القدامى قد رووا بعض معاناتهم مع الشعر ، لا سيما لحظة ولادة القصيدة ، ومن ذلك ما روي عن جرير والفرزدق والمتنبي والمعري وغيرهم ، فإن بعض شعراء جازان قد تحدثوا عن تلك اللحظات ، فعلى سبيل المثال نجد علي النعمي يصور لحظة الانفعال الشعري بالصمت ، وحب الاختلاء ، والرغبة في الانفراد بالنفس ، وعدم القدرة على النوم :

وأنـا أطارد فكرة صحتِ ابنتي　　مذهولـة وإذا أخوهـا الـصاحي
نظـرا إلـيّ وقـال كـل مـنهما　　أبتـاه خـلِّ الـبئر للبـرّاحِ
أبتاه هل في صحبة الأقلام والـ　　أوراق من كسبٍ ومن أرباحِ ؟
بالـصمت تحيـا بيننـا وتخيفنـا　　بـسكوتك الخـالي عـن الإفـصاحِ
هـل ثـمَّ أمـرٌ أنـت تخفـي سـرَّه　　عنا؟! فقلت : كفى كفى بمزاحي
قالا : عرفنـا كيف أنَّك لم تنم　　وظللت شبـه الساهم الملتاحِ ؟!

(١) أول الغيث : ١٥ .
(٢) طيفان على نقطة الصفر : المقدمة .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

منَّـا تفـرُّ ، ولا تطيـقُ جلوسنـا حوليـك حـين كتابـة الألـواحِ [1]

والشاعر علي بن قاسم الفيفي في مقدمة ديوانه (الطيف العابر) يصف حالته عند لحظة الانفعال الشاعرية ، وأنه أحياناً يتمنى أن يعبر عن مشاعره ، ولكن الشعر يستعصي عليه ويتأبّى ، ويعجب من أولئك الذين يتدفق الشعر على ألسنتهم ويطوعونه للقول متى ما شاؤوا ، فيقول : ((**وقد تأتيني هذه الخاطرة الشاعرية وأنا سائر في الطريق ، أو وأنا في فراشي مستسلم للنوم ، فتأبى عليَّ إلا أن أكتب ما خطر ببالي في مفكرة الجيب أو في أي قصاصة تقع عليها يدي ، وقد أضيف إليها فيما بعد ، وقد أهملها، وكثيراً ما أجد مثل هذه القصاصات المهملة بين كتبي وقد مرَّ عليها حين من الدهر ، وربما كانت قد غابت عن ذاكرتي ، فأستحسن بعضها ، وأستعيد ذكرى المناسبة وأفرح بها ، وأحياناً قد تأتي المناسبة التي تستحق القول وأحاول أن أقول شيئاً وأن أعبّر عنها ، فيستعصي علي التعبير ، ولا تطاوعني الألفاظ ، فلا أستطيع أن أعبّر عن المعنى الذي أريده تعبيراً أرضى به ، فأتعّجب من الشاعر المطبوع الذي يطاوعه الشعر ، وتنقاد له الخواطر والألفاظ في كل مناسبة ...**)) [2] .

أمَّا اللحظات التي تولد فيها القصيدة عند أحمد الحربي ، فهي تشبه لحظات الموت عند الآخرين ، لا سيما إذا لم تقف التجربة المكتوبة بالمشاعر النفسية المكبوتة في أتون الوجدان ، يقول :

لففت الساق بالساق
وأشرعت ذراعي لرفات المحبرة
لم أجد إلا باقيات قطراتٍ
لـمّا لم تفِ بالغرض المذبوحِ في

(١) جراح قلب : ١٢٤ .
(٢) الطيف العابر : ٧ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

صدري ..
ليندلح على صدر الورقْ ..
ويراعي ... وقفت ريشته ثكلى
على أول حرفٍ ..
قبل أن يكتب في السطر الأخير ..
هكذا العمر احترق [1]

وإذا كان الشاعران علي بن قاسم الفيفي وأحمد الحربي وغيرهما من الشعراء لا يمكن أن يطوعا ملكة الشعر والتعبير عن التجربة متى ما شاءوا ، وأنَّ الشعر كثيراً ما يستعصي على الانقياد ، فإنَّ هناك شعراء آخرين يعدون من المطبوعين الذي يرسلون الشعر على سجيتهم إرسالاً ، بل ويرتجلونه ارتجالا ، بل إنَّ الشاعر علي النعمي لو أراد أن يكون كل حديثه شعراً لفعل ، ولعل ذلك راجع إلى امتلاكه لزمام اللغة ، وعمق في الخيال ، وسرعة الاستجابة للاستفزاز ، وهذا ما لايتوافر إلا لقليل من الشعراء أوجد النعمي لنفسه مكاناً بينهم ، مما يعطينا انطباعاً واضحاً عن شاعريته المنسابة وسموقه الفني ، وفي أشعاره كثير من الأمثلة على ذلك ، منها على سبيل المثال – فقط – عندما وافاه ديوان البهلكي (الأرض والحب) ، أخذه بين يديه ، ثم أنشأ على الفور قصيدته الدالية في تحيته ، وكان مما قاله معبراً عن هذه الخاصية ، وأنَّ النثر لن يفي بما في نفسه ، ما دام الشعر طوع يده يصنع منه ما شاء :

الأرض والحب وافى في نضارته　　هديــة .. لصديق حلّ في ضمد
لا لــن أحييــه نــثراً أو أناقــشه　　في محتواه وجرس الشعر طوع يدي [2]

ولكن في الوقت نفسه قد تكون هذه الخاصية ، وهي سرعة البديهة الشعرية ، وعفوية التعبير ، والقدرة على تطويع الشعر قد تكون سبباً في ضعف التجربة ، وقلة

(١) تقاسيم على جذع نخلة الوادي : ١٧ – ١٨ .
(٢) الأرض والعشق : ٧٧ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قيمتها، وسطحية خيالها ؛ بسبب فقدها التأمل العميق ، أو استبطان التجربة لوقت كافٍ ، ولذلك لا يحكم بها على مستوى الشاعر إلا إذا كان الشاعر ذا موهبة غير عادية ، ولذا يقول بعض النقاد : ((**الأشياء المكتوبة بعناء هي التي تستحق القراءة بعناء**))[1] .

ويكاد قراء الشعر ونقاده يجمعون على أنَّ القصائد التي يمكن إعطاؤها أهمية لم ينظمها إلا رجل امتلك إحساساً عضوياً ونفسياً أكثر مما هو معتاد ، رجل فكر طويلاً وبعمق – أيضاً – ولذا فالشاعر الذي يكره قريحته على قول الشعر يجانب النجاح ، ولعلَّ للشعر المرتجل نصيب كبير من قلة النجاح ؛ لأنه لم تتحقق فيه المعاناة المطلوبة ، بينما الشعر الذي ينتج عن تجربة واقعية وحقيقية وتفاعل الشاعر معها نجد أنها تفرض نفسها ؛ بما تحمل من وصلات ومشاعر مشتركة بين الشاعر وذاته ، ومن ثم بينه وبين المتلقي ، فقصيدة محمد السنوسي (طبيب العيون) ناشئة عن معاناة حقيقية ، بعد أن مر مشرط الجراح على عينيه أكثر من مرة ، تفاعل الشاعر مع هذه التجربة ، وقال :

يا طبيب العيون شكوى عيوني ... من لحاظ حورية التكوين
وهي عين لاتعرف النظر الشزر (م) ولم تكتحل بغير الفتون
فترفق بها ففي نونها المكـ ... ـنون أسرار عالم مكنون
إنَّ فيها أحلام قلبي وأشوا ... قي وأطياف صبوتي وشجوني
وهي أغلى من العشيرة والما ... ل وأغلى من كل شيء ثمين
إنها يا طبيب نافذتي الكبـ ... ـرى على الكون والرؤى والفنون
وهي جسري إلى الحياة ومنطا ... دي وفي بحرها العميق سفيني
وهي تصبو إلى الحسين فما تنـ ... ـفكُّ نشوى من حسن ذاك الحسين
وهي ترنو إلى الحزين فتبكي ... حزناً من أسى لذاك الحزين

(١) صناعة الأدب ، لـ : ر . أ . سكوت جيمس ، ترجمة : هاشم الهنداوي : ١٠٩ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

وهـي ترنـو إلى المـشين فتقـذى　　رحمـــة لا شماتـــة بالمـــشين
وهـــو تواقـــة إلى كـــل سطـــر　　في كتـــابٍ وهـــامشٍ في متـــونِ
وهي مـاء فكيـف تستخرج المـا　　ء مـــن المـــاء بالـــشبا المـــسنون
كيف تجري السكين فيها وفيها　　رقـــة لا تطيـــق همـــس الجفـــون
فلـتكن في يـديك أسرار عيـسى　　وهـــداه ، ومعجـــزات الأمـــين [1]

وأحياناً قد تمرّ بالشاعر المشاعر المواتية لإبراز التجربة ، وحدوث الانفعال الصادق ومع هذا فتخرج التجربة لحظة الحدث ودونما انفصال عنه ، ومع هذا لا يصيبها ما يصيب قصائد الارتجال أو البداهة من ضعف وسطحية ؛ لماذا ؟ ؛ لأن الانفعال الصادق ، واستبطان التجربة ، كانا هما السبب وراء حديث الشاعر ، فعلي النعمي نجد له قصيدة (أوراق مريض) توضح هذا الجانب في شاعريته ، فقد قال في مقدمتها : ((**ولأنها – أي القصيدة – تمثّل جزءاً من أيامٍ مضت ربّما يكونُ فيها ما يُسرُّ القارئ الحصيف ، فقد تركتها على عِلاّتها، كما كتُبتْ على سرير المرض**)) [2] ، وهي التي يقول في أولها محاوراً المرض الذي حل به :

في ليلـةٍ مـن ليـالي الـصيف ألـوى بي　　ضيف غريب بوجه شاحب كـابي
ساءلته أنـت ضيف زرت في عجل　　متى قـدمت ومـا للـدار مـن بـابِ ؟
وعادة الضيف أن يـدري المضيف بـه　　حـــتى يلاقيـــه في بـــشر وترحـــابِ
إني أخالـك لـصاً جـاء يعبـث في　　داري ويحطـــم شباكـــي وأعتـــابي [3]

(١) الأعمال الكاملة : ٧١٨ – ٧٢١ .
(٢) جراح قلب : ٢٠٣ .
(٣) المصدر السابق : الصفحة نفسها .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ثانياً - قيمة التجربة وأهميتها لدى الشعراء :

إنَّ كثيراً من شعراء جازان قد فسَّر قيمة التجربة في أشعاره ، وأوضح دواعي الشعر عنده ، وقد جاء هذا التفسير وذلك التوضيح منسجماً مع النتاج الشعري الذي أبرزته تلك التجارب ، فعلي النعمي – مثلاً – يكثر في شعره الحديث عن قضايا العرب والمسلمين ، بل خصص دواوين لتلك القضايا كديوانيه : (الرحيل إلى الأعماق)، و(لعيني لؤلؤة الخليج) ، ومن ثمّ نبحث في شعره عن سبب ذلك ، فنجد التعليل الواضح الذي دعاه إلى الإكثار من تلك التجارب ، ومن ذلك قوله :

يا رب إني قد غزوت بأحرفي هي سيفي البتار وهي نبالي
فاكتب لي النصر المؤزر إنه أملي وعندك منتهى آمالي[1]

فإذا كان الجهاد بالنفس والمال غير متاح للشاعر ، فإنه قد أتيح له أن يمتلك سلاحاً آخر قد يكون أكثر مضاء في هذا العصر ، وهو سلاح الكلمة ، وهو يوازي السلاح المادي أو يفوقه ، بل إنَّ الشعر من شاعرٍ واحدٍ قد يساوي جيشاً بأكمله ، وكم قد ذاق المعتدون من ويلاته ، كما يقول في قصيدة أخرى :

فلرب دعوة شاعر لفضيلة لاقت لها الإصغا من الآذان
وبنت من الأمجاد ما لم تبنه بدر الدراهم عبر كل زمان
الشعر جيشٌ حين يلتحم العدا والشعر سيف وقت كل طعان
كم ذل منه المعتدون وزلزلت ؟ أقدامهم في حومة الميدان
يكفي صمود الشعر طوداً شامخاً في وجه ذي جور وذي شنآن
ما صاغه أعلامه ورجاله من (عنتر) الهيجا ومن (حسان)
وسواهما فاقبل فلست بواجد إلا سلاح الشعر والأوزان[2]

(١) الرحيل إلى الأعماق : ٢٤ .
(٢) المصدر السابق : ٦١ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

ويرى أنَّه لو تفاعل الناس مع الشعراء لحققوا آمال الشعوب ، ولانتهت مآسي الأمم، فهم الذين يحترقون ليضيئوا للآخرين ، وهم الذين يضعون النقاط على الحروف، ولا أحد يعاني في هذه الحياة مثلهم ، وذلك في قوله :

لكن إذا كتب القصيدة شاعر　　يعلي بها الرايات في الأوطانِ
لم يلقَ من يصغي إلى توقيعه　　ونشيده بتحية استحسانِ
هو وحده المطعون في دنياه من　　وجع الحقيقة عبر كل زمانِ
من غيره يهب الحياة إضاءة　　أو يحتفي بمراتع الغزلانِ
من غيره يضع النقاط حقيقة　　فوق الحروف، ومن سواه يعاني (١)

والشاعر أحمد البهلكي لقاء كل ما يحمله من معاناة وجدانية ، وزرع للحب في الحياة ، والإسهام في بناء المجتمع ورفع راية الأمة ، لقاء كل ذلك لا يرجو الثواب والجزاء من الناس ؛ وإنما همه الوحيد هو إسعاد الآخرين ، والحديث بلسان حالهم ، وذلك كما يقول في قصيدة (عزاء الشاعر) :

كم بات حولك هذا الكون منطفئاً　　وبت ياشاعر الأحزان متّقدا ؟
يغفي الخليّون إن جنَّ المساء هنا　　وأنت طرفكَ ما أغفى ولا هجدا
إذا نظرن يميناً لم تجد أحداً　　وإن نظرت شمالاً لم تجد أحدا
وليس خلفك إلا القفر منفرداً　　وما أمامك إلا القفر مرتعدا
يضمك الوهج العلوي منحدراً　　من السماء فتهفو نحوه صعدا
تصطاد من كل غيبٍ غائم قمراً　　ومن مدى كل حلم تستمد مدى
تبني المنى مدناً خضراً وتمنحها　　حبا يبدد عنها البغض والحسدا
تفجر الصخر ماء والطوى شبعاً　　وتشعل الثلج ناراً، والجفاف ندى

(١) المصدر السابق : ٨١ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ولست يا شاعري ترجو الثواب قطٍ وأنت تحمل هم الناس مجتهدا [1]

وهذه المهمة السامقة التي يؤديها الشاعر ، ويصوغ تجاربه في سبيلها هي التي يفخر بها محمد الشنقيطي ، وذلك في قصيدته (الأديب) ، حيث يقول :

فتلك طباع لكل أديب علاقته بالورى ساميه
ومأمله أن تكون الحياة عطاء وبذل مدى الفانيه
يعلم كل الأنام المعاني فينصب فوق الذرى ساريه [2]

ومتى ما تجرد الأديب من حظوظ الذات ، وكان تفاعله مع الآخرين نابعاً من شعور إنساني فاعل ، وصدرت تجاربه من إحساس صادق ، فإنه حينئذٍ يؤدي رسالة الشعر الحقيقية، ويكون للتجربة قيمتها وأهميتها ، وفي ذلك يقول الشنقيطي :

إن الأديب يهمه أمر البرية والعنا
ويهمه في قومه أمر السعادة والسنا
ما كان يوماً همه جمع المديح على الثنا
يسقي بفيض شعوره ويموت ظمآن الإنا
شتان بين عطائه وعطاء من عشق الأنا [3]

بينما نجد أنَّ قيمة التجارب الشعرية لدى الشعراء الوجدانيين الموغلين في التأثر بالرومانسية نجدها تختلف عن سابقيهم ، فهي تدور في إطار الذاتية ، وتتمحور حول علاج علل النفس ، وتعبّر عن خصوصياتها وحاجياتها ، فالقصيدة عند إبراهيم صعابي مهمتها الإفصاح عن مشاعره الخاصة ، والتعبير عن أحزانه ، والشعر وقوده الذي يتزود به ليسير في هذه الحياة المليئة بالمنغصات ، ومن ذلك قوله :

(١) أول الغيث : ٣٢ - ٣٣ .
(٢) قلب يتنفس : ٧٤ .
(٣) المصدر السابق : ٧٥ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

وأحمل من كلماتي
ضياء أسير به وغديرا
أداعب حول الغدير زهوري .. وشيئاً من الحزن
نام بقلبي – حكاية طفل تمرَّغ في جبهة السيف –
عمراً من العمر ..
ضربا من العشق ..
صوتاً تثاءب بالصبر
غنى لهذا الأصم أغاني الوداع ... (١)

بينما نجد أنَّ التجربة الشعرية في نظر جيل الشباب الذين فتحوا أعينهم على الرزايا والأحزان والهزائم لم تعد لها تلك القيم السابقة ، بل تحولت التجربة إلى عقار مهدئ ، ومخفف للأحزان يهرع إليه الشاعر كلما داهم البغي الأمة وما أكثر ما يداهم ، يقول عبدالله الفيفي :

لم تعد للشعر نارٌ تلتظي　　تشعل النفس فتجتاز المدى
إنما ذا الشعر كاسات الطلا　　نحتسيها كلما الباغي اعتدى
دون نشوى، أهي الراح أم الرو　　ح ماتت .. فإذا الراح سُدى
أيها الشاعر ماذا ترتجي ؟　　لم يعد للحرف صوتٌ أو صدى (٢)

وهذه النظرة نجدها عند الشاعر حسين النجمي حين حدد قيمة التجربة في حياته بقوله :

يأتي القريض مخففاً　　همّي إذا أنا لم أنمْ
وإذا الضنى قد زاد بي　　فالشعر يعزف لي نغمْ (٣)

(١) زورق في القلب : ٤٢ .
(٢) إذا ما الليل أغرقني : ١٠ – ١١ .
(٣) خفقات قلب : ٣٨ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ثالثاً- معالم التجربة الشعرية ومثيراتها لدى شعراء جازان :

مرَّ معنا في بداية الحديث عن التجربة الشعرية ومفهومها لدى المعاصرين أن الشعراء المتميزين لم يعد اهتمامهم بضخامة الموضوع ، أو بأهمية الحدث يماثل اهتمامهم بعملية الصياغة الشعرية ، والخروج منها بتجارب حيّة نابضة بالحيوية والمتعة ، فجعلوا شعرهم مرآة صادقة لمشاعرهم ؛ لأن المشاعر المزيفة التي إن انطلت برهة من الزمن على فئة من العقول ، فإنها في النهاية ستنكشف ، ويظهر زيفها .

ولذا فعندما نتتبع تجارب الشعراء في جازان نجدها – وخاصة في مراحلها الأولى – تكاد تكون غير متحققة بذلك المفهوم المعاصر للتجربة ، حيث نجد كثيراً من تجارب شعراء البدايات والرعيل الأول ، لا سيما المقلدين تكاد تكون خلواً من وجود شخصية الشاعر الفنية ، فكثير منهم لا يصور ما يعتلج في صدره من عواطف وأحاسيس وخواطر وأفكار ، وإنما يستمد من ذاكرته القوية رواسم قديمة ، وتعبيرات بليت من كثرة الترداد ، ولا تتلاءم مع العصر الذي نعيش فيه ، لذا فهو خال من النبض والحركة والحياة ، ينعدم فيه الشعر الذاتي الذي يتحدث عن خصوصية الشاعر ، ويعبر عن بصماته الخاصة ، وعلى كثرة شعر هؤلاء الشعراء يندر فيه أن تجد مثلاً حديثاً للشاعر عن نفسه ومشاعرها ، أو أسرته وملامحها وما يعترضها ، وشارك هؤلاء المقلدين بعض المحافظين لا سيما في بداياتهم الشعرية مثل العقيلي ، إذ لم يرث أيَّ قريب من أقاربه ، في وقت رثى فيه كثيراً من الموتى في كل مكان ، لقد عاش هو وغيره من الشعراء السابقين غيريّين متأثرين بشوقي الذي حدد مذهب الغيرية في الشعر العربي الحديث ، وعاش لغيره منه أوفى نصيب – كما يرى بعض النقاد – وإن كانت الغيرية إذا انصهر فيها الشاعر بالحياة والأحياء مما يثري الأدب وينهض به [1] .

(١) انظر : التيارات الأدبية الحديثة في قلب الجزيرة العربية ، عبدالله عبدالجبار : ٢٤٩ ، والشعر الحديث في المملكة العربية السعودية ، د. عبدالله الحامد : ٩٣ وما بعدها ، والاتجاه الابتداعي في الشعر السعودي الحديث ، محمد حبيبي ١/ ٤٧ – ٤٨ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

وإذا أردنا أن نتعرف على بدايات التجارب الناضجة التي تمثل الشعراء ، وتعبر عن قدراتهم الفنية الحقيقية ، ونجدهم – فعلاً – قد وضعوا أيديهم على حقيقة التجربة الشعرية، فإنه يمكننا القول : إنَّ الشاعر محمد بن علي السنوسي هو أول الشعراء المحافظين الذين استطاعوا أن يبرزوا انفعالاتهم في تجارب ناجحة ، وضح الفرق جلياً بينها وبين تجارب الجيل الذي سبقه أو حتى بعض معاصريه ، ولا يعني هذا أن تجاربه كلها تمثل هذا النضج ، وترتقي إلى المفهوم المعاصر للتجربة ، فإنها قد تفاوتت فيما بينها تفاوتاً واضحاً وكبيراً بين النجاح والتراجع ، ولكنه يكفيه أنه أضاء الدرب لمن جاء بعده من الشعراء .

وبإمكاننا أن نتلمس الفرق بين مستويات تجارب السنوسي في موضوع واحد ، وهو وصف جبل فيفاء ، فله في هذا الموضوع قصيدتان ، كل منهما تمثل مستوى من التجربة ، الأولى هي (أغنية فيفاء) ، يقول فيها :

لست فيفا أنت جنَّة　　تلهم الشاعر فنَّه

من روابي الخلد لونٌ　　ومن الفردوس سحنه (١)

تتجلى عناصر التجربة بوضوح منذ البداية ، فنتبيّن عاطفة الشاعر وإحساسه الصادقين تجاه المكان – كما يقول محمد حبيبي – وأنه كان تحت وطأة تأثير نفسي قوي جعله يتجاوز كل مشاهداته المحسوسة ليشبه هذا المكان – عبر الخيال – بالجنة وفردوسها وذلك أقصى ما يستطيعه الشاعر من خيال . وحينما يفاجئنا بهذه الصور في بداية القصيدة، كأنما يبدأ الحديث عن حدث ضخم التأثير عليه بانعكاسه على نفسيته ، ثم يميل إلى الهدوء بعد أن أخذت نفسيته في الهدوء بعد اطمئنانه إلى أنه قد أفرغ ما في نفسه من شحنات عاطفية في القوالب الفنية – الخيالية – الملائمة لها ، لنجده بعد ذلك

(١) الأعمال الكاملة : ٣٩٨ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

يتلمّس مواطن جمال فيفاء ، ويقرأه بوضوح من خلال تمثله في وجوه أهلها ؛ إذ إن مكاناً بتلك الروعة لا بّد أن تنعكس روعته على كل ما حوله :

عالـــم يزهـــر بالبـــشـ ـــــر ودنيـــا مُطمئنّـــة
ونفـــوس كالنـــدى طهـــراً وكالإشعـــاع فطنـــه [1]

ومع أنَّ محور حديث الشاعر كان حول البساطة ، إلا أن ذلك لم يصرفه عن اللغة العذبة الشفافة أو الخيال المجنح ؛ فالناس في فيفاء يزهرون بشراً ، أمّا نفوسهم فتقطر طهرا ، إنَّ هذا التمازج العجيب بين الخيال في البيتين الأولين ، ثم مزج حديثه الخيالي عن فيفاء بواقعها وناسها ، ثم الارتقاء بهم مرة أخرى إلى الخيال ؛ كل ذلك يشعر القارئ بأن الحدث الشعري الذي يتناوله الشاعر حدث عميق التأثير والواقع على نفسيته ، ويودّ الشاعر لو أنه يستنفد كل طاقاته الخيالية وإمكاناته الفنية لتصوير حقيقة ما يحسّ به ويعتمل في داخله . لكنّ عنصراً مهما من عناصر التجربة يتدخل لكي يصرف الشاعر عن المبالغة الخيالية التي قد تكون مرفوضة ، فهاهو الشاعر يرضخ لعقله ، ويجول به في الأرجاء الواقعية ، فيصف مشاهداته ؛ حيث السماء تعانق الجبل وتعاطيه من قطرها ، والنجم يقاسمه العلو ويتخذه خدناً ؛ والسماء والغيوم والقمر كلٌّ في معرض الحسن يبرز فتنة :

وسمـــــاء تتنـــــدّى مزنـــة في إثـــر مزنـــه
وغيـــوم تنثـــر اللـــؤ لـــؤ صبحـــاً ودجنّـــه
وعلـــو يلـــثم النجـــ ـــم لـــه خـــدَّاً ووجنـــه [2]
عرضـــت فيـــه الليـــالي زهوهـــا والبـــدر حـــسنه

(١) المصدر السابق : الصفحة نفسها . وانظر : الاتجاه الابتداعي في الشعر السعودي الحديث ، محمد حبيبي ١/ ٥٥ .
(٢) في الأعمال الكاملة : ٣٩٩ . (خدَّاً وجنة) ، والصواب المثبت من ديوان (الأغاريد) : ٨٠ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

أنـــت يـــا فيفـــاء هيفـــا　　ء لهـــا سحـــر وفتنـــه[1]

وعندما حان موعد انقضاء تجربة السنوسي أدرك أنه أوشك على الانتهاء دون أن يفرغ كل ما في نفسه ومشاعره ، فكيف سينهي الحديث بشكل يليق ببهاء فاتنته ، فأنشأ يقول :

أفرغـــت فيـــك القـــوافي　　كأســـها والـــشعر دنَّـــه
وأفـــاض الفـــنّ في دنـــ　　ـــاك ريَّـــاه ولحنـــه
للهـــوى فيـــك أغاريـــ　　ـــدٌ وللأهـــواء رنَّـــه
ولحـــسنائك حـــسنٌ　　لـــست أدري مـــا كأنَّـــه
إنـــه فـــوق بيـــاني　　جـــلَّ مـــن أبـــدع فنَّـــه
كـــل شيء فيـــك حلـــوٌ　　أنـــت يـــا فيفـــاء جنَّـــه[2]

وقد وفق الشاعر أيما توفيق في الاهتداء إلى هذه النهاية ، وهي استعصاء فاتنته – فيفاء – على بيانه بالرغم من كل ما قاله فيها .

والملاحظ أنَّ عناصر التجربة تناسقت لتسير بالحدث الذي تأثر به الشاعر سيراً منطقياً محفوفاً بالخيال ، مردوفاً بلحنٍ راقص ، وقافية منغمة تتوافق وإحساس الشاعر المغتبط – علماً أنَّ القصيدة قد فازت بجائزة وزارة الإعلام للتلحين والغناء – مما جعل التجربة الشعرية في القصيدة تسير سيراً ناجحاً إلى حد كبير .

وفي قصيدة الشاعر الثانية (جبل فيفاء) التي يقول فيها :

متحـف مـن أشعـة وظـلال　　في إطـار مـن نـضرة واخـضلال
سابـح في الفـضاء يغمـره النـو　　ر بفـيضٍ مـن الـسنا والجـلال
يتحـدى الـذرا ويخـترق الـسحـ　　ـب ويزهـو في عـزّةٍ واختيـال[3]

(١) المصدر السابق : ٣٩٩ .
(٢) المصدر السابق : ٤٠٠ .
(٣) المصدر السابق : ٣٤٠ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

فالقصيدة من أولها يظهر فيها أن الشاعر لا يسير في رسم الحدث بالقوة نفسها التي صوره بها في القصيدة السابقة ؛ فهو هنا يشبهه بشيء موجود ومشاهد وهو (المتحف) ، المكوّن من الأشعة والظلال ، والذي تحيط به الخضرة والاخضلال ، وهناك في القصيدة السابقة شبهه بالجنة ، وهي غير مشاهدة ولا منظورة .

وعن طريق إيغال الخيال وعمق الصورة ، نستطيع إدراك مدى تغلغل الانفعال بالحدث في نفسية الشاعر وتمكنه منه . ولو تأملنا قوة الانفعال هنا مع المقارنة بالقصيدة الأولى لوجدنا الشاعر لا ينمُّ في وصفه لجبل فيفاء عن عاطفة مندهشة مماثلة لعاطفته هناك ، إذ يتجلى ذلك بوضوح من خلال اختلاف سير النغم الموسيقي الذي كانت تقوم على خفة إيقاعاته وتناغمها قصيدته الأولى . أما الثانية فمالت إلى الجزالة والفخامة، ولعل تصوّر الجبل بما له من طبيعة خشنة وعرة قد تداخلت مع حالة الشاعر النفسية ، فانعكس ذلك المزيج على مفردات القصيدة وتراكيبها ، حيث يقول فيها :

جبل تعشق النجوم مجاليـ　　ـه وتصبو إلى ذراه العوالي
يزحم النيرات منكبه الضخـ　　م ويحتك بالسهى والهلالِ
مشرئب إلى السماء برأس　　صلف في شموخه متعالِ
أخضر السفح أزهر السطح مصقو　　ل الحواشي زاهي الرُّبى والتلالِ
زاره ساكن (الألمب) (أبولو)　　رائداً ينشد الجمال المثالي
فإذا منجم من الحسن فيَّا　　ض ، وكنزٌ من كل حالٍ وغالِ (١)

فوعورة المفردات (مشرئب ، وصلف ، ومصقول ، والحواشي ، والألمب ، وأبولو، ومنجم) إضافة إلى جزالة التراكيب ، لم تساعد على تهيئة الجو الموسيقي العذب الذي كانت عليه تجربته الأولى .

(١) المصدر السابق : ٣٤١ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

ومعروف أن عناصر التجربة متناسقة متجاوبة فيما بينها ؛ فإذا كان الباعث النفسي لدى الشاعر ضعيفاً ، فإن ذلك مما يؤثر بشكل مباشر على بقية العناصر الأخرى، حيث ضعفت الموسيقا ، فبدا تأثر العنصرين السابقين ، وأصبح الخيال متأثراً لاسيما مع افتقاده للعاطفة الملتهبة .

وهكذا نرى الشاعر قد قدّم تجربة شعرية مغايرة ، مع أنه استطاع الخروج بتجربة شعرية موفقة للغاية من الموضوع نفسه ، حينما تمكن من ((**الوقوف على جزئيات موضوعه وترتيبها وتنسيقها ، معتمداً في ذلك على صدق الإحساس ؛ حيث بدأ بوضوح اقتناع الشاعر وإخلاصه لا على مجرد مهارته في صياغة القول ليعبث بالحقائق**))[1] ، أو أن ينشئ قصيدة من أجل وصف الجبل ليس إلاّ .

ولا يعني القول : إنه إذا كان الباعث النفسي لدى الشاعر ضعيفاً ، فإنَّ ذلك مما يؤثر بشكل مباشر على بقية العناصر الأخرى ، لا يعني ذلك تفرد التجربة المنبثقة من الواقع النفسي بالنجاح في أداء الشعراء ، وإن كان قد زعم بعض النقاد المحدثون ذلك ، ورأوا أن التجارب النفسية هي الوحيدة القادرة على النجاح ، وما سواها يفتقر إلى الإحساس والانفعال ، ولكن الحقيقة أنَّ التجربة الناجحة لا تقتصر على التجارب الشخصية أو النفسية الفردية، وإنما يشمل تجارب بشرية كثيرة منها تجارب شخصية وأخرى تاريخية ، وأسطورية، وتجارب خيالية ، وتجارب اجتماعية ، وتجارب الإعجاب بالطبيعة والتمازج معها واستخدامها في معادلة الذات ، وتجارب أخرى لا تقل عنها أهمية تفرضها المناسبة وإثبات الشاعر لوجوده في عالم الأحياء والتفاعل معهم .

ولذا أجد أنَّ أهم معالم التجربة في شعر جازان استمدت من مثيراتٍ عدة ، ولم تكن مقتصرة على عوالم النفس والذات ، وتلك التجارب تتمثل في العوالم الآتية[2] :

---

(١) النقد الأدبي ، د. محمد غنيمي هلال : ٣٦٣ بتصرف .

(٢) سرت في عرضي لهذه العوالم المثيرة للتجربة على طريقة : الدكتور محمد مندور في الأدب وفنونه : ٨ – ١٥ ، والدكتور محمد نايل في : اتجاهات وآراء في النقد الحديث : ٣٩ – ٤٠ ، ومحمد حبيبي في : الاتجاه الابتداعي في الشعر السعودي الحديث : ٥٩ وما بعدها ، وغيرهم .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

أ- التجربة المنبثقة من ذات الشاعر وعالمه النفسي :

نجح بعض الشعراء في نقلنا إلى عوالمهم النفسية الخاصة ، ورؤيتهم للحياة وما يعترضهم من ضغوطٍ وآلام ، أو فسحٍ وأفراح ، أظهروا تصورهم لذواتهم وخبايا قلوبهم ، ربما خبايا صغيرة في نظر الآخرين ، ولكنهم تفاعلوا معها بالشكل الذي يتناسب والأثر الذي تشكل بها حياتهم ، وكثير منهم قد نجحوا أيضاً في نقل ما يشعرون به فعلاً ، ونحن نعلم أنَّ الحالة التي يريد تصويرها الإنسان – أي حالة تمر به – ليس من السهولة التعامل معها ، ونقلها شعرياً مع الاحتفاظ بالمعطيات الفنية للأداء الشعري ، إذ حالات النفس لا يمكنها أن تذعن للغة إذعاناً تاماً ، وفي كثير من الأحيان تتأبى على الظهور .

((ولا نستغرب اذا عجز المبدع عن تصوير حالته النفسية مباشرة ؛ لأنه لو تسرّع في ذلك لما استطاع الخروج منها بتجربة شعرية ناجحة ؛ إذ إنه لا يزال تحت وطأة تأثير وقعها النفسي ، مما يضعف قدراته الفنية ، ويحدّ من انطلاقاته الخيالية في رسم أبعاد تلك الحالة . وحينما يخرج من تلك الحالة ، ويبتعد عن مواطن التأثير فيها نجده يجيد التعامل معها ؛ ونقلها من علاقاتها الدقيقة الزائلة إلى عالم مشاعره الخاص الذي يعيش فيه ، ويضفي عليه من العلاقات الشعورية ما يحفظه ويبقيه ، وبذلك يتحول الحدث الصغير في دنيانا عنده إلى حدث كبير ، بما يعطيه من الحياة الإنسانية ، وما يجري فيه من عواطف ومشاعر)) [1] .

كثير من الناس تمر على خواطرهم ذكرى المسلمين العبقة في الأندلس ، وأيامهم التي أضاءوا بها الدنيا ، ويقف كثير من أبناء المسلمين على ذلك التاريخ وكأنه لا يعنيهم، يقفون مع طوابير البشر المزدحمين عند معالم الآثار السياحية – الآن – في أسبانيا، وتمر بهم تلك الآثار دون إيحاء ، لكن الشاعر عندما يقف عليها ، تعني له أشياء عظيمة ، فالعقيلي عندما حل في أسبانيا زائراً لم تزل عن عينه لحظة واحدة مرائي المسلمين وحركاتهم حتى لكأنهم أحياء يحادثهم ، ويرى ما يصنعون ، مضى الشاعر في

(١) في النقد الأدبي ، للدكتور شوقي ضيف : ١٤٧ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

إحدى قصائده التي أوحت إليه بها معالم (قرطبة) ، مضى يتخيل وجوده مع الجيش الفاتح ، ويمشي وهو على تخيله حتى يصل قرطبة قادماً من مدريد – العاصمة – ولما وصل قرطبة أفاق من تخيله ليرى الواقع ، إذ لم يجد طارقاً ولا الداخل ولا بني مروان ، بل وجد جامع (بني أمية) قد اعتلاه الصليب ، وتدوي في أرجائه النواقيس وقد نصبت على جدرانه التماثيل ، وجال في ساحاته الأحبار والرهبان وعبدة الصليب ، فاصطدم الخيال بالواقع ، وأحبطت نفسه ، وقتلها الجزع والحزن، وصدق الشاعر في مشاعره عندما قال : إن عينه أجهشت بالبكاء ، وأنه قد غمره الأسى والتحسر ، ومن ثم فقد عبر عن تجربة حقيقية كان لها صدى في نفسه وأعماقه ، ولذا لم نرَ العقيلي في هذه القصيدة يتكيء على زخرف القول – كعادته حين تخوي عاطفته - بل هنا ترك العنان للتجربة الصادقة والحقيقية أن تمتلك زمام اللغة ، ومن ثم قال :

شاهدتُ قرطبة الحزينة في أسىً　　ثكلى عليها يُجتنى ويُساءُ
فلثمت (مل ثرى) على أرجائها　　خطر الجدودُ عليه والآباءُ
وتحدرت وكف الدموع تسحُّ من　　عيني ويمريها أسًى وبكاءُ
ودخلتها بين التحسر والأسى　　أسيان قلب هاضه الإعياءُ
لا طارقٌ يختال فوق جواده　　قبل الزحوف تلفُّه الخيلاءُ
كلا ولا سطعت على أرجائها　　شمس الخلافة والجلال رداءُ
لا الداخل الميمون في آفاقها　　بدراً ولا لأميةٍ أضواءُ
قد غاب مروان (الغرانيق الأولى)　　وتوارت الخلفاء والأمراءُ
وإذا أمامي الجامع الأمويُّ في　　حزنٍ عرته سفعةٌ وعناءُ
وكأنه ملك تهاوى عرشه　　وسطت على أوطانه الأعداءُ
فتطلعت عيناي مشدوه النهى　　لمنارةٍ تاهت بها الأجواءُ
فإذا الصليب علا بقنّتها التي　　كان الأذان له عليها نداءُ

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وإذا دُمـى الأحبـار في محرابـه　　ودمى المسيح رسمن والعـذراءُ [1]

وكأني أرى الشاعر وهو يسير في كل اتجاه يبحث عن بقايا بني أمية ، ولكن هيهات أن يجد إلا أطلالاً ومعالم لم تندثر ، ما زال عبقها زاكياً ؛ لأن حضارتهم من الحضارات الخالدة التي لا يمكن أن تنسى ، أو تنطفئ جذوتها :

كـانت هنـا أحيـاء آل أميـة　　وبـلاط عـرشٍ قـد سمـا ولـواءُ
مـدنٌ كـأحلام العـذارى بهجـة　　أو حفـل عـرسٍ قـد زهـاه غنـاءُ
ومـزارع وحدائـق وجـداولٌ　　قامـت عليهـا جنائـنٌ غنَّـاءُ
أستـافُ أنفـاس العروبـة عابقـاً　　بـين الـدروب تنثُّـه الأجـواءُ
إن كان قد طوت المنون جسومهم　　فلهـم بدنيـا الخالديـن بقـاءُ
أبقـوا لنـا مـن وهـج ماهياتهـم　　أثـراً تخلَّـد لـم ينلـه فنـاءُ
وحـضارةً لم تنطـف جذواتهـا　　أو يخبُ من لألائها أضـواءُ [2]

ويختم الشاعر تجربته ببيان بعض ما داهم مشاعره ، وكأنه يشير إلى أنَّ التجربة لم تف بما يعتمل داخله من انفعالات نفسية ، لذا حشد عدداً من الألفاظ الدالة على ذلك ، مثل (مشاعري ، عواطفي ، قلبي ، شعوراً ، لاهباً ، متأججاً ، صهرت ، الأحشاء ، حزنها، بكاء) ، وذلك في ثلاثة أبيات فقط ، وكل ذلك دلالة على أنّ الحدث قد تمكن من الشاعر، واعتمل في نفسه وذاته ، وذلك فيقوله مخاطباً الأندلس السليب :

فردوسنا المفقود هجت مشاعري　　وعواطفـي وعـزَّ فيـك عـزاءُ
أوقدت في قلبي شعوراً لاهبـاً　　متأججـاً صُهـرت بـه الأحـشاء
ذكراك تذكي في العروبة حزنها　　فيهـاج للإسـلام فيـك بكـاء [3]

(١) المجموعة الشعرية : ٦٣٦ – ٦٣٨ .
(٢) المصدر السابق : ٦٣٩ – ٦٤١ .
(٣) المصدر السابق : ٦٤٣ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

ومما يدخل في التجارب المنبثقة من عالم النفس الندم والإحساس الداخلي المتنامي ، الذي يظل يصرخ في ضمير الشاعر ، ويسيطر على فكره زمناً طويلاً ، وكل يوم ينمو ويزداد، وفي النهاية يخرج الشاعر من ذلك الصراع الداخلي والنفسي بتجربة شعرية ظلت مكبوتة من مثل ما جاء في ندم علي بن حسين الفيفي على أيام حياته الماضية التي لم يقضها في طريق العلم ، وهو يرى أثر العلم على أهله ، مورداً بعض المسوغات التي قد تخفف من التبعة وبقاء آلام النفس ، فيقول :

موكـبَ العلـم كـم تمنّيـت أنّي　　كنت في الركب كي أغذي قصيدي
سرتَ بالأمس مسرعاً تسبق الـ　　برق تدوي كقاصفات الرعود
وأنا في الطريق أمشي كأني　　في طريقي مكبلٌ بالقيودِ
لم أجد ناصحاً يقول اسلك الد (م) رب المؤدي لكل علم مفيد
وفؤادي يئنُّ مما يعانيه　　وصدري في زفرة ونهيدِ[1]

ولعل تطويع الشاعر للغة في إكثاره من ضمير المتكلم ، ومحاولته رسم صورة حياته الضائعة في غير طريق العلم من خلال كلمتي (مكبّل) و (يئن) ، فقد أعطى التشديد فيهما المعنى بعداً كبيراً ، وأضفى على الصورة تنوعاً بين مشهدين : أحدهما منظور ، والآخر مسموع ؛ ليتفاعل المتلقي مع انفعالات الشاعر ومشاعره .

ونتساءل ونحن نقرأ الشعر ما الذي يهزّنا في بعض القصائد ، فنجد أنّ ما يهزنا أحياناً هو عدم توقف الشاعر عند الأشياء وتجاوزها إلى الغريب والجديد والعميق وطرق خبايا النفس – التي ربما يمر بها كل شخص - فتحقق لنا التجربة صفة الإثارة ، فتشدنا إليها ، وتحرك وجداننا وضمائرنا ، ونجد – أيضاً – أنه ليس فقط هو الجديد أو الغريب وحده هو الذي يهزنا في الشعر ، فربما هزتنا فيه أبسط السمات البدائية ، كالخطابية ، وملاحقة الصورة، والمبالغة العاطفية ، وهذه كلها من شأنها أن تثري

(١) أزهار: ٢٨ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الحركية في الشعر ، وتخلصه من رتوب النمطية إذا أحسن الشاعر استخدامها بيد من حذق ، ونقف عند قصيدة علي النعمي في رثاء أمه (وصرختُ يا أماّه) لنبيّن هذه الحقيقة ، ولنسمع هذا الحديث الداخلي للشاعر ، ووصف اللحظات التي حدثت عندما حانت وفاة أمه :

عنقودُ نفسي الحيِّ في نبضاته ... فإذا تلاشت خلّت العنقودا
لم يبق إلا أن تلاقي ربَّها ... فاطلب لها التثبيت والتأييدا
قال الطبيب مشجعاً ومؤازراً ... أتراه قال من العظات جديدا
وصرختُ يا أمَّاه لمَّا لفَّني ... هول المصاب مفجعَّاً مفؤودا
أنتِ التي ، من لي يلي واغروقت ... عيناي ، حين تركتُكِ المطرودا
لاعن رضا منّي ، ولا عن رغبةٍ ... ممن أرادوا أن أكون بعيدا
ورجعتُ في شوقٍ إليك يقودني ... قلبٌ تمرَّد أن يكون طريدا
وجثوتُ قربَك لستُ أعرف من أنا ... مما أعيش ممزَّقاً مكدودا
وصرختُ يا أمَّاه أيةُ لحظةٍ ... هذي تُريني البؤسَ والتنكيدا
(الأوكسجين) به لديكِ تحلقوا ... طبّاً فرادى تارةً ووفودا
ورفعتِ طرفكِ في حنوٍّ غامرٍ ... قلتِ:اقترب نحوي كفيتَ حسودا
فدنوتُ نحوك باكياً وجذبتني ... بحرارةٍ ولثمتِ منّي الجيدا
ويدي استراحت في يديك هُنيهةً ... وبها سكبتِ حنانكِ المعهودا
وبحسرةٍ وأسًى زفرتِ وتمتمت ... شفتاك تدعو الواحد المعبودا
ولفظتِ نفساً حُرَّة وكريمةً ... وتركتِ حُزْناً في الفؤادِ شديدا [1]

(١) جراح قلب : ٦١ – ٦٣ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

ويختم الشاعر قصيدته ببيان أثر هذه الأم على حياته ، ونحن نعلم أنَّ الشاعر قد توفي والده وهو صغير ، فربته أمه ، ورعته ، وكانت على قدر كبير من المسؤولية وقوة الشخصية ورجاحة العقل ، يعرف ذلك أبناء مجتمعها ، فكان فقد الشاعر لهذه الأم فجأة فاجعة في حياته ، إذ كانت هي أمه وأباه وأخاه ، وكما كان يقول في أحاديثه العادية أنّه لم يحسّ باليتم إلا لما ماتت ، يقول :

أمّاه كنت أهم ركن أحتمي　　بحماه إن كان الزمان عنيدا
كنتِ الأب الحاني،وكنت أخا الوفا　　كنتِ الصديقَ الشهم، كنتِ العيدا
ماذا أقول وأنت حولي جثةٌ　　همدت ولاقت يومها الموعودا
أختي هناك تسائل النسمات عن　　خبرٍ وتسأل عامراً ويزيدا
عن خير أم في الحياة عظيمةً　　وعن الأخ النائي هناك وحيدا
ويظل أطفالي الصغار قلوبهم　　تهفو لمن عانى الجراح بعيدا
عن جدّةٍ أولتهُمُ بحنانها　　والجد كم وهب الحنانَ حفيدا ؟
لله ما قدمتِ يا أماه من　　جهدٍ يظلُّ مدى الزمان فريدا (١)

هناك أكثر من عنصر في هذه الأبيات ، يبعث فيها – وفينا – تلك الهزة ، ويضفي عليها صفة حركية التجربة وحيويتها ، إنها مشاعر عادية جداً يمكن أن يحسها أي إنسان في مثل هذا الموقف يفتقد أمَّه ، ولكن شيئا ما يجعلها – هنا – غير عادية ، مثيرة محركة ، ولا شك أنَّ الإسراف العاطفي – رغم بدائيته في الأصل – كان له دوره في تحقيق حركية القصيدة ، وملاحقة العاطفة الشخصية لدى الشاعر ، ولدى أمّه في لحظاتها الأخيرة ، ولدى أخته ، ولدى أبنائه الصغار ، وتصوير دقائقها ، ثم البراعة في وصف هذه الدقائق وصفاً عصرياً حيًّا ، والاقتراب بالتعبير من لغتنا الواقعية من غير ابتذال ، وكذلك الحركة الدرامية التي خلفها الشاعر في الأبيات عن طريق الحوار ، وحديث

(١) المصدر السابق : ٦٣ – ٦٤ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الطبيب ، وأحاسيس الوداع الأخير ، إلى جانب الحركة المكانية داخل المستشفى ، وتوالي المشاهد عن طريق الأفعال (وصرختُ ورجعتُ ، وجثوتُ ، ورفعتِ ، فدنوتُ ، ولفظتِ) ، وكلها جاءت في بدايات الأبيات .

ب- التجربة من خلال الواقع الاجتماعي :

الشاعر المتميز هو الذي يستطيع أن يعيد صياغة الحدث الاجتماعي الذي يبصره الناس ويعيشون واقعه بصورة يوميه ، ولكن لا يعيد صياغته على أنه خبرُ اجتماعي كأي خبر إذاعي أو تلفازي ، وإنما يقف مع الحدث كأنه جزء من حياته ، ينطلق من وجدانه يتفاعل معه فنياً ونفسياً ، وفي بعد عن المبالغات والتهويلات ، محترماً في ذلك عقلية المتلقي الذي يشارك الشاعر جزءاً من رؤية الحدث ، ولكن الشاعر يفضله باستبطان ذلك الحدث في أعماقه ، وإخراجه بصورة تكاد تكون جديدة بعد تهذيبها وصقلها .

فالشاعر أحمد البهلكي في قصيدة (من مواجيد فقير) ، ينطلق من أحاسيسه الذاتية ومشاعره الإنسانية تجاه الفقير الذي يعيش على هامش الحياة في عالم المادة الذي غير كثيراً من مبادئ الحياة وقيمها ، فأصبح الناس يقاسون بمقدار ما يملكون من مال ، لا بما يملكون من قيم معنوية وأخلاق ، فيقدم الشاعر تجربة ناجحة ، ويبدو نجاحها متمثلاً في تماسكها وصدقها، واصطباغها بذاتية الشاعر نفسه ورؤاه الخاصة ، والحديث باسم الفقير ، وتقمصّ شخصيته ، وذلك في قوله على لسان الفقير :

فسحة تكفي لأن يو　　لد جرحٌ كستنائي
استوى معنى ظهوري　　بين قومي واختفائي
لستُ بالأقمأ وجهاً　　لي وجهٌ كالشواء
لستُ بالأنكر صوتاً　　لي صوتٌ كالمواء
لستُ بالأضحل فكراً　　لي فكر كالوباء

شبكة الألوكة - قسم الكتب

لـــستُ بالأضـــيق صَـــدْراً　　لي صـــــدرٌ كالفـــــضاء [1]

فالفقير عندما فتش في نفسه باحثاً عن سبب تجاهل الناس له ، نظر في وجهه القبيح، ولكنه تذكر أنَّه ليس الأقبح بين الناس ، واستمع إلى صوته المنكر ، ولكنه وجد أنَّ هناك أصواتاً أكثر منه نكارة ، فهل يا ترى السبب في ذلك فكره الضَّحل ، لا إنّ هناك من هم أشد منه جهلاً وعيّا ، إذن لعل السبب هو أخطاؤه التي ربما جنتها يداه وهو لا يعلم ، وإن كان ، فليس هو بأكثر الناس أخطاء ، فهناك مخطئون كثر تجاوزوه ، ولكنه تذكر أنَّ كل ما أصابه في الحياة انتماؤه الفريد إلى منظمة الفقراء ، وهذا هو سرّ التفرّد الذي اكتوى بسببه، يقول :

لـــستُ بـــالأكثر خِطـــأ　　خطـــأي مثـــل الوفـــاء
خطـــأي الأوحـــد أني　　أنتمـــــي للفقـــــراء
ولكـــم يُـــصلى الفريـــدو　　ن بنـــــار الانتمـــــاء [2]

وقد لامس الشاعر واقعية ذلك الفقير الذي لم ينف عن نفسه بعض معالم الفقر، أو مسبباته ، التي أدت إلى استواء ظهوره عند الناس أو اختفائه ، وهي معالم متأرجحة بين مظاهر الشكل وصفات النفس ، ولا تخلو من إثارة ساخرة ، وتصوير تهكمي ضخَّم صورة ذلك الفقير البائس في نفسه ، وتعاظم إحساسه بالاختلاف عن الآخرين، ذلك الإحساس الذي يعظم في نفس الفقير يوماً بعد يوم كما تعظم الحياة في أعين الأغنياء ، وهو إحساس استطاع أن يجسّده بطريقة فنية جميلة بعيدة عن المباشرة والخطابية التي قد تفقد الموضوع الاجتماعي حرارته وتأثيره .

ومن خلال تتبع تجارب الشعراء الناجحة في ميدان الواقع الاجتماعي ، يتضح أن الشعراء قد استطاعوا الخروج من ذلك الواقع بتجارب غنية بالشعور متماسكة

(١) أول الغيث : ٥٦ .
(٢) المصدر السابق : ٥٧ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

البناء، فيها عنصر الخيال الذي يجسّد المشاهد اليومية الواقعية بعمق وحسن تمثيل ، كما أنَّ شعراءنا – أيضاً – قد تعاملوا مع واقعهم من زاويتين مختلفتين ، حيث عالج بعضهم واقعه الاجتماعي من خلال الحوادث والقصص التي تكثر فيها العبر ، كالفقير في قصيدة البهكلي السابقة ، والشيخ المتسول في قصيدة السنوسي (هويّة الإنسان)[1] ، و(اليتيم السعيد)[2] للسنوسي – أيضاً – ، وقصيدة علي بن حسين الفيفي (اليتيم والعيد)[3] ، وقصيدة (اليتيم)[4] لحسين الكريري ، إلى غيرها من القصائد الكثيرة التي سبق الحديث عنها في الدراسة الموضوعية ، وكانت تتناول مثل تلك الحالات الإنسانية التي كثيراً ما تواجهنا .

وهناك من عالج القضية من منظور الأنموذج ؛ حيث يطرح معاناة فرد من الأفراد ، مستعرضاً علاقاته ومواقف الناس من حوله ، كحالة يصلح قياس العديد من الحالات عليها، كقصيدة (الفصيح الصامت)[5] للبهلكي ، وقصيدة (دماء الشهيد) للعقيلي ، ففيها استطاع الشاعر أن يحلق بشاعريته إلى أفق إنساني ووطني رحيب ، حتى إنه ليجعل من هذا الشهيد أنموذجاً إنسانياً للبطولة والشموخ البشري ، ويجعل منه رمزاً للبقاء والحياة المتمثلة في ذكراه العطرة ، فيقول :

إنه صورة البطولة والفخر عنفوان الشموخ والكبرياء
أسلم الروح راضياً وعليه رونق من طهارة الأنبياء
وعلى وجهه سماحة إشراقٍ وإشعاع من جلال السماء

(١) الأعمال الكاملة : ٣٧٨ .
(٢) المصدر السابق : ٤٠٦ .
(٣) زائر الأمس : ١٠٣ .
(٤) دموع لا يمسحها الزمن : ١٠٢ .
(٥) أول الغيث : ٨٧ . وقد سبق عرض القصيدة في مبحث الاتجاه الاجتماعي في الفصل الثالث من الباب الأول .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

فمضى شعلة اعتقاد وإيما　　ن ، ونبراس قدوة ووفاء [1]

وخير ما يمثل هذه المعالجة الاجتماعية في تجارب شعراء جازان ، قصيدتا (سناء الشهيدة) [2] لعلي النعمي ، و (حديث الدماء وصوت الكفن) لحسن حجاب الحازمي، ففي هذه القصيدة الأخيرة يصور الحازمي ذلك الطفل الصغير الذي يموت والحجر في يديه ، يموت وهو يدافع عن وطنه ، ولما لم يجد سلاحاً سوى الحجر ، لم يكن له ليتوقف أو تموت عزيمته ، بل صار الحجر أعتى سلاح في المواجهة ؛ لأنه سلاح الحق ، والحق لا يهزم ؛ حتى لو مات ذلك الطفل الصغير الذي ثأر لوالده ، فإنَّ موته بذرة النصر القادم :

يا أيها الطفل المسجّى
والحجارة في يديه
والنور يأتي يائساً .. مستسلماً
من مقلتيه
ونزيفه الفياض يفضح ما لديه :
وطن سليب همُّه المخبوء
يثقل كاهليه
وأبٌ تقطّع في انفجار
وطفولةٌ مذعورةٌ شاخت
وأرّقها الحصار
وأمومة ينمو بجبهتها انكسار [3]

(١) المجموعة الشعرية : ٥٢٨ .
(٢) جراح قلب : ١٦٤ .
(٣) وردة في فم الحزن : ٢٥ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ثم ينجح الشاعر في إدخال حدثٍ آخر ، ذلك الحدث هو تلك الأم التي جثمت فوق ابنها الصغير وهي تسكب الدموع ، جثمت عليه ثم بدأت في تذكر طفولتها التي لم تكن بأقل معاناة من معاناة ابنها الفقيد ، فيقول :

وها هي تحبو إليه
وها هي تجثو عليه
وها دمعها يمتطي وجنتيه
يحدّثه عن طفولتها الضائعة
وكيف غدت بائعة ؟!
وكيف غزاها اللصوص ؟
وقادوا خطا الرمل قبل البناء
وكيف حناها الزمان ؟
فليست تذكّر لون السماء
وكيف تقطّع (مريولها) ؟!
وكيف كواها الشتاء ؟!
وكيف التقاها أبوه النبيل ؟!
فلم تُرضه عينها الدامعة
وأحزنه أنها ضائعة
فحنَّ عليها
وضمَّ إليه يديها
وسارت إلى جنبه طائعة [1]

(١) المصدر السابق : ٢٥ – ٢٧ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

ثم تحدثت المرأة بعد ذلك عن موت زوجها الذي حنّ عليها ، وكيف نما طفلها الصغير بعده على شواطئ الموت ، وترعرع خوف المنية في جوفه قد وئد ، وكانت المرأة تتحدث وهي على حالتها تلك جاثمة على ولدها ، وكأنها أحست برعشة من ابنها :

فشبت بأطرافها لمسة من رجاء
فمدّت يديها إليه
وكان الردى يمتطي مقلتيه
وكانت تناديه لهفاً عليه
بنيَّ توقف عن الموت .. يكفي
فها نحن أحياء موتى .. فيكفي
خطانا كليلة
وللحقد قلب يجيد التشفي
ونحن القلوب الذليلة
وما قيمة العيش دون بطولة ؟!
وكيف تسمي الرجال رجالاً ؟
وهم يفقدون معاني الرجولة
فقم يابني المسجَّى
وحرّك بأعماقنا النخوة المستحيلة (١)

ولكن إذا كانت المرأة قبل مناداتها لابنها قد شبّت بأطرافها لمسة من رجاء ، فإن الشاعر قد صور حالتها بعد أن لم يحرك ذلك الطفل ساكناً بقوله :

ومات على شفتيها الرجاء (٢)

(١) المصدر السابق : ٢٨ – ٢٩ .
(٢) المصدر السابق : ٢٩ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ويظهر أثر استظهار الشاعر لهذه التجربة ومغزاها الاجتماعي الذي هدف إليه في قوله في آخر القصيدة على لسان تلك الأم الثكلى :

وعادت تهزّ إليها الكفن
وتصرخ .. قم
وانتزع من أكفّ العفن
أنفساً لم يطقها العفن
وانتشل من سجون الوسن
كلَّ من كبّلوا بالوهن
والدماء الذليلة
وعلم أولئك أن الحصى بالأكف النحيلة
سوف تغدو قنابل
وأن أشجارنا أُترعت بالسنابل
وأنَّ في كل سنبلة مائتي ألف قنبلةٍ ومقاتل
ولا تبتئس يا بني المسجّى
إنما تبتلينا المحن (١)

فالشاعر استطاع الوصول إلى لبّ قارئه ، والسيطرة على مشاعره ؛ لأنه امتلك إحساساً عميقاً بالحدث ، حتى مع تفتيته للحدث إلى تفاصيل صغيرة ، لكنها لم تفقد التواصل الذي احتواه تنامي الحدث ، وتوالد المشاهد ، وتسلسل فجيعة تلك الأم ، بل تلك الأسرة التي مثلت الأنموذج للعائلة المضطهدة في العالم العربي وما تحل بها من نكبات ، ومثلت الأنموذج للمرأة البائسة التي شهدت شتى معالم البؤس ، بدءاً من حياتها المشردة ، مروراً بموت زوجها ، ثم لحاق طفلها الصغير به ، ثم مأساتها العظيمة

(١) المصدر السابق : ٢٩ – ٣٠ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

بعدما رحلا جميعاً . ولكن الذي يؤخذ على الشاعر هو إسرافه في التفصيلات ، فوقع الفجيعة ولحظات التوديع العاطفي التى مرت على المرأة لا تحتمل كل هذه التفصيلات، ولكن الشاعر ترك للمرأة أن تتحدث وتعيد سيرتها الذاتية كاملة وهي جاثمة على ولدها الغارق في دمائه . وكان بإمكانه الحيلولة دون ذلك ، وتغيير أسلوب عرض هذه التجربة الناجحة .

جـ - التجربة الشعرية من خلال عالم الطبيعة :

إنَّ الخيوط العاطفية التي وثقت صلة شعراء جازان بالطبيعة كثيرة ومتعددة ، وفي الوقت ذاته متنوعة ، مما أثرى الساحة الأدبية بكثير من التجارب الشعرية الناضجة المتصلة بالطبيعة ، حتى غدت الطبيعة منهلاً واسعاً ، ومغترفاً ثرّاً للشعراء ، بل وملاذاً في أجوائها وعوالمها تنمو التجارب ، وتخرج من إسارها ، ولم يكن ذلك ليتم لولا ما أولاه الشعراء من اهتمام بها ، وتأمل في عوالمها ، ولذلك يقول السنوسي :

على الطبيعة بين الرمل والماء　　أمضيت أحلى سويعاتي وآنائي
أرنو إلى زرقة في الأفق صافية　　وخضرةٍ في أديم الأرض زهواء
على كثيب لأذيال الرياح به　　طرائق من تجاعيد وأطواء
وضعتُ جنبي على جنبيه فاتصلت　　روحي بروح من العلياء عليـاء
أنضو عن القلب أكداراً وأغسله　　في موجة من خضيل الروض خضراء
أكاد من فرط إحساسي بروعته　　أغوص في لجّة منه وأشطاء (١)

والشاعر إبراهيم مفتاح ربط كثيراً من تجاربه الشعرية بالبحر ، وجعله عنواناً لأول دواوينه ، وقد علل ذلك بقوله متحدثاً عن سبب التصاق البحر بتجاربه : ((**لعلك عندما تقرأ ديواني تشمّ فيه رائحة البحر ، وتحسّ من خلاله اضطراب الأمواج** .

(١) الأعمال الكاملة : ٢٣٠ – ٢٣١ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

إذا شعرت بشيء من ذلك فاعذرني ؛ لأنني في أحضان البحر خلقت ، وعلى شطآنه نُشّئت . لذلك ستجدني دائماً ناشراً شراعي ، محركاً مجدافي ، ولكنني رغم هذا وذاك ما زلت أواصل الإبحار .

اعذرني إذا أصابك الدوار ، وأنت تبحر معي عبر الكلمات ، وتقتل إلحاحي في أن تستمر مرافقتك لي لننطلق في المدى الواسع ، فالدوار حالة لا تلبث أن تستشعرها آفاقاً لا محدودة وجمالاً ، كلما دعتك أخطاره إلى الأعماق ازددت به تعلقاً ، وتعلقت به شغفاً . تعال معي لنستمد من البحر صفاءه ، ونحاول أن نستشف مكنوناته المتلألئة في أعماقه))[1]. وهذا التفاعل مع المكان ، واستنطاقه ، وتبادل المشاعر معه ، واستلهام التجارب منه هو تركيبة ممزوجة في الإنسان ، لا يمكن له أن يفصلها عنه ، ولهذا يقول علي النعمي في تعليق له على إحدى تجاربه المنبثقة من الطبيعة :

تألف النفس مكاناً سعدت ... فيه حيناً مثلما تهوى الصبا
كلما حرّكها الشوق هفت ... نحو مغناه وخفّت رغبا
ورست تهزأ بالجهد وإن ... هي أبلت لم تبال التعبا
قيمة الحب أنين وضنى ... وحنين يستخفّ النصبا [2]

وبإمكاننا أن نتعرف على تواصل شعراء جازان مع الطبيعة من حولهم وتفاعلهم معها، وربط تجاربهم بها من خلال جزء من الطبيعة المحلية وهو البحر ، ومن البحر نقتطع جزءاً متحركاً في أثباجه وهو الزورق ، فقد عمد كثير من شعراء جازان إلى إيجاد علاقة قوية بين تجاربهم والزورق ، ولكل منهم نظرة مختلفة تجاه هذا الزورق ، استمدها من حياته وتجاربه الخاصة .

(١) عتاب إلى البحر : ٩ . وانظر تفصيل صلة مفتاح بالبحر في باب (من أعلام الشعر) ص : ١١٥٥ – ١١٥٧ .
(٢) الأرض والعشق : ٢١ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

فالشاعر علي النعمي له أكثر من قصيدة في هذا الموضوع ، منها قصيدة : (زورق وشاعر) ، وفيها رمز الشاعر بالزورق للحياة ورحلتها المضنية ، بما فيها من سفرٍ مضنٍ ، وأهوال وأخطار ، وآلام وآمال ، وشواطئ نجاةٍ ومجاهل هلاك في الأعماق ، حيث الأمواج الصاخبة ، والتيارات الهادرة ، وقد بدأها الشاعر بإبراز هذه المخاطر التي تحاصر الزورق الصغير بقوله :

أيها الماخر في زورقه　　لجة البحر وفي البحر خطوره
حاذر الأمواج إن هاجت فما　　تهتدي للدرب في الريح الجسوره
وامض للشط بقلبٍ ثابتٍ　　عابراً ما كنت تستعصي عبوره(١)

ويستجيب الشاعر لذلك الهاتف ، ويمضي في رحلته متحدياً كل الأخطار التي تواجهه من أمواجٍ هادرة ، ورياح عاصفة ، وكلما هدأت تلك الأمواج ، أو سكنت الرياح واصل تجديفه في اليم في محاولة مضنية للوصول إلى شاطئ الأمان ومن ثمَّ يحظى بآماله ، ويصل إلى أحلامه :

ومضى الشاعر في زورقه　　يتحدى كل ألوان الخطر
مرَّة يهوي به الموج فإن　　سكن الريح تصبَّاه السفر
وطّنَ النفس على التجديف كي　　يصل الشطَّ ، ويحظى بالوطر(٢)

ويصل الشاعر إلى شاطئ الأمان ذات مساء ، وما أن يهم الشاعر بالرسو والاستراحة من تلك المعاناة حتى تتصباه الرحلة من جديد ، ويهتف هاتف الأمل في داخله الذي رمز له بالبحر ، طالباً منه مغادرة ذلك الشط إلى شط آخر ، فيقول :

وعلى الشط وقد أرسى به　　زورق الرحلة في ذات مسا
ليريح الجسم من أتعابه　　ويقي زورقه كرُّ الأسى

(١) جراح قلب : ٢٥ .
(٢) المصدر السابق : ٢٦ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

أعلـن البحـر بـصـوتٍ هـادر ** زورق الأحـلام يومـاً مـا رسـى
فـدعِ الـشـطَّ لـشـطٍّ آخـر مرة أخرى ، وخـض متن العُبـاب
لـيس للـنفس مُنـًى محـدودةٌ ضمـن بـاب خلفـه بـاب وبـاب
دُرَّةٌ تكـسبهـا أو لحظـةٌ حلـوة تلهو بها تنسي العذاب [1]

وقد ألف الشاعر هذه الرحلة في البحر ؛ لأنه عشق الأخطار والأهوال ، بل إنه لما وصل إلى الشط مرة آخرى كان يعيش صراعاً نفسياً هل يغادر البحر الذي ألف ، أو يبقى بين أمواجه رغم ما فيها من قسوة ، في إشارة إلى قسوة الحياة على اليابسة ، وعدم احتفالها به ، فيقول :

ورنـى للبحـر حينـا ، ورنـى نحـو أرضٍ طوقـت أحلامَـهُ
عـاش صـفو البحـر في زورقـه واكتـست جـدّتها أنغامَـهُ
فلـماذا الأرض لم تحفـل بـه عاشقاً بل ضاعفت آلامَهُ ؟ [2]

وقد استطاع الشاعر أن يوجد التوازن بين معلم الطبيعة (الزورق الماخر في البحر) وبين معالم حياته الشخصية التي عاشت صراعاً بين الأمل والواقع من حولها ، وقد ساعد الشاعر على الوصول إلى درجة النضوج التامة للتجربة التنويع الموسيقي ، حيث عمد إلى الشكل المقطعي ، مما أوحى بتنوع مشاعره ، وتنازعها بين عددٍ من العواطف المتصارعة . ولعل من أهمها تلك الحيرة التي كانت تتقاذفه يميناً وشمالاً بين العودة إلى الأهل والبقاء في الغربة ، الغربة هي البحر ، والأهل هي الأرض ، ولكنه كما أشار في آخر القصيدة اختار العودة وترك البحر ، وهذه مرحلة متأخرة من مراحل التجربة التي مرّ بها ، وإن كان في قصيدة سابقة على هذه القصيدة بسنوات أشار إلى أنَّه

(١) المصدر السابق : ٢٧ – ٢٩ .
(٢) المصدر السابق : ٣٠ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

قد انكسر المجداف عليه وسط البحر، ولم يستطع صنع شيء ، فيقي في اليم تمزقه الحيرة، حيث قال :

أيُّ عيشٍ أيُّ حزنٍ أوقفا　　زورق الشاعر –غمطاً– وأضاعا ؟
إنه في اليمّ حيران وكم　　أطبق الموج عليه وتداعى ؟
من يديه سقط المجداف في　　لحظة كان بها يهوي اندفاعا
بينه والشَّطّ بعدٌ ساحقٌ　　وهو لا يقدم باعاً ، أو ذراعا (١)

والشاعر حسين سهيل تقترب تجربته في قصيدة (الزورق المجهد) من تجربة علي النعمي ، حيث يتخذ من الزورق معادلاً للحياة ، ومن البحر وأمواجه معادلاً للصراع والاحتداب بين الأمل والواقع ، غير أنَّ سهيلاً كان يراقب الفرج ، ويحاول اهتبال الفرص التي تلوح أمامه ليستغلها في تحقيق أمانيه ، فلما هدأ الموج وسكنت الرياح ، بدأ يحرك زورقه نحو الشاطئ برفق ، وهاتف يهتف به كناية عن مشاعر الطموح أن لا تعبأ بالعواصف والأهوال ، وتقدّم نحو الشط ، والشاعر متحيّر ومتهيّب ، يقدّم رجلاً ويؤخر أخرى ، يقول في تجربته المستقاه من صراع الزورق والموج :

يا ليالي الزورق الغافي على شطّ الحياه
آن أن ترسو مراسينا على برِّ النجاه
هدأ الموج فقم هات الأداه
حرّك الزورق في رفقٍ لكي يبقى رجاه

* *

هاتفٌ نادى من الشط البعيد
من وراء الموج . . من خلف الجمود

(١) الرحيل إلى الأعماق : ٩٤ – ٩٥ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

أيها الملاّح لا تعبأ بأنواء القيود

حرّك الزورق في رفقٍ على صدر السدود [1]

والشاعر إبراهيم صعابي لا يتخذ من الزورق ورحلته في اليم الهائج معادلاً لصراع الإنسان مع الحياة ، بل ينحو منحى آخر ، ويربط الزورق بالصراع العاطفي في علاقة الرجل بالمرأة في كثير من قصائده ، بل ديوانه (زورق في القلب) يصور ذلك تصويراً واضحاً ، بدءاً من عنوانه حتى خاتمته ، ومن أكثر القصائد تمثيلاً لهذه التجربة المعتمدة على معالم البحر وزورقه قصيدة (اغتيال وعبث) ، وفيها يقول :

الريح تعبث بالشراع
والزورق المضنى أشاح بوجهه
وأضاع منّي مرفأ الدنيا .. وضاع
الريح ما زالت تلاحق زورقي
والريح ما زالت تهدد مشرقي
والريح صوت للنهاية والشراع مضى
وصوت الموج يحمل للقتيل هديتين [2]

وفي النهاية يموت ذلك الصوت المدوي للريح ، ويضيعه الزورق وسط البحر ، ويختفي بعدها :

ويموتُ صوتُ الريح في أذني
وأحمل للحياة خلود أغنيتي (منار)
والزورق المضنى يضيّعني
ويرمي فوق وجهي موجتين

(١) أشرعة الصمت : ٥٩ .
(٢) زورق في القلب : ٨٢ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

.. ويختفي .. [1]

وهناك من التجارب العاطفية التي تقمصت عالم الطبيعة ، لا سيما ذلك الزورق الماخر عباب البحر وأمواجه المتلاطمة قصيدة (على الشاطئ) [2] لعلي صيقل ، وقصيدة (صباح الوطن) [3] لأحمد الحربي وغيرهما .

ونلحظ أنَّ التجارب الناجحة المستقاة من الطبيعة ، هي تلك التي استطاع أصحابها إقامة الوشائج القوية والصلات العاطفية بينهم وبينها ، وقدرتهم – أيضاً على اقتناص الحدث الشعري ، والحدث الشعري هو ما يبدو في ظاهره بسيطاً عادياً لا يثير الاهتمام ، كمرأى زهرة ذابلة عند حسين النجمي [4] ، أو طائر صمت عن التغريد عند الحربي [5] ، أو أتانٌ لقيت حتفها على يد سيارة عند علي النعمي [6] .

وكذلك قدرة بعض الشعراء على اتخاذ بعض معالم الطبيعة ومفرداتها مماثلاً لمشاعر الإنسان وتقلباته ، ويتجلى ذلك في مثل قول علي بن حسين الفيفي :

يظمأ الوردُ فيك والماء جارٍ　　سلسبيلاً وتشتكي من ظمائك
كيف يأتي الربيع في حُلَلٍ خضرٍ　　وتشكو الأزهار خوف شتائك
ناح فيك الحمام يجأرُ بالشكوى　　وغنَّى الهديل لحن جفائك
حطّمي يا رياح كل سدودٍ　　تحجبُ النور والهوا عن أولئك
ليفوح العبير من كل روضٍ　　وتصف الورود حول الأرائك [7]

(١) المصدر السابق : ٨٤ .
(٢) ترانيم على الشاطئ : ٦٤ .
(٣) تقاسيم على جذع نخلة الوادي : ٩ .
(٤) عيناك في وقت الرحيل : ٣٢ .
(٥) رحلة الأمس : ٢٢ .
(٦) جراح قلب : ٣٣ .
(٧) زائر الأمس : ١٦ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

فكل مفردة في هذا النص من مفردات الطبيعة تقابل أو تمثل رمزاً لمعنى نفسي ووجداني عمد إليه الشاعر ؛ ليفصح عما في دواخله من عواطف ، ويمثلها أصدق تمثيل.

د- التجربة من خلال المرأة وعاطفة الحب

كثرت تجارب شعراء جازان من خلال المرأة وعاطفة الحب كثرة ملحوظة ، ولم تكن كل تلك التجارب تشكل تجارب شعرية محكمة ، بل كانت متفاوتة ، منها المحكم الممثل للتجربة الشعرية الناضجة بالمفهوم المعاصر ، ومنها ما هو دون ذلك بمراحل .

وقد مرَّ معنا عند الحديث عن الغزل وكذلك الاتجاه الوجداني ، أنَّ بعض الشعراء يقفون خارج حدود التجربة العاطفية الصادقة التي تمثلها تجربة الحب ؛ ذلك لأن الشاعر منهم ليس بالعاشق المكابد الذي تعذبه عواطف حرّى ، وكيف تكون القصيدة كذلك وهو لم يعش تجربة حقيقية ، وإنما تراه موزعاً بين عددٍ من الأسماء النسائية يلوكها في شعره ، على أنَّ توزع الشاعر بين عدد من النساء لا ينفي تماماً المشاركة النفسية ما بين الشاعر والمرأة ، فهناك شعراء فعلاً عاشوا تجارب صادقة ، واتخذوا من المرأة رمزاً ، ولم يكن يضيرهم في شيء تنوع ذلك الاسم ، أو تغيّره بين الفنية والأخرى ، مثل علي بن حسين الفيفي وإبراهيم صعابي ، فقد تكررت لديهما أسماء النساء ، ومع هذا فتجاربهم كانت تعبّر عن عواطف حقيقية وصادقة ، بينما نجد أن تكرار الاسم لدى العقيلي وحسين الكريري ، ولدى البهلكي في بداياته الشعرية لم يكن سوى مظهر تقليد ، وزينة من لوازم تحلية القصيدة الغزلية لديهم .

فتجارب العقيلي الغزلية الواردة في شعره لا تدل على أنَّ له تجربة صادقة عاشها في دروب الحب ، وأن ما قاله في هذا المضمار ما هو إلا حديث شاعر أراد لنفسه المشاركة ودرء تهمة التقصير في الميدان الذي يعشقه القراء ، ولذا لو تأملنا تجاربه الغزلية لوجدنا أنها تتسم بهذه السمة ، فهو يحب تارة ممرضة في المستشفى ، وتارة مضيفة في الطائرة ، وأخرى حسناء أبصرها في الطريق ، أو امرأة تعمل في بيتها ، لذلك فقد جاء

شبكة الألوكة - قسم الكتب

التعبير عن التجربة منسجماً مع صدقها ، جاء التعبير والصورة الكلية للمرأة هي عينها الواردة عند الأسلاف ، فالزمان وتعاقب العصور والآثار المختلفة التي جاءت بها الأيام لم تفعل شيئاً في هذه الصور، فقد ظلت الحبيبة عند العقيلي بيضاء غراء فرعاء ، دقيقة الخصر ، عبلة الأرداف ، يفوح العطر من أعطافها ، ويخجل البدر التمام من مرآها .. إلخ . كما وجدنا ((**استئثار العقيلي بالتعبير عن هواه فقط ، وعما يكابده من الحب ، وما يلقى من تباريحه ، وهو يعبّر دائماً عما يقع في نفسه عند لقاء محبوبته أو عند فراقها ، دون الالتفات إلى عواطفها ومشاعرها، وما وراء جمالها الحسي من روح وأحاسيس**))[1].وبإمكاننا أن نبيّن ذلك من خلال عرض تجربة الشاعر في قصيدة (حسناء في طليطلة) ، حيث نجد أنَّ التجربة لم تكن نابعة من عاطفة حقيقية ، مهما حاول الشاعر تغطية هذا النقص باجتلاب العبارات والتراكيب التي تعدّ حديثه ، فإنها – أي القصيدة – مجتلبة من المخزون التراثي للشاعر الذي حفلت به ذاكرته ، يقول :

يلوح لنا ما بين سحرك والثغرِ　　شعاع المنى الوضّاء ينساب في الصدر
وروض من الفردوس ينضح نشره　　عبير شذا الأزهار والمسك والعطر
ودنيا من الأحلام مسحورة الرؤى　　سماوية التصوير بالحسن والطهر
هنالك لوحٌ من رخام تمازجت　　ظلال وأضواءٌ بصفحته تجري
وكنز جمالٍ فوق ما يدرك النهى　　ويقتدر التعبير في الشعر والنثر
هنالك شيء تدرك الروح كنهه　　ويسمو على الإدراك في منطق الفكر
صباً ناعم غضٌ يروق رواؤه　　وجوهر حسنٍ لا يُحدَّد في القدر[2]

فقد وافق تشبيه للمرأة بأنها لوح من رخام وافق نظرته الشكلية للمرأة التي تتحرك ، وكأنها دمية لا روح فيها ولا مشاعر ، يتغزل بحسنها الظاهر ، ولم يكلف نفسه

(١) شعر محمد بن أحمد العقيلي ، دراسة تحليلية ، لخالد الشافعي – رسالة ماجستير غير مطبوعة : ٢٤٤ بتصرف .
(٢) المجموعة الشعرية : ١٩٦ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

مخاطبتها والتحدث إليها ومحاورتها ، أو إبراز مشاعره النفسية تجاهها ، وسبب ذلك – إضافة إلى ماسبق – هو أنَّ للحب وسائر عواطف النفس الإنسانية بواعث ومثيرات من الصعب اختلاقها أو تزويقها .

وعلى العكس من ذلك ، فإننا نجد كثيراً من الشعراء عاشوا – فعلاً – تجارب صادقة، ومن ثم ظهرت لديهم العواطف المتأججة ، وأتى شعرهم معبراً وطافحاً بالأحاسيس ، ومن ثم انعكس ذلك على سائر الأدوات الفنية ، فاستعملوا لغة في غاية الشفافية ، سكبوها في عبارات رشيقة ، وعزوفها على أوتار موسيقية عذبة ، وحملتها إلينا صورٌ براقة مغرية .

وفي إطار هذه التجارب الناجحة في ميدان المرأة ، ظلت تتراوح مواقف الشعراء بين مواقف السلب والإيجاب – كما تقدّم عند الحديث عن الغزل – ، ((**فوجد من الشعراء من يذهب بعيداً في موقفه الإيجابي منها ، فهي الحياة بالنسبة له . وبدونها لا يستطيع أن يبقى موجوداً ، ولذلك تراه يغالي كثيراً في تبجيلها واحترامها .. ووجد في الجانب المقابل شعراء آخرون يصورون المرأة مخلوقاً طائشاً نزقاً ، قليلة الوفاء ، كثيرة التقلّب والخيانة ، وكأنها في كلتا الحالتين معادل للحياة عند الشاعر ، فيما تمنحه للمرء من ساعات الصفاء والإقبال ، وفيما يجد فيها من شقاء وإدبار وتحول مفاجئ في المصير ، ومن هؤلاء الشعراء من يعبر تعبيراً عاطفياً مسرفاً عن خيبة أمله ، فيصبح شعره كأنه صرخات حيوان جريح ، ومنهم من يغلف آلامه بنسيج رقيق من صور مهدّمة ، وألفاظ موحية ، وجو ضبابي يمتزج فيه الحلم بمجالي الطبيعة وخفايا الوجدان**)) [1] .

فمن النوع الأول الإيجابي مقطوعة (رباعية) لأحمد البهكلي ، حيث يصور فيها أنَّ المرأة بالنسبة له هي نهاية كل الآلام والمعاناة ، وأنه اليوم الذي تحقق فيه أمانيه

(١) الاتجاه الوجداني في الشعر العربي المعاصر ، للدكتور عبدالقادر القط : ٢٩٥.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

بالقرب منها، فإنه قد حقق عند ذاك أسباب السعادة والهناء ، ولكن المحبوبة ما زالت تدني وتقصي ، وفيها يقول :

كنتُ أرجو منكِ ما لو حزتُ فيما　　حزتُ لانفضّت جموعات عنائي
كنتِ لي كالأمل الأقوى لمن أضـ　　ـناه سُقم في شفاء بدواءِ
كنتِ مغنايَ وملهايَ ومهواي　　وأسباب سعودي وانتشائي
لِمَ يا مقصيتي عن حسنِكِ استمرأ　　تِ قهري بعذابات الجفاء (١)

وكثيراً ما يحمل البهكلي هذه النظرة إلى المرأة في تجاربه الشعرية ، بل يجعلها في إحدى تجاربه الناجحة هي مصدر الإلهام لفنّه ، وأنه يحب المرأة ولا يفقه سراً لذلك الحب ، حتى وإن لقي من ذلك الحب ما لقي ، فلن تتغيّر نظرته ، ولا يمكن أن تتغيّر ، يقول في قصيدة (رسالة) :

أحبك لا لشيء غير أني　　أحبك للتلهف والتمنّي
وقد صيرت رسمك في خيالي　　إساراً مالكاً فكري وظنّي
فأنت عروس شعري حين أشدو　　وأنت بديع لحني إذ أغنّي
أحبك دون أن أدري لماذا ؟　　وأحمل فيك بعدك والتجنّي (٢)

أما النوع الثاني الذي صهرت فيه تجارب شعراء جازان المتعلقة بالمرأة والحب ، فقد حمل نظرة سلبية إلى المرأة ، فصورها قاسية تحمل كل المعاني السيئة من خداع وانعدام ثقة ، وأنها مجرد متعة مزيفة ، تحمل ألواناً كثيرة ووجوهاً متعددة ، وكم حملت من صور مظلمة مليئة بالغصص للآخرين ، كما يقول الشاعر محمد الشنقيطي أحد أولئك الذين صهروا كثيراً من تجاربهم العاطفية تجاه المرأة بالحب والتودد ، ولكن لما لم تفلح تلك المحاولات ، ثار قائلاً بعد معاناة ومرارة :

---

(١) الأرض والحب : ٦٠ .
(٢) المصدر السابق : ٤٩ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

واركبي كلَّ موج
وسايري كل ركبٍ
وعبّي
إلى الشمالة القصوى
إلى تمام الرواء
خلّبٌ غير ذاك فسيري
مأمورة
في ظلام
هو الذُّرى في الضياء
وادفني نهار ليلك الموات
وعُودي ..
إلى النَّدامةِ المُثلى
إلى العنا
والشقاءِ [1]

وإبراهيم صعابي يصف المرأة هذا الكائن اللطيف بأنَّه لا يحمل سوى مظاهر الطيبة ، وأما من الداخل فهو مليء بالوحوش ، يقول :

المرأة العصفور داخلها وحوشٌ سائمة
وإذا لمست الشوق فيها فهو دنيا غائمه
بالشك .. بالوعد الوعيد . . لكل شيء لائمه
يترحل الهم الجميل على عيون هائمه [2]

(١) خلف أسراب البجع : ٦٠ . وينظر أيضاً له في هذا وصمه للمرأة بأنها مادية في قصيدته الحوارية (الفقير العاشق) في ديوانه (قلب يتنفس) : ٧٨ – ٨١ .
(٢) زورق في القلب : ٨٦ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

ومن أصدق التجارب الشعرية الممثلة لهذا النمط قصيدة (زهرة ورياح الخريف) لحسين النجمي ، حيث مثلت تجربة حب فاشلة عاشها الشاعر ، فمحبوبته باعته وذهبت إلى غيره ، وتزوجت بمن يملك المال ، وتركته يلوك حسراته ، فصبَّ عليها جام غضبه ، ووصفها بالخيانة ، وأنها ستندم يوماً ما ، وهي لا تستحق ما قاله فيها من شعر ، وأنها رضيت بالهضاب ، وتركت القمم ، يقول مخاطباً لها :

مضيتِ
وبعت شبابك
بالثمنِ البخس
والأمنيات الرخيصة
*** ***
فإن كنت لا تعلمين
بأنك قد بعتِ نفسكِ فلتعلمي
وإن جاء يوم الندامة
لا تندمي
*** ***
لقد كنت أبني لعينيكِ
بيتاً
من الثلج والزهر
فوق السحاب
وأعزف لحناً جميلاً
من الشعر
والأغنيات العذاب
ولكن ولكن

www.alukah.net
شبكة الألوكة

سفحتِ الأماني
هجرتِ الأغاني
تركتِ خليلك
بين الضباب
وسرت إلى السفح
نحو الهضاب
فيا ضيعة الحب والشعر فيكِ [1]

وقد تراوحت تجارب شعراء جازان المتعلقة بالمرأة بين الإعجاب العابر ، كما رأينا في قصيدة العقيلي السابقة (حسناء في طليطلة) ، وبين الحب الصادق ، وبإمكاننا أن ندرك ذلك تمام الإدراك عندما نتأمل هذين المستويين من التجربة لدى شاعر واحد، وهو محمد السنوسي ، فإذا استمعنا له في قصيدته (عابرة) نجده يقول :

خطـــرت في أناقـــةٍ ورشاقـــة وتهـــادت في خفّـــة ومـــشاقه
خطو عصفورةٍ على المرمر المصـ ـــقول وثبـــاً وهـــزّةً وانزلاقـــه
كـل عـضوٍ يهـتزّ فيهـا ويـرتجُّ (م) ويـنـــداح رقـــة واندفاقـــه
خطـواتٌ (ممسوقات) وجـسمٌ في (تقاسيمـه) لحـونٌ مُراقـه
غَيـــدٌ آســـر ودَلٌّ فُتـــونٍ وجمـالٌ ملائكـيُّ الطلاقـه [2]

وهكذا سار الشاعر على هذا المنوال يصور ما أملاه الإعجاب بما تحمله تلك الفتاة العابرة من مفاتن ، وقد رآها صدفة في دربه ، وهي امرأة ربما رآها لأول مرة ، ولم يعرفها، ولكن وقع نظره على هذه المحاسن فيها ، فعدّدها ، ووصفها بتلك الأوصاف المادية المجردة من أي مشاعر .

(١) تأملات على مرافئ الغربة : ٣١ – ٣٣ .
(٢) الأعمال الكاملة : ٣٥٠ – ٣٥١ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

((**وهناك فرق كبير بين الإعجاب والحب ؛ لأنَّ الإعجاب انفعال ، والحب عاطفة، وأثر الانفعال مؤقت سرعان ما يتباعد ويزول بتباعد المؤثر وزواله . أما العاطفة فإنها شعور ثابت مستقر في أعماق النفس لا يزول ولا يستحيل**)) [1] . ويكفي أن يصف شاعرنا هذه المرأة بأنها (عابرة) ، وأن يصفها بتلك الأوصاف الجسدية ، ثم قوله في آخر القصيدة بأنه يكفيه من ذلك الروض باقة في مخاطبته لقلبه قائلاً :

حسبك النفحة الشذية يا قلـ　　بي، وحسبي من ذلك الروض باقه[2]

وهذا ليس من أثر الحب السابق ، وإنما هو نشوة عابرة ، وانفعال طارئ . ولكنك تجد أثر هذا الحب الصادق في قصائد أخرى من شعر السنوسي ، ومن تلك القصائد قصيدة (إغراء الحب) ، وفيها يقول :

سلوا راح عينيها وورد لماها　　متى علمت أنّي صريع شذاها
فقد حرمتني نفحها وابتسامها　　ورقة نجواها وحلو جناها
وبات يعنّيني هواها ودَلُّها　　وتسخر بي أطيافها ورؤاها
وقد كنتُ آتيها فيهتزُّ فرعها　　طروبا كما هزَّ الغصون صباها
وتصدحُ عيناها لحوناً وتنتشي　　أحاديثها رفّافة ولغاها
وتضفي عليّ السحر والعطر والمنى　　وتمنحني أنفاسها ونداها [3]

فقد تناسقت في هذه الأبيات كلُّ عناصر التجربة الناجحة ؛ لغة موحية ، مثلت صدق الشاعر ، وظهور الضمير الشاعري (أنّي ، حرمتني ، يعنيني ، بي ، كنتُ ، عليَّ ، وتمنحني) ، وكذلك الوزن الموسيقي والقافية الممتدة التي تحمل الهاء القادمة من أعماق الجوف ، تصور أنفاساً حارة ، وعاطفة صادقة ، وذكريات سابقة ، ونقرأ لهفة على تلك الذكريات التي يخشى عليها أن يصيبها وهن ، أو أن يعصف بها الهجران .

(١) من أعلام الشعر السعودي ، للدكتور بدوي طبانة : ٣٦٣ .
(٢) الأعمال الكاملة : ٣٥٢ .
(٣) المصدر السابق : ٣٤٥ – ٣٤٦ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وهناك بعض التجارب الشعرية الدائرة في فلك المرأة والحب ، ولكنها لا تمثل اتجاهاً، وإنما جاءت قليلة لدى الشعراء من مثل رواية تجربة صراع الرجل المحتدم بين زوجتين عند علي النعمي في قصيدة (مرارة الاختيار) [1] ، وكذلك الحديث بصوت المرأة ورثائها لحب الرجل الذي خان وعوده في قصيدة (رحيل الحب) [2] لحسن حجاب الحازمي ، وهي تجربة تغاير سائر التجارب السابقة ، إذ في هذه الأخيرة تبرز مشاعر المرأة تجاه الرجل ورؤيتها له ، وفي التجارب الأخرى الحديث آتٍ من الرجل ، والضمير يعود إليه ، والصورة يشكلها برؤاه وأحاسيسه .

هـ- التجربة من خلال المناسبة :

وقف عدد من النقاد المحدثين ضدّ شعر المناسبات ، ورأوا أنَّه لا تتحقق فيه التجارب الناضجة بمفهومها الحديث ، ومن هؤلاء – على سبيل المثال – الدكتور مصطفى السحرتي حيث يقول : ((**إنَّ القيمة الفنية للقصيدة هي في تواؤم تجربتها الشعرية مع صياغة هذه التجربة ، ومن ثم ترى أن شعر المناسبات ليس فيه تجربة ؛ لأنه لا يمثّل خلجات النفس ، وتأملات الفكر ، وهزات العواطف ، ولذلك فقد حاربت المدارس الحديثة ذلك الشعر ، ودعت إلى بروز شخصية الشاعر ، واحترمت حريته الفنية ، وحبذت التجديد في المعاني والأساليب والصياغة ، مع المحافظة على الأصالة ، وعدم التكلف الذي تحفل به قصائد المناسبات ، وحاربت الافتعال والتصنّع ، ودعت إلى السهولة في الألفاظ والتراكيب والصدق في المشاعر ، فلم يحفلوا بقصائد المناسبات التي يعصر الشاعر فيها فكره ، ويكدّ ذهنه ليؤلف قصيدة ذات موسيقا رنانة تدوّي بها المحافل ، ومعانٍ جميلة ظريفة ، تناسب الموقف ، ولكنها لا تمثل شعوره ، ولا تعبّر عما في وجدانه ، وإنما نظمها لمجرد الإسهام في هذه المناسبة**)) [3] .

(١) جراح قلب : ١٥٨ .

(٢) وردة في فم الحزن : ٨١ .

(٣) الشعر المعاصر في ضوء النقد الحديث ، للدكتور مصطفى السحرتي : ٧ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

وقبل الردّ على هذا الكلام أو ذاك ، والدفاع عن شعر المناسبات أو الهجوم عليه، قبل ذلك لا بّد من التساؤل حول رسالة الشعر ، ووظيفته ، ومهمة الشاعر ، هل تتمثل رسالة الشعر في سبر أغوار النفس الإنسانية ، والتعرف على أدق خلجاتها ، ومصيرها ، وكل ما يعد مقوماً من مقومات حياتها وسعادتها ؟ أم تتمثل في مشاركة الشاعر بفكره وشعوره وفنه في قضايا مجتمعه الوطنية والإنسانية ، وما يعانيه هذا المجتمع من آلام ، وما يتطلع إليه من آمال .

وللإجابة عن هذه التساؤلات يمكن القول : إنَّ الشعر هو ترجمان النفس ، وهو الوسيلة الوحيدة التي يعلن بها الشاعر عن مواهبه ، وقوة مشاعره وصدقها ، والشاعر البارع هو الذي يجعل فنه جزءاً من حياته ، بمعنى أن يكون موضوع حياته هو موضوع شعره .

على أنَّ الشاعر العظيم ليس هو الذي يكشف شعره عن إمكاناته الفطرية فحسب ، وإنما هو الذي يكون قادراً على ترجمة مشاعره ترجمة صادقة في المناسبات المختلفة ، ذاتية كانت أم غير ذاتية ، والشاعر حين يصنع ذلك يكون شاعراً عظيماً ؛ لأنه اتجه في تصويره إلى ما يحرك مشاعر الناس ، ويثير وجدانهم ، وينجح كذلك في شعره إذا استطاع أن يشرك الناس معه ، وينقلهم إلى جوه وعالمه .

((ولما كان الشعر تعبيراً عن النفس الإنسانية ، والتعبير غاية مقصودة لذاتها لا تنفصل عن سائر الغايات ، فإننا نرى أنَّ للشعر رسالة إنسانية ، والشاعر الذي يشارك في قضايا مجتمعه ، ويرى المناسبات الوطنية العظيمة ، فيخفق لها قلبه ، ويتأثر بها وجدانه أعظم نفعاً من الشاعر الذي يحصر نفسه في نطاق مشاعره الفردية)) [1] .

ولذا فشعراء المناسبات في جازان ، وعلى وجه الخصوص العقيلي ، والسنوسي ، والعطاس ، والفيفيّان ، والنعمي ، وعلي بن مديش دأبوا على الاختلاط بالمجتمع

(١) التيارات الفنية في الشعر السعودي الحديث ، للدكتور طلعت صبح السيد : ١٦٣ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

اختلاطاً كبيراً ، وعبروا عن آماله وآلامه ، وشاركوه في عواطفه وميوله ، لدرجة أنهم صاروا لسان المجتمع المحلي الصغير والمجتمع الكبير المتمثل في الوطن ، والمجتمع الأكبر المتمثل في الأمة، وراحوا يفتخرون بالأمجاد .

وعلينا أن نتذكر ونحن نقف أمام شعراء المناسبات ، أنَّ النقاد الذين اتهموا هذا اللون من الشعر ، وهاجموه أرادوا في الأصل مهاجمة القديم في مظهر من مظاهره ، وهو شعر المناسبات ؛ كي يمهدوا الطريق لنظرياتهم التجديدية ، وسار خلفهم كثير من الكتاب في شن الحملة على هذا اللون من الشعر . الذي هو في حقيقة الأمر شعر كأي شعر ، فإن انبثق عن عاطفة صادقة جاء شعراً موفقاً يقبله الذوق ، ويرضى به ، ولا ضير عليه من أنه في المناسبة ، فلئن كان الشعر رسالة للحياة ، فما الحياة إلا مجموعة مناسبات ، وكل الشعر الوجداني والعاطفي إنما تدعو إليه مناسبة من المناسبات العاطفية من حب وإعجاب وتذكر وما إلى ذلك من العواطف التي هي البواعث الحقيقية لشعر القلب .

ولذا يقول الأستاذ محمد أحمد الحساني عند تقديمه لديوان (من وحي التأملات) للشاعر أحمد العطاس أحد المكثرين من طرق هذه التجارب : ((**ونحن ننظر إلى شعر المناسبات نظرة وسطاً ، فما يكون منه مكتمل الأدوات صادق النبرة ، فهو شعر مقبول ومستحسن ، سواء قيل في مناسبة خاصة أو عامة ، فالأهم هو أن ينفعل الشاعر بالموقف ويعبّر عن مشاعره بصدق عظيم .**

أما ما يصاغ من قصائد وأبيات في بعض المناسبات الخاصة والعامة على سبيل المجاملة وجبر الخاطر ، فهذا ما يمكن أن ندخله في دائرة النظم :

مما تقدم يتضح ... أنَّ الذي يرفض شعر المناسبات ينسى أولاً أنه بذلك يلغي تسعة أعشار الشعر العربي منذ العصر الجاهلي وحتى يومنا هذا ، مع ما تضمّه تلك الكنوز الفكرية والأدبية من روائع لم تزل الأجيال تقف أمامها معجبة ، بل مشدوهة ،

شبكة الألوكة - قسم الكتب

وكذلك ينسى الرافض لشعر المناسبات أنَّ الحياة كلها مناسبات ، وأنَّ الإنسان منذ الدقيقة الأولى التي يصافح فيها الأرض يعيش المناسبة تلو المناسبة ، سواء ما كان منها خاصاً به أو ما يتصل بغيره ممن حوله من الخلق)) [1] .

ومن هنا فلا ضرر على شاعر ، أي شاعر حين ينظم في المناسبة ؛ لأن أحداً لم ينتدبه للنظم ، وإنما هو الذي صرف همه عن مضامين كثيرة ، وآثر أن يتمثل العصر ، ويصور البيئة، ومن ذلك ما كان يحدث في مناسبات الأعياد والاحتفالات العامة في جازان ، فقد أخذ شاعر على عاتقه أن يبرز عواطفه ومشاركاته فيها ، وهو علي بن محمد السنوسي ، ولما مات أخذ الراية بعده شاعران متنافسان كانا كفرسي رهان في هذا المجال،هما محمد السنوسي والعقيلي ، كانا يتناوبان الإلقاء والمشاركة في جل المناسبات التي عاصراها ، وكان الناس ينتظرون هذه المشاركة منهما ، ويرجعون إليهما ، حتى أصبحا متحدثين نيابة عن ضمير المجتمع وآماله وتطلعاته ، ومن ثم حققا شيئاً مهماً من مهمة الشعر ووظيفة الشاعر في الحياة. فالأديب ((**مهما يكن من أمره كائن اجتماعي لا يستطيع أن ينفرد ، ولا أن يستقل بحياته الأدبية ، ولا يستقيم له أمر ، إلا إذا اشتدت الصلة بينه وبين الناس ، فكان صدى لحياتهم ، وكانوا صدىً لإنتاجه ، وكانوا مرآة لما يذيع فيهم من رأي وخاطر ، وما يغذوهم به من هذه الآثار الأدبية على اختلاف ألوانها))** [2] .

والحق أنَّ المناسبة تعدّ تجربة من أفضل التجارب ، ولا تقل أهمية عن غيرها من التجارب التي سبقت الإشارة إليها ، فهي تمثل موقفاً رحباً يعكس انفعالات (الأنا) ، ((**ويصور العلاقات البينية بينها وبين الآخر ، في مشهد شمولي رائع ، يتوحد فيه الوجدان ، وتتلاقى الانفعالات ، ويرفع فيه المبدع من قيمة (المثير الإبداعي) ، ذلك الذي اختاره من بين مئات الشرائح التي تتراءى له . فهو اختيار إيجابي مسؤول ، له بعده الانفعالي الصادق الذي يقوم – أول ما يقوم – على تأثر الشاعر بالحدث ، ثم تشكيله – أي الحدث – في مستوى من الصياغة الجمالية ، يوصله إلى جمهوره ، فيثير**

(١) من وحي التأملات ، للعطاس : ١ .
(٢) فصول في الأدب والنقد ، د. طه حسين : ٨ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

لديه نفس الانفعالات ، وكأنه يحكم بذلك أطراف العملية الإبداعية ، ويتحكم فيها عبر هذه المراحل ، بين تأثر وصياغة وتأثير ...)) [1].

**

وقبل أن أختم الحديث عن التجربة الشعرية في شعر جازان ، أودّ الإشارة إلى أنَّ للتجربة الشعرية أثرها الكبير على جميع عناصر الشعر الأخرى ؛ كبناء القصيدة والأسلوب والصورة والموسيقا ، وعرض تلك العلاقات هنا قد يكون فيه شيء من التكرار لما سيأتي في تفصيل تلك العناصر . فقوة التجربة وضعفها مرتبطة بقوة تلازم تلك العناصر أو ضعفها، سواء بسواء ، ومن هنا كان الغموض في شعر الحداثة سبباً من أسباب ضعف تلك التجارب وافتقادها لخيط من أهم الخيوط التي تربطها بالقارئ، ومن ثم تظل التجربة الغامضة – في أكثر الأحيان – حبيسة نفس قائلها ، حتى وإن ظن أنه أوصلها إلينا ، وتظل مجالاً رحباً لكثير من التأويلات غير الممثلة لحقيقة ما أراده الشاعر فعلاً ، ومن ذلك مثلاً تجربة محمد مباركي غير الواضحة في قصيدته (قبيل امتهان الذبول) [2] ، وكذلك قصيدته (حرية المحتضرين) [3] ، فليس هناك أي علاقة بين ما جاء في القصيدة وعنوانها ، إلا آخر كلمة فيها (حرية المحتضرين) . وعلى رغم أنَّ الشاعر قد قدّم لهذه القصيدة بتهجمه على النقاد البهاليل – كما سماهم – وأنهم قد تجاهلوه ، ولم يوسعوا له المكان اللائق به في ساحة الشعر، ولكني وجدتُ بعد قراءتي لتلك القصيدة أكثر من مرة أنَّ أولئك النقاد كانوا على حق ، وأنهم يرتكبون خطأ فظيعاً إن هم أشادوا بمثل هذه التجارب المتهالكة على الغموض، والموغلة في خداع المتلقي باجترار الألفاظ المجلجلة المنتقاة من غريب لغة العرب ، التي لم يعد لها وجود في القاموس المعاصر .

(١) مفاهيم نقدية يجب تصحيحها ، مقالة للأستاذ الدكتور : عبدالله التطاوي ، مجلة الجعبة ، ع ٣ صفر ١٤١٦هـ.
(٢) تماهي منبت : ٦ – ٧ .
(٣) المصدر السابق : ٢٠ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

الفصل الثاني
الشكل الشعري

١. بناء القصيدة .
٢. اللغة
٣. الصورة الفنية .
٤. الموسيقى الشعرية .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

١- بناء القصيدة :

يتناول هذا المبحث بعض القضايا الرئيسة التي تمثل الهيكل الذي تقوم عليه القصيدة ، وتعتمد لدى شعراء جازان ، ومن أبرز تلك القضايا أو المحاور ، المطلع والمقدمة والوحدة وطول النص أو قصره ، والخاتمة ، وما يتعلق بها من أمور مساندة ومكملة ، وتفصيل ذلك فيما يلي :

أ- المطلع :

يعد المطلع من أهم أجزاء القصيدة ، فهو أول ما يواجه السامع منها ، وقد عُني نقادنا القدماء عناية خاصة به ؛ ذلك لأن المطلع من دلائل البيان كما يقول أبو هلال العسكري [١] ، فينبغي أن يحرص الشاعر الحاذق على أن يكون مطلعه مونقاً ومؤثراً .

وإذا كان المعيار الجمالي في المطالع ، هو أبرز ما عُني به أولئك النقاد ، فإنهم أضافوا: أن يكون دالاً على المعنى المقصود من النص [٢] ، وأن يصدر ((**بما يكون فيه تنبيه وإيقاظ لنفس السامع ، أو أن يُشرب بما يؤثر فيه انفعالاً ، ويثير لها حالاً من تعجيب أو تهويل أو تشويق أو غير ذلك** ..)) [٣] ؛ ليكون ذلك داعياً إلى الإصغاء والاستماع إلى ما بعده .

وعندما نتأمل مطالع شعراء جازان التي افتتحوا بها قصائدهم ، نجدهم قد أفادوا كثيراً من معايير القدماء في نظرتهم إلى ما ينبغي أن يشي به المطلع ، وأضافوا إليها، وحرصوا كذلك على أن تتضمن المطالع صوراً معبرة ، أو معانٍ مبتكرة ، أو أساليب إنشائية لافتة ، مع عدم خلوها من الشحنات العاطفية المؤثرة .

فمن معالم سير الشعراء وفق رؤية الأقدمين حرصهم في مطالعهم على تطبيق القاعدة المشهورة (مطابقة الكلام لمقتضى الحال) ، فكانت مطالعهم كثيرا ما تومىء إلى موضوع القصيدة ، بل دأب كثير من الشعراء على اتخاذ عنوان القصيدة من مطلعها ،

(١) انظر : كتاب الصناعتين ، تحقيق : د. مفيد قميحة : ٤٨٩ .

(٢) انظر : العمدة ، لابن رشيق القيرواني ١/ ٢١٨ .

(٣) منهاج البلغاء وسراج الأدباء ، لحازم القرطاجني ، تحقيق : محمد الحبيب بن الخوجة : ٣٠٩ – ٣١٠ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

وهو دليل احتفال بالمطلع ، ومن ذلك صنيع السنوسي في قصيدته (ياربيع الحياة) ، حيث قال في مطلعها :

يا ربيع الحياة أين ربيعي　　أين أحلام يقظتي وهجوعي [1]

ومن تلك المراعاة لمقتضى الحال ، هو أن لا يطرب الشاعر في رثاء ، ولا يتشاءم في مديح ، وأن يحرص على أن يكون البيت الأول من القصيدة موجزاً الفكرة التي تتناولها ، فمثلاً نجد السنوسي لما وقف يتأمل الحياة وعجيب أمرها ، وحال أهلها الذين لم يقتنعوا بما قسم لهم فيها ، نجده يخرج لنا بقصيدة أوجز فكرتها في أول بيتٍ منها ، بل في أول شطر منه[2] ، وذلك في قوله :

هي دنيا كما تراها عجيبه　　كل حي يذم فيها نصيبه[3]

والسنوسي من أكثر شعراء جازان احتفالاً بمطالعه ، والتفنن فيها ، وجعلها أهم المفاتيح التي يؤثر بها على قارئ شعره ، ووصل به الأمر أن يلخص فكرة النص في أول كلمة من المطلع ، كما في قصيدة (إفاقة) ، حيث يقول :

سرابٌ وإلا كيف لا ينفع الصدى　　شرابٌ أضعت العمر في رشفه سدى[4]

فلو تأملنا القصيدة لوجدنا أنها في النهاية تصور لنا سير الناس في الحياة وموت الآمال، وانتهاء الصراع المحتدم ، نجد كل تلك المعاني تجمعها كلمة (سراب) ، ولا يمكن لكلمة أخرى أن تؤدي ما أدته .

((ويبدو أن الشاعر قبل كتابته لمثل هذه القصائد يفكر ويتصور المعنى العام لموضوع قصيدته ، فيطلق فكرته العامة في كلمة أو عبارة يبدأ بعدها بسط أفكاره)) [5] .

---

(١) الأعمال الكاملة : ٤٠١ .

(٢) انظر : محمد بن علي السنوسي حياته وشعره – رسالة ماجستير غير منشورة – : ٢٠٠ .

(٣) الأعمال الكاملة : ٣٩٥ .

(٤) المصدر السابق : ٣٦٢ .

(٥) محمد بن علي السنوسي حياته وشعره ، لمحمد القسومي : ٢٠٠ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ولزوم التصريع [1] في المطلع عادة شعرية أصبحت من رسوم متبعي القدماء ، لا يكاد يغفلها أكثر المقلدين والمحافظين وبعض المزاوجين بين المحافظة والتجديد ، بل إنَّ هناك عدداً من الشعراء لم يتخلوا عن التصريع في أي قصيدة من قصائدهم ، كمحمد بن أحمد العقيلي [2] ، وعلي بن قاسم الفيفي ، وعلي بن أحمد النعمي في أكثر قصائده ، فديوانه (عن الحب ومنى الحلم) – مثلاً – جاءت كل قصائده مصرّعة المطالع ما عدا أربع قصائد ، هي (الزهرة والشاعر) ، و (رسائل إليها) ، و (في جحيم الانتظار) ، و (الصلب على جسر الحب) [3] ، بينما نجد أنَّ السنوسي قد عمد إلى تصريع أكثر مطالع قصائده ، وعند تأمل أعماله الشعرية نجد أنها لم تخل من التصريع سوى ثلاث عشرة قصيدة فقط ، وبذلك تصل نسبة التصريع في مطالعه إلى (٩٣.٥٪) [4] . ومن أمثلة ذلك الحرص على التصريع قول السنوسي في قصيدته (هموم الحياة) :

يـا همـوم الحيـاة إنَّ فـؤادي لا يباليك فاقصري أو تمادي [5]

على أنَّ الشعراء المحافظين كالسنوسي والعقيلي وأمثالهما قد خرجوا على النمط القديم الذي ألفه من سبقهم من الشعراء المقلدين ، كعلي السنوسي ، والمعلمي ، والعمودي، وغيرهم ، فمن مطالع هؤلاء المتقدمين تشم رائحة الغزل ووصف الأطلال، وتشم في كثير منها روائح الشيح وأريج القيصوم ، وترى فيها الأطلال والرسوم ، ومن ذلك قول علي السنوسي في مطلع إحدى مدائحه :

قد جبت أجواز الفلا والمعمر حتى انتهيتُ إلى الكثيب الأحمر [6]

(١) التصريع هو أن يقسم البيت نصفين ، ويجعل آخر النصف من البيت كآخر البيت أجمع .
(٢) لم يخرج العقيلي عن ذلك سوى في قصيدة واحدة هي (فلسفة الجمال) . انظر : المجموعة الشعرية : ٦٨٩ .
(٣) انظر عن الحب ومنى الحلم الصفحات على التوالي : ٧ ، ٢١ ، ٦٦ ، ٩٨ .
(٤) انظر : محمد السنوسي حياته وشعره ، للقسومي : ٢٠١ .
(٥) الأعمال الكاملة : ٧٥٥ .
(٦) المفقود من شعر علي بن محمد السنوسي ، جمع : د. أبو داهش : ١٣٩ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

بينما نجد أنَّ مطالع المحافظين ومن جاء بعدهم قد تجاوزت تلك الرسوم ، وذلك بأن يبدأ الشاعر بالدخول إلى هدفه مباشرة ، ومحاولة تكثيف المطلع ليشي بمضمون القصيدة – كما تقدم – ، ومن ذلك قول العقيلي في حفل التبرع للجزائر :

حاضرٌ مشرق الصحائف زاهر　　فيه مستقبل العروبة باهر (١)

ومثله مطلع قصيدته (سان فرنسيسكو) :

يا سان فرنسسكو ماذا يلهم الشاعر　　من أفقك الطلق أو من شطك الساحر (٢)

ومن ذلك – أيضاً – قول علي بن قاسم الفيفي في مطلع قصيدته (تطوير فيفا) التي أنشدها مرحباً بالأمير محمد بن تركي السديري :

أبا تركي تحييك الألوفُ　　ويزهر باللقا حقل وريف (٣)

ويبدو أنَّ المطالع من أبرز جواذب التأثر بالقصائد المشهورة في الأدب القديم ؛ لكثرة ما تطرق السمع ، فتثير الإعجاب ، ومن ثم ترسخ في النفس ، حتى إذا وجدت لها مناسبة مشابهة انطلقت من عُقلها ، وأصبحت القالب الجاهز للشاعر يصبّ فيه مشاعره ، وقد استوى في التأثر بجواذب تلك المطالع المقلدون والمحافظون والمزاوجون وسواهم ، فمن الأمثلة على وجود هذا الملمح في مطالع المقلدين قول علي السنوسي في مطلع إحدى مدائحه للملك عبدالعزيز :

أجلُّ مساعيه العناية بالهدى　　وغاية مرماه النكاية بالعدا (٤)

فهو متأثر بمطلع المتنبي في داليته التي مدح بها سيف الدولة سنة ٣٤٢هـ ، وذلك المطلع هو :

---

(١) المجموعة الشعرية : ٦١٢ .

(٢) المصدر السابق : ٦٤٩ .

(٣) الطيف العابر : ٤٥ .

(٤) المفقود من شعر علي بن محمد السنوسي ، جمع د. أبو داهش : ١٢٣ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

لكـل امـرئ مـن دهـره مـا تعـودا وعادات سيف الدولة الطعن في العدا[1]

ومن أمثلة وجود ذلك التأثر لدى الشعراء المجددين ، ممن زاوجوا بين الشعر المقفى وشعر التفعيلة ما جاء في مطلع قصيدة (أوراق لم تقرأ بعد) لإبراهيم مفتاح ، حيث يقول:

عم صباحاً – أيهذا الربع – مفتتح الكلام

ابتداء لحكايات من العشق قديمه [2]

فالشاعر ذكرنا ببيت الشاعر الجاهلي امرئ القيس في قوله :

ألا انعم صباحاً أيها الطلل البـالي وهل يعمن من كـان في العصر الخـالي[3]

ولا شك أنَّ التأثر بقالب النص الموسيقي ، الذي يجذبه المطلع ، يشير إلى التأثر ببقية النص ، وهو ما حدث في تلك النصوص وما شابهها .

ومن مظاهر تأثر الشعراء بالقدماء في مطالعهم ظهور النغمة الخطابية ، لا سيما في قصائد المديح وما ماثلها من قصائد المناسبات ، وعلة ذلك أنَّ أغلب تلك القصائد كانت تنشد في المحافل والأعياد واللقاءات الموسمية ، ومن ذلك مثلاً قصيدة (فرحة الجنوب) للسنوسي التي أنشدها في الحفل التكريمي الذي أقيم للملك سعود عند زيارته لجازان ، حيث جاء في مطلعها :

في هالةٍ من شعاع الروح تـأتلقُ نـور الخلافة في برديك ينبثـقُ [4]

ومثله قول محمد العقيلي في مطلع قصيدته (مدينة الرياض) التي ألقاها بمناسبة حفل تكريم الفائزين بجائزة الدولة التقديرية سنة ١٤٠٥هـ :

(١) شرح ديوان المتنبي (معجز أحمد) ، للمعري : ٣/ ٣٧٢ .
(٢) احمرار الصمت : ٣٧ .
(٣) الشعر والشعراء لابن قتيبة ، تحقيق : أحمد شاكر : ١/ ١٠٧ .
(٤) المنهل ، مج ١٥ ، ج ٣ ، ربيع الأول ١٣٧٤هـ ، ومحمد بن علي السنوسي حياته وشعره ، لمحمد القسومي : ٣٠٦ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

أشرقت في غلالة من ضياء　　كوكبا ساطع السَّنى والسَّناء [1]

ويقول في قصيدته (عنوان البطولة) التي أنشدها في حفل استقبال الأمير سلطان بعد شفائه من مرض :

المجد والعزم والإفضال والكرم　　والسَّيف والمدفع الرَّعَّاد والعلم [2]

ونلمح في المطالع السابقة وغيرها الحرص على الفخامة ، والجلجلة ، وتوخي الجزالة، واختيار الكلمات المضعّفة في مبناها ، المزدحمة بحروف الاستعلاء والقلقلة ، ومحاولة التهويل في المطلع – أحياناً – أكثر من استيعاب الحدث له ، فيكون ذلك مدعاة للضعف وفتور عاطفة الشاعر بعد المطلع ، إذ قد يستنفد جلَّ طاقته ، ومن ذلك مثلاً ما جاء في قصيدة (بيروت الحدث والموقف) ، حيث يبتدئ علي النعمي قصيدته بالتهويل والقسم في المطلع وما تلاه ، وما أن يصل إلى المقسم عليه حتى يهوي إلى السطحية ؛ لأنه ضخّم الصورة أكثر مما يحتاج إليه السياق ، يقول :

قسماً برب التين والزيتون　　ومنزل الإخلاص والماعون
قسماً برب العاديات وبالضحى　　والكهف والإسرا وسورة نون
قسماً يهز تخوم أجواز الفضا　　أنا فقدنا الحزم منذ سنين [3]

ففقدُ الأمة للحزم منذ سنوات طويلة لايحتاج إلى كلّ هذه الأيمان المغلظّة التي أفسدت مطلع القصيدة ، وخيّمت على سائر جو النص بأكمله ، وجلبت إليه الوهن والضعف ، فالأيمان لا تكون إلا على أمر مشكوك فيه ، أو متنازع على ثبوته ، أما هذا الأمر الذي أقسم عليه الشاعر فهو أمر معروف ، بل ومتفق عليه .

وقد يعتري الوهن مطالع بعض القصائد لدى الشعراء ؛ بسبب عدم مراعاة جو

(١) المجموعة الشعرية : ٦١٧ .
(٢) المصدر السابق : ٦٧١ .
(٣) الرحيل إلى الأعماق : ٦٦ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

النص، أو الشحنات العاطفية الفعلية التي كانت تسيطر على الشاعر ، أو من عدم تقدير أهمية المطلع وأثره على نفسية المتلقي ، ومن ذلك ما جاء في مطلع قصيدة (عيناك في وقت الرحيل) لحسين النجمي ، القصيدة التي جعل عنوانها عنواناً لديوان بأكمله ، يقول في المطلع :

زيف الرؤى في مقلتيك يقول : إنك تكذبين

وصدى الكلام على شفاهك ذاب من رجع الأنين (١)

فهذا مطلع غير موفق لقصيدة غزلية وعاطفية تتحدث عن الوداع ولواعج الفراق ، وليس فيها ما يشير إلى الغدر أو الخداع ، فكيف يبدأها بقوله : (تكذبين) ، إنه من سوء الطالع ، وشؤم البدايات حينما يخاطب الحبيب حبيبه بمثل هذه اللهجة .

وقد يعتري بعض المطالع الوهن والضعف لأسباب لغوية أو معنوية ، فمن ذلك قول السنوسي في قصيدته (رصيد الحياة) التي جاء في مطلعها :

رصيدك في بنك الحياة غرور إذا لم يغطيه تقى وضمير (٢)

فالشاعر لم يحذف حرف العلة من الفعل المضارع المسبوق (بلم) ، فضلاً عن إقحام ألفاظ غير شعرية مثل : (رصيد) ، و(بنك) ، و(يغطيه) المتعلقة بعالم المال والأعمال .

والشاعر حسين كريري يقول في مطلع قصيدته (وقفة تأمل) :

ألم في سائر الجسم يسري والتهابٌ في ركبتيَّ وظهري (٣)

فهو مطلع لا يمت إلى لغة الشعر بسبب ، وفيه سذاجة واضحة ، وغير متوائم مع جو النصّ ، فالشاعر هنا نسي أنه يخاطب القراء ويفصح عن مشاعره بلغة راقية ، حتى لكأنما هو داخل على طبيب في عيادته يشكو إليه أوجاعه وعلله .

وإذا كان كثير من شعراء جازان قد تأثروا بالقدماء في مطلعهم ، فإنَّ عدداً منهم لاسيما من الشعراء المزاوجين بين المحافظة والتجديد ، قد تأثروا بروح العصر الحديث

(١) عيناك في وقت الرحيل : ٢٣ .
(٢) الأعمال الكاملة : ٥٤١ .
(٣) زورق الشوق : ٧٨ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

في بناء مطالع قصائدهم ؛ فلم يظهر في أكثرها اهتمام بذلك التصريع الذي عني به القدماء ، بل أصبح عدم التصريع هو الأصل في مطالعهم ، ومن هؤلاء الشعراء أحمد الحربي ، فمن ذلك ما جاء في مطلع قصيدته (الأمس) ، حيث يقول :

قف أيها الصوت المغرّد في فمي　　وانصت فديتك لا تثرْ أشواقي (١)

بل إنَّ عدداً من الشعراءالمحافظين قد سار في هذا الاتجاه في محاولة للخروج على نمطية المطلع القديم كالسنوسي والنعمي والشنقيطي ، ومن ذلك ما جاء للأخير منهم في مطلع قصيدته (شاعر) ، حيث يقول :

طواني الليل وانتعشت شجوني　　وغاب الصوت وانقطع الكلامُ (٢)

ونلحظ أيضاً شيوع **التدوير** (٣) في كثير من مطالع القصائد ، لا سيما لدى الشعراء المزاوجين وبعض شعراء الحداثة ، وكثر ذلك في المقطوعات الشعرية التي كثرت لدى هذين الجيلين ، على أنَّ تدوير المطلع يفقده كثيراً من أبّهته وبريقه ، ومزيّته الخاصة به كمفتاح للنص ، ويغدو كأي بيتٍ آخر من أبيات القصيدة ، نلمس ذلك في مثل قول محمد مباركي في مطلع قصيدته (الراووق الخصيم) :

قارفتك الذنوب يا باسقاً كالـ　　ـآه ، فابتلَّ بالظلام السراج (٤)

أو في قوله في مطلع قصيدة (الخيال الشرود) :

هينمت في صبابة الكأس أحلا　　م صباها فأترعته حنيناً (٥)

ولعل من أسباب عدم اهتمام الشعراء المعاصرين باستقلال المطلع أو جاذبيته وأثره وحسن موقعه في القصيدة نظرتهم إلى النص على أنه وحدة مستقلة ، ومن ثم

(١) رحلة الأمس : ٥٦ .
(٢) خلف أسراب البجع : ٥١ .
(٣) البيت المدور هو الذي تجمع بين شطريه كلمة واحدة في منتصفه .
(٤) للصعاليك فقط : ٢١ .
(٥) المصدر السابق : ٧٠ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

رأينا كثيراً منهم ربط البيت الأول بما بعده ، ووصله بالأبيات التالية معنوياً ، وهو ما يعرف بـ(التضمين)[1] ، فكان من الطبعي ان يتكون المطلع – أحياناً – من أكثر من بيتٍ واحد، فربما تشكل من بيتين مترابطين في المعنى أو أكثر ، وربما كان المطلع مقطعة صغيرة في بداية النص .

ومن معالم تأثر شعراء جازان بالشعراء المعاصرين في مطالعهم بدء المطلع بحرف العطف ، وكثر ذلك لدى شعراء التفعيلة ، ومن ذلك قول حسين النجمي في مطلع قصيدة (هل تدرين بليل الغربة) :

وترتعشين ..
كليل الغربة في الأحداق
وتمتشقين
الحزن ضياء
ورؤى وطيوفاً
تزهر في ورد الإشراق[2]

والشاعر عندما يبدأ بهذا العطف يشير إلى أنَّ هناك معانٍ كثيرة ، وأحداثاً مثيرة قد وقعت ، وهو يكملها بما يرى أنَّ له أهمية في وجدانه ، ويفترض أنَّ القارئ قد أدرك تلك المشاعر والمعاني المتروكة ، وبالتالي لا داعي لذكرها .

ب- مقدمة القصيدة :

المقدمة تلك البوابة التي لم يستطع أغلب الشعراء التخلّص منها ، ولا نعني هنا – بالطبع – المقدمة الغزلية أو الطللية ، بل أية مقدمة يستخدمها الشاعر للتمهيد لموضوعه ، إنها بمثابة (أما بعد) في الخطب أو الرسائل ، وهدف الشاعر من ذلك هو صرف الوجوه

(١) التضمين : هو أن تتعلق القافية أو لفظة مما قبلها بما بعدها . انظر : العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده ، لابن رشيق ، تحقيق : محمد محيي الدين عبدالحميد : ١/ ١٧١ .
(٢) عيناك في وقت الرحيل : ١٥ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

إليه ، ومحاولة إيجاد المشاركة النفسية والصلة بينه وبين المتلقي ، والشاعر المعاصر مهما تنوعت مقدمات قصائده ، فهو لا يبعد كثيراً عن ذلك الهدف الذي سعى له الشاعر القديم عندما استهل قصائده بالغزل أو النسيب ، ذلك الهدف الذي أشار إليه ابن قتيبة بقوله : ((**وسمعت بعض أهل الأدب يذكر أنَّ مقصّد القصيد إنّما ابتدأ فيها بذكر الديار والدِّمن والآثار ، فبكى وشكا ، وخاطب الربع ، واستوقف الرفيق ؛ ليجعل ذلك سبباً لذكر أهلها الظاعنين عنها ...ثم وصل ذلك بالنسيب ، فشكا شدّة الوجد ، وألم الفراق ، وفرط الصبابة والشوق ؛ ليميل نحوه القلوب ، ويصرف إليه الوجوه ، وليستدعي به إصغاء الأسماع إليه ؛ لأن التشبيب قريب من النفوس ، لائط بالقلوب ...**)) [1] .

ولدى تأمل مقدمات شعراء جازان ، نجد أنَّ أغلب الشعراء المقلدين والمحافظين قد استعان بالمقدمة للتمهيد لغرضه ، وهم في ذلك متفاوتون بين مقل ومكثر ، ومطنبٍ وموجز، فالشاعر علي بن محمد السنوسي اعتمد في أغلب قصائده على المقدمات الغزلية التقليدية ، المبنية على الحوار بين الشاعر ومحبوبته المتوهمة ، ومن ذلك – مثلاً – قصيدته الميمية التي قالها في مديح الملك عبدالعزيز ، ومما جاء في تلك المقدمة قوله :

قالت : وساجعة الرُّبى تترنّمُ　　سحراً وسُمَّاري جميعاً نُوَّمُ
مالي أراك من التفكّر واجماً؟　　لا تشتكي وجعاً ولا تتكلَّمُ
فأجبتُها والدمع فوق محاجري　　متبسماً ما حالُ مثلي يُعلمُ
قالت : وربِّك والعجائبُ جَمَّةٌ　　شتَّى وأغربُها البكا وتبسُّمُ
كيف ابتسامُكَ لي ودمعُكَ هاطلٌ　　هذا يؤكدُ لي بأنَّك مغرمُ [2]

واستغرقت هذه المقدمة الحوارية الغزلية خمسة عشر بيتاً ، ولم يكن ليتوقف لولا أنَّ تلك المحبوبة زجرته عن قول الشعر ، ولكنه أبلغها أنَّ لا قدرة له على ذلك ما دام

(١) الشعر والشعراء ، لابن قتيبة : ١/ ٨٠ – ٨١ .
(٢) المفقود من شعر علي بن محمد السنوسي ، جمع وتحقيق ، د. عبدالله أبو داهش : ١٠٧ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

هو في حمى ذاك المليك الذي يعذب الشعر فيه وفي مكارمه ، يقول :

قالت : وأين حماه ؟ قلت : بديهةً حيثُ الخلافةُ واللِّوا والمخَيمُ
قالت : وبيّن لي ، فقلت : مبادراً ملك أضاء به الزمانُ المظلمُ
قالت: وزدني الوصف، قلتُ صراحةً سلطانُنا عبد العزيز الضَّيغمُ (١)

وهذا الطول في المقدمة يفقد القصيدة جودتها وصدقها ، إذ يظل الشاعر يبحث عن شكلٍ مفتعل يدلف منه إلى النص ، بل وقد لا يحسن التخلص من هذا التقديم الطويل ، ويظل يراوح مكانه ، ونعجب أشد العجب حينما نجد أنَّ قصائد علي السنوسي – أحياناً- تكون فيها المقدمة مساوية للغرض الرئيس أو تتجاوزه ، وأحياناً لا يستطيع أن يحسن التخلص ، كما جاء في قصيدته التي مدح بها تركي بن محمد بن ماضي، فإنه بعد مقدمة طويلة تحدث فيها عن الفتيات اللائي ألهبن مشاعره عند (المطلَّع) ، وفي آخرها يحاول التخلص إلى الممدوح ، ولكنه لم يستطع التخلص بسهولة من الفتاة التي علق بها فؤاده ، فيقول :

بيضاء ناعمة كأنّ جبينَها شفقٌ وغرَّتَها كصُبحٍ مسفرِ
حورية يحلو الغرام بودها حتى الممات وفي قيام المحشرِ
تلك التي حكمت عليَّ بحبها حكم ابن ماضي في قبائل حميرِ (٢)

ولم يكن الشاعر ليقع في تلك المبالغة غير المقبولة في البيت الثاني لولا حرصه على هذه المقدمة الغزلية المفتعلة ، والمجتلبة من عصور الضعف والتقليد الممقوت ، بل إنَّ الشاعر قد أساء إلى حكم ابن ماضي في قبائل حمير ، حين ساواه بحكم تلك المحبوبة عليه ، وهو حكم لم يكن أصلاً ، وإنما هو مجتلب للزينة والتجميل وأداء واجب التقليد والصنعة المتكلفة فحسب .

وقد حاول عدد من الشعراء الخروج على نمطية التقديم بالغزل أو وصف الأطلال ، وذكر الرحلة إلى الممدوح ، واستبدال ذلك بأنماط جديدة نوعاً ما ، فبدلاً من

(١) المصدر السابق : ١٠٩ .
(٢) المصدر السابق : ١٤٥ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

التقديم بالغزل جاء بعض الشعراء بوصف طبيعة منطقة جازان ، أو الطبيعة عموماً ، وذلك كثير في شعر محمد العقيلي ، حيث وصف جبال المنطقة وسهولها وسواحلها وشواطئها ، وتغنّى بما شهدته بعض معالمها من أمجاد وتطور ، ولم يكن هذا بدافع الهرب من الحياة ، والهيام بالطبيعة كما هو الحال عند الرومانسيين ، بل بدافع البحث عن الجمال، ورصد مظاهره ، ولفت نظر المتلقي إلى ذلك ، ومحاولة تزيين المقدمة ؛ لتكون تهيئة ملائمة للانتقال إلى الغرض الأصلي الذي جاءت القصيدة من أجله ، فهو في بعض قصائده يصف الروض مازجاً بين صوره وصور أخلاق ممدوحه مثلاً ، ومن ذلك ما جاء في قصيدة حيَّا فيها الأمير أحمد بن عبدالعزيز عند إحدى زياراته لجازان ، يقول :

تجلى بجازان نور القمر　　مضيئاً على أفقه يزدهر
وأرخى السرور على جوها　　جمال الورود ونفح الزهر
وفاض على القطر نور الضحى　　مباهج من نسمات السحر
وماست على جنبات الطريق　　زهور الربى وغصون الشجر
تخايلت الأرض في زينة　　وفاض السرور بها وانهمر
تقابل أحمد مزهوة　　وتلمس منه السنا والظفر
ترى في ابن عبدالعزيز الجلال　　يجسده في جمال البشر (١)

وبقيت الرحلة إلى الممدوح إحدى ركائز المقدمات ، ولكنها لدى شعراء فرسان أمست رحلات بحرية يصارع الشاعر فيها الرياح والأمواج ، ويقاوم الأهوال والأخطار ، ودليله إلى ممدوحيه النجوم والآمال العراض ، ومن ذلك على سبيل المثال ما جاء في قصيدة (تهنئة واعتذار) للشاعر إبراهيم صعابي التي ألقاها في الاحتفال الذي أقامه أهالي جازان احتفالاً بتعيين الأمير محمد بن تركي السديري أميراً عليها ، يقول في مقدمة القصيدة :

من حفيف النخيل خلف البحار　　صغت لحني وأورقت أشعاري

(١) المجموعة الشعرية : ٦٧٧ – ٦٧٨ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وعلى معزفي شدوت بلحني وأذبت الشجون في أوتاري
وتجشمت في سبيل وصولي ما نعاني من قسوة التيار
واقتحمت الرياح والبحر طاغٍ فتحدى هياجه إعصاري
لم أبال الظلام والليل داجٍ وعلى البحر قد فرضت انتصاري
ودليلي إليكمُ كان نجماً لاح في الأفق فاستبنت نهاري
في خيالي لآلئ ضاحكات وسمائي تشع منها الدراري [1]

وعلى الرغم من اختفاء تلك المقدمات التقليدية من أشعار عددٍ من الشعراء المعاصرين الذين ثاروا عليها وعلى الرسوم المصاحبة لها ، فإنَّ عدداً آخر ظل يعيش الصراع بين إبقائها ونبذها ، فتجده أحياناً لاشعورياً يقع فيها ، مجتراً معها حتى الألفاظ القديمة المتمثلة في وسائل الربط المألوفة لدى الشعراء الجاهلين ومن تلاهم ، مثل (ياصاحبي ، قفا نبك ، وخليلي) وغيرها ، نجد ذلك عند المحافظين والمجددين على حدٍ سواء ، فمثلاً من شعراء التفعيلة وقصيدة النثر نجد إبراهيم زولي يميل إلى ذلك أحياناً ، وقصيدة (صاحبيّ) تمثل هذا ، إذ يقول :

صاحبيّ دنا الليل
هيا اسمرا قُرْبَ روحي
السراج الذي كان
يفضَحُنا بلسان الشعاع انطفا
واختفى
سرّنا للأبد

أنتما سعف العين
يا صاحبيّ القرى

(١) عتاب إلى البحر : ٢٨ – ٢٩ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

اكسرا فرع قلبي ونوحا عليه
ليس وحدكما في الفؤاد
قفاكي نموت على ضفتيه [1]

على أنه مما يحمد لكثير من شعراء جازان المحافظين والمزاوجين بين المحافظة والتجديد الخروج على نمط المقدمة التقليدية ، ومحاولة ربط المقدمة بالموضوع نفسه ، وشحنها بتدفق عاطفي ملحوظ ، ومحاولة تركيزها وتكثيف معانيها ، وتقديمها لقيمٍ معنوية مهمة تساعد القارئ على التفاعل مع الشاعر والتدرج به إلى الهدف من التجربة، وبإمكاننا إدراك ذلك من خلال تأمل مقدمة قصيدة (حصاد الغربة) لعلي النعمي ، حيث بدأها بمخاطبة فؤاده ومناداته ومحاولة التصبر أمام الحياة وأهوالها ، وكأنه يريد إشعارنا بما لحقه من آلام في غربته، ومن قسوة الحياة عليه في وحدته ، يقول :

يا فؤادي يكفيك هذا الوجيبُ　　فتصبّر فالليل ليلٌ رهيبُ
أترى يمسح الدموع أنينٌ　　أم ترى يرقأ الدماء نحيبُ ؟
فالحياة الحياة ما رفَّ فيها　　أمل باسم السمات رحيبُ
إنها لم تزل كشمطاء شاهت　　وتبدّى في ناظريها القطوبُ [2]

ثم بعد ذلك يدلف الشاعر إلى غرضه الرئيس ، مبيناً مظاهر الحرمان وأنواع المصاعب التي سببت له تلك المعاناة والمرارة ، وما لحقه من متاعب الغربة ، ونلحظ أنَّ المقدمة أضحت جزءاً من النص لا يمكن فصله أو التقليل من قيمته ، وهذا لم يكن مألوفاً أو موجوداً لدى المقلدين أو شعراء البدايات عموماً .

(١) رويداً باتجاه الأرض : ٨٣ .
(٢) الأرض والعشق : ٦٢ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وإذا كانت القصيدة الخليلية قد حاولت الخروج على نمطية المقدمة ، وحاول منشئوها محاولات جادة في ذلك ، فإنَّ قصيدة التفعيلة قد نجحت في تجاوز المقدمة ، وبلغت شوطاً بعيداً في هذا السبيل ، إذ نجد عدداً من شعراء جازان ممن سلكوا هذا اللون من الأشكال البنائية يدخلون إلى قصائدهم مباشرة دونما تقديم أو تهيئة ، ومرد ذلك إلى كون كثيرٍ من الشعراء المعاصرين (المجددين) قد أولعوا بوحدة القصيدة وتشابك أجزائها ، ومن ثم طرقوا هذا المجال ، ومن أولئك الشعراء إبراهيم مفتاح في كثير من تجاربه ، فقصيدته (جزيرتي ولحظة الوداع) يبدأها قائلاً :

جزيرتي .. أحببتُها
الشمس في أكفّها أساور
والليل فوق رأسها ضفائر
وقرطها الشفق

*** ***

نجومها على جبينها قُبَل
وطلُّها المشتاق
في شفاهها يعاقر الغزل (١)

فأول ما نلحظه –هنا – اختفاء المقدمة ، الدخول مباشرة في الموضوع ، وهو بيان مشاعره تجاه جزيرته وقيمتها في نفسه ، ثم يدخل في مجالات جديدة من الصور لم تكن لتتيسر له – على الأغلب – في القصيدة الخليلية ذات القوافي ، لكنها – أي القصيدة التفعيلية – هنا لم تستطع أن تحلّق بنا إلى غنائية القصيدة الخليلية التي تصلح لمثل هذه التجارب الوجدانية ، ومن ثم لا بد من أن يحقق الشاعر – أي شاعر – الانسجام التام بين الشكل والمضمون ، ويعطي كل نوع من التجربة ما تحقق من الشكل البنائي الملائم وفق ذوق العصر ، وأثر التجربة على ذاتيه ، ومدى ما يتمتع به من قدرات فنية وذائقة متميزة .

(١) احمرار الصمت : ٢٦ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

جـ - الوحدة :

تعد الوحدة في القصيدة من أهم معالم التجديد في الشعر العربي الحديث ، وهي بمثابة الخيط الذي يجمع حبات المسبحة ، وهي الرابط بين عناصر التجربة المختلفة ، وقد اهتم النقاد المعاصرون بالوحدة بشكليها وحدة الموضوع والوحدة العضوية ، وقد أخذت مدرسة الديوان على عاتقها دعوة الشعراء إلى الاهتمام بالوحدة العضوية ، ورأوا أنَّ القصيدة لا تعدّ جيدة إذا كانت مبنية على وحدة البيت ، وأنَّ القصيدة كل لا يمكن أن يجزّأ أو يفصل بعضه عن بعض .

والناظر إلى حديث النقاد عن هذه الوحدة يجد أنَّهم قد سبقوا إلى هذه الدعوة ، وأنَّ نقادنا القدماء قد ألمحوا إليها في كثير من نقداتهم الفنية ، وإن لم ينضج مفهومها عندهم كما هو الآن ، ومن أهم تلك الإشارات المهمة قول محمد بن الحسين الحاتمي (ت ٣٨٨ هـ): ((**مثل القصيدة مثل الإنسان في اتصال بعض أعضائه ببعض ؛ فمتى انفصل واحد عن الآخر، وباينه في صحة التركيب ، غادر الجسم ذا عاهةٍ تتخَّون محاسنه، وتعفّي معالمه...**))[1].

وهو لا شك لا يعني المفهوم الحديث للوحدة ؛ لأنه لا يشترط اتحاد موضوعها، وإنما يريد نوعاً من الربط بين الموضوعات التي يحتويها النص سماه النقاد (حسن التخلّص)[2]، ولكنه يزيد زيادة دقيقة ؛ هي توافر التناسق العام بين المطلع والمقطع ، وهو أمر لا يتحقق إلا إذا غدت القصيدة بنية تامة التكوين ، مترابطة الأجزاء من أولها إلى آخرها ، يقول الحاتمي موضحاً كلامه السابق : ((**وتأتي القصيدة في تناسب صدورها وأعجازها ، وانتظام نسبيها بمديحها كالرسالة البليغة ، والخطبة الموجزة ، لا ينفصل جزء منها عن جزء**)) [3].

(١) زهر الآداب وثمر الألباب ، للحصري ، عناية الدكتور زكي مبارك ٣/ ٦٥١ .
(٢) انظر : منهاج البلغاء وسراج الأدباء ، لحازم القرطاجني ، تحقيق : محمد الحبيب بن الخوجة : ٣١٩ .
(٣) زهر الآداب وثمر الألباب : ٣/ ٦٥١ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ولذا لو تأملنا كلام النقاد المعاصرين ، فإننا نجدهم ينطلقون في نظرتهم إلى الوحدة الموضوعية والعضوية من رؤية الحاتمي ، مع اختلاف يسير يتماشى مع روح العصر ، وتطور الفكرة المرادة ، فالقصيدة الحديثة كما يراها العقاد : ((**ينبغي أن تكون عملاً فنياً ، يكمل فيها تصوير خاطر أو خواطر متجانسة ، كما يكمل التمثال بأعضائه والصورة بأجزائها واللحن الموسيقي بأنغامه ، بحيث إذا اختلف الوضع أو تغيرت النسبة أخل ذلك بوحدة الصنعة وأفسدتها ، فالقصيدة الشعرية كالجسم الحي ، يقوم كل قسم منها مقام جهاز من أجهزته ، ولا يغني عنها غيره في موضعه ، إلا كما تغني الأذن عن العين ، أو القدم عن الكف ، أو القلب عن المعدة ، أو هي كالبيت المقسم ، لكل حجرة منه مكانها وفائدتها وهندستها**)) [1] . فقول العقاد : (فالقصيدة الشعرية كالجسم الحي) هو قول الحاتمي نفسه: (مثل القصيدة مثل الإنسان) . على أنَّ العقاد ومن جاء بعده من النقاد المعاصرين قد تجاوزوا وحدة الموضوع التي ألمح إليها النقاد القدامى إلى الوحدة العضوية التي تعني : ((**وحدة الموضوع ووحدة المشاعر التي يثيرها الموضوع ، وما يستلزم ذلك من ترتيب الصور والأفكار ترتيباً به تتقدم القصيدة شيئاً فشيئاً ، حتى تنتهي إلى خاتمة يستلزمها ترتيب الأفكار والصور ، على أن تكون أجزاء القصيدة كالبنية الحية لكل جزء وظيفته فيها . ويؤدي بعضها إلى بعض عن طريق التسلسل في التفكير والمشاعر**)) [2] . ورأى النقاد – أيضاً – أنَّ على الشاعر لكي يصل إلى صبغ تجربته بهذه الصبغة أن يفكر طويلاً في منهج قصيدته ، وفي الأثر الذي يريد أن يحدثه في سامعيه ، وفي الأجزاء التي تتدرج في إحداث هذا الأثر [3] .

(١) الديوان ، للعقاد والمازني : ٢/ ١٢٠ .
(٢) النقد الأدبي الحديث ، للدكتور محمد غنيمي هلال : ٣٩٤ .
(٣) انظر : المرجع السابق : ٣٩٥ ، والديوان للعقاد والمازني : ٢/ ١٣٠ ، وقضايا النقد الأدبي الحديث ، للدكتور : محمد السعدي فرهود : ١٠٤ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

وهذه الوحدة القائمة على الحدود والقيود ، إنما جاءت بشكلها الحالي من قبل النقاد الغربيين ، أخذها النقاد العرب بحذافيرها ، وأرادوا تطبيقها على الشعر العربي ، ولذا يرى كثير من النقاد المعاصرين كمحمد مندور ، وشوقي ضيف ، وبدوي طبانه إمكانية تطبيقها على الشعر المسرحي والملحمي والقصصي . أما في الشعر الغنائي فيرون أن نترك للشاعر حريته في التعبير عن عواطفه بترتيب ما سبق منها إلى ذهنه ، وما يتعاقب عليه من الصور والأخيلة ؛ وذلك لأن طبيعة الشعر الغنائي ((**أن يكون انفعالات يتلو بعضها بعضاً ، وليس انفعالاً واحداً متصلاً ؛ وذلك لتعدد الانفعالات وتباينها نوعاً وقوة وضعفاً**)) [1] ، ومن التعسف مطالبة الشاعر الغنائي بتلك الوحدة العضوية بشروطها التي نادى بها الغربيون [2] ؛ لأنه لا يمكن للشعراء تطبيقها والنجاح في المواءمة بين تجاربهم وشروطها الصعبة ، ولذا فالوحدة التي تناسب الشعر الغنائي ، والتي يمكن للشعراء أن يحققوها ، والتي توافرت – فعلاً – في الشعر العربي ومنه شعر جازان هي تلك الوحدة التي أشار إليها عدد من النقاد المعتدلين في النظرة ، ومنهم مصطفى السحرتي ، حيث يصفها بأنها ((**الرباط الذي يضمّ التجربة والصور والانفعالات والموسيقا والألفاظ في وشاح خفي أثيري ، وبهذه الوحدة يتكامل القصيد، وتدب فيه الحياة ، وتلمح هذه الوحدة ابتداء ، من دوران أبيات القصيد دوراناً منطقياً شعرياً ، وتتنقّل هذه الأبيات تنقلاً فكرياً ، ويتأتى هذا الدوران المنطقي من توفّر التجربة الشعرية ، وعرضها عرضاً جميلاً ، وصياغتها صياغة محكمة**)) [3] .

وعند النظر في تجارب شعراء جازان نجد أنَّ كثيراً منهم قد نجح في تحقيق هذه الوحدة بمفهومها الميسر – الذي أشار إليه السحرتي – لا بمفهوم العقاد ومن وافقه من مدرسة الديوان ، وخاصة لدى بعض الشعراء المحافظين ، وأغلب الشعراء المزاوجين بين المحافظة والتجديد .

(١) قضايا النقد الأدبي ، للدكتور بدوي طبانة : ٤٨ .
(٢) انظر : النقد والنقاد المعاصرون ، للدكتور محمد مندور : ٩١ – ٩٢ .
(٣) الشعر المعاصر على ضوء النقد الحديث ، للدكتور السحرتي : ٨١ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

فقد توافر لأولئك الشعراء وحدة الموضوع ووحدة المشاعر ، وقد استقلت معظم قصائد شعراء جازان بموضوع واحد تدور حوله الأفكار والمعاني ، وتحققت الوحدة العضوية بشكل كبير في القصائد الغنائية ذات العنصر القصصي ، وضعفت في القصائد ذات الصبغة الذاتية والاجتماعية ، مع ظهور واضح لوحدة الشعور والانفعال الذي لم تخب جذوته أو تفقد ملامحه . بينما نجد أنَّ الوحدة الموضوعية ناهيك عن الوحدة العضوية قد فقدت عند الشعراء المقلدين ؛ بسبب حرص بعضهم على المقدمات ، والإطالة واللجوء إلى التكرار ، وعدم الحرص على ترتيب الأفكار وتناسقها، أو إيجاد الصلة بين أجزائها المختلفة، وحتى أولئك الذين حرصوا في بعض قصائدهم على وحدة الموضوع ، إلا أنهم فشلوا في إيجاد أي صلة بين أبيات القصيدة ، ونلمح ذلك في قصيدة (فرحة العيد) لأحمد العطاس – وهي من أجود ما يمكن أن يختار من شعر المقلدين ، ليمثل وجود هيكلٍ موضوعي خالٍ من المقدمات – يقول فيها :

١ – في كل يوم نعمة تتجدد وصلاح حال واجتماع يحمد
٢ – فضل من الله الكريم يحوطني ومسرة كبرى وسعد سرمد
٣ – والشمل يجمع بالبنين يعمني بالفرحة العظمى وخير يشهد
٤ – وكذا البنات ومن يكون بعادهم عني بأمر قد قضاه تعود
٥ – العيد جمع شملنا فاستأنست منّا النفوس بكل خير يسعد
٦ – في أول الأيام منه تكاملت أفراحنا إذ كان فيه توحد
٧ – كل البنين مع البنات توافدوا يحدوهم الحب الأكيد المسعد
٨ – فإذا السعادة قد سرت أنوارها في كل ناحية تضئ وتوقد
٩ – وإذا المسرة في النفوس تقيمها وتزيل عنها كل هم يوجد
١٠ – حمداً لك اللهم أكرم واهب وأجل موجود تجل وتعبد
١١ – نرجوك عفواً دائماً وسعادة وصلاح حال في الحياة يجدد

شبكة الألوكة - قسم الكتب

١٢ - إصلاح ذات البين دوماً إنها　　في هذه الدنيا عتاد ينشد (١)

فالأبيات السابقة لم تستطع أن تكوّن بناء فنياً متكاملاً ، حيث بدت الأبيات وكأنها وحدات مستقلة ، أو خيوط براقة لم يتح لها أن تلتحم مع غيرها برغم الجهد والتكلف الظاهرين بشكل بارز في حروف العطف المتكررة في أوائل أشطر الأبيات (٣ ، ٤ ، ٨ ، ٩) وكذا في أوائل أعجاز الأبيات (١ ، ٢ ، ٩ ، ١٠) . فقد حاول الشاعر بذلك أن يضفي اللحمة على القصيدة ، فوقع في التكرار ، وقاده التقسيم والعطف الداخلي إلى الرتابة الواضحة ، وذلك في مثل : (صلاح حال واجتماع يحمد) ، (مسرة كبرى وسعد سرمد) ، و(الفرحة العظمى وخير يشهد) ، و (كذا البنات ومن يكون) في محاولة للملمة بعض الصور والمشاعر ، ولكنها لم تستطع أن توفر للقصيدة وحدتها العضوية ، برغم أنَّ التجربة في الأديب نفسه قد لاتخلو من الصدق والحرارة النابعين من الإيمان بالموضوع ، فما السبب في هذا التفكك البنائي ، وهل يمكننا أن نعيده إلى قصور في الشاعرية ، أم أن الشاعر لم يستطع أن يلائم بين الشكل التقليدي والمضمون الجديد نوعاً ما، ونستطيع أن نتبين ذلك التفكك في أننا لو أردنا أن نحذف بعض الأبيات لما أثَّر ذلك على النص ، ومن ذلك مثلاً (البيت الثاني ، والبيت السابع ، والتاسع) ، وكذلك بإمكاننا أن نعيد ترتيب الأبيات لنشكل منها شكلاً جديداً ، وذلك بأن نجعل بداية النص من البيت الخامس ، حيث يقول :

العيد جمع شملنا فاستأنست　　منّا النفوس بكل خير يسعد

ثم إذا وصلنا إلى البيت التاسع عدنا إلى القصيدة من أول بيت وضعه الشاعر ، حيث يذكر ما أولاه الله من نعم من الأول إلى الرابع ، وبعد ذلك نأتي بالشكر والثناء ، بدءاً من البيت العاشر إلى الثاني عشر ، وبذلك نكون قد حققنا صلة منطقية – في نظري – تكون أكثر ترابطاً ، وأشد لحمة وتناسقاً ، ولا يؤثر هذا التغيير على ما أراده الشاعر من مضامين .

(١) تغريد النهى : ٧٨ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وصنيعنا هذا يؤكد أنَّ القصيدة قامت على وحدات مستقلة ، كل بيت منها يكون وحدة مستقلة ، ولو كان في النص أدنى اتصال أو تلاحم لما استطعنا صنع ذلك .

أما التجارب التي تحققت فيها الوحدة العضوية في شعر جازان خاصة لدى بعض المحافظين وأكثر المزاوجين ، فقد برزت في نوعين من الشعر هما : الشعر القصصي والحكائي والشعر الذاتي والاجتماعي المعتمد على البناء المقطعي ، وتفصيل ذلك فيما يلي :

أولاً : الوحدة في القوالب القصيصة والحكائية :

الوحدة العضوية والروح القصيصة صنوان ، يذوبان في بوتقة واحدة ، وإن تكن الروح القصصية هي مفتاح الوحدة ، فإن الوحدة أعمق وأدق من مدلول الأسلوب القصصي ، لكن الأسلوب القصصي على كل حال المظهر الحقيقي لشعراء الوحدة العضوية؛ لأنه لا يطلب من صاحب الأسلوب القصصي أن يكون قاصاً ، بل أن يكون شاعراً مبدعاً[1].

وقد فطن شعراء جازان – كغيرهم من الشعراء المعاصرين – إلى أنَّ القالب القصصي من أكثر الأشكال الفنية التي تحقق فيها ومن خلالها الوحدة ، وهو ما يزيد من سحر تأثير الشعر ويضاعف من قوته ، ولهذا لو تأملنا النماذج التي وظفت القصة في شعر جازان لوجدنا أكثرها قد استخدمت فنيّات القصة الحديثة ؛ من اقتناص الحدث الواقعي ، وتوظيف المشهد اليومي المعتاد ، ثم الارتقاء به من خلال العاطفة الصادقة والخيال إلى ذروة الابتداع . مستفيداً من عنصر الحبكة القصيصة في إكساب النص المزيد من الإثارة والتشويق، وكذا التلاحم والتماسك . ومن الطبعي أن لا نطالب الشاعر بمراعاة كل شروط القصة وأدواتها ؛ لأننا لو فعلنا ذلك لكبلنا الشعر بقيودها ؛ فالقصة في الأصل عمل شعري معقّد ، يحتاج إلى تفكير عميق وتنظيم وقدرة على التخيل ، وذلك مجال واسع تقوم على أدائه الصيغ النثرية ، بينما في الشعر لا تحتاج إلاّ إلى روح القصة وبعض فنياتها ، مما يمكن للشعر أن يتحمله [2] .

(١) انظر : الشعر الحديث في المملكة العربية السعودية ، للدكتور عبدالله الحامد : ٢٠٨ .

(٢) انظر : المصدر السابق : ٣٩٠ ، والاتجاه الابتداعي في الشعر السعودي ، لمحمد حبيبي : ٢/ ١٣ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

وفي قصيدة (غسيل الملائكة) لأحمد البهكلي تظهر الوحدة العضوية المعتمدة على القصة ذات البناء المتكامل ، تقوم القصة على عددٍ من الشخصيات : هي أبو عامر الخائن دليل المشركين يوم أحد والد حنظلة ، وجميلة عروس حنظلة ، وأبو سفيان بن حرب ، والأسود بن شعوب قاتل حنظلة ، وبطل القصة حنظلة بن أبي عامر . أما الحدث الذي احتوى القصة ، فهو أنَّ صوت المنادي كان قد ارتفع ينادي للجهاد في سبيل الله ليلة دخلة حنظلة بن أبي عامر على عروسه جميلة في طيبة ، فما كان من حنظلة إلا أن لبى منادي الجهاد، وهو جُنب لم يغتسل من ليلته تلك وقد قتله الأسود بن شعوب ، حينما رآه ممسكاً بتلابيب أبي سفيان يريد قتله ، فطعنه من خلفه . وقد رأى الرسول – ﷺ – هذا الفدائي الشهيد والملائكة تغسله ، فأرسل إلى أهل حنظلة مستفهماً .. فأخبروه بخبره .

وقد أحسن الشاعر بدء القصة ، حيث عمد إلى تصوير المفارقة الكبيرة بين البطل (حنظلة) وبين والده أبي عامر ؛ من أجل إعطاء شحنات عاطفية لدى القارئ وحمله على التفاعل مع البطل ، يقول :

يا أبا عامر وعمرك يجتر (م) الخراب المليء بالنكرانِ
أي جنيّة سبتك فأعنقـ ـت سريعاً على خطا الشيطانِ
كان يكفيك أن تكون أميناً لو حفظت العهود للإخوانِ
لم آثرت غدرهم وتقمّصـ ـت ثياب المشكك الخوانِ؟

* *

أي نجلٍ نجلت خلّدك الد هر به رغم غضبة الأزمانِ؟
لا تقل: إنك الأرومة والجذ ر لتعلو بفرعك الريانِ
فهو ما حاز منك قطّ على غيـ ـر انتساب وبعض معنى التفاني
أنت أنت الأب القريب ولـ ـكن أباه القوي في الإيمانِ

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ولقد تكسب الإضافة عبداً عزة إن أضيف للرحمنِ[1]

ثم بعد ذلك يبدأ الشاعر في رسم ملامح البطل ، والتمهيد للدخول في نفسيته ، معتمداً على التصوير ، وإبراز بعض معالم التفرد في شخصيته ، فيقول :

لم يكن ذلك الصبي غريراً مثل أقرانه من الصبيانِ
لكأني به وعيناه تندا حان طهراً ومشمخرَّ أماني
وعلى الجبهة الوضيئة لمحٌ في هدوء كهدأة الإذعانِ

ثم يدلف الشاعر بعد ذلك إلى البدء في عرض ملامح الحدث ، حيث يقنص من حياة الشاعر ما يمكن أن يساعد على تنامي الصور وتتاليها ، فيصور لقاء حنظلة بجميلة وهما طفلان تملأ البراءة عليهما كل شيء في حياتيهما ، ويرفرف الطهر على سائر تصرفاتهما ، التقيا طفلين ، فتعاهدا على أن يدوم الحب بينهما ، وفعلاً استمر ذلك الحب الطهور إلى أن تحقق اللقاء المرتقب ، يعبر الشاعر عن هذا المشهد من مشاهد الحدث ، دون أن ينسى رصد المكان ، وعلاقته بالحدث ، قائلاً :

وإذا أقبلت جميلة والبر ء رقيبٌ ليلهوَ الطفلانِ
ثم راحا يشيدان بناءً قانعاً من حصًى ومن عيدانِ
لا تقل طفلة لهتْ مع طفلٍ فهما فوق ذا الثرى طُهرانِ
لكأني به بهما وثَّقا الأُسَّ وشادا العلا للبنانِ
جمع الله بين قلبين عاشا في حماه فبورك القلبانِ
ما ألذ اللقاء في كنف الطُّهـ ـر وأحلاه في حمى الرحمنِ
وانتشت طيبة فضاعت طيوبٌ في مغان فديتها من مغاني[2]

ثم يرتقي الشاعر بالحدث ، مصوراً (الزمان) تلك الليلة التي عاشها

(١) طيفان على نقطة الصفر : ١٤ – ١٦ .
(٢) المصدر السابق: ١٦ – ١٨ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

العروسان ، ليلة اجتمعت فيها المتناقضات ، المدينة يحيط بها الرعب ، وكوخ مليء بالاطمئنان داخل تلك المدينة الخائفة حوى كل لحظات الأنس والسرور ، ولم يكن ليقطع تلك المشاعر المتناقضة سوى بزوغ الفجر ، حاملاً معه أحداثاً عصيبة ، أحسن الشاعر التقديم لها بقوله :

وازدهت ليلة يهدهدها حلـ　　ـمٌ شهيٌّ برائع الحلم غانِ
ليلةٌ ما المكوث في زمن الرعـ　　ب ؟ وما النأي لحظة اطمئنانِ
ما اشتياق الجذور للنبع إذ ينـ　　ضب ؟ ما لون لهفة الإنسانِ ؟
ليلة والنجوم تستغفر الليل　　وما حاز قدرة الغفرانِ
وعواء الرياح يخفُتُ حيناً　　ثم يعلو كآهة الولهانِ
وهنا في الخباء ينتجع الطهـ　　ـر فيجني ثماره عرسانِ
وجذوع النخيل راهنت الليـ　　ـل وللفجر شدة العنفوانِ
لم تكن غير لحظةٍ فإذا الليـ　　ـل طريد الرحيل في إذعانِ [1]

وبعد ذلك يصل الشاعر بنا إلى أهم أحداث القصة ، حيث يقطع لحظات الهدوء والصفاء المخيمة على صباح العروسين الجميل ، يقطعه في المدينة داع يدعو الناس إلى الخروج لملاقاة المشركين ، محاولاً – الشاعر – الاستفادة من عنصر الحبكة ، ومعتمداً على الصور المتلاحقة وإثارة الحركة التي تحكي واقع الحدث ، حيث الناس في هرج ومرج ، وعلى أحد يلتقي الجمعان :

وصريخٌ علا بأن أناساً　　داهمو أربع الندى الفينان
صرخة أعنقت تخب فتجلو　　صدأ الاندهاش في الآذان
كان رجع الصريخ جلجلة الإيما　　ن يحمي مرابع الإيمان

(١) المصدر السابق : ١٨ – ١٩ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ماترى غير لابسٍ درع حربٍ أو مغذّ المسير فوق حصان
وازدهتْ حرة المدينة جندا ورسولاً ومبدءاً قرآني
رقص الفجر رقصة فتغنت أحُدٌ .. والتقى بها الجمعان[1]

ثم ينتقي الشاعر من أحداث المعركة المتلاحقة حدث الذروة وقمة الحبكة ، حيث التقى حنظلة (البطل) بأبي سفيان قائد المشركين ، التقيا وجهاً لوجه ، ثم يضرب البطل أروع صور الشجاعة والفداء :

وانبرى حنظلٌ يقارع ذاك الـ ـقرم في قوة وأيد جنان
ضربةٌ إثر ضربةٍ .. أشف سؤلي كيف مُرْديك يا أبا سفيان ؟
كنت في الأسفل الحضيض وقد كان ملاقيك في أعز المكان
همَّ بالوأد حنظلٌ وتجلّت قسوةٌ منه أثبتتها اليدان
(أنجدوني) ترددت وأبو سفيا ن من موته على إيقان[2]

وهنا يتدخل الأسود بن شعوب الذي رمز له الشاعر بـ (شداد) ؛ تدخّل لينقذ أبا سفيان من بين يدي حنظلة ، ووجه طعنة غدرٍ لحنظلة ، فودّع على الفور الحياة وعلى محياه ملامح رضا ، ولعينيه ومضات توحي بانطفاء الحياة ، وانتهى الصراع في حياة حنظلة، ومعه وصل الشاعر إلى قمة الحدث ونهايته ، يقول :

واجتلى الفارسين (شداد) فارتا عت خطاه كما فؤاد الجبانِ
واستطالت وراء حنظل شلاّ ءُ بطعنٍ لكالح الفعل جاني
طعنةٌ والدمُ الزكيُّ تسابيـ ـحُ تدقُّ السماء في رضوانِ
ولعيني حنيظلٍ ومضاتٌ أطفاتها من الردى ريحانِ

(١) المصدر السابق : ٢٠ – ٢١ .
(٢) المصدر السابق : ٢١ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

أيّ نعمى وهبت بابن شعوبٍ　　لابن حربٍ مجندل الفرسانِ ؟[1]

ولكن هل بالوصول إلى قمة الحدث ، وموت البطل ، هل انتهت أحداث القصة ، كلاّ ، لم تنته بعد ، فهناك مشهد من أهم مشاهد القصة إثارة ، بل هو مربط الفرس فيها ، إنه مشهد الصحابة وهم يصغون للنبي - ﷺ - وهو يخبرهم برؤيته للملائكة لحظة غسيلها لذلك الشهيد الذي مات في المعركة وهو جنب ، وسؤال الرسول لأهل حنظلة عن حال حنظلة قبل المعركة ، ويبدع الشاعر في حذف الجواب من النص ، ويبدع أيضاً في ربط نهاية القصة ببدايتها ، حيث يعود الحديث مجدداً عن أبي عامر والد حنظلة كما بدئت به القصة ، وهذه المشاهد الأخيرة جاءت في قوله :

ساعةٌ وانتهى العراك وأصغى　　قومُه للرسول والكلّ حانِ
قال : إني أرى الملائك حفَّت　　بقتيلٍ وأمسكت بأواني
إنها تغسل القتيلَ وما كا　　ن سوى حنظلٍ فتى الفتيانِ
اسألوا زوجه ؟ وجلجل في الـ　　قوم جواب سماعن الأذهانِ
.. ..
أيها الفارس النبيل .. ولم تثـ　　ـنك عن عزمك الأكيد الثواني
إن تكن أمس قد دخلت بعرسٍ　　فبذا اليوم دُخْلةٌ للجنانِ
إيه يا حنظل الفريد وكم قد　　عاش فينا أبوك طول الزمان
هو باقٍ يُحبُّ ينجبُ لكنْ　　لم يُطق بعد نَجْل حنظلَ ثانِ[2]

(١) المصدر السابق : ٢٢ – ٢٣ .
(٢) المصدر السابق : ٢٣ – ٢٥ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ونلمح أنَّ من الأمور التي ساعدت الشاعر على أداء القصة ومواصلة عرضها في وحدة فنية متوازنة تلك القافية المبنية على روي النون المسبوق بالألف ، مما يعطي النفس الشعري شيئاً من التدفق والانسيابية ، وحرْص الشاعر على استمرار ذلك إلى نهاية القصيدة مع طولها ، دليل على تلك الإنسيابية لهذا الحرف ، فقد صاحب أحداث القصة ، وجرى معها دون قصور أو إعاقة .

وقد بلغ البهكلي الذروة الدرامية التي تتطلبها الحبكة القصصية ، فحرص على تنمية الحدث ، وحقق ذلك عندما أوجد التحول الأنموذجي في وعي البطل من حالة فرد هامشي إلى حالة بطل فاعل ، حتى وإن كان نقيض والده ، وقد استغل الشاعر – أيضاً – سرعة التحول في حياة البطل – حنظلة – من عريس في الليل إلى بطل في النهار التالي لدخلته ، استغل الشاعر تلك التحولات السريعة ، ليسرع هو أيضاً في رسم ملامحها ، ومع هذا لم تحدث نقلات فجائية ، أو مواطن فراغ في صورة الأحداث ، إذ بقيت متصلة رغم ما حدث من بعض مواطن السرد وظهور التكرار الذي لا داعي له في رسم المشهد الواحد ، مثل المقطع الذي توالت فيه الإشارة إلى الصارخ الذي أعلن الاستعداد للحرب فقال : (وصريخ علا) ، ثم بعده (صرخة أعنقت) ، ثم (كان رجع الصريخ) ، وكان يكفي الشاعر أن يشعرنا بأنَّ البطل لبّى النداء دون هذه الإشارات المؤدية للغرض نفسه . ومع هذا فإن الشاعر البهلكي قد أحسن استغلال العناصر القصصية التي استوعبت بشكل واضح الأحداث المتعاقبة للبطل ، وأخذت موقعها ، ونمت نمواً غير قلق ، بل كان إلى حد بعيد مركزاً وبعيداً عن الخطابية والتقريرية .

وتبدو هذه الوحدة –أي العضوية– واضحة في كثير من قصائد السنوسي القصصية ومن ذلك قصائد (ليلة الهجرة)[1]،و(عودة الماضي)[2]،و(موكب السحاب)[3]،و(أنشودة

(١) الأعمال الكاملة : ٢٦١ – ٢٦٧ .
(٢) المصدر السابق : ٤٧ – ٥٦ .
(٣) المصدر السابق : ١٢٥ – ١٣٢ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

الصقر)[1]، و(الكيان الكبير)[2]، و(فارس الأحلام)[3]، و(اليتيم السعيد)[4]، و(عصبة السفاح)[5]، و(الفيلسوف والطائر الأعمى) ، ولكي نتّبين ملامح هذه الوحدة لدى السنوسي في المضامين القصصية نقف مع القصيدة الأخيرة (الفيلسوف والطائر الأعمى) ، فهذه القصيدة تتجلّى فيها الوحدة العضوية بجميع مظاهرها، تقوم القصيدة على أساس أنَّ الإيمان بالله وبوجوده أهم أسس حياة الإنسان في هذا الكون ، وأنَّ من ينكرون وجود الله ينكرون أهم الحقائق التي أقرتها الشرائع وآمنت بها العقول .

وقد بدأ السنوسي قصيدته تلك بعرض مزاعم القائلين بأنَّ أمور الكون والحياة تقوم على الصدفة ، وكان ذلك مدخلاً إلى عالم القصة ، إذ يقول :

زعموا أن فيلسوفاً عظيماً دائم الفكر راحلا ومقيما
كان من سخفه الكبير غروراً لا يرى للوجود رباً رحيما
ويرى الأرض والسماء شموساً وبدوراً تألقت ونجوما
والمحيطات والجبال وما هـ ـب وما دب طائراً وبهيما
كلها صدفة بها فاضت الأكـ ـوان لا خالقاً ولا قيوما[6]

ثم يعرض السنوسي لوصف إحدى رحلات ذلك الفيلسوف ، ورؤيته في تلك الرحلة لمشهد من مشاهد الحياة ، حمل في بداية الأمر دليلاً على مزاعم ذلك الفيلسوف وجحوده ، ثم أبدى بعض التساؤلات المنطلقة من ذلك الجحود والإنكار :

(١) المصدر السابق : ١٧٢ – ١٨٧ .
(٢) المصدر السابق : ٥٨٥ – ٥٨٩ .
(٣) المصدر السابق : ١٣٣ – ١٤٢ .
(٤) المصدر السابق : ٤٠٦ – ٤٠٩ .
(٥) جريدة الندوة ، ع ٦٤٠٨ ، ١٤/ ١/ ١٤٠٠هـ .
(٦) الأعمال الكاملة : ٦٢٨ – ٦٢٩ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

كـان في رحلـة فأدركـه الأيـ ـن فألقى العصا يـروم الجموما [1]
وارتمـى في ظـلال أيـك نـضير وتراخـى يحـاول التهويمـا [2]
فـرأى طـائراً علـى فـرع غـصنٍ غـائر الناظريـن أعمـى سقيمـا
جـاثماً فـوق غـصنه في سـكونٍ وهـدوء لا يعـرف التحويمـا
فـرأى فيـه للجحـود دليـلاً واحتجاجـاً يعـزز المفهومـا
واسـتخفت بـه الحماقـة واستلـ ـقى مـن الضحك هازئاً منهوما
كيـف يقتـات ذلـك الطـير إن را م طعامـاً محـاولاً أن يقومـا ؟
كيف يسعى لرزقه كيف يمشي فاتحـاً محضراً وسيناً وجيهاً ؟ [3]

ثم يعرض للمفاجأة التي ترتبت على نهاية ذلك المشهد ، والتي حملت رداً قوياً وملموساً على مزاعم ذلك الفيلسوف التي جعلته يستعبد رزق الله لذلك الطائر الضرير ، يقول :

لم يرعـه إلا حفيـف جنـاحٍ وصدى طائر يـروم الحثوما [4]
ورآه مرفرفـاً في اعتنـاءٍ يقـصد الطـائر الـضرير المقـيما
مـدَّ منقـاره إليـه وألقـى في يديـه المـشروب والمطعومـا
وغـدا الطـائران إلفـاً لإلـفٍ مثلما يـألف الحميم الحميما [5]

وقد استطاع الشاعر بهذا توظيف المشهد المقتنص من الواقع ربما ، ثم الارتقاء به إلى ذروة الابتداع ، واستفاد من الحبكة القصصية في إكساب قصيدته مزيداً من الإثارة ، ومن ثم الوصول في خاتمة القصيدة إلى هدفه ، وهو الإقرار من ذلك

(١) الجموم : الراحة والاسرخاء .
(٢) التهويم : النوم اليسير بعد تعب .
(٣) المصدر السابق : ٦٢٩ – ٦٣٠ .
(٤) الحثوما : الحثمة أكمة صغيرة سوداء من حجارة .
(٥) الأعمال الكاملة : ٦٣٠ – ٦٣١ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

الفيلسوف بوجود الله ووحدانيته، وأنه يرزق من يشاء بغير حساب ، كما يرزق ذلك الطائر الأعمى ، فيقول مصوراً تحول الفيلسوف عن مزاعمه وأفكاره الخاطئة :

فإذا الفيلسوف من حكمة اللـ ـه ومن لطفه يخر وجوما
فتهاوى خزيا وآمن باللـ ـه تعالى . . وجل رباً رحيما
ملهم الطائر البصير هداه أطعم الطائر الضرير العديما [1]

((فهذه القصيدة – كما نرى – قد تحققت فيها كل مظاهر الوحدة العضوية ، فهي من بدايتها إلى نهايتها ، معنية بتتبع ذلك الفيلسوف ، وتحوله من حالة الكفر والجحود إلى الإيمان بالله خالقاً ورازقاً . كذلك تبدو مظاهر الوحدة في تسلسل الأحداث داخل القصيدة، فقد عرض الشاعر – أولاً – لمزاعم ذلك الفيلسوف الذي ينكر وجود خالق مدبر لهذا الكون بكل مظاهره ، ثم يعرض لمشهد من مشاهد الحياة عزز في بادئ الأمر مزاعم ذلك الفيلسوف وقواها في عالمه ، ثم بدأ في رصد التحولات في حياة ذلك الفيلسوف، بعد أن وقع بصره على ما قوّض كل تلك الصروح التي اختزنها فكره ، بعد رؤيته لذلك الطائر السليم وهو يمدّ صنوه الضرير بالطعام والشراب ؛ لينتهي به ذلك المشهد إلى الإيمان بوجود خالق مدبر لهذا الكون بكل مظاهره التي نبصرها ، والتي لانبصرها .

ومن مظاهر الوحدة العضوية في هذه القصيدة ، استقصاء للمعاني الخاصة بكل فكرة، فنحن لا نجد تكراراً للأفكار والمعاني في أحداث هذه القصيدة التي جاءت في أسلوب قصصي جميل ، يغري بمتابعته إلى حيث ينتهي ، وعدم التكرار للأفكار والمعاني راجع إلى ترتيب الشاعر لها في ذهنه ، ثم منحه لكل فكرة معانيها اللازمة لها)) [2] .

والسنوسي في كثير من قصائده القصصية الممثلة للوحدة العضوية يبدأ في مقدماتها

(١) المصدر السابق : ٦٣١ .

(٢) الاتجاه الإسلامي في شعر محمد بن علي السنوسي دراسة تحليلية فنية ، لمفرح إدريس سيد : ٢٥٦ – ٢٥٧ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

برسم المشاهد الطبيعية التي أولع بها ، يعمد إلى ذلك تهيئة للجو النفسي للمتلقي ، بحيث تبدأ القصة دون أن يشعر بفجائية في الحدث . والحقيقة أنَّ الوحدة العضوية في قصائد السنوسي لا تبدأ مع بداية النص ، وإنما تبدو أكثر وضوحاً حينما يبدأ الشاعر في سرد القصة، وقصيدة السنوسي (دارة جلجل) المحتوية على قصة تراثية قائمة على الوحدة العضوية المتكاملة ، بدأ بوصف المشهد الطبيعي كتمهيد للمتلقي [1] ، فقال :

نثر الليل في الفضاء نجومه وطوى الريح دجنه وغيومه
واستهلت أشعة خلع الفجـ ـر عليها رداءه ونسيمه
وتهادت نسائم وشح الطـ ـل شذاها وهومت تهويمه [2]

ولم تكن الوحدة العضوية المنطلقة من البناء القصصي والحكائي موجودة لدى الشعراء المحافظين كالبهلكي والسنوسي وحسب ، وإنما وجدت لدى شعراء محافظين آخرين كالنعمي في قصائده الاجتماعية التي تنطلق من حكايات أشبه ما تكون بسيرة ذاتية كقصيدة (أوراق فلاح فاشل) [3] ، أو تلك القصص التي تنطلق من حياة المرأة وقضاياها وتحوي الوحدة الفنية والعضوية التي يعضدها الحوار بين شخوص القصة وديوانه (عن الحب ومنى الحلم) مليء بتلك القصص ، ولعل أكثرها تمثيلاً للوحدة قصيدته (السقوط دون القمر)[4] ، وهي قصة تحكي تعلق فتاة بفتى ، مما دفع أمها إلى وضع حيلة ماكرة لجذب الفتى نحو ابنتها ، لكن تلك الحيلة فشلت ، ولم تفلح .

وأيضاً وجدت هذه الوحدة في القوالب القصصية حتى لدى بعض الشعراء المقلدين مثل علي بن قاسم الفيفي في قصيدته (عظة وعبرة) [5] ، وحسين الكريري في قصيدة (جاءت سليمى) ، وهما أشبه بحكايات قصيرة تحوي حبكة فنية متماسكة . غير

(١) انظر : محمد بن علي السنوسي حياته وشعره ، لمحمد القسومي – رسالة ماجستير – : ٢٠٦ .
(٢) الأعمال الكاملة : ١٤٣ .
(٣) الأرض والعشق : ٩٣ .
(٤) عن الحب ومنى الحلم : ٥٥ .
(٥) الطيف العابر : ١٩ – ٢٠ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

أنَّ شعراء التفعيلة في جازان قد ارتقوا بهذا الجانب ، وظهرت لديهم الوحدة العضوية في الجانب القصصي بصورة أدق وأكثر فنيّة وإدراكاً لطاقات القصة الفنية ، وكيفية توظيفها في الشعر؛ وذلك لأن تخلصهم من القافية والوزن أسهم في إتاحة مزيد من القدرة للدخول في مجال القصة . ومن هؤلاء الشاعر علي بن محمد صيقل ، الذي استطاع أن يصوغ تجربته الخاصة في بناء حكائي ظهرت فيه الوحدة ، وانتفت فيه المقدمة ، وبدأها بالدخول مباشرة في رسم الأحداث ، ولكنه يسير خلف كتاب القصة الذين يرمون بثقل الحدث منذ البدء ، فيبدأون من النهاية ، ولكن هذا لم يفقد قصته عنصر الإثارة ، يقول في قصيدة (سراب) التي سأذكرها كاملة :

لأني ظمئت ...ظمئت كثيراً
ظننتك ماء
سيروي أوامي
فرحت بعمق ... أسير
إلى أن
تصاعد خلفي الغبار
وسد الطريق الطويل
أمامي
وحلق حتى عنان السماء
تعفّر وجهي .. وجف لساني
وشل نشاطي
وخار اعتزامي
تسمرت .. أصرخ .. أنى ظمئت
وملت إلى الأرض ثم انكفأت..

www.alukah.net
شبكة الألوكة

مددت اليدين ..
تحسست دربي ..
أمامي .. وخلفي ..
وأيقنت أني .. أسير
لحتفي
ولملمت عزمي .. وجدفت
حتى بلغت المكان
هناك .. صحوت .. عرفت
كشفت النقاب
فقد كنت أحلم .. بل كنت واهمْ
وجدتك .. شيئا .. يسمى السراب
ولست بماء ..
فأنت الشقاء .. وأنت العناء
وأنت العذاب (١)

ونختم الحديث عن الوحدة العضوية في القوالب القصصية بقصيدة (تفعيلية) تكامل فيها البناء الفني والقصصي ، وهي قصيدة (جنة فوق سطح القدر) لمحمد مباركي ، وفيها يتحدث عن خروجه من المدينة بسبب ما يعاني فيها من القلق والملل ، ثم يدخل إلى غابة بعيدة ، وهناك يصل به التعب مبلغه ، ويظن أنّه قد أشرف على الهلاك، وإذا به يبصر كوخاً، فازداد قلقاً ورعباً وتيّقن النهاية في المكان الوحش ، ولكنه يكتشف أنَّ بداخل ذلك الكوخ صديقاً عزيزاً ، يدخله إلى كوخه مرحباً ، ثم يدله بعد ذلك إلى عالم السعادة هناك في جنة الشعراء ، وحياة تخالف حياة البشر ، ومما جاء له في

(١) ترانيم على الشاطئ : ٧٢ – ٧٣ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

هذه القصيدة قوله :

وطفت بوجه البراري المخوف
حزيناً وحيدا
وأوغلتُ في ظلمات الكهوف
حنيناً شريداً
وفتّشت بين عيون الوحوش
وتحت العروش
وفوق جراح المدى المثخن
وفي المستحيل
وفي الممكن
ولاح الضباب
يوشح قلبي بالتيه بين
عواء الذئاب
وأعول لحن الرياح
فذبت
وأشفقتُ منه
فأوقفتُ خطوي
وعزَّ الصمود (١)

ثم بعد ذلك كان ذلك الهارب من المدينة يعيش الصراع بين الاستسلام أو المواصلة ، والصراع بين الألم والأمل ، في لحظات صعبة ، يقول :

تلفتُّ للخلف خفتُ ارتعشتُ
فكيف أعود

(١) تماهي منبت : ٧٠ – ٧١ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وَهَتْ عزماتي
وكاد يواري ظلام المتاهة
في الدرب ذاتي
فأبصرتُ فوق جبين المدى
ومضة ثائره
فجئت إلى الكوخ عانٍ
أجرُّ خطا خائره
ودقَّ فؤادي علي بابهِ
وخوفيَ منه
يصوّرني تحت أعتابه
جثة هامده
فيا للمفاجأة الواعده
صديقي !
وخلَّد ترحابه في عروقي
ومات الأسى ، فانتشى قوته
وأترع غيبوبتي صوتُه
فوَسّدَها ساعده
وداوت جراحي أبيات شعر
ونسمة طهر
فتاهت على شفتي الأسئلة
فقال وعيناه دامعتان
وسمعي وَلَهْ
مللتُ كمثلك دنيا البشرْ
فجئتُ إلى ربوة الشعراء

شبكة الألوكة - قسم الكتب

ومهد الوفاء

إلى جنةٍ فوق سطح القدر [1]

فالقصيدة من حيث شكلها تجري على النسق الجديد ، فتلتزم تفعيلة المتقارب التي أكسبتها موسيقا عذبة ساعدت على الانسياب والتدفق الذي نراه يصاحب أحداث الحكاية ويسير معها ، كما أنَّ القافية التي تتردد في نهاية السطور قد منحت القصيدة رقة وعذوبة ، وأكسبتها تموجاً رافق تنوعها وفق تنوع العواطف التي تتأجج حيناً ، وتهدأ حيناً حسب مقتضيات السرد والمواقف .

وبهذا البناء العضوي المتنامي عبر مقاطع معنوية تتلاقى وتتوحد ، استطاع الشاعر أن يرسم لوحة متكاملة وبأسلوب يسير ومألوف ، بفيضٍ شعري عاطفي تدفّق متصاعداً منذ بداية القصيدة حتى نهايتها .

ثانياً : الشعر الذاتي والاجتماعي المعتمد على البناء المقطعي :

إنَّ التماسك في القصيدة لدى شعراء جازان لم يكن خاصاً بالتجارب المرتبطة أو المبنية على هياكل قصصية ، وإنما تجاوزها إلى قصائد أخرى لم تكن معتمدة على القص ، حيث ((**تبدو بعض معالم الوحدة العضوية فيها غير ثابتة ، ولكنها مع ذلك مبنية على اعتبارات فنية يجب أن تلحظ في البنية العامة**)) [2] ، وتلك القصائد بعضها طويلة معتمدة على السرد ، وبعضها ذات مقاطع قصيرة ، أو أبنية مقطعية تسلسلت فيها خواطر الشاعر من مقطوعة إلى أخرى لتتكامل المقطوعات جميعاً في بيان جانب خاص من جوانب التجربة، وإيجاد ما يسمى بالأطر الداخلية التي تحتوي تلك القصائد [3] .

فمن القصائد الذاتية المبنية على الشكل المقطعي قصيدة (إلى الطائر الحزين) لأحمد الحربي ، وهي تتحدث عن تجربةٍ وجدانية عميقة مرَّ بها الشاعر ، وتتكون من

(١) المصدر السابق : ٧٢ – ٧٤ .

(٢) النقد الأدبي الحديث ، د. محمد غنيمي هلال : ٤٠٥ .

(٣) انظر : الاتجاه الوجداني في الشعر العربي المعاصر ، د. عبدالقادر القط : ٣٣٢ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

أربعة مقاطع، يقول فيها :

أيها الطائر تشدو　　فوق أغصان الحياة
ما لأرجائك سود　　في ليالٍ حالكات
وأغانيك حزانى　　بحروفٍ باكيات
ما لأنغامك .. لا　　تعزف إلا شاكيات
فاملأ الدنيا غناء

أيها الصداح قل لي　　أين أيام الحبور
أنت لا زلت ربيعاً　　فاملأ الدنيا عطور
واحمل الآمال وانثر　　بجناحيك الزهور
واملأ الدنيا غناء

أيها الطائر حسبي　　منك أنغام المساء
فلأوتارك عزفٌ　　راقص حتى البكاء
ولأصدائك رَجْعٌ　　في قلوب الأشقياء
فتجدد يا صديقي　　إنّ لي فيك رجاء
تملأ الدنيا غناء

أنت حُرٌّ أيها البلـ　　ـبل في الكون طليقْ
فلك البحرُ خليلٌ　　ولك الموج رفيقْ
لك في الليل سميرٌ　　لك في الفجر طريقْ
عبق المسك نسيمٌ　　لك والروض صديقْ
فاملأ الدنيا غناء [1]

(١) رحلة الأمس : ٢٢ – ٢٣ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

فالتقطيع الذي ظهر مؤخراً في القصيدة الجديدة حولها إلى مشاهد متفرقة ، ولكنها تلتقي بعد ذلك وتتضامن لتؤلف المحتوى العام المقصود ضمن ذلك الشكل الجديد ، إلاّ أنَّ الشاعر الحربي حاول بتكراره (أيها الطائر ، ايها الصدّاح ، أيها البلبل) في بداية كل مقطع أن يحقق التداخل والتلاحم عن طريق الربط الذي يلتقي فيه السابق باللاحق في إطار شكلي ومضموني موحد ، وساعد على ذلك الربط أيضاً القفلة التي كان يختم الشاعر بها كل مقطع، وهي جميعاً تحمل مضموناً واحداً وهو قوله : (فاملأ الدنيا غناء) ، هذه القفلة مع البداية (أيها الطائر) تجعل القارئ على خط متصلٍ مع الشاعر ، وتمثل خيوطاً مبتكرة ومشعة ينسج الشاعر بها قصيدته ويقوي من لحمتها ، إضافة إلى وجود الصلة الموضوعية المعتمدة على المسحة الرومانسية الحزينة والاتكاء على المعادل الموضوعي (الطير) . فخرجت القصيدة بناء على هذه العوامل بوحدة عضوية داخلية تحمل أبعاداً كثيرة ليس من السهل إدراكها جميعاً ، وإنما يحس بها القارئ وإن لم يستطع تفسيرها أو وضع يده عليها ، وهذا هو الشعر الجيد ؛ يأسرك ولا تدري كيف حصل ذلك .

وهذه الوحدة ليست مقتصرة على القصائد القصيرة أو ذات المقاطع المنوعة كما في القصيدة السابقة أو قصيدة (حصاد الغربة) [1] لعلي النعمي ، أو (تقاطعات) [2] لإبراهيم مفتاح ، أو قصيدة (وجهها والقصيدة) [3] لحسين سهيل . وإنما وجدت الوحدة أيضاً في القصائد الطويلة ، أو تلك التي تعددت فيها الموضوعات وتداخلت ، ودائماً الإطالة مظنة لفقدان الوحدة الموضوعية ، فضلاً عن الوحدة العضوية . وأكثر ما تكون الوحدة وجوداً في هذا النوع من الشعر تكون في القصائد ذات الموضوعات المتقاربة التي لا تنافر بينها ، نجد ذلك في شعر السنوسي – مثلاً تبصر في القصيدة الواحدة فخراً بالوطن ، ومدحاً للمخلصين من أبنائه ، والعودة إلى ذكر الأجداد ومفاخرهم ، والهجوم على

(١) الأرض والعشق : ٦٢ – ٦٣ .
(٢) رائحة التراب : ٣٠ – ٣١ .
(٣) وللأقمار باب : ٨٤ – ٨٥ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

المستعمر ، وبثَّ الحماسة في أبناء الأمة . وهذه الموضوعات يمكن أن تدخل في نطاق موضوع أو اتجاه عام هو الشعر الوطني أو الاتجاه السياسي ، ومن الأمثلة على ذلك قصيدته (بطولة الجزائر)، فقد وصف فيها تلك البطولة ، وحقر المستعمر ، وافتخر بالعرب [1] ، وأشار إلى الملك سعود وجهوده في سبيل توفير المال للجزائر ، ومطلعها :

أهابت ففداها دم وإهاب ونادت فلباها شباً وشباب

وتبلغ القصيدة سبعة وخمسين بيتاً [2] ، ومع ذلك فإننا لا نكاد نحس بانفصام العرى فيها ، أو تخلخل بنائها بسبب كثرة موضوعاتها وتفرعها ؛ لأنها كما تقدم دارت في فلك موضوعي واحد ، وإذ يرى غالب النقاد أنَّ هذا خروج عن حد الوحدة العضوية ، فإنَّ نقاداً آخرين يخالفونهم الرأي ، ومنهم الدكتور محمد النويهي الذي يقول : ((**الوحدة المطلوبة لا تحجز الشاعر عن تعدد التجارب والعواطف في قصيدته ، إنما يشترط أن تكون جميعاً متجانسة المغزى ، هادفة – بتعدادها – إلى استجلاء وحدة في الوجود أو في موقف النفس البشرية منه**)) [3] .

وإذا كان السنوسي وغيره من الشعراء الذين حاولوا إيجاد إطار معنوي لقصائدهم يدعم وحدتها الفنية ، فإنَّ شعراء غيره اتخذوا أطراً محسوسة تحتوي قصائدهم الطويلة ، وتشعر بشيء من الوحدة والتماسك ، ومن ذلك صنيع علي النعمي في قصيدته الطويلة (رسائل إليها) [4] ، حيث ضمّت ستَّ رسائل شعرية دارت في فلك واحدٍ ومستوى عاطفي لا تكاد تخرج عنه ، وحقق لها إطار الرسائل نوعاً من الوحدة والتماسك الذي تفتقده غالباً القصائد الطويلة أو متعددة الأغراض ، التي لا يحاول بعض شعرائها إيجاد أي لحمة تسدّ خللها أو تلمُّ شعثها ، فتتحول القصيدة عندئذٍ إلى

(١) انظر : محمد بن علي السنوسي حياته وشعره ، القسومي : ٢٠٤ .
(٢) انظر : الأعمال الكاملة : ١٨٨ – ٢٠١ .
(٣) قضية الشعر الجديد ، د. محمد النويهي : ١٠٩ .
(٤) انظر : عن الحب ومنى الحلم : ٢٣ – ٣٤ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

مجموعة مقطعات تآخت في الوزن والقافية، وكل مقطعة تدور في فلكٍ بعيدٍ عن أختها ، ولولا وزنها وقافيتها لما توقعنا أنها من قصيدة واحدة .

د- طول النّص وقصره :

إنَّ قضية طول النص وقصره مرتبطة بمؤثرات وعوامل تخصُّ تجربة النص ذاته، وليست خاضعة لقدرات الشاعر الفنية أو دليلاً عليها ، فلتلك آثار محدودة ، فبعض التجارب الشعرية يكفيها البيتان والثلاثة ، وبعضها لا يكفيها إلا القصائد الطوال .

وإذا تأملنا رأي نقادنا القدامى في هذا الشأن ، نجد أنَّ بعضهم يرجع طول النص وقصره إلى قدرة الشاعر وعمده إلى ذلك ، فهناك نقاد يعيبون على الشاعر قصر النفس وميله إلى المقطعات ، ومن هؤلاء حازم القرطاجني ، فهو يرى أنَّ ميل الشاعر إلى المقطعات يرجع إلى ضعفه عن توليد المعاني ، وعجزه عن جمع الخاطر في مقصوده ، وقصر مرماه في ميدان الشعر [1] . بينما نجد أنَّ هناك نقاداً آخرين يرون عكس ذلك ، ومنهم أبو هلال العسكري إذ يرى أنَّ المقطعات والقصائد القصيرة تكون أوقع في الصدور ، وفي الآذان أولج ، وبالأفواه أعلق ، وللمعاني أجمع ، وأنَّ صاحبها أبلغ وأجز، وأنَّ تلك القصائد في المحافل أجول [2] .

ولكن النظرة المعاصر لهذه المسألة تميل إلى أنَّ التجربة الشعرية هي العامل الرئيس المتحكم في طول النص أو قصره ، وأنَّ طول النص هو دليل على قدرة الشاعر الفنية – فعلاً – بشرط أن يكون النص الطويل ناجحاً ، ولكنَّ ذلك لا يقلّل من شأن شاعريته إذا جمع بعد ذلك في شعره إلى جانب نصوصه الطوال مقطّعات وقصائد قصيرة ، حتى ولو فاقتها عدداً ، بل نجد أن ذوق العصر – الآن – يميل إلى القصائد

(١) انظر : منهاج البلغاء وسراج الأدباء ، لحازم القرطاجني : ٣٢٣ .
(٢) انظر : كتاب الصناعتين : ١٩٣ – ١٩٤ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

القصيرة [1] . وهو ما دعا الشعراء إلى الإكثار منها في دواوينهم بعامة .

وبإمكاننا التعرف على شكل القصيدة لدى شعراء جازان بناء على مستوى طول القصائد لديهم أو قصرها ، وعلاقة ذلك بالتجربة الشعرية ودواعيها المختلفة .

بادئ ذي بدء تدرك أنَّ أكثر الشعراء لم يكونوا ممن استهوتهم مقطعات الشعر ولا قصائده القصار ، إذ كانوا يرون أنَّ من شواهد الموهبة الفذة والشاعرية المتدفقة طول نفس الشاعر وبسطه للمعاني ، على أنَّ ذلك التطويل ليس في كل القصائد ، بل فيما يحتاج منها إلى طول – وأن يكون الشاعر حين مدَّ النفس في القصيدة متماسك الأسلوب، غني اللغة، لا يلجأ إلى التكرار المملّ .

ولكن لنا أن نتساءل : هل هناك عدد محدد للطول ، إذا تجاوزه الشاعر عدت قصيدته طويلة ، وإذ قصّر عنه عدّت قصيدته قصيرة ؟ ، وهل يحق لنا أن نلزم الشاعر بعددٍ محدد من الأبيات يصهر شعره وتجربته فيه ؟ .

وللإجابة عن هذا التساؤل ، أقول : إنَّ هناك عدداً من النقاد ذهبوا يقننّون الشعر ، ويحددون أطره البنائية ، ويضعون لها أبنية هندسية وأرقاماً حسابية ، ومنهم الدكتور محمد غنيمي هلال ، حيث نجده يحدّد عدداً أدنى لا تقلّ عنه أبيات القصيدة هو عشرون بيتاً ، وعدداً أقصى لا يتعدى مائة بيت [2] .

وهذا التحديد تحكم من النقاد في أمرٍ قد لا يملكه الشاعر ، وإنما تملكه التجربة وحدها . ولذا نجد بعض الشعراء ممن يميلون إلى الطول في بناء قصائدهم نجد لهم في بعض التجارب قصائد قصيرة جداً ، بل مقطعات أوفت التجربة ما تستحق من بيان وحسن تعبير. وهناك أسباب أخرى غير التجربة نشترك معها في التأثير في النص طولاً وقصراً ، كالتهذيب وحذف الحشو مما لاتحتاجه التجربة . والقوافي – كذلك – إذا كانت

(١) انظر : قصائد قصيرة جداً (شعر توم فلنجتون) ، ترجمة : محمد عبدالقادر الفقي ، ملف دارين الصادر عن نادي المنطقة الشرقية الأدبي بالدمام ، ١٤١٨هـ – ١٩٩٧م ، السنة : ٣ ، العدد : ٣ : ١١٩ – ١٢٠ .

(٢) انظر : النقد الأدبي : ٤٠٢ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

ذُللاً كانت أطوع للشاعر ، وأحرى أن تستدر أفكاره ومشاعره فيطول النص ، بينما تحدُّ القوافي الصعبة – أحياناً – من ذلك . إلى جانب المواقف والمقامات والموضوعات كما سيأتي بيانه. ومن هنا رأى بعض النقاد ومنهم الدكتور يوسف بكار عند حديثه عن بناء القصيدة العربية أنَّه ((**من الخطل أن يحدد النقاد – أياً كانوا وأنى وجدوا – طولاً محدداً للقصيدة عامة**))[1].

ولكي يكون الحديث أكثر دقة في تبيّن أثر التجربة في طول النص وقصره يمكن أن ننظر في أعمال أحد شعراء جازان ، لنرى مدى طول نفسه ، وعلاقة ذلك بالتجربة والموضوع .

فإذا نظرنا في شعر محمد بن علي السنوسي نجد أن أطول قصائده عدد أبياتها (٩٦) بيتاً ، وأقصرها (٨) أبيات ، كما أنّ هناك مقطوعاتٍ أقصرها أربعة أبيات ، وله بيت يتيم . وغالب قصائده تتراوح بين عشرين وخمسين بيتاً .

وقاريء شعر السنوسي يجد أنَّه قد مدَّ النفس في بعض القصائد التي كان يقدّم من خلالها بعض اللمحات التاريخية ، وكذلك كان شأنه في شعره القصصي ، ففي قصيدته (الرسالة والرسول)[2] التي تصل أبياتها إلى (٩٦) بيتاً ، يتحدث فيها عن الرسالة والرسول – ﷺ – ، ويتناول بعض المواقف التي شهدها النبي – ﷺ – مشيداً بأولئك الأفذاذ الذين جاهدوا في الله حق جهاده . ومتابعة تلك الأحداث الكثيرة تحتاج إلى بسط في التناول ؛ لذا طالت القصيدة ، وعلى الرغم من ذلك كانت بعيدة كل البعد عن الحشو والتكرار [3] .

ونجد السنوسي الذي نجح في قصائده الطوال أنه نجح – أيضاً – في صهر تجاربه الشعرية في مقطعات تحمل ومضات شعورية مكتملة النمو ، وتامة النضج ، ولم يحل قصرها بينها وبين الوفاء بما ترمي إليه التجربة من أفكار ومعاني . فمن ذلك على

(١) بناء القصيدة العربية ، للدكتور يوسف بكّار : ٣٣٤ .
(٢) الأعمال الكاملة : ٥١٥ – ٥٣١ .
(٣) انظر : محمد بن علي السنوسي حياته وشعره ، القسومي : ٢٠٨ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

سبيل المثال نجد من مقطعاته مقطوعة (المنظار الكاشف) ، وهي مكونة من خمسة أبيات ، يقول فيها :

قال لي وهو يستجيد المزايا شكل نظارتيك حلو الزوايا
قلت : لكنها تريني قشوراً حين أرنو ولا تريني الخفايا
لم ؟ لم يخترع لنا العلم منظاراً يرينا ماذا تسر الحشايا
قال لو كان ذاك أقفرت الدنيا ولم تأتلف عليها البرايا
هبه . قد كان . لن ترني بعد إذا ما كشفت عني [1]

فالسنوسي هنا أراد التعبير عن تجربة محدودة ، تتلخص في تبرّمه من كثرة النفاق والمتلونين الذين لا يمكن كشفهم أو الوصول إلى خفاياهم ، في حين أنَّ نظاراتنا التي نلبسها لا ترينا إلا القشور والظواهر ، ويا ليتها ترينا البواطن ، لعشنا في راحةٍ ما بعدها راحة . فقد انصبّ اهتمام الشاعر على تجلية هذه الفكرة ، ولم يستطرد أو يتفرع به الحديث ، بل أخذ النص ينمو في اطراد منطقي ، معبراً تعبيراً مكثفاً وموجزاً ، حتى بلغ منتهاه الذي لا زيادة عليه ؛ مما يدل على نجاحه في استقصاء جوانب التجربة في نفسه في أبيات قلائل .

إذن التجربة هي التي تملي على الشاعر الجيد واقع قصيدته طولاً وقصراً ، ولا يملي هو عليها ما يريد . ومن هنا يستجيد القارئ والناقد شعر المتمكن ، سواء أطال أم قصر ، في حين أنَّ بعض الشعراء كلما طال نفسه ضعفت أدواته ، وبعضهم على العكس تماماً .

ولذا فإنَّ قدرات الشاعر تظهر أكثر في إطالته للنفس ، فهو الاختبار والمحك الحقيقي، إذ في الإطالة يكبو شعراء كثر ، ومن هنا يقول الدكتور محمد بن سعد بن حسين في حديث له عن شاعرية السنوسي : ((**إنَّ السنوسي كلما طال نفسه في القصيدة وجدته أجود وأعطى للصورة الشعرية ميداناً أفضل ، وكثير من الشعراء إذا طال**

(١) الأعمال الكاملة : ٥٦٤ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

نفسهم كانوا غير ذلك ، لكن السنوسي عكس ذلك ، فكلما طال نفسه قوي شعره)) [1] .

وإذا كان السنوسي كلما طال نفسه كان أجود ، فإنَّ هناك شعراء – من سائر الأجيال لا سيما المقلدين والمحافظين – إذا طال نفسهم وهن شعرهم ، وكانت الركاكة بادية على أساليبهم ، فمن الشعراء المقلدين من مالوا إلى القصائد الطويلة التي تتجاوز – أحياناً – السبعين بيتاً علي بن قاسم الفيفي ، وأحمد على حمود حبيبي ، وعلي بن مديش ، ومن قبلهم علي السنوسي ، فطول النفس ظاهرة واضحة عندهم ، نجد بعضهم يطنب من غير وجود سبب يدفعه إلى ذلك ، ولتطويلهم صلة واضحة بتوجههم الاجتماعي ، ومحاولتهم جمع أكثر من توجه في القصيدة ، ووقوع أكثرهم بين عاطفتين تنازعانه ، هما عاطفة الذات وعاطفة المجتمع ، وإكثارهم من المدائح ، والمشاركة في المناسبة التي ربما استدعت التطويل ، وساعدهم على ذلك ثقافتهم اللغوية وقدرتهم على عدم تكرار كلمات القافية . والتطويل لا يكلف هؤلاء الشعراء وغيرهم من المقلدين شيئاً ، فلا يفقدهم الوحدة ؛ لأنهم قد فقدوها من غير إطالة ، ولايطفئ توهج العاطفة ؛ لأنها أصلاً لم توجد ، ولا يجعل الشاعر في حرج من تجديد القوالب والصيغ اللغوية ؛ لأنه في الأصل متكئ على قوالب قديمة تنثال على فكره ، فلا يستطيع وقف مدِّها المتنامي ، ويعجز عن وضع حدٍّ مناسب للقصيدة، فيظل يعيد ويبدئ، والنتيجة لا شيء .

وإذا كان هذا الأمر له ما يسوّغه عند بعض الشعراء المقلدين ، فإننا قد لا نقبله من بعض كبار الشعراء المحافظين الذين أسهموا بشكل مباشر في حركة الشعر في جازان ، وامتلكوا أغلب أدوات الشعر ، وطوعّوها لتمثيل تجاربهم خير تمثيل . وقعوا في الإطالة التي لا تناسب تجاربهم ، وألجأتهم إلى التكرار واجترار معاني الآخرين وطرائقهم بشكل ممجوج .

ومن هؤلاء الشعراء علي النعمي لاسيما في دواوينه الأخيرة المطبوعة ، وتلك التي لم تطبع بعد ، فلولا إطالته الزائدة عن الحد لنافس الشاعر محمد السنوسي على تربّع

(١) جريدة الندوة ، ع ٨٥٩٩ ، ١٨/ ١٠/ ١٤٠٧هـ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قمة الشعر في جازان في العصر الحديث ، وهذه الإطالة أوقعته في كثير من المزالق والأخطاء التي أفسدت بعض تجاربه الرائعة ، وجلبت إليها التكرار الممل في كثير من الأحيان .

ولكي يكون حديثنا عن ظاهرة طول القصائد في شعر علي النعمي أكثر وضوحاً لا بدَّ من أن نتوقف عند أحد دواوينه لنرى حدود القصيدة فيه ، ونتخذ منه دليلاً على غيره من دواوينه الأخرى ، وفي الجدول التالي رصد لعدد أبيات قصائد ديوان (عن الحب ومنى الحلم) [1] :

الرقم	عنوان القصيدة	عدد أبياتها
١	الزهرة والشاعر	٦٠
٢	في رحاب الماضي	٦٧
٣	رسائل إليها	٨٦
٤	عن الحب ومنى الحلم	١٥٦
٥	السقوط دون القمر	١٣٨
٦	العاشقة الصغيرة	٣٧
٧	في جحيم الانتظار	٢٨
٨	رعشات ممزقة	٥٢
٩	اذكريني	١٥
١٠	الأهم من القبلة في دولة الحب	٨٧
١١	الباحثة عن الإنسان	٢٤
١٢	في قلب زوج زوجتان	٧٧
١٣	عريس سارة	٤٤
١٤	ساكن بين متحريكن	٤٤

(١) رتبت القصائد في هذا الجدول وفق ترتيب الشاعر لها في الديوان .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

١٥	صورة من الأرشيف	٢٤
١٦	الصلب على جسر الحب	٢٥
١٧	الحب النعمة لو	٣٤
١٨	غيثة وجرادي	٥٤
١٩	النغم الجريح	٢٦

ومن خلال هذا الجدول يستنتج الباحث أنَّ القصائد الطويلة قد طغت على الديوان، فهناك (١١) قصيدة تجاوزت أكثر من أربعين بيتاً ، و (٧) قصائد زادت على عشرين بيتاً ، وقصيدة واحدة جاءت في (١٥) بيتاً ، بينما لم نجد في هذا الديوان أي مقطوعة شعرية ، ولا في غيره من دواوين الشاعر الأخرى .

وهذا الديوان الذي نحن بصدده هو ديوان خصَّصه الشاعر لرصد تجاربه الوجدانية الدائرة في فلك الحب والحياة الزوجية بشتى جوانبها وأحوالها هدوءاً وصخباً ، لقاءً وفراقا ، وهذه التجارب في العادة تصاغ في قوالب بنائية قصيرة ، ولا تحتاج إلى مدّ النفس فيها ، ولو أنَّ الشاعر كان يتحدث عن قضايا متشعبة ذات بعدٍ اجتماعي أو سياسي ، كما هو الحال في ديوانه (الرحيل إلى الأعماق) الذي خصصه لقضايا الأمة العربية وما يحيط بها من أخطار، لكان معذوراً ، ولكنه هنا لا يعذر في مقام التجارب العاطفية التي لا تتلاءم معها قصائد بعضها تصل إلى (١٥٦) بيتاً ، كما في قصيدة (عن الحب ومنى الحلم) [1] التي سمّى بها بعد ذلك الديوان .

والشاعر علي النعمي – كغيره من شعراء المطولات – يبنى بعض قصائده على المقاطع المنوعة ، كل مقطع يتحدث عن جزئية ، بل نجد أحياناً بعض تلك المقاطع لا تتفق مع غيرها من المقاطع سوى في الوزن والإطار العام ، حتى لكأنها قصائد أخرى

(١) عن الحب ومنى الحلم : ٣٥ – ٥٤ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

مغايرة ، ضمّ بعضها إلى بعض ، ومن ذلك – مثلاً – قصيدة النعمي (رسائل إليها) [1] ، فقد بلغت ستة وثمانين بيتاً ، وهي قصيدة وجدانية تمثل نظرة المجتمع إلى المرأة ، ومطالبتها بالعفاف والستر ، وربط جمال المرأة بذلك ، وبدونه فهي جسد بلا روح ، ((**والقصيدة تفتق معاني الحب ، وتلوب في دائرة الإعجاب بالأوصاف الجمالية التي يشعلها الحب والأشواق والأماني . وهي تقوم على فكرة رئيسة تنطلق منها المعاني والمضامين ، بل يظهر فيها الانفعال ، وكل رسالة تدور حول فكرة منفردة ، تكررت فيها كثير من الصور ، ولم تلتزم روياً موحداً ، بل كل رسالة من رسائل القصيدة الست لها روي خاص بها**)) [2].

وإذا تتبعنا موضوعات النصوص الطويلة لدى شعراء جازان ، نجدها تكثر في الشعر المتصل بالقضايا الإسلامية والعربية ، ومن طبع هذا اللون من الشعر أن يطول ، بسبب تفرّع الحديث في قضاياه المزمنة ، وحرص الشعراء على شرح مواقفه منها بكل تفصيلاتها ، ودخول الشكوى والتبرم بالواقع ، كما نجد ذلك عند كثير من الشعراء ، أمثال السنوسي ، والعقيلي ، والنعمي ، وعلي بن قاسم الفيفي ، وعلي بن مديش ، وغيرهم . وربما كان لإلقاء بعض هذا الشعر في المحافل دور آخر في إطالته ، على حدّ قول الخليل بن أحمد : ((**الطوال للمواقف المشهورة**)) [3] .

والطول أيضاً قرين القصائد القصصية التي تعرَّفْنا على كثير منها عند الحديث عن الوحدة العضوية ، ونراه – أيضاً – في الحكايات الشعرية التي يكثر منها النعمي ، وأحمد الحربي ، وعلي بن حسين الفيفي ، ولعل قصيدة علي النعمي (في البدء كان الريف) خير مثال على ذلك ، فهي تروي حكايات السُّمار في الأرياف ، تلك الأحاديث التي قال عنها الشاعر في مقدمته : ((**أحاديث السامرين عذبة كأحلامهم** ،

(١) المصدر السابق : ٢١ – ٣٤ .
(٢) الشعر والمجتمع في المملكة العربية السعودية ، للدكتور مسعد العطوي : ٤٥٤ بتصرف .
(٣) العمدة ، لابن رشيق القيرواني : ١ / ١٨٦ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

نقيّة كوجوههم ، صافية كأنجم المساء المتناثرة ، عفوية كعفويتهم)) [1] . ومن بين تلك الأحاديث المتنوعة أورد النعمي أحاديث زيد الريفي ، ووصف ذلك المجلس قائلاً :

مجلسٌ في الريف حول الغنم ضمَّ فتيان الحمى في شممِ
في مُراحٍ صاخبٍ مضطربٍ بصغار البهم بين الغنمِ
كلُّهم أسرع كي يَحْضُره باشتياق لسماع الكلمِ
وتلاقوا في صفاً يغمرُهم والمسا الصافي صفاء الأنجم
من رعاةٍ روّحوا بعد العنا في المراعي للمراح الأعظمِ
وروى الراعي حكايات هوى وحكى الفلاح بعض الحلمِ
ومضى الليلُ وزيدٌ صامتٌ ولدور القول لم يستلمِ
كان يبدو ذاهلاً منصرفاً كان يبدو غاية في السأمِ [2]

والقصيدة تمثل لوحات يتمم بعضها بعضاً ، تصف أحوال أهل الريف ومعاناتهم وآمالهم وبعض شؤونهم الخاصة ، وقد جاءت في (٢١٧) بيتاً [3] ، والقصيدة في النهاية بكل حكاياتها وقصصها الرمزية وما فيها من حوار إنما ترمز لبعض ملامح حياة الشاعر الذي رمز لنفسه بـ (زيد الريفي) .

ومن أهم أشكال الطول في شعر جازان ما أسماه بعضهم بالملاحم الشعرية **((ومعروف أنَّ الملحمة من حيث هي جنس أدبي لها بعض المقومات الفنية ، التي لا نقرُّ كثيراً منها من نواحٍ عقائدية ، وخاصة فيما يتعلق بأساطير الآلهة اليونانية التي نشأ هذا الفن في أحضانها))** [4] ، أو من نواح اجتماعية ؛ لأن الملحمة مرتبطة في نشأتها بالعقول البدائية

(١) جراح قلب : ١٧٤ .
(٢) المصدر السابق : ١٧٤ – ١٧٥ .
(٣) المصدر السابق : ١٧٤ – ٢٠٢ .
(٤) الاتجاه الابتداعي في الشعر السعودي الحديث ، لمحمد حبيبي : ٢/ ٢٢ ، وانظر : الملحمة في الشعر العربي ، للدكتور محمد بن سعد بن حسين (كتاب تحت الطبع) : ٤٤ – ٤٥ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وعهود الفطرة الإنسانية ، وهذه لم يعد لها وجود في عصرنا الحاضر المتمدن في أي مكان [1] ، فالملحمة من الناحية اللغوية تعني الموقعة العظيمة القتل ، والتحم الجيشان إذا اقتتلا قتالاً شرساً [2] . أما في الاصطلاح الأدبي والنقدي فتعني : ((**قصة بطولية تحكى شعراً تحتوي على أفعال عجيبة ، وحوادث خارقة للعادة ، وفيها يتجاوز الوصف مع الحوار وصور الشخصيات والخطب ، ولكن الحكاية هي العنصر الذي يسيطر على ما عداه**)) [3] .

ولذا فإن تسمية بعض قصائد الشعر العربي بالملاحم أمر مبالغ كثيراً ، ولا ينبغي أن يكون إلا على سبيل المجاز ، ولا يمكن أن ينسب أي عمل شعري طويل إلى هذا الفن لمجرد توافق أجزاء قصيرة منه مع المفهوم اللغوي للمصطلح ، مع اختلافه الشديد مع المصطلح الأدبي والنقدي له في الجوانب الموضوعية والفنية المهمة . فلكل فنَّ مصطلحاته التي تؤطره ، وتمنع تداخله مع غيره ، وتميزه من الاختلاط بالأجناس الأخرى . ولا يضير أدبنا أن يكون خالياً من هذا النمط الفني الخارج عن موروثنا الأدبي وتقاليدنا الخاصة .

ومن هنا فإنَّ قصيدة علي النعمي التي سمّاها (كويت الملحمة) لا تدخل في الملاحم المعروفة كمصطلح نقدي له أطره الخاصة ، إذ ليس فيها قصة تامة المعالم ، ولا عجائب ، ولا خوارق ، ولا رسم لشخصيات متكاملة الملامح ، ولا خطب ، وتفتقد مع ذلك كله العنصر الأساسي وهو الحكاية . ومن ثمَّ لا يصح أن تسمى ملحمة ، وإنما أفضل شيء يمكن أن يطلق عليها هو اسم (مطوَّلة) .

وقصيدة علي النعمي (كويت الملحمة) ، هي أشهر قصيدة في شعر جازان تدخل تحت تلك التسمية ، وهي تعالج قضية غزو العراق للكويت واحتلاله لها ، ثم ما تلا ذلك من أحداث جسام أدت في النهاية إلى تحرير الكويت من غاصبها ، وعودة أهلها إليها . وهي قصيدة تفعيلية ، من بحر الرجز ، وقد جاءت في أكثر من مائة

(١) انظر : الأدب المقارن ، للدكتور محمد غنيمي هلال : ١٥٩ .
(٢) انظر : لسان العرب ، لابن منظور ، مادة (ل ح م) .
(٣) الأدب المقارن ، للدكتور محمد غنيمي هلال : ١٤٤ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

صفحة ، استعرض الشاعر فيها تلك الأحداث مع شيء من الإسهاب ، ولكنه حرص على الأسلوب القوي ، وتحقيق الحبكة الفنية فيها ، ومن وسائله في ذلك إيجاد وصلات بين المقاطع ، فقد كان يعتمد على الأسلوب الحكائي (كان يا ما كان) ، وقد تكررت هذه الجملة أربع عشرة مرة ، وأول مقطع وردت فيه قوله :

وكان يا ما كان
في حاضر الشتاتِ
والأحزابِ
حاضرِ الهوانِ
كان لحاكم العراقِ
موقفٌ جبان
من جاره الوفيِّ
والحمارُ لا يشبهُ
في الحقيقة الحصان
والمعدنُ الرّديء
كيف كان
لا يماثلُ الجمان
والغدرُ والقسوةُ
في الحياة
لا ترقى إلى مراتب
الوفاء والإحسانِ
والحنان [1]

(١) لعيني لؤلؤة الخليج : ٩٨ – ٩٩ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ونجد أنَّ القصيدة – كما هو واضح من خلال المقطع السابق – تكاد أن تكون موزونة مقفاة ؛ لكثرة القوافي الداخلية التي ترددت فيها ، وفي هذا المقطع بنيت على قافية (النون) .

وهذه القصيدة كغيرها من كثير من القصائد التي سميت ملاحم ، لا يربطها في النهاية بفن الملاحم الحقيقي سوى طول بعضها الذي يتجاوز مئات الأبيات الشعرية ، فيما تخلو معظمها من جوهر الفن الملحمي – كما يؤكد ذلك أكثر الدارسين [1] . ولولا أنَّ لهذه القصيدة ارتباطاً وصلةً بطول القصيدة وشكلها البنائي لما ذكرتها ، أو أفضت في الصلة بينها وبين الملحمة من عدمها .

**

سبق أن ذكرنا في أول الحديث عن هذا المبحث أنَّ أكثر الشعراء لم يكونوا قد استهوتهم مقطعات الشعر ولا القصائد القصيرة ، وأنَّ أكثر أعمالهم الشعرية قد تراوحت بين الطول والتوسط ، على أنَّ ذلك لا يعني عدم وجود المقطعات الشعرية لدى شعراء جازان ، فهناك شعراء سيطرت المقطعات على أكثر تجاربهم الشعرية ، وكانت أوعية مناسبة لها ، وقد برعوا في ذلك وأبدعوا ، ولكنّهم يعدّون قلة قليلة إذا ما قورنوا بالشعراء الآخرين الذين مدّوا أنفاسهم وأطالوا قصائدهم .

وهناك ثلاثة شعراء في جازان استهوتهم المقطعات أكثر من غيرهم ، هم أحمد البهلكي ومحمد الشنقيطي وحسين النجمي ، وهؤلاء الثلاثة يمثلون التوجه الرومانسي في النظرة إلى الشعر ، والقصيدة لدى هذا التوجه تعتمد دائماً على القصر ، إذ مضامين قصائد الرومانسيين تعتمد الذاتية ، إلا في قليل من المواطن يعمد الرومانسيون إلى التطويل ، وحينئذٍ يقيمون قصائدهم على بناءٍ عضوي ، فلو تأملنا ديوان (طيفان على نقطة الصفر) لأحمد البهلكي نجد أنَّ أغلب قصائده تعتمد القصر ، وأكثرها مقطعات، ولم يرد فيه سوى قصيدتين طويلتين ، ولذا فقد فطن البهكلي إلى هذا الميل لديه ، فقال

(١) انظر : الملحمة في الشعر العربي ، للدكتور محمد بن سعد بن حسين : ٢٦ ، وفيه يقول : لو كان مثل هذه المطولات ملاحم ، لكان جلّ الشعر العربي الطويل كله داخلاً في هذه التسمية .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

في مقدمة ديوانه السابق : ((**ومع أنني لا أشك إطلاقاً في الإيجاز الذي اعتمدته هنا ، وفيما مضى ، وسأعتمده مستقبلاً بمشيئة الله ، مع ذلك فقد وردت بعض القصائد الطوال ، كقصيدة (غسيل الملائكة)، وقصيدة (ذهول الحسّ) مثلاً . على أنَّ المتمعن فيها جيداً يلاحظ أنَّ التناول لم يكن منصبًّا على سرد التفاصيل الحديثة بقدر مايصف الأثر النفسي أو (الانعكاسات الشرطية) كما يسميها بذلك تلاميذ الغزالي وبافلوف ...))** [1] .

وترواحت مقطعات شعراء جازان بين الرباعيات والخماسيات ، وقلة منها جاءت سداسية أو سباعية، وبندرة جاءت الثنائية والثلاثية .

فمن الرباعيات الواردة في شعر البهلكي قوله :

لستُ في دنيا الهوى أوَّلَ قيسٍ لتكوني في الهوى أوَّلَ ليلى
يا متاهاتِ الشجى الماضي ومَلقَى حزني المقبلِ لن أبغي مَيْلا
أنتِ يا معركةً في عِزّ نصري شرَّدتْ جيشيَ فرساناً وخيلا
مالتِ الكفّة من همّي وزناً وطغا الصاع من المأساة كيلا [2]

ومن الخماسيات الواردة في شعر محمد الشنقيطي قوله في مقطوعة (شوك على ورد) :

على جبينك يا غيداء أحلامي وفي ابتسامتك الغراء إلهامي
قدٌّ يميسُ فيعيى أن يمثّله في الحسن واللون إلا فكر رسَّامِ
ومن مزاياك تُروى كلُّ مدرسةٍ تسمو المكارمُ فيها مرتقى سامِ
روضٌ جميلٌ على أخلاق سامية لكنَّما أينعت في الروض آلامي
إذا رغبتُ مساس الورد آلمني وخزُ الصدودِ فيهمي قلبي الدَّامي [3]

أما مقطّعات حسين النجمي فأكثرها سداسيات ، ونجد لديه في هذا الشأن ظاهرة

(١) طيفان على نقطة الصفر : المقدمة .
(٢) الأرض والحب : ٧١ .
(٣) خلف أسراب البجع : ٢٤ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

تجزيء النصوص وتقسيمها ، حيث نجد المقطوعتين المتجاوزتين تكوّنان قصيدة واحدة ؛ لما بينهما من اتحاد في المعنى ، واتصال في المشاعر ، وأحياناً نجده يبدأ المقطوعة الثانية بما ختم به الأولى ، وبما يكوّن رابطة قوية بها ، ومن ذلك ما جاء في المقطوعتين المتجاورتين في الديوان (أمل ويأس) ، و (تَعَبُ النوى) ، فقد جاء في المقطوعة الأولى :

قد كان لي أمل به لكنه كالمستحيلْ
فلقد خشيت عليه أن ينسى المودة أو يميلْ
قد كنت أبصر دربه لكنه وعر طويلْ
بل كان يرقب حالتي وكأنه يشفي الغليلْ
فعجبت منه وقلت إنَّ (م) الحقد يزري بالجميلْ
عودي إليَّ حبيبتي فيئي إلى ظلي الظليلْ [1]

ثم يبدأ المقطوعة التالية (تعب النوى) بقوله :

عودي لتأتلق الصور وتشاركيني في السهر [2]

والمقطوعات بطولها المحدود ، نابعة عن تجارب محدودة غير ممتدة ولا متعددة ، تكون غالباً ابنة لحظتها ، ((**تميل إلى الإيحاء والتكثيف ، وتنأى عن التفصيل والتحليل والسرد والتقرير**)) [3] ، وكثير من هذه المقطعات تشبه إلى حد كبير الأقاصيص القصيرة، المتلاحمة الأجزاء . وفي الغالب كل شاعرٍ أبدع في المقطعات ، فهو بالتالي قادر على نسج القصائد الطوال ، اللهم إلا قلة قليلة من الحكماء وبعض العلماء ممن أثرت لهم تجارب قليلة في عالم الشعر [4] .

(١) خفقات قلب : ١٤ .
(٢) المصدر السابق : ١٥ .
(٣) المقطعات الشعرية في الجاهلية وصدر الإسلام ، للدكتور مسعد العطوي : ٥٨ .
(٤) انظر : المرجع السابق : ٦٣ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

هـ- خواتيم القصائد :

تعد الخاتمة من أهم أجزاء هيكل القصيدة وأركان بنائها ، وقد اهتم بها نقادنا القدامى، ودعوا للعناية بها ، وأطلقوا عليها اسم (المقطع) أي الحد الفاصل الذي يقطع أفكار الشاعر ، ولذا أبان ابن رشيق عن أهميته بقوله : ((**هو قاعدة القصيدة ، وآخر ما يبقى منها في الأسماع ، وسبيله أن يكون محكماً ، لا تمكن الزيادة عليه ، ولا يأتي بعده أحسن منه ، وإذا كان أول الشعر مفتاحاً له وجب أن يكون الآخر قفلاً له**)) [1] .

ويرى النقاد المعاصرون أن الشاعر لم يعد مطالباً بتلك الخواتيم التي حددها القدماء ، متضمنة أمثالاً وحكما وتشابيه جميلة رائعة [2] ، ومع هذا فهم يوافقون النقاد السابقين في المعيار الأول ، وهو أن تكون الخاتمة قراراً للقصيدة ، ويعللون ذلك بقولهم: ((**إن القصيدة ما هي إلا تجربة تنتهي بنهايتها**)) [3] .

ويعيب النقاد المعاصرون على بعض الشعراء غير المتميزين أنهم لا يعرفون متى يجب أن يسكتوا ، وأنَّ كثيراً من قصائد الشعر المعاصر تنقصها لمسة الختام ، أو كما قالت نازك الملائكة : ((**تترك في النفس أثراً يشبه العطش ؛ ذلك أنها تثير في أنفسنا توتراً ، ثم تتركنا لمخالبه دون أن تزيله أو تنهيه**)) [4] .

وبعد تأمل خواتيم القصائد في شعر جازان ، نجد أنَّها جاءت متفاوتة الأساليب متنوعة المواقف ، تبعاً لإدراك الشعراء لأهميتها ، أو قدرتهم على الإفادة منها في الخروج بنص متكامل الأجزاء ، ومن أهم معالم الخواتيم ما يلي :

١- جعل الخاتمة قفلاً للنص وارتباطها بموضوع النص ومطلعه :

أشار بعض نقادنا القدماء إلى أنَّ من سمات الختام الجيد ، أن يكون أدخل في المعنى الذي قصده الشاعر من نظم القصيدة [5] ، وهم بهذا يشيرون إلى علاقة الخاتمة

(١) العمدة ، لابن رشيق : ١/ ٢٣٩ .
(٢) انظر : بناء القصيدة العربية ، د. يوسف بكار : ٣٠٦ .
(٣) المرجع السابق : الصفحة نفسها .
(٤) قضايا الشعر المعاصر ، لنازك الملائكة : ٢٤٠ .
(٥) انظر : كتاب الصناعتين ، لأبي هلال العسكري : ٥٠٣ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

بغرض القصيدة وموضوعها ، ومن هنا فقد عني الشعراء في جازان بهذا الأمر ، حيث رأيناهم يعقدون الصلات بين مطالع القصائد وخواتيمها ، وإعطائهم ملخصاً للفكرة العامة للقصيدة في مطلعها ، وإيجاز النتيجة التي وصلوا إليها أو أرادوا الوصول إليها في ختام القصيدة ، ومن ذلك ما تكرر كثيراً في أشعار محمد العقيلي . نجد ذلك واضحاً في قصيدته التي مدح بها الدولة السعودية الحديثة ، وفيها تحدث عن قيام المملكة على يد المؤسس الملك عبدالعزيز آل سعود – رحمه الله – ، وكيف أنها في فترة وجيزة اتخذت لها مكاناً بارزاً وفاعلاً في المجتمع العالمي ، فقد افتتح هذه القصيدة بقوله :

يا دولةً نعمت في ظلها الأممُ وأشرق الحق وانجابت به الظلمُ[1]

فهذا إفتتاح مناسب دخل به الشاعر في صلب موضوعه ، ثم بعد ذلك اختتم الشاعر قصيدته بقوله :

لا زلتِ فرقد مجدٍ في سماء علاً مؤيداً تضّوي في ظلك الأممُ

فالختام بالدعاء لدولته بالديمومه والاستمرار في عطائها لبني البشر مناسب تماماً لمطلع النص ومضمونه ، ونلحظ أنَّ الشاعر أعاد جزءاً من صدر المطلع في الجزء الأخير من الختام .

وفي قصيدة أخرى غزلية بعنوان (غادة) افتتحها بقوله :

تأملتها كضياء الصباح وكالطلِّ في الزهرة الناعمة[2]

ثم ختم القصيدة بعد ذلك بقوله :

وغاصت بي الأرض في لحظةٍ ونفسي على رأسها حائمه

وهذا يدل على تحقيق للتواصل بين خاتمة النص ومطلعه ، حيث بدأت الأحداث بالتأمل البريء ، وانتهت بالترقّب وانتظار الفرصة للظفر بتلك الغادة .

(١) المجموعة الشعرية : ٢١ .
(٢) المصدر السابق : ٢٠٩ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

وفي قصيدته (تحية التاج) التي مدح بها الملك سعوداً افتتحها بمطلع احتفالي قائلاً :

قد أدار البيان والشعر جامه　　فاشربي نخبه وعبّي مدامه [1]

وهو افتتاح مناسب للاحتفال الذي أقيم بمناسبة زيارة الملك سعود لجازان ، ثم إن الشاعر ختم قصيدته بما يكون قفلاً ملائماً لها مع ارتباطه بالنص ارتباطاً وثيقاً ، وذلك بقوله:

احتفالات لا الرشيد اجتلاها　　في علاه ولا استضافت هشامه

فنجاح الشاعر في هذه الخاتمة يعود إلى أسباب كثيرة ؛ منها أنها جاءت قفلاً محكماً للقصيدة ، بحيث لا مجال للزيادة عليها ، ومنها صلتها القوية بالبداية ، فكأنَّ الشاعر قد علل سبب تلك الفرحة التي وشى بها المطلع ، وذلك بقصده إلى الموازنة بين احتفالات الملوك العظام من بني أمية وبني العباس وبين احتفالات الملك سعود ، وهو إيحاء خفي يشير إلى أنَّ مُلك آل سعود ، إنما هو امتداد لتلك الخلافة الإسلامية ذات المجد والعزة والريادة [2] . وهذا الصنيع يأتي متسقاً مع آراء النقاد الذين يرون أنَّ نهاية القصيدة تكون مؤثرة متى ما كانت متصلة ببدايتها ، وبذلك يتم للشاعر تحقيق فعل متكامل في صميمه ، ينتهي في موضع شبيه بموضع بدئه ، وإن لم يكن هو بالضبط [3] ، ومن أروع ما يمثل هذا من خواتيم في شعر علي النعمي ما جاء في قصيدته : (الرحيل إلى الأعماق) التي بدأها بحديثه عن تبرم زوجته من ملازمته للكتاب ، وانشغاله عنها وعن أولادها ، قائلاً :

في ليله المملوء بالأحزانِ　　ومرارة البأساء والحرمانِ
نادته أم عياله في لهفةٍ　　عد للفراش بهجعة الصبيانِ

(١) المصدر السابق : ٢٧٣ .
(٢) انظر : شعر محمد أحمد العقيلي دراسة تحليلية لخالد الشافعي : ٣٩٧ .
(٣) انظر : الأسس النفسية للإبداع الفني في الشعر خاصة ، للدكتور مصطفى سويف : ٣٠٦ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

حتى نعيش حياتنا تلك التي بهَتتْ ، ونسعَد لحظة بتدانِ
فلقد غدا عشق الكتاب يخيفني ويزيد من قهري ومن غلياني
أنا والصغار أعيش في دوّامةٍ يومي ، وليتك حاضراً لتراني [1]

ثم بعد ذلك يطلب الشاعر من زوجته أن تدعه يعيش عالمه وحريته الخاصة كشاعر، وأن تتركه يتأمل ويسترسل في مهمته الرامية إلى إصلاح المجتمع من حوله ، وبعد فراغ الشاعر من رحلته الشاعرية التي أسماها (الأعماق) يصل إلى النهاية ، وفيها يعود إلى واقعه وإذا بتلك الزوجة تطلب منه أن يعيش واقعه ؛ لأنه إن أطال التأمل ، فسيصدم بكثير من العقبات ، فالواقع مرير وأسراره عجيبة ، ورضيت تلك الزوجة على مضض أن يعود زوجها إلى الكتاب ، فهو أهون عليها من ما قد يعرض لزوجها من مصاعب بسبب شعره ، ولكنّ الشاعر لم يعد للكتاب ، إذ لم يعد في الوقت متسع ، فالليل أوشك على الرحيل ، يقول في خاتمة القصيدة :

زوجي الحبيب دع الرحيل وعد لنا فلكم يطول الليل بالسهرانِ
وأرح ركابك من طويل سفارها بالنوم . . فهو مظلة الأبدانِ
عش للصغار وللوظيفة وابتعد عمَّا يعرضني إلى الحرمانِ
هبني أسأتُ إليك مما نابني فامسح بعفوك ثرثرات لساني
هاك الكتاب ، فقال : لا يا منيتي (قد حيل بين العير والنزوانِ)[2]

وقد تنوعت صور هذه المظاهر الختامية ؛ التي تتصل فيها الخاتمة بالمطلع ، فكان منها:

- جعل الختام في القصيدة تلخيصاً للقصيدة وإيجازاً لفكرتها ، يظهر ذلك في مثل قصيدة (خلق المسلم) للسنوسي ، حيث تحدث فيها عن أخلاق المسلم وشيمه العالية ، وفي الخاتمة قال :

(١) الرحيل إلى الأعماق : ٧١ .
(٢) المصدر السابق : ٨١ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

وأنـا المـسلـم مـن يعرفـني　　يعرف الجوهر في الإنسان صافي [1]

- **ويأتي المطلع سؤالاً** ، تظل القصيدة تنمو في اتجاهه لاتحيد عنه ؛ تحاول أن تكشف عن أسبابه ومراميه دون أن تصل إلى حل ، حتى تأتي الخاتمة لتضع الحل الآخير ، كما جاء في قصيدتي (جبل فيفاء) [2] ، و (أفرست) للعقيلي ، وفي هذه الأخيرة نجده يبدأها ببيان العلو الشاهق لتلك القمة عن طريق السؤال والاستفهام المتضمن لمعاني التعجب ، مع تكرار ذلك الاستفهام أكثر من مرة ، يقول :

أقمة فوق سطح الأرض ؟ أم دار　　أم فرقـدٌ للـدراري فيـه أوكـار ؟ [3]

وختمها بتقرير حقيقة ارتفاع تلك القمة بقوله :

طـود عـلى كتـد الـدنيا وغاربهـا　　في مسبح النجم والأفلاك دوَّارُ

وأحياناً تأتي الخاتمة ولا يقدر الشاعر على الإجابة عن سؤاله المطروح في المطلع ، فلا يستطيع أن يصنع شيئا ، ومن ثم يعيد المطلع نفسه ، نجد ذلك في قصيدة (الأسئلة) لإبراهيم صعابي ، حيث جاء في مطلعها :

مَنْ قتل الصحوةَ في جوف الأمة ؟
من أجهض في الليل بيانات العتمة ؟
من نسج الويل على كتف الأرض
وزوال تشويه العصمه ؟
ومن اغتال بشر فتنا أجمَلَ.. أجملَ غيمهْ ؟ [4]

(١) الأعمال الكاملة : ٣٢٣ .
(٢) المجموعة الشعرية : ٣٣٥ .
(٣) المصدر السابق : ٣٩٧ .
(٤) وقفات على الماء : ٩٧ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وختمها الشاعر بالمطلع نفسه دون تغيير ، وأعاد التساؤلات ذاتها ؛ لأنه عجز عن الإجابة القاطعة .

- **الاكتفاء بإعادة المطلع أو شطرٍ منه** ، وقد تفاوت الشعراء في ذلك ، فمنهم من يعيد المطلع والبيت الذي يليه في خاتمة القصيدة ، ومن ذلك صنيع عبدالله الفيفي في خاتمة قصيدته (اغتراب) ، حيث قال :

حنانيك.. لا تنكأ فؤادي.. ترفَّقِ فإنَّ هوى الأوطانِ مبقيكَ ما بقي

وإن هوى الأوطان يا صاح قاتلي وإن هوى الأوطان يا صاح مُعْتقي [1]

ومنهم من يعيد شطراً واحداً من المطلع فقط ، كما جاء في قصيدة (الهزار الحزين)[2] لحسين النجمي ، وكذلك (المجالس) [3] لعبدالرحمن أحمد موكلي [4] ، وهى مما يسمى بقصيدة النثر .

وهناك بعض الشعراء المقلدين يشير في خاتمة قصيدته إلى أنه بصدد إعادة مطلع قصيدته في آخرها ، كقول حسين كريري :

ومسك ختام القول ما قلت أولاً إليك وليدَ المجد ينتسبُ المجدُ [5]

(١) إذا ما الليل أغرقني : ٩٨ – ٩٩ .

(٢) خفقات قلب : ٨٤ .

(٣) التاريخ الأدبي لمنطقة جازان ، للعقيلي : ٣/ ١٨٥٧ .

(٤) هو عبدالرحمن بن أحمد موكلي ، ولد بمدينة الظبية بمنطقة جازان سنة ١٣٨٣هـ ، ودرس بها ، ثم التحق بجامعة الملك عبدالعزيز ، وحصل على البكالوريوس في الآداب سنة ١٤٠٧هـ ، وله مشاركات شعرية جيدة ، نشرت بعضها في الصحف السعودية . انظر ترجمته في : التاريخ الأدبي لمنطقة جازان ، للعقيلي ٣ / ١٨٥٢ .

(٥) عزف على أوتار الحب : ٣٣ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

بينما الشعراء غير المقلدين يتركون ذلك لفطنة القارئ وملاحظته ، ولا يذكّرونه بإعادة المطلع .

٢- ختم القصيدة بالدعاء :

وهو مظهر تقليدي شاع لدى شعراء العربية في القديم والحديث ، ولكنه في فترة الركود الأدبي في القرون التي سبقت العصر الحديث أصبحت الخاتمة الدعائية لا سيما الصلاة على النبي - ﷺ - لازمة من لوازم القصيدة ، وسار بعض شعراء جازان على ذلك الطريق ، ومن الشعراء الذين أكثروا من ختم القصيدة بالصلاة والسلام على النبي - ﷺ - الشاعر علي ابن مديش ، نجده يعمد إلى ذلك في ختام إحدى مدائحه النبوية ، فيقول :

صلاة ربي على المختار سيدنا　　في كل وقت وفي يوم العطاءات

والله نسأل أن نحظى برفقته　　في جنة الخلد في دار المقامات (١)

وإذا كانت تلك الخاتمة قد تغتفر في قصيدة خصصت للمديح النبوي ، فإنها لم تعد ملائمة في القصائد الوطنية المعاصرة أو الاجتماعية ، حيث نجدها غير منسجمة مع ذوق العصر ، ولكن ابن مديش يقحمها في كثير من المواقف ، كما جاء له ذلك في قصيدة وطنية قال في آخرها :

وصلاة الله تغشى أحمداً　　كلما مرَّ سحابٌ أو هَمَى (٢)

ونجد شعراء آخرين كثر يعمدون إلى الدعاء في خواتيم قصائدهم ، فالشاعر علي محمد السنوسي يكثر في خواتيم مدائحه من الدعاء للممدوح ، ولا سيما مدائحه في الملك عبدالعزيز ، ومن ذلك ما ورد في ختام إحداها داعياً له بالدوام والبقاء على عرش البلاد ، مع إرفاق الخاتمة بإحدى اللوازم التقليدية ، بقوله :

---

(١) نبض القوافي : ١٧ .

(٢) المصدر السابق : ٦٤ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

دم راقياً عرش العلاء ووالياً أمر البريّة ما أهلَّ المُحرمُ (١)

وشبيه به قول ابنه محمد السنوسي في ختام قصيدة يمدح بها الملك فيصل :

فاسلم فإنك للعروبة فيصلٌ هزّت به الدنيا أجلَّ مهنّدِ (٢)

ويكثر الدعاء في القصائد الاحتفالية التي تنشد في المناسبات أو تلقى على المنابر ، ففي خواتيمها يبرز الدعاء ويتكرر ، نجد ذلك عند علي النعمي في مثل قوله في قصيدة ألقاها في حفل افتتاح مدرسة :

وختاماً عاش المليك المفدى ووليُّ العهد العظيم الوفاء (٣)

وفي قصائد الرثاء تكثر الخاتمة الدعائية للمرثي بالرحمة والمغفرة ، ومن ذلك دعاء السنوسي لصديقه ضياء الدين رجب في ختام مرثيته له بقوله :

جادك الرحمن مغفرة بالرضى والعفو تنسكبُ (٤)

والدعاء – كما نرى – هنا يختلف باختلاف المناسبة ، ففي مدائح الملوك والمناسبات العامة يدعو الشعراء لهم بالسلامة وطول العيش ، وفي المراثي يبتهل الشعراء إلى الله طالبين الرحمة والمغفرة ، فالمرء هنا لايحتاج إلا لرحمة الله ومغفرته ورضوانه .

والخاتمة الدعائية – كما مر – تتكون من بيت واحد ، ولكنها في بعض الأحيان أكثر من بيتٍ حتى لتصل في بعض القصائد إلى مجموعة من الأبيات ، تبدو كأنها مقطوعة في نهاية النص ، وهذا النوع وجد لدى بعض الشعراء الذين مالوا إلى الشعر الإلهي والزهد والمدائح النبوية ، ومن هؤلاء الشاعر أحمد العطاس نجده يختم إحدى

(١) المفقود من شعر علي بن محمد السنوسي ، جمع د. أبي داهش : ١٢٠ .
(٢) الأعمال الكاملة : ٥٩٤ .
(٣) الأرض والعشق : ٥٥ .
(٤) الأعمال الكاملة : ٧٤٦ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

قصائده بثلاثة عشر بيتاً كلها تدور حول الدعاء والابتهال إلى الله [1] ، والشاعر في ذلك لم يكن مجانباً للصواب أو مرتكباً لعيب في بناء نصه ، وإنما يكون الختام بالدعاء عيباً حين يحار الشاعر بم يختم نصَّه ، فيلجأ إليه لجوءاً اضطرارياً ، مقحماً على التجربة ، وهذا ما فعله كثير من التقليدين ، وبعض المحافظين .

٣- خواتيم أخرى :

جاءت في قصائد شعراء جازان مظاهر من الخواتيم ، ولكنها لم تكن بتلك الكثرة التي كانت عليها الخواتيم السابقة ، ومن تلك الخواتيم إنهاء القصيدة بالحكمة ، وقد جاء ذلك لدى شعراء التأمل كالسنوسي والنعمي والبهكلي ، فالسنوسي يقول في خاتمة قصيدته (وردة) التي قرّظ بها كتاب عبدالقدوس الأنصاري (تاريخ جدة) :

ومن حمل اليراع وكان جلداً　　على تبعاته أعطاه مجده [2]

ويقول في خاتمة قصيدته (نداء) :

ومن ضاق ذرعاً بالحياة فإنها　　تضيقُ به وهو الكريم السميدع [3]

ونجد مثل ذلك لدى علي النعمي في خاتمة قصيدة تتحدث عن الصراع الاجتماعي ، يقول في آخرها :

من يكافح تضحك الدنيا له　　ملء فكيها . . ويلقى من شقي

والذي ظن السما تمطره　　ذهباً عاش بقلبٍ مغلقِ [4]

والبهكلي أكثر من الخواتيم التأملية ، والمعتمدة على الحكمة والاستنتاج العقلي ، ومن ذلك قوله في إحدى تلك الخواتيم :

---

(١) من وحي التأملات : ٢٢ ، ومثله علي النعمي نجده يختم إحدى قصائده بخمسة أبيات دعائية انظر : الرحيل إلى الأعماق : ٣٣ ، ٤٩ .

(٢) الأعمال الكاملة : ٤١٣ .

(٣) المصدر السابق : ١٤ .

(٤) الأرض والعشق : ١٣٣ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وإذا انحطّت الصقورُ إلى الجيـ ـفةِ هل يُنْقَدُ انحطاط النسور ؟ (١)

ومن أنماط الخواتيم التي جاءت لدى شعراء جازان ، ولكنها قليلة ختم القصيدة بذكر عنوانها ، نجد ذلك عند السنوسي في ختام قصيدته التي عنوانها (ثاني اثنين) ، حيث يقول :

يا ثاني اثنين في ذكراك موعظة وفي جهادك للسارين أنوار (٢)

ونجده أيضاً عند إبراهيم صعابي في خاتمة قصيدته النثرية (هكذا قالت الأرض للنخلة الطاعنة) ، يقول :

بين الحين وبين الحزن
يحدّث جارية خضراء .. يعاتب صاحبة سمراءْ
هكذا قالتِ الأرضُ للنخلة الطاعنهْ (٣)

فنلحظ أنَّ الشطر الأخير من المقطع هو عنوان القصيدة الذي ارتضاه الشاعر فيما بعد، أو من قبل ؛ وذلك تأكيد من الشاعر على الصلة بين الخاتمة وبناء القصيدة الكلي .

وهناك خواتيم أخرى وردت في شعر التفعيلة ، ولكنها لاتمثل اتجاهاً عاماً ، مثل تكرار التفعيلة في الخاتمة ، كقول حسين النجمي في إحدى خواتيمه :

وهل سوف تخبو جراحي بهذا الحريق
وهل ستذوب ثلوج الشتاء
بهذا الحريق
بهذا الحريق (٤)

أو ختم القصيدة بتفعيلة جاءت في كلمة واحدة ، كقول إبراهيم صعابي :

---

(١) طيفان على نقطة الصفر : ٤١ .
(٢) الأعمال الكاملة : ٥٤٠ .
(٣) وقفات على الماء : ١٠٧ .
(٤) عيناك في وقت الرحيل : ٢٧ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

فيغتصبون شطآني وأطفالي
وأحزاني .. وأوردتي
وعينيكِ [1]

أو بتقطيع حروف تلك التفعيلة ، لاسيما لدى بعض الشعراء الشباب الذين استهوتهم النثريات ، ومن ذلك – مثلاً – قول محمد حبيبي في خاتمة نثريته (تينة) :

فأبكي على التين
أبكي على بيت جدّي
على الطفل
في داخلي
ي
خ
ت
ف
ي [2]

ولم يكن لتقطيع حروف التفعيلة أي داعٍ أو قيمة فنية في نظري .

(١) زورق في القلب : ١٢٢ .
(٢) انكسرت وحيداً : ٣١ ، والشاعر يريد بحروفه المقطعة هذه كلمة (يختفي) .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

٢- اللغـــة :

منذ أن بدأ الشعراء في صياغة تجاربهم الشعرية ، فاللغة هي المظهر الأول الذي يلمسه المتلقي من تجاربهم ، وتأتي هذه الأهمية للغة من حيث كونها الثوب النهائي الذي تبرز فيه التجربة ، التي مهمتها الأساس التعبير عن الانفعالات والأفكار ، فاللغة هي نظام من القيم الخالصة ، والأصوات والأفكار عنصراها المتلازمان كوجهي الورقة الواحدة [١] ، وهي مرآة الشاعر والممثلة لشخصيته حتى قيل في النقد المعاصر : ((**الأسلوب هو الرجل**))[٢]. ومن هنا لا يحتاج الشاعر شيئاً كحاجته إلى اللغة ، فهي الفيصل في إبراز قدراته كشاعر ؛ لأنه في الأصل رقاص يرقص بالكلمات الجميلة، ورسام يلون بالكلمات ، ونحّات يحفر بها .

وإذا كان نقادنا القدماء قد أثاروا مسألة اللفظ والمعنى ، وأداروا فيها نقاشاً طويلاً يؤكد اهتمامهم بالعنصرين معاً ، فإنّ النقاد المحدثين يؤكدون في معظم نظرياتهم على أنّ اللغة هي التجسيد المادي لوعي الشاعر ، وهي العلامة الأصيلة لأي نتاج ، ودليل ذلك أنّ أي شعر إذا ترجم إلى لغة أخرى فَقَدَ بريقه وخصوصيته وجماله الأخاذ الموجود في لغته الأصيلة .

وقبل أن نبدأ في التعرف على معالم اللغة في شعر جازان أود الإشارة إلى أنّ الشعراء المقلدين والمحافظين كانوا أكثر اقتداراً في امتلاك زمام اللغة ، وأنّ هذه الخاصية لم يشاركهم فيها المجددون ، لكن هذا الاقتدار يصل في كثير من الأحيان إلى استعراض العضلات ، وملء فراغات الأبيات بجمل وتعابير تعجب في ذاتها، وتشهد لصاحبها بطول الباع ، وإن كانت فقاعة صابون – كما يقول الدكتور عبدالله الحامد [٣] – . ومثل هذا نجده عند شعراء مقلدين كالمعلمي والعمودي وعلي السنوسي ، ومحافظين كالسنوسي الابن والعقيلي والنعمي وغيرهم ، حرصوا على انتقاء اللفظة ، والاحتفال

(١) انظر : فصول في علم اللغة العام ، ل . ف . دوسوسير ، تعريب : د. أحمد نعيم الكراعين : ١٩٥ –١٩٦ .
(٢) الأسلوب ، لأحمد الشايب : ١٢١ .
(٣) الشعر الحديث في المملكة العربية السعودية ، للدكتور عبدالله الحامد : ١٢٣ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

بصياغة العبارة ، والتفريق بحزم بين لغة الشعر ولغة الواقع ، ولا يسمحون لأنفسهم بالانزلاق إلى تلك اللغة الجديدة التي خرج إليها الشباب المتأثرون بواقعية الشعر الحديث ورموزها في الوطن العربي ، وقد جرتهم تلك الواقعية إلى الإخفاق والبعد عن الإشراق اللغوي ولغة الشعر المؤثرة ، ومع هذا الإخفاق فإنهم قد طرقوا مظاهر لغوية جديدة لم تكن مألوفة لدى من سبقهم ، وكانوا بعيدين عن الصنعة وتكلف الأساليب المفتعلة التي علق بها أكثر الشعراء المقلدين [1] وبعض المحافظين [2] ، ولعل قلة قراءة الشعراء المزاوجين والمحدثين التراث القديم هو سبب ضعف لغتهم وافتقادهم للبيان الصافي ، فنتاج الأديب مهما كان عميقاً محلقاً دون لغة جميلة ، فإنه يظل تافهاً لا قيمة له؛ لأن اللغة هي الواجهة الذي تظهر للناس .

والحديث عن لغة الشعر في جازان يتناول عدداً من الجوانب اللفظية والتركيبية وما له علاقة بالمعجم والرمز والتكرار والحوار ، وغيرها من المظاهر اللغوية في جانبيها الإيجابي والسلبي ، وذلك على النحو الآتي :

أولاً – الألفاظ :

إنّ الألفاظ هي أهم أدوات الشاعر في البناء اللغوي ، ومن ثم وجدنا أن من أهم ما ينبغي للشاعر فعله هو تمكّنه من أن يكتشف في الكلمة ما لا يكتشف غيره ، ومن ثم وجدنا بسبب هذا التمكن شيئاً من التمايز بين الشعراء ، فأصبح لكل شاعر نهجٌ لغويٌ خاصٌ به ، بل ربما وجدناه يبدولنا في كل نصٍّ بمنهج خاص بهذا النص ، فضلاً عن ظهور كل عصر بمنهجه الخاص به ، وهنا نلتقي بتجربة الشاعر اللغوية المستمدة من ثقافته من ناحية ، ومن تطور الدلالة اللفظية من ناحية أخرى .

---

(١) انظر مثلاً : قصيدة (أفغانستان المجاهدة) لأحمد العطاس ، وما فيها من تشجير في ديوان (من وحي التأملات) : ٣٧ .

(٢) انظر : قصيدة (فيتو وماذا بعد ؟!) لعلي النعمي ، وما بها من صنعة واضحة في ديوان : (الرحيل إلى الأعماق) : ٨٢ ، ووجد ذلك بقلة لدى المجددين مثل حسين النجمي في قصيدته (المشهد الأخير) . انظر ديوان (عيناك في وقت الرحيل) : ٤٩ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وهذا الدور الفاعل الذي تمارسه الكلمة هو الذي يختص به الشاعر دون الآخرين من أصحاب الكلمة ، فالشاعر يكسو اللفظة ثوباً جديداً ، أو يبعثها بعد موت. أو يغيّر من طبيعتها ، أو يشحنها بإيحاءات وتداعيات لم يكن ليحملها معناها القاموسي منعزلةً عن الشعر .

وقد عني شعراء جازان بألفاظهم ، فأجاد كثير منهم اختيارها ، وأحسنوا تطويعها لخدمة فنهم وتأدية معانيهم ، وحمل تجاربهم ، مما جعلها ذات سمات وخصائص بإمكاننا تجميع خيوطها من خلال المباحث التالية :

أ- الألفاظ بين السهولة والثقل :

من أوضح السمات اللغوية في شعر جازان اليسر والسهولة ، مع الاحتفاظ بزمام الموازنة بين التراث والمعاصرة ، ولم يكن ذلك تأثراً عند المتأخرين منهم بالشعر الرومنسي ومدارسه في الشعر العربي الحديث فحسب ، وإنما أيضاً تأثر باللهجة الدارجة في جازان التي يتميز بالسهولة واليسر وتجنب الجلجلة والضجيج عند أهلها ، نلمح ذلك عند أي شاعر من شعراء جازان ، فالعقيلي مثلاً إذا تأملنا مجموعته الشعرية نجد هذا الملمح واضحاً وجلياً في أغلب ألفاظه ، ومن ثم سهل علينا فهم شعره وإدراك معانيه دون جهدٍ وعناء ، وتلك السهولة هي وليدة شخصيته وطبعه الخاص ونتاج بيئته السهلة وانعكاس مباشر لثقافته وفكره، كما أنها ترجع من جانب آخر إلى طبيعة الموضوعات المطروحة ، والحرص على إيصال الفكرة أشدَّ ما تكون وضوحاً ، نستمع إلى ذلك في مثل قوله واصفاً جازان :

جـــازان إني مـــن هـــواك لـــشاكي فتنـــــصتي لهـــــزارك وفتـــــاك
أصـــغي إلى همـــسات قلـــبٍ طـــامح متـــــــوثّب الإلهـــــــام والإدراك
يتعـــشق الفجـــر الـــوضيء ويرتـــوي إشـــعاع نـــور كواكـــب الأفـــلاك
فلأنـــت ملهمـــة البيـــان لفنّـــه وقـــصيدةٌ عنـــه الوجـــود رواك[1]

(١) المجموعة الشعرية : ٣٢٥ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

فالألفاظ (هواك ، هزارك ، فتاك ، همسات ، يرتوي ، الأفلاك ...) ، ونحوها كلها ألفاظ سهلة ومألوفة ، بعيدة عن مظاهر الثقل المألوفة تتقارب مخارج حروف الكلمة أو الإكثار من حروف الإطباق في اللفظة ، أو – كما يرى الدكتور إبراهيم أنيس من – أنَّ الثقل يأتي من اجتماع حروف ثقيلة تحتاج إلى جهد عضلي ، أوهي قليلة الشيوع على الألسنة في المجتمع . ويكون الثقل بتكرار الكلمات الكثيرة الحروف ، ويزداد الأمر صعوبة إذا تضمنت حرفين أو أكثر من الحروف ذات المجهود العضلي ، ونتيجة التجربة المعملية الصوتية تبيّن أنّ تكرار الحروف الانفجارية ، وهي (التاء ، الدال ، الكاف ، الجيم) أسهل من الحروف الهامسة ، وهي : (السين ، الزاي ، الشين ، الفاء) [1] .

ونلمح السهولة أكثر ما تكون شيوعاً في الموضوعات الغزلية والإخوانية ، نجد ذلك عند العقيلي في مثل قوله متغزلاً :

تكحّلتِ يا فتنتي ما عسى　　يزيد فتونك بعد الحور
وحلّيت طوقك يا للغرام　　لجيدٍ تسمّر فيه النظر
تكاد شفافته والصفا　　تُري الماء في متنه ينحدر
إذا ما خطرتِ أثرتِ الفتون　　وهجتِ الشجون وثرت الفكر
بخطوٍ كإيقاع نقر الدفوفِ　　وقرع الكؤوس وجسِّ الوتر [2]

ونجد الألفاظ القوية تبرز عند الشعراء في مواطنها كالشعر الحماسي والمدائح وغيرها من الموضوعات التي تتطلبها المحافل ، فهذا العقيلي نفسه يصف الحرب العالمية الثانية وموقف الملك عبدالعزيز آل سعود منها ، بقوله :

لله أنت وقد جاحت على عجلٍ　　هيجاء مصميةٌ للكون تصطلمُ
هيجاء طبقت الآفاق وانتشرت　　في كل صقعٍ من الأصقاع تحتدمُ
فالأرض في جاحم ،والجو ملتهبٌ　　والبرُّ مضطَربٌ والبحر يضطرمُ
تهافت القوم منها في جحيم وغى　　يُصمي النفوس وللأرواح يخترم

(١) انظر : الشعر الوجداني في المملكة العربية السعودية ، للدكتور مسعد العطوي : ٣٢٦ .
(٢) المجموعة الشعرية : ٦٣٤ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

فزمجرت من رعود الحرب قاصفةٌ تدوي مجلجلةً في طيّها الضرم[1]

فهذا المقطع مليء بالكلمات الثقيلة مثل (جاحت ، عجل ، هيجاء ، مصمية ، تصطلم ، طبقت ، صقع ، تحتدم ، جاحم ، مضطربٌ ، يضطرم ، جحيم ، يخترم ، زمجرت، قاصفة ، مجلجلة ، تدوي ، الضرم) ، وبعض هذه الكلمات تكررت أكثر من مرة، والإكثار من حرفٍ بعينه في النص يؤدي إلى نوع من الثقل ، فهنا مثلاً حرف الجيم ورد (١٠) مرات ، والقاف (٦) مرات ، والعين (٤) مرات ، والحروف المطبقة وهي الصاد والضاد والطاء والظاء وردت (١٥) مرة ، وتقاربت في كلمات (تصطلم ، مضطرب ، يضطرم) ، وكل هذا التماثل والتقارب أشاع في النص ثقلاً واضحاً ، وزمجرة تلائم زمجرة الحرب ورعودها المدويّة .

ونلمح هذا الثقل في كثير من ألفاظ علي النعمي في قصائد الاحتفالية ، ومن ذلك قوله في قصيدة (أغنية عشق لأبها) :

عشقتها وهي نشوى في مفاتنها والفيصلية نقشٌ في حفافيها
وسودة السحر والإلهام واحدةٌ من الوصائف حوليها تدهديها
عشقتها وهي في أعراس نهضتها وخالدٌ في مسار المجد حاديها
وما على عاشقٍ مثلي تعشّقها ألاّ يغني أضاميم البها فيها[2]

فهذه الأبيات الأربعة مثلت الثقل في أوضح صوره ، فقد تكرر فيها حرف الهاء أربع عشرة مرة ، وتكررت كلمات بعينها في المقطع مثل (عشقتها ، عاشق ، تعشقها) ، وتكررت بعض الحروف في اللفظة الواحدة مثل (حفافيها ، تدهديها) ، وتوالت كلمات متشابهة مثل (البها فيها) (حوليها تدهديها) ، واجتماع حروف من جنسٍ واحدٍ في الكلمة مثل الحروف الانفجارية في (تدهديها) ، فقد اجتمع التاء مع الدال ، وكل هذه الملامح من علاملات الثقل في اللفظة إما مفردة أومركبة مع غيرها .

(١) المصدر السابق : ٢٦ .
(٢) الأرض والعشق : ٧٧ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

ومن أوضح الأمثلة على ثقل اللفظة المركبة مع غيرها في شعر جازان ما نلمحه يتكرر بشكل جلي في شعر أحمد البهكلي ، ومن ذلك قوله :

إيه أبها.. رغم ماأوسعتُ نأياً عنكِ .. إني عائدٌ بعد قليلِ
ما رحالي حين شُدَّت جذُّ حَبْلٍ للتداني ما رحيلي برحيلِ (١)

فالشطر الأول من البيت الثاني حمل الثقل إليه إضافة (جذَّ) إلى (حبل) ، وتقدم ذلك كلمة (شدّت) ، فتوالي الكلمتين المشددتين ، والتقاء الدال المضعف مع التاء ، والكلمتان المضافتان كونتا بناءً واحداً اجتمع فيه الجيم والباء ، كل ذلك أوحى بثقلٍ شتت المعنى .

ب- بين الهمس والفخامة :

ترتبط ظاهرة الهمس في الأداء اللغوي بالظاهرة السابقة (وهي السهولة) ارتباطاً مباشراً ووثيقاً ، فقد أصبحت اللفظة المعاصرة أكثر قرباً من الهمس وأشدّ بعداً من الصخب والخطابية الجاهزة ، حيث استعاضت المفردة عن جهوريتها المعهودة ، وفخامتها المألوفة بما اكتنز في المفردة الجديدة من عمق المعنى ، وبعد الدلالة ، ومن ثم الحاجة إلى تلقيها في دعة وهدوء .

ولعل من أهم دواعي شيوع الهمس في شعر جازان وغيرهم من الشعراء المعاصرين الأنماط الجديدة للحياة ، التي تسربت منها إلى نفوس الناس طبائع لينة وعادات ناعمة ، فمالت الحياة إلى السلاسة ، وشاع النعيم والترف ، وانتشرت وسائل التقدم والرفاه ، وغلبت على نفسيات الشعراء معالم الرومانسية الحالمة ، والرؤى المغرقة في الخيال والتأمل(٢).

وقد تباين الشعراء من حيث انطباع شعرهم بهذه الخاصية ، تبعاً لاختلاف ثقافة كل منهم والظروف الحياتية التي مر بها والمقام الذي يتحدث فيه ، ولذلك يعد

(١) الأرض والحب : ١٧ .
(٢) انظر : الشعر الحديث في المملكة العربية السعودية ، للدكتور عبدالله الحامد : ١٤٠ ، ٢١٢ – ٢١٣ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الشعراء المزاوجون بين المحافظة والتجديد والشعراء الحداثيون أكثر قرباً من الهمس وإغراقاً فيه ، نتأمل ذلك في مثل اللغة التي يكتب بها جلوي الحكمي ، كما جاء في قوله :

مـــررت بهـــا دنـــوت سألـــ ـــــتُ إســـم فتاتنـــا مـــاذا
تنحّـــت ثـــم قالـــت لي : حيـــاؤك أيـــن يـــا هـــذا
عجبـــت لإبـــن جارتنـــا يحيّـــى فيـــك أستـــاذا
أنـــا ريحانـــةٌ ، ومـــشت وكـــان المـــشيُ أخّـــاذا

... .

إذا أبـــــــصرتُها أذوي عجيـــبٌ ذلـــك الـــسحر
جميـــل كـــل مـــا فيهـــا وجـــذابٌ فـــما الـــسرُّ
عجـــزتُ وحـــسب إدراكـــي يـــسلّمُ أنّـــه قـــدْرُ [1]

فالأسلوب المهموس طاغٍ على ألفاظ هذا النص ، وأغلب الكلمات مالت إلى الهمس، بل إنّ الحروف المهموسةً والرقيقة أكثر من غيرها تلك الفخمة والجهورية ، وكذلك البحر الراقص والقوافي المختارة (الذال والراء) ، وروح القصيدة المعتمدة على الحوار في المقطع الأول منها أسهم في إيحاء خافت ، ونجاوى هامسة . ونجد مثل هذا الهمس عند الشعراء الذين أكثروا من الحديث عن النفس ، ذلك الحديث الخاص الهادئ الذي تحاور فيه النفس ذاتها ، وتصور ما يدور في مخيلتها ، وما يعتورها من آمال وآلام ، ومن أشهر هؤلاء في شعر جازان علي بن حسين الفيفي ، ومما يمثل هذا قوله :

وفـــؤادي يئـــنُّ ممـــا يعانيـــ ـــــه وصـــدري في زفـــرةٍ ونهيـــد
لـــيس يـــدري أمـــدركٌ لأمانيـــ ـــــه اللـــواتي ترنـــو لـــه مـــن بعيـــد
لـــيس يـــدري أفي القريـــب أمانيـــ ـــــه تـــدنو أم بعـــد عمـــرٍ مديـــدِ
أم تكـــون الآمـــال شـــبه سرابٍ ويعـــيش الأيـــام غـــير سعيـــد
ذاك قلـــبٌ متـــيمٌ شفَّـــه الوجـــ ـــــد يعـــاني مـــن حظـــه المنكـــودِ
كـــم نهيـــتُ الفـــؤاد وهـــو عنيـــدٌ لـــيس يـــصغي لأيِّ رأي سديـــدِ

(١) قبل أن ينضب الأمل : ٧٣ – ٧٤ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

قـال لي هامـساً : إذا مـتُّ مـن دو　　ن الأماني أموت موت شهيدِ [1]

فالمواءمة بين الشكل اللفظي المهموس والمضمون المعتمد على حديث النفس واضح وجلي هنا .

بينما نجد الشعراء الذين أكثروا من محاكاة القدماء وأساليبهم ، تميز شعرهم بالفخامة وجزالة اللفظة وجهوريتها ، وهناك شذرات منبرية كثيرة لدى الشعراء نحسُّ جلجلتها حين قراءتها أو سماعها ، وهي توجد فينا شعوراً سحرياً بالقوة والهزة الشاعرية ، نستمع إلى الشاعر محمد أحمد العقيلي يصف زيارته لأسبانيا وما أوحته إليه من رؤى الفتح الإسلامي لها، حيث يقول :

ولقد سلكتُ طريق أروع فاتح　　خضعت له الهضبات والدأماءُ
وأرى الجحافل والصوارم والقنا　　رهن المنايا تُغتدى وتُجاءُ
تتخايل الرايات في زحف له　　زجلٌ تردِّد رجعه الجوزاءُ
سلّوا صوارم كالبروق تراقصت　　شعلاً موهَّجةً لها أضواءُ
وصواهلٌ كهضاب رضوى شزَّبٌ　　تشأى الرياح وقد عراها عياءُ
وطأت سنابكها الرعان فطأطأت　　وزوت فدافدها له البيداءُ [2]

إن قارئ هذه الأبيات لا يحتاج بعدها إلاّ أن يلبس خوذة المعركة وأسلحتها الأخرى ليشارك في تلك المعاركة ، فبجانب طول البحر (الكامل) نجد في المقطع السابق كثيراً من الألفاظ الفخمة والجزلة مثل : (الدأماء ، الجحافل ، الصوارم ، تغتدي ، موهَّجة ، شزَّب ، تشأى ، سنابكها ، فطأطأت ، فدافدها ، البيداء) ، ونلمح قصده إلى بعض هذه الألفاظ قصداً ؛ ليحيط الجو بجلبة وضوضاء تناسب الذاكرة الشاعرية للمعركة والتحام الصفوف .

(١) أزهار : ٢٨- ٢٩ .
(٢) المجموعة الشعرية : ٢٦ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

والعلاقة واضحة بين الفخامة والخطابية ، كما في النص السابق وكثير من نصوص الشعراء التي تنشد في المناسبات ،وتسعى إلى الإثارة وبعث الحماسة في النفوس، لا سيما مما له علاقة بقضايا العرب والمسلمين ، والشعر الوطني وبعض المدائح ، وهذه الخطابية الملازمة للفخامة والجهورية في انتقاء الكلمات يصاحبها المبالغات والعواطف المسرفة نوعاً ما ، وموسيقا حادة وصاخبة ، وبحور طويلة .

ولكن هناك شعراء يسقطون في فخ البحث عن الفخامة والجهورية ؛ ليحدثوا شيئاً من الضجيج ، فيعمد بعضهم إلى انتقاء الكلمات من القواميس انتقاء ، ثم يرصّها في شعره رصّاً ، فتحدث جلبة وضجيجاً يشبه ضجيج الأطفال في مدرسة ابتدائية ، أو – كما قالوا – يشبه طحن القرون ، نجد ذلك كثيراً في شعر محمد مباركي ، ومن ذلك قوله :

ثيّبٌ وجه ذي الخطيئة لكن مثل بكرٍ تناهدُ استحواذا
شبَّ أو شاب حانقاً أجلي أو شاب معصوم دهشتي أخّاذا
لم تكن عاقراً حروفي ولا كنـ ـتُ هلوعاً ولا الدُّجى عواذا
حنث الشر في تبتُّلهِ خمـ ـسين عاماً ولم يلد أفذاذا
سك أمعاءه الغليظة تهويـ ـماً بليداً مستقذراً نفّاذا
وتجلّى بخلقه الزور تاجاً من قذىً وامتطى العمى لوّاذا
ربما لستُ في زماني فعقُّوا فأنا عشت بالعقوقِ مُعاذا [1]

وكان بإمكان الشاعر أن يعبرعن هذه الفكرة بكلمات أخرى أخف جهورية ، وأدنى طنيناً وفخامة ، وعلينا أن نغض الطرف عن واقعية الشاعر وإسفافه وحصره في إيراده للأمعاء الغليظة ، والتهويم البليد المستقذر في أسلوب شاعري يحتاج إلى شيء من رهافة الحس ، وسلامة الذوق ، ليس ذوق الشاعر ، وإنما ذوق السامعين . ويظهر في ذلك النص أن الشاعر يكتب بغير لغته التي أعد لها في الأصل ، ففقد تماماً نكهته وشاعريته المعتمدة على الهمس أو المزاوجة بين الهمس والفخامة في قصائد أخرى .

(١) للصعاليك فقط : ٤٣ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

جـ - الدلالة والإيحاء :

كثيرة هي المفردات التي تفرعت دلالاتها وتشعبت ، فأصبح لها العديد من المعاني الفرعية والظلال الموحية ، لا سيما ماكان منها قابلاً لاكتساب التيارات والتموجات النفسية. وسيجد المتأمل الكثير من المفردات التي أكثر منها الشعراء لا سيما المحافظين ومن تلاهم خصائص وسمات معنية اجتذبت الشعراء إليها ، فهم ((**يؤثرون من تلك المشتقات والمترادفات ما كان بعيداً عن الدلالات المادية المحدودة قادراً على الإيحاء بمعانٍ روحية ونفسية عديدة**))[1] . هذا بالإضافة إلى أنَّ هذه المفردات تحمل خصائص موسيقية ، من حيث عذوبتها وتجانس حروفها وحسن موقعها ووقعها ، مما يكسب الأداء بها رقة وسلاسة ترتفعان بمستوى الأداء في اللغة الشعرية . وهو الأمر الذي يجعل الشعراء يحرصون على تزيين مقطوعاتهم بمثل هذه المفردات المتميزة [2] ، والنماذج التي وظفت هذه المفردات كثيرة جداً ، وقد حفلت بها معظم قصائد الشعراء ، نلمح ذلك حتى لدى بعض الشعراء المقلدين كعلي السنوسي – مثلاً – نجده يحرص على انتقاء بعض الألفاظ ذات الإيحاء الدلالي الخاص ، ومن ذلك قوله في مديح الملك عبدالعزيز آل سعود :

مازالت الأعراب قبلك حقبة　　بيد الحوادث تمتهان وتضهدُ

حتى نشأت بهمة غلابة　　وعزيمة يرتاع منها الجلمدُ [3]

فقد استطاع الشاعر أن يوظف كلمة (يرتاع) بما مكنها من حمل المعنى وإيضاح الصورة ، وجعلها وصفاً لحال العزيمة القوية ، وأضفت على المعنى ضلالاً وإيحاءات كبيرة من الرهبة والعزة والغلبة .

أما الشعراء الذين تلوا علي السنوسي ، فقد كانوا أكثر اهتماماً بالجانب الدلالي لكلماتهم ، وحرصوا على إيثار الألفاظ ذات الظلال والإيحاء والتصوير ، حيث تتجاوز

(١) الاتجاه الوجداني في الشعر العربي المعاصر ، للدكتور عبدالقادر القط : ٣٥٤ .

(٢) انظر : الاتجاه الابتداعي في الشعر السعودي الحديث ، لمحمد حبيبي ، ٢/ ١٥٨ – ١٥٩ .

(٣) من شعر علي بن محمد السنوسي ،جمع وتحقيق الدكتور : عبدالله أبي داهش : ٥٦ ، والصواب : تمتهن لا تمتهان.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

بذلك دلالاتها اللغوية والمعجمية إلى عالم أرحب من الدلالات والمشاعر ، فيكون لها الأثر الفني والجمالي المنشود ، فمن هؤلاء الشعراء محمد العقيلي نستمع إليه وهو يصف صباح اليوم الذي أقيم فيه مهرجان الاحتفال بالملك سعود ، حين زار منطقة جازان ، يقول :

وتجلى الضياء قد شعشع النو ر وقد لألأ الصباح ابتسامه
وهفت في السماء منّا قلوب تلتقي الركب في الفضا حوّامه[1]

فألفاظ (شعشع) و (لألأ) تفيد الإشراق والضياء ، وقد تتجاوز هذه الدلالات إلى إظهار نفسية الشاعر السعيدة ، بدليل أنَّ قلبه مع قلوب الحاضرين قد طارت في آفاق السماء كأنها الصقور التي تحوّم في السماء لا للصيد ، بل لاستقبال موكب الملك ، فأخذت لفظة (حوَّامة) بُعداً آخر نفسياً إضافة إلى البعد الدلالي لها ، وساعدت صيغة المبالغة على إبراز هذا البعد .

ومثل ذلك قوله مصوراً غضب الشعب العربي تجاه ما يحصل في فلسطين على أيدي اليهود المعتدين :

قد اكفهرَّ حفاظاً واغتلى حنقاً وهبَّ مستقتلاً من عظم ما يجد[2]

فلفظة (اكفهرَّ) أوحت بما يليها من أفعال متتابعة ومعبرة عن شدّة الغضب .

ولعل ما جاء له في وصف ردّ الفعل العربي المصري تجاه ما حصل للباخرة (كليوباترا) من اعتداء ، لعل ذلك خير ما يصور اعتناء العقيلي بتخير اللفظة الموحية ذات الدلالات الفنية، يقول :

تنبَّه المارد الجبار من سنة وهبَّ يرفضُّ من أوداجه الشرسُ
أصاخ للصرخة العظمى مجلجلة في كل صوبٍ وثار الليث يفترسُ[3]

((فالفعل (يرفضُّ) نقل إلينا ردَّ الفعل وعنفه ، حين صور الأوداج وهي تغلي حتى كادت الدماء أن تنفجر منها ، وكذا الفعل (أصاخ) يدل على مدى الاهتمام بما

(١) المجموعة الشعرية : ٢٧٣ .
(٢) المصدر السابق : ٣٤٩ .
(٣) المصدر السابق : ٣٧٠ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

حدث داخل فلسطين حتى كأن بني العروبة يسترقون السمع ليعرفوا ما يدور هنالك مما يكتمه الإعلام الغربي ، ويجعل دونه شعاراً حديدياً))[1] .

ونقرأ شعر أحمد البهكلي ، فنجد أنَّه قد بلغ شوطاً بعيداً في الاهتمام بالدلالة وإيحاء الكلمات التي يستخدمها في بناء شعره اللغوي ، وأنَّ ألفاظه تحمل دلالات وفيوضاً معنوية أكبر من معانيها المعجمية الأصلية ، ومن الأدلة على ذلك قوله في تصوير ما يعتلج في نفسه من مشاعر الحيرة والتردد والاضطراب النفسي جراء الخوف من الفشل في إحدى تجاربه العاطفية ، فيقول :

إنني ذقت من الوهم عناء واضطراب
وحنين داخلي أضحى وصبري في احتراب
لست أدري أي هذين قد استولى الركاب ؟
فبقي في القلب يحيا في ذهاب وإياب
أهو الصبر أم الشوق وفي كل عذاب
تبت من ذنبي ولكن منك مالي من متاب[2]

فلو تأملنا الأبيات الأربعة الأخيرة نجد أنها جميعاً قد قامت على شرح كلمة واحدة هي (احتراب) الواردة في آخر البيت الثاني ، وأحسب لو أنَّ الشاعر لم يورد أبياته الأربعة الأخيرة هذه لأوفت تلك الكلمة (احتراب) المعنى خير وفاء ؛ لما فيها من دلالات شعورية وتعبيرية موحية ، ولا أظن كلمة أخرى يمكن أن تحل محلها لتصوير ما يدور في نفسيته من صراع وتردد .

والشاعر أحمد البهكلي ومثله إبراهيم مفتاح وصعابي والحربي وغيرهم لايلحون على استدعاء معالم الظواهر البلاغية ، وإنما يسمون بفنّهم من خلال اللفظة الفصيحة ، وعدم المباشرة ، واستخدام الإيحاء بدلاً من ذلك .

(١) شعر محمد بن أحمد العقيلي دراسة تحليلية ، لخالد الشافعي – رسالة ماجستير غير منشورة – : ٣٣٥ .
(٢) الأرض والحب : ٧٠ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وربما أفاد التراسل بين الصفات شيئاً من المفاجأة والدهشة نتيجة الانتقال من مجال إلى مجال ، ومن إيحاء إلى آخر ، كما قد يفيد الامتزاج والالتصاق ، وإن كان يؤدي إلى الغموض في بعض الأحيان .

ويرجع اللغويون ذلك إلى التوسع في استعمال الألفاظ في غير معانيها ، وقد ضربوا لذلك أمثلة كثيرة كالبكاء المر ، والابتسامة الهادئة ، وقتل الوقت ، والضحكة الصفراء ، والضرورة الملّحة ، والبرج العاجي ، وخنق الحريات ، وإلقاء الضوء ، والألوان الصارخة والنقد المر وغير ذلك ، وممن كثر ذلك في أشعارهم إبراهيم مفتاح ، حيث ذهبت اللفظة لديه شوطاً بعيداً في الانتقال من مجال إلى آخر ، مستفيدة من عنصر التراسل ، ومن ذلك قوله في قصيدة (تقاطعات) :

أنت مفاصل دربي من توجّعها وسام خطوي لهاثٌ عافَ منطلقي
حتى كأنَّ مساراتي التي انكسرت سيقانُها تنفض الأفياءَ عن ورقي
لم تحتمل ساعتي فوضى عقاربها ولا ارتداء طريقي بهجةَ الملقِ
يحمرُّ صمتُ الثواني حين يشطرُني فيها التداخل بين الصبح والغَسَقِ
فارتَدي وهم أشيائي وأسئلتي وأرتدي مخرجاً يفضي إلى نفقِ
تورّمت لغتي حين اشتملتُ بها واصفرَّ لون مدادي في سما أُفقي
هنا شربتُ صباحي وابتدأتُ ضحىً وساومتني انتظاراً حمرة الشفقِ[1]

ففي المقطع السابق كثير من الدلالات المتحولة بسبب إضافاتها غير المألوفة ، وإغراق الشاعر في تجاوز الدلالات وطرق المجازات الجديدة ، مثل (مفاصل دربي) و(لهاث عاف) (مساراتي انكسرت سيقانها) ، و (صمت الثواني) ، و (تورمت لغتي) ، و (شربتُ صباحي) وغيرها . وأحياناً تبعد الدلالة المتغيرة بسبب البعد بين طرفي الصورة كما يحصل لدى إبراهيم صعابي كثيراً ، ومن ذلك قوله :

وأبقى
أحبّ اغترابي .. أحبّ احتساء سرابي

(١) رائحة التراب : ٣٠ – ٣١ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

أحب جنوني .. أحب انطفاء شهابي[1]

ويبدو ذلك التغير الدلالي قلقاً وغريباً في مثل أشعار الشعراء الشباب ، ومنهم محمد حبيبي ، نجد ذلك في قوله :

ومأوى قطيع من النُّوقِ

قرب السلام تساقط تبراً [2]

فالبون شاسع بين البعر والتبر ، حتى وإن كان لذلك المرأى والمشهد أثر على نفسيته وذاكرته ، فهو ليس شافعاً لهذه المفارقة اللغوية النافرة والبعيدة عن الذوق كل البعد .

د- الاستغلال الأمثل للإيحاء الصوتي للفظة :

قد مرَّ معنا كيف تؤدي المفردة إيحاءات جديدة ترتقي بالسياق ، ولكن لا يمكن القطع بأن المفردة قد تؤدي وحدها دلالة مستقلة دون سياق معين تشع من خلاله ، وقد يكون للمفردة ظل معين توحي من خلاله بإيحاءات صوتية تسهم في تعزيز المعنى المراد ، حيث تتطابق المفردة مع الجو العام الذي يعيشه الشاعر ، ويتحدث عنه .

وإذا ألقينا الضوء على قصيدتين للشاعر محمد السنوسي يمكننا أن نتبين معالم هذه الظاهرة ، القصيدة الأولى هي قصيدة (أغنية فيفاء) ، حيث نجد أغلب مفردات هذه القصيدة تتكون في الأصل من مقاطع صوتية قصيرة ؛ فأغلب هذه الكلمات يتجاوز عدد حروفها الأربعة أحرف ، نسمع ذلك في قوله :

لـــست فيفـــا أنـــت جنَّـــة تلهـــم الـــشاعر فنَّـــه

مـــن روابي الخلـــدلـــون ومـــن الفـــردوس ســـحنه

عـــالمٌ يزهـــر بالبـــشـ ـــر ودنيـــا مطمئنـــه

ونفـــوس كالنـــدى طهـــراً وكالإشعـــاع فطنـــه

..

أنـــت يـــا فيفـــاء هيفـــا ءلهـــا ســحـــر وفتنـــه

(١) زورق في القلب : ٤٤ .

(٢) انكسرت وحيداً : ٢٩ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

أفرغـــت فيـــك القـــوافي كأسهـــا والـــشعر دنَّـــه[1]

فكلمات (لست ، فيفا ، أنت ، جنة ، تلهم ، فنه ، خلد ، لون ، سحنه ، يزهر ، بشر ، دنيا ، ندى ، طهر ، فطنه ، وغيرها) ، فهذه الكلمات ذات النبرات القصيرة تتواءم مع الجو الموسيقي المتواكب مع حالة الابتهاج التي يعيشها الشاعر ، وقد عزّز ذلك بالوزن الشعري (مجزوء الرمل) والقافية المقيدة ؛ وذلك لأن الشاعر كان يتغنّى ويترنّم . لذا فقد استعمل من المفردات ما تتلاءم طبيعتها الصوتية مع حالته ، فأسهمت المفردات في تعزيز الجو الموسيقي المنشود لمثل تلك الحالة .

ولننظر كيف تتحول إيحاءات الأصوات إلى تشكيل موسيقي مغاير ، تبعاً لتغيّر الحالة التي يعيشها الشاعر ، مع أنَّ الشاعر يتحدث عن المكان نفسه وهو فيفا ، وذلك في قصيدته الثانية بعنوان (جبل فيفاء) ، وفيها يقول :

متحـف مـن أشعـة وظـلال في إطـار مـن نـضرة واخـضلالِ
سـابح في الفـضاء يغمـره النـور بفيـض مـن الـسَّنا والجـلالِ
يتحـدى الـذرى ويخـترق الـسحـ ـب ويزهـو في عـزة واختيـالِ
صـنعة المبـدع المـصور جـل اللـ ـه ربي رب العلـى والكمـالِ
جبـل تعـشق النجـوم مجـا ليـه وتـصبو إلى ذراه العـوالي
يزحـم النـيرات منكبـه الـضخم ويحتـك بالـسهى والهـلالِ
مـشرئب إلى الـسماء بـرأس صلـف في شموخـه متعـالِ
أخضر السفح أزهر السطح مصقو ل الحـواشي زاهـي الربـى والـتلالِ
زاره ساكـن (الألمـب) (أبولـو) رائـداً ينـشد الجمـال المثـالي
فـإذا (مـنجم) مـن الحـسن فيَّـا ض ، وكنز من كل حال وغالِ[2]

(١) الأعمال الكاملة : ٣٩٨ – ٤٠٠ .
(٢) المصدر السابق : ٣٤٠ – ٣٤١ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

فالمفردات المستعملة في هذا النص تختلف في نهجها الصوتي متجهة صوب الطول والفخامة ، بعيداً عن الرقة والقصر الذي كانت عليه مفرداته في القصيدة السابقة .

ومن مفرداته في هذا النص (أشعَّة ، يتحدّى ، النيّرات ، يحتك ، عزّة) ، فهي كلمات ثقيلة في نطقها يعتمد أغلبها على التشديد ، أو كلمات أخرى تميل للطول مثل (ظلال ، اخضلال ، اختيال ، مجاليه ، عوالي ، مشرئب ، مصقول ، الحواشي) . حيث يعطي التردد الصوتي لهذه الكلمات انطباعاً أولياً بعظم المتحدث عنه وفخامته ، بجانب بعض الصيغ التي تعزز الوعورة والصعوبة ، ومحاولة مطاوعة الطبيعة الجبلية الوعرة من خلال وقع هذه الصيغ ، يدل على ذلك أسلوب التحدي والقسوة ، مثل (يتحدى الذرى ، يخترق السحب ، يزهو في عزة واختيال ، يزحم النيرات منكبه الضخم ، مشرئب إلى السماء برأس صلف ...) ، فقد أجاد الشاعر استغلال ما في المفردة من صدىً موسيقي متناسب مع حالة الرقة والدعة ، أو متجاسر مع موقف الفخامة والوعورة [1] .

وإذا كان الأنموذجان السابقان جاءا في قصائد مكتملة ، فإنه يوجد عدد كبير من التراكيب التي تناثرت في ثنايا كثير من قصائد شعراء جازان تدل على حسن استغلال خاصية الوقع الصوتي في المفردة ، وتوافقه مع ما يود الشاعر قوله . ومن ذلك قول الشاعر أحمد البهلكي :

ولستَ ياشاعري ترجو الثواب قطٍ　　وأنت تحملُ همَّ الناس مجتهدا[2]

فمجيء كلمة (قطٍ) مكونة من حرفين ، ومنونة غير مشددة كعادتها ، ومتجاوزة موقعها اللغوي ، إذ يقول اللغويون : ((**قَطُّ معناه الزمان الماضي ، يقال ما رأيته قطُّ ، ولا يجوز دخولُها على المستقبل ، فلا تقول : ما أفارقه قط ، وقطْ مخفّف الطاء**

(١) انظر : الاتجاه الابتداعي في الشعر السعودي الحديث ، لمحمد حبيبي ، ٢/ ١٩٢ – ١٩٣ .
(٢) أول الغيث : ٣٣ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

لغة فيه مع فتح القاف وضمها ، هذا إذا كانت بمعنى الدهر ، وأما إذا كانت بمعنى حسبُ وهو الاكتفاء ، فهي مفتوحة ساكنة الطاء ، تقول : رأيته مرة واحدة فقط))[1] .

فهل أراد الشاعر هنا الزمان الماضي بأن الشاعر لم يكن يطمح في ثوابٍ من الناس قط ، أم أنه أراد المعنى الثاني ، وهو الدلالة على الاكتفاء أي : لست يا شاعري ترجو الثواب فقط ، وإنما تحمل معه هموم الناس ورؤاهم وآمالهم ، إن كلا المعنيين هنا محتمل وارد، والذي رشح هذين الاحتمالين هو الصيغة الصوتية للكلمة التي تأرجحت بين الدلالتين بما عملته من إيحاء وخفاء في آنٍ واحد .

ومن ذلك أيضاً قول البهلكي في قصيدة أخرى :

كانت لي أوهامٌ ورؤى (كانت) .. أضحت تذكارات [2]

فكلمة (كانت) قد جسّدت الشعور بالحزن على تلك الذكريات والأماني المتبخرة خير تجسيد ، خاصة أنها قد خدمها التكرار لأول كلمة في البيت ، ولو حاولنا زحزحتها عن موقعها أو وضع كلمة مكانها لما كان لها ذلك الوقع الجميل والمؤثر.

ومثل هذا الاستغلال والتوظيف للإيحاء الصوتي ما جاء في قول الشاعر إبراهيم مفتاح:

تذيب الأماسي المترعات توهجا وتوقد أحداق الليالي ترنما

فرب اشتعال يورق الغصن بعده ورب لقاء يعقب البعد ربما [3]

فالقافية (ربما) جاءت هنا في محلها ، ومناسبة للسياق تماماً ، وأسهمت في إشاعة صدى الشك في نفسية الشاعر جراء ما لحقه من يأس في أول القصيدة التي جاء فيها هذان البيتان المذكوران .

---

(١) مختار الصحاح ، لزين الدين محمد بن أبي بكر الرازي ، ترتيب : محمود خاطر ، تحقيق : حمزة فتح الله : ٥٤٢ .
(٢) الأرض والحب : ٨٤ .
(٣) احمرار الصمت : ٦١ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

ومن المفردات التي جسّد وقع أصواتها الإحساس الواقعي لما كان يمرّ به الشاعر ، قول حسن الحازمي :

هذه الهمسة لا أجهلها
من سنين في فؤادي مبهمة
هذه الضحكة لا أنكرها
كركرات بالأماني مفعمة (١)

فتكرار الأحرف في كلمة (كركرات) يماثل تكرار الكثير من الأصوات المترددة التي تصدر من النفس المرحة والمنشرحة ، عندما تعبر عن ذلك الانشراح بأصوات ضحكات متتابعة .

وللحركات التي تضبط بها الكلمات دور بارز في تجسيد إيقاع الأفعال ومماثلتها ومستوى وقعها ، يتضح ذلك في قول البهلكي :

ألست الذي يشتاق إن ينأ يصطلي بنار الأسى إن تَدَّهِمْهُ الفواجع (٢)

حيث نجد في كلمة (تَدَّهِمْهُ) أربع حركات متوالية ، تني عن توالي المآسي والفواجع على ذلك الإنسان الضعيف ، وكان للتضعيف أثر كبير في تصوير شدّة الفواجع وقوتها وثقلها كثقله على السمع تماماً ، ولو أنه عبر بكلمة أخرى لما أدت الإيحاء ذاته .

هـ - المعجم اللفظي :

إنّ هناك كلمات تتردد في شعر كل شاعر بشكل لا يخيب معه أحد في أن يحكم على أية قصيدة يجدها فيها بأنها لذلك الشاعر ، وهذا المعجم المحدد يمكن أن يستشفه القارئ الحصيف ، إذ يكرر الشاعر ألفاظاً يتكئ عليها في أكثر قصائده ، ويسوق عبارات نجدها في أماكن عديدة من شعره ، ولكن من الشعراء من تكون ألفاظه وعباراته ذات بريقٍ وحدّة – لو جاز التعبير – يبقى أثرها طويلاً على لوحة النفس ؛ بسبب الشحنة الشعرية أو الشعورية القوية التي غذَّاها بها الشاعر من ناحيته ؛ وبسبب امتيازها الحاد عن ألفاظ الشعراء الآخرين ، وعباراتهم من ناحية ثانية . فإذا ما تكررت عند الشاعر نفسه بعد ذلك أحسسنا برنينها القديم ما يزال في آذاننا ، وأدركنا بسرعة البديهة أنَّ تشابهاً ما قد وقع بين هذه

(١) وردة في فم الحزن : ١٠٣ .
(٢) أول الغيث : ٧٤ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

القصيدة وبين ما سبقها من قصائد للشاعر . ولذا قد يقول قائل عندما يسمع هذا التوارد للألفاظ على خاطرته أنَّ الشاعر يكرر نفسه ، فلماذا هذا ؟ والسبب هو أنَّ الشاعر قد أثر علينا بمعجمه ، ونحسّ أننا قد قرأنا هذه المقطوعة مثلاً من قبل ، كما يتضح ذلك في القصائد الريفية عند السنوسي ، والقصائد الاجتماعية المتعلقة بالمرأة وقضاياها في شعر علي ابن حسين الفيفي ، ونجد ذلك في معالم العلو والسما ومجالها في شعر العقيلي ، وفي لغة الحزن والتشاؤم والتبرم عند علي النعمي .

وكما تتأثر اللغة بعوامل التداخل الحضاري بين الشعوب ، وتتأثر أيضاً بعاملي الزمان والمكان فإن المعجم الشعري من عناصر الشعر التي تتأثر بالتطور الحضاري ، وإن لم يتخذ صورة تغيّر حاسم من مرحلةٍ إلى أخرى . وذلك ما حدث – مثلاً – مع شعراء مرحلة الإحياء ، فبرغم تقليدهم الغالب إلا أنه قد تسرّبت إلى لغة شعرهم آثار من روح العصر الحديث ، وبانت في ألفاظهم وبناء عباراتهم وأساليبهم .

فلو تأملنا معجم شعراء جازان نجد أنَّه قد أثر عليه عدد من المؤثرات أدّت إلى تلبّسه بعدة ظواهر .

فمن تلك المؤثرات والعوامل العامل الاجتماعي – مثلاً – نجده مؤثراً على شعراء البدايات ، إذ حملت رياح التغيير الشعراء على التلاءم مع الوضع الجديد بعد مجيء الدولة السعودية وتوحيد البلاد تحت راية واحدة تحمل شعار التوحيد والبعد عن التصوف الذي هيمن حقبة من الزمن على تفكير بعض الشعراء إبان العهد الإدريسي ، فالشاعر علي السنوسي كان قد انحدر إلى ذلك السبيل الصوفي ومغالاته ، من مثل قوله في العهد الإدريسي :

أرض بها السر مبثوث وما عريت ... من سادة هم نجوم الأرض أو دُوَلِ
كأنها القدس في يمن التهامة ما ... أنقى مساجدها من أنْجَسِ الزلل
حتى غدت كعبة الزوار واحتفلت ... في تُربها أولياء الله فلتقلِ[1]

(١) من شعر علي بن محمد السنوسي ، جمع وتحقيق : د. عبدالله أبي داهش : ٢٧ . ومن أكثر شعراء العهد الإدريسي غلواً في هذا الاتجاه الصوفي الشاعر عبدالرحمن المعلمي ، ومن ذلك قوله في الإدريسي :

أقامه الله روحاً بالعباد كما ... قلوبهم ردَّها المولى له شبحا

وقوله في الإدريسي أيضاً :

هذا الذي من يزره خالصاً فكمن ... سعى وطاف ومسَّ الركن واستلما

شبكة الألوكة - قسم الكتب

فالمعجم هنا لم يسلم من مظاهر الصوفية وما يصاحبها من غلو ومبالغات ، لكن معجم الشاعر قد تغيّر مع مجيء الدولة السعودية ، إذ نلمح فيه ملامح جديدة ، وعبارات مثل (التوحيد ، الشرك ، الإلحاد ، التقوى) ، وذلك في مثل قوله في الملك عبدالعزيز :

فلم يُمسِ إلا قابلاً شرط عهده　　على منهج التقوى وإلا مشرّدا
وأصبح لا يُخشى سوى الله وحده　　ولم يتّكل إلا عليه موحِّدا
فوالى على التوحيد من كان مسلما　　وعادى على التوحيد من كان مُلحدا
فبورك من قَرْمٍ يدافع عن حِمَى　　جزيرةِ إسلامٍ تحومُ بها العِدَا[1]

ومن ذلك أيضاً قول الشاعر أحمد العطاس :

نور يبدّد من سنا لمعانه　　الظلم والإلحاد والظلمات
ناديت بالأخلاق فهي مكارم　　للناس في الغدوات والروحات
ودعوت للتوحيد دعوة مخلصٍ　　ليُوحَّد الديان بالصلوات[2]

ومن تلك العوامل العامل النفسي الذي يؤدي إلى سيطرة مفردات ذات إيحاءات نفسية ، وتأثيرات عاطفية على معجم الشاعر تبعاً لما تمليه عليه حالته ، فشعراء الاتجاه الرومانسي نجد في أشعارهم ألفاظ الحب والوله والعشق والوجدان ، والهروب والمساء والخريف وتساقط الورق ، والأعاصير والرياح والسفن والهروب إلى القمر ، والأنين والحنين، وغيرها من الألفاظ المؤثرة التي تحمل دلالات ربما مختلفة عند الشعراء ، ولكنها في النهاية تلتقي في مصب واحد .

فحالة الألم التي يعيشها إبراهيم صعابي – على سبيل المثال – جعلته ينساق وراء مفردات من سياق الألم كالآهات والنوى والتجهم في مثل قوله :

تبكي بآهات النوى　　وتشدو بأسرار الحبور

(١) المفقود من شعر علي بن محمد السنوسي ،جمع د. عبدالله أبو داهش : ١٣٠ .
(٢) من وحي التأملات :٣٣ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ولهـــا انتفاضـــات الـــرؤى ولهـــا التجهـــم والـــسرور [1]

وتكثر في شعره ألفاظ (الجراح ، الصقيع ، الصريع ، القيد ، الخداع ، الشعور الكاذب ، الحقد ، الآهات ، الندم ، الحنين ، الأطلال) ، وهي كلها منتزعة من حياة الألم والتبرم النفسي الذي يتجلى في شعر صعابي ، والألفاظ السابقة قد نلمحها في واحد من مثل قوله :

دقة الإحساس أم صوت الصقيع تحمـــل الـــوهم إلى قلبـــي الـــصريع
حطـــم القيـــد وعـــش في فـــلكٍ يـــسرع الخطـــو إلى البحـــر الوديـــع
مـــن خـــداع وشعـــور كـــاذبٍ ينـــسج الحقـــد بآهـــات النـــدم
كلها ضاعت..لماذا؟ لست أدري فوجـــود الحـــب أضحـــى كالعـــدم
ومـــضى يـــسكب في نفـــسي حنينـــا لـــرؤى الحـــب وهمـــس النـــسماتِ
هـــي أطـــلالي وفيهـــا كـــل شيء يتغنـــى بترانيـــم حيـــاتي [2]

وإذا كانت الحالة النفسية لدى الشاعر قد أثرت على تشكيل مفرداته ، فإن الحالة العاطفية وما يصحبها من أحاسيس ومشاعر لها أيضاً التأثير نفسه من حيث الحرص على انتقاء مفردات بعينها لها خواصها الإيحائية التي تجسّد ما يحس به الشاعر من مشاعر صادقة. والألفاظ التي تمثل الحالة السابقة كثيرة جداً ، كالليل والفجر عند الحربي [3] ، والصمت عند حسين سهيل [4]، والنخلة عند علي صيقل [5]، والانتظار عند علي بن حسين الفيفي [6]، وغير ذلك من ألفاظ تحمل الدلالات النفسية ، والقصائد التي

(١) حبيبتي والبحر : ٨ .
(٢) المصدر السابق : ١٧ – ١٨ .
(٣) انظر ديوانه : (رحلة الأمس) : ٢١ ، ٢٤ ، ٢٥ .
(٤) انظر ديوانه : (أشرعة الصمت) : ٩ ، ١٧ ، ٣٨ ، ٥٤ ، ٦٤ ، ٦٨ .
(٥) انظر ديوانه : (أغنية للوطن) : ١٠ ، ١٥ ، ١٧ ، ٢٩ ، ٣١ ، ٣٧ ، ٣٨ .
(٦) انظر ديوانه : (الهمس الخافت) : ١٥ ، ٣٢ ، و (أزهار) : ١٥٧ ، و (زائر الأمس) : ٢٨ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

حملت هذا المعجم النفسي لا يمكن حصرها ؛ لكثرتها لا سيما لدى الشعراء المحافظين والمزاوجين بين المحافظة والتجديد .

وشعراء الغربة يكثرون من الألفاظ التي تعبر عن مرارة الاغتراب وعذابات الحنين ، نجد ذلك كثيراً في شعر حسين النجمي ، ومن الأمثلة على ذلك المعجم في شعره قوله في قصيدة (بقايا من جذوة الحنين) :

اسكبي نبرة أحزاني على صوت جنونك
وارحمي ومضة إيماني من زيف ظنونك
واغسلي ذاكرة الأيام من دمع جنونك
رسم الليل على عينيك آلاف الحكايا
والسنا يعكس ذكراك بأحداق المرايا
ويحيل اليأس آمالاً ويغتال البقايا
ثم أضحى قدر الأيام باللقيا ضنينا
واحترقنا في دروب الحزن والذكرى حنينا
نسيت ذاكرة الأيام لكن ما نسينا (١)

فمفردات (أحزاني ، جنونك ، ارحمي ، زيف ، ظنونك ، دمع ، الليل ، اليأس ، يغتال ، ضنين ، الحزن ، احترقنا ، حنين ، نسيت) وغيرها ما هي إلا إفرازات واضحة للحالة النفسية التي يعاني منها الشاعر ، كلها قد احتشدت في سياق واحد لتمثل معجمه الذي يتكرر في أكثر شعره ، مصوراً اغترابه وحنينه الدائم ، الذي يندر أن تخلو منه قصيدة لهذا الشاعر المسافر في زمن الأحزان .

* * *

(١) عيناك في وقت الرحيل : ٦٣ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وبتأمل نوعية الألفاظ التي رسمت مسار معجم الشعر لدى شعراء جازان نلحظ أنَّ هناك أنواعاً من الألفاظ كانت لها حظوة وانتشار واسع ؛ لما تكتنزه من حمولة وجدانية وشعورية ، استطاع الشعراء توظيفها ، والاستفادة من معطياتها ، ومنها :

١- الألفاظ ذات الطابع الديني :

((اختلف استعمال الشعراء للمفردة الدينية من حيث سياقها الذي ترد فيه ، فأحياناً ترد بمعزل عن الموضوعات الدينية التي طالما ارتبطت بها ، وأحياناً أخرى يكون توظيفها ضمن الموضوع نفسه))[١] ، فمن أمثلة السياق الأول قول إبراهيم مفتاح :

وموجـــةً حُـــرَّة الإيقـــاع يـــدفعها شـــوقُ المـــسافات للترحـــال في الـــسحرِ
رمـــتْ إليَّ ســـؤالاً فـــوق ســـاحلها يـــا مـــن أتـــى مـــن بعيـــدٍ يقتفـــي أثـــري
اركـض برجلـك هـذا موعـدٌ وغـداً سنلتقي هاهُنا في موسم المطرِ [٢]

حيث وظف الشاعر مفردات النص القرآني معزولة عن سياقها الديني المألوف؛ دلالة على ما يعتمل في ضمير الشاعر من إحساس بتحقق الأمل ، ودنو الموعد المأمول ، في استرجاع لصدى قصة أيوب – عليه السلام – الصابر ، الذي تحقق مراده بعد كل أنواع المعاناة والأوجاع .

ومما جاء أيضاً في هذا قوله :

هنـا ابتـدت دهـشةٌ تخـلي مواقعهـا وقـــادمٌ يرتـــدي عـــشقاً توجّعَـــهُ
ما مسَّه من لغوبِ الوقتِ بعض أذى ولا اختبا في زوايا الخـوفِ مطلعهُ[٣]

أوقوله في قصيدة أخرى :

علمـــي أنـــت يـــا لـــه مـــن نـــداءٍ رشَّ سمـــــع الزمـــــانِ بالـــــلألأء
عـشتَ رمـزاً مامـسَّه من لغـوبٍ أو تـوارت أنفاسُـــه في اللقـــاء[٤]

(١) الاتجاه الابتداعي في الشعر السعودي الحديث ، لمحمد حبيبي ، ٢/ ١٢٤ .
(٢) رائحة التراب : ٧٩ .
(٣) المصدر السابق : ٢٣ .
(٤) المصدر السابق : ٢٢ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

فألفاظ (المسّ) ، و (اللغوب) هنا عند اقترانهما يوحيان إلينا بالمفردة القرآنية في سورة (ق)[1] .

ومن الأمثلة على الميل إلى اللفظة الدينية المتعلقة بالقرآن مثلاً ما جاء في قصيدة (طوبى لهذا الجمع أخيار البشر)[2] للشاعر أحمد العطاس ، حيث بنى القوافي على ألفاظ سورة (القمر) ، فوردت فيها ألفاظ مثل : (لمن شكر ، مقتدر ، منهمر ، منتشر ، المستقر ، قد قدر ، أونكر ، مستطر ، سقر ، سحر) ، غير أنّ آثار الصنعة بادية على ذلك النص ، ومع فتلك الألفاظ قد وظفت في غير سياقها الديني .

وإذا كان كثير من الشعراء الوجدانيين يجدون راحتهم وخلاصهم من حالات اليأس التي يصلونها عبر التبرم والضيق والضجر من القضاء والقدر ؛فإنّ شعراءنا يجدون خلاصهم في اطمئنانهم إلى القضاء والقدر ؛ فتكون نفوسهم مطمئنة إليه ؛ لأن الأمور تسير وفق ما هو مقدر لها . حتى وإن كانت تلك النهاية هي البؤس والشقاء والألم والفراق ، فالرضى هو الرضى ، والإيمان هو الإيمان ، ولم نجد سخطاً في كل موارد استعمال تلك اللفظة عند شعراء جازان ، حيث تمثل المفردة (القدر) حينها المحطة التي يرمي عليها الشاعر بثقله، أوهي الميناء الذي ترسو عليه سفينته القلقة ، يقول الشاعر إبراهيم مفتاح في مشاعر لقيا مدينة بيش بعد فراق سبع وعشرين سنة :

وهـا أنـا عـدتُ عنوانـاً رسـائله متـورة في زوايـا البعـد والـسفر

سـبع وعـشرين يـا عمـري أجمعهـا شوقاً إليك فهل مازلت يا قدري[3]

وقد حاول بعض الشعراء الخروج من دائرة التقليد – كما يزعمون – عن طريق المبالغة ، فوقعوا في المحظور الديني عبر خروجهم عن الضوابط في استعمال المفردة الدينية ، إذ رموا بها في سياقات غير ملائمة ، وأهانوا مواردها ، وغيروا ما لها من هيبة

(١) سورة ق ، آية (٣٨) .

(٢) تغريد النهى : ١٨ – ١٩ .

(٣) رائحة التراب : ٢٨ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وجلالة ، وقد تولى كبر هذا الأمر في شعر جازان محمد مسير مباركي ، وشعره طافح بهذا التلاعب اللفظي، ومما له من ذلك – على سبيل المثال – قوله :

(أحدٌ أحد)
أحدٌ له كفوءٌ وصاحبة
ومملكة يعاثُ بها
وحظ عاثر
وله ولد [1]

وقوله في قصيدة أخرى :

يخصف سوءاته
ويسيح
بالوصيد اطلعت على بعلها
باسطا لي ذراعين
عقَّا الفراغ الفسيح
سيقولون لي : خمسة
– وهو سادسهم – ... إلخ .. [2]

وهذا تجوزٌ لا مبرر له في استعمال المفردة الدينية في غير سياقاتها ، ولم يكن الشاعر قادرا على توظيفها التوظيف السليم كما صنع غيره من الشعراء المعتدلين .

أما استخدام اللفظة الدينية في سياقها الديني فلها أمثلة كثيرة في شعر جازان ، فمن ذلك اقتناص الشعراء مفردة (الأذان) ، وإبراز مدلولاتها وما لها من سياقات رائعة ومؤثرة على النص ، فالسنوسي – مثلاً – يختار أذان الفجر ، حيث تشرئب النفوس متطلعة إلى يوم بهيج تتجدد فيه الأحلام ، فتكون النغمات المرسلة من على المآذن دعوات تفاؤلٍ بيوم مشرق بالسعادة ، وذلك في قوله :

(١) منسك للسريرة في حرم الرمل : ١٨ .
(٢) المصدر السابق : ٥٦ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

ارتفـــاع الأذان فـــوق المـــآذن　　في انـبلاج الـصباح والليـل سـاكن
دعـــوةٌ تحمـــل الحيـــاة إلى الكـــو　　ن وسكّانـــه قـــرىً ومدائـــن
ونـــداء مـــن الـــسماء إلى الأر　　ضِ إلى ظاهـــر عليهـــا وبـــاطن
ولقـــاءٌ بـــين الملائـــك والإيـــ　　ـــمان والمؤمنـــين مـــن غـــير آذن
وانطـــلاقٌ إلى الفـــلاح إلى الخيـــ　　ـــر إلى الحـــقِّ والهـــدى والمحاســـن
كلمـــا ردَّد المـــؤذن لفظـــاً　　شعـشع النـور وانجـلى كـل غايـن
نغمـــاتٌ كأنَّهـــا نـــسماتٌ　　رقرقتهـا خمائـلٌ وجنائـن [1]

وهـذا الأذان مـرتبط بمعنـى النـصر والعـزة في نفـس الـشاعر المـسلم ، فيجعـل الشاعر صيقل (الأذان) بداية الحياة الجديدة حياة علو رايـة الإسـلام بعـد الغربـة لكـل الشعوب الإسلامية المضطهدة تحت نير الأعداء ، فيقول :

لن تظلوا غرباء
لن تظلوا تعساء
آخر الليل نهار
ووراء الغيم صحوُوبعيد الحزن شدوُ
وغداً يأتلق الفجر ويعلو
في المنارات الأذان [2]

ولم يوظف الشاعر صيقل المفردة الدينية في سياقها الطبيعي ، بل أرفق بها سـياقاً ملائماً يحمل معانٍ تلتقي كلها في موكب اللفظة المعنية ، فالحزن رفيق الظـلام ، والـشدو يخفف الأحزان ، والأذان فسحة المنتظر لموعد بزوغ الفجر ، وأضاف يعلـو إلى الفجـر ، وهو أصلاً من لوازم الآذان ، وكلها وظُفت لدعم المعنـى والرقـي بـه ، وإشـاعته لكثـير من معاني القداسة والأمل في نفـس القـارئ ، وهوجانـب حـساس في الـشعر عمـد إليـه

(١) الأعمال الكاملة : ٥٤٥ .
(٢) ترانيم على الشاطئ : ٢٨ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

بعض الشعراء ، وأفادوا منه غاية الإفادة ، وهومظهر شاع لدى جميع الأجيال الشعرية في جازان ، وأفاد منه شعراء الشباب فائدة واضحة ، نلمحه عند علي الأمير كثيراً في أشعاره ، في محاولة للاستفادة من اللفظة الدينية وتطويعها ، مع إبرازها في شكل يوازي نفسيته الخاصة ، فلم يعمد إلى لفظة الآذان كماصنع السنوسي وصيقل من قبل ، وإنماحمل إلينا ما علق بذاكرته من صداه ، كما جاء في قوله :

صدى المآذن في إصغاء ذاكرتي ليورقَ الليلُ قنديلاً بلا ثمنِ (١)

أو في محاولته الأخرى لاستلهام الحدث القرآني ، والاستفادة منه ، واسترفاد عباراته التي لا تضاهى ، بما تحمله من تشكيل رائع وجرسٍ متجانس بلغت فيه القمة ، تلك اللفظة القرآنية نلمحها في قوله :

إذا عسعس الليل
أوفارق الجمع تلك المجالس
حين العيون احتوتها طريقٌ يباب (٢)

وهكذا نلمح أن الشعراء قد كونوا معجماً متصلاً باللفظة الدينية في شتى جوانبها ومستوياتها ، وحملوا ما ترمي إليه سواء في سياقاتها الخاصة أم خارج تلك الأطر والمجالات التي اتصلت بها عادة .

٢- اللفظة المستقاة من البيئة :

عند الوقوف على معجم شعراء جازان نلمح إشارات كثيرة تجاه البيئة التي احتضنتهم، ونشتم عبق المكان الذي أنشدوا فيه قصائدهم بكل وضوح ، ونبصر جلياً ارتباطهم العاطفي بالمكان وقدرتهم على تخليد البيئة في أشعارهم بكل مظاهرها المختلفة . وبالوقوف على هذا المعجم المتعلق بالبيئة ندرك تلك العلاقات المتشابكة في المكان الذي نشأ فيه الشاعر ، ودارت أحداث قصائده فيه ، ونتمكن من احتواء سائر إشارات القصيدة ورموزها .

(١) بوصلة واحدة لا تكفي : ١٢ .
(٢) المصدر السابق : ٢٠ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

وإذا مضينا نتتبع الألفاظ التي صاغها شعراء جازان ، وكانت ذات صلة بالبيئة وجدناها تمثل البيئة بوجهيها المختلفين الإيجابي والسلبي ، وما يتبع كل وجه منهما من مظاهر لفظية .

ففي الوجه الأول ، وهو الجانب الإيجابي من الطبيعة نجد الماء وما يتبعه من غيوم وأمطار وسيول وجداول وأبحرٍ وسواحل ، وواحات وغدران ، ونجد الأشجار والزهور والروائح العطرية المنتشرة في كل مكان في جازان ، ونجد الجبال والجزر ، والسماء والأنوار وغير ذلك من طيور وبلابل وفراشٍ ونحْل .

ونجد أيضاً مفردات كثيرة تحمل دلالات الوجه الآخر ، وهو الجزء القاسي من البيئة، حيث القفر والصحراء ، والأشواك والرياح الهوج ، والصخور والوحوش وغير ذلك .

ولعل المتأمل لشعر جازان يدرك لأول وهلة أن النماذج التي تناولت البيئة في جانبها الإيجابي قد طغت على الجانب السلبي من البيئة ؛ ولعل السبب في ذلك هو تنوع مظاهر الطبيعة في جازان وجمالها الأخاذ ؛ إذ فيها جبال شامخة وجزائر حالمة وسهول وارفة ، وخبوتٌ ممتدة ، تآلفت جميعاً وتألقت لتمنح الشعراء معجماً لفظياً ثراً ، لم يكن ليتجاهل كل جميل فيها ، ولو أنهم فعلوا عكس هذا لكانوا مغالطين أنفسهم ، ومنفصلين عن بيئتهم ، مما كان في تلك الجنائن من أشواك قليلة ، ودائماً لا يمكن جني الورد من دون تحمل وخز الإبر .

فلو تأملنا المعجم الشعري عند السنوسي لوجدناه يغلب عليه عنصران مهمان منطلقان من البيئة ، وكلاهما حمل الوجه الإيجابيَّ مكنها ، هما النور والطيور ، فقد أخذ السنوسي يردد لفظة النور ومرادفاتها في قصائده ، مما يوحي بتطلعه إلى حياة أسمى ، فكأنه يعيش في وسط مظلم ، يقول في إحدى قصائده :

وأنـــا والدجـــى يلـــفُّ كيـــاني　　رغم أنف الدجى أرى النور باهر[1]

ويقول في قصيدة أخرى :

(١) الأعمال الكاملة : ٧٦٦ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

تأملي شاطئ الأحزان وابتسمي لطائر عاش فيه غير مكتئبِ
إذا رأى لمع نور في الدجى سبحت عيناه في النور في شوقٍ وفي دأب(١)

وردد ألفاظ الإشراق والسنا والشعاع وما شابه هذه الألفاظ التي توحي بالتفاؤل ، وأضاء قصائده بمثل قوله :

غداً يقود الهدى قومي لغايتهم وتشرق الشمس من خلف الدجى البادي(٢)

وفي قصيدته (دعوة الحق) يفتخر بالأمة الإسلامية التي سطرت الأمجاد السالفة ، ويؤكد أن الجزيرة العربية مهد الإسلام الذي أنجب أولئك الأبطال ، ويجعل الدعوة التي صدح بها الرسول - ﷺ - شعاعاً يمحو الظلام :

ومن هدي الجزيرة وهي مهدٌ لنور محمد في العالمينا
تطلعت الشعوب إلى شعاعٍ محا ظلماتها والظالمينا(٣)

والكفر دجىً يغطي الأرض ، فيجيء الإسلام شعاعاً في وسط ذلك الظلام :

لمعت على الوادي المقدس شعلة تركت دجى الدنيا نهاراً مسفراً(٤)

وقد وردت لفظة (النور) وما يتصل بها في شعر السنوسي ما يقارب (٩٣) مرة، وقد ردد السنوسي من ألفاظ البيئة ما يتصل بالطير ، إما بلفظة المفرد (الطائر) ، أو بنوعه (البلبل ، العصفور ، النسر ، الصقر) ، والطائر عنده رمز الحرية والانطلاق **((وهو بذلك الترداد يعبّر عن واقعه النفسي ، وأحاسيسه وهويرى الطائر المحلق بحرية إلى مطامحه ، حتى إن السنوسي سمّى بعض قصائده بأسماء الطيور مثل (عصفور شبابي، وعصفور قلبي ، والبلبل الحيران ، وأنشودة الصقر وغير ذلك ، فكأنه يتمنى أن يكون طائراً يحلق إلى مبتغاه))**(٥) .

(١) المصدر السابق : ٧٢٩ - ٧٣٠ .
(٢) المصدر السابق : ٤٧٩ .
(٣) المصدر السابق : ٥٥٥ .
(٤) المصدر السابق : ١٦ . وانظر : محمد بن علي السنوسي حياته وشعره ، لمحمد القسومي : ٢١٦ – ٢١٧ .
(٥) محمد بن علي السنوسي حياته وشعره : ٢١٨ بتصرف .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

والناظر في معجم الشاعر محمد العقيلي يلمح اتصاله بالبيئة اتصالاً وثيقاً ، لا سيما في جانبها الإيجابي ، إذ استمد الشاعر أكثر تعابيره من الطبيعة السماوية وما فيها من علوٍ وشهبٍ وكواكب وأفلاكٍ وقمرٍ منير ، ويندر أن توجد قصيدة للعقيلي لم ترد فيها أي لفظة من هذا القاموس السماوي . فمن ذلك قوله في إحدى قصائد التهنئة والمديح :

تجـلّى في سـما العليـا شـهابا　　يـشعّ ضـياء غرتـه انـسكابا
تلـوح المكرمـات وقـد تجلّـت　　وشـفت عـن محياهـا نقابـا
وتبـصر مـن تألقـه سـناء　　ونبـلاً قـد تدرَّعـه إهابـا (١)

فممدوحه هنا شهاب مشع ومتألق في سماء المجد والعلياء .

وفي ديوانيه الأولين (الأنغام المضيئة) و (أفاويق الغمام) ما يزيد على (٣٢٦) إشارة إلى هذا الحقل الدلالي والمعجم الأثير لديه ، بل حتى عنوانا الديوانين السابقين يلمح فيهما شيء من ذلك الحقل ، فالإضاءة قادمة من السماء حيث الشمس والقمر في الأول ، وفي الثاني الغمام أحد معالم السماء ومكوناتها .

بينما نجد أن معجم شعراء فيفا يكثر فيه الجبل ومترادفاته وما حوله من طبيعة كالأدوية والخمائل والزهور والنباتات المتنوعة ، وفي ديوانٍ واحد مثلاً للشاعر علي بن قاسم الفيفي وهو (الطيف العابر) وردت كلمة (فيفا) سبع وستون مرة ، ناهيك عن عنونة القصائد بها مثل (فيفاء تجيب) و (القلب في فيفاء) وغير ذلك . والألفاظ التي شاعت في شعر فيفا مما هو متعلق بتلك البيئة الجبلية يمكن التقاطه من قصيدة (المفتاح المفقود) لعلي ابن حسين الفيفي ، حيث أشار إلى عدد من تلك الألفاظ التي تلتقي جميعها في معجم شعراء فيفا خاصة ، وشعراء جازان بعامة ، يقول :

فيفـاء منظرهـا جميـل فاتـن　　يـشدو بـه الـزوار والـسواح
هـذي المروج الخضر تلك حدائقٌ　　وعبـير عـرف زهورهـا فـوّاح
والـورد فـي أكمامـه متفـتحٌ　　والكـاد أبـيض ناصـع وضّـاح

(١) المجموعة الشعرية : ١١٢ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

إلى أن يقول :

وجنـائن الزيتـون والرمـان والأعنـا ب كـــل للجميـــع مبـــاحُ
وبكـــل سفـــح جنـــةٌ مخـــضرة مـــع عـــين مـــاء دمعهـــا فـضَّاحُ
وهنـــاك غابـــات يتيـــه بوسطهـــا سرب القطـــا والبلبـــل الـــصداحُ
والمـــاء رقـــراق لذيـــذٌ طعمـــه نهـــر يتيـــه بوسطـــه الـــسبّاحُ
والياسمـــين عـــلى الخزامـــى مائـــل ميـــل الـــذي في قلبـــه أفـــراحُ [1]

ونجد ألفاظاً أخرى أكثر شعراء جازان من استخدامها في دواوينهم ، ولا سيما شعراء فرسان ، وهي تلك التي تتعلق بالبحر وما يتصل به من معاني ، كالشواطئ والزوارق والمجاديف والأشرعة والقوارب ، ويُعزى تركيزهم على هذا المعجم لما تحمله مفرداته من معاني السفر والانطلاق والتحرر ، ومحاولة النجاة والهروب من الواقع عبر تلك الأشياء التي يرون فيها المعادل والعزاء لما افتقده بعضهم في واقع الحياة، وكان تفاعل الشعراء مع البحر ومفرداته واضحاً لما يحمله من مكانة في نفوس الخائضين عبابه صباح مساء ، لاسيما شعراء فرسان الذين يتحتم عليهم قطع البحر للذهاب إلى جازان يومياً ، ومن هؤلاء حسين سهيل، حيث يقول :

يـــا آيـــة الليـــل في الـــشطآن والجـــزر مـــاذا تقـــول الـــسما في الليـــل للقمـــر؟
هـــاتي لنـــا مـــن دنـــا الآفـــاق أغنيـــة أهزوجـــة للمـــدى يزهـــو بهـــا ســـهري
يـــا وردةً في ميـــاه البحـــر نعـــشقها هـــاتي لنـــا مـــن ســـنا خـــديك وانتظـــري
قـــصيدتي أنـــت للـــشطآن أحملهـــا ولليـــالي الـــتي تـــشتاق للـــسمرِ [2]

وقد مر معنا في الحديث عن عناوين الدواوين اتصال كثير من دواوين الشعراء بالبحر ومفرداته ، لا سيما شعراء فرسان مثل إبراهيم مفتاح ، وحسين سهيل ،

(١) أصداء الذكريات : ١ .
(٢) أشرعة الصمت : ١٤ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

وإبراهيم صيادي[1]، وشعراء جازان الآخرين كإبراهيم صعابي ، ولم يكن البحر متمثلاً في العنوان فقط ،بل تجاوزه إلى عناوين أكثر القصائد الواردة بداخله ، ولوتأمل القارئ دواوين (عتاب إلى البحر) لإبراهيم مفتاح ، و (حبيبتي والبحر) ، و (زورق في القلب) ، و(قفات على الماء) لإبراهيم صعابي لأدرك ذلك واضحاً وجلياً .

ويظهر في معجم شعراء جازان الاهتمام بالزهور البرية والنباتات العطرية ، ويندر أن نجد شاعراً لم يذكر هذه النباتات في شعره . نجد ذلك في شعر حسين كريري، حيث يقول:

يسري على متن السحاب محلقاً　　مسترجعاً ذكرى الصِّبا في الوادي
بين الخمائل والزهور بواسق　　والفل يهدي نفحه والكادي[2]

ويقول في قصيدة أخرى :

والشيح والدوش كاسٍ　　على ضفاف الشعاب[3]

وكان للأشجار التي يصادفها الرعاة في مراعيهم وجود واضح في معجم الشعراء، مثل أشجار الدوم والرين والزغف وسواها ، لا سيما في أشعار علي النعمي ، بل نجدها حتى في أشعار الشعراء الشباب الذين لم يحفلوا بكثير من معالم البيئة ، ولكنهم يوردونها في مقام الحنين إلى ذكريات الصبا ، ومن هؤلاء محمد حبيبي في قصيدته (الرين) ، إذ يقول متذكراً تلك اللعبة التي كان يصنعها الأطفال من أوراق شجرة الرين :

للحقول براءتها أينما وزعتها
على الدوم
أو شجر الرين
آه يا شجر الرَّين

(١) انظر قصيدته (زفاف) ، ففيها كثير من ذكريات البحر ومفرداته في : التاريخ الأدبي للعقيلي ، ٣ / ١٤٣٤ – ١٤٣٦.
(٢) عزف على أوتار الحب : ٩٠ .
(٣) المصدر السابق : ٩١ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

كنَّا صغيرين
أُعلّمُها
صنع فقاعة من ورق
رسم قلبٍ به عاشقين [1]

وتعد المظاهر السلبية في الطبيعة من أكثر الأشياء التي وقف الشعراء الوجدانيون ، خاصة الموغلون في التوجّد الرومانسي ، وقفوا أمامها طويلاً ، وأحسنوا استغلال ما فيها من ملامح القسوة ، فظهرت في قصائدهم بشكل يجسد ما يعتمل فيها من المشاعر بكل دقة ، ومن هذا الباب قاموا بتوظيف الصحراء والمهامه والرياح الهوجاء والهزيم والصخور الحادة في أشعارهم ، كما ظهر السراب في أشعارهم .

نجد هذا المعجم المنطلق من البيئة القاسية كثيراً في شعر إبراهيم صعابي ، ومن ذلك قوله :

فتساقت دموعها في احتدام وتمادت بكرهها الحسناءُ
كلُّ قلبٍ تنالُهُ سوف يغدو كغريبٍ تلفُّهُ الظلماءُ
فاهدئي يا ابنة البكاء كثيراً إنّ حبّي رياحُهُ هوجاءُ [2]

فالشاعر انتقى اللفظة بعناية من معجمه المتكرر والمألوف الذي ينتشر هنا وهناك في شعره (الرياح الهوجاء) هي جزء من البيئة القاسية ، التي تأتي ، فتحطم كل شيء في طريقها ولا يمكن أن يوقفها شيء ، اختار الشاعر تلك الكلمات للتعبير عن تجربة حبٍّ فاشلة .

ونلمح لفظة (السراب) في شعر صعابي تتردد بصورة كبيرة كمعلم من معالم البيئة ومعجمها القاسي ، فالمحبوب الصادق ذي الإحساس المرهف والشعور النبيل في هذا الزمن غير موجود ، وإن وجد فهو كالسراب تراه من بعد ، ولا يمكنك إدراكه ، يقول :

علّني ألقى حبيباً باسماً غضّ الإهاب
مرهف الحسّ عظيم النفس رفّاف الجناب

(١) انكسرت وحيداً : ٣٢ .
(٢) زورق في القلب : ١٩ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

ضـــائعاً بـــين عيـــوني . . وحُـــروفي وكتـــابي
فهـو يـا بحـرُ – كـما يبـدو لـه – طيـفُ سراب [1]

ويخاطب المحبوبة بعد أن تبينت له الحقيقة بقوله في قصيدة (الحب المزور) :

كنـــت طيفـــاً في حيـــاتي　　وسرابـــاً ليـــس أكـــثر [2]

ومن هذا المعجم كلمة (الهزيم) في شعر علي النعمي ، حيث يقول :

حـدثيني عـن الـصغار وقـد تـا　　هـوا بأفـقِ الحيـاة مثـل الطيـور
عـن لغـاهم عـن الرضـا في حنايـا　　هـم ،وعـن بـسمة الـصفا والـسرور
لم تعـانق نفوسـهم شـقوة الدنـ　　ـيا ، ولا آدهـم هـزيم الـشرور [3]

ومن هذا المعجم نلمح كلمتي (الصخر والجمر) بكثرة في شعر أحمد البهكلي ، وقد اجتمعت الكلمتان في بيت شعر ي واحد ، إذ يقول :

يـداي قـد مُدَّتـا مـدّي إليَّ يـدا　　فالصخر لان هنا ، والجمرُ قد بردا [4]

* * *

إنّ الحديث عن المعجم الشعري المتصل بالبيئة ينقلنا إلى ظاهرة مهمة من ظواهر المعجم في شعر جازان ، وهي ازدواجية التعبير بين الفصحى والعامية ، إذ نلحظ أن كثيراً من الشعراء راحوا يضمّنون قصائدهم بعض الألفاظ المحلية المألوفة في بيئة جازان ، ويوردونها في أشعارهم في محاولة لتقريب الصورة الذهنية إلى القارئ ؛ ولإثبات الحضور المحلي على الشعر، وتأكيد انتمائه للبيئة التي صدر منها .

فمن هؤلاء الشعراء محمد أحمد العقيلي ، إذترد في لغته بعض الألفاظ العامية الشائعة في جازان ، ومن ذلك قوله :

(١) المصدر السابق : ٢٧ .
(٢) المصدر السابق : ٣٣ .
(٣) الأرض والعشق : ١٢ .
(٤) أول الغيث : ١٠٠ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

تـذوبُ في نـسمة الإصـباح أغنيـةً تستوقف الطير في أجوائه نـافر [1]

فـ(نافر) كلمـة شـعبية مـشهورة تطلـق عـلى الطـير وهومحلـق ، وهـي بـلا شـك فصيحة صحيحة ؛ لأنها من (نفر) ، لكن كثرة استعمالها في اللهجة المحليـة في جـازان ، على نحو لافتٍ أفقدها بريقها ، فهي مما يمكن أن يسمى بالعـامي الفـصيح ، وهـو بهـذا يوجد – بلا شك – روابط جديدة ومتينة بين الفصحى والعامية في البناء اللغـوي كـأثرٍ رجعي للازدواج اللغوي في التعبير الذي تشهده حياتنا المعاصرة بـين لغـة الأدب ولغـة الحياة اليومية المتداولة . فالشاعر العقـيلي ومثلـه شـعراء جـازان الآخـرون الـذين كـانوا يميلـون إلى هـذه الواقعيـة اللغويـة ، فيطعّمـون قـصائدهم بالألفـاظ والتعـابير العاميـة الفصيحة ، كانوا يمدّون حبالاً للعامية تعبر عليها إلى الفصحى .

ومن أمثلة تلك الكلمات الـواردة في شـعر جـازان ، وهـي مـن العـامي الفـصيح كلمة (القحم) ، وتنعني الكبير في السنّ ، وهـي كلمـة فـصيحة ، وقـد وردت في شـعر طرفة بن العبد وغيره من شعراء الجاهلية ، ولكنها تكاد تكـون منـدثرة الاسـتعمال ، إلا في اللهجـة المحليـة في جـازان خاصـة ، وجنـوب الجزيـرة العربيـة بعامـة ، ومـن أمثلـة ورودها في شعر جازان قول حسين كريري :

تبّـاً لـدنيا بهـا الأيـام راحلـةٌ يوماً فيوماً ويُمسي طفلنا قحما [2]

وقول أحمد الحربي :

قالت له ما نسيت الحب يا حُلمي لكنـه جـور أهـلي أيهـا الرجـلُ

فقـد تقـدّم لي قحـمٌ يـساومهم وباعني منه أهلي حينما قبلـوا [3]

وأكثـر الـشعراء إقحامـاً للألفـاظ المـستقاة مـن اللهجـة المحليـة في جـازان ثلاثـة شعراء ، هم: علي النعمي ، وإبراهيم مفتاح ، وأحمد الحربي ، لا سيما في القصائد المتعلقة بالوصف أو الحنين ، ومن ثم راحوا يشرحون تلك الألفاظ المبهمة أو المنغلقة عـلى غـير

(١) المجموعة الشعرية : ٦٥١ .
(٢) عزف على أوتار الحب : ٧٠ .
(٣) رحلة الأمس : ٤٢ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

أبناء جازان ، فمن ذلك الوصف لبعض مشاهد الحياة القديمة قول علي بن النعمي حاكياً حال فتاة ريفية تكدح من أجل أسرتها :

ملأت (زنبيلها) بـ(لعذق)　　في نهـارٍ مشبعٍ بالرهـقِ
ومضت تحمله في نسوة　　بين عِذقٍ أحمرٍ أو يققِ
لتؤدّيه إلى (المجران) يا　　حسنها في لفتات العُنُقِ
ثم ودّته وألقت ما به　　من عذوقٍ وانزوت في قلقِ
ترمقُ الناس بعيني جُؤْذرٍ　　حذر من صائدٍ محترقِ
لبست ثوباً بديعاً وحشت　　رأسها (بالحُسنِ) شطر المفرقِ
بعد أن شدّت على (عظيتها)　　من (خطور) نصفه من حبقِ
بمصرٍّ فوقه (مقلمةٌ)　　عجزت عن كبح فوح العبقِ
شكلها يفضح سرّاً غامضاً　　في حناياها دقيق الحِلَقِ [1]

فالألفاظ المحلية الواردة في النص اضطر الشاعر إلى شرحها في الهامش ، وهي (المجران): المكان الذي تؤدي إليه العذوق المقطوفة . و (الحسن) : نوع من الأحجار الحمراء رسوبية الشكل ، يستعمله الناس بعد طحنه مخلوطاً ببعض أنواع الطيب . و(العظية) هي ما تضعه المرأة على رأسها من الرياحين . (الخطور) اسم يستعمل لكل ألوان الزهور العطرية المستعملة للعظية التي سبق ذكرها . (المصرّ) هو منديل تشد به المرأة رأسها أو تصرُّ به . (المقلمة) هي الخمار أو القناع .

وشاعت هذه الألفاظ في شعر علي النعمي عند روايته للحكايات الريفية ومجالس العامة التي تروى فيها ذكريات الماضي ، ومن ذلك حكايته لذكريات راعٍ كان مشغولاً بجلسة مع رعاة آخرين ، فنفشت غنمه في إحدى المزارع ، وما لحق به بعد ذلك من عقابٍ من صاحب الأرض ، ومن ولي أمره ، يقول :

ذاك يحكي ما ناله من عناء　　وشقاء في رعيه للضانِ

(١) الأرض والعشق : ١٢٦ – ١٢٧ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وبأجـــر يقـــل عـــن ذاك الـــرا عـــي ، وثـــان يقـــول : عمـــي جفـــاني
حـين (فيّـشت) لا مريـداً ولكـن كنـــت في جلـــسة مـــع الرعيـــانِ
وأتـــى صاحـــب الـــبلاد حزينـــاً وعـــلى وجهـــه رســـوم احتقـــانِ
ورأى (الهـوش) مطبقـات عـلى الـزر ع كإطبـــاق لاهـــب النـــيرانِ
فجـــرى نحوهـــا وأوثـــق بالحبـــ ـــل ثلاثـــاً ، وبـــ(الـــصميل) رمـــاني
راح يـــستاقُها (عقائـــب) حـــتى يعـرف البخس قبـل فـك الرهـانِ[1]

فغير خافٍ ما في النص السابق من ألفاظ محلية ، بعضها عامي ، والآخر من العامي الفصيح ، فكلمة (فيّشت) تطلق على ترك الراعي لمواشيه تعبث بالزروع المحمية دون ردع، هذا في الاستعمال المحلي في جازان ، ونلحظ أن الاستعمال العامي حوّر الكلمة عن أصلها اللغوي الموجود في لفظة (نفش) يقال : نفشت الإبل والغنم إذا رعت ليلاً بلا راعٍ ومنه قوله تعالى : { **إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ القَوْمِ** }[2] . ونلحظ التقارب بين اللفظتين في الاستعمال اللغوي (نفشت) والاستعمال المحلي (فيشت) .

واستعمل الشاعر في نصه السابق كلمات أخرى ، مثل (الهوش) ، والمراد بها المواشي من بقرٍ وغنم وإبل وضأن . و (الصميل) العصا الغليظة التي يحذف بها . و(العقائب) واحدتها عقوبة ، وهي ما يأخذه الفلاح من الراعي ، سواء من المواشي أم خلافها في سبيل تقدير الأضرار التي ألحقتها الماشية بمزرعته تعاد لصاحبها بعد تحديد نسبة الضرر ، وهذه الكلمة هي من العامي الفصيح ، إذ لها أصل لغوي ، حيث يقال : ((**اعتقب البائع السلعة إذا حبسها عن المشتري حتى يقبض الثمن ، وفي الحديث : ((المعتقب ضامن)) يعني إذا تلف عنده**))[3] .

وقد يلجأ كثير من شعراء جازان إلى أسلوب التضمين لإدخال ما يشاءون من عبارات وألفاظ عامية ، منها ما اشتمل على أمثالٍ عامية ، مثل قول العقيلي :

(١) المصدر السابق : ١١١ .
(٢) مختار الصحاح ، للرازي : ٦٧٣ ، والآية من سورة رقم (٧٨) .
(٣) مختار الصحاح : ٤٤٤ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

إنها أول الشعاع فمهلاً　　(فدليل الكتاب من عنوانه)[1]

فالشطر الثاني يمثل مثلاً شعبياً مشهوراً في البيئة المحلية بجازان .

أو مثل قول أحمد البهكلي :

حتى إذا ما غاب وعي بها　　وحارت العينان أن تلمحا

والتقت الذاتان ذاتي أنا　　وذات شيء مثل (برق المصحا)[2]

فالشطر الأخير تضمن مثلاً مشهوراً بجازان ، وهو (مثل برق المصحا) ، وهو البرق الذي يأتي في الأجواء المشمسة ، وهو برق شديد الصعق ، وخطره كبير .

أو أزجال وأغنيات شعبية يدرجها الشعراء ضمن قصائدهم ، فمن ذلك ما كان يردده البحارة لا سيما من أهل جزائر فرسان عند رحلاتهم للصيد أو جمع اللؤلؤ ، أو مثل ما كان يتردد على لسان النساء المنتظرات لأقاربهن الراحلين إلى الصيد ، فمن ذلك ما جاء في قول إبراهيم مفتاح حاكياً حال أم تودع ابنها المنطلق مع الصيادين :

طفلي بذمتكم تقول لبعضهم　　أم وتغرق في البكا أمانِ

وترددت عند الظهيرة لوعة　　ولهانة النغمات والوجدانِ

(والي بيادوه) إنني مشتاقة　　(والي بسيدي) كم يجور زماني

أودعت يا ربي إليك حشاشتي　　إبني أبي ، وأحبتي ، إخواني[3]

فقوله : (والي بيادوه والي بسيدي) هو مطلع أغنية شعبية ترددها الأمهات والزوجات عند القيلولة عندما يبرّح بهن الحنين إلى الغائبين .

ومن تلك الأزجال ما أكثر منه الشاعر أحمد الحربي لا سيما في ديوانه (يوم كنّا)، فمن ذلك قوله :

يوم كنَّا

كانت الدنيا تغنّي

---

(١) المجموعة الشعرية : ٢٨٥ .

(٢) أول الغيث : ١٦ .

(٣) احمرار الصمت : ٨٠ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

فوق شدو (المخضري)
(زمّـــــوح يبـــــو لبانـــــه مـــــا هَـــــدَّ بـــــك تهامـــــه
هـــــديت شتّخـــــضّر حطيـــــت في املزامـــــه
يوم كانت
غادة الحقل تسمّى (جدَّة امَّطَر)
كان للكسوة معنى ...[1]

فالمخضري هنا المراد به في اللهجة المحلية في جازان الشخص الوافد للعمل في المزارع من غير أهل القرية .

وذلك الزجل الوارد في النص السابق مأخوذ من البيئة المحلية ، حيث ينشد ذلك الرجل الغريب تلك الأهازيج عند موسم الخريف ، حيث تفد إلى تهامة حشرات صغيرة تسمى (الزّماميح) و مفردها (زمّوح) وهي أكبر من الخنفساء ، ولها أجنحة مخططة جميلة الشكل ، عادة ما توجد في الجبال وسفوحها ، ولكنها تنزل إلى تهامة من أجل الرعي والتقاط معيشتها ، ولكن الأطفال والصيادين يلتقطونها كما جاء في ذلك الزجل ، ونلحظ ورود عدد من الألفاظ العامية فيه ، مثل (المخضري ، زموح ، أبو لبانه ، ماهدَّبك، شتخضّر ، املزامه) . وجاء في آخر النص قوله : (جدة امّطر) وهي حشرة صغيرة حمراء اللون تظهر عند نزول الأمطار ، وهي ذات منظر جميل ، ويحلو للغلمان الصغار مطاردتها واللعب بها وكسوتها بخيوط من ملابسهم ، زاعمين أنها جاءت في الموسم من أجل الحصول على نصيبها منه .

ومن الأزجال والأهازيج الواردة في شعره أيضاً ما كان يردده الأمهات لأطفالهن عند النوم من أجل تسكينهم وتهديتهم وإرغامهم على النوم ، فتذكر الأم آمالها في طفلها عندما سيكبر ، وهو أنه سيصير قارئاً للقرآن يبذ جميع القراء ، حيث يقول الحربي :

(١) يوم كنّا (أوراق متناثرة من التقويم القديم): ١٢ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

أشعة الصباح
كالصباح في جبين جدتي
وهي تلهّي طفلها
على انبلاج الفجر فوق ثغرها:

(فـــديت لابنـــي القـــاري　　(قـــاري وصـــوته عـــالي)
(إذا قـــــرا في المـــــسجد)　　(خجّـــل بكـــل قـــاري) [1]

وكذلك ضمّن الشعراء في أشعارهم بعض الكلمات المستقاة من أغانٍ مشهورة، ومن هؤلاء إبراهيم صعابي في قوله :

أبهـا هـي الحـب في أنقـى محاسنـه　　أبهـا هـي الطـير يـشدو لحظـة الـسهرِ
(مـن بـادي الوقـت) هـذا طبـع تربتنـا　　تزهو اخضراراً على أنـشودة المطرِ [2]

وكذلك أحمد الحربي في قوله :

تنـــام عطـــشى حـــروفي　　علـــى شفـــاه المـــلاح
وتـــسأل الطـــير مـــاذا　　(يـــا طـــير مـــاذا الـــصياح) [3]

* * *

وقبل أن أغادر الحديث عن المعجم اللغوي أود الإشارة إلى أنَّ أغلب الشعراء لم يناقضوا واقعهم ، فيوردوا ألفاظاً لا علاقة لها بالبيئة العربية أو المحلية ، وما جاء خلاف ذلك فهو قليل ، ولا يمثل اتجاهاً عاماً ، مثل تكرار كلمة (الهزار) عند علي النعمي واتخاذه منه معادلاً لشخصيته المنطلقة والمغردة ، كقوله :

حسب نفسي أني خُلقتُ هزاراً　　أتغنى في كل روض وساحة [4]

---

(١) المصدر السابق : ١٤ .
(٢) وطني سيد البقاع : ٣٠ .
(٣) رحلة الأمس : ١٣ .
(٤) الأرض والعشق : ٩٨ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ونحن نعرف أنَّ (الهزار) لا وجود له في البيئة التي ينتمي لها الشاعر .

وكان أغلب الشعراء منطلقين من واقعهم الخاص ، بل ربما كان صوت التيس وثغاؤه أشهى عند بعض الشعراء من صوت العندليب الذي لم يألفه ، كما يصور ذلك أحمد الحربي في قوله :

يوم كنَّا
في المراعي الخضر
نجري دون أن نخاف
نطارد البهم ويأتينا
ثغاءُ التيس أحلى
من أغاني العندليب (١)

ومن الألفاظ التي احتواها معجم الشعراء ، ولم تكن لها أي علاقة بالبيئة الإسلامية التي ينتمي لها الشعراء كلمة (قدّاس) في شعر إبراهيم مفتاح ؛ إذ يقول :

تدفّـــق قلبـــه شـــدوا　　كـــشدو الطـــير في شـــجره
وراح يـــــردد الألحـــــان　　قداســـاً عـــلى قـــدره (٢)

فقد كان الأولى بالشاعر أن يتجنّب هذه الكلمة المتصلة بالعقيدة النّصرانية .

وللواقع الذي يعيشه الشعراء والتقدم الحضاري أثره في زحف عدد من المفردات إلى لغة الشعر التي لم تكن تعرفها من قبل ، حيث طالعنا الشعراء بمفردات مثل : (الفستان ، والأفلام ، والقطار ، وعقرب الساعة ، والهاتف ، والقيثار ، والكمان، والكهرباء) ، وما شابهها من المفردات الجديدة ، التي راح الشعراء يتسابقون إلى توظيفها واستغلالها ، لا سيما الشعراء الابتداعيون والمجددون .

واللافت للنظر هنا أنَّ كثيراً من الشعراء اتجهوا نحو عدد من الكلمات القديمة التي أصبح لها حضور فاعل لدى الشعراء المعاصرين ، وحملت دلالات جديدة في

(١) يوم كنّا : ٤ .
(٢) عتاب إلى البحر : ٨٦ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

وجدان الشعراء، فكان لها التواجد الطاغي في دواوينهم من بين سائر الكلمات الجديدة الأخرى ، وفي محاولة لبعث بعض الكلمات من جديد ، وعرضها في سياق مستحدث ، ومن تلك الكلمات كلمة (شرانق) التي ترددت كثيراً في أشعار الشعراء المزاوجين بين المحافظة والتجديد والشعراء الشباب ، فمن ذلك قول أحمد الحربي :

سيدتي
والحلم فوق الحلم
منثور على زاوية
مغروزة على شرانق الردى
متكئ على جبين زورقٍ
مسافر إلى غياهب المدى[1]

ويقول في قصيدة أخرى :

أخي جاوز الظالمون المدى
صباح توضأ فيه الندى
تشرنق في بوحه الصامتون[2]

ووردت أيضاً كثيراً في شعر علي صيقل ، ومن ذلك قوله :

والصمت قابع على فمي
يشرنق الكلام
جدران غرفتي
تفطّرت ندم[3]

ومن تلك المفردات مفردة الصمت التي وردت في النص السابق لعلي صيقل ، هذه المفردة التي أخذت اهتماماً خاصاً لدى الشعراء ، وهي مفردة قديمة لكنها أخذت

(١) تقاسيم على جذع نخلة الوادي : ٥٤ – ٥٥ .
(٢) المصدر السابق : ٦٣ .
(٣) أغنية للوطن : ٢١ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

دلالات جديدة ، وحملت مواقف وخلجات شعورية ، حتى إن الصمت تحول عند كثير من الشعراء إلى لغة مفهومة لا يجيد التفاهم بها سوى المحبين الذين يدركون معانيها جيداً . ومن هنا وجدنا الشاعر حسين سهيل عندما أراد أن يعنون لديوانه الأول اختار له هذه المفردة ، فسماه (أشرعة الصمت) ، وفيه يشير إلى لغة الصمت الخاصة بقوله :

نصف عام بيننا
والصمتُ قنديل الكلام
لغة هو الصمت .. لو تدرين
حين يضيع خطوي
بين فاصلة الطريق وبين متكأ الرخام[1]

وقد وردت هذه المفردة في شعر حسين سهيل إحدى عشرة مرة في ديوانٍ واحد فقط، هو ديوانه الذي سبق ذكره آنفاً .

ووردت كلمات أخرى كثيرة لدى الشعراء لها دلالات جديدة ، مثل (الاحتراق)[2] في شعر إبراهيم صعابي ، و (العملاق)[3] في شعر علي بن قاسم الفيفي الذي يطلقه على ضمير الصحوة الإسلامية في نفوس أبناء الأمة .

و- الغرابة والندرة :

إنَّ اللغة العربية لا تغلق باباً أمام التوسع اللغوي ، وإحياء المهجور من الكلمات، غير أنَّ الشعر – وهو في جوهره تجربة لغوية – ينبغي أن يختار وينتقي ، وأن يبتعد الشعراء عن اللغة التي لا تفهم إلا بالرجوع إلى القواميس ؛ استجابة للذوق السائد ، ولنظرات النقاد سواء القدماء منهم كالجاحظ[4] وابن الأثير وغيرهما ، حيث يرون أن على

(١) أشرعة الصمت : ٦٥ .
(٢) انظر : وقفات على الماء : ٢١ .
(٣) انظر : ومض الخاطر : ٢٣ ، ٢٥ ، ٨١ .
(٤) انظر : البيان والتبيين ، ١/ ١٤٤ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

الشاعر أن يختار من الألفاظ ما يكون أقرب إلى الفهم لا إلى الانغلاق ، غير أنَّ ابن الأثير يفرق بين الغريب القبيح والغريب الحسن ، ويرى أنَّ الغريب الحسن لا بأس به [1] .

أما النقاد المحدثون فيعيبون على الشاعر تكلفه للغريب وإقحافه في شعره ، ويرون أن على الشاعر الاستغناء عن كل ما يحجز القارئ عن إدراك المعنى ، وأن الشاعر متى ما خالف في ذلك فإن يحتفظ بجزء من معنى القصيدة في خارجها . وهذا في صميمه يتعارض مع التعبير ومع لحظة الإبداع عند الشاعر [2] .

والغريب في شعر جازان قليل ، ولكنه موجود عند بعض الشعراء على تفاوت بينهم في ذلك ، فبعضهم تأتي اللفظة الغريبة في شعره عرضاً ، وبعضهم يبحث عنها بحثاً ليحققوا من خلالها عنصر المفاجأة اللغوية في شعرهم ، وبعضهم يقصد إحياء موات اللغة لاستخدامها استخدامات جديدة حيَّة من جهة أخرى ، وبعضهم يقصد الإثارة ليس إلاّ .

فمن الغريب الوارد في شعر علي السنوسي كلمة (رَجْل) في قوله :

تلفت والأعداء حول بلاده　　كرجل جرادٍ يمسح الأرض مفسدا [3]

فـ(رجل) – بكسر الراء وفتحها – يطلق على الجماعة الكثيرة من الجراد خاصة ، مثلما يقال لجماعة البقر : (صِوَار) ، ولجماعة النعام : (خيط) ، ولجماعة الحمير : (عانة) . ولكن كلمة (رجل) تنفرد عن تلك الكلمات بكونها غير شائعة الاستعمال ، وتكاد تكون نادرة في الشعر .

وفي شعر محمد بن أحمد العقيلي مجموعة من الألفاظ الغريبة ، ولكننا لا نحسُّ بغرابتها أو وعورتها ؛ بسبب استخدامه لها في سياقات مناسبة ، إذ يقرنها بألفاظ أخرى سهلة تخفف من غرابتها ، وتؤنس وحشتها ، ومن ذلك لفظة (السِّيد) في قوله :

وخيّم الأمن في ضاحي مراتعها　　حتى رعى السِّيدُ والأنعام والبهمُ [4]

(١) انظر: المثل السائر : ١٧٦ – ١٨٣ .
(٢) انظر : قضايا الشعر المعاصر ، لنازك الملائكة : ٢٣٧ .
(٣) المفقود من شعر علي السنوسي ، جمع : أبي داهش : ١٢٧ .
(٤) المجموعة الشعرية : ٢١ . ، والسِّيد : الذئب .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وكذلك لفظة (أفواف) في قوله :

والأرض قد لبست أفواف زينتها　　مرموقة الحسن في أثوابها القشب (١)

أما الشاعر محمد بن علي السنوسي فإنه قد أكثر من الألفاظ الغريبة في بداياته الشعرية ، ولكنها اختفت أوكادت بعد نضوج موهبته ، حيث أخذ يحيل ما رشفه من الشعر العربي القديم رحيقاً حلواً له طعم جديد بألفاظ منتقاة و تتناسب مع الأغراض الشعرية المصوغة لها(٢) ، ومن تلك الكلمات الغريبة التي شاعت في قصائده الأولى (سجسج) في قوله :

والصَّبا سجسج يضوع شذاها　　عبقاً من خلال تلك الستائر (٣)

وكذلك لفظة (اسبطر) الواردة في قوله :

لألأ الفجر واسبطرَّ الشعاعُ　　واكتست حلة الضياء البقاع (٤)

ومن الألفاظ الغريبةوالنادرة في شعره المتأخر قوله في قصيدته (الفيلسوف والطائر الأعمى) :

كان في رحلة فأدركه الأيـ　　ـنُ فألقى العصا يروم الجُموما (٥)

أما الشاعر علي النعمي فتندر عنده الكلمات الغريبة ، ولا يضطر إلى ذلك إلاّ إذا ألجأته القوافي إلى كلمات بعينها ، مثل (آبال) التي هي جمع إبل ، حيث يقول :

إلاّ أناسٌ كابروا وتجبّروا　　وعتوا عتو شوارد الآبال (٦)

فلولا أن القافية اضطرته لما حرص على مثل هذا الجمع النادر الاستعمال .

ولم يحفل بغريب الكلام وحوشيه أحد من شعراء جازان كما حفل به الشاعران عبدالله الفيفي ومحمد مباركي ، إذ يلمح من تأمل نتاجهما أنهما يبحثان عنه بحثاً ؛ لذا

(١) المصدر السابق : ٣٣٠ . والأفواف : الثياب الرقاق الموشاة والمزخرفة .
(٢) انظر : محمد بن علي السنوسي حياته وشعره ، لمحمد القسومي : ٢١٥ .
(٣) شعراء الجنوب : ٩٤ ، والسجسج : الجو المعتدل الذي لا حر فيه ولا برد .
(٤) المصدر السابق : ٧٤ .
(٥) الأعمال الكاملة : ٦٢٩ ، والجموم : الراحة .
(٦) الرحيل إلى الأعماق : ١٥ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

يجد القارئ لشعرهما بعض الصعوبة في الوصول إلى تلك الألفاظ المنغلقة دون الاستعانة بالمعاجم اللغوية .

ولو تأملنا أي قصيدة من قصائد عبدالله الفيفي لوجدنا كمّاً كبيراً من تلك الأغاريب، ومن ذلك قوله :

تمـرُّ بنـا الأيـام ثكلـى ضريـرة ... وتُطرقنـا الأنـاء حُبلـى التـأَوُّقِ
فكـم مـن بـلاد الله ينهبهـا الـردى ... بُويـن عُيـون النـوم والمُتمخِـرقِ
ولـو قيـل : (أن قـد يـسلبون صـغارنا ... نُغاهـم وألـوان العيـون) فـصدَّقِ
إذا أنـت لم تمنـع قفـاك عـن الـورى ... يكن في ركوب الخلقِ فضلُ التَّهقْهُقِ
ركبتُ على الأهـوال بحراً مـن النوى ... وصاحبتُ في البيداء ذئب الفـرزدقِ
فـما امتـدَّ بي لـجٌ ولا اشـتد بي سُرىً ... سِـوَى بـشراع الحِنْـدس المُتـشقِّقِ

إلى أن يقول :

فهـا هـم أولاءِ بيننـا يـصدعوننا ... خصيمين من خَرْقٍ ومن مُتَحذْلقِ
فـأيُّ اغـتراب يـدهم الليـل وجهُـهُ ... ويُقبـلُ في الـصبح الأغـرِّ بفيلـقِ
وأيّ اغـترابٍ أنبـت الجـدب نبتـهُ ... فأمحل فيه الأخصبان بِغَيْـدقِ [1]

والمتتبع لشعر عبدالله الفيفي سيجد حرصه على تتبع مثل هذه الشوارد اللغوية وبثها في قصائدهه ، ليصدع بها رؤوسنا مثلما ذكر هو عن المتخرقين والمتحذلقين ، وعساه أن لا يكون منهم ، على أنه قد اعترف بأنه قد صاحب ذئب الفرزدق في رحلته الحياتية ، ومن هنا لا يعجب إذا وجدنا هذه اللغة الفرزدقية – إن صحت التسمية – وهي لغة الفرزدق الذي كان ينحت الصخر ليسمعها جيله ، فيفهمونها على الفور . أما شاعرنا فقد ألجأنا إلى معاجم اللغة بعد أن ضلت بنا سبل الفهم دون الوصول إلى نتيجة واضحة من النص أو فهم سليم ، ولو كفانا هذا العناء لأحسن بنا أيّما إحسان .

ز- الدخيل والأجنبي :

(١) إذا ما الليل أغرقني : ٩٢ – ٩٦ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ومع حرص الشعراء في جازان على الفصاحة إلا أنهم أوردوا في أشعارهم بعض الألفاظ الدخيلة والأجنبية ؛ بسبب ما جدّفي الحياة المعاصرة من مخترعات كثيرة درجت على ألسنة الناس مع قلة التعريب لها ، وكذلك كثرة اختلاط الشعراء بالأجناس الأخرى والتقاط بعض الكلمات منهم وإيرادها في أشعارهم ، وكذلك لسرعة تداول المصطلح الأجنبي الذي روّج له الإعلام والدعاية المعاصرة كثيراً ، ومن تلك الألفاظ الشائعة في شعر جازان (الكهرباء) نجدها في شعر العقيلي ، حيث يقول :

غسلت بضوء الكهرباء ظلامها وتدثرت غلب الجنان كساء [1]

ويقول أيضاً :

وسجلوا اسمه في كل ناحيةٍ بالكهرباء على الأقواس يزدهر [2]

وفي شعر العقيلي نلمح ظاهرتين متصلتين بهذا الموضوع :

أولاهما – إيراده للأسماء الأجنبية في شعره بكثرة مع محاولة تطويعها للغة العربية بعد التغيير فيها ، وذلك بالحذف أو الزيادة أو التبديل في الحركات ، ويغلب أن يورد تلك الأسماء لتطلّب النص لها ، مثل اسم (مارشال) في قوله :

وأقحمت (مارشالاً) وقد قام خاطباً يؤيّد في تقسيمها ويحاول [3]

واسم (جلوب) في قوله :

سل جلوباً كيف قد ألوت به ثعلب الصحراء مكراً في احتيال [4]

واسم (رمسيس) في قوله :

لم يشد مثلها على الدهر كسرى في علاه وما اتيحت لـ(رمسِ) [5]

---

(١) المجموعة الشعرية : ٤٨٨ .

(٢) المصدر السابق : ٤١ .

(٣) المصدر السابق : ٥٧ ومارشال وزير خارجية أمريكا في الحرب العالمية الثانية .

(٤) المصدر السابق : ٣٥٨ .

(٥) المصدر السابق : ٣١٦ ، ورمسيس أحد فراعنة مصر .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

وورد في شعره أسماء أخرى كثيرة مثل : (نيرون ، شيريوج ، نورمندي ، سان فرانسيسكو ، غليوس ، بن غوريون ، نلسون ، آرمادا ، فينوس ، كيوبيد ، بترومين) وغيرها .

وثانيتهما – هو شيوع كثير من الألفاظ المعربة في شعره أو الدلالات الجديدة للمخترعات الحديثة ، ومن ذلك كلمة (قاذفات) ، حيث يقول :

وأرسلوا قاذفات الجو ممطرة　　حمر الصواعق في الآجال تحتكمُ (١)

و (المدفع والرشاش) في قوله :

قد سدَّ عثيره الآفاق واصطخبت　　فيه المدافع والرشاش تصطفقُ (٢)

و(اليخت) والمذياع) في قوله :

وسرت على يختٍ كساه مهابة　　جلالك قد حفَّت علاك الدوارعُ

تناقله الأنباء في كل قارةٍ　　ويزجي بها المذياع والبرق لامعُ (٣)

ووردت في شعره ألفاظ مثل (الشاشات ، والأرغن ، والصاروخ ، والبوارج) وغيرها .

و ((**جميع تلك الألفاظ ذات دلالات جديدة ، وهي أسماء لآلات حديثة لم تعرف إلا في عصرنا الحديث ، ومجيء هذه الألفاظ في شعره وهو الحريص على احتذاء نمط الأقدمين في الشعر يدل على ميله نحو ذكر ما جدَّ في عصره من تطور علمي وحضاري ، وليحقق صدق الوصف للحدث الذي يتحدث عنه**)) (٤) .

ويلحظ المتتبع لشعر محمد بن علي السنوسي ورود بعض الألفاظ الأجنبية في شعره، ولكنها لم تكن بتلك الكثرة التي وجدت عند معاصره العقيلي ، ومما ورد في شعر السنوسي من ألفاظ كلمة (التلفاز ، والشاشة) في قوله :

على آلة التلفاز للفن ألوان　　بها ابتسمت أبها وأشرق جازان

(١) المصدر السابق : ٢٧ .

(٢) المصدر السابق : ١٠٦ .

(٣) المصدر السابق : ١٢٦ – ١٢٧ .

(٤) شعر محمد بن أحمد العقيلي ، دراسة تحليلية ، لخالد الشافعي : ٣٥٥ بتصرف .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

عـلى شاشـة التلفـاز ينطلـق النهـى مدى الأفق فيه من سنا العلم سـلطان (١)

وورد في شعره (التكسي) في قوله :

إي وربي لم يركـب (التكـسي) هـا رون ولا سار في القطار الوليـد (٢)

وورد في شعره ألفاظ أخرى كالرادار (٣) ، والميكانيكا (٤) ، وغيرهما .

وظهرت الألفاظ الأعجمية في أشعار الآخرين ، ولكنها ظاهرة غير ملحوظة أو ملفتة للنظر كما هو الحال عند العقيلي ، ففي شعر علي النعمي نجد تكراره لكلمة (الفيتو) كقوله:

ودفاعنـا عـن أرضنـا وحقوقنـا جـــرم يهـــز الأرض كـــالزلزال

وفـساد إسرائيـل مهمـا أفـسدت سيؤول بـ(الفيتـو) إلى الإغفـال (٥)

وفي شعر علي بن قاسم الفيفي نجد كلمات قليلة ، منها (أفندي) ، كما في قوله :

وكنـــدرة العـــوارض تنتقيهـــا منمقـــة بخـــدّك يـــا أفنـــدي (٦)

وعلي بن حسين الفيفي تكررت عنده كلمة (التلفون) كثيراً ، ومن ذلك قوله :

وسـمعتُ في (التلفـون) صـوتك عنـدما سافرتُ ، صوتَ الشوق والتحنانِ (٧)

بينما نجد في شعر محمد الشنقيطي كلمات أجنبية مثل (جيب) دلالة على نوعٍ من السيارات في قوله :

سألت عـن المصير فقال قـوم: تعـوّض ربعكـم وسروا بجيـب (٨)

---

(١) الأعمال الكاملة : ٧٣٤ – ٧٣٧ .
(٢) المصدر السابق : ٢٧٥ .
(٣) المصدر السابق : ٥٣٤ .
(٤) المصدر السابق : ٦٩٥ .
(٥) الرحيل إلى الأعماق : ١٨ .
(٦) الطيف العابر : ١٤١ .
(٧) الهمس الخافت : ٦٢ .
(٨) قلب يتنفس : ١٠٢ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

والكهرباء في قوله :

أهـدت إليَّ وكهـربت وتفلّتـت　　ثـم افترقنـا آملـين إلـى غـدِ [1]

وفي شعر البهكلي كلمات مثل : (بروكلين ، ونيويورك ، ويو إن ، منهاتن) ، وكلها وردت في قصيدته (رؤى في نيويورك)[2] التي كتبها بعد جولة قام بها في تلك المدينة سنة ١٤٠٤هـ .

أما الشاعر محمد مباركي – الذي يمثل جيل الشباب ورواد الحداثة – فقد أفرط في استهلاك الألفاظ الأجنبية في شعره ، لداعٍ ولغير داع ، لا سيما أسماء الآلهة اليونانية المزعومة [3] ، ومصطلحات معاصرة مثل (الفيتو)[4] ، و(الكرنفال)[5] ، و(الريموت)[6]، والبوت[7] ، وسواها .

(١) خلف أسراب البجع : ٢٦ .
(٢) أول الغيث : ٢٢ – ٣٠ .
(٣) انظر : للصعاليك فقط : ٦٣ .
(٤) المصدر السابق : الصفحة نفسها .
(٥) المصدر السابق : ٤٧ .
(٦) المصدر السابق : ٦٩ .
(٧) المصدر السابق : الصفحة نفسها .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ح- الابتذال :

إنّ للشعر معجمه الخاص ، وإنَّ هناك ألفاظاً لا تصلح إطلاقاً للتعبير الشعري ، ويجب أن تنحّى عن معجم الشعر ، وهذه اللغة خاصة ، تحمل مستويات راقية ، مما يطلق عليه السهل الممتنع ، لغة تشتق من الحياة اليومية ، ولكنها تسمو لدرجةٍ تجعلنا نشمئز من بعض الشعراء الذين لا يقدرون تلك اللغة الشعرية الخاصة ، فيذهب بعضهم إلى اللغة السوقية التي يتداولها الناس في السوق والشارع وشتى المواقع يصمّ بها أذاننا ، ولهذا نجد أن الشعراء الكبار يأنفون من أن تتسرب إلى قصائدهم كثير من الألفاظ غير الشاعرية ، أو التي لا تليق بالشعر، ومن هذا مهماحاول الشعراء الكبار عدم الوقوع في هذا المزلق ، إلا أنهم لا بدّ أن تصيبهم لوثته ، ومنهم الشاعر محمد السنوسي ، إذ نجده يقول :

كيف يسعى لرزقه كيف يمشي ؟ فاتحاً محضراً وسيناً وجيما (١)

فالشطر الثاني مأخوذ من لغة الحياة اليومية ، لا سيما ما درج منها في المحاكم والشرط وهيئات التحقيق .

ونجد الشاعر محمد العقيلي يقول في قصيدة غزلية :

بريق عينيك ويا للهوى اغتالني صعقاً بلا وازع
يكاد أن يغرقني وهجه كفصّ ملح ذاب في مائع (٢)

فقوله : (كفصّ ملح ذاب) مأخوذ من لغة الحياة اليومية التي لا تصلح للشعر .

ونجد مثل هذه اللغة غير الشاعرية الموغلة في الابتذال في قول علي النعمي :

إنها بلغةٌ وليست مقرًّا لبني الطين فاتعظ يا (حمار) (٣)

فقد خان الشاعر التعبير في قوله : (اتعظ يا حمار) ، وأظن أنّ القافية هي التي ألجأته إلى هذه اللفظة غير الشاعرية ، فالواعظ لا يخاطب الماثلين أمامه بقوله هذا ، وقد

(١) الأعمال الكاملة : ٦٣٠ .
(٢) المجموعة الشعرية : ٢٠٦ .
(٣) الرحيل إلى الأعماق : ٨٨ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

يكون الشاعر يعني نفسه بهذا الزجر والتنبيه ؛ لكي لا تغترَّ بدنياها ، وللإنسان أن يلوم نفسه ويحاسبها ويعاتبها ، ولكن ليس بهذه اللغة (يا حمار) .

والكلمة تكون في موضع واستعمال معين موافقة للذائقة الشعرية ، وهي نفسها تكون في سياق آخر مبتذلة شعرياً ، مثل كلمة (يعربد) نجدها مستساغة ، في قول السنوسي عند حديثه عن تقلبات الإنسان بين الخير والشر والاغترار بالحياة :

غريـراً تمنّيـه الأمـاني فيتـشي　　فيلهو فما ينفك غرّاً معربدا (١)

ومثله قول العطاس :

يعربـدُ أحيانـاً ويـصلح تـارةً　　ويسلك درباً في مجاهله وعر (٢)

ونستسيغها أيضاً في قول أحمد الحربي :

أنـينٌ وشـوق وليـلٌ حـزين　　وسُهـدٌ يعربد فوق الجفون (٣)

ولكننا لا نستسيغ استعمال هذه الكلمة في مقام الغزل والأشواق والحنين ، في مثل قول حسين سهيل مخاطباً محبوبته :

لم يمت أختاه
لون غرامنا
والقلب ممتلئ الحنين
الشوق عربد في الحنايا (٤)

فعربدة الشوق هنا غير مستساغة ، وأراها مبتذلة في هذا السياق ، إضافة إلى مخاطبة محبوبته بقوله : (أختاه) ، ففيه شيء من غير اللائق أن يقال للحبيبة : أختاه .

ومثل هذا استعمال حسين النجمي للكلمة في شوقه إلى مكة قائلاً :

---

(١) الأعمال الكاملة : ٣٦٥ .
(٢) تغريد النهى : ٥٣ .
(٣) رحلة الأمس : ١٤ .
(٤) أشرعة الصمت : ٤٥ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

أتيـتُ يـا مكـة الغـراء في كبـدي　　شوقٌ يعربدُ والأفكـار تحتـدم (١)

ولكننـا نجـد النجمـي في قـصيدةاخرى يفطـن إلى هـذه الكلمـة وحاجتهـا إلى السياق الملائم الذي يخرجها من دائرة الابتذال ، فيُحسن عندما يقال :

ظمـئي يعربـدُ ثـائراً في أضـلعي　　متسائلاً من ذا يكون الساقي (٢)

والألفاظ المبتذلة الواردة عند شعراء جازان نجدها قد التُقطت من سياقات كثيرة وحقولٍ دلالية مختلفة كلها لا تمت إلى لغة الشعر بصلة ، وهذا هو سبب ابتذالها ، فمن تلك الحقول ما له علاقة بالحياة اليومية وشؤون الناس في معاشهم ولغة التخاطب الشائعة بينهم ، مثل ألفاظ (اللف والدوران) الواردة في قول علي النعمي :

هـو والحيـاة يهـيم في أعماقهـا　　ويتـوه بـين اللـفّ والـدَّوَرانِ (٣)

ومثلها ألفاظ (اللف والتكتيك) عند أحمد البهكلي في قوله :

وَتَـركَ التـسكين والتحريكـا　　لمـن أجـادوا اللـفَّ والتكتيكـا (٤)

ومثل ذلك ألفاظ (نعنشينا) في شعر إبراهيم مفتاح (٥) ، و (المبيد) الحشري في شعر علي النعمي (٦) ، و (صايع) عند علي بن مديش (٧) .

وشاعت لدى الشعراء ألفاظ مبتذلة مأخوذة من لغة الطب والعلوم ، مثل (الأشعة فوق البنفسجية) في قول العقيلي في الملك فيصل :

أنـت يـا سـيدي كمـن عـرف الـدا　　ء وداوى القلـــوب في الأبـــدانِ

(١) عيناك في وقت الرحيل : ٥١ .
(٢) المصدر السابق : ٥٩ .
(٣) الرحيل إلى الأعماق : ٧٣ .
(٤) أول الغيث : ٨٦ .
(٥) احمرار الصمت : ٧٥ .
(٦) جراح قلب : ١١٩ .
(٧) نبض القوافي : ٥٣ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

كـشعاعٍ فـوق البنفـسج يحكـي　　علـلاً لا تُـرَ لنـا بالعيـانِ[1]

وكذلك لفظة (البنسلين) في شعر علي بن قاسم الفيفي [2] ، و(الدورة الدموية) عند منصور دماس[3] ، و (المجهر المشخّص) الواردة في شعر علي بن مديّش [4] .

وساق بعض الشعراء في قصائدهم ألفاظاً مجتلبة من لغة الرياضة ومعجمها الخاص ، ومن ذلك (الهدف ، والمرمى ، والزمان الضائع ، والتسجيل) ، وهو ما نجده في شعر علي النعمي ، حيث يقول :

وكـــم تعثّـــرت وكـــم قيّـــدت　　خُطـاي في الـدّرب ذئـاب البـشر ؟
لم تحتـــسب لي هدفـــاً رائعـــاً　　أسكتُـــه المرمـــى بجهـــد نـــدر
في الزمـــن الـــضائع سجّلتـــه　　فهـل تُـرى فيـه يُعـادُ النظـر [5]

ومن ذلك المعجم الرياضي الذي لا علاقة له بلغة الشعر الراقية مصطلح (الضربة القاضية) الوارد في شعر محمد الشنقيطي في قوله :

يـصارع فيهـا أصيـل الجـمال　　حـــضارة مـــسختنا الفانيـــه
وكـــل جميـــلٍ لديهـــا رقيـــق　　سوى أنها الضربة القاضيه [6]

هذا فضلاً عن شيوع ألفاظ أخرى مبتذلة لا علاقة لها بالشعر ؛ بسبب شيوعها في لغة الإعلام ، مثل : (الدعم الأدبي) في شعر علي بن مديش [7] ، و (ساعة الصفر) في شعر علي بن قاسم الفيفي [8] ، و(الذبذبات والموجات الطويلة) في شعر علي بن

(١) التاريخ الأدبي في منطقة جازان ، للعقيلي : ٣/ ١٩٥٦ .
(٢) الطيف العابر : ١٢٣ .
(٣) شعور مغترب : ٩ .
(٤) نبض القوافي : ٨٢ .
(٥) جراح قلب : ١٠٨ .
(٦) قلب يتنفس : ٩٧ .
(٧) نبض القوافي : ٣٠ .
(٨) الطيف العابر : ١٤٩ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

حسين الفيفي[1] ، وكذلك اللغة المستقاة من أحاديث السيارات وشؤونها مثل (الكابحة) في شعر علي النعمي[2] ، وألفاظ أخرى متعلقة بالدوريات الأمنية ومخاطبات أفرادها كقول أحمد البهكلي :

قيدتني عمراً وها قد أتى يوم انطلاقي فاسمعي أرسلي[3]

فكلمة (أرسلي) هي لفظة غير شاعرية هنا .

وعند تأمل لغة الشعر في جازان نلحظ أن أكثر الشعراء انسياقاً إلى هذه اللغة غير الشاعرية والوقوع في شتى مناحي الابتذال وحقوله هم ثلاثة ؛ أولهم وأكثرهم انجراراً إليه منصور دماس ، ويليه الشاعران علي بن مديش وعلي بن قاسم الفيفي .

ثانياً – التراكيب :

إنّ اللفظة الشعرية مهما أوتيت من قوة وسلاسة وحسن انتقاء وفصاحة ، إلا أنها تبقى عديمة الأثر والقيمة إذا لم تسبك في سياقٍ يناسبها ، وجوٍّ شعري يلائمها ، ومن هنا يرى بعض النقاد ، ومنهم الدكتور محمد مندور **أن القبح والابتذال لا يمكن أن يكونا في اللفظ ، وإنما يكونان في فكرة أو الخاطرة أو الإحساس ... وأنّ العبرة ليست بمفردات اللغة ، بل بجملها وتراكيبها وطرائق التعبير فيها ، واللفظ العادي قد يكتسب قوة شاعرية بارزة إذا دخل في جملة أو تركيب شعري أو صورة بيانية))**[4] .

وقد فطن شعراء جازان إلى أثر التركيب على المعنى المراد من حمل التجربة الشعرية إلى المتلقي ، فراح بعض الشعراء يوظفون أنواعاً من الجُمل تلائم الحالة الشعورية التي هم فيها ، فالشاعر محمد العقيلي نجده يكثر من استعمال الجمل الفعلية لا سيما في شعره الوصفي – وما أكثره لديه – ، حيث تؤكد الجمل الفعلية الارتباط بين

(١) أصداء الذكريات : ٣٥ .
(٢) جراح قلب : ١٠٢ .
(٣) الأرض والحب : ٧٣ .
(٤) الأدب وفنونه ، للدكتور محمد مندور : ٣٧ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

الزمن والحدث ، وخاصة الزمن المضارع ، كما في وصفه للأعمال التي قام بها في صباح يوم جميل قضاه في (فوار انطلياس) بلبنان ، حيث يقول :

وفي صبح يومٍ جميل الغرر　　تطرِّزه قطرات المطر
تجلبب بالغيم آفاقه　　وقدوشَّح البرق منه الطرر
جلونا عن القلب أصداءه　　بلهو بريء ويومٍ أغرّ
نحوّم كالنحل بين الزهور　　ونمرح كالطير بين الثمر
نحلّق فوق رحاب الجمال　　ودنيا الخيال وعطر الزهر
ونعم في نشوات الهناء　　وأحلام فردوسنا المنتظر
ونسبح في أفقٍ غامرٍ　　بهيج الرؤى قدسيُّ الصور
يموج بأضوائه والظلال　　وأروع ما صورته الفكر
يحررنا من قيود الزمان　　ويطلقنا من إسار البشر (١)

فتكثيف الشاعر في النص السابق لأفعال المضارع واضح جلي ، وهو نابع من تفاعل شعوري .

ونلحظ أن الشعراء الذين اعتمدوا على شعر التفعيلة وبنائه الموسيقي أكثروا من استخدام الأفعال في قصائدهم بشكل ملفت ، ولعلهم كانوا يطمحون في أن تحدث الأفعال المتلاحقة وحدة معنوية وموضوعية وبناءٍ مترابط للنص ، نلمح هذا واضحاً في شعر إبراهيم مفتاح في قصيدته (يا أنت يا تواشيح الخضاب) ، حيث يقول في أولها :

عندما تأتين
تنمو في صحاريّ السنابل
ينبت الأشجار حقلي
تعشب الأنفاس
والهمس

(١) المجموعة الشعرية : ٤٠٧ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وأعراس البلابل
يغسل الدنيا مطر
...
يُصبح العمر على كفّي
حكايات طفولة
أستعيد الليل
والفانوس
وجداتي اللواتي
كنَّ يسهرن على غمز الفتيلة(١) .

وأكثر الشعراء ولوعاً بهذه الظاهرة وقدرة على الإفادة من توظيف الجملة الفعلية لاسيما الفعل المضارع منها ، هو الشاعر علي صيقل ، وظهر هذا الأمر عنده في شتى أشكال النص من الناحية البنائية الموسيقية ، ولكن في شعر التفعيلة كان اعتماده على الفعل المضارع محققاً لشيء من الترابط والإيقاع وتنامي الصور ، مما يكسب النص جمالاً وظيفياً إلى جانب الدلالات الشعورية المتحققة ، نرى ذلك في مثل قوله في قصيدة (سأبقى مسافر) :

وتأتين انت
فتخصب أرضي
وتخضرّ أيامي اليابسات
ويبسم فجري .. وتشرق شمسي
تبدّد كل الغيوم
وتصهر كل الجليد
وتأتين أنت

(١) رائحة التراب : ٤٤ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

أحسّ بدفئ يغذي دمائي [1]

وعلى هذا المنوال يواصل الشاعر في حشد الأفعال المضارعة ، وبدء الأسطر الشعرية بها ، ولم يكن في صنيعه هذا بدعاً بين الشعراء ، بل سبقه إلى هذا الشاعر إبراهيم مفتاح في نصه السابق ، وسبقهما قبل ذلك العقيلي في نصّ موزون ومقفّى ، فلو تأملنا هذه النصوص الثلاثة لوجدنا أن الشعراء حرصوا على بدء الأبيات بالأفعال ، فالعقيلي بدأ أبيات نصه بالأفعال الآتية : (تجلبب ، جلونا ، نحوّم ، نحلّق ، ونعم ، ونسبح ، يموج ، يحررنا) ، وإبراهيم مفتاح بدأ نصَّه بالأفعال : (تنمو ، ينبت ، تعشب، يغسل ، يصبح ، أستعيد) ، وعلي صيقل بدأ نصه بالأفعال : (وتأتين ، فتخضب ، تخضرّ ، ويبسم ، وتصهر ، وتأتين، أحسّ) .

ومن الظواهر الأسلوبية المتعلقة بتراكيب النص لدى شعراء جازان **ظاهرة الحذف والإضمار** ، وهذه الظاهرة شاعت عند كثير من الشعراء المزاوجين بين المحافظة والتجديد ، وغلبت على كثير من تراكيب شعراء التفعيلة ، وقد جاءت هذه الظاهرة في أشكال مختلفة.

فمن هذه الأشكال أن يحذف الشاعر بيتاً كاملاً من النص ، ويضع مكان المحذوف نقطاً تدل على ذلك ، ومن أمثلة هذا اللون صنيع أحمد البهكلي في قصيدته (غسيل الملائكة) ، فإن الشاعر عندما عرض سؤال النبي – ﷺ – لأهل حنظلة بن أبي عامر عن سبب غسيل الملائكة له بعد استشهاده في المعركة ، وأخبر عليه الصلاة والسلام من قبل أهل حنظلة أنه خرج إلى المعركة وهو جنب بعدليلة واحدة من زواجه ، فلما وصل الشاعر إلى هذا الجواب أضمره وحذفه ، ووضع مكان الجواب نقاطاً ، فقال :

اســألوا زوجــه ؟ وجلجــل في (م) القــوم جــوابٌ ســما عــن الأذهــان

. . . .

أيهــا الفــارس النبيــل ولم تثــ ـنك عن عزمك الأكيد الثواني [2]

(١) ترانيم على الشاطئ : ٧٧ .

(٢) طيفان على نقطة الصفر : ٢٤ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ونجد عند الشاعر أحمد البهكلي أكثر من شكل من أشكال هذه الظاهرة ، فتارة نجد عنده حذف الكلمة ؛ لدلالة القافية عليها مثل قوله في مطلع قصيدة (الدمع طهور) :

أتسافر عنَّا يا (...)؟　　قالتها أختُ الفرقد [1]

والكلمة المحذوفة في العروض هنا هي كلمة (أحمد) دلالة على اسم الشاعر ، حيث سألته محبوبته مستنكرة رحيله ، والذي دلّنا على الكلمة هو مجيء الضرب في القافية على حرف الدال في كلمة (الفرقد) ، وهي موافقة لكلمة (أحمد) في الوزن ، وكذلك فإن الشاعر في أغلب قصائده كان حريصاً على تصريع مطالعه ، فتحتم أن يكون مصراع هذا البيت موافقاً لقافيته على حرف الدال .

وإذا كنّا قد استطعنا إدراك المحذوف في النصين السابقين للبهكلي ، فإننا نقف – أحياناً – عاجزين عن الوصول إلى إدراك اللفظ المحذوف من التركيب ، ومن ذلك ما جاء في قول البهكلي نفسه :

إيـــــه .. يـــــا (...)　　يـــا آهـــةً تعـــدو وئيـــده

في ضـــلوعي .. يـــا متـــا　　هـــات مـــسافاتي المديـــده [2]

فبعد تأمل القصيدة التي جاء هذا النص في نهايتها ليس فيها ما يمكن أن يفكَّ إغلاق هذا الحذف ، ويفسر غموضه .

وقد بالغ شعراء التفعيلة ورواد ما يسمى بقصيدة النثر في الإكثار من هذه الظاهرة ، إلى درجة أن تحولت بعض قصائد هذا اللون من الشعر إلى فراغات ونقاط ، ويتحجج بعض النقاد لهذا المسلك ، ويلتمس العذر للشعراء بأنهم بصنيعهم هذا يتركون فضاءات كي يتأملها القارئ ، ويتداخل مع النص ويشارك المبدع إبداعه ، فيضيف ما يبادر لخاطره[3] .

---

(١) المصدر السابق : ١٢٨ .

(٢) الأرض والحب : ٤٧ .

(٣) انظر : الشعر الوجداني في المملكة العربية السعودية ، للدكتور مسعد العطوي : ٣٣٩ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

ولا أظن هذا العذر يمكن قبوله لتبرير صنيع سائر الشعراء ، وإنما هو للشعراء المجيدين فعلاً الذين يعرفون ما يسوغ حذفه وما لايسوغ ، وما يفهم من السياق وما لا يفهم إذا حذف . أما الشعراء الذين اتخذوا هذا المسلك تقليداً وسيراً خلف هذه البدعة الفنية ، فلا يمكن أن يبرر صنيعهم ألبتة ، وهل يمكن أن يفهم القارئ ماذا يريد الشاعر إبراهيم زولي بالحذف والإضمار الذي صنعه في قوله :

أول الشعر – يا زمناً للغواية قد غربا –
كان صحراء من غزل للحبيبة
. . . . .
. . . . .
آخره وسوسة[1]

أظن أن هذه النقاط المتوالية لا يمكن أن نتوصل إلى المراد منها إلا بعد أن نصاب بالهذيان والوسوسة ، التي أحسن الشاعر عندما ذكرنا بها في آخر نصه السابق .

وقد حرص شعراء جازان عند صياغة تراكيبهم على ألا يجعلوها جامدة الحركة، سرديّة الأسلوب ، فلجأ كثير منهم إلى التنويع بين الخبر والانشاء ؛ لشدّ المتلقي، واستفراغ الشحنات العاطفية ذات الألوان المختلفة ، في استغلال أمثل لجميع الطاقات الأسلوبية الممكنة في أساليب العربية .

ولعل أبرز الصيغ الإنشائية في شعر جازان ، هما صيغتا (**النداء**) ، و(**الاستفهام**)، فالنداء يحمل انفعالات عميقة وثائرة في الوقت نفسه ، ففي الرثاء مثلاً نشعر بقيمته وأثره على النص ، وقدرة النداء على إبراز ما يدور في نفس الشاعر ، نلمح ذلك في مثل قول العقيلي في رثاء الملك فيصل :

إيه يا فارس العروبة والإسـ ـلام يا صاحب الردا الأرجواني
إيه يا رائد التضامن حقاً أنت من خط اسمه والمباني

(١) رويداً باتجاه الأرض : ١١٣ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

يـا إمـام الإسـلام والعـرب حقـاً والزعيـم الزعيم فـي عدنـان [1]

فقد أفاد تكرار النداء قيمة المرثي ومكانته في قلب الشاعر ، مع ما يختلج في أحاسيسه ومشاعره من أسباب الحزن وشدة الألم ؛ لفقد هذا الزعيم المصلح .

وفي الشعر المتعلق بالقضايا الاجتماعية أو العربية والإسلامية ، نلمح انفعال الشعراء بمناداة الإنسان المسلم الغافل عن رسالته ، أو المتصدر لها ، والأمة التي فقدت مكانتها ، وربما خرج إلى نداء الجمادات والمعنويات ، بعد تشخيصها أوتجسيمها ، فينادي الشاعر قلبه أونفسه كما فعل السنوسي في قوله :

يـا لنفسي مـن منـىً جامحـةٍ أبداً تهفو وتهوى المستحيلا [2]

أو الليل أو الأيام أو النسمات الغادية الرائحة ، والنفحات التي تهب تحمل معها بوارق الأمل ، كقول السنوسي – أيضاً – :

يـا نفحـةً أحـيت أمـا نينـا وأيقظـت الرميمـا
وسنـاً أضـاء قلوبنـا ومحـا أساهـا والهمومـا [3]

ومثل هذا النداء يكون – غالباً – رمزياً ، لا سيما إذا حمل معاني الندبة والتحسر والتفجع ، مثل قول علي النعمي :

الليـل والقلـم الحـزين همـا معـي في وحـدتي وبقيـة مـن أدمعـي
والآه .. يـا لـلآه زاد لهيبهـا فكأنهـا نـار تشب بأضلعـي [4]

ومن هنا نلمح كثرة نداء الشعراء لما لا يعقل ، ولا سيما للمكان ، وخاصة لدى الشاعرين علي النعمي وأحمد البهكلي[5] ، نجد من أمثلة ذلك عند النعمي قوله منادياً نخيل العراق الذي ضيّعه أهلوه ، حاملاً في نداءاته معانٍ رمزية متلاحقة :

(١) المجموعة الشعرية : ٥٤٢ .
(٢) الأعمال الكاملة : ٤٣٥ .
(٣) المصدر السابق : ٥٠٠ .
(٤) الأرض والعشق : ٨٤ .
(٥) انظر النداءات المتكررة في قصيدته (نجوى على البعد) في : الأرض والحب : ١٥ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

يـا نخيـل العـراق مـا ذلَّ نخـلٌ　　كنخيـل العـراق بـين المـساقي
يـا نخيـل العـراق مـا خـرَّ نخـلٌ　　للعـصافير مثـل نخـل العـراق
يـا نخيـل العـراق مـا بـالُ لـيلى　　تتلوّيوالـدمع في الأحـداق
رطبـاً تـشتهي جنيـاً فتجنـي　　حـشفاً فاحـشاً بكـلِّ احـتراق
لم تجـد راحمـاً يحـنّ عليهـا　　لم يـصنها مـن دائهـا أيُّ راقِ [1]

* * *

والاستفهام من الأساليب الإنشائية التي أكثر منها شعراء جازان ، ويلح كثير منهم على الاستفهام في مواقف الرثاء أوالشعور بفداحة أمرٍ ما ، فيحمل الاستفهام مشاعر الإحساس بالصدمة ، وينبي عن عدم قدرة الشاعر على الإفصاح عن جميع ما يعتمل في نفسيته ، فيفزع إلى الاستفهام المتتابع عساه أن يخفف ما به ، ومن ذلك قول العقيلي في وصف الفاجعة التي حلت به عند موت الملك فيصل :

غـاب عنـا بوجهـه القمـرانِ　　أيـن مـن فيـض نـوره النـيران ؟!
أيـن منّـي البيـان أغمـس فيـه　　ريـشة الفـن وردةً كالـدهان ؟!
أي رزء بفيـصل طبّـق الكـو　　ن أحـال الوجـود كالبركـان ؟!
واعـترى الكـون سكتةٌ مـن وجـوم　　هـل أعيـق الزمـان في الـدوران ؟! [2]

وأكثر استعمال الشعراء للاستفهام كان خاج إطاره الوضعي ، ومن هنا جاءت أهميته في الشعر ، ومن مظاهره أن يأتي الاستفهام في مطلع النص ، فيستفرغ شحنة عاطفية شديدة، كانت حبيسة شعوره ، وأحياناً في أبيات متتابعة ، يستقصي بها معنى معيناً في نفسه، ومن أمثلة هذه الاستفهامات ذي الدلالات البلاغية في شعر علي النعمي قوله في بداية قصيدته (ملحمة الشرق الحزين) :

يـا شرق أيـن ضيـاؤك الوقـاد　　أيـن الأبـاة الـصيدُ والـرواد؟

(١) لعيني لؤلؤة الخليج : ٧٦ – ٧٧ .
(٢) المجموعة الشعرية : ٥٤٢ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

أيـن الحـضـارة في نـضارة وجههـا وشـمـوخها..بـل أيـن مـن قـد شـادوا؟
أيـن العهـود الزاهـرات كأنهـا شـــهب إذا غطـــى الحيـــاة ســـواد؟
أيـن الرسـول وقـد تـلألأ نجمـه يجلـو الظـلام ضـياؤه الوقـاد؟ (١)

وقد يحمل الاستفهام معنى الإنكار والتقريع والتهديد ، كما في قـول العقـيلي واصـفاً غارات الطائرات المعتدية على جازان ونجران في حرب اليمن بعد الثورة اليمنية :

أيهنـأ الظـالم الطـاغي ويمطرنـا سـلاحه والـشظايا تمـلأ الـسهبا؟
هل ظنّ (نجران) إسرائيل يقذفها نـار القنابـل أو (جازاننـا) النقبـا؟
ظـنّ العـدو بـأن القـصف يرهبنـا وأن غاراتـه تجتاحنـا رهبـا (٢)

* * *

ومن معالم تراكيب الشعر عند شعراء جازان ذوبان بعضها في التراكيب القديمة ، وتوظيفها لـتلائم المضامين العـصرية ، وفي اسـترفاد بعـض الـشعراء لتلـك التراكيـب القديمة دليل على الارتباط الوثيق والفهم الدقيق للديوان الشعري القـديم ، بينما نجـد بعض الشعراء يلوك تلك التراكيب ويوردها دون أيَّ داعٍ أومسوغٍ فني ، فتـأتي تبلـك التراكيب باهتة لا رواء فيها ولا إفادة .

فمن تلك التراكيب القديمة الواردة في شعر العقيلي قوله مادحاً :

وأروع وضّـاح الجبين مبجّـلٌ أغـرٌّ نمتـه للمكـارم وائـلُ (٣)

فالبيت مجموعة تراكيب كلها رجع الـصدى للتراكيـب القديمـة ، لا سيما قولـه : (وأروع وضاح الجبين) .

ومن التراكيب القديمة الواردة في شعر العقيلي تركيب (تعشو لرأيك) في قوله :

تعشو لرأيك أفـذاذ الـسياسة إنْ تلبّـد الجـو بالأحـداث وانطبعـا (٤)

(١) الرحيل إلى الأعماق : ٤٠ .
(٢) المجموعة الشعرية : ٥٦١ .
(٣) المصدر السابق : ٦٠ .
(٤) المصدر السابق : ٩٠ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

وكذلك تركيب (يغشى الوغى) في قوله :

يغشى الوغى غير هيَّابٍ ولا وكلٍ　　ويحفظ العهد إذا ما معشر خُدعا (١)

ومن التراكيب القديمة الواردة في شعر البهكلي تركيب (بخٍ بخٍ) في قوله :

يا فتية في ربا أرض السلام ، بخٍ　　بخٍ لكم ، أنتم الآمالُ والفَرحُ (٢)

ونقرأ أشعار عبدالله الفيفي ، فنلمح تراكيب القدماء متناثرة فيها ، ومن ذلك قوله :

أرى الناس من حولي إلى الشمس أعنقوا　　وقومي على أثباج أمسٍ ألا اعنقِ
وما كان –لو قد كان أمساً بأمسِه –　　إلى السَّورة العلياء يوماً بمعنقِ
ومن لم يجدِّد كلَّ يومٍ فؤاده　　يَعشْ مُخلِقاً والدهر ليس بمُخلقِ (٣)

* * *

ونلمح في تراكيب الشعراء إكثارهم من الصيغ اللغوية المتقابلة ، ويلحظ على أكثر تلك المفردات المتقابلة أنها لم تكن بغرض الزخرفة البديعية عبر فني الطباق أو التورية ، بل نحسّ بصدقهم في وضع تلك الصيغ والجمل وجودة انتقائها من خلال امتزاج الحديث بأحاسيسهم ومشاعرهم ، نحد هذا في مثل قول السنوسي الذي يكتشف الحقيقة بعد فوات الأوان :

سرابٌ وإلا كيف لا ينفع الصدى　　شرابٌ أضعتُ العمر في رشفه سُدى
ووهمٌ وإلا كيف يخدعني السنا　　فأرنو ولا نارٌ هناك ولا هدى
وزيفٌ وإلا كيف تطربني المنى　　فأصغي ولا لحنٌ هناك ولا صدى
أفقت وأدركت الحقيقة بعدما　　وَهَى جلدي –واحسرتي – وتبدّدا
وما نفع إدراك الحقيقة بعدما　　وصلتُ إليها لا فؤاداً ولا يدا (٤)

(١) المصدر السابق : ٩٢ .
(٢) أول الغيث : ٧٥ .
(٣) إذا ما الليل أغرقني : ٩٤ .
(٤) الأعمال الكاملة : ٣٦٢ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ونجد أنّ هناك شعراء آخرين ساروا على هذا المنوال ، معتمدين على التعبير بالتضاد في تراكيبهم ، ورصد تلك التراكيب عبر الواقائع اليومية التي يعيشونها ، إذ نجد أساليب مثل (خصب اليباب ، ظلال العذاب ، خيال اقتراب ،حضور الغياب) تتكرر في شعر إبراهيم مفتاح ، وقد اجتمعت في قصيدة واحدة ، هي (لكي لا تجيء) ، إذ يقول :

أتيتَ على موجةٍ من ضباب وأعجبني فيك خِصب اليباب
ووسدت روحي ابتهاجاً شقيا ومتكأً في ظلال العذاب
وحين أراك ابتعاداً شهيا وتدنو إليّ َخيال اقتراب
أعانق حلمي الذي لا يجيء ووهمي الذي يحتفي بالسراب
وأعشق كل الثواني اللواتي على متنهن حضور الغياب [1]

وفي شعر أحمد البهكلي كثير من صيغ التقابل التي هي صدى لنفسيته المعذبة من جراء انصدامها بكثير من المواقف المتناقضة هي أيضاً ، ومن ذلك التناقض الذي لقيه في مقام الحياة العاطفية ، يقول مخاطباً محبوبته :

ألف معنى حُشدتْ في سرّ عينيك ومعنى
كلها مضنٍ فلا أدري (م) بأيٍّ بتُّ أضنى
وانذهالي ومضةٌ تفصحُ عما ضلَّ يُكْنى
فيهما قربٌ بعيدٌ آه ما أقصى وأدنى [2]

ويصور موقف المتخاذلين في هذه الحياة والعاجزين وما في حياتهم من تناقض بقوله :

ولتحذروا من رفع رأسٍ واقنعوا بمصيركم تدنو إلى مرضاته
هذا شعار فصيح قريتنا الذي ما زال يجمع شملنا بشتاته

(١) رائحة التراب : ٧٣ .
(٢) الأرض والحب : ٤٥ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

فاعجب لمن يصغي إليه ويتحي　　جنباً ، ولا تعجب لسرِّ نجاته [1]

* * *

ثالثاً – ظواهر لغوية أخرى :

١- الرمز اللغوي :

نجد عدداً كبيراً من المفردات تجاوزت دلالاتها المعنوية القريبة إلى معانٍ أبعد وأعمق عبر ما تحمله سياقاتها من قرائن تدل على ذلك ، والحديث هنا لن يكون عن الرمزية في حد ذاتها ، إذ إن ذلك موضوع آخر ليس هذا مكانه ، وما يخصنا هنا هو حمولة المفردة اللغوية من الرمزية دون الولوج إلى رمزية الصورة .

فمن المفردات التي أصبحت تحمل في طياتها رمزاً حيال بعض المعاني – على سبيل المثال – مفردة (النخلة) وما يتعلق بها ، ولا سيما لفظة (الجذع) وما تحمله سياقاتها من دلالات في الذاكرة ، ولذا يكثر الشعراء من الدعوة إلى هزّ هذا الجذع ؛ لينتشر الخير ، كما انتشر الرطب ، وتساقط جنياً لمريم بنت عمران عندما هزّت تلك النخلة الباسقة ، ومن هنا نجد صيغة (هزي بجذعك) أو (هزي بجذعٍ) شائعة لدى عدد من الشعراء ، وقد تكررت هذه الجملة الرمزية في شعر حجاب الحازمي أكثر من مرة ، منها قوله :

جازان هزي بجذع الخير واغترفي　　خير العطاء بوعي منك إيماني [2]

وقوله في قصيدة أخرى :

وهزَّ جذع الهدى في كل رابية　　فانداح كالفجر بل كالعارض الهتنِ [3]

وقد تكون النخلة هي رمز للوطن ، حيث العطاء والشموخ ، نقرأ إحدى قصائد أحمد الحربي ، فنجد فيها دعوته لهذه النخلة كي تهز جذعها أكثر من خمس مرات، من مثل قوله :

هزّي بجذعك

وامطري رطباً على خدّ التراب

---

(١) أول الغيث : ٩٠ – ٩١ .

(٢) التاريخ الأدبي لمنطقة جازان ، للعقيلي : ٣/ ١٤٠٨ .

(٣) المصدر السابق : ٣/ ١٧٧٥ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

يا نخلة الوادي التي
نقشت لنا رمز الشموخ
على جبين الشمس
وانثالت تهيم على صدر الوطن[1]

ويقول في مقطع آخر :

يا نخلة الوادي وقد
أنكرت صوت الريح
واستودعت سرّك
نجمة الفجر الضحوك مع الندى
هزّي بجذعك
وامطري رطباً على وجه الردى[2]

ويخاطب الشاعر تلك النخلة (الوطن) أن تنثر رطبها أمام كل المتجمعين ضدّها ، في إشارة واضحة إلى المستفيدين من تلك النخلة قبل حرب الخليج ، ثم تنكروا لها ، ولما كانت تغدق عليهم من يانع ثمرها ، يقول :

هزّي بجذعك
غرّدي في مسمع الوادي
أناشيد المجاعة والسغاب
فلربما شبع الذين تجمعوا
في زحمة اللأواء
وانتحر الذئاب[3]

(١) تقاسيم على جذع نخلة الوادي : ٤٢ .
(٢) المصدر السابق : ٤٢ – ٤٣ .
(٣) المصدر السابق : ٤٣ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

ومن المفردات التي حملت كثيراً من الرموز مفردة (الخريف) ، وهو ((**يتخذ بين الفصول وضع المساء بين ساعات اليوم ، فيغدو رمزاً للكثيرمن المشاعر المتناقضة المتراوحة بين الأسى الشفيف ، والحنين إلى المجهول ، والشعور بالغناء ، والإحساس بالألوان في تحولها بين الصيف والشتاء ، والأنسام في انتقالها بين الحر والبرد ، وقلَّ أن نلتقي بالخريف في الشعر العربي القديم ، كما نلتقي بالشتاء والربيع والصيف ، فهذه الفصول الثلاثة متميزة واضحة المعالم ؛ متقابلة تقابل الليل والنهار ، على حين يقف الخريف معبراً بين الصيف والشتاء لا يلتفت إليه إلا أصحاب الوجدان**))[1] ، وكذلك أولئك الذين يعون ما تحمل هذه الكلمة من دلالات ورموز وتحولات .

فالخريف في الواقع المعاصر أخذ يرمز به إلى الجفاف وطول الانتظار للآمال ، وإلى حياة الكآبة واليأس التي لا تنتهي ، بدل أن كان الخريف يحمل دلالات الخصب والنماء ، والفرح والعطاء ، هذا الخريف الذي طال زمنه عند طفلٍ صغير لاجئ صور شكواه الشاعر حسين سهيل قائلاً :

إلى متى يظل يا أبي الخريف ؟
كنت أحب يا أبي الخريف
لأنه إذا أتى
يخرج ضاربو الدفوف
وناقشو الكفوف
ويرقصون بالرماح والعصيِّ والسيوف
إلى متى يظل يا أبي الخريف ؟
أجدني أكرهه
ولا أطيق أن أراه
جاثماً على الصدور

(١) الاتجاه الوجداني في الشعر العربي المعاصر ، للدكتور عبدالقادر القط : ٣٥٤ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

بوجهه المخيف[1]

ويحمل الخريف دلالات الفناء والدمار ، وما يصاحب الحروب من عنفٍ وأضرار كما هو متكرر في شعر مهدي الحكمي ، ومن ذلك قوله :

أرى شعباً يبيتُ بلا فراشٍ وآحاداً مفارشهم حريرُ

أرى شعباً يصبّحه خريفٌ ويرقد في رباه الزمهريرُ[2]

ونجد دلالات الرمز ذاته في قصيدة أخرى حيث يقول :

أخبرينا يا سراييفو فقد طال انتظار السامعين

أخبرينا عن هجوم الليل عن نار الأسى

عن هول غارات الخريف

وأريهم صورة المأساة حيّة

وأريهم أن شعباً مسلماً لا يجد اليوم فراشاً أوغطاء

في زمان الأغنياء

لم يجد نصف رغيف[3]

والسفر كذلك من المفردات التي تتحمل الإشارة إلى الكثير من العواطف والمشاعر من حنين ووداع ولقاء وفرح وحزن ، لهذا وجدنا الكثير من الشعراء يوظفون هذه المفردة. فيرى السنوسي أنّ السفر ليس اغتراباً ورحيلاً حسيّين ، بل إن الشاعر ليتحول بنفسه إلى سفر نحومحبوبه ، حيث تكون أحرفه الزوارق ، ومشاعره هي البحر الذي يعبره ، أما العواطف فهي الأشرعة التي تسيّر مركبه ، فيقول :

أنا ما زلتُ يا حبيبي مسافر زورقي أحرفي وبحري مشاعر

(١) أشرعة الصمت : ٢٠ – ٢١ .
(٢) لا تسلني عن جراحي : ١٧ .
(٣) المصدر السابق : ٣٥ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

وشراعـــي عواطـــفٌ خافقـــات خفقان الرياح والموج زاخر [1]

ووجدت أيضاً مفردات هي في الأصل أسماء لشخصيات مشهورة ، ولكنها أضحت بعد ذلك رموزاً لدلالات معاصرة ، أوحالات مشابهة ، فكل محبوبٍ يتحول إلى أن يكون عزَّة أو ليلى ، يهرع إليها الشاعر مورّياً أو متخفياً ، ومن ذلك نجده في الأبيات التي مدح بها الشاعر محمد حيدر القبّي إمام اليمن يحيى بن حميد الدين في ظل ظروف حتمت عليه عدم الإفصاح عن اسمه ؛ بسبب أنه كان قاضياً لأعدائه وهم الأدارسة في جازان ، فقال متغزلاً وهو يعني غير الغزل :

عـرف الديـار فهالـه مـا هالهـا وسعـى يطـل بدمعـه أطلالهـا
يتـذكر العهـد القـديم معاتبـاً صرف الزمـان عـلام غـيّر حالهـا
ويلـومني الجهـال فيـك وإنـما مـثلي بقافيـة كثيّـر قالهـا
وتلـومني في حـبّ عـزّة نـسوة جعـل الإلـه خـدودهن نعالهـا [2]

والعلاقة بين قيس وليلى كانت علاقة أخذ وعطاء ، ولكنها غلّفت بالحرمان والبعدعن الوصول إلى الأماني ، ومن ثم ظلت تلك الرموز منهلاً للشعراء يغترفون منها ما يعلّقون عليه فشلهم في الوصول إلى غاياتهم ، فكلّهم قيس ، وكل الأماني ليلى ، ومن هنا راح بعضهم يعلن رفضه هذا الفشل ، وثاروا على خور قيس ولينه ، وجعلوا منه ثائراً ، وبعضهم دعاه إلى مجابهة واقعه بالقوة والوصول إلى ليلى مهما يكن الأمر ، وهو في الواقع يتحدث عن نفسه كما حصل من الشاعر أحمد البهكلي في قصيدته (إلى قيس) ، حيث يخاطبه قائلاً :

هنـا يـا قـيسُ سـيفك فـانضُ منـه حـساماً واجـترح صـعب المراقـي
ولا تـترك بأبطحهـا حـصاةً تعـوق خطـاك مـن دون انغـلاقِ
وفـضَّ طريقـك المـسدود قـسراً وطـسَّ المـاء يعلـقْ في التـراقي
وجـبَّ جِمَـال هـذا القفـر حتـى تلـين تلـين تـصبح كالنيـاقِ

(١) الأعمال الكاملة : ٧٦١ .
(٢) نزهة النظر ، لزبارة الصنعاني ، ٢/ ٥٢٦ – ٥٢٧ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

هنالــك ســوف تعــبُر في هــدوءٍ إلى ليلــى وتفــرح بالتلاقــي [1]

فالشاعر هنا غيّر دلالات الرمز (قيس) ، فهو في الحقيقة لم يعايش صراعاً جريئاً في حياته ، بل كان شخصية هادئة ، ومع هذا فقد نجح الشاعر في التلبس بقناع (قيس) ومجاوزة النمطية في تلك الشخصية ، مع بقاء بعض مقوماتها الرومانسية الحافلة بالصراع والرغبة في تحقيق المنى والآمال المتمثلة في (ليلى) .

و(البسوس) لم تعد تلك الناقة التي اقتتل بسببها العرب سنين طويلة ، بل أصبحت رمزاً لكل ظلمٍ واعتداء ، أو تبجح وافتخار بمزاعم كاذبة ، والرغبة في التوسع على حساب الآخرين ، يعبر عن هذا الرمز الشاعر إبراهيم مفتاح في قصيدته (البسوس تهبّ من جهة أخرى) ، حيث رمز بها لاعتداء العراق على الكويت ، وزعْم العراق أنّ الكويت امتداد له، ولا بدّ أن تتمدد الخريطة ، وإلا فعلى أهلها – أي الكويت – أن يدفعوا الثمن لراغبي الزعامات والزهو الكاذب ، يقول :

في يومها المنحوس
قالت البسوس :
لا بدّ ناقتي تقوم
أو فاملأوا لي جلدها نجوم
أو فافسحوا لتلكم الخريطة التي تمدّدتْ
مزهوة بِعُرْف ذيلها الطويل
وجسم أمتي النحيل [2]

ومثل هذا الرمز كثير عند الشعراء لا سيما في القصائد المتعلقة بقضايا العرب والمسلمين وما حصل في بعض قضايا الأمة ، من عدم تعاون ضد أعداء الأمة من اليهود وسواهم ، فالبهكلي عند حديثه عن تخاذل العرب عن نصرة الفلسطينيين في كثير

(١) أول الغيث : ٢٠- ٢١ .
(٢) رائحة التراب : ٢٦ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

من فترات الصراع يذكر العرب بها لهم من نخوة في سابق أيامهم ، وهنا يأتي الرمز بالبسوس وثارات جساس ، يقول :

أيها السادرون في النوم والسا　　رق ســهرانُ دائــم الاختــلاس
انفضوا هذه المضاجع قد أسـ　　ــرفتم في المنــام والربــعُ آسِ
إن عدِمتــم حميــة تتلظــى　　لــرواب زكيــة الأقــداسِ
وعدمتــم حميــة تتلظــى　　نخــوةً لاغتــصاب أمٍّ نفــاسِ
وعدمتــم حميّــة تتلظــى　　لعجــوز قــضى بهــشم الــرَّاس
أفمــا ناقــةٌ هنــا وبــسوسٌ　　تشعل النار من يَدَيْ جسَّاس [1]

ومثل هذه الرموز المرتبطة بالشخصيات كثيرة في شعر علي النعمي ، وغالباً ما تتجاوز دلالاتها المعهودة ،وتكون احياناً غير متصلة بها ، ولا يصلها بدلالاتها السابقة سوى الاسم فقط ، ومن ذلك قوله :

توقّف المد غام الأفق تاه بنا　　حداتنا غاص سهم الذل في الكبد
ولم يصل قمة (الجُودي) بمركبه　　(نوح) وإن كان ذا صبرٍ وذا جلد
وخادع الهدهد المبعوث باعثه　　فكان ما كان من يأسٍ ومن كمدِ
ومن خنوع ومن ضعفٍ ومسكنةٍ　　ومن رِضاً بغثاء العيش والزَّبدِ [2]

وشاع عند بعض الشعراء الرمز بشخصيات أسطورية مثل (فينوس) ، و(كيوبيد) عند إبراهيم مفتاح [3] ، و(ربة الحسن) عند علي النعمي [4] ، وإبراهيم صعابي [5] ، و(سلطان عبقر) عند محمد مباركي [6] .

(١) الرحيل إلى الأعماق : ١٠٢ .
(٢) المصدر السابق : الصفحة نفسها .
(٣) انظر : عتاب إلى البحر : ٩٦ .
(٤) انظر : الأرض والعشق : ٢٨ .
(٥) انظر : حبيبتي والبحر : ٦٤ .
(٦) انظر : للصعاليك فقط : ١٣ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ونلمح أيضاً إلحاح بعض الشعراء على الرمز الإشاري ، وهو يحقق عدداً من الأهداف البلاغية ، إذ يعين المتلكم على التركيز ،وتفادي التكرار الذي تترهل به الأساليب، ويتثاقل بها وتُوبها إلى القلوب ، ومن استخداماته الناجحة عند شعراء جازان قول أحمد البهكلي – في مرثية له يعزي نفسه بما سيلاقيه المرثي من جزاء لأعماله الجسام التي قدمها للآخرين – بأنه إذا لم يكن لم يحقق الحلم في الحياة فإنه سيجد عند ربه الجزاء الأوفى :

كنت تضنى ليتشي .. وتعاني لتغنّي مرابعٌ وحقولُ
إيه يا أيها الحبيبُ .. وسافر تَ .. وفي ناظريك حُلْمٌ جميلُ
لم تحققه ها هنا فتنعّم بمثيلٍ هناكَ جَلَّ المثيلُ [1]

ويرتبط الرمز بالإشارة عند حسين النجمي إلى مكان الأنس والذكريات الجميلة التي يتمنى العودة إليها يوماً ما ،كقوله :

ولتسعد قلبي باللقيا وبجنة حبك تفردُه
وبقلبك تجعله دوماً حيث الأفراح وتوصدُه
فهنالك راحته العظمى وهناك مناه وسؤدده
فيعيش هنالك مبتسماً ويناجي الحب ويشهده

إلى أن يقول في آخر القصيدة :

كي يذكر حبّاً وغراماً بين الأطلال توقّده
قد كان هنالك لقيانا والحب يجدّد موعده [2]

ومع هذا فنجد أنّ حسين النجمي لا ينجح – أحياناً – في الاستفادة من دلالات الرمز الإشاري ، ويفقده بريقه وهدفه ، وذلك بإقحام دلالة المكان دونما داعٍ أومسوّغ ، وأحياناً يضطر إلى ذلك اضطراراً مثل قوله :

أطير في الآفاق لكنني أرى فؤادي لم يجاوز هنا [3]

(١) طيفان على نقطة الصفر : ٩٠ .
(٢) خفقات قلب : ٦٠ – ٦١ .
(٣) عيناك في وقت الرحيل : ١١ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

فقولـه : (هنـا) إشـارة إلى شيء غـير محـدد ، وقـد أضـعف المعنـى ، وقعـد بـه ، وأضفى على البيت شيئاً من الركاكة والسطحية .

ومن مظاهر الرمز وأشكاله الرمـز بـالحرف ، وهـذا الـشكل مـن الرمـز يكثـر في شعر علي النعمي ، ومن ذلك قوله متحدثاً عن شاعرٍ تسلّق على أكتاف الآخـرين حتـى ذاع صيته، ونشرت أعماله الأدبية ودواوينه الشعرية التي لا تستحق القراءة :

ولكـي يجـاز هنـاك كنـت وراءه　　حـــول المـــدير بـــرأسي المرفـــوعِ
ومعـــي وســـيط بـــارع ومحنـــك　　هـــو عـــدتي في مطلـــبي وشفيعـــي
وعـــلى المـــدير بـــأن يكـــون مقـــدراً　　طلـــب الوســـيط بنظـــرة المخـــدوعِ
مـــادام حـــرف الـــواو يحفـــظ حقـــه　　أبـــداً ويزهـــو في حـــشاً وضلـــوعِ
لـــولا الوســـيط لمـــا بـــرزت كـــشاعر　　يومـــاً فلست أقـــل مـــن جربـــوعِ (١)

فحرف (الواو) غدا رمزاً للوساطات والشفاعات ما حسُنَ منها وما ساء .

ونجده يقول في قصيدة أخرى رامزاً بحرف (السين) :

إنّ الحـــروف كثـــيرة وأهمهـــا　　في العـــالم العـــربي حـــرف الـــسين
سنـسوقهم سـوق الحمـير سـنعتلي　　هاماتهم ، سندوسـهم في الطـين(٢)

٢- التكرار :

لجأ كثير من الشعراء إلى التكرار ؛ نظراً لما له من خواص دلالية وموسيقية تثري النص ، ولعله من السهولة الوقوف على مظاهر التكرار في النص الـشعري عنـد شـعراء جازان، ولكن من الصعوبة إدراك أهداف الشعراء من هذا التكرار في معظم الأحوال ؛ إذ كثيراً ما نجد التكرار لغرضٍ فني ، ولا يكون وروده محض تكرار لفظي .

وبتتبع بعض النماذج التي ظهر فيها التكرار لدى شـعراء جـازان ، نلمـح تفاوتـاً بينهم في النجـاح والإدراك الناضـج لخاصـية التكـرار ، كـما نلمـح أيـضاً فـشل بعـض الشعراء في القدرة على إتقان التكرار ودواعيه الفنية .

(١) الأرض والعشق : ٣٩ .
(٢) الرحيل إلى الأعماق : ٦٦ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

فلو استقرأنا شعر محمد بن أحمد العقيلي نجده في كثير من قصائده يعمد إلى التكرار الناجح ، فمن ذلك قوله :

وكم ليلةٍ قد لجَّ بي لاعج الهوى فناجيت بدر الأفق والليل داجيا
أناجيه ملتاعاً بنغمة والهٍ وأشكو له من زفرة الحب ما بيا
أناجيه في لحنٍ أرقُّ من الصَّبا وألطف من طلٍّ على الزهر ناديا
أناجيه قد ضاء الوجود وقد دنا إلى الغرب في ظلمائه متواريا [1]

فتكرار الفعل (أناجيه) هنا أتى محققاً لمتطلبات نفسية تنبع من ذات الشاعر ، وتحمل مكنونات صدره ، فالشاعر اتخذ البدر سميراً له عوضاً عن محبوبه الذي صدّه وهجره ، فبدأ مخاطبته وبثه عواطفه ، لعله يجد عنده إجابة شافية .

وكذلك نجد علي النعمي ينجح في تكراره من هذا المنطلق وبناء على المعطيات السابقة ، إذ إن التركيب الذي يكرره في كل بيت على علاقة وثيقة بالموضوع ، بل هو الموضوع نفسه ، وذلك في قصيدته (حصاد الغربة) [2] ، وفيها يفصح الشاعر عن ما لقيه بعد عودة طويلة ، عاد إلى بلده بعد أن ملَّ الغربة ، فإذا الغربة أقل إيلاماً له من ظلم مجتمعه ، فكانت كلمة (عدت) مرتكزاً مهماً لنفسية الشاعر ، ولذا كررها أكثر من تسع مرات ، من ذلك قوله :

عدت للريف علَّ في الريف مجلى لصبوح من الرؤى أو غبوقِ
عدت يا قريتي إليك لأحيا في ثراك الحبيب عيش المشوقِ
عدت والشوق في فمي هدهداتٌ وعلى راحتي كؤوس الرحيقِ
عدت في خاطري نشيد وفاء صغته من تأوهي وشهيقي
عدت لكن كما يعود غريق نحو طامي العباب بعد المروقِ [3]

(١) المجموعة الشعرية : ١٨١ .
(٢) الأرض والعشق : ٥٩ .
(٣) المصدر السابق : الصفحة نفسها .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

ومن التكرارات الناجحة ما كان يعمد إليه شعراء التفعيلة في ختام مقاطع قصائدهم، مما يكوّن شيئاً من الوصلات بين تلك المقاطع ، ويساعد على إيجاد وحدة فنية –كما مر معنا عند الحديث عن وحدة القصيدة– ، ومن ذلك ما جاء في ختام مقاطع قصيدة (تداعيات الهاجس المكسور) لأحمد الحربي التي مثلت مرثية له في حياته، فكان يختم كل مقطع بقوله : (رحم الله الفقيد)[1] ، فكان لهذا التكرار تذكير بحالة الشاعر وما كان يعتمل في ذاته من إحساس بالنهاية ، والموت في الحياة ، وحاجته إلى الرحمة الحقيقية .

ومع هذا فإنه لا يعد كل تكرار ناجحاً ، فهناك مواضع أخفق فيها شعراء جازان من حيث سوء استغلال هذه الخاصية ، وكما هو معروف فالتكرار أسلوب حذر ، لا يسلم من عثرته إلا صادق الموهبة ، والمتمكن من أدواته الشعرية ، فالتكرار إذا لم يكن له أي داعٍ يتحول إلى عبء ثقيل على النص وعلى المعنى ، نجد هذا في مثل قول علي النعمي :

من أجل أن نبقى ويبقى لنا　　طول المدى لم نبق إمّا بقي[2]

فسبب عدم نجاح التكرار – هنا – هو الثقل الذي احدثته لفظة (نبقى) ومشتقاتها، وكان بإمكان الشاعر ، أن يغيّر الكلمات ليخلص من هذا الثقل الصارخ ، والتكرار المتكلف.

ونلمح التكرار المتكلف في بعض قصائد مهدي الحكمي ، فقصيدته (لا تسلني عن جراحي) نجد فيها تكرار في كثير من مقاطعها ، فيكرر كلمات بعينها ، ففي المقطع الثاني تكررت (كم) مرتين ، وفي المقطع الثالث كرر كلمة (خذني) مرتين ، وكرر كلمة (أنا) ثلاث مرات ، و(أشتاق) مرتين في المقطع الثالث نفسه . وفي المقطع الرابع كرر كلمة (واسأل) سبع مرات ، وكل هذه المكررات جاءت في أوائل الأبيات وبداياتها ، وهو ما جعل التكرار مملاً هنا ، ولو كانت هذه الكلمات المكررة في حشو الأبيات لسُترت، ولكن البدء بها جعلها واضحة للعيان ، وأوحى بأنَّ وجودها لم يكن

(١) تقاسيم على جذع نخلة الوادي : ١٣ – ١٨ .
(٢) الرحيل إلى الأعماق : ٢٦ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

سوى تكرار لغوي وشكلي لا أقل ولا أكثر ، ولم يفد المعنى بشيء ، وإذا قرأنا المقطع الأخير يمكننا الوقوف على حقيقة هذا الإخفاق ، حيث يقول :

لا لا تسلني عن جراحي إنها نكئت بحدّ الصارم المسنون
واسأل رُبى الأقصى ذوت روضاتها واسأل عن الليمون والزيتون
واسأل عن الوطن الجريح ، سماؤه قمرُ ارتعاشات وشمس جنون
واسأل عن الرجل الذي وأد الهدى وأقام فينا حفلة التأبين
واسأل عن الحرف الوضيع إذا خلا من نور إيمان ومزعة دين
واسأل عن الطفل الذي صنع المدى حجراً يهشّم هامة المأفون
واسأل خيوط الفجر تنسج حولها وعد النجاة ، وساعة التمكين[1]

وبعض شعراء التفعيلة يدلل على إخفاقه في البوح عن مشاعره الحقيقية برصف كلمات بعينها ؛ لتعويض القدرة الفنية المواتية ، ومهما كانت المبررات فإننا نقف مشدوهين أمام قصيدة قصيرة تتكرر فيها كلمة واحدة أربع عشرة مرة ، تلكم هي كلمة (صدى) في قصيدة حسين النجمي (صدى صدى) ، يقول في بدايتها :

كل الترانيم على قياثري
صدى
كل التخاريف على دفاتري
صدى
قصائدي
صدى
مواقدي
صدى
يأكلها .. ينسفها الردى

(١) لا تسلني عن جراحي : ٢٣ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

صدى صدى[1]

وتستمر القصيدة إلى آخرها على هذا المنوال مسببة لنا صداعاً من كثرة تردد الصدى الذي لا داعي له ، سوى الطنين والتكلف ، وتقليد بعض شعراء التفعيلة الكبار الذين أخفقوا من قبل في اختبار ومحكّ التكرار .

أما أشكال التكرار الواردة في شعر جازان فهي كثيرة ، منها تكرار الحروف ، مثل حرف الاستفهام في قول السنوسي :

يا رائدي طبقات الجو هل فرغت　　مشاكل الأرض أوطاناً وسكانا ؟
وهل أضاء السلام الكون وانتشرت　　أنواره واستقام الحق ميزانا ؟
وهل تحقق للإنسان مطلبه　　من الحياة وأضحى الكون بستانا ؟
وهل غدا العالم الأرضي منسجماً　　مذاهباً ومفاهيماً وأديانا ؟ [2]

وهو هنا يكرر الاستفهام إنكاراً لتصرفٍ لم يرق له ، متخذاً من هذا الاستفهام الإنكاري وسيلة لبسط الأسباب التي حدت به إلى ذلك[3] .

ويكرر العقيلي حرف الجر (في) في تقرير أنّ الجمال مشاع بين البشر لا ينفرد به جنس عن جنس ، ولا لون عن لون ، فمظاهر الجمال موجودة في كل مكان ، يقول :

لا لون للحسن ولا موطنٌ　　أو أمة خصَّ بها ، أو ديار
في ومضة النجم وفي روعة الـ　　فجر وفي لألأء وهج النهار
في الروض فينان يغنّي على　　غصونه القمري ويشدو الهزار
في زهرةٍ فواحةٍ بالشذى　　تألَّقَ الطلُّ بها واستنار
في البيض والسود وفي كل ما　　لونٍ وجنسٍ في الثرى والبحار [4]

---

(١) عيناك في وقت الرحيل : ٧٥ .
(٢) الأعمال الكاملة : ٣٩٢ – ٣٩٣ .
(٣) انظر : محمد بن علي السنوسي حياته وشعره ، لمحمد القسومي : ٢٢٣ .
(٤) المجموعة الشعرية : ٦٩٢ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ومثل هذا تكرار (الواو) في قصيدة (حديث الدماء وصوت الكفن) لحسن الحازمي [1] ، حيث تكرر واو العطف في أوائل الأسطر الشعرية (٥٧) مرة . وكذلك تكرار (كلما) في مقطوعة (فاصلة) لمحمد حبيبي [2] ، أضفى على النص بعداً فنياً رائعاً ، وكان مساعداً على إبراز نفسية الشاعر ، وضوح التجربة على الرغم من قصر نفس الشاعر فيها .

ومن أنماط التكرار تكرار الألفاظ ، وهو أكثر أشكال التكرار ظهوراً في شعر جازان، ومن الأمثلة على ذلك تكرار كلمة (الحب ، وحبيبي) في قصيدة السنوسي (الحب الكاذب) ، حيث يقول :

أنت لو كنت يا حبيبي حبيباً صادقاً كان لي في فؤادك مأوى
أشرق الفجر وانتهى كل شيء يا حبيبي وأصبح الجو صحوا
واستفاق الهوى فإن تك نشوا ن بحبي فإنني لستُ نشوى [3]

وكذلك تكرار كلمة (فؤاد) في قصيدة (يودعكم فؤادي يا فؤاد) للشاعر علي بن يحيى البهكلي ، فقد تكرر اسم المرثي (فؤاد) ثلاث عشرة مرة ، ومطلعها قوله :

يودعكم فؤادي يا فؤادُ وفي الأعماق للحزن اتقادُ [4]

ومن أشكال التكرار عند شعراء جازان تكرار جمل وتراكيب كاملة ، ومن هذا اللون تكرار السنوسي تركيب (يا ربيع الحياة) و (هل لك أن تحنو على) في قصيدته (يا ربيع الحياة) مراتٍ كثيرة ، يقول :

يا ربيع الحياة أين ربيعي أين أحلام يقظتي وهجوعي ؟
يا ربيع الحياة ما الحياتي لونها واحدٌ بلا تنويعِ
يا ربيع الحياة هل لك أن تحـ ـنو على روضة بلا ينبوعِ

(١) وردة في فم الحزن : ٢٥ .
(٢) انكسرت وحيداً : ٢٥ .
(٣) الأعمال الكاملة : ٢٣٩ .
(٤) قصيدة : (يودعكم فؤادي يا فؤاد) مخطوطة ، توجد لدى الباحث .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

يـا ربيـع الحيـاة هـل لـك أن تحـ ـنو عـلى نغمـة بـلا توقيـعِ [1]

وهذا التكرار يغتفر له ؛ لأنه لم يرد متوالياً ، وإنما كان مقدمة لمقاطع القصيدة ، وهذا خفّف من الثقل والمباشرة والإحساس بعجز الشاعر الذي نجده في التراكيب المتوالية التي تُرى عند بعض الشعراء .

وتكرار الأساليب والتراكيب يظهر عادة عند الشعراء المكثرين ، ومنهم في جازان علي النعمي ، إذ نجده يكرر أساليب كثيرة في شعره ، فمن ذلك ما جاء في ديوانه (الأرض والعشق) ، إذ يقول في قصيدة (ميلاد النور) :

والـزرع في سـاحاتك الغنَّـا زهـت قاماتـــه ثـــم انحـــنى لحـــصاد

مـن كـل (عـذق) أحمـر أو أبـيضٍ (يقـق) يـزف الخير للقصاد [2]

ويقول في قصيدة (فصل من كفاح فتاة) :

مـــلأت زنبيلهـــا بالعـــذقِ في نهـــارٍ مـــشبعٍ بالرهـــقِ

ومـــضت تحملـــه في نـــسوة بـين عـذقٍ احمـر أو يقـقِ [3]

* * *

رابعاً – بعض العيوب اللغوية :

حرص النقاد القدامى والمحدثون على نقاء التجربة الشعرية وسموّها الفني ، ودعوا الشعراء إلى عدم الوقوف في الخطأ واللحن ، أو استغلال مبدأ الضرورة الشعرية والتعلق به، وقالوا : ليست الضرورات الشعرية رخصاً تُمنح ، وليس التجاوز اللغوي مباحاً لأي شاعر مهما علا قدره ، أو ذاع صيته . ومن هنا وجدنا النحويين يعرفون الضرورة الشعرية ، ويرون أنها هي ما وقع في الشعر مما لم يقع في النثر ، سواء أكان للشاعر عنه مندوحة ، أم لا، وفي هذا يقول أبو سعيد السيرافي : ((**اعلم أن الشعر**

(١) الأعمال الكاملة : ٤٠١ – ٤٠٣ .

(٢) الأرض والعشق : ٥٠ .

(٣) المصدر السابق : ١٢٦ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

لماكان كلاماً موزوناً ، تكون الزيادة فيه والنقص منه يخرجه عن صحة الوزن ، حتى يحيله عن طريق الشعر المقصود مع صحة معناه، استُجيز فيه لتقويم وزنه من زيادة ونقصان ، وغير ذلك ما لا يُستجاز في الكلام مثلُه ، وليس في شيء من ذلك رفعُ منصوبٍ ، ولا نصبُ مخفوض ، ولا لفظ يكون المتكلم فيه لاحنا ، ومتى وُجد هذا في شعر كان ساقطاً مُطّرحاً ، ولم يدخل في ضرورة الشعر)) (١).

وقد ذكر نقادنا القدامى للضرورة الشعرية ضروباً ، منها صرف الممنوع ، ومنع المصروف ، وقصر الممدود ، ومدّ المقصور ، وتنوين المنادى المبني ، وتخفيف المشدّد ، وفك المدغم ، ووصل همزة القطع ، وقطع همزة الوصل وغير ذلك . وهم لم يتركوا للشعراء الوقوع في الأخطاء اللغوية كما يشاءون بحجة الضرورة الشعرية ، ومن هنا – أيضاً – نجد النقاد المعاصرين يضجّون من كثرة الأخطاء الشعرية المعاصرة بحجّة التجديد والابتكار ، ومن هؤلاء النقاد نازك الملائكة ، حيث تقول : ((**نحن نرفض – بقوة وصرامة – أن يبيح الشاعر لنفسه أن يلعب بقواعد النحو واللغة لمجرد أن قافية تضايقه ، أو أنّ تفعيلة تضغط عليه ، وإنه لسخف عظيم أن يمنح الشاعر نفسه أية حرية لغوية لا يملكها الناثر ، فمن قال: إن الشاعر الموهوب يستطيع أن يبدع أي شيء في غير الإطار اللغوي لعصره ؟**))(٢) .

وإذا كان وقوع الشاعر في الضرورة المعتبرة لا ضير فيه ولا غضاضة – وقد وقع هذا لشعراء جازان كثيراً – فإنّ المعيب هو وقوع الشاعر في الخطأ المعلوم من اللغة بالضرورة – إن صحت التسمية – ، فمن هذه الأخطاء الواردة في شعر جازان عدم إعمال أداة النصب في الفعل في قول العقيلي :

يعجز الشعر أن يوافيك بعضاً من ثناء نُسّره أونذيعُ (٣)

ومن التجاوزات اللغوية قول السنوسي :

(١) ضرورة الشعر ، لأبي سعيد السيرافي ، تحقيق : د. رمضان عبدالتواب : ٣٤ .
(٢) قضايا الشعر المعاصر ، لنازك الملائكة : ٣٣٢ .
(٣) المجموعة الشعرية : ٤٣٨ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

لي وإن كنتُ كقطر الطلِّ صافٍ　　قصفة الرعد وإعصارُ السواني (١)

فإنّ موقع كلمة (صاف) النصب (صافياً) ؛ لوقوعها خبراً لكان ، ولم يقل واحد من العرب إن (كان) ترفع الجزأين .

((**ويبدو أن كلمة (صاف) عند السنوسي من الكلمات التي تلزم حالاً واحدة مهما يكن موقعها من الكلام ، فهو يوردها آخر كلمة في قصيدته كما أوردها في أول شطر في بيتها الأول مرفوعة ، وذلك في قوله : (يعرف الجوهر في الإنسان صافٍ)**))(٢)

وموقعها هنا يقتضي نصبها – كما يقول الدكتور بدوي طبانة – ، ومثل ذلك لا يرضى من السنوسي ولا من أي شاعر آخر سواه ، إذ المفروض أن الشاعر من أعرف الناس باللغة، وبأسرار التعبير بها عن انفعالاته وتجاربه . ((**ولا أحبّ أن يعتذر الشاعر أو أن يعتذر عنه أحد بفعل الضرورة الشعرية ، فليس هذا من الضرورات التي أجازوها للشاعر دون الناثر ، وإن كنت لا أعترف أصلاً بما سموه (الضرورات الشعرية) ، فإن الصواب صواب ، والخطأ خطأ في المنظوم والمنثور على السواء**))(٣) .

ومثل هذه الأخطاء النحوية كثير عند الشعراء المتأخرين مثل عدم إعمال أداة الجزم (لم) في الفعل (تلهيه) في قول محمد الشنقيطي :

الطفل لم تلهيه ألعاب الطفولة عن　　حقه المسلوب فاغتصب الرجولة (٤)

ومن تلك الأخطاء قول حسين النجمي :

فعجبنا مما سمعنا وقلنا　　أخطأ السمع أم يكون مصيبُ (٥)

ونجد في هذا الجانب بعض الشعراء يحاولون إيجاد الصلة بين العامية والفصحى بأية وسيلة ، فمن ذلك أن العامية تستعمل (أل) بدلاً من الأسماء الموصولة جميعاً ، كما تُدخل

(١) الأعمال الكاملة : ٣٢٠ .
(٢) المصدر السابق : ٣٢٣ ، ومن أعلام الشعر السعودي ، د.بدوي طبانة : ٣٥٣ – ٣٥٤ .
(٣) من أعلام الشعر السعودي ، د. بدوي طبانة : ٣٥٤ .
(٤) قلب يتنفس : ٣٢ .
(٥) خفقات قلب : ٨٤ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

(يا) النداء على (أل) التي هي بمثابة اسم موصول ، وتربط اسم الاستفهام (أين) بالضمائر المتصلة ، كما تحذف (أن) المصدرية قبل الأفعال ، وهناك طرائق أخرى لا علاقة لها بالفصحى ، ولا بالعامية ، مثل إدخال (أل) على الفعل والحرف ، والإكثار من ذلك كما هو الحال عند الشاعرين أحمد البهكلي وحسن حجاب الحازمي ، فمن الأمثلة على إدخال (أل) على الفعل في شعر البهكلي قوله في قصيدة (عجين النار) .

الشعر عندي الفرح الـ(يحتوي)　　قلبين طول العمر لم يفرحا[1]

ومن الأمثلة على هذه الظاهرة في شعر حسن الحازمي قوله في قصيدة (حسان) :

وأين ريقته الـ(تنساب)في دعة ؟　　يا ليتها في عيوني الآن تنسكب [2]

ومن الأمثلة على إدخال (أل) على الحرف عند هذين الشاعرين ، قول أولهما ، وهو البهكلي :

لو أنه كان أندى . . لو أنال ولو　　وتزهر الـ(لو) ويذوي الحق مختنقا[3]

وندرك الحاجة لهذا الأسلوب في البيت السابق ، والإضافات الجمالية التي أضفاها على المعنى والنص ، ومع هذا فليست هذه الحاجة مبرراً لتجاوز اللغة وقواعدها .

ويقحم الشاعر الثاني حسن الحازمي (أل) على (ربما) في قوله :

وتجتاحني فجأة (ربما)
ربما لا تحبك
ربما خاصمتك
ربما أقفلت كل أبوابها القائمة
ربما ظنت الحب يا صاحبي
دعوة آثمة
ربما ...

---

(١) أول الغيث : ١٤ .
(٢) وردة في فم الحزن : ٧٧ .
(٣) طيفان على نقطة الصفر : ٦٦ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

آه من هذه الـ (ربما) القاتمة[٢٤١]

ورغم حاجة المعنى لدخول (أل) على (ربما) هنا ، وجماله – في نظري – إلا أنه يبقى خارجاً على الوضع اللغوي السليم ، وهذه المحاولات الجديدة لا بدَّ لها من قاعدة تستند إليها ، ومن غاية ترسم لها هذه القاعدة ، وإلا فُتح الباب أمام فوضى لغوية لا نستطيع معها تمييز الخطأ من الصواب .

وكلما قلّ نصيب الشاعر من الرصيد اللغوي والمعرفة بتراكيب اللغة ومفرداتها، فإن الخطأ يكون لديه واضحاً ، والوقوع في التجاوزات الصرفية والمعجمية كثيراً . ومع هذا فالوقوع في الأخطاء الصرفية لم يسلم منه جلُّ الشعراء في جازان ، فشاعر كبير متضلع في اللغة مثل محمد العقيلي نجد عنده عدداً لا بأس به من هذه الأخطاء مثل قوله :

مـــن معـــشرٍ حياتهـــم منجـــمٌ ثـرٌّ يمـدُّ الفكـر منـه امتداد[٢٤٢]

ففي هذا البيت خطأ صرفي ، وهو أنّ المصدر ليمدّ هو (مدّاً) ، وأما (امتداد) فمصدر للفعل (امتد) .

ومثل هذا قوله :

تـشعُّ بـه الظلـماء برقـا مـضوّئاً يلـوح وتـدوي في الـسماء

فالصواب (مضيئاً) ، ولكن الوزن ألجأه إلى الوقوع في هذا التجاوز[٢٤٣] الصرفي .

وإذا حصل من العقيلي ، فكيف بالشعراء الذين لم يتمكنوا من النهل من اللغة وأساليبها ، لقد كثر الخطأ عند بعضهم ، إلى درجة الشك في كونه شاعراً أصلاً ، مثل : منصور دماس وحسين الكريري وغيرهما ، لا سيما من الشعراء الشباب ، ورواد الحداثة زاعمي تفجير اللغة وتجاوز المألوف والسائد .

* * *

(٢٤١) جريدة الجزيرة ، الأحد ، ٢٦/ ١١/ ١٤١٦هـ ، ع : ٨٥٩٩ ، قصيدة (شجيرات الذكرى) لحسن الحازمي ، ص: ٢١.

(٢٤٢) المجموعة الشعرية : ٤٣٤ .

(٢٤٣) المصدر السابق : ٥٥٥ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ومن العيوب اللغوية الشائعة شيوع المعاظلة في تراكيب بعض الشعراء ، ولم تكن هذه المعاظلة شائعة لدى جيلٍ من الشعراء دون جيل ، وإنما نراها عند الجيل الأول الذين ظهر لديهم التقليد والزخرفة كعلي السنوسي ، حيث يقول :

وابتهاجي بها وقد نلت منها رؤية تكشف الغطا والحجابا
كابتهاج الفتى أبو بكر لمَّا ذاد عن حوضه أبوه ذئابا (١)

فالشاعر أراد أن يقول : (لما ذاد أبوه الذئاب عن حوضه) ، فاضطره الوزن إلى الوقوع في هذه المعاظلة التي أضعفت السياق ، وزادته وهناً على وهنه ، إذ قرن بين ابتهاجه برؤية المحبوب وابتهاج أبي بكر بصنيع أبيه له في هذه الحياة ، والشاعر في هذا لم يحسن إلى الممدوح ؛ لأن الممدوح دائماً يجب أن يمدح بما حققه هو لا بما أثَّله له أبوه من مجد .

ونجد هذه المعاظلة – أيضاً – لدى الشعراء المحافظين ، نقرأ شعر علي النعمي – مثلاً – فنجده يقول :

في المراعي أحبّها وأحب (م) ته وعاشا معاً حياة المراعي
لم تكن غيرها أحبّ إليه من سواها .. ولو بدت كالشعاعِ
لم يكن غيره أحبّ إليها من سواه .. وما الرعاة كراعِ
قلبه ملكها .. وتملك حقاً قلبه .. والنفوس رهن الدواعي (٢)

وهذا التداخل الواضح للضمائر نجده كثيراً في شعر البهكلي ، وهو أحد الشعراء المزاوجين بين المحافظة والتجديد ، نجده يقول متحدثاً عن والد حنظلة بن أبي عامر :

كدتُ ألغيك من دفاتر ذكرا ي لتحيا بدفتر النسيان
كدتُ لو أنَّ أمَّه يا أباه لم تلد حنظلاً فتى الفتيان (٣)

ونجده في النصّ السابق نفسه حينما يتحدث عن زواج حنظلة بجميلة يقول :

(١) المفقود من شعر علي بن محمد السنوسي ، جمع وتحقيق : د. عبدالله أبو داهش : ١٥٥ .
(٢) الأرض والعشق : ١٠٤ .
(٣) طيفان على نقطة الصفر : ١٥ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

لكأنّـــي بـــه بهـــا وثّقـــا الأسَّ (م) وشـــادا العـــلا للبنيـــان [1]

فتوالي الضمائر شتت المعنى ، وأحدث في النص ارتباكاً ملحوظاً ، شبيهاً بذلك الارتباك والتنافر اللفظي حينما قال :

مـا رحـالي حين شـدَّت جـذُّ حبـلٍ للتـداني مـا رحيلـي برحيلي [2]

إنها صورة أقرب ما تكون بشاهد البلاغيين على التنافر :

وقـــبر حـــربٍ بمكـــانٍ قفـــر ولـيس قـرب قـبر حـربٍ قـبرُ

والبهكلي لم يكن من شعراء الصنعة أو التكلف الذين ملأوا شعرهم بمثل تلك المعادلات الرياضية ، والجمل الملغزة ، والطلاسم اللفظية التي تحتاج إلى إعمال الذهن وكدّه من أجل الوصول إلى المعنى المراد بعد فكّ الإشارات وما تعود إليه ، فلو قرأنا شعر حسين كريري لوجدنا فيه حرصاً على إثبات بعض القدرات المجوجة والمتكلفة، ومن ذلك قوله في مطلع قصيدة أبها :

أبهـا تباهـت بهـاءً فهـي باهيـة أبهـا بهـاءُ البهـا بـاءٍ بمـا فيها [3]

ففي تكرار الشاعر لحرف (الهاء) عشر مرات ، والاتيان بكل كلمات البيت مشتملة عليه فيه تكلف واضح ، وتقعر لغوي مجتلب من الذاكرة التقليدية المعجبة بصناعة الحريري في مقاماته ومن جاء بعده من ملغزين وأصحاب صنعة شعرية ، لا علاقة لهم بالفن الشعري الراقي وحيويته المتدفقة والصادقة .

أما الشعراء الشباب والحداثيون خاصة ، فلهم شغفٌ واضح بهذه المعاظلة المنطلقة من تحوير الدلالات وتشتت المفردة بين عوائد غريبة وغير مألوفة ، وضمائر غير متسقة ومن هؤلاء محمد مباركي في مثل قوله :

أتوجّس منّي

---

(١) الأرض والحب : ١١ .

(٢) المصدر السابق : ١٧ .

(٣) زورق الشوق : ٤٠ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وأرشق دربي بظنّي
أعاقر حمّى الدوار
واشتفَّ منفايَ
فيّ
وأنسلُّ منّي إليّ
فما أتبقى لديّا ! [1]

هذه بعض العيوب الأسلوبية ، وقد سبقت الإشارة إلى بعضها عند الحديث عن بعض القضايا اللغوية ، مثل : النثرية ، وضعف السبك ، وعدم العناية بانتقاء الألفاظ ، وهي من آثار عدم المعاودة والتنقيح ، وكذلك ظهور السرد والخطابية عند عدد من الشعراء وسيطرتها على نتاجهم ، إضافة إلى شيوع الواقعية اللغوية ، وما يتعلق بها من إسفاف وسقوط في الابتذال ، ولغة الجنس والبذاء عند فئة من الشعراء قليلة ، لا يمكن أن تمثل ظاهرة ، ولكنها موجودة ، ولا يمكن تجاهلها .

* * *

(١) منسك للسريرة في حرم الرمل : ١٠ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

٣- الصورة الفنية :

إن التجربة الشعرية لا تكتمل ولا يتحقق لها التأثير المأمول في نفس متلقيها إلا عن طريق الصورة الشعرية ؛ ذلك أن الشاعر ((**بواسطة الصورة يشكل أحاسيسه وأفكاره وخواطره في شكل فني محسوس ، وبواسطتها يصور رؤيته الخاصة للوجود وللعلاقات الخفية بين عناصره**))[١] .

والصورة هي المحك الذي تظهر عنده قدرات الشاعر ، وتنكشف فيه إمكاناته التعبيرية ، ووسائله الفنية من أجل تقديم مشهد جديد يقوم بابتكاره .

وقد تطور مفهوم الصورة الشعرية في النقد الحديث ، فلم تعد الصورة تحتفي بجانب وجوه البيان من (تشبيه ، واستعارة ، وكناية) ، بل جاوزت ذلك إلى مجال رحب فسيح استوعب النص الشعري بكامله ، وأصبحت الصورة ((**لا تعني ذلك التركيب المفرد الذي يمثل تشبيهاً أوكناية أو استعارة فقط ، ولكنها تعني أيضاً ذلك البناء الواسع الذي تتحرك فيه مجموعة من الصور المفردة بعلاقاتها المتعددة ، حتى تصيّره متشابك الحلقات والأجزاء بخيوطٍ دقيقة مضمومة بعضها إلى بعض في شكل اصطلح على تسميته بالقصيدة الفنية**))[٢].

وتتشكل الصورة الفنية بفعل (الخيال) تلك القوة الخفية التي تعمل في داخل النفس، متأثرة بكل العوامل السابقة والآنية ، المتوارثة والمكتسبة ؛ دون تحديد ، متخذة الواقع الحسي الذي وقع تحت نظر الأديب أو علمه ، مادة تُفتتها ثم تعيد صياغتها وتشكيلها ، حسب التجربة والحالة النفسية التي تكتنف الأديب زمن الإفراغ الفني ، مستعينة بما استوعبته من نتاج المبدعين ، أو ((**بما تضيفه ، أو تستحدثه من علاقات إشارات ورموز**))[٣] .

---

(١) بناء القصيدة العربية الحديثة ، للدكتور علي عشري زايد : ٦٨ .

(٢) الصورة الفنية في النقد الشعري ، للدكتور عبدالقادر الرباعي : ١٠ بتصرف .

(٣) التصوير البياني بين القدماء والمحدثين – دراسة نظرية تطبيقية – ، للدكتور حسني عبدالجليل : ٩ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ولدى تتبعي الصور الشعرية التي استعان بها شعراء جازان في عرض تجاربهم الشعرية وإبراز رؤاهم الفنية ،تبيّن لي كثرة تلك الصور ، وتنوعها ، وتعدد أشكالها ، وتباين اتجاهاتها، ومن ثم رأيت أن أعرض هذا المبحث ، وأتناوله فيما يلي :

أولاً- مصادر صور شعراء جازان .

ثانياً- وسائل التصوير .

ثالثاً- أدوات التنصوير الجديدة .

وتفصيل ذلك على النحو الآتي :

أولاً- مصادر صور شعراء جازان :

استقى شعراء جازان صورهم من مصادر شتى ؛ كان أبرزها ما تجذر في ذاكرتهم من تجارب تراثية تكونت من خلال إرثٍ ثقافي متنوع ، ومشاهدات في الطبيعة من حولهم، وما تنتاب الإنسان في حياته اليومية وصلاته الإنسانية وهمومه الذاتية .

أ- الصور التراثية :

إذا كان الشاعر المعاصر هو ابن الواقع الجديد والحياة الحاضرة ، والمعبر عما في هذه الحياة من مشكلات وقضايا ، فهو ابن للماضي أيضاً ، وبخاصة الماضي الشعري الذي لا يمكن فصله عن ذات الشاعر ومخيلته وثقافته بشكل عام ، فالموروث الأدبي سيظل يرافق الشاعر الحديث ، ويضيف إليه عدداً من الروافد والقيم الفنية التي تكون الصورة جزءاً منها.

إنّ العودة إلى القيم الفنية الشعرية الموروثة ليست انكفاءة أو رجعة ، إنما هي إحياء لكل ما أوثر عن الماضي الشعري من معطيات فنية إيجابية ، وهي تطوير لفن الشعر ، كما أنها إضاءة وتعميق لرؤية الشاعر وإحساسه بالاستمرار والتواصل الفني ، فالشاعر عندما يتوجه إلى معطيات موروثه الأدبي ، فإنه لا يعمد إلى الإفادة الجامدة التي تدخل في باب التكرار والتقليد ، وإنما يهدف إلى إعادة صوغ تلك المعطيات بما يثري عمله الجديد ، ويجعله صالحاً للتعبير عن قضاياه المعاصره .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

ومن خلال هذا الفهم لتوظيف القيم الموروثة عمد العديد من الشعراء إلى تأكيد صورة الماضي في العمل الشعري ، فانداحت إلى أشعارهم التشبيهات القديمة منذ العصر الجاهلي ، فالمرأة هي الغزال والظبي النافر من ظباء وجرة ، ووجهها الشمس المشرقة والبدر الطالع ، وشعرها من الليل الأليل ، وقدها كقضيب البان ، أملود يتثنى كالخيزران ، وهي بيضاء ناعمة البياض ، كسول منعمة ، إلى غير ذلك من الأوصاف والصور القديمة ، التي ما أن يعرضها الشاعر المعاصر حتى تتبادر إلى أذهاننا تلك الصورة الماضية ، مثال ذلك ما نجده في قول علي بن حسين الفيفي مصوراً حزن محبوبته حال الفراق ولحظة الوداع :

فجرت مدامعها لتسقي الـ　　ـورد فوق الوجنتين [1]

فإنَّ هذه الصورة مجتلبة من ذاكرة الشاعر التراثية ، فهي مأخوذة من الصورة الجاهلية المركبة التي وردت في قول الشاعر :

فأمطرت لؤلؤا من نرجس وسقت　　ورداً وعضّت على العناب بالبرد

والحال كذلك في الصور المصاحبة للمديح ، إذ نلحظ بقاء الصورة التقليدية للممدوح ، فهو كالشمس التي تحجب جميع الكواكب حين طلوعها ، كما يقول السنوسي في إحدى مدائحه :

كأنك فيه الشمس والشمس كوكب　　أجلّك يا مولاي عنها وأرفع [2]

وما استدراك السنوسي وتراجعه عن تشبيه ممدوحه بالشمس وإجلاله له عنها إلا لإدراكه بأنَّ هذا التشبيه لم يعد ملائماً لذوق العصر ، ومع هذا لم يستطع الانفكاك منه أو التخلص من تبعاته .

والممدوح ما زال عند أكثر الشعراء المعاصرين في جازان كالغيث كرماً وعطاء ،

(١) أزهار : ١٤٥ .
(٢) الأعمال الكاملة : ٢ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وهو الغيث الذي تنتظره النفوس وتهفو إليه ، كما في كثير من مدائح حسين كريري ، ومن ذلك قوله :

هنيئا لنا فالغيث قد عمّ أرضنا ربيعان قد حلاّ وقد أقبل السعد

ربيع به جادت سحاب من السما وآخر من كفيك ما هاضه رعد (١)

ومع هذا فإن أي شاعر مهما كان أصيلاً لا بد أن يفيد ممن سبقه ، حيث تشكل الصور القديمة جزءاً مهما من خياله ؛ لأنها دخلت رصيد فكره ، وغدت جزءاً من كيانه ، على أنَّ هذا لا يعني أننا نعفي الشاعر من تبعات التجديد والابتكار ، ونرضى له أن يجترّ ما سبق قوله ، فالتجديد المطلق أمر متعذر المنال . وربما كان هناك تعليل آخر لكثرة الصور القديمة في موضوعات خاصة كالمديح والفخر والغزل ، بل والرثاء والإصلاح الاجتماعي؛ ذلك أنَّ الشاعر حريص على استقصاء جوانب الصورة وتوضيح أبعادها ، وإظهار دقائقها ؛ لذلك فهو مضطر أن يمتح من هذه الخزينة التي يحملها في عقله ووجدانه، لا سيما في موضوعات استُنفدت طرائق القول فيها أو كادت ، ويرى الشاعر أنَّه لا يمكنه الإتيان بما لم يأت به الأوائل ، فيركن إلى صورهم الرائعة .

ولكن ذلك لم يكن بالضرورة استسلام الشاعر الحديث في جازان لمكونات الصورة التراثية ، بل بدأ يبحث في داخل تلك الصورة عن المميزات التي ضمنت لها القوة والبقاء ، فأدرك أن ثمة عناصر مهمة لا غنى لأي صورة عنها ، لا سيما إن أراد صاحبها الابتداع والتفوق ، لعل من أهمها تلبيس الصورة بذاتية الشاعر وامتزاجه بها ، وتداخل معطيات الحواس ، واستخدام عنصر التشخيص والحركة والكثافة داخل الصور المتلاحقة ، فالشاعر بهذه الصورة يستطيع أن ينفخ الحياة في تجربته ، حتى وإن كانت معتمدة على صورة تراثية قديمة ، نلمح هذا في الإتيان بأنموذجين لشاعرين من جازان اعتمدا في صورتيهما على صورة تراثية ، هي قول الشاعر في وصف الذئب :

(١) عزف على أوتار الحب : ٣٢ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

ينـام بإحـدى مقلتيـه ويتقـي　　بأخرى المنايا فهـو يقظـان نـائمُ

أول هذين الأنموذجين هو قول جلوي الحكمي مصوراً الواقع العربي ، وأنَّه لا يمكن للأمة أن تغيب عن ممارسة دورها إلى الأبد ، بل إنها تنتظر الفرصة لتعود من جديد ، وهي لم تغمض عينيها تماماً بل ما زالت تراقب عن كثب ، حالها كحال الذئب الذي يظل متحفزاً، حتى وهو في نومه ، فإذا أغمض إحدى عينيه بقي منتبهاً ومبصراً بالأخرى ، يقول:

إن نكـن عـن ساحـة المجـ　　ـد تواريـنـا وغبنـا
فكمـا الذئـب إذا أغـ　　ـمض جفنـاً فـكَّ جفنـا [1]

أما الأنموذج الثاني فهو للشاعر أحمد البهكلي ، حيث يصور واقع الانتفاضة الفلسطينية وكيد الأعداء لها ومحاولتهم إجهاضها وتحويل مساراتها ، وثنيها عن تحقيق أهدافها ، ثم يصور لك حال الأعداء مشبهاً إياهم بالثعالب والسنانير التي يظنّ أنها قد أغمضت العيون ، وهي مع ذلك لهفى للانقضاض ، يقول :

إنـه الوعـد أيهـا الفـذُّ ممـن　　وعـده لـيس فيـه مـن إخـلافِ
غـير أنـي أشـد مـا أتقيـه　　أن تـضيع الثمـارُ قبـل القطـافِ
فالـسنانير والثعالـب لهفـى　　لـك رغـم ادعائهـم للخـلافِ
مـا غفـت منهـم البطـون وإن أبـ　　ـصرت ياصاح باصِر الطرف غـافي
كلهـم قـد أحـدَّ نابـاً وظفـراً　　وابتـدا حـول ذي الربـا في الطـوافِ
ولقـد يهجعـون حينـا ولكـن　　لانقضـاضٍ على مناك اللطـافِ [2]

فالشاعر البهكلي لم يقف عند حدود الصورة التراثية القديمة كما فعل الحكمي ، وإنما تجاوزها إلى رسم مشهد جديد للسنانير والثعالب اللهفى ، محاولاً تطوير الصورة

(١) قبل أن ينضب الأمل :١٤.
(٢) أول الغيث : ٤١ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

القديمة وإعادتها من جديد لتلائم حالته وتخدم مضمونه الخاص والمعاصر ، وذلك بإدخال عناصر مثل التشخيص في قوله (ما غفت منهم البطون) ، والصورة الحركية الداخلية في قوله : (كلهم قد أحدَّ ناباً وظفراً) ، والاستفادة من عنصر البديع اللفظي في قوله : (أبصرت يا صاح باصر) ، وكلها قد استطاعت أن تكسب الصورة التراثية للذئب أبعاداً موضوعية جديدة ، لم يكن فيها من الصورة القديمة سوى جزءٍ صغير ، وأما الباقي فهو من رسم الشاعر البهكلي وإبداعه . بينما رأينا أنَّ الصورة نفسها عند جلوي الحكمي في بيتيه السابقين تبدو أقرب إلى التضمين ، أي أنها لم تكتسب دلالات جديدة ، ولم تنصهر داخل السياق الموضوعي للقصيدة المعاصرة ، لتقدم بالتالي حالات ودلالات مغايرة لما كانت تعنيه في التراث الذي تسربت منه .

ب- الطبيعة :

تحتل الطبيعة جزءاً كبيراً من خيال الشاعر المتذوق ، فهي تقوي ملكته التصويرية بما تمدّه من صور لا ينتهي إلهامها ، وتعد الطبيعة بما تحتويه من حيوانات ونباتات وجمادات ومشاهدات من أهم مصادر صور شعراء جازان ، إذ كثير منهم متأثراً بأشعار الرومانسيين الذين ((**كانت ملكة الخيال عندهم هي القوة التي تمثل عالم الطبيعة والأشياء المادية التي تقرأها أرواحهم ، وتغير شكلها**))[1] .

ومن أبرز عناصر الطبيعة التي احتلت مكاناً مرموقاً بين صور شعراء جازان ، الطبيعة الصامتة بما تشمل من جبال وسهول وهضاب وأشجار ، وبحار وأفلاك ، وسماء وكواكب وسواها .

ومن أبرز ملامح هذه الطبيعة الصامتة تأتي السماء وما لها من مدى يسبح فيه الشعراء بخيالهم غير المتناهي ، وما فيها من معارج وأفلاك وسحاب ورعد وبرق ، وما توحي به من علو ، وما تعنيه جهه العلو لدى المؤمنين من وجود الخالق – عز شأنه –

(١) صناعة الأدب ، ل ر . أ . سكوت جيمس ، ترجمة : هاشم الهنداوي : ١٦٩ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

عن النضير والأنداد ، فلو تأملنا هذا الملمح لدى الشاعر محمد أحمد العقيلي ، فإننا نجد أكثر تشبيهاته تنطلق من هذه الطبيعة السماوية بما فيها من إشراق وضياء وإنارة وعلو ، مما يدلل على نفسية متفائلة محبة للنور ، ويدلل أيضاً على مدى سعة آمال الشاعر وأحلامه في العيش في واقع سعيد وغدٍ مشرق مضئ ، فنجد العقيلي في مدائحه يحاول إلصاق صفة الضياء بالممدوح الذي أزال الظلام وبدّده . ففي مديحه للملك عبدالعزيز آل سعود – رحمه الله – يصفه بأنه بدر أضاء ما حوله ، وأن ما سواه من قادة نجوم السماء ، فيقول :

كأنك البدر قد حُفّت بهالته　　زهر الكواكب واحتاطت به خفرُ (١)

ثم يأتي التشبيه بوميض البرق وسير الكواكب في السماء ؛ ليؤكد المعاني التي رمى إليها العقيلي في نصوصه ؛ وليؤكد تعلقه الدائم بالطبيعة السماوية التي يجد فيها الشاعر الإجابة عن إشكالاته ومتنفساً لهمومه ومنطلقاً رحباً لأماله ، ففي تشبيهه سير القلم في الكتابة لا يجد له من أمثال الطبيعة سوى ومضة البرق في الظلام البهيم ، فيقول :

قلمٌ هززت به يميني فانبرى　　كالبرق في متلاطم الأحلاك (٢)

ويرتقي العقيلي بتشبيهاته –أحياناً– إلى ما فوق السماوات ، فيشبه بالجنان والفردوس والكوثر والحور العين ، ولكنه يظل حبيس المعاني القديمة دون إضفاء أي نظرة جديدة مع أن المشبه به يستحق ، ففي قوله :

وضفافٍ كالفراديس شذىً　　أمل الخلد وأحلام الوجود
وشواطٍ كُسيت من سندسٍ　　فوق حصباء من الدر النضيد (٣)

فهو هنا يصف ضفاف نهر (التايمز) في (لندن) ، ويجعلها كالجنان ، ويجعل شواطئ ذلك النهر كأنها قد كسيت من سندسٍ حصباؤها من الدر ، وهذا الوصف

(١) المجموعة الشعرية : ٤٣ .
(٢) المصدر السابق : ٣٢٧ .
(٣) المصدر السابق : ٤٩٠ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

على ما فيه من تنوع في الصور التشبيهية والصور البصرية مع مزج الألوان يظل قدياً معروفاً ، ومستهلكاً مكروراً[1] .

ومثلما قيل في العقيلي يقال في السنوسي الذي جذبته الطبيعة العلوية بما فيها من سموٍ واتساع أفق ، إذ نلمح في شعره عدداً من التشبيهات يُرى فيها الكواكب والأفق والسماء والشمس والفضاء والسحاب والسنا والقبس والذرى والأنجم والأجواء ، كقوله :

جذبتــه إلى الــسما معانيــ ــها فلــبّى نداءهــا وأطاعــا
ومـضى كلمــا تمـادى بـه الأفـ ق اتساعاً سما إليه اندفاعا [2]

وقوله :

ألقاه في لمع الكواكب والدجى يرنــو إلى أطرافــه الــشعراء
وأراه يلمع في الفضاء فينتشي قلمي بكل سحابةٍ وطفاءِ [3]

وقوله :

وشهــاب لــه عـلى كـل أفـقٍ قبسٌ يهتك الظلام ويودي [4]

وكان للبحر ومفرداته الكثيرة ميزة خاصة من بين مفردات الطبيعة الأرضية الأخرى في صور شعراء جازان ، حتى غدا من أبرز عناصر الطبيعة الصامتة التي مثلت المصادر الملهمة للشعراء الجازانيين ، متحوا منها كثيراً من صورهم ، وحاولوا إعادة تشكيلها مراتٍ عديدة، حسب حالاتهم النفسية .

وظاهرة ارتباط الشاعر بالبحر تكررت في الشعر العربي والعالمي ، ولا سيما عند الشعراء الذين يسكنون الموانئ ، مثل الملاح التائه علي محمود طه ، والشاعر الأمريكي والت واتيمان ، والشاعر السعودي غازي القصيبي ، والشاعر الكويتي محمد فايز العلي

(١) انظر : شعر محمد بن أحمد العقيلي ، دراسة تحليلية ، لخالد الشافعي :٤١٢ .
(٢) الأعمال الكاملة : ١٧٤ .
(٣) المصدر السابق : ٨٦ ، والسحابة الوطفاء هي الديمة سواء طال مطرها أم قصر .
(٤) المصدر السابق : ٤٣ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

وغيرهم، وهو مجال خصب للرمز والتأمل واستجلاب الصور الفريدة .

ومن أهم وظائف الصورة في النقد الحديث الكشف من الجوانب الإنسانية ، والتعبير عن نفسية الشاعر ورصد حالاته المتباينة ، وفي هذا الإطار تقمّص الشعراء في جازان عدداً من عناصر البحر ، كالزورق والشراع والموج والشاطئ ، نجد ذلك في مثل قول أحمد البهكلي :

يا هند ها أنا قد مزّقت أشرعتي　　وجئت يا غادتي الحسناء مُرتفدا
هل تقبلين إيابي بعد طول نوى　　أو ترفضين فأبقى أُبرِمُ العقدا (١)

وصور بعض الشعراء صراعهم في الحياة بذلك الصراع المحتدم بين راكبي البحار والأمواج المتلاطمة ، وهم بين أمرين إما مغالبة الأمواج أو ترك الرياح تسير الزورق كيفما شاءت ، صور متكررة لدى شعراء جازان ، منها قول علي النعمي :

أيها الماخرُ في اليمِّ إذا　　أظلم الليلُ على درب النَّجا
فدع الزورق يمضي قُدُماً　　فبصيص النور يمتص الدُّجى
وامضِ للشطِّ بقلبٍ ثابتٍ　　تلق في قلب الصعاب الفرجا (٢)

ومن الصور المستقاة من البحر ما التقطه الشاعر أبكر المشرعي ، حينما صوّر أنَّ النفوس العظيمة تحمل في أعماقها الخير والحب وجمال الأخلاق ، وتمتحن عند الشدائد، وأما المظاهر فهي لا تبرز المعدن الحقيقي للإنسان ، مثلما البحر يحمل في أعماقه اللآلئ الثمينة ، وأما المحار الغث فبالإمكان الحصول عليه في المياه الضحلة ، يقول :

وكريمُ المحار في العمق أثرى　　باللآلي والضحل بالغث راسف (٣)

ودائماً يجنح الشعراء إلى اختيار الشراع الذي تلوي به الرياح يمنة ويسرة مماثلاً

(١) أول الغيث : ١٠٣ .
(٢) جراح قلب : ٢٦ .
(٣) التاريخ الأدبي لمنطقة جازان : ٣ / ١٣٨٦ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

لعواطفهم وما يعترضهم من صعاب ؛ كما في مثل قول علي بن حسين الفيفي :

والشوق يعصف بالمحب كأنه موج ببحر حركته رياح
وكأن آمالي شراع سفينة بالٍ يحاول رقعه الملاّح[1]

ولعل السبب في ذلك الاختيار للشراع ، هو أنَّ الشراع في موقع المسؤولية المباشرة عن توجيه المركب ، فكيف به إذا كان شراعاً بالياً ، والملاح يحاول رقعه وسط الأمواج المتلاطمة التي تذكيها الرياح العاتية ، إنها صورة ماثلة للعيان ومعبرة أتم التعبير عن نفسية الشاعر ، كان البحر بمفرداته ومحتوياته مصدرها ومنطلقها إلى وعي الشاعر وإدراكه الفني .

وشعراء فرسان هم أكثر الشعراء ركوباً للبحر واصطياداً للصور من جوف أعماقه ، ولذا يندر أن تجد قصيدة لواحدٍ منهم ليس للبحر فيها ذكر أو إشارة ، لا سيما إبراهيم مفتاح وحسين سهيل ، ومن صور الأول المستقاة من البحر قوله :

نحن في عالم يموج اضطراباً ومصير السباح رهن الأيادي
والهزيل الضعيف يغرق حتما وأولو العزم حوله في ازدياد[2]

ولم يفقهم – أي شعراء فرسان – أحد من شعراء جازان سوى إبراهيم صعابي الذي يحق لنا أن نطلق عليه اسم (شاعر البحر) ؛ لكثرة ماتردد في شعره من صورٍ بحرية ، ولقطاتٍ مائية ، تمثلت حتى في عناوين دواوينه ، مثل (حبيبتي والبحر) و (زورق في القلب) و (وقفات على الماء) ، وغيرها .

وإضافة إلى الصور المنتزعة من البحر وعالمه نجد أنَّ الموارد المائية الأخرى لم تغب عن بال شعراء جازان وهم يصورون تجاربهم الحياتية ، أو يعرضون أفكارهم ومشاعرهم ، فالجداول الصغيرة نجد صداها في مثل قول العقيلي مصوراً الأثر الحسن

(١) أصداء الذكريات : ٢ .
(٢) عتاب إلى البحر : ١٥ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

الذي تركه نبأ إلغاء رسوم الحج التي كانت تؤخذ على نفوس المسلمين :

هــز أوتــار قلــوب وجــرى　　كـــالنمير العـــذب يـــروي

فالخبر المفرح كان ينتقل من مكان لآخر **كأنه ذلك الجدول الدين**[1] الذي يشفي الظمأ ، ويريح النفوس .

أما أبرز الصور التي استعارها شعراء جازان من الطبيعة المتحركة الحية (الصائتة) المنطلقة من عالم الحيوان والطير والحشرات فأكثرها تدور حول الطيور في شعر محمد بن علي السنوسي ؛ إذ نجد عنده النسر والصقر والحمام والبلابل ، ومن ذلك قوله :

والنسر ينفض من جناحيه الندى　　قبــل الـصعود إلى الـسماء مبكـرا [2]

وقوله :

نهـض الـصقـر والـسماء حواليـ　　ـيه سحابــاً وبارقــاً وشــعاعا [3]

وقوله :

هبّ من نومه يغنّي كما غنَّى (م)　　على الأيك بلبل غريـد [4]

وقوله :

وشدا في الفروع صادح أيكٍ　　جـاوبت لحنـه الرقيـق حمامـه [5]

والسنوسي أكثر من استقى مصادر صوره من معالم الطير ؛ لكثرة وجوده في بيئته المحلية والريفية التي نشأ فيها .

وكذلك عمد العقيلي إلى استقاء كثير من صوره من معالم الحيوان والطير ، فمما ورد من صور الطير في شعره تشبيه نفسه بالبلبل الغريد ، إذ يقول :

---

(١) المجموعة الشعرية : ٢٤٠ .
(٢) الأعمال الكاملة : ٢٣ .
(٣) المصدر السابق : ١٧٤ .
(٤) المصدر السابق : ٤٠٧ .
(٥) المصدر السابق : ١٣٠ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

شادياً كالبلبل الغرّيد في　　دوحه حيّا تباشير الصباح (١)

وشبه العقيلي ممدوحيه بالليث في أبيات كثيرة ، وأكثر من استغلال صورة الصراع بين الحيوانات المفترسة في الغابة فنقله إلى بني البشر وما يدور بينهم من صراع ، ومن ذلك قوله مصوراً بعض ملامح الصراع العربي الإسرائيلي :

فظلَّ كالليث مجروحاً يئن وفي　　أنينه كل ما يؤدي به النزعُ

يلاحظ الغاب قد عاثت بحرمته　　ثعالب البيد واستشرى به الضبعُ (٢)

وقد ينتزع بعض الشعراء – ومنهم العقيلي تشبيهات جميلة متصلة بعالم الحيوان ،لا سيما الأسد يشبه فيها الجماد بالحيوان ، كما فيقوله يصف الطريق إلى قمة (إفرست) :

في مسلكٍ كنيوبِ الليث كاشرةٍ　　والنوء مصطفقٌ والغيمُ نوّارُ (٣)

ووردت صورة الغزال كثيراً عند الشعراء في موطن تشبيه المحبوبة به ، وهي صورة تراثية ، ولكنها منطلقة من الطبيعة المحيطة بالشعراء ، والمألوفة في أذهانهم إلى عهد قريب ، فالعقيلي يصف المحبوبة قائلاً :

غزالٌ حباه الحسن أوفر حلةٍ　　كأنّ عليه الدهر أصبح راضيا (٤)

وترد المهرة أيضاً في قوله :

تتيه جمالاً وتزهو اختيالا　　وتأرن كالمهرة الخائفة (٥)

ونجد في صورالسنوسي (المها) ، حيث يقول :

ومشت حولها المها تقطف الزهـ　　ـر وتحسو الندى وترعى خزامه (٦)

ونرى (الحيّة) ماثلة في مصادر صور الشعراء ، وهي جزء لا يتجزأ من الطبيعة

(١) المجموعة الشعرية : ١٦٠ .
(٢) المصدر السابق : ٧٣ .
(٣) المصدر السابق : ٣٨٦ .
(٤) المصدر السابق : ١٨٥ .
(٥) المصدر السابق : ٢٠٢ .
(٦) الأعمال الكاملة : ١٣٠ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

المتحركة المنظورة في بيئة شعراء جازان ، نجد ذلك في مثل وصف السنوسي إذ يقول :

فـــإذا حيـــة تطـــل عليـــه　　ثـم تطـوي إلى مـداه حبـالا (١)

وفي مثل وصف العقيلي للطبيعة الجميلة في جزر (هاواي) ، فشبه الينابيع الملتوية بين الغابات بالحيات الزاحفة بين الحشائش ، فيقول :

ترى الينابيع كالحيات سارية　　بين الحشائش في وضحٍ وإخفاء

ومن أروع الصور التي تنطلق من مرأىً الحيوان ، ما جاء في مقارنة الشاعر عبدالواسع سعيد عبده بين الماضي والحاضر بين الثور والمحراث والآلة ، إذ يقول :

يسير الثور مختالاً راقص الخطوات
ويزهو قائلاً : عدنا رويدك هذه الطرقات
رويدك إنني المحراث والمجراف والأدوات
غداً خطواتنا ألقاً تترجم أروع الغلات (٣)

جـ- الإنسان :

لقد برزت عند شعراء جازان المجازات التي تبرز فيها مشاعر الإنسان وعلاقاته وحركاته وأعضاؤه ، وهي – في الوقت ذاته – تعد مصدراً مهماً من مصادر الصور ومكوناتها .

ويعد العنصر الذاتي في الصورة الشعرية ذا حضور كبير وفاعل من حيث إكسابها الحيوية والصدق في التعبير عن الأشياء التي يريد الشعراء تصويرها ، فقد استطاعت الصورة الشعرية من خلال ارتباطها بذات الشاعر الإفصاح عن كثير من الجوانب النفسية الدقيقة المتعلقة بوجدانه ،سواء أكانت تلك المشاعر حزينة أم سعيدة

(١) المصدر السابق : ١٧٨ .
(٢) المجموعة الشعرية : ٦٦٩ .
(٣) دوائر الصمت : ١١ – ١٢ ، والتاريخ الأدبي لمنطقة جازان ، للعقيلي : ٣/ ١٧٨٢ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

متعلقة به وحده أو مع من يحب .

فالسنوسي يعجب بمنظر الغروب ، ويخلب لبه ذلك المشهد ، فيعمد إلى تصويره ورسمه ، فينتقي من صفات الإنسان ما يلائم تلك الهزة الشعورية التي تصورها في الغروب ، فكانت لقطات تصويرية رائعة ، جاءت في قوله :

أراق على البحر ذوب الذهب وفاض على موجه واضطرب
ورقرق صهباءه فاحتست ثغور الذرى وشفاه الصبب
وألقى على الشمس من لونه رداءً وقبَّلها وانجذب (١)

والعقيلي شخَّص الطبيعة في كثير من قصائده ، وألقى عليها صفات بني البشر ، فمن ذلك قوله عن البحر :

والشطُّ يطفح منساباً على دعةٍ مجعَّد الوجه يستدني ويندحرُ
يداعب الرمل في أثناء وثبته وينكفي راجعاً قد مسَّه حصرُ (٢)

فالدعة والوجه المجعد ويستدني ويندحر والمداعبة والوثبة وسواها كلها من صور مستقاة من عالم الإنسان وحالاته المختلفة .

وكانت المرأة هي الأبرز والأظهر في صور العقيلي المنطلقة من عالم الإنسان ، من ذلك تشبيه وادي جازان حين شقّته المياه فاخضرّ وازدهى بالحسناء البهية الطلقة ، وجعل خرير الماء كنشيد الحور ، فيقول مصوراً الوادي :

كأنّه الكاعب الحسناء قد وُهبت شطر الجمال على ضنك وضرّاءِ
تنهلُّ في صببٍ تفترُّ عن حببٍ كومضةٍ من لمى لعساء لمياءِ
في نغمةٍ كنشيد الحور ساحرةٍ قدسية اللحن في رجعٍ وأصداء (٣)

وشبّه -أيضاً- قطرات الندى في الصباح الباكر وهي تتساقط من أغصانها

(١) الأعمال الكاملة : ١٢١ .
(٢) المجموعة الشعرية : ١٤٨ .
(٣) المصدر السابق :٤٤٦ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

بدموع الغواني الحسان ، فيقول :

يندى النسيم جماناً من معاطفه　　يحكي سقيط دموع الخرّد العُرب [1]

ومن الصور الرائعة المستقاة من عالم الإنسان ومشاعره صورة البسمة التي تموت على الشفاه ، ولم تجد مبسماً تنطلق منه بسبب الحزن الذي منع الفم من الانفتاح ، صورة شبه بها الشاعر أحمد البهكلي حالته الحزينة جرّاء مآسي المسلمين ، التي أعاقت براعم الورود من أن تتفتح وهي كناية جميلة ، فيقول :

وإن أنجد الذئب يوماً وما　　تأذَّى فليثُ الشرى أتهما

أتيتك يا سيدي – حيّني –　　معي وردةٌ لم تزل برعما

حنانيك ما كنت إلا كما　　ذوت بسمة لم تجد مبسما [2]

والشاعر علي النعمي تعمّد في كثير من صوره أن يصلها بعالم الإنسان ومفرداته ومشاعره ، ومن ذلك قوله :

وجه الحياة وإن تهلل عابسٌ　　لا خير في الدنيا إذا لم تمرع

لكنه صحراء تعوي وسطها　　هوج الرياح على حطام الأربع

مر السحاب بها فكفكف ماءه　　ضنَّا به عنها .. وقال لها : ابلعي [3]

فهو هنا يتحدث عن ذاته المعذبة ، وما واجهه في الحياة ، التي تكشفت له عن حقيقتها ، فرصد لها مفردات مثل (الوجه ، التهلل ، العبوس ، فكفكف ، ضنَّا به ، قال لها ابلعي) ، وكلها من خصائص الإنسان ، محاولة من الشاعر في جعل القارئ يتفاعل أكثر مع معاناته ، وتكثيفاً للخيال ، ومحاولة أخرى لتقريب الصورة الذهنية في أوصاف محسوسة من واقع الإنسان وصفاته .

---

(١) المصدر السابق : ٥٠٧ .

(٢) طيفان على نقطة الصفر : ١٠٢ .

(٣) الأرض والعشق : ٨٤ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ومن الصور التي أخذها الشاعر علي بن حسين الفيفي من حياة الإنسان وصفاته ، قوله مصوراً اليأس بأنه رجل هزيل أحدب الظهر شاحب الوجه :

فإذا اليأس ماثلٌ نصب عيني شاحب الوجه ، أحدب وهزيل [1]

والليل في نظر الشاعر أحمد الحربي وتصويره يحمل من صفات الإنسان الالتهام في مطاردته للنهار ، إذ يقول :

الليل يلتهم النهار

وأنا أهيم على الشواطئ والقفار [2]

والغنم ترقص إذا سمعت صوت مزمار الراعي كما في شعر محمد حمود حبيبي ، إذا يقول :

إذا دغدغ الناي إصبعه رقصت غنم الحي منه [3]

وهي صورة مأخوذة من عالم الإنسان وصفاته.

ثانياً - وسائل التصوير :

إنَّ المهمة الأساسية للصورة هي إيضاح المعنى وبيان المراد عند تمثيل الغائب الخفي الذي لا يعتاد بالظاهر المحسوس ، أو في الغلو والمبالغة عند تمثيل الشيء بما هو أعظم وأحسن[4] ، أو في تجسيم المعاني اللطيفة التي هي من خبايا العقول وتلطيف الأوصاف الجسيمة حتى تعود روحانية كما يقول عبدالقاهر الجرجاني[5] .

وتؤدي الصورة في المفهوم النقدي الحديث تلك الوظائف التي بسطها النقاد القدامى بمصاحبة وسائل تعبيرية أخرى كالألفاظ والموسيقى والبديع ، ومع هذا فإنها

(١) الهمس الخافت : ٢٩.
(٢) رحلة الأمس : ٣٢ .
(٣) انكسرت وحيدا : ٣٤ .
(٤) انظر : سر الفصاحة ، لابن سنان الخفاجي : ٢٣٥ .
(٥) أسرار البلاغة ، لعبدالقاهر الجرجاني، تعليق السيد محمد رشيد رضا : ٣٣ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

تتميز بأدائها دوراً نفسياً خاصاً ، حيث تسهم في نقل التجربة الشعرية التي عاناها الشاعر إلى المتلقي ، وتحاول أن تكشف عن حقائق غائبة ، يعجز التعبير العادي عن ارتيادها ، ولكي تؤدي الصورة هذا الدور ((**لا بدَّ من أن تساير الانفعال وجوَّه ، وتتواءم مع الفكرة ، وإلا تكشفت عن زيفٍ انفعالي أو زيف فكري**))[1] .

ومن المعروف أنّ الشعر يخاطب الوجدان الإنساني ويؤثر فيه ، وحتى تتحقق له هذه الخاصية فإنه يتوجب على الشاعر التأثر بالتجربة التي يود نقلها إلى الآخرين .

وتكتسب الصورة الشعرية – سواء اعتمد فيها الشاعر على المجاز بأساليبه وطرقه المختلفة أم على الحقيقة – الحيوية ، وتكون قادرة على النفاذ إلى أعماق المتلقي إذا كانت صادرة عن تجربة صادقة عاناها الشاعر وتأثر بها ، وإن لم يكن ذلك فإنَّ الصورة تموت قبل أن تصل إلى الآذان والأحداق ؛ لهبوطها وبرودها .

والشاعر المبدع هو الذي يستطيع تجسيد عواطفه وأحاسيسه ويجلوها في صور شعرية، تعبر عن خلجات حسه ومكنون وجدانه .

وبتأمل صور عددٍ من شعراء جازان التي اعتمدت على الأساليب المجازية أو الحقيقية نلمس حضور خيالهم المحلق ، وتدخّلهم في رسم أبعاد الصورة ، وإلباسها الظلال والإيحاء والألوان والحركة .

وبإمكاننا تلمس ذلك في وصف الشاعر محمد السنوسي لأذان الفجر وما يصاحبه من تجدد في الحركة والحياة ، بعد ذهاب الليل وهدأته وسكونه ، إذ نلمح خيالاً واسعاً في التقاط أجزائه الصورة من الأفق البعيد ، ومن ثم جمعها عن طريق قوة لغوية عالية في التنسيق والترتيب ، كما في قوله :

ارتفاع الأذان فوق المآذن　　في انبلاج الصباح والليل ساكن
دعوة تحمل الحياة إلى الكو　　ن وسكانه قرى ومدائن

(١) الأدب في التراث الصوفي ، للدكتور محمد عبدالمنعم خفاجي : ٢٢٤.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ونـداء مـن الـسماء إلى الأر　　ض إلى ظاهـر عليهـا وباطـن
ولقـاء بـين المـلائك والإيـ　　ـمان والمؤمنـين مـن غـير آذن
وانطلاق إلى الفلاح إلى الخيـ　　ـر إلى الحـق والهـدى والمحاسـن
كلمـا ردد المـؤذن لفظـاً　　شعشع النور وانجلى كل غاين
نغمـات كأنهـا نـسمات　　رقرقتهـا خمائـل وجنـائن
تتندى بهـا النفـوس وترتـا　　ح ارتيـاح الربـى بقطـر الهـواتن[1]

فالصورة هنا ((حية متحركة ، تتلاحق فيها الأجزاء مكونة الصورة الكبرى : ارتفاع الأذان ، في انبلاج الصباح ، والليل ساكن ، ولقاء بين الملائك والإيمان والمؤمنين من غير آذن ، ودعوة تحمل الحياة إلى الكون كله . هذا التتابع أعطى الصورة قدراً كبيراً من الجمال ثم إنَّ الخيال ألبس الصورة ثوباً بديعاً ، اعتمد فيه الشاعر على الأشياء المحسوسة لتقريب المعنى ، فنغمات الأذان كالنسمات العليلة في الخمائل والجنائن ، والنفوس ترتاح لتلك النغمات ارتياح الروابي لقطرات المطر الذي يبعث فيها الحياة والإخصاب . وهذا التنظير بين المعنويات والمحسوسات أسهم في إدراك الصورة وتجليتها))[2] .

والوسائل والأدوات التي استعان بها الشعراء لإبراز تجاربهم الشعرية في صورٍ فنية كثيرة ، ومن أهمها :

(١) الأعمال الكاملة : ٥٤٥ – ٥٤٦.
(٢) الاتجاه الإسلامي في الشعر السعودي الحديث ، قيمه الفنية في موازين النقد ، لمحمد عبده شبيلي : ١٨٣ ، وانظر : الاتجاه الإسلامي في شعر السنوسي ، لمفرح سيد : ٣٨١ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

أ- التصوير البياني :

لقد أكثر شعراء جازان من الصور الجزئية القائمة على المجاز ، واستأثر التشبيه بالنصيب الأوفر منها يليه الاستعارة ثم الكناية .

وكانت تشبيهات الشعراء نابعة من مصادر التصوير التي سبق ذكرها وهي الذاكرة التراثية وما حفلت به الطبيعة وما تثيره علاقات الإنسان في هذه الحياة من علاقاتٍ تعلّق الشعراء بأذيالها ، واستقوا منها صورهم المختلفة .

فمن التشبيهات البديعة في شعر العقيلي قوله مقربًا الصورة إلى المتلقي واصفاً شدّة لواعج فؤاده ، وفرط حبه لجازان ، بأن قلبه كالسراج يضيء لمن حوله ويحرق نفسه:

مشبوب أرجاء الشغاف يلوح من　　خلل الأضالع كالسراج الباكي (١)

وهو بهذا التشبيه يعالج حالة نفسية ، ومعاناة ذاتية أمكن رصدها عن طريق التشبيه .

وكذلك الحال حين صوّر الصداقة بأنها مرآة تكشف عن محاسن ومساوئ الناظر إليها بقوله :

دنيا الصداقة نهرٌ مترع الماء　　صافي الصحيفة كالمرآة للرائي (٢)

وتشكل الصور المجازية النصيب الأكبر من مجموع صور الشاعر محمد السنوسي، وأكثر الصور المجازية شيوعاً في شعره ما جاء عن طريق الاستعارة ، يليها التشبيه ثم الكناية ، فالمجاز المرسل ، وقد قلّت عنده التشبيهات التقليدية التي وقف فيها عند تشبيه محسوس بمحسوس ، كتشبيه الممدوح بالشمس في مثل قوله :

كأنك فيه الشمس والشمسُ كوكب　　أجلك يا مولاى عنها وأرفعُ (٣)

ولم تكن الصورة التشبيهية عند شعراء جازان لتتخذ دوماً نمط التقارب والاتفاق بين الطرفين ، وإنما تقابلنا صور أخرى جمع بينها الشعراء على سبيل البعد واستحالة الالتقاء ؛

(١) المجموعة الشعرية : ٣٢٥ .
(٢) المصدر السابق : ٥٣٧ .
(٣) الأعمال الكاملة : ٢ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وذلك إما لبيان قدر المشبه وقيمته إذا ما قورن بغيره ، كما في قول العقيلي :

وطلح كأشباح الأساطير في الدجى　　وفي النور بحرٌ ماج من خضرةٍ رغوا

يطل على زرق الغيول كأنها　　مرايا تطرّيها الأزاهر والنَّوا[1]

فتشبيه أشجار الطلح بأشباح الأساطير تشبيه محسوس بمعقول أو بمتخيل غير موجود، وهو إن كان له أصل في الذاكرة التراثية ، إلا أنَّ الشاعر قد عضد ذلك التشبيه بتشبيه آخر بعده حين شبه صفاء مياه البحر بالمرايا ، مما أعطى الصورة التشبيهية بعداً فنياً جديداً .

وكثير هم أولئك الشعراء الذين يرفدون تشبيهاتهم المنتزعة من التراث بتشبيهات تكاد تكون فريدة أو جديدة تعضد التشبيهات المكرورة وتقوي من أمرها ، من هؤلاء الشعراء علي السنوسي في مثل قوله :

تغربُ الشمس وهي صفراء لوناً　　غيرةً من جمالها واكتئابا

وعجيباً لطبعه كيف يسقي　　عسلاً من سقاه مُرّا وصابا

ليست الأرض ذات رحبٍ ولكن　　صدره أوسع الصدور رحابا

وأقاموا يحاولون دنوّاً　　من مقاماته فخاضوا عُبابا[2]

فغروب الشمس صفراء غيرة وخجلاً من جمال تلك المحبوبة تشبيه مكرور في الشعر العربي ، ولكن محاولة الشاعر لرفده بتشبيهات أخرى مليئة بالحركة والحيوية ، مشتملة على تشبيه مقلوبٍ ، وتشبيه محسوس بمحسوس ، وتوالي التشبيهات يزيد في تكثيف الصورة ، وتساعد على الارتقاء بالنص ونقله من عالم الذهن إلى الواقع المحسوس والمشاهد .

وتمثل الصورة الاستعارية مرحلة أنضج وأدق في العملية الإبداعية المعتمدة على التصوير البياني ، فهي – أي الاستعارة – تقوم على المشابهة إلا أنها تستدعي حذف أحد طرفي التشبيه ، وذلك يستغرق الشاعر جهداً فنياً وجمالياً في إنشاء العلاقات الخفية

(١) المجموعة الشعرية : ٢٨٩ .

(٢) المفقود من شعر علي بن محمد السنوسي : ١٥٣ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

وتجاوز المألوف منها إلى صور جديدة تقوم على تحريك الذهن ، وإيقاظ الخيال وتنشيطه بالتشخيص والتجسيد مما يجعلها أكثر ثراء وجمالاً – كما سيأتي – .

وساعدت الكناية كذلك في التشكيل الفني والجمالي لصور الشعراء في جازان ، وقدّمت كثيراً من الإيحاءات ، وعبّرت عن معاني الشعراء بطريقة موجزة رائعة تجعلها أكثر ثباتاً في الأذهان وعلوقاً بالنفس .

ومن تلك الكنايات الواردة في شعر جازان قول الشاعر حسين النجمي :

وحيداً
يسامرني الموج
والأغنيات العذاب
التي قتلتها
حراب السماء
مددت يدي
نحو نجم ولكنه
فضل الاختباء (١) .

فصورة الشاعر الوحيد الذي طال سهره جاءت معبّرة عن نفسية الشاعر بدخول عنصر الكناية في قوله : (حراب السماء) كناية عن النجوم ، في لقطة تصويرية جميلة ، فجعلها كالحراب التي تقتل آماله بسطوع فجر جديد ، ينهي ليلة ثقيلة ، وكانت كلمة (السماء) مفسرة للكناية وموضحة لها ، ولكن الشاعر جاء في آخر المقطع وصرّح بالكلمة المكنى عنها مما أفقد الصورة الشعرية شيئاً من الخفاء الذي تجمل به الكنايات عادة عند قوله :

نحو نجمٍ .. ولكنه .

(١) تأملات على مرافئ الغربة : ٤٦ – ٤٧ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ومن الصور المعتمدة على الكناية المشابهة لصورة حسين النجمي السابقة المعبرة عن طول الليل قول الشاعر حسين سهيل :

وعقاربُ ساعاتي
تحمل أثقالاً
تتعثر في ميناء الزمن الجاري
تخطو في بطء كسالى
يا صبحي الآتي
يا فجراً يرضع من ثدي الليل (١) .

فصورة الفجر وهو يرضع من ثدي الليل جاءت كناية عن طول الليل وثقله وبطء انسلاخه ، فهو ينساب رويداً رويداً كما القطرات التي تنساب من الثدي ، ويحتمل – أيضاً – أنَّ الصبح الذي طال انتظاره كلما أراد أن يبزغ أوقفته الهموم – في نظر الشاعر – وأمدته بشيء من ظلام .

ولم تكن الصور المجازية هي المنطلق الوحيد للشعراء ، بل هناك عدد من الصور الشعرية اعتمد فيها الشعراء على عبارات حقيقية الاستعمال تحمل خيالات واسعة وخصبة ، ودقة في التصوير (٢) ، قد لا تضاهيها التعابير المجازية ، خاصة إن استطاع الشاعر استثمار طاقات الألفاظ التي تكتنزها في ذاتها سواء من خلال هيئتها وجرسها ، أم الظلال والمعاني التي توحي بها .

فالسنوسي – مثلاً – يعمد في تصويره عن طريق العبارات الحقيقية الاستعمال – أحياناً – على بعض الألفاظ القادرة على رسم المعنى المراد من خلال جرسها أو ظلها . من ذلك استخدامه للفظة (ضعضعوا) في الدلالة على قوة الجيوش الإسلامية التي

(١) أشرعة الصمت : ٥٠ .
(٢) انظر : النقد الأدبي الحديث ، للدكتور محمد غنيمي هلال : ٤٣٢ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

خاضت المعارك الضروس ضدّ الفرس والروم ، وقد ساعد على ذلك صوتا (الضاد) و (العين) المتكرَّران في قوله :

فلقد ضعضعوا قوى كل دهقا　　ن وعلجٍ وأنقذوا كلَّ عاني (١)

ب- الصورة الحسية :

تعتمد أكثر الصور في علاقتها بالمتلقي على إثارة حاسة من حواسه الخمس ، وقد وردت تلك الصور الحسية في شعر جازان بنسب متفاوتة ، لكن الصورة البصرية ظلت هي المسيطرة على معظم قصائد الشعراء .

ومن الأمثلة على الصور المعتمدة على حاسة البصر ، قول علي النعمي على لسان مشرّد :

أشكو من الجور والأواء لا أحد　　يرق لي فكأني صاحب الجربِ
مشردٌ وجراحاتي تنز دماً　　بلا قرار وهل يشفي من الوصبِ
قلب تردد في نفسٍ مروّعةٍ　　تسقى المرارات تحيا الدهر في كُربِ؟(٢)

فمرأى ذلك المصاب بالجرب الذي تنز جراحاته دماً يشيء بصورةٍ مروعة حقاً لما يعانيه ذلك المشرد من تجاهلٍ وعدم اهتمام ووحدةٍ قاتلة ، كلٌّ يريد التخلص منه والتنصل من تبعاته .

ومن الصور البصرية الواردة في شعر أحمد البهكلي قوله رامزاً إلى كثرة السفر والترحال ومواصلة الانتظار والأمل ، حتى لكأنما هو يلوك الأيام شوقاً ليصل إلى ما يحب :

إذا تمليتها أدني طيوفَ فتًى　　مازال يقلقُ فيك السَّرج والرَّسنا
يلوكُ أيامه في النأي منتظراً　　يوماً يرى فيه ذاك المربع الحسنا (٣)

ومن الصور القريبة من صورة البهكلي البصرية السابقة تشبيه مهدي الحكمي

(١) الأعمال الكاملة : ٥٦٨ ، وانظر الاتجاه الإسلامي في شعر السنوسي ، لمفرح سيد : ٣٨٨ – ٣٨٩ .
(٢) الرحيل إلى الأعماق : ١٠٤ .
(٣) طيفان على نقطة الصفر : ١١٦ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

طول الليل وما يصاحبه من أرق بقوله :

فارقت هذا الليل يعلك نجمه　　أرقاً ، وغادرت الفؤاد طريحا (١)

ومن الصور البصرية الرائعة في شعر جلوي الحكمي تصويره محاربة الزمان له ، فهو يزرع أمانيه ويتعهدها بالسقي والزمان يعيث في ذلك الزرع ، وأنَّ الهموم ملازمة له لا تبرح ، حتى وإن حاول التخلص منها ، يقول :

لم أزل أزرع الأماني وأسقي　　ويعيث الزمان في بستاني

أنفث الهم من فؤادي دخانا　　فيعيد الشهيق كل دخاني (٢)

وأبرز ما تتميز به الصور البصرية لدى شعراء جازان وجود عنصرين مهمين فيها ، هما اللون والحركة .

وكما هو معلوم فإنَّ للّون أهمية كبيرة في تشكيل الصورة ، وأدائها لوظيفتها الفنية والشعورية . والحديث عن اللون في الصورة البصرية يقودنا إلى إبراز أي الألوان أكثر شيوعاً في صور شعراء جازان ، ودلالاتها النفسية .

فلو تأملنا صور الشاعر محمد بن علي السنوسي نجد أنَّ أكثر الألوان بروزاً في شعره هو اللون الأبيض ، يليه اللون الأسود ثم الأخضر ، فالأبيض لدى السنوسي رمز الأمل الذي يتمنى تحققه ، والأسود رمز الاستكانة والتأخر وعدم بلوغ الهدف والاكتئاب . فقد ينعت يد الملك بالبياض ؛ لأنه يراها الأمل في تحقيق آمال المجتمع :

إلى ملكٍ له في كل وقتٍ　　يدٌ بيضاء تنسكب انسكابا (٣)

ويشبه ما يحدث من ظلم العدو وطغيانه بالظلام ، فيقول :

فإليه إلى الجهاد فلا والـ　　ـله يمحو الظلام إلا الجهاد (٤)

---

(١) لا تسلني عن جراحي : ١١ .
(٢) قبل أن ينضب الأمل : ٤٣ .
(٣) الأعمال الكاملة : ٢٤١ .
(٤) المصدر السابق : ٤٩٣ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

وقد يمزج اللونين المتناقضين الأبيض والأسود ؛ لإظهار شدّة التمايز بين الصورتين كقوله :

ليلة ما تنفّس الصبح عن مثـ　　ـل سناها على ثرى الصحراء
فـردة فـذة تنـوء بـسرٍّ　　أبيـضٍ فـي دجنّـة سـوداء (١)

ويستخدم السنوسي اللون الأخضر في تصوير الشيء الذي يعجب ويطرب ، ويضفي على النفس البهجة والأريحية ، من ذلك تصويره للعيش الهانئ القرير الذي يعيشه الفلاح الفقير الذي لم تكدر حياته الآلام والمتاعب التي يحياها الأغنياء ، يقول :

رب كـوخٍ يـضمّ زوجـين كالطفـ　　ـلـين طهـراً ورقـة كالأقـاح
يمـلآن الحيـاة شـدواً ويختـا　　لان زهـواً في غبطـة وارتيـاح
ويعيـشان في هـدوءٍ بـريء　　من فضول الغـنى وكد الشحاح
نعمـا بالحيـاة في ظـل عيـشٍ　　(أخضرٍ) من قناعـةٍ وانشراح (٢)

وأكثر الألوان شيوعاً في شعر محمد العقيلي كذلك هو اللون الأبيض ، وما يتعلق به من نور وضياء وإشراق ولمعان ، وهذا اللون رمز الأمل والتفاؤل ، ولا تكاد تخلو منه قصيدة من قصائد العقيلي ، ومن ذلك قوله :

حتى تحققت الآمال وابتهجت　　بيضُ الأماني وهلَّ النصر يبتسمُ (٣)

وينجح العقيلي كثيراً في تصويره حتى تتداخل الألوان في صورته ، فمن ذلك قوله واصفاً الفكرة الشعرية حينما تأتي :

بدت شعلةً حمراء يضمرها الدجى　　فتخبـو ويـذكيها اليقـين إذا هبَّـا (٤)

---

(١) المصدر السابق : ٢٦١ ، وانظر : محمد بن علي السنوسي حياته وشعره ، لمحمد القسومي : ٢٣٠ – ٢٣١ .
(٢) الأعمال الكاملة : ٣٣٥ – ٣٣٧ .
(٣) المجموعة الشعرية : ٢٣ .
(٤) المصدر السابق : ٢٢١.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

فالفكرة الشعرية تبدأ شعلة حمراء متوهجة في دجى ليل حالك ، ثم تخفت شيئا فشيئاً إلى درجة الانطفاء ، لكن اليقين بالفكرة يذكيها ويعيد توهجها من جديد .

وتتداخل الألوان أكثر فأكثر في قوله واصفاً جازان :

تتوسدين ذراع أحمر زاخرٍ كالتبر ذوباً والشعاع رداءَ
متلألئ الأمواج في رأد الضحى متألقاً ضافي الجلال مساءَ
يرتاد منه اللحظ أصفى زرقةٍ من لازورد يغمر الأرجاءَ
كقطيفةٍ زرقاء قد نثرت بها جزرٌ كإشراق النجوم صفاءَ [1]

ففي هذه الصورة البصرية تتزاحم الألوان ، الأحمر والذهبي والنوراني وقت المساء ، فترسم لوحة فنية متداخلة العناصر مكثفة المعاني . كما أنَّ الزرقة مع اللون الازوردي ثم مجيء التشبيه البصري الملون في البيت الأخير ارتقى بفنّية الصورة ، التي من خلالها نستطيع أن نستشعر مظاهر الفرح والانتشاء والإعجاب في نفس الشاعر [2] .

وبتتبع صور الشعراء ، نلمح ظهور بعض الألوان الطاغية على لوحات بعض الشعراء بشكل ملفت للنظر ، فعلي النعمي يكثر عنده اللون الأخضر في قصائده الريفية والوصفية والتأملية كردة فعل لما يعانيه من بؤسٍ فهو ينشد الأمل ويطارد الأمنيات علّه أن يظفر بها ، ومن ذلك قوله واصفاً حال فتاة ريفية :

فرنت للأفق تخفي ألماً لتلاقي أملاً في أفقِ
باسما حلواً حفيلاً بالرؤى ذا ضياء أخضر منبثقِ [3]

ويكثر اللون الأسود في شعره المتعلق بالقضايا الإسلامية والاجتماعية ممثلاً لروح متشائمة ونفسٍ يائسة ، كما في وصفه للخواطر التي تتماوج في عقله وهو يفكر في

(١) المصدر السابق : ٣١٩ .
(٢) انظر : شعر محمد أحمد العقيلي ، دراسة تحليلية ، لخالد الشافعي : ٤٤٢ .
(٣) الأرض والعشق : ١٣٢ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

حال المسلمين :

هـذي الخواطر أي شيء ساقها　　نحوي وكيف تكدست في الحال ؟
سـوداً تمد بكـل ظفـر جـارح　　حمـــراً تمـــجُّ بأحمـــرٍ سيّـــالِ
والأحمر القاني يلاصق أسوداً　　كالتوأمين .. فيـال شؤم الفـال ! (١)

واللون الأزرق هو الطاغي على صور أحمد البهكلي البصرية ، وهو تعبير عن المواقف التي يصاحبها التملق والنفاق في هذا العصر ، ومن الصور الممثلة لهذا اللون قوله :

ومـا تجدي الـضراعة والتـشكي　　إذا أمـسيت في كنـف المحـاق
وهب سود العيون غفت أتمضي　　وقد سهرت عيون الازرقاق (٢)

وكذلك قوله :

ومالك في ساع الملمات غيرُ مَنْ　　تسامق عن لثم لأحجار أعتابِ
ولله لا للأعين الزُّرقِ حُبّه　　إذا ازرَقَّ حبٌّ في قلوبٍ لأذنابِ (٣)

ولم يكن اللون طاغياً على شعر أحدٍ من شعراء جازان ، كما هو الحال عند أحمد الحربي ، لا سيما اللون الأخضر الذي ورد في شعره أكثر من ثلاثين مرة ، من مثل قوله :

يغسّله الندى المسكوبُ
حين يسحّ أمطاراً
على خدّ البراري الخضر
تعرفه أخاديدُ الرمال البيض موالاً (٤) .

وكذلك قوله :

---

(١) الرحيل إلى الأعماق : ١٣ .
(٢) أول الغيث : ١٨ .
(٣) المصدر السابق : ١١٢ .
(٤) تقاسيم على جذع نخلة الوادي : ٤٥ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

تلفّت القلبُ الصريعُ ، ولم يجد غير الرجاء
ولّى الربيع ولم تزل أوراقنا الخضراء
ترسم لوحة جذلى على جفن المساء(٧٦) .

وكذلك نجد هذا اللون في قوله :

وعلى انشطار (الكرخ)
تاهت في دروب الحزن (حيفا)
وكل المغرمين تنازعوا
شرفاتك الخضراء
يرتجفون خوفا .. ؟ (٧٧) .

وغير خافٍ ما في هذه الصور من تعبير موفّق وموافق للتجربة الشعرية وموضح أتمَّ توضيح لما يريده الشاعر ، والفرق بين الشاعر والرسام ، هو أنَّ الرسام يواجه المتلقي حسياً باللون ، ولكن الشاعر يبعث فينا اللون من خلال الرمز بالكلمة ، ويثير فينا أثراً نفسياً آخر يتشكل من خلال تجربته الخاصة .

وكما تأتي الصورة البصرية ملونة فإنها كذلك تأتي حركية ، كما في قول السنوسي في قصيدة (موكب السحاب) :

سال عبر الفضاء ذوب لجين　　واستفاضت به البطاح مدامه
وجرى في الشعاب تبراً مذاباً　　وسجى عسجداً وفاض رخامه(٧٨)

فحركة السيلان والذوبان والاستفاضة والجريان والفيضان المتتابعة في النص السابق تجعل للصورة جمالاً أخاذاً ينقل المتلقي من مشهد إلى آخر بصورة سريعة لا

(٧٦) المصدر السابق : ٣٣ .
(٧٧) المصدر السابق : ٢١ .
(٧٨) الأعمال الكاملة : ١٢٨ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

توقف معها ، تضفي على الجو أبعاداً كثيرة تجسد المعاني التي عناها الشاعر بصورة لا مثيل لها .

وتخرج الصورة الحركية من خلال تتابع اللقطات في المواقف الحوارية التي تستلزم تتابع المشهد بين المتحاورين ، كما في قول علي النعمي :

حدثيني عن المرايا عن العطـ　　ـر حديثاً ينفي الملالة عنّي
واحمليني في زورق من بقايا　　رعشات الأنفاس ذات التضنّي
ربما يسكن الوجيب وتلتا　　م جروحي وينتهي سوء ظنّي
.　　.　　.
فتمطّت ، ثم استوت ، ثم عادت　　للتمطي ، ثم ارتمت مستكينة
واحتواها الذهول وجداً فمرت　　بيديها على الرموش الحزينة
ثم قالت : أي الأحاديث تبغي　　بعدما فارق الأمين الأمينة
إنَّ سرَّ الوجود أكبر من أن　　يتملَّى ما فيه ماءٌ وطينة (٧٩)

ولا يثقل مثل هذه اللوحة تراكب الصور وترادفها ؛ فإنَّ الأمر متوقف على مدى نفاذ التوتر الانفعالي أو العاطفة الشاعرية التي توحد بين الصور والأفكار وتجعلنا متقبلين لها بشغف وإعجاب منقطع النظير (٨٠) .

وتأتي الصورة السمعية بعد البصرية في اهتمامات شعراء جازان ، وغالباً ما تأتي الصوره السمعية مصاحبة لمعالم الطبيعة وأشكالها كصوت تغريد الأطيار أو حفيف الأشجار أو خرير الماء ، من ذلك تصوير السنوسي لأصوات الأزاهير في الريف حيث الرياح والنسائم العليلة تحركها وتتجاوب معها قائلاً :

(٧٩) الأرض والعشق : ١٦ .
(٨٠) انظر : الصورة الأدبية للدكتور مصطفى ناصف : ٢٤٥ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وللنسائم والأزهار وشوشة　　كهمسة الحب في آذان عذراء[1]

وليس أجمل من وشوشة الأزهار إلا المشبه به وهو الهمسات الهادئة والخافته التي تتلقاها أذن فتاة خجلى تخاف من لوم الرقيب وعذل العاذلين .

والعقيلي في صوره المركبة يؤلف من مظاهر الطبيعة مسامع كثيرة تقود إلى رسم لوحة فنية متكاملة مليئة بالخرير والحفيف والهمسات ، حتى لكأنما أنت في المكان ذاته تسمع تلك الأصوات وتتلذذ بها ، وتأنس ، كما في قوله واصفاً فيفا :

وللمياه خريرٌ في مساربها　　جس الأنامل قد مرت على الوتر
وللغصون حفيفٌ خافتٌ همست　　في مسمع الليل همس الخائف الحذر[2]

ونستمع إلى أحمد البهكلي وهو يصور لنا مرابع أبها وما فيها من حسن زاده جمالاً تغريد الطيور على الأفنان ، كما في قوله :

قيل للحسن : كُن وفيك تجلى　　روضة تزدهي وجدول ماءِ
وتغاريد عندليب يناغي　　فنناً مُفعم الندى والرداءِ[3]

وجسّد البهكلي في صورة أخرى الرياح وعتوها بأنها تعوي في محاولة لتقريب صورتها إلى المتلقي ، وعضدها بتشبيه علوها وخفوتها بآهة الولهان حين يتردد نفسه بين زفير وشهيق يحمل في طياته الحزن والألم :

ليلةٌ والنجوم تستغفر الليـ　　ـل وما حاز قدرة الغفرانِ
وعواء الرياح يخفت حينا　　ثم يعلو كآهة الولهانِ[1]

(١) الأعمال الكاملة : ٢٣٣ .
(٢) المجموعة الشعرية : ٣٣٧ – ٣٣٨ .
(٣) الأرض والحب : ١٩ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

ومن الصور السمعية التي وردت خارج إطار الطبيعة ومرآئيها ، تصوير علي النعمي حالته عند فقد أحبابه وما يعانيه من حزن في لحظات الانفراد بالذات في آخر الليالي بأنه يعزف في الليل وحده لا أنيس ولا مشارك ولا جمهور ، فيقول :

وتقبَّل هذه النفثة من　　شاعر أضنته آلام وسهدُ
عاش جرحاً نازفا عمَّقه　　في حناياه – لمن يغليه – فقدُ
وحده يعزف في الليل على　　وتر اللوعة شكواه ويشدو (٢)

أما الصور المعتمده على الحواس الأخرى كالشميّة والذوقية واللمسية ، فهي قليلة جداً في صور شعراء جازان إذا ما قورنت بالصور البصرية والسمعية ، وهي مع ذلك لم تخرج عن إطار الصور التقليدية .

فالليلة عند السنوسي ناعمة في ملمسها كما يقول السنوسي :

في ليلة من ليالي العمر ناعمة　　شفيفة كجبين الفجر غراء (٣)

والمنى منها ما هو شهد ، ومنها ما يزيغ عن طريقه ، فيكون حنظلاً كما في هذه الصورة الذوقية التي رسمها البهكلي :

بالرغم من كل مواضي المنى　　من طعمها الشهديّ والحنظلي(٤)

ويكثر عند الشعراء تشبيه وتصوير المنى والأمور المحببة بأنها كالشهد ، كقول السنوسي واصفاً آيات الذكر الحكيم :

أحلى من الشهد آيات مفصلة　　تهدي إلى البر في قول ومعتقد(٥)

وقد حاول أكثر الشعراء الإتيان بصور جديدة عن المألوف ، فقد أحسنوا التعبير

---

(١) طيفان على نقطة الصفر : ١٩ .
(٢) الأرض والعشق : ٦٩ .
(٣) الأعمال الكاملة : ٢٣٢ .
(٤) الأرض والحب : ٧٤ .
(٥) الأعمال الكاملة : ٥١٦ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

عن مشاعرهم ، مفسحين لخيالهم الطريق في الجمع والمزج بين المؤثرات الحسية أيًّا كان مصدرها، فالغيث يمشي وسير عظماء الإسلام في الكتب لها روائح زكية تشمّ ، كما في قول شاعر التصوير في جازان محمد السنوسي :

أسطورة تلك لا والله بل بشر مشى على الأرض مشي الغيث في الجدب
قرأت تاريخه يوماً فرفّ فمي شوقاً لتقبيل ذاك العطر في الكتب[1]

جـ - المحسنات البديعية :

ومن الوسائل التي استند عليها شعراء جازان في تكوين صورهم المحسنات البديعية ، إذ يرى المتأمل أنَّ كثيراً من الصور الجزئية والكلية قد اعتمدت عليها ، ولم تكن تلك المحسنات مجتلبة للزخرفة أو الزينة فحسب ، بل وجدناها ترقى بالصورة وتمنحها كثيراً من التأثير والدقة والحركة المؤارة .

فالجناس أعطى كثيراً من الصور جمالاً فنياً مضاعفاً أتى من الجرس اللفظي الذي يحدثه، وتناسب الكلمات وإيقاعاتها المتوازنة داخل الصورة ، مما يقوي دلالتها ويجذب السامع إليها ، ومن الصور التي ظهر فيها الجناس مؤثراً في الصورة البصرية خاصة قول علي بن محمد السنوسي في مديح الملك عبدالعزيز آل سعود :

وراحته في بسط راحته التي تجود إذا ما أخلف الغيث بالندى [2]

فـ(راحته) التي تعني الانبساط والانشراح جاءت مجانسة جناساً تاماً لـ (راحته) التي تعني وسط الكف ، ومنهما تركبت صورة كليّة متحركة في ذهن المتلقي تجمع بين صورتين جزئيتين : إحداهما ذهنية وهي الراحة والانشراح ، والأخرى بصرية وهي بسط اليد في العطاء والبذل والندى ، ولم تكن لتبرز الصورة بدون هذا المحسن اللفظي الذي جاء في موطنه بغير تكلف .

ونجد تركيب الصورة المتخيلة تتكون بمساعدة الجناس ، كما في قول العقيلي :

(١) المصدر السابق : ٥٣٠ .
(٢) المفقود من شعر علي بن محمد السنوسي : ١٢٣ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

أصاخت له الأفلاك والدهر واجفٌ　　وحارت له الأفكار والكون واجبُ[1]

فالصورتان اللتان تكونتا من (الدهر الواجف) و (الكون الواجب) حملتا إلى المتلقي صورتين متناقضتين للهدوء التام ثم الضجيج المتعالي ، وهاتان الصورتان أضفت على الفكرة وضوحاً وحركة معبرة ، اجتمعت فيها حاستا السمع مع البصر والاستعارة في جعل الأفلاك تصيخ ، والأفكار تحار ، فإنَّ ذلك جعل البيت مليئاً بالصور المركبة والمتعاضدة على الارتقاء بالمعنى المراد .

ومن شواهد مجيء الجناس وسيلة من وسائل التصوير قول علي النعمي :

في عالمٍ مضطربٍ راكضٍ　　في خورٍ خاوٍ يناغي الحور

يظنُّ أنَّ السُّخرَ يعطي له　　بنقطة الخاء جمال السحر[2]

فالبيتان يحملان أكثر من صورة نشأت عن طريق التجانس الناشيء عن (خور وحور) و(السُّخر والسَّحَر) .

ومن المحسنات التي استعان بها الشعراء في تصويرهم (الطباق) ، ومن ذلك قول العقيلي واصفاً أشجار السدر التي يمتلئ بها وادي صبيا بعد أن تعرّض كثير منها إلى إزالة فروعه بسبب التحطيب غير النظامي الذي دمَّر تلك الغابات الجميلة :

من كل عارية الأسواق كاسية　　أخفت على وجهها ستراً من الحُجبِ[3]

فالطباق بين (عارية) و (كاسية) بيّن الحال التي كانت عليها تلك الأشجار والحال الأخرى التي أضحت عليها الآن ، وهي صورة بصرية رائعة قدّمها ووضحها الطباق.

(١) المجموعة الشعرية : ١٧٠ .
(٢) جراح قلب : ١٠٩ .
(٣) المجموعة الشعرية : ٣٣٣ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ومن ذلك قول أحمد البهكلي واصفاً أبها حال هطول المطر :

تسبي ابتسامات الملاح مشاعري وسبيتِ إحساسي بطرفٍ باكِ (١)

فالتضاد والتقابل بين ابتسامات الملاح والطرف الباكي أضفى على الصورة بعداً رائعاً، إذ شبه أبها حين المطر بالمليحة التي تبكي ، وهي مع ذلك تكون في أرقى لحظات الفتون والإغراء ، وهي استعارة جميلة أضفى الطباق عليها حركة وحيوية ملحوظة لا يمكن تجاهلها .

د – التشخيص والتجسيم :

ومن الوسائل التي تعتمد عليها الصورة عند شعراء جازان التشخيص والتجسيم ، والمراد بالتشخيص إبراز الجمادات في صورة الإنسان ، مستعيرة صفاته ومشاعره ، والمراد بالتجسيم : إبراز المعنويات في شكل أجساد متحركة محسوسة ، وليس هذا فحسب بل إنَّ هذه الجمادات والمعنويات تشعر وتحس كالإنسان تماماً ، ومثل هذه الصور لا تنبل إلا إذا جلبها فنان صناع وماهر بصنعته الشعرية (٢) .

والسنوسي من الشعراء الذين رسموا صورهم عن طريق التشخيص مدركين العلاقات بين الأشياء ، حيث خلع كثيراً الحياة الإنسانية على ماليس بإنسان ، فما له في هذا قوله في قصيدة (تأميم وتصميم) التي قالها بمناسبة تأميم قناة السويس ، ففيها صورا لنيل مشاركاً للعرب غضبتهم ، ومن شدوه وغنائه استمدو أكبر الحوافز على استرداد الحقوق المسلوبة :

ونهرٍ على الوادي زرعنا ضفافه قناً وركزنا حوله البيض والسمرا
تفجّر في أعماقنا وقلوبنا ولم يتخذ إلا شرايننا مجرى
غضوب على الغازي جرئ على العدا شواطئه لا تعرف الرهو والجزرا
تمرُّ لياليناعلى شدو موجه عناء وتزهو فيه أيامنا بشرا

(١) الأرض والحب : ١٢ .
(٢) انظر : الشعر المعاصر على ضوء النقد الحديث ، لمصطفى السحرتي : ٥١ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

أحلنـا تـراب الأرض تبـراً بمائـه　　وعشنا كراماً لا نجـوع ولا نعـرى[1]

فالشاعر هنا قد منح الصور جمالاً وجدّة ، بحيث حملنا معه إلى عالم خيالي واسع لا تستطيع أن ترسم أطره تلك العلائق القرائنية المحسوسة أو غير المحسوسة ، فهو هنا قد جعل للصورة أطيافاً ظلالية موحية وأكسبها ألواناً من صنع الخيال ، ثم إنَّ استعارته الغضب للنهر وصرامة شواطئه لم تكن هنا استعارات اعتباطية أو وليدة جهد صناعي ؛ لأنها جاءت في مكانها المناسب لتعبر عن صور متناسقة وبعيدة عن الإحالة والتفكك ، كان التشخيص هو العامل الأبرز في صنعها وإظهارها .

ومن الصور التي اعتمدت على التشخيص في شعر علي النعمي ، حديثه عن بلدته (حرجة ضمد) ووواديها ، حيث شخّص الشاعر القرية ووواديها بمعالم الإنسان ، وخاطبهما خطاب من يعقل ، ووصف الوادي بالبطش والعناد والهدير وعدم مراعاة حرمة الساكنين ، وذلك في قوله :

واديك لـولا بطشه وعنـاده　　وهديـره الـداوي بكـل تمـاد
جرف الأراضي والمساكن عنوة　　لـم يـرع للـسكان أي وداد
لبقـيت أمّـاً للمعـالي دائـما　　أكذا الوفـا يـا أيّهـذا الـوادي ؟[2]

وهناك شكل آخر من أشكال الصورة التي تجسّم فيها المشاعر المعنوية ، فتتحول إلى شئ محسوس ، وأكثر تلك الأشكال تأتي في أطر متحركة من مثل قول السنوسي :

أجـترُّ فيهـا الأمـاني وهـي كاذبـة　　وأمضغ البؤس في مائي وفي زادي[3]

وقول علي بن حسين الفيفي :

سـوف تدنـو المنى ويبتسمُ الـ　　ـحظُّ وتنسـين لوعـة الأشـواقِ[4]

(١) الأعمال الكاملة : ١٥٧ – ١٥٨ .
(٢) الأرض والعشق : ٥١ .
(٣) الأعمال الكاملة : ٢٤٦ .
(٤) زائر الأمس : ٦١ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ومن الصور الدائرة في فلك التجسيم ، ولم تتضمن الإطار المتحرك تصوير حسين سهيل لسطوة الليالي عليه بأنياب لئيمة ، في قوله :

فلي من دجى الليل قلب رحيم يضم فؤادي الشقي السقيم
ويحنو عليَّ إذا ما سطت عليه الليالي بنابٍ لئيم [1]

هـ - الصور الكلية :

ولم تكن الصور الجزئية هي الوسائل الوحيدة التي استعان بها الشعراء في رسم صورهم، وإنما عمد كثير منهم إلى التأليف بين تلك الجزئيات والأشكال التصويرية ليخرج بلوحات فنية متكاملة ، ضمن وحدة فنية وبنائية مترابطة يقود السابق منها إلى اللاحق ، ويأخذ بعضها بحجز بعض .

فمن تلك الصور الكلية التي تمثل لوحة فنية متكاملة ماجاء في قصيدة محمد العقيلي (نظرة في الغسق) فالقصيدة – على قصرها إذ تبلغ عشرة أبيات – تشكل لوحة كاملة ذات وحدة معنوية واضحة ، تكونت من خلال تتابع الأحداث الصغيرة .

والشاعر في القصيدة يشير إلى أنَّه قد مرَّ ذات مساء على قرية قبيل الغسق حيث غلب الليل على النهار ، وقد اختلط شعاع الشفق بسواد الدجى ، وأثناء سيره في القرية شاهد نوراً ينبعث من نافذة ، وقد وقفت إلى جانبها فتاة جميلة شدّته بجمالها ، وارتعش قلبه من حسن ما رأى ، رآها وهي تحاول إيقاد مصباحها الذي انتابه الحياء من نور وجه صاحبته الذي فاق نوره ، وهي لوحة فنية تمثَّل فيها الزمان والمكان والألوان والحركة التي لاتتوقف ، يقول العقيلي :

مررت على عجلٍ مسرعا وقد غمر الأفق لونُ الغسق
وقد شيب لون بقايا النهار بسفعة صبغة لون الشفق

(١) أشرعة الصمت : ٢٣ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

تمـــازج لونـــين قـــد أوجـــدا إضـــاءة نـــور بعـــين الحـــدق
فـشاهدت بـين ثنايـا الطـ (م) ريـق ومـيض شـعاع أنـار الثقـب
فأعجبنـــي منظـــر فاتـــن تقاصـــر خطـوي لـه وانقـضب
فـسمرت حيـث أنـا حائـرٌ وقـد كـاد قلبـي لـه أن يثـب
أغـــرُّ زهـــاه الـــصبا واقفـــاً يكـــاد لـــه الحـــسن أن ينتـــسب
تحـــاول إيمـــاض مـــصباحها وقـــد غـــار منهـــا فمـــا يلتهـــب
فقلـــت لنفـــسي : لمـــاذا العنـــا لزاهـي الجـمال ؟ ومـاذا التعـب ؟
ومـا حاجـة البيـت نحـو الـضيا ء؟ والنور من وجهها ينسكب [1]

فالتصوير الحركي ارتقى بفنية القصيدة ، ((**وقد ساعدت التشخيصات التي خللها الشاعر قصيدته على هذا الارتقاء الفني كما في البيتين الثاني والتاسع ، ففي الثاني شخص الشاعر لون الغسق ، فجعله كالرسام الذي وزع الألوان على بقايا النهار المولية ، وفي التاسع تشخيص جميل للمصباح الذي يغار من ضياء وجه صاحبته ، فيأبى أن يشتعل غيرةً ، ويستغل الشاعر هذه اللقطة (الغيرة) ، فيطلق ثلاثة تساؤلات في مكانها ، الأول : لماذا العناء لزاهي الجمال ؟ ، والثاني : ولماذا التعب ؟ ، والثالث : – وهوالذي حوى معنى القصيدة كلها – ما حاجة البيت للضياء ، والنور موجود فيه حالٌّ به ؟ . بهذه التساؤلات الإنشائية مع الأساليب الخبرية المتقدمة ، أحدث الشاعر مراوحة بين الأسلوبين الخبري والإنشائي ، أدّت إلى نتيجة واحدة قصد إليها الشاعر ، وهي حسن ضياء وجه تلك الفتاة**)) [2] .

فاللوحة الكاملة للمنظر قد ساعد على إبرازها عناصر تصويرية ولغوية متنوعة ، فالصور الملونة كلون الغسق وهو الأصفر المشرب بحمرة ، ثم لون الشعلة بيد الفتاة ،

(١) المجموعة الشعرية : ٤٠١ .
(٢) شعر محمد بن أحمد العقيلي دراسة تحليلية ، لخالد الشافعي : ٢٣٠ بتصرف .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

إضافة إلى لون الفتاة الذي فاق ضوؤه ضوء ونور الشعلة ، كما أنَّ تتابع الأفعال الحركية قوّى الوحدة المعنوية للنص وأدى إلى تماسك عباراته وتراكيبه ، وأحدث صوراً بصرية ولقطات مرئية للحدث كقوله : (مررت ، غمر ، شيب ، تمازج ، تقاصر ، فسمَّرت ، تحاول) ، وكذلك تراوح الأسلوب بين الخبر والإنشاء وخفة الوزن والتوزيع الموسيقي الراقص ، وقصر العبارات . كل هذه العوامل مجتمعة ارتقت بفنية الصورة ، ودلّت على صدق التجربة ، وقدرة الشاعر على نقلها إلينا[1] .

وكما أنَّ الوحدة الموسيقية – أيًّا كانت عناصرها – شرط من شروط سلامة القصيدة، فكذلك لا بدّ من وحدة شعور تجمع بين صور القصيدة الواحدة ، مهما بدت لنا هذه الصورة متباعدة ، فالشاعر ينطلق في قصيدته من إحساس معين ينبع من أعماقه .

ثالثاً – أدوات التصوير الجديدة :

حاول كثير من شعراء جازان عرض لوحاتهم الفنية وصورهم الشعرية عن نبضاتٍ لغوية مخالفة للوسائل الشائعة والمألوفة ، فقد أخذوا بمعالم تداخل معطيات الحواس ، واستدعاء الصورة وإسقاطها ، وتوسعوا في استخدام المجازات وغير ذلك من وسائل جديدة ، نتبين معالمها فيما يلي :

(١) انظر تفصيل الحديث عن هذه القصيدة في : مع الأنغام المضيئة ، للدكتور علي المصري : ١٠٥ – ١٠٦ ، وانظر : محمد أحمد العقيلي العالم الموسوعي ، للدكتور : محمد الصادق عفيفي : ٩٠ – ٩١ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

١- الإكثار من تراسل الحواس وتداخل معطياتها :

عمد كثير من الشعراء إلى نقل كثير من الحواس إلى عوالم مختلفة عن عوالمها ، فالألفاظ والصفات المتصلة بعالم معين من عوالم الحس كالسمع والبصر واللمس والشم والذوق – كما يقول الدكتور محمد مندور – ((**يمكن أن تنتقل من هذا المجال إلى مجال آخر من مجالات الحس ، كعونٍ قوي على التعبير والإيحاء ... وهذا العمل يعدُّ ضرباً جديداً من المجاز على أساس نقل لفظٍ من عالم من عوالم الحس إلى عالم آخر ، ولكن بجامع غير جامع المشابهة الملازمة لطبائع الأشياء ... بل أساس المجاز هنا هو وحدة الأثر النفسي**))[١] .

ولو تأملنا نماذج شعراء جازان التي اتخذت من هذه الوسيلة محوراً لإبراز الصورة الفنية، لوجدناها تتركز حول حاستي السمع والبصر ، ومن ثم المزج بينهما أو مزجهما بغيرهما من العوالم الحسية الأخرى . فمن النماذج التي مزجت الشيء المدرك بحاسة السمع وحولته إلى حاسة البصر قول محمد مباركي :

جاثٍ أراود الظلامْ
فانهضي
انتفضي
ولملمي صمت دمي
المُمرِع بالصيامْ[٢] .

فالشاعر حول الصمت المدرك بالسمع عادة إلى الشيء المُلَملم المشاهد بالعين .

ولم يكتف الشعراء بتحويل المسموع إلى مدرك بالبصر وحسب ، بل حولوا المرئيات إلى مدركات سمعية ؛ فالخطوات المثقلة بالهموم المرتبطة بالبصر غدت مسموعة، إذ يقابل ثقل الحركة في الخطو ثقل الكلام في اللسان ، كما في قول إبراهيم مفتاح :

(١) الأدب وفنونه ، للدكتور : محمد مندور : ٣٩ .
(٢) تماهي منبت : ٤٤ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

كلما حاولت أن أغرس كفّي
في عيون الطرقات
أثقلتني لثغة الخطو
وأعيا شفتيّ الآه من طرح السؤال(١) .

وتتداخل أكثر من حاسة في إبراز الصورة ، فالأعين تغدو لها شفاه والسهر له طعم يحتسى ، كما في قول إبراهيم مفتاح – أيضاً- :

كان شعر الليل
مجدولاً على كتف المساء
وشفاه الأعين كانت
تحتسي طعم السهر (٢) .

وحوّل الشعراء الأشياء المسموعة إلى أشياء تدرك بحاسة الذوق عن طريق اللسان ، فالصدى – مثلاً – مما يدرك بحاسة السمع يجعله الشاعر محمد السنوسي حلواً مدركاً بالذوق، كما في قوله :

قرأت على شواطئك القوافي محبرة تفيض بها عبابا
خضمَّا تغرف الأمواج منه صدى حلواً وأنغاماً عذابا (٣)

وصور بعض الشعراء المعنويات والمشاعر في أشكال ومدركات حسية بصرية كانت أو سمعية ، فمن الأول قول علي النعمي :

معجونة منك أحلامي وأوردتي قوية النبض من إشراقك اللهف (٤)

ومن الثاني قول حسين النجمي :

(١) رائحة التراب : ٦٤ .
(٢) المصدر السابق : ٦٢ .
(٣) الأعمال الكاملة : ٢٣٦ .
(٤) الأرض والعشق : ٤٢ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

يضج في روحي ويسمو بها　　حزن أذاق الروح طعم الضنى [1]

فالحزن هنا يُسمع له ضجيج ، وله طعم يُذاق . والذكرى لها حرارة تحسّ وتكاد تصهر حاملها وتقضي عليه لولا ثلوج الأماني ، كما جاء ذلك في تصوير إبراهيم مفتاح في قصيدته (أشواق) ، حيث يقول :

ما كان لي أن أرى في الروض نضرته　　ولا أريج الشذا في الزهر لولاك

تكاد ذكراك تصهرني حرارتها　　لولا ثلوج المنى فيما عهدناك [2]

وهذا النوع من التصوير يساعد على نقل الأحاسيس الدقيقة ، والأثر النفسي في وجدان الشاعر ، كما هو أو قريب مما هو دون تصنع أو تكلف .

٢- استخدام الرمز الإسقاطي أو المعادل الموضوعي :

يلجأ بعض الشعراء إلى إيجاد رمز معادل لشخصيته يقوم بتقمصه ليمثل مشاعره، وذلك أنَّ الشاعر ينفعل بموضوعه ويتعاطف معه ، ومن ثم عليه ألاّ يعبّر عن انفعاله ، بل عليه أن يوجد لهذا الانفعال معادلاً موضوعياً يساويه ويوازيه .

ويقول النقاد : إنَّ على الشاعر في مثل هذه الحالة أن ينأى بشخصيته عن عقله ، وأن يفصلها عنه . فمعيار التمكن الفنّي هنا هو أن يزيح الشاعر ذاته عن مادته الأدبية ، ومن ثم تتحقق له الموضوعية [3] .

وبسبب تطور وعي الشعراء بمفهوم التجربة الحديثة ، وهيامهم بالطبيعة وتوقهم للحرية ، ونشدانهم للمثالية – وهي معالم الرومانسية – وجدناهم ينشدون الكثير من المعادلات الموضوعية التي أفرغوا من خلالها ما يجيش في أفئدتهم من أحاسيس وأحلام لم تجد لها على أرضية الواقع مسرحاً يقوم باحتوائها . ولذلك فقد

(١) عيناك في وقت الرحيل : ١١ .

(٢) عتاب إلى البحر : ٩٩ .

(٣) انظر: مقدمة في نظرية الأدب، لعبدالمنعم تليمة : ٢٠٠–٢٠١ ، وفي نقد الشعر ، للدكتور محمود الربيعي : ١٥٤.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

اتخذوا من المخلوقات الطبيعية وغيرها تلك المعادلات الموضوعية ، على أنَّ عرض هذا اللون من الصورة في هذا المبحث، وهو الصور الجديدة لا يعني أنَّ القدماء لم يعرفوه ، كلا ، فقد عرفه القدماء من أيام المنخل اليشكري الذي قال :

وأحبّهـــــا وتحبنـــــي ويحـــب ناقتهـــا بعـــيري

لكن القدماء لم يتوسعوا فيه هذا التوسع الذي نراه عند الشعراء المعاصرين الذين لم يكتفوا بعالم الطبيعة والأحياء ، بل استخدموا كلَّ ما تمرّ عليه أعينهم من مشاهدات ، ليسقطوا عليها نفسياتهم .

فالشاعر محمد السنوسي يصوغ تجربة عدم الإحساس بالحرية ، والتوق إلى معالي الأمور ، والتأسف على مرأى كثير ممن ضحكت لهم الأيام وهم خاملون ، في حين أنَّه لم يصل إلى ما في نفسه من آمال وطموحات ، صاغ الشاعر التجربة السابقة عبر معادل له تمثل في الحصان الأصيل الذي قُيّد ، وهو يحاول أن يفك القيد ، لكنه لا يستطيع ، في حين أنَّ الخيول الهزيلة بجوار مطلقة تلهو بكل حرية ، يقول في قصيدة (الحصان المقيد):

ليديه صلصلة وفيه صهيل طرف كأكرم ما يكون أصيل
شدت إرادته القيود وكبلت قدميه وهو على القيود يصول
يهتز من مرح الفتوة جسمه ويدور رغم قيوده ويميل
متحفز للعدو ملء إهابه ثقة السيوف وعزمه المأمول
شاهدته والقيد يضغط ساقه ويديه وهو مكبل مغلول
والحبل من حركاته متحرك فتراه يقصر تارة ويطول
والخيل بين يديه مطلقة الخطى تلهو وتلعب ما لهن كبول
من كل خوّار القوائم واهن يكبو إذا طال المدى ويبول
فأسفت للفرس الأصيل مقيدا وعجبت للفرس الهزيل يجول

شبكة الألوكة - قسم الكتب

ورجعت أتهم الحياة كأنني　　عن كل مهزلة بها مسؤول [1]

وخروج السنوسي في ختام القصيدة عن موضوعيته في حديثه عن الحصان الذي صاغه خارج ذاته ، إلى ذاته في ضمائر المتكلم التي بنى عليها البيت الأخير ، يعدّ انحرافاً عن خط (المعادل الموضوعي) الذي كان يمكن أن يكون مكتملاً لديه لولا ذلك البيت . ولكن هذا لا يعدّ مأخذاً على الشاعر ، إذ يبقى الرمز عنده من نوع خاص لا ينبغي أن تخضعه لمبدأ (المعادل الموضوعي) ، إنه ذلك النوع من (الرمز المتوالد) الذي يبدأ فيه الشاعر بصورة ما ثم يولّد منها صوراً فرعية تؤكدها وتفصلها ، حتى يصرف نظرنا عن المغزى الأساسي الذي يسعى إليه من هذه الصورة ، ولكنه لا يتركنا قبل أن يوضح لنا هذا المغزى في البيت الأخير .

والشاعر أحمد البهكلي ينقل إلينا معاناته وآلامه الخاصة جراء الواقع المؤلم للأمة العربية والإسلامية ، فلا يصرح لنا بهذه المعاناة ، وإنما ينتقي من التراث قصة قيس بن الملوح ومعاناته في حب ليلى العامرية ، فيراها تترجم مشاعره وتصور طموحاته وأمنياته التي يتمنى تحقيقها لأمته ، وكأنه يرى أنها أمنيات لن تتحقق كما لم تتحقق أمنيات قيس بن الملوح ، وقد نجح الشاعر في عرض تجربته من خلال المعادل الموضوعي الذي يصور خلجاته دون أن يصرّح بها في نصه الذي جاء فيه :

ألا كم عاشق قد ذاب لهفا　　على حلم التواصل والتلاقي
ومغترب قضى نأياً ودانٍ　　قضى من حزنه والحزن باق
فيا قيس اليماني كم تنادى　　على ليلى ؟ وليلى في العراق
ودون لقائها عشرون حرزاً　　يكفن سرها عشرون راق
إذا جاوزت واحدهم تنادي　　بك الباقون حي على اللحاق
فما هي غير ومضة برق صيفٍ　　وإذ بالقيد رهن يد وساق

(١) الأعمال الكاملة : ٥٠٧ – ٥٠٨ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وما تجدي الضراعة والتشكي　　إذا أمسيت في كنف المحاق [1]

٣- التوسع في استعمال المجازات :

وقد تحقق هذا التوسع من خلال تكثيف الصور وتداخلها ، ومن خلال إهمال التقارب بين طرفي التشبيه والاكتفاء بوحدة الأثر الإيحائي للصورة . ويظهر الأمر الأول في مثل قول أحمد البهكلي في رسالته لأمه وهو في أمريكا :

عشرون ما فعلت يا أمَّ هل رحمت　　طفلاً ترحلت عنه صار مكتهلا
ما اجتاز ثالث عقديه الربيع وفي　　فوديه نذرُ شتاءٍ جمَّدَ الوشلا
عشرون عشرون هاقد أحرقت عمراً　　ميْتاً وآخرَ حياً ينظر الأجلا
أماه طفلكِ هذا الكهل قد عبرت　　سفينه ألف بحر ما اشتكى كسلا
لا الليل إن ضمَّ هذا الكون يستره　　عن أعينٍ مزَّقت أحلامه وصلا
ولا الصباح إذا افترّت براعمه　　يستافها أرجاً أو يزدهي جذلا
أماه إن زماني من أزاهره　　مستولد دون حمل النحلة العسلا
لذاك نحن نضجنا قبل موعدنا　　ويستهلُّ الوليد المرتجى رجلا [2]

فنلحظ في هذا النص كثرة المجازات المعتمدة على عنصري الكثافة والتداخل فيما بين الصور ؛ بسبب نهوض كل صورة على الأخرى . ونلحظ كذلك اهتمام الشاعر بالتقابل (طفلك والكهل) ، والتنويع الزماني في المشهد (الليل والصباح ، الزمان) ، والاعتماد على الإثارة عن طريق الحركة (عبرت سفينه ، ضم هذا الكون ، أعين مزّقت أحلامه ، الصباح افترّت براعمه ، يستافها أرجاً ..) ، وأغلب هذه المجازات أسهمت الأفعال في تنميتها وتكثيفها بشكل ملحوظ .

(١) أول الغيث : ١٧ – ١٨ .
(٢) أول الغيث : ١٢ – ١٣ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

والخطوة الأكثر وضوحاً في مجال تجديد الصورة ، هي التخلي عن الشروط المألوفة في طرفي التشبيه ، كتقارب المشبه والمشبه به وواقعيتهما ، أو وجود شبه حقيقي بينهما . فمال الشعراء إلى الإيحاء بالصورة بدلاً من التوضيح .

وقد بدأ هذا التباعد معتدلاً عند بعض الشعراء كحسين النجمي في قوله :

أسامر في سكون الليل آهاتي وأحزاني
وأكتب في جدار الصمت بالزفرات ألحاني
وفي دعةٍ أفيء إلى ظلال المارد الحاني[1] .

ولكن الصورة تبدو أكثر حدّة عند محمد مباركي في أغلب أشعاره ، فتختلط أطراف الصورة عنده ، متداخلة حيناً ، ومتباعدة أحيانا ، من غير أن يربطها رابط منطقي أو عقلي ، أو جمع مالا يمكن أن يجتمع ، كما في قوله :

حيران
ينتبذ العراء
مرزَّأ
ثمل الخطى
مستعصماً باليأس !
قهقه باكياً
وتشنجا !!
ما كان يحسب أنه
من غل عينيها نجا[2] .

وفي الصور المكثفة الناجحة لا يمكن أن نفصم عرى جزئيات الصورة فيها ، بل

(١) عيناك في وقت الرحيل : ٧١ .
(٢) تماهي منبت : ٤٣ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

إنها كل لا يتجزأ ، فالصورة تتحول عند بعض الشعراء إلى ألفاظ لها طريقة اتصال معينة وفي سياق دقيق ، ووحدة لا تقبل الاختصار ،وهذه الصور هي التي يسميها النقاد (التوقيعة) ، فليس لنا في الصورة (التوقيعة) [1] أن نغير الألفاظ في البيت أو ننقلها من أماكنها أو نحذف بعضها ؛ لأننا بذلك نحوّل (توقيعة) الشاعر إلى شيء آخر من صنعنا يختلف تماماً عن الصورة التي أبدعها . نجد ذلك مثلاً في قول أحمد الحربي :

فالأمس بعثرني على صفحاته　　وأنا أسطّره على أوراقي [2]

فلا يمكننا تصور البيت من غير (بعثرني) مثلاً ، أو من غير (أسطره) أو بكلمة أخرى بدلاً من (صفحاته) إذن لتغيّرت طبيعة الصورة بتغيّر جزئياتها التي تكثفت منها أو من خلالها .

وقبل أن أختم الحديث عن الصورة المجازية أو المكثفة ، أودّ أن أشير إلى أنَّ الصورة الشعرية عند بعض الشعراء لاسيما من ركبوا موجة الحداثة غاية في الغرابة والتعقيد والذهنية ، وهي لم تعد تؤدي وظيفة تسجيلية أو إيضاحية أو جمالية وتعبيرية ، وإنما أصبحت تؤدي وظيفة بعينها لا تكاد تتجاوزها ، إنها وظيفة الإدهاش والاستهانة بأفهام المتلقين على نحو ما نرى من الفنون التشكيلية السوريالية المتمثلة في لوحات (سالفادور دالي) وأمثاله .

نجد هذا في مثل :

للحقيقة

لون الزجاج

للزجاج مذاق التراب

هل يكون التراب زجاجاً [3] .

---

(١) انظر: الشعر العربي المعاصر ، للدكتور عزالدين إسماعيل : ١٤٠ .

(٢) رحلة الأمس : ٥٦ .

(٣) انكسرت وحيداً : ٦٧ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

أو مثل :

فأردتُ أن
أرفو على دمه
احتمالات العويل
وأريق بين يديه
هال المستحيل
حتى يميل[1] .

(١) تماهي منبت : ٥٠ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

٤- الموسيقى :

يؤكد أصحاب النظريات الحديثة في الشعر أن المضمون ناتج عن الشكل ، وأنّ الشكل ناتج عن الموسيقى المتكونة في نفس الشاعر قبل البدء بعملية الإبداع الشعرية ، وأنّ الشاعر يحاول أن يعطي النغم أو الحالة النفسية التي بدأت تتكون في داخله شكلاً مناسباً ((**فيبحث في اللغة عن الأصوات التي تتفق مع هذا النغم الأصلي أو تقترب منه . وتربط الأصوات بكلمات ، وتتجمع الكلمات في بواعث أو دوافع ينتج عنها في نهاية الأمر معنى أو مضمون**))[١] .

فالموسيقى إذن من أهم عناصر الفن الشعري ومن أدقّ مقاييسه النقدية ، وهي ((**عامل كبير من عوامل التأثير في نفس القارئ والسامع ، ذلك التأثير الذي يعدّ أهم الغايات التي يرمي إليها الفن الأدبي ، ويسعى الأديب ما وسعه السعي في سبيل تحقيقها**))[٢] . ومن هنا فإن الشاعر موسيقيٌّ آلته قلبه ، وأوتاره لسانه ، وأنغمه حروفه ، إنه يعزف على هذه الآلة الخاصة التي لا يجيد العزف عليها أحدٌ سواه .

والحديث عن موسيقى الشعر عند شعراء جازان يتناول الموسيقى الخارجية المتمثلة في الوزن والقافية ، والتشكيلات العروضية الجديدة ، وقصيدة التفعيلة المبنية على الوزن العروضي ، والموسيقى الداخلية ، ثم التوقف عند بعض الملحوظات الموسيقية والمخالفات العروضية .

أولاً- الموسيقى الخارجية :

١- القصيدة الموزونة والمقفاة[٣] :

أ- الوزن الشعري :

---

(١) ثورة الشعر الحديث ، عبدالغفار مكاوي ، ١/ ٨٩ .

(٢) نظرات في أصول الأدب والنقد ، د. بدوي طبانة : ٤١ .

(٣) اخترت هذا المصطلح بدلاً من (القصيدة العمودية) أو (القصيدة الخليلية) ؛ لأن أظهر ميزة في هذا الشعر هي القافية ؛ ولأن مفهوم الشعر العمودي يشمل مع الوزن الأسلوب والصورة والمضمون . والشعر الخليلي يشمل أيضاً القصيدة التفعيلية ؛ لما فيها من وزن .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

أدرك كثير من شعراء جازان أهمية الوزن الشعري في حمل المضامين والأفكار ، ومن ثم حافظوا على الوزن الشعري الموروث ببحوره الخليلية ، مع محاولاتهم التجديد داخل إطاره الموسيقى ، وهم بذلك يؤكدون أن الأوزان والقوافي العربية صورة لنفسية ؛ مرتبطة بلغة ذات سعة معجمية ، وحروفه صرفية وغنى موسيقى ، وهذا منح الشاعر العربي مرونة هائلة في مجال الأوزان الشعرية لا تملكها كثير من اللغات . وهم في بحثهم عن التجديد في الأوزان لم تكن لتغيب عن أذهانهم هذه السمة ، فكان تجديدهم واعياً ومقبولاً . ومتى كان التجديد بغير هذه السمة ، أو تلك الخاصية المرهفة للأذن العربية أو اللغة الحضارية الخاصة أصبح نشازاً يتشدق به ضَعفَةُ الطبع الشعري ((**من الذين يتحدثون عن الموسيقى الداخلية ، وهم لا يملكون ملكة الموسيقى الخارجية بله الداخلية . ممن يرون القافية المحكمة همًّا ، والبحر الطويل المديد رعباً ، والموسيقى العربية الدقيقة سدًّا أمام أقدامهم الهشة**))[1] .

وفي دراسة موسيقية لعدد من النصوص الشعرية لشعراء جازان بلغت (٢٥٠٠) نصٍ شعري ما بين قصيدة ومقطوعة تمثّل نتاج تسعة عشر شاعراً من شعراء الدراسة ، وبلغ عدد أبيات تلك القصائد والمقطوعات (٢٧٤٥٧) بيتاً ، تبيّن أنهم قد كتبوا في غالب البحور الشعرية ، وجاء توزيع تلك النصوص على البحور وفق الجدول الآتي :

م	البحر	عدد القصائد والمقطوعات	النسبة المئوية
١	الخفيف	٥٣٧	٪ ٢١.٤٨
٢	البسيط	٤٦٨	٪ ١٨.٧٢
٣	الطويل	٤٠١	٪ ١٦.٠٤
٤	الكامل	٢٨١	٪ ١١.٢٤

(١) الشعر الحديث في المملكة العربية السعودية ، د. عبدالله الحامد : ٢٥ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

٥	الرمل	٢٣٧	٪ ٩.٤٨
٦	الوافر	١٦٨	٪ ٦.٧٢
٧	السريع	١٠٦	٪ ٤.٢٤
٨	المتقارب	٥٧	٪ ٢.٢٨
٩	مجزوء الكامل	٥٠	٪ ٢
١٠	الرجز	٣١	٪ ١.٢٤
١١	المديد	٣١	٪ ١.٢٤
١٢	مجزوء الرمل	٢٥	٪ ١
١٣	مجزوء الرجز	٢٥	٪ ١
١٤	مجزوء الخفيف	١٩	٪ ٠.٧٦
١٥	المجتث	١٨	٪ ٠.٧٢
١٦	مجزوء الوافر	١٤	٪ ٠.٥٦
١٧	الهزج	١٣	٪ ٠.٥٢
١٨	مخلع البسيط	١٢	٪ ٠.٤٨
١٩	مشطور الرجز	٧	٪ ٠.٢٨

وتبيّن من هذا أن الشعراء أكثروا من استخدام سبعة أبحر ، وهي تلك التي تجاوزت المائة قصيدة (الخفيف ، والبسيط ، والطويل ، والكامل ، والرمل ، والوافر ، والسريع) ، ولم أجد لشعراء جازان في تلك القصائد التي شملها الإحصاء أي شعر على أبحر (المقتضب ، والمضارع ، والمنسرح ، والمتدارك) ، وهذه جميعها من البحور التي قلّ استخدامها في الشعر العربي قديمه وحديثه ، ولا سيما المقتضب والمضارع وهما – كما يقول الدكتور إبراهيم أنيس – من ((**البحور التي لم ترد لها شواهد صحيحة النسبة في**

شبكة الألوكة - قسم الكتب

الأشعار العربية))[1] .

ويظهر من خلال استعراض البحور السبعة ذوات النسب الكبيرة أن شعراء جازان متأثرين في قوالبهم الموسيقية بالشعر الحديث ؛ حيث تصدَّر (الخفيف) بقية البحور ، فهوعند الشاعر محمد السنوسي – مثلاً – يمثل نسبة (٣٦.٥ ٪) من شعره حاملاً مضامين (٧٣) قصيدة) ، ويمثل هذا البحر ما نسبته (١٨ ٪) من شعر محمد أحمد العقيلي ، إذ نظم عليه (٢٢) قصيدة أغلبها من القصائد الطوال . ونظم الشاعر علي النعمي على هذا البحر (١٢) قصيدة تمثل (١٠.٥ ٪) من شعره .

وتلا الخفيف (البسيط والطويل والكامل) ، وقد احتفظت هذه الأبحر الثلاثة بمنزلتها في الشعر الحديث . ثم جاء بعد ذلك بحر (الرمل) ؛ ليحلّ خامساً ، ثم تلته بعد ذلك بقية الأبحر المستعملة على الترتيب (الوافر ، والسريع والمتقارب) ، ونلحظ أن شعراء جازان بإكثارهم من هذه البحور بشكل لافت لاسيما (الرمل والمتقارب) يخالف ما كرّره بعض دارسي موسيقى الشعر العربي ؛ إذ يقول فيها إبراهيم أنيس : ((**إن الشعراء لم يكونوا يكثرون من الرمل والمتقارب لا في القديم ولا في الحديث على السواء**))[2] . وواقع الشعر في جازان يخالف قوله هذا ، ويؤكد الإحصاء السابق أنهما بحران شائعا الاستعمال في جازان ، نظم عليهما من شعراء جازان أحد عشر شاعراً على أقل تقدير .

ونلحظ من هذا الإحصاء غلبة البحور الطويلة التامة ، وعدم إكثار الشعراء من استخدام البحور ذات الأوزان القصيرة وما ماثلها من المجزوء والمشطور والمخلّع والمنهوك ، إلا ما كان من (مجزوء الكامل) الذي جاء في المركز التاسع من الإحصائية السابقة للأوزان التي نظم عليها شعراء جازان ؛ إذ يعدّ أكثر البحور القصيرة استخداماً عندهم ، حيث نظم الشعراء عليه (٥٠) قصيدة ، وهو في حقيقة الأمر وزنٌ مستساغ

(١) موسيقى الشعر ، للدكتور إبراهيم أنيس : ٥٩.
(٢) المصدر السابق : ٢٠٥ – ٢٠٧ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

متوافق مع ذوق العصر ؛ لما فيه من الخفة ، والملامح الموسيقية البارزة ؛ ولذلك كان أكثر البحورالقصيرة شيوعاً في الشعر العربي ؛ ولا سيما الحديث منه[1] ، وكان شعراء جازان بذلك متوافقين – لا شعورياً فيما يبدو – مع الذوق السائد .

ويظهر تأثر شعراء جازان بالشعر العربي المعاصر وذوقه العام وشعرائه الكبار في أنّ الوزن التالي لـ(مجزوء الكامل) من الأوزان القصيرة الورادة في نتاجهم ، هو وزن (مجزوء الرّمل)، وهو وزن ظل قليل الاستعمال في الشعر العربي حتى جاء أحمد شوقي في العصر الحديث ، فأكثر منه في مسرحياته ، ثم تبعه الآخرون بوعي أحياناً ، وبدون وعي في أحايين كثيرة .

والجدير ذكره – هنا – أن هناك عدداً من النقاد ربطوا بين الأوزان والحالات النفسية، فتحدث حازم القرطاجني عن خصائص كل بحر ودرجات شيوعه[2] ، وربط سليم البستاني في مقدمة ترجمة الإلياذة بين البحر والمعنى [3] ، وأيّد ذلك الرافعي [4] ، وعلي الجندي[5] ، وعبدالله الطيب المجذوب [6] ، وحسني عبدالجليل ، وعن ذلك يقول هذا الأخير : ((**إنّ خير الموسيقى ما يتمشّى مع الأفكار ، وتتناسق مع المعاني ، وتتجاذب نغماتها ونبراتها مع حالات النفس ، فالشاعر في اهتياجه وغضبه وغبطته يكون تعبيره عالي النغمة ، وفي حزنه متخفضاً ، وفي تعجبه وفرحه وهدوئه واطمئنانه تكون مسافاته الصوتية قصيرة ، أما في بثه وألمه فتكون مسافاته الصوتية طويلة ، وهكذا تسايرُ النغمات حالات النفس كما تساير موضوع القصيدة وفكرتها**))[7] .

(١) انظر : المصدر السابق : ١٠٧ .
(٢) انظر : منهاج البلغاء وسراج الأدباء : ٢٦٦ .
(٣) انظر : إلياذة هوميروس ، لسليمان بن خطار البستاني : ١ / ٩٠ – ٩٤ .
(٤) انظر : تاريخ آداب العرب ، للرافعي : ٣ / ٢ – ١٣ .
(٥) انظر : الشعراء وإنشاد الشعر : ١٠٠ – ١٠١ .
(٦) انظر : المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها : ٧٤ – ٧٥ .
(٧) موسيقى الشعر العربي ، لحسني عبدالجليل : ١ / ١٤ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

وتوافق البحر مع الموضوع قد يكون واضحاً في كثير من نتاج الشعراء ، ولكننا لا نستطيع أن نسلّم بهذه الفكرة على أنها قضية مطّردة ، فهي بحاجة إلى أدلة تعضدها ، بل إن أيسر عملية استقراء للشعر العربي سوف تثبت لنا عدم الدقة في هذا الاتجاه . وقد لحظت – بعد دراسة هذه القضية في شعر جازان – أنهم يكتبون على البحر الواحد شتى الموضوعات ، بشتّى العواطف والانفعالات ، فإذا كانت هذه النظرية ترى أنّ البحور القصيرة الراقصة لا تصلح إلا للغزل وما شابهه ، فإننا نجد بعض شعراء جازان ينظمون عليها موضوعات جادة ، كالرثاء الذي رأت النظرية ذاتها أنه مما لا يناسبه إلا البحور الطويلة ، ومن ذلك ما جاء في رثاء الشاعر أحمد علي حبيبي لمحمد علي السنوسي ، إذ يقول :

ماجت الغبراء حزنا　　حينما قالوا : توفى
شاعر الحسن السنوسي　　رائد الشعر المقفّى

ويقول في آخرها :

ما طوى الموت عظاماً　　إنما ذوقاً وظرفا
يا أضاميم الأماسي　　بعدك الأنغام عجفى (١)

ونجد عكس ذلك أنّ هناك بعض المضامين الرقيقة انتظمتها بحورتامة وطويلة ، كما في قصيدة (الغرام الأول) لمحمد العقيلي التي جاءت على بحر الطويل ، ومطلعها :

علام تطيل الهجر لا القلب ساليا　　هواك ولا للعهد إن غبت ناسيا (٢)

وعن هذه القضية لا أجد أفضل من رأي الدكتور إبراهيم أنيس – بعد أن أجهد نفسه في محاولة إيجاد علاقات بين البحور والموضوعات الشعرية ، إذ قال : ((**ويحسنُ بعد كل هذا ألا نفرض قواعد معينة يلتزمها الشاعر في تخيّر وزن من الأوزان تحت تأثير**

(١) فرجة النظر ، أحمد الشعفي : ٢ / ١٥٠ – ١٥١ .
(٢) المجموعة الشعرية : ١٨١ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

عاطفة خاصة . وعلى ناقد الأدب أن يبحث هذا بحثاً مستقلاً في كل قصيدة ؛ ليرى من معانيها وموضوعها ما إذا كان الشاعر قد وفّق في تخيّر الوزن أو لم يحسن الاختيار))[1] .

فالتوفيق الذي يحققه الشاعر عندما ينظم معنى على بحرٍ ما قد لا يتحقق لشاعر آخر نظم المعنى ذاته على ذلك البحر ، ومتى ما عمد الشاعر إلى تخصيص موضوعٍ معين أوعاطفة خاصة لبحرٍ ، وعاطفة وموضوع آخر لبحر آخر فإنه قد أسقط من الشعر أرقى ما فيه ، وهو التدفق اللاشعوري والتجربة الخاصة وتحوّل إلى صانعٍ متكلفٍ . أما الشاعر المتمكن فإن له معياراً خاصاً لكل وزن لا يمكن لنا أن نقنّنه أو نجعله قاعدة لا يمكن تجاوزها أو تعديها ، ذلك المعيار تحوطه نفسية الشاعر وواقع الحدث الذي هيّجه لقول الشعر ؛ إذ يخضع الشاعر المشهد المتخيّل في ذهنه إلى صوت عن طريق البحر وإيقاعه الموسيقي ، ومن الأمثلة على ذلك مشهدان طبيعيان رآهما الشاعر محمد السنوسي ، فعبّر عن الأول بوزنٍ وعن الثاني بوزنٍ آخر ، وعند تأمل صنيعه نجد أنّه قد وفق غاية التوفيق ، إذ أعطى كل مشهد الوزن الموافق لإيقاعه الطبيعي .

المشهدا ن هما مشهد غروب الشمس ومشهد السحاب ، فمشهد الغروب مشهدٌ تتابعي ، يتقلّص فيه المنظر رويداً رويدا ، حيث تسقط الشمس وتُوالي سقوطها التدريجي بشكل عمودي صوب البحر الذي يخفيها عن أعيننا .

أما مشهد السحاب فهو منظرٌ تكون الحركة فيه على شكل مغاير لما كانت عليه في المشهد السابق من انتظام الحركة ، فالريح هي التي تتحكم في حركة السحاب – بإرادة الله – وتبعثره يميناً وشمالاً ، فتجمعه أحياناً ، وتفرقه أحياناً أخرى ، فحركته إذاً حركة غير منتظمة. والشاعر إزاء هذين المشهدين اللذين امتلأت منهما نفسه قد راح يصفهما بدقة عجيبة ومتناهية ، لا سيما من حيث اختيار الشكل البنائي المتوافق مع حركات كل مشهدٍ على حدة ، فيقول في وصف الغروب :

(١) موسيقى الشعر : ١٨٠ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

أراق على البحر ذوب الذهب　　وفاض على موجه واضطربْ
ورقرق صهباءه فاحتست　　ثغور الذرى وشفاه الصَّببْ
وألقى على الشمس من لونه　　رداءً وقبَّلها وانجذبْ
جلاها على الأفق ياقوتة　　توهج منها السّنا والتهب[1]

فالوزن الشعري الذي اعتمد عليه الشاعر – هنا – هو بحر المتقارب ، وتفعيلاته كما وردت في القصيدة (فعولن / فعولن / فعولن / فعو) ، ثم تتكرر بالشكل نفسه في الشطر الثاني ، وهذا التتابع النغمي يشبه تماماً تتابع سقوط الشمس منن أعلى إلى أسفل حيث تغرب، بينما يقول الشاعر في وصف مشهد الحساب :

هبّ والأفق ديمةٌ وغمامه　　وجبين السماء بادي الجهامه
ووميض النجوم إيماءُ لحظٍ　　وسنا البرق بسمه والتثامه
والدجى عاطر النسيم ندي الضو　　ء زاهي الرؤى مليح الوسامه[2]

فتفعيلات بحر الخفيف (فاعلاتن / مستفعلن / فاعلاتن) التي بنى عليها الشاعر قصيدته هي الأنسب تماماً لحركة السحاب المتموجة ارتفاعاً وهبوطاً ؛ لأن (فاعلاتن) تمثل مستوىً صوتياً غير الذي تمثله (مستفعلن) ، واختلاف المستوى الصوتي والنغمي في الأبيات الشعرية هنا يماثل اختلاف حركات السحاب بفعل الريح على العكس من مشهد الغروب الذي تنتظم فيه الحركة ، وتتوالى مثلما تتوالى أصوات التفعيلات ، ويتوحد إيقاعها في ذلك البحر الشعري ، فتكون ذات مستوىً صوتي واحد ، وهكذا تتجلّى حركة الطبيعة من خلال البناء الموسيقي ووزن القصيدة[3] . وهذا هو الجانب الذي يمكننا أن نتلمسه من علاقة الوزن بالموضوع . أما ما أشار إليه النقاد

(١) الأعمال الكاملة : ١٢١ .
(٢) المصدر السابق : ١٢٥ .
(٣) انظر تفصيل هذه الظاهرة في الاتجاه الابتداعي في الشعر السعودي الحديث ، لمحمد حبيبي : ٢ / ٤١ – ٤٣ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الـذين سـبق ذكـرهم في أول الحـديث عـن هـذه الظـاهرة كالقرطـاجني ، والبـستاني ، والرافعي ، والجندي ، والمجذوب ، وعبدالجليل وسواهم ، فإنه لن يتحقق إلا إذا قمنا بجهود استثنائية ((**لنتوصل بعدها إلى الحقيقة التي لا يشوبها شك ، ولا تسندها ظنون، ولا ريب أنّ جهودنا هذه ستكون شركة بين نقاد وشعراء ولغويين وموسيقيين وعلماء نفس وأطباء متخصصين بالأصوات ومعامل ومختبرات وأجهزة صوتية ، وقبل أن نبدأ بمثل هذا المشروع ينبغي أن نكون قد انتهينا من استقرائنا الشامل للشعر العربي، تراثاً ومعاصرة ، ونكون قد بوبنا القصائد تبعاً للحالات النفسية ، أو الموضوعات العامة ، أو المواقف الفردية عند هذا وحده ، سوف نستطيع أن نقول : إن الرمل – مثلاً – يلائم مواقف الحكاية والقصة ، وإن الكامل يلائم التعبيرعن الأحزان الهادئة ، والخبب عن الفرح والرقص، وسيكون لقولنا حينئذٍ قوة الحقيقة العلمية وبدون فعل كهذا ستظل جميع الانطباعات والآراء الفردية آراء وانطباعات ليس أكثر**))[1] .

ومن الظواهر البارزة في شعر جازان والمتعقلة بالوزن الموسيقي ظاهرة شيوع ((**التدوير**))[2] لدى شعراء مثل محمد بن علي السنوسي ، وأحمد البهكلي ، وحسين النجمي، إذ نجد لهؤلاء الشعراء الثلاثة شغفاً واضحاً به ، بل يصل الأمر بهم إلى إيراد قصائد كاملة كلها مدورة الأبيات كقصيدة (ثورة الجراح) لحسين النجمي ، وفيها يقول :

يـا ليـلُ قـد ثـارت جـرا حـــي والحبيـــب البلـــسمُ
يـا ليـلُ قـد هاجـت شـجو نـــــي والبريّـــــة لـــــوّمُ
يـــا ليـــلُ جافـــاني الرقـــا د وسامـــــرتني الأنجـــمُ[3]

(١) دير الملاك ، دراسة نقدية للظواهر الفنية في الشعر العراقي المعاصر ، د. محسن أطيمش : ٣٠١ .
(٢) هو اشتراك شطري البيت في كلمة واحدة .
(٣) خفقات قلب : ٦٦ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

ويواصل الشاعر هذا النمط من (التدوير) إلى آخر قصديته .

نجد أن هذا اللون من الكتابة الموسيقية شاع لدى شعراء جازان في البحور القصيرة ولاسيما مجزوء الكامل ، ومجزوء الخفيف ، ومجزوء المتقارب ، فالتدوير في مثل هذه الأشكال الموسيقية تلتحم به وحدتا البيت الموسيقيتان (الشطران) ، فيصبحان وحدة واحدة مدمجة ، فيكون رافداً من روافد القوة فيه ، وعاملاً من عوامل الانسيابية والسلاسة حيث لا انقطاع ولا توقف [1] .

ب- القافية :

تعد القافية من أهم ركائز موسيقى الشعر العربي ، فهي تجعل الصورة الموسيقية أكثر اكتمالاً وتنظيماً من الناحية التشكيلية الخارجية ، وتشير – في الوقت ذاته – إلى ختام البيت ، بل إنَّ القوافي الناجحة تؤدي وظائف مهمة في إبراز المعاني والعواطف ، وتكوّن إضافة حقيقية لمعنى النص وموسيقاه . ومن هنا نجد أنَّ كثيراً من نقادنا القدامى يعلون من شأنها ، ويرفعون من قدرها ، فالجاحظ يورد مقولة شبيب بن شيبة : ((**حظ جودة القافية وإن كانت كلمة واحدة ، أرفع من حظ سائر البيت**))[2] .

وقد أدرك شعراء جازان هذه الأهمية الفائقة للقافية في العمل الشعري ، ولم يأبه أغلبهم بالدعاوى التي تثار حولها في هذا العصر من أنها ثانوية في العملية الإبداعية ، أو أنها قيد على الشعر لا بدّ من أن يكسر ، بل حافظ عليها كثير منهم ، ولاسيما الرواد ومجيدوا قرض الشعر ، ومع ذلك لم يجمدوا على حال واحدة في التعامل معها ، بل حاولوا أن يستفيدوا من صور التجديد والتطوير التي طرأت عليها في القديم والحديث دون أن تلغيها ، وحققوا كثيراً من النجاحات ، واستفادوا مما حملته من إمكانات .

---

(١) ممن أشاروا إلى قوة الأسلوب الناشئة عن التدوير في البيت الشعري ابن رشيق القيرواني . انظر : العمدة : ١ / ١٧٨ – ١٧٩ .

(٢) البيان والتبيين ، للجاحظ ، تحقيق : عبدالسلام هارون : ١ / ١١٢ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ولكي يمكن التعرف على القوافي التي استخدمها شعراء جازان عمدتُ إلى دراسة إحصائية لـ (١٦٠٠) نصٍ شعري موحّد القافية ، كما في الجدول الآتي :

م	حرف الروي	عدد القصائد	النسبة المئوية
١	الراء	٢٨٤	٪ ١٧.٨٠
٢	النون	٢٠٣	٪ ١٢.٧٠
٣	الدال	١٩٥	٪ ١٢.٢٠
٤	الباء	١٧١	٪ ١٠.٧٠
٥	الميم	١٦٧	٪ ١٠.٤٥
٦	العين	١٢٩	٪ ٨.١٠
٧	اللام	٩٤	٪ ٥.٩٠
٨	القاف	٩١	٪ ٥.٧٠
٩	الفاء	٧٢	٪ ٤.٥٠
١٠	الهمزة	٥٤	٪ ٣.٤٠
١١	الحاء	٣٣	٪ ٢.١٠
١٢	الياء	٣١	٪ ١.٩٥
١٣	الكاف	٢٤	٪ ١.٥٠
١٤	السين	١٧	٪ ١.١٠
١٥	الهاء	١٦	٪ ١.٠٠
١٦	الشين	٥	٪ ٠.٣٥
١٧	الجيم	٤	٪ ٠.٢٥
١٨	التاء	٣	٪ ٠.٢٠
١٩	الزاي	٢	٪ ٠.١٥
٢٠	الواو	٢	٪ ٠.١٥
٢١	الصاد	١	٪ ٠.٠٧
٢٢	الطاء	١	٪ ٠.٠٧
٢٣	الغين	١	٪ ٠.٠٧

شبكة الألوكة - قسم الكتب

وبناء على هذا الإحصاء توصل الباحث إلى عددٍ من النتائج منها :

١ – أنَّ شعراء جازان نظموا قصائدهم على أكثر حروف الهجاء ما عدا (الثاء ، والخاء ، والظاء ، والذال ، والضاد) ، على أنَّ بعض هذه الحروف التي لم ترد لها قصائد في الإحصائية السابقة ربما وجد عليها قصائد لدى شعراء جازان لم يشملها الإحصاء والتتبع ، وأيضاً فهناك بعض الحروف قد وردت روياً ضمن القصائد المقطعية ، بينما لم ترد على القصائد ذات الروي الموحد ، ومن ذلك مثلاً حرف (الضاد) ، فقد جاء روياً في قصيدة مقطعية لمحمد العقيلي ، حيث يقول :

إنهـــا مملكـــة شمـــا　　وشـــعبٌ نـــاهضُ
كلنـــا دون حماهـــا　　للمنايـــا خـــائضُ (١)

٢ – هناك حروف جاءت قليلة الاستعمال من حيث كونها روياً ، إذ لم تتعد شواهدها أكثر من نصٍّ أو اثنين أو ثلاثة إلى خمسة ، وهي : (الشين ، والجيم ، والتاء ، والزاي ، والصاد ، والطاء ، والواو ، والغين) ، وجميع هذه الحروف إضافة إلى الحروف السابقة التي لم يرد لها ذكر في الإحصاء مما اتفق شعراء العربية على تجنبها والإقلال منها ، وعند تقسيم الدكتور إبراهيم أنيس حروف المعجم حسب درجة شيوعها في الروي ذكر في القسم القليل الأحرف (الضاد ، والطاء ، والهاء ، والتاء ، والصاد ، والثاء) ، وذكر في القسم النادر أحرف : (الذال ، والغين ، والخاء ، والشين ، والزاي ، والظاء ، والواو) ، ولا أظنه بنى حكمه هذا على استقراء الشعر العربي جميعه ؛ إذ لا قدرة لباحثٍ على ذلك ، ومن هنا فإننا نجد حروفاً مما جعلها إبراهيم أنيس في قسم القليل تعدّ نادرة عند شعراء جازان وبعضها غير موجود (كالضاد والثاء) ، وهناك حروف جعلها أنيس في النادر لم تكن عند شعراء جازان كذلك مثل (الشين والزاي) ، بينما نجد في تصنيف إبراهيم أنيس أنَّ حرف (

(١) المجموعة الشعرية : ٤٥٠ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

السين) [1] يعد من الحروف الكثيرة الورود لدى شعراء العربية ، وهذا مما خالفه شعراء جازان ، إذ لم يرد لهذا الروى من القصائد سوى (١٧) قصيدة أي ما يعادل ١.١٠ ٪ من مجموع القصائد الواردة ضمن الإحصاء السابق .

٣- جاءت معظم النصوص الشعرية المدروسة من حروف الروي الذُّلل ، وأكثرها وروداً هي (الراء ، والنون ، والدال ، والباء ، والميم ، والعين) ، وهذه الحروف هي نفسها الواردة في تصنيف الدكتور إبراهيم أنيس للحروف الأكثر شيوعاً من حيث كونها رويّاً لدى شعراء العربية ، وإن اختلف ترتيبه لها عن الترتيب الوارد في إحصاء قوافي شعراء جازان ، فقد جاء ترتيبه كما يلي (الراء ، والميم والنون والباء والدال ، والعين) [2] .

ويظهر توافق الإحصائين في تقدّم حرف الراء ، حيث بلغ عدد قصائده لدى شعراء جازان (٢٨٤) قصيدة ، وهي نسبة كبيرة ؛ ولعل السبب في ذلك يعود إلى أنَّ الراء من أكثر الحروف التي ختمت بها الكلمات العربية ، إلى جانب قيمتها الصوتية الناتجة عن صفة التكرار التي تلازمها من بين حروف الهجاء الأخرى ، بل إننا نجد شاعراً كبيراً من شعراء جازان ، وهو السنوسي يستأثر هذا الحرف بنسبة كبيرة من قصائده تصل إلى (٣٦) قصيدة، بل إننا - أيضاً – نجد (الراء) يهيمن على أغلب كلمات بعض قصائده ، وليس القافية فقط ، نجد ذلك في مثل قوله في قصيدة (مسافر) :

أنا ما زلت يا حبيبي مسافر زورقي أحرفي وبحري مشاعر
وشراعي عواطف خافقات خفقان الرياح والموج زاخر
وأنا شاعر وما الشعر إلا رحلة الفكر في محيط الخواطر

(١) موسيقى الشعر : ٢٤٨ .
(٢) المصدر السابق : الصفحة نفسها .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

كيف أرسو ولم يلح بعد مرسا　　ي ولا أشرقت لعيني منائر[1]

فالراء من عنوان القصيدة إلى قافية البيت الرابع في هذا المقطع ورد (١٨) مرة ، محدثاً نوعاً من التكرار المعبّر عن الحركة الموارة الملائمة لحال المسافر الذي لا يهدأ ولا يتوقف في رحلته .

أما حرف (النون) الذي حلَّ ثانياً ، فقد نظم الشعراء عليه (٢٠٣) نصاً ، والنون بطبيعتها الصوتية الواضحة ، ومصاحبتها لصفة الغنة الرخيمة ، تعدّ من ألذ الحروف التي ترنّم بها الشعراء ، ولعلنا نتذكر نونية جرير (إنَّ العيون) ، ونونية ابن زيدون (بنتم وبنّا) ، وغير خافٍ أنَّ (النون) لا تحمل هذه الصفة في سائر الحالات ، بل إنها – أحياناً – تعدّ ثقيلة ، إذا اتصلت بنون النسوة – مثلاً – كما في قول علي بن حسين الفيفي في قصيدة (سرب العذارى) :

يا آخذات فؤادي　　عجبت من أمركن

أنتن تعرفن ما بي　　وعارف ما بكن[2]

ثم جاءت بعد ذلك كثير من القوافي الذُّلل ، بينما قلّت القوافي النفر ، وندرت القوافي الحوش (شبه المهجورة) ، فمن الأول (النفر) جاءت قافية الجيم كما في قول محمد مباركي في قصيدة (الراووق الخصيم) :

قارفتك الذنوب يا باسقًا كالـ　　آه فابتلَّ بالظلام السراج[3]

ومن الثانية (الحوش) النادرة قافية الواو ، جاءت قصيدة (الحبّ الكاذب) للسنوسي ، إذ يقول :

ضحكت حين قال إياك أهوى　　أنا ياهند ليس لي عنك سلوى

ورنت نحوه بطرف كليل　　لمحُ أهدابه يرفرف هزوا[4]

---

(١) الأعمال الكاملة : ٧٦٤ .

(٢) أصداء الذكريات : ٥ .

(٣) للصعاليك فقط : ٢١ .

(٤) الأعمال الكاملة : ٦١٧ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

٤- جاءت أكثر القوافي لدى شعراء جازان مطلقة ، وأكثر الحركات التي استأثرت بها هي الفتحة تلتها الكسرة ثم الضمّة. بينما لم تتجاوز القوافي المقيدة (الساكنة) ٧.٥ ٪ من إجمالي القصائد التي شملها الإحصاء ، وأكثر الشعراء ميلاً إلى القوافي المقيدة هم الشعراء الذين زاوجوا بين القصائد الموزونة والمقفاة وشعر التفعيلة كإبراهيم مفتاح وصيقل وصعابي والحربي وغيرهم،ومن ذلك قول إبراهيم مفتاح في قصيدة (بين الحلم والظهيرة):

تمـر علـى وجهـه الأزمنـهْ فيمسك باللحظـة الممكنـهْ[1]

((وهذا النمط من القوافي ينتهي بمقطع مغلق ، وهو يمثل صوتياً بعض أحوال النفس التي تقترن بشيء من الحدة أو الحزم أو الضيق))[2] ، ومن ذلك قصيدة العقيلي في رثاء الملك عبدالعزيز التي مطلعها :

نـيّرٌ قـد هـوى فـرجَّ العـوالم وأحـال الشموس والكون قاتمْ[3]

فالتقييد للقافية هنا يشعر بالتوقف بعد الحركة ، والسكون بعد الضجيج ، وجمود الصورة بعد تدفقها ، وكل هذا يرسم لنا أبعاد نفسية الشاعر الحرجة وما ينتابه من ضيق ، واختناق نفس لا يقدر الشاعر أن يمدّه أو يحركه ؛ فيتوقف عند السكون ، ولا يستطيع مدّ صوته أبعد من ذلك .

مظاهر التجديد في القافية (التشكيلات العروضية الجديدة) :

لم تكن القصيدة الموزونة والمقفاة جامدة عند حدّ معين لا تتجاوزه ، بل إنها حققت كثيراً من المرونة والتنويع في القوافي مع المحافظة على أصالتها ، وتجديد الشعراء في قوافي القصيدة (الموزونة والمقفاة) جاء في مظاهر كثيرة منها :

(١) احمرار الصمت : ٤٣ .
(٢) التمثيل الصوتي ، للدكتور حسني عبدالجليل : ٤٢ – ٤٣ .
(٣) المجموعة الشعرية : ٢٥٧ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

١- القصيدة المقطعية :

القصائد ذات النظام المقطعي يقوم كل مقطع منها على حرف روي مستقل أو متكرر في بعض المقاطع مع التزامها بوزنٍ واحد ، ومن هنا سميت مقطعية ؛ لتنوع الروي والقافية في كل مقطع من مقاطعها ، ولم تكن القصيدة المقطعية من مبتكرات ومخترعات شعرائنا المحدثين، فهذه القصيدة عرفت عند الأقدمين لاسيما شعر العصر العباسي والشعراء الأندلسيين ، وعرفت بالمخمسات والمربعات والمسمطات ، وهي عبارة عن أشطر يكررها الشاعر بروي ، ثم يختمها بشطرٍ له رويٌّ مخالف يلتزمه في كل مقطوعه ؛ فإذا كانت الأشطر أربعة والخامس هو المخالف سميت مخمسة ، وإذا كانت أقل من ذلك سميت مربعة أو مسمطة .

وقد شاع هذا اللون من التوزيع الموسيقي في الشعر الحديث ، لا سيما المقسم إلى أربعة أشطر يشترك فيها الأول والثالث في قافية ، والثاني والرابع في قافية أخرى ؛ ويرمز لهذا النوع : أ ب أ ب – ج د ج د ، وهكذا [1] ، ومن أمثلته لدى شعراء جازان ماجاء في قصيدة البهلكي (نهاية حلم) ، حيث يقول :

رغم أن الحب في ذا الكون مغنى　　تتغنّى فيه أطيارُ السعاده
وحياة حلوة لفظاً ومعنى　　فلقد عُذّبت فيه وزياده
‥　　‥　　‥
إنما عُذّبتُ في حبي الذي　　صار بعد الوصل والأفراح صدَّا
كنت أرجو فيه حبي منقذي　　من زمان إن تركنا الحبل شدَّا [2]

وأكثر الشعراء في جازان – كغيرهم من الشعراء العرب المحدثين – من النظم على شكل مقطوعات مستقلة بذاتها ، تتكون المقطوعة من ثلاثة أبيات ، فتسمى (ثلاثية)

(١) انظر : موسيقى الشعر ، للدكتور إبراهيم أنيس : ٣٠٤ .
(٢) الأرض والحب : ٥٦ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

أو أربعة أبيات ، فيطلق عليها (رباعية) [1] ، أو خمسة أبيات ، فتدعى (خماسية) [2] ، والغالب على أكثر هذه المقطوعات عدم التزام القافية والروي في كلا الشطرين ، بل في نهاية كل بيت .

وهذه القصائد المبنية على النظام المقطعي أو تلك المقطوعات القصيرة تمنح الشاعر حريةً في اختيار القوافي وتنويعها ، تبعاً لما تمليه عليه الحالة التي يكون عليها ، ولذلك نرى القوافي الطويلة الممتدة والقوافي القصيرة ذات الروي الساكن ، ثم نرى الروي نفسه يختلف من حيث تكيفه مع المشاعر والأحاسيس التي يريدها الشاعر ، فنجد الروي يتناغم أحياناً مع الحزن ، وأحياناً أخرى يتوافق مع المشاعر الفرحة المغتبطة، فينبعث معها متراقصاً طربا .

وقد أدرك شعراء جازان هذه الميزة التي يتيحها البناء المقطعي من حيث تنوع القوافي فيه ، فمضوا يستخدمونها على تفاوت بينهم في ذلك الإدراك ، وتلك الاستفادة الفعلية .

نجد ذلك في قصيدة (يوم على صفحة التاريخ يأتلق) [3] للشاعر محمد العقيلي ، فقد بنى الشاعر قصيدته على النظام المقطعي ، فجعلها في عشرة مقاطع ، كل مقطع يحوي أربعة أبيات (رباعية) تختلف في رويّها عن أبيات المقاطع الأخرى ، والمقاطع جميعها مبنية على وزنٍ واحد هو (بحر البسيط) .

بدأ الشاعر قصيدته بمقطع على روي (القاف) المشبع بحركة الضم ، وفي المقطع الثاني جاء الحرف نفسه ، ولكنه ينتهي بألف الإطلاق مع إردافه بالألف ، ومطالع المقطعين هما :

يومٌ على صفحة التاريخ يأتلقُ　　أغرَّ عن خالد الأمجاد ينبثقُ

(١) مثل مقطوعة (رباعية) للبهكلي ، المصدر السابق : ٧١ .
(٢) مثل قصيدة السنوسي (المدينة العسكرية) ، انظر : الأعمال الكاملة : ٥٧٤ ، وقصيدة (لكي لا تجيء) لإبراهيم مفتاح ، انظر ديوانه : رائحة التراب : ٧٣ .
(٣) انظر : المجموعة الشعرية : ٢٤٩ – ٢٥٥ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

يـومٌ بـه أمـة هبّـت مهللـة أخفى عليها من الأمجاد إشراقا

وفي المقطع الثالث أتى برويّ آخر هو (الباء) المضمومة ، وفي المقطع الرابع جاء روي (الميم) المضمومة أيضاً ، كما في قوله :

ذكرى تمجدّها الأجيال والحقبُ وتحتفي بتغالي ذكرها العربُ

لله آيات إقدام وتضحيةٍ بمثلها تتباهى في الورى الأممُ

وفي المقطع الخامس حلّ حرف (اللام) المشبع بالكسرة رويًا ، وفي المقطع السادس تغيّر الروى فجاء (دالاً) مشبعاً بالضمة ، وأول المقطعين قوله :

ويا لها فكرة كانت موفقة وخطرة لعظيم القدر والمثلِ

تقحّم الموت معمور اليقين فلم يثن له الخطب قلباً أو تغلّ يدُ

وفي المقطع السابع عاد الشاعر إلى روي (القاف) ليستفيد من قوة هذا الحرف في وصف ما تحقق من نصرٍ للملك عبدالعزيز ، وفي المقطع الثامن أفصح الشاعر عن عظيم سروره وشدة أنسه بانتصارات الملك ، فعمد إلى روي (الدال) المسبوق بألف الردف ، والمختوم بألف الإطلاق ؛ إذ ساعد ذلك على إطلاق المشاعر على أوسع مدى، إذ لا يمكن احتواءها بسكونٍ أوحركة ضم أو كسر ، فكان الألف ذي الأفق الواسع ، فيقول في هذين المقطعين :

لم تنفض النوم أجفانٌ مهوّمة إلا ووجهك في أرجائهم فلقُ

إني لأبهج منه اليوم مفخرةً بفتحكم وأشد الناس إسعادا

ثمَّ لما أراد أن يسجّل مشاعر غيره انتقل إلى روي (الباء) المشبع بالكسر :

أرى الجزيرة أفراحاً تشاطرني زهو الشعور وشجو الشاعر الطربِ

فقد ساعد هذا الروي على إدخال ألفاظ تتضمن معاني السعادة والفرح ، مثل (الطرب ، العجب ، القشب) .

واختتم العقيلي قصيدته بمقطع قام رويّه على حرف (النون) المشبع بحركة

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الضم ، إذ يقول :

خمسون عاماً مضت تختال زاهيةً وضيئة المجد بالتأييد تقترنُ

وهذا الروي يناسب الختام ويلائمه ، ذلك أن النون فيه شيء من النغمة المقترنة بمعاني الثبات وعدم التحول ، كما يؤكد ذلك إبراهيم أنيس [1] وحسني عبدالجليل [2] ، وغيرهما .

((وبهذا يتبيّن أثر الشكل المقطعي على الناحيتين المعنوية والموسيقية في القصيدة ، وكيف استفاد العقيلي منه ، فهذا الشكل يعطي قدراً أكبر من الحرية في اختيار القوافي تبعاً لما يمليه سياق كل مقطع ، وتبعاً للتنوع الذي تكون عليه العاطفة)) [3] .

والقصائد المقطعية لدى شعراء جازان جاءت في أشكال متنوعة منها مثلاً ما يسمّى بالشكل (الثنائي) و (المثنيات) ، أو القافية المتعانقة [4] ، وهي أن يتفق البيت مع البيت الذي يليه في القافية ، ثم تتغيّر بشكل ثنائي ، وغالباً في هذا الشكل من القوافي تتضافر الثنائية الموسيقية مع الثنائية الفكرية والنفسية ،نجد ذلك في مثل قصيدة إبراهيم مفتاح (مناجاة على الشاطئ) ، إذ يقول :

يا مياه البحر غنِّ غنِّ فالشط معنَّى
همسات الموج لحنٌ فيك يا بحر تغنَّى
.. .. ..
امنح الشاطئ عطفاً امنح الشاطئ قبله
اعطنا حبّاً وناجِ كلَّ عين كل مقله
.. .. ..
هذه الشطآن مهدي وعليها كنت ألعب

(١) انظر : الأصوات اللغوية ، للدكتور إبراهيم أنيس : ٦٨ .
(٢) انظر : التمثيل الصوتي ، للدكتور حسني عبدالجليل : ٧٤ .
(٣) شعر محمد بن أحمد العقيلي ، دراسة تحليلية ، لخالد الشافعي : ٤٨٠ .
(٤) انظر : النقد الأدبي الحديث ، للدكتور محمد غنيمي هلال : ٤٦٨ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

يـــرقص المـــوج عليهـــا　　وأنـــا أشـــدو وأطـــرب [1]

ويلمح حرص الشاعر على أن يربط كل بيتين متحدي القافية في المعنى والأسلوب وكأنهما بيت واحد من شطرين ، وقد طرق شعراء جازان هذا النمط بكثرة، ولعل أبرزهم إبراهيم مفتاح [2] ، وجلوي الحكمي [3] .

ووجد في السياق ذاته قصائد مقطعية ، كل مقطع منها يتكون من ثلاثة أبيات ، كما في قصيدة إبراهيم مفتاح (هناك موعدنا) [4] ، وقصيدة جلوي الحكمي (ثلاثيات) [5] . وأكثر الأنماط شيوعاً في القصائد المقطعية هو نمط (الرباعيات) ، إذ يجعل الشاعر كلَّ مقطع مكوناً من أربعة أبيات كما في قصدية العقيلي التي سبق تحليلها [6] ، وقصيدة على النعمي (الراعي والراعية والحلقة المفقودة) [7] بناها على النظام المقطعي الرباعي ، وقصائد البهكلي (أحبك) [8] ، وجلوي الحكمي (خطاب لصقر) [9] .

أما القصائد المقطعية التي يتكون كل مقطع منها من خمسة أبيات فهي قليلة لدى شعراء جازان إذا ما قورنت بالشكل السابق (الرباعيات) ، ومن القصائد المقطعية (الخماسية) قصيدة (هات عينيك) [10] لإبراهيم مفتاح ، وقصيدة البهكلي (من خالد بن الوليد) [11] . وهذا اللون من التشكيل الموسيقي كان يطلق عليه القدماء

(١) عتاب إلى البحر : ٥٤ .
(٢) انظر : المصدر السابق : (قصيدة تأملات) : ٥٢ وغيرها .
(٣) انظر ديوانه : قبل أن ينضب الأمل : (قصيدة أمل) : ٧٧ وغيرها .
(٤) انظر : احمرار الصمت : ٣١ .
(٥) انظر : قبل أن ينضب الأمل : ٥٥ .
(٦) انظر : المجموعة الشعرية : ٢٤٩ – ٢٥٥ .
(٧) انظر : الأرض والعشق : ١٠٤ .
(٨) انظر : الأرض والحب : ٤٣ .
(٩) انظر : قبل أن ينضب الأمل : ٨٤ .
(١٠) انظر : عتاب إلى البحر : ٦٨ .
(١١) انظر : طيفان على نقطة الصفر : ٩٣ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

(المخمّس) [1]، وهو ما توسع فيه المحدثون زيادة ونقصاناً من حيث عدد الأبيات .

وإذا كان كثير من النقاد يرون أن الشاعر يستفيد فائدة كبيرة من هذا النظام الموسيقي المعتمد على التجربة الشعرية ، ((**إذ لم يعد الشكل همَّ الشاعر الأول ، بل أصبحت التجربة والحسّ الفني هما اللذان يوجهانه إلى ما يختار من أشكال المقطوعة العديدة ونظام قوافيها . واستطاع الشاعر أن يحقق بين أجزاء صورته قدراً من التكامل والتماسك يفوق ما حققه في إطار القصيدة القديم ، ويشيع في قصيدته ومقطوعاته أنغاماً متعددة تلائم اللحظات النفسية المتعاقبة داخل التجربة الشعورية الواحدة**)) [2] .

وهذا يعد بحق إضافة جديدة للقصيدة من حيث تطوير الشكل دون خروج كلي عن نهج القصيدة المألوف .

إلا أنَّه متى ما عمد الشاعر إلى تقييد هذا اللون من التشكيل الموسيقي وصبغه بشيء من لزوم ما لا يلزم ، فإنه يعود بنا إلى الوراء نحو لزوميات المعري التي شطط فيها على نفسه كما صنع الشاعر علي بن حسين الفيفي في إحدى قصائده المقطعية ذات التشكيل الرباعي عندما التزم قافيتين ، قافية موحدة لكل شطر في المقطع ، ومن ثم في القصيدة كلها ، فيصبح لكل مقطع رباعي قافيتان ، يقول في إحدى مقاطع القصيدة :

جرحك الدامي وهل يندملُ بعد أن أصبح في كفّ القدرْ
ما الذي في وسعنا ما العملُ لتنام العين من بعد السهرْ
كم بكت مما تعاني مقلُ غير أنّ الدمع لا يقضي وطرْ
فعسى يا قلب يدنو الأملُ يذهب الحزن ولا يبقى أثرْ [3]

فالتزم الشاعر في هذا المقطع في الشطر الأول روي (اللام) المضمومة ، وفي الشطر

(١) انظر : العمدة ، لابن رشيق : ١ / ١٨٠ .
(٢) الاتجاه الوجداني في الشعر المعاصر ، د. عبدالقادر القط : ٣٣٢ .
(٣) أزهار : ٧٠ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

الثاني روي (الراء) الساكنة . وربما استطاع الشاعر أن يكيف عاطفته في مقطع أو مقاطع قليلة ، لكنه مع الإطالة يضعف عن حمل قيودها . ورغم ما فيها من الموسيقى الخارجية ، فإن فيها قيوداً للتدفق المعنوي ، وقد شبه أحد النقاد هذا الصنيع بأنَّه : ((**مثل من يحاول أن ينظم خيوطاً في إبر ضيّقة المسام ، وبذلك يذهب المعنى كثيراً ، وتضعف العاطفة ، مثلما تُضعف حركة النهر المتدفق الانحناءات والالتواءات والمضائق**))[1] .

وأظنّ أن الإخفاق في المقطع السابق وأمثاله يأتي من ناحية تكلف القافية واعتسافها ، وكذلك التنافر بين القافيتين ، والبون الشاسع بين صوت (اللام المضمومة) وصوت (الراء الساكنة) ، ولا يعني إخفاق علي الفيفي في هذا التشكيل الموسيقي إخفاقه في الجوانب الأخرى ، بل على العكس ، فإنَّه قد أجاد كثيراً في قصائده المقطعية ، وكذلك في مقطوعاته الشعرية ، لا سيما تلك التي أوجدتها تجارب صادقة وغير مستكرهة أو متكلفة .

٢- وجاءت مظاهر أخرى عديدة متصلة بالتجديد في القافية وفي إطار القصيدة (الموزونة والمقفاة) ، ولكنها لم تكن شائعة في شعر جازان شيوع القصيدة المقطعية أو المقطوعات الشعرية ، وإنما وردت لدى عددٍ قليل من الشعراء ، ومنها النظم على نمط **الموشحات** ، وتختلف الموشحة عن القصيدة التقليدية في أمرين رئيسين :

أحدهما- أن الأول ليست سلكاً من أبيات مستقلة تجري جميعها على روي واحد ، بل هي سلسلة أدوار متناسقة الترتيب متنوعة القوافي .

والثاني- أنها لا تتقيَّد تقيُّد القصيدة ببحر واحد ، إذ منها ما يبنى على أكثر من بحر ، وإنما يتطلّب فيها تنسيق الدور - أي تشابه الأدوار في طريقة النظم – مما يجعل منها قطعة فنية واحدة .

وهي عادة مؤلفة من مطلع أو (لازمة) وأدوار . وكل دور مؤلف من أبيات

(١) الشعر الحديث في المملكة العربي السعودية ، للدكتور عبدالله الحامد : ٤٠٨ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

أعاريضها على روي واحد ، وضربها على روي آخر ، وينتهي الدور بما يجاري المطلع وزناً ورويّا . والأعم في التوشيح أن تكون اللازمة بيتين وبقية الدور ثلاثة ، كموشحة ابن الخطيب المشهورة التي مطلعها :

جادك الغيث إذا الغيث همى　　يا زمان الوصل بالأندلس
لم يكن وصلك إلا حلماً　　في الكرى أو خلسة المختلس

والدور الأول من التوشيحة السابقة هو :

إذ يقود الدهر أشتات المنى　　ينقل الخطو على ما نرسمُ
زمراً بين فرادى وثنا　　مثلما يدعو الوفود الموسمُ
والحيا قد كلل الروض سنا　　فثغور الروض منه تبسمُ
وروى النعمان عن ماء السما　　كيف يروي مالك عن أنسِ
فكساه الحسن ثوبا معلما　　يزدهي منه بأبهى ملبسِ (١)

فالدور كما نرى مؤلَّف من ثلاثة أبيات أعاريضها على روي هو (نا) ، وأضربها على روي آخر هو (م) ، ويتبعها بيتان هما اللازمة ؛ لأن عروضيهما وضربيهما مماثلان للمطلع ، وعلى هذا المنوال أكثر الموشحات . على أنهم لم يحصروا التوشيح في عدد معين من الأبيات للدور الواحد أو في شكل واحد من الأشكال ، بل تفننوا في إخراجه ، وصنيع شعراء جازان في موشحاتهم يندرج ضمن هذا الإطار ، ويماثل هذا التوجه ، متأثرين بالطريقة الأندلسية من جهة ، ومن جهة أخرى بالشعراء العرب المهجريين وغيرهم ممن استوحوا بعض طرائق النظم عند الغربيين ، ويظهر هذا التأثر المزدوج في موافقته للتوشيح الأندلسي بتناسق الأدوار ومخالفته له في عدم التقيّد بالمطالع اللازمة .

ومن هذه التواشيح الجديدة قصيدة السنوسي (الموج والشاطئ) ، وهي تماثل

(١) ديوان لسان الدين بن الخطيب : ٥٤ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

موشحة حسن الصيرفي (الأمواج والشاطئ) [1] شكلاً ومضموناً وعنواناً ، يقول السنوسي:

ماذا يقول الموج للشاطئ　　في مدّه الهادر والهادئ
ومن ترى يعرف أسراره　　من كاتب منا ومن قارئ
هيهات ذاك السر سرٌّ عميق
يختلف الليل به والنهار　　والبدر كم هلَّ به واستدار
والشمس كم دارت بهذا المدار　　وكم هوت تجري بذاك القرار
تجري ولا تعلم أين الطريق
يثرثر الإنسان منذ الأزل　　ثرثرة الموج بحضن الجبل
لكنه في غيّه لم يزل　　وكلما ازداد صعوداً نزل
لا يرعوي عن غيه أو يفيق [2]

ومن الأنماط الأقرب إلى شكل الموشح القديم قصيدة أحمد الحربي (معزوفة على صدر المكان) ، وفيها يقول :

يضيع الزمان ويبقى المكان
وتضمر كلُّ الزهور الحسان

أما آن يا زهرتي أن نعيد
أماني وأحلامَ قلبٍ وئيد
بهذا الزمان
وذاك المكان

يضجُّ الزمان بآلامنا
ويحفر جرحاً بأعماقنا

(١) الاتجاهات الأدبية الحديثة ، للدكتور أنيس المقدسي : ٤١٩ .
(٢) الأعمال الكاملة : ٥٦١ – ٥٦٢ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ويبقى لنا الرمز هذا المكان

هناك بعيداً بروضٍ بعيد
سيبقى دليل غرامي الوحيد
بهذا الزمان
وذاك المكان

ويأتي زماني بخطوٍ سريع
كحلم الورود بعرس الربيع
ويفنى سريعاً وحُلمي يضيع

وتذبلُ كل غصون الورود
ويبقى المكان بهذا الوجود
يسطّر كل معاني الخلود
ويفنى الزمان
ويبقى المكان (١)

وتمضي القصيدة جميعها على هذا الطراز الموسيقي ، ونلحظ هنا أنَّ الدور يتكون من ثلاثة أبيات متغيّرة الروي ، في المقطع الأول جاء الروي (ن) ، وفي الثاني (نا) ، وفي الثالث (ع) ، ويتُبعها الشاعر باللازمة ، وهي مقاطع متغيرة العدد ، ولكنها متحدة الروي وهو (الدال) ، ثم يعقبه بالقفل الذي يذكر بأول الموشح ، وهو المختوم دائماً بحرف (النون) ، ونلحظ هنا أنَّ الشاعر تخلّى عن رسم المطلع المعهود في الموشح المعتمدة قافيته على حرفي روي ، روي للعروض وآخر للضرب ، بأن اعتمد في القفل المرافق للدور على حرف روي واحد هو (النون) يعاد بعد كل دور .

وقد يمزج بعض الشعراء أسلوب الموشح بأسلوب القصيدة التقليدية ، فينظم

(١) رحلة الأمس : ٢٩ – ٣٠ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

عدداً من الأبيات على قافية واحدة ، ثم يأتي ببيت مستقل تختلف قافيته عن الأبيات التي سبقته تتلوه لازمة مكونة من تفعيلتين ، بعده يعود الشاعر في أبيات عدة إلى قافية جديدة موحدة ، ثم يأتي ببيت واحد تتحد قافيته مع البيت المفرد الذي سبق الأبيات ، وتعود معه اللازمة نفسها، ونضرب على ذلك مثلاً من شعر إبراهيم صعابي الذي تكرر فيه هذا الشكل من الموشحات، كقوله :

كلمـــا أبـــصرت شيئـــاً خلـــت في الـــشيء خيالـــكْ
لا تقـــل : إنـــك وهـــم - في حيـــاتي – يتهـــالكْ
أنـــت فـــوق الوهـــم عنـــدي فأجـــب عنـــي ســـؤالكْ
هـــل أنـــا عنـــدك وهـــم مـــا رأى إلا اغتيـــالكْ ؟
فـــإذا بـــي أتغـــنى وإذا الوهـــم ينـــادي
يا حبيبي .. يا حبيبي
. .. ..
قلـت لي (يـا صـدر نفـسي) أملـــي يقتـــلُ يأســـي
فتـــصورت أمـــانٍ تتهـــادى فـــوق رأسي
أجتلـــي منهـــا بريقـــي وأرى فيهـــا التأســـي
وأناجيـــك .. حبيـــبي قـــد مـــلأت اليـــوم كـــأسي
كـــأس حـــب يتغنّـــى وبريقـــي سينـــادي
يـا حبيبي ... يا حبيبي [1]

ومن مظاهر الخروج على نمط القافية المألوف لدى شعراء جازان ، نظم عددٍ منهم على ما يسمّى بـ (**المسمّط**) ، وهو أن يبتدئ الشاعر القصيدة ببيتٍ مصرّع ، ثم

(١) زورق في القلب : ٤٨ – ٤٩ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

يأتي بأربعة أشطر من غير قافيته ، ثم يعيد شطراً واحداً من جنس ما ابتدأ به ، وهكذا إلى آخر القصيدة ، وقد يكون بأقل من أربعة أشطر وبلا بيت مصرّع [1] ، ومن ذلك قول محمد السنوسي في قصيدة (فرحة العيد) :

أهـــلاً بعيـــد الأمـــاني　　عيـــد الهنـــا والتهـــاني
لكـــل قـــاصٍ وداني　　في أرضنـــا العربيـــة
الـــشعب هلّـــل وكـــبّر　　والكـــون غـــنى وأزهـــر
والعيـــد في كـــل مظهـــر　　بالنهـــضة الخالديـــه [2]

وهذا اللون من المسمطات كثر لدى الشعراء في نظمهم الأناشيد الإسلامية والوطنية لا سيما لدى أحمد علي حمود حبيبي وعلي بن قاسم الفيفي ، ومن ذلك قول هذا الأخير في (أنشودة الجيل الصاعد) :

يـا أيهـا الجيـل الجديـد　　ووارثـــو المجـــد التليـــد
وأمـــل العهـــد الـــسعيد　　إلى العـــلا هيـــا بنـــا
هبّـــوا بعـــزمٍ لا يلـــين　　وأثبتـــوا للعالمـــين
بأننـــا أســـدُ العـــرين　　نـــذود عـــن تراثنـــا [3]

وعلي بن قاسم الفيفي قد أولع بهذا اللون من الوزن ، وبهذا التشكيل الموسيقي للقافية؛ ولعل السبب في ذلك كونه سهلاً مطواعا ، وقريباً إلى النفوس ، ومحبباً في الأسماع، والشاعر الفيفي يعمد إليه حتى في المواقف التي لاتتلاءم مع الأساليب الراقصة ذات الوقع السريع مثل الحزن والرثاء ، فنجده يرثي والده بقصيدة من نمط

(١) انظر : العمدة ، لابن رشيق : ١ / ١٧٨ – ١٨٠ ، وشرح كتاب أهدى سبيل إلى علمي الخليل ، لمحمود مصطفى، شرح : نعيم زرزور : ٢١٤ – ٢١٥ .
(٢) الأعمال الكاملة : ٧٩٣ .
(٣) الطيف العابر : ١٤٣ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

المسمط بعنوان (أبي الحنون)، ومما جاء فيها قوله :

ألم تكـــن يـــا أبتـــي　　محـــل كـــل ثقـــتي
ومنتهـــى مـــسرّتي　　في شخـــصك المهـــذب
ألم تكـــن لي مرشـــدا　　وناصحـــاً مجتهـــدا
وسنـــداً وعـــضدا　　في كـــل مـــا ألمّ بي (1)

ومن الأشكال التجديدية المنضوية تحت القصيدة الموزونة والمقفاة قصيدة (**مجمع البحور**) ، حيث تجمع القصيدة أكثر من بحرٍ شعري ، وهذا قليل لدى شعراء جازان ، ومما جاء فيه قصيدة (هاواي) للشاعر محمد العقيلي ، فقد جاءت القصيدة على مقطعين من الشعر متفاوتي الوزن ، المقطع الأول منهما قصير يتكون من سبعة أبيات ، جاء الأول منها على وزن مجزوء البسيط ، حيث يقول :

هـــاواي يـــا نـــسمة الـــسحر　　هـــاواي يـــا خفقـــة الزهـــر
هـاواي

ونلحظ أنَّ التفعيلة الأخيرة في العروض والضرب جاءتا على وزن (فعو) ، وهذا ليس مما ترد عليه التفعيلتان الأخيرتان في مجزوء البسيط ، ثم جاء بعد ذلك بكلمة (هاواي) وهي على وزن (مُسْتَفْعِ) .

أما الأبيات الستة الباقية من المقطع الأول فجاءت على بحر (الرجز) ، وأولها :

تألّقت كالـدرة الفريدهْ
وأشرقت كالماسةِ النضيدهْ

وكذا بقية الأبيات الواردة في هذا المقطع جاءت على وزن (متفعلن مستفعلن متفعل).

أما المقطع الثاني فيتكون من ثلاثة وثلاثين بيتاً جاءت جميعها على بحر البسيط التام ، إذ يقول :

(١) المصدر السابق : ١١٣ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

هـاواي يـا رفةً في لحظ نجلاء يابسمة ومضت من ثغر حسناء
ونفحة من أحاسيس مضمخة بالحب يارعشة في الروض عطراء
يا دفقة الطيب في فجرٍ يشع سنى وطلَّة الصبح في غيمٍ وأنداء [1]

ووزن الأبيات السابقة : (مستفعلن فاعلن مستفعلن فعلن) .

وهكذا اعتمد العقيلي في هذه القصيدة على بحرين هما الرجز والبسيط ، ومن البسيط جاء في القصيدة تامُّه ومجزوءه .

ويبدو أن التعامل مع هذا التشكيل الموسيقى خطرٌ للغاية ، ويتطلب موهبة خاصة ، ومهارة عالية ؛ لكي ينجح فيها الشاعر ، إذ تخضع لمدى توفيقه في القدرة على تخيّر البحرين المتجانسين موسيقياً ، مع الأخذ بالاعتبار طبيعة التجربة وخصوصيتها ؛ ولذا لم يكرر العقيلي هذا التشكيل الموسيقى في قصائده الأخرى ، ولم نجد شاعراً آخر من شعراء جازان استساغه أو قبلته أُذناه .

وبهذه المحاولات تبرهن القصيدة الموزونة والمقفاه على القدرات الكامنة فيها ، وأنها قادرة على الابتداع دون انسلاخ عن طبيعتها المعهودة ، وتبرهن كذلك على سعة الأوزان الخليلية لاستيعاب العواطف المتباينة ، واستعدادها للتطور والتجدد ومواكبه التطورات الإنسانية ، والمتغيرات الحضارية والتعقيدات الفكرية التي تسهم في إعادة تشكيلها من جديد كلما انطوى جيل ، وتبدّلت ظروف ، وذلك يخضع لإسهام الشعراء في تطوير الموسيقى حسب نفسياتهم المصطبغة بروح العصر ، بإحداث شيء من التغيير في ترتيب تفاعيلها ، وهندسة نظامها ، والتدخل في تشكيل معماريتها ، وكل ذلك في النهاية مرهون بالشاعر الجيد الذي يجيد تحريكها ، وتوظيف خاماتها بمهارة وحذق وإحساس صادق ، وشاعرية مواتية.

(١) المجموعة الشعرية : ٦٦٥ – ٦٦٦ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

٢- قصيدة التفعيلة :

كل مامر معنا من قبل من مظاهر تجديد في موسيقى الشعر العربي كالمقطعات والموشحات والقوافي المزدوجة والمتعانقة ومجمع البحور ، كانت تدور داخل إطار الشكل الموسيقى المعتمد على وحدة الشطر وبناء الموسيقى على منواله ، لكنّ عدداً من الشعراء انتقلوا بعد ذلك نقلة كبيرة محاولين ((**تحطيم فكرة البيت والشطر تحطيماً تاماً ، فالقصيدة عندهم لا تتألف من أبيات وشطور تتحد في عدد التفاعيل ونظامها ، وإنما تتألف من سطور تزيد تفاعيلها وتنقص ، فقد تكون اثنتين أو ثلاثاً أو أربعاً ، وقد تكون تفعيلة واحدة حسب المعنى الذي يريد الشاعر أن يصوغه . فالمعنى في رأيهم هو الذي ينبغي أن يتحكم في تفاعيل البيت وعددها ، لا العروض ، فتطول وتقصر بحسبه لا بحسب أوزان الخليل**))[1] ، وهذا الكلام يعني أنَّ شعر التفعيلة يمثل مرحلة تطور للبيت ذي الشطرين ، وهو ما رآه شوقي ضيف ، وأكّده عزالدين إسماعيل وغيرهما [2]، ويعني أيضاً أنَّ التفعيلة في الشعر ذي الشطرين تختلف عن التفعيلة في (شعر التفعيلة) ، وهو الشعر ذو السطر الشعري ، فالتفعيلة في النوع الأول (الشعر ذي الشطرين) تنتمي لبحور الدوائر الخمس التي ولدت ناضجة على يد الخليل بن أحمد بمستعملها ومهملها ، وهي تفعيلات تسمى (كميّة) ، أي خاضعة للكمّ القياسي الذي عُرف به البحر منذ استعماله الأول البعيد ، فنراها ثلاثية في الشطر أو رباعية ، أو ثنائية أو نحو ذلك خضوعاً لناموس العروض العربي ، لا تخرج عن ذلك إلا استجابة لعوامل خارجية عرفت بالزحافات والعلل ، وهي بذلك بناء معماري محدد الصورة .

أما تفعيلة النوع الثاني (شعر التفعيلة) ، فهي تفعيلة (منطلقة) لا تخضع للكمّ الصارم النابع من قانون الدوائر العروضية ، بل تخضع للدفقة الشعورية ، والعطاء العاطفي الذي لا يسيطر عليه الشاعر ، بل تسيطر عليه طبيعة التجربة الشعرية وما

(١) فصول في الشعر ونقده ، د. شوقي ضيف : ٢٩٨ .
(٢) انظر : الشعر العربي المعاصر ، د. عزالدين إسماعيل : ٧٩ – ٨٢ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

يتبعها من أدوات التعبير والتصوير والتجسيد والتلوين والإيحاء ، تتوقف بتوقفه ، وتتجدد بتجدده ، فتطول وتقصر ، وتنمو وتضمر ، فهي بذلك غير مقيدة بما تعارف عليه السلف في قانون العروض العربي بل خاضعة لتأثير داخلي ، لذا نرى عدد البحور المستعملة هنا أقل منها في الظاهرة الأولى .

ويدخل في هذين التصميمين كل ما قيل عن ضروب التجديد وما لم يُقلْ ، إذ ينبع كل ما دار من هذين المنطلقين ، ولكل منهما جمالياته بلا جدال [1] . ومن هنا يتبين لنا أنَّ شعر التفعيلية هو الشعر المبني على تفعيلة تتكرر في سائر أبيات القصيدة طولاً وقصراً [2] . وهذا اللون من الشعر أخذ مسميات عدّة ، منها : (الشعر التفعيلي) ، و (الشعر الحرّ) ، و (الشعر المنطلق) ، و (التوقيع) وغير ذلك . وأخذ هذا الشعر مساحة واسعة من الجدل النقدي في الساحة الأدبية بين ممثليه ومعارضيه ، ممثلوه الذين رأوا أنَّه هو الشعر الذي يلائم واقع الحياة المعاصرة والتطور ، وأنَّه ينبغي علينا أن نتجاوز مرحلة ربابة الراعي بإيقاعها البدائي إلى مرحلة البناء الموسيقي التداخل ، وأنه انتهت في حياتنا مرحلة القصيدة العصماء بأبياتها المائة التي تجلد أسماعنا بقوافٍ مرصوصة نعرفها قبل أن نعرفها [3] . وأنَّ هذا الشعر هو اللون الوحيد القادر على نقل أحاسيسنا وظروفنا المعاصرة [4] ، وناصر هذا الرأي من النقاد والأدباء السعوديين العواد والقنديل وغيرهما .

ومعارضوه الذين وقفوا له بالمرصاد جملة وتفصيلا ، ورأوا أنه هدم للغة ، وتقويض للثوابت ، ومن هذه الفئة نقاد كثر ، مثل : بدوي طبانة [5]، ومحمد بن سعد بن

(١) انظر : في الأدب السعودي ، د. يوسف نوفل : ١٥١ – ١٥٢ .
(٢) انظر : التيارات الفنية في الشعر السعودي الحديث ، د. طلعت صبح السيد : ٢٨٣ .
(٣) انظر : الشعر قنديل أخضر ، لنزار قباني : ٤١ – ٤٥ ، نقلاً عن حركة الشعر الحديث في سورية ، د. بسام ساعي: ٤٩ .
(٤) انظر : حركات التجديد في موسيقى الشعر العربي الحديث ، سي موريه ، ترجمة : سعد مصلوح : ١٤١ ، والأدب الحجازي الحديث ، د. إبراهيم الفوزان : ٣ / ٩٣٧ – ٩٣٨ .
(٥) انظر : من أعلام الشعر السعودي ، د. بدوي طبانة : ٣٦٤ – ٣٦٥ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

حسين [1]، وغيرهما ، وشعراء كفؤاد شاكر الذي يقول :

لقد روّع الشعر الأصيل عصابة　　تأولت الشعر الفصيح المنضدا
يقولون : إن الشعر حرٌّ ولم نكن　　لنعلم في الشعرى إماءً وأعبدا [2]

ومحمد السنوسي ، الذي يقول :

لا العود عودي ولا الأوتار أوتاري　　ولا أغاريدكم من شدو أطياري
من أين جئتم بهذا الطير ويحكمو　　لا الريش ريشي ولا المنقار منقاري
إني أرى في جناحيه وسحنته　　سمات (إليوت) لا سيماء بشار [3]

والرأي الذي أميلُ إليه ، هو أنَّ هذا اللون من الشعر أصبح واقعاً في الساحة الأدبية شئنا أم أبينا ، ولكن لا نغالي فيه ، فنرى أنَّه قد أنقذ الشعر العربي من وهادٍ تردّى فيها ، أو أن نجرّد شعرنا القديم في عصوره السالفة المتعاقبة من أمجاده الفنية ، وروعته الأدبية [4]. والحقيقة التي يجب التنبه إليها دائماً أنَّ الشكل لا يضمن وحده الإبداع ؛ لأنه جوهر يتحقق عبر أي شكل . وكما سنرى بعد قليل أنَّ هناك شعراء طرقوا الشعر التفعيلي دون أن يحققوا أيَّاً من تلك الميزات التي أشار إليها مادحوه وممثلوه ، ولم يكن لهم من فضل سوى طرق هذا الميدان الجديد عليهم .

وفي المقابل مرَّ بنا عدد كبير من القصائد ذات الشطرين الموزونة والمقفاة التي استطاع قائلوها تحقيق القدرات الابتداعية الراقية عبرها ، دون أن يعيقهم الوزن أو القافية عن ذلك ، بل استطاعوا تطويعهما تبعاً لما كانوا يريدون [5].

(١) انظر : الشعر السعودي بين التجديد والتقليد : المقدمة .
(٢) وحي الفؤاد ، لفؤاد شاكر : ٢٩١ .
(٣) الأعمال الكاملة : ٦٤٧ .
(٤) والباحث بهذا يخالف رأي أستاذه المشرف في هذه القضية .
(٥) انظر : في الأدب الحديث ، د. يوسف نوفل : ١٤٩ ، والاتجاه الابتداعي في الشعر السعودي الحديث ، لمحمد حبيبي : ٢ / ٧٩ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ولن أعرض هنا للحديث عن القضايا التاريخية أو العروضية لشعر التفعيلة في الأدب العربي أو الأدب السعودي ، تلك التي سبق أن عرض لها الدارسون من قبل ، بل سأدلف مباشرة إلى هذا اللون من الموسيقى الخارجية لدى شعراء جازان ، وما فيه من مظاهر وقضايا.

وأول ما يلفت النظر ، هو أنَّ الذين طرقوا شعر التفعيلة في جازان وفي غيرها هم صنفان من الشعراء ، صنف تمرّس بالشعر الخليلي ذي الوزن والقافية ، ثم وجد في الشعر الجديد متنفساً لإيقاعات نفسه الحديثة ، وهذا الفريق من الشعراء هو الذي استطاع بعد ذلك – على الأغلب – أن يمشي بخطى ثابتة أكثر في أرض الشعر الحديث .

ومن هؤلاء – على سبيل المثال لا الحصر – إبراهيم مفتاح ، وعلي صيقل ، وإبراهيم صعابي ، وأحمد البهكلي الذي أجاد فيه رغم إقلاله منه ، وأحمد الحربي وغيرهم .

وصنف آخر من الشعراء فتحوا أعينهم على هذا النوع الجديد (السهل) – فيما يظهر لأول وهلة – فوّفق قلّة منهم بالسير فيه ، وخبط كثيرون في متاهاته من غير تمرّسٍ لغوي أو عروضي سابق ، فكان الإسفاف والسقوط ، ومن هؤلاء عبدالواسع سعيد عبده – رغم تزكية العواد له [1]– وحسين النجمي ، وحسين سهيل ، وأكثر من جاء بعدهم من الشعراء الشباب .

فمن شعراء الصنف الأول إبراهيم مفتاح الذي أجاد التعامل مع موسيقى شعر التفعيلة والاستفادة من إمكاناتها في التعبير عن المشاعر ، والحرية التي تتاح للشاعر فيها، كما في قصيدته (لا خراج بعد المطر) ، وفيها يقول :

أمطري لا حيث شئتِ
لا كما تهوين
أو تهوى اشتهاءاتُ الرياح

(١) انظر : تقديم العواد لديوان عبدالواسع سعيد عبده : دوائر الصمت .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

فهنا أرضي يباب
وصحاريّ عطاشى
ترتمي فيها ارتعاشاتُ السراب
لم تغادر قيظها المحمر ساعات الظهيرة
أوصَدَتْ في شرفةِ الوقتِ ثوانيها الأخيرة
وارتدَتْ سغب الهجير

• •

أمطري لا حيث شئتِ
بعد أن يأتي خراجك
بعد أن يشرب خطوي
ظلُّك الممتد في كبد النهار
ويُذيبَ الغيمُ صحوي في انحناءات الطريق
أمطري لا حيثُ شئتِ للمواعيد انتقاء
ربما تأتي المواعيد بما لا تشتهين
ربما الأرض التي تروينَ حُبلى بانتفاخاتِ الجفاف
ربما في موسم الطلع اختلاف
ربما (في الصيف ضيعتِ) الربيع

• • •

أمطري بعد ثوانٍ
بعد يومٍ بعد عام
أمطري سيّان عندي
مطرٌ أو لا مطر

www.alukah.net
شبكة الألوكة

زمني عافَ الرعود

زمني عاف الوعود

زمني منذ زمانٍ حددتُه اللاحدود (١)

فالشاعر كما نرى هنا يغيّر من وقع القافية والروي تبعاً لتغير الحالة التي كان عليها ، ففي المقطع الأول نجد (يباب ، السراب) و(الظهيرة ، الأخيرة) ، وفي المقطع الثاني (الجفاف ، اختلاف) ، وفي المقطع الثالث (الرعود ، الوعود ، اللاحدود) . ونلحظ أن جميع القوافي جاءت مردوفة ، وهذه النغمات المتتالية داخل المقاطع تواءمت مع حالة الشاعر النفسية ، وجاءت ثنائية التقفية ما عدا المقطع الأخير الذي تكررت فيه القافية ثلاث مرات ؛ لإشعار القارئ بالنهاية التي وصلت إليها مشاعره اليائسة من الحالة التي تعيشها الأمة ، وطولها يلائم موقف الحزن وما يحمل من زفرات وتأوهات .

ونلحظ أيضاً استفادة الشاعر من التفاوت بين الأسطر الشعرية من حيث الطول ، فبعضها يصل إلى أربع أو خمس تفعيلات ، بينما يتكون بعضها من تفعيلتين فقط، وتوالي أو تتابع التفعيلات وتغيّرها من الطول إلى القصر أو العكس يأتي موائماً لشعور الشاعر المتدفق دونما عوائق ، فنلحظ أنَّ المقطع الأول ختم بسطرين أولهما طويل والآخر قصير ، الأول جاء في أربع تفعيلات ، والأخير جاء في تفعيلتين ، إذ يقول :

أوصدت في شرفة الوقت ثوانيها الأخيرة

وارتدت سغب الهجير

بينما نجد أنَّ المقطع الأخير من القصيدة جاء فيه السطران الأخيران على العكس من صورة المقطع الأول ، إذ قصر السطر الأول منهما ، وطال الأخير ، في قوله :

زمني عافَ الوعود

زمني منذ زمانٍ حددتهُ اللاحدود

(١) رائحة التراب : ٣٤ – ٣٥ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

فالسطر الأول جاء في تفعيلتين ، والأخير جاء في أربع تفعيلات ، وبتأمل هذا الصنيع نجد أنَّه يصعب علينا تجزئة شعور الشاعر إلى أقل من هذا التشكيل أو أكثر منه ؛ إذ لكل سطر مضمونه الشعوري ، ولو حاول الشاعر – أو حاولنا نحن – المساواة بين السطرين المتتاليين في كلا المقطعين بغية توحيد طولهما ووقعهما الموسيقيّ الظاهري لما أمكننا ذلك ، ولما كان لهما التأثير الموسيقي القوي والمعبّر ، بينما نجد أنَّ الشاعر قد نجح فعلاً في تجزيء مشاعره ، في الوقت الذي رآه ملائماً ، فجاء المقطع الأول مختوماً بسطرٍ طويل تلاه آخر قصير ، وجاء المقطع الأخير من النص مختوماً بشكل مغاير في الوقع الموسيقي ، محققاً بعض إمكانات القصيدة التفعيلية المضادة للرتابة والنمطية المعهودة في الصور الموسيقية المألوفة .

ومن الشعراء الذين أكثروا من شعر التفعيلة ، ولكنهم لم ينجحوا كثيراً في الاستفادة من ميزاتها وقدراتها الإبداعية الشاعر إبراهيم صعابي ، فعلى الرغم من إجادته مؤخراً ، إلاّ أنه في بداية تعامله مع هذا اللون ظل ردحاً من الزمن يتعامل معه كتعامله مع الشعر الموزون والمقفى دون إدراك للفوارق الجوهرية التي تفصل بينهما ، فنلحظ أنَّ آليات القصيدة العمودية ظلت تطارده وتلاحقه دون أن يشعر بذلك ، ومن ذلك قوله :

منذ عمر – يا صديقي –
كنت طفلاً
فتنامى الطفلُ حتى صار طفلاً داخلَكْ
فأفق عن نفسك الحُبلى بوهم الذلِّ والزيف
وردِّدْ في صدى الليلِ عباراتِ الحلكْ
يا صديقي :
افتح الآن (كتابَ البحر)
كي تبصر في ذاتك طفلاً قتلَكْ
واقرأ الآن (كتاب الحق)

www.alukah.net
شبكة الألوكة

كي تبصرَ .. أنَّ الحبَّ إحساسٌ
ولا إحساس لكْ [1]

فنلحظ أنَّ الشاعر لم يوفق في توزيع القوافي حسب مقتضيات الموقف الشعوري المصاحب ، بل استسلم لتداعي القوافي بالروي نفسه ، وعلى وتيرة موسيقية واحدة ، والجمل في المقطع السابق ذات طول متساوٍ تقريباً ، وخضعت لتقفية واحدة ، وهذا من سمات القصيدة الموزونة والمقفاة ، وليس من سمات النمط الشعري الجديد ، إذ تبدو هنا – في هذا النص – الفروق ضئيلة بين الدفقات الشعورية ، ونعلم أنَّ أهم ميزة توفرها القصيدة التفعيلية للنص ، هي إبراز الدفقات الشعورية والعواطف المتغيرة لدى الشاعر، وهذا لم يتوفر في نصّ صعابي السابق .

* *

إنَّ من أهم الظواهر في شعر التفعيلية لدى شعراء جازان **ظاهرة بقاء القافية كعنصر مهم من عناصر الإيقاع الموسيقيّ للنص** ، إذ نجد أنَّ أغلب القصائد التفعيلية لم تلغ دور القافية، أو تقلل من أهميتها لإكمال الثراء الموسيقي للقصيدة كلها ، ولكن الشعراء كانوا يولون تنويع القوافي أهمية بالغة ، بينما اختفى في قصائدهم ذلك الحرص على إبراز القافية موحدة ، واتخاذ هذا التوحد منهجاً دائما . ((**ومع هذا فإنَّ الشعراء يتفاوتون هنا – تبعاً لأمزجتهم وضرورات فنِّهم الشعري – في مدى الالتزام بالقوافي أو التنويع الدائم لها ، وبكلمة أدق يمكن أن نقول : إنه إذا كانت القافية في القصيدة التقليدية نمطاً واحداً فإنها في الشعر الجديد غدت أنماطاً**))[2] . ويلحظ قارئ شعر جازان حرص الشعراء الكبار الذين سلكوا سبيل هذا النمط الموسيقى على التمسك بإيراد القافية ، فليس في نتاج إبراهيم مفتاح وعلي صيقل وإبراهيم صعابي والبهكلي

(١) وقفات على الماء : ٥٠ .
(٢) دير الملاك ، دراسة نقدية للظواهر الفنية في الشعر العراقي المعاصر ، د. محسن أطيمش : ٣٣١ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

قصائد تخلو من القوافي ، ولعل هذا الحرص قد يبلغ مدى واسعاً عند بعضهم بينما يجيء الاهتمام به ضعيفاً عند بعضٍ آخر .

ونظام القافية في الشعر التفعيلي مغاير لنظامها في الشعر الموزون والمقفى المألوف في القصيدة العمودية ، ففي النظام الحر لم تعد القافية منتظمة على الوتيرة السابقة ، وإنما تتحكم فيها عوامل نفسية وفنية ، وأحياناً يمرّ المقطع دون أن تتكرر فيه القافية ، وأحياناً نجدها في كل سطر شعري . والشعراء قد نوعوا في استخداماتهم للقوافي بين ذينك الشكلين ، فبعضهم يعتمد قافية واحدة لقصيدته ، وربما داخلتها قوافٍ أخرى مؤقتة بروي مختلف ، يتكيء الشاعر عليها بين السطر والآخر ، مع حرصه على العودة كل حين إلى القافية الرئيسة ، وهذا النوع من نظام التقفية هو أكثر الأنواع قبولاً لدى شعراء التفعيلة ، وقرباً إلى الذائقة الموسيقية المطربة ، ومن الأمثلة عليه قصيدة علي صقيل (لن تظلوا غرباء) ، فقد بناها الشاعر علي (حرف الياء) ، وفيها يقول :

كلّنا .. يدرك أبعاد القضيهْ
من عيون الطفل ..
من بحث الصبيهْ ..
عن أبيها .. عن أخيها
وعن الأم التي قد قعدت
تمضغ الأحزان .. في خيمتها ..
تنفث الآهات في عزلتها
ومن الظلمة ألوان المآسي
تقذف الدمع .. دماً ..
مما تقاسي
في سكونٍ بددته طلقات البندقيهْ

www.alukah.net
شبكة الألوكة

من يدٍ غاشمةٍ .. ملعونةٍ
تئد الحق .. لنشر الهمجيهْ
يا أحبائي سلاماً وتحيه
ستعودون إلى الأرض الأبية
كلنا يدرك أعماق القضية (١)

فالقافية المسيطرة على النص هنا هي المعتمدة على روي (الياء) كما في الكلمات (القضيه ، الصبيه ، البندقية ، الهمجية ، تحيه ، الأبية ، القضية) ، ونجد أنَّه في السطرين السادس والسابع جاءت القوافي مختلفة (خيمتها ، عزلتها) ، وغيرّ الشاعر القافية في السطرين التاليين لهما (المآسي ، تقاسي) ، ثم عاد إلى القافية الرئيسة في السطر الحادي عشر، وواصل التقفية بها إلى آخر النص . وفي هذا الخروج على النهج المتتالي للقوافي ما يدل على أن الشاعر يفيد من خاصية التنوع من حيث الاحتفاظ بالأثر الإيقاعي للقافية ، ومن حيث الإفادة من خروجه عن إيقاعها المعهود بالإتيان بها حيثما يريد حسب مقتضيات السياق .

ومن قصائد علي صيقل الواردة على هذا النمط قصيدة (إصرار فدائي) ، وهي مبنية على روي (الراء) ، ولم يداخلها أي روي آخر ، وجاءت القوافي على هذا النمط (أمرا ، بحرا ، قسرا ، يسرا ، صهرا ، حمرا ، غدرا ، صدرا ، تبرا ، صهرا ، يسرى ، زهرا ، عصرا، شبرا) (٢) ، وكذلك قصيدة أحمد الحربي (ثلاث لوحات) جاءت قوافيها على حرف النون(٣).

وهناك لونٌ ثانٍ من ألوان التقفية أفادت منه قصيدة التفعيلة ، وهو تنوع القوافي وتكرارها داخل النص ، والتكرار هنا يخالف التكرار في القصيدة الموزونة والمقفاة ، فالشاعر هنا يكرر القافية بين كل سطرين أو ثلاثة أسطر متوالية ، ثم تتخذ في الأسطر التالية

(١) ترانيم على الشاطئ : ٢٧ .
(٢) المصدر السابق : ١٨ – ١٩ .
(٣) تقاسيم على جذع نخلة الوادي : ٥٢ – ٥٤ (اللوحة الأولى) فقط جاءت مقفاة بحرف النون .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

شكلاً آخر إلى نهاية القصيدة ، فتكون في الشكل الأول على حرف الباء ، وفي الشكل الثاني على حرف الميم ، وهكذا ، ومن الأمثلة على ذلك قصائد علي صقيل (مشاعر لاجئ)[1] ، و(القدس تشكو)[2] ، و (الصهيل وهسهسات السَّعف)[3] ، وفي القصيدة الأخيرة وردت القوافي على النحو الآتي ، التشكيل الأول : (أورده ، موصده ، ساعده ، أفئده ، زغرده) ، وفي التشكيل الثاني : (الصدَّف ، السَّعف ، الهدف ، الصلف، للشّرف) ، وجاء التشكيل الثالث يحمل القوافي : (أحزمة ، مفعمة ، مبهمة ، ترنمة ، حمحمة) ، فالقصيدة وزّعت على ثلاثٍ قوافٍ ، كل قافية على روي مختلف ، الأول دالية ، والثانية فائية ، والثالثة ميمية . ومثل هذا قصيدة أحمد البهكلي (ندى) التي جاء في آخرها قوله :

أخشى على الأطفال
أرثي لهم
سفحتُ سوداويتي على الورق
قبل الغرق
لعل من يقدح عينيه لكيما يشعل الفتيل
يصحو على لثغة طفل لاجيء جميل
يلتاع في لبنان
يهيم في العراق أو إيران
أو في ربا الأفغان
فيشعل الفتيل للقنديل
في مصنع الحليب لا مصانع الحروب

(١) ترانيم على الشاطئ : ٢٢ – ٢٤ .
(٢) المصدر السابق : ٢٥ .
(٣) أغنية للوطن : ١٦ – ١٧ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وفي مكان القنبلة

تزهر ألف سنبلة[1]

فنلحظ القوافي المتتالية في النص السابق كما يلي (الورق ، الغرق) و (الفتيل ، جميل) ، و (لبنان ، إيران ، الأفغان) و (القنبلة ، سنبلة) ، وكان لهذه القوافي المتتالية أثرها الفني الواضح في النص .

ونلحظ أنَّ شعراء التفعيلة عند ميلهم إلى هذا التشكيل من القوافي يجدون فيه متنفساً واسعاً ، وحرية للحركة ، وإيجاد القوافي المتنوعة ، بل والقوافي التي لم ينظم عليها شعراء القصيدة (الموزونة والمقفاة) ، لا سيما القوافي النادرة والمهجورة ، كالضاد مثلاً ، التي لم ينظم عليها من شعراء القصيدة الموزونة والمقفاة سوى العقيلي في قصيدة مقطعية، بينما شعراء التفعيلة أكثروا منها ، كما هو الحال في شعر محمد مباركي ، إذ نجد له في ذلك قصائد منها (شفافية بوحٍ من ظمأ) ، حيث يقول فيها :

مذْ توارى نصفي الشادي
تداعى القلب
لكن لم يفِضْ
يا مدانا بأساطيرِكَ ، غِضْ
القوافي ... ثيباتٍ
والليالي لم تحضْ
كل ما فيك من الشوق
إلى الشوق قُبض
فاغتمض
أنا لم أغر بك الحُمّى

(١) أول الغيث : ٤٩ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

فمر جثتك الثَّملى
بأن تخرج لي روحي
ودعني أنتفض ...[1]

فنجد أنَّ هذه القوافي المختومة (بالضاد) غير ثقيلة على أسماعنا هنا ، كما لو كانت في قصيدة عمودية موزونة ومقفاة .

وبعد ؛ فإنَّ من يتوهم أنَّ الشعر التفعيلي الجديد يلغي القافية تماماً ، ويتخلص من الروي كليّة يظلم هذا الشعر [2] .

**

ومن أبرز الظواهر المصاحبة لشعر التفعيلة **جمع الشعراء في قصائدهم التفعيلية بين التفعيلة والشعر المقفّى** ؛ استجابة للدواعي النفسية ؛ واستجابة أيضاً لآراء النقاد الذين يرون أنَّ الفرق بين الشعر التفعيلي والشعر المقفى ليس فرقاً يمنع من الجمع بينهما ، ويرون أنه لا يستحيل على الشاعر أن يتنقّل من هذا إلى ذاك ، المهم في الموضوع أن يكتب الشاعر البيت المقفى الذي جاء به في الشعر التفعيلي كتابة واضحة ، وهذه الظاهر نجدها لدى عددٍ من شعراء جازان ، منهم أحمد البهلكي في قوله :

أيتها الحلوة والبريئة العينين
هذا الفم المشرق كالضياء
يبتسم
أخاف يا صغيرتي عليه
أخاف أن تغور منه البسمة اللطيفة
في الزمن الصعب

(١) منسك للسريرة في حرم الرمل : ٦٧ .
(٢) انظر : في الأدب السعودي ، د. يوسف نوفل : ١٥٦ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

في زمن الجدب
في زمن الحرب
نـــــدى أناديـــــكِ　　فهـــــــل تردّينـــــــا
رمـــز الـــصفا فيـــكِ　　يحيـــــى الـــــصفافينا [1]

وأكثر الشعراء اتكاءً على هذه الظاهرة واستفادة من معطياتها الموسيقية لا سيما الإيقاعات الداخلية الواضحة هو الشاعر أحمد الحربي ، بل إنَّه استطاع جذب القارئ ولفت انتباه السامع بتوحيد قوافي الأسطر التفعيلية مع قوافي الأبيات الشعرية المصاحبة لها ، ممّا يجعل المتابع للقصيدة لا يحسّ بأي فجوات أو تغيّر في النبرات الصوتية ، والتقاطيع الموسيقية ، نجد ذلك في مثل قوله في قصيدة (ثلاث لوحات) :

اللوحة الثانية :

خط على سارية الشراع
كغيمة (مسكوبة) يحتل رجعها الأرقْ
سيدتي :
يـــا حبـــة الهـــال قفـــي　　عـــلى مـــشارف القلـــقْ
توهمـــت ســـحابة الخيـــال　　في رجـــــع الـــــشفقْ
وحوّمـــــت حمامـــــة　　عـــلى حرائـــق الـــورقْ
سيدتي :
والحلم فوق الحلم
منشور على زاوية
مغروزة على شرانق الردى
متكئ على جبين زورق

(١) أول الغيث : ٤٦ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

مسافر إلى غياهب المدى
لا فرق بين لونه
ولون أحلى وردة
تحملها يداك في الغسقْ [1]

فالقافية في أسطر التفعيلة (الأرق ، الغسق) جاءت على نمط قوافي الأبيات الشعرية الثلاثة (القلق ، الشفق ، الورق) ، وكلها على روي (القاف) . وله في هذا قصائد كثيرة تسير على هذا المنوال من المزج بين الشعر التفعيلي والشعر المقفى ، وإيجاد وسائل ربط بينهما عبر إيهام القارئ بالقافية المتحدة [2] .

***

(١) تقاسيم على جذع نخلة الوادي :٥٤ – ٥٥ .
(٢) انظر ديوانه : تقاسيم على جذع نخلة الوادي : ٤٠ ، ٤٨ – ٤٩ ، وغيرها ، ومثل هذا يوجد عند إبراهيم صعابي في ديوانه : وقفات على الماء ، وعلي الأمير في ديوانه : بوصلة واحدة لا تكفي : ٢٥ – ٢٦ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ثانياً- الموسيقى الداخلية :

إنَّه لا يمكننا أن نفصل بين موسيقى النص الخارجية وما يصاحبها من انفعالات داخلية تحملها الكلمات والمدود والحركات والسكنات ، تلك الانفعالات التي نطلق عليها (الموسيقى الداخلية)، وإذا كان هذا الاسم لا وجود له في نقدنا القديم ، فإنه لا يعني جهلهم بمضمونه، ففي تراثهم النقدي أشارات تؤكد وجود هذا الحس الموسيقي لديهم ، وإن لم يأخذ شكلاً نقدياً واضحاً كما هو الحال في العصر الحديث ، بل إنَّ الجاحظ قد أشار إلى أنَّ المتلقي للكلام قد يتأثر بمجرد الشكل الموسيقي دون معرفة المعنى عندما قال : ((**إن من الصوت ما يسر النفوس حتى يفرط عليها السرور فترقص، ومنها ما يُكمد ... وليس يعتريهم ذلك من قبل المعاني ؛ لأنهم في كثير من ذلك لا يفهمون معاني كلامهم**))[1] .

ولا شك أنَّ الشعراء المعاصرين لم يفيدوا في هذا المنحى الجديد من أسلافهم فقط ، وإنما كان أكثر تأثرهم به من قبل الشعر الغربي ، ومن الحركة الرومانسية على وجه التحديد، فقد دعا الشعر الحديث إلى ضرورة التمييز في الشعر الخليلي بين نوعين من الموسيقى ، (**موسيقى جاهزة**) تتحدد للشاعر قبل بدء القصيدة ، فيهوّم مع وزنٍ معين ، وربما مع قافية معينة قبل أن يبدأ بالكتابة . وإذ يبدأ هذه الكتابة ينضم إليه نوع آخر من الموسيقى يمكن أن نسميه (**الموسيقى الطارئة**) أو الداخلية ، وهي الأنغام الناتجة عن تغيّر تفعيلات البحر ، بما يعتريها من زحاف أو علة خلال البيت ، ثم عن الأنغام المتنوعة الأشكال الصادرة عن الكلمات أو العبارات وما فيها من توازنٍ وتكرار تأتي في سياقها الملائم ضمن القصيدة ، وكذلك عن النقاط والفواصل أو الاستراحات التي يفرضها المعنى على الشاعر أو قارئ الشعر ضمن البيت الواحد ذي الشطرين ، أو سطر الشعر التفعيلي .

(١) الحيوان ، للجاحظ ، تحقيق : عبدالسلام هارون : ٤/ ١٩١ – ١٩٢ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

وبإمكاننا أن نتبين معالم هذه الانفعالات الموسيقية ووسائل تحقيقها في قصيدة (أذان الفجر) لمحمد بن علي السنوسي ، ويقول فيها :

ارتفـــاع الأذان فـــوق المـــآذن　　في انبلاج الصَّباح والليلُ ساكن
دعـوة تحمـلُ الحيـاة إلى الكـو　　ن وسكّانـــه قـــرىً ومـــدائن
ونـــداء مـــن الـــسماء إلى الأر　　ض إلى ظـاهر عليهـــا وبـــاطن
ولقـاءٌ بـين الملائـك والإيمـا　　ن والمؤمنـــين مـــن غـــير آذن
وانطـلاق إلى الفـلاح إلى الخـ　　ـير إلى الحـق والهـدى والمحاسـن
كلمـــا ردّد المـــؤذن لفظـــاً　　شعشع النور وانجلى كل غاين
نغمـــاتٌ كأنهـــا نـــسماتٌ　　رقرقتهـــا خمائـــل وجنائـــن
تتنـدّى بهـا النفـوس وترتـا　　ح ارتياح الرُّبى بقطر الهواتن[1]

أول ما نلمحه في هذا الجزء المقتطع من القصيدة – وهو دليل على بقيتها – أنَّه كان لاختيار الشاعر (النون الساكنة) قافية لقصيدته عظيم الأثر في الرنة الموسيقية المتساوقة مع الزمان والموقف ، فكلما ردَّد المتلقي أبيات القصيدة نضحت تلك القافية بالحلاوة الموسيقية الهادئة المنبعثة من هذا الرنين المتقطع في آخر الأبيات ، وهو رنين يغني التجربة ، ويأسر الآذان كأسر الأذان نفسه .

ونلحظ أنَّ الشاعر قد أحدث في نصه توافقاً بين الحروف السائدة داخل النص والقافية المختومة بالنون ، مما شكّل وحدة نغمٍ موسيقية لا نشاز فيها ولا شذوذ ، وقد أبدع الشاعر حينما اعتمد الموسيقى المنخفضة ، وبخاصة في المقطع السابق من النص ، حيث أبرز الشاعر من خلال لوحاته الإبداعية في نقل الأذان حيًّا وسط هدأة الليل الساكن ، مستعيناً في ذلك ببعض التشكيلات الصوتية ، مثل (المدود المشبعة) وغيرها كقوله: (ارتفاع ، انبلاج ، نداء ، لقاء ، نغمات ، نسمات ، ارتياح) من مثل قوله :

(١) الأعمال الكاملة : ٥٤٥ – ٥٤٦ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ونـداء مـن الـسماء إلى الأر ض إلى ظـاهر عليهـا وبـاطن
ولقاء بين الملائك والإيمـا ن والمـؤمنين مـن غـير آذن

ولا شك في أنَّ امتداد الصوت وإطلاقه داخل النص يتناغم مع ارتفاع كلمات الأذان ودويّها في المكان ، حتى لكأنما الشاعر هو المؤذن ذاته .

وللترديد أثر واضح في خدمة القصيدة وانسجامها مع الموقف بإثارة المشاعر والإحساسات تجاه تلك المعاني التي تطرق الآذان في هذا النص ، على نحو قوله :

كلّمـا ردّد المـؤذن لفظـاً شعشع النور وانجلى كل غاين

وقوله أيضاً :

ردّدتـه منابـرٌ وقبـابٌ تتعـالى ورجّعتهـا مـلاسن

مما يجعل المشهد حيّاً تطرق له أسماعنا ، ونتحسس من خلاله الكلمات والنغمات .

ولا تفوتنا فاعلية التنوين المتوازن الذي وظّفه الشاعر ليستكمل به أصداء الصوت وترنيمات الأذان في القصيدة مثل : (نداءٌ ، لقاءٌ ، انطلاقٌ ، نغماتٌ ، نسماتٌ ، منابرٌ ، قبابٌ) كقوله :

وانطلاقٌ إلى الفلاح إلى الخيـ ـير إلى الحق والهدى والمحاسن
نغمـاتٌ كأنّهـا نـسماتٌ رقرقتهـا خمائـلٌ وجنـائن

أما التصريع فقد عمد إليه الشاعر في مطلع القصيدة ؛ ليحقق به نغمة التوافق الصوتي المحمودة عند المتلقي ، إذ يقول :

ارتفـاع الأذان فـوق المـآذن في انبلاج الصباح والليل ساكن

وتظهر مهارة الشاعر عند انتقائه الألفاظ الموحية بالمشهد ، المعبرة عنه تعبيراً دقيقاً ، والمتوافقة مع الانفعالات ، وجميعها يولد جرساً داخلياً لا ينفصل عن المعنى والحالة النفسية التي عاناها الشاعر ، في مثل : (المآذن ، الليل ، ساكن ، المؤذن ، النور ، الضياء ، نسمات، ترتاح ، تتندّى ، تتعالى ، ملاسن ، رجّعتها ، فاسمع ، تتهادى ،

شبكة الألوكة - قسم الكتب

أهالت، أفاضت) ، وتبرز في الكلمات السابقة خاصية أخرى هي التشديد المعبّر عن بعض جمل الأذان ، ووقعه على الكون الغافي في دجى الليل مثل (تتندّى ، رجّعتها) ، وكذلك توالي التاءات في قوله : (تتندّى ، تتعالى ، تتهادى) يشعر بالتوافق مع الامتداد الصوتي لبعض جمل الأذان المطربة التي يمتد معها صوت المؤذن المتمكن ، والمؤثر في النفوس .

وهذه الموسيقى الخافتة التي توحي بها وحدة الإيقاع ، هي المقياس الدقيق الذي نستطيع من خلاله أن نتفهم روح الشاعر ،وندرك أنها أثر لكل العناصر الفنية المجتمعة في شعر الشاعر من عاطفة وفكرة ولفظ وخيال وصورة [1] ، وهذا نجده متحققاً كل التحقق في قصيدة محمد أحمد العقيلي التي رثى بها الملك خالد بن عبدالعزيز – رحمه الله – ، فقد جاءت الموسيقى الداخلية متوائمة وحالة الشاعر المتأثرة ونفسيته الحزينة وعاطفته التي صدمها المصاب، فلم تملك إلا التسليم وملازمة الحزن في هدوء فكر ، ورباطة جأش ظهر في اهتمامه بإبراز التأوهات الخافتة نوعاً ما ، تلك التأوهات التي حملتها المدود المتلاحقة ، فالمدّ يعبّر في مثل هذه الحالة عن عاطفة هادئة وعميقة ؛ ذلك لأن المقاطع الصوتية الناشئة عن المدّ تستوعب الآهات التي يطلقها الشاعر ؛ لذا كانت موضوعات الرثاء أكثر ملاءمة للمدّ من الموضوعات الأخرى التي نجد فيها الحركة والجلبة والإيقاعات الراقصة ، يقول العقيلي في رثائه :

غاب المليك العاهل الأواه　　الخالد الذكر العظيم علاهُ
الغارس الحب الصميم لأمة　　والمغدق العطف العميم جناهُ
قد عاش إلهاماً يوجِّه شعبه　　وشعاع نبراسٍ ينير دجاهُ
وإرادة شمّاء المضاء طليقة　　كالبرق ضاء سناؤه وسناهُ
سطعت به أحلام شعب فازدهى　　ألق الطموح فلا يحدُّ مداهُ [2]

(١) انظر : النص الشعري ، وقفات للتذوق الفني ، لمجدي بن محمد خواجي : ١٧٠ – ١٧٢ .
(٢) المجموعة الشعرية : ٦٢٥ – ٦٢٦ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

فالمدود المتعاقبة قد احتوت مضامين الشاعر الحزينة ، ونقلت إلى القارئ إحساسه العميق بالحزن بدءاً من مطلع النص إلى آخر بيت .

وربما كان من أبرز ألوان الموسيقى الداخلية الازدواجية اللفظية من تكرار أو تناقض لفظي أو إيقاعي ، فالشاعر يستطيع عن طريق هذه الازدواجية اللفظية أن يفجّر إيقاعات خاصة ماكان يستطيعها اللفظ منفردا . وكما تكتسب القافية إيقاعها عن طريق التكرار – فلولا التكرار لما كانت قافية ولما كان إيقاع – هكذا تكتسب الكلمات في تكرارها سحر القافية الإيقاعي ، فالشاعر أحمد البهلكي يثير فينا الإحساس بسحر أبها عن طريق سحر الإيقاع الداخلي للنص ، وما فيه من تكرار داخلي متلاحق ، إذ يقول :

أصبحتُ أصبو نحو حسنك زاهداً　　في كل حسنٍ يحتويه سواك
وسحرتني حتى رأيت حياتنا　　شوهاء إن برزت بغير حُلاك
تسبي ابتساماتُ الملاح مشاعري　　وسبيتِ إحساسي بطرفٍ باك (١)

فتأثير الشاعر فينا بلغ مداه بتكراره كلمة (حُسن) في الشطر الثاني من البيت الأول أكثر مما لو قال مكانها غيرها ، وكذلك ما شاع في النص من معالم التكراركالجناس بين (أصبحت) و (أصبو) ، وشيوع حروف الصفير (الصاد) في : (أصبحت ، أصبو) ، و(السين) في (حسنك ، حسنٍ ، سواك ، سحرتني ، تسبي ، ابتسامات ، سبيت ، إحساسي) ، و (الزاي) في (زاهداً ، برزت) ، فالتكرار هنا بتلاحقه وتواليه غذّى إيقاع القافية الأصلية المبنية على روي (الكاف) ، وغذّى أيضاً وزن البيت الراقص .

وكثير من أنواع البديع اللفظي كالجناس والازدواج والتقطيع والتصريع وردّ العجز على الصدر وغيرها ألوان أخرى من ألوان الموسيقى الداخلية تؤدي الدور نفسه الذي يؤديه التكرار . ومجيء المحسنات في الشعر تزيد من موسيقاه ؛ ذلك لأن

(١) الأرض والحب : ١٢ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

الأصوات التي تتكرر في حشو البيت ، مضافة إلى ما يتكرر في القافية تجعل البيت أشبه بفاصلة موسيقية متعددة النغم مختلفة الألوان يستمتع بها من له دراية بهذا الفن ، على أنَّ الشعراء ليسو سواء في مقدرتهم على الاستغلال الأمثل لخاصية المحسنات الموسيقية .

فالجناس الذي يلتقي فيه اللفظان نطقاً لتوافق الحروف أو بعضها ، ويختلفان معنى له أثره في إحداث الإيقاعات الداخلية وتنويعها ، وهو ليس حلية لفظية وحسب ؛ لأنه يحمل من الدلالات المعنوية ما يجعله بنية معرفية من بنيان النص الأساس ، نلمس هذا في قول البهكلي السابق (أصبحتُ أصبو) ؛ وفي قول العقيلي واصفاً حمامة :

شدت فشجت وحنّت حين غنّت　　فكاد يطير من طربٍ جناني[1]

فالجناس بين (شدت وشجت) ، و (حنَّت وغنَّت) أوصل إلى المتلقي بعض معالم نفسية الشاعر ، وما به من نشوة وهزة طربٍ لحظة سماعه لتلك الحمامة وهي تشدو على فننها ، وما الشطر الثاني من البيت إلا شرحٌ وتوكيد لما قد استقر في أذهاننا من نبرات الشطر الأول ، ولو لم يذكره الشاعر لما احتجنا إلى مضمونه ، إذ قد عرفناه من قبل عن طريق الجناس الموسيقي الراقص والمعبّر .

ولجأ أصحاب شعر التفعيلة إلى هذه (البديعيات) ليعوضوا بها قصائدهم ما فقدته من موسيقى الوزن والقافية ، وكثر عندهم التكرار في أشكال مختلفة ، واكتسبت هذه الفنون البديعية لديهم صورة موسيقية مؤثرة في النص ، تختلف عن صورتها السابقة . فكانت تلك الفنون متكأً إيقاعياً داخليًا يتكئ عليه الشاعر ، بدلاً من المتكأ الخارجي المألوف : القافية .

نجد هذا الاتكاء على الجناس مثلاً في مقطعين من مقاطع قصيدة واحدة لحسين النجمي ، يقول في أولهما :

من ينثر في صحرائي .. عطر الأزهارِ

---

(١) المجموعة الشعرية : ١٩٥ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

من يعزف أنغام الغربة ..
في الأسحار ؟
هل تدرين بأن جداري
قد ينهار
وأن نهاري دون عيونك
ما عاد نهار (١)

ويقول في ثانيهما :

من قصص الماضي المنسية
ضاعت أحلاما
صغناها
من لون الورْد
وقصيدة شعر
قد كتبت
بمداد الوجْد (٢)

ففي الأول جانس بين (ينهار ونهاري) ، وفي الثاني بين (الورد والوجد) ، والشاعر حاول الاستفادة من طاقة الجناس الناقص ، وما فيه من جرس جميل ، وقافية داخلية ؛ من الناحية الإيقاعية ، ولفت النظر به ، وتنبيه النفس بالتشابه في اللفظ إلى الاختلاف في المعنى ، فيأسر السامع ، ويحقق الإثارة المطلوبة .

ومثل ذلك – بل أكثر إلحاحاً على الجناس والتوازن بين الكلمات – صنيع مهدي الحكمي في قوله :

(١) عيناك في وقت الرحيل : ١٦ .
(٢) المصدر السابق : ١٧ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

قادمٌ في كل (بيتٍ) زفرة محترقة
وثبة منطلقة
مدية ممتشقة
صخرة منفلقة
كل (بيت) فيه وردٌ فيه ودّ
فيه لَفْحٌ .. فيه نفحٌ من عبير الزنبقة
فالتمس يا قارئي عذراً إذا لم تُلْفِ
غير (الشقشقة) (١)

فالمقطع السابق يعتمد اعتماداً كلياً في إحداث الجرس المتتابع على التوازن في التفعيلات السابقة للقافية حيث الكلمات (زفرة ، وثبة ، مدية ، صخرة) ، وكذلك القوافي حيث كلمات (محترقة ، منطلقة ، ممتشقة ، منفلقة ، زنبقة ، شقشقة) ، وحاول الشاعر إحداث شيء من التغيير والمفاجأة ، وإزالة الرتابة التي تنشأ عادة مع التوازن المتتالي ، فجاء بالجناس بين (ورْد وودّ) وبين (لفح ونفح)

* *

(١) لا تسلني عن جراحي : ٨ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ثالثاً - ملحوظات موسيقية :

أ- الهنات الموسيقية والأخطاء العروضية :

لم يخل شعر أي جيل من أجيال الشعر في جازان من الهنات الموسيقية والأخطاء العروضية، بل إنَّ شعراء كباراً وقعوا في بعض الأخطاء التي لا يمكن أن يعذروا فيها ، ولكن لا بّد من الإشارة إلى أنَّ جيلي المقلدين والمحافظين قد تميّزا بندرة الأخطاء العروضية ؛ لأن تمرسهم بأوزان الشعر القديم جعلهم بمنأى عن الأخطاء التي وقع فيها المزاوجون والمجددون ، لكن ينبغي أن نستثني من المقلدين علي بن مديش ، ومن المحافظين علي بن حسين الفيفي فهما يكبوان كثيراً .

فعلي بن مديّش يخطئ كثيراً في الوزن لاسيما في المواطن التي تتردد بين الإلقاء والكتابة ، كما في الكلمات الممدودة التي تقصر مدتّها لدى الإلقاء ، وعند الكتابة ربما لا يتفطن لها الشاعر ، فيكتبها ممدودة ، ومن ذلك على سبيل المثال قوله :

وكانت الناقة القصواء التي حملت خير الورى قد أتت تفري المفازات[1]

وكذلك قوله :

أناخت الناقة القصواء التي صدرت لها الأوامر من ربّ الإرادات[2]

فالوزن لا يستقيم في البيتين السابقين إلا بقصر كلمة (القصواء) ، ولكنّ الشاعر لم يفعل ذلك .

والشاعر علي بن حسين الفيفي كثرت أخطاؤه في بداياته الشعرية ، فمما له في ذلك كما جاء في ديوانه الأول (أصداء الذكريات) قوله :

ضحكت وقالت لي تكلم في الهوى لكن لا تخرج عن الآداب[3]

وقوله :

---

(١) نبض القوافي : ١٤ .

(٢) المصدر السابق : الصفحة نفسها .

(٣) أصداء الذكريات : ١٦ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

قالت : فصف الحب لي شعراً قلـ　　ت فاستمعي إليه واحفظيه ورددي[1]

فالبيت الأول مكسور ، ويستقيم وزنه لو قال : (لكن ولاتخرج) على ما فيه من ضعف وركاكة ، والبيت الثاني يستقيم إذا قدّم الشاعر الجار والمجرور (لي) على كلمة (الحب) ، فيكون : (قالت فصف لي الحبَّ شعراً ...) .

ولكنها بعد ذلك قلّت هذه الأخطاء في دواوينه الأخيرة ، ومع هذا فأخطاؤه في الوزن تأتي من مراجعة النص المكتوب أحياناً ، كما في قوله :

يرى والدي الحزن في ناظري　　فيسأل ما سر أحزانيه ؟

فتنهمي من مقلتي الدمو　　ع وتخنقني غصة باكيه[2]

فالبيت الأخير غير منضبط ، ويسلم وزنه بتعديل صدره إلى (فينهمر الدمع من مقلتي) .

أما الشعراء المجددون فقد شاعت في أشعارهم الأخطاء العروضية لأسباب عدة :

أولها – الاستخفاف بالوزن ، في غمار الثورة على القديم ، جعل شعراء يخرجون دواوينهم وهي تتعثر .

وثانيها– موجة الشعر التفعيلي التي فهم بعض الشعراء منها أنَّ شعر التفعيلة حرّ ولا وزن له ، فانطلقوا يكتبون ويتعثرون ، على أنَّ المتميزين في الشعر التفعيلي يقعون في أخطاء عروضية ؛ لأنه لا زال دون ضوابط قوية وواضحة ، أو متفق عليها . وأكثر أخطاء هؤلاء الشعراء تكمن في كتابة هذا اللون من الشعر ، إذ يكتبون البيت من شعر التفعيلة في أكثر من سطر دون ضرورة [3]. وكثير منهم يخلط بين التفاعيل ، ويدخل العلل العروضية دون انتباه كإبراهيم صعابي ، وحسين

(١) المصدر السابق : ٢١.

(٢) أجراس : ٢٦ .

(٣) انظر : الشعر الحديث في المملكة العربية السعودية ، للدكتور عبدالله الحامد : ٢١٧ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

النجمي ، وعلي الأمير ، وغيرهم .

والخطأ في كتابة الشعر ليس خاصاً بالشعراء المجددين ، بل هو مرض سبقهم إليه كثير من الشعراء المقلدين والمحافظين ، وقد سبقت الإشارة إلى ذلك عند ابن مديش وعلي بن حسين الفيفي ، ونجد هذا الخلل الموسيقي لدى شاعر كبير كالعقيلي ؛ وكان بإمكانه أن يتفادى ذلك الخلل لو أحل بعض الحروف أو الكلمات محل بعض ، فمن ذلك إبقاؤه الهمزة في كلمة (سرّاء) في الشطر الثاني من قوله :

تفضي إليه بما يتاب من غصصٍ ويستشيرك في سرّاء وضراءِ (١)

وتأتي بعض الأبيات في شعره مكسورة الوزن ، مع أنه يمكن معالجة الكسر عن طريق إصلاحه كتابياً بتغيير حرف أو كلمة ، كما في مثل قوله :

ترفق على مهل وبرهن ما الذي تقولُ فقول المرء ما لم يَبنْ هجْرُ (٢)

فوزن الشطر الأول :

فعولن مفاعيلن فعولن فاعلن

فالخلل جاء في التفعيلة الأخيرة (فاعلن) ، إذ إنّ هذا غير وارد في عروض الطويل ، والأولى حذف (ما) والمجيء بحرف (على) ، ليصبح صدر البيت صحيحاً وزناً ومعنى ، فيكون : **ترفَّق على مهلٍ وبرهن على الذي**

فعولن مفاعيلن فعولن مفاعلن (٣)

ومن الأخطاء الموسيقية الشائعة في هذا الجانب كتابة بعض الشعراء الشعر المقفى على طريقة الشعر التفعيلي ، وهي كتابة مضللة القارئ ، إذ يقرأها على أنها شعر تفعيلي ، وهذا شائع لدى أحمد الحربي في مثل قوله :

---

(١) المجموعة الشعرية : ٥٣٨ .

(٢) المصدر السابق : ٣٤ .

(٣) لمعرفة المزيد من هذه الأخطاء الموسيقية في شعر العقيلي ، انظر : شعر محمد العقيلي دراسة تحليلية ، لخالد الشافعي: ٤٧٤ – ٤٧٥ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

(أخي جاوز الظالمون المدى)
صباح توضأ فيه الندى ..
تشرنق في بوحه الصامتون
ونام على ثغره المبتدا .. (١)

ومن الأخطاء الشائعة لدى بعض الشعراء الوقوع في النشاز الموسيقي ، وقد وقع فيه الشعراء الموهوبون ومن هم دون ذلك ، فبعض هؤلاء الشعراء يكتب الشطر الأول من تفعيلتين والشطر الثاني يجعله على ثلاث تفعيلات ، ثم يأتي إلى البيت الثاني ، فيصلح الخطأ ، ويساوي بين الشطرين في عدد التفعيلات ، نجد هذا عند العقيلي في قوله :

نحن شعبٌ ، نحن أمة　　نحن في الإيمان والأخلاق قمّة
نحن أحفاد الخلائق والأئمة　　قال عنا الله : كنتم خير أمة (٢)

فالشاعر بدأ البيت الأول بمجزوء الرمل (فاعلاتن فاعلاتن) ، ثم انتقل إلى التام من الرمل في الشطر الثاني (فاعلاتن فاعلاتن فاعلاتن) ، وهذا خطأ عروضي بينما جاء الشطران في البيت الثاني على نسقٍ موسيقى واحد هو الرمل في بنائه التام .

وشاع من جراء ذلك الوقوع في إرباك القارئ ، وتشتيت ذهنه موسيقياً كصنيع محمد الشنقيطي عند الجمع بين أبيات بعضها بني على خمس تفعيلات ، وبعضها على ست تفعيلات ، وهي من الشعر الموزون المقفى ، ولكنها كتبت على الطريقة التفعيلية (طريقة الأسطر) ، يقول :

هو شاعرٌ في قلبه الأملُ المنيرُ
وفي جوانحه الألم
هو شاعر

(١) تقاسيم على جذع نخلة الوادي : ٦٣ .
(٢) المجموعة الشعرية : ٥٨٧ – ٥٨٨ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

داوى الجراح على التفاؤل
بيد أن الجُرْحَ
يوماً ما التأم

هو شاعر
عاش الهزائم في عروبته فكابر وابتسم [1]

ونتحقق من ذلك الخطأ الموسيقيّ أو النشاز العروضي عندما نعيد كتابة الأبيات السابقة على طريقة الأشطر ، وذلك كما يلي :

هـو شـاعر في قلبـه الأمـل المنيـ ـر وفـي جوانحـه الألـم
هو شاعر داوى الجراح على التفا ؤل بيد أن الجرح يوماً ما التأم
هو شاعـر عـاش الهـزائم في عـرو بتـه فكابـر وابتـسم

فالبيتان الأول والثالث بنيا على خمس تفعيلات ، أما الثاني فزاد عليهما بتفعيلة سادسة.

ومما يدخل في نطاق النشاز الموسيقي والإرباك الصوتي ما يحدث لدى بعض الشعراء من تنويع مفاجئ في الزحافات والعلل ، ومن ذلك –مثلاً– قول محمد الشنقيطي :

فعجزت في بحثي وقلت : لعلني أو في نـصيباً لـو هجمـت مباشـره
هونـا مفكـرتي الجميلـة يـا عجيبـه يـا عنفوانـاً جامحـاً بقـوى رهيبـه
تتحدثين عن الـذئاب وهـل نـسيت مع الذئاب على الدروب تجوب ذيبه [2]

فالقصيدة كلها مبنية على روي (الراء) ، وجاءت على الكامل في صورته التامة، ولكن الشاعر عمد في البيتين الأخيرين إلى تغيير الروي ، وغيّر في عروض الكامل التام وضربه بأن جعل تفعيلة (فاعلاتن) التامة مرفّلة (متفاعلاتن) ، وهذا الزحاف لا يكون في تام الكامل بل في مجزوئه ، ولو حدث في المجزوء ، فإنه يكون في الضرب فقط

(١) خلف أسراب البجع : ٩ .
(٢) قلب يتنفس : ١٠٧ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

دون العروض ، إذ تظلُّ عروض الكامل المجزوء دائماً صحيحة [1] . ولكن الشاعر تجاوز هنا ، فأحدث كثيراً من التغييرات ، مما سبّب شيئاً من الإرباك والنشاز الموسيقى الواضح .

وإضافة إلى تلك الهنات الموسيقية ، فقد لجأ عدد كبير من شعراء جازان إلى **الضرائر الشعرية** ، التي قلّما يخلو منها ديوان شاعر ، ولكنهم كانوا متفاوتين في درجة الوقوع فيها أو التهالك عليها بين مقلٍ ومكثر ، على أن تلك الضرائر – أيضاً – لم تكن على درجة واحدة من حيث القبول أو القبح ، فبعضها مما قبله أغلب النقاد ، وبعضها مما يكاد أن يكون عيباً ودلالة ضعف شاعري . وقد ذكر النقاد أن القبيحة هي ما كانت غير مألوفة الوقوع كمدّ المقصور ، ومنع المصروف ، وقطع همزة الوصل ، وفك الإدغام ، وعكسه ، وتقديم المعطوف وغيرذلك . والمقبولة ما كانت مألوفة الوقوع ، كقصر الممدود ، وتخفيف المشدد ، وإشباع الحركة حتى يتولد منها مد وتحريك المضارع المجزوم أو الأمر المبني على السكون وغير ذلك، وكل هذه الضرائر القبيح منها والمقبول قد وردت لدى شعراء جازان ، فمما ورد من الضرائر الموسيقية القبيحة منع المصروف من الصرف ، في قول أحمد العطاس :

إني أرى عجــزاً عــلى شــيبانها وكثير نسوةَ قد صحبن رجالها [2]

ومن الضرورات القبيحة مدّ المقصور كما في قول علي السنوسي:

دم راقياً عرش العُلاءِ ووالِيا أمر البريّة ما أهلَّ المُحرِمُ [3]

وصرف الممنوع من الصرف يعد أيضاً من قبيح الضرورات ، نجد مثاله في قول العقيلي :

(١) انظر : شرح كتاب أهدى سبيل إلى علمي الخليل ، لمحمود مصطفى ، شرح نعيم زرزور : ٧٢ – ٧٨ .
(٢) تغريد النهى : ٩٩ .
(٣) المفقود من شعر علي بن محمد السنوسي : ١٢٠ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ومعابداً زهر الذرى قد نافست بـدر السماء بحسنها الوضـاء [1]

فكلمة (معابد) حقها المنع من الصرف ؛ لكونها من صيغ منتهى الجموع .

أما الضرائر المقبولة فمنها تسكين المتحرك كقول حسين النجمي :

ومضينا نـزرع الفرح على الدرب سنينا [2]

فسكن كلمة (الفرَح) لكي يستقيم الوزن .

ومما عدّ مقبولاً من الضرائر قصر الممدود ، وهذا شائع لدى كثير من شعراء جازان ، ومن أكثر الشعراء اتكاءً عليه العقيلي ، ومن ذلك ما جاء في قوله :

أحبّ الطبيعة تـوحي الـصفا وتغمـــرني شمـــسها الدافيــه

فتغـسلني مـن عنـا واقـع الـ مدينـــة والـــضجة الداويـــه [3]

فالشاعر قصر في بيتين متتاليين كلمتين حقهما المدّ ، وهما (الصَّفاء والعَنَاء) .

ومن العيوب الموسيقية المتعلقة بالقوافي (**الإيطاء**) ، وهو إعادة كلمة الروي بلفظها ومعناها بدون أن يفصل بين اللفظين سبعة أبيات على الأقل [4].

وهذا العيب وجد لدى كثير من الشعراء ، فمن أمثلته في شعر محمد بن أحمد العقيلي قوله واصفاً قمة أفرست :

أقمةٌ فوق سطح الأرض أم دار أم فرقـد للـدراري فيـه أوكـار ؟

تنـاط بالقبـة الزرقـاء شـامخة نافت لها فوق هام السحب أوكـار [5]

فالشاعر كرر كلمة (أوكار) في بيتين متتاليين لا فاصل بينهما .

---

(١) المجموعة الشعرية : ٤٩٩ .

(٢) عيناك في وقت الرحيل : ٦٣ .

(٣) المجموعة الشعرية : ٥١٠ .

(٤) انظر: العمدة ، لابن رشيق : ١/ ١٦٩ ، وشرح كتاب أهدى سبيل إلى علمي الخليل ، لمحمود مصطفى ، شرح : نعيم زرزور : ١٨٧ .

(٥) المجموعة الشعرية : ٣٨٣ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

ونذكر في هذا الجانب أنَّ النقاد استثنوا من الإيطاء تكرار ما يستلذ ذكره كاسم الله تعالى ، واسم محمد رسول الله – عليه الصلاة والسلام – ، واسم محبوبة الشاعر التي يتيّم بها[1]، ولكننا نجد من شعراء جازان من يكرر الكلمة أكثر من أربع مرات دونما فاصل ، ودون أن تكون من تلك الكلمات المستثناة من قبل النقاد ، ومن ذلك قول محمد الشنقيطي واصفاً مشاعره عندما احترق منزله :

فركضت أجري نحوها　　ويصدني عنها اللهب
أخفى الدخان وجوهَهم　　والموت يحمله اللهب
زوجي وأبنائي هنا　　وأنا يروّعني اللهب
فجهدت أبحث في الدروب　　أصيح جاءكم اللهب

ثم عقّب الشاعر على ذلك في الهامش بقوله : ((**تكررت كلمة (اللهب) في القافية ، ولكن هذا فرضه الموقف ، وكأني لا أعرف كلمة تنتهي بحرف الباء إلا اللهب**))[2]. ولعل تبرير الشاعر صنيعه هذا يخرجه من دائرة العيب ؛ بل إن الموقف الذي عاشه الشاعر أشدّ حرجاً من موقف المحبوب تجاه محبوبته ، فإذا كان النقاد قد سوّغوا للشاعر أن يذكر محبوبته في القافية أكثر من مرة ، فعليهم أن يفسحوا لمثل موقف الشنقيطي مكاناً آخر يضاف إلى المواقف والكلمات المستثناة من العيب .

ومن عيوب القافية الواردة لدى شعراء جازان (**السناد**) ، وهو اختلاف ما يراعى قبل الروي من الحروف والحركات ، وهو أنواع ، فمنه سناد الردف ، وهو ردف أحد البيتين دون الآخر ، ومنه قول إبراهيم صعابي :

أحبك يا أبي قلبا حنوناً　　يعيد إليَّ ما قد ضاع منّي

(١) شرح كتاب أهدى سبيل إلى علمي الخليل ، لمحمود مصطفى : ١٨٨ .
(٢) قلب يتنفس : ٨٣ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

أحبك يا أبي دفئا جميلا تقرّ مشاعري وتقر عيْني [1]

فالبيت الثاني مردوف بالياء والأول لم يردف ، والأصل أن يردف البيتين جميعاً ، فيأتي حرف المدّ السابق للروي في جميع أبيات القصيدة .

ومن السناد أيضاً سناد التأسيس ، إذ قد يؤسس الشاعر أحد البيتين دون الآخر ، والتأسيس هو الألف التي يكون بينها وبين الروي حرف ، ومما جاء شاهداً على هذا العيب في شعر جازان قول محمد الشنقيطي :

فميسي بقدك بين الحنايا وخوضي غماري إلى الآخر

حنانك قلبي عليك رهيفٌ كقشرة بيضٍ فلا تكسري [2]

فالبيت الأول مؤسس بالألف في لفظ (الآخر) ، والثاني لا تأسيس فيه .

ب- قصيدة النثر :

وجد في نتاج بعض شعراء جازان ما يندرج تحت مسمى (قصيدة النثر) ، ويلحظ أنَّ هذا اللون من النتاج لم يتعرض له الباحث في الدراسة الموسيقية ؛ وسبب ذلك هو أنَّ هذا اللون من الكتابة يفتقد العنصر الوحيد الذي يمتاز به الشعر على النثر ، وهو الوزن أو الإيقاع الموسيقي .

وهذا المصطلح (قصيدة النثر) يحمل صورة ضياعه وحيرته ، فهو جمع غريب وغير منطقي بين المتناقضين ، أو المتباعدين على الأقل : الشعر والنثر ، كما لو قلنا قصة المسرحية، أو مسرحية القصة ، مثلاً .

ولا يمكن قبول دعوى أصحاب ما يسمى بـ(قصيدة النثر) في أنَّ الموسيقى ، وليس الوزن هي التي تمنح الشعر اسمه هذا ، وأن في (قصيدتهم النثرية) موسيقى من نوع خاص ، تجعل منها شعراً ، ويرون أن كل فن نثري فيه موسيقى ، وكثيراً ما يقف

(١) وطني سيد البقاع : ٤٤ .

(٢) خلف أسراب البجع : ١٩ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

أحدنا ملياً أمام عبارة نثرية كتبها ، محاولاً تقويم انحرافٍ يحسّه في إيقاعها . وإذا كان ما يريده أصحاب النثر هو التجدد المستمر للشعر ، فقد أخطأوا الطريق ، نعم إن هؤلاء قد أرادو التجديد ، ولكنهم لم يأتوا إلا بنثرٍ فنّي عرفناه قديماً في أرقى صوره في حديث رسول الله – ﷺ – وفي خطب سحبان وقسٍ ، وكتابات ابن المقفع والجاحظ ، وإذا كان لكل أمة شخصيتها وأسلوب تذوقها ، وإذا كان هذا اللون من الكتابة الأدبية يسمى عند الغرب شعراً ، فإنَّ الذائقة العربية لا يمكن أن تقبل هذا ، لا سيما الذين ألفت آذانهم قصائد امرئ القيس والفرزدق والمتنبي وشوقي ، ومن هنا فحري بنا في تعاملنا مع كل شيء يفد إلينا أن نقول دون خوف أو وجل نقبل هذا ونرفض ذاك ، وهذا يناسبنا ، وذاك لا يناسبنا [1]. والذي أراه ويراه كثير من متذوقي الشعر أن ما يسمى بـ (قصيدة النثر) لا يندرج في الشعر ، وإذا تسامحنا في دراسته فمن باب الإشارة إليه فقط ، أو إبراز ما يحمل من مضامين ليس إلا ، وقد سبقت الإشارة إلى ما فيه من المضامين في الدراسة الموضوعية ، وعند عرض الأجيال الأدبية والاتجاهات الفنية في التمهيد لهذا الباب الخاص بالدراسة الفنية .

***

(١) انظر : حركة الشعر الحديث في سورية ، للدكتور بسّام ساعي : ٢٣ ، والشعر الحديث في المملكة العربية السعودية ، للدكتور عبدالله الحامد : ٢٤ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الباب الثالث
من أعلام الشعر

الفصل الأول – من الأعلام المحافظين .
الفصل الثاني – من الأعلام المجددين .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الفصل الأول
من الأعلام المحافظين

١- محمد بن علي السنوسي .
٢- محمد بن أحمد العقيلي .
٣- علي بن أحمد النعمي .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

١- محمد بن علي السنوسي :

- ١ -

هو محمد بن علي بن محمد بن يوسف بن أبي بكر بن يوسف بن محمد السنوسي [١] ، ولد في مدينة جازان في شهر ربيع الأول سنة ١٣٤٣هـ [٢]، ونشأ في بيت علمٍ وصلاح ، يرعاه والده القاضي والشاعر علي السنوسي ، أحد رجال القضاء في العهدين الإدريسي والسعودي ، وأحد أهم شعراء جازان في بدايات العهد السعودي .

تلقّى شاعرنا مبادئ الكتابة والقراءة في كتّاب الفقيه محمد بن عبدالله الشمّاخي ، وبعد إتقانه القرآن الكريم والخط العربي درس على يد والده بعض الفنون ، كالنحو والصرف والفقه والتوحيد ، ثم درس بعد ذلك على يد علي بن أحمد عيسى ، ثم تتلمذ على يد الشيخ عقيل بن أحمد حنين في حلقته المشهورة بجازان [٣] .

وبعد ذلك اتجه السنوسي إلى القراءة الحرة ، حيث نهل من مكتبة والده في علوم اللغة والأدب والتاريخ حتى ثقف نفسه ثقافة عالية ظهرت آثارها في شعره ، وعن ذلك

---

(١) نسبة إلى الأسرة السنوسية المعروفة ببلاد المغرب العربي ، وقد ذكر الدكتور محمود شاكر سعيد في كتابه (محمد بن علي السنوسي شاعراً) ص ١١ : ((**أنّ أصله من الأسرة السنوسية في ليبيا ، وينتمي إلى بلدة هناك تسمّى (العرش) ، هاجر جدّه إلى مصر ، ثم إلى مكة ، وهناك ولد والد شاعرنا السيد علي السنوسي**)) .
ولكن الصواب هو القول الذي يصله بالأسرة السنوسية ببلاد المغرب ، ويدل على ذلك أمور منها : أن الأسرة السنوسية في ليبيا فرع ينحدر من محمد بن علي السنوسي مؤسس الطريقة السنوسية ، بينما شاعرنا – كما يظهر من نسبه المذكور هنا – لا ينحدر من هذا الفرع . وكذلك أنّه لا توجد بلدة في ليبيا تسمى باسم (العرش) ، وكذلك فقد ذكر محمد بن علي السنوسي نفسه في حديث له مع مجلة المنهل أنّ نسب أسرته يعود إلى بلاد المغرب . انظر : المفقود من شعر علي بن محمد السنوسي ، جمع : د. عبدالله أبو داهش : ١١ ، ومحمد بن علي السنوسي حياته وشعره ، لمحمد القسومي – رسالة ماجستير – غير منشورة : ٦٠ ، ومجلة المنهل (جمادى الآخرة ١٣٧٨هـ) .

(٢) انظر : محمد بن علي السنوسي شاعراً ، لمحمود شاكر سعيد : ١١ ، وقد ذكر العقيلي في أكثر من موضع من مؤلفاته أن السنوسي ولد ١٣٤١هـ ، وهي سنة وفاة الإدريسي ، كما في التاريخ الأدبي ، ٢/ ٩٧٩ ، ولكن الصواب هو ما ذكره محمود شاكر سعيد ، إذ أخذ رأيه من الشاعر نفسه .

(٣) انظر : محمد بن علي السنوسي شاعراً ، د. محمود شاكر : ١٢ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

يقول : ((**وقد نشات في جوٍّ علمي يزخر بالكتب ، ووسط يشع بالمعرفة ، فكان لهذا أثره العلمي والأدبي في نفسي ، وفكري ، وشعوري ، فنشأت على ذلك وتأثرت به ...**))[1].

وكان لمشاركاته في المجالس الأدبية بجازان ،ورحلاته وتنقلاته بين عدد من البلدان والدول أثرٌ كبير في ثقافته التي ظهرت في شعره [2] .

وكان السنوسي يتمتع بمزايا وخلال أصيلة نابعة من إيمانه بقيمٍ ومبادئ سامية ، في شعره كثير من الدلالات عليها كقوله في وصف (جبل فيفا) :

شاقني ذلك السموّ ولي قلـ　　ـبٌ ولوع بكل سامٍ وعال
كلفٌ بالسمو أنّى تجلّى　　شامخاً في الجبال أو في الرجال [3]

وكان من أبرز ملامح شخصيته التواضع والصدق والقناعة ورضى النفس ، والبعد عن الأضواء ، وعن ذلك نجده يتحدث بكل وضوح :

أعيشُ في الظلّ أو في الضوء سيّان　　خرافة كل مفتونٍ بها فان
الظل والضوء ألوان وأصبغة　　لا باهت ثابت منها ولا قاني
وإنما النفس يدنيها ويبعدها　　عن الحقيقة لو فكرت أمران :
فهمٌ ووهم ولا شيء خلافهما　　الوهم من مارج والفهم روحاني
فإن ركبت جناحاً وانطلقت به　　محلقاً عبر آفاقٍ وأكوان
فلا تظنّن أن الأرض قد ذهبت　　أو أنها خليت من كل إنسان
الأرض ثابتة والنفس ذاهبةٌ　　وأنت منها وفيها عائدٌ آنِ [4]

وكانت حياته كلّها جدٌّ وعمل ، لا يحب أن يُرى فارغاً أو لاهيا ، وكانت القراءة

(١) والدي السيد علي السنوسي ، لمحمد بن علي السنوسي ، مجلة المنهل ، مج ٢٩ ، ج ١٢ ، ذو الحجة ، سنة ١٣٨٨هـ .

(٢) انظر أمثلة على ظهور تلك الثقافات في شعره في : محمد بن علي السنوسي شاعراً ، د . محمود شاكر سعيد : ١٣ – ١٦ .

(٣) الأعمال الكاملة : ٣٤٤ .

(٤) المصدر السابق : ٧٣١ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

تأخذ جلَّ وقته ، مما جعله يقول :

ما عرفتُ الفراغ يوماً ولا اللهـ ـو ولا لعبة من الألعاب
لعبتي إن لعبتُ سفر أناجيـ ـه وصحف أجلو بهنَّ اكتئابي
واقتناء الكتاب أشهى إلى نفـ ـسي وأحلى من اقتناء الثياب
قرّحت عيني القراءة تعذيـ ـباً وحبي لها يزيد عذابي
كلما رمت عن هواها سلوًّا عدت من رغبتي بغير جواب
ذاك دأبي مدى الزمان وطبعي أبداً في إقامتي واغترابي [1]

وكان السنوسي لا يتكلف أو يقول ما لا يعتقد ، أو يمدح من لا يرى أنه أهل للمدح، ولا يحاول أن يظهر بغير حقيقته ، وكان صادقاً مع نفسه ، ومع مجتمعه وبيئته التي عاش فيها ، ودرج على ترابها ، وغنَّى آمالها وخيالاتها وطموحها [2] .

أما بالنسبة لحياته العملية ، فقد قضاها السنوسي متنقلاً بين عددٍ من الوظائف الحكومية ، ففي سنة ١٣٥٧هـ ، عمل في جمرك جازان ، وظل يتدرج في السلم الوظيفي حتى صار مديراً لجمارك جازان سنة ١٣٧٠هـ .

وفي سنة ١٣٨٥هـ عيّن رئيساً لبلدية جازان ، ثم اختير لإدارة شركة كهرباء جازان في عام ١٣٨٩هـ ، وظل بها إلى سنة ١٣٩٣هـ ، حيث تفرغ لحياته الأدبية ، وكان أحد الأعضاء المؤسسين لنادي جازان الأدبي ، وعمل مساعداً لرئيسه منذ إنشائه حتى سنة ١٤٠٠هـ ، حيث تولى فيها رئاسة النادي ، وبقي في الرئاسة إلى وفاته يوم الأربعاء السابع من شهر شوال سنة ١٤٠٧هـ [3] .

وكانت حياته حافلة بالعطاء والإنتاج الوافر في كثير من المجالات الأدبية

(١) المصدر السابق : ٦٥٥ .
(٢) المصدر السابق : تصدير وتقديم الأغاريد لمحمد سعيد العامودي ، والدكتور كامل السوافيري .
(٣) انظر : محمدبن علي السنوسي شاعراً ، د. محمود شاكر سعيد : ١٦ ، ومحمد بن علي السنوسي حياته وشعره ، لمحمد القسومي : ٧٧ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

والفكرية ، ففي مجال الشعر الذي بدأ قرضه وهو في سنّ الرابعة عشرة له عدد من الدواوين الشعرية ، إذ ظهر أول شعر له مجموع في ديوان (شعراء الجنوب) بالاشتراك مع والده ورفيقه العقيلي والشاعر أحمد بن علي بن عبدالفتاح الحازمي سنة ١٣٧٠هـ ، ثم أصدر أول ديوانٍ مستقل بشعره سنة ١٣٨٠هـ ، وهو ديوان (القلائد) ، ثم (الأغاريد) سنة ١٣٨٥هـ ، فـ(الأزاهير) في سنة ١٣٩٢هـ ، ثم (الينابيع) عام ١٣٩٩هـ ، أما آخر دواوينه فهو (نفحات الجنوب) الذي صدر سنة ١٤٠٠هـ ، وقد جمع الشاعر دواوينه الخمسة المستقلة في مجموعة واحدة سمّاها (الأعمال الكاملة) ، نشرها نادي جازان الأدبي سنة ١٤٠٣هـ . و(الأعمال الكاملة) كما هو واضح لم تضمّ كل ما له من قصائد [١] ، إذ لم تشتمل على قصائده الواردة في ديوان (شعراء الجنوب) المشترك ، وكذلك بعض القصائد المخطوطة والمتفرقة في بعض الصحف والمجلات ، وقد عمد بعض الباحثين إلى جمعها وترتيبها ووضعها في ديوان مستقل باسم (فائت الديوان) [٢] .

وللسنوسي مجموعةمن المقالات المنشورة في أغلب الصحف والمجلات ، وقد تعددت موضوعاتها ، فهناك مقالة الترجمة الشخصية ، والمقالة النقدية ، والتاريخية ، والاجتماعية ، وقد ضمّ بعض مقالاته الأدبية والنقدية في كتاب سماه (مع الشعراء) ، ثم جمع الأستاذ عبدالعزيز الهويدي مقالات أخرى ونشرها في كتاب سماه (من أحاديث السنوسي) صدر بعد وفاة السنوسي ، ونشره نادي جازان الأدبي سنة ١٤١١هـ ، كما أن للسنوسي عدداً كبيراً من الأحاديث الإذاعية ، والمحاضرات التي ألقاها في المحافل الأدبية [٣] .

وقد لقي السنوسي وأدبه اهتماماً واسعاً من قبل النقاد ، وحاز بسببه على ميداليات تكريمٍ وتقدير من جامعاتٍ وملتقيات محلية وعربية ،وفازت كثير من قصائده

(١) سبقت الإشارة إلى هذا في فصل (مصادر الشعر) .

(٢) انظر : محمد بن علي السنوسي ، حياته وشعره ، لمحمد القسومي : ٢٩٩ ، ونادي جازان الأدبي هو الآن بصدد طبع هذا الفائت الذي جمعه وأعدّه محمد بن سليمان القسومي .

(٣) انظر تفصيل تلك المقالات والأحاديث الإذاعية في المصدر السابق : ٨١ – ٩٨ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

بجوائز متعددة في مسابقات شعرية . وتجاوز الاهتمام بشعره الآفاق المحلية إلى الآفاق العالمية ، فقد ترجم شعره إلى اللغة الإيطالية ، ونشرت قصائده في بعض المجلات العربية واسعة الانتشار لا سيما في مصر والشام[1] .

وقد قرّض أشعاره عدد كبيرمن النقاد ، منهم عبدالقدوس الأنصاري الذي يقول : ((**هو الشاعر الذي تعتز به المملكة العربية السعودية وتضعه في الصف الأول من بين شعرائها الأبرار ... شعراء الشباب المبدعين ... شعراء الأدب الرفيع واللسان العفّ والضمير النقي من الشوائب والأوضار**))[2] .

وتحدث عن شعره الأستاذ حسن عبدالمقصود ، فقال : ((**إن شعره يملأ نفسي ويشعرني أنه يخرج من نفسٍ عربية مؤمنة صادقة قوية اليقين بعروبتها وإسلامها**))[3] .

أما الدكتور محمد العيد الخطراوي فيقول : ((**إن للسنوسي مشاعر دينية قوية ، فقلبه يهتز للمناسبات الإسلامية الخالدة ، ونفسه تستجيب لمعانيها المتجددة**))[4] .

وقد وقف أمام شعره عدد من الدارسين بالنقد والتحليل ، سواء في دراسات مستقلة، أم ضمن دراسات عامة ، ولم أجد دارساً للأدب السعودي المعاصر لم يتعرض لشعر السنوسي إلا أولئك الذين درسوا الأدب السعودي قبل أن يظهر نتاج الشاعر السنوسي في الصحف والمجلات ، ثم الدواوين المطبوعة فيما بعد .

وأهم الدراسات التي خصصت لشاعرنا جزءاً مستقلاً فيها ، منها : من أعلام الشعر السعودي) للدكتور بدوي طبانة ، و (المذاهب الأدبية في الشعر الحديث لجنوب المملكة العربية السعودية) للدكتور علي علي مصطفى صبح ، و (أدباء من السعودية) للدكتور يوسف بن حسن نوفل ، و (شعراء من أرض عبقر) للدكتور محمد العيد الخطراوي،

(١) انظر : دراسات في شعر محمد بن علي السنوسي ، لعدد من الباحثين :٢٢٩ – ٢٣٠ .
(٢) مقدمة ديوان القلائد ، للسنوسي .
(٣) الأعمال الكاملة : ٦٧١ .
(٤) شعراء من أرض عبقر ، لمحمد العيد الخطراوي ، ٢/ ١٥٦ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

و(حركات التجديد في الشعر السعودي المعاصر) للدكتور عثمان الصوينع وغيرها .

أما الدراسات التي خصصت كاملة لدراسة شعره وتحليله ، فمن أهمها : (محمد بن علي السنوسي شاعراً) للدكتور محمود شاكر سعيد ، و (دراسات في شعر محمد بن علي السنوسي) لمجموعة من الباحثين ، هم : ربيع محمد عبدالعزيز ، وخالد محمود دياب ، ومحمد دياب محمود ، وأحمد مختار مكي ، إضافة إلى عدد من الرسائل الأكاديمية للحصول على درجة الماجستير ، أهمها : (محمد بن علي السنوسي حياته وشعره) لمحمد بن سليمان القسومي ، و(الاتجاه الإسلامي في شعر محمد بن علي السنوسي دراسة تحليلية فنية) لمفرح إدريس أحمد سيد .

- ٢ -

الشاعر محمد السنوسي خاض بشعره في جميع مناحي الشعر ، لكنّ المتتبع لشعره يجد أنّه واحد من الشعراء المعاصرين الذين أبدعوا في فنّ الوصف ، إذ تتناثر في دواوينه قصائد ومقطّعات كثيرة يظهر فيها ولوعه بمشاهد الطبيعة ، يجتلي محاسنها ، ويستلهم مفاتنها ، ثم يصوّرها في لوحات شعرية أنيقة ، إذ إنه اطلق لحواسّه العنان لتحلق في تلك الآفاق ، وتتأمل فيما أبدع الله ، ثم يسلط شاعريته ، لتجمّع هذه الرؤى ، وتصفها بأجمل الأوصاف .

ومن شعره الذي يمثل هذا الاجتلاء ، وذلك الاستلهام قوله في قصيدة (عُرس الفجر) :

هبَّ نسيم الصباح هبَّا　　ورفرف الزهر واشرأبّا
واستيقظ الكون من كراه　　وفضَّ من كنزه المخبَّا
وأومض الفجرُ مستنيراً　　مشعشعاً كالغدير عذبا
وأشرق النور في سماءٍ　　كحيلة مقلةً وهُدْبَا
وغرَّد الطير في رباه　　وهزَّ أعطافه ولبَّى
لبَّى نداء الصباح حلواً　　مرفرفاً خفَّةً ووثبا
يصبُّ ألحانه النشاوى　　في عرسه العبقري صبَّا

www.alukah.net
شبكة الألوكة

عُـرس الـسنى والـسنى وليـدٌ لمـا يـزل كالحريـر رطبـا [1]

فالشاعر استطاع في ذلك المقطع أن يستجمع جوانب الصورة ، مفصّلاً أجزاءها على هذا النحو الراقي من الاستيعاب والتفصيل ، فنسيم الصباح يهبّ رقيقاً عليلاً ، والزهر يرفرف على أفنانه يرقب الضياء الذي بدت تباشيره ، والحياة تدبّ في أرجاء الكون لتستقبل الصباح بنوره المشرق ، والطيور تغرّد ملبية نداء الصباح ، وترفرف خفيفة رشيقة من غصنٍ إلى غصن ، وكأنها في عرسٍ بهيج حقًّا هو عرس النور الذي لا يزال رطباً وليداً يدلف رويداً رويداً ليزيل الظلام . ولا مناص من استكمال الصورة كما رسمتها ريشة الفنان الصناع السنوسي :

شـعاعه يُلهـم الـسَّواقي أغانيـاً والقلـوبَ حُبَّـا
وعطـره يـنعش الـروابي فتزدهـي أيكـةً وعـشبا
رنـا إلى الأفـق فاسـتهلّت غيومُـه مزنـة وسُحبَـا
وعـانق النّهـر فاستفاضـت مياهـه أنجمـاً وشُهبـا
وقبَّـل الأرض فاسـتعادت شبابهـا نـضرة وخِـصبا [2]

فللسنوسي قدرة بارعة – كما في النص السابق – على تأليف الصور التي تتابع في شعره في الأبيات المتتالية ، وكأنها تفيض من نبعٍ مستفيض ، ومن موردٍ لا ينضب . وقد وعاها حسّ الشاعر ، ودبّجها خياله الخصب ، لترى فيها الخيال الحركي ، الذي يخلع الحياة على الموات ، ويهب الحركة للجماد ، مما يراه في بيئته (جازان) التي تشحذ الذهن ، وتفتق الخيال ، فترى العبير يرف ، والطلّ يوشح الشجر ، وريح الصبا ترشُّ بالعطر وجوه البطاح ، والشذا يطوف هيمان على ورد الخدود ، أما الإشعاع فإنه عبقري تستقي منه السواقي والقلوب إلهاماتها غناءً وحبّا .

(١) الأعمال الكاملة : ٤٧٣ – ٤٧٤ .
(٢) المصدر السابق : ٤٧٤ – ٤٧٥ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

إن هذه الظاهرة – ظاهرة الهيام بالطبيعة ومفاتنها – تبدو واضحة في كثير من شعر السنوسي ، وهو في هيامه بالطبيعة استطاع أن يودع فيها عواطفه المشبوبة التي تنبعث من قلبٍ يحسّ بالإبداع في الكائنات ، ويقدّر الجمال في المخلوقات ، ولا يمرّ بتلك المشاهد مرّاً ، ولا تكفيه منها متعة النظر إليها ، ولكنه يتوقف عندها ، ويتاملها طويلاً ، حتى تتصل بمشاعره، وتتفاعل هي وعواطفه ، إلى أن تصبح تجربة من تجاربه ، يجلّيها للناس في مثل ذلك الثوب القشيب الأنيق .

وهذا الإبداع لا يقتصر على قصائده أو مقطّعاته التي جرّدها لوصف الطبيعة ، بل إنه ليغلب على أكثر شعره العاطفي ، وشعره الوطني ،حتى لكأنك وأنت تطالعه في معرض أنيق للصور الخلاّبة ، والخيالات البارعة التي رسمها رسّام من أعلام المصورين [1] .

ونتبيّن عندما نقرأ أيَّ قصيدة عاطفية له ، نجده يمعن في تصوير المشاعر ورسم المشاهد، حتى لينسيك أنه يتغزّل ، بما يثير فيك من روعة الرسم والتصوير الدقيق ، نجد في قصيدة (أخت القمر) – مثلاً – حيث يقول :

سبحان من أبدع هذا الصِّبا　　وجلّ من نسَّق هذا الحَوَر
أسهب في شعرك حتى انتهى　　إلى الرُّبا مسترسلاً وانحدر
ورقَّ في خصرك حتى استوى　　إيجازه في قدِّك المختصر
والغيدُ النشوان في سالفٍ　　ريَّان يستهوي شفاه الزَّهر
والخفر النعسانُ في مقلةٍ　　تكاد تستصبي فؤاد الحجر
حلوتِ حتى كدتِ أن ترشفي　　رشفاً وأن يحسو صباك النَّظر [2]

فأوصاف فاتنته (نشوة الصبا) ، و(حور العين) ، و(استرسال الشعر) ، و(رقة الخصر) ، و(الخفر والغيد ...) ، والملفت للنظر أنّ الشاعر يسيطر على مشاعر

(١) انظر : من أعلام الشعر السعودي ، د.بدوي طبانة : ٣٤٩ – ٣٥٢ .
(٢) الأعمال الكاملة : ٤٦٦ – ٤٦٧ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

القارئ بما يسبكه على شعره من قوالب موسيقية راقصة تدعم الصور المتشكلة والمتتابعة، يظهر ذلك الأسر الموسيقي في تناغم الأشطر المتوالية في ظاهرة يكاد ينفرد بها السنوسي . فالشطر الأول من البيت الثاني بدأه بقوله : (أسهب في شعرك) ، وختمه بقوله: (حتى انتهى) ، والشطر الذي يليه أي الشطر الأول من البيت الثالث بدأه بقوله : (ورقَّ في خصرك) ، وختمه بقوله : (حتى استوى) ، ونلحظ ها التوازن بين أسهب في شعرك ، ورقّ في خصرك ، وبين حتى انتهى وحتى استوى .

وكذلك الحال في الشطرين التاليين ، وهما الشطران الأولان من البيتين الرابع والخامس، فالأول منهما بدأه بـ (الغيدُ النشوان) ، والثاني بـ (الخفر النعسان) ، وختم الأول بـ (في سالفٍ) ، والثاني بـ (في مقلة) .

والشاعر السنوسي من خلال شعره تشعر أنّ في حياته كثيراً من التجارب التي لا ينساها ، والتي تشكل رؤيته ، وتنعكس على شعره ، وهذه ميزة مهمة في أي شاعر متمكن .

والدارس لشعره – أيضاً – يجد أنّه ممن كانوا يتعمّقون في الحياة ويسبرون أغوارها ، ويتغلغلون في بواطنها ، ويحاولون النفاذ إلى دقائقها وأسرارها ، وهذه سمة الأديب الناجح المتسلح بالثقافة والخبرة والدراية الذي يرى بعينيه ما لا تراه عيوننا . ومن هنا يقول الدكتور محمد حسنين هيكل : ((**ولكي يكشف الأديب للناس عمّا في الحياة من حق وجميل ؛ وليؤدي الرسالة العظيمة الملقاة على أدباء العصور جميعاً يجب أن يتغذّى ما استطاع من ورد الفلسفة ومن ورد العلم ، فكلما كان أكثر غذاء من هذين الوردين ، كان أقدر على أداء الرسالة حقًّا**))[1] .

والسنوسي في كل تأملاته المتصلة بشتى الموضوعات الطبيعية والإسلامية والوطنية والشخصية لا نجده يتخلّى عن موهبته الأصلية ،وهي القدرة على إبداع

(١) ثورة الأدب ، للدكتور محمد حسنين هيكل : ٢٦ ، نقلاً عن دراسات في شعر محمد بن علي السنوسي ، لأحمد مختار مكي وآخرين : ١٧٩ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

التصوير وامتلاك الريشة ذات الألوان الزاهية التي يقدر على تطويعها والتأثير فينا عن طريقها ، نجده – مثلاً – يتأمل في أثر الرسالة المحمدية على الحياة في الجزيرة العربية والعالم من حولها ، فيرسم لك لوحة تأملية رائعة ذات تأثير نفسي ومضمون إسلامي معبِّر ، فيقول :

لمعت على الوادي المقدس شعلة　　تركت دجى الدنيا نهاراً مسفرا
مسّت شرارتها الحياة فأشعلت　　مثلاً أشفّ سنا وأكرم جوهرا
هزمت أشعتها الظلام وزلزلت　　(كسرى) وراء الخافقين و(قيصرا) (١)

ويتأمل السنوسي في صفحات المسلمين المشرقة التي سطرها التاريخ ، فيعرضها في لوحة فنية متكاملة تتداعى فيها الصور لتشكل في النهاية معرضاً للصور المنسقة ، إذ يقول في إحدى تلك الصفحات التي وعاها ذهنه ، ورسمها يراعه من تاريخ عمر بن عبدالعزيز وعهده العظيم الذي لا نظير فيه :

واستقبل الدهر عهداً لا نظير له　　في كل ما سجّل التاريخ من حقبِ
هديا وعدلاً وإيماناً ومرحمة　　ووحدة صاغها الإسلام من ذهبِ
يمشون في ظلها الضافي وقائدهم　　دين ينير خطاهم في دجى الدربِ
يحدو سُراهم ويشدو في مواكبهم　　قرآنهم وحديث المصطفى العربي
نقية لم يشبها ما يكدرها　　من التفاخر بالأعراق والنسبِ

إلى أن يقول في آخر القصيدة (اللوحة) :

أسطورة تلك لا والله بل بشر　　مشى على الأرض مشي الغيث في الجدب
قرأت تاريخه يوماً فرف فمي　　شوقاً لتقبيل ذاك العطر في الكتبِ (٢)

ويمتاز وصف السنوسي أنَّه ينطلق من مشاعر ذاتية تعينه على استنطاق الأشياء

(١) الأعمال الكاملة : ١٦ .
(٢) المصدر السابق : ٥٢٨ – ٥٣٠ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وتحريكها والولوج إلى عوالمها ، فحبُّه حياة الريف التي تعني البساطة وعدم التكلف وحياة البراءة والرقة والصفاء والنقاء جعله يقف عند مرأى الكوخ وساكنيه الفقراء السعداء ، فيجعله أرقى وأفخم من حيث السعادة والهناء من القصر المنيف ، صورة قديمة لكنه نفذ فيها بريشته فغيّر من ألوانها ، وعدّل فيها انطلاقاً من ذاتيته الحالمة ، ومشاعره الصادقة ، حيث قال متحدثاً عن السويعات القصار التي يقضيها في الريف :

كلما ضمّني دجاك ورقت ... نفحات الصبا على الأدواح
وانتشى الكون بالعبير وراح السـ ... ـيل يختال في السهول الفساح
يغمر الأرض بالنعيم غزيراً ... ويهز القلوب بالأفراح
نعمت روحي الكئيبة بالصفـ ... ـو، وصحت من الأسى والجراح
رب كوخ يضمّ زوجين كالطفـ ... ـين طهراً ورقة كالأقاح
يملآن الحياة شدواً ويختا ... لان زهواً في غبطة وارتياح
ويعيشان في هدوء برئ ... من فضول الغنى وكدّ الشحاح
نعما بالحياة في ظلّ عيشٍ ... أخضر من قناعة وانشراح
فيلسوفان ينظران إلى الدنيا ... كما تنظر الذرى للرياح
يتمنّى عيشيهما صاحب القصـ ... ـر المعلى وذو الظُّبى والرماح [1]

ولهذا نجد أنَّ نقاد الشعر السعودي إذا عدّوا شعراء الوصف والتصوير لا يمكن لهم تناسي الشاعر السنوسي ، فنجد الدكتور عبدالله الحامد مثلا يقول : ((**وشعراء الوصف هم القنديل ، ومحمد هاشم رشيد ، وحسين سرحان ، ومحمد السنوسي ... ونظرة إلى أسمائهم تدلنا على أنَّ أكثر الوصافين من شعراء الجيل الثاني ؛ ذلك يرجع إلى تمام أصول الصناعة لديهم ، التي تعثّر فيها الأوائل** ...))[2] ، بل إنه

(١) المصدر السابق : ٣٣٨ – ٣٣٩ .
(٢) الشعر الحديث في المملكة العربية السعودية ، للدكتور عبدالله الحامد : ٣٦٩ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

ليقول في موضع آخر : إنَّ السنوسي هو أبرز شاعر وصف الطبيعة [1] . والدكتور يوسف نوفل عندما علّق على قصيدة السنوسي (لوحة من عسير) ، التي يقول فيها :

بين مسرى الشذى ومجرى العبير　　خفق القلب مستهام الشعور
يتلقى أشعة الشعر من إيـ　　ـحاء أفق مشعشع بالزهور
ماتصورت أن في الأرض فردو　　ساً وحوراً كاللؤلؤ المنثور
بلد شامخ يطل على الأر　　ض بلحظ يسمو سمو الصقور
يا ظباة السراة رفقاً بإحسا　　سي فما زال ناعماً كالحرير
وأنا الشاعر الذي هام بالحسـ　　ـن وغنَّى له غناء الطيور [2]

أشاد بهذه الخاصية المميزة في شعره بقوله : ((**نلتقي بصورة فنية فيها تلقائية وبساطة ، ولعل لحب الطبيعة – والطبيعة المحلية بنوع خاص – الدَّخل الكبير في روح تلك القصيدة ، وفي مناداته الظبا بما في ذلك من استيحاء للصورة العربية القديمة ... وهو شيء يفوق مجرد التصوير بالريشة مثلاً عند الرسام ، إذ لا يستطيع الرسام إلا التقاط منظر ساكن أو شبه ساكن في حيّز محدود ، وزمانٍ معين . أما الحيّز والزمان في الصورة الفنية فمتحركان متتابعان، إذ تتغلّب الحركة على الحيّز فتجعله متنقلا ، وتتغلب على الزمان فتجعله متجددا ، وهنا سرّ إحساسنا الفني بروعة التصوير دائما ، وذلك لا يتأتى إلا من خيال مبتكر قادر على التحليق**)) [3] .

ولم تكن قدرة السنوسي على التصوير نابعة من تكلف ، لا ، بل هي نابعة من

(١) انظر : الشعر الحديث في المملكة العربية السعودية : ١٧٠ ، والمذاهب الأدبية في الشعر الحديث لجنوب المملكة العربية السعودية ، للدكتور علي علي مصطفى صبح : ٩٤ – ٩٥ ، وحركات التجديد في الشعر السعودي ، للدكتور عثمان الصوينع : ١ / ٣٢٠ ، والتيارات الفنية في الشعر السعودي الحديث ، د.طلعت صبح السيد : ٢٦١ .

(٢) مجلة الفيصل ، ع ٥٣ ، ذو القعدة ١٤٠١هـ .

(٣) أدباء من السعودية ، للدكتور يوسف نوفل : ٨٤ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

إحساس صادق وشاعرية أصيلة كما يقول الدكتور محمد العيد الخطراوي : ((**وبقدر ما في شعره من اتباعية ، فإنك تلحظ فيه الروح العصرية المتألقة ... ومتسم بشاعرية أصيلة تنساب إلى النفس بيسر وسهولة دون تكلّف أو مبالغة في تصوير**))[1] .

وبعد ، فلم يكن السنوسي من أولئك الشعراء الذين استهوتهم الطبيعة ، ومن ثم هربوا إليها ، ونسوا كل شيء إلا ذواتهم ، بل كان السنوسي بعيداً كل البعد عن الذاتية المفرطة التي نأت ببعض الشعراء عن واقع مجتمعاتهم ، وجعلت أمتهم وبلادهم غريبة في أشعارهم ، فهو شاعر صاحب موقفٍ ومشاعر تهتز لما حوله من ظروف ومناسبات ، وتستجيب نفسه لمعانيها المتجددة ، وقد استعان بريشته المبدعة المتمكنه في التصوير والرسم الفائق على المشاركة فيها، فمدح الملوك العاملين ، والبناة الفاعلين ، وتحدّث عن نهضة الوطن الناشئة ، وواكب سير جازان نحو التطور ، وسعى في دعم كل أسباب الرقي والتمدّن ، وشارك بمشاعره الفياضة الأمة الإسلامية في أنحاء المعمورة ، وصبَّ جام غضبه على المستعمر والغاصب ، وتغنّى بكفاح الشعوب العربية والإسلامية ضدّ الأعداء .

وهو في كل ذلك لا ينفك عما لازمه من مهارة في التصوير ؛ لأنه شاعر صورة بالدرجة الأولى ، ويخال المرء أن في داخله مصنعاً مدهشاً للصور ، لايتوقف عن العطاء والتجدّد ، وإذا كان النقاد قد أطلقوا عليه من قبل لقب (شاعر الجنوب) ، فإنَّه أيضاً يستحق أن يسمّى (الشاعر الرسّام) .

٢- محمد بن أحمد العقيلي:

ولد العقيلي بمدينة صبيا في ٣٠/ ١١/ ١٣٣٦هـ في بيت علم وأدب احتضنه ورعاه ، فقد كان أول معلّم له هو والده أحمد بن عيسى العقيلي ، وأتم حفظ القرآن الكريم في مسجد (العقالية) بصبيا ، وقرأ في تلك المرحلة على عدد من المعلمين (الفقهاء) في النحو والفقه والأدب .

(١) شعراء من أرض عبقر ، للدكتور محمد العيد الخطراوي : ٢/ ١٥٢ – ١٥٤ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

توفي والده وهو صغير السن لم يتجاوز السابعة من عمره ، فانتقلت أسرته إلى مدينة جازان ، وفيها وجد البيئة الملائمة لبناء ثقافته ، فانصرف للدرس والمطالعة ، والتفرغ لقراءة المكتبة التي خلفها له والده ، وكان جل تركيزه على التاريخ والأدب ، فدرس تواريخ الأمم وسير الشعوب والرجال ، وحفظ كثيراً من الشعر القديم والحديث على حدٍ سواء .

ولم ينس الشاعر أن يواكب الأحداث والثقافة الجديدة عن طريق الصحف والمجلات التي رافقت العهد السعودي كـ(أم القرى) و (المنهل) ، واطلع – أيضاً – على بعض الصحف التي تصل من مستعمرة عدن الانجليزية ، ومن مصر والشام وغيرها .

ولم يلتحق العقيلي بالتعليم النظامي الذي لم يكن متاحاً في ذلك الوقت في جازان ، وكانت الحياة هي مدرسته التي تخرّج منها ، والقراءة والاطلاع المتواصل زاده المهم الذي أعانه على التفوق والنبوغ ، ومن ثم الوقوف على قاعدة صلبة لم تتزعزع في يومٍ من الأيام .

وقد بدأ العقيلي حياته العملية موظفاً بمالية جازان ، واستمر في عمله هذا في الفترة ما بين ١٣٦٠هـ – ١٣٧٧هـ ، ثم انتقل من المالية ليعمل مديراً لدار الأيتام بجازان في المدة ما بين ١٣٧٣هـ – ١٣٨٦هـ ، ثم مديراً لمكتب العمل بجازان من ١٣٨٦هـ إلى سنة ١٣٩٢هـ ، وبعدها طلب إحالته إلى التقاعد ، ليتفرغ للتأليف والتحقيق وخدمة العلم والأدب ، ومزاولة بعض الأعمال التجارية . وفي سنة ١٣٩٥هـ اختير رئيساً لنادي جازان الأدبي ، وهو أول رئيس له ، وظل في هذا المنصب إلى سنة ١٤٠٠هـ[1] .

كان العقيلي يحمل بين جنبيه طموحاً لا يحدّ نحو العُلا وخدمة العلم والأدب ، وقد صور تلك النفس الطمّاحة والهمة العالية في قوله :

إني نشأت بأحضان العلا شغفاً　　بالمجد والنبل والأخلاق محتفلا

(١) انظر : محمد بن أحمد العقيلي ، للدكتور محمد الصادق عفيفي : ١٥ – ١٨ ، وأدباء سعوديون ، للدكتور مصطفى إبراهيم حسين : ٣٨٥ ، وشعر محمد أحمد العقيلي ، دراسة تحليلية ، لخالد ربيع الشافعي : ٢ – ٥ ، وموسوعة الأدباء والكتاب السعوديين ، لأحمد بن سلم : ٢/ ٣٣٧ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

أرتاض بين مجالي الفن منتشيا مغـــرداً بأفانـــين العـــلا هـــدلا
أرى الحياة مجالاً للطموح فإن لم يسعف الحظ لم أبرم به جللا [1]

وقد وظّف العقيلي ذهنيته المتوقدة في البحث والتحقيق والتأليف إلى جانب حسّه الشعري ، فأصدر التآليف القيمة فيما يتعلق بمنطقة جازان خاصة وجنوب الجزيرة عامة بعد أن جمع النفائس والكنوز من تراثها في مكتبته القيمّة التي أهداها مؤخراً إلى المكتبة المركزية بجامعة الملك سعود بالرياض .

وكان العقيلي بمؤلفاته المتنوعة في المجالات المختلفة من تاريخ وجغرافيا وآثار وتراجم ولهجات وأدب شعبي يعدُّ بحقٍّ حجّة في جنوب الجزيرة العربية تاريخاً وأدباً ولغة وعادات ، كما أنه صورة مشرقة للأديب والعالم الموسوعي الذي أضحى نادراً في عصرنا الحاضر عصر التخصص في العلوم [2] .

فمن مؤلفات العقيلي في التاريخ (تاريخ المخلاف السليماني) ، و(تاريخ الجزيرة العربية الحديث) ، وكتاب (الآثار التاريخية في منطقة جازان) ، وكتاب (نجران في أطوار التاريخ) ، وكتاب (عسير في أطوار التاريخ) ، و (سوق عكاظ) .

ومن مؤلفاته في السير والتراجم كتاباه : (حياة الشيخ محمد بن عبدالوهاب) وهو مطبوع ، و (وهج العبقرية) وهو في مرحلة الطباعة ، وهو في سيرة الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود .

ومن مؤلفاته في التأريخ الأدبي (أضواء على الأدب والأدباء) ، وكتاب (من أدب جنوب الجزيرة) ، و (الأدب الشعبي في الجنوب) ، و (التاريخ الأدبي لمنطقة جازان) ، وهو من أهم مؤلفاته في هذا الجانب .

(١) الأنغام المضيئة : ٢٢ ، والتاريخ الأدبي لمنطقة جازان ، لمحمد العقيلي : ٣/ ١٩٤٠ .
(٢) انظر : محمد بن أحمد العقيلي العالم الموسوعي والأديب والباحث الموضوعي ، للدكتور محمد الصادق عفيفي : ١٣ – ١٤ ، ومن المكتبة السعودية (محمد العقيلي) ، للأستاذ الدكتور محمد بن سعد بن حسين ، برنامج إذاعي مخطوط ، ص : ١١٩٣ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

ومن مؤلفاته في المعاجم : كتابه (المعجم الجغرافي لمقاطعة جازان) ، وكتاب (معجم اللهجات المحلية لمنطقة جازان) ، و (المعجم النباتي) .

وللعقيلي جهود عظيمة في تحقيق التراث ، إذ أخرج للمكتبة العربية عدداً من الكتب منها : (ديوان الشاعر القاسم بن علي بن هتيمل الضمدي) و (ديوان الجراح بن شاجر الذروي) ، والأول ابن هتيمل من شعراء القرن السابع الهجري ، والثاني وهو الذروي من شعراء جازان في القرن العاشر الهجري ، ومن الكتب التي حققها (ديوان السلطانين (شرح وتحقيق) ، وهما سليمان والخطاب ابنا الحسن الحجوري ، و (نفح العود في سيرة الشريف حمود ، لعبدالرحمن البهكلي ، وتكملة الحسن عاكش) ، و (العقد المفصّل بالعجائب والغرائب في دولة الشريف أحمد بن غالب ، لعلي بن عبدالرحمن البهكلي) ، و(مذكرات سليمان شفيق باشا).

وهناك عدد من الموضوعات جال فيها العقيلي في موضوعات مختلفة ، مثل كتابته عن التصوف في كتابه (التصوف في تهامة) ، و (محاضرات في الجامعات والمؤتمرات السعودية).

وإضافة إلى هذه المؤلفات ، فقد شارك العقيلي بقلمه الفياض في أغلب الصحف والمجلات السعودية .

وقد لقي جهد العقيلي طوال خمسين سنة تقدير الأدباء والمثقفين واهتمامهم ، وأعطي بعض ما يستحقه من تكريم ، إذ حصل على عددٍ من الجوائز والأوسمة ، منها حصوله على الميدالية الذهبية للرواد السعوديين في مؤتمر الأدباء السعوديين الأول الذي أقامته جامعة الملك عبدالعزيز سنة ١٣٩٤هـ بمكة المكرمة . وفي سنة ١٤١٦هـ كرّمه المهرجان الوطني للتراث والثقافة بالجنادرية ، وفي السنة التي تلتها ١٤١٧هـ حصل على وسام الملك عبدالعزيز من الدرجة الثالثة في افتتاح المهرجان الوطني للتراث والثقافة بالجنادرية [1] .

والعقيلي أيضاً عضو فاعل في عدد كبير من الجمعيات العلمية والثقافية والخيرية .

---

(١) انظر : أدباء سعوديون ، للدكتور مصطفى إبراهيم حسين ، وشعر محمد أحمد العقيلي دراسة تحليلية ، لخالد الشافعي : ٦ – ٢٢ ، وموسوعة الأدباء والكتاب السعوديين ، لأحمد بن سلم : ٢/ ٣٣٧ – ٣٤١ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

أما نصيب الشعر في جهود العقيلي وحياته ، فقد أخذ منها حيزاً كبيراً وواضحاً ، فهو يعدّ من جيل الرواد في جازان ، إذ ظهر أول ديوان يضمّ شعره وشعر غيره سنة ١٣٧٠هـ ، وهو ديوان (شعراء الجنوب) ، وفي سنة ١٣٩١هـ نشر العقيلي ديوانه (الأنغام المضيئة) ، وقد قدّم له الشيخ حمد الجاسر بمقدمة لخص فيها سيرة الشاعر ، وأشار إلى أهم أعماله ومؤلفاته .

ثم أصدر العقيلي في سنة ١٤٠٢هـ ديوانه الثاني المستقل وهو (أفاويق الغمام) ، وفي سنة ١٤١٣هـ أصدر الشاعر ديوانه الثالث (رأد الضحى) مرافقاً للمجموعة الشعرية الكاملة ، وتحوي المجموعة الشعرية جميع شعره الذي تفرّق في الدواوين السابقة ، وجاءت المجموعة في (٧١١) صفحة ، تحوي (١١٢) قصيدة ومقطوعة متفاوتة بين الطول والقصر ، ومجموع أبياتها (٣٤٦٦) بيتاً .

وقد قدّم العقيلي لمجموعته الشعرية بمقدمة شعرية حوت ثلاثين بيتاً ، بيّنت أهم أغراض شعره وأهم مصادر إلهاماته ، كما أنَّه كثيراً ما يقدم لقصائده بكلمة قصيرة يبين فيها مناسبة القصيدة ، ويلجأ – أحياناً – لشرح بعض الكلمات التي ترد في شعره محاولاً فكّ غموضها ، وكان العقيلي حريصاً أكثر من غيره من شعراء جازان على تسجيل تاريخ نشر قصائده ، مما سهل على الباحثين معرفة التطور الفني الذي صاحب الشاعر منذ إنشائه الشعر في بواكير صباه إلى يومنا هذا ، وهي فترة تقارب الستين سنة [1] .

أما عن بداية معاناة العقيلي للشعر ، وقرضه له ، فقد ذكر الشيخ حمد الجاسر في تقديمه لأشعار العقيلي أنه – أي العقيلي – قرض الشعر في سنٍّ مبكرة [2] ، ولم يحدد الجاسر تلك السنّ المبكرة .

وهذه السنّ المبكرة – ربما تكون قبل البلوغ كما أشار إلى ذلك الشيخ الشاعر علي

(١) انظر : شعر محمد احمد العقيلي ، دراسة تحليلية ، لخالد الشافعي : المقدمة : (ج ، هـ) .
(٢) الأنغام المضيئة ، للعقيلي ، المقدمة .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

السنوسي في رسالة أرسلها إلى الشاعر العقيلي يشجعه على إحدى قصائده بتاريخ ٢٩/ ٢/ ١٣٦٠هـ ، وكان مما قاله في رسالته : ((**لقد شهدت هذه القصيدة بالنبوغ لصاحبها ، والثقافة قبل إبان البلوغ**))[١] .

أما الدكتور عبدالله الحامد فيقول عند حديثه عن مشاركات الأقاليم السعودية في بدايات النهضة الأدبية المعاصرة : ((**وفي جازان كان العقيلي قرابة هذا الوقت عام ١٣٥٦هـ قد أنهى مرحلة الطلب ، وبدأ مرحلة الإنتاج**))[٢] ، وهذا يعني أنه كان في الواحدة والعشرين من عمره . ولكن كلام الدكتور الحامد غير دقيق ، إذ جعل قرض الشعر متصلاً بطلب العلوم، وأنَّه يحتاج إلى شهادة إتقان يبدأ الإنسان بعدها في العمل ، وأنَّ موهبة الشعر تطلب في المعاهد والمدارس كما تطلب غيرها من العلوم .

وقد ذكر العقيلي نفسه عند تأريخه لقصيدته (الغرام الأول) أنها أول قصيدة للشاعر، وذكر التاريخ ١٣٥٩هـ ، وتلك القصيدة مطلعها :

علام تطيل الهجر لا القلب ساليا　　هواك ولا للعهد إن غبت ناسيا[٣]

وفي مقابلة صحفية مع العقيلي أجراها ناصر قاسم قال العقيلي في معرض جواب لسؤال وجه إليه عن أول قصيدة نظمها ، فقال : ((أول قصيدة قلتها هي في نزهة أخوية مع بعض الرفاق ، ومستهلها :

نعمنا ليلة حسنت وطابت　　كأنا قد حللنا في الجنان))[٤]

وبناء على هذا التضارب في تحديد بداية قرض العقيلي للشعر ، حاولت أن أوفق بين الأراء ، فلم أهتد إلى سبيل ، فاتصلت بالشاعر العقيلي ذاته ، وقرأت عليه تلك الآراء فقال : ((**إنَّ القصيدة التي ذكرتها للأخ ناصر قاسم ، وقلت له : إنها أول قصيدة**

(١) التاريخ الأدبي لمنطقة جازان ، للعقيلي : ٢/ ١١٠٧ .
(٢) فصول حول الأدب السعودي ، للدكتور عبدالله الحامد : ١٤ .
(٣) الأنغام المضيئة : ١٠٩ .
(٤) مع رجال الفكر في جازان ، ناصر قاسم ، مجلة المنهل ، ح٨ ، مج ٢٠ ، س٢٣ ، شعبان ١٣٧٨هـ : ٣٨٣ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قلتها ، ومطلعها :

نعمنا ليلة حسنت وطابت كأنا قد حللنا في الجنان

هي فعلاً أول قصيدة اعتددت بها ، وأحسستُ أنها من الشعر الذي يمكن أن يعلن على الآخرين ، وتلك القصيدة هي نفسها القصيدة التي قرّضها وأعجب بها شيخنا ووالد صديقنا محمد ، وهو علي السنوسي ، وكان ذلك سنة ١٣٦٠هـ ، أي التقريض . أما القصيدة فقد قيلت في تلك النزهة قبل ذلك الوقت بسنتين ، وتلتها قصيدة الغرام الأول بعد ذلك بسنة ، أي عام ١٣٥٩هـ كما هي مؤرخة في (الأنغام المضيئة)[1] ، وبهذا ينتهي الجدل والإشكال حول تحديد بداية قول العقيلي للشعر .

أما أول قصيدة نشرت للعقيلي في الصحف السعودية ، فقد أشار الشاعر في المقابلة السابقة التي أجراها معه ناصر قاسم بقوله : ((أول قصيدة نشرت هي القصيدة التي نشرتها جريدة أم القرى في عددها ١١٤١ في ١٩ صفر عام ١٣٦٦هـ ، ومطلعها :

وافاك يشرق في أساطه جملاً مفصلاً كنضيد الدر منتحلا[2]

* *

وعند تأمل شعر العقيلي نجد أنه شاعر موهوب ، ولو أنه فرغ نفسه للشعر ، ولم تشغله اهتماماته الأخرى التاريخية والأدبية ، لكان له شأن آخر في عالم الشعر ، وتظهر تلك الموهبة الشاعرية في قدرته على تطويع الشعر وامتلاكه الأساليب البيانية الراقية ومواءمته بين النهج الشعري الموروث والتيارات الأدبية المجددة ، بدءاً من النزعة الإحيائية إلى مدرسة الديوان وجماعة أبولو ، وكذلك في غزارة المادة الشعرية التي أثرى بها ساحة الشعر في جازان، وفي ذلك يقول موضحاً تلك الشاعرية المتدفقة :

أهبتُ بالشعر فانهلّت بوادره تسحُّ كالغيث إذ ما فاض منهملا

(١) مقابلة أجريتها معه بتاريخ ٧/ ١٠/ ١٤١٩هـ في منزله بجازان .

(٢) مع رجال الفكر في جازان ، ناصر قاسم ، مجلة المنهل ح ٨ ، مج ٢٠ ، س ٢٣ ، شعبان ١٣٧٨هـ : ٣٨٣ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

فأخصب الفكر واخضلت جوانبه　　فرحت أقطف من أزهاره جُملا [1]

وقد أثّر في هذه الموهبة الشعرية لدى العقيلي عوامل كثيرة ، من أهمها البيئة التي عاش فيها ، وقضى في جنباتها صباه وشبابه وكهولته وشيخوخته ، فغدا يلهج بها وبحسنها وجمالها ، تلك الطبيعة البهية المشرقة أكسبت الشاعر حبَّ الحياة والدأب والمثابرة والعمل والتفاؤل ، وانعكست البيئة المحلية (جازان) على نفسية العقيلي بكل ما فيها من سهول وجبال ، فأخذ من السهول العطاء ومن الجبال مقارعة الخطوب والثبات والجدّ والصرامة ، وأخذ من البحر وأمواجه العمل الدؤوب والحركة التي لا تهدأ ، نجده يتحدث عن جازان ، فيرسم لك شخصيته التي حلّ بها المكان ، فكانت منه أولى شرارتها نحو الانتقاد والتألق والطموح ، يقول:

جازان إني من هواك لشاكي　　أفتعطفين لمدنفٍ بهواكِ
أصغي إلى همسات قلب طامح　　متوثب الإلهام والإدراكِ
مشبوب أرجاء الشغاف يلوح من　　خلل الأضالع كالسراج الذاكي
ثملاً بآمال الشباب وإن غدا　　متفطراً من صبوة وعراكِ
يتعشّق الفجر الوضيء ويرتوي　　إشعاع نور كواكب الأفلاك
ينزو على ألم الجراح ويجتني　　زهر البيان على شبا الأشواكِ
نشوان من خمر النبوغ يعبُّ من　　نبع تدفق بالرحيق الزاكي
خضلت به دنيا الجمال فأخصبت　　أسمى العواطف بالشعور الذاكي [2]

فقد نتج عن تلك البيئة التي أثرت فيه نتاج شعري كبير يمثل جزءاً كبيراً من إبداعه ، تجده في كثير من قصائده لا ينسى التذكير بتلك البيئة التي حفزت شعوره ومشاعره ، وبها كانت بداياته نحو العلا والنبوغ والفكر ، من مثل قوله في حديثه عن

(١) الأنغام المضيئة : ٢١ ، والتاريخ الأدبي ، للعقيلي : ٣/ ١٩٤٠ .
(٢) الأنغام المضيئة : ٦١ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

(صبيا) مسقط رأسه :

هناك حيث بصرتُ النور في أفقٍ ضاحي الجلال وضيء المجد والحسب
هناك مثوى كريم ضمَّه جدثٌ جمّ الفضائل والإحسان وهو أبي
نمته هاشم في عليائها ونمى مني البيان وفيض الشعر والأدب [1]

ومن أهم المؤثرات في شعر العقيلي ثقافته الأدبيةوالتاريخية ، وقد ظهرت ثقافته الأدبية في تأثره بالشعر العربي القديم وترسمه لخطا شعرائه الكبار ؛ وسبب ذلك هو قراءاته الكثيرة لذلك الشعر بدءاً من الشعر الجاهلي مروراً بالإسلامي والأموي والعباسي إلى الشعر الحديث، وكان أكثر الشعراء القدامى تأثيراً في شعر العقيلي هو أبو الطيب يليه البحتري ، إذ أخذ من المتنبي شموخه وطموحه ، والحديث عن نفسه في كل شيء يتحدث عنه ، فمن ذلك مثلاً نجده يصف جازان ، وفجأة يتحدث عن نفسه ، فيقول :

أنا من علمتِ – ولا أقول مباهياً- قد صاغ من دُرر البيان حلاكِ
أنجبته فسرى نسيماً عاطراً بالشعر يعبق في رياض عُلاكِ
مترسماً سنن المعاني ضارباً مثلاً من الخلق النبيل مَدَاكِ
مترفعاً صلف الإباء بهمّة زينت بطبع للرّدى تـرَّاكِ
عشق السموَّ وراقه في دهره خُلُقُ الملوك ، وسيرةُ النسَّاكِ [2]

ويرى أنه فوق الجميع ،وعليهم الرضوخ لذلك ، فيقول مخاطباً جازان وأهلها :

إن لم أقدّر فيك رغم تفوقي ويكون حظ النابهين جفاك
فلقد جرى أنَّ النباهة في الورى حفّت كمثل الورد بالأشواك [3]

وغير خافٍ شيوع نبرة (الأنا) في شعر العقيلي لا سيما في افتخاره بأشعاره ، وهي

(١) المصدر السابق : ٦٥ .
(٢) المصدر السابق : ٦١ – ٦٢ .
(٣) المصدر السابق : ٦٣ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

نغمة قادمة من ديوان المتنبي ، ومن ذلك –مثلاً– قوله عند وصفه لجبل (فيفا) ، فذكر أنّه آن الآن لفيفا أن تجد نفسها ، وأن تبرز للناس ؛ لأنه جاء إليها الشاعر المبدع الذي يفيها حقّها :

فيفاء هل لي بأن أجلوك للفكرِ　　في معرض الفن كالرسّام للصور
وأجتلي من بنات الفكر خالدةً　　يسري صدى ذكرها في البدو والحضر
فيبرز الشعر وصفاً طالما خفيت　　سماته في ثنايا النظم والسير
كأنها لم تكن مهوى الجلال ولا　　مهد الجمال وملهى السمع والبصر
فاليوم قد آن أن تجلى محاسنها　　ويُبرزُ الفنّ منها درةَ الفكر
وآن للشعر مختاراً ومبتكراً　　بأن يحلق في أجوائها الغُرر[1]

أما أكثر الشعراء المحدثين تأثيراً في العقيلي ، فهو أمير الشعراء أحمد شوقي ، وقد مرّت الإشارة إلى ذلك[2] ، كما في قصيدة العقيلي (المشاعر المقدسة) التي يقول في مطلعها :

قبسٌ من أشعّة الحقّ قدسي　　قد تجلّى ببهجةٍ وبأنسِ[3]

والعقيلي في القصيدة تأثر بشوقي في السينية أكثر من تأثره بالبحتري صاحب السينية الأولى .

ومثل ذلك قصيدته في رثاء الملك عبدالعزيز التي مطلعها :

نيّرٌ قد هوى فرجَّ العوالم　　وأحال الشموس والكون قاتم[4]

(١) المصدر السابق : ٦٦ .
(٢) انظر : الباب الثاني من هذا البحث ، التمهيد (الاتجاهات والأجيال) : جيل المحافظين .
(٣) الأنغام المضيئة : ٥٥ .
(٤) المصدر السابق : ٣٠ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

فهي معارضة لقصيدة شوقي في رثاء الشريف الحسين بن علي [1] .

وأثر الشعر العربي بله التراث العربي عامة قد ظهر في شعره ، حيث كتب العقيلي بلغة ذات جزالة وقوة وقوالب تركيبية فيها آثار التراث واضحة ، ورسومه جدّ واضحة .

وظهر في معانيه ذلك التأثر عن طريق القيم المثلى التي وصف بها ممدوحيه الكثر لاسيما الملك عبدالعزيز آل سعود وأبناؤه من بعده ، فأضفى عليهم صفات الكرم والشرف والشجاعة وعراقة النسب .

وقد سبقت الإشارة إلى تكرار تلك المعاني في شعر العقيلي ، وظهور الملامح المتحدة في شعره لا سيما في المديح ، إذ يكرر المعنى في أكثر من مدحة ، وهذا كما اوضحته سابقاً لا يدل على نضوب فكري ولا على عقم شاعري بقدر ما يدل على أصالته في هذا المعنى ؛ لأن مثل تلك الأوصاف لا يمكن الاستغناء عنها بحال من الأحوال في مجال المديح ، ((**يضاف إلى ذلك أنّ شاعرنا تعددت اتصالاته وكثر ممدوحوه وهذا بالطبع جرَّه إلى التكرار ...))** [2] .

وكانت ثقافته التاريخية معلماً بارزاً في مضامين شعره ، بل إنه أحياناً يطغى على شعره صفة المؤرخ الذي يحاول أن يرصد أدقّ التفاصيل للحدث ، وأن يشارك في كل الأحداث ويتحدث عنها ،ويحاول توثيقها في شعره ، بما فيها من معالم تاريخية تنمّ عن ثقافةٍ واسعة واطّلاع كبير ، نجد في مثل قوله في قصيدة (البلاد العربية) :

لك من حضارتك القديمة شاهد ... ساميِ الجلال مخلّد الآثارِ
دمغت (معين) به الزمان روائعاً ... هي آية الإصلاح والإعمارِ
ونظام مملكة وشرخ تجارة ... ونفوذ أمر في المشارق ساري

(١) للوقوف على تأثر العقيلي بالشعر العربي قديمه وحديثه . انظر : تمهيد الباب الثاني من هذا البحث (الاتجاهات والأجيال) .

(٢) شعر محمد بن أحمد العقيلي دراسة تحليلية ، لخالد الشافعي : ٣٤ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

وأتت على آثارها (سبأ) العُلى　　من ذا يُسامي سبقها ويباري
رفعت صروح الملك شامخة الذرى　　و(السدّ) والجنات والأنهار

إلى أن يقول مخاطباً الجزيرة العربية :

اسكندر المغرور أمَّكِ واثقاً　　بالانتصار بعزةٍ وفخارِ
فتحطّم الأمل العريض ولم يفز　　ممّا أراد بأنقص المقدار
وهزمتِ غليوسا فأصبح جيشه　　أشلاء بين مهامه وقفار[1]

ولكثرة مثل هذا المعنى في شعر العقيلي ، وترديده لما في ذاكرته التاريخية من أسماء وبلدان وحوادث ، عمد عددٌ من النقاد إلى وصفه بالشاعر المؤرخ ، أو بأنه أديب طغت عليه معالم العَالِم ، فيقول عمر الساسي : ((**إنّ العقيلي عالم قبل أن يكون أديباً ، وقد انعكست صرامته على شعره الجاد**))[2] . وقال فيه حجاب الحازمي : ((**والعقيلي يعتمد في صوره الشعرية على العقل والفكر أكثر من اعتماده على الخيال**))[3] .

وهذا الكلام له وجاهة ووضوح في كثير من شعر العقيلي ، لا سيما ذلك الشعر الوثائقي الذي سجّل به أهم الأحداث التي عاصرها وعايشها داخل البلاد وخارجها ، مما شاركت فيها الدولة ، وكان لها ردّ فعلٍ على المستوى الداخلي والخارجي ، ولو تأملنا عناوين قصائده في ديوان واحد فقط هو ديوان (الأنغام المضيئة) لوجدنا عنده عناوين قصائد مثل : (على صهوات الجو)[4] ، وهي تصف الرحلة الملكية في أرجاء نجد عام ١٣٦٦هـ ، وهي جولة قام بها الملك عبدالعزيز بالطائرة ، و (عهد الخلفاء الراشدين)[5]، وهي بمناسبة إلغاء رسم الحج عام ١٣٧١هـ ، و (يوم على صفحة التاريخ)[6] ، وهي بمناسبة مهرجان

(١) الأنغام المضيئة : ٦٩ – ٧٠ .
(٢) الموجز في تاريخ الأدب العربي السعودي ، للدكتور عمر الطيب الساسي : ١٤٦ .
(٣) جدائل الفل : ٢٩ .
(٤) الأنغام المضيئة : ١٣ .
(٥) المصدر السابق : ٢٣ .
(٦) المصدر السابق : ٢٧ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

اليوبيل الذهبي لصاحب الجلالة الملك عبدالعزيز سنة ١٣٦٠هـ ، و(تحية التاج) [١] ، وهي تصف استقبال جازان للملك سعود ، و (الفرحة الكبرى) [٢] ، و(تلألأ الحق) [٣] ، و(بين جمال الطبيعة وجلال البحر) [٤] ، وهي تصف توسع جازان في العهد السعودي وازدهار العمران فيها ، و(هزوا اللواء) [٥] قيلت بمناسبة حفل التبرع لفلسطين سنة ١٣٦٧هـ ، و(تحية الأقطاب الكبار) [٦] بمناسبة اجتماع العرب التاريخي في جدة سنة ١٣٧٤هـ ، و(يوم الجزائر في جازان) [٧] ألقيت في حفل يوم الجزائر في ١٥/ ٨/ ١٣٧٧هـ ، و (تحية استقلال الجزائر) [٨] ، و (قمة أفرست) [٩] بمناسبة اكتشاف القمة السامقة ، و(القنبلة الذرية) [١٠] قال القصيدة بعد إلقائها على اليابان ، و (الباكستان) [١١] بمناسبة زيارة الملك فيصل لباكستان سنة ١٣٨٨هـ ، وله أيضاً : (الباخرة العربية كليوبترا) [١٢] ، و (عين من الخلد) [١٣] بمناسبة إيصال المياه العذبة إلى جازان ، و (قصر الإمارة في جازان) [١٤] بمناسبة الإضاءة الحديثة التي أدخلت إلى جازان سنة ١٣٧٧هـ .

ولا يخفى على متأمل ما في تلك الأشعار من أحداث وتفصيلات – قلَّ من

(١) المصدر السابق : ٣٨ .
(٢) المصدر السابق : ٤٨ .
(٣) المصدر السابق : ٤٩ .
(٤) المصدر السابق : ٧١ .
(٥) المصدر السابق : ٧٥ .
(٦) المصدر السابق : ٧٩ .
(٧) المصدر السابق : ٨٢ .
(٨) المصدر السابق : ٨٤ .
(٩) المصدر السابق : ٩٢ .
(١٠) المصدر السابق : ٩٥ .
(١١) المصدر السابق : ٩٨ .
(١٢) المصدر السابق : ١١٨ .
(١٣) المصدر السابق : ١٢٧ .
(١٤) المصدر السابق : ١٣١ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

تناولها أو كتب عنها من شعراء جازان – ، فهي تعد لذلك بمثابة وثائق تاريخية ، إضافة إلى أنها نقلت أثر تلك الأحداث والوقائع على ذات الشاعر وعلى نفسيات المجتمع المحيط بتلك الوقائع والأحداث ، وموقفه منها إيجابياً أو سلبيا ، وكيفية معالجته لها [1] .

فالشاعر العقيلي عالج تلك الأحداث بمزج ناجح بين ذاتية الشاعر وعقلية المؤرخ، وذلك من خلال تسطيره لتلك الأحداث ، ونقلها إلينا ، وإبراز ما وراء الحدث من آثار ونتائج ، إضافة إلى تميّزه بإظهار شيء من المعاصرة ، وتحقيق تفاعل الشاعر مع مجتمعه ، وتسجيل بعض الأحداث التي لا نجدها عند أي شاعر آخر مثل (حرب الريث) ، وإيصال الماء والكهرباء إلى جازان في بدايات العهد السعودي ، وتوسع جازان ، وكثرة ساكنيها بعد وصول معالم التطوير إليها ، وغير ذلك من لقطات لم يأبه بها غيره أو يفطن إليها ، استطاع العقيلي أن يقدمّها بصورة جميلة وعرضٍ راقٍ ، وريشة تدرك قيمة الشعر ودوره في الحياة ، وأثره في رسم صور النهضات وعمليات البناء الاجتماعي عبر التاريخ .

وإذا كان التعبير المباشر سمة أساسية من سمات شعر العقيلي الوصفي والوطني، حيث جاءت المجازات الكثيرة سطحية ، ومن تلك الشائعة في معجم الشعر العربي ، فإنه في الشعر الوجداني يختلف تماماً ، إذ نجده يرتقي بالصورة إلى أسمى درجاتها سواء الصورة الجزئية أم الكلية ، ونجد معالم البيئة واضحة كل الوضوح في وجدانياته ، حيث استوحى عناصر الطبيعة الساكنه من حوله خاصة العلوي منها ، فدائماً نجد محبوبته سليلة الشموس ، أخت القمر ، وهج الشمس ، ذات ثغر سماوي ، من مثل قوله :

جمالك من نفحات السماء　　وضوء الدراري ونور القمر [2]

أو قوله :

جمالك يا للسما والسنا　　تألق كالبدر وسط السحر

(١) انظر : شعر محمد بن أحمد العقيلي دراسة تحليلة : ٧٣ .
(٢) الأنغام المضيئة : ١١٦ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

شـأوت بـذاك الجـمال الحـسانَ فهنَّ النجـوم وأنـت القمـر [1]

وكانت الطبيعة الصامتة منبعاً ثراً وظفه العقيلي في كثير من مواقفه الإبداعية ، وبث فيها الحياة من خلال مشاركتها الشاعر همومه وآماله وآلامه ، وكان حريصاً على تقديم مظاهر الكون دائماً في مقدمات قصائده ، وهذا يكاد يشمل كل قصائده ، مثل قوله في مقدمة قصيدته (يوم الجزائر في جازان) :

حييت هدياً بنور الشمس ينسكب صافي الشعاع سرى في ضوئه العربُ
يشع من جانب البطحاء مؤتلقاً في الشرق والغرب من لألائه عجبُ
أفلاكه في سماء المجد دائرة كالشمس من حولها الأقمار والشهبُ
إذا ادلهمّت سماء الشرق كان لها نوراً يضيء فتبدو دونه السحبُ [2]

أو قوله في مقدمة قصيدة (لك الودّ) :

شذى يتعالى بالتجلة أو شدوا تضوّع من فيفا عبيراً ومن رضوى
ورنَّ بها جازان علوية الشذى سماوية الأنفاس قدسية النجوى
لها ومضات البرق في كل مطلع سطوعا وصوت الرعد مرتجزاً دوّى
وأنسام أزهار الفراديس نفحة على الأفق المخضلّ والمنظر الأحوى [3]

ولعل ذلك يعود إلى ولع الشاعر بالطبيعة البكر وكثرة تجواله في أرجائها سواء في داخل البلاد أم خارجها ، وتصريحه المتكرر بهذا الولع وذلك الحب ، من مثل قوله :

أحبُّ الطبيعة في البادية وأنسام أنفاسها الزاكية
أحبُّ بها الشمس تغشى السهول وتحتضن التلّ والرابية
أحبُّ الشروق يفيض السنا يلألىء آفاقها القاصية [4]

(١) المصدر السابق : ١١٧ .
(٢) المصدر السابق : ٨٢ .
(٣) المصدر السابق : ٤٣ .
(٤) المجموعة الشعرية : ٥٠٧ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

ومن هنا كان لإشراكه الطبيعة وتشخيص مظاهرها رافداً فنياً أضفى على قصائده صوراً حسية ارتقت بفنية النص إلى حدّ ما .

ومن أهم معالم شعر العقيلي أنَّه ينطلق في قصائده الوطنية – على كثرتها – إلى ملامسة القضايا العربية من خلال تسجيله الوقائع العربية والإسلامية ووصف أحداثها ، وبعث الحمية في نفوس المسلمين واستنهاض هممهم ، والحث على اتخاذ القوة وإعداد الأمة لذلك ، نجد ذلك في كثير من قصائده من مثل (مرثية عبدالعزيز) ، و (جلالة الملك فيصل الشهيد) ، و (الباكستان) ، و (الدولة السعودية) ، و (عهد الخلفاء الراشدين) ، وفي هذه القصيدة الآخيرة يقول :

يا حياةً كضحى الشمس سنىً　　وسنـــاءً وعُـــلاً في العالمـــين
يستبين الشعب في إشراقها　　قبس الحق ومشكاة اليقين
تُلهمُ الأمة أسباب العلا　　وسُموَّ الروح بين الناهضين
فإذا شعبٌ فتيٌّ ناهض　　وشبابٌ فوق ما ترجو الظنون[1]

وتلمس في شعر العقيلي الإشادة بمآثر الملوك وإلباسهم لباس الدين والعقيدة السليمة السوية ، وترديد ألقاب إسلامية يطلقها عليهم ، مثل : (خليفة الإسلام) ، و (حامي الدين)، و(الإسلام بهم مؤيد) ، و كثيراً ما يصل العقيلي بين الخلافة الإسلامية والدولة السعودية ؛ وذلك لاستشعار الشاعر الدور المهم الذي تؤديه الدولة السعودية في سبيل خدمة الإسلام والمسلمين في كل مكان[2] .

(١) الأنغام المضيئة : ٢٤ .

(٢) للتعرف على شاعرية العقيلي ومنزلته الأدبية انظر : المذاهب الأدبية في الشعر الحديث لجنوب المملكة العربية السعودية للدكتور علي علي مصطفى صبح : ١٥٩ – ١٧٤ ، وأدباء سعوديون ، للدكتور مصطفى إبراهيم حسين : ٣٧٣ – ٣٨٥ ، ومحمد بن أحمد العقيلي العالم الموسوعي والأديب والباحث الموضوعي ، للدكتور محمد الصادق عفيفي ، والموجز في تاريخ الأدب العربي السعودي ، للدكتور عمر الساسي ، وموسوعة الأدباء والكتاب السعوديين ، لأحمد بن سلم : ٢/ ٣٣٧ – ٣٤١ ، وفي شعره كتبت أطروحة لنيل درجة الماجستير في جامعة أم القرى بمكة المكرمة للباحث خالد ربيع الشافعي ، بعنوان : (شعر محمد أحمد العقيلي دراسة تحليلية) وغيرها .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

٣- علي بن أحمد النعمي :

- ١ -

ولد الشاعر علي بن أحمد بن علي النعمي بقرية (الحرجة) التابعة لمحافظة ضمد بمنطقة جازان سنة ١٣٥٦هـ ، وتلقى تعليمه بكتّاب قريته ، إذ تعلم القراءة وبعض مبادئ الكتابة ، وحفظ شيئاً من القرآن [١] ، ثم توجّه نحو صامطة ، حيث معهدها العلمي ، فدرس هناك المرحلة الابتدائية والمتوسطة ، ثم حصل على الثانوية من معهد الأحساء العلمي بالمنطقة الشرقية ، ثم انتقل بعد ذلك إلى الرياض ، حيث قضى أهم المراحل المؤثرة في حياته إذ التحق بكلية اللغة العربية بجامعة الإمام محمد سعود الإسلامية ، وحصل على بكالوريوس اللغة العربية سنة ١٣٨٩هـ ، وفي هذه المرحلة عمل في الصحافة في الرياض ، وبدأ اسمه يبرز في عالم الشعر ، وبعد تخرجه عمل في سلك التعليم ، فدرّس بمتوسطة ضمد ، ثم مديراً لمتوسطة (البديع والقرفي) ، ثم عاد إلى ضمد وكيلاً لمتوسطتها بناء على رغبته ، ثم انتقل بعد ذلك إلى (حرجة ضمد) مديراً للمدرسة الابتدائية والمتوسطة . وكان في تلك الفترة قد حصل على دبلوم الإدارة المدرسية من كلية التربية بجامعة أم القرى بمكة سنة ١٣٩٧هـ . وفي سنة ١٤١٦هـ أحيل إلى التقاعد لبلوغه السنّ النظامية .

وقد مثل الشاعر علي النعمي المملكة في عدد من المهرجانات الأدبية داخل المملكة وخارجها ، فمن ذلك تمثيله المملكة في مهرجان الشباب العربي ببغداد سنة ١٣٩٧هـ ، وحصوله على الميدالية الذهبية ، وتمثيله المملكة في مهرجانات شعرية في الرياض سنة ١٤٠٨هـ وسلطنة عمان سنة ١٤١٢هـ ، وأحيا عدداً من الأمسيات الشعرية في كثير من النوادي الأدبية والرياضية وبعض الجامعات بالمملكة العربية السعودية . وهو حالياً أحد أعضاء مجلس إدارة نادي جازان الأدبي ، ويرأس لجنة الشعر بالنادي [٢] .

---

(١) انظر : الأرض والعشق : ٩٤ – ٩٥ ، والتمهيد (الحياة الثقافية) .

(٢) انظر : التاريخ الأدبي لمنطقة جازان ، للعقيلي : ٢/ ١٢٠١ ، ومعجم البابطين للشعراء العرب : ٣/ ٢٧١ ، وموسوعة الأدباء والكتاب السعوديين ، لأحمد بن سلم : ٣/ ٢٧١ ، وفرجة النظر ، لأحمد الشفعي : ١/ ٣٩٢ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

وفي شعر علي النعمي كثير من اللفتات إلى بعض معالم حياته وما اعترضها من متغيرات، ففي قصيدته (في غيابه الجب) يروي بعض معالم سيرته الشخصية ، يقول في أولها:

لي في العيش قصةٌ سوف أروي　　كلَّ فصلٍ في سفرها المتردّي
خضت لجَّ الحياة وحدي فطاشت　　خطواتي فيه ، ومازلت وحدي [1]

ثم يشير إلى وفاة والده وهو مازال صغيراً بعد معاناة مع المرض الذي هدَّ قواه ، فيقول:

وتمرُّ الأيام والوالدُ البـ　　ـرُّ سعيداً يهدى إليه ويُهدي
أقعدتُهُ الحُمَّى الغضوبُ وهدّت　　عزمات الصبور أعنف هدّ
وأتاه النِّدا فلبى المنادي　　في ثبات توقاً لأصدق وعدِ
وقضى طائعاً كريم السجايا　　لابساً من تقاه أطهر بُردِ
تاركاً زوجه الحصان وأطفا　　لاً صِغاراً إلى قرارة لحدِ [2]

ولم يكن أمام والدته إلا أن تضطلع بمسؤليتها في التربية والإعداد وتوفير الحياة الكريمة له ولأخته ولأخيه الآخر الصغير ، وبالفعل قامت بتلك المهمة خير قيام وضحَّت من أجلهم بكل ما تملك ، ولكن بعد فترة وجيزة من وفاة الوالد يقضي الأخ الصغير نحبه ، وتزداد الأم ألماً ومعاناة ، كما في قوله :

وانتهت مدّة التربّص فاختطَّـ (م) ـت طريقاً يغيظ أشجع فردِ
لتقي طفلها الصغير المآسي　　وتقيني من أي جهدٍ وكدِّ
وبذات المصير يقضي شقيقي　　نحبه ، والبكاء ليس بمُجدِ
يالأمي مما يهدُّ قواها　　من مصابٍ قاسٍ ورعب وسهدِ [3]

وكان لتلك الآلام أثرها الكبير في تدهور صحة والدته ، فدبّت إليها الأمراض

(١) جراح قلب : ٤٩ .
(٢) المصدر السابق : ٥٠ – ٥١ .
(٣) المصدر السابق : ٥٢ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

شيئاً فشيئاً وهي صابرة على ما تعاني ، وفي النهاية أصيبت بمرض السرطان الفتاك ، ويرحل بها ولدها للعلاج في لندن ، ولكن لم تفلح كل المحاولات ، كما يقول :

لم تدع للعلاج يوماً طريقاً ... دون نصٍّ إليه أو دون وَخْدِ
باحتمالٍ له رضا واصطبارٍ ... للظاه الطاغي بشكرٍ وحمدِ
للإله العظيم ربّ البرايا ... واحتساب منه لأوفر رفدِ
شبَّ فيها وهل تقاوم نفسٌ ... سرطاناً كالناقم المستبدِّ
لم يدعها لنا ، وأزهق روحاً ... ذات عودٍ صلبٍ ، ونهجٍ أسدِّ[1]

وبعد وفاة والدته وأخيه يشعر شاعرنا باليتم الحقيقي ، إذ كانت والدته المعين له في هذه الحياة بعد الله – عز وجل – ، وبعدها أحسّ بالوحدة :

وتطول الخطى بفقدي لأمٍّ ... وأخ ماجد وها أنا وحدي
دعّني اليتم للضياع وأقسى ... ما يلاقي اليتيم صفعة خدِّ[2]

وقد صور الشاعر أثر أمه على حياته عندما صور لحظاتها الآخيرة ووداعها له وهي في سكرات الموت ، فقال :

فدنوتُ نحوكِ باكياً وجذبتني ... بحرارة ولثمت منّي الجيدا
ويدي استراحت في يديك هنيهةً ... وبها سكبتِ حنانك المعهودا
وبحسرةٍ وأسىً زفرتِ ، وتمتمت ... شفتاك تدعو الواحد المعبودا
ولفظتِ نفساً حُرَّةً وكريمةً ... وتركتِ حُزناً في الفؤاد شديدا
أمَّاه كنتِ أهم ركنٍّ أحتمي ... بحماه .. إن كان الزمان عنيدا
كنتِ الأب الحاني وكنتِ أخا الوفا ... كنتِ الصديق الشهم كُنتِ العيدا
بل كنتِ لي الأملَ المشعَّ وكنتِ لي ... حصناً من الحُبِّ العميق مشيدا[3]

(١) المصدر السابق : ٥٢ – ٥٣ .
(٢) المصدر السابق : ٥٣ .
(٣) المصدر السابق : ٦٣ – ٦٤ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

وأبرز الشاعر علي النعمي في شعره ملامح بداياته التعليمية والمؤثرات الثقافية التي أثرت فيه ، ومنها رحلته في سبيل العلم والرقي الفكري إلى عددٍ من المدن السعودية كالأحساء والرياض ، وألح كثيراً على أثر الهجرة على أصحابها ، وأنَّ عليهم أن يدفعوا ضريبة تلك الهجرة ، وأنَّ تلك الهجرات الريفية نحو الحواضر لها آثار مهمة على أصحابها ، فيقول :

ما للجنوب يعيش من أبنائه　　نفر بعيداً عنه لا لجفاء ؟
قضت الحياة عليهم أن يهجروا　　أحلى السهول الحلوة الخضراء
ليكون منهم كاتب أو شاعر　　أو باحث كفوء مع الأكفاء
بلغوا بجهدهم مناصب عدة　　وتألقوا كالأنجم الزهراء (١)

وكان الشاعر في تلك البدايات شغوفاً بالقراءة ومتطلعاً إلى المزيد من الثقافة ، وكان يشير إلى ذلك الشغف لاسيما في بداياته الشعرية ، ومن ذلك قوله :

إنَّ حبِّي للحرف حبّبَ عندي　　(عقده) بل (بيانه) بل (صحاحه)
بل (أغانيه) في اختلاف مراميـ　　ها ، و (عيناً) دفاقة نضاحه
وبدنيا (معمر) و(لبيدٍ)　　و (جرير) أحببت تلك السياحه
في ثنايا الكتاب تبدو مرايا الـ　　ـكون شفافة وضّاحه (٢)

وكان لكتاب الله – عز وجل – وسنة رسول الله – صلى الله عليه وسلم – الأثر الأكبر على ثقافته ومكوناتها ، في شتى مراحل التعليم التي مرَّ بها ، كما يقول :

في ظلال القرآن تنهلّ روحي　　من معين ثر ندي الفصاحة
وإذا بي والأربعون حديثاً　　في التحام يروي فؤادي قراحه
وتدرّجت في الدراسة حتى　　جامعياً أصبحت شاك سلاحه

(١) الأرض والعشق : ٩٠ .
(٢) المصدر السابق : ٩٦ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

بعد عمرٍ من الكفاح مرير ليس فيه محطة لاستراحه[1]

وفي سنة ١٣٨٩هـ تخرج في كلية اللغة العربية بالرياض ، وودع الكلية بقصيدته (تحية ووفاء) ، وفيها أبان عن أثر الكلية وأيامها على نفسيته ومشواره الأدبي بقوله :

يا حسنها روضة تزهو بنضرتها على مدى الدهر في تيه وفي عجب
إنّي على البعد باقٍ في محبتها وفي هواها . . ففيها منتهى أربي
أفناؤها لم تزل تهفو إلى كلمي وأرضها لم تزل تصغي إلى خطبي
عانقتُ فيها بنات النور فانطلقت عرائساً تتهادى في سنى أدبي [2]

وبعد سنوات من الغربة عاد علي النعمي إلى بلدته الجميلة (الحرجة) يحمل أحلاماً رومانسية ، وعروشاً من الخيالات والرؤى لمستقبل ينتظره ، عاد وهو يريد أن يصنع كثيراً من المجد والتغيير ، كما في قوله :

عدتُ للريف علَّ في الريف مجلى لصبوح من الرؤى أو غبوق
عدت يا قريتي إليك لأحيا في ثراك الحبيب عيش المشوق
كلفتني نفسي اغتراباً وصدّاً عنك ، والصد من سمات العشيق
ورحيل النفوس بغية عزٍّ هو في ذاته وسام السموق
عدت والشوق في فمي هدهداتٌ وعلى راحتي كؤوس الرحيق
عدت في جبهتي شهادة حبٍّ في إطار من الوفاء رقيق
عدت لكن كما يعود غريق نحو طامي العباب بعد المروق
عشت فيك الغريب إذا أنا طفلٌ واحتملت الضنا بدربٍ سحيق
كم علا جبهتي هجير الصحارى واقتفت خطوتي أفاعي الطريق
وأنا الآن في ثراك غريبٌ ولو أنّي به شديد العلوق [3]

(١) المصدر السابق : الصفحة نفسها .
(٢) المصدر السابق : ٥٧ .
(٣) المصدر السابق : ٥٩ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

وظاهرة شكوى علي النعمي من الآلام ورحلته مع المعاناة والإحساس باليأس من الواقع الذي يعيشه كانت موجودة لديه حتى قبل عودته من الرياض بعد سنة ١٣٨٩هـ ، كما جاء ذلك في قصائد قبل ذلك التاريخ منها قصيدة (نغمات كئيبة) التي نشرت في مجلة العرب سنة ١٣٨٨هـ ، وفيها يقول :

أحسُّ في روحي دبيب الأسى　　ورعشة الآلام تعلو يدي
أعايش الأنَّات في هولها　　وفي عباب الشقوة المُزبدِ
غير كؤوس الآه ما أحتسي　　وغير ثوب الحزن لم أرتدِ
وصورة المقدور يا شؤمها　　تدوس يومي .. ثم تخفي غدي[1]

ولكنها لم تشكل معلماً مهماً في شعره ، أو لازمة لمعانيه كما هو الحال بعد عودته من رحلته التعليمية وإنهائه المرحلة الجامعية .

فكان الشاعر علي النعمي يشكو دائماً من ملازمة سوء الحظ له ، وأنَّه لم يلق التقدير الملائم له في موطنه في الوقت الذي ابتسم الحظ فيه لأناسٍ لا يملكون مواهبه وطاقاته ، ومن ذلك قوله :

أعيش مع السعادة في خصامٍ　　وأمضي في الدروب مع القروح
فحظي أسود في كل أمرٍ　　وأيامي تفلُّ شبا طموحي
رضعت مرارتي كأساً دهاقاً　　غبوقي منه أسوأ من صبوحي[2]

وتجد وأنت تقرأ قصائد النعمي أنَّه أضحى مقتنعاً بأن كل شيء في الحياة ضدّه ، وأنَّ جميع الناس قد رصدوا له الشرور ، وأنَّه لم يعد يجد المكان الذي يأوي إليه لكثرة المتربصين ، كما في مثل قوله :

---

(١) جراح قلب : ١٤٧ ، ومجلة العرب ، ج١ ، س ٣ ، رجب ١٣٨٨هـ .
(٢) نبض القوافي ، لعلي بن مديش : ٩٢ ، والقصيدة أوردها ابن مديش ؛ لأنها مرسلة من النعمي إليه وقد ردَّ ابن مديش عليها بقصيدة أخرى .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ما تلفتُّ يمنةً أو يسارا لمكانٍ أنجو إليه بجلدي
من هموم الحياة إلا تبدّى كل شيء يسير في العمر ضدّي[1]

وكيف له أن يهنأ بطيب المقام وهو يعيش بين ذئابٍ لا ترحم ، وحياة قاسية لا طعم فيها ولا اعتبار أو تقدير ، حيث يقول :

وكم تعثرت وكم قيّدت خطاي في الدّرب ذئابُ البشر؟! [2]

ويبرز لنا الشاعر بعض أسباب تلك المعاناة ، فيقول إنَّ عدم تحقيقة لآماله الكبار، ووقوف الحاسدين ضدّه هو سبب تقييد خطواته عن التقدم نحو الأمام :

أنا أنا لازلت في موقعٍ أحيا به من صغري للكبر
فلا أنا فزتُ بما أبتغي ولو بأدنى حقي المعتبر
ولا أنا اجتزت حدود الظما والقهر أو حققتُ بعض الوطر
في زمنٍ ضاع ، فضعنا به وثاقب النظرة أعمى البصر
قاسيتُ ما قاسيتُ فيه ولم أذق رحيق الحلم المنتظر
شعري رصيدي في بنوك الأسى وزفرتي شيكٌ بلا مُدّخر[3]

ودامت حال الشاعر على هذا الوضع ، وكل يوم يزداد الأمر سوءاً بالنسبة له ، لا أحد ينظر إليه ، ولا يجد من يقدّر نبوغه ، وكلّهم يتجاهلونه ولا يسمعون صوته ، كما يقول:

بين ليلي الداجي وقاسي نهاري أقطع العمر باحثاً عن قرار
بين مدٍّ من الأماني ، وجزرٍ وارتقاءٍ مزعزعٍ وانحدار
لا مسائي أقصى مرارة نفسي عن فؤادي وما استطاع نهاري
فمسائي أعيشه بين قومٍ يتغابون عن غناء الهزار[4]

(١) جراح قلب : ٥٦ .
(٢) المصدر السابق : ١٠٨ .
(٣) المصدر السابق : ١٠٨ – ١٠٩ .
(٤) الأرض والعشق : ١٢١ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

ولما لم تجد كل محاولات الشاعر ما كان منه إلا أن يعلن انهزامه في رحلة الحياة ، وهروبه عن مجابهة الواقع إلى الانزواء والانطواء في عالمه الخاص ، وترك كل مظاهر البروز لأولئك الذين خنقوا صوته ، وقيدوا خطواته ، وكان الشاعر يرمز إلى عالمه الخاص الذي انزوى إليه كثيراً بـ (البحر) ، ومن ذلك قوله متحدثاً عن رحلة الهروب تلك :

ومضى الشاعر للمجهول في رحلة فيها تخيفُ الطرقُ
زاده أقلامه أوراقه ورفيقاه الدُّجى والعرقُ
ركب البحر وخلَّى الأرض من خلفه تغرق في أحزانها
فالصراعات على بهرجها تسلب الفرحة من أجفانها(١)

وكان رفقاؤه في رحلة العزلة تلك أوراقه وكتبه التي لا يستطيع التخلي عنها أو مفارقتها ، بل هي أنيسه الذي لا يخدع ، وصديقه الذي لا يجزع ، وفي ذلك يقول معقباً على تجاهل الأقربين ونكرانهم الجميل :

أين من عاش بهم عاش لهم كل أذنٍ ها هنا في صممِ ؟
وانتحى عنهم إلى عُزلته حيث لا يؤذيه قيح الرممِ
يصحب الكتب ففي صحبتها ينبت الفكر بماء القَلَمِ(٢)

وأظنّ أنَّ زواجه الثاني الذي كان في هذه الفترة من المعاناة والانعزال كان أحد معالم ذلك الهروب من واقع الناس والاختلاط بهم ، وهي محاولة تعويض وإيجاد بعض البدائل لما في نفسه من آلام وأحزان ، وكان ذلك ظنّه ، ولكنه لم يزدد إلا تعاسة وحزنا ، إذ لم يوفّق في الجمع بين زوجتين في بادئ الأمر ، كما تدل على ذلك قصيدته (مرارة الاختيار) التي يقول فيها :

أنا بين اثنتين أحيا نهاري ومسائي في عاصف من شجار

(١) جراح قلب : ٢٨ – ٢٩ .
(٢) المصدر السابق : ٢٠١ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

إن هـذي تهيـج حـتى كـأنّي بعـض خـدامها وتلـك تـداري
لتريني الوجه البشوش وتُعنى بأموري ، توقاً لكسب انتصار[1]

وظلّ بعد ذلك يلوم نفسه على مجازفته ومغامرته بالزواج مرة أخرى :

يـا فـؤادي أنـا الملـوم لأني رحتُ أعطي النُّحاس شكل النضار
وأباهـي بـأن ضممـت فتاتيـ ـن لقلبـي بقـوةٍ واقتـدار
بزواجٍ قدّرتُ أن سوف يُعلي وثبـاتي بكـل أفـق فخـار
مـذ تصوّرت أن كل الأماني أذعـنت لـي رفّافـة الأنـوار
وبأني وصلتُ رغـم الأعادي للـذي أبتغيـه دون عِثـار
وبأني هزات من غاضب المو جِ ، وجـانبتُ قـسوة التيـار
فإذا بي في اليـمّ مـازلتُ ملقى بجراحـي العاتـي عُتـوَّ البحـار[2]

ونلحظ في المقطع السابق أنَّ كل شيء في حياته أضحى منطلقاً من المعاناة والصراع الذي يعيشه مع كل من حوله ، حتى زواجه ذلك لم يكن سوى محاولة إثبات وجود وإرغام للأعادي ، ولكنه اكتشف أنه لم يزل يعاني ، وأنَّ التيار القاسي ما فتيء يقذف به في لجج الأمواج العاتية ، بين هندٍ ودعد ، حيث الحظ التعيس كما يقول :

غير أنّي انسحقت بين دروبٍ شـائكات بفعـل دعـد وهنـدِ
قـادني حظـي التعيـس إليهـا ولجهلـي لـم أدر أيـن تـؤدّي
لستُ أدري كيف ارتبطت بأولى أو بأخرى أم كيف طاوعت وجدي
وتزيـد المأسـاة عمقـاً فيهـوي مذ تساوى الظلام والنور عندي[3]

والشاعر علي النعمي مثله مثل كثير من الأدباء والمفكرين الذين يشكون دائماً

(١) المصدر السابق : ١٥٨ .
(٢) المصدر السابق : ١٥٩ – ١٦٠ .
(٣) المصدر السابق : ٥٥ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

من أنهم محرمون في حياتهم ، وأنهم لم يجدوا التقدير الملائم ، وهؤلاء يقول فيهم الدكتور أحمد أمين : ((**لو حسبوا حساب لذاتهم في السعي ، ولذاتهم العقلية في فهم الكون ولذاتهم في الكد في الطريق ، وإن لم يبلغوا الغاية ، ولو وزنوا بالميزان الحقيقي لذة الجهلاء ولم يبالغوا في تقديرها، لو فعلوا ذلك لصححوا حكمهم ، وأدركوا خطأهم ، وتقلّلوا من سخطهم على الزمان**))[1] .

على أنَّ بعض أولئك الشعراء ومنهم علي النعمي كانوا يجدون أنفسهم حينما يلتف بهم الآخرون أو يشعرون بشيء من التقدير المحدود ، فمثلاً – شاعرنا – علي النعمي عندما أدخل إلى المستشفى لإجراء عملية من فتق ، ورأى كثرة الزائرين له ، والسائلين عنه أرجع ذلك إلى علو فكره وقيمة شعره ، وأنَّ هذه هي الحالة الطبيعية لتكريم المفكرين ، التي تليق به وبأمثاله :

ما كنت أحسب أن تحظى بمنزلةٍ　　كهذه من أخلاّء وأصحاب
قوبلت بالحب من أنثى ومن ذكرٍ　　وسوسنٌ في وفاها مثل عتاب
هذا هو الفكر يعلي شأن صاحبه　　بين الجميع ويوليه بإعجاب[2]

وهذا الوضع أو الواقع هو الذي كان يتمناه الشاعر من قبل ، وكان يحب أن يراه، ولولاه لما رحل أو ترك الروض أو انزوى عن الآخرين أو صبَّ جام غضبه عليهم، كما يقول :

ترك الروض لأنَّ الروض لم　　يحتضن بالحب ألحانَ الهزارِ
يا أسى العاكف في وجدٍ على　　لحنه من موقع خلف الإطارِ
يتمنى بسمة تعطي له　　نشوة العزف بأعراس الديار
في دنا يحيا بها سكانها　　كالسراحين بأدغال البراري[3]

---

(١) فيض الخاطر ، لأحمد أمين ، نقلاً عن الاتجاهات الأدبية ، للدكتور أنيس المقدسي : ٣٣٢ .
(٢) جراح قلب : ٢١٠ .
(٣) المصدر السابق : ٦٨ – ٦٩ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ولما وجد الشاعر تلك البسمة باركها ، وشكر أصحابها كما في قصيدته البائية .

ونجد أنَّ الشاعر علي النعمي بعد سنواتٍ طوال من الصراع مع الآخرين ومع الآمال التي لم تتحقق ، ومن الصراع مع الهموم اعترف بأنَّ القعود للهموم والانزواء عن الواقع هزيمة لا تليق به وبأمثاله ، وأنَّ عليه المجابهة أو الصبر ، وأنَّ الدموع لن تفيد شيئاً ، وأنَّه ربما في المآسي والآلام لذة الحياة وهذا تبرير جميل ومقنع نوعاً ما ، إذ يقول :

دع الهموم ودنيا أنت تشهدها عشها فكلُّ امرئ فيها وموقعُهُ
عشها وعشها ولا تحفل بعلقمها فكم عصيٍّ جميلُ الصبر طوَّعهُ
لاتبك عُمراً مضى حُزناً وتندبُهُ فما أعادت مُنى الإنسان أدمعُهُ
واصبر لكلِّ الذي تلقاه من حُرَقٍ فأضيقُ الأمر عند الله أوسَعُهُ
حياتنا وفق ناموسٍ نُعايشها وربّما كان أهنا العيش أوجعُهُ
وربما ندَّ عن أنظارنا أملٌ يوما ولم نتبين كيف نُرجِعُهُ
يعود أنضرَ وجهاً من تلهُّفنا له وإن بان ، أو إن عزَّ مطلعُهُ [1]

ولما لم يجد الصبر مع الشاعر شيئاً ، ولم يدرك من الدنيا مأمله سفّهها وسخر منها، وقال إنها جيفة لا ينبغي التنافس عليها ، وأنها متعة الكافرين :

أقبح بها من جيفةٍ غيّرت مجرى حياة الناس حتى الكدر
إياك أن تحيا بها جاهدا في أمرها فاللغز فيها استتر
خذ بلغة منها وزاداً ، ولا تركن لما في جفنها من حور
واقنع بما أعطيت منها وعش فيها غريباً .. مزمعاً للسفر
فإنها السجن لمن آمنوا والجنة الفيحا لمن قد كفر [2]

وبهذا فقد آمن علي النعمي وما ضرّه بعد ذلك أن يعيش في سجنه الإجباري

(١) المصدر السابق : ١٥٤ – ١٥٥ .
(٢) المصدر السابق : ٩٠ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

الذي حاول مراراً أن يكسر قيوده ، وأن ينطلق منه – ولكنه لم ينجح – ، ولو نجح لما قال : إن الجنة (نعيم الدنيا) لمن قد كفر ، وليس علي النعمي المنفرد بهذا النهج من بين سائر الشعراء، فأغلبهم سار على هذا المنوال المتشائم ، والإحساس بالظلم والإجحاف وعدم التقدير والإنصاف .

– ٢ –

تعلق علي النعمي بحب الآدب منذ صغره ، إذ بدأ نظم الشعر في سنّ العشرين كما ذكر ذلك بنفسه ، وذلك يعني أنَّ بداياته الشعرية كانت سنة ١٣٧٦هـ [١] ، وهي السنة التي التحق فيها بمعهد صامطة العلمي ، وعندما انتقل إلى الأحساء راسل عدداً من الصحف مثل اليمامة قبل أن تكون مجلة ، إذ نشر فيها الشاعر أولى محاولاته الشعرية [٢] ، ولكن هذه المحاولات الأولية لم ينشرها الشاعر علي النعمي في دواوينه التي صدرت بعد ذلك ، إذ نجد أولى قصائده المنشورة التي ارتضاها الشاعر في دواوينه هي قصيدة (أنَّة شريد) [٣] التي نشرت في البلاد سنة ١٣٨٧هـ ، وهو تاريخ متأخر كثيراً عن بداياته الشعرية ، ومحاولاته الأولى .

وبعد انتقال الشاعر النعمي إلى الرياض نشر الكثير من أشعاره كما قال عن نفسه : ((**نشرتُ بالرائد المحتجبة ، ... والتحقت بالصحافة ، فعملت في الدعوة واليمامة والرياض والبلاد ، ونشرت فيها وفي جميع الصحف اليومية الكثير من شعري كما نشرت في مجلات العرب ، الفيصل ، المجلة العربية ، الحرس الوطني ، المنهل ...**))[٤] .

وكان علي النعمي في بداياته الشعرية وقصائده الأولى يلقب نفسه بـ (الطائر

(١) انظر : عن الحب ومنى الحلم : ١٠٩ .
(٢) انظر : المصدر السابق : الصفحة نفسها ، والشعر الحديث في المملكة العربية السعودية ، للأستاذ الدكتور عبدالله الحامد : ١٨ .
(٣) انظر : الرحيل إلى الأعماق : ١٠٤ .
(٤) عن الحب ومنى الحلم : ١٠٩ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

المهاجر) ، وبهذا اللقب كان يوقّع على قصائده ويذيّلها به [1] ، وبعد سنة ١٣٨٩هـ لم يعد يشير إلى ذلك اللقب أو يختم به قصائده ، وإنما بقيت إشارات إليه هنا أو هناك ، من مثل قوله متحدثاً عن واقعٍ كان :

كنتُ طيراً مهاجراً فإذا بي بعد حينٍ أعود للأوكارِ
أحمل القوت للصغار الحيارى وقطوف العلوم في منقاري [2]

أصدر الشاعر علي النعمي إلى سنة ١٤١٨هـ [3] خمسة دواوين شعرية هي : (الأرض والعشق) ، و (عن الحب ومنى الحلم) ، و (الرحيل إلى الأعماق) ، و (جراح قلب) ، و (لعيني لؤلؤة الخليج ، كويت الملحمة) .

والناظر في دواوين علي النعمي الخمسة السابقة يدرك أنَّه قد أجاد تحديد موضوعاتها لتتلاءم مع عناوينها ، فديوانه الأول (الأرض والعشق) الذي صدر سنة ١٤٠٣ هـ في طبعته الأولى ، وطبع مرة أخرى في دار الفيصل سنة ١٤٠٦هـ جاء في اثنتين وثلاثين قصيدة مؤرخة ، تتحدث أكثرها عن الانتماء إلى الأرض وحب الوطن ومعالجة بعض السلوكيات الاجتماعية المرفوضة مثل ارتفاع المهور في الزواج من مثل قصيدة (عريس سارة) [4] التي تعالج الموضوع بطريقة ساخرة . ومع هذا يظل الغالب على الديوان هو إبراز الانتماء الوجداني إلى الوطن كما جاء في عنوان الديوان ، الذي هو في الأصل عنوان إحدى القصائد[5] التي تبرز شغفه بأرضه واحتفاءه بها أرضاً وإنسانا ، وجبالاً ووديانا ومدناً وقرىً يناجيها بولهٍ ، ويبوح لها بعشقه ، ويبثها شكواه .

(١) انظر : الأرض والعشق : ٣٢ ، ٣٤ وغيرهما .
(٢) المصدر السابق : ٣٤ ، وانظر أيضاً ديوان : جراح قلب : ٣١ ، ٢٠٠ وغيرها .
(٣) أصدر الشاعر سنة ١٤٢٢هـ ديوانه السادس بعنوان (النغم الحزين) ، وهو من إصدارات نادي الباحة الأدبي ، وهناك ديوان سابع بعنوان (قسمات وملامح) في آخر مراحل الطباعة ، وسيصدر قريباً عن نادي جازان الأدبي .
(٤) الأرض والعشق : ٣٥ .
(٥) المصدر السابق : ٤١ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

أما ديوانه الثاني (عن الحب ومنى الحلم) ، فقد صدر في طبعته الأولى سنة ١٤٠٥هـ ، وهو أول ديوان ينشر له عن طريق نادي جازان الأدبي ، وعدد قصائد هذا الديوان خمس وعشرون قصيدة تدور جميعها حول الموضوعات الوجدانية وتجاربه في عالم المرأة والحب ولا تكاد تخرج عن هذا الموضوع العام إلى أي موضوع آخر سواه ، وعناوين القصائد كلها تعبر عن ذلك مثل: (رسائل إليها)، و(عن الحب ومنى الحلم)، و(العاشقة الصغيرة) ، و(في جحيم الانتظار) ، و (الأهم من القبلة في دولة الحب) ، و (في قلب زوج زوجتان)، و (عريس سارة) ، و (الحب نعمة لو) ، و(غيثة وجرادي) [1] وغيرها .

وديوانه الثالث (الرحيل إلى الأعماق) صدر سنة ١٤٠٦هـ ، وهو من منشورات نادي جازان الأدبي – أيضاً – ، وعدد قصائده إحدى وعشرون قصيدة جميعها تدور حول محور واحد ، وهو الصراع بين الحق والباطل ، كما يقول الشاعر : ((**وقصائد هذه المجموعة التي أضعها بين يديك – عزيزي القارئ – على ما بينها من تفاوت تحارب الباطل ، وتقف في وجه طوفان الشر على كافة المحاور ، وفي مختلف الجبهات ، وهي على اختلاف مناسباتها، وتفاوت زمنها لم تهدف فيما تهدف إليه إلا نصرة الحق ، ومساندة الخير في هذا العصر الذي اختلت فيه الموازين ، وتداخلت المفاهيم وأصبح أنصار الحق قليلين**))[2] .

وعن سبب التسمية (الرحيل إلى الأعماق) يقول : ((**ومن (أمام بوابة بلاغ مكة) التاريخي الذي انبثق من رحاب البيت الحرام في ظلال مؤتمر القمة الإسلامي الثالث عام ١٤٠١هـ يطيب الرحيل إلى الأعماق .. وكم هو طويل الرحيل إلى**

(١) انظر : عن الحب ومنى الحلم ، أرقام صفحات القصائد على التوالي : ٢١ ، ٣٥ ، ٦٣ ، ٦٦ ، ٧٦ ، ٨٤ ، ٨٩ ، ١٠٠ ، ١٠٢ . ونلحظ أن الشاعر كرّر قصيدة (عريس سارة) في ديوانيه (الأرض والعشق) ، ص : ٣٥ ، وعن الحب ومنى الحلم ، ص : ٨٩ ، ولم يُحدث في القصيدة أيَّ تعديل أو تغيير .

(٢) الرحيل إلى الأعماق : ٩ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الأعماق ؟! ومع طوله يظل جميلاً ورائعاً))[1] .

والشاعر علي النعمي تحدّث في هذا الديوان كثيراً عن مأساة فلسطين وجرحها النازف وحيَّا فيه أبطال فلسطين [2] ، وتحدث عن مأساة لبنان في صبرا وشاتيلا [3] .

وأولى قصائد هذا الديوان جاءت تحية للبلاغ الذي أصدره مؤتمر القمة الإسلامي الثالث بمكة المكرمة عام ١٤٠١هـ ، ومطلعها :

بلاغُ مكة دعني لحظة أقفُ　　أمام ماضيك حيث المجد والشرفُ
دعني أضمُّك أروي من سناك لظى　　قلبي ومن نبعك الفياض أغترفُ
وأن كل اجتماعٍ لا يزيّنهُ　　تقاربٌ في مجال الرأي ينحرفُ [4]

وعلى الرغم من كون هذه القافية ليست مما يسهلُ طرقُه – دائماً – فإنك لا تحسّ فيها قلقاً ولا اضطراباً ولا اعتسافاً ؛ وذلك لأن الشاعر ممن يملك أداته ، ويحسن تصريف قوله .

غير أنَّ الشاعر يفاجئنا في البيت الثاني من قصيدته الثانية التي انطلقت من الموضوع نفسه ، ونظمت في العام نفسه – أيضاً – يفجئنا بارتخاءٍ في قافيته واستدعاءٍ وإلحاح من غير حاجة في قوله :

هذي الخواطر أي شيء ساقها　　نحوي، وكيف تكدّست في الحال؟ [5]

وفي هذا الديوان وقفات مع بعض مظاهر الانحراف الفكري كما في قصيدته (إذا عبدت فاعبد الله) [6] التي زجر بها أحمد السقاف حينما تجاوز في غزله كل الحدود .

وقد أشادت بهذه القصيدة مجلة الدعوة حيث نشرتها سنة ١٣٩٢هـ ، وعن هذه

---

(١) المصدر السابق : الصفحة نفسها .
(٢) انظر: المصدر السابق : الصفحات : ٤٠ ، ٥٠ ، ٨٢ وغيرها .
(٣) انظر : المصدر السابق ، الصفحات : ٦٦ ، ٨٥ وغيرها .
(٤) المصدر السابق : ١١ .
(٥) المصدر السابق : ١٣ .
(٦) المصدر السابق : ٣٠ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

القصيدة يقول الأستاذ الدكتور محمد بن سعد بن حسين : ((**وهذا الموقف المحمود للنعمي ليس بالغريب في خلق شعراء هذه البلاد ، وإنما الغريب ألاّ يكونوا كذلك**))[1] ، ومن منطلقِ القصيدة السابقة تأتي قصيدة النعمي الأخرى (جنح القطار وروّع الركاب)[2] ، وهي ردٌّ على نزار قباني ، وقد سبقت الإشارة إلى مضمونها[3] .

وتأتي بعد ذلك قصائد الديوان تحمل الفكر ذاته ، والموضوع نفسه من مثل قصائد (ملحمة الشرق الحزين)[4] التي هي مطولة وإطلاق (ملحمة) عليها فيه تجوزٌ واضح ، وقصيدة (الرحيل إلى الأعماق)[5] التي سمّى باسمها الديوان تعالج قضية المسلمين في فلسطين، وما وقع فيها من ظلمٍ للحقوق وسلبٍ لها .

أما ديوانه الرابع (جراح قلب) الذي صدر سنة ١٤٠٩هـ عن نادي جازان الأدبي، فقد وردت فيه ثمان وعشرون قصيدة مؤرخة ، وقد قدّم الشاعر ديوانه بمقدمة جميلة تدلّ على أنَّه قد برع في النثر كما برع في الشعر ، عنوانها (من الكلمة لا بدّ)[6] تحدث فيها عن الحياة مبتداها ومنتهاها ، ودوائرها الثلاث التي تتشكل فيها حياة الإنسان وهي الأمس واليوم والغد ، وتحدّث فيها أيضاً عن التجارب الحياتية والإنسانية من خلال هذه الدوائر الثلاث ، وفي هذه المقدمة يقول الأستاذ الدكتور محمد بن سعد بن حسين في برنامجه الإذاعي (من المكتبة السعودية) : ((**مقدمة نثرية فيها ما في شعره من جلالة التعبير وروعة التصوير وبلاغة البيان . قرأتُها فأحسستُ أني أقرأ كلاماً عرفتُه ، أكنتُ قرأته من قبل ؟ أم لأنه لفرطِ تأثيره أوهمني بذلك ؟ لستُ أدري ، لكن هذه المقدمة تؤكد لك أنَّ الشعراء الكتّاب لا يزالون موجودين في ساحتنا الأدبية**

(١) من المكتبة السعودية برنامج إذاعي ، إعداد الأستاذ الدكتور محمد بن سعد بن حسين ، مخطوط : ٦٢٧ .
(٢) الرحيل إلى الأعماق : ٣٤ .
(٣) انظر : الباب الأول ، الفصل الثالث (الاتجاه الإسلامي) .
(٤) الرحيل إلى الأعماق : ٤٠ .
(٥) المصدر السابق : ٧١ .
(٦) انظر : جراح قلب : ٧ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ينسجون النثر على نولِ القصيد ، وإن لم يكن هو ...))[1] .

وفي هذا الديوان يعرض علي النعمي معاناته وآلامه وآماله ، في عرضٍ صارخ يفتح لك من خلاله قلبه النازف ، ويشركك في بأسائه وتلظيه ، وقلّما تجده يخرج عن نطاق تلك الدائرة ، وإن خرج في قصيدته (النفخ في القرب المشقوقة)[2] ، و (سناء الشهيدة)[3] عنها إلى المعاناة الكبرى – معاناة الأمة – وهي بلا شك جزء من معاناته .

وعلي النعمي بديوانه هذا يكتب لنا سيرته الشخصية التي سيطرت عليها الآلام ، وغطّى عليها الحرمان – كما رأينا عند الحديث عن شخصيته آنفا – ولكنه في هذا الديوان لم يحفل بالأسلوب احتفاله بالمعاني ، فهو في هذا الديوان لصيق بمعانيه لدرجة تستغرقه وتنسيه أحياناً اللغة الشعرية المجّنحة ، فهو هنا شاعر المعاني وشاعر الحدث والحركة والوقوف عند أمور وقضايا ذاتية ومحلية متميزة لا نجدها عند غيره ، فيها من الإغراب ما فيها ، وإلاغراب جاء من كونها غير مألوفة من مثل قصيدة (نهاية أتان) ، وهي تتحدث عن مأساة الحمير بعد أن حلّت الوسائل الحديثة في التنقل مكانها ، وفيها يصف نكران المجتمع لجميل الحمير ، ثم ما حصل من تسريحها وتشتتها في كل وادٍ ، وعبورها لكل طريق مما سبّب بعض المضايقات على الطرق السريعة ، وفي ذلك يقول :

ظنَّ في (الجمس) و(الجلنت) بديلاً　　و (التيوتا) بكلِّ نوعٍ أنيقِ
عن (أتانٍ) وعن (حمار) أفادا　　ه لحمل الأعبا بيُسر وضيقِ
أبعدوها عنهم ، ولم يرحموها　　من مهاوي أخطار دربٍ سحيقِ
جمّعوها ظلماً إلى كلِّ واد　　ورموها عمداً بكلِّ مضيقِ
فغدت محنةً وصارت عدواً　　يزرع الرعب عبر كل طريقِ

(١) من المكتبة السعودية ، برنامج إذاعي ، إعداد الأستاذ الدكتور محمد بن سعد بن حسين ، مخطوط : ٦٣٧ .
(٢) جراح قلب : ١٢٩ .
(٣) انظر : المصدر السابق : ١٣٩ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

إن نجونـا مـن شرِّهـا في نهـارٍ　　ما نجونـا ليـلاً مـن التعويـقِ [1]

وبعض قصائد علي النعمي في هذا الديوان تستحيل إلى حكاياتٍ متواصلة ، كل حكاية تأخذ بطرف الأخرى ، وتفضي إليها بسبب ، وهذا دعا إلى طول بعض تلك القصائد طولاً مفرطاً فيه شيء من التكرار الذي أضرّ بفنية القصيدة وجمالها ، من مثل قصيدة (في البدء كان الريف) [2] التي تعد من أجود قصائد علي النعمي لولا ما فيها من طولٍ تجاوز المائتين وسبعة عشر بيتاً ، نصف تلك الأبيات كان بإمكان شاعرنا القدير أن يستغني عنه ، لكن شاعرنا علي النعمي مولع بالتفصيل ، بل ويلحّ عليه كثيراً ، ساعده على ذلك نفسه الطويل ، واهتمامه بجزئيات المشهد ، وامتلاكه نواصي القوافي ، إذ تهرول إليه بشوقٍ ، وتأتي إليه دون استعصاء أو تأبٍّ .

وللنعمي ديوان خامس هو (لعيني لؤلؤة الخليج ، كويت الملحمة) صدر سنة ١٤١٣هـ ، وهو من منشورات نادي جازان الأدبي ، وفيه ثمان قصائد طوال ، تدور جميعها حول قضية غزو العراق للكويت وأثر ذلك على الأمتين العربية والإسلامية ، وموقف الشاعر من تلك الجريمة النكراء .

وهذا الديوان ينفرد بكونه يشمل قصيدة تفعيلية للشاعر علي النعمي بعنوان (كويت الملحمة) [3] ، وهي أطول قصيدة للشاعر في جميع دواوينه ، إذ جاءت في مائة صفحة من صفحات الديوان البالغة مائة وأربعاً وتسعين صفحة .

هذه هي دواوين الشاعر علي النعمي الخمسة ، كل ديوانٍ منها يكاد ينفرد بخصيصة لا توجد في الآخر ، ولكل منها اتجاهه الخاص ، وموضوعه العام ، وهي ثروة أدبية مهمة كما ذكر ذلك منشئها ، حيث يقول مبنياً مضامينها في قصيدته (الصفحة المجهولة):

فأجبتُهـا هـذي قـصائدُ شـاعرٍ　　فيهـا النـشيد الحلـو والأشـجانُ

---

(١) المصدر السابق : ٣٦ .

(٢) انظر : المصدر السابق : ١٧٤ – ٢٠٢ .

(٣) لعيني لؤلؤة الخليج : ٩٣ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

فيهـا مـشاعـر أمـةٍ وتجـاربٌ وعواطـفٌ مـا حدَّهـا حـسبانُ
هي ثـروةٌ لا يـستهانُ بقـدرها أبـداً ولـيس يميتهـا النكـرانُ [1]

وفي جميع تلك الدواوين نلمح أصالة الشاعر وظهور البيئة الريفية التي عاش فيها ، وامتزاج لغته الرصينة ببعض مفردات البيئة الدارجة مما شكل تناغماً فريداً يكاد يكون سمة من أهم سمات شعره ، تقرأ القصيدة فتعرف مباشرة أنها من شعر علي النعمي ، ولكن هذا تطلّب منه أن يشرح كثيراً من تلك الألفاظ – المغرقة في المحلية – في هوامشه ، لا سيما في ديوانيه (الأرض والعشق) و (جراح قلب) [2] .

ونلحظ أيضاً جنوح الشاعر إلى التكرار ، لا سيما في حديثه عن معاناته وإصابته بحرفة الأدب ، ومواقف الشكوى المتكررة ، فينسى – أحياناً – أنَّه قد أورد ذلك المعنى في بعض قصائده ، فيأتي به دونما تغيير ، ومن ذلك قوله في قصيدة (همسة وفاء وتقدير) :

ورصيدي شعري وآهات نفسي فـي بنـوك الحرمـان والأرزاء [3]

وقال في قصيدة (في الزمن الضائع) :

شعري رصيدي في بنوك الأسى وزفرتـي شيـك بـلا مدخـر [4]

هذا على ما في كلمات (بنوك) و (شيك) من ابتذالٍ واضح ، وإقحام للغة المال والأعمال في الشعر وإرهاقه بها .

وشعر علي النعمي الاجتماعي يصدر عن تجربة ومعاناة ، تحسّ طعم مرارتها ، وتلمس خيبة أهله في الناس والحياة ، ومسحة الحزن لا تكاد تفارقه في جلّ موضوعاته ، ولكنه يزين قصائده الاجتماعية بلمسة رائعة نجح فيها كثيراً ، وهو اعتماده على الحوار ، وميله إلى الأساليب القصصية الممتعة ، بل هو من أكثر الشعراء السعوديين ميلاً إلى

(١) جراح قلب : ١٩ .
(٢) انظر مثلاً : المصدر السابق : ٢٠٢ ، حيث شرح الشاعر اثنتي عشرة كلمة من المعجم المحلي في جازان .
(٣) الأرض والعشق : ٨٣ .
(٤) المصدر السابق : ١٠٩ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

القصّ الاجتماعي[1]، لا سيما ما يدور منه حول المرأة ، وهو القائل :

ولكـم في قـصص المـرأة مـن　　قـصص حافلـة بالعـبر [2]

وشاعرنا قد استقى من عالم المرأة عدداً من القصص تمثل جوانب متعددة من حياة المرأة ، طالبة للزوج وعاشقة ، وفقيرة مجبرة ، وضرَّة على أخرى ، ومطلقة ، وعاشقة عبر الهاتف ، وديوانه (عن الحب ومنى الحلم) فيه أكثر من أربعة عشر مشهداً قصصياً تعتمد على الدراما والحوار ، وأغلب أركان القصة من الناحية الفنية ، فمن ذلك قصيدة (السقوط دون القمر) ، وهي تحكي تعلّق فتاة بفتى ، وتحاول أمّها صرفها عنه ، وفي نهاية القصة نكتشف أنَّ الأم تعلّقت بالفتى مثل ابنتها ، وهذا شيء غريب وعجيب، وهو من الموضوعات الطريفة التي يحاول الشاعر علي النعمي أن يؤثر بها على قارئه ، إذ يندر أن نجد أمًّا تصارع ابنتها على عاشقها ، ومما دار في تلك القصيدة من حوار هذا المشهد ، إذ يقول :

هـو يـا أمـي فتـى لـيس لـه　　مثـلٌ في البـدو أو في الحـضر
هـو يـا أمـي فتـىً ذو قامـة　　هـي تحـت الطـول فـوق القـصر
هو يا أمي ، فقالت: يـا ابنتي　　أنـت لا تدريـن وخـز الإبـر
أنـت مـا فكـرت في عاطفـةٍ　　ربمـا قادتـك نحـو الـضرر [3]

إلى أن قال على لسان الأم :

لم أُلُـم بنتـي عـلى الوجـد بـه　　فهـو نـوعٌ نـادر في البـشر
يتعـالى شـبه طـاووس عـلى　　مهـج الغيـد بـأزهى الـصُّور
شـدّني شـد ابنـتي أوثقنـا　　بالهـوى الطاغـي فيـا للقـدر [4]

(١) انظر : الشعر والمجتمع في المملكة العربية السعودية ، للأستاذ الدكتور مسعد بن عيد العطوي : ٤٧٤ .
(٢) عن الحب ومنى الحلم : ٥٥ .
(٣) المصدر السابق : ٥٦ .
(٤) المصدر السابق : ٥٧ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وتمضي القصيدة في حوارٍ وعرضٍ لنفسيات الأم وابنتها تجاه ذلك الفتي ، وتدخل بعض الشخصيات الأخرى ، ومنها فتاة ثالثة تعشق ذلك الفتي ، وهو غافل عن الجميع .

وما كان من ذلك الفتى إلا أنّ رفض الأم وابنتها في النهاية معاً ؛ بعد حوار طويل بين الام وابنتها وكلّ منهما تحاول كسب ودّه :

أأنا مَنْ ، قال : لا ؛ فارتعشت كيف يا ، قال: اغرُبي عن نظري؟!
صورةٌ أنتِ لأصلٍ باهتٍ شاه في الشكل معاً والجوهر
فلماذا كلُّ هذا الإرتماء في خنوعٍ ، وبشكلٍ غجري
زينة الأنثى عفافٌ صادقٌ وتُقى في منظرٍ أو مخبرِ
أنتِ والأم بلا ذوقٍ بلا خُلُقٍ يُرضي اعتزاز الذكرِ
فدعي الطيش ولا تنجرفي لا تدوسي عنفوان الخفرِ[1]

والشاعر هنا قد نجح في معالجة المشكلة وإبراز المغزى الاجتماعي منها ، إلا أنه أحياناً يعالج بعض المشاكل الاجتماعية معالجة حسنة ، ولكنه لا يترك للموعظة فرصة التأثير والنجاح ، ومن ذلك ما نجده في قصيدته (الإجازة في الحياة الزوجية)[2] ، فبعد حوارٍ طويل بين الزوج الذي يريد السفر إلى الخارج مع رفاقه ، والزوجة التي تحاول ثنيه بموعظتها ، ينهي الموقف بإصرار الزوج وصمت الزوجة دون أن ندري إلى أي شيء انتهيا ، وكان الأولى أن تكون النهاية واحدة من ثلاث ؛ إما أن تعمل الموعظة عملها فتثني الزوج عن السفر ، أو أن يعودَ الزوج من السفر خائباً خاسراً نادماً يجرّ قدميه من ثقلِ خيبته ، أو أن يستصحب أسرته معه فتكون إجازة للجميع .

ويكثر علي النعمي في هذا اللون من الشعر من لغة الحياة ومشاهدها اليومية ، وكثير من صوره منتزعة من لقطاتٍ جدّ مألوفة ، ولكن كثير منا ربما لا يأبه بها ، ولكن

(١) المصدر السابق : ٥٩ .
(٢) المصدر السابق : ٢٢٥ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

الشاعر يراها بمنظار دقيق فيستفيد منها ، من مثل قول علي النعمي متأملاً موقف الإنسان مع الدنيا يحبها وهي تشقيه :

يغتاله اليأس فوق الأرض يسحقه　　وومضة الأمل المعسول تَخدَعُهُ
يسعى عليها بحبِّ المحتفين بها　　كالأم والطفل .. يشقيها وتُرْضعُه [1]

* *

وبعد فهذه وقفات سريعة مع بعض معالم شعر علي النعمي وهناك الآن رسالة علمية أكاديمية في جامعة أم القرى بمكة المكرمة بعنوان : (علي بن أحمد النعمي حياته وشعره) يعّدها أحمد بن عبدالله الصم ، ولما ينته منها بعد [2] . نرجو أن توفيه بعض حقه ، وتضعه في مكانه اللائق من خريطة الشعر في جازان ، إذ يعدّ أفضل شاعر في جازان بعد الشاعر الكبير محمد بن علي السنوسي بلا شك أو تردد ، ومع هذا بقي بعيداً عن عدسات الباحثين وأقلامهم وهو القائل عن (الشاعر) ، وهو لا يقصد إلا نفسه :

في قوله حكمٌ وفي ألفاظه　　نغم وفي نفثاته أفنانُ
واليوم أين مكانه في قومه　　أين المقامُ الرَّحبُ والإيوانُ ؟!
لا شيء غير الصَّمت في آفاقه　　ضاع النشيد ، وماتتِ الألحانُ [3]

نرجو أن لا يبقى هذا الصمت ، وأن لا يضيع ذلك النشيد ، أو تموت تلك الألحان .

* * *

(١) المصدر السابق : ١٥٠ .
(٢) وذلك عام ١٤٢٢هـ .
(٣) جراح قلب : ٢١ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الفصل الثاني

من الأعلام المجددين

١- إبراهيم بن عبد الله مفتاح .
٢- إبراهيم بن عمر صعابي .
٣- أحمد بن يحيى بهكلي .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

١- إبراهيم بن عبدالله مفتاح:

- ١ -

هو إبراهيم بن عبدالله بن عمر مفتاح ، ولد بجزيرة فرسان سنة ١٣٥٩هـ[١] ، ونشأ في حجر والده الذي رعاه أتم رعاية ، وربّاه أفضل تربية ، وكان هو المؤثر الأول في شخصيته الأدبية ، كما قال شاعرنا : في حديث له عن والده ((**ورثت عنه شيئاً من موهبة الشعر...**))[٢] .

وقد عهد به والده إلى أحد الكتاتيب الفرسانية ، فتلقى تعليمه فيه ، وكان أول كتاب التحق به هو كتاب الشيخ محمد بن أحمد البهكلي إمام وخطيب جامع فرسان ، وممن تلقى تعليمه على أيديهم في هذه المرحلة الشيخ خميس بن محمد غاصب ، وحسن بن محمد رفاعي، والشيخ حسن بن علي مضفّر . وبعد تجاوزه الكتاب التحق بمدرسة فرسان الابتدائية ، وحصل على شهادتها سنة ١٣٧٧هـ ، ثم التحق بمعهد المعلمين في جازان وتخرّج فيه سنة ١٣٨٠هـ ، وبعد تخرجه عيّن مدرساً بمدرسة (بيش) الابتدائية ، وبقي في بيش أربع سنوات نقل بعدها إلى المدرسة السعودية الابتدائية في جازان ، وعند رحيله من بيش في حدود عام ١٣٨٥هـ ودّع رفاقه في بيش بقصيدة لعلها تعدّ من أوائل شعره المنشور في دواوينه الشعرية ، عنوانُها (وداعًا يا بيش) ، مطلعها :

بربّك يا بيش هل تذكرين ... صفاء الليالي وطيب السمر[٣]

وفي آخرها قال :

سأصنع يابيش فيك القصيد ... وأنظم يا بيش فيك الدرر

وأصبو إليك مع الذكريات ... وأهفو إليك امتداد العمر[٤]

---

(١) عندما ترجم الشاعر لنفسه في ديوانه الأول (عتاب إلى البحر) ، ص ٧ ذكر أنّه سنة ولادته كانت في ١٣٥٨هـ ، ولكنه بعد ذلك في الترجمات اللاحقة سواء في دواوينه ، أم في كتب التراجم لا يذكر سوى عام ١٣٥٩هـ ولم يعد لعام ١٣٥٨هـ أي ذكر ، وقد سألت الشاعر عن سبب ذلك ، وعن التاريخ الصحيح لولادته فأجاب بأنه ولد في أول أيام سنة ١٣٥٩هـ ،ولعله من هنا نشأ الخطأ في ذكر سنة ١٣٥٨هـ ، إذ ربما التبس على الشاعر الأمر .

(٢) احمرار الصمت : ٥ .

(٣) عتاب إلى البحر : ٤٧ .

(٤) المصدر السابق : ٤٩ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

ولكنه لم يف بذلك الوعد ، إذ لم نجد لبيش بعد ذلك أي ذكرٍ في شعره المنشور في دواوينه طوال سبع وعشرين سنة ، ولم يتذكرها إلاّ عندما دعي إليها للمشاركة في إحدى الأمسيات [1] .

ثم نقل بعد ذلك من المدرسة السعودية في جازان إلى مدرسة فرسان الابتدائية ، وفي العام الدراسي ٨٦/ ١٣٨٧هـ حصل على دبلوم الدراسات التكميلية في الطائف ، وفي تلك السنة التي درس بها في الطائف كتب عدداً من قصائد الحنين الجميلة ، ومنها قصيدة (تحية إلى فرسان) التي مطلعها :

إيـــه يـــا مهـــبط رأسي　　هيجـــت ذكـــراك نفـــسي
كـــم تلاقـــت فيـــك أشـــجا　　ني وأفراحـــــي وبـــــؤسي
وتلوّعـــــتُ حنينـــــا　　ســـامي اللوعـــة قدســـي
كـــم تـــذكرت الـــصبا يـــو　　مـــا وحنّيـــت لأمـــسي [2]

وبعد حصوله على ذلك الدبلوم عُين وكيلاً لمدرسة فرسان الثانوية ، ثم أحيل إلى القاعد سنة ١٤١٨هـ ، وهو الآن (١٤٢٢هـ) عضو بمجلس منطقة جازان .

ولشاعرنا مشاركات صحفية كثيرة ، فقد عمل سكرتيراً في تحرير مجلة (الفيصل) الثقافية الشهرية التي تصدر عن دار الفيصل الثقافية بالرياض . ونشر مقالاته فيها وفي غيرها من الدوريات السعودية ، وشارك – أيضاً- في كثير من الندوات الفكرية ، والأمسيات الشعرية ، وهو عضو فاعل بمجلس إدارة نادي جازان الأدبي [3].

---

(١) انظر : رائحة التراب : ٢٨ ، وفيه يفصح عن مشاعره وفرحته بلقاء (بيش) بعد سبع وعشرين سنة من الفراق .

(٢) المصدر السابق : ٣٦ .

(٣) انظر ترجمته في : شعراء العصر الحديث ، لعبدالكريم الحقيل ١/ ١٤٤ ، ونشأة الأدب السعودي المعاصر في جنوبي المملكة العربية السعودية ، للدكتور عبدالله أبو داهش : ٦٦ ، والمذاهب الأدبية في الشعر الحديث لجنوب المملكة العربية السعودية في مواضع متعددة ، والتاريخ الأدبي لمنطقة جازان ، لمحمد أحمد العقيلي : ٣/ ١٣٩٢ ، وفرجة النظر ، لأحمد الشفعي : ١/ ٣١ ، وموسوعة الأدباء والكتاب السعوديين ، لأحمد بن سلم : ٣/ ٢٢٨ ، ومعجم البابطين : ١/ ١٤٤ وغيرها .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

والشاعر مفتاح يتحلى بأخلاق فاضلة ، ونفسٍ راقية مليئة بالحب لكل الناس ، نفس تسعى إلى حياة آمنة ، وسعادة تعم الجميع ، وفي ذلك يقول متحدثاً عن هذه النفسية الخاصة به :

تمنيتُ لو أن لي قوة تعيد الأمان إلى الخائفين
تمنيتُ لو أنني غيمةٌ فأمطر حباً على العالمين
وأحظر بين الورى كالربيع أوشي النفوس بسحر العيون [1]

والذي يعرف الشاعر إبراهيم مفتاح يوافق الباحث على امتلاكه لابتسامة يندر أن تفارقه ، فهو دائم البشاشة ، ولعلّ شاعرنا قد حقّق ذلك بعد أن قال في بداياته الشعرية مخاطباً نفسه :

أنت يا نفسي أفقٌ سبحت فيك نجومي
حملت فيها شجوني وشقائي ونعيمي

**

فابسمي كالورد كالفجـ ـر وزاهرات الأقاحِ
وارشفي كالنور صفواً من حبيبات الصباحِ [2]

فهل مفتاح يخفي وراء الابتسامة آلامه وشقاءه ، أم أن ابتسامته هي فعلاً نابعة من نفسية هادئة وهانئة ؟ كل ذلك محتمل .

وفي شخصية إبراهيم مفتاح نلتقي بطموح لا حدود له ، طموح وتوق إلى معالي الأمور ، أشعل جذوته ، وأمدّه بالعنفوان هياج البحر وتلاطمه أمام عينيه ، ومرآه للزورق المجهد يصارع الأمواج ويصل إلى الساحل سالما ، تلك النفس التواقة ، قال عنها :

من هياج البحر في روحي دمٌ أخضر النبض فقاعي السَّنا [3]

وللشاعر إبراهيم مفتاح جهود كبيرة ومتفّردة في التعريف بجزيرة فرسان وإبراز

(١) عتاب إلى البحر : ٧١ .
(٢) المصدر السابق : ٥٣ .
(٣) رائحة التراب : ٨٣ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

تراثها وتاريخها الرائع ، وله في ذلك عدد من المؤلفات ، منها :

١- فرسان جزائر اللؤلؤ والأسماك المهاجرة :

صدر هذا الكتاب سنة ١٤٠٤هـ ضمن سلسلة (هذه بلادنا) التي تصدرها الرئاسة العامة لرعاية الشباب للتعريف بمدن المملكة العربية السعودية ومحافظاتها ، وهذا الكتاب هو الجزء الرابع من تلك السلسلة ، ويتحدث عن جزائر فرسان ، وهو أول كتابٍ يصدر في المملكة للتعريف بهذه الجزر وإبراز تراثها وآثارها ورجالها ، والكتاب يشمل خرائط ومقدمات ، ثم بعد ذلك تحدث المؤلف عن موقع فرسان ، وبعض تاريخها ، وأهم آثارها ، وصيد اللؤلؤ فيها ، ثم أبرز أهم علمائها ، وكبار الشخصيات فيها ، ثم تحدث عن معالم الزراعة والصيد ، والبراري البكر والغزلان التي تسرح فيها بكثرة ، ثم تحدث عن الجزر التابعة لفرسان وموانئها وعادات أهلها ، والطيور المهاجرة إليها ، ومواسم صيد الأسماك ، ومجالس الناس وغير ذلك من معلومات ثرةٍ ونادرة تقصّى الشاعر (المؤلف) شواردها ، وأبرز أهم دقائقها وتفصيلاتها ، ثم ختم المؤلف كتابه بعدد من الصور التوضيحية .

٢- فرسان الناس والبحر والتاريخ :

وهذا الكتاب من منشورات نادي جازان الأدبي ، صدر سنة ١٤١٠هـ في طبعته الأولى ، وهو يسير على نمط الكتاب السابق من حيث الموضوع ، وطريقة العرض ، إلا أنه استدرك فيه ما فاته هناك .

٣- مقامات فرسانية :

وهي مجموعة قصصية تحكي بعض الملامح الشعبية ، والحكايات الخرافية في المجتمع الفرساني ، وهو من منشورات نادي جازان الأدبي ، صدر الكتاب سنة ١٤١٢هـ ، وحكايات هذا الكتاب القصصية كتبت في مجملها باللهجة العامية الشائعة في جازان ، ومثّلت بعض الملامح التاريخية لجزائر فرسان ، ومن هنا تردد المؤلف في تقديمه للكتاب وحيرته في إلى أي الموضوعات ينتمي الكتاب ، كما في قوله : ((**لا أدري وأنا أقدّم لك هذا العمل الذي بين يديك .. لا أدري هل أنا أقدّم لك مجموعة قصصية**

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ترتدي معطفاً تاريخياً ، أم أقدّم لك عملاً تاريخياً يرتدي غلالة قصصية))[1] .

وقد اعتذر المؤلف من القارئ مما فيه الكتاب من الغموض الناشيء من لغته العامية فقال : ((**لا أريد أن أفسّر لك بعض (الغموض) في الحدث نفسه – على افتراض وجود غموض – لأن الحدث – هنا – يرتدي طابع (المحلية) لأنماط متعددة من حياة مجتمع صغير يشكل البحر في حياته نمطاً مختلفاً عن حياة كثير من المجتمعات الأخرى**))[2] .

وهدف الشاعر من رصد تلك الحكايات الشعبية هو المحافظة على ما يمكن المحافظة عليه من تراث محلي في زمن تفتتن مجتمعاته بمستجدات العصر وبريق المادة[3] .

ومع هذا فالمؤلف مازال بفكره كثير من الآمال للحديث عن تراث فراسان ، فيقول : ((**لا أزعم لنفسي أنني قدمت كل شيء ، فهناك أشياء كثيرة تغيب عني أو هي لا تحضرني الآن، وهناك أشياء أقدم مني زمناً ، وأسبق من مرحلتي عمراً اختبأت في زوايا النسيان ومنعطفات عدم الاهتمام بها في عرف مجتمع ينظر إليها بعين (العادية) وألفة (الممارسة) اليومية أو الموسمية المتكررة**))[4] .

٤- **صور من الساحل** ، وهو جمع لشعر أبكر المشرعي ، وكثير منه من الشعر العامي ، وهو مؤلف بالاشتراك .

٥- **أدب الأشجار ومنافعها في جزر فرسان** ، صدر سنة ١٤١٨هـ .

* * *

أما أعمال الشاعر إبراهيم مفتاح في مجال الشعر ، فقد احتوتها ثلاثة دواوين هي :

أولاً - (عتابٌ إلى البحر) :

وهو يحوي باكورة إنتاجه الشعري ، صدر في طبعته الأولى سنة ١٤٠١هـ ،

(١) مقامات فرسانية : ٧ .
(٢) المصدر السابق : ٧ .
(٣) المصدر السابق : الصفحة نفسها .
(٤) المصدر السابق : الصفحة نفسها .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

ويضم أربعاً وثلاثين قصيدة ، وأقدم قصيدة مؤرخة في هذا الديوان هي قصيدة (نداء العصر) أرخت بسنة ١٣٩٤هـ [١] ، ولكنّ بدايات الشاعر الأدبية كانت قد سبقته ذلك التاريخ بسنوات كثيرة ، وهناك قصائد وردت في الديوان ولم تؤرخ ، ولكن سياقها يوحي بأسبقيتها مثل قصيدة (وداعاً يا بيش) [٢] – وقد سبقت الإشارة إلى أنها قيلت إثر نقله من بيش سنة ١٣٨٥هـ إلى العمل في جازان .

ثانياً - (احمرار الصمت) :

وهو ثاني دواوين الشاعر صدوراً ، ويحمل معالم التجديد في واقع إبراهيم مفتاح الشعري ، وفيه ثمان وعشرون قصيدة ، كثير منها من شعر التفعيلة ، والشاعر في هذا الديوان صنّف القصائد وجعلها في ثلاث مجموعات ، هي :

أ – (قصائد) : وهي متفرقات في مواضيع وطنية واجتماعية وتأملية .

ب– (وجدانيات) : وتتحدث عن بعض ملامح حياته الوجدانية العاطفية وتجارب خاصة جداً .

جـ– مواسم وذكريات : وهي متصلة بفرسان وذكريات المكان في نفس الشاعر ودمه .

وهذا الديوان طبع في دار الصافي للثقافة والنشر بالرياض سنة ١٤٠٩هـ .

ثالثاً - (رائحة التراب) :

وهذا الديوان أحد منشورات نادي جازان الأدبي ، وهو أول ديوان يطبعه النادي لشاعرنا ، طبع سنة ١٤١٦هـ ، وهذا يعني أنَّه يحمل إلينا آخر إنتاج الشاعر ، وبتأمل بعض القصائد يتضح – أيضاً – أنها تمثل مرحلة النضوج الشعري لدى مفتاح ، وعن طريقه يمكن التعرف على قيمة شعره ، وموقعه الحقيقي من خارطة الشعر في جازان ، وفي هذا الديوان ست وعشرون قصيدة ، جاءت في أنماط موسيقية مختلفة .

---

(١) عتاب إلى البحر : ١٤ .

(٢) المصدر السابق : ٤٧ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

- ٢ -

الشاعر إبراهيم مفتاح شاعر متميز شارك بشعره في جميع أغراض الشعر ، إذ مدح وهنأ ، ورثى وتغزّل ، ووصف وتأمل ، وشارك بشعره في هموم الأمة وقضاياها ، وشجون الوطن وشؤونه .

والمتأمل في شعره يجد أنَّه يمثل مرحلتين مهمتين واتجاهين مختلفين عاشهما الشاعر وتردد بينهما ، إذ يلحظ القارئ لشعر مفتاح في ديوانه الأول (عتاب إلى البحر) أنَّه شاعر محافظ أتم ما تكون المحافظة ، بل إنه ليعد في بعض القصائد شاعراً تقليدياً ، بينما نجده في ديوانيه الأخيرين (احمرار الصمت) و (رائحة التراب) شاعراً مجدداً في شكل الشعر ومضمونه .

نجد إبراهيم مفتاح في ديوانه الأول (عتاب إلى البحر) يبدأ بدايات متواضعة ، إذ كان أكثر شعره في المناسبات والمواقف الاحتفالية ، فمثلاً ثاني قصائد الديوان هي (نداء العصر) ، أنشأها الشاعر والقاها في الحفل الذي أحيته مدرسة فرسان الابتدائية على مسرح رعاية الشباب بمركز الخدمة الاجتماعية بجازان مساء يوم الخميس ٢٧/ ٣/ ١٣٩٤هـ ، ومطلعها :

شيدوا الصرح يا شباب بلادي وأعيدوا مكارم الأجداد
لن يفيد البلاد إلا بنوها فليكن صرحنا رفيع العماد (١)

والقصيدة الثالثة من قصائد الديوان هي (وداعاً أيها الحبيب) كانت دمعة وفاء على الفقيد الراحل الملك فيصل بن عبدالعزيز آل سعود – رحمه الله – ، ومطلعها :

أين شعري وقد فقدت المعاني أين نثري وقد أضعت بياني (٢)

والقصيدة التي تليها ، وهي الرابعة من قصائد الديوان عنوانها (حديث البحر) ألقاها الشاعر أمام اللجنة المكلفة من المقام السامي لدراسة أحوال جزيرة فرسان وتفقّد احتياجاتها ومتطلباتها وذلك سنة ١٣٩٧هـ ومطلع تلك القصيدة :

(١) المصدر السابق : ١٤ .
(٢) المصدر السابق : ١٨ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

ألهم الشعر شدوه وغناه　　وترجَّى فلن يخيب رجاه [1]

والقصيدة الخامسة من قصائد الديوان عنوانها (تهنئة واعتذار) ألقاها مفتاح في الاحتفال الذي أقامه أهالي منطقة جازان لمعالي الأمير محمد بن تركي السديري بمناسبة تعيينه أميراً عليها ، وكان ذلك سنة ١٣٩٨هـ ، ومطلع تلك القصيدة :

من حفيف النخيل خلف البحار　　صغتُ لحني وأورقت أشعاري [2]

والقصيدة السادسة من قصائد (عتاب إلى البحر) عنوانها (فرسان تخاطب البحر) ألقاها الشاعر على شرف معالي وزير الزراعة والمياه بمناسبة افتتاحه محطة تحلية المياه بجزيرة فرسان سنة ١٣٩٩هـ ، وفيها يقول :

هذه ليلتي ويوم حياتي　　صرت يا بحر دجلتي وفراتي [3]

فالشاعر يدور ضمن دائرة المناسبة ، فهي التي كانت تحرّك جذوة الشعر في ذاته، وتجربته رهن إشارتها .

ولا يعني هذا أنَّ كل قصائد مفتاح في هذا الديوان تنزع عن هذا التوجه ، لا، بل هناك قصائد حنين ووجدانيات ، وفخر بالوطن والانتماء إليه ، ومشاركة في قضايا العروبة والإسلام ، تتناثر في شتى قصائد البدايات التي كتبها مفتاح ، حتى في قصائد المناسبات تجده يطرق ويتطرق دائماً إلى الاعتزاز بانتمائه إلى هذا الوطن والمنهج الذي يسير عليه ، ومن ذلك قوله في قصيدة (حديث البحر) :

وطنٌ لو جنوبه أنَّ يوماً　　سُمعت في شماله الأواه
عبق الوحي والرسالة والطـ　　ـهر والقداسات كلها في ثراه
شع في الأفق فجره يتسامى　　وعنت فيه للإله الجباه
هاهو الغار مايزال طروباً　　حين تتلى من آيه (أن رآه)
موطن الصّيد كلما مرَّ يومٌ　　شمخ المجد فوق شم ذراه

(١) المصدر السابق : ٢٣ .
(٢) المصدر السابق : ٢٨ .
(٣) المصدر السابق : ٣٢ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

حقب الدهر والعصور الخوالي لم تغير لألاءه ونقاه [1]

ومن معالم تلك المرحلة في شعر إبراهيم مفتاح إكثاره من نظم قصائده على منوال قصائد مشهورة لرواد الشعر في جازان ، والتأثر بمعانيهم وأساليبهم ، فمن مظاهر تأثره بالشاعر محمد بن علي السنوسي قصيدتُه (رجاء يا أبي) ، وفيها يقول مفتاح :

دعني أذاكر في كراستي درسي دعني أهيء في مستقبلي نفسي
دعني أرتب فوق الدرج أمتعتي دعني أنظم ما يسمو به حسّي
دعني أحطّم أوهاماً مكبلة بها العقول وأرنو اليوم للشمس
دعني أتابع تعليمي على نهج من الشريعة في تنزيلها القدسي
دعني أواصل تثقيفي بمدرستي وأدفن الجهل والماضي الذي يؤسي

وفي آخرها يقول :

غداً أبي يصبح التاريخ صنع يدي غداً تكون بلادي كلها غرسي [2]

فهو في هذه القصيدة متأثر بقصيدة السنوسي (طموح) التي يقول فيها :

دعني أواصل تعليمي وتثقيفي يا والدي أنا لا أرضى بتوظيفي
دعني أفكر في درسي وفي كتبي أرجوك أرجوك من لومي وتعنيفي [3]

إلى أن يقول :

يا والدي أنا أرجو أن أراك غداً أبا لنجلٍ بعيد الصوت غطريفِ [4]

ولكنَّ مفتاح لم يضف إلى معاني السنوسي أيَّ جديد ، بل إنَّ السنوسي قد أبان لنا عن أثر نداء الابن لوالده ، وتفاعل الوالد معه ، حيث قال :

وأطرق الشيخ مشدوها وقد عصفت به الخواطر عصف الريح بالليف

(١) المصدر السابق : ٢٥ – ٢٦ .
(٢) المصدر السابق : ٥٠ – ٥١ .
(٣) الأعمال الكاملة : ٣٦٦ – ٣٦٧ .
(٤) المصدر السابق : ٣٦٧ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

ماذا لقد سمعت أذناه فلسفةً　　وحكمة وطموحاً غير معروف
ومرَّ في فكره عمرٌ يعايشه　　على الجهالة ملفوفاً بملفوف
فاغرورقت عينه الشكرى بدمعته　　وضمَّه في حنانٍ جدّ مشغوف
وقال والفرح الفياض يغمره　　سر، يا بنيَّ ولا تنظر إلى السِّيفِ[1]

بينما لم يفصح لنا إبراهيم مفتاح عن ردّ والده عليه ، ومدى أثر تلك النداءات الموجهة إليه ، ولو فعل ذلك لحقق الهدف الرئيس من التجربة ، وهو إبراز الصراع الحضاري في بدايات النهضة السعودية المعاصرة ، بين شباب طموح نحو التعلمّ وآباء كانوا بحاجة إلى أبنائهم ليشاركوهم في مزارعهم وأعمالهم الخاصة ، وعدم إفصاح مفتاح عن رأي والده لم يحقق للتجربة ذروتها ، على أنَّ بعض النقاد يرون أنَّ ترك الشاعر بعض ملامح الحدث أو الحوار ، أو إخفاء النتائج فيه متعة ودعوة إلى مزيد من إفساح التأمل للقاريء والمشاركة في وضع بعض ملامح النصّ ولمساته الأخيرة ، ولا أظن أنَّ هذه النظرية كانت واضحة لدى مفتاح عند إنشائه ذلك النص في تلك المرحلة من بداياته الشعرية .

وكذلك تأثر الشاعر مفتاح في قصيدته (ربيع الحياة) التي مطلعها :

يا ربيعُ الحياة أين الربيع　　كل شيء من الحياة يضيع
جف من وجهك الشباب المندى　　وذوى الغصن والقوام البديع[2]

بقصيدة السنوسي (ياربيع الحياة) التي يقول في أولها :

يا ربيع الحياة أين ربيعي　　أين أحلام يقظتي وهجوعي
أين يا رائع الشبيبة آمال　　شبابي وأمنيات يفوعي[3]

ومثلما تأثر مفتاح بالسنوسي ، تأثر كذلك بمحمد أحمد العقيلي في بعض قصائده، من ذلك قصيدة مفتاح (تهويمة على ربوع أبها) التي يقول فيها :

(١) المصدر السابق : ٣٦٧ – ٣٦٨ .
(٢) عتاب إلى البحر : ٥٦ .
(٣) الأعمال الكاملة : ٤٠١ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

أنـا قـادم أبهـا لكـي ألقـاكِ　　أفتنـصتين لبلبـلٍ غنّـاك [1]

فهي تحاكي قصيدة العقيلي (جازان) التي مطلعها :

جـازان إني مـن هـواك لـشاكي　　أفتعطفـين لمدنـفٍ بهـواكِ ؟[2]

وتأثر الشاعر مفتاح في بداياته الشعرية بموجة الرومانسية الطاغية في الوطن العربي آنذاك ، وتأثره جاء في محاولته إبراز بعض المضامين الشعرية ورصف بعض تهويمات الرومانسيين وشكوكهم وأحزانهم وهروبهم من واقعهم الذي يعايشونه ، فنجد لديه ألفاظاً رومانسية شائعة مثل (الشك) في قوله :

عذبيـني بلوعـتي عـذبيني　　وخـذيني فالـشك أوهـى يقيني [3]

وقوله :

أنـا في وحـدتي أصـارع شـكّي　　بـين يأسـي وحـيرتي ويقينـي [4]

وسيطرت كثيرة من العناوين الرومانسية على قصائده مثل : (الربيع المختال) [5] ، و (أنا والليل) [6] ، و (حيرة) [7] ، و (قلق) [8] ، و (مواكب الأفراح) ، وفيها تظهر معالم الهروب من الواقع إلى الطبيعة ، حيث الحياة الصافية الخالية من الصخب والمليئة بالحب، إذ يقول :

وعنـد البحـيرة أو في الغـدير　　تعـالي نبـث رؤى حبنـا

ونقضي السويعات تحت الأصيل　　لتمـزج ألوانـه شوقنـا

(١) عتاب إلى البحر : ٤٣ .

(٢) الأنغام المضيئة : ٦١ ، والشطر الثاني من المطلع غيّره العقيلي بعد ذلك عندما نشر مجموعته الشعرية إذ صار (فتنصتي لهزارك وفتاك) . انظر : المجموعة الشعرية : ٢١٦ ، والتاريخ الأدبي للعقيلي : ٣/ ١٣٧٦ .

(٣) عتاب إلى البحر : ٧٥ .

(٤) المصدر السابق : ٨٢ .

(٥) انظر : المصدر السابق : ٧٩ .

(٦) انظر : المصدر السابق : ٨٢ .

(٧) انظر : المصدر السابق : ٨٥ .

(٨) انظر : المصدر السابق : ٨٦ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

تعـــالي نغـــرد بـــين الحقـــول　　ونبـــــني عـــشاً لأحلامنـــــا
غـداً سـوف يحنـو علينـا الربيـع　　فتخـضرُّ حبـاً رُبـى أرضنـا[1]

وانطلاقاً من التاثر الرومانسي شاع في شعره الحبّ العفيف الطاهر ، وهو الذي يقول:

لـيس عـاراً بـأن نحـبَّ ولكـن　　كيـف نغـدو بحبنـا أطهـارا [2]

ولكنه يغرق أحياناً في الحب المتناهي الذي يتنازل فيه المحب عن كل شيء من أجل محبوبه ، بل إنه يدعو محبوبته إلى إحراقه أو صهره والنهل من ذلك الكأس المليء بعصارته ، كما في قوله في قصيدة (دعيني أحترق) :

أجّجـــي شـعلة الهيـام إذا مـــا　　قـدم العهـد بيننـــا واتركيـــني
أتلظَّـى عـلى مراجـل شوقـي　　وإذا مـا اشتعلـت لا تطفئيـــني
لا تخـافي إذا انـصهرتُ وذابـت　　فيـك روحـي وراح يخبـو أنيني
فاعـصريني إذا وجـدت بقايـا　　واملىء الكأس عندها واشربيني
عل روحي تحسّ طعم وجودي　　ولعلـي أفيـق إن ترشفيـني [3]

والمتأمل في شعر مفتاح لا سيما في بداياته الشعرية ومرحلة المحافظة التي مرَّ بها يجد سيطرة البحر ومفرداته على لغته ، وليس هذا غريباً على شاعر أنَّى اتجه فالبحر محيط به ، يعيش في جزيرة يحتضنها البحر من كل الجهات ، وقد قدّم الشاعر ديوانه (عتاب إلى البحر) بمقدمةٍ أفصح فيها عن سرّ استئثار البحر بلغته وصوره ، فقال : ((**لعلك عندما تقرأ ديواني تشمّ فيه رائحة البحر وتحسّ من خلاله اضطراب الأمواج . إذا شعرت بشيء من ذلك فاعذرني ؛ لأنني في أحضان البحر خلقت وعلى شطآنه نُشِّئت ؛ لذلك ستجدني دائماً ناشراً شراعي محركاً مجدافي ، ولكنني رغم هذا وذاك مازلت أواصل الإبحار** ...))[4] .

ومن هنا فإن أكثر الكلمات تكراراً في شعره هي من مفردات البحر وقاموسه

(١) المصدر السابق : ٨٨ – ٨٩ .
(٢) المصدر السابق : ٦٩ .
(٣) المصدر السابق : ٧٦ .
(٤) المصدر السابق : ٩ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

كـ(الخضم) ، و(الموج) ، و(الشراع) ، و (الشط) ، فكلمة (الموج) مثلاً وردت أربع عشرة مرو في ديوانه (عتاب إلى البحر) ، وكلمة (البحر) وردت ستاً وثلاثين مرة . بل تكررت بعض التراكيب في شعره مثل : (ابنة البحر) و (ابنة الشطّ) ، فالتركيب الأول، ورد ثلاث مرات ، من مثل قوله :

يـــا ابنـــة البحـــر ســـلام مـــن فـــتى يلقـــاك يحلـــم[1]

والتركيب الثاني وردأيضاً ثلاث مرات ، كما في قوله :

يـا ابنـة الـشط في فـؤادي غـرام شاعـــريٌ ولهفـــة للتـــلاق[2]

والشاعر رمز بابنة البحر لـ (فرسان) وبابنة الشط لمدينة (جازان) ، بل إنَّ جلّ صور الشاعر قد أتت من مشهد البحر والبحّار ، والشط والشراع والزورق والمحار ، وعدم مفارقة هذا المشهد البحري في سائر المواضيع وشتى المواقف الشاعرية لمفتاح ، ففي رثائه الملك فيصل بن عبدالعزيز نجده يشبه صراع الملك فيصل ضدّ الفساد الفكري والفتن المحيطة بالبّحار الذي يضطر إلى ركوب البحر وهو في أشد لحظاته هياجاً ، فيصارع الأمواج العاتية والرياح الشديدة ، ويتجاوز كل المخاطر ليصل إلى شط الآمان ، فيقول :

وأتـى الفيـصل العظـيم امتـداداً لأبيـــه والـــشبل يحـــدو أبـــاه
عـاش والمـوج صـاخب والمـواني غارثـات والركـب يخـشى سُراه
فتحـــدّى الريـــاح والـــيم طـــاغ وتهـادى سـفينه حيـث تاهـوا
وإذا الـريح والعواصـف والمـو ج نـسيم يحـي النفـوس شـذاه[3]

ونجد عدداً من الصور المتلاحقة في قصيدة (الهوى المفقود) ، وكلها مأخوذة من البحر ومتعلقاته ، كما في قوله :

أيهـا الـسابح يـم الذكريـات أتـرى نرسـو عـلى شـط النجـاةْ

(١) المصدر السابق : ٣٦ .
(٢) المصدر السابق : ٣٩ .
(٣) المصدر السابق : ٢٦ – ٢٧ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

أترانـــا نتلاقـــى مـــرة　　يستعيد العمر ما في العمر فاتْ
كلنـا يـسبح مـن غـير هـدى　　والقلـوع البـيض تحـت الظلـماتْ
أيهـا الـنجم الـذي نهـدى بـه　　والـصباح اللؤلـؤي البـسماتْ
والمجـاديف التـي نلهـو بهـا　　في مجارينـا وحلـو الـنغماتْ[1]

ولعل القارئ يلحظ تكدّس الألفاظ التي يمكن أن أسميها تجاوزاً (البحرية) مثل : (السابح ، اليم ، نرسو ، شط ، يسبح ، القلوع ، اللؤلؤ ، المجاديف ، مجارينا ..) .

والمقدمات في قصائد مفتاح لم تعد مقدمات طللية أو غزلية ، وإنما أضحت مأخوذة من رحلة البحر التي ألفها الشاعر يومياً من فرسان وإليها ، فمن ذلك مقدمة قصيدة (تهنئة واعتذار) ، حيث جاء فيها :

من حفيف النخيل خلف البحار　　صغت لحني وأورقت أشعاري
وعلـى معـزفي شـدوت بلحنـي　　وأذبـت الـشجون في أوتـاري
وتجـشمت في سبيـل وصـولي　　مـا نعـاني مـن قـسوة التيـار
واقتحمت الريـاح والبحـر طـاغٍ　　فتحـدى هياجـه إعـصاري
لم أبـال الظـلام والليـل داجٍ　　وعلى البحر قد فرضت انتصاري
ودليلـي إليكـمُ كـان نجمـاً　　لاح في الأفق فاستبنت نهاري[2]

وتظهر في بدايات مفتاح الشعرية بعض ملامح الضعف اللغوي والركاكة في تعبيراته ، من مثل قوله :

أيهـا الراحـل العظـيم وداعـاً　　فـشعوري تـصاب بالهـذيان[3]

فالشطر الثاني ركيك ومضطرب ، ويخف الاضطراب لو قال : أُصيب بالهذيان وكذلك في قوله :

(١) المصدر السابق : ١٠١ .
(٢) المصدر السابق : ٢٨ .
(٣) المصدر السابق : ٢١ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

لستُ أدري كيف جئنا وتناجت ناظرانا [1]

فالصواب : وتناجى ناظرانا .

وتظهر أحياناً أساليب لغوية في شعره فيها شيء من الغرابة والضجيج وعدم الملاءمة بين الصفة والموصوف ، كما في قوله :

بـــارك الله شبابـــاً واعيـــاً　　نـــوره العلـــم إذا اشـــتدّ دجانـــا

حـــاربوا الجهـــل بعقـــلٍ مـــاردٍ　　لم يـــزده العنـــف إلا عنفوانـــا [2]

فكلمة (مارد) هنا غير ملائمة للعقل ، الذي هو عنوان الاتزان والحكمة . هذا إضافة إلى بعض الهنات الموسيقية التي صاحبت بداياته ، إذ يُضطر كثيراً إلى تسكين المتحرك ، من مثل :

أنـــا يـــا فرْســـان قلـــبٌ　　ملـــؤه الحـــب المنغّـــم [3]

ومثل قوله :

وانظـــري حلـــك الليـــالي　　كيـــف يجليـــه القمـــر [4]

وقد حاول إبراهيم مفتاح في ديوانه الأول أن يفيد من بعض معالم التجديد الموسيقية من مثل القصائد المبنية على المقاطع الثنائية والرباعية وغيرها ، كقصيدة (تأملات) [5] ، وقصيدة (مناجاة على الشاطئ) [6] ، و قصيدة (أعطني لله) [7] . ومع هذا بقي أسير المضامين المحافظة ، ولم يستطع أن يخطو الخطوة القوية التي تجعله يقف في صف المجددين .

وإذا كان الشاعر لم يستطع أن يخطو تلك الخطوة في ديوانه (عتاب إلى البحر) ،

---

(١) المصدر السابق : ٨١ .
(٢) المصدر السابق : ١٢ .
(٣) المصدر السابق : ٣٦ .
(٤) المصدر السابق : ٥٢ .
(٥) المصدر السابق : الصفحة نفسها .
(٦) المصدر السابق : ٥٤ .
(٧) المصدر السابق : ٦٦ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

فإنه استطاع أن يفعل ذلك الشيء في ديوانيه اللاحقين ، وهما : (احمرار الصمت) و(رائحة التراب) ، إذ استطاع فيهما أن يتجاوز تلك التجارب الخجولة ؛ فطّور أدواته الفنية ، وأصبحنا نقرأ له شعراً غاية في الجدة لغة وتفكيراً وموسيقى وتصويرا .

ففي شعره الجديد نلحظ تجديداً في بعض المضامين ، فإذا كان الشعراء مثلاً كانوا يشتكون من طول الليل وثقله ، ويتمنون أن يشرق الصباح فإننا نجد إبراهيم مفتاح في أكثر أحاديثه عن الليل يفصح عن موقف آخر مختلف ، فالليل عنده لم يعد طويلاً ، بل إنه ليرحل والعيون خلفه حسيرة ، تتمنى أن لو يقف ولو للحظات ، وأصبح للسهر طعم خاص ، ومذاق مختلف ، كما يقول :

في ليالي الوصل كانت
ترتمي شمس النهار
تلد الأنجم والهمس
وأحياناً تبوح
. . .
كان شعر الليل
مجدولاً على كتف المساء
وشفاه الأعين كانت
تحتسي طعم السهر (١)

ومضى الشاعر مفتاح يطرق الموضوعات الدقيقة والتأمل في أسرارها وتفاصيلها، فمن مشاهد الطبيعة من حوله المليئة بالأزهار والأشجار والعصافير والأطيار ، بل تجاوز ذلك إلى إبراز مدى تأثير تلك الموجودات في نفسه ، يتحدث عن (الزهرة) ، فيبرز لنا جانباً غامضاً منها ، بل ودقيقاً قد لا نأبه به أو نتوقعه ، وهو الصلة الحميمة بين الزهرة والتربة التي استقت منها ماءها ، وحصلت عن طريقها على غذائها ،

(١) احمرار الصمت : ٦٢ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

فتجيب الزهرة على أسئلة البشر من حولها قائلة:

لأي الفصول أنا أنتمي ومن صب هذا الشذا في فمي ؟
ومن ذا سقاني كؤوس الضياء تذوب احمراراً على مبسمي ؟
ولملم في وجنتي الضحى وعتق طعم اللظى في دمي
وفي معطف الليل إذ ضمني سقاني الندى فتنة الأنجم
يعانقني في الدجى طائر وفي ناظري إن غفا يحتمي
ويسألني بنت أي الحقو ل فقلت لأرضي أنا أنتمي[1]

ويتحدث عن الانتظار ، فيعمد إلى موضوع طريف وهو وصف خفايا الساعة التي يلبسها وحركة عقاربها وأثرها على نفسيته ، فيقول في قصيدة (ساعتي) :

لفاتنتي ساعة ساعتان وفي معصمي ساعة واحدة
لها عقربٌ في مسار الزمان وآخر ينبو عن القاعدة
يتممُ حيناً وحيناً يئنُّ ويسقط دقاته الزائدة
وحيناً يبدّد ساعاته ويمضغ وقتاً بلا فائدة
وحيناً يلملمُ في صمته ثواني من عمرها شاردة
ويوقظها من سُباتِ المغيب لتُمسي على عصرها شاهدة
وحيناً عقاربها لا تدور وتمكُثُ في معصمي راكدة
تعبئ طاقاتها بالفراغ وتهبط في لحظة صاعدة
تحيّرني ساعتي إن صحوت تراخت وألفيتها جامدة
وإن هزني في سُراي المسير تُعلّق وقتي على الواحدة[2]

وشاعرنا يحاول كثيراً في شعره تأمل الأشياء من أجل تقريب صورتها ، وتحويل المعنويات إلى أشياء مشاهدة ، فالوطن مثلاً من الأمور التي تتفاوت الأفهام في تعريفه ،

(١) المصدر السابق : ٥٨ – ٥٩ .
(٢) رائحة التراب : ٤٨ – ٤٩ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

نجد مفتاح يعمد إلى بعض معالم الحياة المحسوسة التي يمكن من خلالها إدراك ذاك المعنى الخفي أو المتناهي في الأذهان ضبابيةً وبعداً ، ويبرز لك مقدار حبّه له ، ووصف ذلك الحب وتقريبه أيضاً ، وهذا يحتاج إلى دقة في الرصد والتتبع لما في الطبيعة من مقاربات توافق مشاعر النفس وخلجاتها ، فيقول :

كزرقة البحر كالأشجار كالمطر　　كلوعة النغم المفتون في الوترِ
كقبلة في ضنى طفلٍ تذوّبها　　أمٌ لترشف منه وخزة الضررِ
ها أنت ياموطني في داخلي وهجٌ　　وفي سمائي شعاع مطلقُ البصرِ
وفي فؤادي انطلاق يزدهي ألقاً　　وفي خيالي افتتانٌ رائعُ الصورِ (١)

واستطاع مفتاح توظيف الأسطورة التراثية في شعره كثيراً ، فمثلاً نجده يوظف أسطورة (شهرزاد) الحكائية الواردة في (ألف ليلة وليلة) في حديثه عن مأساة المسلمين في (البوسنة والهرسك) ، للوصول إلى مايريد إبرازه ، والشخصيات عند مفتاح أصبحت أمة منتهكة حقوقها ، وضحايا ، ومجلس أمن ، وعجوز ، وطفل صغير .

وقد بدأ الشاعر حديثه بتغيير جو الحكاية المألوف في حكايات شهرزاد مع الملك شهريار ، إذ حذف بعض معالم ذلك المشهد المألوف ، فلم يعد هناك خوف من شهريار ، وزال ذلك الفراغ الذي تتنفس فيه شهرزاد الصعداء ، وأصبحت كل الأزمنة سواء ، والمأساة لم يعد لها حدود تحدّها ، ولم يعد للنهار ذلك الشوق والانتظار كما في حكاية شهرزاد :

وتهرب من ليلها شهرزاد　　إلى موعدٍ مثقلٍ بالنهار
لتنثر في وجهه وجهها　　وتوقظ فيه بقايا الحوار
يدثرها الصمت والمستحيل　　وبوْح الحديث الذي لا يدار
ولم يك في الوقت ديكٌ يصيح　　ولا في المكان جثا (شهريار)
تناست زمان امتصاص الفراغ　　وشكل الخرافيّ والمستعار
حكاياتها الآن أسمال بؤس　　ومأساة عصرٍ رعاه الكبار (٢)

(١) المصدر السابق : ١٦ – ١٧ .
(٢) المصدر السابق : ٩٦ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ويتحدث الشاعر في قصيدته عن حكايات متتالية لعجوز بلغت من الكبر عتيا ، لقيت من البلاء ألواناً وأشكالاً ، ثم يعرض مأساة طفلٍ بوسني لم يرحم الصرب طفولته البريئة ، فقتلوه من غير ذنبٍ اقترفه ، فمات الطفل ولم يجد حوله من يودعه بقبلة حنان ، يصور ذلك المشهد قائلاً :

فلم يجد الطفل أمّاً رؤوماً تخفف عنه جحيم الحصار
ولا من يلملم أشلاءه ويسبل عينيه في الاحتضار
ويطعمه قبلة للوداع لتنبت في أرضه الاخضرار (١)

وبعد كثير من الحكايات المتتالية لتلك الأحداث المرة ، توقفت شهرزاد عن سرد المأساة ، وتعداد المعاناة ، وصاح ديك على السور ، ولكن ذلك الديك لم يكن له بالأمة الإسلامية صلة ، وإنما كان من ديكة المعتدين ، فيقول :

إلى ها هنا أمسكت شهرزاد وصاح على السور ديكُ التتار (٢)

وإبراهيم مفتاح له كثير من القصائد التي ينتزع فيها لقطة من لقطات التراث ، أو ومضة من ومضاته ، فيوظفها توظيفاً رائعاً ، ويتفاعل معها في ظل الواقع المعاصر ، وقد مرّت معنا قصيدته (لا خراج بعد المطر) التي يستدعي فيها مفتاح مقولة هارون الرشيد الشهيرة التي خاطب بها السحابة وهي تمّر أمام ناظريه ، فيعرض مفتاح تلك الحادثة في معرضٍ فيه كثير من المفارقات ، مفارقات أملاها واقع الأمة المعاصر ، بدءاً من عنوان القصيدة ، فهناك عند الرشيد سيأتي الخراج حتماً بعد المطر ، وعند مفتاح لا خراج بعد المطر ، وهناك في موقف الرشيد كان التفاؤل سيد الموقف ، ولدى مفتاح كان التشاؤم هو المسيطر ، فيقول في آخر قصيدته مخاطباً السحابة :

أمطري بعد ثوانٍ
بعد يومٍ بعد عام

(١) المصدر السابق : ٩٧ .
(٢) المصدر السابق : ٩٨ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

أمطري سيّان عندي
مطرٌ أو لا مطر
زمني عاف الرعود
زمني عاف الوعود
زمني منذ زمان حددته اللاحدود [1]

واستطاع مفتاح أيضاً توظيف الحكاية الشعبية المألوفة في جازان ، مثل حكاية (ست البدور والعفريت) التي وظفها في قصيدته (يا أنت ياتواشيح الخضاب) [2] .

وفي قصائد مفتاح الجديدة يظهر بوضوح تجاوزه المقدمة ، ودخوله لغرضه مباشرة ، حتى وقفات تأمله البحري التي كانت مسايرة لشعره القديم نجدها قد اختفت في قصائده الحديثة ، فقصيدته (جزيرتي ولحظة الوداع) التي قالها معبراً عن مشاعره لحظة الرحيل عن الجزيرة (فرسان) ، بدأها قائلاً :

جزيرتي أحببتُها
الشمس في أكفّها أساور
والليل فوق رأسها ضفائر [3]

وقد أفاد مفتاح في كثير من قصائده الواردة في ديوانيه الأخيرين من عنصر التراسل بين الصفات محققاً للغته شيئاً من المفاجأة والدهشة نتيجة الانتقال من حاسة إلى أخرى ، وابتعد بلغته عن المباشرة والسطحية ، ففي المقطع الواحد من شعره تلمح كثيراً من الدلالات المتحولة ، والمجازات الجديدة من مثل (مفاصل دربي) و (لهاث عاف) و (مساراتي انكسرت سيقانها) وصمت الثواني) الواردة في المقطع التالي من قصيدة (تقاطعات) ، حيث يقول :

---

(١) المصدر السابق : ٣٤ – ٣٥ ، وانظر أيضاً توظيفه لحرب البسوس في قصيدته (البسوس تهبّ من جهة أخرى) ، المصدر السابق : ٢٦ .

(٢) انظر : المصدر السابق : ٤٤ – ٤٦ ، وقد سبق تحليل القصيدة في مبحث المعاني في باب (الدراسة الفنية) .

(٣) احمرار الصمت : ٢٦ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

أنّتْ مفاصل دربي من توجّعها　　وسام خطوي لهاثٌ عاف منطلقي
حتى كأن مساراتي التي انكسرت　　سيقانها تنفض الأفياء عن ورقي
لم تحتمل ساعتي فوضى عقاربها　　ولا ارتداء طريقي بهجة الملقِ
يحمرُّ صمتُ الثواني حين يشطرُني　　فيها التداخل بين الصبح والغسقِ [1]

وكانت المفردة الفرسانية المحلية حاضرة في شعر مفتاح ، فهو شديد الشغف ببعض الأزجال الفرسانية ، لاسيما مما كان يردده صيادو اللؤلؤ عند رحلاتهم الطويلة في عرض البحر ليخففوا به ما يلاقون من معاناة وضجر ، وكذلك ما تردده النسوة اللائي ينتظرن أولئك الراحلين ، فمن ذلك قوله واصفاً لوحة من تلك المشاهد ومسمعاً من ذلك الموّال :

وتردّدت عند الظهيرة لوعةٌ　　ولهانة النغماتِ والوجدانِ
(والي بيادوه) إنني مشتاقة　　(والي بسيدي) كم يجور زماني [2]

فجملة (والي بيادوه والي بسيدي) هو مطلع أغنية شعبية ترددها الأمهات والزوجات في فرسان عند القيلولة تصوّر ما بهنّ من حنين إلى الأحباب الغائبين .

**

هذه بعض ملامح شعر إبراهيم مفتاح الذي استطاع أن يثبت حضوره في واقع الشعر في جازان ، بل في الشعر السعودي ، بما يملك من أدواتٍ شاعرية متمكنة ، ولغة مكثفة أغنت شعره عن الإسهاب والتطويل ، وغنائية راقصة في أشكال شعره المختلفة سواء الموزون المقفى أم شعره التفعيلي [3] ، ومازال شاعرنا في عطائه وننتظر منه المزيد من النجاح .

***

(١) رائحة التراب : ٣٠ – ٣١ .
(٢) احمرار الصمت : ٨٠ .
(٣) انظر مثلاً قصيدته (جزيرتي ولحظة الوداع) في المصدر السابق : ٢٦ ، وفيها مثال واضح على غنائيته المتميزة .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

٢- إبراهيم بن عمر صعابي :

- ١ -

ولد الشاعر إبراهيم بن عمر صعابي بمدينة جازان سنة ١٣٧٤هـ ، وتلقى تعليمه الابتدائي والمتوسط بمدارسها ، وفي السنة الدراسية ٩٣/ ١٣٩٤هـ تخّرج في معهد إعداد المعلمين الثانوي بجازان ، ثم التحق بعد ذلك بكلية الاقتصاد والإدارة بجامعة الملك عبدالعزيز بجدة ، وحصل على شهادة البكالوريوس في الإدارة العامة منها سنة ٩٩/ ١٤٠٠هـ ، ثم حصل بعد ذلك على دبلوم الكليات المتوسطة تخصص : (رياضيات – لغة) من كلية المعلمين بأبها ويعمل حالياً بالتدريس في مدينة جازان .

شارك شاعرنا بكثير من قصائده ومقالاته في الصحف والمجلات المحلية ، وله مشاركة في الميدان الأدبي من خلال عضويته في النادي الأدبي بجازان ، ونادي أبها الأدبي ، وله حضور شعري متميز يتمثل في مشاركاته في الأمسيات الشعرية والملتقيات الأدبية والثقافية في المملكة العربية السعودية ، ومثّل المملكة العربية السعودية في مهرجان الشعر العربي لدول الخليج للفترة من ١٥ – ٢٢/ ٦/ ١٤٠٨هـ ، وفاز بعدة جوائز أدبية منها جائزة أبها الثقافية ، فرع الشعر الفصيح عن مجموعته (وطني سيّد البقاع) سنة ١٤١٨هـ .

**

لا يوجد بين أيدينا من سيرة صعابي أو شعره ما يدل دلالة قاطعة على بداياته الشعرية، إلا أننا نجد قصيدته (هذه استقالتي أيها الحب) قد أُرّخت بـ (سنة ١٣٩٦هـ) أي عندما كان عمره قد بلغ الثانية والعشرين ، ولكن عند تأمل القصيدة عنواناً ومضموناً وشكلاً فنياً نجد أنها تدل دلالة قاطعة أنها ليست هي الأول ، فلا يعقل أن يبدأ الشاعر ناضجاً، بل لا بد أن تكون بداياته متدرجة فيها شيء من الضعف إلى أن يستقيم عوده بعد ذلك ، وتلك القصيدة مطلعها :

أيها الحرف لماذا صرت نارا　　وملأت القلب تعذيباً مثارا (١)

(١) حبيبتي والبحر : ١١٧ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ولشاعرنا أربعة دواوين شعرية [1]، تمثل جزءاً مهماً من شعره ، وليس كلَّه إذ يوجد له عدد من القصائد القديمة التي لم تنشر في دواوينه الشعرية إلى الآن ، أما تلك الدواوين فهي :

١- حبيبتي والبحر :

هو أول ديوان صدر للشاعر صعابي ، وذلك سنة ١٤٠٣هـ أي عندما كان في التاسعة والعشرين من عمره ، وفيه ست وعشرون قصيدة تمثل معالم البدايات في شعر صعابي، وجميع تلك القصائد مؤرخة ، كتبت بين ١٣٩٦هـ - ١٤٠٢هـ ، ولم يرتب الشاعر قصائده وفق أسبقيتها ، إذ جاءت أقدم قصيدة (هذه استقالتي أيها الحب) المؤرخة بسنة ١٣٩٦هـ قبل القصيدة الأخيرة في الديوان .

وقصائد هذا الديوان تمثل جانباً وجدانياً صرفاً ، تتحدث عن حبّ الشاعر لكلماته كما في قصيدة (حب الكلمات) [2] ، ويفصح عن روح الشاعر المتألقة وسمو نفسيته الراقية في أول قصائد الديوان (روح الشاعر) [3] ، كما أنَّه يصف بعض معاناة الحياة التي مرت به في عدد من القصائد مثل (أنا والجراح) [4] ، و (بكائية على صدر اليأس) [5] ، و (هموم قلب) [6] . وتأتي في الديوان بعض قصائد الحنين مثل (إلى حبيبتي أمي) [7] ، و(تموجات في ظل الرحيل) [8] ، و (مناجاة ليل) [9] ، و (جازان) [10] ، و (

(١) صدر للشاعر ديوانان شعريان بعد أن أنهى الباحث أطروحته ، هما : (من شظايا الماء) ، و (وطن في الأوردة) صدرا في آخر سنة ١٤٢٢هـ .
(٢) حبيبتي والبحر : ١١ .
(٣) المصدر السابق : ٧ .
(٤) المصدر السابق : ١٥ .
(٥) المصدر السابق : ١٩ .
(٦) المصدر السابق : ٣١ .
(٧) المصدر السابق : ٢٧ .
(٨) المصدر السابق : ٤٩ .
(٩) المصدر السابق : ٥٣ .
(١٠) المصدر السابق : ٥٩ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

حبّ الرحيل)[1] ، وبعض القصائد الغزلية مثل (سمراء)[2] ، و (أتسألين)[3] ، و (لوعة)[4] و (القتيل)[5]، وقصائد أخرى خاصة مثل (قبلة على جبين أحمد)[6] ، وقصائد تأملية مثل (وهم الحياة)[7] وغيرها .

جميع قصائد هذا الديوان مبنية على الوزن والقافية ممثلة الاتجاه المحافظ الذي بدأ حياته الشعرية وبداياته الأولى وفق أسسه الفنية ، على أنه بدأ في هذا الديوان محاولات وخطوات أولية نحو التجديد الموسيقي بنظم عدد من القصائد على النظام المقطعي[8] ، أو نظام الموشحات[9].

وهذا الديوان هو من منشورات نادي جازان الأدبي ، وطبع في سنة ١٤٠٥هـ مرة ثانية في الدار السعودية للنشر والتوزيع ، دون أي تغيير في عدد القصائد أو ترتيبها أو مضامينها .

٢- زورق في القلب :

وهو ثاني دواوينه الشعرية ، حمل إلينا ثمانٍ وعشرين قصيدة قالها الشاعر بين عامي ١٤٠٣ – ١٤٠٥هـ ، وصدرت الطبعة الأولى من هذا الديوان سنة ١٤٠٦هـ ، واستأثر الاتجاه الوجداني بهذا الديوان كسابقه ، غير أنَّ هذا الديوان تميّز بكونه يحمل بدايات صعابي التفعيلية ففي هذا الديوان سبعُ قصائد تفعيلية هي : (أغنية للتماسيح)[10] ، و (البحث عن

(١) حبيبتي والبحر : ٧٣ .
(٢) المصدر السابق : ٢٣ .
(٣) المصدر السابق : ٤١ .
(٤) المصدر السابق : ٧٧ .
(٥) المصدر السابق : ٨١ .
(٦) المصدر السابق : ٩٧ .
(٧) المصدر السابق : ٤٣ .
(٨) المصدر السابق : ١٢١ .
(٩) المصدر السابق : ١٩ – ٢٢ .
(١٠) زورق في القلب : ٢١ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

إنسان) [١] ، و (اغتيال وعبث) [٢] ، و (الإجهاض) [٣] ، و (السؤال) [٤] ، و(تأشيرة دخولٍ إلى عينيك) [٥] ، و (أخيراً يضيء البحر) [٦].

٣- وقفات على الماء :

وهو ثالث دواوين صعابي ، صدر في عام ١٤١٢هـ عن نادي المدينة المنورة الأدبي ، وفيه ثمان عشرة قصيدة جميعها مؤرخة ، قيلت بين عامي ١٤٠٥هـ - ١٤١٠هـ ، وكثير من قصائد الديوان غلب عليها الاتجاه الوجداني ، وفيه بعض قصائد الرثاء مثل (قراءة في وجه أمي الذي لم يرحل) [٧] ، وقصائد وطنية مثل (هدية البحر مقطوعة حب) [٨] ، و(من أجل عينيك يا وطني) [٩] ، و (هكذا قالت الأرض للنخلة الطاعنة) [١٠] ، وقصيدتان تتحدث عن هموم الأمة وقضاياها ، هما (جرحان يا أمتي) [١١] ، و (الأسئلة) [١٢].

وفي هذا الديوان إحدى عشرة قصيدة من شعر التفعيلة ، ولم يحظ الشعر الموزون المقفى سوى بسبع قصائد فقط .

(١) زورق في القلب : ٤١ .
(٢) المصدر السابق : ٨١ .
(٣) المصدر السابق : ٩٣ .
(٤) المصدر السابق : ١٠١ .
(٥) المصدر السابق : ١١٩ .
(٦) المصدر السابق : ١٤١ .
(٧) وقفات على الماء : ٦٥ .
(٨) المصدر السابق : ٧ .
(٩) المصدر السابق : ٢٥ .
(١٠) المصدر السابق : ١٠٣ .
(١١) المصدر السابق : ٥١ .
(١٢) المصدر السابق : ٩٥ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

٤- وطني سيد البقاع :

رابع دواوين صعابي صدر سنة ١٤١٩هـ ، عن نادي أبها الأدبي ، وهو ديوان صغير الحجم بالنسبة إلى الدواوين السابقة، وفيه إحدى عشرة قصيدة ، قيلت بين عامي ١٤١١هـ - ١٤١٥هـ ما عدا قصيدة (عشق يتكلّم) ، فهي مؤرخة بـ (سنة ١٤٠٤ هـ) [١].

وقصائد هذا الديوان تنطلق من عنوان الديوان ، أي أنها تدور ضمن الاتجاه الوطني ، وقصيدتان فقط تتأرجحان بين الاتجاهين الوطني والاجتماعي ، هما (عشق يتكلّم) [٢] ، و(رسالة مباشرة إلى أب مهمل) [٣] ، فالأولى تمجّد دور المعلم وتثني على جهوده الرائعة ، والثانية يخاطب فيها طفل مجتهد والده الذي شُغل عنه وعن متابعته .

وبتأمل عناوين دواوينه الأربعة السابقة يتبيّن لنا سيطرة المكان على نفسيته إذ اختار شاعرنا ودواوينه الثلاثة الأولى من معجم دلالي واحد ، هو (البحر ومتعلقاته) ، فالأول (حبيبتي والبحر) ، والثاني (زورق في القلب) ، والثالث (وقفات على الماء) ، والرابع ليس بعيداً عنها ، فهو يمجّد وطنه ، ويجعله سيد البقاع .

والشاعر صعابي عمد إلى قصائد أثيرة لديه في دواوينه ، فجعلها عناوين لتلك الدواوين ، فجاءت في الدواوين قصائد جميعها تحمل تلك العناوين [٤]، ما عدا ديوانه الأول ، ولكنه أورد فيه قصيدة عنوانها (أخاف على حبيبتي من البحر) [٥] ، وأظن أنَّ هذا العنوان ليس بعيداً عن عنوان الديوان المختار (حبيبتي والبحر) [٦] .

---

(١) وطني سيد البقاع : ٢٢- ٢٥ .

(٢) المصدر السابق : ٢٢ .

(٣) المصدر السابق : ٤١ .

(٤) انظر : زورق في القلب : ٩٧ ، ووقفات على الماء : ١١٧ ، ووطني سيد البقاع : ٣٦ .

(٥) حبيبتي والبحر : ١٠٧ .

(٦) انظر ترجمة إبراهيم صعابي ودراسة بعض أعماله في : شعراء العصر الحديث ، لعبدالكريم الحقيل : ١/ ١٥٤ ، والتاريخ الأدبي لمنطقة جازان ، لمحمد العقيلي : ٣/ ١٤٠٩ ، وشعراء من الجزيرة العربية ، لعبدالله بن سالم الحميد : ٩ – ٢٠ ، وفرجة النظر ، لأحمد الشفعي : ١/ ٤٥ ، ومراجعات في الأدب السعودي ، للدكتور حسين علي محمد : ١٣ – ١٨ ، ومعجم البابطين ، للشعراء العرب المعاصرين : ١/ ١٣٠ ، وموسوعة الأدباء والكتاب ، لأحمد بن سلم : ٢/ ١٧١ ، وغيرها .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

إنَّ الناظر في نتاج إبراهيم صعابي يجد أنَّ هناك موضوعات معينة سيطرت عليه واستأثرت بأكثره ، أهمها ما كان متصلاً بالمعاني الوجدانية ومرارة الذات ، أو بتجارب الحب التي عاشها .

فشعره مليء بالتأوهات ((**الحزينة المتشكلة في أشجان الغربة والحنين والجراح ، والجفاء والهجر والبكاء واليأس ، كما نلحظ ذلك حتى من عناوين قصائده مثل (أنا والجراح)** [1] **، و(بكائية على صدر اليأس)** [2] **، و (هموم قلب)** [3] **، و(تموجات في ظل الرحيل)** [4] **، و(إلى الطائر المهاجر)** [5] **، و (نغمة الراحلين)** [6] **، إلى آخر ذلك ...))**[7].

ونأمة الحزن هذه التي يلمحها ويدركها قارئ شعره يكثر فيها إشاراته إلى أنَّه يسعى دائماً إلى السراب ، في حين يسعى الآخرون إلى الماء ويجدونه ، وأنَّه لم يجد سوى المرارات ، بل حتى الشعر قد سئم شكواه وأنينه ، فيقول :

سئم الشعر بكائي وأنيني وعذابي
كلما اشتقت إليه صدني عنه اكتئابي
كلما غاب سراب زارني طيف سراب
هل أعيش العمر أشدو بأمانيّ العذاب ؟ [8]

(١) حبيبتي والبحر : ١٥ .
(٢) المصدر السابق : ١٩ .
(٣) المصدر السابق : ٣١ .
(٤) المصدر السابق : ٤٩ .
(٥) زورق في القلب : ١٠٩ .
(٦) المصدر السابق : ١١٣ .
(٧) شعراء من الجزيرة العربية ،لعبدالله بن سالم الحميد : ١٥ .
(٨) زورق في القلب : ٦٦ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

وكثير من قصائده تبدو فيها الكآبة مزاجاً فطرياً دون أن يبدي لنا سبب تلك الكآبة ، فنجد صعابي إذا وصف الطبيعة لا يكاد يستغرق في وصفها حتى ينقلك بصورة مفاجئة إلى الحديث عن نفسيته المتألمة ، وما يعاني من أسى ، فمن ذلك مثلاً قوله :

الشمس والقمر البهيج تآلفا　　كلٌّ له فلك يسبّح في حذر
والله يبدو في بديع سمائه　　والأرض أكبر ما نشاهد من صور
يا نفس ما للريح تحرق زورقي　　ومصادر الإلهام أزعجها الخطر (١)

بل إنه حتى عندما يتأمل في الإنسان ورحلته في الحياة ، فهو لا يريد سوى ذاته ، إذ يتناسى ما أراد تأمله ، ويبدأ في رسم معاناته وأحزانه الذاتية ، ومن هذا ما جاء في قصيدته (إلى الطين المسجّى بالغياب) ، إذ يقول :

أيها الطين المسجى بالغياب　　أعد اللعبة في أيدي الصحاب
واقرأ الآن تفاصيل الردى　　واشرب القهوة من ثدي السحاب
غاسقٌ فوق تضاريس المدى　　لم تنل منها سوى بعض السراب
تتهجى في صباحٍ حالمٍ　　أحرف النار بصمتٍ واكتئاب
ترتمي وحدك في وقدتها　　وترى فيها بدايات الإياب (٢)

وفي تلك القصيدة نعثر على كلماتٍ كثيرة تمثل هذا المعجم المسيطر على شعر صعابي، من مثل (الغياب ، الردى ، سراب ، صمتٍ ، اكتئاب ، وقدتها ، الصبر ، العذاب ، الذئاب، المدّمي ، الجحيم ، جائع ، وصاب ، انكسار ، اغتراب ، وحيداً ، الخراب) (٣) .

ولكثرة حديثه عن الحزن والصمت والألم والمعاناة أحسَّ شاعرنا ، بل اقتنع بأنه

(١) حبيبتي والبحر : ٤٦ .
(٢) وقفات على الماء : ٤٣ .
(٣) المصدر السابق : ٤٣ – ٤٥ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

يواجه الكون بأسره ، وأنَّ كلَّ من حوله يحقدون عليه ، ولذا تغيّرت كل معالم الحياة ، ولم تعد الأشياء هي الأشياء ، ومن ذلك قوله :

إنَّ نفساً تواجُه الكون حقداً لهي نفسٌ مليئةٌ بالجراح
قد ترى الصبح في خضم سواد وترى الليل في رؤى الإصباح[1]

بل أصبحت هناك علاقة حميمة وصلة وطيدة بينه وبين الجراح ، فلذا لا يفتأ يذكرها ويرددها ، وفي ذلك يقول :

كم أعاني من جراحاتي ولكن إنَّ حبَّ الجرح جزء من سماتي[2]

ولكنه أحياناً يفاجئنا بدعوة نفسه إلى الأمل وترك رحلة الحزن التي يعيشها ، وأنَّ طابع الحياة لا يمكن أن يكون كما يريد ، بل هي مطبوعة على الكدر ، وأنَّ حياة الوهم لن تنفعه ، تلك الحياة التي طعنه فيها أقرب المقربين إليه ، فيقول :

حطّم الأحلام يا قلب وعش واقع الدنيا وعانق أملك
راحلٌ أنت غداً أو بعده فاترك الوهم وحدّث طللك
قمة الحب نعيم دائمٌ يزرع الورد ويشفي عللك
أدهشتني رحلة العمر فما من رعى الصحبة إلا قتلك[3]

وفي شعر صعابي الأخير كثير من الأمل الذي حاول أن يعوّض به ما فاته من قبل ، أو ليقنع نفسه بأن ماحاول الوصول إليه لن يحققه التمني أو التحسّر ، فبدأ يتحدث عن الصبح الجديد ومعاني الشموخ والصمود ، ومن ذلك قوله مثلاً :

جئتُ للصبح أغنّي
سيعود الطائر الهاربُ منّي
جئتُ لا شيء على دربي سواكِ
قدمي في الماءِ

(١) زورق في القلب : ١١٤ .
(٢) حبيبتي والبحر : ٩٥ .
(٣) المصدر السابق : ١٢٦ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

ووجهي ضائعٌ بين ادّعاءات هواكِ
ملءُ نفسي أمنياتٌ .. حطّمتها بيدِ الضعف يداكِ
صاعِدٌ كالمجد قلبي
شامخٌ كالخيل قلبي [1]

فهذا المقطع حمل مشاعر مختلفة لصعابي ((**فكلمة (الصبح) في السطر الشعري الأول توحي بالإشراق وتجدد الأمل ، و(الماء) في السطر الخامس توحي بالثورة والعنفوان والتجدد . وتنكير (أمنيات) في السطر السابع يوحي بكثرة الأمنيات التي يتعلق بها قلب الشاعر ، فإن كان قد تحطّم بعضُها يوماً ، وضاع فهو سيحقق الكثير منها ؛ لأنَّ قلبه (صاعد) و (شامخ) ، واستخدامه اسم الفاعل فيهما يُرينا دوام صعوده وشموخه ، فهو لم يهبط ، ولم يتدنّ يوماً ، ولم يعرف الانكسار الذي تصنعه الهزيمة ، أو يسببه ضياع بعض الأماني التي تعلّق بها القلب**))[2] .

وجزء كبير من شعر إبراهيم صعابي نجده مرتبطاً بالمكان ، وبأهم أجزاء هذا المكان تأثيراً فيه هو (البحر) ، إذ في عوالمه يجد ملاذه الآمن ، ويفرّ إليه من شرور الحياة والناس ، يفرّ من الصخب والضجيج إلى حيث السكينة والعزلة والهدوء ، و ((**قد رمى كثير من الدارسين هذا التوجه لدى بعض الشعراء بالسلبية والتشاؤم والشك في طبيعة الحياة والناس ، والفرار منهم إلى الطبيعة النقية عجزاً منهم عن التكيف أمام مقتضيات التحول الحضاري الكبير...**))[3] ، وهذا الحكم لا يصدق على إبراهيم صعابي ، إذ إنه كان بالفعل يحتاج إلى تلك اللحظات التي يخفف بها بعض آلامه ، وسواء أكانت تلك الرحلة أم العزلة في عالم الطبيعة حقيقية أم غير حقيقية ، فإنها قد أدّت دورها ، وحققّت المراد منها .

وعندما نلتقي بالبحر في شعر صعابي نجده رمزاً لتقلّب النفس وتحولاتها من

(١) وقفات على الماء : ٨٣ .
(٢) مراجعات في الأدب السعودي ،د. حسين علي محمد : ١٦ .
(٣) الاتجاه الوجداني في الشعر العربي المعاصر ، د. عبدالقادر القط : ١٢ بتصرف .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ثورةٍ إلى هدوء ، ومن كدرة إلى صفاء ، ونجده أحياناً رمزاً للجمال والبراءة ، وتجد صعابي في أكثر قصائده التي ورد فيها (البحر) يصور معاناته وآلامه مع بني البشر قبل أن يرحل إلى البحر ، أو يركب زورق الراحة فيه ، ومن ذلك قوله :

وربيعي لم يعد يمحو رذاذات اكتئابي
وظنون الريح ترسو فوق أهداب الصواب
مزقتها فإذا الناس جميعاً كالخراب
قتلوا أنفسهم حقداً وعاشوا في ضباب (١)

فالناس عنده أضحوا كالخراب ، يعيشون حياة مليئة بالحقد ، فلذا لابدَّ أن يتركها ويرحل ، ويولي وجه شطر البحر ، ويطلب منه أن يقبله لاجئاً ، وأن يفسح له مكاناً فيه ، ويسائله قائلاً :

كرماً منك أعرني موجةً تحكي انتحابي
سوف أبقيها وأشواقي على أعتاب بابي
وأغنّي قد أتانا الموج في خطو الكعابِ
ينشدُ اللقيا بخلٍّ كاشفاً كلَّ نقابِ

وبيّن الشاعر بعد ذلك مدى حاجته إلى الرحلة في عالم البحر وسببها ومواصفات العالم الذي يريد أن يراه في البحر :

لم تجبني هل من الممكن يا بحرُ اغترابي
فاغترابي فيك أسمى من بقائي في الروابي
علّني ألقى حبيباً باسماً غضَّ الإهابِ
مرهف الحسّ عظيمَ النفس رفّاف الجنابِ

ولكن هذا الحبيب الذي يبحث عنه لم يكن سوى سرابٍ ، إذ لا وجود له في الروابي على البر أو في أثباج البحر :

(١) زورق في القلب : ٢٦ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

فهو يا بحرُ – كما يبدو له – طيف سرابِ [1]

ولذا فليس غريباً أن يمتح صعابي أكثر صوره من عالم البحر وفضاءاته ، وتسيطر لغة الزورق والشاطئ والأمواج المتلاطمة والمياه على لغته ، بدءاً من عناوين دواوينه – كما مرَّ معنا – إلى عناوين القصائد ، إلى المضامين ، وشتى المواقف ، إذ غدا البحر رمزاً ومعادلاً لكثير من إحساساته والصور الجميلة في الواقع ، فالحبيبة التي يتمناها ويبحث عنها تشابه هذا البحر الجميل ، ومن معالم سيطرة لغة البحر وصوره على معانيه قوله :

وجه من الورد في شطآن خاطرتي　　يزهو ويمرحُ في أرجاء إيلامي
أحببتُ دنياي من عينيه أقطفها　　أحببتُ فيه أحبائي ولوامي
نجواه بالضوء للترحال تحملني　　بزورق الخوف .. في رفض وإقدامِ
ما كان أعظم لو أرسى شواطئه　　في قلب محبرتي أو قلب أقلامي [2]

والبحر هو صديق حميم لشاعرنا صعابي ، ففي ديوانه (حبيبتي والبحر) ترد كلمة (البحر) تسعاً وثلاثين مرة ، ويخصص كثيراً من القصائد للبحر ، منها قصيدة (رسالة إلى صديق البحر) ، وفيها يقول :

في طريق البحر أبصرتُ طريقي　　ولمستُ النور في أعماق ذاتي [3]

بل نجده في ديوانه الثاني (زورق في القلب) يهدي ديوانه إلى زوجته (أم أحمد) التي عرفت حبه للبحر ، فحملته إليه في عينيها كما يقول [4] .

وفي شعر إبراهيم صعابي نلمح حديثاً كثيراً عن المحبوبة [5] ، ويتكرر اسمها في

(١) المصدر السابق : ٢٦ – ٢٧ .
(٢) المصدر السابق : ٣٩ ، وانظر أيضاً قصيدة (قبلة على جبين أحمد) في : حبيبتي والبحر : ٩٧ – ٩٨ ، وفيها يُظهر الشاعر سعادة البحر بالمولود الجديد (أحمد) .
(٣) حبيبتي والبحر : ٩٣ .
(٤) زورق في القلب : ٧ .
(٥) انظر تفصيل حديث صعابي عن المرأة في : الاتجاه الوجداني في الباب الأول (الفصل الثالث) .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

أشعاره ، فتارة (منار) ، وأخرى (سمراء) ، وهو يمزج حديثه عن محبوبته بحديثه عن معالم ذكرياته ، وتكاد لا تشك في أنه يتحدث عن محبوبة حقيقية ، ولكن مع التأمل الدقيق نجد أنَّ هذه المحبوبة ما هي إلا الوطن ، سواء أكان مسقط رأسه أم الوطن الكبير .

بل إننا نجد الدكتور حسين علي محمد عند حديثه عن ديوان صعابي (وقفات على الماء) يقول : ((**في هذا الديوان يمتزج الهمّ العام بالبوح الخاص ، فلا تعرف هل كانت المحبوبة التي غنَّى لها أنثى بعينيها أم كانت الوطن ؟**

يقول في قصيدة (بوح من القلب):

ألهمي أصغريَّ سحر المعاني واستريحي على جبين الزمانِ
ودعيني أبادلُ الموجَ عشقاً وأغنّي روائع الألحانِ
واحمليني على يديكِ مليئاً فلقد ملّني أسى الحرمانِ
واكتبيني على الشراع هبوباً وعلى الساحل الجميل أماني
بين صمتي وأضلعي همساتٌ تتوارى كغيمةِ النسيانِ
فامنحي الشاعر المقلَّ صباحاً شاعرياً معطّر الأوزانِ [1]

وتمضي في قراءة القصيدة فتعرف أنه يخاطب مدينة سعودية ارتبطت حياته بها ، فهي السنين ، وهي المرفأ ، وكيف لا ، وهي المدينة التي شهدت طفولته وصباه ، فصارت شيئاً من كيانه ؟ لا غرو إذن أن يتفتتن بهذه المدينة ...ويهيم بها ، فيقول :

يا عروسَ الجنوب يا كلَّ نبضٍ بوريدي ، وأحرفي ، وبياني
يا عروس الجنوب هذا شعور أريحي بساعديك رماني
سفني أنت أعبرُ اليمَّ فيها مستريحاً وأنت أنتِ الموانى
فهنا كانت الطفولة تلهو وبهذا المكان كان افتتاني [2]

وفي كثير من أشعاره المتصلة بوجدانية المكان نرى ذلك الوجد الملتهب بعمق

(١) وقفات على الماء : ١٥ .
(٢) وقفات على الماء : ١٧ ، ومراجعات في الأدب السعودي ، د. حسين علي محمد : ١٣ – ١٤ بتصرف .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

الانتماء لبلدته (جازان) التي كثيراً ما بثها شجونه ونجواه وحنينه ، وفي إحدى قصائده التي جاءت بعنوان (جازان) ندرك ذلك الوجد ، حيث يقول :

عشتُ جازان يا شموس شبابي　　عشت حلماً بداخل الأهداب
من حنانيك قد رضعت قصيدي　　وشربت الهوى فطاب شرابي
سيهون العمر الطويل فداء　　لك يا صوت أدمعي المنساب
عشت جازان يا ربوع حياتي　　فيك ألقى أحبتي وصحابي
أعشق الحب من نسيم هواك　　والأماني من شطك الخلاب
أمل أنت .. أنت لحن يغنني　　في لقائي .. في وحشتي واغترابي (١)

أما الوطن الكبير فله في نفس شاعرنا مكانة عظيمة جعلته يخصص له ديواناً كاملاً هو (وطني سيد البقاع) ، إضافة إلى قصائد كثيرة في الدواوين الآخرى ، فالوطن روحه التي يحملها بين جنبيه ، وهو في الأهمية يساوي دمه الذي يجري في عروقه ، كما يقول :

إني أحمل روحين هما : وطني ودمي
وطني يسكنني .. ودمي في عنف يرشفني (٢)

وتتناثر مفردات الوطن في شعره ، ونلتقي بأجزائه بل إنَّ خريطته لتكاد تكون موزعة على أشعاره ، وفي قصيدة (غيمة الوطن) يقول :

في أرض مكة آيات نعانقها　　وكم من الناس عن آياتها صدّوا
وفي المدينة تاريخٌ نحنُّ له　　منذ احتوانا – على أحلامنا – المهدُ
سل الرياض سل الصحراء كيف غدت　　روضاً يغطّي ثراها الشيحُ والوردُ؟ (٣)

وفي شعره نلمح مكة وما يحمل في نفسه من مشاعر تجاهها كما في قصيدة (هدية

(١) حبيبتي والبحر : ٥٩ – ٦٠ .
(٢) وقفات على الماء : ٤٠ .
(٣) وطني سيد البقاع : ١٩ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

البحر) [1] ، ونجد أبها في قصيدة (أبها هي الشعر) [2] ، ونجد القنفذة في قصيدة (وقفة عاشق) [3] .

ولم تكن نظرة صعابي إلى الوطن نظرة ضيقة ، فالوطن عنده كبير يشمل العالم الإسلامي ، وقد مر معنا عند الحديث عن قضايا العرب والمسلمين مشاركة صعابي الفعّالة بشعره في رصد هموم المسلمين وآمالهم في كل مكان ، ومما يمثل هذا قصيدته (الأسئلة) وفيها يوجه أسئلة إلى نفسه ومن حوله عن سرّ واقع الأمة المؤسف ، فيقول:

إنّي أسألكم
من منَّا أغمد شمعته الحمراء وأسرج شمساً ؟
من منَّا اشتمل الجرأة .. كي يصبح ناراً أو حجراً ؟
من منّا انتفضت في داخله (صبرا) أو (كابل)
أنتَ .. أنا .. أبداً كل مساءٍ يأتي يبتلع الفجرا

إلى أن يقول :

ما جدوى أن نكتب شعراً يشعلُ فينا أشياء
ما جدوى أن نكتب شعراً يكسر فينا الأصداء
ما جدوى أن تبكي أحرفنا الجوفاء [4]

((واستخدام ضمير المتحدثين (نا) هنا ، يُدين الجماعة – وهو منها – التي تكتفي بالمشاهدة ، والإدانة والرفض ، دون الفعل ! فلا تتخذ خطوة للأمام لتواجه واقعها)) [5] .

وتلك القصيدة من روائع شعر صعابي التفعيلي ، غير أنَّه لم يستطع التخلّص من آثار بناء القصيدة التقليدية ، ففي خاتمة نصّه التفعيلي – هذا – يعيد لنا ما بدأ القصيدة به

(١) وقفات على الماء : ٩ – ١١ .
(٢) وطني سيد البقاع : ٢٧ – ٣٠ .
(٣) المصدر السابق : ٤٦ – ٤٧ .
(٤) وقفات على الماء : ١٠٠ .
(٥) مراجعات في الأدب السعودي ، د.حسين علي محمد : ١٥.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

، فيقول:

مَنْ قتل الصحوة في جوف الأمة ؟
مَنْ أجهض في الليل بيانات العتمة ؟
مَنْ نسج الويل على كتف الأرض وزاول تشويه العصمة ؟
ومَنْ اغتال بشرفتنا
أجمل أجمل أجمل غيمه ؟[1]

وإن كان بعض النقاد يرى أن هذا في الشعر التفعيلي ليس عيباً أو حصراً ، وإنما هو وسيلة من وسائل الوحدة العضوية ، حيث تبقي القصيدة قارئها على صلة بما بدئت به ، فيكون من باب ربط النتائج بمقدماتها ، والأسباب بمسبباتها .

وإن كانت العودة إلى القديم في شعره التفعيلي واضحة ، فهي في شعره الموزون والمقفى أكثر وضوحاً ، بل إننا نجد حتى في بعض قصائده المغرقة في الرومانسية رائحة الشيح والخزامى وآثار الأطلال ومخاطبة الصاحب وحادي العيسى ، ومن ذلك مثلاً قوله :

قتلوا في قصائدي كل حبٍ　　قتلوها بخنجر الأهوال
حادي العيس ما لصوتك شجو　　لست فينا برائع الموّال [2]

ورافق ذلك تأثر صعابي في بداياته الشعرية بشعراء العربية المعاصرين ، وأكثر أصوات الشعراء العرب المعاصرين ظهوراً في شعره هو صوت الشاعر اليمني عبدالله البردّوني ، فصعابي قد أبحر في بحر البردوني ، ولم يسلم من التشبث بصيده من لؤلؤ ومحار – ، وما يحمله الزورق من أصداف[3] .

نقرأ قصيدةإبراهيم صعابي (زورق في القلب) التي يبدأها بالتساؤل قائلاً :

من قال : إني قد نفضت يدي　　وهواك مرسومٌ بصدر غدي

(١) وقفات على الماء : ١٠١ .
(٢) حبيبتي والبحر : ٨٣ .
(٣) انظر : شعراء من الجزيرة العربية ، لعبدالله بن سالم الحميد : ١٩ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ما بين جمجمتي وخاصرتي تترحّل الطعنات في جسدي
الذكرياتُ تجيء مثقلةً بهموم قلبٍ عاش في نكدِ
أنت الذي حطَّمت روعته لم تبقَ إلاّ رغوة الزبدِ
ضاقت به الدنيا وقد علمت أن الذي يغتالني سندي
فعرفت أنك زورق خطر وأفقت من أرق ومن رمدِ
إن الحقيقة عنك قد صرخت قالت ، مللت هواي للأبدِ
الحب أكبر أن نحيط به الحب تضحية مدى الأمدِ
بذل بلا منٍّ ولا مللٍ لا وصف للعناب والبرد
أبحرت في عينيك مغترباً ما أروع الإبحار في بلدي
يا صاحبي إني على سفرٍ دعني أمدّ إلى يديك يدي [1]

فنجد فيها صوت البردوني واضحاً كل الوضوح من خلال قصيدته الشهيرة (غريبان وكانا هما البلد) ، ومما جاء فيها قوله :

مَنْ ذلك الوجهُ..؟يبدو أنَّه جندي لا بل يريمي سأدعو جد مُبتعدِ
عرفته يمنياً في تلفته خوف .. وعيناه تاريخٌ من الرَّمدِ
من أين يا ابني ولا يرنو وأسأله أدنو قليلاً : صباح الخير يا ولدي
يسعد صباحك يا عمّي أتعرفني فيك اعتنقت أنا قبلت منك يدي
لاقيتُ فيك بكيلا حاشداً عدناً ما كنتُ أحلم أن ألقى هنا بلدي
عرفتُ من أنت ياعمي تلال (بنا) (عيبان) أثقله غاب من البردِ
(شمسان) تنسى الثريا فوق لحيته فاها وينسى ضحى رجليه في الزبدِ
..... وهم مثلي بلا هدف يا عم ما أرخص الإنسان في بلدي
والآن يا ابني؟ جوابٌ لا حدود له اليوم أدجي لكي يخضرّ وجه غدي [1]

(١) زورق في القلب : ٩٧ – ١٠٠ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

[1]

وفي شعر الغربة يدفع صعابي زورقه نحو شواطئ خير الدين الزركلي ، فيعمد إلى قصيدته (نجوى) التي يقول فيها :

العين بعد فراقها الوطنا　　لا ساكناً ألفت ولا سكنا
ريّانةٌ بالدمع أقلقها　　أن لا تحسّ كرىً ولا وسنا
والقلب لولا أنّةٌ صعدت　　أنكرته وشككتُ فيه أنا
ليت الذين أحبهم علموا　　وهموا هنالك ما لقيت هنا
ما كنت أحسبني مفارقهم　　حتى تفارق روحي البدنا[2]

فينظم صعابي على منوالها قصيدته (طائر وشجن) ، ومما جاء فيها قوله :

يا باعث الأشجان أين أنا　　فصدى الجراح يسابق الزمنا
فانعم على خل يذوب جوى　　قد فارق الأهلين والوطنا
يا طائر الوطن البعيد أما　　أنت الذي منح النفوس هنا
فالنفس بعد سماعها نغماً　　لا هجعة ذاقت ولا وسنا
ماذا تقول لعاشقٍ دنفٍ　　أعطاك صفو الروح والبدنا[3]

وفي تأثر صعابي بالبردوني أو بالزركلي لم يستطع أن يتجاوزها أو يضيف شيئا ذا بال على مضامينها ، ولعل هذا التأثر وتلك المحاكاة كانت في بداياته الشعرية ، وقد يعذر الشاعر في بداياته إذا حاول تتبّع النماذج الراقية التي اختزنتها ذاكرته والتأثر بإيقاعاتها.

وإبراهيم صعابي بدأ منذ صدور ديوانه الثاني (زورق في القلب) التحول نحو شعر التفعيلة ، فجاء ذلك الديوان حاملاً بداياته المتواضعة في هذا التشكيل الموسيقي ، وحفل الديوان الثالث (وقفات على الماء) بأفضل قصائده التفعيلية على ما رافق بعضها

(١) ديوان عبدالله البردوني ، ٢/ ٣٩٤ – ٤٠١ .
(٢) ديوان الزركلي ، الأعمال الشعرية الكاملة : ٢١ .
(٣) زورق في القلب : ٧٧ – ٧٨ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

من هناتٍ واضحة سواءً في محاولته الحفاظ على التقفية واضطراره لاستخدام الكلمات التي تقلّل من فنيّة القصيدة وشاعريتها ، ففي قصيدة (الأسئلة) يقول :

مَنْ قتل الصحوة في جوف الأمهْ ؟
مَنْ أجهض في الليل بيانات العتمهْ ؟
من نسج الليل على كتف الأرض
وزاول تشويه العصمه ؟
ومن اغتال بشر فتنا أجمل أجمل غيمهْ (١)

((فاستخدامه في السطر الثاني للفظة (العتمة) استخدام غير ملائم ، فالبيانات التي يتحدث عنها في هذا السياق من المفترض أن تكون بيانات تبشّر بالإشراق والنصر والفجر ، ولو وضع إحدى هذه المفردات : الإشراق أو النصر أو الفجر ، لاستقام الوزن، واستقام التعبير ، وكان أجود ... ومحاولة الشاعر المحافظة على موسيقى القافية هي التي جعلته يأتي بكلمة (العتمة) ، مع أن استخدامه لها غير ملائم ، فهو في هذا السطر الشعري نفسه أخبرنا أن هذه البيانات قد أُجهضت في الليل ، فضلاً عن أنَّ إضافة (العتمة) إلى بيانات) قد يجعل القارئ يفهم عكس ما يُريد الشاعر ، فيظن أنَّ بيانات الليل والعتمة هي بيانات البهتان ، بينما المراد غير ذلك ...

ويخطئ أحياناً في الوزن ، ففي (وقفة ٣) من قصيدة (وقفات على الماء) يقول :

لهذا المساء
جحيم يساوم في الظل دفء المكان
ويدهشني وجهك المستطيل كوجه الهوان
فأرسمُ بحراً على شفتيك
وعيداً جميلاً وباقة إقحوان (٢)

والسطر الأخير مكسور ؛ فالشاعر يستخدم تفعيلة بحر (المتقارب) (فعولن) ،

(١) وقفات على الماء : ٩٧ .
(٢) المصدر السابق : ١٢٢ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

ولكن السطر الآخير جاء وزنه على النحو التالي :

وعيدا / جميلاً / وباق / ة أقحوان

فعولن / فعولن / فعول / مفاعلان))[1].

أما في ديوانه الرابع فلم يورد صعابي أي قصيدة تفعيلية ، وجاء (وطني سيد البقاع) في قصائد موزونة ومقفاة ، ولا أدري سبب ذلك ، علماً أنَّ له في الفترة التي حملت لنا تلك القصائد – قصائد كثيرة تفعيلية وفي الوقت ذاته تسير في الاتجاه الوطني .

وبعد ، فهذه بعض الوقفات مع إبراهيم صعابي شاعر البحر الذي استطاع أن يقاوم الصعاب ، ويصل بزورقِ تجاربه الشعرية إلى شاطئ الأمان رغم قسوة الأمواج ، وشدة الرياح ، ومع هذا فهو بحاجة إلى أن يقويّ أشرعته ، ويحصّن زورقه في مستقبل الأيام .

***

(١) مراجعات في الأدب السعودي ، د. حسين علي محمد : ١٧ – ١٨ ،وانظر أيضاً مثالاً آخر على الأخطاء الموسيقية في شعر إبراهيم صعابي التفعيلي في : وقفات على الماء ،قصيدة (تحولات) : ٣٩ ، وهذه الأخطاء تغتفر في بحر حسناته الفنية الكثيرة ، وإمكاناته الجيدة في سائر شعره .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

٣- أحمد بن يحيى بهكلي :

- ١ -

ولد الشاعر أحمد بن يحيى بن محمد بن أحمد البهكلي في أبي عريش سنة ١٣٧٤هـ ، ونشأ في حجر والده يحيى البهكلي الذي رعاه أتم رعاية ، وهيأ له الجو العلمي والتربوي الملائم ، حيث ألحقه بالدراسة الابتدائية في صامطة ثم في صنبة ، ولما رحل يحيى البهكلي إلى الرياض للدراسة في كلية الشريعة كان ابنه أحمد برفقته ، وذلك سنة ١٣٨٣هـ ، وفي الرياض أتمّ أحمد البهكلي المرحلة الابتدائية في مدرسة أحمد بن حنبل ، ثم درس جزءاً من المرحلة المتوسطة بالرياض ، وفي سنة ١٣٨٨هـ تخرّج والده في كلية الشريعة بالرياض وعيّن مدرساً بمدينة أبها ، وفي أبها يكمل شاعرنا دراسته المتوسطة والثانوية بالمعهد العلمي في أبها ، وفيه التقى بعددٍ من المدرسين الذي أثروا في شخصيته وثقافته ، فكانوا يحثونه على القراءة ، واستشرفوا مستقبله الآدبي ، ومبادئ نبوغه الشعري ، وفي ذلك يورد البهكلي قصة تعرّفه على بعض الآثار الثقافية ، فيقول : ((**ويعود اهتمامي ... إلى المرحلة المتوسطة في أواخر الثمانينيات الهجرية حينما سألني أحد معلمي في معهد أبها العلمي عمّا إذا كان كتاب (نفح العود) لعبدالرحمن ابن أحمد البهكلي المتوفى عام ١٢٣٦هـ موجوداً في مكتبة والدي . حينها حملت هذا الاستفسار إلى والدي- حفظه الله – فقال لي : إنّ هذا الكتاب مخطوط ، وهو من الندرة بمكان إلى درجة أنه ربما لا يوجد إلا عند قليلين ، ومنهم الشيخ محمد العقيلي ، ولمّا سألت والدي عن هذا الرجل قال لي : إنه مظنة وجود أكثر مخطوطات جنوب الجزيرة العربية . وحينما سألته عما إذا كان في مكتبة الأسرة كتب أخرى للعقيلي ، ذكر لي أن لديه كتابين مطبوعين للرجل هما : كتاب تاريخ المخلاف السليماني ، وديوان الشاعر القاسم بن علي بن هتيمل الضمدي ، ولم يقر لي قرار يوم ذاك حتى اطلعت على الكتابين ، بشكل جعلني أتعلق بهما ، وبغيرهما من أعمال العقيلي التي نشرها بعد ذلك .**

وفي اللقاء التالي بمعلمي الذي أشرت إليه آنفاً أخبرته بما ذكره لي والدي ، وأنَّ لدينا الكتابين الآخرين ، فطلبهما عارية مستردة . ولقد بقي تأثري بالكتابين المذكورين

شبكة الألوكة - قسم الكتب

مستحكما. إذ حبّب ديوان ابن هتيمل الشعر إلى . وقد أورثني ذلك حيرة بالغة حينما أنهيت المرحلة الثانوية ، واتجهّت إلى الجامعة ، فوجدت صعوبة في الاختيار في اختيار التخصص الجامعي بين التاريخ واللغة العربية ، وكان التخصصات في كلية واحدة هي كلية اللغة العربية والعلوم الاجتماعية – سابقاً – في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، لكن إرادة الله حملتني إلى تخصص اللغة العربية))[1] .

ويغادر الشاعر أحمد البهكلي أبها إلى الرياض للدراسة في كلية اللغة العربية ، وفيها تتفتّق مواهبه الشعرية ، وكان بعده عن أبها أهم مثيرات الشعر لديه في تلك الفترة شوقاً وحنيناً ، إذ في أبها كانت بدايات أحلامه ، وذكريات شبابه ، وفي ذلك يقول في قصيدة (يا منتدى الذكريات) :

ما عرفت الحنين حتى تباعدت عن الأثل في شفا القرعاءِ
ما شكوتُ الخواء حتى تناءيت فلم أدن من ربى حجلاءِ
كنت والحب في مغانيك نحيا أملاً راقياً وحلو رجاءِ
أماسينا لقاءات نجوى نثرت من يمينك المعطاءِ
صرتُ من بَعْدُ لا مساءَ يُواتي – بعد نأي – بمأملٍ في لقاءِ
أنت أصبحت منتدى ذكرياتي حيث أمعنت في ضروب احتوائي[2]

وفي الرياض يزداد شاعرنا تعرفاً على الواقع الأدبي ، ويشارك في نشاطات الكلية الثقافية ، ويتتلمذ على يد عددٍ من الأساتذة الكبار الذين شهدتهم كلية اللغة في تلك الفترة ، مما كان لهم الأثر الكبير على رقي أدواته الفنية وسيرها نحو النضوج والكمال.

وفي تلك المرحلة من حياته بين عامي ١٣٩٤ – ١٣٩٧هـ حفلت قصائده بحنين جارف نحو أبها وجازان ، أبها حيث ذكريات الشباب ، وجازان حيث ملاعب الطفولة

(١) المحاضرات والندوات الثقافية في المهرجان الوطني للتراث والثقافة الحادي عشر ١٤١٦هـ ، إعداد : الإدارة العامة للمهرجان : ٦٦ – ٦٧ .
(٢) الأرض والحب : ٢٠ – ٢١ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

، فمن مظاهر شوقه إلى أبها في تلك الفترة قوله :

أبهـا ويبسمُ كـل محـروب أبهـا ويفـرحُ كـل منكـوب
أبهـا وكـل الكـون أبعـدني وجذبتـني فـرأيتِ تقريـبي
وحـضنتني وأنـا الـشريد فلـم أحـزن لمأسـاتي وتعذيـبي
إني انتهـيتُ إلى حنـانكِ يـا شجـني وسعـدي يـا تآويـبي
مـن أيـن ؟ لا أدري سـوى سببٍ لازال يجذبـني ويغـري بي [1]

ويبلغ حبه لأبها أنَّه يحزن ويأسى على مروره بأبها في سنة ١٣٩٦هـ ، ولا يتمكن من المرور بمغاني أبها ومواطن الذكريات فينشئ قصيدته (عفواً أبها) ، ويقدم لها بقوله : ((**في الطريق إلى جازان مررت بمطار أبها وخلال انتظار الطائرة فيه كانت هذه الأبيات** :

تحيـاتي ويـا أبهـا اعـذريني إذا جـاوزتُ رَبْعـكِ في سـكون
وإني مـذ عـشقتك لم أجـاوز ربوعـك قـط فهي ذرى حنيني
ألـست فتـاك يـا أبهـا الـذي لم يكـن في ذات يـومٍ بـالخؤونِ ؟ [2]

وفي آخر سنة ١٣٩٦هـ يعود والده إلى جازان ، ويتنقل الأسرة من أبها نهائياً ، ويصف البهكلي عودته إلى مسقط رأسه أبي عريش في قصيدة سمّاها (عودة) قدّم لها قائلاً : ((**بعد نأي عن مسقط رأسي في جازان استمر عشراً من السنوات قضيتُها في الرياض وأبها .. عدت إلى جازان (أبي عريش – مسقط رأسي) ، فكانت هذه القصيدة والتي بعدها**))[3] .

وفيها يقول واصفاً مجيئه في الصيف ، وكان الجوّ مغبراً آنذاك :

أنـا جئـتُ في ريـحٍ مخرّفـةٍ شـطّت بقلـبي بُرْهـة رعنـا
هـذا الـتراب سـفقتُه زمنـاً بـالله كيـف نـسيتُ ؟ .. مـا أجنـى
هـذي الخبـوت حويتُهـا وحـوت فكـري .. فهـل مـن أفقـه تفـنى

(١) المصدر السابق : ٢٢ .
(٢) المصدر السابق : ٢٤ .
(٣) المصدر السابق : ٢٧ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

تـالله مـا عـشتُ الهـدوء عـلى　　نـأيي البـديع وعيـشتي الوسـنى
عـشْرٌ مـن الـسنوات مـا انطلقـت　　نفـسي إليـكِ فِعـشتها سجنـا [1]

وفي القـصيدة التـي بعـدها – كـما أشـار الـشاعر في مقدمتـه – والتـي عنوانهـا (الأرض والحب) ، يقول متحدثاً عن تلك العودة :

أتيتُك يـا أرضي فهـل لـك في فتىً　　يحبّـك لا يبغـي عـلى حبـه أجـرا
أتيتُـكِ هـاتي ناظريـك فنـاظري　　ملامح شخصٍ هدَّه صَـلَفُ المسرى
أتيتكِ يـا جـازان مـن بعـد فرقـةٍ　　تعلّمـتُ فيهـاً مـا تجاهلتـه غـرا
تعلمـت أن مـا للفتـى غـير أرضـه　　ولو وطئتْ أقدامه فَلَك الشّعرى [2]

وفي سنة ١٣٩٧هـ حصل على شهادة البكالوريوس من كلية اللغة العربية بالرياض ، وبعد تخرجه عُين مدرساً في معهد الرياض العلمي ، وبعـد خمس سـنوات مـن تدريسه في المعهـد عُـيّن معيـداً بجامعـة الملـك سـعود بالريـاض بقـسم اللغـة العربيـة ، ثـم ابتعـث إلى الولايات المتحـدة الأمريكيـة لدراسـة اللغويـات فيهـا ، فحـصل عـلى الماجستير مـن جامعـة إنديانا في اللغويات عام ١٤٠٦هـ ، وفي الفـترة التـي عاشـها في أمريكـا ذاق الـشاعر الـبهكلي الغربة الحقيقية ، وأرسل نداءات الشوق والحنين المليء بالشكوى من أمريكا إلى أمّه قائلاً :

أماه أعلـم أنَّ الـصوت لـن يـصلا　　وأن سيرتدُّ نحوي يحمل الوهـلا
أماه والريـح كـم أسرجتُهـا فرسـاً　　لـصرخةٍ لم تُجـزْ سـهلا ولا جبـلا
عشرين عاماً أنادي لم يجب أحدٌ　　حتى غدوت بـأني لم أُجَـبْ مثـلا
لكنّني يانزيل الغيـب مـا وهنـت　　عزيمتي وفـؤادي عنك ما شـغلا
مازلتُ أفرش أوراقي وأشرعهـا　　بساط ريح وما أزجى وما انـتقلا
ولم يـــزل أمـــلٌ في أن يجاوبـــني　　من غيبكِ اليوم ما أُحيي به الأملا
أنبيك عن كـل مـا مـا كنـتِ عالمةً　　بـه وأرفع عن عينيـك مـا انسدلا [3]

(١) المصدر السابق : ٢٨ .
(٢) المصدر السابق : ٣٣ .
(٣) أول الغيث : ١١ – ١٢ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وبعد عودته من الولايات المتحدة عُيّن محاضراً في جامعة الملك سعود، ثم في كلية المعلمين بجازان، ثم عاد إلى الرياض مرة أخرى ليحاضر بكلية المعلمين فيها، وليقوم بإعداد رسالة علمية للحصول على درجة الدكتوراه في اللغويات من جامعة الملك سعود بالرياض، وهو حالياً[1] عميد كلية المعلمين بجازان، ويعمل أيضاً نائباً لرئيس نادي جازان الأدبي، وهو عضو في كثير من اللجان الثقافية والآدبية بجازان، وعضو أيضاً في نادي الرياض الأدبي وغيره. وله مشاركات كثيرة في الحياة الثقافية والمهرجانات الوطنية والأمسيات الشعرية في كثير من المحافل والأندية سواء الأدبية أم الرياضية.

للشاعر أحمد البهكلي كمٌّ كبير من الإنتاج الشعري، ولكنه لم ينشر منه في دواوين شعرية سوى بعضه، وكثير من إنتاجه ما زال متفرقاً هنا وهناك، والدواوين الشعرية التي نشرها هي:

١- الأرض والحب:

وهو أول دواوين البهكلي الشعرية، صدر في طبعته الأولى سنة ١٣٩٨هـ، وعُني بنشره نادي جازان الأدبي، وطبع مرة أخرى سنة ١٤٠٠هـ، وعدد قصائد هذا الديوان أربع وعشرون قصيدة، وكلها مؤرخة قيلت بين عامي ١٣٩٢ - ١٣٩٧هـ، وجميع قصائد هذا الديوان – أيضاً – موزونة مقفاة، وبعضها من المقطعات الشعرية، وصدّره الشاعر بإهداء جميل إلى الأرض التي يحبُّها بقوله:

إلى التي لا زلتُ أحيا على ... مأمل لقياها وما أحسبُ
قضيتُ عمراً أجتلي غُمَّةً ... لم يبدُ لي في أفقها كوكبُ
وحينما أجهد ركبي السُّرى ... وانهار تحتي الجيّدُ المركبُ
أبصرتُ لمعاً قلت: ذا مأملي ... واشتدَّ منِّي المرهقُ المتعبُ
ورحتُ أعنو مسرعاً ... فانطفا ذاك السنى واختُصِرَ المطنبُ
وعاد سلطان الدجى يعتلي ... عرشاً بناه برقُها الخلبُ

(١) سنة ١٤٢١هـ.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

يرجـوك يـا نـاري ويـا جنـتي　　ترنيمـيَ ، الفاضـلُ والمـذنبُ [1]

وفي هذا الديوان أول قصائد الشاعر المنشورة في دواوينه الشعرية ، وهي قصيدة (السحر يلدُ أبها) أنشأها الشاعر سنة ١٣٩٢هـ ، وهو مازال في المرحلة الثانوية ، ومطلعها:

صبوت وأضحى هائماً مغرماً قلبي　　وتِهْتُ ، ولي عذر فإدلالها يصبي [2]

وفي تلك القصيدة تظهر معالم البدايات وأخطاؤها ، واللجوء إلى الضرورات وضعف الأداة الشعرية ، كما في قوله :

كأني مجذوب لها وهي جاذبٌ　　لحبل ودادي حيث قد أحكَمتْ جذبي
أسير هواها ، ما أحيلاه أسرها　　وحسبي أني صرت مأسورها حسبي
خلاصةُ إلهام جليل وفتنةٌ　　سماويةُ الإبداع جَلَّت عن النَّسبِ [3]

وقد قسّم البهكلي ديوانه قسمين : القسم الأول عنوانه (حبيبتي الأرض) ، وفيه ثمان قصائد في وصف الطبيعة والحنين ، وكانت الأرض هنا أبها وجازان ، فيصف حبه لأبها بقوله:

وبالجمالٍ قد حويت استمالني　　فصرت أسير الفكر والشعر واللب
وإن فؤاداً حل فيك ولم يهم　　لعمرك أقسى من صدى حجر صلب [4]

ويناجي جازان بحبٍّ واشتياق على نحو قوله في قصيدة (الأرض والحب) :

أسائل عنك الليل والأنجم الزُّهرا　　لعلَّ لديها عنك يا فتنتي خُبْرا
وأنتجعُ الأحلام ظناً بأنني　　سألقاك حُلْماً يحتوي لهفتي الكبرى
وأصحو على ذكرى ليالٍ تصرمت　　بمغناكِ ياوجدي وأغفو على ذكرى
ويجتاحني شوق إليك إذا شدت　　بألحانها قمريةٌ تشكر الفجرا

(١) الأرض والحب : ٣ – ٤ .
(٢) المصدر السابق : ٧ .
(٣) المصدر السابق : ٧ .
(٤) المصدر السابق : الصفحة نفسها .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ولولا وفائي ما تلمظت صابراً　　بنار بُعادي عن مرابعك الخضرا
ولا ظلت أعنو كلّما هبّت الصبا　　إلى منتدى جمّعتُ فيه المنى السكرى
سوى أنني أحببت ، والحب والد　　يطهّر عن أبنائه الحقد والغدرا
ومن عرف الحبَّ النبيل وعاشه　　فقد عاش من دنياه عُمرين لا عُمرا [1]

والقسم الثاني من الديوان عنوانه (حبيبتي حبيبتي) ، وفيه ست عشرة قصيدة جلّها في الغزل والحنين إلى المحبوب والشكوى من الغربة القاسية ، والتجلّدِ أمام أهوال الحياة القاسية، إذ يصف في إحدى قصائد هذا القسم ما يلقاه في حياته الوجدانية من آلام قائلاً :

رغم أنَّ الحب في ذا الكون مغنى　　تتغنّى فيه أطيارُ السعادة
وحياة حلوة لفظاً ومعنى　　فلقد عذبت فيه وزيادة

••

إنما عذبت في حبي الذي　　صار بعد الوصل والأفراح صدا
كنت أرجو فيه حبي منقذي　　من زمانٍ إن تركنا الحبل شدا [2]

ونلحظ – أيضاً– هنا معالم التكلف ، حيث عمد الشاعر إلى تقفية الشطرين في النظام المقطعي ، فقفّى الشاعر صدر الثنائية الأولى بالنون وعجزها بالدال ، وقفَّى صدر الثنائية الثانية بالذال ، والعجز بالدال ، ونلحظ ثقل قافية الذال في الثنائية الثانية ، لا سيما كلمة (منقذي) التي ألقت بشيء من الثقل على آخر الشطر الأول من البيت الآخير ، لا سيما مع كثرة الضمائر في (كنت) و (أرجو) و (فيه) و(حبي) ، فجاءت كلمة منقذي لا لتنقذنا من صداع ذلك التوالي للضمائر بل لتزيده ، فكانت ضغثاً على إبّالة .

ويتنقّل البهكلي في هذا القسم من الديوان بين تجارب عاطفية ، تارة تحتويها ليلى وأخرى هند ، فمن أحاديثه عن ليلاه قوله :

أزهدت يا ليلى ولم تتكرمي　　أن تتحفينا لو ببسمة مبسم

(١) المصدر السابق : ٣١ – ٣٢ .
(٢) المصدر السابق : ٥٦ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

وإلام يـا لـيلى الـصدودُ فإننـا　　قـد شـفنا طـول الـصدود المـؤلمِ
أنسيت عهداً كنتِ قد أبرمته　　لي في الـوداد بـدون أن تتبرَّمـي[1]

ونلحظ الجناس الجميل بين قوله (أبرمتِه) و (تتبّرمي).

لكنه بعد ذلك يدع ليلى ليناجي هنداً بما هو أعذب مما ناجى به ليلى ، وكأنه هو الذي تناسى ذلك العهد المبرم من قبل ، ومن مناجاته لهند فقوله :

ليالٍ وأيام تقضّت على وجدي　　وفي ربعك المومـوق أبقى بـلا رفـد
نهـاري أقـضيه أنقـل نـاظري　　بأفقك .. لكـن ذاك ياهنـد لايجـدي

ويقول في آخرها :

وإنـك حـبٌّ في الفـؤاد ومنيـة　　هي الأمل المرجو في القـرب والبعـدِ
أمغرقـتي في بحـر سحـر جمالهـا　　رضيت بما قد حلّ من قسمةٍ عندي[2]

ويكثر الشاعر في آخر الديوان من الموازنة بين واقعة وأيام الصبا ، في تعبير فيه لطف وشوق واضح ، كما في قوله :

أيـام كـنت خليّـاً لا تـراودني　　ذكـرى فتبـعث أوهـامي وأنـاتي
ولا أعـاني معانـاة تنكّـدني　　ولا أظـل أشكّـى عمـق مأسـاتي
ومـا زمانـي إلا طـيب أمنيـة　　دقـائقي فرحـة قـصوى وسـاعاتي
فيهـا تقلّـبتُ آهٍ ليتهـا بقيـت　　لكنّهـا ذهبـت مـن غـير ميقـاتِ
وها أنا اليوم يا من صرت مُغْرَمَها　　مأسور حسنك ذاك البارع العاتي[3]

وفي آخر الديوان يدفن ذلك الحبّ بعد يأس مما غنّى له ، مستخدماً الأسلوب التصويري الرائق ، حيث يقول :

لا تـسألني عمَّـا فـات　　فـالعمر الزاهـي قـد مـات
لملمـت حطـام صبابـاتي　　ومـشيت ودربي الإخبـات

(١) المصدر السابق : ٣٩ .
(٢) المصدر السابق : ٦٢ .
(٣) المصدر السابق : ٦٦ – ٦٧ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وعـــواء الـــريح يـــشيّعني وأودعـــــه بالآهـــــات [1]

والديوان في عمومه يمثل بدايات البهكلي الشعرية ، ومع هذا ففيه كثير من معالم النبوغ الشاعري والموهبة المتميزة التي ظهرت فيما صدر بعد من دواوين .

٢- طيفان على نقطة الصفر :

هو ثاني دواوين البهكلي صدر سنة ١٤٠٠هـ في طبعته الأولى ، وطبع مرة ثانية بعد ذلك بسنة واحدة ، وفي هذا الديوان ست وعشرون قصيدة قيلت بين (عامي ١٣٩٢هـ و١٣٩٨هـ).

وإذا كان الديوان السابق (الأرض والحب) قد سيطر عليه موضوع واحد لا يكاد يتجاوزه ، فإنَّ الشاعر في هذا الديوان الجديد (طيفان) أثر تنويع موضوعاته ، فجاء في سبعة أقسام متنوعة المضامين ومتفاوتة من حيث كثرة القصائد وقلتها ، فالقسم الأول لا يحتوى سوى على قصيدة واحدة هي (قصيدة لأبي) وفيها يحنّ إلى والده ، ويشكو من معاناة غربته وهو مازال في بدايات الشباب ، ويقول فيها :

يـا أبي طفلـك الوديـع كـواه ميـسمُ النـأي في الـسويداء كيـا
يـا أبي والرحيـلُ والـشوقُ كانـا قـدري مُـذْ دَرَجْـتُ غِـرّاً صـبيا
أنـا لا أسـتطيع صـبراً .. ولكـن خِلْـتُ أني حويـتُ صـبراً قويّـا
ربـما قـد دعـوتَ في ذات يـومٍ ببعـادٍ .. وباصطبـارٍ عليّـا ..
أبتـاه ألا دعـوتَ بقـربي منـك لي .. أنـت لا تـزال وليّـا [2]

والبيتان الآخيران حملا معنى جديداً وطريفاً ، فإذا كان الوالد قد دعا ربه يوماً أن يبعد عنه ولده ، ليجرّب كيف يصبر عليه ، فعليه الآن أن يدعو الله بعودة ولده إليه ، بعد أن كوته الغربة القاسية بميسمها .

أما القسم الثاني فقد حوى أربع قصائد جمعت تحت عنوان (أناشيد لليالي

(١) المصدر السابق : ٨٣ .
(٢) طيفان على نقطة الصفر : ١٠ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

الوضاء) ، وتحمل هذه المجموعة مضامين إسلامية وموضوعات تنطلق من توجهٍ إسلامي نيّر ومتزن ، ويحمل ثقافة واسعة ، مكنته من الإحاطة بتفاصيل القضايا التي تحدّث عنها في تلك القصائد الأربع ، فالقصيدة الأولى (غسيل الملائكة) ، وهي قصيدة قصصية تحكي حادثة خروج الصحابي الجليل حنظلة بن أبي عامر إلى المعركة صبيحة زواجه بجميلة ، وقد استطاع البهكلي أن يبني من ذلك الحدث حبكة قصصية متكاملة ، شخصياتها أبو عامر الخائن والد حنظلة ودليل المشركين يوم أحد ، وحنظلة الصحابي الجليل وهو (بطل القصة) ، وجميلة عروس حنظلة ، وأبو سفيان بن حرب عندما كان مشركاً وقبل أن يسلم ، والأسود بن شعوب قاتل حنظلة .

وتدور الأحداث بعد أن ارتفع صوت المنادي للجهاد في سبيل الله ليلة دخلة حنظلة ابن أبي عامر على عروسه جميلة في طيبة . فما كان من حنظلة إلا أن لبىّ منادي الجهاد وهو جنب لم يغتسل من ليلته تلك ، وقد قتله الأسود بن شعوب حينما رآه ممسكاً بتلابيب أبي سفيان يريد قتله ، فطعنه من خلفه .

وقد رأى الرسول – صلى الله عليه وسلم – هذا النبيل الفدائي والملائكة تغسله ، فأرسل إلى أهل حنظلة مستفهماً .. فأخبروه بخبره . وهي قصيدة طويلة ، بل من أطول قصائد البهكلي ، وذلك الطول استدعاه تنوع الأحداث وتداخلها ، ونقتص من تلك القصة الطويلة حدثاً واحداً ، وهو حدث الذروة في الحبكة ، وفيه يقول البهكلي :

واستطالت وراء حنظلٍ شلاّ　　ء بطعنٍ لكالح الفعل جاني
طعنةٌ .. والدمُ الزكيُّ تسابيـ　　ـح تدقُّ السماء في رضوانِ
ولعيني حُنيظلٍ ومضاتٌ　　أطفأتها من الردى ريحانِ
أي نعمى وهبتَ يا ابن شعوبٍ　　لابن حربٍ مجندل الفرسانِ ؟
ساعةٌ .. وانتهى العراك وأصغى　　قومه للرسول والكلُّ حانِ
قال : إني أرى الملائك حفّتْ　　بقتيلٍ وأمسكت بأواني
إنها تغسل القتيلَ .. وما كا　　ن سوى حنظلٍ فتى الفتيانِ

www.alukah.net
شبكة الألوكة

اسألوا زوجه ؟ وجلجل في الـ　　قوم جوابٌ سما عن الأذهانِ
(... ... ...)
أيُّها الفارسُ النبيل ولم تثـ　　ـنك عن عزمك الأكيد الثواني
إن تكن أمسِ قد دَخلْتَ بعرسٍ　　فبذا اليوم دُخْلةٌ للجنانِ [1]

والقصيدة الثانية في هذا القسم هي (أنشودة للفارس القادم) ، وفيها يحنُّ الشاعر إلى وضعٍ أفضل لأمة الإسلام ، ويتشوق إلى منقذٍ يخرج الأمة من ضعفها إلى سيادة الدنيا كما كانت ، ويحاول الشاعر فضح الأفكار المنحرفة الدخيلة التي فرقت الأمة ، وينحي باللائمة على أولئك الذين يتلقفون كل دخيلٍ دون تمحيص ، كما في قوله :

ومبادئاً مثل (الدجا　　ج) أتت مثلّجة الإهاب
وعقول قوم من بني　　قومي تقيسهم الثياب
يتباركون بكل ما　　يأتي من الغرب المصاب
متغافلين عن الحقا　　ئق سادرين على السراب [2]

ويضرب الشاعر الأمثلة على أولئك المنقذين الذين سطروا بدمائهم الزكية تاريخ أمة الإسلام ، وحققوا لها مكانة عظيمة ، فيقول :

من لي بعقبة حين خاض　　البحر واكتسح العباب
من لي بقطز النصر حين　　أجال عينيه .. فهاب
فرأى عيون المسلميـ　　ـن تحثُّه ألا يهاب
بدموعها فتكفكفت　　في (عين جالوت) وآب [3]

ثم بعد ذلك تأتي قصيدة (عبرات على خدّ الدعوة الإسلامية) ، وفيها يتحدث الشاعر بلسان الدعوة الإسلامية التي تشتكي من أبنائها وأعدائها في العصر الحديث ،

(١) المصدر السابق : ٢٢ – ٢٤ .
(٢) المصدر السابق : ٢٩ .
(٣) المصدر السابق : ٣٠ – ٣١ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

ويقارن الشاعر في القصيدة بين حال الدعوة في الماضي والحاضر ، بأسلوب جميل ، وتصوير أخّاذ قلَّ أن يوجد في القصائد التي تتحدث عن هذه الموضوعات التي طغت عليها التقريرية والمباشرة في التناول ، يقول البهكلي :

كنتُ روضاً ، وجدولاً وزهوراً　　أين روضي وجدولي وزهوري؟
أنس الكون برهة في جناني　　أنا ضمّختُه بأغلى عطوري
ما تكبّرتُ مذ عظمتُ . . ولكن　　عشتُ مهوى القلب المعنَّى الحسير
كان لي وامقٌ يسميه أصحا　　ب العناد الأمين وهو نصيري
ويسميه أحمداً من براه　　وأسمّيه : عاشقي وأميري
كان يضنى لكي يراني جَذْلى　　كان يأسى لأنتشي في حبوري [1]

وفي القصيدة كثير من اللمحات التي تستلهم التاريخ الإسلامي ومواقفه الخالدة ، مثل مساومة قريش للنبي – ﷺ – من أجل أن يترك دعوته ، وصمود النبي – عليه الصلاة والسلام – أمام كل إغراءاتهم [2] ، وهو مشهد مؤثر في النص ، ويسيطر عليه الحوار ، يختمه الشاعر بقوله :

ورنا أحمد إليهم ..وعينا　　هُ ائتلاقٌ بدمعها المنثورِ
قال لو في اليمين شمس سمائي　　وبيسراي بدرها ذو النورِ
ما تراجعتُ قطّ عما اجتباني　　خالقي لاحتماله في مسيري [3]

وأهم قصائد هذا القسم من الديوان هي قصيدة (طيفان) ، وهي التي ارتضاها الشاعر لتكون عنواناً لديوانه ، ومضى يشرح في الهامش ما المراد بـ(طيفان) ، فقال : **((المقصود بالطيفين : طيف جبريل – عليه السلام – وطيف محمد – صلى الله عليه وسلم –، وهما في غار حراء لحظة نزول أول آية من القرآن))**[4] .

(١) المصدر السابق : ٣٤ – ٣٥ .
(٢) المصدر السابق : ٣٦ – ٣٧ .
(٣) المصدر السابق : ٣٧ .
(٤) المصدر السابق : ٤٣ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ومن مشاهد قصيدة (طيفان) قول البهكلي مصوراً لحظة نزول الوحي :

مـا عـدت أذكـرُ غـير تمتمـةٍ　　تهمـي ضيـاءً تزدهـي حُـللا
(إقـرأ) تَدَافـعُ مـن فـمٍ مَلَـكٍ　　ويلوكهـا سمـع بهـا احـتفلا
ويصيخ: لستُ بقارئٍ .. وتني　　منـه القـوى . . فيخـرُّ منـذهلا[1]

ونلحظ أن البهكلي عمد في كثير من قصائده إلى شرح بعض الكلمات الغامضة ، والمواقف المنغلقة رموزها ، فيعقب بعد كل قصيدة ببيان كل ما يراه مشكلاً ، فتارة يسمي ذلك (إيضاحات)[2] ، وأخرى (تهميشات)[3] ، وإذا كانت هناك فعلاً كلمات تستحق أن توضّح مثل كلمة (طيفان)[4] التي مرّت قبل قليل ، فإنّ هناك كلمات شرحها البهكلي، وهي لا تحتاج إلى ذلك الشرح مثل كلمة (وامق)[5] في أحد الهوامش ، وكذلك كلمة (اجتباء)[6] بمعنى اصطفاء ، وغيرها ، وقد قال البهكلي في مقدمة ديوانه : ((**إنني أستميحك عذراً يا صديقي القارئ إذا دفعتك من بعض مناطق القصائد المثبتة إلى مناطق أخرى زرعتُ فيها هوامش وإيضاحات لأمكنك من معرفة بعض المعجميات الواردة هنا .. ولا يجعلْك هذا تظنّ بي الظنون ، فتحسب أنني أنتقص من مستواك الفكري وسعة اطلاعك ، لكنني تصّورت حقاً أنَّ هناك من سيحسب أنني أنتقص من فكره إذا ما تركتُ هاتيك الألفاظ بلا تجلية ولا إيضاح**))[7] .

وقد يكون لكلامه هذا شيء من الوجاهة لو أنه عمد فقط إلى الكلمات التي هي بحاجة إلى الإيضاح والتجلية ، ولكنه لمّا ذهب يفسّر كلمات يعرفها مَنْ هم أقل من متوسطي الثقافة وقع – بالفعل – في الانتقاص من قدر قارئه ، وهو الشيء الذي هرب منه .

---

(١) المصدر السابق : الصفحة نفسها .
(٢) المصدر السابق : ٣٢ ، ٤٢ ، ٥٥ ، ٦١ .
(٣) المصدر السابق : ٢٥ ، ٤٨ ، ٦٤ .
(٤) المصدر السابق : ٤٣ .
(٥) المصدر السابق : ٤٢ .
(٦) المصدر السابق : الصفحة نفسها .
(٧) المصدر السابق : ٥ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

وثالث أقسام ديوانه هذا هو (منّي إلى) [1] ، وفيه ستُّ قصائد ، وهي قصائد وجدانية تتحدث عن المعاناة الحياتية ، وأشجان الصداقة وسواها ، والقسم الرابع يشمل ثلاث قصائد في الرثاء سّماها (وداعيات) [2] رثى بالأولى (ذهول الحس) الملك فيصل بن عبدالعزيز ، وبالثانية (حديث العياء) صديقه عبدالعزيز هيجان ، وبالثالثة (البريء) الشيخ علي بن يحيى بن عبّاس أحد أعيان مدينة أبي عريش ، رحمهم الله جميعاً .

وخامس أقسام الديوان جاء بعنوان : (رسالتان) [3] وفيه قصيدتان ، وجههما الشاعر إلى خالد بن الوليد ، وسيد قطب ، والقسم السادس بعنوان (قصائد إليها) [4] ، وهي خمس قصائد غزلية ، والقسم الآخير بعنوان (أشتات)[5]، وفيه خمس قصائد كسابقه ، ولكن موضوعها يختلف ، إذ قصائد هذا القسم منوعة فيها تأمل وحنين ووصف .

وقصائد البهكلي في هذه الأقسام السبعة رتّبت بناء على الأسبقية من ناحية الزمن وجميعها موزونة ومقفاة ، وبعض منها جاءت وفق النظام المقطعي [6] .

٣- (أول الغيث) :

وهو ثالث دواوين البهكلي صدر سنة ١٤١٢هـ ، والديوان من منشورات النادي الأدبي بالرياض ، وفيه عشرون قصيدة ، قيلت بين عامي ١٤٠٣هـ و ١٤١١هـ ، والشاعر لم يرتب قصائده في ديوانه هذا كما صنع في الديوان السابق (طيفان على نقطة الصفر) ، ولم يصنعها ضمن مجموعات تحت أطرٍ موضوعية محددة تجمع شتيت ما تنافر منها.

وقصائد الديوان موزونة مقفاة ، ما عدا قصيدة (ندى) [7] التي تمثل بدايات البهكلي التفعيلية ، وهي بداية ناضجة ، تدل على تمكنه من هذا التشكيل الموسيقى ، وامتلاكه

(١) المصدر السابق : ٤٩ – ٧٠ .
(٢) المصدر السابق : ٧١ – ٩٠ .
(٣) المصدر السابق : ٩١ – ١٠٢ .
(٤) المصدر السابق : ١٠٣ – ١١٨ .
(٥) المصدر السابق : ١١٩ – ١٣٢ .
(٦) المصدر السابق : قصيدة (حديث العياء) : ٨٢ ، وقصيدة (من خالد بن الوليد) : ٩٣ .
(٧) أول الغيث : ٤٥ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

لأدواته الفنية ، وكأنه أراد أن يثبت للقراء أنَّه يقدر على المشاركة في هذا اللون ، وأن عدم نظمه على هذه الطريقة الموسيقية في السابق ليس عجزاً ؛ وإنما لعدم اقتناعه به ربما ، لاسيما وهو يرى أنَّ كثيراً ممن ساروا على هذا التشكيل الموسيقي (التفعيلي) كانوا من راكبي زورق الحداثة ، ذلك الزورق الذي رفض ركوبه سابقاً عندما قال في مقدمة أحد دواوينه السابقة : ((**إنني لأطمع أن أحظى بتقديرك لما أرجو كونه التزاماً فنياً بالقالب الذي اعتمده شعراء العربية الكبار الذين أبقاهم التاريخ معالم فكرية على مر الزمان .**

ولا يحزنك – قارئي العزيز – هذا فتأسف على أنني رغم حداثة سنّي لم أكن أحد دافعي زورق الحداثة الشعرية المتطرفة ... وأنني رضيت بكوني راكباً في سفينة الأصالة المعتدلة .. لا يحزنك هذا ، فما إخالُ النجاة إلا لتلك السفينة الأصيلة التي تتلاشى الموجات على جوانبها .. وركابها مطمئنون لا يضيرهم شيء . إلا بإذن الله .

على أن ذلك لا يعني قصور أصحاب ذلك الزورق .. فقد يصلون إلى الشاطئ بسلام؛ لكن ما تتركه رحلة متأنية بسفينة يفترق عما تتركه انطلاقة بزورق .. والبحر هو البحر ، ويختلف الركب وتختلف المراكب .

الأصالة الشعرية في نظري : (الحداثة الفكرية المصوغة في قالب تراثي) ، من هنا أنطلق من الجذور ، لا أجتثُّها .. لا أنفصل عنها ، ولستُ مكابراً ، وما أنا بحجر ...))[1] .

وقد وصل البهكلي إلى ذلك المستوى الفني الذي توّخاه وفهمه من الأصالة الشعرية ، وقد شهد له بهذا النقاد ، ومنهم عبدالله بن إدريس عند تقديمه لديوان البهكلي الثالث (أول الغيث) ، وكان هو التالي لذلك الديوان المشتمل على مقولة البهكلي السابقة ، يقول ابن إدريس : ((**وعلى قارئ هذا الديوان أن لا تأخذه النظرة إلى العنوان ، فيجعله مقياساً على محتواه تقليدياً ، فالعنوان – حقاً – تقليدي مغرق في تقليديته ، إذ هو جزء من مثل عربي سائر هو قول العرب (أول الغيث قطر ثم ينهمر) ، وليس الشاعر تقليدياً – كما يعبر الحداثيون ، بل هو محافظ على سمات الشعر العربي**

(١) طيفان على نقطة الصفر : ٥ – ٦ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

الأصيل ، والمحافظة شيء غير (التقليد) ، وحبذا لو تنبه الجميع إلى هذا الفرق بينهما ، وإلا فهل يوجد من يقول : إن (الجواهري) و (أباريشة) و(البردوني) شعراء تقليديون بحكم محافظتهم على موسيقى الشعر وسماته العربية .. من وزنٍ وقافية وسلامة أسلوب ووضوح رؤية ..؟))[1] .

والمتأمل في عنوان ديوان البهكلي الثالث (أول الغيث) يقول : لو أنَّ الشاعر جعل هذا العنوان لديوانه الأول لكان أكثر مواءمة بين مدلول العنوان والبدايات التي عادة ما تكون ضعيفة تشابه بداية الغيث في ذهن العربي ، إذ يبدأ دائماً بقطرات ثم ينهمر بعد ذلك ، وهذا الديوان لم يكن أول الغيث ، بل كان الانهمار والغزارة في النبوغ الشاعري والتمكن الفنَّي ، ولكن إذا تحققنا من أن الشاعر لم يكن يريد بهذا العنوان أي دلالات فنية على مساره الشعري، وإنما أراد به عنوان إحدى القصائد الأثيرة لديه التي احتواها هذا الديوان ، إذا تحققنا من ذلك فإنه يزول الإشكال ، وينتهي العجب .

والقصيدة التي ارتضاها البهكلي عنواناً لهذا الديوان (أول الغيث) تترجم فرحته بانتفاضة الشعب الفلسطيني (الانتفاضة الأولى) ، وهي انتفاضة سلاحها المعنوي المؤثر هو (الإيمان) ، وسلاحها المادي هو (الحجر) .. وحينما ينطلق الحجر (السلاح)من أيدٍ صغيرة وغضة ، ولكنها قوية وجريئة فإنه يمثّل القطرات الأولى من المطر ، والتي إذا توالت زخاتها واستمر هطولها فإنها تُجري الأدوية والشعاب ، وتخضل بها الأرض بعد اخضرارها ..، وهذا هو ما نؤمله لثورة الحجارة الفلسطينية – بإذن الله – لاسترداد الأرض ، ودحر العدوان، والانتصار على أعداء الحياة الحرة الكريمة ، يقول البهكلي في مطلع قصيدته :

أول الغيث قطرةٌ يا منافي　　ثم يهمي على السنين العجاف
يَرْعَشُ الماء ذاهل الطين يحي　　منتهاه مغلغلاً في الشفاف
وينـدّي جفاف نأي الأحباء　　فما بعد ذا الندي من جفاف [2]

(١) أول الغيث : ٨ .
(٢) المصدر السابق : ٣٧ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وفي آخر القصيدة أبدى الشاعر مخاوفه من سعي الأعداء إلى إجهاض تلك الانتفاضة المباركة ، وشغل أبناء فلسطين ، وخداعهم عن أخذ حقهم بقوله :

إنّه الوعد أيها الفذ ممن وعده ليس فيه من إخلاف
غير أنّي أشدُّ ما أتّقيه أن تضيع الثمار قبل القطاف
فالسنانير والثعالب لهفى لك رغم ادعائهم للخلاف
ماغفت منهم البطون وإن أبـ صرت ياصاح باصر الطرف غافي
كلهم قد أحدَّ ناباً وظفراً وابتدا حول ذي الربا في الطواف
ولقد يهجعون حيناً ولكن لانقضاضٍ على مُناك اللطاف (١)

ويصور الشاعر عجزه عن فعل أي شيء لنصرة إخوانه في فلسطين غير التشجيع والهتاف ، الذي يصور مرارة الشاعر وغيره من أبناء الأمة تجاه عجزهم عن أي نصرة أو دعم قائلاً :

رمزُنا أنت في الجهاد ولكن ما لنا يا رفيقُ غير الهتافِ (٢)

وكثير من قصائد الديوان انطلقت من موقف الشاعر من قضية العرب والمسلمين الأولى (قضية فلسطين) ورؤاه تجاه أسبابها وكيفية حلّها ، في قصائد كثيرة مثل (رؤى في نيويورك) التي كتبها الشاعر سنة ١٤٠٤هـ إثر جولة قام بها في تلك المدينة المشهورة ، تحدث في جزء منها عن قضية فلسطين ، ورؤاه نحو السلام ، وكان حديث الشاعر البهكلي في وقت مبكر – نوعاً ما – ، إذ يرى السلام هو ما يقوم على العدل لا على الإذلال وسلب الحقوق ، يقول :

نحن أهل السلام غرّد في آ ذانا عندليبُه الغِرّيدُ
نحن أهل السلام أورق في أر واحنا البيضِ غصنُه الأملودُ
قد نماه نبيّنا في ربا طيـ بة ما عاقه هناك صدودُ

(١) المصدر السابق : ٤١ .
(٢) المصدر السابق : ٤٢ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

شـــاده فـــوق أُسِّ عـــدلٍ وعـــزٍّ　　فتنامـــى الـــسلام وهـــو شـــديدُ
لم تـضرْه الخطـوب أنـىَّ ترامـت　　حولـه ، والتـاريخ عَـدْلٌ شـهيدُ
فـإذا مـا الـسلام قـام عـلى الـذ　　لـــةِ والظلـــمِ ، إنّـــه لزهيـــدُ [1]

ومثلها قصيدة (عامـان) [2] ، وقـصيدة (أقـول) [3] التـي قـدّم لهـا بقولـه : ((**إلى الفتيـة المـشرعين صـدورهم لنـيران البغـي في فلـسطين الطـاهرة**))[4] . وكـذلك قـصيدة (أرجوزة الحجر) [5] ، و(الغصن والفؤوس) وهي من أجود قصائده في هذا الاتجاه بعـد قصيدة (أول الغيث) ، وفيها يقول :

أيهـا الـسادرون في النـوم والـسا　　رقُ ســهرانُ دائــم الاختــلاسِ
انفـضوا هـذه المـضاجعَ قـد أسـ　　رفتـــم في المنـــام والربـــع آسِ
إن عَدِمْتُـــم حميـــة تتلظَّـــى　　لـــرواب زكيـــة الأقـــداسِ
وعدمتـــم حميـــة تتلظَّـــى　　نخـــوة لاغتـــصاب أمٍّ نفـــاسِ
وعدمتـــم حميـــة تتلظَّـــى　　لعجـــوز قـــضى بهـــشم الـــراسِ
أفمـــا ناقـــةٌ هنـــا وبـــسوسٌ　　تشعل الثار من يدي جساسِ [6]

(١) المصدر السابق : ٢٩ – ٣٠ .
(٢) المصدر السابق : ٥١ .
(٣) المصدر السابق : ٧٣ .
(٤) المصدر السابق : الصفحة نفسها .
(٥) المصدر السابق : ٧٨ .
(٦) المصدر السابق : ٩٦ – ٩٧ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وتظهر قدرة الشاعر هنا على الإفادة من الرمز التراثي ، واستلهام مضامينه في إقرار أفكاره [1] .

- ٢ -

إنَّ الناظر في شعر البهكلي يجد أنَّ قراءات الشاعر الثقافية لاسيما للشعر العربي والتاريخ الإسلامي كان لها أكثر الأثر في معانيه وأفكاره ، فشاعرنا قرأ في سنّ مبكرة دواوين شعراء العربية وروائعهم المتألقة ، فمن أصوات الشعراء القدامى نلمح في شعره صوت الشاعر الشمقمق الذي يقول :

قال لا صبر لي وكيف مقامي في قفار كمثل بيدِ تباله [2]

فعندما تحدث البهكلي عن معاناة شخص نقل إلى الرياض ليعمل فيها من منطقة أخرى على عجل – ربما يكون هو المراد وربما غيره – توارد إلى خاطر الشاعر صوت الشمقمق ، فقال :

كنت في داري وداري أملٌ يحوي مجاله
فإذا النقل لشغلي يتأتى في عجاله
وإذا بي في تباب يزدري تبّ تباله [3]

فالتأثر هنا واضح ، وقد استطاع أن يستفيد الفائدة الأمثل من معاني سابقه

(١) انظر ترجمة للبهكلي وبعض الإشارات إلى شعره في : المذاهب الأدبية في الشعر الحديث لجنوب المملكة والعربية السعودية ، للدكتور علي علي مصطفى صبح : ٣١٥ – ٣٤٥ ، وشعراء العصر الحديث ، لعبدالكريم الحقيل : ١/ ٣٤ ، ونشأة الأدب السعودي في جنوبي المملكة العربية السعودية ، للدكتور عبدالله أبو داهش : ٦٦ ، والتاريخ الأدبي لمنطقة جازان ، لمحمد بن أحمد العقيلي : ٣/ مواضع متفرقة ، وكشف النقاب عن نبذة حجاب ، لأحمد بن عبدالله الحازمي : ٢٤٦ ، وعقود الجمان شعر وشعراء ، ليحيى بن عبدالله المعلمي : ٣/ ١٢٦ ، وقراءة في ديوان الشعر السعودي ، للدكتور يوسف حسن نوفل : ٣٢ ، ٣٥ ، وفرجة النظر ، لأحمد الشعفي : ١/ ١٢١ ، وموسوعة الأدباء والكتاب السعوديين ، لأحمد بن سلم : ١/ ١٠٥ ، وفيه أنّ اسمه (يحيى بن أحمد) وهو خطأ ، ومعجم البابطين للشعراء العرب : ١/ ٢٣٨ ، والتيارات الفنية في الشعر السعودي ، د.طلعت صبح : ٣٠٧ .

(٢) تاريخ الأدب العربي (العصر العباسي الأول) ،د. شوقي ضيف : ٤٤٠ .

(٣) طيفان على نقطة الصفر : ١٢٥ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

الشمقق ، لولا أنه وقع في الابتذال عندما أورد في البيت الثاني كلمات (النقل) و (لشغلي) ، وكذلك وقع في الثقل الناشيء من تكرار وتوالى (تباب) و (تبّ) و (تباله) ، فالتاء والباء بما فيها من جهورية أطالها المدّ في الكلمتين الأولى والثالثة ، ومع هذا فالبهكلي فاق الشمقمق حينما جاء باسم الموضع (تبّ تباله) كما هو في معاجم البلدان ، وهو المكان الوارد في قصة الحجاج بن يوسف الثقفي عندما ولّي على (تباله) ، وهي قرية من أعمال بيشة ، كانت صغيرة تسترها أكمة ، وحينما وصل إليها قال : ((تبًّا لولاية تسترها أكمة ، ثم عاد)) . وكلمة (تبّ) تعني المكان المرتفع ، ومثله (تبّة) ، بينما الشاعر الشمقمق قال : (بيد تباله) ، ولم تكن (تبالة) مذمومة بكونها في بيدٍ، فهناك من البيد ما هو أوسع منها ، وأشدّ قساوة ، ولكنها ذمّت على لسان الحجاج ؛ لأنها صغيرة وتقع خلف أكمة ، فلم ترضِ طموحاته ، فهي كناية عن الصغر وعدم الوفاء بحاجة الإنسان ، ولذا أتى بها البهكلي في شعره ، فكانت أكثر موافقة للمعنى الذي يريد ، وهو وصول ذلك المعني بالنقل إلى حيٍّ صغير في الرياض لم تصل اليه يد التطور ، في وقت إنشاء القصيدة في سنة ١٣٩٦هـ يسمى (حيّ السبالة) ، كما ورد في قول البهكلي التالي لتلك الأبيات المذكورة – آنفاً – :

وإذا بي رهـــــنُ ربـــــع　　اسمـــه حـــيّ الـــسباله[1]

وتأثر البهكلي أيضاً بالشعراء المعاصرين ، وتأثره كان على أكثر من شكل ، فتارة يتخيّر بيتاً من الشعر الرائع ، وينظم قصيدته على منواله ، ثم يجعله ذلك البيت الذي أعجبه خاتمة للقصيدة مثل قصيدته (رزق) التي يقول فيها :

مقتـــــول الأشـــــواق　　لـــــن يبعثـــــني راق
نـــــاءٍ لـــــن تدنيـــــني　　خفقـــــات الخفّـــــاق
ذبلـــت عينـــاي نـــوى　　كذبـــــــــول الأوراق
رَوِيَـــت مـــاء لكـــن　　مـــن مـــاء الأحـــداق

(١) المصدر السابق : الصفحة نفسها .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

سافـــــــرتَ وأحـــــــزاني　　حلَّـــــــتْ كالأطـــــــواق
أنـــا جعـــتُ.. ظمئـــت أنـــا　　أولـــــــى بالإشفـــــــاق
(مملوكُـــــــك لكـــــــنّي　　سلطـــــانُ العـــــشاق) [1]

فالبيت الأخير هو بيت من قصيدة الشاعر السوداني محمد الفيتوري [2] التي أولها:

شحبت روحي صارت شفقاً ... [3]

وتارة تعجبه قصيدة فينظم على منوالها دون أن يضمن شيئاً منها ، ولكنه يورد بعض ألفاظ قافيتها ، ويشارك الشاعر المتأثر به في الوزن والقافية والمعنى والأفكار من مثل قصيدته (القيود الجميلة) التي مطلعها :

أنـا فيـك يـا أبهـا عليـلٌ شـاكي　　هـل ترحمـين متيمـاً يهـواك ؟ [4]

فالشاعر هنا أخذ أكثر معاني مطلع العقيلي في قصيدته (جازان) ، بل والألفاظ والوزن والقافية ، يقول العقيلي :

جـازان إني مـن هـواكِ لـشاكي　　أفتعطفـين لمدنـفٍ بهـواك ؟ [5]

فتلحظ هنا التأثر بالوزن (الكامل) والروي (الكاف) ، وكلمات مثل (شاكي) في العروض ، وكذلك بالاستفهام في أول الشطر الثاني ، ولم يفرّق بين قصيدتي البهكلي والعقيلي ، سوى أنَّ البهكلي غيّر الوجهة ، فترك جازان ، وولى وجهه شطر أبها.

ومن أهم سمات شعر البهكلي قصر القصائد ، فهو لا يميل إلى التطويل ، وفي شعره كثير من التكثيف ، ويندر أن تجد في شعره قصيدة تجاوزت الستين بيتاً ، والشاعر قد قطع على نفسه وعداً بعدم التطويل ، حينما قال في مقدمة أحد دواوينه : ((**إنني لا أشكُّ إطلاقاً في الإيجاز الذي اعتمدته هنا ، وفيما مضى ، وسأعتمده مستقبلاً - بمشيئة**

(١) المصدر السابق : ١١٧ .
(٢) يطلق عليه الشاعر العربي لأن لديه أكثر من جنسية عربية ، ولكنه سوداني الأصل والمولد .
(٣) انظر : ديوان الفيتوري : ١٢٤ .
(٤) الأرض والحب : ١١ .
(٥) الأنغام المضيئة : ٦١ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

الله – ، مع ذلك فقد وردت بعض القصائد الطوال ، كقصيدة (غسيل الملائكة) ، وقصيدة (ذهول الحس) مثلاً...))[1] .

وذلك الطول الذي تحرّج منه البهكلي لم يتجاوز الستين بيتاً ، فقصيدة (غسيل الملائكة) عدد أبياتها سبعة وخمسون [2] ، وقصيدة (ذهول الحس) عدد أبياتها خمسة وأربعون بيتاً فقط [3] .

والشاعر مع ذلك التطويل الذي شعر به لم يكن يحرص على إيراد التفاصيل في تينك القصيدتين اللتين تتحدث أولاهما عن قصة حنظلة بن أبي عامر وغسيل الملائكة له ، والثانية تتحدث عن وفاة الملك فيصل بن عبدالعزيز ، بل كان جلّ حديثه في وصف الأثر النفسي أو الانعكاسات الشرطية ، فالشاعر البهكلي قد تحدّث عن هذه الخصيصة في شعره بقوله : ((**إنني لا أميل كثيراً إلى الموضوعية في الشعر ، فكلما كان الشعر موضوعياً كلما كان بسيطاً** [4] **، وكلما كان بسيطاً فَقَدَ هيبته وفاعليته كداعية إلى التخيل والتفكير . ولعلَّ هذا – والقول مازال للبهكلي – هو سرّ ترديدي الدائم لمقولة الشاعر الفرنسي (بول فاليري) : الشاعر هو الذي يدعو قارئه أو سامعه إلى التخيّل والتفكير معه . أي : أنَّ للشاعر – عدا إمتاع القراء والسامعين بموزون كلامه – حفز هؤلاء إلى أن يحلقوا معه في عوالم ربما تنسيهم في غالب الأحيان واقعاً مؤلماً أو هزيمة نكراء))**[5]. ومن هنا فإنَّ البهكلي له نظرة خاصة تجاه الشعر ، فالشعر عنده هو وقود الحياة المتجدد ، وليس ترفاً أو تسلية أو لهواً يُقضَّى به الوقت ، يقول :

الشعر عندي ليس أنشوطة　　ألهو بها كلا ولا مربحا

ولّما صور الشاعر كيفية المعاناة التي يعانيها ، وهو يتصّيد الأفكار والرؤى

(١) طيفان على نقطة الصفر : ٤ .
(٢) المصدر السابق : ١٣ – ٢٥ .
(٣) المصدر السابق : ٧٣ – ٨١ .
(٤) يريد الشاعر هنا السطحي أو الساذج السهل ، ولا يريد البسيط بمعناه اللغوي : الواسع الممتد .
(٥) طيفان على نقطة الصفر : ٤ – ٥ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ليصنع منها قيمة فنية تؤثر في القارئ يشعرك – البهكلي – بأنَّه يكاد يذوب وينصهر ويحترق ليضيء للآخرين دربهم ، يقول :

قبل اجتياح الشعر تجتاحني كآبة أشتاق أن أفرحا
تصطّف في جمجمتي أوجهٌ غريبةٌ تكتب لي ما امّحي
يركض نبض القلب ، عيني هنا تغورُ كيما تبصرُ المسرحا
لاشيء مني غير رعش الرؤى يقلب الأغمض والأوضحا
حتى إذا ما غاب وعيي بها وحارت العينان أن تلمحا
والتقت الذاتان ذاتي أنا وذات شيء مثل (برق امصحا)
بينهما الفكرة تضنى كما سمسمة ما بين قطبي رحا
كن ، فيكون الشعرُ مالي يدٌ فيه ولا أملك كي أمنحا
ما لم تَزُفَّ الشعر غيبوبةٌ واعية تقدر أن تفصحا
فالشعر يبقى دُميةً .. نكتة أولى بها منا ندامى جُحا [1]

ومن هذه النظرة نحو الشعر وأثره وكيفية الحصول عليه مضى الشاعر البهكلي نحو تكثيف لغته وتركيزها ، ومحاولة الانطلاق نحو الفكرة من رؤية عميقة وإحساس حادٍوصادق بما يريد أن يقول ، فيظل يعمل فكره جاهداً في الغوص على دقائق الصور والتأمل فيها ودعوة القارئ والسامع إلى المشاركة ، ولذا ليس غريباً أن يكثر البهكلي من تصوير معاناته في تصيّد تلك الدقائق واللطائف ، ومن ذلك قوله في قصيدة (عزاء الشاعر) :

كم بات حولك هذا الكون منطفئاً وبتّ يا شاعر الآحزانِ متّقدا
يغفي الخليون إن جنّ المساء هنا وأنت طرفك ما أغفى ولا هجدا
يضمّك الوهج العلويُّ منحدراً من السماء فتهفو نحوه صعدا

(١) أول الغيث : ١٥ – ١٦ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

تصطاد من كل غيبٍ غائمٍ قمراً　　ومن مدى كلّ حُلمٍ تستمدُّ مدى
تفجر الصخر ماءً والطوى شبعاً　　وتشعل الثلج ناراً، والجفاف ندى[1]

وليس غريباً – أيضاً – أن يكثر في شعر البهكلي رؤى تأملية دقيقة تنبع عن استجلاء عميق للمشهد وغوص على أسراره ، كما في قصيدة (هل الحبّ أعمى) التي قدّم لها بقوله :

عينان تناجيان ربتهما :

يقولون : إنَّ الحبَّ يا أمّنا أعمى　　وأنت ترين الحبّ يبصرُ يا سلمى
لماذا ؟ – إذا أهديت للثغر قبلة　　وأحسست من حرّ التداني لها طعما-
نغمّض أجفاناً .. ونفني مرائياً ؟　　لعل بذا مصداق أنَّ الهوى أعمى[2]

وهذه المقطوعة الثلاثية من النتاج الذي يمثل بدايات الشاعر ، ومع هذا تحوي تأملاً جميلاً ، ولا شك أنَّ قصائده المتأخرة حافلة بالكثير من الدقة ، والطريف من الرؤى العميقة . وتتميز قصائده باستمرار التدفق الشاعري المتوازن ، من حيث العمق واكتمال فنيات الأداء من أول القصيدة إلى نهايتها ، دون أن يشعر القارىء بتوقف الشاعر أو تكلفه المعاني من أجل الوصول إلى النهاية ، فنهايات قصائد البهكلي وبداياتها سواء في التوهج الشاعري وقوة البناء، ولكنه أحياناً تسيطر عليه بعض الرؤى الجميلة ، والحكم المؤثرة سواء بمضمونها أو أسلوبها ، فيظل يصطحبها معه في أكثر من قصيدة ، والمثال على هذا أنَّه ختم قصيدته (غسيل الملائكة) بقوله :

إيه يا حنظل الفريد وكم قد　　عاش فينا أبوك طول الزمان ؟
هو باق يحب .. ينجب لكن　　لم يطق بعد نجل حنظل ثان[3]

(١) المصدر السابق : ٣٢ – ٣٣ .
(٢) طيفان على نقطة الصفر : ١٢٧ .
(٣) المصدر السابق : ٢٥ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ثم لما جاء في قصيدة (ذهول الحسّ) التي رثى بها الملك فيصل بن عبدالعزيز لم يستطع التخلص من وقع تلك الخاتمة السابقة وطريقة أدائها ، فقال :

قد تموت الأشياء .. تفنى ولكن　　يخلد الحق فهو أعمق جذرا [1]

هذه بعض الإشارات السريعة التي حاولت الاقتراب من عالم البهكلي الشعري ، بما فيه من عمق ودقة وجودة عرضٍ وتمكنٍ من لغة الشعر وتطويعها لمضامينه السامية [2] .

* * *

(١) المصدر السابق : ٨١ .

(٢) سيجد القارئ مزيداً من اللمحات والوقفات الفنية في شعر البهكلي لدى الموازنة بينه وبين أحمد الصالح (مسافر) في الباب التالي فصل الموازنة .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

الباب الرابع

التقويم

www.alukah.net
شبكة الألوكة

شبكة الألوكة - قسم الكتب

آراء النقاد في شعر جازان

www.alukah.net
شبكة الألوكة

شبكة الألوكة - قسم الكتب

آراء النقاد في شعر جازان

وردت في البحث آراء كثيرة للنقاد الذين درسوا الشعر في المملكة العربية السعودية عموماً ، أو الشعر في جنوبي المملكة خصوصاً ، أو ممن درسوا شعراء جازانيين ، أو بعض دواوينهم –وهم الأغلب–، وقد اجتذبت آراءهم الدراستان الموضوعية والفنية؛ لكونها المجال الأنسب لعرض تلك الآراء، ويتضح من ذلك أنّ النقد والدرس في آراء أولئك النقاد لم يكن موجهاً إلى شعر جازان كإقليم مستقل، وإنما وجّه إلى بعض شعرائه، ولا سيما الرواد وشعراء البدايات ، وهم فئة قليلة إذا قيسوا بشعراء جازان الكثر الذين تحدث عنهم هذا البحث .

وآراء النقاد الذين تحدثوا عن شعراء جازان وردت في مظان كثيرة منها الدراسات الأدبية والنقدية والموسوعات والتراجم والمقالات التي امتلأت بها الصحف والمجلات ومقدمات الدواوين والتعليق عليها وغير ذلك من مصادر ومظان ، وهي من الكثرة بحيث لا يمكن جمعها أو الإتيان عليها في مقام كهذا ، ولذا فالحديث هنا يخصص لبيان آراء النقاد الواردة في الدراسات الأدبية والنقدية دون التطرق إلى الآراء الواردة في التراجم والموسوعات والمقالات؛ لأن كثيراً من هذه الآراء قد احتوتها تلك الدراسات النقدية ، فكثير من النقاد يبدأ بالكتابة في الصحيفة أو المجلة ، ثم بعد ذلك يعيد رأيه في كتابٍ نقدي أو دراسة يؤرخ فيها للأدب السعودي[1] .

وهذه الدراسات النقدية منها ما جاءت مختصرة ، لا تدرس شعر شعراء جازان دراسة متكاملة ، وفي بعضها استنتاجات خاطئة ، وآراء متناقلة ومكررة ولا جديد فيها ، وبعض تلك الدراسات جاءت مستوعبة لإنتاج بعض الشعراء ووافية بدراسة أشعارهم من الناحيتين الفنية والموضوعية .

(١) انظر لمزيد من التفصيل عن أهم الدراسات التي درست شعر جازان في الباب الأول ، فصل (مصادر الشعر) فقد أشار الباحث فيه إلى أهم كتب التراجم والموسوعات ، وأهم المقالات التي أشارت إلى الشعر في جازان ، وكذلك تحدث الباحث عن تقديم بعض النقاد الكبار لدواوين بعض الشعراء ، مثل : العمودي ، والأنصاري ، وحسين عرب ، والعواد ، وعبدالله بن إدريس ، وحمد الجاسر ، وغيرهم .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وسيعمد الباحث إلى ترتيب الدراسات التي عرضت لبعض شعراء جازان وحكمت على شيء من نتاجهم – وكان لتلك الدراسات قيمة فنية – ترتيباً زمنياً وفق تاريخ صدورها، ومراد الباحث من عرض الآراء هنا هو قراءة لما ورد في تلك الدراسات من آراء ومقارنتها بما توصلت إليه الأطروحة من أحكام موضوعية وفنية . ومن ثم فقد يكون في تلك المؤلفات والدراسات النقدية آراء كثيرة ومتعددة تسير في الاتجاه الإيجابي المعزز لآراء الأطروحة قد لا يتعيّن على الباحث سردها وإيرادها ؛ وإنما سيطّرح كثيراً منها ؛ لأنها تساير الباحث في بحثه، بينما سيتوقف الباحث فاحصاً أغلب ما خالف من الآراء أوجانب الصواب في تلك الدراسات النقدية .

وأهم تلك الدراسات هي :

١- التيارات الأدبية الحديثة في قلب الجزيرة العربية (صدر سنة ١٣٧٩هـ) .

تحدّث الأستاذ عبدالله بن عبدالجبار في كتابه هذا عن التيارات الأدبية في المملكة ، ومنها التيار التقليدي وعرض فيه لشعر علي بن محمد السنوسي أحد شعراء البدايات في جازان في العهد السعودي ، ولم يكن أمام عبدالجبار سوى شاهدٍ واحد من شعر علي السنوسي ، فأورده ، وحكم به عليه ، أما الشاهد فهو قول علي السنوسي في مديح الملك عبدالعزيز :

ومفردٌ بالمعالي جاء منحصراً في نعته المبتدا المرفوع والخبرُ
وجازم الفعل والماضي بظاهره ومن سواهُ ضميرٌ جاء يستترُ
والحذف والنقص من حرف البناء إذا ما جاء فهو على شانيه ينحصرُ

ثم علَّق على الأبيات بأنها تترسم نهج القدماء ، وتنعدم فيها الذاتية ، وأنها إشادة بالحكام تشيع فيها الكلمات الميتة ، والتعبيرات المحنّطة ، ومصطلحات النحو الجافة ، وأنها كلها سماتٌ للنزعة التقليدية الجامدة[1] ، وهذه الأحكام القاسية ساقها عبدالله بن عبدالجبار دون أن يتعرّف على أشعار علي السنوسي الأخرى ، ويتحمل عبدالله عبدالجبار – غفر الله له – وزر تبعية النقاد اللاحقين الذين ردّدوا كلامه دون وعي ، ومنهم مثلاً الدكتور بكري شيخ أمين[2] ،

(١) انظر : التيارات الأدبية الحديثة في قلب الجزيرة العربية ، لعبدالله عبدالجبار : ٢٥٠ – ٢٥١ .
(٢) انظر : الحركة الأدبية في المملكة العربية السعودية ، للدكتور بكري شيخ أمين : ٣٧٩ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

والدكتور عمر الطيب الساسي [1] ، وراضي صدوق [2] ، وغيرهم ، فجميعهم نقلوا كلام عبدالجبار بحذافيره دون محاولة لمقارنة ذلك الحكم بأشعار علي السنوسي التي لم يطّلع عليها هو، وربما كانت الفرصة مواتية لهم ليطلعوا عليها بعد نشر كثير منها .

وقد اطّلع عدد من الدارسين على شعر علي السنوسي – كما اطلع الباحث – وأيقنوا أن حكم أولئك النقاد الذين كان أولهم عبدالله عبدالجبار لم يكن موفقاً ، ومن هؤلاء النقاد والدارسين الذين أنصفوا علي السنوسي الأستاذ الدكتور محمد بن سعد بن حسين [3]، والأستاذ الدكتور عبدالله أبو داهش [4] ، ومحمد بن علي السنوسي [5] ، ومحمد القسومي [6]، وغيرهم .

فقد ذكر الأستاذ الدكتور محمد بن سعد بن حسين في حديثه عن علي السنوسي أنّ له أشعاراً جيدة ، وأورد منها قوله في زوجته التي نفرت منه :

يا خير آنسةٍ بليلٍ حالكٍ حالي أرقُّ صبابةً من حالك
وأنا الذي أرعى النجوم طوالعاً فأرى الثريا في شراك نعالك

وقد أثرت القصيدة في الزوجة فعادت إلى عش الزوجية . ويقول الدكتور ابن حسين: ((ولئن كان ما في أيدينا من شعره من القلة بمكان ، فإنّ فيه ما يشهد له بالأصالة ، وجمال الصياغة ، وحسن التأليف ، والنزوع إلى مذهب المحسنين من السلف ، ومنه قوله من قصيدة مدح بها الملك عبدالعزيز :

أجلّ مساعيه العناية بالهدى وغاية مرماه النكاية بالعدا

---

(١) انظر :دراسات في الأدب العربي على مر العصور ، للدكتور عمر الطيب الساسي : ١٣٤ – ١٣٦ .
(٢) انظر : نظرات في الأدب السعودي ، لراضي صدوق : ١٦ .
(٣) من شعراء الجنوب (علي بن محمد السنوسي) للأستاذ الدكتور محمد بن سعد بن حسين ، مجلة الحرس الوطني ، ع ٥٠ ، ربيع الآخر ١٤٠٧هـ .
(٤) المفقود من شعر علي بن محمد السنوسي ، للدكتور عبدالله أبوداهش : المقدمة .
(٥) انظر : (والدي علي السنوسي) لمحمد بن علي السنوسي ، مجلة المنهل ، مج ٢٩ ، ج ١٢ ، ذو الحجة ١٣٨٨هـ: ١٧٠٥ .
(٦) انظر : محمد بن علي السنوسي حياته وشعره ، لمحمد القسومي- رسالة ماجستير غير منشورة – : ٦١ – ٦٢ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وراحتــه في بــسط راحتــه التــي　　تجود إذا ما أخلـف الغيـث والنـدا..))[1]

وقال الشاعر محمد بن علي السنوسي عن والـده : ((وكـان مـن عادتـه سـنوياً أن يـنظم قصيدة حولية ، يقوم بإنشادها في مواسم الأعياد في قصر إمارة جازان ، فيضيف بعمله هـذا إلى جانب جمال العيد الاجتماعي جمالاً أدبياً خاصاً ، يظل المجتمع الجازاني يتحدث عنه طـوال أيـام العيد في أنديته وأسماره ...)) (٢) .

فلو قلنا إن شهادة محمد السنوسي لوالده هذه مجروحـة ، فـإنّ شـهادة الأسـتاذ الـدكتور ابن حسين فيها الغناء ، وكذلك ما جاء في ثنايا هذا البحـث مـن نـماذج تـدل دلالـة قاطعـة عـلى شاعرية علي السنوسي ، وأنّه في المقدمين من الـرواد في جـازان ، ووصـف الباحـث لـه بأنـه مـن المقلدين ، لا يعني الحط من قدره ، فالمرحلة التي عاش فيها ، والواقع الذي عاصر في جـازان لم يكن ليفرض عليه أكثر من ذلك . أما وصفه بالجمود وبـأن تعبيراتـه محنّطـة ، فهـو وصـف غـير واقعي ، ولا يتلاءم مع شاعريته المتدفقة والجيدة التي قارب بها ابن بليهد وابن عثيمين كما يقول الأستاذ الدكتور محمد بن سعد بن حسين ، بل إنه ليقول : ((وإذا كان شعراء هؤلاء متفاوتـاً في ميدان الإجادة ، فإن الشيخ علي السنوسي يقع فيه وسطاً ، بل إنه ليـدنو حينـاً في شـعره مـن ابـن عثيمين فحل ذلك الزمان)) (٣) .

٢- مع الأنغام المضيئة ، دراسة تحليلية لديوان الشاعر محمد أحمد العقيلي (صدر سنة ١٣٩٩هـ) .

ألّف هذه الدراسة الأستاذ عـلي المـصري ، لدراسـة وتحليـل ديـوان (الأنغـام المـضيئة) للشاعر محمد العقيلي ، وفي العنوان يقول علي المصري : إنّ الدراسة (تحليليـة) ، ولكـن المتأمـل في دراسته يجد أنها ليست بتحليلية ، وإنـما هـي شرح لأشـعار العقـيلي لـيس إلاّ ، وهـذا الـشرح مـليء بالمبالغـات العجيبـة ، والعبـارات الفـضفاضة ، مثـل قولـه في المقدمـة : ((وقـد نـشرت

(١) من شعراء الجنوب علي بن محمد السنوسي ، أ.د . محمد بن سعد حسين ، مجلة الحرس الوطني ، ع ٥٠ ، ربيع الآخر ١٤٠٧هـ .

(٢) والدي علي السنوسي ، لمحمد بن علي السنوسي ، مجلة المنهل ، مج ٢٩ ، ج ١٢ ، ذو الحجة ١٣٨٨هـ : ١٧٠٥ .

(٣) من شعراء الجنوب علي السنوسي ، للدكتور محمد بن سعد بن حسين ، مجلة الحرس الوطني ع ٥٠ ، ربيع الآخر ، ١٤٠٧هـ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

الصحف وتناقلت الدوريات قصائد غرّاً محجلة للشاعر ، ولكننا لم نقع على ديوان مطبوع له إلا في عام ١٣٩١هـ ، بعنوان (الأنغام المضيئة).

والأنغام المضيئة ديوان شعري أنيق يقع في مائة وإحدى وخمسين صفحة من القطع الكبير على ورق أبيض صقيل ، مجلد بغلاف أنيق كما وصل إليّ ، ومعنون بماء الذهب على أرضية خضراء أكسبته أناقة باذخة ...))[١] . ثم مضى يقول : ((يتصدر الديوان مقدمة ضافية بقلم أديب جهبذ ، وعالم ألمعي ومحدث بارع ، طالما أسمع فأبدع ، وكتب فأعجز هو الأديب المعروف الأستاذ حمد الجاسر ...))[٢] ، ثم راح علي المصري يسرد مقدمة الجاسر كاملة ، وبعدها يقول : ((وإذا غادرنا المقدمة ميناء الديوان (الأنغام المضيئة) الأول ، رأينا أن الديوان يتوزع على سبع رياض يانعة الثمار دانية القطوف هي))[٣] . ثم مضى يسرد أبواب الديوان باباً باباً ، وقصيدة قصيدة ، يأتي إلى القصيدة فيشرح معناها ، وينفخ فيها ويبالغ مبالغات ممجوجة ، ويجد نفسه أحياناً عاجزاً عن إيفاء القصيدة ما تستحق من مبالغة ، فيعتذر بأنه سيعود إليها مرة أخرى ، وكثيراً ما يصف العقيلي بأنه فاق السابقين وبذّ اللاحقين ، وأنّه جمع بين القديم والجديد الحديث ، ومن ذلك قوله معلقاً على إحدى القصائد : ((ولكم أتمنى أن تتاح فيما سيأتي من الأيام [فرصة] للوقوف أمام هذه الظواهر والقضايا التي تثيرها هذه القصيدة ، وإجراء مقارنة مع قصيدة (الغرام الأول) ؛ لنقف على الأصالة الشعرية التي تمكن شاعرنا العقيلي من هذا التناوس بين القديم المغرق في كلاسيكيته ، وبين الجديد المسافر في حداثته ومعاصرته ، ومن يعش يرَ !!))[٤] وبمثل هذه التعليقات كثيراً ما يختم المصري وقفاته مع قصائد العقيلي لا سيما جملته الأخيرة (ومن يعش يرَ) .

ويحاول علي المصري – أحياناً – أن يقترب من شخصية العقيلي الشعرية وتلمس بعض الملامح الفنية ، فينجح تارة كما في تقديمه لقصيدة العقيلي (هزوا اللواء) التي حيّا بها

(١) مع الأنغام المضيئة ، لعلي المصري : ٩ .
(٢) المصدر السابق : الصفحة نفسها .
(٣) المصدر السابق : الصفحة نفسها .
(٤) المصدر السابق : ١١٣ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الفدائيين الفلسطينيين في حفل أقيم بجازان للتبرع لهم ، ومنها قوله :

جاز الخنادق قد جاشت حفائظه　　مسبلاً كالحسام العضب ينجردُ
قد قدّم الروح قرباناً مقدسة　　كأنما الموت في أشداقه القنـدُ
يقول إن لم أذدْ عن أمتي وأمت　　فدا العروبة لم يُفخر بيَ الأبـدُ
فخرَّ بين صبيب النار منجدلاً　　مضمخاً فوق أيد الحور يتّسدُ

قال المصري : ((وهي قصيدة قومية رائعة طويلة تقارب الخمسين بيتاً يتحدث فيها الشاعر حديث العالم العارف بخفايا الأمور ، والوطني النابه الذي لا تخفى عليه خلجات النفوس، والمؤرخ الفاهم لأحداث التاريخ ، وها هو العقيلي الأديب الذي يمثل العين المبصرة في أمته يستشرف مستقبلها ويستقرئ أيامها ، فإنّه يصور قبل أن تحل المأساة ما سيقع ، فينبه القوم إلى الخطر المحدق بهم ، ويحثّهم على الجهاد لطرد العدو من أرض العروبة والإسلام ، والعجيب بالأمر أن الشاعر العقيلي في تلك الفترة المبكرة من تاريخ القضية الفلسطينية ، مدرك تمام الإدراك لأبعاد المأساة وعمق الفاجعة وفداحة المطامع الصهيونية في فلسطين والوطن العربي))[1].

ويقع علي المصري تارات أخرى في هنات غير هينات ، وهو يحاول أن يتلمس بعض مواطن الجودة في شعر العقيلي ، فمن تلك الهنات أنّ العقيلي في قصيدته (الغرام الأول) سلك ما يسلكه كثير من الشعراء من تضمين أبيات مشهورة وإيرادها في شعره ، فأورد في قصيدته تلك بيتاً للمتنبي هو قوله :

حبيتك قلبي قبل حبك من نأى　　فقد كان غدّاراً فكن أنت وافيا

فعندما جاء علي المصري في تحليله الموضوعي لذلك البيت المُضمَّن وأبياتاً أخرى قبله جعله واسطة العقد في قصيدة العقيلي (الغرام الأول) ، وقال : ((لله درّك أيها العقيلي على هذا الإخلاص وذاك الوفاء لقد ارتفعت ببيتك الأخير هذا إلى مراقٍ لم يبلغها معاصروك واستويت بها مع عمالقة الحب في العصور السالفة وأساطين البيان في أعصر الزهو والازدهار، فعلى الرغم

(١) المصدر السابق : ٦١ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

من أن هجر الحبيب وصدّه جعلاك كالملدوغ ترقب سريان السم النقيع في أوصالك وشبوب النار في أحشائك ، إلا أنك بقيت مخلصاً وفياً ، لا بل زدت وفاء كلما زاد المحبوب جفاء ، حتى تفتقت قرائحك بهذا البيت الخالد في أسفار العشاق المخلصين يسطرونه على صفحات قلوبهم بماء الذهب ، إنه البيت الأخير :

حببتك قلبي قبل حبك من نأى　　فقد كان غدَّاراً فكن أنت وافيا)) [1]

٣- المذاهب الأدبية في الشعر الحديث لجنوب المملكة العربية السعودية (صدر سنة ١٤٠٤هـ):

وهذا الكتاب هو أول الدراسات المتخصصة في شعر جنوب المملكة في الفترة المدروسة ، ألفه الدكتور علي علي مصطفى صبح ، والدراسة لم تقتصر على الشعر الحديث فقط، بل أدخل المؤلف في الحديث شعراء عاشوا في القرون الماضية منهم الحسن بن خالد الحازمي ، وعبدالرحمن البهكلي ، والحسن بن أحمد عاكش الضمدي وغيرهم ، وعند حديث الدكتور علي صبح عن الشعراء المقلدين في جنوب المملكة استشهد لبعض الشعراء المعروفين بنماذج من متون علمية ، ومؤلفات فقهية ، بينما كان هناك نتاج كثير لهم ، لم يحاول السؤال عنه ، أو البحث عنه في مظانه المتوافرة ، ومن أولئك مثلاً الشيخ حافظ الحكمي أحد شعراء تلك الفئة ، فقد قال عنه الدكتور علي صبح : ((وهو من شعراء هذه المدرسة ، عاش في جازان ... وله ديوان (نيل السول من تاريخ الأمم وسيرة الرسول))[2] ، ونحن نعلم بأن هذا ليس ديواناً، وإنما هو نظمٌ علمي لسيرة الرسول صلى الله عليه وسلم .

وقد تحدث الدكتور علي صبح في كتابه عن مدرسة المحافظين ومدرسة التجديد المحافظ ومدرسة التحرر في التجديد ، وخصائص كل مدرسة ، ولم يورد في هذه المدارس جميعاً سوى ستة شعراء من جازان هم علي السنوسي ، وحافظ الحكمي ، وجبران قحل ، ومحمد بن

(١) المصدر السابق : ١٠٤ .

(٢) المذاهب الأدبية في الشعر الحديث لجنوب المملكة العربية السعودية ، للدكتور علي صبح : ٢٩ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

علي السنوسي ، ومحمد بن أحمد العقيلي ، وأحمد بن يحيى البهكلي[1] ، وخصص للشعراء الثلاثة الأخيرين تراجم مستقلة . وهؤلاء الشعراء قد درسوا من قبل ، وأعمالهم متاحة ، بينما هناك شعراء كثر – من جازان – لم يشر إليهم ألبتة ، وهم يتجاوزون المائة شاعر ذاع صيت كثير منهم، وتجاوزوا الحدود الإقليمية ، وأبانت عنهم كثير من الدراسات. ويكفي أن نعلم أنّ الدكتور علي صبح رجع في دراسته تلك إلى أربعة عشر ديواناً فقط من شعر جنوب المملكة الذي يضم مناطق أخرى غير جازان منها عسير والباحة ونجران ، في حين أنّ مجموع دواوين شعراء جنوب المملكة عند إعداده لدراسته تلك كان يتجاوز خمسة وستين ديواناً .

ومع ذلك فكتابه هذا فيه محاولات للوقوف عند بعض الشعر وتحليله وإن كان غلب عليه التعميم ، والأحكام التي لا تؤيدها الأدلة ، وبعض الأخطاء الواضحة[2] ، ومنها :

أنَّه سار على منهج الدكتور بكري شيخ أمين في وصف علي السنوسي والحكم على شاعريته من خلال ثلاثة أبيات فقط ، أوردها هنا الدكتور علي صبح ، واكتفى بالقول : ((وهو من شعراء هذه المدرسة التقليدية))[3] ، وقوله هذا تعميم لا يمُتّ إلى الحقيقة بصلة .

وكذلك لم يحاول الدكتور علي صبح الوصول إلى نتاج الشعراء المقلدين الآخرين في جازان ، مثل المعلمي ، والعمودي ، وعلي بن قاسم الفيفي ، وإبراهيم الشعبي ، وعلي بن مديش وغيرهم الكثير ، والسبب في ذلك واضح كل الوضوح كما صرّح به المؤلف نفسه حينما قال : ((مدرسة التقليد لا تقيم في هذا البحث باباً مستقلاً له فصوله الكثيرة ؛ وذلك لضعف شعرهم من حيث الكم والكيف معاً ، وتعذر الحصول عليه ، حتى لو كان موجوداً ، وعلى سبيل المثال ظللت سنوات للحصول على شعر الحكمي في مشقة مضنية وقيود تحمل على اليأس وفقدان الأمل ، وأخيراً حصلت عليه وكأني حصلت على كنز العمر كله ... ، ومع هذه

(١) أشار بسرعة إلى عدد من الشعراء بذكر أسمائهم فقط ، على ما في تلك الأسماء من أخطاء واضحة ، المذاهب الأدبية في الشعر الحديث لجنوب المملكة العربية السعودية : ٢٧٣ .

(٢) انظر : أدبنا في آثار الدارسين للدكاترة منصور الحازمي ، ومحمد الخطراوي ، وعبدالله المعطاني : ١٥٢ – ١٥٥ .

(٣) المذاهب الأدبية في الشعر الحديث لجنوب المملكة العربية السعودية ، للدكتور علي صبح : ٢٩ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

الظروف القاسية حصلت على المادة الشعرية عن طريق رهط من طلاب العلم والأدب المخلصين ، الذين كانوا يجوبون الجنوب الوعر للحصول على دواوين الشعر ، والله سبحانه وتعالى وحده يضاعف لهم الأجر والثواب الجزيل)) [1] .

وفي كلام الدكتور صبح هذا كثير من الأعاجيب ، وأشدّ ما فيه عجباً هو أنه زعم الحصول على كنز العمر كله ، ولكنه لم يورد لنا منه شيئاً ، لم يورد من شعر الشيخ حافظ الحكمي سوى أبيات اقتطعها من منظوماته العلمية ، وفي قوله : ((وأخيراً حصلت عليه وكأني حصلت على كنز العمر كله)) مبالغة واضحة ومجوجة لا تقبلها الساحة النقدية الواعية . ومما قارب ذلك في العجب اعتماده على طلابه في جامعة الملك سعود بأبها لإمداده بمادة كتابه هذا الذين عبر عنهم بقوله : (رهط من طلاب العلم) ، وقد شوّه صورة الواقع حين هوّل الأمر ، وأنهم يجوبون الجنوب كلّه من أجل خدمة العلم وإحضار الدواوين له ، ولنا أن نأسف أنهم بعد كل تلك الحركة المكوكية الدائبة والمضنية التي اجتازوا فيها كل القفار ، وتجاوزوا المفازات والأهوال لم يجدوا سوى أربعة عشر ديواناً فقط هي كل نتاج جنوب المملكة العربية السعودية ، نصفها منظومات علمية .

ومن أحكامه النقدية التي خالفتها آراء الباحث في أطروحته هو وصفه للشاعر أحمد البهكلي بأنه من مدرسة (التحرر في التجديد) ، وإن كان الباحث يرى أن البهكلي شاعر مجدد ، ولكنه غير متحرر ، بل يجدّد باتزانٍ واضح ، إذ ينطلق من جذوره التراثية ، وهو القائل في مقدمة أحد دواوينه ((وإنني رضيتُ بكوني راكباً في سفينة الأصالة المعتدلة ، والأصالة الشعرية في نظري الحداثة الفكرية في قالب تراثي ... من هنا أنطلق من الجذور ، لا أجتثها ، لا أنفصل عنها ، ولست مكابراً ، وما أنا بحجر ...)) [2] .

ومع هذا فللدكتور علي صبح بعض الآراء الجيدة عن شعر أحمد البهكلي وسبب جودتها أمران ، أولها أنها قامت على استقراء دواوينه دون اعتمادٍ على آراء الآخرين الجاهزة ،

(١) المصدر السابق : ٣١ .
(٢) طيفان على نقطة الصفر : المقدمة .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وثانيها أنَّه عمد إلى التعليل والتمثيل بالشعر على ما يقول ، دون أن يطلق حكما سريعاً بدون أي دليل كما هو الحال في آراء كثيرة ضمنها كتابه الذين بين أيدينا ، فمن تلك الآراء التي يشترك فيها الباحث معه ، ما جاء له في تعقيب على قصيدة البهكلي (طيفان) ، وفيها يتحدث البهكلي عن لقاء محمد – صلى الله عليه وسلم – بجبريل – عليه السلام – لحظة نزول الوحي ، فيقول :

ويغطه جبريل يعلمه باسم الإله يقين ما جهلا
ومحمد يجثو وقد حبلت أذناه بالوحي الذي نزلا
ولد الهدى يا للمخاض فيا دنيا اعتلي إن المخاض علا

فيعقب الدكتور علي صبح قائلاً : ((ويقصد الشاعر (حبلت) بفتح الحاء وكسر الباء ، وقد شكلها على هذا النحو في الديوان ، وليته ما شكّلها ! بل تركها للقارئ تحتمل الوجه الآخر وهو (حَبَل) بفتح الباء ؛ ليكون معناها على سبيل المجاز أليق بمقام النبوة ، فكأن الوحي على ذلك ربطه بالسماء وبالله – عز وجل – ، كما يربط الطرفان بالحبل ، ولكن الذي صرف هذا الاحتمال عند الشاعر أمران : الأول التشكيل بكسر الباء ، والثاني الإتيان بما يتناسب مع الحبلى من المخاض ، وهذه الصورة لا تليق بمقام النبوة الشريف وجلال الوحي ؛ لأن الشاعر جعل الأذن حبلى بالوحي الذي نزل على محمد – صلى الله عليه وسلم – فتمخضت الحبلى حين المخاض ، وولدت الهدى للبشرية جمعاء ، وهذا لا يصح أن يقال في هذا المجال))[1] .

٤- في الأدب السعودي رؤية داخلية (صدر سنة ١٤٠٤هـ) :

وهذه الدراسة تعدّ من أجود الدراسات التي كتبت عن الأدب السعودي بأقلام كتاب غير سعوديين ، وتمثل جودة هذه الدراسة في أنَّ كاتبها الدكتور يوسف حسن نوفل عمد إلى قراءة الشعر السعودي من خلال مصادره الأصيلة لا من خلال ما كتب عنه ، وجمع في دراسته بين النظرية والتطبيق ، وتحدث الدكتور يوسف عن صنيعه هذا والموضوعات التي طرقها بقوله : ((وقد مضيتُ في هذه الدراسة مع الأدب السعودي

(١) المذاهب الأدبية في الشعر الحديث : ٣٤٣ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

من خلال العرض النظري ثم التطبيقي في ثلاثة أبواب :

الباب الأول : (في التشكيل اللفظي) ويضمّ : الانطلاق من القديم إلى الجديد ، ثم الإبداع الفني والمسودات ، ثم موقع الكلمة بين العلم والأدب ، ثم صوت الكلمة وصداها ، ثم رمزها ، ثم الدراسة التطبيقية لظواهر في الشعر السعودي .

أما الباب الثاني فهو (التشكيل الموسيقي) ، ويتناول التشكيل والإيقاع ، وتشكيلي التفعيلة والقافية .

أما الباب الثالث : فيضم دراسة نقدية لدواوين شعرية ، ومجموعات قصصية ، حيث نرى : المحافظة البيانية بين طاهر زمخشري ومحمد بن علي السنوسي ... من خلال رؤية داخلية للنص الأدبي))[1] .

ومن خلال تلك الأبواب والمباحث تحدث الدكتور يوسف نوفل بموضوعية ودقة منهجية عن بعض أعلام الشعر في جازان من خلال دواوينهم ، ومنهم محمد بن علي السنوسي في دواوينه الثلاثة (القلائد ، الينابيع ، نفحات الجنوب) ، ومحمد بن أحمد العقيلي من خلال ديوانه (الأنغام المضيئة) ، وكذلك أحمد البهكلي من خلال ديوانه (الأرض والحب) . إضافة إلى أنه توقف عند الشاعر السنوسي ، وتحدث عن ملامح التشكيل المحافظ في شعره ، وقارن بين شعره وشعر طاهر زمخشري[2] .

ومع هذا فقد وردت في تلك الدراسة بعض الآراء التي يخالفُ الباحث فيها الدكتور يوسف نوفل ، فالدكتور نوفل عند حديثه عن السنوسي أشار إلى مكانته بين الشعراء المعاصرين ، واتجاهات شعره الفنية ، ووضعه في مكانه اللائق به عندما قال : ((فهو – إذن – من المدرسة المحافظة ، تلك التي تلتزم الأصول الفنية للشعر العربي الأصيل ، على نحو ما دعت إليه مدرسة الإحياء من بعثٍ لتراث الشعر العربي ، ونأى به عن درك الانحدار الفني الذي آل إليه عبر عصور الانحطاط الأدبي ، فهو – إذن – من جيل المحافظين روّاد الشعر المعاصر في الأدب العربي بالمملكة العربية السعودية ، ولعل هذا ما جعل الأنصاري يقول عنه : ((وربما يشتم

(١) في الأدب السعودي رؤية داخلية ، للدكتور يوسف نوفل : ١٣ – ١٤ بتصرف .
(٢) انظر : المصدر السابق : ٢٠١ – ٢٠٦ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الناقد الحصيف سريان تيار خفيف لطيف من روح شاعرية والده في بعض قصائده برغم أنَّه حلَّق بعيداً في عالم الشعر العصري وأتى فيه بما لذ وطاب))[1] . وكلام الدكتور نوفل هذا لا غبار عليه ، وكذلك ما جاء في كلام الأنصاري ، لا سيما إذا علمنا أنَّ الأنصاري أصدر ذلك الحكم بعد صدور أول ديوانٍ من دواوين السنوسي ، ولو أتيح له الاطلاع على دواوين السنوسي اللاحقة لربما تغيرت النظرة ، أما الدكتور نوفل فراح في كتابه هذا يحاول وصل محمد السنوسي بوالده ، ونحن نعرف الفرق الشاسع بين علي السنوسي وولده محمد ، ومن معالم ذلك التجنّي الذي سلكه الدكتور نوفل هو انتقاؤه الواضح لشواهده ، حيث عمد إلى انتقاء أضعف النصوص الشعرية ، وحكم على السنوسي من خلالها ، فمن ذلك قوله : ((ونلتقي هنا بقصيدة نشرها الشاعر بمجلة (الأديب) اللبنانية سنة ١٣٩٤هـ عنوانها (الكلمات والشاعر) :

في عالم الكلمات دنيا الشعر والشعراء عليا
تمتد آفاقاً وإشراقاً وأشواقاً ورؤيا
في ظلّها للفكر منطلق وللأرواح لقيا

ثم يعلّق قائلاً : ((وفي هذه القصيدة نرى شاعرنا المحافظ – كعادته – لا يبلغ من التجديد مبلغاً يذكر ؛ إذ عاقته قافية قلقة ، وخطابية مباشرة ، وذلك كله لم يتح له أن يبرح مكانه في جيل المحافظين ، كما نرى لدى زمخشري))[2] .

ولنا أن نتساءل هل كل شعر السنوسي قلق القوافي ؟ وهل جميع أشعاره مشتملة على الخطابية والمباشرة ؟ والجواب هو ما أبانت عنه هذه الأطروحة ، ففي الدراسة الموسيقية عرض الباحث نماذج كثيرة من شعر السنوسي الذي نأى عن القلق في القوافي ، كما في قصيدة (الأذان) التي أبانت عن معالم شعره المطرب والمنساب إلى الأذن بكل رقة ورهافة حسّ . وعند دراسة الباحث لشخصية السنوسي وأهم معالم شاعريته ، اتّضح للباحث أنَّ السنوسي من أبعد الشعراء عن المباشرة والخطابية ، وأنه شاعر صورة ، يمتح من بحرٍ لا ساحل له ، ويمتلك ريشةً وألواناً متنوعة ، رسم بها لوحاتٍ من أرقى لوحات الشعر الممتعة .

(١) المصدر السابق : ٢٠٣ .
(٢) المصدر السابق : ٢٠٦ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

ومن آراء الدكتور نوفل العجيبة ادعاؤه أنَّ السنوسي يقلّ في شعره التصوير الفني كما في قوله : ((وإذا قلّت النزعة التصويرية فإنا لا نفتأ بها في بعض قصائده على نحو جزئي ، من ذلك قصيدته العاطفية (كيف أسلوك)))[1] ، ثم بعد ذلك أتى الدكتور نوفل بجزء من القصيدة ، وقال بعده معقباً : ((وقد حرصنا على إيراد القصيدة كلها نظراً ؛ لأنها من أكثر أشعاره احتفالاً بالصورة الفنية ، ولعل لطبيعة الموضوع الأثر الأكبر في هذا الاتجاه التصويري الذي أكسب القصيدة جمالاً فنياً ملحوظاً ...))[2] .

وفي كلامه هذا رأيان خاطئان أولهما : قوله : (قلت النزعة التصويرية) ، وللردّ على هذا أقول : إنَّ أيّ مطلع على شعر السنوسي لا يمكن له أن يصدّق هذا الكلام ، فإذا لم يكن السنوسي هو شاعر التصوير فمن يكون ، ولا أجد رداً أقوى من كلام الدكتور نوفل نفسه الذي ناقض به رأيه السابق في كتاب له آخر ، حيث وصف روعة التصوير في شعر السنوسي إثر إيراده عدداً من نماذج التصوير الرائعة والفائقة ، بقوله : ((وفي ذلك كله نلتقي بصورة فنية فيها تلقائية وبساطة ... وهنا سرّ إحساسنا الفني بروعة التصوير ، وذلك لا يتأتى إلا من خيال مبتكر قادر على التحليق))[3] . ولست أدري سرّ هذا التناقض في آرائه حول شاعرٍ واحدٍ ، وقضية واحدة .

وثاني ذينك الرأيين الخاطئين قوله : إنَّ قصيدة (كيف أسلوك) ، هي من أكثر أشعاره احتفالاً بالصورة الفنية ، والمتأمل لتلك القصيدة يجد أنها من أقل أشعار السنوسي احتفالاً بالصورة ، وأنَّ في شعره قصائد كثيرة أروع منها بكثير لا سيما في ديوان (الينابيع) الذي أكثر الدكتور نوفل من أخذ شواهده منه . وآراؤه هذه تتكرر في كتبه الأخرى المتعلقة بالأدب السعودي مثل (أدباء من السعودية) ، و (قراءة في ديوان الشعر السعودي).

(١) المصدر السابق :٢٠٥ .
(٢) المصدر السابق : ٢٠٥ .
(٣) أدباء من السعودية ، للدكتور يوسف نوفل : ٨٤ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

٥- الشعر الحديث في المملكة العربية السعودية خلال نصف قرن (١٣٤٥هـ - ١٣٩٥هـ) ، (صدر سنة ١٤٠٨هـ) :

في هذا الكتاب أورد الدكتور عبدالله الحامد آراء كثيرة عن عددٍ من الشعراء في جازان ، وقد وفّق الدكتور الحامد في كثير من آرائه ، وهي آراء جاءت موافقة لما خرجت به هذه الأطروحة ، ومن تلك الآراء التي وفّق فيها عدّه الشاعرين محمد السنوسي ومحمد العقيلي من أبرز الوصّافين في الشعر السعودي عندما قال : ((وشعراء الوصف هم القنديل، ومحمد هاشم رشيد ، وحسين سرحان ، ومحمد السنوسي ، والقرشي ، والعقيلي))[١] ، ثم علل كثرة الوصف لديهم بقوله : ((ونظرة إلى أسمائهم تدلنا على أنَّ أكثر الوصافين من شعراء الجيل الثاني ، ذلك يرجع إلى تمام أصول الصنعة لديهم ، التي تعثّر فيها الأوائل ...))[٢] .

ووفّق الدكتور الحامد في وصف وتلمّس مواطن تأثر هؤلاء الوصافين ، إذ علَّل بأنَّ الطبيعة الجميلة في جازان كان لها الأثر الواضح في نزعة الوصف عند السنوسي والعقيلي ، فقال: ((من المؤكد أن الطبيعة التي أثّرت فيهم كانت جميلة ، فيها لمسات الأندلس ، خاصة شعراء الجنوب كالسنوسي والعقيلي ، وهؤلاء وصفوا الطبيعة كثيراً جبالها وسهولها ، ورياضها، يقول السنوسي يصف جبل فيفاء :

جبل تعشق النجوم مجاليـ ـه وتصبو إلى ذراه العوالي))[٣] .

وإذا كنت أوافق الدكتور الحامد على كلامه هذا ، فإني لا أوافقه على التعميم الذي عقب به على كلامه السابق عندما وصف الشاعرين بأنهما يقتبسان من الشعر الأندلسي ، ودلّل على ذلك بوصف العقيلي للبحر ، وأنه يشابه وصف ابن خفاجه للنهر . وأقول : إنَّ هذا هو المثال الوحيد الذي يمكن للدكتور الحامد أن يستشهد به ، ولم يكن فيما بين يديه من أشعار أن يأتي بمثال على شعر السنوسي ؛ لأنه في نظري لن يجد دليلاً مقنعاً يتضح فيه الاقتباس ، ومثل ذلك التعميم ينبغي أن يُبنى على استقراء وأدلة مؤكدة ، وهو ما لم يفعله أستاذنا الحامد .

---

(١) الشعر الحديث في المملكة العربية السعودية ، للدكتور عبدالله الحامد : ٣٦٩ .

(٢) المصدر السابق : الصفحة نفسها .

(٣) المصدر السابق : ٣٦٢ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

ورصد الدكتور الحامد بعض مواطن الإبداع في شعر السنوسي ورفيقه العقيلي ، متخذاً من أشعارهما أدلة على ما يقول ، فعندما تحدث عن التصوير الخيالي الذي يشدّ الألباب في الشعر السعودي قال : ((ومن ذلك وصف السنوسي للكوخ وصفاً خيالياً جميلاً)) [1] .

وعدَّ السنوسي أيضاً في طليعة الشعراء الحماسيين ، وضرب الأمثلة لذلك مما غنّى به الشاعر للسواعد الفلسطينية التي رفعت في وجه اليهود المعتدين ، ومثل على ذلك الحماس بأبيات للسنوسي أولها :

شننتُ عليك نار الحرب حتى　　سلبتك نعمة العيش القريرة [2]

وعند حديث الدكتور الحامد عن الصوت الإنساني أشار إلى أنَّ من الشعراء حتى وهم في غمرة حماسهم القومي لا ينسون العاطفة الإنسانية التي تدعو إلى السلام ومنهم السنوسي ، ثم استشهد له بقوله :

عيشوا على الأرض أحباباً وإخوانا　　ونسّقوها أزاهيراً وريحانا [3]

ولم يمثل الحامد على هذه الظاهرة بأي شعر آخر من الشعر السعودي غير ما أورده من شعر السنوسي .

وأشاد – أيضاً – بمشاركة العقيلي في نصرة القضايا الإسلامية ، وتجاوزه الحدود القومية الضيّقة عندما حيَّا محمد علي جناح ورفاقه ، بقوله :

وفتيةٍ كحواري الرسل ما برحوا　　في نفع أمتهم جهراً وإخفاء [4]

وفي دراسة الدكتور الحامد لمحات واعية ، وإشارات نقدية صائبة ، وواضح أنها تنبع من إدراك ووقوف متأمل أمام نتاج عددٍ من الشعراء مرَّ بهم سابقوه مرور الكرام ، أو أصدروا أحكاماً على شعرهم غير موافقة للحقيقة ، فالدكتور الحامد عندما تحدث عن حافظ الحكمي قال : ((وللحكمي كتب شعرية ، منها شعر النظم للعلوم وهو لا يعنينا هنا ، ومنها الشعر

(١) المصدر السابق : ٣٦٧ .
(٢) المصدر السابق : ٢٣٨ .
(٣) المصدر السابق : ١٦٧ .
(٤) المصدر السابق : ٢٤٨ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

التربوي كمطولته (الميمية) في الوصايا والآداب العلمية ، التي تقارب ثلاثمائة بيت))[1]، وأورد الحامد بعض أشعار الحكمي ، ومنها قوله :

العلم أعلى وأحلى ماله استمتعت　　أذن وأعــرب عنــه نــاطقٌ بفــمِ

وقدّم تلك الأشعار بقوله : ((ويترنّم القاريء بمثل قول الحكمي ...))[2] ، وكان الحامد قد عدَّ حافظاً الحكمي من فرسان ميدان شعر التربية والحِكم في أوائل النصف الثاني من القرن الرابع عشر الهجري[3] .

وتحدث الدكتور الحامد عن شعراء جيل المحافظين ، وعدَّ منهم إضافة إلى السنوسي والعقيلي الشاعر علي بن حسين الفيفي[4] ، واستشهد له بشيء من شعره الاجتماعي الجيد[5] .

وعدَّ من شعراء الجيل الثالث عليَّ بن أحمد النعمي ، غير أنَّه أخطأ في اسمه ، وسمَّاه أحمد النعمي[6]، وتبعه في ذلك كثير ممن نقلوا عنه ذلك دون وعي ، لا سيما الدكتور طلعت صبح السيد[7] .

ومع تلك الآراء الموفقة التي أصدرها الدكتور الحامد عن بعض شعراء جازان وقع في بعض الهنات التي لاتتواءم مع ما توصل إليه الباحث من آراء في بحثه ، أو إطلاقه لأحكام سريعة دون أي دليل يسندها ، فمن تلك الهنات – في نظري – زعمه أنَّ السنوسي يتخذ من مدائحه نشرة أخبار ، ((وأنه في ديوانه القلائد يدخل المديح في القصائد الوطنية والعربية ، حتى الوصف يقول من قصيدة (الجنوب الخصيب) :

تفوح زهورها عطراً وشكراً　　وترفعــــه ثنـــاءً مـــستطابا

(١) المصدر السابق : ٣٠٨ .
(٢) المصدر السابق : الصفحة نفسها .
(٣) المصدر السابق : ٢٧١ .
(٤) المصدر السابق : ١٧٦ .
(٥) المصدر السابق : ١٦٨ .
(٦) المصدر السابق : ١٠٩ .
(٧) التيارات الفنية في الشعر السعودي ، للدكتور طلعت صبح : ٤٢٢ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

إلى ملـكٍ لـه في كـل وقـتٍ　　يد بيضاء تنسكب انسكابا)) (١)

والسنوسي في هذه القصيدة لم يدخل المديح في شعر الوصف كما زعم الحامد ، فالشاعر هنا لا يصف ، وإنما القصيدة أنشأها السنوسي مادحاً ، ولكنه قدّم للقصيدة بوصف الطبيعة كعادته ، فهو أدخل الوصف في مديحته ، وليس العكس كما توهم الدكتور الحامد ، وأظنُّ أنَّ الذي غرَّه في ذلك هو عنوان القصيدة (الجنوب الخصيب) .

وأورد الدكتور الحامد أكثر من رأي دون أي دليل يستند إليه ، فمن ذلك قوله : ((فتتحول الثروة اللغوية إلى مجرد طنين ، وهذا واضح في بعض شعر حسين عرب حيناً ، ومحمد السنوسي أحياناً ، لكنه أكثر وضوحاً في شعر الزمخشري ...)) (٢) ، ثم يمثّل الحامد على ذلك الطنين بشيء من شعر الزمخشري ، وكنّا نتمنى أن يقنعنا الدكتور الحامد بأمثلة من شعر السنوسي ، أو من شعر حسين عرب على ذلك الطنين ، وهو ما لم يفعل .

ومن الآراء التي تكتنفها الضبابية ، ويعتورها الغموض حديث الدكتور الحامد عن تحديد بدايات الشعر السعودي ، إذ قال : ((وفي جيزان كان العقيلي قرابة هذا الوقت (عام ١٣٥٦هـ) قد أنهى مرحلة الطلب ، وبدأ مرحلة الإنتاج)) (٣) .

والسؤال الذي يطرح نفسه ، هل الشعر مرتبط بمرحلة طلب أو شهادة علمية تمنح ، بعدها يدخل الطالب إلى سوق الشعراء ، وميدان الأدباء ؟ ، ثم هل تحديد شعر إقليم معين يرتبط بشخصٍ واحد ؟ ولماذا لم ينظر الحامد إلى علي السنوسي أو العمودي أو المعلمي ، فهم سبقوا العقيلي بسنواتٍ ، وواكبوا بدايات العهد السعودي ونشأة الدولة الحديثة ، أما العقيلي فهو تلميذ من تلاميذهم ، إذا كانت هناك تلمذة وطلب في عالم الشعر .

وأخيراً فعندما عدَّ الدكتور الحامد الشعراء المجددين في الشعر السعودي ذكر اثنين وعشرين شاعراً لم يكن بينهم أي شاعر من جازان ، مع أنَّ هناك شعراء في جازان مثل إبراهيم مفتاح ، وإبراهيم صعابي ، وأحمد البهكلي ، وعلي صيقل ، وعبدالواسع سعيد عبده، وغيرهم

(١) الشعر الحديث في المملكة العربية السعودية ، للدكتور عبدالله الحامد : ٢٥٨ .
(٢) المصدر السابق : ١٥٦ .
(٣) المصدر السابق : ٥٧ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

فاقوا كثيراً من الشعراء الذين ذكرهم أستاذنا الحامد ، فاقوهم في معالم التجديد ولاسيما التجديد الواعي والمنضبط البعيد عن الانحراف الذي حمله عدد من الشعراء الذين أوردهم الدكتور الحامد ، ولولا أنَّه قال : ((المجددون في الشعر منهم)) لما لاحظت عليه هنا ، ولكنه قال قبل أن يعدد أسماء المجددين : ((والمجددون في الشعر هم)) (١) ، فكأنه بذلك يحصر التجديد فيهم ، ولا يبقي أي فرجة يدخل من خلالها غيرهم .

٦- حركات التجديد في الشعر السعودي المعاصر (صدر سنة ١٤٠٨هـ):

في هذا الكتاب أورد الدكتور عثمان الصوينع عدداً من الآراء عن بعض شعراء جازان، وهو في آرائه تلك يعتمد اعتماداً واضحاً على الآراء التي سبقه إليها الدكتور عبدالله الحامد ، ولا يخالف الدكتور الصوينع الحامد سوى في أمور ثلاثة :

أولها – أنَّه يكثر من الشواهد ، لا سيما الشواهد الطويلة التي لا يستدعيها المقام ، ولا يعلق عليها ، أو ربما لا يقدّم لبعضها ، فمن ذلك إيراده قصيدة طويلة مدح بها محمد العقيلي الملك عبدالعزيز ، وهي التي مطلعها :

يوم على صفحة التاريخ يأتلق أغر عن خالد الأمجاد ينبثقُ

أورد الدكتور الصوينع من هذه القصيدة أربعة وعشرين بيتاً دون تعليق [٢] ، وبعد صفحات من هذا الشاهد الطويل أورد شاهداً آخر للسنوسي في رثاء الملك فيصل ، وهو يقارب ما استشهد به للعقيلي ، ولم يعلق عليه ، واكتفى بإيراد ملحوظة في الهامش يوضح بها خطأ وقع فيه السنوسي عندما قال في القصيدة :

ترك العرش ولكن لم يغب هو مازال يرانا ونراه

علق الدكتور الصوينع بقوله : ((السنوسي غلط في قوله يرانا ، فالميت لا يرى أحدا))[٣].

ثانيها– أفرد الدكتور الصوينع ترجمة مستقلة للسنوسي ، على أنَّه رائد من رواد الأدب

(١) المصدر السابق : ٢٢٢ .
(٢) انظر :حركات التجديد في الشعر السعودي المعاصر ، للدكتور عثمان الصوينع : ١/ ٢٤١ .
(٣) المصدر السابق : ١/ ٢٤٨ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

السعودي ، وأنه من المحافظين المجددين .

وأشاد بشاعريته ، وأنه من الشعراء السعوديين القلائل الذين ترجمت أشعارهم إلى اللغات الأخرى ، وعرض الآراء التي قيلت في السنوسي ، ويؤخذ عليه أنه عمد إلى مقدمات دواوين السنوسي ، وأوردها كاملة دون تعليق ، عمد إلى مقدمة عبدالقدوس الأنصاري لديوان (القلائد) ومقدمة محمد سعيد العمودي لديوان (الأغاريد) [1] ، ويؤخذ على تلك الترجمة أنها إغارة واضحة على ترجمة الدكتور محمد العيد الخطراوي للسنوسي في كتابه (شعراء من أرض عبقر)[2] .

أما ثالثها : فهو أنَّ الصوينع عندما أتى إلى الحديث في كتابه عن الشعراء المجددين في الشعر السعودي المعاصر كأنه فطن إلى أنَّ الدكتور عبدالله الحامد لم يورد معهم أيَّ شاعر من جازان ، فمضى هو يصحح خطأ الحامد ، ولكنه وقع في خطأ كبير تجاوز خطأ الحامد عندما عدَّ منهم الشاعر محمد بن أحمد العقيلي ، حيث قال : ((ومن شعراء التجديد في الشعر السعودي المعاصر : الأمير عبدالله الفيصل ، محمد الفهد العيسى ، مقبل العبدالعزيز العيسى ، محمد السليمان الشبل ، محمد أحمد عيسى العقيلي ، محمد هاشم رشيد ، حسن صيرفي ، عبدالسلام هاشم حافظ ، محمود عارف ، عبدالعزيز الرفاعي ، سعد البواردي ، ناصر أبو حيمد ، عبدالله العثيمين ...))[3] .

والمتأمل في الشعر السعودي يدرك إدراكاً واضحاً أنَّ عدداً من هؤلاء المذكورين لا يمتون بصلة للتجديد في الشعر السعودي ، وأخصّ منهم بالذكر وهو مَنْ يعنينا هنا الشاعر محمد العقيلي .

٧- محمد بن علي السنوسي شاعراً (صدر سنة ١٤١٠هـ)

هذا الكتاب هو أول دراسة مستقلة عن شعر محمد بن علي السنوسي ، عرّف فيها الدكتور محمود شاكر سعيد بالسنوسي ، وأكّد على حضوره الشعري في الساحة المحلية

(١) المصدر السابق : ١/ ٣٢٠ – ٣٢٥ .

(٢) انظر : شعراء من أرض عبقر ، للدكتور محمد العيد الخطرواي : ٢/ ١٤٧ – ١٦٢ .

(٣) حركات التجديد في الشعر السعودي المعاصر ، للدكتور عثمان الصوينع : ٢/ ٣٩١ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

والخارجية ، وعمد إلى دراسة حياته من شعره ، وكان في دراسته تلك موفقاً غاية التوفيق ، ومهّد الطريق لجميع من أتى بعده ممن درسوا السنوسي ، وكان في دراسته –أيضاً– معجباً بنتاج الشاعر ، وجعل من نفسه مدافعاً عنه ، ناقضاً كثيراً من الآراء التي كتبت عن السنوسي من قبل ، فمن مظاهر إعجابه المتكرر وثنائه على الشاعر قوله : ((ولمشاعر السنوسي وأحاسيسه تجاه مظاهر الطبيعة طعم خاص ، حيث إنه ينظر إلى مشاهد الطبيعة فتسحره بروعتها وجمالها ، فيسجل مشاعره ، استجابة لأحاسيسه لا استجابة لدعوة من الآخرين ، فيصورها تصويراً جميلاً كما تراءت له بسحرها وجمالها ، وهو مفتون بجمال الطبيعة وسحر مظاهرها))[1] ، أو قوله : ((وهو متمكن من أدوات الشعر ؛ لذا يجد القارىء متعة في دراسة شعره ، وبخاصة في تأملاته ووجدانياته ...))[2] .

ومن مظاهر دفاعه المتكرر عن السنوسي ، والردّ على من سبقه من دارسيه قوله لدى دراسة لغة الشاعر : ((وما دمنا في مجال الحديث عن لغة السنوسي فلنذكر ما ذكره عن لغته الدكتور / محمد العيد الخطراوي ، حيث قال : ((ورغم ثقافة السنوسي اللغوية التي تلقاها على يد أبرز العلماء في الجنوب ومنهم والده ، فإنه يقع في بعض أخطاء شعراء عصره ، كاعتباره كلمة دجى في قوله :

بني وطني إنا على فجر نهضةٍ تصد الدجى أنى تدجى وتصدع

وذلك باعتبار الشاعر كلمة (دجى) مفردة ، وهي في الواقع جمع دجية ، كدمية ودمى ومدية ومدى . والصواب (تدجت).

هذا قول الدكتور الخطراوي –والكلام ما زال للدكتور محمود شاكر سعيد– والحقيقة أن الحق مع السنوسي ، وليس مع ناقده في هذه القضية ؛ لأن الدجى هو سواد الليل كما جاء في لسان العرب ، وبذا يكون السنوسي محقاً في لفظه وفي تذكيره))[3] . وكان الدكتور محمود شاكر سعيد برأيه هذا محقاً هو أيضا .

---

(١) محمد بن علي السنوسي شاعراً ، للدكتور محمود شاكر سعيد : ١٧٤ .
(٢) المصدر السابق : ١٧٥ .
(٣) المصدر السابق : ١٤٦ – ١٤٧ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

وبعد عام ١٤١٠هـ ظهرت دراسات كثيرة عن الأدب السعودي وردت فيها آراء كثيرة عن شعراء جازان ، ففي آخر سنة ١٤١٠هـ صدر كتاب (الاتجاه الإسلامي في الشعر السعودي الحديث ، قيمه الفنية في موازين النقد) للأستاذ محمد عبده شبيلي ، وفيه أشار إلى هذا الاتجاه في شعر بعض شعراء جازان منهم محمد بن علي السنوسي [١] ، وأحمد البهكلي [٢] ، وتلمّس بعض جوانب الإبداع في شعرهما .

وفي سنة ١٤١١هـ صدر كتاب (دراسات في شعر محمد بن علي السنوسي) ، وهذه الدراسات هي مجموعة من الأبحاث عددها أربعة ، أولها للأستاذ ربيع محمد عبدالعزيز بعنوان (دراسة في عناصر التشكيل الجمالي) ، وثانيها للأستاذ خالد محمود دياب عنوانه (دراسة المحور الروحي في شعر محمد بن علي السنوسي) ، وثالث تلك الأبحاث هو للأستاذ محمود دياب محمود ، وعنوانه (لغة الشعر عند الشاعر محمد بن علي السنوسي) ، أما البحث الرابع فأعدّه الأستاذ أحمد مختار مكي وجاء بعنوان (العروبة في شعر السنوسي) ، وأجدني موافقاً لرأي الأستاذ عمر طاهر زيلع في حكمه على تلك الدراسات الأربع ، حيث قال : ((كل واحدٍ منهم تجوّل في النص تجوالاً أستطيع القول بأنه سريع ، ولكنه مصحوب بالنظرة الفاحصة الذكية والمتمكنة ، وبوجه خاص دراسة الأستاذ ربيع عبدالعزيز الذي قدّم عرضاً فنياً للصورة الشعرية لدى السنوسي أو التشكيل الجمالي في شعره ، وهي معالجة تتجه إلى بناء القصيدة حسب فهمي ، إنها نقطة مشتركة مع دراستي الأستاذين خالد محمود دياب (المحور الروحي) ومحمود دياب محمود (لغة الشعر) ، مع اختلاف المنحى والأسلوب ، بينما ذهب الأستاذ أحمد مختار مكي إلى جانب موضوعي ...)) [٣] .

وفي سنة ١٤١٢هـ أصدر الأستاذ الدكتور بدوي طبانة كتابه (من أعلام الشعر السعودي) ، وترجم فيه لأحد عشر شاعراً سعودياً ، ومنهم (محمد بن علي السنوسي شاعر

(١) انظر : الاتجاه الإسلامي في الشعر السعودي الحديث ، لمحمد عبده شبيلي : ٣٥ ، ٤٤ ، ٤٨ ، ٥٢ ، ١٠٠ ، ١٠١ .

(٢) انظر: المصدر السابق : ٤٣ ، ١٨٧ ، ١٩٣ .

(٣) دراسات في شعر محمد بن علي السنوسي : ٧ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الجنوب)[1] ، والدكتور بدوي طبانة ناقد مشهور ، بنى حديثه عن السنوسي على معايير نقدية ، وأسس موضوعية أنصف فيها شاعرية السنوسي ، وتوصل في نهاية بحثه إلى أنَّ السنوسي من أفضل الشعراء السعوديين ، وأنه علم من أعلام الشعر الغنائي ، وتلك حقيقة يدركها من يقرأ شعره كما يقول[2] . ثم ختم حديثه قائلاً : ((ويبقى بعد ذلك أن أقول : إن محمد بن علي السنوسي لم يحظ من ذيوع الصيت بما حظي به كثير غيره من شعراء المملكة العربية السعودية ، ولم تسلّط عليه الأضواء كما سلّطت على غيره ، وفيهم من هم دونه بكثير، أي أنه لم يُنزل المنزلة الجدير بها بين شعراء الزمان ، وهو منهم في السّنام !؛ والسبب في ذلك فيما أرى هو هدوء نفسه ، وسكون طبعه ، ثم لزومه بلده في أقصى الجنوب ، فلا يفارقه إلاّ لماما ...

ولعلّ ذلك كان من جملة الأسباب التي دفعتني إلى العناية بهذا الشاعر العربي المجيد ، وإلى الكتابة عن شاعريته بشيء من التفصيل))[3] .

ومن الآراء التي لا أوافق فيها الدكتور طبانة إصراره في أكثر من موطن من حديثه عن السنوسي أنَّه عاش تجارب وجدانية حقيقية ، فمن ذلك قوله معلقاً على قصيدة الشاعر (إغراء الحب) التي منها :

وقد كنت آتيها فيهتز فرعها طروباً كما هز الغصون صباها

يقول : ((نقرأ في هذا الشعر أنفاساً حارة ، وعاطفة صادقة ، وذكريات لذيذة سابقة ، ونقرأ لهفة على تلك الذكريات ... كما نلمس ذلك في أشعار العذريين الذين يوصفون بالعفّة ، ولا يتحدثون عن متعة الجسد ... وهذا لا يقوله إلا محب صادق ، يتهالك في صبابته ، ويصبر على حرّ الجفاء ، ولا يدفعه إلى الصدّ أنفة ولا كبرياء ، وتلك شيمة المتيّمين الذين استغرقوا في تجربة الحب))[4] .

فالباحث في تتبعه لأشعار السنوسي وملامح حياته لم يجد ما يمكن أن يؤكد كلام

(١) انظر : من أعلام الشعر السعودي ، للدكتور بدوي طبانة : ٣٣٧ – ٣٦٧ .
(٢) انظر : المصدر السابق : ٣٦٦ .
(٣) المصدر السابق : ٣٦٧ .
(٤) المصدر السابق : ٣٦٣ – ٣٦٤ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

الدكتور بدوي طبانة ، وحكم مثل هذا لا بدّ أن يستند إلى دليل صريح وصحيح .

وفي السنة نفسها صدر كتاب (من شعر علي بن محمد السنوسي) جمعه وحققه وقدّم له الأستاذ الدكتور عبدالله أبو داهش ، وعند تقديم أبي داهش للشعر الذي جمعه تحدث عن شاعرية علي السنوسي ، وأبان عن ريادته ، وأنَّ الذين أسرفوا في نقده ومؤاخذته لم يكونوا يستندون إلى دليل أكيد ، أو رأي سديد . غير أنَّ الدكتور أبا داهش أعجب بمقال أستاذه وأستاذنا الدكتور محمد بن سعد بن حسين عن الشاعر علي السنوسي الذي عنوانه (من شعراء الجنوب علي بن محمد السنوسي) المنشور في مجلة الحرس الوطني[1]، وأورد جلَّ ما فيه مفرَّقاً . وهو فعلاً مقال يستحق الإعجاب ؛ لأنه أنصف شعر علي السنوسي ووضعه في المقام اللائق به حقاً[2].

والدكتور حسن الهويمل يرى في كتابه (النزعة الإسلامية في الشعر السعودي المعاصر) الذي (صدر في عام ١٤١٢هـ) ظهور التوجه الإسلامي بوضوح لدى عدد من شعراء جازان ، منهم السنوسي والعقيلي والبهكلي وعلي النعمي وغيرهم ، وكثير من آرائه التي قدمها في كتابه هذا تتفّق مع ما تناوله الباحث في أطروحته ، منها مثلاً أنه عندما صنّف الشعراء في المملكة جعل السنوسي من شعراء المحافظة [3] ، وفرّق الدكتور الهويمل بين مفهومي المحافظة والتقليد ، وقال إنَّ : ((المحافظة لا تمسّ قيمة الشاعر الفنية ، ولا تنال من أصالته ، ولا تنكر قدرته على الإجادة)) [4] .

وبحديث الدكتور الهويمل في كتابه هذا يكون قد تراجع عن رأيه السابق الذي نشره في مجلة الرائد سنة ١٣٨٢هـ في بداياته النقدية عندما قال : ((قلت في المنهل إنه أي السنوسي كلاسيكي محافظ على الشكل وقليل من المضمون ، وحتى الساعة وإلى قيام الساعة لا أزال عند

(١) انظر : مجلة الحرس الوطني ، ع ٥٠ ، س ٧ ، ربيع الثاني ١٤٠٧هـ : ١١٧ – ١١٩ .
(٢) انظر : مقدمة الدكتور عبدالله أبو داهش ، وكذلك مقدمة كتابه الآخر : (المفقود من شعر علي السنوسي) : ٤٧ – ٤٩ .
(٣) انظر : النزعة الإسلامية في الشعر السعودي المعاصر ، للدكتور حسن بن فهد الهويمل : ٣٨٦ .
(٤) المصدر السابق : ٣٨٤ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قولي ، فلقد قرأت الديوان فوجدتُ فيه الشاعر العربي البعيد كل البعد عن الآداب الحديثة غربيها وعربيها ، وكان شاعراً حقاً ، ولكنه ما يزال يعيش في كهوف الماضي)) [1] .

وسبب حكم الهويمل هذا هو أنه عمد إلى ديوانٍ واحد أطلق أحكامه على ضوئه ، ولكنه في كتابه (النزعة الإسلامية) اطلع ولا بدّ على دواوين السنوسي اللاحقة ، فتغيّرت النظرة ، والجميل أنَّ الناقد قد خالف رأيه الأول ولما تقم الساعة بعد .

وفي سنة ١٤١٣هـ صدر كتاب (نشأة الأدب السعودي المعاصر في جنوبي المملكة العربية السعودية) للدكتور عبدالله أبو داهش ، والكتاب يقف في رصده لإبداع الشعراء في جازان عند حدود سنة ١٣٨٠هـ ، وهي فترة مبكرة لم يكن حينها قد صدر من دواوين شعراء جازان سوى ديوان (شعراء الجنوب) المشترك ، وأنَّ أول ديوان شعري مستقل لم يظهر إلا بعد تلك السنة التي توقفت عندها دراسة الدكتور أبي داهش .

وفي دراسته أشار إلى عددٍ من الآراء التي تؤكد تربع شعراء جازان على قمة الشعر والفنون الأدبية الأخرى في جنوب المملكة [2] ، وأنَّ الشاعرين السنوسي والعقيلي هما أول شاعرين حملا صوت جنوب المملكة إلى الآفاق الأخرى ، بل إنهما مثّلا بلدهما في مرحلة مبكرة ، فيقول : ((ولئن كان السنوسي والعقيلي فرسي رهان في هذه النشأة ليعدّان عندئذٍ من حملة مشعل التطور الأدبي في بلادهما منذ منتصف العقد السابع من القرن الرابع عشر الهجري ، وبخاصة شعرهما الذي تم نشره في ميدان الصحافة المحلية عندئذ)) [3] ، وردّ الدكتور أبو داهش على بعض النقاد – ومنهم الدكتور عبدالله الحامد – الذين يرون أنّ العقيلي ذاب في القديم وفي التأثر بشوقي ، فقال أبو داهش في معرض بعض ردوده : ((ولا يعني هذا القول أن العقيلي أهمل المفيد من أدب عصره ، وثقافته ، بل كان شأنه مثل شأن معاصره محمد بن علي السنوسي في الميل نحو مدرسة المحافظين المجددين حين انفتح عصرهما على أسباب سواء أكان منها الدوريات والكتب المطبوعة ودواوين الشعراء ، أم كان عن طريق الروافد الأدبية التي

(١) مع شاعر الجنوب ، لحسن الهويمل ، الرائد ، ع ١٣٧ ، س ٤ ، الاثنين ٣٠/ ٥/ ١٣٨٢هـ : ص ٤ .
(٢) انظر : نشأة الأدب في جنوب المملكة العربية السعودية ، للدكتور عبدالله أبو داهش : ١٥ .
(٣) المصدر السابق : ١٤٣ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

تسرّبت عن طريق المراكز الفكرية المحيطة ببيئة جازان ، وبخاصة الحجاز))[1] .

وصدر بعد ذلك دراسات كثيرة ، ففي هذه السنة ١٤١٣هـ صدر كتاب (شعراء من الجزيرة العربية) لعبدالله بن سالم الحميد ، إذ ترجم الحميد فيه لشاعر من شعراء جازان المجددين هو إبراهيم صعابي ، وهي ترجمة جيدة ، ولكنها لا توفي الشاعر صعابي حقَّه ؛ بسبب أنها اعتمدت على ديوانين فقط من دواوين الشاعر صعابي الخمسة[2] ، إضافة إلى أنَّ ذينك الديوانين يخلوان من شعره الجديد وربما المتميز ، ولذا فحكم الأستاذ عبدالله الحميد يحتاج إلى مراجعة ، لا سيما قوله في خاتمة دراسته : ((وفي نهاية رحلتنا مع الشاعر إبراهيم صعابي لا بدَّ أن نشير إلى أنَّ لشاعرنا تجربة في كتابة شعر التفعيلة إلا أنها لا تزال في بدايتها التقليدية المسكونة بالهواجس الانفعالية ذات الأسلوب التقريري المباشر ...))[3] .

وفي سنة ١٤١٤هـ قدّم الأستاذ محمد بن سليمان القسومي أطروحته العلمية لنيل درجة الماجستير في الأدب بعنوان (محمد بن علي السنوسي حياته وشعره) ، وتعد تلك الدراسة أوفى ما كتب عن حياة السنوسي وشعره ، إضافة إلى أنَّها تعد مصدراً مهماً من مصادر شعر السنوسي ؛ بسبب أنَّ الباحث القسومي عمد إلى جمع أشعار السنوسي المتفرقة التي لم تنشر في المجموعة الكاملة لأشعار السنوسي ، مما تفرق في الصحف والمجلات ونادي جازان ، وكذلك ما بقي مخطوطاً في مكتبة الشاعر . وأكثر آراء القسومي جاءت مبنية على دراسة واعية ، واستقراء عميق ، إلا أنَّه ربما وقع في بعض الآراء التي تحتاج إلى مراجعة وتمحيص وشيء من التروّي ، من ذلك – مثلاً – قوله : ((وشاعت في دواوينه الأولى لفظة البحر ، وما يتّصل به كالموج والشاطيء والسِّيف والشراع والسفينة والملاح . ثم بدأت تقلّ حينما انطلق من بيئته المحدودة ، وتنقّل بجسمه وفكره في رحاب أوسع ، وامتزج بثقافات متعددة))[4] .

وهذا الكلام غير صحيح ، أولاً إن قوله : (دواوينه الأولى) كلام عام غير محدد ،

(١) المصدر السابق : ١٤٥ بتصرف .
(٢) هما : حبيبتي والبحر ، وزورق في القلب .
(٣) شعراء من الجزيرة العربية ، لعبدالله بن سالم الحميد : ٢٠ .
(٤) محمد بن علي السنوسي حياته وشعره – رسالة علمية غير منشورة – لمحمد القسومي : ٢١٨ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

فالشاعر ليس له إلاّ خمسة دواوين ، والجمع في كلمة (دواوين) لا يحتمل أقل من اثنين ، فمعنى هذا أنَّه بقي الديوانان الأخيران على أقل تقدير بدأت تقل فيها مفردات معجم البحر ومتعلقاته ، وهذا ما لم يذكره لنا القسومي .

وعند تأمل الباحث واستقرائه لدواوين السنوسي الخمسة وجد أنَّ معجم البحر ومتعلقاته متساوٍ تماماً في جميع الدواوين الأولى والأخيرة ، بل حتى القصائد التي جمعها الأستاذ القسومي في ملحق (فائت الشعر) لاسيما ما تأخر منها بعد سنة ١٤٠٠هـ كثير منها جاءت فيه (لغة البحر) واضحة ، فمن ذلك قصيدة (عناء وغناء) التي يقول فيها السنوسي:

كيف حال السباخ والبحر والمعبـ ـوج والجرف والذرى والعشيا
أنا في شمسها أذوب عناء وعلى بحرها أعوم هموما (١)

وأنشأ السنوسي قصيدتين في سنة ١٤٠٢هـ ، ورد فيها ألفاظ كثيرة من هذا المعجم، وهما (عطر وعطار) ، ومنها قوله :

من أين أبدأ ؟ قل لي كيف أختار وأنت بحرٌ من الآداب زخّار (٢)

وقصيدة (فهد يا فهد يا نصير الحضارة) ، وفيها يقول :

إن جازان وهي لؤلؤة الغو واص ضاقت على سناها المحاره
وهي ممدودة على البحر حسرى لا ترى موجه ولا تياره (٣)

فيحتاج الأستاذ القسومي إلى مراجعة رأيه السابق ، فالسنوسي يسيطر البحر سيطرة تامة على معجمه في بداياته الشعرية وأخريات أعماله ، ولا فرق بينهما ألبتة .

وفي سنة ١٤١٧هـ صدرت عدة دراسات تضمنت بعض الآراء في شعر شعراء جازان، منها كتاب (الشعر والمجتمع في المملكة العربية السعودية) للدكتور مسعد بن عيد العطوي ، وضمّن الدكتور مسعد كتابه عدداً من النماذج الاجتماعية لشعراء من جازان منهم

(١) جريدة البلاد ، ع ٦٥٨٤ ، ٧/ ١ / ١٤٠١هـ ، نقلاً عن محمد بن علي السنوسي حياته وشعره ، لمحمد القسومي : ٣١٩ .
(٢) جريدة عكاظ ، ع ٥٧٤٣ ،في ٢٥/ ٤/ ١٤٠٢هـ.
(٣) جريدة البلاد ع ٧١٢٧ ، قي ١١/ ١١/ ١٤٠٢هـ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

السنوسي ، والعقيلي ، والنعمي ، وعلي بن قاسم الفيفي ، وغيرهم .

وقد وقع أستاذنا في بعض الآراء المتناقضة فيما يخصّ بعض شعراء جازان ، فمن ذلك أنَّه عندما تحدّث عن القصائد الطويلة ، قال : ((ومن القصائد الطويلة قصيدة (رسائل إليها) للنعمي فقد تجاوزت ثمانين بيتاً ...)) [1] .

ثم لمّا انتهى من عرض القصائد الطويلة في شعر المجتمع السعودي انتقل إلى عرض القصائد متوسطة الطول قال : ((والشاعر علي النعمي يميل إلى القصائد المتوسطة الطول ؛ لأنه يحكي قصصاً في جل قصائده ...)) [2] .

فهل علي النعمي من شعراء القصائد الطويلة ، أو من شعراء القصائد متوسطة الطول ؟.

ومن الدراسات – أيضاً – الدراسة التي أعدّها الدكتور محمد الصادق عفيفي بعنوان (محمد بن أحمد العقيلي العالم الموسوعي والأديب والباحث الموضوعي) ، وهذه الدراسة أفردت باباً من أبوابها للتعريف بالعقيلي شاعراً ، والدكتور العفيفي توقف طويلاً عند بدايات العقيلي في ميدان الشعر ، وأهم ملامح شاعريته ، ولكنه أكثر من المبالغات والألفاظ الفخمة والفضفاضة في منزلة العقيلي الأدبية ، وترد هذه المبالغات عند تقديمه لمضامين قصائد الشاعر العقيلي ، فمن ذلك مثلاً قوله مقدماً قصيدة العقيلي التي وصف بها ما رأى في باريس: ((وبقدر ما يتاح للشاعر من خصوبة الفكر ، وعمق النظرة إلى الكون والعوالم البشرية التي يراها ويحتك بها ، فإن شعره يتجاوز حدود مكانه وزمانه ، كما مرَّ معنا في رحلات العقيلي إلى أمريكا ولندن وأسبانيا ، ولا سيما رحلته إلى باريس التي أسماها (ملحمة شعرية جازانية المنشأ باريسية الموضوع والمولد) ، فقد كان فيها من طول النفس ، وعجائب الأمور، ووجدانيات الرؤى ما جعل منها ملاحم إبداع ، ومنارات تضيء ما في إنسانية الإنسان من حبّ للجمال ، وشوق إلى روح النهوض والتقدم ، ومعرفة بموازين الحضارات والعقول الناضجة ...))[3]، وتلك القصيدة التي دبجّها العفيفي بهذه الأوصاف هي مجرد وصف قام به العقيلي ، متخذاً من رؤيته

(١) الشعر والمجتمع في المملكة العربية السعودي ، للأستاذ الدكتور مسعد العطوي : ٤٥٤ .

(٢) المصدر السابق : ٤٥٩ .

(٣) محمد أحمد العقيلي العالم الموسوعي والأديب والباحث الموضوعي ، للدكتور محمد الصادق عفيفي : ٨٤ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

كمؤرخ وجغرافي روح الرسام أو المصور الذي ينقل المشهد كما هو دون أيّ إضافة ، ولم يكن يظهر في تلك القصيدة أيُّ تفاعل من الشاعر تجاه ما رأى ، وليس فيها أي شيء من جديدات الرؤى ولا من عجائب الأمور ، وإنما هي المبالغة والنفخ في ما لا يقبل النّفخ ، والمجاملة على حساب الحقيقة .

وفي السنة نفسها (١٤١٧هـ) أعدّ الأستاذ خالد بن ربيع الشافعي رسالة علمية للحصول على درجة الماجستير في الأدب عنوانها (شعر محمد بن أحمد العقيلي دراسة تحليلية)، وهذه الدراسة هي أفضل ما كتب عن شعر العقيلي ، ومن الآراء التي خلص إليها خالد الشافعي أنَّ العقيلي شاعر اتباعي ، ولكنه حاول التجديد ، كما في قوله : ((ومن هنا لا يجد الدارس لشعر العقيلي مؤونة في تصنيف العقيلي في دائرة الشعراء الاتباعيين ، لكن ذلك لا يمنع من أنَّه كان يتطلّع إلى التجديد ؛ إذ لم يحجب عنده الاتباع تلك الرؤى الجديدة وروح العصر ومعايشة الواقع ، فقد طرق أبواب المعاصرة والتجديد ، فوجدنا في شعره معاني وأفكاراً جديدة ، وطرحاً لموضوعات ساخنة – في وقته – وتناولاً لكبريات الأحداث الدائرة من حوله . فهو يعيش مشكلات عصره ، ويعي متطلبات هذه المرحلة من حياة أمته ، ويحاول أن يكون أصيلاً في تجربته الإبداعية)) [1] .

غير أنَّ خالداً الشافعي قد أكثر من إظهار أخطاء العقيلي وتضخيم بعضها ، بل أحياناً يخطئه وهو لم يخطئ ، وتارات يعمد العقيلي إلى غير المشهور من اللغة ، فيصفه الشافعي بأنه أخطأ ، فمن ذلك مثلاً تعقيبه على قول العقيلي في إحدى أناشيده :

يـــا شـــبل يـــا غـــضنفر يـــا الفـــارس المظفّـــرْ

قال : ((أدخل (ياء) النداء على المعرف بـ (أل) ، وهذا خطأ نحوي ؛ لكونه لا يجتمع معرفان لشيء واحد)) [2] .

وفي الحقيقة أنَّ العقيلي لم يخطئ ، فقد ذكر النحاة أنه لا يجوز نداء ما فيه (أل) إلا في

(١) شعر محمد بن أحمد العقيلي دراسة تحليلية ، لخالد الشافعي : ٥١٢ – ٥١٣ .
(٢) المصدر السابق : ١٣٢ – ١٣٣ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

أربع صور : اسم الله تعالى ، والجمل المحكية ، واسم الجنس المشبه به ، وضرورة الشعر[1]، وهذا الذي وقع فيه العقيلي من ضرورة الشعر ، وله أسوة بالشعراء الذين سبقوه إلى ذلك ، وقد جاء في البيت المشهور :

عباس يا الملك المتوج والذي　　عرفت له بيتَ العلا عدنانُ

بل إنَّ البغداديين من النحاة يجيزون هذا ليس في الشعر فحسب ، بل في النثر أيضاً[2].

وفي سنة ١٤١٨ هـ أعد الأستاذ مفرح إدريس أحمد سيد رسالة علمية للحصول على درجة الماجستير عنوانها (الاتجاه الإسلامي في شعر محمد بن علي السنوسي) ، وهي كما يظهر من عنوانها وأيضاً من محتواها تتحدث عن زاوية محددة من شعر السنوسي ، وهي الاتجاه الإسلامي ، دون أن تتجاوزه إلى الاتجاهات الأخرى ، وهي دراسة جيدة أوفت ذلك الجانب في شعر السنوسي حقّه ، غير أنَّه أحياناً يتحدث عن قصائد لا علاقة لها بالموضوع الذي يتحدث عنه وهو (الاتجاه الإسلامي) ، وأحياناً يورد أحكاماً تخالف الحقيقة ، فمن ذلك أنه يقول : ((وتبدو الوحدة العضوية –أحياناً– في بعض قصائده التي خلت من النزعة القصصية ، ويأتي في مقدمة هذه القصائد ، قصيدته (حطم المارد القيود) ، و (اللحن السجين)، و (آل سعود في التاريخ) ، و(انتصار الحرية) ...))[3] . وتلك القصائد التي أشار إليها الأستاذ مفرح ليس فيها أي وحدة عضوية ، بل إنَّ الوحدة الفنية تكاد تختفي منها. وشعر السنوسي الذي خلا من النزعة القصصية لا توجد فيه أي وحدة عضوية (بمفهومها الصحيح) ، وإنما توجد فيها وحدة فنية ، وليس ذلك في جميع القصائد ، بل في عددٍ منها .

***

هذه أهم الدراسات التي حفلت بعددٍ من الآراء حول الشعر في جازان ، وهناك دراسات أخرى صدرت بعد الفترة التي توقف عندها البحث وهي سنة ١٤١٨ هـ ، ومن تلك الدراسات (التيارات الفنية في الشعر السعودي الحديث) للأستاذ الدكتور طلعت صبح السيد

(١) انظر : أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك ،لابن هشام : ٤/ ٣١ – ٣٢ .
(٢) انظر : المصدر السابق : ٤/ ٣٢.
(٣) الاتجاه الإسلامي في شعر محمد بن علي السنوسي ، لمفرح إدريس أحمد سيد : ٢٥٧ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

، صدرت هذه الدراسة سنة ١٤٢٠هـ ، و (الشعر الوجداني في المملكة العربية السعودية) للأستاذ الدكتور مسعد بن عيد العطوي ، صدرت سنة ١٤٢٠هـ، و(مراجعات أدبية) للدكتور حسين علي محمد ، صدرت دراسته عام ١٤٢١هـ ، و (لمحات عن الشعر والشعراء في جازان) للأستاذ حجاب بن يحيى الحازمي ، صدر بحثه هذا في سنة ١٤٢٢هـ ، وغيرها كثير .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

الخاتمة
(ملامح وسمات الشعر)

فبعد هذه الرحلة الطويلة والمضنية مع الشعر في منطقة جازان من عام ١٣٥١هـ - ١٤١٨هـ توصل الباحث إلى عددٍ من النتائج التي تكوّن في مجملها ملامح وسمات الشعر في جازان في الفترة المدروسة ، ولعل من أهم تلك النتائج :

١- استطاع الباحث – بفضل الله تعالى – أن يصل إلى كثير من مصادر الشعر في جازان ، وهي مصادر كثيرة ومتنوعة ، منها دواوين مطبوعة بلغت (٨٤) ديواناً صدر منها في الفترة المدروسة (٧٣) ديواناً ، وأحد عشر ديواناً صدرت بعد سنة ١٤١٨هـ . وصحفٌ ومجلات نشرت عدداً كبيراً من قصائد شعراء جازان ، جمع الباحث منها أكثر من (١٨٠٠) قصيدة ، وفاته كثير غيرها ، ودواوينُ مخطوطة لازالت حبيسة الأرفف والمكتبات الخاصة بلغت (١٧) ديواناً ، ومئاتُ القصائد المخطوطة التي قيلت في مناسبة أو محفل ولم تنشر . وكتبُ تراجم ودراسات أدبية وملفاتُ نوادٍ ، ومصادرُ أخرى كالرواية الشفوية ، وشرائط الإذاعة ومكتباتها السمعية .

كل تلك المصادر وغيرها كوّنت مادة ضخمة من الشعر أتاحت للباحث الاطلاع عن كثب على واقع الشعر الحقيقي في جازان ، ومن ثم إصدار أحكام تكون قريبة من الدقة والإتقان والموضوعية .

٢- تبيّن للباحث أنَّ جازان شهدت حركة نشطة في نشر الدواوين الشعرية ، ففي خلال ثمانٍ وأربعين سنة ، من عام ١٣٧٠هـ السنة التي نشر فيها أول ديوانٍ شعري ، إلى عام ١٤١٨هـ تم نشر ثلاثة وسبعين ديواناً ، وهذا النشر يعدّ قياسياً

www.alukah.net
شبكة الألوكة

إذا قورن بمناطق المملكة الأخرى ، إذ لم يفق منطقة جازان في هذا – بعد الاستقراء والتتبع – سوى منطقتا الرياض ومكة المكرمة من بين مناطق المملكة العربية السعودية الثلاث عشرة .

٣- يعدُّ الوصف أكثر الأغراض الشعرية التي تطرق لها شعراء جازان ، وهم بهذا لا يختلفون عن الطابع العام للشعر الحديث ، ومن أهم المؤثرات في كثرة هذا اللون من الشعر عند شعراء جازان هو ما تكونت منه الطبيعة في جازان من ملهمات للشعر ومعينات عليه من مشاهدات متنوعه ومرائي مشوقة ، وكثير من تلك الأجواء والملامح الطبيعية لم تتدخل فيها يد الإنسان بالتهذيب والتشذيب ، هرع إليها الشعراء فكانت حضنهم الدافيء ، وملتقى أحلامهم وذكرياتهم .

ولم يكن انصراف شعراء جازان إلى وصف الطبيعة هروباً سلبياً كما هو الحال عند شعراء الرومانسية المعاصرة ، وإنما كان فطرة خاصة ، وهروباً إيجابياً من عناء الحياة اليومية ومنغصاتها ، وفي بعضه احتجاج على التصرفات التي تخالف القيم والمثل العليا ، فيجد الإنسان في الريف وحياة الطبيعة البكر الفرصة ليلتقط أنفاسه .

وأثبتت الدراسة أن إقبال شعراء جازان على الطبيعة ووصفها ما هو إلا لون من ألوان حبهم لها ، وتمجيدهم إياها ، ونشر صورتها بين الناس .

وكان فنّ الوصف فرصة لعدد من الشعراء للتأمل واستجلاء أسرار الطبيعة الكامنة ، وتوجيه النظر البشري إلى قدرة الخالق وجماله .

٤- جاء شعر الغزل في المرتبة الثانية بعد الوصف ، وكشف البحث عن أنَّ هناك عدداً من الشعراء غلب على شعرهم الغزل ، فخصصوا له دواوين كاملة ، وهناك شعراء لم يرد الغزل في أشعارهم ألبتة ، منع بعضهم الوقار ، ومنع بعضهم الآخر

شبكة الألوكة - قسم الكتب

أنهم لا يقولون الشعر استجابة للعواطف الإنسانية ، وإنما الشعر عندهم مناسبة ، وليس ضرورة خاصة.

٥- حظي شعر المديح بنصيب وافر من اهتمام شعراء جازان ، وجاء في المرتبة الثالثة بعد الوصف والغزل ، واستأثر الملك عبدالعزيز آل سعود بأكثر المدائح ، إذ التفَ الشعراء من حوله يمجّدون صنيعه ، ويعلنون منهجه ، ويرمقون جهده في بناء الدولة الحديثة ، وكان أكثر الشعراء اهتماماً بالمديح هم شعراء البدايات ، الذين يمثلون الجيلين الأول (المقلد) والثاني (المحافظ) .

وأظهر البحث أنه إن كان هناك شعراء كثر ستروا مدائحهم وطووها عن أن تنشر في دواوينهم ؛ خوفاً من الهجمة الشرسة التي شنها بعض النقاد على شعر المناسبات ، إلا أن هناك عدداً من شعراء جازان لم يستسلموا أو يذعنوا ، فامتلأت دواوين بعضهم به ، بل جعله بعضهم في مقدماتها . وتلا الملك عبدالعزيز في الاستئثار باهتمام الشعراء أبناؤه الذين تولوا الملك من بعده ، فأمراؤهم ، ثم قليل من الأدباء والمفكرين .

٦- وبتأمل نتاج شعراء جازان توصل الباحث إلى أنَّ لشعر المناسبات – لا سيما ما اقترن منها بالمديح والإشادة بالمنجزات الوطنية – محاسن كثيرة ، لا يمكن أن يغض الطرف عنها ؛ لأن الشاعر لسان الأمة ، فكيف يختفي عند مناسباتها ، فإن صدق فله فضل الصدق والجودة ، وإن كذب وتملّق أدين كما يدان الشاعر الماجن والمنحرف .

٧- لم يقتصر رثاء شعراء جازان على الملوك والأمراء والأقربين والأهلين والمشاهير والأصدقاء، بل تجاوز ذلك إلى رثاء الدول والمدن المنكوبة ، والشهداء الذين ضحوا بأنفسهم في سبيل دينهم ومبادئهم السامية ، ورثى بعضهم ممتلكاته الخاصة

www.alukah.net
شبكة الألوكة

من كتبٍ ودور ، بل تجاوز بعض الشعراء ذلك إلى رثاء النفس ورواية مشهد احتضارها والوقوف على قبرها واستقبال المعزين فيها .

٨- أثبت البحث أنَّ تباشير النهضة السعودية الناشئة أغرت عدداً كبيراً من أبناء جازان في الستينات والسبعينات الهجرية بالرحلة إلى مناطق الجذب الوظيفي ، ومن ثم استبدت بهم الغربة وبرّح بهم الحنين ، فأرسلوا رسائل الشوق والحنين تقطر وجداً وتذوب ألماً ، وتكاد من الشوق أن تتكلم ، وظهر في هذا الشعر لومُ النفس التي أغرت بالرحلة ، وخدعتها الآمال والأحلام .

٩- اتضح في دراسة شعر القلق أن حزن عددٍ من شعراء جازان عميق الجذور في أنفسهم ، ولبعضهم فلسفة خاصة ، منهم من أحدث الاغتراب في نفوسهم قلقاً وتبرماً بالحياة ، وشكوى لا تتوقف في رحلة أو مقام ، فيفرون إلى السفر الدائم على بساط الخيال . وشعراء آخرون كان قلقهم إيجابياً فاعلا ليس ساذجاً ولا فرديا، بل هو إنساني عام يتحول في نفس الشاعر إلى طاقة ذاتية تنطلق في وجوه الإصلاح العام ، والإحساس بالألم في عالم يموج بالصراعات والحروب .

١٠- حمل شعر الإخوانيات كثيراً من مظاهر العلاقات الصادقة والمشاعر الدافئة ، والترابط الاجتماعي والصلات القوية بين أفراد المجتمع الجازاني ما بين تهانٍ حارة ، ومطارحات ومساجلات شعرية طريفة ، ومداعبات فكهة تعبق بالمرح والحبور ، وتندى بالصفاء والسرور .

١١- تبيّن للباحث أنَّ الهجاء لدى شعراء جازان كان أقل أغراض الشعر وروداً ، وأنه جاء في ثلاثة أنواع لا يكاد يخرج عن إطارها ، وهي الهجاء الشخصي والهجاء السياسي والهجاء الاجتماعي ، وجل هجائهم كان منصباً على سلب الفضائل النفسية للمهجو، ولم يتعد ذلك إلى الحديث عن المعايب الجسدية ، وصنيعهم ذلك

شبكة الألوكة - قسم الكتب

هو أبلغ أنواع الهجاء إيلاماً وأشده تأثيرا .

١٢- أبـرز البحـث أنَّ الـشعراء في جـازان انطلقـوا في جـلّ أغراضـهم الـشعرية وسـائر موضوعاتهم من منطلق إسلامي واضح المعـالم ، وأنهـم – أو أغلـبهم – قـد عرفـوا مهمتهم في الحياة ، ووعوا رسالتهم التي كلفوا بها – وهي رسـالة كـل أديـب يقـدر الأدب وأهدافه – فـسخروا شـعرهم وعـواطفهم لخدمـة الإسـلام ، وسـلط عـدد منهم لـسانه سـيفاً قاطعـاً في وجـه الكفـر والـضلال ، ووقفـوا سـدّاً منيعـاً وحـصناً حصيناً أمام أعداء الإسلام والمنحرفين عن صراطه المستقيم .

وأبـان البحـث أن قلّـة المجـون ، ونـدرة الانحـراف الفكـري ، وميـل الغـزل إلى النسيب ، وظهور شعر العفة أثر من آثار الاتجاه الإسلامي في الشعر .

١٣- كشف البحث عـن أنَّ الاهتمامـات الوطنيـة بـسطت ظلّهـا عـلى شـعراء جـازان ، وتمثلت الوطنية في تلك الروح التي تحب الوطن وتفتتن به ، وتعمل لـه ، وتـذود عن حماه ، وتحافظ على مكتسباته ومنجزاته ، وظهرت أكثـر مـاظهرت حـين يلـم بالوطن ضرّ ، أو يحيق به شر ، فتسترخص النفوس دماءها من أجل أوطانها دون منٍّ أو تفضّل ، لاسيما إذا كـان ذلـك في سـبيل الحـق والخـير وإعـلاء رايـة الـدين الذي ينتمي إليه أبناء الوطن بكل اعتزاز .

واهتمام الشعراء في جازان بالوطن لم يكن نابعاً من نزعة عصبية ، وإنما كان مرده إلى الدور العظيم الذي نهض به ملوكـه وأبنـاؤه في خدمـة الإسـلام والمسلمين ، وشروعهـم في تبليـغ الرسـالة التـي انبثقـت أنوارهـا مـن أراضـيهم بوسـائلهم المختلفة ، وشعورهم الجميل بأنَّ وطنهم للجميع من عرب ومسلمين .

١٤- أثبـت البحـث أن شـعراء جـازان لم يكونـوا بمعـزل عـن قـضايا أمـتهم العربيـة وعالمهم الإسلامي ، ولم يكن تعلقهم بوطنهم ليحجزهم عن التفاعـل مـع همـوم

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الأمة ، بل رأوا أن بلاد العرب والمسلمين هي بلادهم ، قضاياها قضاياهم ، وشجونها شجونهم ، أفراحها أفراحهم ، وأتراحها أتراحهم ، واستأثر باهتمامهم قضايا كثيرة منها الوحدة العربية والتضامن الإسلامي .

وواكب شعرهم أهم القضايا التي ألمت بالأمة ومثلّت هاجسها الأول ، وهي قضية فلسطين وما اتصل بها من صراعاتٍ ونكبات ، ومآسٍ وأزمات . تلاها قضية الجزائر والعدوان الثلاثي على مصر والصراعات الطائفية في لبنان ، واعتداء العراق على الكويت ، واستقلال الباكستان ، وقضية أفغانستان والبوسنة والهرسك .

١٥- بدا للباحث جلياً أن شعراء جازان لم يكونوا بعيدين عن قضايا مجتمعهم ، أو منغلقين على ذواتهم وهمومهم الخاصة ، بل كان لهم اتصالهم الواضح بمجتمعهم وإدراك أهم شجونه وهمومه ومتطلباته . واتضح أنَّ لعددٍ كبير منهم قدرة فائقة في الاطلاع على قضايا الناس ورغباتهم ، وأفكارهم وتطلعاتهم وطرائق معيشتهم وأنماط تفكيرهم ، وكانت قضية المرأة من أهم القضايا التي عالجوها في شعرهم الاجتماعي ، من حيث تعليمها وعملها وزواجها وما يحاك ضدّها من مؤامرات . وتحدثوا بوضوح عن أهم الحلول لعلاج عدد من المشاكل مثل الفقر والصراع المادي ، وتعاطي القات والمخدرات ، ودعوا إلى التكافل الاجتماعي ، والعمل ، وإصلاح الشباب وتهيئتهم لتحمل المسؤولية .

١٦- ظهر في البحث أنَّ شعراء جازان لم يكونوا محصورين في أشعارهم الوجدانية عند حدود عالم الطبيعة وخصوصيتها ، أو في ذاتية الحب فحسب ، وإنما انطلق بهم وجدانهم إلى آفاقٍ أرحب ، ومضامين أوسع ، فتعاملوا بأحاسيس صادقة ومشاعر ملتهبة مع قضايا الأمة والمجتمع . وأظهر الشعر في جازان أنه لا تناقض بين

شبكة الألوكة - قسم الكتب

الانفعال الوجداني الذاتي والواقعية الاجتماعية ، فهما ينبعان من مشكاة واحدة متى ما كان الشاعر صادقاً في الحالتين .

١٧- تبين للباحث أنه من الصعب أن يوجد تيار فني واحد ينتظم طبيعة التجربة عند شاعر بعينه ؛ ذلك لأن المذاهب الأدبية التي يتردد صداها في الأدب الحديث على اختلافها ليست مذاهب مستقلة كل الاستقلال ، ومن الصعب إيجاد حدود فاصلة بينها ؛ لأنها تتداخل كل التداخل ، ثم إنه ليس من المحتم على الأديب أن يدين بمذهب واحدٍ فحسب ، فقد تجتمع في أدبه جملة من المذاهب ، وقد تتداخل وعلى وجه الخصوص إذا كان الأديب من وفيري الإنتاج . ومن ثم كان تقسيم الباحث لأجيال الشعر في جازان إلى أربعة أجيال : مقلدون ومحافظون ومزاوجون بين المحافظة والتجديد وشعراء حداثة هو تقسيم نسبي على ما بينها من تداخل وتأثر وتأثير ، فيبدو شعر الشاعر قديماً أصيلاً وحيناً آخر رومانسياً مبتدعاً ، وليس هذا من ازدواج الشخصية في شيء ، بل هو من مناسبة الكلام لمقتضى الحال ، وهو الأصالة عينها .

١٨- عكف الشعراء المقلدون في جازان على التراث الشعري في عصوره المتأخرة ، واهتموا به أكثر مما سواه ، وتأثروا بأطره وقوالبه ، وأفكاره وصوره ، ولم يستطيعوا أن يضيفوا إلى ذلك التأثر فيضاً من أرواحهم أو انصهاراً من عواطفهم ، فخرجت قصائدهم صوراً مكررة لمن سبقهم .

وما يأخذه الباحث على هؤلاء الشعراء ليس هو تعلقهم بالشعر القديم والتراث المعطاء الأصيل ، بل هو عدم تفاعلهم الظاهر والمؤثر مع روح العصر الذي يعيشونه في وقت كان التحديث يسري في كل شيء ، وهذا الجيل هو ما أسميته بجيل علي السنوسي ورفاقه .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

١٩- ظهر للباحث أنَّ المحافظين من الشعراء في جازان هم الجيل الذي تكونت على أيديهم الرؤية الحقيقة والواضحة للشعر في جازان ، ومثلوا محطة الانتقال من القديم إلى الجديد ومن الاتباع إلى الابتداع ، وزاوجوا بين الشعر التقليدي بما فيه من مناسبات وديباجة ، والشعر الجديد ذي الموضوعات المتنوعة الذي يلتحم بقضايا الأمة والمجتمع ، ويصف رؤى الشاعر وتأملاته وما يتصل بوجدانه وذاته ، وهو جيل محمد السنوسي والعقيلي وعلي النعمي وعلي بن حسين الفيفي وغيرهم .

٢٠- أثبت البحث أنَّ هناك شعراء شاركوا المحافظين صنيعهم ثم أضافوا عليه قفزة كبيرة في عالم الشعر الجديد ، لاسيما تجديدهم في شكل القصيدة وبنائها الموسيقي ، ولذا فقد ارتضيت – كما ارتضى غيري من قبل – تسميتهم بالمزاوجين بين المحافظة والتجديد ، ولم أشأ أن أسمّيهم بالمجددين فحسب ؛ لأن هذه التسمية قد تلغي تجديد من سبقهم وفي الوقت ذاته قد تصرف عنهم معالم المحافظة التي وجدت في شعرهم بكل وضوح ، وهم فئتان في شعر جازان فئة اعتدلت في تجديدها وتوسطت في تجاربها الجديدة يمثلها إبراهيم مفتاح وإبراهيم صعابي وأحمد البهكلي وعلي صيقل . وفئة أوغلت في التجديد ونقلته إلى ميادين تحديثية في الشعر يمثلها أحمد الحربي وحسين النجمي وعبدالواسع سعيد عبده وغيرهم .

٢١- ظهر للباحث أنَّ نتاج شعر الحداثة مثَّله في جازان فئة من الشباب مازالوا في بداياتهم الشعرية ، تبع بعضهم أوهاج الحداثة وبريقها المغري بوعي وأكثرهم بدون وعي ، فكان ضياع الشخصية أبرز ملامح أدبهم ، تلاه محاولة تحطيم الثوابت في رمزية منغلقة ، وتلاعب بالألفاظ والمصطلحات ، ومحاولة محو الذوق الموسيقي الذي ألفته الأذن العربية، وقد واجه هذا التيار إنكاراً وهجوماً قوياً من قبل الأدباء والنقاد في جازان على حد سواء .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

وتوقُّفُ الباحث عند هذا اللون من الشعر الدخيل – الذي يهدم ولا يبني ، ويسفل ولا يعلو – كان بسبب اقتناعه بأن الأدب والفن بعامة إمتاع للحس والوجدان وتنمية للحق والخير والجمال ، وصلةُ الأدب بالأمة صلة الإنسان نفسه بها ، فالقيمة الأخلاقية في الأدب مطلب ، ولا جرم أنَّه لا يصح أن نعدّ القيم الأخلاقية معايير أدبية للحكم على الأدب ، ولكن يجب أن نقول هذا أدب هادم ، وهذا بانٍ مع ما نقوله عن الرداءة والجودة الفنية مادمنا نؤمن بالإنسان ، وارتباط الأدب بالمجتمع ، أمر لا محيد عنه مادام المثقف العربي المسلم مسؤولاً عن الكلمة الواعية الصادقة ، فالرائد لا يكذب أهله كما يقال .

٢٢- نجح أغلب شعراء جازان في رسم معالم البيئة وما يدور فيها من آمال ورغبات ، وفتحوا أعينهم على النهضة تسري في جميع أرجاء البلاد ، وعلى الثقافات تتدافع في جميع الجهات ، فاستهدف شعرهم أول ما استهدف الإصلاح الديني والاجتماعي والسياسي ، وتجلّت في أشعارهم أصالة المملكة ومحافظتها . وأنها تقوم أول ما تقوم على تمثيل الشعر لروح العصر الذي يعيشه الشعراء ، وخروج هذا الشعر مرآة صادقة تتجلّى فيه صورة ناطقة لحياة الشعراء ، وهذه الصفة هي التي نتحراها حين نبحث عن صدق الشعور الذي يعبر عنه الشاعر ، تعبيراً موافقاً لطبعه لا تكلف فيه ولا اختلاق .

٢٣- اتضح للباحث حرص شعراء جازان على إظهار خصوصية منطقة جازان ، فبرزت بعض المعالم المحلّية والملامح الخاصة من المظاهر الاجتماعية ، والمشاهد الريفية والحياة الشعبية المألوفة ، فكان الشعر وثيقة مهمة لرسم معالم المنطقة وتصوير عاداتها وألعابها، وأشجارها وطيورها ، وجبالها وأوديتها .

وكل ذلك كتب بلغة سهلة وواضحة تقترب كثيراً من اللهجة الجازانية الخاصة

www.alukah.net
شبكة الألوكة

التي تعدّ السهولة والرقة أهم ميزاتها ، ولم يكونوا ليقدروا على منع بعض الكلمات الدارجة والمصطلحات الجارية على الألسن من أن تدلف إلى أشعارهم لتكون إحدى معالم الخصوصية والأصالة .

٢٤- تبيّن للباحث قلة الشعر الإنساني ، فلم يرد من ذلك سوى قصائد قليلة لدى السنوسي وأحمد العطاس والبهكلي .

٢٥- أظهرت الدراسة بروز عددٍ من شعراء جازان في الوسط الأدبي بالمملكة العربية السعودية ، وبلغت شهرة بعضهم الآفاق ، إذ فازوا بجوائز إقليمية وشاركوا في منتديات عربية ، بل ترجمت أشعار بعضهم إلى اللغات الأخرى غير العربية .

٢٦- كشف البحث عن خفوت الصوت النسائي ، وعدم ظهوره ، فلم نجد سوى محاولات خجولة لبعض الشاعرات ، منهن نجوى هاشم التي تحولت إلى القصة فيما بعد وتركت الشعر ، وكذلك أشجان هندي . ومحاولات أخرى ناشئة لدى آمنة البهكلي وليلى النهاري وبدور العطّاس وغيرهنّ .

٢٧- إنَّ مما يظنه الباحث جديداً في بحثه هذا هو الكتابة عن شعراء لم يكتب عنهم من قبل ، ومتابعة شعراء لايزالون على قيد الحياة – على ما في هذا من صعوبات كبيرة – وآخرين عاشوا في الظل بعيدين عن الأضواء ، حاول هذا البحث أن يزيل ركام الغبار عن تراث بعضهم ونتاجه ، وحاول – أيضاً – أن يحرّك آخرين ، ويذكي رؤاهم الإبداعية ، وليطلعوا على صورتهم الشعرية عند الآخرين ، فيكون هذا العمل – في نظر الباحث – مما يحدث التفاعل الإيجابي بين الناقد ومنتقديه . وفرصة لأن يقال للأديب المبدع المحسن المجيد لقد أحسنت ، وهي كلمة ثناء يجب أن يسمعها في حياته، بدل أن ننتظر وفاته لنقولها ، وحينها نفقد الكلمة كثيراً من وهجها وتأثيرها .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

٢٨- حظي شعر شعراء جازان باهتمام كثير من النقاد المعاصرين ، ولكن تبين للباحث أنّ كثيراً من أولئك النقاد لم يقف بنفسه على نتاج شعراء جازان ، وإنما وردت إليه أحكام نقدية قالها من سبقه فأخذ بها دون تمحيص أو وعي . وقلة هم أولئك الذين استقلوا بأرائهم ، وكان للباحث وقفات مع آراء أولئك النقاد موافقة أو معارضة أو تدليلاً .

وخلص الباحث من هذا إلى أنَّ على الدارس لأي شعر قبل أن يحكم عليه أن يتعرف على طبيعة البيئة التي نشأ فيها قائلوه ، وعلى مفهوم الشعر عندهم ووظيفته ومراميه ، ونظرتهم إلى الحياة التي يعيشونها وموقفهم منها ، فعدم فهم مثل هذه الأمور هو المسؤول الأول عن تورط بعض النقاد والدارسين في أحكام متسرعة لا يؤيدها الواقع ، ولا تستند إلى برهان أو دليل .

هذا والله أسأل أن يأخذ بأيدينا إلى الصواب ، وأن يجنبنا الزلل ، وأن يبارك في هذا العمل وينفع به .

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

* * *

www.alukah.net
شبكة الألوكة

شبكة الألوكة - قسم الكتب

الفهارس

١- ثبت المصادر والمراجع
٢- فهرس الشعراء المترجم لهم
٣- فهرس الموضوعات التفصيلي

www.alukah.net

شبكة الألوكة - قسم الكتب

ثبت المصادر والمراجع

بعد القرآن الكريم

أولاً : الكتب المطبوعة .

ثانياً : المقالات .

ثالثاً : المصادر المخطوطة .

رابعاً : رسائل علمية لم تنشر .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

شبكة الألوكة - قسم الكتب

ثبت المصادر والمراجع

أولاً- الكتب المطبوعة:

١- الاتجاه الابتداعي في الشعر السعودي الحديث، لمحمد بن حمود حبيبي، إصدارات المهرجان الوطني للتراث والثقافة (١٣٤)، الرياض، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م.

٢- الاتجاهات الأدبية في العالم العربي الحديث، لأنيس المقدسي، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة السادسة ١٩٨٢م.

٣- الاتجاه الإسلامي في الشعر السعودي الحديث قيمة الفنية في موازين النقد، لمحمد بن عبده الشبيلي، إصدارات المهرجان الوطني للتراث والثقافة، الرياض الطبعة الأولى ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م.

٤- الاتجاه الإسلامي في شعر محمد بن علي السنوسي، لمفرح إدريس أحمد سيد، معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي بجامعه أم القرى، مكة المكرمة، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ ١٩٩٧م.

٥- الاتجاه الإنساني في الشعر العربي المعاصر، للدكتور مفيد قميحة، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م.

٦- الاتجاهات الجديدة في الشعر العربي المعاصر، لعبد الحميد جيدة، دار النهضة، القاهرة، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م.

٧- اتجاهات الشعر المعاصر في نجد، للدكتورحسن بن فهد الهويمل، منشورات نادي القصيم الأدبي ببريدة، الطبعة الأولى، ١٤٠٤هـ.

٨- اتجاهات وآراء في النقد الحديث، للدكتور محمد نايل، مطبعة دار الرسالة، القاهرة، الطبعة الأولى، عام ١٩٧٤م.

٩- الاتجاه الوجداني في الشعر العربي المعاصر، للدكتور عبدالقادر القط، دار النهضة العربية، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م.

١٠- أثر دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب في الفكر والأدب بجنوبي الجزيرة العربية، للدكتور عبدالله أبو داهش، مطابع الشريف، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.

١١- أجراس (شعر)، لعلي بن حسين الفيفي، الطبعة الأولى، ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٨م.

١٢- أحمد الغزاوي وآثاره الأدبية، للاستاذ الدكتور مسعد بن عيد العطوي، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ.

١٣- احمرار الصمت (شعر)، لإبراهيم مفتاح، دار الصافي، نادي جازان الأدبي، الطبعة الأولى، ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

١٤- الإخوانيات في الشعر العباسي ، للدكتور محمد الملا ، نشر النادي الأدبي بالمنطقة الشرقية، الطبعة الأولى ، ١٤١٢هـ .
١٥- الأدارسة في تهامة من عام ١٣٤١هـ - ١٣٤٧هـ ، للشيخ عبدالله العمودي ، تحقيق الدكتور عبدالله أبو داهش ، دار مازن للطباعة والنشر ، أبها ، ١٤١٢هـ .
١٦- أدباء سعوديون ، للدكتور مصطفى إبراهيم حسين ، دار الرفاعي ، الرياض ، الطبعة الأولى ، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م .
١٧- أدباء من السعودية ، للدكتور يوسف حسن نوفل ، دار العلوم ، الرياض ، ١٤٠٦هـ .
١٨- الأدب الحجازي الحديث بين التقليد والتجديد ، للأستاذ الدكتور إبراهيم الفوزان ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م .
١٩- الأدب الحديث تاريخ ودراسات ، للأستاذ الدكتور محمد بن سعد بن حسين ، مطابع الفرزدق ، الرياض ، الطبعة الخامسة ، ١٤١١هـ .
٢٠- أدب الدنيا والدين ، للماوردي ، دار نهضة مصر ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م .
٢١- الأدب الشعبي في الجنوب ، لمحمد بن أحمد العقيلي ، دار اليمامه للبحث والترجمة والنشر، الرياض، الطبعة الثانية ، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م .
٢٢- الأدب العربي الحديث ، للدكتور محمد عبدالمنعم خفاجي ، المطبعة المنيرية بالأزهر ، القاهرة ، الطبعة الأولى ، د.ت .
٢٣- الأدب فنونه ومذاهبه ، للدكتور محمد مندور ، دار نهضة مصر ، د. ت .
٢٤- الأدب في التراث الصوفي ، للدكتور محمد عبدالمنعم خفاجي ، مكتبة غريب ، القاهرة ١٩٧٧م .
٢٥- أدب المهجر للدكتور صابر عبدالدايم ، دار المعارف ، القاهرة ، الطبعة الأولى ، ١٩٩٣م.
٢٦- أدبنا في آثار الدارسين ، للدكاتره منصور الحازمي ، ومحمد الخطراوي ، وعبدالله المعطاني، النادي الأدبي ، جدة ، ١٤١١هـ .
٢٧- إذا ما الليل أغرقني (شعر) ، للدكتور عبدالله بن أحمد الفيفي ، مطابع الشريف، الرياض، الطبعة الأولى ، ١٤١١هـ/ ١٩٩٠م .
٢٨- الأرض والحب (شعر) ، لأحمد بن يحيى بهكلي ، منشورات نادي جازان الأدبي، الطبعة الأولى ، ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م .
٢٩- الأرض والعشق (شعر) ، لعلي بن أحمد النعمي ، منشورات دار الفيصل الثقافية ، الرياض ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م ، وطبع مرة ثانية (طبعة مصورة) ١٤٠٦هـ .
٣٠- الأزاهير (شعر) ، لمحمد بن على السنوسي ، الطبعة الأولى ، ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م .
٣١- أزهار (شعر) ، لعلي بن حسين الفيفي ، منشورات نادي الطائف الأدبي ، الطبعة الأولى، ١٤٠٢هـ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

٣٢- استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر ، للدكتور علي عشري زايد ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م .
٣٣- أسرار البلاغة ، لعبدالقاهر الجرجاني ، تعليق السيد محمد رشيد رضا ، دار المعرفة ، بيروت ، ١٣٩٨هـ / ١٩٧٨م .
٣٤- الأسس النفسية للإبداع الفني في الشعر خاصة ، للدكتور مصطفى سويف ، دار المعارف، مصر ، الطبعة الرابعة ، ١٩٨١م .
٣٥- الأسلوب ، لأحمد الشايب ، النهضة المصرية ، الطبعة السادسة ، ١٩٦٦م .
٣٦- أشرعة الصمت (شعر) ، لحسين بن محمد سهيل ، منشورات نادي جازان الأدبي ، طبع دار العلم ، جدة ، الطبعة الأولى ، ١٤١١هـ / ١٩٩٠م .
٣٧- أصداء الذكريات (شعر) ، لعلي بن حسين الفيفي ؛ مكة المكرمة ، الطبعة الأولى ،١٣٨٤هـ .
٣٨- الأصوات اللغوية ، للدكتور إبراهيم أنيس ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، الطبعة السادسة ، ١٩٨١م .
٣٩- أصول النقد الأدبي ، لأحمد الشايب ، مطبعة النهضة المصرية ، الطبعة الثامنة ، ١٩٧٣م.
٤٠- أضواء على الأدب والأدباء في منطقة جازان ، لمحمد بن أحمد العقيلي ، دار مكة، للطباعة والنشر ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٠هـ.
٤١- أضواء على تاريخ الجزيرة العربية الحديث ، لمحمد بن أحمد العقيلي ، طباعة دار العلم للطباعة والنشر جدة ، الطبعة الأولى ، ١٤١٣هـ / ١٩٩٢م .
٤٢- الأعلام ، لخير الدين الزركلي ، دار العلم للملايين ، بيروت ، لبنان ، الطبعة السادسة ، ١٩٨٤م .
٤٣- الأعمال الشعرية الكاملة ، لنزار قباني ، بيروت ، الطبعة الثانية ، ١٩٧٣م .
٤٤- الأعمال الكاملة (شعر) ، محمد بن علي السنوسي ، منشورات نادي جازان الأدبي ، طبع مطابع الروضة ، جدة ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٣هـ .
٤٥- الأغاريد (شعر) ، لمحمد بن علي السنوسي ، مطابع دار الأصفهاني ، جدة ، الطبعة الأولى ، ١٣٨٥هـ .
٤٦- الأغاني ، لأبي الفرج الأصبهاني ، دار التراث العربي ، بيروت ، طبعة مصورة عن طبعة دار الكتب ، د. ت .
٤٧- أغنية للوطن (شعر) ، لعلي بن محمد صيقل ، منشورات نادي جازان الأدبي ، طبع في دار العلم للطباعة والنشر ، جدة ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٩هـ / ١٩٨٩م .
٤٨- أفاويق الغمام (شعر) ، لمحمد بن أحمد العقيلي ، دار البلاد للطباعة والنشر ، جدة ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

٤٩- إقليم الحجاز وعوامل نهضته الحديثه ، للأستاذ الدكتور إبراهيم الفوزان ، مطابع الفرزدق التجارية ، الرياض ، الطبعة الأولى ، ١٤٠١هـ / ١٩٨١م .
٥٠- اكتشاف جزيرة العرب ، خمسة قرون من المغامرة والعلم ، لجاكلين بيرين ، ترجمه قدري قلعجي ، دار الكاتب العربي ، بيروت ، ومكتبة النهضة ، بغداد ، ١٩٦٢م .
٥١- الله ، لعباس محمود العقاد ، مصر ، د. ت .
٥٢- ألف ليلة وليلة ، المطبعة الثقافية ، بيروت ، د. ت .
٥٣- ألم وأمل (شعر) ، لحسين بن أحمد النجمي ، دار مازن للطباعة ، أبها ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٥هـ .
٥٤- إلياذة هوميروس ، لسليمان بن خطار البستاني ، دار المعرفة ، بيروت ، د . ت .
٥٥- انتفضي أيتها المليحة (شعر) ، لأحمد الصالح (مسافر) ، دار العلوم الرياض ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م .
٥٦- الأندية الأدبية في العصر العباسي في العراق حتى نهاية القرن الثالث الهجري ، لعلي هاشم، منشورات دار الآفاق الجديدة ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م .
٥٧- الأنغام المضيئه (شعر) ، لمحمد أحمد العقيلي ، دار اليمامه للبحث والترجمة والنشر ، الرياض ، الطبعة الأولى ، ١٣٩١هـ / ١٩٧١م .
٥٨- انكسرت وحيدا (شعر) ، لمحمد بن حمود حبيبي ، دار الجديد ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٩٩٥م .
٥٩- أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك ، لابن هشام ، تحقيق محمد محي الدين عبدالحميد ، المكتبة العصرية ، بيروت ، د . ت .
٦٠- أول الغيث (شعر) ، لأحمد بن يحيى بهكلي ، منشورات النادي الأدبي بالرياض ، الطبعة الأولى ، ١٤١٢هـ .
٦١- أوهاج الحداثه (دراسة في القصيده العربية الحديثه) ، للدكتور نعيم اليافعي ، منشورات اتحاد الكتاب العرب ، دمشق ، ١٤١٣هـ / ١٩٩٣م .
٦٢- البحث الأدبي ، للدكتور شوقي ضيف ، دار المعارف ، مصر ، الطبعة السادسة ، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م .
٦٣- بحوث المؤتمر الأول للأدباء السعوديين المنعقد في مكة، ربيع الأول ١٣٩٤هـ، مطبوعات جامعة الملك عبدالعزيز ج ١ ، ج ٢ .
٦٤- بناء القصيدة العربية ، للدكتور يوسف بكّار ، مطبعة دار نشر الثقافة ، مصر ، ١٩٧٩م.
٦٥- بناء القصيدة العربية الحديثه ، للدكتور علي عشري زايد ، الطبعة الثانية ، ١٩٧٩م .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

٦٦- بوابة للجسد (شعر) ، لعلي بن محمد الحازمي ، مطابع مؤسسة المدينة للصحافة ، دار العلم ، جدة ، الطبعة الأولى ، ١٤١٣هـ / ١٩٩٣م .
٦٧- بوصلة واحدة لا تكفي (شعر) ، لعلي بن محمد الأمير ، منشورات نادي جازان الأدبي ، طبع مؤسسة المدينة للصحافة ، (دار العلم) ، جدة ، الطبعة الأولى ، ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م .
٦٨- تأملات على مرافئ الغربة (شعر) ، لحسين بن أحمد النجمي ، منشورات نادي أبها الأدبي ، طبع بمؤسسة المدينة للصحافة (دار العلم) ، جدة ، الطبعة الأولى ، ١٤١٧هـ / ١٩٩٦م .
٦٩- تاريخ آداب العرب ، لمصطفى الرافعي ، دار الاستقامه ، القاهرة ، الطبعة الأولى ، ١٩٥٤م .
٧٠- تاريخ الأدب العربي ، للدكتور عمر فروخ ، دار العلم للملايين ، الطبعة الخامسة ، ١٩٨٤م .
٧١- تاريخ الأدب العربي العصر العباسي الأول ، للدكتور شوقي ضيف ، دار المعارف ، مصر، الطبعة الثامنه ، د .ت .
٧٢- التاريخ الأدبي لمنطقة جازان ، لمحمد بن أحمد العقيلي ، منشورات نادي جازان الأدبي ، الطبعة الأولى ، ١٤١٣هـ / ١٩٩٢م .
٧٣- تاريخ الأمم والملوك ، للإمام الطبري ، دار الكتب العلمية ، بيروت د . ت .
٧٤- تاريخ الحركة التعليمية في المملكة العربية السعودية ، للدكتور حمد السلوم ، الطبعة الثانية، ١٤٠٨هـ .
٧٥- تاريخ العلاقات السعودية اليمنية ، للدكتورة فتوح الخترش ، الكويت ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م .
٧٦- تاريخ المخلاف السليماني ، لمحمد بن أحمد العقيلي ، مطابع الوليد ، الطبعة الثالثة ، ١٤١٠هـ / ١٩٩٠م .
٧٧- التحقيقات المعدة بحتمية ضمّ جيم جدة (كتاب المنهل) ، لعبدالقدوس الأنصاري ، دار الأصفهاني ، جدة ، الطبعة الأولى ، د . ت .
٧٨- ترانيم على الشاطئ (شعر) ، لعلي بن محمد صيقل ، منشورات نادي جازان الأدبي ، طبع مطابع دار العلم للطباعه والنشر ، جدة ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٦هـ .
٧٩- التصوير البياني بين القدماء والمحدثين ، دراسة نظرية تطبيقية ، للدكتور حسني عبدالجليل ، دار الآفاق العربية ، القاهرة ، ١٩٩٧م .
٨٠- تطور الغزل في الجاهلية والإسلام من امرئ القيس إلى ابن أبي ربيعة ، للدكتور شكري فيصل ، دار العلم للملايين ، بيروت ، الطبعة السادسة ، ١٩٨٢م .
٨١- تغريد النُهى (شعر) ، لأحمد العطّاس ، مطابع الصفا ، مكة المكرمة ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٨هـ .
٨٢- التفكير فريضة إسلامية ، لعباس محمود العقاد ، منشورات المكتبة العصرية ،صيدا، بيروت. د . ت .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

٨٣- تقاسيم على جذع نخلة الوادي (شعر) ، لأحمد إبراهيم الحربي ، إصدارات نادي أبها الأدبي ، الطبعة الأولى ، ١٤١٩هـ .
٨٤- تماهي منبت (شعر) ، لمحمد بن مسير مباركي ، دار الفرسان للنشر والتوزيع ، القاهرة ، الطبعة الأولى ، ١٤١٦هـ / ١٩٩٦م .
٨٥- التمثيل الصوتي للمعاني دراسة نظرية وتطبيقية من الشعر الجاهلي ، للدكتور حسني عبدالجليل ، الدار الثقافية للنشر ، ١٤١٨هـ / ١٩٩٨م .
٨٦- التيارات الأدبية الحديثه في قلب الجزيرة العربية ، لعبدالله عبدالجبار ، طبعة معهد الدراسات العربية ، القاهرة ، الطبعة الأولى ، ١٣٧٩هـ / ١٩٥٩م .
٨٧- التيارات الفنية في الشعر السعودي الحديث ، للأستاذ الدكتور طلعت صبح السيد ، دار عبدالعزيز آل حسين للنشر والتوزيع ، الرياض ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م .
٨٨- الثابت والمتحول ، لأدونيس ، بيروت ، ١٩٧٤م .
٨٩- ثورة الشعر الحديث ، لعبدالغفّار مكّاوي ، عالم الكتب ، القاهرة ، ١٩٧٢م .
٩٠- جدائل الفل (إطلالات أدبية وباقات شعرية بمناسبة الذكرى المئوية لتأسيس المملكة العربية السعودية) ، إعداد اللجنة الثقافية بإمارة منطقة جازان ، طبع مطابع جازان ، الطبعة الأولى ، ١٤١٩هـ .
٩١- جرأة قلب (شعر) ، لمنصور محمد دماس مباركي ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٦م .
٩٢- جراح قلب (شعر) ، لعلي بن أحمد النعمي ، منشورات نادي جازان الأدبي ، طُبع بمطابع العلم للطباعة والنشر ، جدة ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٩هـ / ١٩٨٩م .
٩٣- جمهرة أشعار العرب ، لأبي زيد القرشي ، شرحهُ وضبطه الأستاذ علي فاعور ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م .
٩٤- حالة الأمن في عهد الملك عبدالعزيز ، لرابح لطفي جمعة ، مطبوعات دارة الملك عبدالعزيز ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م .
٩٥- حبيبتي والبحر (شعر) ، لإبراهيم بن عمر صعابي ، منشورات نادي جازان الأدبي ، طبع في الدار السعودية للنشر والتوزيع ، جدة ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٣هـ .
٩٦- حدائق الزهر في ذكر الأشياخ أعيان الدهر ، للحسن بن أحمد عاكش ، تحقيق الدكتور إسماعيل بن محمد البشري ، دار هجر القاهرة ، الطبعة الأولى ، ١٤١٣هـ .
٩٧- الحداثة في ميزان الإسلام ، للدكتور عوض بن محمد القرني ، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان ، القاهرة ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

٩٨- الحداثه من منظور إيماني ، للدكتور عدنان النحوي ، دار النحوي للنشر والتوزيع ، الطبعة الثالثة ، ١٤١٠هـ/ ١٩٨٩م .
٩٩- حركات التجديد في الشعر السعودي المعاصر ، للدكتور عثمان الصوينع ، مطابع الفرزدق التجارية ، (الرياض) ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٧م .
١٠٠- حركات التجديد في موسيقى الشعر العربي الحديث ، لـ: س ، مورية ، ترجمة سعد مصلوح ، عالم الكتب ، القاهرة ، الطبعة الأولى ، ١٣٨٩هـ .
١٠١- الحركة الأدبية في المملكة العربية السعودية ، للدكتور بكري شيخ أمين ، دار العلم للملايين ، بيروت ، الطبعة الخامسة ، ١٩٨٦م .
١٠٢- حركة الشعر الحديث في سورية من خلال أعلامه ، للدكتور أحمد بسام ساعي ، دار المأمون للتراث ، دمشق ، الطبعة الأولى ، ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م .
١٠٣- حماسة الظرفاء من أشعار المحدثين والقدماء ، لأبي محمد الزوزني ، تحقيق محمد جابر المعيد ، منشورات وزارة الإعلام ، العراق ، ١٩٧٣م .
١٠٤- الحنين إلى الوطن في الأدب العربي إلى نهاية العصر الأموي ، لمحمد إبراهيم حور ، دار نهضة مصر للطبع والنشر ، القاهرة ، د . ت .
١٠٥- الحياة الفكرية والأدبية في جنوبي البلاد السعودية ، للدكتور عبدالله أبو داهش ، منشورات نادي أبها الأدبي ، مطابع الجنوب ، أبها ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٦هـ .
١٠٦- الحيوان ، للجاحظ ، تحقيق وشرح عبدالسلام هارون ، دار إحياء التراث العربي الإسلامي ، بيروت ، الطبعة الثانية ، ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٩م .
١٠٧- خفقات قلب (شعر) ، لحسين بن أحمد النجمي ، الدار السعودية للنشر والتوزيع ، جدة، الطبعة الأولى ، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م .
١٠٨- خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر للمحبّي ، المطبعة الوهبية ، القاهرة ، ١٢٨٤هـ .
١٠٩- خلف أسراب البجع (شعر) ، محمد أحمد الشنقيطي ، الطبعة الأولى ، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م .
١١٠- دراسات في الأدب السعودي ، للدكتور عباس بيومي عجلان ، والدكتور عبدالله سرور، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، ١٩٨٩م .
١١١- دراسات في الأدب العربي على مر العصور ، مع بحث خاص بالأدب السعودي ، للدكتور عمر الطيب الساسي ، دار الشروق ، جده ، طبع مطابع سحر ، الطبعة الثامنة، ١٤٠٧هـ .
١١٢- دراسات في تعدي النص ، لوليد خشاب ، المجلس الأعلى للثقافة ، طبع الهيئه العامه لشؤون المطابع الأميرية ، الكويت ، ١٩٩٤م .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

١١٣- دراسات في جغرافية المملكة العربية السعودية ، للدكتور عمر الفاروق رجب ، دار الشروق ، جدة ، الطبعة الأولى ، ١٣٩٨هـ / ١٩٧٨م .
١١٤- دراسات في شعر محمد بن علي السنوسي ، لعدد من الدارسين ، منشورات نادي جازان الأدبي ، مطابع دار العلم ، جدة ، الطبعة الأولى ، ١٤١١هـ .
١١٥- دموع لا يمسحها الزمن (شعر) ، لحسين بن جبران الكريري ، مطابع الشرق الأوسط، الرياض ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٩هـ ، الطبعة الثانية ، د . ت .
١١٦- دموع المعاناة (شعر) ، لمحمد أحمد الشنقيطي ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م.
١١٧- دوائر الصمت (شعر) ، لعبدالواسع سعيد عبده ، منشورات نادي جده الأدبي ، طبع في مطابع الروضة ، جدة ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٠هـ .
١١٨- دير الملاك دراسة نقدية للظواهر الفنية في الشعر العراقي المعاصر ، للدكتور محسن أطيمش، منشورات وزارة الثقافة والإعلام ، العراق ، دار الرشيد ، د . ت .
١١٩- ديوان إبراهيم ناجي ، دار العودة ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٩٨٠م .
١٢٠- ديوان أب ، لعمر بهاء الدين الأميري ، دار القرآن الكريم ، مطابع دار الفتح ، بيروت ، ١٣٩٤هـ .
١٢١- ديوان ابن خفاجة ، عناية كرم البستاني ، دار بيروت للطباعة والنشر ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م .
١٢٢- ديوان أبي تمام بشرح الخطيب التبريزي ، تحقيق محمد عبده عزام ، دار المعارف ، مصر ، الطبعة الرابعة ، ١٩٨٣م .
١٢٣- ديوان أبي دهبل الجمحي ، رواية أبي عمرو الشيباني ، تحقيق عبد العظيم عبدالمحسن ، مطبعة دار القضاء ، النجف ، الطبعة الأولى ، ١٣٩٢هـ .
١٢٤- ديوان أبي فراس الحمداني ، بشرح الدكتور خليل الدويهي ، دار الكتاب العربي ، بيروت، ١٤١٢هـ / ١٩٩١م .
١٢٥- ديوان أبي القاسم الشابي ، دار العودة ، بيروت ، ١٩٨٨م .
١٢٦- ديوان الأعشى الكبير ، تحقيق الأستاذ الدكتور محمد محمد حسين ، مؤسسه الرسالة ، بيروت ، الطبعة السابعة ، ١٤٠٣هـ .
١٢٧- ديوان الأمير الصنعاني ، قدم له وأشرف على طباعته علي السيد صبح المدني ، مطبعة المدني ، القاهرة ، الطبعة الأولى ، ١٣٨٤هـ / ١٩٦٤م .
١٢٨- ديوان إيليا أبو ماضي ، دار العودة ، بيروت ، ١٩٨٦م .
١٢٩- ديوان الزركلي – الأعمال الكاملة – بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م .
١٣٠- ديوان طرفة بن العبد ، تحقيق الدكتور علي الجندي ، مطبعة الأنجلو مصرية ، ١٩٥٨م .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

١٣١- ديوان عبدالله البردوني (شعر) ، دار العودة ، بيروت ، ١٩٨٦م .
١٣٢- ديوان عمر أبو ريشة ، دار العودة ، بيروت ، ١٩٧١م .
١٣٣- ديوان عمرو بن كلثوم التغلبي ، تحقيق أيمن ميدان ، نشر النادي الأدبي بجدة ، الطبعة الأولى ، ١٤١٥هـ .
١٣٤- ديوان عنترة ، تحقيق ودراسة محمد سعيد مولوي ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، د.ت.
١٣٥- الديوان في الأدب والنقد ، للعقاد والمازني ، دار الشعب ، القاهرة ، الطبعة الثالثة ، د.ت.
١٣٦- ديوان لسان الدين بن الخطيب ، تحقيق الدكتور أحمد العبادي ، راجعه د. عبدالعزيز الأهواني ، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر ، القاهرة ، د . ت .
١٣٧- ديوان المعاني ، لأبي هلال العسكري ، طبعة مكتبة المقدسي ، طبعة سنة ١٣٥٢هـ .
١٣٨- رائحة التراب (شعر) ، لإبراهيم بن عبدالله مفتاح ، منشورات نادي جازان الأدبي ، طبع في مؤسسه المدينة للصحافة بجدة ، الطبعة الأولى ، ١٤١٦هـ .
١٣٩- رثاء الأبناء في الشعر العربي إلى نهاية القرن الخامس الهجري ، للدكتور مخيمر صالح ، مكتبة المنار ، الأردن ، الطبعة الأولى ، د .ت .
١٤٠- الرثاء ، للأستاذ الدكتور شوقي ضيف ، دار المعارف ، الطبعة الرابعة ، ١٩٥٥م .
١٤١- رجال من مكة المكرمه ، لزهير محمد جميل كتبي ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٣هـ .
١٤٢- رحلة الأمس (شعر) ، لأحمد إبراهيم الحربي ، منشورات نادي جازان الأدبي ، طبع بمطابع مؤسسة المدينة للصحافة (دار العلم بجدة) ، الطبعة الأولى ، ١٣٩٧هـ .
١٤٣- رحلة العمر (شعر) ، لعلي بن حسين الفيفي ، منشورات نادي الطائف الأدبي ، طبع مطابع الزائدي للأوفست بالطائف ، الطبعة الأولى ، ١٣٩٧هـ .
١٤٤- الرحيل إلى الأعماق (شعر) ، لعلي بن أحمد النعمي ، منشورات نادي جازان الأدبي ، طبع دار العلم للطباعه والنشر ، جدة ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٦هـ .
١٤٥- رويداً باتجاه الأرض (شعر) ، لإبراهيم بن حسين زولي ، مركز الحضارة العربية للإعلام والنشر بالقاهرة ، الطبعة الأولى ، ١٤١٦هـ .
١٤٦- زائر الأمس (شعر) ، لعلي بن حسين الفيفي ، منشورات نادي الطائف الأدبي ، مطابع الجنوب بالطائف ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٦هـ .
١٤٧- زمن الشعر ، لأدونيس ، دار العودة ، الطبعة الثالثة ، ١٩٨٣م .
١٤٨- زهر الآداب وثمر الألباب ، لأبي إسحاق إبراهيم الحصري القيرواني ، عناية الدكتور زكي مبارك ، دار الجيل ، بيروت ، الطبعة الرابعة ، ١٩٧٢م .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

١٤٩- زورق الشوق (شعر) ، لحسين بن جبران الكريري ، مطابع الشرق الأوسط ، الرياض، الطبعة الأولى ، ١٤١٢هـ .
١٥٠- زورق في القلب (شعر) ، لإبراهيم بن عمر صعابي ، الدار السعودية للنشر والتوزيع ، جدة ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٦هـ .
١٥١- السحابة (شعر) ، لأحمد بن علي قاسم الفيفي ، مطابع الصفا ، مكة ، الطبعة الأولى ، ١٤١٦هـ .
١٥٢- سرّ الفصاحه ، لابن سنان الخفاجي ، شرح وتصحيح عبدالمتعال الصعيدي ، مكتبة ومطبعة محمد علي صبيح وأولاده ، ١٣٨٩/ ١٩٦٩م .
١٥٣- الشاعر الجراح بن شاجر الذروي (شاعر المخلاف السليماني في القرن العاشر) ، دراسة وتحليل محمد أحمد العقيلي ، مطابع الرياض ، الطبعة الأولى ، ١٣٨٥هـ .
١٥٤- الشاعر حمد الحجي ، للأستاذ الدكتور محمد بن سعد بن حسين ، مطابع الفرزدق التجارية الرياض ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م .
١٥٥- شرح ديوان المتنبي (معجز أحمد) ، للمعرّي ، تحقيق الدكتور عبدالمجيد دياب ، دار المعارف ، القاهرة ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٤هـ .
١٥٦- شرح كتاب أهدى سبيل إلى علمي الخليل ، لمحمود مصطفى ، شرح نعيم زرزور ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م .
١٥٧- شروح سقط الزند ، لأبي العلاء المعري ، بإشراف طه حسين وزملائه ، منشورات الدار القومية للطباعة والنشر ، القاهرة ، ١٩٦٤م .
١٥٨- شعراء الجنوب ، لمحمد بن علي السنوسي ، ومحمد بن أحمد عيسى ، مطبعة الكمال ، عدن ، الطبعة الأولى ، ١٣٧٠هـ .
١٥٩- شعراء العصر الحديث في جزيرة العرب ، لعبدالكريم الحقيل ، مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، الطبعة الثانية ، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م .
١٦٠- شعراء من أرض عبقر ، لمحمد العيد الخطراوي ، منشورات نادي المدينة المنورة الأدبي ، مطابع دار الأصفهاني ، جدة ، الطبعة الأولى ، ١٣٩٨هـ .
١٦١- شعراء من الجزيرة العربية ، لعبدالله بن سالم الحميد ، طويق للخدمات الإعلامية والنشر والتوزيع، الرياض ، الطبعة الأولى ، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م .
١٦٢- الشعراء وإنشاد الشعر ، لعلي الجندي ، دار المعارف ، مصر ، الطبعة الثانية، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م .
١٦٣- الشعر الإسلامي في صدر الإسلام ، للدكتور عبدالله الحامد ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م .
١٦٤- الشعر الحديث في المملكة العربية السعودية ، للأستاذ الدكتور عبدالله الحامد ، منشورات نادي المدينة المنورة الأدبي ، مطابع الفرزدق ، الرياض ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٨هـ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

١٦٥- الشعر العربي المعاصر دراسة وتقييم (إبراهيم ناجي ، شاعر الوجدان) ، لإيليا الحاوي ، دار الكتاب العربي المعاصر اللبناني ، بيروت ، الطبعة الثانية ، ١٩٨١م .
١٦٦- الشعر العربي المعاصر ، للدكتور مصطفى السحرتي ، مكتبة تهامة ، جدة ، الطبعة الثانية، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م .
١٦٧- الشعر المعاصر على ضوء النقد الحديث ، للدكتور مصطفى السحرتي ، مكتبة تهامة ، جدة ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م .
١٦٨- شعرنا الحديث إلى أين ، للدكتور غالي شكري ، دار المعارف ، مصر ، ١٩٦٨م .
١٦٩- الشعر الوجداني في المملكة العربية السعودية ، للأستاذ الدكتور مسعد بن عيد العطوي ، الطبعة الثانية ، ١٤٢٠هـ .
١٧٠- الشعر والشعراء ، لابن قتيبة ، تحقيق وشرح أحمد محمد شاكر ، دار المعارف ، القاهرة ، الطبعة الثانية ، ١٣٧٧هـ/ ١٩٥٨م .
١٧١- الشعر والمجتمع في المملكة العربية السعودية ، للأستاذ الدكتور مسعد بن عيد العطوي، الطبعة الأولى ، ١٤١٧هـ .
١٧٢- شعور مغترب (شعر) ، لمنصور بن محمد دماس مباركي ، دار العلم للطباعة والنشر ، جدة ، الطبعة الأولى ، د .ت .
١٧٣- الشوقيات ، لأحمد شوقي ، دار الكتب العلمية ،بيروت ، د . ت .
١٧٤- الشيخ حافظ بن أحمد الحكمي حياته وآثاره ، لسعود السيف ، دار العاصمه للنشر والتوزيع ، الرياض ، الطبعة الأولى ، ١٤١٥هـ .
١٧٥- الشيخ حافظ بن أحمد الحكمي ، حياته ومنهجه في تقرير العقيدة ونشرها في منطقة الجنوب ، لأحمد بن علي علوش مدخلي ، مكتبة الرشد ، الرياض ، الطبعة الأولى ، ١٤١٤هـ .
١٧٦- الشيخ عبدالله بن محمد القرعاوي ودعوته في جنوب المملكة العربية السعودية ، لموسى ابن حاسر السهلي ، الطبعة الأولى ، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م .
١٧٧- الشيخ محمد بن عبدالله بن بليهد وآثاره الأدبية ، للأستاذ الدكتور محمد بن سعد بن حسين ، مطبعة اليمامة ، الرياض ، الطبعة الأولى ، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م .
١٧٨- الصحافة الأدبية في المملكة العربية السعودية ، للدكتور غازي زين عوض الله ، مكتبة تهامة ، جدة، الطبعة الأولى ، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م .
١٧٩- الصحافه السعودية تاريخها وتطورها ، لخالد بن أحمد اليوسف .
١٨٠- صحيح الإمام مسلم بن الحجاج النيسابوري ، المكتبة الإسلاميه ، إستانبول ، د .ت .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

١٨١- صفة جزيرة العرب ، للهمداني ، تحقيق محمد علي الأكوع ، منشورات دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر ، الرياض ، مطبعة نهضة مصر ، الطبعة الأولى ، ١٣٩٧هـ .
١٨٢- صناعة الأدب – بعض مبادئ النقد في ضوء نظريات النقد القديمة والحديثه ، لـ:ر أ . سكوت جيمس ، ترجمه هاشم الهنداوي ، مراجعة الدكتور عزيز المطلبي ، دار شؤون الثقافة العامة بوزارة الثقافة والإعلام ، بغداد ، ١٩٨٦م .
١٨٣- الصناعتين ، لأبي هلال العسكري ، تحقيق علي بن محمد البجاوي ، ومحمد أبو الفضل إبراهيم ، المكتبة العصرية ، بيروت ، د . ت ، وبتحقيق الدكتور محمد مفيد قميحة ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤٠٤هـ .
١٨٤- الصورة الأدبية ، للدكتور مصطفى ناصف ، دار مصر للطباعة ، الطبعة الأولى ، ١٣٧٨هـ / ١٩٥٨م .
١٨٥- الصورة الفنية في النقد الشعري ، للدكتور عبدالقادر الرباعي ، دار العلوم للطباعة والنشر ، الرياض ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٤م .
١٨٦- الصومعة والشرفة الحمراء ، لنازك الملائكة ، دار العودة ، بيروت ، ١٩٧١م .
١٨٧- الضبط الببليوجرافي في محتويات الدوريات السعودية ، لشكري العناني ، نشر الإدارة العامة للبحوث بمعهد الإدارة العامة ، الرياض ، ١٤٠٤هـ .
١٨٨- ضرورة الشعر ، لأبي سعيد السيرافي ، تحقيق الدكتور رمضان عبد التواب ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م .
١٨٩- طيفان على نقطة الصفر (شعر) ، لأحمد بن يحيى بهكلي ، منشورات نادي جازان الأدبي ، طبع دار الهلال للأوفست الرياض ، الطبعة الأولى ، ١٤٠١هـ / ١٩٨١م .
١٩٠- الطيف العابر (شعر) ، لعلي بن قاسم الفيفي ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م .
١٩١- عتاب إلى البحر (شعر) ، لإبراهيم مفتاح ، مطابع الجامعة ، جدة ، الطبعة الأولى ،١٤٠١هـ .
١٩٢- عزف على أوتار الحب (شعر) ، لحسين بن جبران الكريري ، مطابع الشرق الأوسط ، الرياض ، الطبعة الأولى ، ١٤١٨هـ .
١٩٣- العقد الفريد ، لابن عبد ربه ، تحقيق الدكتور عبدالمجيد الترجيني ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الثالثة ، ١٤٠٧هـ .
١٩٤- عقود الجمان شعر وشعراء ، ليحيى بن عبدالله المعلمي ، دار المعلمي للنشر ، الرياض ، الطبعة الأولى ، ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م .
١٩٥- على رُبى اليمامة ، لعبدالله بن محمد بن خميس ، مطابع الفرزدق ، الرياض ، الطبعة الثانية ، ١٣٩٧هـ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

١٩٦- العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده ، لابن رشيق القيرواني ، حققه وعلق عليه محمد محي الدين عبدالحميد ، دار الجيل للنشر والتوزيع ، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٧هـ .
١٩٧- عن الحب ومُنى الحلم (شعر) ، لعلي بن أحمد النعمي ، منشورات نادي جازان الأدبي ، طبع دار العلم للطباعة والنشر ، جدة ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م .
١٩٨- عن اللغه والأدب والنقد رؤية تاريخية ورؤية فنية ، للدكتور محمد أحمد العزب ، المركز العربي للثقافة والعلوم ، بيروت ، د . ت .
١٩٩- عندما يسقط العراف (شعر) ، لأحمد الصالح (مسافر) ، دار المريخ ، الرياض ، الطبعة الأولى ، ١٣٩٨هـ / ١٩٧٨م .
٢٠٠- عيار الشعر ، لمحمد بن أحمد بن طباطبا العلوي ، تحقيق عباس عبدالستار ، ومراجعة نعيم زرزور ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م .
٢٠١- عيناك في وقت الرحيل (شعر) ، لحسين بن أحمد النجمي ، دار البلاد للطباعه والنشر ، جدة ، الطبعة الأولى ، ١٤١٠هـ / ١٩٨٩م .
٢٠٢- الغيد الصناديد والرجال الحائضون (شعر) ، لمحمد بن مسيّر مباركي ، الطبعة الأولى ،١٤١٩هـ / ١٩٩٩م .
٢٠٣- فتح الباري شرح صحيح البخاري ، لابن حجر العسقلاني ، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه محمد فؤاد عبدالباقي ، قام بإخراجه وأشرف على طبعه محب الدين الخطيب ، عناية الشيخ عبدالعزيز بن باز ، المطبعة السلفية ومكتباتها ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٠هـ .
٢٠٤- فرجة النظر في تراجم رجال من بعد القرن الثالث عشر بمنطقة جازان ، لأحمد بن محمد الشعفي ، مطابع مؤسسة المدينه للصحافة (دار العلم) ، جدة ، الطبعة الأولى ، ١٤١٧هـ / ١٩٩٦م .
٢٠٥- فصول حول الأدب في المملكة العربية السعودية ، للدكتور عبدالله الحامد ، مطابع مؤسسه الجزيرة للصحافة والطباعة والنشر ، الرياض ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٥هـ .
٢٠٦- فصول في الأدب والنقد ، للدكتور طه حسين ، دار المعارف ، مصر د . ت .
٢٠٧- فصول في الشعر ونقده ، للدكتور شوقي ضيف ، دار المعارف ، مصر ، د . ت .
٢٠٨- فصول في علم اللغة العام ، لـ: ف . دوسوسير ، تعريب الدكتور أحمد نعيم الكراعين، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، ١٩٨٥م .
٢٠٩- فن الرواية في الأدب السعودي المعاصر ، للدكتور محمد صالح الشنيطي ، من إصدارات نادي جازان الأدبي ، مطابع دار العلم ، جدة ، الطبعة الأولى ، ١٤١١هـ .
٢١٠- فن الشعر ، للدكتور إحسان عباس ، دار الشرق ، عمان ، الأردن ، الطبعة الرابعة ، ١٩٨٧م .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

٢١١- فن القصة في الأدب السعودي الحديث ، للدكتور منصور الحازمي ، دار العلوم ، الرياض ، الطبعة الأولى ، ١٤٠١ هـ .
٢١٢- فنون الشعر في مجتمع الحمدانيين ، للدكتور مصطفى الشكعة ، دار عالم الكتب ، بيروت، ١٩٨١م .
٢١٣- في الأدب السعودي الحديث ، رؤية داخلية للدكتور يوسف نوفل ، دار الأصالة للثقافة والنشر والإعلام ، الرياض ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م .
٢١٤- في ربوع عسير ، لمحمد عمر رفيع ، دار العهد الجديد ، القاهرة، ١٣٧٣هـ/ ١٩٥٤م .
٢١٥- في الشعر السعودي ، للدكتور فوزي سعد عيسى ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، ١٩٩٠م .
٢١٦- في النقد الأدبي ، للأستاذ الدكتور شوقي ضيف ، دار المعارف ، مصر ، د . ت .
٢١٧- في نقد الشعر ، للدكتور محمود الربيعي ، دار المعارف ، مصر ، الطبعة الرابعة ، د.ت .
٢١٨- قبل أن ينضب الأمل (شعر)، لجلوي بن يحيى الحكمي ، منشورات نادي جازان الأدبي ، طبع بدار العلم ، جدة ، الطبعة الأولى ، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م .
٢١٩- قراءات نقدية تحليلية لنماذج من القصة السعودية في جازان ، للدكتور محمد بن يوسف، من إصدارات نادي جازان الأدبي ، الطبعة الأولى ، ١٤١١هـ .
٢٢٠- قراءة في ديوان الشعر السعودي ، للدكتور يوسف حسن نوفل ، منشورات النادي الأدبي بالرياض ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٠هـ .
٢٢١- قصائد في زمن السفر (شعر) ، لأحمد الصالح (مسافر) نشر النادي الأدبي بالرياض ، الطبعة الأولى ، ١٤٠١هـ / ١٩٨١م .
٢٢٢- القصة القصيرة المعاصرة في المملكة العربية السعودية ، للدكتورمحمد صالح الشنطي ، دار المريخ للنشر والتوزيع ، الرياض ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٧هـ .
٢٢٣- قضايا الأدب الحديث ، للدكتور محمد السعدي فرهود ، مطبعة زهران ، الطبعة الأولى ، ١٣٨٨هـ / ١٩٦٨م .
٢٢٤- قضايا الشعر المعاصر ، لنازك الملائكة ، دار العلم للملايين ، بيروت ، الطبعة الخامسة ، ١٩٨٧م .
٢٢٥- قضايا النقد الأدبي ، للأستاذ الدكتور بدوي طبانة ، المطبعة الفنية الحديثة ، د . ت ، ودار المريخ للنشر ، الرياض ، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م .
٢٢٦- قضايا نقد الشعر في التراث العربي ، للدكتور محمد أحمد العزب ، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م.
٢٢٧- قضية الشعر الجديد ، للدكتور محمد النويهي ، دار الفكر ، بيروت ، الطبعة الخامسة ، ١٩٧٨م .
٢٢٨- القلائد (شعر) ، لمحمد بن علي السنوسي ، مطابع دار الكتاب العربي ، القاهرة ، الطبعة الأولى ، ١٣٨٠هـ .
٢٢٩- قلب جزيرة العرب ، لفؤاد حمزة ، مكتبة النصر الحديثة ، الرياض ، الطبعة الثانية ، ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٨م .
٢٣٠- قلب يتنفس (شعر)، لمحمد بن أحمد الشنقيطي ، الطبعة الأولى ، ١٤١١هـ / ١٩٩١م .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

٢٣١- الكامل ، لأبي العباس محمد بن يزيد المبرد ، تحقيق الدكتور محمد بن أحمد الدالي ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٩٨٦م .
٢٣٢- كشف النقاب عن نبذة حجاب ، لأحمد بن عبدالله الحازمي ، مطابع الفرزدق ، الرياض، الطبعة الأولى ، ١٤١٢هـ .
٢٣٣- الكشكول ، لبهاء الدين العاملي ، تحقيق وتقديم الطاهر أحمد الزاوي ، تاريخ المقدمة ١٩٦١م .
٢٣٤- كلام في الأدب ، لأحمد عبدالغفور عطار ، دار الثقافة للطباعة ، مكة ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٨هـ .
٢٣٥- لا تسلني عن جراحي (شعر) ، لمهدي بن أحمد الحكمي ، منشورات نادي جازان الأدبي ، طبع مؤسسة المدينة للصحافة (دار العلم) ، جدة ، الطبعة الأولى ، ١٤١٩هـ / ١٩٩٨م .
٢٣٦- لا تقولي وداعا (شعر) ، لعيسى بن علي جرابا ، مكتبة الأديب ، الرياض ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م .
٢٣٧- لسان العرب ، لابن منظور ، تحقيق عبدالله بن علي الكبير ، ومحمد أحمد حسب الله ، وهاشم محمد الشاذلي ، دار المعارف ، القاهرة ، د . ت .
٢٣٨- لعيني لؤلؤة الخليج كويت الملحمة (شعر) ، لعلي بن أحمد النعمي ، منشورات نادي جازان الأدبي ، طبع في دار العلم للطباعة والنشر ، جدة ، الطبعة الأولى ، ١٤١٣هـ / ١٩٩٢م .
٢٣٩- اللغة الشاعرة ، لعباس محمود العقاد ؛ القاهرة ، د . ت .
٢٤٠- مائة عام من تاريخ اليمن الحديث ، للدكتور حسين العمري ، دار الفكر ، دمشق ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٥هـ .
٢٤١- المثل السائر في آداب الكاتب والشاعر ، لابن الأثير ، تحقيق حمزة فتح الله ، دار البصائر، دمشق ، ومؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م .
٢٤٢- مجلة المنهل وأثرها في النهضة السعودية ، للدكتور السيد تقي الدين ، دار نهضة مصر للطباعه والنشر ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م .
٢٤٣- مجمع الأمثال للميداني ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار الجيل ، بيروت ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م .
٢٤٤- المجموعة الشعريه الكاملة لغازي القصيبي ، مطبوعات تهامة ، جدة ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٧م .
٢٤٥- المجموعه الشعرية الكاملة ، لمحمد بن أحمد العقيلي ، شركة مطابع جازان ، جازان الطبعة الأولى ، ١٤١٣هـ / ١٩٩٢م .
٢٤٦- المجموعة الكاملة لشعر حسين عرب (شعر) ، شركة مكة للطباعة والنشر ، مكة المكرمة ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

٢٤٧- المجموعة الكاملة لشعر محمد حسن عواد، دار الجيل للطباعة، مصر، الطبعة الأولى، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م.
٢٤٨- المحاضرات والأمسيات الشعرية في المهرجان الوطني للتراث والثقافة الحادي عشر بالجنادرية ١٤١٦هـ، إعداد الإدارة العامه للمهرجان، مطابع الحرس الوطني، الرياض، ١٤١٦هـ.
٢٤٩- محمد بن أحمد العقيلي العالم الموسوعي والأديب والباحث الموضوعي، للدكتور محمد الصادق عفيفي، منشورات نادي جازان الأدبي، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م.
٢٥٠- محمد صلى الله عليه وسلم في الشعر الحديث، للدكتور حلمي القاعود، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، المنصورة، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ.
٢٥١- محمد بن علي السنوسي شاعراً، لمحمود شاكر سعيد، عمان، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ/ ١٩٨٩م.
٢٥٢- مختار الصحاح، لزين الدين محمد بن أبي بكر الرازي، ترتيب محمود خاطر، تحقيق حمزة فتح الله، دار البصائر، دمشق، ومؤسسه الرسالة، بيروت، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.
٢٥٣- مختصر سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم، للشيخ محمد بن عبدالوهاب، المكتبة الفيصلية، الرياض – د. ت.
٢٥٤- مختصر صحيح مسلم، للمنذري، تحقيق محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة السادسة، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.
٢٥٥- المذاهب الأدبية في الشعر الحديث لجنوب المملكة العربية السعودية، للدكتور علي علي مصطفى صبح، مطبوعات تهامة، جدة، الطبعة الأولى، ١٤٠٤هـ.
٢٥٦- مراجعات في الأدب السعودي، للدكتور حسين علي محمد، دار الوفاء، الإسكندرية، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ.
٢٥٧- المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها، للدكتور عبدالله الطيب المجذوب، مطبعة البابي الحلبي، الطبعة الأولى، ١٣٧٤هـ.
٢٥٨- مسند الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق أحمد شاكر، المكتب الإسلامي للطباعة والنشر، بيروت. د. ت.
٢٥٩- مطارحات شعرية في جبل عامل، لحسن محمد نور الدين، دار الفكر اللبناني، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٠م.
٢٦٠- مطالعات في الشعر المملوكي والعثماني، للدكتور بكري شيخ أمين، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.
٢٦١- مع الأنغام المضيئة، دراسة تحليلة لديوان الشاعر محمد أحمد العقيلي، لعلي المصري، دار المجد للطباعة والتجليد، دمشق، الطبعة الأولى، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م.
٢٦٢- مع الشعراء، دراسات وخواطر أدبية، لمحمد علي السنوسي، منشورات النادي الأدبي بجازان، الطبعة الأولى، ١٣٩٧هـ.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

٢٦٣- المعارضات في الشعر العربي الحديث ، للأستاذ الدكتور محمد بن سعد بن حسين ، نشر النادي الأدبي بالرياض ، مطابع الفرزدق التجارية ، الرياض ، ١٤٠٠هـ .
٢٦٤- معجم الأدباء والكتاب السعوديين ، إعداد الدائرة للإعلام ، الرياض ، مطابع مرامر ، الطبعة الأولى ، ١٤١٠هـ .
٢٦٥- المعجم الأدبي ، لجبور عبد النور ، دار العلم للملايين ، بيروت ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م .
٢٦٦- معجم البابطين للشعراء العرب المعاصرين ، مؤسسة جائزة عبدالعزيز البابطين للإبداع الشعري ، ١٩٩٥م .
٢٦٧- معجم البلدان ، لياقوت الحموي ، تحقيق فريد الجندي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤١٠هـ .
٢٦٨- المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية (مقاطعة جازان) لمحمد بن أحمد العقيلي ، منشورات دار اليمامه ، الرياض ، الطبعة الثانية ، ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م .
٢٦٩- معجم اللهجة المحلية لمنطقة جازان ، لمحمد بن أحمد العقيلي ، منشورات تهامة ، جدة ، مطابع دار البلاد ، جدة ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٣هـ .
٢٧٠- معجم المؤلفين ، لعمر رضا كحالة ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الأولى ، ١٣٧٦هـ .
٢٧١- المعجم الوسيط ، لمصطفى إبراهيم وآخرين ، نشر مجمع اللغة العربية ، القاهرة ، المكتبة العلمية ، طهران ، د . ت .
٢٧٢- المفقود من شعر علي بن محمد السنوسي ، جمع وتحقيق الدكتور عبدالله أبو داهش ، مطابع الجنوب ، أبها ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م .
٢٧٣- المقالة في الأدب السعودي الحديث ، للدكتور محمد بن عبدالله العوين ، الشركة الوطنية الموحدة للتوزيع ، الرياض ، مطابع الشرق الأوسط ، الرياض ، الطبعة الأولى ، ١٤١٢هـ .
٢٧٤- مقدمة في نظرية الأدب ، لعبدالمنعم تليمة ، القاهرة ، الطبعة الأولى ، ١٩٧٣م .
٢٧٥- المقطعات الشعرية في الجاهلية وصدر الإسلام ، للدكتور مسعد بن عيد العطوي ، مكتبة التوبة ، الرياض ، ١٤١٤هـ / ١٩٩٣م .
٢٧٦- من أعلام الشعر السعودي ، للأستاذ الدكتور بدوي طبانه ، دار الرفاعي للنشر والطباعة ، الرياض ، الطبعة الأولى ، ١٤١٢هـ .
٢٧٧- مناهج البحث والمصادر في الدراسات الإسلامية والعربية ، للدكتور محمد السعيد جمال الدين ، المقطم للنشر والتوزيع ، القاهرة ، الطبعة الثانية ، ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

٢٧٨- المنتخب (شعر) ، لمحمد أحمد الشنقيطي ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م .
٢٧٩- منسك للسريرة في حرم الرمل (شعر) ، لمحمد بن مسير مباركي ، دار الفرسان للنشر والتوزيع ، القاهرة ، الطبعة الأولى ، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م .
٢٨٠- من شعر الجهاد في العصر الحديث ، للدكتور عبدالقدوس أبو صالح ، والدكتور محمد رجب البيومي ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، الطبعة الثانية ، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م .
٢٨١- من شعر علي بن محمد السنوسي ، جمع ودراسة وتحقيق الدكتور عبدالله أبو داهش ، منشورات نادي جازان الأدبي ، طبع دار العلم للطباعة والنشر ، جدة ، الطبعة الأولى ، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م .
٢٨٢- من قضايا الأدب الإسلامي ، للدكتور صالح آدم بيلو ، دار المنارة للنشر والتوزيع ، المنصورة ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٨ هـ .
٢٨٣- منهاج البلغاء وسراج الأدباء ، لحازم القرطاجني ، تحقيق محمد الحبيب بن الخوجة ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، الطبعة الثالثة ، ١٩٨٦م .
٢٨٤- منهج الفن الإسلامي ، لمحمد قطب ، دار الشروق ، جدة ، الطبعة الثامنة ، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م .
٢٨٥- من وحي التأملات (شعر) ، لأحمد العطاس ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٦هـ .
٢٨٦- موازنة بين الحكمة في شعر المتنبي ، والحكمة في شعر أبي العلاء المعري ، للدكتور زهدي صبري الخواجا ، دار الأصالة للثقافة والنشر والإعلام ، الرياض ، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م.
٢٨٧- الموازنه بين الشعراء ، للدكتور زكي مبارك ، دار الجيل ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م .
٢٨٨- الموجز في تاريخ الأدب العربي السعودي ، للدكتور عمر الطيب لساسي ، دار تهامة للنشر ، جدة ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦ م .
٢٨٩- موسوعة الأدباء والكتاب السعوديين ، لأحمد بن سلم ، منشورات نادي المدينة المنورة الأدبي ، الطبعة الأولى ، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م .
٢٩٠- موسيقى الشعر ، للدكتور إبراهيم أنيس ، دار القلم ، بيروت ، الطبعة الخامسة ، ١٩٨١م .
٢٩١- موسيقى الشعر العربي ، للدكتور حسني عبدالجليل ، الهيئه المصرية العامه للكتاب ، القاهرة ، ١٩٨٩م .
٢٩٢- نبذة تاريخية عن التعليم في تهامه وعسير ، لحجاب بن يحي الحازمي ، منشورات نادي جازان الأدبي ، دار العلم ، جدة ، الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ .
٢٩٣- نبض القوافي (شعر) لعلي بن مدّيش بجوي ، مطابع المدينة للصحافة والنشر (دار العلم) جدة ، الطبعة الأولى ، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

٢٩٤- نحن والآخر ، للدكتور عاصم حمدان علي حمدان ، نشر النادي الأدبي بالمدينة المنورة ، الطبعة الأولى ، ١٤١٥هـ .
٢٩٥- النزعة الإسلامية في الشعر السعودي المعاصر ، للدكتور حسن بن فهد الهويمل ، إصدارات المهرجان الوطني للتراث والثقافة (٨٩) الرياض ، ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م .
٢٩٦- نزهة النظر في رجال القرن الرابع عشر ، لمحمد زبارة الصنعاني ، تحقيق ونشر مركز الدراسات والأبحاث اليمنية ، صنعاء ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٠هـ / ١٩٧٩م .
٢٩٧- نشأة الأدب السعودي المعاصر في جنوبي المملكة العربية السعودية ١٣٤٩ هـ - ١٣٨٠هـ ، للدكتور عبدالله أبو داهش ، مطبعة الثغر ، جدة ، الطبعة الأولى ، ١٤١٣هـ .
٢٩٨- نشر العرف لنبلاء اليمن بعد الألف ، لمحمد زبارة الصنعاني ، مطبعة السعادة ، القاهرة ، الطبعة الأولى ، ١٣٥٩هـ .
٢٩٩- النص الشعري وقفات للتذوق الفني ، لمجدي بن محمد خواجي ، مؤسسه الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٢هـ / ٢٠٠١م .
٣٠٠- نظرات في الأدب السعودي ، لراضي صدوق ، دار طويق للنشر والتوزيع ، الرياض ، الطبعة الأولى ، ١٤١٤هـ / ١٩٩٣م .
٣٠١- نظرات في أصول الأدب والنقد ، للدكتور بدوي طبانة ، شركة مكتبات عكاظ ، جدة، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م .
٣٠٢- نفحات الجنوب (شعر) ، لمحمد بن على السنوسي ، منشورات نادي جازان الأدبي ، طبع بمطابع الروضة ، جدة ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م .
٣٠٣- نفح العود في سيرة دولة الشريف حمود ، لعبدالرحمن البهكلي ، تحقيق محمد أحمد العقيلي ، مطابع جازان ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٦هـ .
٣٠٤- النقد الأدبي ، لأحمد أمين ، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الرابعة، ١٣٨٧هـ / ١٩٦٧م .
٣٠٥- النقد الأدبي الحديث ، للدكتور محمد غنيمي هلال ، دار الثقافة ودار العودة ، بيروت ، ١٩٧٣م .
٣٠٦- النقد الجمالي وآثره في النقد العربي ، لروز غريب ، دار الهلال ، القاهرة، الطبعة الأولى ، د . ت .
٣٠٧- نقد الشعر ، لقدامة بن جعفر ، تحقيق وتعليق الدكتور محمد عبدالمنعم خفاجي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، د . ت .
٣٠٨- النقد المنهجي عند العرب ، للدكتور محمد مندور ، دار نهضة مصر للطبع والنشر ، القاهرة ، ١٩٦٩م .
٣٠٩- النقد والنقاد المعاصرون ، للدكتور محمد مندور ، دار العلم ، بيروت ، د . ت

www.alukah.net
شبكة الألوكة

٣١٠- نيل الوطر من تراجم اليمن في القرن الثالث عشر ، لمحمد محمد زبارة الصنعاني ، المطبعة السلفية ، القاهرة ، الطبعة الأولى ، ١٣٤٨هـ / ١٩٢٩م .
٣١١- هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين ، لإسماعيل باشا البغدادي ، طبعة وكالة المعارف ، إسطنبول ، ١٩٥١م ، نشر دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، د . ت .
٣١٢- همسة مجد (شعر) ، لمنصور بن محمد دماس مباركي ، دار العلم للطباعة والنشر ، جدة، الطبعة الأولى ، د . ت .
٣١٣- الهمس الخافت (شعر) لعلي بن حسين الفيفي ، منشورات نادي الطائف الأدبي ، طبع دار الحارثي للطباعة والنشر ، الطائف ، الطبعة الأولى ، ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م .
٣١٤- وحي الحرمان (شعر) لعبدالله الفيصل ، نشر دار المعارف ؛ بيروت ، طبعة دار المعارف، مصر ، ١٣٧٣هـ / ١٩٥٤م .
٣١٥- وحي الفؤاد (شعر) ، لفؤاد شاكر ، مصر ، الطبعة الأولى ، ١٩٥٠م .
٣١٦- وردة في فم الحزن (شعر) ، لحسن بن حجاب الحازمي ، منشورات نادي جازان الأدبي ، طبع دار المعراج الدولية للنشر والتوزيع ، الرياض ، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ.
٣١٧- وطني سيد البقاع (شعر) لإبراهيم بن عمر صعابي ، إصدارات نادي أبها الأدبي ، طبع في دار البلاد للطباعه والنشر ، جدة ، الطبعة الأولى ، ١٤١٩هـ .
٣١٨- وقفات على الماء (شعر) ، لإبراهيم بن عمر صعابي ، إصدارات نادي المدينة المنورة الأدبي ، طبع في دار البلاد للنشر والتوزيع ، جدة ، الطبعة الأولى ، ١٤١٢هـ / ١٩٩١م .
٣١٩- وقفات مع بعض القاصين ، للأستاذ الدكتور محمد بن سعد بن حسين ، منشورات نادي الطائف الأدبي ، طبع مطابع دار الحارثي ، الطائف ، الطبعة الأولى ، ١٤١١هـ .
٣٢٠- وللأقمار باب (شعر) ، لحسين سهيل ، منشورات نادي جازان الأدبي ، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ .
٣٢١- ومض الخاطر (شعر) ، لعلي بن قاسم الفيفي ، الطبعة الأولى ، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م .
٣٢٢- يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر ، لأبي منصور الثعالبي ، تحقيق محمد محي الدين عبدالحميد ، دار الفكر ، بيروت ، الطبعة الثانية ، ١٣٩٢هـ / ١٩٧٣م .
٣٢٣- الينابيع (شعر) ، لمحمد بن علي السنوسي ، منشورات نادي جازان الأدبي ، طبع في شركة المدينة للطباعة والنشر ، جدة ، الطبعة الأولى ، ١٣٩٩هـ .
٣٢٤- يوم كنا أوراق متناثرة من التقويم القديم (شعر) ، لأحمد الحربي ، منشورات نادي أبها الأدبي ، الطبعة الأولى ، ١٤٢١هـ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

ثانياً - المقالات :

٣٢٥- أخيراً وجدت السنوسي ، لعبدالرحمن رفاعي ، مجلة الفيصل ، ع ٥١ .

٣٢٦- أضواء على الشعر السعودي ، لعلي بن أحمد الشحات ، المجلة العربية، ع ١١٨ س ١١، ذو القعدة ١٤٠٧هـ .

٣٢٧- جيزان مركزها الاجتماعي ، تجارتها ، عمرانها ، سير التعليم فيها ، حركتها الفكرية لمحمد الهادي عقيل صوت الحجاز ، ع ٢٧٥، س٦ ، (الثلاثاء ١ رجب ١٣٥٦هـ) .

٣٢٨- جيزان وجازان بين الحقيقة والتحقيق ، لعبدالرحمن رفاعي ، مجلة الفيصل ، ع ٦١ .

٣٢٩- الحس الإسلامي في شعر الطبيعة السعودي ، للدكتور حسن الهويمل ، مجلة الفيصل ، ع ١٠٩ .

٣٣٠- حياة الأدب التهامي في ظلال المتنزهات الريفية، للدكتور عبدالله أبو داهش ، الدارة ، ع ٤ ، السنة الخامسة عشرة .

٣٣١- السماط الممدود في رباط المحبة والعهود ما بين الأدارسة وآل سعود ، لعلي السنوسي ، مجلة المنهل ح ٣ ، س ٤٢ ، مج ٣٨ (ربيع الأول ١٣٩٦هـ).

٣٣٢- الشعر ديوان العرب ، وشعراء الجنوب من ديوانهم ومن المنهل ، لحسن عبدالمقصود ، المنهل ، ح ٧ ، س٢٠ ، مج ١٦ ، رجب ١٣٧٥هـ .

٣٣٣- الشيخ حافظ الحكمي، للدكتور أحمد بن حافظ الحكمي ، مجلة العرب ، س ٧ ، ج ٣ ، رمضان ١٣٩٢هـ .

٣٣٤- الصحافة مصدراً أدبياً ، للدكتور عبدالله الحامد ، صحيفة الرياض ، ع ٧٠٩٠ ، س ٢٤ السبت ٣ربيع الأول ١٣٠٨ هـ .

٣٣٥- صفحة الجنوب ، لأحمد باهادون العطاس ، جريدة الندوة ، ع ٨١٢، س ٣ ، الاثنين ١/ ٤/ ١٣٨١هـ .

٣٣٦- قصائد قصيرة جداً (شعر توم فلنجتون) ، ترجمة محمد عبدالقادر الفقي ، ملف دارين الصادر عن نادي المنطقة الشرقية الأدبي ، الدمام ، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م ، السنة ٣ ، ع٣ .

٣٣٧- مع رجال الفكر في جازان ، لناصر قاسم ، مجلة المنهل ، ع ٢٦ ، مج ١٩ ، س ٢٣ جمادي الثانية ١٣٧٨هـ .

٣٣٨- مع شاعر الجنوب ، لحسن بن فهد الهويمل ، الرائد ، ع ١٣٧ ، س ٤ ، الاثنين ٣٠/ ٥/ ١٣٨٢هـ .

٣٣٩- مفاهيم نقدية يجب تصحيحها ، للأستاذ الدكتور عبدالله التطاوي ، مجلة الجعبة ع٣، صفر ، ١٤١٦هـ .

٣٤٠- مقابلة مع السنوسي ، أجراها ناصر قاسم ، المنهل ح ٦ ، س ٢٣ ، مج ١٩ ، جمادى الأولى والآخرة ١٣٧٨هـ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

٣٤١- مقالة عن التعليم في جازان ، لمحمد الهادي بن عقيل ، صوت الحجاز ، ع ٢٧٥، ١٢ رجب ١٣٥٦هـ .
٣٤٢- من أعلام الجزيرة العربية الشيخ حافظ الحكمي ، للدكتور أحمد بن حافظ الحكمي ، اليمامه ع ٢٤١ ، س٦ ، الجمعة ٢٠ محرم ١٣٩٣ هـ ، وع ٢٤٢ ، س٦ ، الجمعة ٢٧ محرم ١٣٩٣هـ وع ٢٤٣ ، س٢٦ ، الجمعة ٤ صفر ١٣٩٣هـ .
٣٤٣- من شعراء الجنوب (علي بن محمد السنوسي) ، للدكتور محمد بن سعد بن حسين ، مجلة الحرس الوطني س٧ ،ع ٥٠ ، ربيع الآخر ، ١٤٠٧هـ .
٣٤٤- والدي السيد علي السنوسي ، لمحمد علي السنوسي ، مجلة المنهل ، ح ١٢ ، مج ٢٩ ذو الحجة ١٣٨٨هـ .
٣٤٥- وكيل الجريدة (صوت الحجاز في جازان) للمحرر ، صوت الحجاز ، ع ٤٨٦، س٩ الأربعاء ٢٧ جمادى الأول ١٣٥٩هـ .

ثالثاً - المخطوطات :

٣٤٦- ديوان أشعار عبدالله العمودي ، مخطوط توجد منه نسخة في مكتبة الشيخ عبدالكريم بن مساعد بقرية الزرقاء بضمد ، بدون رقم .
٣٤٧- شموع النصر (شعر) ، مخطوط ، لعلي بن جبران صميلي ، نسخة توجد لدى الباحث بدون رقم .
٣٤٨- عقود الدرر في تراجم علماء القرن الثالث عشر ، للحسن بن أحمد عاكش الضمدي نسخة بجامعة الملك سعود بالرياض رقم ١٣٣٢ ، وهي (ع) ونسخة في الجامع الكبير بصنعاء ، وهي نسخة المؤرخ محمد زبارة ، ورمز لها بـ (ص) .
٣٤٩- مجموع تقاريظ وممادح وقصائد متفرقة ، للسيد محمد حيدر القبي النعمي ، مخطوط ، توجد منه نسخة لدى الباحث .
٣٥٠- ملف المحاضرات بنادي جازان الأدبي (محاضرة عن التعليم في جازان) ، لمحمد عايش منتصر .
٣٥١- من المكتبة السعودية (برنامج إذاعي مكتوب ، يعرض تراجم كثير من الأدباء والكتاب السعوديين) ، للأستاذ الدكتور محمد بن سعد بن حسين ، منه أجزاء متفرقة لدى الباحث .
٣٥٢- نبذة شخصية عن الشيخ أحمد بن على حمود حبيبي ، رسالة وردت من الحبيبي ، لدى الباحث ، بدون رقم .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

رابعاً - رسائل علمية غير منشورة : (ملحوظة : الأعمال ٣٥٤ ، ٣٥٦ ، ٣٥٨ أحلتُ اليها قبل نشرها ، علماً أنها قد نشرت بعد ذلك) :

٣٥٣- التجربة الشعرية من منظور الشعراء المعاصرين ، للدكتور محمد الدوغان ، رسالة دكتوراه مقدمة إلى قسم الأدب بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية غير منشورة .

٣٥٤- الحسن بن أحمد عاكش الضمدي ، حياته وشعره وتحقيق ديوانه ، لحسن بن أحمد النعمي، رسالة ماجستير بكلية اللغة العربية بالرياض ، ١٤١٧هـ .

٣٥٥- الديباج الخسرواني في أخبار أعيان المخلاف السليماني ، للحسن عاكش تحقيق الدكتور إسماعيل البشري ، رسالة دكتوراه غير منشورة .

٣٥٦- شعر محمد بن أحمد العقيلي دراسة تحليلية ، لخالد بن ربيع الشافعي ، رسالة ماجستير مقدمة إلى قسم اللغة العربية بجامعة أم القرى بمكة ، غير منشورة .

٣٥٧- ظاهرة التأمل عند شعراء الشام في العصر الحديث ، لعبدالله بن محمد القرني ، رسالة دكتوراه مقدمة إلى كلية اللغة العربية بجامعة الإمام – غير منشورة .

٣٥٨- عمر بهاء الدين الأميري ، حياته وشعره للدكتور خالد الحليبي ، رسالة دكتوراه مقدمة إلى كلية اللغة العربية بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية – غير منشورة .

٣٥٩- محمد بن علي السنوسي حياته وشعره ، لمحمد بن سليمان القسومي رسالة ماجستير غير منشورة ، قسم الأدب ، كلية اللغة العربية بالرياض .

***

www.alukah.net

شبكة الألوكة - قسم الكتب

فهرس الشعراء المترجم لهم

الأعـــلام	الصفحة
إبراهيم بن حسن الشعبي	٣٤
إبراهيم بن حسين زولي	٨١٩
إبراهيم عبدالله مفتاح	١٣٠١
إبراهيم بن عمر صعابي	١٣٢٢
أبكر عمر المشرعي	٢٦٣
أحمد بن إبراهيم الحربي	٢١١
أحمد بن عبدالله باهادون العطاس	٢٩
أحمد بن عبدالله الحازمي	٧٩٠
أحمد بن علي حمود حبيبي	٥٦
أحمد بن علي بن عبدالفتاح الحازمي	٥٠
أحمد بن علي قاسم الفيفي	٣٦٥
أحمد بن يحيى بهكلي	١٣٤١
أحمد بن يحيى السيد عطيف	٦١٧
جبران بن محمد حسن قحل	٢٨٧
جلوي بن يحيى الحكمي	٢٢٠
حافظ بن أحمد الحكمي	٤٩
حجاب بن يحيى الحازمي	٢٢
حسن حجاب الحازمي	٥٧
حسن بن علي بن أحمد أبو عامرية (أبو علّة)	٣٢٥

www.alukah.net
شبكة الألوكة

حسن بن علي قاضي	٤٤١
حسن فرح الفيفي	٤٣٩
حسن بن يحيى ضائحي	٦٣٩
حسين بن أحمد النجمي	١٨١
حسين بن جبران الكريري	٣٠
حسين بن محمد سهيل	٢٠٥
عبدالرحمن بن أحمد موكلي	١٠٤٣
عبدالرحمن بن يحيى المعلمي	٢٨٩
عبدالله أحمد الفيفي	٢٠٣
عبدالله بن علي مطيع	٣٧٠
عبدالله بن علي العمودي	٢٨٩
عبدالواسع سعيد عبده	٤٥
علي بن أحمد النعمي	١٢٧٧
علي بن حسين الفيفي	١٩
علي بن قاسم الفيفي	٢٤٥
علي بن محمد الأمير	٨٢٧
علي بن محمد السنوسي	٣٨
علي بن محمد صالح عبدالحق	٤٤٣
علي بن محمد صيقل	١٨٧
علي بن مديش بجوي	٢٥٣
علي بن يحيى بهكلي	٣٧١
علي بن يحيى دغريري	٣٧١

شبكة الألوكة - قسم الكتب

عيسى بن علي محمد جرابا	٣٨٩
محسن بن أحمد السبعي	٣٨٤
محمد بن أحمد الشنقيطي	٢١
محمد بن أحمد العقيلي	١٢٦١
محمد بن حمود حبيبي	٨٢٦
محمد بن حيدر القبي	٧٨٤
محمد بن عبدالرحمن الضمدي	٣٦٦
محمد عبده شبيلي	٢٣١
محمد بن عقيل بن أحمد بن عقيل	٣٧١
محمد بن علي السنوسي	١٢٤٩
محمد بن محسن مشاري	٢٢٩
محمد مسير مباركي	٢٦٩
منصور بن محمد دمّاس	٢٢٠
مهدي بن أحمد الحكمي	٣٨٥
يحيى بن علي معافا	٦٨٢
يحيى بن محمد هبلول	٤٣٩

www.alukah.net
شبكة الألوكة

شبكة الألوكة - قسم الكتب

فهرس الموضوعات التفصيلي

الموضوع	الصفحة
- مقدمة	٥
- التمهيد (بيئة الشعر في جازان) :	١٥
١ - البيئة الجغرافية .	١٧
٢ - البيئة السياسية .	٢٣
٣- البيئة الاجتماعية .	٢٨
٤ - البيئة الثقافية .	٤٢
- الباب الأول : (الدراسة الموضوعية) :	٥٩
- الفصل الأول (مصادر الشعر) :	٦٠
١ - الدواوين المطبوعة .	٦٢
٢ - الصحف والمجلات .	١٠٨
٣- الدواوين المخطوطة .	١٤١
٤ - مصادر أخرى :	١٥٦
أ- كتب التاريخ والتراجم .	١٥٧
ب- الدراسات الأدبية .	١٦٠
ج- المقالات النقدية .	١٦٧
د – الإذاعة .	١٦٩
- الفصل الثاني (أغراض الشعر) :	١٧٥
١ - الوصف :	١٧٧

www.alukah.net
شبكة الألوكة

أولاً: وصف الطبيعة :	١٨٢
أ- الطبيعة الصامتة أو الساكنة :	١٨٢
١- البحر .	١٨٦
٢- الجبل .	١٩٥
٣- الليل .	٢٠٣
٤- القمر .	٢١١
ب- الطبيعة المتحركة :	٢١٦
١- الطيور .	٢١٦
٢- الأحياء الصغيرة .	٢٢٢
ثانياً : وصف البيئة المحلية .	٢٢٦
ثالثاً : وصف الرحلة .	٢٣٧
رابعاً : وصف المخترعات .	٢٤٤
٢- الغزل :	**٢٤٩**
- غزال المقدمات التقليدي .	٢٥٣
- الغزل الحسي .	٢٦١
- النسيب .	٢٧٢
- المزج بين الغزل الحسي والمعنوي .	٢٨٢
٣- المديح :	**٢٨٩**
- قضية شعر المناسبات .	٢٩٠
- الممدوحون :	٣٠٥
الملوك والأمراء .	٣٠٥
الأدباء .	٣٢٦

شبكة الألوكة - قسم الكتب

- أهم المعاني التي طرقها الشعراء في مدحهم:	٣٢٩
- التكسب بالشعر .	٣٣٩
٤- الرثاء :	**٣٤٥**
أولاً : المرثيون :	٣٤٥
أ- رثاء الملوك والأمراء .	٣٤٥
ب- رثاء ذوي القربى .	٣٥٥
ج- رثاء العلماء .	٣٦٦
د- رثاء الأدباء والأصدقاء .	٣٧٢
هـ- أنواع أخرى من الرثاء .	٣٧٦
ثانياً : قضايا ركز عليها الشعراء في رثائهم :	٣٨٣
أ- الحديث عن النفس .	٣٨٣
ب- الحديث عن شخصية الميت .	٣٨٩
ج- التعزي والتأسي .	٣٩٢
٥- الحنين :	**٣٩٧**
أولاً : الحنين إلى الوطن .	٣٩٧
ثانياً : الحنين الناشئ عن الاغتراب .	٤٠٩
٦- أغراض أخرى :	**٤٢٩**
أ- الإخوانيات :	٤٢٩
أولاً : التهنئة .	٤٢٩
ثانياً : المطارحات والمساجلات .	٤٣٩
ثالثاً : المراسلات .	٤٤٣
رابعاً : الفكاهة والمداعبة .	٤٤٦

www.alukah.net
شبكة الألوكة

خامساً : العتاب .	٤٤٨
ب- الهجاء :	٤٥٢
أولاً : الهجاء الشخصي .	٤٥٢
ثانياً : الهجاء السياسي .	٤٥٧
ثالثاً : الهجاء الاجتماعي .	٤٦١
- الفصل الثالث : (الاتجاهات الشعرية) :	٤٦٥
١ - الاتجاه الإسلامي :	**٤٦٧**
- مظاهر الاتجاه الإسلامي :	٤٦٨
١ - الاتجاه الإسلامي في أغراض الشعر :	٤٦٨
أ- المديح .	٤٦٨
ب- الرثاء .	٤٧٤
ج- الوصف .	٤٧٦
د- الغزل .	٤٨٠
٢- موضوعات دينية خالصة :	٤٨١
أ- شعر الابتهال والتوبة والزهد .	٤٨٢
ب- شعر المناسبات الدينية .	٤٨٩
٣- مضامين إسلامية شاعت في شعر ذوي الاتجاه الإسلامي :	٥٠١
أ- الحديث عن ماضي المسلمين .	٥٠١
ب- ظهور وسطية الإسلام والفكر المعتدل .	٥٠٥
ج- الإصلاح والتوجيه والتربية الإسلامية .	٥٠٩
٢ - الاتجاه الوطني :	**٥١٣**
- منطلقات الشعراء الوطنية .	٥١٨

شبكة الألوكة - قسم الكتب

- أهم القضايا الوطنية في شعر جازان :	٥٢٣
- وحدة الوطن .	٥٢٣
- الإشادة بالحاضر الزاهي .	٥٢٨
- رصد مظاهر التنمية في جازان .	٥٣٥
- رفع احتياجات جازان إلى المسؤولين .	٥٣٧
- الدعوة إلى العمل المثمر .	٥٤٤
- الدفاع عن الوطن .	٥٤٦
٣- قضايا العرب والمسلمين :	**٥٥٩**
أ- القضايا العامة :	٥٦١
١- الوحدة العربية .	٥٦١
٢- الوحدة الإسلامية .	٥٦٨
ب- القضايا الخاصة :	٥٧١
* قضايا عربية :	٥٧٢
أ- قضية فلسطين .	٥٧٢
ب- قضية الجزائر .	٦٠٥
ج- العدوان الثلاثي على مصر .	٦١٠
د قضية لبنان .	٦١٢
هـ- اعتداء العراق على الكويت (حرب الخليج) .	٦١٦
* قضايا إسلامية :	٦٢٢
أ- استقلال باكستان .	٦٢٢
ب- قضية أفغانستان .	٦٢٥
ج- قضية البوسنة والهرسك .	٦٢٧

www.alukah.net
شبكة الألوكة

٤- الاتجاه الاجتماعي :	٦٣١
أ- قضية المرأة :	٦٣١
١- تعليم المرأة .	٦٣٢
٢- الزواج وقضاياه :	٦٣٥
أ- تزويجها بمن لا يناسبها .	٦٣٥
ب- غلاء المهور .	٦٤٠
ج- العنوسة .	٦٤٢
د- تعدد الزوجات .	٦٤٥
هـ- الطلاق .	٦٥٠
ب- تصوير العلاقات الاجتماعية :	٦٥٢
١- تصوير آمال الناس والإحساس بآلامهم .	٦٥٢
٢- معالجة مشكلة الفقر .	٦٥٧
٣- التفاعل مع الأيتام وتوفير الرعاية لهم .	٦٦٠
ج- الاهتمام بالهموم اليومية لأفراد المجتمع .	٦٦٥
٥- الاتجاه الوجداني :	**٦٨٥**
- مظاهر الاتجاه الوجداني في شعر جازان .	٦٨٧
١- الشكوى والأحزان .	٦٨٧
٢- الفرار إلى الطبيعة .	٧٠٦
٣- الحب .	٧٢٢
٤- مظاهر وجدانية أخرى .	٧٢٨
٦- الاتجاه التأملي :	**٧٣٧**
- محاور التأمل في شعر جازان :	٧٣٨

شبكة الألوكة - قسم الكتب

١- التأمل في النفس الإنسانية .	٧٣٨
٢- التأمل الفكري .	٧٤٥
٣- التأمل في الحياة والموت .	٧٥٣
٤- التأمل في الطبيعة .	٧٦٩
- الباب الثاني (الدراسة الفنية) :	٧٧٧
- التمهيد : (الاتجاهات والأجيال الأدبية في شعر جازان) :	**٧٧٩**
أولاً : المقلدون .	٧٨٣
ثانياً : المحافظون .	٧٩٥
ثالثاً : المزاوجون بين المحافظة والتجديد (شعراء التفعيلة) .	٨٠٦
رابعاً : شعراء الحداثة .	٨١٣
- الفصل الأول : (المضمون الشعري) :	٨٣٧
١- المعاني والأفكار :	**٨٣٩**
أولاً : مستمدّات المعاني والأفكار :	٨٣٩
أ- القرآن الكريم	٨٣٩
ب- الحديث الشريف .	٨٤٥
ج- الأمثال العربية .	٨٤٧
د- الشعر العربي القديم .	٨٥٠
هـ- الشعر العربي الحديث .	٨٦١
و- الشعر الأجنبي .	٨٧٤
ز- استدعاء التراث :	٨٧٧
- مصادر التراث المستدعاة :	٨٨٣

www.alukah.net
شبكة الألوكة

١- المصدر الديني .	٨٨٣
٢- الموروث التاريخي .	٨٨٨
٣- الموروث الشعبي والأسطوري .	٨٩٥
ثانياً – المعاني بين الأصالة والمعاصرة :	٩٠٢
- معالم المعاصرة في شعر جازان :	٩٠٢
أ- رصد معالم الصراع الحضاري والتحول الاجتماعي .	٩٠٣
ب- التفاعل مع الأحداث المعاصرة والقضايا الإنسانية .	٩٠٩
ثالثاً : المبالغة في المعاني .	٩١٢
رابعاً : المعاني بين السلامة والانزلاق .	٩١٦
خامساً : المعاني بين السطحية والعمق .	٩٢٣
٢- التجربة الشعرية :	**٩٢٩**
أولاً : حديث الشعراء عن تجاربهم .	٩٣١
ثانياً : قيمة التجربة وأهميتها لدى الشعراء .	٩٣٩
ثالثاً : معالم التجربة الشعرية ومثيراتها لدى شعراء جازان :	٩٤٣
أ- التجربة المنبثقة من ذات الشاعر وعالمه النفسي .	٩٤٩
ب- التجربة من خلال الواقع الاجتماعي .	٩٥٥
ج- التجربة الشعرية من خلال عالم الطبيعة .	٩٦٢
د- التجربة من خلال المرأة وعاطفة الحب .	٩٦٩
هـ- التجربة من خلال المناسبة .	٩٧٧
- الفصل الثاني : (الشكل الشعري) :	٩٨٥
١- بناء القصيدة :	**٩٨٥**
أ – المطلع .	٩٨٥

شبكة الألوكة - قسم الكتب

ب- مقدمة القصيدة .	٩٩٣
ج- الوحدة :	١٠٠٠
التجارب التي برزت فيها الوحدة العضوية :	١٠٠٥
أولاً : الوحدة في القوالب القصصية والحكائية .	١٠٠٥
ثانياً : الشعر الذاتي والاجتماعي المعتمد على البناء المقطعي .	١٠٢٠
د- طول النص وقصره .	١٠٢٤
هـ- خواتيم القصائد .	١٠٣٨
٢- اللغة :	**١٠٤٩**
أولاً : الألفاظ :	١٠٥٠
أ- الألفاظ بين السهولة والثقل .	١٠٥١
ب- بين الهمس والفخامة .	١٠٥٤
ج- الدلالة والإيحاء .	١٠٥٨
د- الاستغلال الأمثل للإيحاء الصوتي للفظة .	١٠٦٢
هـ- المعجم :	١٠٦٦
* مسار المعجم :	١٠٧١
١- الألفاظ ذات الطابع الديني .	١٠٧١
٢- اللفظة المستقاة من البيئة .	١٠٧٥
و- الغرابة والندرة .	١٠٩١
ز- الدخيل والأجنبي .	١٠٩٥
ح- الابتذال .	١٠٩٩
ثانياً : التراكيب .	١١٠٣
ثالثاً : ظواهر لغوية أخرى :	١١١٤

www.alukah.net
شبكة الألوكة

١- الرمز اللغوي .	١١١٤
٢- التكرار .	١١٢٢
رابعاً : بعض العيوب اللغوية .	١١٢٨
٣- الصورة الفنية :	**١١٣٦**
أولاً : مصادر صور شعراء جازان :	١١٣٧
أ- الصور التراثية .	١١٣٧
ب- الطبيعة .	١١٤١
ج- الإنسان .	١١٤٨
ثانياً : وسائل التصوير :	١١٥١
أ- التصوير البياني .	١١٥٤
ب- الصورة الحسية .	١١٥٨
ج- المحسنات البديعية .	١١٦٧
د- التشخيص والتجسيم .	١١٦٩
هـ- الصور الكلية .	١١٧١
ثالثاً : أدوات التصوير الجديدة :	١١٧٣
١- الإكثار من تراسل الحواس وتداخل معطياتها .	١١٧٤
٢- استخدام الرمز الإسقاطي (المعادل الموضوعي) .	١١٧٦
٣- التوسع في استعمال المجازات .	١١٧٩
٤- الموسيقى الشعرية :	**١١٨٣**
أولاً- الموسيقى الخارجية :	١١٨٣
١- القصيدة الموزونة والمقفاة :	١١٨٣
أ- الوزن الشعري .	١١٨٣

شبكة الألوكة - قسم الكتب

ب- القافية :	١١٩٢
- مظـاهر التجديـد في القافيـة (التـشكيلات العروضـية الجديدة) .	١١٩٧
٢- قصيدة التفعيلة .	١٢١٢
ثانياً : الموسيقى الداخلية .	١٢٢٧
ثالثاً : ملحوظات موسيقية :	١٢٣٥
أ- الهنات الموسيقية والأخطاء العروضية .	١٢٣٥
ب- قصيدة النثر .	١٢٤٣
- الباب الثالث : (من أعلام الشعر) :	١٢٤٥
- **الفصل الأول : (من الأعلام المحافظين) :**	١٢٤٧
١- محمد بن علي السنوسي .	١٢٤٩
٢- محمد بن أحمد العقيلي .	١٢٦١
٣- علي بن أحمد النعمي .	١٢٧٧
- **الفصل الثاني : (من الأعلام المجددين) :**	١٢٩٩
١- إبراهيم بن عبدالله مفتاح .	١٣٠١
٢- إبراهيم بن عمر صعابي .	١٣٢٢
٣- أحمد بن يحيى بهكلي .	١٣٤١
- الباب الرابع : التقويم) :	١٣٦٩
آراء النقاد في شعر جازان .	١٣٧١
- الخاتمة : (ملامح وسمات الشعر في جازان) .	١٤٠١

www.alukah.net
شبكة الألوكة

- الفهارس :	١٤١٣
١- ثبت المصادر والمراجع :	١٤١٥
أولاً : الكتب المطبوعة .	١٤١٧
ثانياً : المقالات .	١٤٣٧
ثالثاً : المخطوطات .	١٤٣٨
رابعاً : رسائل علمية لم تنشر .	١٤٣٩
٢- فهرس الشعراء المترجم لهم .	١٤٤١
٣- فهرس الموضوعات التفصيلي .	١٤٤٥

* * *

شبكة الألوكة - قسم الكتب

هذا الكتاب منشور في